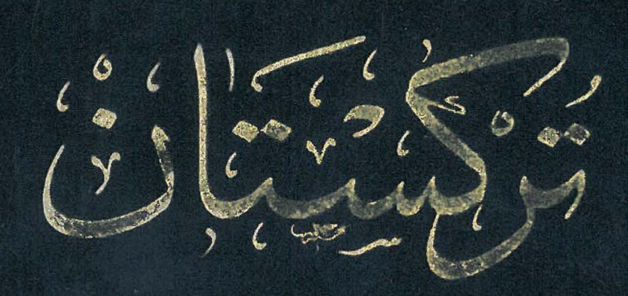


فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد



تركستان

من الفتح العربي إلى الغزو المغولي

نقله من الروسية

صلاح الدين عثمان هاشم

الكويت

١٤٠١هـ - ١٩٨١م



ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش بارتولد

تركستان

من الفتح العربي إلى الغزو المغولي

نقله عن الروسية
صلاح الدين عثمان هاشم

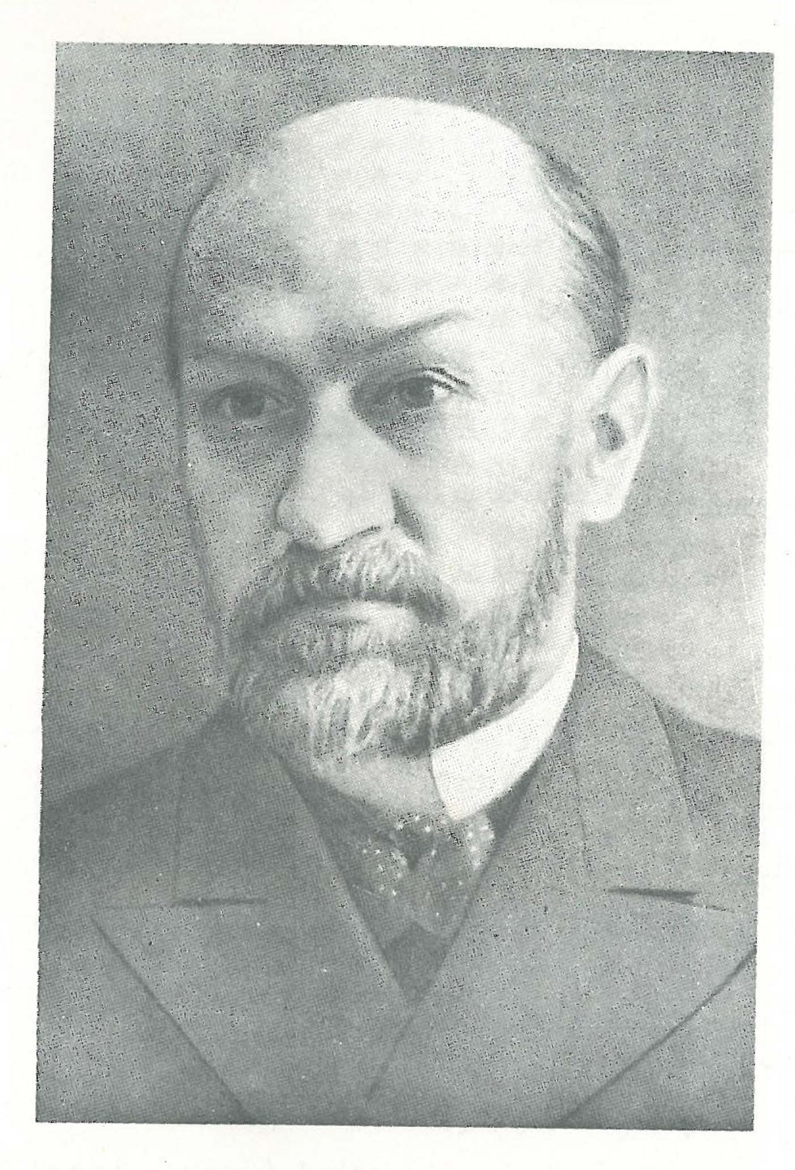
أشرف على طبعه
قسم التراث العربي
بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

هذه ترجمة كتاب

V. V. BARTOLD

TURKESTAN V EPOKHU MONGOLSKOGO NASHESTVIA

MOSKVA 1963



ڤاسیلی ڤلادیمیروڤتش بارتولد

(۱۹۳۰-۱۸۶۹)

محتويات الكتاب

الصفحة

تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي

مدخل: المصادر

الملحقات

الخارطات

شجرات النسب

ثبت المراجع

كشاف الفهارس

مقدمة المترجم

هذا السفر الجليل الذي نضع ترجمته بين يدي القارىء العربي يعدّ من الآثار الكبرى في ميدان الدراسات الشرقية. وليس هذا فحسب بل إنّه ليعدُّ في ميدان فن التوريخ (Historiography) أنموذجاً من النماذج الجيدة لتطبيق منهج البحث التاريخي على دراسة تاريخ المشرق، الأمر الذي جعله يحتل في سرعة المكانة المرموقة بين خير ما أسهم به العلماء الروس في المجالين.

وعلى الرغم من أن اسم مؤلفه ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش بارتولد Vassili Vladimirovich Bartold لم يعد مجهولا بين المشتغلين بتاريخ الحضارة الإسلامية من العرب المعاصرين، إلاّ أن هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها هذا الأثر الهام في لغة الضاد، وذلك بعد مضي ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن على ظهور الأصل الروسي له. وترجع معرفتي بالكتاب إلى ما يزيد على الثلاثين عاماً، قرأته للمرة الأولى في ترجمته الانجليزية. وخلال اقامتي بموسكو، وحين أصبحت اللغة الروسية طوع لساني ويدي، قرأته للمرة الثانية في أصله الروسي، وقرأت إلى جانبه أكثر ما دوّنه يراع ذلك العلاّمة الكبير الذي يعدّ بحق المؤرخ الأول لآسيا الوسطى الإسلامية.

وهنا أخذت تتبلور لديّ فكرة نقله إلى اللغة العربية، وحفزني على ذلك عدد من الأصدقاء والزملاء أخص بالذكر منهم الدكتور يحي الخشاب عالم الإيرانيات المصري المعروف.

غير أن الأمر خرج من القوة إلى الفعل نتيجة لتلك المبادرة الطيبة التي طرب لها عالم الاستشراق والتاريخ الشرقي، تلك هي قرار أكاديمية العلوم السوڤيتية باصدار طبعة كاملة لآثار الأكاديمي بارتولد في تسعة أجزاء كبيرة، وزاد من سروري ان ظهر من بينها الجزء الأول في عام ١٩٦٣ .وهو يضم بين دفتيه سفره الضخم «تركستان» الذي يعدّ بحق المدخل الأساسي لدراسة تاريخ آسيا الوسطى الاسلامية، ذلك هو هذا السفر الذي يجده القارىء العربي بين يديه الآن.

وتختلف هذه الطبعة السوفيتية الجديدة عن الطبعة الروسية التي ظهرت للكتاب في مطلع هذا القرن في أنها تضم فصلاً جديداً وجد بين أوراق المؤلف بعد وفاته، كما أنها تضم زيادات في الحواشي بأقلام الناشرين السوفيت من تلامذة المستشرق الكبير، وبأقلام المتخصصين في هذا الميدان. وفوق هذا فإن الناشرين السوفيت قد استكملوا ثبت المراجع ونسّقوه بطريقة علمية حديثة، وكذلك زوّدوا الكتاب بفهارس مفصلة ومضبوطة. ولم يفتهم أن يقدموا للكتاب بمقدمات وافية عن حياة المؤلف وعن آثاره العلمية، وهي إن كانت تعكس وجهة نظرهم الماركسية إلاّ أنها تضم من الوقائع ما لا يخلو من الجدّة بالنسبة للقارىء العربي.

وقد جعلت هذه الطبعة السوفيتية الجديدة هي الأساس لترجمتي، فنقلتها نقلاً دقيقاً وأميناً إلى لغتنا العربية. وشفعت ذلك بأن راجعت ترجمتي هذه على ترجمة الكتاب الانجليزية التي ظهرت في عام ١٩٢٨، والتي أشرف على إعدادها المؤلف نفسه. ثم راجعت متن الترجمة على المصادر الاسلامية التي استقى منها المؤلف مادته، وعرضت المسودة في آخر الأمر على صديقي وزميلي الأستاذ صادق عبد الله عبد الماجد فقرأها قراءة دقيقة أمينة وأجرى فيها قلمه بالتصحيح والتوضيح وحسّن من أسلوبها وحملني على توضيح الجوانب الغامضة حتى يكون الكتاب سهل المتناول على القارىء العام. ولم يفتني كذلك أن أضيف بعض التعليقات والمقتطفات من المؤرخين المسلمين، بل إنني استدركت ما فات على الناشرين السوفيت من مراجع مع الإشارة بوجه خاص إلى الطبعات والترجمات العربية الحديثة. ولعل مما يسّر عليّ نقل الكتاب إلى العربية إلمامي إلى جانب الروسية باللغات الفارسية والتركية والمغولية، وسيتبين للقارىء خلال مطالعته للكتاب اعتماد العلامة الروسي على المصادر المدونة بهاته اللغات اعتماداً أساسياً، خاصة في الفصول الأخيرة من مصنفه.

– ٢ –

خرج كتاب بارتولد تحت عنوان «تركستان في فترة الغزو المغولي». وتشير قرائن الأحوال إلى أن هذا العنوان إنما يعكس الفكرة الأولى لذلك البحاثة، وهي أن يقصر موضوع رسالته على تلك الحقبة بالذات من تاريخ تركستان. غير أن الموضوع لم يلبث أن تشعب به، فنجد أن القسم الأكبر من كتابه إنما يؤرخ لتركستان قبل غزو المغول لها. وليس هذا فحسب بل ان المؤلف زوّد الكتاب بفصل أول عرض فيه للجغرافيا التاريخية لبلاد ما وراء النهر في العهود الاسلامية، كما قدم للكتاب بمقدمة جيدة عالج فيها الكلام عن

المصادر التاريخية الإسلامية التي استقى منها مادته وعن البحوث العلمية الحديثة التي مست تاريخ تلك الأقطار. لهذا فقد خرج البحث عن ذلك الإطار الضيق الذي وضعه له المؤلف في البداية، حتى لم يعد عنوانه يتفق مع سعة مادته. وعلى الرغم من أن الأصل الروسي للكتاب قد ظل محتفظاً بذلك العنوان الأول، إلاّ أن الترجمة الانجليزية (التي خرجت تحت اشراف المؤلف نفسه كما أسلفنا) قد حملت عنواناً مغايراً بعض الشيء، هو «تركستان إلى فترة الغزو المغولي» Turkestan down to the Mongol Invasion وقد استبحنا لنفسنا بعض الحرية في أن نعدّل بعض الشيء من العنوان لنجعله «تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي»، آملين في أن يجد القبول عند القارىء.

هذا، وقد ذاعت شهرة مصنف بارتولد حتى أصبح المرجع الأول في تاريخ آسيا الوسطى الإسلامية. وعلى الرغم من أن المستشرق والمؤرخ الكبير لم يلبث أن انساب قلمه بعد ذلك فعالج بالتفصيل تاريخ تلك المنطقة والمناطق المجاورة لها في عشرات بل وفي مئات من البحوث والمقالات، إلاّ أنه لم يضطر إلى اطّراح الاستقراءات العامة التي توصل إليها في مصنفه الأساسي. الأمر الذي يشير إلى أصالة المؤلف وعبقريته المبكرة. وقد عودنا العلماء أن يتوّجوا نشاطهم العلمي بوضع مؤلف تركيبي في أواخر أيام حياتهم، لا أن يقوموا بهذا في بداية حياتهم العلمية كما فعل بارتولد.

وأملنا كبير في أن تكون ترجمتنا هذه حافزاً لنقل مؤلفات المؤرخ والمستشرق الكبير إلى لغتنا العربية. ولعله لن يكون من نافلة القول لو أشرنا في هذا الصدد إلى أنه فيما عدا بعض مقالاته التي ظهرت في الطبعة الأولى «لدائرة المعارف الاسلامية» لم ينقل إلى اللغة العربية من آثاره العديدة حتى الآن سوى بحثين اثنين، هما «تاريخ الحضارة الاسلامية»، وقد نقله عن الترجمة التركية (المنقولة بدورها عن الترجمة التتارية) الأستاذ طاهر حمزة (دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨)، و«تاريخ الترك في آسيا الوسطى» الذي نقله عن التركية الدكتور أحمد السعيد سليمان (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦).

— ٣ —

وكما أسلفت فقد كنت دقيقاً في ترجمتي، أميناً على النص، ولم أسمح لنفسي إطلاقاً أن أسقط شيئاً منه أو أجري فيه قلمي بالتعديل. إلاّ أنني آثرت في بعض الحالات التي لخص فيها بارتولد أقوال المؤرخين المسلمين بصورة غلب عليها الإيجاز الشديد الذي ربما قاد إلى بعض الغموض، آثرت أن أتابع قولهم وأن أورده أحياناً برمّته، إمعاناً مني في الدقة وتمسكاً بأسلوب النثر العربي التقليدي. وفي حالات نادرة وضعت مقابل اللفظ

معادله بالانجليزية أو الفرنسية، تيسيراً لفهم المتن وتقريبه إلى ذهن القاريء. وقد قيدت من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيفه، كما وضعت أمام الأسماء الأعجمية صورتها بالأحرف اللاتينية. أمّا الأسماء والعناوين الروسية فقد قيدتها جميعها بالأحرف اللاتينية بطبيعة الحال. كذلك شرحت معاني بعض الألفاظ التركية والمغولية مما يكثر استعماله لدى مؤرخي المسلمين الذين عالجوا الكتابة في تاريخ تلك الحقب.

وقد وضعت أمام التاريخ الهجري حرف الهاء، ولكنني تركت التاريخ الميلادي مجرداً. وعلى الهامش بينت أرقام صفحات المتن الروسي لتسهيل مراجعة الترجمة على الأصل لمن أراد ذلك. كذلك رأيت أنه من المفيد أن أضم إلى الترجمة في صورة ملحق النص الفرنسي الكامل لمحاضرة كنت قد ألقيتها في الجمعية الآسيوية بباريس بعنوان «Les Titres Exacts d'un Khan de la Transoxiane» (الألقاب الصحيحة لأحد خانات بلاد ما وراء النهر)، صححت فيها وهماً وقع فيه بارتولد. وبخلاف ذلك أضفت ملحقاً آخر صححت فيه بعض الأخطاء التي وجدت طريقها إلى الترجمة الانجليزية للكتاب، كما زودت الكتاب أيضاً بعدد من الخارطات وشجرات أنساب الأسر الحاكمة.

ونظراً لأن الطبعة السوفيتية للكتاب قد ضمت في الحواشي إشارات عديدة ونقولاً كثيرة من مقال العلامة الفرنسي پول پليو Paul Pelliot (١٨٧٨ - ١٩٤٥) الذي ظهر في عام ١٩٣٠ بعنوان Notes sur le «Turkestan» de M.B. Barthold (ملاحظات على «تركستان» السيد بارتولد)، فقد رأينا ضمه مصوراً إلى ترجمتنا هذه كملحق. ولقد كان پليو من علماء الغرب القلائل الذين أجادوا اللغتين الصينية والمغولية إجادة تامة، الأمر الذي لم يتهيأ لبارتولد. لذا فقد جاءت استدراكاته على بارتولد ذات قيمة كبرى في توضيح بعض الجوانب العويصة في تاريخ آسيا الوسطى وشعوبها.

والله ولي التوفيق

صلاح الدين عثمان هاشم

الخرطوم، مارس ١٩٧٤

5

كلمة اللجنة المكلفة بنشر آثار الأكاديمي بارتولد

يستند نشر آثار الأكاديمي بارتولد على قرار صدر عن سكرتارية قسم العلوم التاريخية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية في ٢١ يونيو ١٩٦٠ . ويُعد ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش بارتولد Vassili Vladimirovich Bartold (١٨٦٩ - ١٩٣٠) من أكـــبر من أرّخوا لحضارة الشرق ، كما أنه يُعد مؤسساً للمدرسة التاريخية للاستشراق الروسي . وكان لما تمتع به بارتولد من ذهن وقّاد ومقدرة فائقة ، فضلا عن طاقة فيّاضة ونشاط جمّ ، السبب الذي مكّنه من وضع عدد كبير من المؤلفات العلمية في جميع مجالات الاستشراق .

وكانت دراسة العالم الإسلامي بروسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد بلغت درجة رفيعة من التطور وقدّمت في هذا الشأن آثاراً جليلة لعدد من المستشرقين نذكر من بينهم ڤ.ڤ. غريغوريـــــف V.V. Grigoriev ود . ا . خفولسون D.A. Khvolson وب . ا . ليرخ P.I. Lerkh ون . ا . برزين N.I. Berezin وڤ . غ . تيزنغاوزن V.G. Tizengauzen ون . ا . ڤيسلوڤسكي N.I. Veselovski وڤ.ڤ. رادلوف V.V. Radlov وڤ.ر. روزن V.R. Rozen. واعتماداً على دراسة مجموعة من المصادر الهامة المدّونة باللغات العربية والفارسية والتركية ، وأيضاً على دراسة المسكوكات ، ظهر عدد من الأبحاث يكشف عن قيام مدرسة مستقلة في ميدان التاريخ الشرقي والدراسات الشرقية ، لم تلبث أن احتلت مكانة مرموقة في الاستشراق العالمي . وقد أسفرت هذه الأبحاث عن تقليد علمي حدّد بالتالي الاتجاه الرئيسي لنشاط بارتولد العلمي ، وهو غلبة الإهتمام بتاريخ آسيا الوسطى

ولقد زاد الإهتمام بتاريخ شعوب آسيا الوسطى بشكل واضح عقب ضم آسيا الوسطى إلى الامبراطورية الروسية . وقرب نهاية القرن التاسع عشر كان البحث في هذا الميدان لا يزال في طور البداية ، فقد تمثل النشاط العلمي آنذاك في عدد قليل من الأبحاث يعالج مسائل محدودة . لذا فقد كان بارتولد محقاً عندما كتب إلى روزن في عام ١٨٩١ ، ولم يكن جاوز آنذاك الثانية والعشرين من عمره ، قائلا : « لا نكاد نلتقي بعالم واحد حاول فحص فترة قصيرة من تاريخ آسيا الوسطى وفقاً للمنهج المقارن ، أي بتطبيق قوانين التطور

6 التاريخي التي طبقت من قبل على / التاريخ الأوروبي. وواقع الأمر أنه حتى هذه اللحظة لم يجر التفكير..... .. في تدريس تاريخ آسيا الوسطى بطريقة علمية دقيقة شأنه في هذا شأن تاريخ رومه مثلاً »[١].

وفي خلال الاثني عشرة عاماً التي انقضت بين اللحظة التي قدّم فيها بارتولد وهو ما يزال طالباً أول بحث له يمس تاريخ آسيا الوسطى (١٨٨٨) وبين نشره لمصنفه الكلاسيكي « تركستان في فترة الغزو المغولي » (١٩٠٠)، تمكن بارتولد من أن يرسي قواعد الدراسة العلمية لتاريخ آسيا الوسطى في العصور الوسيطة الأولى. ثم شفع ذلك بأن وجّه اهتمامه إلى دراسة تاريخ آسيا الوسطى إلى عهد تيمور والتيموريين، ودراسة الجغرافيا التاريخية للمنطقة، وتاريخ اقتصادياتها وثقافتها، وكذلك تاريخ الشعوب التي حلت في ربوعها. ولعله من غير الميسور أن نلتقي في تاريخ العلم بعالم مثل بارتولد قام بمجهود جبار مثل هذا في دراسة منطقة ما وكأنما تاريخها لم يكن يعرف من قبله، وهو أمر يتطلب في العادة جهود أجيال بحالها من البحّاثين.

ولقد ظل بارتولد إلى آخر سني حياته « مؤرخاً لآسيا الوسطى قبل كل شيء »[٢]، كما قال هو عن نفسه. غير أن محيط نشاطه العلمي تجاوز إلى أبعد من ذلك حتى شمل تاريخ الشرقين الأدنى والأوسط وتاريخ جوف آسيا جميعاً. وقد خلف لنا بارتولد في مختلف ميادين البحث التي مسّها عن كثب آثاراً تدهش بما تعكسه من مقدرة فائقة على التحليل الناقد للمصادر، حتى فاق في هذا المضمار جميع معاصريه ممن تخصصوا تخصصاً دقيقاً في مجال الاستشراق. ولقد عالج بارتولد الكتابة في تاريخ الاسلام، وتاريخ الخلافة العربية في عصورها المبكرة، وتاريخ ايران الاجتماعي والثقافي وجغرافيتها التاريخية، وتاريخ القوقاز وما وراء القوقاز، وتاريخ الشعوب التركية والمغولية ودراسة نظمها القبلية، وتاريخ النقوش والمسكوكات الاسلامية - هذا سرد سريع وليس حصراً للموضوعات التي تردد صداها في آثار العلامة بارتولد. ولمعرفته الجيدة باللغات العربية والفارسية والتركية فإنه كان أول من اعتمد في أبحاثه على عدد كبير من المصادر المخطوطة، استطاع بطريقة لم يجاره فيها أحد أن يكشف النقاب عنها ويحلل مادتها. وفضلاً عن هذا فقد ترك لنا بارتولد دراستين شاملتين وعدداً من المقالات في تاريخ الاستشراق الروسي والعالمي.

---

(١) I. Iu. Krachkovski, Russkie pisma akademiku V.R. Rozeny v Aziatskom muzee AN SSR, - DAN-V, 1929, str. 231 - 232.

(٢) Avtobiografia, - «Ogonek», 1927, No 40.

والتراث العلمي الذي خلفه بارتولد لم يدرس بعد دراسة كافية، وحتى هذه اللحظة لم يسلط الضوء على ما أسهم به بارتولد في دراسة تاريخ المشرق بصورة مرضية. ولعل خير تحليل لشخصية بارتولد كعالم إنما ندين به لتلميذه المستشرق السوفيتي المعروف ا.ي. ياكوبوفسكي A.Iu. Yakobovski الذي يقول عن أستاذه:

«يسود تراث بارتولد العلمي، والمتمثل في أبحاثه التي لا تقع تحت حصر روح متشربة بالآراء التقدمية. وهو قد عرف كيف ينتصر على النظريات العقيمة/ التي غلبت على الفكر البورجوازي، خاصة نظرية التفوق العنصري التي اعتنقها العلماء البورجوازيون في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وموقف الإزدراء والصلف الذي وقفوه من شعوب الشرق وتاريخها....

«وفي الأعوام الأخيرة من حياته (١٩١٧-١٩٣٠) تعرض بارتولد للتأثير الحميد للمذهب الماركسي وانعكس هذا بوضوح في نظرته للتاريخ على ضوء الصراع الطبقي، وهو أمر يمكن إبصاره في عدد من أبحاثه كما يمكن استدراك إرهاصاته في مقالاته المبكرة...

«غير أنه ليس ثمة ما يدعو إلى الزعم بأن بارتولد أصبح ماركسياً في أواخر أيام حياته، بل ولعل هذا ليس من مصلحة المذهب التجديدي في شيء. فبارتولد لم يتغلب تماماً على تأثير المذهب المثالي (idealistic) على فكره، فظل حتى آخر أيام حياته أسيراً للآراء المتطرفة عن دور المؤثرات الحضارية (cultural) في سير التاريخ.

«ورغماً من أن بارتولد لم يتجاهل العمليات المحرّكة لسير التاريخ إلاّ أنه لم تكن لديه فكرة واضحة عن دور القوى المنتجة وعن العلاقات الانتاجية، ومن ثم فإنه لم يولها عناية كبيرة في تفسير الأحداث والظواهر التاريخية بل كان يجهد على الدوام في تفسيرها على أنها وليدة تأثير شعب أكثر حضارة على شعب آخر أقل حضارة منه. وهذه الظاهرة تمثل بلا شك العيب الأساسي في إنتاجه العلمي... ومهما يكن من شيء فإن من العسير أن نلتقي بين المؤرخين المستشرقين الذين ظهرت أكثر أثارهم العلمية قبل ثورة أكتوبر الاشتراكية ولم يكونوا ماركسيين من هو في درجة بارتولد عمقاً في معالجة موضوعات دراسته، أو الاقتراب من المذهب الماركسي في استقراءاته لشتى المسائل كما فعل هو»(٣).

ولقد اكتسبت أبحاث بارتولد منذ اللحظة الأولى سمعة عالمية واسعة ونالت اعتراف

(٣) A.Iu. Iakobovski, Problema sotsialnoi istorii narodov Vostoka v trudakh akademika V.V. Bartolda, VLU, 1947, No 12, str. 78 – 79

الدوائر العلمية في العالم أجمع، فنوّه عدد كبير من العلماء الأجانب أكثر من مرة بأن أحداً لا يجاريه في هذا المضمار. والمستشرق الفرنسي النابه بول بليو Paul Pelliot يقول في تأبينه له: « إنّ آثار بارتولد تقف نسيج وحدها في الأصالة والتنوع، وذلك بفضل ما امتازت به من سعة في المعرفة وعمق في النقد ودقة في البحث. وإن هذا العالم الكبير ليترك لنا فراغاً لن يسده أحد بعده، ولعله ليس من فضل القول أن نذكر في هذا الشأن أن بارتولد من حيث الأمانة والنزاهة والشجاعة ليقف في نفس المستوى الرفيع الذي احتله كعلاّمه »(٤).

هذا وقد نُقلت أعمال بارتولد إلى اللغات الانجليزية والألمانية والفارسية والعربية والأوزبكية والقرغيزية/والتتارية، وظهر عدد من هذه الترجمات والمؤلف على قيد الحياة. وقد أعيد في الآونة الأخيرة طبع بعض الترجمات القديمة، كما ظهر عدد من الترجمات الجديدة(٥). 8

ولا تزال الكثرة الغالبة من آثار بارتولد حتى أيامنا هذه تتمتع بنفس القيمة العلمية التي نالتها وقت ظهورها. ولقد أصبحت مؤلفاته مداخل لا غنى عنها للباحثين ومراجع أساسية يرجع إليها كل من تفرغ لدراسة تاريخ الشرق الأدنى (في العصور الوسيطة وفي غيرها من العصور) وتاريخ آسيا الوسطى بوجه خاص. ولقد أضحت الحاجة ماسّة إلى إعادة طبع مؤلفاته الهامة بين ربوعنا، خاصة وأن طبعاتها خرجت في أعداد محدودة، فضلا عن أن البعض منها تحويه دفات دوريات (periodicals) شتى يصعب الوصول إليها، بل إن الحصول على أكثرها كان أمراً عسيراً أثناء حياة المؤلف نفسه، كما أن البعض

---

(٤) تراجع ألفاظ پليو وهي: P. Pelliot, – « T'oung Pao », t. XXVI, 1930, P. 459
«Tant par l'étendue des connaissance que par la pénétration et la netteté de l'esprit critique، l'œuvre de Barthold est d'une solidité et d'une variété exceptionelles. Ce grand savant laisse vide une place que nul n'est préparé à occuper comme lui. Et il vaut peut – être de rappeler que, par la loyauté, le désinteréssement et le courage, l'homme fut chez lui à la hauteur du savant». (المترجم).

(٥) ظهر في الأعوام الأخيرة خمسة من الأبحاث الكبرى لبارتولد في ترجمة انجليزية (من عمل ف.ف. مينورسكي V.F. Minorsky وت.ا. مينورسكيا T.A. Minorskia)، كما أعيد طبع « تركستان »؛ أمّا بفرنسا فقد ظهرت ترجمة لمحاضراته تحت عنوان «Histoire des Turcs de l'Asie Centrale»، وكتابه في تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا تحت عنوان «La Découverte de l'Asie». وبعد عام ١٩٤٥ ظهر عدد من أبحاثه في ترجمات ألمانية وتركية وفارسية. (كذلك ظهر اثنان من أبحاثه في ترجمة عربية بمصر – المترجم).

الآخر منها ظهر في لغات أجنبية فحسب. وعدد كبير من هذه الطبعات يصعب العثور عليه حتى في المكتبات الكبرى، الأمر الذي يجعل آثار بارتولد في واقع الأمر بعيدة عن متناول دوائر عريضة من القرّاء.

ومنذ منتصف الثلاثينات أثيرت بمعهد الدراسات الشرقية مسألة اعادة طبع آثار العلامة بارتولد، خاصة الأبحاث التي لم تنشر في حياته[٦]. غير أن هذا المشروع لم يكتب له النجاح بسبب اشتعال نيران الحرب. وفي عام ١٩٤٣ أعاد ا.ن. برنشتام A.N. Bernshtam طبع بحثين لبارتولد بمدينة فرونزي Frunze يتعلقان بتاريخ القرغيز، هما «نبذة في تاريخ يدي صو» و«القرغيز - نبذة تاريخية». هاتان الطبعتان قد أثنى عليهما الأكاديمي ا.ي. كراتشكوفسكي I. Iu. Krachkovski الذي انتهز تلك الفرصة فأثار من جديد مشروع نشر آثار بارتولد الكبرى تدريجياً وعلى فترات[٧]. وتلا ذلك أن أعرب أكثر من مرة عدد من المشتركين في المؤتمرات العلمية المنعقدة بالاتحاد السوفيتي، كمؤتمرات المستشرقين ومؤتمرات مؤرخي آسيا الوسطى وعلماء آثارها وسلالاتها البشرية، أعربوا عن أملهم في أن يتم نشر آثار العلامة بارتولد في المستقبل القريب.

والطبعة المزمعة لآثار بارتولد التي تقوم باعدادها هذه اللجنة، والتي تضع الآن باكورة نتاجها بين يدي القارىء، إنما تستهدف الاضطلاع بتلك المهمة الكبرى والعاجلة ألا وهي نشر جميع ما دونه يراع ذلك العلامة الكبير.

* * *

9 نشر بارتولد في خلال الإثنين وأربعين عاماً من نشاطه العلمي ما يزيد على أربعمائة أثر علمي، ما بين بحث ومقالة ونقد وتعليق. وبجانب هذا فقد اضطلع بتحرير مائتين وست وأربعين مقالة (article) من أجل «دائرة المعارف الاسلامية»، تمثل في مجموعها ما يشبه الموسوعة القائمة بذاتها في تاريخ آسيا الوسطى وجغرافيتها التاريخية وتمس إلى حد ما الأقطار المتاخمة لها. وستشمل طبعتنا الراهنة جميع آثار بارتولد التي ما زالت محتفظة

---

(٦) قدم المشروع في عام ١٩٣٨ المستعرب س.ل. ڤولين S.L. Volin نيابة عن قسم آسيا الوسطى بمعهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية.

(٧) I.Iu. Krachkovski, K pereizdaniu trudov V.V. Bartolda, «Istoricheskii jurnal», 1944, No 1, str. 95 - 98
(أنظر أيضاً: Krachkovski, Izbr. soch., t. V,M-L., 1958, str 428-434)

بقيمتها العلمية[٨]، والتي يقرب عددها من الثلاثمائة أثر ما بين بحث ومقالة ونقد للكتب، هذا إلى جانب مقالاته التي ظهرت « بدائرة المعارف الاسلامية ». وقد جرى توزيعها على أجزاء وفقاً للموضوعات التي عالجها المؤلف، وذلك على النحو الآتي:

الجزء الأول: تركستان في فترة الغزو المغولي.

الجزء الثاني: القسم الأول (ويظهر في مجلد منفرد):
دراسات عامة في تاريخ آسيا الوسطى. بحوث في تاريخ القوقاز وأوروبا الشرقية.

الجزء الثاني: القسم الثاني (ويظهر في مجلد منفرد):
دراسات لمسائل شتى من تاريخ آسيا الوسطى.

الجزء الثالث: بحوث في الجغرافيا التاريخية.

الجزء الرابع: بحوث في علم الآثار والمسكوكات والنقوش وعلم السلالات البشرية تتصل بآسيا الوسطى.

الجزء الخامس: بحوث في تاريخ الترك والمغول ولغاتهم وآثارهم الأدبية. دراسات متصلة بجوف آسيا والشرق الأقصى.

الجزء السادس: دراسات في تاريخ الاسلام والخلافة العربية.

الجزء السابع: دراسات في تاريخ ايران وافغانستان وآدابها.

الجزء الثامن: دراسات للمصادر التاريخية.

الجزء التاسع: دراسات في تاريخ الاستشراق.

وفي داخل كل قسم من هذه الأقسام (أو في كل جزء إذا ما اشتمل الجزء على قسم واحد) جرى تنظيم المادة على أساس زمني، كما أُفرد قسم خاص من كل جزء (باستثناء الجزئين الأول والتاسع) لإثبات المقالات التي ظهرت « بدائرة المعارف الاسلامية » والتي تعالج ذات الموضوع الذي يعالجه ذلك الجزء.

وبعض الدراسات والبحوث تم توزيعه على الأجزاء المختلفة بطريقة تقديرية، والعلة في هذا هو أن عدداً كبيراً من دراسات بارتولد يعالج مسائل متنوعة أو يمس أكثر من

---

(٨) هذا باستثناء ترجمة بارتولد لملحمة « دده قورقوت » والتي رأت النور عام ١٩٦٢ ضمن سلسلة «Literaturnye pamiatniki» (الآثار الأدبية) التي تتولى نشرها أكاديمية العلوم السوفييتية، وأيضاً ترجمات بارتولد لمصنف محمد چراس في تاريخ كاشغر ومصنف مؤنس في تاريخ خانية خيوه (« فردوس الإقبال ») المحفوظة بأرشيفه والتي سيجري طبعها على حدة.

واحد من ميادين الدراسات الشرقية حتى يصبح من العسير أن تدرج برمتها تحت موضوع واحد فقط من الموضوعات التي قامت عليها أجزاء هذه الطبعة. مثال ذلك مقاله المعروف «من تاريخ مرو»/الذي يرد فيه تحليل لمصطلحات هامة مما يجري استعماله في الأدب الجغرافي العربي، كما يرد فيه أيضاً وصف دقيق لخطط مرو في العصور الوسطى، فهذا المقال يمكن ضمه على السواء إلى الجزء الرابع (علم الآثار)، أو إلى القسم الثاني من الجزء الثاني (الذي يعالج الكلام على مسائل شتى من تاريخ آسيا الوسطى)، بل ولربما إلى الجزء الثالث أيضاً (الجغرافيا التاريخية). أمّا مقاله «نقش فارسي على حائط مسجد منوجه بآني» فيمكن أن يجد مكانه في الجزء الرابع (النقوش)، أو في الجزء السابع (تاريخ ايران وافغانستان وآدابها) على السواء، وهكذا. وبعض هذه البحوث يمكن ضمه إلى الجزء الثاني (تاريخ آسيا الوسطى)، أو إلى الخامس (تاريخ الترك والمغول). ويمس هذا بصورة خاصة مجموعة المقالات التي ظهرت «بدائرة المعارف الاسلامية». وثمة دراستان كبيرتان هما «العالم الاسلامي» و«الحضارة الاسلامية» تمثلان في جوهرها مدخلاً لدراسة تاريخ العالم الإسلامي بأجمعه، لذا فهما أوسع بكثير من نطاق الموضوع الذي قام عليه الجزء السادس (تاريخ الاسلام والخلافة العربية) حيث يوجدان.

10

في مثل هذه الحالات جميعها كانت لجنة التحرير وهي تقرر وضع بحث ما في مكانه من هذا الجزء أو ذاك تأخذ بعين الاعتبار الجانب الأكثر أهمية في مضمون ذلك البحث في الوقت الحاضر. ونأمل أن يأخذ القارىء في حسابهِ على الدوام أثر هذا الجانب التقديري في توزيع المادة بين الأجزاء المختلفة، أمّا الحالات التي تستدعي انتباهاً خاصاً فستتم الإشارة إليها على انفراد في مقدمة كل جزء.

وسيعاد طبع جميع الآثار التي نشرت لبارتولد من قبل وفقاً لآخر طبعة ظهرت لها حين كان المؤلف على قيد الحياة، كما أن الآثار التي ظهرت بلغات أجنبية سيتم نشرها في ترجماتها الروسية وحدها، وهي ترجمات عملت خاصة من أجل هذه الطبعة الكاملة لآثار العلامة بارتولد. ولم يجر أدنى تعديل أو اختصار في متن المؤلف، بل اقتصر الأمر على تصحيح الأخطاء المطبعية الواضحة وتطبيق نظام موحد في تدوين أسماء الأعلام والمصطلحات والأسماء الجغرافية (مما سيرد الكلام عليه بعد قليل)، هذا بجانب توحيد كشّاف المراجع. وقد أخذت اللجنة في الاعتبار وهي تنشر أبحاث بارتولد التي ظهرت لها ترجمات في لغات أجنبية في حياة المؤلف وبمشاركته، ما أدخل على الترجمات من تعديل عند مقارنتها بالأصل الروسي المطبوع.

وقد تم طبع مصنفات بارتولد كلها بالتقريب في حياته، فيما عدا بضع مقالات استخرجت من سجلاته[٩] ونشرت بعد موته على فترات مختلفة. وستضم طبعتنا هذه أيضاً كل آثار بارتولد التي لم تنشر من قبل (وليس عددها بالكبير) والتي أتمها المؤلف وأعدها بنفسه للطبع وما زالت محتفظة بقيمتها العلمية.

11 وسيتم تزويد كل الأجزاء بتعليقات للناشرين والمحررين الغرض منها استدراك/ الأبحاث والمادة العلمية التي ظهرت بعد وفاة المؤلف والتي تمس نقاط البحث، هذا مع الاقتصار على ما يمكن معه القول بأنه قد ألقى عليها ضوءاً جديداً. وفي حالات معينة تضم هذه التعليقات أيضاً تصحيحاً لأهم ما وجد طريقه من أخطاء إلى بارتولد، سواء في مادته أو في استقراءاته.

أما أهم ما أدخل من تجديد على هذه الطبعة الكاملة لآثار بارتولد فهو توحيد كشّاف المراجع. ذلك أن غالبية ما دونه بارتولد لم يخضع لنظام موحد في الإشارة إلى المراجع. ومن ثم فقد اتبعنا في طبعتنا هذه ما أمكن نظاماً موحداً للمراجع وللمختصرات الجارية في الاستعمال (abbreviations) . وقد تم من جديد خلال هذا مراجعة عدد كبير من الحواشي، واستبدلت الإشارات «الغفل» بإشارات مضبوطة (هذا إذا ما أمكن تحديد المرجع). كذلك اتسع كشّاف المراجع بفضل الإشارات إلى الطبعات الجديدة للمصادر. وجميع الزيادات التي أدخلت على التعليقات القديمة، هذا إلى جانب التعليقات التي أضافها الناشرون والمحررون، قد وضعت بين زاويتين حادتين. كذلك ضمت إلى هذه الطبعة الإشارات والزيادات المأخوذة عن الترجمات المطبوعة لآثار بارتولد في لغات أخرى والتي يرجع الفضل فيها إلى المترجمين أنفسهم (وقد جاءت الإشارة إليها منفصلة).

هذا، وزُوّد كل جزء من أجزاء هذه الطبعة الكاملة بخمسة فهارس: الأول منها لأسماء الأعلام، والثاني للأسماء الجغرافية، والثالث لأسماء الشعوب والقبائل، والرابع للمصطلحات، والخامس لأسماء المصنفات. وفضلا عن هذا فإن من المزمع أن تُضَم إلى الجزء التاسع والأخير الفهارس الجامعة المتعلقة بالأجزاء كلها. كما ستوضع الخارطات التي يجري إعدادها للطبع حالياً في مظروف منفصل.

أما بصدد تدوين الأسماء الاجنبية بالأحرف الروسية، فان اللجنة قد استرشدت في هذا بالمبادىء العامة التي قامت عليها هذه الطبعة، وهي الاحتفاظ ما أمكن بمتن بارتولد

---

(٩) أرشيف بارتولد محفوظ بأرشيف أكاديمية العلوم السوفيتية بلنجراد - Fond 68.

على ما هو عليه ودون المساس به. ومن المعروف أن بارتولد في كل ما دونه بالروسية قد التزم إلى آخر أيام حياته مذهباً مبسّطاً في تسجيل الأسماء الأجنبية، فلم يلجأ إلى علامات مستحدثة لتسجيل الأصوات أو الأحرف التي لا تعرفها الروسية. وفي هذا يجب دون شك إبصار الموقف الصلب الذي وقفه هذا العلامة المعروف بالتمسك بآرائه بإزاء مذاهب التدوين المستعملة منذ ذلك العهد في دوائر معينة من دوائر المستشرقين ولم يكن هو على جهل بها (خاصة الطريقة التي استعملت في «دائرة المعارف الاسلامية» والتي لا تمت بينها وبين الأبجدية الروسية ا. ي. كراتشكوفسكي). لكل هذا قررت لجنة التحرير الحفاظ على طريقة التدوين التي استعملها بارتولد نفسه في آثاره المنشورة باللغة الروسية.

وقد كان من الضروري بمكان أن تُوحّد كتابة أسماء الأعلام والمصطلحات المشتركة بين الأجزاء المختلفة، ذلك أن بارتولد كان أحياناً يدوّن اسماً ما في صيغ كتابية اختلفت باختلاف مصنفاته (ولنستدرك على هذا أن ذلك كان أمراً نادر الحدوث)[١٠]. وقد أخذت لجنة التحرير عادة بالصيغة التي استعملها بارتولد في آثاره المتأخرة، وذلك في حالة ما إذا استدعى الأمر تصحيحاً جوهرياً ولم يكن مجرد اختلاف عارض فحسب. وعلى وجه العموم فإن اللجنة لم تر هناك حاجة للإشارة بصورة خاصة إلى التصحيحات المفردة التي أجرتها بهدف توحيد الكتابة. وبجانب هذا التوحيد العام للكتابة فقد أجرت اللجنة كذلك تعديلات غير جوهرية في كتابة الأسماء الإسلامية، تمس بصفة خاصة استعمال الواصلات (hyphens) والأحرف المكبّرة (majuscules).

أمّا فيما يتصل بتدوين الأسماء الجغرافية، القديمة منها والوسيطة، فقد اتبعت لجنة التحرير عين الطريقة التي اتبعتها فيما يتصل بأسماء الأعلام والمصطلحات، أي أنها احتفظت بمذهب بارتولد في التدوين ولم تجر يد التعديل إلاّ في الحالات التي مسها بارتولد نفسه في آثاره التالية. وأمّا الأسماء الجغرافية التي ما تزال موجودة إلى أيامنا هذه فقد أثبتت بطبيعة الحال وفقاً للطريقة التي كتبت بها على الخارطات السوفيتية الحديثة.

هذا وقد اضطرت لجنة التحرير إلى الخروج على قاعدتها في اتباع مذهب التدوين الذي نهجه بارتولد عند تدوينها أسماء المصنفات العربية والفارسية، وكذلك بعض الألفاظ

---

(١٠) (لن يمس هذا الأسماء الإسلامية التي سنوردها بطبيعة الحال في الصورة التي سجلها بها علماء المسلمين. أما الأسماء غير الإسلامية فإلى جانب تعريبها سنورد في الغالب أشكالها بالأحرف اللاتينية وفقاً للطريقة المتّبعة بين علماء الغرب - المترجم).

والمصطلحات والأسماء الجغرافية التي كان بارتولد قد سجلها بالأحرف الروسية. وكثيراً ما احتاج الأمر في مثل هذه الحالات إلى اعطاء القاريء فكرة عن طريقة تدوين هذه المصطلحات والأسماء بالأبجدية العربية، وهو أمر من العسير بلوغه بغير تطبيق نظام عريض للتدوين. ولقد رأت اللجنة أن من حقها اتباع هذا النظام فيما يتصل بالمصطلحات وأسماء المصنفات لأن بارتولد نفسه قد استعمله في بعض آثاره المتأخرة وذلك عندما أراد ضبط النطق الصحيح للفظ ما على الصورة التي ورد بها في مصدر من المصادر. أما في الفهارس فقد جرى تدوين كل المصطلحات العربية والفارسية وكذلك بعض الأسماء الجغرافية بطريقة دقيقة ووضعت بين قوسين أمام الشكل الروسي.

كذلك جرى ضبط أسماء الأعلام والأسماء الجغرافية الصينية بصورة أكثر دقة ووفقاً 13 لمذهب التدوين المتبع بين علماء الصينيات (sinologists) الروس المعروف/باسم مذهب پالاديوس Palladius والذي اتبعه بارتولد بصفة عامة. ولمّا لم يكن بارتولد عالم صينيات فإنه لم ينقل نقلاً دقيقاً إلى الكتابة الروسية أسماء الأعلام والأماكن الصينية الواردة في أبحاث العلماء من أوروبا الغربية، هذا فضلا عن أنه استعمل في حالات كثيرة آثاراً لعلماء الصينيات الروس الأوائل الذين اختلفت طريقة تدوينهم عن طريقة پالاديوس.

أما عن كتابة أسماء الأعلام والأسماء الجغرافية في آثار بارتولد التي ترجمت عن لغات أخرى (الألمانية والإنجليزية) فقد سجلت وفقاً لكتابة هذه الألفاظ في بقية أعماله.

* * *

وقد استعانت لجنة التحرير في إعدادها لطبعة مجموعة آثار بارتولد استعانة واسعة بالفهرس المفصّل (Annotated Bibliography) لآثار بارتولد الذي وضعه تلميذه البروفسور اومنياكوف I.I. Umniakov وهو يشمل جميع مصنفات بارتولد المطبوعة بما في ذلك الترجمات التي ظهرت في لغات أجنبية، كما يحوي إلى جانب ذلك معلومات وافية عمّا ظهر بشأنها من نقد وتقريظ؛ هذا إلى جانب قائمة بالمقالات التي ظهرت عن المؤلف وآثاره. وكان هذا الفهرس القيّم قد أعد للطبع بلنينجراد في أوائل عام ١٩٤١، غير أن طبعه توقف بسبب الحرب فلم ير الكتاب النور للأسف حتى هذه اللحظة[١١].

---

(١١) يجري حالياً إعداد هذا الفهرس للطبع. (ظهر في طبعة قشيبة بموسكو عام ١٩٧٦، ومرفق معه بحث طومانوفيتش N.N. Tumanovich «وصف ارشيف الأكاديمي بارتولد». هذا وقد استأثرت المنية في نفس ذلك العام بالبروفسور أومنياكوف (١٨٩٠ - ١٩٧٦) الذي شغل كرسي تاريخ الشرق بجامعة سمرقند - المترجم).

هذا وقد وضع البروفسور اوميناكوف تحت تصرّف لجنة التحرير نسخة مصححة من فهرسه هذا، فأعان بذلك كثيراً على تنفيذ مشروع إخراج هذه الطبعة الكاملة لآثار المستشرق الكبير. هذا بجانب أن الفهرس المفصل لاومنياكوف قد قدم عوناً لا يقدر في إعداد التعليقات التي زودت بها الأجزاء المختلفة للطبعة.

* * *

الأكاديمي ف.ف. بارتولد
(نبذة عن تاريخ حياته)[١٢]

ولد ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش بارتولد في الثالث (الخامس عشر) من نوڤمبر عام ١٨٦٩ بمدينة سان بطرسبرغ في أسرة روسية من أصل ألماني؛ وأسلافه من جهة أبيه أصلهم من بلاد البلطيق، أما جدّه الأعلى لأمه فقد كان في الأصل قساً لوثرياً هاجر إلى روسيا من مدينة هامبورغ. وكان أبوه سمساراً بالبورصة، ويقول بارتولد في «سيرة حياته التي دونها بقلمه «(Avtobiografia)[١٣] إن ثروة أبيه لم يرثها أولاده، وإنه لم يحدث أن «هاجر أي من إخوتي إلى الخارج بعد ثورة أكتوبر الكبرى في عام ١٩١٧». غير أن الرخاء الذي عاشت فيه الأسرة يسّر لبارتولد تعليماً أدبياً واسعاً أيام صباه وشبابه، فدرس اللغات الكلاسيكية ولغات أوروبا الغربية الرئيسية دراسة وافية، مما مكنه بالتالي من أن يختار لنفسه مجال تخصص اجتذبه منذ أيام المدرسة، ذلك هو التاريخ. وفي عام ١٨٨٧ أكمل بارتولد المدرسة الثانوية الثامنة بسان بطرسبرغ ونال المدالية الذهبية. وبعد تردد لم يدم طويلاً في الإختيار بين تاريخ العالم الكلاسيكي القديم وتاريخ أقطار الشرق الأدنى والأوسط عقد بارتولد العزم على أن يكرس حياته لهذا الميدان الأخير، فالتحق في

---

(١٢) أنظر: V.V. Bartold, Avtobiografia,– Jurn. «Ogonek», 1927, No 40; Bartold V.V.– «Materialy dlia biograficheskogo slovaria deistvitelnykh chlenov Akademii Nauk», ch. I, Pg., 1915, str. 19–24; I. Krachkovski, Pamiati V.V. Bartolda,– «Krasnia gazeta», L., No 197 (2555), 21. VIII. 1930 (vechernii vypusk); N. Ia. Marr, Vasilii Vladimirovich Bartold., – «Soobshchenia GAIMK», 1931, No 1, str. 8–12; I.I. Umniakov, V.V. Bartold. Po povodu 30–letia professorskoi deiatelnosti,– «Biull. SAGU», No 14, Tashkent, 1926, s. 175–206; M. Dostojevskij, W. Barthold Zum Gedächtnis. Versuch einer Characteristik, WI, Bd XII, H. 3, 1931, S. 89–136; Paul Pelliot, W. Barthold,– «Toung Pao», t. XXVII, 1930, PP. 458–459. أما عن بقية ما دونه يراع بارتولد فراجع الفهرس المفصل لبحوثه من عمل أمنياكوف الذي يجري إعداده للطبع حالياً. (ظهر عام ١٩٧٦ كما بينا – المترجم).

(١٣) «Ogonek», 1927, No 40 (من الآن فصاعداً تحت Bartold, Avtobiografia)

خريف ذلك العام نفسه بكلية اللغات الشرقية بجامعة سان بطرسبرغ، وذلك بقسم اللغات العربية والفارسية والتركية والتتارية.

وقد تعمق بارتولد خلال سني الجامعة في دراسة العربية والفارسية والتركية، ولكن الذي اجتذبه أكثر من كل ذلك / هو تاريخ أقطار الشرقين الأدنى والأوسط في العصور الوسيطة. وكان هذا الفرع من الدراسات الشرقية يشغل في ذلك الحين بالكلية مكانة ثانوية عند مقارنته بالدراسات الفيلولوجية. وكما ذكر بارتولد فيما بعد فإن « تاريخ الشرق كان يتولى تدريسه أستاذ واحد هو البروفسور ڤيلوڤسكي، وكان موضوع محاضراته هو تاريخ الرحلات الأوروبية في المشرق، إلى جانب دروس في تاريخ آسيا الوسطى(١٤) ». وقد ترك البروفسور ڤيلوڤسكي N.I. Veselovski (١٨٤٨-١٩١٨) لبارتولد مطلق الحرية في اختيار موضوعات دراسته. أما الموجّه الحقيقي لدراسة بارتولد فقد كان ڤكتور رومانوڤتش روزن (١٨٤٩-١٩٠٨)، وهو عالم فذ متعدد النواحي(١٥). وكان روزن وطنياً روسياً غيوراً (رغماً من الأصل الفرنسي لأسلافه) يؤمن بأن أمام الاستشراق الروسي مستقبلاً باهراً(١٦)، ولذا فقد أولى اهتماماً كبيراً لخلق جيل من ناشئة المستشرقين. ويعترف بارتولد قائلاً: « ولقد أفدت كثيراً كغيري من المستشرقين الشبان لذلك العهد بتوجيهات المستعرب روزن الذي اجتذب إليه المستشرقين الشبان بقريحته الفياضة ونشاطه الجم »(١٧). وخلال دراسته الجامعية كان بارتولد وثيق الصلة أيضاً بعالم التركيات (turcologist) ب. م. مليورانسكي P.M. Melioranski (١٨٦٨-١٩٠٦)، كما كان أيضاً على صلة بعالم التركيات الأكاديمي ف.ف. رادلوف (١٨٣٧-١٩١٨)، وذلك بالقدر الذي سمح به فارق السن والمكانة الاجتماعية(١٨).

وقد اشتغل بارتولد بالبحث العلمي منذ سني دراسته الأولى بالجامعة، ففي عام ١٨٨٩ منحته الكلية مدالية فضية على بحثه « حول المسيحية بآسيا الوسطى »(١٩). ولمّا أتم

(١٤) Avtobiografia

(١٥) أنظر: Pamiati akademika V.R. Rozen الذي نشره ا.ي. كراتشكوڤسكي، موسكو - لينجراد ١٩٤٧ (وبالذات مقال ا.ي. ياكوبوڤسكي « روزن مؤرخاً »).

(١٦) كان روزن من بين الداعين إلى عقد مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث بسان بطرسبرغ في عام ١٨٧٦.

(١٧) Avtobiografia

(١٨) شرحه

(١٩) نشر في عام ١٨٩٣ (ZVORAO, t. VIII) تحت عنوان « حول المسيحية بتركستان في الفترة السابقة للعصر المغولي » O Khristianstve v Turkestane v domongolskii period. غير أن أول بحث مطبوع لبارتولد هو مقاله « ايسول البيزي » Pisanets Isol (ZVORAO, t. VI, 1892).

دراسته الجامعية في عام ١٨٩١ أخذ بنصيحة روزن فقام برحلة إلى الخارج في عام ١٨٩١-١٨٩٢ على نفقته الخاصة بغرض التعمق في موضوع دراسته والاستزادة منه، زار خلالها فلنده والمانيا وسويسره وشمال ايطاليا والنمسا والمجر وكراكو. وبجامعة هالّه Halle/بالمانيا استمع إلى محاضرات مؤرخ الاسلام اوغست مولر August Müller (١٨٤٨-١٨٩٢)، وقد حفظ له بارتولد فيما بعد ذكرى حية وكأنه واحد من أساتذته. وبجامعة استراسبورغ استمع بارتولد إلى محاضرات المستعرب الجليل تيودور نولدكه T. Nöldeke (١٨٣٦-١٩٣٠). وعند عودته إلى أرض الوطن بقي بارتولد بجامعة سان بطرسبرغ بهدف «إعداد نفسي لكرسي الأستاذية في تاريخ الشرق» (١٨٩٢). وفي عام ١٨٩٣ جاز امتحان الماجستير، وفي عام ١٨٩٦، وبعد أن نال لقب محاضر خاص (Privat-Dozent) قام بإلقاء المحاضرات بالجامعة[٢٠]. وقد نشرت فيما بعد بعض الدروس التي ألقاها هناك. وفي عام ١٨٩٧-١٩٠١ شغل بارتولد وظيفة أمين غرفة المسكوكات بجامعة سان بطرسبرغ.

16

ولقد كانت التسعينات من القرن التاسع عشر بحق سنوات عمل جبّار لبارتولد في عدد كبير من المصادر التاريخية الأولية، كان معظمها غير مطبوع. وكان اعتماداً على هذه الدراسة العميقة لتلك المصادر أن انبثق في نفس تلك الأعوام مؤلفه الأساسي «تركستان في فترة الغزو المغولي»[٢١]. هذا البحث لم يلبث أن قدمه في خريف عام ١٩٠٠ إلى كلية اللغات الشرقية كرسالة للحصول على درجة الماجستير، ولكن وبعد مناقشة الرسالة قررت الجامعة أن تمنح بارتولد أعلى درجة علمية لديها وهي الدكتوراه في تاريخ الشرق[٢٢].

وفي عام ١٩٠١ أصبح بارتولد أستاذاً مساعداً (Extraordinary Professor) بجامعة سان بطرسبرغ. وفي عام ١٩٠٦ رُقّي أستاذاً أول (Ordinary Professor). ومن عام ١٩٠٦ حتى عام ١٩١٠ كان بارتولد أميناً لكلية اللغات الشرقية. وفي عام ١٩١٠ انتخب عضواً مراسلاً بأكاديمية العلوم، ثم لم يلبث أن انتخب اكاديمياً في عام ١٩١٣ (١٢ أكتوبر). ومن عام ١٩٠٥ حتى عام ١٩١٢ شغل بارتولد منصب أمين القسم الشرقي لجمعية الآثار (الاركيولوجيا) الروسية، ومن عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩١٢

---

(٢٠) كانت أولى محاضراته حول موضوع «قيام دولة جنكيز خان» Obrazovanie imperii Chingiz-khana (ظهرت عام ١٨٩٦ في ZVORAO, t. X).

(٢١) نشر في سان بطرسبرغ في ١٨٩٨ - ١٩٠٠ (القسم الأول «المتون»؛ القسم الثاني «البحث»).

(٢٢) راجع بالتفصيل مقدمة هذه الطبعة.

كان محرراً لمجلة « مدونات القسم الشرقي للجمعية الأثرية الروسية »(زفوراو) Zapiski Vostochnogo Otdelenia Russkogo Arkheologichskogo Obshchestvo (ZVORAO) (٢٣). كذلك شارك بارتولد في أعمال الجمعية الجغرافية الروسية، وهو الذي تولى إخراج ترجمة إ. پ. مينايف I.P. Minaev «لأسفار» ماركو پولو التي نشرتها الجمعية(٢٤). وكان لبارتولد دور هام في إصدار مجلة علمية مختصة بدراسة الإسلام في عام ١٩١٢/وهي «عالم الإسلام» Mir Islama(٢٥)، وبعد صدور الجزء الأول منها رفض بارتولد بشدة طلب وزير الداخلية ماكاروف Makarov تحويل المجلة إلى بوق للسياسة الإستعمارية للحكومة القيصرية فكان أن أُقصي عن رئاسة تحريرها. وقد شغل بارتولد وظيفة أحد الأمينَيْن الإثنين للجنة الروسية التي أنشئت عام ١٩٠٣ بهدف دراسة آسيا الوسطى وآسيا الشرقية، وجميع مضابط (protocols) هذه اللجنة إبّان فترة وجودها قد قام بصياغتها بارتولد بمفرده وفقاً لقوله(٢٦).

17

ولقد اضطلع بارتولد بأكثر من رحلة علمية إلى آسيا الوسطى بهدف دراسة خزائن المخطوطات والقيام بالكشوف الأثرية، فزار آسيا الوسطى من قِبَل جامعة سان بطرسبرغ وأكاديمية العلوم في عام ١٨٩٣-١٨٩٤، وزارها مرة أخرى من قِبَل جامعة سان بطرسبرغ في عام ١٩٠٢، وزارها مرة ثالثة من قِبَل اللجنة الروسية لدراسة آسيا الوسطى والشرقية للقيام بحفريات في سمرقند في عامي ١٩٠٤(٢٧) و١٩١٦. ويقول بارتولد إنه «من بين جميع رحلاتي إلى آسيا الوسطى كانت رحلة عام ١٩٠٢ أكثرها نجاحاً حيث انصرف اهتمامي إلى التعرف على الآثار المخطوطة وحدها. ولوفرة المادة البكر المتصلة بتاريخ الشرق فإن الباحث كثيراً ما ينتابه ذلك الشعور الذي ينتاب الرائد الاول عند اكتشافه لعالم جديد، وهو أيضاً شعور مشابه لما يعتري الإنسان حين يزيح النقاب عن آثار جديدة في مواضع المدن القديمة »(٢٨). وكذلك كُلِّف بارتولد بمهام علمية بالقوقاز في عامي ١٩٠٠ و١٩٠٨ (آني). وسافر بارتولد مراراً إلى الخارج، وذلك في أعوام ١٨٩٥ (باريس

---

(٢٣) ظهرت هذه المجلة في الفترة بين ١٨٨٦ و١٩٢١، وكانت الأداة الرئيسية لنشاط المستشرقين الروس؛ أنشأها البارون روزن وتولى تحريرها إلى موته في عام ١٩٠٨.

(٢٤) ظهرت بسان بطرسبرغ عام ١٩٠٢.

(٢٥) نشر جمعية المستشرقين.

(٢٦) راجع: V.V. Bartold, Vospominania o S.M. Dudine, –«Sbornik Muzeia antropologia i etnografii AN SSSR», IX, 1930, str. 350, prim. 1

(٢٧) وفقاً لألفاظ بارتولد فقد شارك في الحفريات «ليس دون تأثير من رادلوف» (Avtobiografia).

(٢٨) Avtobiografia.

ولندن واكسفورد وهولنده) و١٨٩٨ (المانيا) و١٩٠٥ (المانيا والنمسا والتيرول وسويسره) و١٩٠٦ (النمسا والصرب وبلغاريا وتركيا ومصر) و١٩٠٨-١٩٠٩ (نابلي وبودابست) و١٩٠٩ (فنلنده) و١٩١١ (ايرلنده واميريكا الشمالية والمانيا وفرنسا) و١٩١٢ (فينا وتوبنغن وهامبرغ ولوبك) و١٩١٣ (السويد والنرويج) و١٩١٤ (السويد والدانمارك وانجلترا وجبل طارق وطولون وايطاليا واليونان وبلغاريا ورومانيا).

عُرف بارتولد بحبه الشديد للعمل. ورغماً من اشتغاله بالتدريس ومشاركته في نشاط العديد من الجمعيات والمجلات العلمية، إلاّ أن البحث العلمي ظل يحتل لديه المكان الأول[٢٩]. ولقد عالج بارتولد البحث في تاريخ ايران وبلاد ما وراء القوقاز والأقطار العربية وتاريخ الشعوب التركية/والمغولية والدراسات الاسلامية، ولكن نشاطه الأكبر انصب على تاريخ آسيا الوسطى. وفي هذا الميدان الأخير يتبع بارتولد تقليداً سبقه إليه العلماء الروس من أمثال غريغورييف وفسيلوفسكي. وكان لبارتولد في آسيا الوسطى نشاط علمي واجتماعي واسع المدى، فقد دخل في علاقات وثيقة مع العلماء المحليين وشارك في نشاط الحلقة التركستانية لهواة الآثار (١٨٩٥-١٩١٧)[٣٠] وأسهم بمقالاته في «الوقائع التركستانية» Turkestanskie Vedomsti و«التخوم» Okraine و«تركستان الروسية» Russkii Turkestan وغيرها من الصحف المحلية. ولقد نما النشاط العلمي لبارتولد بصورة متسعة للغاية[٣١] حتى نال الشهرة في العقد الثاني من القرن العشرين بروسيا وبالخارج كأكبر عالم في محيط تاريخ الشرق في العصور الوسيطة.

وعقب ثورة اكتوبر الكبرى امتد نشاط بارتولد العلمي في المجالين الإجتماعي والتنظيمي بصورة كبيرة، فشغل منصب الرئيس الدائم للجنة المستشرقين بأكاديمية العلوم، وشارك في الأعمال التحضيرية لإنشاء جامعة آسيا الوسطى الحكومية (ساغو SAGU) بتاشكند، وكان رئيساً لحلقة علمية حملت اسم العلامة رادلوف وانضم إليها جميع المستشرقين (أنشئت عام ١٩١٨)، وأصبح بعد ذلك مديراً لحلقة الدراسات التركية (١٩٢٨ - ١٩٣٠)، وزميلاً لرئيس الأكاديمية الحكومية لتاريخ الحضارة المادية (غاإمك GAIMK)، ورئيساً لتحرير مجلة تحمل اسم «ايران» IRAN[٣٢]، وغير ذلك من

(٢٩) شرحه.

(٣٠) أنظر: B.V. Lunin, Iz istorii russkogo vostokovedenia i arkheologii v Turkestane. Turkestanskii krujok liubitelei arkheologii (1895 – 1917 gg.), Tashkent, 1958.

(٣١) ظهر لبارتولد الى عام ١٩١٣ أكثر من مائة وخمسين بحثاً، عدا المقالات التي ظهرت بدوائر المعارف.

(٣٢) ظهرت في ثلاثة أجزاء (لينجراد، ١٩٢٧ - ١٩٢٩).

18

منشورات أكاديمية العلوم. ولقد اضطلع بارتولد بمهام عديدة للحكومة السوڤيتية، كإنشاء كراس لتدريس تاريخ الشرق وتنظيم المكتبات العلمية وخزائن المخطوطات والمتاحف بجمهوريات الشرق السوڤيتية. وفي العشرينات ظل بارتولد يمارس التدريس أيضاً، وذلك في معهد جديد بلنينجراد هو « معهد لنينجراد للغات الشرقية الحية » (ليجفيا LIJVIA) وفي غيره من المعاهد الدراسية العليا بلنينجراد. وقام بارتولد برحلات علمية إلى آسيا الوسطى في أعوام ١٩٢٠ و١٩٢٧ و١٩٢٨، كما أنه سافر بدعوة من الهيئات المحلية لإلقاء محاضرات بجامعات موسكو وباكو (١٩٢٤)[٣٣] وتاشكند (١٩٢٥ و١٩٢٧)؛ ففي عام ١٩٢٥ زار بارتولد تاشكند وسمرقند وبخارا وشهرسبز، وفي عام ١٩٢٧ زار تاشكند وبخارا وخيوه. وفي مارس من عام ١٩٢٧ أسهم في أعمال المؤتمر السوڤيتي الأول للدراسات التركية بباكو. وفي عام ١٩٢٦ أُحتفل بمدينة تاشكند بمرور/خمسة وعشرين عاماً على نيله درجة الدكتوراه[٣٤] وبمرور ثلاثين عاماً على نشاطه التدريسي (١٨٩٦ - ١٩٢٦)، وظهرت بهذه المناسبة مقالة ضافية لتقويم حصيلة انتاجه العلمي خلال تلك الفترة باجمعها[٣٥].

19

وبعد الثورة زار بارتولد الخارج أيضاً، وذلك في عام ١٩١٧ (فنلنده) وفي عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣ (فنلنده واكسفورد ولندن وبلجيكا وهولنده والمانيا). وفي عام ١٩٢٣ أُوفد بارتولد عن أكاديمية العلوم لجمهورية روسيا للمشاركة في أعمال المؤتمر الدولي للمؤرخين ببروكسل. وبلندن ألقى محاضرات « بكلية الملك King's College » في تاريخ الترك والمغول، وخلال هذه الزيارة قام بارتولد بالاشتراك مع هـ.ا.ر. جب H.A.R. Gibb بتحضير ترجمة انجليزية لمؤلفه الأكبر « تركستان في فترة الغزو المغولي »[٣٦]. وفي عام ١٩٢٦ سافر إلى تركيا بدعوة من الحكومة التركية لإلقاء محاضرات

---

(٣٣) مجموعة المحاضرات بعنوان « مكانة سواحل بحر قزوين في تاريخ العالم الاسلامي » Mesto prikaspiiskikh oblastei v istorii musulmanskogo mira التي ألقاها بجامعة آذربيجان الحكومية بباكو عام ١٩٢٤، وطبعت بباكو في عام ١٩٢٥.

(٣٤) بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على حصول بارتولد على درجة الدكتوراه ظهر سفر يضم عدداً من المقالات تحت عنوان « عقد الجُمان لتبجيل مؤرخ تركستان السيد الاستاذ الفاضل الشيخ برتولد الكامل وهو منظم بأيدي تلاميذه وأصدقائه علماء تركستان سنة ١٣٤٥ »، تاشكند ١٩٢٧.

(٣٥) المقصود مقالة ا.ا. امنياكوف في «Biulleten Sagu» لعام ١٩٢٦، رقم ١٤؛ والتي كتبت بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على نشاطه كبروفسور.

(٣٦) ظهر عام ١٩٢٨.

باستنبول[٣٧]، وفي عام ١٩٢٩ سافر إلى المانيا لالقاء محاضرات بجامعاتها (برلين وهامبورغ وغوتنغن).

ولم يكن اشتغال بارتولد بالبحث العلمي بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية بأقل مما كان عليه قبلها، ذلك أنه إلى جانب آثاره العلمية الكبرى[٣٨] نشر عدداً من الدراسات العلمية من أجل القارئ العام، نذكر من بينها «الإسلام» و«الحضارة الإسلامية» (وكلاهما ظهر في عام ١٩١٨) و«تاريخ تركستان» (١٩٢٢)[٣٩] و«تاريخ الحياة الثقافية بتركستان» (١٩٢٧)، كما قام أيضاً بإعداد كتيبات في تاريخ التاجيك (١٩٢٥) والقرغيز (١٩٢٧)[٤٠] والتركمان (١٩٢٩) مما عدّ فاتحة عهد جديد في تاريخ دراسة هذه الشعوب الذي لم يسبق أن درس من قبل دراسة كافية. وعن مصنفات بارتولد هذه التي تحمل طابعاً علمياً وشعبياً في آن معاً يقول ا.ي. كراتشكوفسكي: «وهي وإن كان قد قصد بها القارئ العام الاّ أنها تقدم الكثير للمتخصصين، لأنها لم تقف عند تلخيص ما بلغه العلم في هذا الميدان بل تقدم في ذات الوقت الاستقراءات الهامة التي توصل إليها المؤلف نفسه..... في أبحاثه»[٤١].وقد بلغ مجموع ما طبع لبارتولد في الفترة بين عامي ١٨٩٢ و١٩٣٠ مايفوق أربعمائة بحث علمي، كما أن بعض أبحاثه قد نشر عقب موته. وعدد كبير من آثار بارتولد نقل إلى اللغات الأجنبية (بما في ذلك التركية والعربية والفارسية) وتم طبعه بالخارج. وفيما عدا هذا فقد أسهم بارتولد بنصيب وافر في «دائرة المعارف الاسلامية» فأمدّها بمائتين وأربع وسبعين مقالة (a rticle) .

وقد ساد الأعوام الأخيرة من حياته ظل من الكآبة بسبب فقده قرينته العزيزة ماريا الكسيفنا Maria Alekseevna التي ماتت فجأة في مايو عام ١٩٢٨ . وكانت حياته الخاصة مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً رغماً من أنهما لم يرزقا أطفالاً . ولم يعش بعدها طويلاً فقد انتقل إلى الدار الآخرة (مريضاً بالكلى) في مصحة قرب لينجراد في التاسع عشر من

(٣٧) هذه المحاضرات في تاريخ اتراك آسيا الوسطى ألقيت بجامعة استنبول ونشرت باللغة التركية عام ١٩٢٧؛ ثم بالألمانية عام ١٩٣٥؛ وفي عام ١٩٤٥ ظهرت ترجمة فرنسية (معدّلة «Adaptation»). (كذلك ظهرت ترجمة عربية بالقاهرة منقولة عن التركية - المترجم)

(٣٨) نذكر من بينها بصورة خاصة «الوغ بيك وعصره» (بتروغراد ١٩١٨) و«مير علي شير والحياة السياسية» (في مجموعة «مير علي شير»، لنينجراد، ١٩٢٨).

(٣٩) مجموعة بمحاضرات ألقاها بجامعة SAGU بتاشكند عام ١٩٢٠

(٤٠) ظهرت الطبعة الثانية في عام ١٩٤٣ .

(٤١) I. Iu. Krachkovski, Ocherki po istorii russkoi arabistiki, M. – L. 1950, str. 224 – 225.

أغـطس عام ١٩٣٠ وهو في الحادية والستين من عمره ودفن بمقابر اسمولنمك Smolensk بلـنجراد في قبر واحد مع رفيقة عمره.

وفي الجلسة التي عقدتها أكاديمية العلوم السوفيتية تأبيناً للفقيد ألقى الأكاديمي ن.ي. مار N.Y. Marr كلمة قال فيها: «كان الفقيد رجلاً ذا مبادىء قوية لا يحيد عنها ولا يريم، سواء في مواقفه العلمية الصرفة أو في علاقاته مع الناس ومع أهل بيته..... كان ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش الطيب القلب يُخشى خشية النار: كانت الأمانة رائده الأول حتى ولو وجدها في العدو؛ ولم يكن ليقبلالا إلتواء ولا الزيف حتى في أقرب الناس إليه..... وفى ظروف الحياة الاجتماعية لروسيا ما قبل الثورة حيث غلب الرياء والنفاق كان ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش يعد من الشخصيات الصعبة غير المرغوب فيها، لذا فقد عاش وحيداً دون أصدقاء. ولكن شخصيته اجتذبت إليه الناس من نواح بعيدة»[٤٢]. وفي الواقع لقد هرع إلى بارتولد على الدوام الشبان والطلبة والعلماء المحليون والباحثون وبناة المعاهد العلمية الناشئة في جمهوريات الشرق السوفيتية. وقد أولاهم ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش على الدوام جلّ اهتمامه وعطفه، وكان على أتم الاستعداد ليقاسمهم بلا تردد معارفه الواسعة وخبرته العلمية الكبيرة. وكان بارتولد صارماً في مظهره ولكنه في الوقت ذاته كان طيباً حلو الشمائل، ورغماً عن تمسكه الصلب بمبادئه وتشدده في أحكامه فقد كان قلبه مفعماً بحب الخير وكان شديد الإهتمام بتلامذته. ولقد اتصف بارتولد دواماً بصدق الإخلاص وعزة النفس والصراحة التامة فلم يحتمل النفاق والتملق والإنتهازية التي غلبت على الوسط العلمي لما قبل الثورة. ولم يهتم ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش البتة بفن الإلقاء فكان يتكلم بغاية البساطة وكأنما يحادث المستمعين. ولكن دروسه امتازت بالأصالة والعناية الدقيقة بمنهج البحث العلمي، هذا إلى عمق التحليل ووفرة الشواهد والنقول المستقاة من المصادر الأصلية. هذه هي شخصية ذلك الإنسان والعلّامة النابه الذي خلف لوطنه وللعلم السوفيتي تراثاً وافراً من البحث العلمي الأصيل[٤٣].

21

ا. پتروشيفسكي
I. Petrushevski

---

(٤٢) «Soobshchenia GAIMK», 1931, No 1, str. 8.

(٤٣) اعتمدنا في هذه النبذة الى جانب ما كتب عن بارتولد على ما كتبه هو شخصياً في وصف رحلاته العلمية (إلى عام ١٩٢٥)، وتوجد نسخة من هذا لدى ترويتسكا A.L. Troitska. هذا بالإضافة الى ما ذكره لنا شخصيا عنه كل من مدام كراتشكوفسكيا وكونونوف وزاروبين ومدام مينورسكيا وامنياكوف و شيتوف. فإلى جميع هؤلاء نتقدم بعاطر الشكر.

مقدمة الناشر

إن المصنف الكلاسيكي لمؤرخ العصور الوسيطة العلامة الروسي والسوڤيتي ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش بارتولد الذي يحمل عنوان « تركستان في فترة الغزو المغولي »[٤٤] يعد بلا منازع من أقيم ما أنتجه فن التوريخ (historiography) في ميدان العصور الوسيطة في المشرق. والقسم الأول من هذا الكتاب وهو « المتون » (Teksty) ظهر عام ١٨٩٨ بمدينة سان بطرسبورغ مشتملاً على النقول التي انتقاها المؤلف (وينتظم بعضها صفحات عديدة) من المصادر الأولية باللغتين الفارسية والعربية التي لم تكن معروفة آنذاك إلاّ في بطون المخطوطات[٤٥] أما القسم الثاني وهو « تركستان »، أي البحث ذاته، فقد ظهر بسان بطرسبرغ في عام ١٩٠٠. وفي ذلك العام نفسه قدم المؤلف مصنفه « تركستان » إلى كلية اللغات الشرقية بجامعة سان بطرسبرغ بصفة رسالة للحصول على درجة الماجستير في تاريخ الشرق. وقد نوقشت الرسالة في جلسة عقدت بالكلية في التاسع عشر من نوفمبر (الثاني

---

(٤٤) سنذكره من الآن فصاعداً تحت عنوان « تركستان » فحسب.

(٤٥) يحوي القسم الأول من الكتاب على نقول من المصنفات الآتية: كرديزي، زين الأخبار (الصفحات ١ - ١٨)؛ مجمل التواريخ والقصص (١٩ - ٢٠)؛ الغرناطي، كتاب تحفة الألباب ونخبة الاعجاب (٢١ - ٢٢)؛ إنشاء (٢٣ - ٤٧)؛ النسفي، كتاب القند في تاريخ علماء سمرقند (٤٨ - ٥١)؛ السمعاني، كتاب الأنساب (٥٢ - ٦٩)؛ عماد الدين الأصفهاني، فريدة القصر وجريدة العصر (٧٠)؛ الكاتب السمرقندي، أعراض السياسة في أغراض الرياسة (٧١ - ٧٢)؛ محمد البغدادي، كتاب التوسل الى الترسل (٧٣ - ٨٠)؛ محمد بن نجيب بكران، جهان نامه (٨١ - ٨٢)؛ عوفى، جوامع الحكايات ولوامع الروايات (٨٣ - ١٠١)؛ بتخانه (١٠٢)؛ جويني، تاريخ جهانكشاي (١٠٣ - ١١٩)؛ رشيد الدين، جامع التواريخ (١٢٠ - ١٢٧)؛ جمال قرشي، ملحقات الصراح (١٢٨ - ١٥٢)؛ حمد الله قزويني، تاريخ كزيده (١٥٣)؛ اليافعي، مرآة الجنان (١٥٤ - ١٥٥)؛ مصنف مجهول المؤلف، مخطوطة Cod. Bodl. Th. Hyde 31 (١٥٦)؛ حافظ آبرو (١٥٧ - ١٥٨)؛ كتاب معز الأنساب في شجرة سلاطين مغل (١٥٩)؛ فصيح الخوافي، مجمل فصيحي (١٦٠ - ١٦١)؛ شجرة الأتراك (١٦٢ - ١٦٤)؛ الاسفزاري، كتاب روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات (١٦٥)؛ معين الفقراء، كتاب ملاّ زاده (١٦٦ - ١٧٢).

(يجب أن نضيف أن الغالبية العظمى من هذه المصنفات قد رأى النور الآن، وبعضها في طبعات بلغت النهاية القصوى في التحقيق العلمي. أنظر كشاف المراجع - المترجم).

من ديسمبر بالتقويم الجديد) من عام ١٩٠٠. وكان مجادله الرسمي الأول هو الأستاذ الأول لكرسي الشرق البروفسور ن.ا. ڤيلوڤسكي[٤٦] فأثنى على البحث ثناءاً عاطراً ونوّه بأن هذا الأثر «لن يجد ما يكفيه من آيات الثناء والتقدير، لأن موضوع بحثه جديد على الدوائر العلمية»، وزاد بأنه منذ الآن فصاعداً «لن يكون بمقدور من يريد البحث في تاريخ تركستان أن يتجاهل مصنف بارتولد». أما المجادل الرسمي الثاني وهو البروفسور ڤ.أ. جوكوڤسكي V.A. Jukovski فقد ضم صوته إلى ما أغدقه ن. ا. ڤيلوڤسكي من ثناء وتقدير للرسالة. وما أن أقرت الكلية بأن بارتولد أهل للدرجة العلمية التي استهدفها، حتى أفتت بالنظر إلى المستوى الرفيع للرسالة أن تطلب من مجلس جامعة سان بطرسبرغ منح بارتولد أعلى مراتبها العلمية وهي درجة الدكتوراه. وقد وافق مجلس الجامعة في ديسمبر من ذلك العام على طلب الكلية، إستناداً على المادة الثامنة والثمانين من «لائحة الجامعات الروسية لعام ١٨٨٤» فصادق على أن يمنح بارتولد درجة الدكتوراه في تاريخ الشرق.

24

وفي عام ١٩٢٨ ظهرت بين «سلسلة ا.ج.و. جب التذكارية، السلسلة الجديدة، المجلد الخامس E.J.W. Gibb Memorial Series, New Series, V» الترجمة الإنجليزية «لتركستان» (أي القسم الثاني الذي يحتوي على «البحث»)، منقحة ومزيدة بقلم المؤلف نفسه، وذلك على ضوء ما ظهر من مواد جديدة منذ خروج الطبعة الروسية الأولى في أوائل هذا القرن؛ كذلك اشتملت الترجمة الانجليزية على مقدمة بقلم ا. دنيسون روص E.Denison Ross[٤٧]. وقد راجع بارتولد الترجمة الانجليزية يعاونه في ذلك هـ. ا. جب H.A.R. Gibb. وفي عام ١٩٣١ ظهرت الترجمة الأوزبكية للكتاب[٤٨]. وفي عام ١٩٥٨ ظهرت طبعة ثانية للترجمة الانجليزية لم تختلف عن سابقتها إلاّ في إضافتها «للنقاط الرئيسية» للبحث (Tezisy) التي عرضها بارتولد أثناء مناقشة الرسالة، وأيضاً على «زيادات وتصحيحات» (Addenda et Corrigenda) بقلم الاستاذ ڤ.ف.

---

(٤٦) كان يشغل آنذاك كرسي تاريخ الشرق بكلية اللغات الشرقية بجامعة سان بطرسبرغ.

(٤٧) Barthold, Turkestan down to the Mangol invasion, 2d ed., transl. from the original Russian and revised by the author with the assistance of H.A.R. Gibb, London, 1928 (GMS NS, V)

أما القسم الذي يضم «المتون» فإنه لم تُعد طباعته.

(٤٨) Manquñar davrida Turkistan ترجمة فاتح كريموف، موسكو - سمرقند، ١٩٣١. هذه الطبعة نادرة الوجود الآن.

مينورسكي V.F. Minorsky[٤٩].

و« تركستان » لبارتولد « يُعد فاتحة عهد جديد في دراسة تاريخ آسيا الوسطى » كما قال بحق ا. دنيسون روص في مقدمته للطبعة الانجليزية لعام ١٩٢٨[٥٠]. وإذا لم يكن في الوُسع أن يُنكر أن تاريخ آسيا الوسطى قد عالج الكتابة فيه قبل بارتولد عدد من كبار المستشرقين الذين اقتصرت أبحاثهم بالتقريب على تاريخها السياسي، ونذكر من بينهم ن.ف. خانيكوف N.V. Khanykov وف.ف. غريغورييف وب.ا. ليرخ ون.ا. ڤسيلوڤسكي، إلاّ أن دراسات هؤلاء العلماء عالجت نقاطاً معينة على العكس من بارتولد الذي يعد أول من وضع دراسة تاريخ آسيا الوسطى على مستوى علم التاريخ المعاصر/. 25 ومن العسير إيفاء هذا الأثر الممتاز حقه في بضعة ألفاظ[٥١]، ويكفي فقط أن نشير إلى أنه أول بحث في هذا المضمار يعتمد على عدد كبير من المصادر ويفحصها فحصاً دقيقاً في وقت لّما تر النور فيه الغالبية العظمى من تلك المصادر. وهكذا نرى بارتولد وهو في سني شبابه الأولى يقوم بمجهود عظيم في كشف النقاب عن المواد المخطوطة وتحديد المصادر الأولية من بينها، هذا إلى جانب عقد مقارنة دقيقة لمتون الوثائق، ثم صياغة هذه المادة التاريخية التي كان هو أول من استقاها من مظانّها في عمل تركيبي بديع. وفي خلال الستين عاماً التي تصرمت منذ ظهور الطبعة الروسية الأولى «لتركستان» لم يكشف العلماء إلاّ عن عدد ضئيل من المصادر الجديدة في تاريخ آسيا الوسطى، ولذا فإن العرض المفصل لمراجع بحثه الذي يقدمه المؤلف في كتابه هذا ما زال يحتفظ بقيمته حتى هذه اللحظة؛ ويصدق هذا الحكم كذلك على عرضه الجيد للجغرافيا التاريخية لآسيا الوسطى وعلى تصنيفه العام لفترات تاريخها السياسي من القرن السابع إلى القرن الثاني عشر، مما يمكن تتبعه من خلال سرده للمادة. بل إن التصنيف العام لفترات تاريخها الاجتماعي

---

(٤٩) ثم ظهرت طبعة ثالثة بعناية المستشرق البريطاني C.E. Bosworth عام ١٩٦٨ - المترجم).

(٥٠) راجع ألفاظ السير دنيسون روص في مقدمة الترجمة الانجليزية: «Barthold's epoch - making work...».

(٥١) الكتاب أبعد من أن يكون قدّر بالصورة اللائقة به. راجع من بين من قرظوه:
N. Ia. Marr, Vassili Vladimiravich Bartold, – «Soobshchenia GAIMK», 1931, No 1; A. Iu. Jakobovski, Problema sotsialnoi istorii nardov Vostoka v trudakh akademika V.V. Bartolda, – VLU, 1947, No 12; I.I. Umniakov, Znachenie trudov akad. V.V. Bartolda po istorii Srednei Azii,– MPVNKV; I. Iu. Krachkovski, V.V. Bartold v istorii islamovedenia,– IAN SSSR, seria VII, OON, 1934; V.A. Krachkovskia, V.V. Bartold – numizmat i epigrafist,– EV, VIII, 1953.

والاقتصادي الذي قام به العلماء السوفيت من أمثال ا.ي. ياكوبوفسكي وس.پ. تلستوف S.P. Tolostov وغيرهما يقرب على وجه العموم من تقسيم بارتولد. ولمّا كان بارتولد في دراسته لتطور آسيا الوسطى التاريخي قد ولج الموضوع كرائد فإن من الطبيعي أن يظل تصنيفه لتاريخها على فترات، أو على الأدق تخطيطه له، يحمل طابعاً عاماً للغاية، وان كان لا يزال في جوهره مقبولاً حتى الآن. وليس من النادر أن يقدّم الباحثون في أيامنا هذه صيغاً وتسميات جديدة للظواهر التاريخية التي أشار إليها مؤلف «تركستان» من قبل، غير أنها لا تكاد تفوق من حيث الدقة ما قام به بارتولد إلاّ في القليل النادر.

وفي بداية عمل بارتولد في «تركستان» فكر في أن يحصر البحث في تاريخ آسيا الوسطى في فترة الغزو المغولي وما بعده (حتى عام ١٢٦٩)، بحيث لا يمس تاريخ العصور السابقة على ذلك إلاّ بالدرجة التي تقتضيها الضرورة لتفهم موضوع بحثه. غير أن الظلام الكثيف الذي خيّم على القضايا الرئيسية لتاريخ آسيا الوسطى في الفترة المبكرة للعصور الوسيطة قد اضطر بارتولد إلى أن يعدّل في خطته الأولى تعديلاً جوهرياً، وأن يوجه اهتمامه إلى تحليل التطور التاريخي لهذه البلاد منذ لحظة فتح العرب لها حتى يتمكن من إيضاح الظواهر الاجتماعية والنظم التي سادت في فترة الغزو المغولي للبلاد. وكان من نتيجة ذلك أن تعرّض تركيب الكتاب والإطار/الزمني للبحث لتعديل كبير. وبعد الفراغ من هذا تبين ان فترة الغزو المغولي لم تتجاوز الخمس منه، ولذا فقد خرجت محتويات الكتاب كثيراً من إطار عنوانه. وواقع الأمر أن الكتاب يمثل مصنفاً عاماً في تاريخ آسيا الوسطى من القرن السابع حتى بداية القرن الثالث عشر[٥٢].

26

وبارتولد في كتابه هذا دلّل بما لا يدع مجالاً للشك على أن فتح العرب لما وراء النهر في بداية القرن السابع لم يقف عند حد كونه عاملاً خارجياً، بل جلب معه علاقات اجتماعية جديدة كما جلب أيضاً نماذج جديدة لحكم أكثر مركزية وبوجه خاص نظاماً جديداً للضرائب؛ هذا إلى جانب دين جديد هو الاسلام، وأخيراً اللغة العربية وآدابها. وقد بيّن المؤلف أن ارستقراطية مُلاّك الأراضي المحليين من الايرانيين، أي الدهاقنة، لم تلبث أن رضخت في سرعة ومرونة تامتين للفاتحين العرب وتمازجت مع العلية منهم لتكوّن طبقة حاكمة من ملاك الأراضي.

---

(٥٢) هذا هو السر في أن الترجمة الانجليزية أخذت عنوانا مغايراً بعض الشيء. أمّا الناشرون السوفيت فقد أصروا على الابقاء على العنوان الأصلي الذي وضعه المؤلف نفسه. (أما ناقل الكتاب الى العربية فقد استباح لنفسه بعض الحرية حتى يتفق العنوان مع فحوى الكتاب - المترجم).

بعد هذا يكشف بارتولد عن السمات المميّزة لنظام الحكم في عهد الطاهريين والصفّاريين والسامانيين (القرنين التاسع والعاشر) ملقياً ضوءاً ساطعاً (رغماً من عدم استعماله لمصطلحات فن التاريخ المتداولة بيننا) على الصراع الذي انفجر في القرن العاشر بين الفئات المختلفة لطبقة ملاّك الأراضي - وذلك بين ارستقراطية ملاّك الأراضي المحليين (أي الدهاقنة) التي ترتكز على امتلاك الأراضي الزراعية مع ميل بيّن إلى تفتيتها إلى اقطاع من جهة، وبين ارستقراطية رجال الدولة المرتبطة بملكية الأراضي الحكومية وبالجهاز الإداري والتي تستند على السياسة المركزية للسامانيين من جهة أخرى.

ويضع المؤلف بين أيدينا مادة وفيرة وموثوقاً بها، تشهد بما أحرزته ما وراء النهر وخراسان من تقدم اقتصادي في القرنين التاسع والعاشر. وكان العامل الفعّال في التطور الاقتصادي لذلك العهد هو ظهور ضرب جديد من المدن (مما يمكن أن يطلق عليها الآن إسم مدن عصر الإقطاع النامي). وقد أثبت بارتولد بدراسته لخطط سمرقند وبخارا وغيرها من مدن آسا الوسطى أنه قد حدثت في القرنين التاسع عشر والعاشر عملية انتقال للحياة المدنية من الشهر ستانات الارستقراطية القديمة إلى الضواحي التي يقطنها التجار وأهل الحرف (وهي «ربض» بالعربية و«بيرون» بالفارسية). لقد كانت هذه واحدة من أهم كشوفات بارتولد، ولكنه لم يستخلص منها الاستقراءات اللازمة التي توصل إليها فيما بعد من تابعوا أبحاثه خاصة م.ا. ماسون M.E. Masson وا.ي. ياكوبوفسكي.

كذلك كان رائعاً تحليل بارتولد لحركات الهجرة والغزو التي قام بها حلف القبائل التركية الرُحّل في نهاية القرن العاشر وفي النصف الأول من القرن الحادي عشر. 27 والدولتان اللتان أقامها الترك، وهما القراخانية والسلجوقية، يبصر فيهما بارتولد مرحلة جديدة في تطور مجتمع بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسان في العصور الوسطى انعكست في ارساء قواعد السيادة السياسية للارستقراطية العسكرية للترك الرُحّل وفي ظهور نظام الاقطاع، كما انعكست أيضاً فيما أصاب الجهاز الحكومي المركزي من ضعف وتدهور. وكان أكبر كشف علمي لبارتولد هو إثباته لواقعة إختفاء الدهاقنة في القرن الحادي عشر، أي زوال ارستقراطية مُلاّك الأراضي الايرانية القديمة. فقد اضطر الدهاقنة إلى أن يفسحوا المجال للارستقراطية العسكرية للترك الرُحّل التي كانت قاعدتها الإجتماعية هي مِلْكية الإقطاع (fiefs) العسكرية - أي قيام نظام للاقطاع

(system of fiefs) الذي وإن عُرف على عهد السامانيين إلاّ أنه انتشر بصورة أوسع بكثير تحت حكم القراخانيين والسلاجقة في القرن الحادي عشر، وقد ارتبط بهذه العملية ارتباطاً وثيقاً تثبيت سلطان مُلاّك الاقطاع على حساب ضعف سلطان الحكومة المركزية.

ويقدم بارتولد في معالجته لتاريخ آسيا الوسطى في القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر (وذلك في الفصل الثالث من الكتاب) عرضاً مفصلاً لنظام حكم شاهات خوارزم، فيدلل على أن قوة تلك الدولة كانت ظاهرية ووهمية، بينما تعاورتها في واقع الأمر التناقضات الداخلية ونخرت فيها العلل التي ساقت إلى تدهورها، وهذا يفسر لنا السرعة التي قضى بها المغول على دولة شاهات خوارزم. ومن العسير زيادة شيء ذي بال إلى الوصف الدقيق الذي تركه بارتولد لدولة شاهات خوارزم، فيما عدا النزر اليسير. وعلينا ألا نغفل الاستطرادين اللذين اشتمل عليهما هذا الفصل، ويعالج أحدهما الكلام على سلطة روحية تمتع بها صدور بخارا وهم آل برهان[٥٣]، بينما يعالج ثانيهما الكلام على ثورة قام بها أهل الحرف ببخارا تحت زعامة رجل يدعى سنجر ملك.

كذلك يقدم بارتولد في تحليله لعصر آخر من تاريخ آسيا الوسطى، وهي الفترة التي أعقبت الغزو المغولي (الفصل الرابع) الكثير من الجديد والطريف عن المجتمع الرعوي للمغول في بداية القرن الثالث عشر وعن نظام الحكم لديهم وعن نظامهم العسكري، بما لم يسبقه إليه أحد من علماء الدراسات المغولية (mongolists).وإن ما أسهم به بارتولد من رأي جديد حول الدور التاريخي لأمبراطورية جنكيز خان قد أثار عدداً من المسائل التي أصبحت فيما بعد موضوع جدل ونقاش لدى المؤرخين السوفيت والأجانب.

28 ومما هو جدير بالملاحظة أن بارتولد لم/يستعمل في مصنفه «تركستان»، ولا في آثاره التالية لفظ «النظام الإقطاعي» (feudalism) ، هذا على الرغم من استعماله لمصطلحي «الاقطاع العسكرية» (military fiefs) و«نظام الاقطاع» (system of fiefs) ، وهما مصطلحان ارتبطا كما هو معلوم ارتباطاً وثيقاً بالنظام الإقطاعي. ويبدو أنه قد غلب عليه ها هنا حذر الرائد الذي يشق طريقاً جديدة، فلم يُغفل خاصية التطور الإجتماعي والإقتصادي لمجتمعات العصور الوسطى بآسيا الغربية والوسطى وأن هذا الموضوع لم يكن قد درس بعد دراسة كافية، لهذا فإنه لم يتعجل في تحديد الطابع المميز له

(٥٣) لم يلبث بارتولد أن زاد بالتالي في هذا الاستطراد واستكمله في مقاله بدائرة المعارف الاسلامية (مادة «برهان»).

بصورة قاطعة. ولكنه أحس قرب نهاية حياته بأنه من الممكن وصف التركيب الاجتماعي لآسيا الغربية والوسطى بأنه كان إقطاعياً[٥٤]. ومهما يكن من شيء فإن بحوث بارتولد بالذات هي التي ثبّتت على أساس متين حقيقة وجود النظام الاقطاعي ببلدان آسيا الغربية والوسطى، ذلك أنه هو الذي دلل بصورة قاطعة، إعتماداً على مادة المصادر، على أنه قد كان هناك بالشرق الوسيط نظام لملْكِية الأراضي وعلاقات اجتماعية ونظم مما تصف به المجتمعات الإقطاعية. ولقد مهّد مصنفه «تركستان»، بجانب آثاره الأخرى، الطريق لاستنتاج يتفق فيه الآن جميع العلماء السوفيت ممن يعالجون البحث في تاريخ آسيا الغربية والوسطى، ومؤدّاه أن النظام الإقطاعي قد أصبح منذ القرن الحادي عشر سمة مميزة في دولتي السلاجقة والقراخانيين، وتمثل في سيطرة الرُحّل من الترك (والمغول أيضاً ابتداء من القرن الثالث عشر) على أتباعهم من الفلاحين الذين هم من أصل ايراني أو غيرهم من الشعوب الخاضعة لهم. والسمات المميزة لقيام نظام إقطاعي في وسط رعوي (تركي ومغولي) وما صحبه من نظام الدولة الرعوية الإقطاعي قد وصفها بارتولد بالكثير من الدقة أيضاً، كما عالج هذه المسألة فيما بعد الأكاديمي ب.ي. ڤلاديميرتسوف B.Y. Vladimirtsov [٥٥] وتبعه في هذا عدد من المؤرخين السوفيت[٥٦].

أما فلسفة بارتولد التاريخية وموقفه من المدارس التوريخية (historiographical) لعصره فإنها لم تدرس بعد دراسة وافية حتى هذه اللحظة. وليس هناك أدنى ريب في أن بارتولد لم يكن ماركسياً. غير أن نظرياته لا تخلو من جوانب هامة تقرّبه من المؤرخين الماركسيين. فهو مثلا قد أولى اهتماماً خاصاً في التاريخ لظاهرة النزاع داخل المجتمع، أو بمعنى آخر الصراع الطبقي. والحق يقال إن بارتولد قد ركز في مصنفه هذا على دراسة المسائل المتصلة بالصراع الطبقي والانتفاضات الشعبية على الطبقة الحاكمة، ففيه يعالج الكلام على ثورة الفلاحين من «المبيّضة» (المُقنّع ٧٧٦/-٧٨٣) وحركة القرامطة في القرن العاشر وثورة سنجر ملك ببخارا في عام ١٢٠٦-١٢٠٧ وثورة الفلاحين وأهل الحرف بزعامة محمود طارابي بمنطقة بخارا في عام ١٢٣٨[٥٧] - كما يحللها بصورة خاصة في عدد

29

---

(٥٤) V.V. Bartold, K voprosu o feodalizme v Irane,– «Novy Vostok», No 28, 1930.

(٥٥) نعني مصنفه الكلاسيكي
Obshchestvenny stroi' Mongolov. Mongolskii kochevoi feodalizm, L.,1934.

(٥٦) راجع ثبت المراجع بصدد المؤلفات التي ظهرت بعد عام ١٩٣٠.

(٥٧) في الفصل الخامس من «تركستان» الذي يرى النور هنا لأول مرة

من مؤلفاته التي تلت[٥٨]. وهذا التقارب مع الماركسية لا ينعكس في اعترافه بالأهمية الكبرى لعامل النزاع الطبقي فحسب، بل ينعكس كذلك في اعترافه بأن قيام دولة ما إنما هو نتاج حتمي لوجود الطبقات وأن الحكومة إنما تتولد كأداة للطبقة المتسلطة خلال صراعها مع الطبقات الدنيا من الشعب. وقد أعرب بارتولد عن هذا الرأي حتى من قبل ظهور «تركستان» إلى الوجود، وذلك في عام ١٨٩٦[٥٩]. كما أنه قد صاغه بصورة أكثر دقة بعد ثلاثة وثلاثين عاماً من ذلك التاريخ، حين قال: «وبغير ظاهرة احتدام الصراع الطبقي في ظروف الحياة الرعوية، فلن يكون هناك أساس لقيام سلطة حكومية قوية. والشعب الرعوي أقدر من غيره على أن يعيش بغير خان، وقد حدث أنه عندما كان يظهر خان ما فإن كفاحه ضد شعبه نفسه في سبيل الإستحواذ على السلطة قد يصحبه أحياناً من إراقة الدماء ما يفوق الدماء التي يسفكها الرعاة خلال غزواتهم التالية في الأقطار المتحضرة»[٦٠].

وقد بيّن بارتولد في تحليله لبعض الحركات التي قام بها الفلاحون في آسيا الوسطى وايران أن ممثلي الطبقات العليا قد سارعوا في فترة الفتح العربي والغزو المغولي إلى اتخاذ موقف المصالحة مع الحكام الأجانب حفاظاً على امتيازاتهم وأراضيهم، مما دفع بحركات الكتل الشعبية من الفلاحين وسكان المدن الموجّهة ضد الغزاة الأجانب إلى أن تتحول أيضاً إلى كفاح ضد الارستقراطية الوطنية. وخلال معالجته للدور التاريخي لحركة الشيعة وغيرها من الحركات الدينية وكّد بارتولد أكثر من مرة أن التشيع قد انتشر في الأوساط الريفية قبل غيرها، وأن الانتفاضات الدينية كانت هي الطابع المميز الذي اتخذته

---

(٥٨) Narodnoe dvijenie v Samarkande v 1365 g., – ZVORAO, t. XVIII, 1906; K istorii krestianskikh dvijenii v Persii, – «Iz dalekogo i blizkogo proshlogo. Sbornik etiudov iz vseobshchei istorii v chest... N.I. Kareeva», Pg. – M., 1923; Mesto Prikaspiiskikh oblastei v istorii musulmanskogo mira, Baku, 1925, str. 82 – 84 (بصدد الحركة الشعبية بمازندران في عام ١٣٦٠)؛ Novy istochnik po istorii Timuridov, – ZIVAN, t. V, L. 1935 (بصدد الانتفاضة الشعبية بخراسان في الأربعينات من القرن الخامس عشر، وهو بحث ضم متناً فارسياً لجعفري مصحوباً بترجمة روسية).

(٥٩) Obrazovanie imperii Chingiz – khana, – ZVORAO, t. X, 1897.

(٦٠) Sviaz obshchestvennogo byta s khoziaistvennym ukladom u tiurok i mongolov, – IOAIEK, t. XXXIV, vyp. 3–4, 1929, str. 3

الحركات الشعبية[٦١] ففي حديثه مثلا عن ثورتي عام ٨٦٤ وعام ٩١٣ الشعبيتين بطبرستان (مازندران) اللتين اشتعلتا تحت رداء التشيع يوجه بارتولد النظر إلى أن نقطة انطلاق هاتين الثورتين إنما كانت هي انتزاع أراضي الفلاحين على يد الأثرياء. ومن ثم «فنحن بازاء حركة شيعية أشعلها الاعتداء على حقوق المزارعين»[٦٢]. وقد خرج بارتولد عند كلامه عن ثورة الكتل الشعبية بخوزستان تحت زعامة المشعشع في عام ١٤٤١ (وكانت الميول الغالبة عليها هي معاداة الاقطاع ونشر المساواة) باستقراء مؤدّاه: «إن ثورة المشعشع كما يبدو تحمل ذات الطابع الذي حمله عدد كبير من الحركات الشعبية الأخرى بايران، فتحت راية الدين اشتعلت ثورة المعدمين ضد الأثرياء»[٦٣]. كذلك يصف بارتولد صراع أتباع المذاهب السنيّة من الحنفية والشافعية ضد بعضهم البعض أو في حلف ضد الشيعة مثلما حدث بالري واصفهان ونيشابور ومرو وغيرها من المدن في القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر، يصفه بانه صراع طبقي وذلك بقوله: «وتحت راية الدين على ما يبدو حدث الصراع الاقتصادي بين العناصر المختلفة من سكان المدينة وبصورة خاصة بين سكان المدينة والقرية»[٦٤]. ويفترض بارتولد أن الشافعية في هذا الصراع كانت تمثل الطبقة العليا بالمدن (أي الارستقراطية المحلية من مُلاّك الأراضي والتجار)، وأن الحنفية كانت تمثل أصحاب الحرف والفئات الوسطى من سكان المدينة، بينما كانت الشيعة تتمثل في الفلاحين من الريف المحيط بالمدينة. وفرض بارتولد هذا يوكده بكامله دراسة المصادر، ولا تزال هذه المسألة تنتظر بحثاً مفصلاً في المستقبل.

ويجدر أن نوجه النظر إلى أن اهتمام بارتولد بالتاريخ الاجتماعي وتاريخ الصراع الطبقي والحركات الشعبية لبلدان آسيا الغربية والوسطى قد انعكس بصورة أكثر شمولاً في أبحاثه الأخرى، أما في «تركستان» فإن الإهتمام بهذه المسائل يشغل حيّزاً أقل من ذلك بكثير، ذلك أن بارتولد قد وجّه جل اهتمامه هنا إلى توضيح العلاقات الخارجية لدول آسيا الوسطى وتاريخها السياسي وذلك في الفترة ما بين القرن الثامن وبداية القرن

---

(٦١) راجع أبحاثه: K istorii krestianskikh dvijenii v Persii, str. 58 – 60; Iran, Istoricheskii obzor, str. 33.

(٦٢) «تركستان» (راجع الفصل الثاني من هذا الكتاب)؛ وأيضاً K istorii krestianskikh dvijenii v Persii, str. 58 – 60; Istoriko – geograficheskii obzor Irana, str. 156.

(٦٣) Novy istochnik po istorii Timuridov, str. 22

(٦٤) K istorii krestianskikh dvijenii v Persii, str. 61–62.

الثالث عشر، وكذلك إلى الجغرافيا التاريخية والإقتصادية لآسيا الوسطى في هذه الفترة ذاتها.

وقد اتخذ بارتولد موقفاً من الخصومة لم يتزحزح عنه ضد الإتجاهات العلمية الزائفة التي غلبت على فن التوريخ (historiography) في أوروبا الغربية - كالعنصرية، وكالزعم القائل بأن أوروبا هي مركز العالم. كذلك عارض بارتولد الرأي القائل بأن «شعوب الشرق لا تاريخ لها ولن يكون لها تاريخ بالمعنى المفهوم لذلك اللفظ باوروبا، وأنه نتيجة لهذا فإن مناهج دراسة التاريخ التي وضعها المؤرخون الأوروبيون لا يمكن تطبيقها على تاريخ الشرق»[٦٥]. ففي الكلمة / التي ألقاها دفاعاً عن رسالته بجامعة سان بطرسبرغ في خريف عام ١٩٠٠ يقول بارتولد: «فنجد أن الناس هم الناس في كل مكان ليس بينهم فارق، وأن التباين بين حضارتي الشرق والغرب يمكن رده برمّته إلى الظروف التي وجهت النشاط الذهني لشعوب الشرق إلى وجهات مغايرة. أمّا اللجوء إلى افتراضات مسبّقة (a priori) عن فروق جوهرية بين طبيعة كل من الإنسان الشرقي والإنسان الغربي، والزعم بوجود خصائص عنصرية لا سبيل إلى إزالتها فأمر لم تعد إليه حاجة البتة. وتفسير تاريخ الشرق تفسيراً علمياً أمر لازم، وبغير ذلك فإن القوانين التي تم التوصل إليها من خلال استقراء تاريخ أوروبا وحدها، تصبح لا مفر من النظر إليها كقوانين من جانب واحد لن يقدّر لها أن تبلغ الهدف النهائي لعلم التاريخ، ألاَ وهو وضع قوانين عامة تخضع لها البشرية بأجمعها»[٦٦].

من هذا القول، ومن أقوال أخرى له، يمكن أن نستخلص أن بارتولد كان من معارضي المدرسة التاريخية لريكرت Rickert وڤندلبند Windelband التي كان يمثلها بروسيا ر. ي ڤيبر R.Y. Vipper ود. م. پتروشيڤسكي D.M. Petrushevski - وهي مدرسة تزعم بأنه في مواجهة ما يسمى بالعلوم «النوموغرافية» (nomographic)؛ أي التي تبحث في القوانين العامة) فإن التاريخ علم «ايديوغرافي» (ideographic) فحسب، أي أنه يعالج وقائع منفردة وغير قابلة للتكرار. وكان بارتولد مقتنعاً كل الإقتناع بأن «قوانين التطور التاريخي تلك، هي نفسها التي تعمل سواء بأوروبا أو

---

(٦٥) Bartold, Istoria izuchenia Vostoka v Evrope i v Rossii, izd. 2e, str. 22

(٦٦) راجع الملحق الثاني من هذه الطبعة.

آسيا »[٦٧]. وإذا ما حدث أن انعكست آراؤه هذه بدرجة أضعف في مصنفه الاول « تركستان » فإن مرد هذا هو نفس روح الحذر التي تنتاب من يشق طريقاً جديدة فيتحاشى الاستنتاجات والتعميات السابقة لأوانها. ذلك أن بارتولد كان يرى أن التعميات والمفاهيم النظرية ليس من شأنها أن تنال أهمية علمية ما لم تستند على قاعدة متينة من تحليل للوقائع المستقاة من دراسة دقيقة ومقارنة للمصادر. هذه الميزة القيّمة في المنهج العلمي لبارتولد قد اعتنقها وسار عليها مكملو أبحاثه من المؤرخين السوفيت، لا من تلامذته المباشرين فحسب بل أيضاً ممن وقعوا تحت تأثير مصنفاته[٦٨].

وإذا كان المجال لا يتسع ها هنا للحديث عن فلسفة التاريخ لدى بارتولد، التي كما ذكرنا من قبل أبعد من أن تكون/قد أُخضعت لدراسة كاملة حتى هذه اللحظة، إلاّ أنه 32 يجب ألاّ يغيب عن البال أن مؤلف « تركستان » الذي كان خصماً لمذهب السيادة العنصرية وفكرة التفوق الأوروبي كان أيضاً بالتالي خصماً لمذهب الامبريالية، وذلك خلافاً لبعض المستشرقين من أوروبا الغربية الذين وجد من بينهم علماء أجلّة؛ وأنه لم يحدث نتيجة لذلك أن أذلّ قلمه من أجل الدفاع عن فتوحات القيصرية وسياستها الإستعمارية في آسيا الوسطى والقوقاز. وفي هذا الشأن كان بارتولد مواكباً للأفكار والتقاليد التقدمية لخيرة ممثلي الاستشراق الروسي من أمثال روزن ومار واولدنبرغ S.F. Oldenberg وكراتشكوفسكي. وبوصفه وطنياً روسياً غيوراً فإن ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش كان يعتقد إعتقاداً جازماً أن العلماء الروس في وضع أفضل من غيرهم، بل إن الواجب يقضي عليهم ذلك، ليأخذوا على عاتقهم مهمة الدراسة العلمية لتاريخ أقطار آسيا الغربية والوسطى[٦٩].

---

(٦٧) VV. Bartold [وذلك في نقده لبحث
N.A. Aristov, Zametki ob etnicheskom sostave Tiurkskikh plemen i narodnestei, -ZVORAO, t. XI, 1899, str. 355

(٦٨) راجع عن هذا فيما ظهر المقالات التي حواها الجزء الخامس والعشرون من UZIVAN,t.XXV,M.,1960:
V.V. Struve, Sovetskoe vostokovedenie za sorok let (str. 3–29); V.A. Romodin, Vklad leningradskikh vostokovedov v izuchenie istorii Srednei Azii (str. 30–41); N.V. Pigulevskia, Uchenie o dokopitalisticheskikh formatsiakh na Blijnem i Srednem Vostoke v trudakh leningraskikh vostokovedov (str. 192–203); I.P. Petrushevski, Derevnia i krestiane srednevekovogo Blijnego Vostoka v trudakh leningradskikh vostokovedov (str. 204–217).

(٦٩) راجع الملحق الثاني من هذه الطبعة.

ومن الطبيعي أننا لا نستطيع في أيامنا هذه أن نقرّ كل استقراءات مؤلف « تركستان » ، وبصورة خاصة تقييمه العام لظاهرة الغزو المغولي ، سواء في مصنفه هذا[٧٠] أو في مصنفاته الأخرى[٧١]. والمؤرخون السوفيت المعاصرون يتفقون جميعاً في أن بارتولد قد هوّن من أمر الكوارث الهائلة والتدهور الإقتصادي والثقافي التي نتجت عن الغزو المغولي وما أعقبه من سيطرة الغزاة الرحّل على الأقطار التي تعرضت لغاراتهم . ومن الجلي أن بارتولد قد بالغ في أهمية قيام أمبراطورية جنكيز خان من أجل ازدهار تجارة القوافل عبر القارة الآسيوية ، وكذلك من أجل تدعيم العلاقات الحضارية والثقافية بين أقطارها . وفي الواقع أن النتائج المنبثقة عن هذا وذاك كانت ضئيلة للغاية بدرجة أنها لا تعدل النكسة الكبرى التي ترتبت على الغزو المغولي والتي لم تستطع من جرائها بلدان الشرق الأدنى والأوسط أن تسترد انتعاشها السابق أو تستعيد ازدهارها الإقتصادي والحضاري القديم . ورغماً من ذلك فإن الواجب يقضي بالتنويه بأن بارتولد وإن كان قد رفع بعض الشيء من شأن الدور التاريخي لإمبراطورية جنكيزخان إلاّ أن ذلك لم تكن له علاقة البتة بتلك الدوافع التي انبثق عنها مذهب الشعوبية التركية (Panturkism) وواقع الأمر أن بارتولد وقف موقف الناقد والمراجع من أسلوب التحامل البيّن الذي وقفه مؤرخو القرن التاسع عشر السابقون عليه ، من الغزو المغولي . إذ لم يروا في المغول سوى برابرة مخربين لا غير . وعلى العكس من هذا جهد بارتولد في أن يبيّن الجوانب الإيجابية في نظام الحكم لدى المغول . أمّا الفلسفة العنصرية التي اعتنقها أنصار مذهب الشعوبية التركية القائم على تعظيم شأن فتوحات الترك والمغول فإنما ترتفع ، كما بيّن بحق ادوارد براون Edward Browne إلى تلك الأباطيل التاريخية مما تفتق عنه ذهن ليون كا آن L. Cahun وهنري هوورث H. Howorth اللذين نسبا إلى الشعوب المنحدرة من العنصر التركي والمغولي موهبة خاصة ومقدرة فائقة في المجالات العسكرية والإدارية والتنظيمية[٧٢] .

33

ويغلب على المدرسة التاريخية السوفيتية في الآونة الحاضرة تقييم سلبي على وجه العموم للأهمية التاريخية لامبراطورية جنكيز خان ، وهو تقييم يتفق في أساسه مع ذلك

---

(٧٠) راجع الفصلين الثالث والرابع من هذا الكتاب « تركستان » .

(٧١) Mesto Prikaspiiskikh oblastei v istorii musulmanskogo mira, str. 71, 75

(٧٢) راجع: E.G. Browne, A History of Persian literature under Tartar dominion, Cambridge, 1920, pp. 14 - 15.

الذي أعطاه في حينه كارل ماركس لظاهرة الغزو المغولي. غير أن مثل حالات الإختلاف هذه في الاستقراء بين مؤلف « تركستان » والمؤرخين السوفيت، إنّما هي في حقيقة الأمر طفيفة للغاية

★ ★ ★

والمؤرخون السوفيت يقدرون تقديراً كبيراً آثار الأكاديمي بارتولد، أكبر مؤرخ لبلاد الشرق والذي بذل جهداً كبيراً لإثبات سبق علمائنا في دراسة ماضي شعوب الشرق الأوسط. فاسم بارتولد، كما قال الاكاديمي كراتشكوفسكي، من الاسماء التي « لن تنسى البتة في تاريخ حضارتنا وفي تاريخ العلم العالمي »(٧٣). وضرورة إعادة طبع آثاره العلمية، ومن بينها في المكانة الأولى بل وعلى رأسها قاطبة مصنفه الكبير « تركستان » أمر متفق عليه منذ وقت طويل. وفي الطبعة الكاملة لآثار بارتولد يحتل هذا المصنف الجزء الاول من بين أجزائها.

وقد اكتفى الناشرون بطبع « البحث » وحده (وهو يكوّن القسم الثاني من الطبعة الروسية الأولى)، ذلك أن إعادة طبع المجلد الذي يحوي « المتون » Teksty (وهو القسم الأول من الطبعة الروسية الأولى) ليس من شأنه أن يخدم أدنى غرض، لأن الغالبية الغالبة من المصادر التي نُقلت عنها هذه « المتون » قد جرى نشرها منذ ذلك الوقت.

وتستند طبعتنا هذه على الطبعة الروسية الأولى للكتاب، وإن كان ليس في الوسع إعادة طبعها هكذا دون إجراء تعديل وفي صورتها الأولى. ذلك أنه منذ صدور الطبعة الروسية الأولى حدث أن تعرض بعض من آراء بارتولد للتغيير خاصة فيما يتصل بمسائل الجغرافيا التاريخية وسني الأحداث والمصادر التي استقى منها مادته. وهذه التغييرات انعكست في التصحيحات والزيادات التي أجراها المؤلف نفسه على الطبعة الانجليزية لكتابه والتي ظهرت عام ١٩٢٨ متضمنة الإشارة إلى ما تم الكشف عنه من مخطوطات منذ ذلك الوقت وإلى ما ظهر من طبعات جديدة للمصادر، هذا إلى جانب الإشارة إلى ما جدّ من بحوث وما تم الكشف عنه أيضا من مواد جديدة في محيط علم الآثار (archaeology). ورغماً من أن التعديلات والزيادات قد مست في معظمها التفاصيل الثانوية للبحث إلاّ أن عددها كان كبيراً للغاية. وقد ضُمِّنت بأكملها في طبعتنا هذه، التي أصبحت نتيجة لذلك تتميز تميزاً كبيراً عن الطبعة الروسية الأولى لعام ١٩٠٠. وبما

34

(٧٣) I. Iu. Krachkovski, Òcherki po istorii russkoi arabistiki, str. 143.

أن هذه التعديلات والزيادات قد أُجريت على يد المؤلف نفسه أو بموافقته فإنه لم تتم الإشارة إليها بصورة خاصة في طبعتنا هذه.

وكان البروفسور اومنياكوف، أحد تلامذة بارتولد، هو أول من أشار إلى وجود فصل غير منشور من «تركستان» يعالج الكلام على الفترة الأولى لعهد السيادة المغولية على آسيا الوسطى وذلك من موت جنكيز خان إلى القوريلتاي المعقود على ضفاف نهر تلاس وقيام دولة مغولية مستقلة بآسيا الوسطى أُصطلح على تسميتها بالدولة الجغتائية (عام ١٢٦٩)[٧٤]. وكان المستعرب س.ل. ڤولين S.L. Volin أحد الباحثين بمعهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية «ايفان »IVAN،يعمل في إعداد مخطوطة هذا الفصل الموجودة بخط يد المؤلف[٧٥] للنشر، ولكن هذا المشروع لم ير النور بسبب الحرب وبموت ذلك المستعرب في عام ١٩٤٣.

أما فيما يتصل بتحديد الفترة التي صيغ فيها هذا الفصل الخامس من «تركستان» فإنه ليس بين أيدينا معلومات في هذا الشأن. وخلو مخطوطة هذا الفصل من أية إشارة إلى «المتون» Teksty[٧٦]، وذلك على غير ما عليه الحال في بقية فصول الكتاب، يحمل على الاعتقاد بأن الفصل المذكور قد دونه بارتولد قبل الفصول السابقة عليه، ولعل ذلك كان في عام ١٨٩٥-١٨٩٦. غير أن تلميذ بارتولد البروفسور اومنياكوف الذي كان وثيق الصلة بأستاذه، يعتقد أن هذا الفرض ليس له ما يبرره. ويرى اومنياكوف أن بارتولد لم يشر إلى «المتون» Teksty في الفصل الخامس (رغما من أن موادها قد انتقيت الى عام ١٢٦٩) لأن المؤلف، كما ذكر بنفسه في مقدمته لطبعة عام ١٩٠٠، قد عدّل في خلال عمله في الكتاب من خطته الأولى وعزم على الوقوف بالمصنف عند تاريخ موت جنكيز خان (عام ١٢٢٧)، ولذا فقد رأى عدم تضمين الفصل الخامس في المسودة التي قدمها للطبع. ولعل هذا هو عين السبب في بقاء هذا الفصل في صورة غير مكتملة؛ ففيما يتصل بالمخطوطات مثلاً ترد الإشارة الى رموز مبهمة، كذلك فيما يتصل ببعض المصادر (مثل ميرخواند) ترد حواش «غفل»، وفي موضعين أو ثلاثة يقابلنا بياض بالأصل (acunae 35 كان المؤلف دون شك يريد ملأه فيما بعد باستطرادات خاصة. ويعترف بارتولد بألفاظه

---

(٧٤) هذا رغماً من أن المسؤول الأول عن قيامها هو قايدو من سلالة اوكداي.

(٧٥) توجد بأرشيف أكاديمية العلوم السوفيتية F 68, OP. 1 No 12 (في خمس وعشرين ورقة مزدوجة).

(٧٦) لذا فإن الإشارات إلى «المتون» Teksty فى الفصل الخامس من طبعتنا هذه وردت بين قوسين حادين.

هو[٧٧] بأنه لم يكن راضياً تمام الرضا عن هذا الفصل، فغياب الحوليات التاريخية المحلية في القرن الثالث عشر، وندرة المادة عن آسيا الوسطى في المصادر الأخرى لذلك العصر، حالا دون إلقاء الضوء على جوانب عديدة من تاريخ آسيا الوسطى في تلك الفترة (خاصة تاريخها الداخلي). وهذه الأسباب حدت بالمؤلف إلى تأجيل نشر الفصل الخامس إلى حين الكشف عن مصادر جديدة وظهور ترجمة كاملة لليوان - شي Yuan-Shi. وثمة مسائل معينة مما لمسه المؤلف في هذا الفصل قد عالج الكلام عليها في بعض مؤلفاته مثل «نبذة في تاريخ يدي صو» و«ألوغ بيك وعصره» الخ.

وهذا الفصل قد ضمّناه الآن في الكتاب بوصفه الفصل الخامس منه. كذلك أضفنا الى طبعتنا هذه «النقاط الرئيسية» Tezisy للبحث التي قدمها بارتولد عند مناقشة الرسالة (وتمثل الملحق الأول). كما أضفنا أيضا نص الكلمة التي ألقاها في تلك المناسبة (وتمثل الملحق الثاني). وهذه الكلمة ذات أهمية كبرى لأنها تعكس آراء بارتولد حول سير عملية التاريخ، ووظيفة علم التاريخ، وما يجب أن يضطلع به المستشرقون الروس في هذا المجال.

والطبعة الروسية «لتركستان»، وكذلك الطبعتان الانجليزيتان، لا تحوي أي منها سوى قائمة مختصرة للمراجع هي أبعد من أن تستوعب كل ما رجع إليه بارتولد في بحثه. وقد بدا لنا أنه من اللازم أن نزوِّد طبعتنا هذه بكشّاف مفصّل للمصادر وللدراسات التي اعتمد عليها بارتولد، يضم إلى جانب ذلك المصادر والأبحاث الجديدة التي ظهرت عقب الترجمة الانجليزية التي راجعها المؤلف وظهرت في عام ١٩٢٨.

وفي الطبعة السابقة للكتاب (أي الطبعة الروسية الأولى والطبعتين الانجليزيتين) لم يتبع نظام موحد للحواشي. ففيما يتصل مثلا بذلك القسم من تاريخ رشيد الدين الذي نشره برزين ترد الإشارة في الحواشي أحيانا وبكل بساطة إلى «برزين»، وأحيانا أخرى إلى «رشيد الدين، منشورات القسم الشرقي»، ومرة ثالثة إلى «منشورات القسم الشرقي» .Trudy Vost. Otd. وفي حالات معينة تشير الصفحات المذكورة إلى المتن الفارسي وإلى الترجمة الروسية/معاً، وفي حالات أخرى الى الترجمة وحدها، وأحياناً تشير إلى المتن وحده، من غير لفت نظر القارىء إلى ذلك. ولقد جهدنا ما أمكن في توحيد نظام الحواشي، وكذلك توحيد ثبت المختصرات (abbreviations) الشائعة الاستعمال.

36

(٧٧) راجع فيما يلي مقدمة المؤلف للطبعة الروسية الأولى لكتابه.

وعندما يحيل بارتولد إلى طبعة مصنفات الجغرافيين العرب في السلسلة المعروفة باسم « مكتبة الجغرافيين العرب » Bibliotheca Geographorum Arabicorum جرت عادته أن يشير في حواشيه إلى الجزء المعين من تلك السلسلة من غير ذكر لاسم المؤلف (رغما من أن الجزئين السادس والسابع من هذه السلسلة يحتوي كل منها على مصنفين لمؤلفين مختلفين)، زد على هذا أن إشاراته إلى الجزء السادس (أي إلى ابن خرداذبه وقدامة) تختلف عن إشاراته إلى بقية الأجزاء في أنه لم يكن يعني بها المتن العربي بل الترجمة الفرنسية. ورغبة منّا في توحيد نظام الحواشي فقد وضعنا أسماء الجغرافيين أنفسهم، كما استبدلنا الإشارات إلى الترجمة الفرنسية بالإشارات إلى المتن العربي فيما يتصل بابن خرداذبه وقدامة.

وفي الطبعة الانجليزية لعام ١٩٢٨ استبدل بارتولد إشاراته الى المخطوطات وأحيانا إلى سفر « المتون » Teksty بإشارات أخرى إلى الطبعات الجديدة للمصادر (كطبعات مصنف السمعاني وجويني وغيرهما). وقد احتفظنا في طبعتنا هذه بالإشارات الجديدة، ولكننا في ذات الوقت أعدنا الإشارات القديمة إلى المخطوطات وإلى « المتون » Teksty حالما ثبت أنها تلقي ضوءا ما على سير عمل المؤلف. كما أننا وضعنا بين زاويتين الإشارات إلى الطبعات الجديدة للمصادر التي ظهرت بعد عام ١٩٢٨، وكذلك إلى طبعات قديمة معروفة لمصادر لم يشر إليها بارتولد. وتعليقاتنا وتوضيحاتنا، كذلك تعليقات هـ.ا. جب (في الطبعة الانجليزية لعام ١٩٢٨) وف.ف. مينورسكي (في الطبعة الانجليزية لعام ١٩٥٨)، وضعت جميعها أيضا بين زاويتين مع الإشارة إلى أصحابها تحت اسم « الناشر » و« جب » و« ف.م. ».

وعقب إرسال مخطوطة هذا الجزء إلى دار النشر تم الكشف بموسكو بمكتبة « معهد شعوب آسيا » Institut Narodov Azii التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية، عن نسختي الطبعتين الروسية والإنجليزية «لتركستان»/ اللتين كانتا في حيازة بارتولد. وهناك على هامش الطبعة الروسية تقييدات عديدة (بالقلم الرصاص وبالحبر) بيد بارتولد نفسه، وفي معظم الحالات تتفق هذه الملاحظات مع التصحيحات والزيادات التي أجريت على الطبعة الانجليزية لعام ١٩٢٨. ويبدو أن تلك النسخة قد استعملها بارتولد في إعداده للنشرة الانجليزية للكتاب. أما في النسخة الانجليزية للكتاب لعام ١٩٢٨ التي كانت في حيازة بارتولد فهناك حوالي العشرين تقييداً يمثل البعض منها تصحيحات لأخطاء مطبعية عارضة، وأمّا بقيتها فقد عملت على أساس نقد بول بليو Paul Pelliot للكتاب، وهو

37

النقد الذي ظهر عام ١٩٣٠[٧٨] أي قبل موت بارتولد بقليل. وهذه التقييدات قد أثبتناها برمتها في الحواشي، وذلك في المواضع الخاصة بها من الكتاب.

وكما ذكرنا قبل قليل فإن الفصل الخامس من «تركستان» قد ظل ناقصاً، زد على هذا أن حواشيه لم تستكمل. لهذا فإن إعداده النهائي للنشر قد تطلب غير قليل من الجهد، كتوضيح الرموز المستعملة في الإشارة الى المخطوطات، وكتوضيح رموز الإشارات الغفل إلى المصادر (ميرخواند مثلا)، والإشارات المزدوجة إلى الطبعات الجديدة للمصادر، وتعليقات للناشر من شتى الأنواع. كذلك أثبتنا عدداً من التعليقات التي خلفها المرحوم س.ل. ڤولين (وذلك بالأحرف الأولى لاسمه «س.ف.»).

ومتن الطبعة الحالية الذي يستند على الطبعة الروسية الأولى لعام ١٩٠٠، والطبعة الانجليزية لعام ١٩٢٨، قد قام بإعداده للطبع في بداية الأمر ن.ا. پتروڤا N.A. Petrova يعاونها ل.ن. كارسكيا L.N. Karskia، أمّا الفهارس فقد قام بإعدادها ت.ا. استطزكيڤتش T.A. Stetzkevich ون. ا. پتروڤا وت.م. سيپنكوڤا T.M. Sipenkova ول.ا. نيكولايڤا L.I. Nikoclaeva.

وأما إعداد الكتاب للنشر فقد اضطلع به كاتب هذه السطور. وهو الذي قام أيضا بوضع التعليقات التي ظهرت تحت اسم الناشرين، وبإثبات الحواشي التكميلية، وباستكمال جدول السنين (لتشتمل الفصل الخامس)؛ كما دوّن أيضاً «النبذة» عن/تاريخ 38 حياة المؤلف التي مرت قبل قليل، هذا إلى جانب كشّاف المراجع فيما يتصل بهذا الجزء من آثار العلامة بارتولد. وقد ضمّ إلى كشّاف المراجع زيادات ذات بال وأتقن من ضبطه ي.ا. بريغل Y.E. Bregel.

وساهم ن.ن. طومانوڤيتش N.N. Tumanovich في الخطوات الأولى لإعداد الفصل الخامس للطبع، وهو الفصل الذي لم ير النور من قبل كما بينّا. أما بقية العمل في إعداد ذلك الفصل للطبع فقد اضطلع به كاتب هذه السطور، كما اضطلع أيضا بإعداد الملحقين الأول والثاني.

وإنه لمن دواعي غبطتنا أن نعرب عن عرفاننا بالجميل لكل من أعانوا في هذا العمل، سواء كان ذلك بمشوراتهم أو نصائحهم أو بالتصحيحات المختلفة والتنويهات النقدية والاشارات الفنية. ونخص بالذكر منهم ا.غ. بولشاكوف O.G. Bolshakov، وي. ا.

---

(٧٨) Pelliot, Notes sur le «Turkestan» de M. W. Barthold,– «T'oung Pao», vol. XXVII, 1930, pp. 12 – 56.

بريغــــل Y.E. Bregel، ول.ت.غوزاليـــــان L.T. Giuzalian، وا.ا. دوڤاتور A.I. Dovatur، وس.ع. كليشتورني S.G. Kliashtorny، وا.ن. كونونوف A.N. Kononov، ون.د. ميكلوخو - ماكــــلاي N.D. Miklukho–Maklai، وف.ف. مينورسكي V.F. Minorsky، وت.ا. مينورسكيــا T.A. Minorskia، ون.ف. بيغوليفسكيا N.V. Pigulevskia، وب.ل. ريفتين B.L. Riftin، وم.ن. صلاح الدينوڤا M.N. Salakhetdinova، وا.ا. سميرنوڤا O.I. Smirnova، وا.ا. اومنياكوف I.I. Umniakov، وك.ن. يوزباشيان K.N. Yuzbashian.

ا. پتروشيفكي

I. Petrushevski

مقدمة المؤلف للطبعة الروسية للكتاب التي ظهرت في عام ١٩٠٠ 39

لن يغيب على ذهن القارىء الفطن أن عنوان هذا الكتاب لا يتفق تمام الاتفاق مع مضمونه. ومرد ذلك الى أن المؤلف قد اختار أهم فترة في تاريخ آسيا الوسطى موضوعاً لبحثه وهي فترة السيطرة المغولية على تلك البلاد، على ألاّ يمس تاريخ القرون السابقة عليها إلاّ بالقدر اللازم لتبيان هدفه أو إن وجد نفسه مضطراً إلى تصحيح واستكمال استقراءات البحاثة السابقين عليه في هذا المجال. غير أن تعمقه في دراسة مراجع بحثه، قد أقنعه بأنه ليس هناك من وصل إلى هذا النوع من الاستقراءات التي تقوم على دراسة للمصادر الأولى، وأنه من غير دراسة مستقلة لهذه المصادر فإنه يصبح من المستحيل الإجابة ولو بدرجة تقريبية على سؤال جوهري مؤدّاه: ما هو الوضع الذي وجد فيه المغول آسيا الوسطى وكيف تشكل ذلك الوضع؟ لكل هذا، وخلافا لما كان عليه مشروعه الأول فإن المؤلف قد اضطر إلى أن يفرد القسم الأكبر من الكتاب لعرض تاريخ الفترة السابقة للغزو المغولي. ولذا فان الكتاب في صورته الراهنة إنما يمثل محاولة للإجابة على الأسئلة الآتية: ما هي الظروف التي حددت مسيرة تاريخ المنطقة قبل المغول؟ وما الذي صاحب ظهور المغول على مسرح الأحداث بتركستان؟ وكيف سارت عملية إخضاع المنطقة؟. وكانت فكرة المؤلف في بداية الأمر، وذلك بصدد الإجابة على كل هذه الأسئلة، هي أن يبحث في الفصل الأخير من الكتاب النظم التي أدخلها المغول في آسيا الوسطى وأن يصل بمصنفه الى عام ١٢٦٩، أي لحظة قيام حكومة مغولية مستقلة بتركستان. وهذا هو السبب الذي جعل مادة «المتون» Teksty، وهي التي تشكل القسم الأول من الكتاب، وكذلك المقدمة المفردة لمعالجة مصادر البحث تتسع لتشمل كل تلك الحقبة من الزمان. بيد أن المؤلف قد قرر فيما بعد أنه من الأفضل لصالح التركيب العام للمصنف أن يقف بالبحث عند موت چنكيز خان، تاركاً تاريخ الأعوام التالية لهذا لبحث قائم بذاته في تاريخ الدولة الچغتائية. وهذه المهمة الأخيرة لم يقدر للمؤلف أن يضطلع بها بعد، لاعتقاده أنه بالنظر لندرة الروايات الإسلامية فإن فهم تاريخ آسيا

الوسطى في القرنين الثالث والرابع عشر لن يتأتى إلاّ بوجود ترجمة كاملة « لليوان - شي » Yuan-Shi .

والمؤلف في إخراجه لطبعة مستقلة للمتون الشرقية التي استعان بها في بحثه، انما كان هدفه تاريخياً وليس لغوياً أدبياً (philological). لذا فقد حصر نقوله/ في المصنفات التاريخية التي تمس موضوع بحثه، صارفاً النظر عمّا لا أهمية له للمؤرخ؛ وقد أشير بنقاط الى ما أسقط من النصوص. وإذا ما ظهر في بعض النقول إيجاز كبير فمرد ذلك إلى أن المؤلف لم يكن بمقدوره استعمال عدد كبير من المخطوطات إلاّ لفترة قصيرة من الزمن، ومن ثم فقد قصر تدوينه على ما هو جوهري للغاية. والنقول المأخوذة عن مخطوطات لندن واكسفورد وباريس ولندن قد دونت منذ عام ١٨٩٥ ، وفي ذلك العام نفسه أيضاً طبع مجلد « المتون » Teksty . ويعترف المؤلف طواعية بأن نظرته إلى مثل هذا العمل الآن إنما تختلف كثيراً عنها قبل خمس سنوات، وأنه كان سيؤديه في الغالب على الظن بصورة أكثر إتقانا ودقة. ففي ذلك الحين لم يتضح له تماماً مشقة تلك المهمة وإن بدت سهلة في ظاهر الأمر، وأعني بها نسخ النصوص ومراجعة المسودة على المخطوطات وتصحيح الملازم الخارجة من المطبعة. ونتيجة لهذا فقد تم تزويد القسم الخاص « بالمتون » بقائمة طويلة للخطأ والصواب. ويبدو واضحاً من هذه القائمة أن العدد الأكبر من الأخطاء قد حدث خلال نسخ النصوص المنقولة من معجم السمعاني عن مخطوطته الموجودة بالمتحف الآسيوي، وهو أمر يجب ألا يدهش له من له علم بهذه المخطوطة. ومن الجائز أن يكون عدد من الأخطاء لم يصحح، إلا أننا لا نعتقد أن من بينها ما يمكن أن يرقى إلى درجة الأهمية للمؤرخين.

والمؤلف لا يعلل نفسه بأي ضرب من الأمل في أن يكون كتابه، الذي يمثل أول محاولة لعرض تاريخ تركستان إعتماداً على المصادر الأولى بجانب الاهتمام بظروف الحياة الاجتماعية وأسلوب الحياة الشعبية، سالماً من المناقص والعيوب التي ليس هناك من سبيل لتلافيها بأية حال عندما يلج المؤرخ أرضاً بكراً لم يسبقه إليها أحد. وفي هذا الشأن أحاط بصياغة النبذة المتصلة بالجغرافيا التاريخية لبلاد ما وراء النهر صعوبات خاصة. ولقد جهد المؤلف في أن يفيد من جميع المصادر، وكذلك من كل ما يمكن أن تقدمه لنا الآثار المتبقية من أزمنة غابرة. غير أن هناك العديد من الأسئلة التي لا يستطيع الإجابة عليها إلاّ من كان في مقدورهم القيام بأبحاث في المنطقة نفسها. وقد أحس المؤلف حين صياغته لهذا الفصل من كتابه أكثر مما أحس مع بقية الفصول، بالأهمية الكبرى للدور

الذي تمثله الأعمال التمهيدية التي يقوم بها الهواة من مستخدمي الإدارة المحلية بتركستان بالنسبة للبحاثة الذين يعملون بالعاصمة. وهو لا يستطيع أن يزيد جديدا إلى ما قالته صحافة تركستان (أنظر «الوقائع التركستانية» Turkestanskie Vedomsti لعام ١٨٩٩، العدد ٨٧)[٧٩] في هذا الصدد، فمن جهة «تقع على عاتق المجهودات المبذولة محلياً مهمة جمع المواد الخام، وكلما زادت حصيلة المادة المجموعة كلما أصبحت مهمة صياغتها العلمية أيسر من ذي/قبل وأضحت الاستقراءات المستمدة منها أكثر صحة ودقة»، ومن ناحية أخرى فإنه «لكي تؤتي أعمال غير المتخصصين ثمارها فإن من الضروري أن تتاح لهم فرصة الإفادة بشكل أوسع من نتائج الكشوفات العلمية وأن تكون دائما تحت تصرفهم خلال عملهم البحوث التي تمكنهم من توجيه أنفسهم التوجيه اللازم، وبذلك يوفرون على أنفسهم مشقة البحث عن أشياء لم تعد سراً على أحد من الناس ولا يكون شأنهم شأن من يحاول الكشف عن أميريكا من جديد». وبهذا تنشأ حلقة مفرغة لا يدري أحد طرفيها من الآخر، فجهود الهواة المحليين لن تؤتي ثمارها المرجوة ما لم تكن تحت تصرفهم «نتائج الكشوفات العلمية»؛ وكذلك فإن الاستقراءات العلمية للبحاثة ليس من الميسور أن تكون «صحيحة وموثوقاً بها» ما لم تقدم لهم المجهودات المبذولة محلياً مقداراً كافياً من «المواد الخام» لأبحاثهم. ولن يتأتى الخروج من هذه الحلقة إلا إذا جهد الطرفان، كل في محيط نشاطه، في بذل طاقتها في هذا المجال وفي أن يقبلا عن طيب خاطر ما يحيط بعملها من نقائص وشوائب نشأت من وضع مؤقت كهذا. والمؤلف يحدوه الأمل في أن يتيح كتابه بقدر ما لهواة البحث من مستخدمي الإدارة بتركستان الفرصة «لتوجيه أنفسهم» في تاريخ آسيا الوسطى إلى عهد چنكيز خان، وأن يحصل هؤلاء المستخدمون بدورهم على المادة اللازمة لتصحيح ما وجد طريقه إلى الكتاب من أخطاء من جهة، وكذلك إلى ما يجد من البحوث المقبلة من جهة أخرى[٨٠]. ولمّا كان

41

(٧٩) (ينقل بارتولد عن «رد على السيد بارتولد» Otvet g-nu V. Bartoldu بقلم ف.ف.. (أي V.L. Viatkin)الذي يرد فيه هذا الأخير على مكتوب بارتولد «رد على السيد ف.ف.» الذي ظهر في «الوقائع التركستانية». Turkestanskie Vedomsti, No 42 من نفس العام. (ومكتوب بارتولد هذا ظهر كرد على نقد ڤياتكين لترجمة بارتولد الروسية لكتاب لين پول Lane Poole «الأسر الحاكمة في الاسلام»، تلك الترجمة التي ظهرت بسان بطرسبرغ عام ١٨٩٩ - الناشرون).

(٨٠) كان طبع الكتاب وتصحيحه قد فرغ عندما اطلع المؤلف على مقال ن.ف. ستنياكوفسكي N.F. Sitnyakovski بصدد وادي زرفشان (ITORGO, t. I, vyp. II, 1900) وعلى مقال ف.ا. كاللاور V.A. Kallaur بصدد أطلال مركز پيروفسكي Perovski (PTKLA, god V) (أجريت التصحيحات والإضافات بناءاً على هذين المقالين في الطبعة الانجليزية لعام ١٩٢٨ - الناشرون).

المؤلف قد وضع في اعتباره هؤلاء القراء التركستانيين، فإنه جهد في أن يتحاشى المصطلحات المتعارفة بين المتخصصين وحدهم، كما اضطر أيضا الى أن يضم إلى كتابه معلومات كثيرة لا تمثل شيئاً جديداً لهذا النفر من المتخصصين. ولهذا السبب نفسه أيضاً فإن المؤلف قد أقلع عن تزويد النبذة الجغرافية للكتاب بخارطة، وذلك لاعتقاده بأن العاملين بتركستان أقدر على القيام بهذا العمل بالنظر لمعرفتهم بفن الكارتوغرافيا (رسم الخارطات الجغرافية)، معتمدين في ذلك على مادة هذا الكتاب وعلى معرفتهم المباشرة بالمنطقة وأنحائها المختلفة. وأرجو أن أوجّه أنظارهم الى أنه عند القيام بهذا العمل فإن من الأهمية بمكان أن يولوا عناية خاصة لمجاري الأنهار الكبرى، ذلك أن اتجاه الأعمدة الرئيسية لكل من امودريا وسيردريا وزرفشان كما سيتضح من ثنايا الكتاب قد تغير بصورة جوهرية في العصور السابقة للغزو المغولي عمّا هو عليه الآن.

وفي الختام يجد المؤلف أن من واجبه أن يعرب عن عميق عرفانه لكل من مدّوا إليه

42 يد العون خلال عمله بمكتبات سان بطرسبرغ ولندن واكسفورد وكمبريدج وباريس/وليدن، وكذلك للعلماء الأفاضل ممن وجهوا سير دراساته سواء بسان بطرسبرغ أو بالخارج. وفكرة الاتجاه إلى دراسة الروايات العربية عن تركستان قد أوحى بها إلى المؤلف لأول مرة وهو لمّا يزل في سني الدراسة البروفسور د.ا. خڤولسون D.A. Khvolson؛ كما أن المؤلف يحفظ ذكرى خالصة الشكر لأستاذه المرحوم اوغست مولر الذي تمكن من الافادة من دروسه في العام الأخير لحياته. هذا وقد اضطلع بالكثير من اللطف بمراجعة الملازم الطباعية للكتاب السادة ك.غ. زاليمان K.G. Zaleman (وذلك فيما يتصل بالنصوص الفارسية) والبارون ف. روزن (وذلك فيما يتصل بالنصوص العربية والمقدمة الجغرافية) ون.ي. مار؛ أما كشّاف المراجع والمخطوطات فقد قام بوضعه ك. اينوسترا نتسف K.A. Inostrantsev. وإن ما يربط البارون روزن بتلامذته من صلة وثيقة لأمر معروف للخاص والعام ولا يحتاج إلى الإعراب عن آيات الثناء، غير أن المؤلف يرى من واجبه أن يذكر أنه قد أفاد من توجيهات البارون روزن بنفس الدرجة التي أفاد بها زملاؤه الأكبر منه سناً، وأنه قد وجد فيه نعم السند الروحي في لحظات الشدة التي لا تخلو منها حياة أي بحاثة في بداية نشاطه العلمي.

ف. بارتولد
يونيو ١٩٠٠

تركستان

من

الفتح العربى إلى الغزو المغولى

مدخل

المصادر

١ – العصور السابقة للغزو المغولي

من العسير أن نقطع بوجود مصنفات تاريخية في آسيا الوسطى قبل الفتح الإسلامي؛ وفي الواقع إن ألفاظ الرحالة الصيني هيـون تسانـغ Hiuen - Tsiang (القرن السابع)[١] تشير إلى وجود أدب من هذا القبيل، غير أنه لم يصل إلى أيدينا منه حتى مجرد عناوين لمصنفات ناهيك عن شيء آخر. واذا ما صح قول أحد علماء القرن الحادي عشر وهو البيروني[٢] فإن الغزاة العرب وفي مقدمتهم قتيبة بن مسلم الباهلي (في بداية القرن الثامن) قد قضوا على طبقة الكهنوت في ايران وبلاد الصغد وخوارزم، أي على حملة الثقافة المحلية، كما قضوا أيضاً على مدوناتهم. ورغماً عن هذا فان المصادر المبكرة لا تذكر شيئاً عن هذا الحادث الذي يبدو في حد ذاته بعيد الاحتمال[٣]، أضف إلى هذا أن الروايات التي وصلتنا متعلقة بالفتح العربي لا تشير إلى وجود طبقة قوية من الكهنوت كانت تعمل على ازكاء روح المقاومة الشعبية ضد الغزاة العرب. وأغلب الظن أنه لم تظهر بآسيا الوسطى، شأنها في هذا شأن ايران إلى عهد الساسانيين، أية آثار تاريخية بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ بل وجدت فقط مأثورات شعبية تناقلها الخلف عن السلف ولم تلبث أن فقدت قيمتها حين دخل السكان المحليون في حظيرة الاسلام ثم طوتها يد النسيان دون أن يكون للغزاة في ذلك أدنى نصيب.

---

(١) Hiouen-Thsang, Mémoire sur les contrées occidentales, trad. par Stan. Julien, Paris, 1857, I, 13

(٢) البيروني، الآثار الباقية، طبعة زخاو Sachau، ص ٣٦، ٤٨؛ وأيضاً الترجمة الانجليزية بقلم زخاو Sachau. PP. 42, 58.

(٣) يرى البروفسور زخاو ناشر مصنفات البيروني أن البيروني عند حديثه عن فتوحات قتيبة قد قارنها في ذهنه بقصة فتح الاسكندر المقدوني لپرسيپوليس Persepolis (راجع كتاب Sachau, Zur Geschichte und Chronologie von Khwarizm. Wien, 1873, i, 29).

ومهما يكن من شيء فانه يجب الاعتراف بأنه فيما يتصل بسير الفتح العربي وما ترتب عليه من نتائج فان اعتمادنا سيقوم على الرواية العربية وحدها. هذا ولقد ظلت اللغة العربية على وجه التقريب هي اللغة الأدبية الوحيدة في العالم الإسلامي بأجمعه على مدى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ولكن منذ بداية القرن الرابع الهجري أصبحت الفارسية شيئاً فشيئاً لغة الأدب في القسم الشرقي من العالم الإسلامي وما زالت محتفظة بهذه المكانة حتى أيامنا هذه؛ أما المصنفات النثرية التي وضعت باللغة التركية فقد كانت وما تزال قليلة العدد.

46

ومن بين المصنفات الفارسية والعربية وجدت طريقها إلى اوروبا قبل غيرها المصنفات المتأخرة العهد ذات الطابع النقلي والتي قدر لها في المشرق أن تزحم الطريق أمام المؤلفات المبكرة ذات الأصالة وتستأثر بالرواج دونها. ومنذ القرن السابع عشر ظهرت ترجمات لاتينية لبعض هذه المصنفات النقلية، فترجم تاريخ المكين[٤] (المتوفي عام ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ - ١٢٧٤)، وتاريخ أبي الفرج[٥] (المتوفي عام ٦٨٥ هـ = ١٢٨٦). وثمة مصنف نقلي ظفر بأهمية خاصة حيناً من الدهر هو تاريخ أبي الفدا[٦] الذي عاش صاحبه في القرن الرابع عشر، وقد تم نشره مصحوباً بترجمة لاتينية في أواخر القرن الماضي. ولقد ثبت الآن أن أبا الفدا في عرضه لتاريخ القرون الستة الأولى للهجرة لم يفعل أكثر من أن نقل حرفياً مادة مؤرخ سابق له هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المشهور بابن الأثير المتوفي عام ٦٣٠ هـ والذي وصل بتاريخه إلى عام ٦٢٨ للهجرة. ولم يحس المشتغلون بتاريخ الشرق الاسلامي بأنهم أمام مادة أصيلة يمكن الاعتماد عليها إلاّ حينما نشر تاريخ ابن الأثير[٧] البالغ الاهمية. وقد امتاز ابن الأثير بأمانة علمية كبرى ومهارة في النقد نادرة بالنسبة لعصره، انعكست في جمعه لمادته الضخمة من شتى المصادر؛ وكان ابن الأثير

---

(٤) Historia Saracenica, qua... a G. Elmacino, Lugduni Batavorum, 1625 (عن المكين ومصنفه التاريخي راجع: Brockelmann, GAL, BdI, s. 348).

(٥) Historia compendiosa dynastiarum... ed. E. Pocockio, Oxon., 1663
(عن أبي الفرج راجع: Brockelmann, GAL, BdI, s. 349 sq)

(٦) Abulfeda Annales Moslemicae, Hafniae, 1789 - 1794
(عن أبي الفدا راجع: Brockelmann, GAL, Bd II, s. 44 sq.)

(٧) Ibn-el-Athiri, Chronicon quod perfectissimum inscribtur, ed. I. Tornberg, Ups. 1851-1853 et Lugd Batav. 1867-1876
وأيضاً طبعة القاهرة ١٣٠١ هـ = ١٨٨٣.
(عن ابن الأثير راجع: Brockelmann, GAL, Bd I, s. 345 sq)

في كل حالة يجد نفسه فيها متردداً في الترجيح بين مصدرين متعارضين ينتهي إلى إثبات كلتا الروايتين. ولا يمكن باية حال اعتبار مصنفه سرداً بسيطاً للأحداث التاريخية فقد جهد ابن الأثير في إطار ذلك المصنف أن يقدم لنا عرضاً جيداً للأفكار والتيارات التي غلبت على كل عصر وتحليلاً صادقاً للشخصيات التاريخية، دون أن يهمل إلى جانب ذلك الكلام على المبرزين في مجال العلم والأدب.

أما فيما يتعلق بتاريخ القرون الثلاثة الاولى للإسلام فقد كان المصدر الرئيسي لابن الأثير هو تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي عام ٣١٠ = ٩٢٣، والذي بلغ به مؤلفه الى عام ٣٠٢ للهجرة. ويعتبر نشر هذا الأثر الضخم الذي اضطلع به لفيف من المستشرقين وأتموه عام ١٩٠١[٨] خطوة كبيرة في تاريخ الاستشراق؛ هذا وقد تعرض المستشرق الألماني كارل بروكلمان C. Brockelmann لمسألة العلاقة بين ابن الأثير والطبري[٩] وخرج بنتيجة مؤداها أنه رغماً من نشر تاريخ الطبري فإن مصنف ابن الأثير سيحتفظ بمكانة بارزة بين المصادر الأساسية حتى بالنسبة لتاريخ الفترة الأولى للاسلام. وكان هدف الطبري كما لاحظ بروكلمان هو أن يقدم في كتابه جماع المادة التاريخية التي وجدت تحت تصرف العرب؛ وهو يكتفي في معظم الأحوال بسرد رواية مصادره، وقد يجمع أحياناً في حكاية واحدة مواد ترتفع إلى مصادر مختلفة ولكنه قليلا ما أحس من نفسه الحاجة إلى ترجيح رواية على أخرى[١٠]. ويجب الاعتراف بأن افتقاره التام إلى روح النقد لأمر مدهش حتى بالنسبة لذلك العصر، أضف إلى هذا أن مصنفه يختلف عن بقية المصنفات التاريخية الأخرى في أن مادته تشح وتنضب كلما اقتربنا من العصر الذي عاش فيه المؤلف حتى تبلغ الغاية القصوى في الإيجاز حينما يعالج الكلام على الأحداث المعاصرة له، وهو أمر قد يمكن رده كما افترض بروكلمان إلى تقدم السن به لأن الطبري من مواليد عام ٢٢٤ هـ = ٨٣٩. أمّا ابن الأثير فقد عالج المادة الموجودة تحت يده بتفهم عميق وأضاف إلى الطبري زيادات هامة؛ ومن الثابت أن عدداً من مصادره لا يزال مجهولاً بالنسبة لنا ولكن في الحالات التي أمكن فيها تحقيق روايته في أصولها فقد تبيّن أن ابن الأثير أهل للثقة بصورة تجعلنا نعتمد عليه اعتماداً كاملاً حتى في الحالات

47

(٨) AT-Tabari, Annales, Lugd. Batav., 1879-1901
(عن الطبري راجع: Brockelmann, GAL, Bd I, s. 142 sq)

(٩) Brockelmann, Das Verhältniss von Ibn el-Atirs Kamil fit-tarih zu Tabaris Ahbar errusul wal muluk, Strassburg, 1890.

(١٠) (في نقده لمنهج الطبري يستدرك بروكلمان على ذلك بقوله « أحياناً » (Gelegentlich) - مينورسكي).

الأخرى التي نجهل فيها جهلاً تاماً المصادر التي استقي منها مادته. وللتدليل على صحة هذا الرأي الذي ندين به لبروكلمان يمكن أن نسوق المثال الآتي. فابن الأثير هو المؤرخ الوحيد الذي يقدم لنا رواية مفصّلة عن الصدام الذي وقع بين العرب والصينيين عام ٧٥١ والذي تقرر نتيجة له مصير القسم الغربي من آسيا الوسطى؛ وقد تبين أن الطبري بل وجميع المصنفات التاريخية المبكرة للعرب التي وصلتنا لم تذكر شيئاً عن هذا الحادث، في حين أن رواية ابن الأثير قد وجدت التأييد التام من المصادر الصينية ممثلة في «تاريخ أسرة التأنغ» Tang[١١].

ومن بين الآثار العربية المتأخرة ذات الطابع النقلي والتي لا تخلو من قيمة بالنسبة لنا تجدر الإشارة إلى معجم للسيَّر وضعه شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان المتوفي عام ٦٨١ هـ = ١٢٨٢؛ وقد طبع أكثر من مرة[١٢] وله ترجمة باللغة الانجليزية[١٣]. ويعمد مؤلفه في أغلب/الأحيان إلى إثبات مصادره[١٤] بل إنه ينقل أحياناً مقتطفات إضافية من مصنفات امتدت إليها يد الضياع. ويأتي دون ذلك في الاهمية بالنسبة لنا مصنف في التاريخ العام ظهرت طبعته في المشرق وندين به إلى قلم ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون المتوفي عام ٨٠٨ هـ = ١٤٠٦[١٥]، ورغماً من هذا فإن الذين عالجوا الكلام على تاريخ الدويلات الشرقية قد اعتمدوا على هذا المصنف إلى جانب اعتمادهم على مصنف ابن الأثير. وفي الواقع إن ابن خلدون الذي عاش في الاندلس والمغرب لا يقدم جديداً بالنسبة لابن الأثير الذي اعتمد عليه ابن خلدون فيما يبدو اعتماداً كبيراً؛ وحتى ذاك

48

(١١) راجع: Bartold, O khristianstve v Turkestane, Zapiski Vost.Otdiel. Russ. Arkh. Ob., VIII, P. 7; وأيضاً Chavannes, Documents sur les Toukiue Occidentaux, pp. 142 sq., 297 sq.

كذلك ترد الإشارة الى هذه المعركة في مصنف الثعالبي، لطائف المعارف. طبعة Jong ص ١٢٦.

(١٢) Ibn-Challikani vitae illustres virorum.. ed. Wüstenfeld, Gottingae, 1835 – 1837; Kitab wafayat al-aiyan. Vie des hommes Illustres de l'Islamisme... pupliees par le baron MacGuckin de Slane, Paris, 1838-42

وأيضاً طبعة شرقية (بولاق) ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٩.

(عن ابن خلكان راجع: Brockelmann, GAL, Bd I, s. 326 sq.)

(١٣) Ibn Khallikan, Biographical Dictionary, transl. by McGuckin de Slane, Paris, 1842-71 (Oriental Translation Fund).

(١٤) راجع عنها: Wüstenfeld, Uber die Quellen des Werkes Ibn-Challikani... Gott., 1837

(١٥) طبع ببولاق عام ١٢٨٤ هـ = ١٨٦٧. (أنظر كشاف المراجع).

النزر اليسير الذي ينفرد به دون ابن الأثير لا يثبت دائماً عند التمحيص الدقيق. وزيادة على هذا فإن تلك الآراء في فلسفة التاريخ التي انعكست في « مقدمته »[١٦] المشهورة لا تمس تاريخ آسيا الوسطى في كثير أو قليل.

ومن الطبيعي أن نجد أنفسنا في وضع أكثر ملاءمة لاستيفاء شروط النقد التاريخي عندما نترك جانباً المصنفات النقلية المتأخرة ونرتفع إلى المصادر الأولى. ويجب الاعتراف بفضل عدد من المستعربين في نشر مجموعة لا يستهان بها من المصادر العربية الأولى مما لم تمتد إليه يد الضياع؛ غير أنه مما يؤسف له أن عددها لا يمكن مقارنته بأية حال بالعدد الكبير للمصنفات التاريخية التي يرجع تأليفها إلى القرون الأولى للهجرة والتي تنتهي معرفتنا بها عند حد عناوينها فقط.

هذا ولقد تعرض أكثر من بحاثة إلى معالجة الكلام عن تطور فن التأليف في مجال التاريخ عند العرب[١٧]، ولهذا فسنكتفي من جانبنا بالإشارة إلى أن أُولى الآثار التاريخية قد تم تدوينها في العصر الأموي. غير أن انتشار الثقافة والمعرفة في العصر العباسي كان هو السبب في اتساع نطاق التأليف في جميع فروع الأدب حتى أمكن منذ نهاية القرن العاشر أن يظهر أثر ضخم يعالج الكلام في تصنيف العلوم، ذلك هو كتاب « الفهرست » لأبي الفرج محمد بن اسحاق النديم. وسيظل هذا المصنف الذي توفر على نشره فليغل Flügel وروديغر Roediger[١٨] المرجع الوثيق لجميع المشتغلين بدراسة الأدب العربي، هذا فضلا عن أننا نجد فيه أحياناً مادة تاريخية قيّمة/ذات طابع عام لا

(١٦) طبع الأصل مع ترجمة فرنسية في: Notices et Extraits, tomes XVI – XXI (أنظر كشاف المراجع).

(١٧) راجع: Von Kremer, Culturgeschichte des Orients, Wien, 1877, II, s. 414 – 425
وعن المؤرخين العرب الأوائل راجع أيضاً مقدمة زخاو Sachau لطبعته لابن سعد (الجزء الثالث) وأيضاً مقاله الذي ظهر في Mitt. des Seminars für orient. Sprachen (MSOS), Bd VII, 1904

(راجع أيضاً الأبحاث الجديدة بقلم F. Rosenthal و H.A.R. Gibb في كشاف المراجع – الناشرون الروس).

(١٨) Kitab al-Fihrist. Mit Anmerkungen hrsg. von Flügel, nach dessen Tode besorgt von J. Roediger und A. Müller. Bd. I, den Text enthaltend, von J. Roediger, Leipzig, 1871; Bd II, die Anmerkungen und Indices enthaltend, von A. Müller, Leipzig, 1872;

(عن ابن النديم راجع Brockelmann, GAL, Bd I, s. 147 sq وأيضاً إشارة موجزة لدى ياقوت، الارشاد، الجزء الرابع، ص ٤٠٨).

أثر لها في المصادر الأخرى. ونلتقي بعدد من أسماء المؤرخين العرب في الموسوعة التاريخية الكبرى لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفي عام ٣٤٥ هـ = ٩٥٦ التي تحمل عنوان «مروج الذهب ومعادن الجوهر» والتي نشرها مصحوبة بترجمة فرنسية باربييه دي مينار Barbier de Meynard[١٩]؛ والمسعودي يقدم لنا أسماء لمؤرخين لم يرد ذكرهم «بالفهرست». كذلك يقدم لنا أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفي عام ٢٧٦ هـ = ٨٣٩ بعض الحقائق عن المؤرخين العرب الأوائل في مصنفه «كتاب المعارف» الذي نشره فستنفلد Wüstenfeld[٢٠].

ومن بين المصنفات التي ورد ذكرها في كتاب «الفهرست» تستوقفنا بوجه خاص مصنفات أبي الحسن علي بن محمد المدائني[٢١] المتوفي عام ٢١٥ هـ = ٨٣٠ أو عام ٢٢٥ هـ = ٨٤٠ والذي يعتبر في رأي العرب أنفسهم الحجة الأولى في تاريخ خراسان والهند وفارس[٢٢]. وفي واقع الأمر إن الطبري حينما يعالج الكلام على الأحداث التي كان مسرحها الأصقاع الشرقية للعالم الإسلامي إنما يعتمد في معظم الأحوال على المدائني نقلاً عن أبي زيد عمر بن شبّة النميري المتوفي عام ٢٦٢ هـ = ٨٧٥ عن تسعين عاماً[٢٣]. ومن بين آثار المدائني التي أوردها «الفهرست» كتاب في أخبار الخلفاء إلى عهد المعتصم (٨٣٣ - ٨٤٢)؛ ومن بين مصنفاته الأخرى فإن الكتب الآتية كانت ستمثل بلا شك

---

(١٩) Maçaudi, Les prairie d'or, texte arabe et trad. franç. par C. Barbier de Meynard et Pavet-de- Courteille, Paris, 1861 - 1877. (عن المسعودي راجع: Brockelmann. GAL. Bd I, s. 143 sq)

راجع النقد اللاذع للمستشرق ماركفارت Marquart بصدد المسعودي في مقدمة كتابه Osteuropäische und ostasiatische Streifzüge, Leipzig, 1903, s. XXXV

(«أنموذج المراسلين الصحفيين المعاصرين الذين يذرعون الأرض جيئة وذهابا»)

(٢٠) Ibn Coteiba's Handbuch der Geschichte, herausg von F. Wüstenfeld, Gott. 1850, ss. 265 sq وقد قام نفس هذا المستشرق بمحاولة لجمع المادة عن المؤرخين العرب وذلك في مقاله «Die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke. Abhandlungen der K. Ges. der Wiss. zu Gottingen, XXVIII».

(٢١) Fihrist, I, s. 100 - 103; ترجمته لدى ياقوت، الإرشاد، الجزء الخامس، ص. ٣٠٩ - ٣١٨. ووفقاً للطبري فإن المدائني توفي في عام ٢٢٨ هـ (III, P. 1330)

(٢٢) Fihrist, I, s. 93. هذا الرأي ينسب الى شخص توفي في عام ٣٥٨ هـ = ٨٧٢ (شرحه، s. 105)

(٢٣) راجع عنه «الفهرست» (s. 93) و«مروج الذهب» الجزء الأول ص ١١، و«الإرشاد»، الجزء الرابع ص ٤٨.

أهمية كبرى بالنسبة لنا، أعني؛ ١) كتابه في فتوح خراسان؛ ٢) كتابه في ولاية أسد بن عبد الله القسري؛ ٣) كتابه في ولاية نصر بن سيّار؛ ٤) كتابه في نوادر قتيبة بن مسلم. ومن الجلي أن المدائني قد رجع إلى مؤلفات السابقين له، مثال ذلك مصنفات صاحب السيرة المشهور محمد بن اسحق بن يسار المتوفي عام ١٥٠ هـ أو ١٥١ هـ = ٧٦٧ - ٧٦٨ والذي ندين له أيضاً بكتاب في «تاريخ الخلفاء»[٢٤] رجع إليه المدائني في رواية مؤرخ آخر هو علي بن مجاهد. وهذا الأخير لم يرد ذكر له في «الفهرست» ولكن يذكره المسعودي[٢٥] على أنه صاحب مصنف بعنوان «كتاب في أخبار الأمويين».

50 أما فيما يتعلق بأخبار العراق فإن الثقة الأول هو/أبو مخنف لوط بن يحي العامري الأزدي[٢٦] المتوفي عام ١٥٧ هـ = ٧٧٣؛ وكما هو معلوم جيداً فقد ظلت خراسان لعهد طويل تتبع ولاية العراق وهذا يفسر لنا السر في اعتماد الطبري اعتماداً كبيراً على رواية أبي مخنف للأحداث التي كان مسرحها خراسان.

هذه المصادر التي اعتمد عليها الطبري لم تصلنا. وثمة آثار أخرى من القرن الثالث الهجري، وهي تعد على الأصابع ولم تتسرب إليها يد الضياع بل إن بعضها قد رأى النور، عالجت أحداث القسم الشرقي للعالم الإسلامي ولكن بإيجاز شديد عند مقارنتها بالطبري، رغماً من أننا نعثر أحياناً لدى هؤلاء المؤلفين على أحداث متفرقة صغيرة لم يسجلها صاحب كتاب «الرسل والملوك». وأول هذه الآثار من حيث القيمة هو كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري أبي الحسن أحمد بن يحي[٢٧]، وفي رواية أبي جعفر، المتوفي عام ٢٧٩ هـ = ٨٩٢؛ وقد قام بنشر هذا الكتاب الذي يعتبره المسعودي أفضل كتب الفتوحات الإسلامية قاطبة المستشرق الهولندي البروفسور دي خويه De Goeje[٢٨]. ولعل أهم مصدر من مصادر البلاذري التي لم يرد لها ذكر لدى الطبري هو أبو عبيدة

(٢٤) «الفهرست». Fihrist, I, s. 92

(٢٥) «مروج الذهب» Prairie d'or, I, 2

(٢٦) كتاب المعارف s. 267 Fihrist, I, s. 93; Prairies d'or, I, p. 10; Ibn Coteiba؛ ياقوت، الارشاد، الجزء السادس، ص ٤٨؛ Wüstenfeld ,Der Tod des Husein ben Ali, Gott., 1883, s. III - IV.

راجع أيضاً مقال بارتولد عن «أبي مخنف» في ZVORAO, t. XVII, str. 0147 - 0149

(٢٧) Fihrist, I, 113; Maçaudi, Prairie, I, 14; Kremer, Culturgeschichte, Bd II, s. 420

(٢٨) Beladsori, Liber expugnationis regionum, ed. M.J. de Goeje, Lugd. Batav. 1866 (عن البلاذري راجع: Brockelmann, GAL, Bd I, s. 141)

معمر بن المثنى[٢٩] المتوفي بين عامي ٢٠٧ هـ = ٨٢٢ و٢١١ هـ = ٨٢٦. وكان أبو عبيدة من خيرة العارفين بأخبار العرب، وقد نقل عنه البلاذري أخباراً لم يرد ذكرها في المصادر الأخرى. فأبو عبيدة مثلاً، وهذا على عكس ما ترويه المصادر الأخرى، يرجع بأول غارة للعرب وراء نهر امودريا إلى خلافة عثمان حين كان عبد الله بن عامر والياً على خراسان[٣٠]؛ ومن الغريب أننا نلتقي في المصادر الصينية[٣١] برواية عن غارة للعرب بين عامي ٦٥٠ و٦٥٥ نهبوا فيها مقاطعة ما يرغ (إلى الجنوب الشرقي من سمرقند).

وجدير بالإهتمام أيضاً مصنف في التاريخ العام لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفي في عام ٢٨٤ هـ = ٨٩٧، قام بنشره البروفسور هوتسما Houtsma[٣٢]. ويرجع تأليف هذا الأثر إلى النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة، 51 /ووصل به مؤلفه إلى عام ٢٥٨ هـ = ٨٧٢؛ ووفقاً لألفاظ ناشر الكتاب[٣٣] فإن اليعقوبي لا تربطه بالطبري ومصادره صلة رحم، فهو ينتمي إلى مجموعة أخرى يمكن أن نضم إليها المسعودي والمكين ويوتيخوس[٣٤] وآخرين. غير أن اليعقوبي في معالجته الكلام على تاريخ خراسان يعتمد على المصدر الأساسي للطبري، أعني مؤلفات المدائني[٣٥]، رغماً من أننا نلتقي لديه أحياناً بتفاصيل لا وجود لها لدى الطبري.

(٢٩) Fihrist, I, 53 – 54; Ibn Coteiba, 269; Ibn Khallikan, No 741 (ترجمة دي سلان، الجزء الثالث، ص ٣٨٨ وما يليها).
هناك تحليل مفصل لشخصية أبي عبيدة في كتاب Goldziher, Muhammedanische Studien (Halle, 1888), I, 194 – 206

(٣٠) Beladsori, p. 408

(٣١) Bichurin, Sobranie svedenii o narodakh... St. P. 1851, III, 245; Chavannes, Documents, p. 144
لعل Mi الصينية ها هنا إنما يقصد بها مرو

(٣٢) Ibn Wadhih qui dicitur al-Yaqubi, Historiae, Ed. M. Th. Houtsma, pars 1, historiam ante-islamicam continens; pars 2, historim islamicam continens, Lugduni Batavorum, 1883
(عن اليعقوبي راجع: Brockelmann, GAL, B I, s. 226؛ وياقوت، الإرشاد، الجزء الثاني، ص ١٥٦ وما يليها).

(٣٣) تاريخ اليعقوبي، الجزء الأول، ص VIII.

(٣٤) بطريرك الاسكندرية، توفي عام ٣٢٨ هـ = ٩٤٠. أما مصنفه الذي لا يمثل أهمية كبرى لنا فقد نقل الى اللاتينية في القرن السابع عشر وأعيد نشره فيا بعد ضمن مجموعة «Scriptores Orientis Christiani».

(٣٥) تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، ص ٤.

وأخيراً يمكننا أن نشير إلى مصنف أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفي عام ٢٨٨ هـ = ٩٠١ ، الذي تولى نشره جرجاس Girgas[٣٦] ؛ فهذا الأثر الذي وصل به مؤلفه إلى عام ٨٤٢ فقط لا يخلو من بعض الفائدة بالنسبة لنا رغماً من إيجازه الشديد.

وإلى جانب أدب التاريخ ظهر أيضاً منذ القرن الثالث الهجري أدب الجغرافيا الذي يمكن أن ينضوي تحته من ناحية قصص الرحالة الذين كان هدفهم أن يشبعوا تشوف الجماهير إلى سماع الحكايات المتعلقة بالأماكن النائية والأصقاع المجهولة، ومن ناحية أخرى كتب الخراج التي وضعت من أجل عمال الدواوين. وقد تم تصنيف المؤلفات من هذا الضرب الأخير منذ القرن الثاني الهجري، فيرد مثلاً ذكر لكتاب في خراج خراسان لحفص بن منصور المروزي كاتب علي بن عيسى والي خراسان[٣٧] (١٨٠ هـ - ١٩١ هـ = ٧٩٦ - ٨٠٧). أما الآثار الجغرافية التي وصلتنا من القرنين الثالث والرابع الهجري فقد تم نشرها على يد دي خويه تحت عنوان جامع هو «مكتبة الجغرافيين العرب» Bibliotheca Geographorm Arabicorum. وأقدمها عهداً كتاب عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه[٣٨] الذي ترتفع مسودته الأولى إلى حوالي عام ٢٧٢ هـ = ٨٨٥ - ٨٨٦. ويليه من الناحية الزمنية مصنف ندين به إلى اليعقوبي[٣٩] الذي مر ذكره كمؤرخ قبل قليل، وقد تم تأليفه في عام ٢٧٨ هـ = ٨٩١ ؛ كما يرجع إلى الأعوام الأولى من القرن العاشر الميلادي مصنفا أبي علي أحمد بن عمر بن رسته[٤٠] وابن الفقيه الهَمَذاني[٤١].

52 والتدهور والانحلال اللذان وجدا طريقهما إلى الخلافة الإسلامية في القرن التاسع الميلادي أصبحا حقيقة مسلّماً بها في القرن العاشر، فقد قامت في جميع أرجاء العالم الاسلامي أسر حاكمة استقلت بمناطقها ودخل بعضها مع البعض الآخر في حروب

---

(٣٦) Abu Hanifa ad-Dinaweri, Kitab al-ahbar at-tiwal, publié par Wladimir Guirgas, Leide; Brockelmann, GAL, Bd I, s. 123; Kratchkowsky, Préface etc. à Abu Hanifa, Leide, 1912; C. Seybold, ZDMG, Bd LXVII, 1913. :ونقده لدى

(٣٧) (كرديزي) 2 ص ، Teksty.

(٣٨) BGA, VI; Brockelmann, GAL, Bd I, s. 225. عن زمن تصنيف هذا الكتاب راجع ابن خرداذبه، المقدمة ص XVIII - XX ولكن قارن ذلك برأي ماركفارت (Markuart, Osteur. u. Ostas. Streifzüge, Leipzig, 1903, p. 390) الذي يقول بوجود مسودة واحدة دونت حوالي عام ٢٧٢ هـ .

(٣٩) BGA, VII

(٤٠) شرحه؛ انظر: Brockelmann, GAL, Bd I, s. 227

(٤١) BGA, V; Brockelmann, GAL, Bd I, s. 227. وتوجد إشارة مقتضبة للغاية لدى ياقوت (الإرشاد، الجزء الثاني، ص ٦٣).

طاحنة. ونظراً لأن كل أمير قد جهد في أن يجعل من عاصمته مركزاً للثقافة والحضارة فقد اجتذبوا إليهم الشعراء والأدباء وأهل العلم حتى انه ليمكن القول بأن انحلال الامبراطورية الاسلامية قد أعان على ازدهار العلوم والآداب، إن لم يكن من حيث الكيف فلا أقل من حيث الكم. ومن بين دويلات القرن العاشر تحتل مكانة مرموقة بالنسبة لنا دولتان، إحداهما دولة بني بويه التي سيطرت على العراق وايران الغربية، والأخرى دولة السامانيين التي غلبت على بلاد ما وراء النهر وايران الشرقية.

ونظراً للعلاقات الوثيقة التي ربطت بين البويهيين والسامانيين، سواء كانت علاقات سلمية أم عدائية، فقد كان من المقدّر أن تصبح المصنفات التاريخية التي تم تدوينها في بلاط البويهيين ذات أهمية في دراسة تاريخ آسيا الوسطى أيضاً. غير أنه من المؤسف حقاً أننا مضطرون إلى اعتبار هذه الآثار مفقودة حتى هذه اللحظة. ويحتل المكانة الأولى بينها مصنف لأبي الحسن ثابت بن سنان الصابي[٤٢] الذي كان طبيباً لمعز الدولة البويهي وتوفي عام ٣٦٥ هـ = ٩٧٦، وتاريخه يشمل الفترة من عام ٢٩٥ هـ (باعتلاء المقتدر عرش الخلافة) إلى عام ٣٦٣ هـ.

وأتم مصنفه هذا ابن أخيه أبو الحسين هلال بن المحسّن الصابي[٤٣] المتوفي عام ٤٤٨ هـ = ١٠٦٥ والذي وصل بتاريخه إلى عام ٤٤٧ هـ؛ غير أنه لم يتبق لنا من هذا الأثر الأخير سوى قطعة صغيرة تضم تاريخ ثلاثة أعوام فقط (٣٩٠ هـ - ٣٩٢ هـ) موجودة في مخطوطة فريدة بالمتحف البريطاني (Cod. Add. 19 360)، وفيها نلتقي برواية طريفة عن احتلال القراخانيين لبخارا نشرها مصحوبة بترجمة روسية البارون ف.ر. روزن V.R. Rozen[٤٤]. هذا وقد أكمل غرس النعمة محمد بن هلال الصابي تاريخ أبيه فبلغ به إلى عام ٤٧٦ هـ[٤٥].

---

(٤٢) راجع عنه: Chwolsohn, Die Ssabier und der Ssabismus, St. p. 1856, Bd I, s. 578 sq; والفهرست، ص ٣٠٢؛ وابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٤٧٦؛ ياقوت، الإرشاد، الجزء الثاني، ص ٣٩٧.

(٤٣) راجع عنه: Chwolson, Die Ssabier, Bd I, s. 606 sq.

(٤٤) Rozen, Rasskaz Khilalia as-Sabi, str. 272 sq.; Brockelmann, GAL, Bd I, s. 323 القطعة المأخوذة عن هلال نشرها على حدة امدروز Amedroz، ثم طبعت مرة ثانية في كتاب The Eclipse of the Abbasids, vol. III؛ الترجمة بقلم مارجوليوث Margoliouth في الجزء السادس.

(٤٥) لم يلبث عدد من المؤلفين أن أكملوا هذا المصنف فبلغوا به الى عام ٦١٦ هـ، أنظر حاجي خليفة. Lex. bibliographicum, ed. Flügel, II, P. 123؛ وروايته عنه منقولة من القفطي، تاريخ الحكماء، طبعة Lippert ص ١١٠ وما يليها.

وإلى جانب هذه يرد الكلام على آثار أخرى، ففي معجم السمعاني (الذي سيمر بنا الكلام عليه في حينه) نلتقي مثلا بإشارة إلى مصنف تاريخي لأبي محمد اسماعيل بن علي الخطبي المتوفي عام ٣٥٠ هـ = ٩٦١، يقول عنه السمعاني إنه جدير بالثقة[٤٦].

53

وإلى أسرة ثابت وهلال ينتسب أيضاً أبو اسحق ابراهيم بن هلال[٤٧] المتوفي عام ٣٨٤ هـ = ٩٩٤ والذي ألف لعضد الدولة حوالي عام ٣٧١ هـ/كتاباً في تاريخ بني بويه بعنوان «كتاب التاجي في دولة الديلم»[٤٨]. وكثيراً ما رجع إلى هذا الكتاب المؤلفون المتأخرون، وكان يعد أنموذجاً للأدب الفني في حين أنه لا يمكن القول بأنه قد تميّز بالدقة التاريخية لأن هدف المؤلف الأساسي كان هو الإشادة ببني بويه، زيادة على أنه يعترف شخصياً بأنه قد ملأ كتابه بمدحهم وذكر مآثرهم تحقيقاً لهدفه[٤٩].

ولنذكر أخيراً أن المؤرخ جويني[٥٠] الذي دوّن مؤلفه في القرن الثالث عشر قد عثر عند استيلاء المغول في عام ١٢٥٦ على قلعة الموت عاصمة طائفة الاسماعيلية بمصنف في خزانة كتب زعماء هذه الطائفة يحمل عنوان «تاريخ جيل وديلم»، وهو لمؤلف مجهول وضعه لفخر الدولة البويهي المتوفي عام ٣٨٧ هـ = ٩٩٧[٥١].

---

(٤٦) الخطبي Teksty, str. 57; Samani, facs. ed. Margoliouth, ؛ الإرشاد، الجزء الثاني، ص ٣٤٩؛

(٤٧) Chwolsohn, Die Ssabier, Bd I, s. 588 sq.; Ibn al-Athir, VIII, 397; IX, 11, 74; Brockelmann, Bd I, S. 96. ترجمته لدى ياقوت، الإرشاد، الجزء الأول، ص ٣٢٤ - ٣٥٨، مع مقتطفات من مصنف سبطه هلال

(٤٨) [يذكر بوزورث C.E. Bosworth أن مخطوطة قسم من موجز «لكتاب التاجي» قد وجدت باليمن. راجع: M.S. Khan, «A manuscript of an epitome of al-Sabi's Kitab al-Tagi», Arabica, XII, 1965, 27-44 وهو يقوم بتحضير طبعة لهذا القسم].

(٤٩) راجع: Glodziher, Muh. Studien, I, 159.

(٥٠) مخطوطة مكتبة لنينجراد: Ruk. GPB, IV, 2, 34, l. 275؛ القراءة جيل بدلا من جنك مأخوذة عن مخطوطة خانيكوف GPB, Khanikov 71.

(٥١) عن مصنف (ابن) مسكويه ومتممه راجع ما يلي من الكتاب (ص ١٠٠ حاشية ١٩٨). [ويحفل كتاب الارشاد لياقوت بعدد وفير من المقتطفات المنقولة عن مصنفات في تاريخ البويهيين مفقودة الآن؛ ومما يؤسف له أن كتاب الإرشاد (الذي نشره مرجليوث D.S. Margoliouth ضمن سلسلة جب التذكارية (Gibb Mem. Series, VI لا يزال ناقصاً، وتعوزه الفهارس. راجع مثلا الإشارة الى مصنف تاريخي ألّفه الوزير أبو سعد منصور بن الحسين الآبي المتوفى عام ٤٢١ هـ (الجزء الثاني، ص ٣٠٤ والجزء الخامس، ص ٣٥٥) والذي يرد ذكره أيضاً في المعجم مرات عديدة (الفهرس، الجزء السادس، ص ٣٧٠). وأيضاً في ترجمة أبي حيان التوحيدي (الإرشاد، الجزء الخامس، ص ٣٨٠ - ٤٠٧) حيث يرد الكلام مراراً عن خصومته مع الوزيرين أبي الفضل بن العميد واسماعيل بن عبّاد. وترد نقول من =

ولم يكن اهتمام السامانيين بتشجيع الأدباء وأهل العلم بأقل من تشجيع البويهيين. ونظراً لأن السامانيين من سلالة ايرانية فقد اتجهت عنايتهم بصورة خاصة نحو تشجيع الشعر الفارسي، وإن كان هذا لم يحل دون وجود عدد من الشعراء الذين صاغوا قصائدهم بالعربية في بلاط السامانيين. وبين أيدينا مادة وافرة عن هؤلاء الأخيرين في مجموعة المنتخبات الشعرية التي اختارها الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد المتوفي عام ٤٢٩ هـ أو عام ٤٣٠ هـ = ١٠٣٧ - ١٠٣٩. والقسم الأخير من منتخباته هذه مكرس لشعراء خراسان وما وراء النهر، الذين عرف بعضهم شخصياً عند زيارته لبخارا عام ٣٨٢ هـ = ٩٩٢. ويمكن استخراج تفاصيل شيّقة تساعد على تصوير الحياة الاجتماعية تحت حكم السامانيين من سير من ترجم لهم من الشعراء. وكتاب الثعالبي الذي يحمل عنوان « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » قد طبع مراراً بالمشرق[٥٢]، كما وأن هناك ترجمة فرنسية لقطع من القسم الأخير/نشرها باربييه دي مينار في « المجلة الآسيوية » Journal Asiatique[٥٣]. 54

ويصف الثعالبي[٥٤] بخارا في عهد السامانيين بقوله إنها كانت « ... مثابة المجد وكعبة

= هذا الكتاب أيضاً في ترجمة ابن عباد (الجزء الأول، ص ٢٧٣ - ٣٤٣). وتوجد معلومات قيمة للغاية عن نظام الحكم والمصطلحات الادارية في الدويلات الايرانية للقرن العاشر في كتاب مفاتيح العلوم لأبي عبد الله محمد بن يوسف الخوارزمي ed. G. Van Vloten, 1895. راجع عنه: Brockelmann, Bd I, S. 244

(٥٢) (بدمشق في عام ١٣٠٤ هـ = ١٨٨٦ - ١٨٨٧ وفقاً لبروكلمان؛ وهي نفس الطبعة التي رجع إليها بارتولد - الناشرون) طبعة بيروت ١٨٧٣. وتوجد مادة لا تخلو من الطرافة في رسالة أخرى لنفس هذا المؤلف تضم أقوال المشهورين من الحكام والوزراء والكتاب. هذه الرسالة نشرت في أصلها العربي مع ترجمة لاتينية على يد ڤاليتون (Specimen e Litteris) orientalibus, exhibens Taalibii Syntagma dictorum brevium et auctorum, quod... ed., latine reddidit, et annotatione illustravit J.J. Ph. Valeton, Lugduni Batavorum, 1884) (راجع عن الثعالبي ص ٨٢، حاشية ١١٦، - الناشرون).

(٥٣) JA, Sér. 5, t. I, III. وثمة نقول من أقسام أخرى من مصنف الثعالبي توجد في كتاب Dieterici عن المتنبي (Leipzig, 1847) وكتاب دڤورجاك R. Dvorak عن أبي فراس (Leiden, 1895). والأول منها يورد قائمة بجميع الشعراء الذين يذكرهم الثعالبي. أضف الى هذا أن رسالة ديتريصي للدكتوراه مكرسة أيضاً ليتيمة الدهر. والثعالبي له أيضاً كتاب لطائف المعارف (éd.p. Jong, 1867)، الذي توجد به إشارة قيّمة إلى كاغذ (ورق) سمرقند (p. 126) وبعض سلع التجارة الأخرى.
أنظر أيضاً: Brockelmann, Bd I, 284 sq.

(٥٤) الطبعة الشرقية، الجزء الرابع، ص ٣٣؛ JA, III, 291

الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر ». كما أن ابن سينا قد وصف لنا في ترجمته لسيرة حياته خزانة كتب السامانيين (وذلك على عهد نوح بن منصور المتوفى عام ٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) بقوله[٥٥]: « فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على البعض. في بيت كتب العربية والشعر، وفي آخر الفقه، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد. وطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه، ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط وما رأيته قبلُ ولا رأيته أيضاً من بعد. فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها وعرفت مرتبة كل رجل في علمه ».

ورغماً من هذا فيبدو أن آدب التاريخ لم يبلغ بين السامانيين الشأو الذي بلغه في دولة بني بويه. وفي عام ٣٥٢ هـ = ٩٦٣ نقل أبو علي محمد بن محمد البلعمي وزير السامانيين على عهد عبد الملك ومنصور والمتوفي عام ٣٦٣ هـ = ٩٧٤[٥٦] تاريخ الطبري إلى اللغة الفارسية ولكنه لم يصل به إلى العصر الذي عاش فيه؛ هذا وقد نقل كتاب البلعمي إلى اللغة الفرنسية المستشرق زوتنبرج H. Zotenberg[٥٧]. وفيما عدا هذا الأثر الذي فقد بالتالي قيمته كمصدر تاريخي عقب طبع الأصل العربي لتاريخ الطبري[٥٨] فانه

55

---

(٥٥) Ibn Abi Useibia, ed. A. Müller, Königsberg, 1884, II, 4، وأيضاً القفطي تاريخ الحكماء ص ٤١٦؛ راجع ابن خلكان، طبعة وستنفلد، السيرة ٣٠٨ (وترجمة De Slane الجزء الأول، ص ٤٤١)، حيث يضيف أن المكتبة قد أحرقت فيما بعد وأن ثمة شائعات تنسب احراقها الى ابن سينا نفسه الذي أراد بذلك ألاّ يشاركه أحد في المعارف التي حصل عليها.

(٥٦) هذا التاريخ يرد لدى كرديزي (Cod. Bodl. Ouseley 240, fol. 129). ويورد دكتور ريو Dr. Rieu خطأ تاريخ ٣٨٦ هـ (Catal. of Pers. MSS, Vol. I, P. 70)، مستنداً في هذا على (de Sacy, Histoire de Yémineddoula) Notices et extraits, t. IV, 363، غير أن القول هناك إنما يتعلق في الواقع بأبي علي سيمجوري وليس ببلعمي. أضف الى هذا أن أبا علي بلعمي يذكره المؤرخ العتبي على أنه كان لا يزال حياً ومتقلداً لمنصبه حوالي عام ٣٨٢ هـ : راجع العتبي - المنيني، ص ١٧٠، وأيضاً مخطوطة العتبي MS. As. Mus., l. 32، ونرشخي طبعة Schefer ص ١٥٩.

(٥٧) Chronique de Abou-Djafar, Mohammed-ben-Djarir - ben - Yezid Tabari, traduite sur la version persane d'Abou - Ali Mohammed Belami... par H. Zotenberg, t. I, IV, Paris, 1867 - 1874

أما الأصل الفارسي فقد طبع مرات بالشرق طبعة حجرية.

(راجع عن بلعمي: Barthold, Bal'ami; Storey, Persian literature, vol. I, pt 1, sect. II, fasc. 1, pp. 61 - 65 - الناشرون)

(٥٨) (لا يشارك المتخصصون في الآونة الحاضرة مؤلف الكتاب هذا الغلو في الاستقراء. فقد ثبت الآن أن بلعمي قد اعتمد فيما يظهر على مسودة مكتملة للطبري لم تصلنا (بل وعلى مصادر أخرى أيضاً)؛ لهذا فإن كتاب بلعمي يقدم معلومات لا نلتقي بها في طبعة ليدن التي تستند على مسودة الطبري الموجزة التي وصلت إلينا - الناشرون).

ليس في وسعنا أن نذكر سوى مصنف واحد هو كتاب « التاريخ في أخبار ولاة خراسان » الذي وضعه باللغة العربية أبو الحسين علي[٥٩] بن أحمد السلاّمي. ويرد اسم هذا المؤلف في كتاب الثعالبي[٦٠] الذي لا يكاد يفيدنا بشيء عنه؛ ومبلغ علمنا أنه قد انخرط في خدمة ابي بكر بن محتاج چغانى (أي من صغانيان) وابنه ابي علي وأنه قد شاركهما مصيرهما؛ وكما هو معلوم جيداً فان أبا علي قد رفع راية العصيان مراراً ضد نوح بن نصر كما رفعها أيضاً ضد عبد الملك، وذلك قبل زمن وجيز من وفاته التي حدثت في عام ٣٤٤ هـ = ٩٥٥. ومما سنبصره فيما يلي فإن كتاب السلاّمي كان بلا ريب هو المصدر الأساسي للمؤرخين الذين فصّلوا القول في تاريخ خراسان وما وراء النهر من أمثال كرديزي وابن الأثير؛ وإلى جانب ابن الأثير فقد استعمل مصنف السلاّمي من مؤلفي القرن الثالث عشر أيضاً كل من جويني[٦١] وابن خلكان، خاصة الأخير[٦٢]. ورغماً من معالجته لتاريخ خراسان بصورة وافية إلاّ أنه يبدو أن السلاّمي قد جهد في إخفاء « مساوىء » حكامها، فهو مثلا لا يذكر شيئاً ما عن قصة إلحاد نصر بن أحمد. والواقعة الأخيرة لا وجود لها عند أي من أصحاب التواريخ العامة/التي اعتمد مؤلفوها على السلاّمي سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة؛ هذا على الرغم من أنها في حد ذاتها ليست موضعاً للشك، مما سنحاول التدليل على صحته عند معالجتنا الكلام على تاريخ السامانيين[٦٣]. ومن بين

56

(٥٩) هكذا ورد لدى ابن خلّكان، ولكن يجب قراءته: أبو علي الحسين؛ أنظر مقال Barthold, Zur Geschichte der Saffariden, s. 174 sq.

(٦٠) يتيمة الدهر، الطبعة الشرقية، الجزء الرابع، ص ٢٩؛ والترجمة الفرنسية الجزئية بقلم باربييه دي مينار JA, I, 212.

(٦١) يشير جويني إلى السلامي؛ أنظر جويني، الجزء الثالث، ص ٢٧١.

(٦٢) وذلك في ترجماته للآتية أسماؤهم: ١ – طاهر بن الحسين (No 308)، ٢ – عبد الله بن طاهر (No 350) ٣ – الفضل بن سهل (No 540)، ٤ – قتيبة بن مسلم (No 553)، ٥ – المهلب بن أبي صفرة (No 764)، ٦ – الصفّاريّون (No 838). كذلك ترد الاشارة مراراً الى مصنف السلامي في الإرشاد لياقوت، مثلا في ترجمة الجيهاني (الجزء السادس، ص ٢٩٣). ورجع اليه أيضاً ابن ماكولا (السمعاني، المخطوطة المصورة، مادة « اليفتلي ») وهو ابو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله (المتوفى عام ٤٧٣ هـ = ١٠٨٠ – ١٠٨١) صاحب « كتاب الإكمال »: راجع ميرخواند: Wilken, Mirchond's Geschichte der Sultane aus dem Geschlechte Buyeh, s. 108. وترجمة ابن ماكولا لدى ياقوت، الإرشاد، الجزء الخامس، ص ٤٣٥ – ٤٤٠، حيث ترد الإشارة الى مصنف آخر له هو « كتاب الوزراء ».

(٦٣) ترد في الإرشاد (الجزء الثاني، ص ٦٠) إشارة الى مصنف (لعله يرجع الى عهد متأخر بعض الشيء) في تاريخ خراسان هو « فريد التاريخ في أخبار خراسان » لأبي الحسين محمد بن سليمان. (يجب قراءته « مزيد التاريخ » بدلا من « فريد التاريخ » – مينورسكي).

السابقين للسلاّمي يمكن أن نذكر أبا القاسم عبد الله بن أحمد البلخي الكعبي المتوفي عام ٣١٩ هـ = ٩٣١، صاحب كتاب «محاسن آل طاهر» وكتاب «مفاخر خراسان»[٦٤].

ويبدو أن أدب الجغرافيا قد حظي في دولة السامانيين بعناية أكثر مما حظي بها أدب التاريخ[٦٥]، ففي رحاب دولتهم وبمدينة بلخ عاش الجغرافي أبو زيد أحمد بن سهل البلخي المتوفي عام ٩٣٤[٦٦]. وفي رأي جغرافي متأخر هو المقدسي فإن مصنف البلخي إنما يمثل في جوهره شرحاً على مصورات جغرافية من عمل يده، لذا فقد جاء مصنفه مقتضباً للغاية يفتقر إلى التفصيل والترتيب ويهمل ذكر المدن الهامة[٦٧]. وقد وصل مصنف البلخي إلينا في مسودة مصلّحة من عمل أبي أسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري[٦٨] (حوالي عام ٩٥١)؛ ولم يلبث أن زاد على هذا الأخير وأكمله أبو القاسم بن حوقل[٦٩] (حوالي عام ٩٧٦). وكل من الاصطخري وابن حوقل ينتميان إلى القسم الغربي من العالم الاسلامي، ولكنهما زارا بلاد ما وراء النهر وتركا وصفاً مفصلاً لها.

---

(٦٤) حاجي خليفـــــة، الجزء الخامس، ص ٤١٢، والجزء السادس، ص ٧. Wüstenfeld, Die Geschichtschreiber, s. 33.

(٦٥) قام فيران بجمع معلومات وافية تتعلق بهذا الأدب وبمعرفة العرب بالصين وبالهند الصينية في مصنفه G. Ferrand, Relations de voyages et Textes géographiques arabes, persans et turks relatifs à l'Extrême... Orient du VIIIe au XVIIIe siècles, tt. I, (1913) et II. (1914), مع استمرار الترقيم بالنسبة لصفحات الجزئين. وفي الجزء الثاني (pp. 627 sq) يضم المتون المأخوذة عن اللغات الصينية واليابانية والتامل والكاوي والملاوية.

(٦٦) راجع عنه وعن مسودات مصنفه بحث دي خويه – De Goeje, Die Istakhri – Balkhi Frage, s. 42 (58. ورغما من ذلك فان بروكلمان (GAL, Bd I, s. 229) يكرر الخطأ الشائع بأن مخطوطة مكتبة برلين إنما هي للبلخي.

عن المخطوطات الجديدة راجع كراتشكوفسكي Kratchkowsky, préface etc. à Abu Hanifa, p. 24 ونقد زيبولد Seybold, ZDMG, Bd LXVII, S. 541 (أنظر أيضاً: Krachkovski, Arabskia– geograficheskia literatura, str. 195 – 196 الناشرون)

(راجع الترجمة العربية: اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة ١٩٦٣ – ١٩٦٥، ص ١٩٨ – ١٩٩ – المترجم).

(٦٧) المقدسي، BGA, iii, 4: ترجمة هذه الفقرة لدى دي خويه (Die Istakhri – Balkhi Frage s. 56)

(٦٨) BGA, I

(٦٩) BGA, II

57 ويصدق هذا القول نفسه على شمس الدين/أبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي(٧٠) (حوالي عام ٩٨٥)، أحد كبار الجغرافيين في تاريخ البشرية قاطبة؛ ووفقاً لرأي كريمر Kremer(٧١) (وهو يردد هنا ألفاظ اشبرنجر Sprenger) فإن « مادته عن المناخ والمنتجات والتجارة والعملة والموازين والمقاييس وعادات الناس والخراج وجزية كل بلد لتعتبر من أقيم ما يوجد بين أيدينا من معطيات في تاريخ الحضارة الشرقية »(٧٢)

وكان أبو زيد البلخي متمتعاً برعاية وزير السامانيين أبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني(٧٣) الذي تولى تدبير شؤون الدولة في حداثة نصر بن أحمد (أي ابتداء من عام ٩١٤). ويقول كرديزي(٧٤) عن الجيهاني إنه كان « صاحب تآليف كثيرة في جميع فنون العلم »؛ ومن بين هذه التآليف مصنف جغرافي يحمل العنوان المألوف « كتاب المسالك والممالك ». وعنه يقول المقدسي ما نصه(٧٥): « أما أبو عبد الله الجيهاني..... فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودَخْلها وكيف المسالك إليها وارتفاع الخنّس منها وقيام الظل فيها ليتوصل بذلك إلى فتوح البلدان ويعرف دخلها ويستقيم له علم النجوم ودوران الفلك. ألا ترى كيف جعل العالم سبعة أقاليم وجعل لكل إقليم كوكباً، مرة يذكر النجوم والهندسة، وكرّة يورد ما ليس للعوام فيه فائدة، وتارة ينعت أصنام الهند، وطوراً يصف عجائب السند، وحيناً يفصّل الخراج والرّد. ورأيته ذكر منازل مجهولة ومراحل مهجورة ولم يفصّل الكور، ولا رتب الأجناد، ولا وصف المدن، ولا استوعب ذكرها. بل ذكر الطرق شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً مع شرح ما فيها من السهول والجبال والأودية والتلال والمشاجر والأنهار، وبذاك طال كتابه وغفل عن أكثر الأجناد ووصف المدائن الجياد ». وفي مسودة أخرى من كتابه يزيد المقدسي إلى هذا قوله: « ورأيت كتابه في سبع مجلدات في خزائن

---

(٧٠) BGA, III؛ ظهرت الطبعة الثانية عام ١٩٠٦ دونما أية تصحيحات بالتقريب. وفيما يتعلق بطريقة نطق الإسم وهل يجب قراءته المَقدِسي أو المُقَدَّسي راجع دي خويه في J.A. ser. q. t. XIV, P. 367 وفي مقدمته للطبعة الثانية ١٩٠٦، ورد فيشر عليه A. Fischer في ZDMG, Bd LX, s. 404 sq وأيضاً شفارتس Schwartz, Iran in Mittelalter, II (المقدمة). وفي معجم السمعاني (طبعة مرجليوث المصورة، الورقة ٥٣٩ ب) يرد الإسم في صورة المَقْدِسي فقط.

(٧١) Kremer, Culturgeschichte, Bd II, s. 433.

(٧٢) (عالج كراتشكوفسكي ذلك بالتفصيل، راجع كتابه في تاريخ الأدب الجغرافي العربي، الترجمة العربية ص ٢٠٨ - ٢١٥. وكراتشكوفسكي يفضل قراءة الاسم في صورة المُقَدَّسي - الناشرون والمترجم).

(٧٣) الفهرست، ص ١٣٨، حيث ورد خطأ اسم ابن لعبد الله هذا وهو أبو علي الذي عاش فيما بعد.

(٧٤) Teksty, str. 6.

(٧٥) المقدسي، ص ٣ - ٤.

عضد الدولة (٩٧٥ - ٩٨٣) غير مترجم، وقيل بل هو لابن خرداذبه. ورأيت مختصرين بنيشابور مترجمين، أحدهما للجيهاني والآخر لابن خرداذبه تتفق معانيهما غير أن الجيهاني قد زاد شيئاً يسيراً».

58 من هذا يمكن الاستدلال على أن الجيهاني قد وضع كتابه اعتماداً على مدوّنات قيدها بنفسه، ولكنه استفاد إلى جانب ذلك من مصنف ابن خرداذبه بشكل واسع. ومن الملاحظ أن ما نقله كرديزي عن ابن خرداذبه لا يتفق مع المتن المطبوع لكتاب ابن خرداذبه؛ ويصدق هذا القول كذلك على تلك الفقرات التي نقلها عنه الجيهاني. وقد خرج دي خويه[٧٦] من كل هذا بنتيجة مؤدّاها أن النص الكامل لمصنف ابن خرداذبه لم يتم العثور عليه بعد، ولهذا فإنه من العسير القول ما إذا كان المعنّى بهذا الكلام هو المصنف الذي نتحدث عنه أم مصنف آخر للمؤلف أكبر من ذلك ويحمل عنوان «كتاب جمهرة أنساب الفرس».[٧٧] والأمل معقود في أن يتم الكشف يوماً في آسيا الوسطى أو الهند عن مخطوطات كلا الكتابين، أعني مصنف الجيهاني ومصدره الأول مصنف ابن خرداذبه ولو في ترجمته الفارسية[٧٨].

ويورد كرديزي ذكر مصنفي ابن خرداذبه والجيهاني في عداد المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها في صياغة الفصل الذي أفرده للترك[٧٩]. ولا شك في أن هذين المصدرين بذاتهما قد رجع إليهما أيضاً المؤلف المجهول لذلك المصنف الجغرافي الذي يحمل عنوان «حدود العالم» والذي تم تدوينه باللغة الفارسية عام ٣٧٢ هـ = ٩٨٢ - ٩٨٣ من أجل أحد الأمراء المحليين وهو أبو الحارث محمد بن أحمد بن فريغون حاكم جوزجان الذي كان يدين بالتبعية للسامانيين؛ وقد تم العثور على المخطوطة الوحيدة المعروفة لنا حتى الآن لهذا المصنف الهام ببخارا في عام ١٨٩٢ وكانت يوماً ما ملكاً للمستشرق الروسي ا. غ.

---

(٧٦) BGA, VI, PP. XV - XVII.

(٧٧) الفهرست، ص ١٤٩؛ BGA, VI, P. X.

(٧٨) ان توكيد المؤلف في الطبعة الروسية الأولى للكتاب لعام ١٩٠٠ (وذلك اعتماداً على نقول من طبقات ناصري Raverty, II, 961 - 962) ان مخطوطة الترجمة الفارسية لمصنف ابن خرداذبه قد وقعت للماجور رافرتي لا يوجد ما يبرره. ومنذ وفاة الماجور رافرتي في عام ١٩٠٧ لم يعرض للبيع من مخطوطاته سوى عدد ضئيل، وهذا العدد لا يشمل أياً من الكتب التي مر ذكرها (من خطاب للبروفسور براون E.G. Browne إلى المؤلف تاريخه ٢ يناير ١٩٢٣). (راجع عن الجيهاني أيضاً كراتشكوفسكي. الأدب الجغرافي، الترجمة العربية، ص ٢١٩ - ٢٢٣. الناشرون والمترجم).

(٧٩) أنظر: Bartold, Otchet o poezdke v Srednium Aziu, str. 126.

تومانسكي A. G. Tumansky[٨٠]. والأهمية الكبرى لهذا الأثر تكمن في احتوائه على مادة وفيرة عن بلاد الترك وعن مناطق آسيا الوسطى التي لم تخضع لسلطان المسلمين، ومادته في هذا الصدد تفوق من حيث الوفرة والتفصيل مادة جميع المصنفات الجغرافية العربية الأخرى الموجودة بين أيدينا.

وفي عهد السامانيين أيضاً ظهرت مصنفات أُفردت لتواريخ المدن المختلفة، غير أنه لم يصل إلينا أي من هذه المصنفات المتعلقة بآسيا/الوسطى في الأصل الذي دوّنت به. 59 واعتماداً على أوصاف هذه المصنفات، وعلى ما يقابلنا من نقول منها في آثار الآخرين خاصة معجم السمعاني، فإنه يمكن القول بأن هذه المصنفات باستثناء القليل منها كانت أقرب إلى طابع المؤلفات الدينية منها إلى المؤلفات التاريخية. إذ كان من المعهود أن يسوق المؤلف مجموعة من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة في فضل مدينته، ثم يتبع هذا بذكر الشيوخ والأولياء الذين ينتمون إليها حتى لا يبقى في آخر الأمر سوى حيّز ضئيل يتناول الأحداث الهامة في تاريخها.

وندين بتاريخ لبخارا عاصمة السامانيين إلى قلم أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان البخاري[٨١] المتوفي عام ٣١٢ هـ = ٩٢٤. وعقب هذا بوقت قصير وذلك في عام ٣٣٢ هـ = ٩٤٣ - ٩٤٤ رفع أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي[٨٢] المتوفي عام ٣٤٨ هـ = ٩٥٩

---

(٨٠) ظهر مقال تومانسكي للتعريف بهذه المخطوطة (بعنوان: Novo-otkrity persidski géograf) في ZVORAO, T. X, Str. 121 - 137. هذا وكان تومانسكي ينوي نشر المخطوطة، ولكن ذلك لم يتحقق إلى لحظة وفاته (أول ديسمبر ١٩٢٠). (تم نشر مخطوطة تومانسكي « حدود العالم » في طبعة مصورة ومع مقدمة على يد ف.ف. بارتولد بلنينجراد في عام ١٩٣٠، طبعة أكاديمية العلوم السوفيتية)؛ ونقل المصنف الى الانجليزية وزوده بتعليقات وافية مينورسكي: Hudud al-Alam... transl. and explained by V. Minorsky. With the preface by V.V. Barthold..., London, 1937 (GMS NS, XI);

أنظر أيضاً: V. Minorsky, Addenda to the Hudud al-Alam,- BSOAS, Vol. XVII, 1955, P. 250 - 270.

(٨١) H. Khalifa, II, 117; VII, 654; Wüstenfeld, Die Geschichtschreiber, s. 33

لعله هو نفس الغنجار. ومن المحتمل جداً أن ذكر أبي عبد الله البخاري والغنجار على حدة لدى حاجي خليفة إنما يمكن تفسيره بأن صاحب الكشف قد اعتمد على مخطوطة ما لم تهتم بإيراد الكنية الثانية للمؤلف (أي الغنجار - الناشرون) وأن عام الوفاة ورد سهواً على أنه ٣١٢ بدلا من ٤١٢؛ ومما يقف دليلا على هذا هو التشابه في الأسماء والتواريخ. ووفقا لحاجي خليفة فان اسم البخاري هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان بينما اسم الغنجار هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان (راجع Teksty, str. 63 والسمعاني، طبعة مرجليوث، الورقة ٤١١ ب).

(٨٢) راجع عنه: Lerch, Sur les monnaies des Boukhar-Khoudahs, p. 424.

مصنفه «تاريخ بخارا» إلى نوح بن نصر، وقد صاغه في لغة عربية «تميزت بالفصاحة والجودة». وفي كتابه هذا يقص المؤلف «عن أحوال بخارا وفضائلها ومحاسنها، وعن جميع ما في المدينة والنواحي المجاورة لها من مباهج الحياة وما يتعلق بذلك من الأمور»، كما يسوق أيضاً مجموعة من الأحاديث وأقوال الصحابة في فضل بخارا على غيرها من المدن. وفي القرن الثاني عشر[٨٣] عندما «انشغل أكثر الناس عن قراءة الكتب العربية» قام أبو نصر أحمد بن محمد القباوي نزولاً على رغبة أصدقائه بنقل ذلك الكتاب إلى الفارسية، ويبدو أنه لم يرفعه إلى الامير الحاكم آنذاك؛ وقد اختصره شيئاً ما لأن الأصل العربي لا يخلو في رأيه من قصص «تسوق قراءتها الملل إلى النفوس». ويرجع مصنف القباوي إلى عام ٥٢٢ هـ = ١١٢٨ - ١١٢٩. وفي عام ٥٧٤ هـ = ١١٧٨ - ١١٧٩ أخضع محمد بن زفر هذه الترجمة لتلخيص جديد ورفعها في صورتها هذه إلى حاكم بخارا آنذاك الصدر عبد العزيز. وأعقب هذا أن قام مؤلف مجهول بإتمام الكتاب فبلغ به إلى عهد الغزو المغولي؛ وفي هذه الصورة الأخيرة وصلنا الكتاب في حالته الراهنة. وقد نشره شارل شيفير Ch. Schefer عام ١٨٩٢[٨٤]؛ أما الترجمة الفرنسية التي وعد بها الناشر مصحوبة بتعليقات وافية[٨٥] فإنه/لم يقدّر لها أن ترى النور؛ وفي عام ١٨٩٧ نُقل الكتاب إلى الروسية بتاشكند على يد ن. س. ليكوشين N. S. Lykoshin وتم طبعه تحت اشراف كاتب هذه السطور[٨٦].

60

ولّما كان كتاب نرشخي قد أُلف من أجل حاكم زمني وفي وقت لم يكن قد غلبت فيه روح التدين الشديد كما حدث بعد ذلك فإن أصل الكتاب يشتمل على مادة تاريخية صرفة أكثر مما هو الحال مع المصنفات من هذا الضرب. وأحياناً يعالج نرشخي أخبار الفتوحات العربية بصورة أوفى مما فعل الطبري، ومن الواضح أن المؤلف قد اعتمد على مؤلفات لمؤرخين عرب لم تصل إلينا، بل إنه ليبدو في موضع من كتابه أنه ربما نقل عن المدائني

(٨٣) (ورد خطأ في الترجمة الانجليزية للكتاب المطبوعة عام ١٩٢٨ «في القرن الثالث عشر» «In the thirteenth century» أما في الطبعة الروسية لعام ١٩٠٠ فقد ورد «في القرن الثاني عشر» - الناشرون).

(٨٤) Description topographique et historique de Boukhara par Mohammed Nerchakhy, suivie de textes relatifs à la Transoxiane. Texte persan publié par Ch. Schefer, Paris, 1892 (PELOV, IIIe sér, vol. XIII). كذلك طبع طبعة حجرية ببخارا.

(٨٥) نرشخي، طبعة شيفير، ص IV.

(٨٦) الترجمة الروسية لنرشخي بقلم N. Lykoshin، تاشكند ١٨٩٧؛ تحت اشراف بارتولد. (وهناك ترجمة انجليزية ظهرت تحت اشراف فراي في عام ١٩٥٤ - الناشرون).

نفسه(٨٧). ورغماً من أن المترجم الفارسي قد حذف من الكتاب كل ما اعتبره مملاً لا طائل من ورائه إلاّ أنه قد زاد عليه في ذات الوقت مواد استقاها من مصادر أخرى؛ وأهم ما زاده في هذا الصددبعض القصص في تاريخ بخارا القديم استقاها من كتاب « خزائن العلوم » لأبي الحسن عبد الرحمن بن محمد النيشابوري، وكذلك قصة المقنّع التي أخذها من مصنف لمؤلف يدعى ابراهيم. وأغلب الظن أن المقصود به انما هو أبو اسحاق ابراهيم بن العباس الصولي الشاعر المشهور(٨٨) المتوفي عام ٢٤٣ هـ = ٨٥٧ والذي خلف لنا أيضاً مصنفات في التاريخ؛ ويشير صاحب « الفهرست »(٨٩) إلى كتاب الصولي هذا عند كلامه على إحدى الفرق الدينية.

ولأبي عبد الله محمد بن أحمد البخاري الغنجار(٩٠) المتوفي عام ٤١٢ هـ = ١٠٢١ والذي كان يعمل ورّاقاً تاريخ لبخارا نقل عنه السمعاني (عن طريق مصنف المستغفري) موجزاً في تاريخ دولة السامانيين؛ كذلك يشير السمعاني(٩١) إلى « تاريخ بخارا » لأبي بكر منصور البرسخي(٩٢).

وأبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الادريسي المتوفي عام ٤٠٥ هـ = ١٠١٥ أصله من استراباد ولكنه عاش بسمرقند/ ودوّن تاريخ هاتين المدينتين(٩٣). أما كتاب « تاريخ سمرقند » فقد أكمله ووصل به إلى القرن الثاني عشر الفقيه المشهور أبو حفص عمر بن

61

---

(٨٧) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٥٨، حيث يجب قراءة « المدائني » بدلاً من « الميداني » على ما يبدو.

(٨٨) راجع عنه الفهرست، الجزء الأول، ص ١٢٢؛ والثاني، ص ١٥٧؛ و Goldziher, Muham. Stud., Bd I, s. 114؛وترجمته بالإرشاد، الجزء الأول، ص ٢٦٠ - ٢٧٧. ويجب عدم الخلط بينه وبين المؤرخ أبي بكر محمد بن يحيى الصولي (راجع عنه: Brockelmann, GAL, Bd I, s. 143; Bartold, O nekotorykh vost. ruk. v bibl. Konst. i Kaira, str. 0148 sq. و Krachkovski, Poeticheskoe tvorchestro Abul-Atahii, str. 77 sq. و Krachkovski, K opisaniu ruk. Ibn - Taifura, str. 98 sq.)

(٨٩) الفهرست، الجزء الأول، ص ٣٤٤.

(٩٠) الترجمة في الإرشاد، الجزء السادس، ص ٣٢٩، حيث يرد ذكر تاريخين مختلفين (٤١٠ هـ و٤٢٢ هـ).

(٩١) Teksty، ص ٥٣، حيث سقطت سهواً لفظ « بكر » بعد « أبو ».

(٩٢) السمعاني، طبعة مرجليوث، الورقة ٧٤ ب، تحت لفظ « البرسخي »، ولعله هو أبو بكر محمد النرشخي نفسه.

(٩٣) Teksty، ص ٥٢ (السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الادريسي ». وعنوان مصنفه في تاريخ سمرقند يذكره السمعاني أيضاً (تحت لفظ « الخيذشترى »، الورقة ٢١٥ أ) - وهو « كتاب الإكمال لمعرفة الرجال ».

محمد النسفي المتوفي عام ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ - ١١٤٣، وهذا المصنف الأخير عرف باسم «القند» أو «القندية»[٩٤]، وقد اختصره تلميذ النسفي محمد بن عبد الجليل السمرقندي[٩٥]. وتقتصر معرفتنا بالمصنف فيما يبدو عند هذا المختصر في مسودته الفارسية التي نلتقي ببعض مخطوطاتها بمكتبة جامعة بطرسبرغ وبالمتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم[٩٦]. وتشتمل هذه المسودة على معلومات تتصل بتاريخ الفترة السابقة للإسلام وعلى روايات تتصل بفترة الفتح العربي وقصص تتعلق ببعض المباني وبنظام الري. ولكن معظم الكتاب تشغله الأحاديث النبوية وسِيَر الأولياء والكلام على أضرحتهم، مع إشارات وافية عن أوقات زيارتها وما يرتبط بذلك من شعائر. ويرد لدى حاجي خليفة أيضاً ذكر «تاريخ سمرقند» للمستغفري صاحب تاريخ نسف.

أما وادي كشكادريا فقد أُفرد له مصنف بعنوان «كتاب مفاخرة أهل كش ونسف» من وضع أبي الحارث أسد بن حمدويه الورثيني[٩٧] المتوفى عام ٣١٥ هـ = ٩٢٧، وهو ينتسب إلى ورثين من قرى نسف. وثمه مصنف اخر في تاريخ كش ونسف ندين به إلى أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري المتوفي عام ٤٠٥ هـ = ١٠١٤، الذي جمع في مجلدين ضخمين أخبار مشاهير أهل نسف قسمهم فيه إلى ثمانين طبقة.

وقد جمع الحاكم أبو عبد الله محمد عبد الله البيّع النيشابوري المتوفي عام ٤٠٥ هـ = ١٠٤١ كتاباً في تاريخ علماء مدينة نيشابور في ثمان مجلدات ضخمة[٩٨]، وفيما يبدو فإن

---

(٩٤) العنوان بالكامل هو «كتاب القند في تاريخ سمرقند». ويقول السمعاني إن العنوان الأصلي للكتاب هو «كتاب القند في معرفة علماء سمرقند» (طبعة مرجليوث تحت لفظ «الشكاني»).

(٩٥) Haji - Khalifa, II; 133.

(٩٦) Teksty، ص ٤٨. وقد ترجم هذا الكتاب الى الروسية ڤياتكين V Viatkin،راجع SKSO الكراسة الثامنة، ونقد بارتولد في ZVORAO, T. XVIII, str. 0182 - 0190.وآخر مؤلف ترد أقواله في ما وصل الينا من هذا الكتاب هو سيد أحمد بن أمير ولي الذي ترجع تدويناته الى ما قبل نهاية القرن الخامس عشر بالتقريب.

(٩٧) Tekstyٍ، ص ٦٩ (السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ «الورثيني»).

(٩٨) Teksty ص ٥٤، ٦٨ (السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ «البيّع» و«النيسابوري»). ووفقاً لقول أبي الحسن البيهقي فان كتاب البيّع كان يتكون من اثنى عشر جزءاً (Rieu, Supplement to Cat. of Persian MSS., P. 61) (عن هذا المؤلف راجع مقال: Hamdani, some Rare Manuscripts, p. 561:كما أن ابن حجر ينقل عنه أكثر من مرة في مصنفه «لسان الميزان» (عن كرنكو F. Krenkow - مينورسكي).

(ويضيف بوزورث Bosworth الآتي: يجب قراءة الاسم على أنه ابن البيّع وليس البيّع، وتاريخ وفاته على أنه ٤٠٥ هـ = ١٠١٤. ثم يقول ان نصوص تواريخ نيشابور المحلية قد نشرها في طبعة مصورة: (Frye, The Histories of Nishapur, the Hague, 1966.

إحدى نسخ هذا الكتاب قد وقعت في يد حاجي خليفة (توفي عام ١٦٥٨) لأنه حفظ لنا فاتحة الكتاب وخاتمته، وزاد على ذلك قوله[٩٩]:/ « قال ابن السبكي في طبقاته وهو التاريخ الذي لم تر عيني تاريخاً أجلّ منه، وهو عندي سيد الكتب الموضوعة للبلاد، فأكثر من يذكره من أشياخه أو أشياخ أشياخه انتهى. وذكر فيه أيضاً من ورد خراسان من الصحابة والتابعين ومن استوطنها واستقصي ذكر نسبهم وأخبارهم، ثم أتباع التابعين، ثم القرن الثالث والرابع؛ جعل كل طبقة منهم إلى ست طبقات فرتب قرن كل عصر على حدة على الحروف إلى أن انتهت إلى قوم حدثوا بعده من سنة عشرين وثلثمائة إلى ثمانين فجعلهم الطبقة السادسة ». وقد ذيّله عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي[١٠٠] فوصل به إلى عام ٥١٨ هـ؛ كما وأننا ندين إلى المؤرخ الذهبي المتوفي عام ٧٤٨ هـ = ١٣٤٨ بعمل موجز له. 62

ورغماً من طابع التخصص الذي غلب على محتويات كتاب البيّع الاّ أنه كان سيشكل أهمية كبرى بالنسبة لنا، ويبدو هذا من روايته لتاريخ آل سيمجور التي أخذها عنه السمعاني[١٠١]. ومن هذه الرواية نعلم أن آل سيمجور عندما دخلوا في عداء مكشوف مع السامانيين ظاهرهم علانية رجال الدين الذين كانوا ينحازون عادة إلى الأمراء ورجال الجيش في خصوماتهم مع الوزراء ورجال الدولة. ولعل كتاب البيّع هو المرجع لكرديزي[١٠٢] وعوفي[١٠٣] وحمد الله قزويني[١٠٤] فيما يتعلق بأخبار المنافسة بين الوزير أبي الحسين العتبي وآل سيمجور، ذلك أن روايتهم تميل إلى أخذ جانب آل سيمجور ضد الوزير وذلك خلافاً لرواية أبي نصر العتبي التي اعتمد عليها بالتالي ابن الأثير ورشيد الدين وميرخواند وغيرهم[١٠٥]. **أما تاريخ خوارزم فقد كان موضوع مصنف للقاضي أبي**

---

(٩٩) حاجي خليفة، الجزء الثاني، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(١٠٠) ينقل ياقوت عن مصنف عبد الغفار (الإرشاد، الجزء الثاني، ص ١٠٧) في ترجمته لعالم توفي في رمضان من عام ٥١٨ هـ. هذا وقد أبصر أحمد زكي وليدي (يصفه بارتولد في الترجمة الانجليزية my friend، ولكن هذه الألفاظ لا توجد في الطبعة الروسية الثانية للكتاب - المترجم). مخطوطة هذا المصنف باستنبول. (ويضيف بوزورث Bosworth أنها المخطوطة Köprülü 1152).

(١٠١) Teksty، ص ٦٠ (السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ « السيمجوري »).

(١٠٢) Teksty، ص ١١ - ١٢.

(١٠٣) Teksty، ص ٩١ - ٩٣.

(١٠٤) تاريخ گزيده، طبعة براون Browne، ص ٣٨٥ وما يليها؛ النرشخي، طبعة شيفير، ص ١٠٥.

(١٠٥) راجع أيضاً فقرة من البيّع نشرها بارتولد في: ZVORAO, t. XVIII, str. 0147 (O nekotorykh vost. rukopisiakh v bibliotekakh Konstantinoplia i Kaira) نقلا عن « كتاب المنتظم » لابن =

أحمد بن سعيد المتوفى عام ٣٤٦ = ٩٥٧ ؛ ويحمل الكتاب عنوان « الكافي »[١٠٦].

ومن الجلي أن فترة حكم دولة الترك القراخانيين كانت فترة تدهور ثقافي بالنسبة لبلاد ما وراء النهر. ورغم ما عرف عن بعض حكامهم من نوايا طيبة إلاّ أن نظرتهم إلى الدولة باعتبارها ملكاً شخصياً لأهل البيت الحاكم، ثم ما تبع ذلك من قيام نظام إقطاعي شديد الوطأة، كل هذا كان من شأنه أن يسوق إلى الاضطرابات والفتن التي أدت بدورها إلى تدهور الزراعة والصناعة والتجارة بصورة لا تقل عن التدهور الذي وجد طريقه إلى الأدب والعلم. والمصنفات المرصودة لتاريخ القراخانيين نزرة للغاية، زد على هذا أن معرفتنا بها انما تقف عند حد عناوينها فحسب. مثال ذلك « تاريخ تركستان » و« تاريخ ختاي » اللذان دونها مجد الدين محمد بن عدنان من أجل طمغاج ابراهيم بن الحسين المتوفي عام ٥٩٧ هـ = ١٢٠١[١٠٧]. ويعالج الأول منها الكلام على « أمم الترك وغرائب تركستان » و« من مضى من ملوك الترك » وفقاً لألفاظ عوفي؛ وأما الكتاب الثاني فيبحث في « تاريخ ختاي وأحوال ملوكها ». وهذا المؤلف الذي دوّن مصنفه في القرن السادس[١٠٨] لم يكن يقصد بختاي بلاد الصين أجمع وفقاً لمفهومنا الحالي، بل أراد ختاي بمعناها الأول اي قبائل الكيتان Kitans الذين امتد سلطانهم آنذاك فشمل بلاد الصين الشمالية، ولو قلنا إنه أراد دولة القراخطاي المعروفة في المصادر الصينية باسم أسرة ليائو الغربية Western Liao لكان ذلك أقرب إلى الواقع. وقد رجع إلى مصنفه في « تاريخ تركستان » عوفي الذي ينقل عنه أسطورة ممعنة في الخيال يبدو أن المؤلف استقاها من مصادر مدوّنة وهي تتعلق بأصل جد الأسرة الحاكمة والسبب في اتخاذه لقب قراخان[١٠٩]. كذلك يرد ذكر « تاريخ ختاي » في كتاب « بهجة التواريخ » لشكر الله

63

= الجوزي (مخطوطة القاهرة « تاريخ » رقم ٣٠٦ ؛ راجع عن ابن الجوزي Brockelmann, GAL, Bd. I, s. 502).

(١٠٦) حاجي خليفة، الجزء الثاني، ص ١٢٩. عن تواريخ مرو راجع Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 2. وعن تواريخ بلخ راجع: Schefer, Chrestomathie persane, t. I, PP. 62 - 63 (Notes).

(١٠٧) حاجي خليفة، الجزء الثاني، ص ١٢٢، ١٢٧، ١٤٣. ويذكره عوفي (لباب الألباب، الجزء الأول ص ١٧٩ وما يليها، والجزء الثاني ص ٣٧٨) على أنه خاله (ورد في الطبعة الروسية الأولى للكتاب لعام ١٩٠٠ « طمغاج خان ابراهيم بن نصر المتوفى عام ٤٦٠ هـ = ١٠٦٨ » - الناشرون).

(١٠٨) (في الطبعة الروسية لعام ١٩٠٠ ورد سهواً « في القرن الخامس » - الناشرون).

(١٠٩) Teksty، ص ١٠٠ - ١٠١ (عوفي).

زكي[١١٠] (حوالي عام ٨٦١ هـ = ١٤٥٧)؛ هذا وقد نقل محمد بن علي القوشي كتاب محمد بن عدنان إلى التركية.

ويبدو أن الأثر التاريخي الوحيد الذي وصلنا من بلاد ما وراء النهر وتم تدوينه في عهد القراخانيين هو «نماذج السياسة في أهداف الرئاسة» لمحمد بن علي الكاتب السمرقندي[١١١]، الذي وضع كتابه من أجل قليج طمغاج خان مسعود الذي تربع على دست الحكم في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. وتستند شهرة المؤلف أساساً على مصنفه الأدبي الذي دوّنه باللغة الفارسية وهو «كتاب السندباد الكبير»[١١٢]؛ أما مصنفه التاريخي الذي حُفظ لنا على ما هو معلوم في مخطوطة فريدة[١١٣] فإنه يمثل تراجم لسير الملوك إلى عهد السلطان سنجر. ويغلب على روايته الطابع القصصي حتى ليمكن القول بأنها لا تتمتع في الغالب بأهمية تذكر إلاّ إذا استثنينا الأحداث التي كان هو شاهداً لها خلال سلطنة قليج طمغاج خان والتي ذيّل بها كتابه[١١٤].

64 أما العلماء من معاصري القراخانيين الذين عاشوا بتركستان الشرقية فلا علم لنا بهم عدا واحد هو أبو الفتوح عبد الغافر (أو عبد الغفار) بن حسين **ألمعي** الذي عاش بمدينة كاشغر في القرن الخامس الهجري وتوفي قبل أبيه الذي يرجع تاريخ وفاته إلى عام ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣. وله كتاب في تاريخ كاشغر يبدو من الشذرة التي حفظها لنا منه جمال قرشي (الذي سيمر بنا الكلام عليه بعد قليل) أنه مليء بالأساطير، كما وأن أخطاء عديدة تتعلق بالسنين وجدت طريقها إليه. هذا وينسب السمعاني إلى نفس ذلك المؤلف مصنفاً بعنوان «معجم الشيوخ»[١١٥].

وانحطاط مستوى الثقافة أثناء حكم القراخانيين هو العامل الوحيد الذي يفسر لنا ظاهرة اعتماد المؤرخين النقليين من المسلمين، وبالتالي البحاثة الأوروبيين، على المؤلفات التي تم تدوينها بايران حتى يتمكنوا من تتبع الأحداث في بلاد ما وراء النهر خلال تلك

---

(١١٠) Sachau – Ethé, Catalogue, p. 25.

(١١١) حاجي خليفة، الجزء الأول، ص ٣٦٨. كما وأن عوفي ينقل عنه مراراً في «جوامع الحكايات» (كما ذكر لي شفاهاً نظام الدين H.M. Nizamuddin).

(١١٢) قارن: Oldenburg, O persidskoi versii, str. 255 sq.

(١١٣) Cod. Lugd. 904 (Cat. cod. or. bibl. Acad. Lugd. Batav. III, 14)

(١١٤) Teksty، ص ٧١ – ٧٢.

(١١٥) Teksty، ص ٦٤ (السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظي «الألمعي» و«الكاجغري»)؛ وأيضاً ص ١٢٩ و١٣٠ (جمال قرشي).

الفترة من تاريخها. ونرى لزاماً علينا أن نبدأ أولاً بالحديث عن آثار مؤرخي بلاط الغزنويين، وهي الدولة التي آلت إليها مقاليد الأمور في المناطق الواقعة إلى الجنوب من نهر امودريا عقب سقوط دولة السامانيين.

وقد حظي التأليف في مجال التاريخ بانتعاش واضح في عهد الغزنويين يؤكده العدد الكبير من المصنفات التاريخية الذي ظهر في ذلك العصر. وأقدم هذه المصنفات عهداً مصنف لأبي منصور حسين بن محمد الثعالبي (معاصر عبد الملك بن محمد الذي مر بنا الكلام عليه في صفحة ٦٦)[١١٦]، فهو قد وضع مصنفاً لأخ للسلطان محمود يدعى أبو المظفر نصر (توفي عام ٤١٢ هـ = ١٠٢١). ولم يصلنا من هذا الكتاب الذي كان يحتوي على أربعة أجزاء والذي بلغ به مؤلفه إلى حكم السلطان محمود سوى الجزئين الأولين اللذين يحتويان تاريخ ما قبل الاسلام ثم تاريخ البعثة النبوية، وهو يحمل عنوان «كتاب الغرر في سير الملوك وأخبارهم»[١١٧].

وبعد وفاة نصر بقليل تم تدوين الكتاب المعروف باسم «تاريخ اليميني» الذي وضعه باللغة العربية أبو نصر محمد بن عبد الجبار العُتبي وختمه بواقعة وفاة نصر؛ وهو يحتوي على عرض مفصل للغاية لأحداث السنين الواقعة بين عامي ٣٦٥ و٤١٢ للهجرة. وهو بالنسبة لتاريخ هذه الفترة يمثل المصدر الرئيسي لابن الأثير وغيره من المؤرخين. وعلى 65 الرغم من اغراقه في المحسّنات البديعية، مما جعل لغته عسيرة على الفهم، إلاّ أن المؤلف كما لاحظ مولر A. Müller[١١٨] يعبّر عن آرائه في الأحداث التاريخية بالكثير من الحرية

(١١٦) ولكن خواندامير ينسب تأليف هذا المصنف إلى عبد الملك (حبيب السير، طبعة تهران ١٢٧١ = ١٨٥٥/١٨٥٤، الجزء الثاني، ص ١٤٠). وبما أن اسم المؤلف لا يرد في مخطوطة مكتبة باريس فمن المحتمل أن حاجي خليفة قد أخطأ في ايراد الاسم، وأن صاحب التاريخ وصاحب المنتخبات الشعرية انما هما شخص واحد. غير أنه مما يناقض هذا الرأي هو أن صاحب التاريخ وفقاً لقول حاجي خليفة من أهل مرعش، بينما صاحب المنتخبات من أهل نيشابور. وفي مصنف ابن معين («فردوس التواريخ» Ms. Dorn 267, f. 422 a) يُطلق على المؤرخ الثعالبي اسم عبد المطلب بن محمد بن اسماعيل. (راجع الحاشية التالية لهذه - الناشرون).

(١١٧) De Slane, Catalogue des manuscrits arabes de la Bibl. Nationale, Paris 1893 - 1895, p. 284 (Suppl. 742 A). (لقد ثبت الآن بما لا يدع مجالاً للشك أن الشخصين اللذين حملا اسم الثعالبي انما هما شخص واحد، كما أثبت ذلك روزنتال: «The identity of he two Tha'alibis appears to be established beyond any reasonable doubt». (راجع مقاله: «From Arabic books and manuscripts. III The author of the Gurar as-siyar» - JAOS, LXX 181 - 182. - مينورسكي).

(١١٨) Müller, Der Islam, Bd II, s. 62.

وهو أمر لم يكن متوقعاً من مؤرخ رسمي للبلاط مثله. وفي ترجمته لسيرة حياته يعترف العتبي بأن الغرض من تأليفه الكتاب كان « تمجيد » شخص محمود، وأنه قد نال نتيجة لذلك عطف الوزير؛ ورغماً من هذا فإنه لم يحاول إخفاء سيئات تلك الفترة المجيدة بل صوّر لنا ما كان يعانيه الشعب من وطأة الضرائب. وينتمي العتبي إلى أسرة قدمت وزيرين للسامانيين، بل إن مؤلفنا نفسه كان من رجال الديوان في عهد محمود لذا فيجب ألا يدهشنا منه تشربه لفكرة الحكم المطلق واتخاذه موقفاً سلبياً ازاء رجال الدين وغيرهم من العناصر التي اتخذت موقفاً عدائياً من النظام القائم. هذا وقد نشر الأصل العربي للكتاب اشبرنجر Sprenger في عام ١٨٤٧ بدلهي، ثم لم يلبث أن ظهرت له طبعة أخرى بالقاهرة عام ١٢٨٦ هـ = ١٨٦٩ مع شرح لغوي للمتن بقلم الشيخ المنيني؛ كذلك ظهر متن العتبي مرة أخرى بالقاهرة على هامش تاريخ ابن الأثير (ابتداء من الجزء العاشر). وبالمتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم مخطوطة جيدة من « تاريخ اليميني » يرجع تاريخ نسخها إلى عام ٦٦٣ هـ = ١٢٦٥[١١٩].

هذا وقد نقل تاريخ العتبي إلى اللغة الفارسية في عام ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ - ١٢٠٦ ابو الشرف ناصح بن جعفر جرباد قاني؛ و استعمل هذه الترجمة فيما بعد المؤرخون النقليون من الفرس الذين يكادون ينقلون ألفاظ الجرباد قاني حرفياً. وظهرت طبعة حجرية لهذه الترجمة بطهران عام ١٢٧٤ هـ = ١٨٥٧ - ١٨٥٨، وعليها اعتمد شيفير في نشر الفصول الخاصة بتاريخ السامانيين كذيل لطبعته لتاريخ نرشخي (الذي مر بنا الكلام عليه في صفحة ٧٦-٧٧). وفي عام ١٨٥٨ ظهرت الترجمة الانجليزية لكتاب جربادقاني بقلم رينولدز Reynolds[١٢٠]؛ غير أن هذه الترجمة كما لاحظ بحق كل من شيفير ودكتور ريو Rieu[١٢١] لا تتسم بالكثير من الدقة، هذا على حين حالف التوفيق المترجم

---

(١١٩) المخطوطة رقم ٥١٠ (C 342)، راجع Rosen Notices sommaires، ص ٩٤. الترجمة الفارسية بحثت بحثاً دقيقاً في Notices et extraits, IV (de Sacy, Histoire de Yemineddoula)
وعن المسودات العربية والفارسية راجع Browne, A Literary History, vol. II, P. 471. (ورد في الترجمة الانجليزية للكتاب أن جميع الإشارات الى كتاب العتبي إنما يراد بها مسودة الشيخ المنيني، وذلك بدلا من الإشارات الى مخطوطة المتحف الآسيوي كما ورد في الطبعة الروسية الأولى - المترجم).

(١٢٠) The Kitab-i- Yamini, Historical Memoirs of the Amir Sabaktegin and the Sultan Mahmud of Ghazna... Transl. from the Persian version of the contemporary Arabic Chronicle of al Utbi by J. Reynolds, London, 1858 (OTF).

(١٢١) Rieu, Pers. Mss, vol. I, P. 157

الفارسي فأخرج ترجمة دقيقة للمتن العربي ولم يحذف منه سوى أشياء طفيفة وإن كان أسقط ترجمة العتبي لسيرة حياته التي ذيّل بها هذا الأخير مصنفه.

66 ومن معاصري العتبي أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفي حوالي عام ١٠٤٨ والذي يوشك أن يكون أكبر علماء الإسلام قاطبة[١٢٢]. ورغماً من أن مجال تخصصه كان الرياضيات والفلك إلاّ أنه دوّن أيضاً في مجال التاريخ؛ وكتابه بعنوان «تاريخ خوارزم» لم يصل إلينا ولكن المؤرخ بيهقي نقل عنه قصة فتح السلطان محمود لخوارزم. ويحتوي كتاب البيروني في التقويم المعروف باسم «الآثار الباقية في القرون الخالية» على مادة تاريخية قيّمة عن خوارزم وغيرها، وهو الكتاب الذي قام بنشره وترجمته إلى الانجليزية العلامة الألماني البروفسور زخاو Sachau الذي ندين له كذلك بدراسة لهذه المادة ظهرت على شكل بحث باللغة الألمانية بعنوان Zur Geschichte und Chronologie von Khwarizm («صفحات من تاريخ خوارزم وسني أحداثها»)[١٢٣].

وفي حوالي عام ١٠٥٠ وضع أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك الكرديزي مصنفه بالفارسية الذي يحمل عنوان «زين الأخبار»؛ وباستثناء الفصل الذي افرده للترك (راجع ما ورد عنه من قبل في صفحة ٧٥)، وكذلك الفصل المفرد للهند[١٢٤]، فإن هذا المصنف يعالج الكلام على تاريخ الخلافة الإسلامية إلى عام ٤٢٣ هـ = ١٠٣٢ وتاريخ خراسان إلى واقعة دينور التي حدثت عام ٤٣٢ هـ = ١٠٤١ بين مودود ومحمد. ولمّا كان مصنف السلاّمي في عداد المفقود بالنسبة لنا فانه يجب اعتبار تاريخ كرديزي مصدرنا الأساسي في تاريخ خراسان عامة، بما في ذلك عهد السامانيين. ومن المؤسف حقاً أن الكتاب معروف حتى هذه اللحظة في مخطوطتين فقط، أضف إلى هذا أنهما حديثتا العهد[١٢٥]. وأحياناً يقترب متن/كرديزي كثيراً من متن ابن الأثير بل يكاد يتفق معه 67

---

(١٢٢) راجع عنه مقال البارون روزن في ZVORAO, t. III, str. 147 sq. (والذي يمثل نقداً لطبعة زخاو).

(١٢٣) راجع أعلاه، ص ٥٩، حاشية ٣ ؛ وعن مخطوطة جديدة (وأكمل) لمصنف البيروني راجع Salemann, Zur Handschriftenkunde, s. 861 sq. (أنظر أيضاً: Khalidov, Dopolnenia, str. 147 sq. - الناشرون). ترجمة البيروني في الإرشاد، الجزء السادس، ص ٣٠٨ - ٣١٤.

(١٢٤) ترد الإشارة إليه في ترجمة زخاو الانجليزية للبيروني (Sachau, Alberuni's India) لندن ١٨٨٨، الجزء الثاني، ص ٣٦٠ و٣٩٧. وأنا أدين بهذه الإشارة الى اولدنبرج S. F. Oldenburg.

(١٢٥) في الطبعة الاولى للكتاب كرّر المؤلف غلطة ايته (Sachau - Ethé, Catalogue, p. 11) باعتباره مخطوطة اكسفورد (Ouseley, 240) المخطوطة الوحيدة المعروفة لمصنف كرديزي، بينما توجد في واقع الأمر مخطوطة أخرى لهذا المصنف بكمبريدج (King's College Library, 213). راجع وصف =

حرفياً في بعض مواضعه(١٢٦)، الأمر الذي يعزي بالطبع إلى سبب بسيط هو أن كلا المؤلفين استقى مادته من مصدر مشترك كان بلا ريب مصنف السلّامي. وابن الأثير يقدم لنا عرضاً مفصلاً لتاريخ السامانيين حتى وفاة أبي علي چغاني؛ وأغلب الظن أن السلّامي (راجع صفحة ٧٢) قد اختتم مصنفه بذلك الحادث. أما أحداث الفترة الواقعة بين عامي ٣٤٤ هـ و٣٦٥ هـ والتي لم يرد ذكر بشأنها عند ابن الأثير فإن كرديزي يعالجها بتفصيل واف معتمداً في ذلك على مصدر لم يطلع عليه ابن الأثير، ومما يقف شاهداً على اعتماد كرديزي على السلّامي أن روايته عن عمرو بن الليث يكررها ابن خلّكان حرفياً في الفقرات التي نقلها عن السلّامي(١٢٧).

مخطوطات King's College في JRAS, NS, III (1868) (من عمل Palmer لا Morley كما ذكرت سهواً في تشريف نولدكه Festschrift Nöldeke ص ١٧٣، الحاشية ٥ (Zur Geschichte der Saffariden). ويرد ذكر مصنف كرديزي في ص ١٢٠ (Palmer, Catalogue, P. 120 (No 213) وتاريخ المخطوطة ليس واضحا بما فيه الكفاية وان كان يبدو أن المقصود عام ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤، مما ينعكس في الخط وفي الشكل الخارجي للمخطوطة. ولعل هناك ما يبرر الاعتقاد بأن مخطوطة اكسفورد قد نقلت عن مخطوطة كمبريدج، فنفس الأخطاء تتكرر في المخطوطتين (مثلا تتابع الألفاظ «عمرو دختر»، راجع Teksty ص ٦، الحاشية ١١)، وان كان من الممكن تصحيح مخطوطة اكسفورد من مخطوطة كمبردج أحياناً. وحتى براون يتحدث عن مخطوطة اكسفورد في عام ١٩٠٦ بوصفها «الوحيدة المعروفة» (E.G. Browne, A Literary History, II, P. 283) (يجب تصحيح الصفحة هنا على أنها 288 كما ورد في الترجمة الانجليزية. وألفاظ براون هي الآتية: «The only known manuscript» - المترجم). ولا علم لنا بمخطوطة الكتاب التي نقل عنها راڤرتي في تعليقاته على «طبقات ناصري» لجوزجاني، الجزء الثاني، ص ٩٠١). (تم نشر المتن الفارسي لكرديزي اعتمادا على مخطوطة كمبردج على يد البروفسور محمد ناظم (ليس المتن كله بل الورقات ٨١ ب - ١٤٣ أ) (أنظر ثبت المراجع في آخر الكتاب). وبحسب رأي الناشر (راجع المقدمة، ص ١ - ٢) فإن تاريخ المخطوطة يجب قراءته ليس عام ٩٣٠ هـ كما ظن بارتولد بل عام ١٠٩٣ هـ = ١٦٨٢. ويدعم الناشر رأيه هذا بعدد من الاستدلالات. ولنضيف أنه توجد الآن طبعة جديدة كاملة للمتن الفارسي «لزين الأخبار» من عمل البروفسور نفيسي، تهران ١٣٣٣ ش = ١٩٥٤ - الناشرون).

(يستدرك ناشر الطبعة الانجليزية الثالثة للكتاب (١٩٦٨) وهو بوزورث Bosworth على الناشرين السوفيت بأن سعيد نفيسي لم يطبع متن كرديزي بأجمعه بل القسم الخاص بالساسانيين وحتى عهد الطاهريين، ثم يضيف بأن الكتاب في مجموعه لم ير النور بعد وان كان ثمة ترجمة انجليزية ستظهر له يقوم بتحضيرها V. Pontecorvo. (هناك طبعة ايرانية حديثة وجيدة لتاريخ كرديزي ظهرت مؤخراً بطهران ضمن نشريات مؤسسة الثقافة الايرانية، قام بتحقيقها المؤرخ الأفغاني عبد الحي حبيبي - المترجم).

(١٢٦) خاصة في الفقرات المتعلقة بأحمد بن سهل (انظر Teksty ص ٦؛ وابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٨٦).

(١٢٧) طبعة ڤستنفلد، رقم ٨٣٨؛ ترجمة دي سلان، الجزء الرابع، ٣٢٢ و٣٢٦؛ قارن Tesky ص ٥.

وفي عام ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ أتم محمود الورّاق مصنفاً يضم تاريخ « ألوف عدة » من السنين إلى سنة ٤٠٩ هـ؛ وترجع معرفتنا بالكتاب إلى المؤرخ بيهقي[١٢٨] الذي ينقل عنه قصة تعمير عمرو بن الليث لمدينة غزنة. وكان في نية بيهقي أن يقدم مادة وافرة عن محمود الورّاق لأنه كان يعتبره مؤرخاً ثقة ولكنه لم يستطع فعل ذلك لظروف خارجة عن طاقته كما يتبين من قوله: « ولو أردت الثناء عليه لطال الكلام في ذلك. وقد رأيت من مؤلفاته النادرة العشرة والخمسة عشر كتاباً في شتّى الموضوعات، فلمّا بلغ خبري ابناءه صاحوا فيّ قائلين: نحن أبناؤه لا نوافق على أن تأخذ من كلام أبينا أو تترك منه شيئاً بعد هذا، فاضطررت للوقوف عند هذا الحد ». وينتهي تاريخ محمود بعام ٤٠٩ هـ، لأنه نفس العام الذي بحوادثه بدأ بيهقي تاريخه.

ومصنف أبي الفضل محمد بن حسين بيهقي المتوفي عام ٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ - ١٠٧٨ يشغل مكانة فريدة في أدب التاريخ عند المسلمين، على أقل تقدير بين تلك المصنفات التي وصلتنا. ويقرر المؤلف بصراحة تامة[١٢٩] أن كتابه يختلف اختلافاً جوهرياً عن تلك التواريخ « فإن هذا قد جرى على ذكر أن فلاناً السلطان قد بعث القائد فلاناً للحرب، وأن يوم كذا جرت المعركة أو تم الصلح، وأن هذا غلب ذاك أو العكس وهكذا »؛ وهو على نقيض هؤلاء الأخيرين يسجل بتفصيل واف جميع الأحداث التي شهدها بنفسه. وكما أبصرنا فقد بدأ بيهقي تاريخه بأحداث عام ٤٠٩ هـ[١٣٠]، غير أنه لم يتبق لنا من 68

(١٢٨) طبعة مورلي، ٣١٧؛ (طبعة غني وفيّاض، ٢٦١ - ٢٦٢).

(١٢٩) بيهقي، طبعة مورلي، ٤٣٨، (طبعة غني وفيّاض، ٣٥٤).

(١٣٠) نتيجة لهذا فإنه يجب الاعتراف بأن ريو كان مخطئا (Rieu, Cat. Pers. MSS, I, P. 159) في قوله إن بيهقي بدأ مصنفه بقيام دولة الغزنويين، ففي المقتطفات من بيهقي الواردة لدى جوزجاني (راجع ما يلي) يرد الكلام فعلاً عن سبكتكين ولكن من المؤكد أن الفقرة مأخوذة عن تاريخ محمود وتمثل واحدة من الاستطرادات العديدة للمؤلف. والاستطرادات المفردة لسبكتكين تقابلنا أيضاً في تاريخ مسعود (طبعة مورلي، ص ٥٥٧، (طبعة غني وفيّاض، ص ٤٥٠)). وبخلاف طبعة مورلي توجد أيضاً طبعة طهرانية لعام ١٣٠٧ هـ تعتمد على مخطوطة ترجع الى عام ١٣٠٥ ميلادية؛ وقد حصل على نسخ من هذه الطبعة البروفسور ف.ا. جكوفسكي عام ١٨٩٩ من أجل مكتبة جامعة بطرسبرغ. هذه الطبعة تشمل نفس المتن الذي نشره مورلي ولكنها تبدأ قبله بصفحات. وعن حياة أبي الفضل بيهقى يقدم لنا **معطيات طريفة ابو الحسن بيهقي في كتابه « تاريخ بيهق »** (MS. Brit. Mus. pub. 3585, foll. 101 b – 103 b) **كما يقدم لنا معلومات عن مصنفه. وهو يؤكد ان المصنف يحوي ثلاثين مجلدة تغطي تاريخ** الفترة من بداية حكم سبكتكين الى بداية حكم ابراهيم (ويبدو واضحا استفادة المؤلف من تاريخ محمود الوراق). هذا و توفي بيهقي في صفر من عام ٤٧٠ هـ = آغسطس - سبتمبر ١٠٧٧. وقد أبصر أبو =

مؤلفه الضخم سوى قسم ليس بالكبير يعالج فيه الكلام على فترة حكم السلطان مسعود (١٠٣٠ - ١٠٤١) ويشمل النصف الثاني من الجزء السادس، ثم الأجزاء السابع والثامن والتاسع بتمامها إلى جانب شطر من الجزء العاشر. هذه الأجزاء المتبقية من تاريخ بيهقي هي التي اضطلع بنشرها مورلي Morley بكلكتا، ويرجع تاريخ مخطوطته إلى عامي ٤٥٠ و٤٥١ للهجرة = ١٠٥٨ - ١٠٥٩. ولا علم لنا بالعام الذي وقف عنده بيهقي في تسجيله لأحداث عصره ولكن من المعلوم لدينا أن المصنف ارتفع إلى ثلاثين جزءاً[١٣١]. وهناك فقرات من الأجزاء الأولى ليست بالطويلة نلتقي بها عند مؤرخ القرن الثالث عشر جوزجاني[١٣٢]، وأيضاً عند مؤرخ القرن الخامس عشر حافظ آبرو[١٣٣]، وفيما عدا ذلك لم يمكن العثور على أية نقول من العشرين جزءاً الأخيرة[١٣٤][١٣٥].

وقد تنكّب مولر[١٣٦] الصواب عندما وصف كتاب بيهقي بأنه «يوميات عامل دولة إيراني»، ولعله من الأوفق وصفها بأنها «ذكريات» كما فعل البروفسور زخاو[١٣٧]. والمؤلف قام بتدوين كتابه في سن متقدمة عقب اعتزاله خدمة الدولة؛ ويرجع تاريخ ميلاد بيهقي إلى حوالي/عام ٣٨٦ هـ = ٩٩٦[١٣٨]، والتحق بخدمة الدولة عام ٤١٢ 69

= الحسن بيهقي أقساما متفرقة من المصنف في مكتبات مختلفة، ولكنه لم ير نسخة كاملة منه. راجع مادة «بيهقي» بقلم بارتولد في «دائرة المعارف الاسلامية».
(لا شك أن أفضل طبعة علمية لمتن بيهقي إنما ندين بها لغني وفيّاض، ١٣٢٤ ش = ١٩٤٥. وهناك طبعة أخرى يقدمها لنا البروفسور سعيد نفيسي (الجزآن الأول والثاني يضمان المتن، والثالث مفرد لتعليقات وافية تضم أحياناً مادة وافرة عن القراخانيين مع الإشارة الى المصادر). وتوجد ترجمة روسية لتاريخ بيهقي مع تعليقات من عمل ا.ك. ارندس A.K. Arends تاشكند، ١٩٦٢ - الناشرون).
(أخرج فياض طبعة جديدة لتاريخ بيهقي ظهرت بمدينة مشهد - المترجم).

(١٣١) هذا وفقا لألفاظ المؤرخ النقلي للقرن الخامس عشر فصيح (الورقة ٢٦٣) وأيضاً وفقاً لميرخواند.

(١٣٢) ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٦٧ وما يليها: (طبعة نساو - ليس، ص ٦ وما يليها).

(١٣٣) Teksty ص ١٥٧.

(١٣٤) (يقول بوزورث Bosworth ان ما نقله المؤرخون عن بيهقي أو ما يبدو أنهم نقلوه قد جمعه سعيد نفيسي في كتابه «در پيرامون تاريخ بيهقي، شامل آثار گم شدهٔ أبو الفضل بيهقي وتاريخ غزنويان»، طهران، ١٣٤٢ = ١٩٦٣، جزآن).

(١٣٥) (يجب أن نضيف بهذه المناسبة أنه توجد ترجمة عربية جيدة لتاريخ بيهقي من عمل يحيى الخشاب وصادق نشأت (القاهرة، ١٩٥٦؟). وهي تحوي مقدمة وافية عن المؤلف وعن مصنفه - المترجم).

(١٣٦) Müller, Der Islam, Bd II, s. 194.

(١٣٧) Sachau, Zur Geschichte, II, s. 5

(١٣٨) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٢٤٦؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٢٠٩).

هـ = ١٠٢١ وأمضى تسعة عشر عاماً في ديوان الرسائل تحت رئاسة أبي نصر بن مشكان المتوفي عام ٤٣١ هـ = ١٠٣٩[١٣٩]. وبعد وفاة أبي نصر ظل السلطان مسعود يشمل مؤلفنا برعايته ولكن لم يلبث أن تغير به الحال بعد وفاة مسعود وبقي حيناً من الدهر محروماً من عطف السلطان ،وهو يعترف بأنه ملوم بعض الشيء في هذا[١٤٠]. ولكن لم يطل به الأمد حتى رجع إلى خدمة الدولة بل وأصبح رئيساً لديوان الرسائل في عهد السلطان عبد الرشيد[١٤١] (١٠٤٩ - ١٠٥٨).

وبحكم منصبه الذي قرّبه من البلاط فقد كان من الطبيعي أن يركزّ مؤلفنا أكثر اهتمامه في وصف الأحداث المتعلقة بنشاط البلاط والحكومة ، كالدسائس التي كان يحيكها المسؤولون والتنافس بين الشخصيات المختلفة التي كانت تحاول التأثير على السلطان بطريق أو بآخر. وزيادة على هذا فإن المؤلف يقدم لنا مادة مفصلة في محيط العلاقات الخارجية ، وهو أمر ليس بالغريب لأن بيهقي كان المسؤول عن تحرير الرسائل الموجّهة إلى الملوك والحكام ، ولذا فانه من المؤسف حقاً أنه لم يستطع تقديم أصول تلك الوثائق لأن أوراقه انتزعت عنوة ؛ ولعل هذا قد حدث عند اعتزاله الخدمة. وهو يقول بصدد هذا: « إذ كانت الكتب ترسل لسدة الخلافة وخانات التركستان وملوك الأطراف كلها بخطّي وكان لديّ صور تلك الرسائل كلها ، لكنهم أتلفوها عمداً والأسف كل الأسف على أن ضاعت مني تلك الرياض الرضوانية أعني الرسائل، فقد كانت تجعل من هذا التاريخ سجلاً فريداً. على أني لست يائساً من العثور عليها يوماً ما بفضل الله عز وجل لتدرج جميعاً وليطّلع الناس على حال هذا الصدر العظيم وما ذلك على الله بعزيز »[١٤٢]. بيد أن فقدان هذه الوثائق الأصيلة لم يحل بين المؤلف وبين أن يقدم لنا أثراً « قيّما بكل ما يحمله هذا اللفظ من معنى ». وهو كما لاحظ البروفسور زخاو يصوّر لنا حياة البلاط بمنتهى الأمانة ؛ ورغماً مما كان يكنّه في نفسه من توقير شديد للعرش إلاّ أن هذا لم يدفعه إلى التستر على سيئات رأس الدولة[١٤٣]. ويصرح المؤلف[١٤٤] بأنه عقب عزله من منصبه قد عمل على تصفية حسابه مع جميع أعدائه ، لذا فهو سيحاول عرض الأحداث دون تحيز أو

---

١٣٩) بيهقي ، طبعة مورلي ، ص ٧٤٩ ؛ طبعة غني وفيّاض ، ص ٥٩٦ - ٥٩٧).
١٤٠) بيهقي ، طبعة مورلي ، ص ٧٥٤ ؛ طبعة غني وفيّاض ، ص ٦٠١).
١٤١) بيهقي ، طبعة مورلي ، ص ١٢٢ ؛ (طبعة غني وفيّاض ، ص ١١٠).
١٤٢) بيهقي ، طبعة مورلي ، ص ٣٦٢ ؛ (طبعة غني وفيّاض ، ص ٢٩٤).
١٤١) بيهقي ، طبعة مورلي ، ص ٥٧٣ ؛ (طبعة غني وفيّاض ، ص ٤٦٢).
١٤) بيهقي ، طبعة مورلي ، ص ٢٠٧ ؛ طبعة غني وفيّاض ، ١٧٨ - ١٧٩).

إجحاف؛ وفي واقع الأمر فإن رواياته عن دسائس البلاط لا يمكن أن يستشف منها أي ضرب من الميل أو التحامل.

ولم يفد البحاثة بعد من تاريخ بيهقي بما يجب أن يفيدوه منه، ويستلفت النظر بوجه خاص أن أحداً لم يرجع إليه من بين البحاثة الذين عالجوا الكلام على تاريخ 70 القراخانيين[١٤٥] رغماً من أنه يمدنا بأوسع وأدق مادة عن هذه الدولة لفترة من الوقت ليست بالقصيرة[١٤٦]. ويمكن أن نرجع هذا من جانب إلى طبعة مورلي، فحروفها غير واضحة فضلا عن أنها تفتقر الى العناوين والفهارس الخ[١٤٦أ]. ويقدم لنا . ببرشتين- كازميرسكي A. De Biberstein – Kazimirski تحليلاً مفصلاً باللغة الفرنسية لمحتويات تاريخ بيهقي وذلك في مقدمته لطبعته لديوان الشاعر الفارسي منوچهري[١٤٧]، ولكن التوفيق لم يحالفه دائماً في فهم ألفاظ المؤرخ الفارسي فهماً صحيحاً؛ ولنأخذ مثلاً الفقرة التي سقناها منذ حين فيما يتعلق بالوثائق الرسمية فهو بدلاً من الحديث عنها أخذ يتحدث عن «مصنفات تاريخية» لبيهقي[١٤٨].

ويشير جوزجاني[١٤٩] مؤرخ القرن الثالث عشر إلى مصنف في تاريخ الغزنويين لا علم لنا بتاريخ تدوينه هو «تاريخ مجدول» لأبي القاسم محمد بن علي عمادي. والكتاب يعالج الكلام على تاريخ الأنبياء والخلفاء من أمويين وعباسيين، وتاريخ ملوك الفرس الأقدمين، وتاريخ سلاطنة الدولة الغزنوية إلى عهد محمود، أي يكاد يتفق من حيث المضمون مع مصنف الثعالبي الذي مر بنا ذكره في صفحة ٨٣ . وصاحب «مجمل التواريخ» الذي تم تدوينه في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ (وسيأتي الكلام عليه في حينه) يتحدث أثناء عرضه لتاريخ الغزنويين عن معاصر له باسم الأمير محمد عمادي بن الامام السنجري الغزنوي[١٥٠]؛ ولعله هو نفس محمد بن علي عمادي المشار إليه.

---

(١٤٥) Grigoriev, Karkhanidy; Sachau, Zur Geschichte, II, s. 35–46; Dorn, Über die Münzen; Dorn, Nachträge؛ جوزجاني، طبعة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٩٠٠ – ٩٠١ (ملاحظات راڤرتي)؛ Kutadgu Bilik, طبعة Radlov, I, str. XXVIII – LXXX (المقدمة): (= Radlov, K voprocu ob uigurakh, str. 122 – 125)

(١٤٦) توجد اشارات متفرقة إليه لدى زخاو وراڤرتي.

(١٤٦أ) [توجد الآن طبعات وترجمات جيدة للكتاب، راجع كشاف المراجع – المترجم].

(١٤٧) Menoutchehri, Poète persan du onzième siècle, Paris, 1887, pp. 17–131.

(١٤٨) شرحه، المقدمة، P. ٧

(١٤٩) ترجمة راڤرتي، الجزء الأول؛ PP. XXXII – XXXIII, 69;

(١٥٠) مجمل التواريخ؛ Cod. Paris Ancien Fonds Persan 62, f. 263: ومرا اين تواريخ از املاء امير =

وبعد واقعة دندانقان التي حدثت في مايو عام ١٠٤٠ انتقلت السيادة على ايران الشرقية من يد الغزنويين إلى يد السلاجقة ؛ وفي عهد الب ارسلان (١٠٦٣ - ١٠٧٢) بدأ السلاجقة غزوهم لبلاد ما وراء النهر ؛ وفي عهد ابنه ملكشاه (١٠٧٢ - ١٠٩٢) دان لهم القراخانيون بالطاعة. لذا فمن الطبيعي أن تكون المصنفات التاريخية التي تم تدوينها في عهد السلاجقة ذات أهمية كبرى بالنسبة لدراسة تاريخ ما وراء النهر كذلك.

وبقدر ما نعرف فإنه لم تكن هناك مصنفات تاريخية بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ ترجع إلى القرن الحادي عشر وتعالج الكلام على تاريخ سلاطنة السلاجقة ؛ غير أنه يمكن أخذ فكرة عن نظام الدولة وظروف الحياة الإجتماعية في ذلك العهد/من خلال صفحات كتاب 71 « سياست نامه » للوزير المشهور نظام الملك أبي علي الحسن بن علي الطوسي المتوفى عام ١٠٩٢ (١٥١). وكان السلطان ملكشاه قد كلف بعض عمال دولته في عام ١٠٩١ بوضع تقرير عن أحوال المملكة يكشف عن جميع المساوىء التي وجدت طريقها إليها ويقترح الوسائل الناجعة لعلاجها. ولم يرق للسلطان من جميع الرسائل التي عرضت عليه سوى رسالة نظام الملك التي كانت تتكون من تسعة وثلاثين فصلاً والتي قرر السلطان أن يتخذها منهجاً للعمل يسير عليه(١٥٢) ؛ والرسالة تعالج الكلام على مسؤوليات عمال الدولة وتقدم المشورة والنصح في كل ما يتعلق بأجهزة الحكم المختلفة. وفي عام ١٠٩٢ ، أي قبل آخر رحلة له إلى بغداد ، سلّم نظام الملك الى محمد المغربي(١٥٣) الذي كان يشغل وظيفة ناسخ لكتب السلطان أحد عشر فصلاً آخر وطلب منه ألاّ يضعها بين يدي السلطان إلاّ بعد وفاة المؤلف. ويلاحظ الناسخ بحق أن المؤلف قد دوّن هذه الفصول « نتيجة لما ناله من كيد

= عمادی محمود بن الامام السنجري الغزنوي حفظه الله معلوم شد وآنرا بمحلّ اعتماد توان نوشت.

(١٥١) نشر شيفير المتن الفارسي والترجمة الفرنسية Siasset Naméh, Texte Persan, Paris, 1891= PELOV, IIIe sér., vol. VII, 1 partie; supplement, Paris, 1897, PELOV, IIIe ser., vol. VII, 2 partie; traduction, Paris, 1893, PELOV, III sér., vol. VIII. هذا ويحمل الكتاب أيضاً عنوان « سير الملوك ». (توجد أيضاً طبعة حجرية للمتن الفارسي من عمل سيد عبد الرحيم خلخالي، ١٣١٠ ش = ١٩٣١ ، وهي لا ترتفع الى مستوى طبعة شيفير. راجع أيضاً الترجمة الروسية بقلم زاخودر B.N. Zakhoder موسكو - لنينجراد، ١٩٤٩ - الناشرون). (ويقول بوزورث Bosworth إن أحدث وأحسن طبعة للمتن هي التي يقدمها لنا دارك H. Darke تهران ١٣٤٠ - ١٩٦٠ ، الذي قام أيضاً بترجمة الكتاب الى الانجليزية، لندن، ١٩٦٠ : The book of government or rules of Kings، ثم يضيف بأنه توجد للكتاب ترجمات بالألمانية والتركية والروسية).

(١٥٢) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن، ص ٢ ، الترجمة، ص ٣ - ٤.

(١٥٣) شرحه، المتن، ص ٢١٠ ؛ سقط الاسم في ترجمة شيفير (ص ٣٠٧).

وأذى على يد أعداء الدولة »، لذا فان أسلوبه في هذه المرة يفيض مرارة وأسى ويعكس من الصراحة والجرأة ما لا يقابلنا في بقية الكتاب. ومهما يكن رأينا في الأهداف التي رمى إليها فإنه لا يسعنا إلاّ الاعتراف بأن ألفاظه تعكس إيماناً قوياً بالمبادىء التي اعتنقها يصل إلى درجة التضحية بالنفس في سبيلها. وكان نظام الملك يعلم جيداً أن عداءه للاسماعيلية قد يكلفه حياته يوماً ما ولكنه كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن أفكاره ستنتصر بعد موته؛ وهو يقول في هذا الصدد[١٥٤]: « وسيذكر سيد العالم أدام الله سلطنته أقوال خادمه عندما يشرعون (أي الاسماعيلية) في إلقاء الأعزّاء وأهل المكانة في هوة سحيقة، وعندما يبلغ صوت طبلهم الآذان ويستبين شرهم وفتنتهم للجميع ويقع المسلمون في البلاء ويضطرب حبل الأمن في المملكة وتتعرض العقيدة لموجة الإلحاد والضلال. آنذاك سيعلم السلطان[١٥٥] أن كل ما قاله خادمه هو عين الحقيقة وأنه لم يدّخر وسعاً في إسداء النصح، وأنه قد قام بواجب الخدمة والولاء نحو دولته القاهرة ثبّت الله أركانها ».

ومصنف نظام الملك يعتبر دون منازع مصدرنا الرئيسي لدراسة النظام السياسي للدويلات التي قامت في شرقي العالم الإسلامي، كما أن الفصول الأخيرة منه والتي أفردها مؤلف الكتاب للكلام على طائفة الاسماعيلية تجمع إلى ذلك مادة تاريخية وفيرة. غير أن البروفسور نولدكه **Nöldeke** في نقده لطبعة شيفير[١٥٦] أبدى ارتيابه في صدق هذه المادة، خاصة القطعة التي تزعم أن الاسماعيلية قد أدخلوا نصراً بن أحمد الساماني في دعوتهم؛ ولكن هذه القصة الأخيرة التي لم يشر إليها أيّ من المؤرخين (راجع أعلاه ص ٧٢) قد أكدها صاحب « الفهرست »[١٥٧]. وكما يتضح من ملاحظتنا على الفقرة التي سقناها فإن ترجمة شيفير لا تقف على مستوى رفيع من الدقة وإن كانت لا تذهب إلى حد تشويه الأصل[١٥٨].

وفي القرن الحادي عشر ظهرت أيضاً مصنفات تتناول تاريخ الأديان؛ وقد أفرد لها

72

---

(١٥٤) شرحه، المتن، ص ٢٠٥؛ الترجمة، ص ٢٩٩.

(١٥٥) جاء في الترجمة «Que le prince sache» (=« وليعلم الأمير » – المترجم)، مما لا يتفق تماماً مع المتن.

(١٥٦) ZDMG, Bd XLVI, s. 767.

(١٥٧) الفهرست، الجزء الأول، ص ١٨٨.

(١٥٨) راجع أمثلة أخرى لهذا فيما يلي من الكتاب. راجع أيضاً ملاحظات البروفسور براون E.G. Browne في كتابه A. Literary History, vol. II, عن الطبعة («Much-needed corrections» = « تحتاج الى تصحيحات عديدة »)، ص ٢١٢؛ وعن الترجمة («French translation excellent» = « ترجمة فرنسية ممتازة »)، ص ٢١٤.

صاحب « الفهرست » جانباً هاماً من مصنفه . ولعالم الأندلس المشهور ابن حزم[١٥٩] المتوفى عام ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ كتاب بعنوان « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، وهو موجود في عدد من المخطوطات ؛ وقد رجع إليه من المستشرقين كلٌّ من دوزي Dozy وكريمر Kremer وغولدزهر Goldziher ، كما أن نقولاً طويلة منه نشرها شراينر Schreiner منذ وقت غير بعيد[١٦٠]. وفي تاريخ تال لهذا ، وذلك في عام ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ ، وضع أبو المعالي محمد بن عبيد الله كتابه « بيان الأديان » بمدينة غزنة ؛ هذا وقد ضمن شيفير مقتطفات منه في مختاراته الفارسية Chrestomatie[١٦١] ، ويبدو أن المخطوطة الوحيدة للكتاب كانت في حوزته هو . وفي عام ١٩١٥ ظهرت ترجمة لهذا الكتاب باللغة الدانيّة ندين بها لكريستنسن A. Christensen[١٦٢].

ومن بين مؤلفات القرن الثاني عشر يشغل المكانة الأولى بلا منازع « مجمل التواريخ والقصص » وهو لمؤلف مجهول ؛ وهذا المصنف الذي تم تدوينه في عام ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ محفوظ في مخطوطة فريدة بالمكتبة الأهلية بباريس[١٦٣] ، وفيه يرد سرد موجز للغاية لتواريخ الأسر الحاكمة في الإسلام بما في ذلك السلاجقة ؛ ومن جهة أخرى تتمتع الفصول المفردة لملوك الفرس الأقدمين[١٦٤] وللهند[١٦٥] ولشعوب التركية بأهمية أكثر ، كما تظفر بأهمية خاصة قائمة بألقاب حكام المشرق تقابلنا فيها مجموعة من الألقاب لا نجدها في مصدر آخر . أما الروايات المتواترة عن أصل القبائل التركية واشتقاق أسمائها من أبطالها

---

(١٥٩) راجع عنه Rozen, ZVORAO, t. VIII, str. 179-180، وعن مصنفه راجع Flügel, Die arab. Handschr. der Kais.-Kön. Hof-bibliothek zu Wien, II, 197-199.

(١٦٠) Schreiner, Beiträge, ZDMG, III, 465-7, 475-86. طبع الآن في القاهرة في خمسة أجزاء ، ١٣١٧ - ١٣٢١ هـ = ١٨٩٩ - ١٩٠٣.

(١٦١) Schefer, Chrestomathie persane, t. I, PP. 132-171; notes, pp. 132 - 133. المخطوطة الآن بباريس Suppl. pers. 1356, No 7, fol. 195 v-224؛ راجع: Blochet, Catalogue... Schefer, Paris, 1900, p. 76.

(١٦٢) Abu-l-Maali, Fremstilling af Religionerne, oversat af A. Christensen, Kobenhavn, 1915 (Studier fra Sprog-og oltidsforskning udgivne af det filologisk-historiske Samfund, No 101) (توجد أيضا ترجمة فرنسية بقلم ماسيه H. Massé ١٩٢٦ - الناشرون).

(١٦٣) Ancien fond persan, No 62 (نشرْ المتن الفارسي « مجمل التواريخ » ملك الشعراء بهار في طهران ، ١٣١٨ ش = ١٩٣٩ - مينورسكي).

(١٦٤) JA, 3e ser., t.t. XI, XII, XIV; 4e ser., t. I.

(١٦٥) Reinaud, Fragments arabes et persanes inedits relatifs à l'Inde, Paris, 1845, pp. 1 - 54.

73 الأُوَل (Eponymous Heroes) فتختلف لديه بعض الشيء عمّا ورد لدى كرديزي؛ وفيما عدا هذا نلتقي لديه أيضاً بأقدم رواية للأسطورة التي تجعل مسقط رأس ترك بن يافث المنطقة الواقعة حول بحيرة ايسيق كول(١٦٦). وتنتهي المخطوطة بذكر حادث انتهاب الغز لمدينة نيشابور عقب أسرهم للسلطان سنجر في عام ١١٥٣؛ وأغلب الظن أن هذه الرواية الأخيرة أضيفت فيما بعد إما بواسطة المؤلف نفسه أو بواسطة شخص آخر.

وفي مدار هذا الوقت نفسه وضع أبو الفتوح بركات بن مبارك بن اسماعيل المتوفى بنيشابور عام ٥٢٥ هـ = ١١٣١ مصنفا باللغة العربية بعنوان «لمعة التواريخ»(١٦٧) لم يصلنا؛ والمؤلف ولد بغزنة بعد عام ٤٦٠ هـ = ١٠٦٨ ووصل بتاريخه إلى عام ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ - ١١٠٧. وإلى ذلك العصر يرتفع أيضاً «تاريخ آل سلجوق» الذي ورد اسم مؤلفه أبي طاهر خاتوني في «تذكرة الشعراء» لدولتشاه؛ ويشير إليه براون Browne إشارة عابرة على أنه صاحب مجموعة من المختارات الشعرية بعنوان «مناقب الشعراء» ويضيف إلى هذا أن «تاريخ آل سلجوق» قد ورد ذكره لدى دولتشاه بطريقة عامة لا نستطيع معها الجزم أي كتاب يعني بالذات(١٦٨). غير أنه يبدو بوضوح مما نقله دولتشاه عن ذلك الكتاب متعلقاً بالشاعر عمعق بخاري(١٦٩) أن الكتاب من تأليف أبي طاهر خاتوني أحد معاصري السلطان سنجر(١٧٠).

وفي أواخر سني حياته دوّن شرف الدين أبو نصر انوشروان بن خالد كاشاني(١٧١) المتوفى عام ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ - ١١٣٩ ذكرياته باللغة الفارسية تحت عنوان لا يخلو

---

(١٦٦) Teksty, str. 19 - 20؛ راجع: أبو الغازي، شجرة الأتراك، طبعة دميزون، المتن ص ٩، الترجمة ص ٩

(١٦٧) Teksty, str. 70 (من «فريدة القصر» لعماد الدين الأصفهاني).

(١٦٨) Browne, «The Sources of Dawlatshah», JRAS, 1899, P. 42.

(١٦٩) دولتشاه، طبعة براون، ص ٦٤ - ٦٥.

(١٧٠) يرد ذكر أبي طاهر هذا في: Houtsma, Recueil, 105 sq. (راجع ما يلي فيما يتعلق بأثر آخر له في هجاء أحد الوزراء) II, 89؛ راجع: Browne, A Literary History, II, PP. 183 sq., 326؛ راجع أيضاً عن أبي طاهر المعلومات التي جمعها ناشر لباب الألباب لعوفي (يقصد العلامة الفارسي محمد عبد الوهاب قزويني - المترجم)، الجزء الأول، ص ٦ وما يليها. وقد أطلق عليه اسم خاتوني لأنه كان يعمل مستوفياً (أي يدير الأعمال المالية) لجوهر خاتون زوج السلطان محمد بن ملكشاه. راجع الراوندي، طبعة محمد اقبال، ١٣١ و١٣٦.

(١٧١) راجع عنه وعن المؤلفَيْن التاليين مصنف البنداري، طبعة هوتسما، المقدمة؛ و Rozen, Arabskie skazania, II, str. 190 - 191

من مغزى هو « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور »؛ وكان المؤلف وزيراً للخليفة المسترشد واستوزر بعده للسلطان السلجوقي مسعود. هذا وتعالج الذكريات الأحداث الواقعة بين عامي ١٠٧٢ و١١٣٤، وهي قد وصلتنا في مسودتها العربية التي عملها عماد الدين الأصفهاني. والمترجم العربي يتهم المؤلف بالتحيز والرغبة في النَيْل من خصومه، ولكن البروفسور هوتسما لا يتفق مع هذا الرأي ولا يرى في كتاب كاشاني سوى تعبير عن عواطف المؤلف مما هو معهود في المصنفات الأدبية التي من هذا القبيل، بل إن هذا العنصر هو الذي يسبغ عليها جميع ما تتميز به من سحر وجاذبية.

74 أما أبو عبد الرحمن محمد بن محمد عماد الدين الأصفهاني الذي دوّن مصنفه في عام ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ فإنه لم يقف عند حد الترجمة فحسب بل زاد على الكتاب واختصره في بعض المواضع على رأي هوتسما، ثم أضاف عليه عرضا لتاريخ السلاجقة قبل عام ١٠٧٢ وشفع ذلك بأن وصل به إلى شوال من عام ٥٧٥ هـ = ١١٨٠. ومصنفه الذي يحمل عنوان « نصرة الفترة وعصرة الفطرة » قد حُفظ حسب علمنا في مخطوطة واحدة فقط ترجع الى القرن الثامن عشر وهي موجودة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس[١٧٢]. ولهذا الكتاب الأخير ملخص من عمل فتح بن علي بن محمد البنداري يرجع تاريخ تدوينه الى عام ٦٢٣ هـ = ١٢٢٣ ويحمل عنوان « زبدة النصرة ونخبة العصرة » قام بنشره البروفسور هوتسما. وقد بذل مختصِره جهده في أن يحافظ على « جميع مقاصد الكتاب، محتو على عيون قرائنه البديعة وزواهر ألفاظه الفصيحة ». وأحيانا يزيد البنداري إلى متن عماد الدين إضافات بسيطة في أحداث سني أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري. والكتاب حتى في مسودة البنداري عسير الفهم، لما يذخر به من محسّنات بديعية وألفاظ مهجورة وتعابير متروكة، ولكنه في مقابل ذلك يتمتع بأهمية كبرى بوصفه أحفل مصادر تاريخ السلاجقة أجمع وأقدمها فيما يتعلق بتاريخ الأحداث التالية لعام ٥٢٠ هـ. وفيه نلتقي بوقائع عديدة لا وجود لها في المصادر الأخرى حتى فيما يمس تاريخ الولايات الشرقية لامبراطورية السلاجقة والمناطق المتاخمة لها من بلاد ما وراء النهر رغما من أن اهتمام المؤلف بطبيعة الحال قد تركز بصورة أكثر على المناطق التي عاش حياته بها، أعني ايران الغربية والعراق والشام. ولعماد الدين مجموعة من المنتخبات الشعرية باللغة العربية تضم

---

(١٧٢) Suppl. arabe, No 772; cf. de Slane, Catalogue, BN, No 2145. عن المؤلف وآثاره راجع: Brockelmann, GAL, Bd I, s. 314 sq. عن البنداري والحسيني، شرحه، الجزء الأول، ص ٣٢١ وما يليها.

معلومات موجزة في سير عدد كبير من الأدباء ونماذج من انتاجهم الأدبي مع إيراد ذكر لمصنفات تاريخية[١٧٣]؛ ويحمل هذا الكتاب عنوان « خريدة القصر وجريدة العصر »، وقد نشر منه شيفير قطعة تتعلق بتاريخ أحد وزراء السلاجقة[١٧٤][١٧٥].

وقريباً جدا من نهاية القرن الثاني عشر، وذلك عقب عام ٥٩٠ هـ = ١١٩٤، دوّن الأمير صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحسيني الذي كان يعمل في خدمة خوارزمشاه تكش كتاباً بعنوان « زبدة التواريخ » عالج فيه الكلام على تاريخ السلاجقة، والمخطوطة 75 الوحيدة لهذا الكتاب موجودة بالمتحف البريطاني[١٧٦]. ووفقاً لرأي هوتسما فإن كتاب الحسيني إنما يمثل في معظمه مختصراً لكتاب عماد الدين، ولكن المؤلف عند سرده لتاريخ السلاجقة الأُوَل استعان بمصنفات تاريخية أخرى. وهو قليلاً ما يذكر مصادره رغماً من أن دلائل الأحوال تشير إلى أنه قد نقل حرفياً منها. وتتمتع بأهمية أكبر رواية المؤلف للأحداث التي شهدها، فهو يقدم لنا في هذا المجال « تفاصيل عديدة غير معروفة على وجه العموم في مصادر أخرى ».

وفي بداية القرن الثالث عشر، وذلك في عام ٥٩٩ هـ = ١٢٠٢ - ١٢٠٣، تم في آسيا الصغرى تدوين كتاب أبي بكر محمد بن علي الراوندي بعنوان « راحة الصدور وآية السرور ». ويتميز عرض الراوندي بالإيجاز وقليلاً ما نلتقي لديه بمادة جديدة، ولا يعرف من الأصل الفارسي للكتاب سوى مخطوطة واحدة[١٧٧] كانت في حيازة المرحوم

---

(١٧٣) Catalogus cod. or. bibl. Lugdun. Batar., II, 208 - 88. راجع Teksty ص ٧٠.

(١٧٤) نظام الملك، طبعة شيفير، الملحقات، ص ١١٥ - ١٢٢

(١٧٥) (لم يطبع من «خريدة القصر » سوى أقسام؛ القسم عن شعراء مصر بعناية أحمد أمين الخ، القاهرة، ١٩٥١ (جزآن)؛ والقسم عن العراق، الجزء الأول بعناية محمد بهجت الأثري وجميل سعيد، بغداد ١٣٧٥ = ١٩٥٥- المترجم).

(١٧٦) MS Stowe, Orient., 7. راجع عن هذه المخطوطة: Rieu, Suppl. Arab., pp. 342 - 344; Houtsma, Recueil, I, P. X; II, P. XXXVI; Rozen, Arabskie skazania, III, str. 243 sq. حيث يوجد المتن مع ترجمة روسية لفقرات تتعلق بحرب الب ارسلان مع رومانوس ديوجينيس. هذه المخطوطة بمجرد وصولها الى المتحف البريطاني نسخها البروفسور رايت Wright بهدف نشرها فيما بعد ولكنها لم تر النور حتى الآن. كذلك وعد سوسهايم بنشرها (Süssheim, Prolegomena... ، ١٩١١ Leipzig ولكن ذلك لم يتم بعد (عام ١٩٢٥). ووفقا لسوسهيم فان « زبدة التواريخ » ليس سوى مصدر من مصادر التاريخ المجهول المؤلف الموجود في المخطوطة Stowe, Or. 7. (تم نشر « أخبار الدولة السلجوقية » لصدر الدين (؟) بلاهور عام ١٩٣٣ على يد محمد اقبال - مينورسكي).

(١٧٧) توجد الآن بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم Suppl. pers. 1314 راجع: Blochet, Catal. Schefer, p. 65

شارل شيفير الذي نشر منها القسم الخاص بسلطنة سنجر مصحوباً بترجمة فرنسية(١٧٨)، وتلى ذلك نشر القسم الخاص بسلاطنة السلاجقة الأُوَل إلى عهد ملكشاه(١٧٩) مقتصراً على المتن وحده؛ هذا وقد تم الآن نشر متن الكتاب بتمامه على يد محمد اقبال وطبع ببريطانيا(١٨٠). والكتاب قد نقل إلى التركية في عهد السلطان مراد الثاني (١٤٢١ - ١٤٥١) وتوجد نسخة من هذه الترجمة التركية بالمتحف الآسيوي(١٨١)، كما أن البروفسور هوتسما نشر من المتن التركي القسم المتعلق بسلاجقة الروم الذين وصل المترجم بتاريخهم إلى عام ١٢٢٥(١٨٢).

---

(١٧٨) Tableau du règne de Moïzz eddin Aboul Harith, Sultan Sindjar, par Mohammed ibn Aly Ravendy. Texte persan publié... avec la traduction française, par Ch. Schefer, «Nouveaux mélanges orientaux», pp. 1 – 47. ومن المؤسف أن الترجمة تذخر بالأخطاء مما يغير المعنى تماماً، يكفي فقط أن نشير الى أن جملة « در سرّ كس فرستادند » (= « أرسلوا شخصاً في السر » – المترجم) قد ترجمها شيفير «députa à Serkes» (= « أرسلوا الى سركس » – المترجم)، مضيفا في الحاشية أن سركس مدينة من أعمال كش (ص ١٩ ، ٣٥).

(١٧٩) نظام الملك، طبعة شيفير، الملحقات، ص ٧٠ - ١١٤.

(١٨٠) The Rahat-us-Sudur wa Ayat-us-Surur, being a history of the Saljuqs by Muhammad ibn Ali ibn Sulayman ar-Rawandi. Ed... by Muhammad Iqbal, Leyden-London, 1921, (GMS NS, II)

(توجد الآن ترجمة عربية جيدة للراوندي أشرف على نقلها الى العربية المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربي، وظهرت في القاهرة عام ١٩٦٠ - المترجم).

(١٨١) المخطوطة رقم: 590 ba (D 116)

(١٨٢) Histoire des Seldjoucides d'Asie Mineure d'après Ibn-Bibi. Texte turc publié... par M. Th. Houtsma, Leide, 1902 (RTHS, vol. III). في المقدمة ينسب تأليف الأصل الفارسي للكتاب الى شخص يدعى ابن بيبي وذلك إعتماداً على مقال شيفير Schefer في Recueil de Textes et de traductions..., I sq. وفي هذا المقال يرد أن ناصر الدين يحيى بن محمد المعروف بابن بيبي قد دون تاريخ سلاجقة الروم من عام ٥٨٨ هـ الى عام ٦٧٩ هـ وأن للكتاب ترجمة تركية عملت في القرن الخامس عشر وتوجد مخطوطتها بمكتبة درسدن. هذه المخطوطة كان برناور Bernauer ينوي نشرها ولكن لم يتحقق له ذلك. ولا ذكر لهذا الأثر في فهرست المكتبة الذي عمله فليشر Fleischer. وفي متن مخطوطة المتحف الآسيوي (590 ba (D 116) (التي بقدر علمنا إنما تمثل نسخة من مخطوطة ليدن) ترد إشارة مباشرة الى كتاب الراوندي على أنه الأصل الذي نقلت عنه الترجمة. ومقارنة الترجمة التركية بالمتن الفارسي المطبوع لا تترك مجالا للتشكك في هذا. أما القسم الثاني من الكتاب الذي يحوي تاريخ سلاجقة الروم فيبدو من واقع الأمر أنه ترجمة لمصنف ابن بيبي. (يجب تصحيح جميع هذه المعلومات على أساس دراسات المستشرق النمساوي هربرت دودا H.W. Duda عن ابن بيبي وتاريخه. راجع مقاله عن « ابن بيبي » في الجزء الثاني من دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية، ١٩٧١ - المترجم).

أما « تاريخ آل سلجوق » لجمال الدين علي بن يوسف القفطي[١٨٣] المتوفى عام ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ فهو مفقود، كما لم تصل إلى أيدينا أيضاً مصنفات أخرى لا يعرف على وجه التحديد عهد تأليفها. ومن بينها مصنف يحمل عنوان « ملك نامه » أو « ملوك نامه » لمؤلف مجهول، كان مصدراً لميرخواند وأبي الفرج[١٨٤] وأغلب الظن أنه كان مصدراً لابن الأثير أيضاً. وثمة مصنف آخر بعنوان « سلجوق نامه »[١٨٥] كان المصدر الوحيد للراوندي في عرضه للأحداث السابقة لعصره، وهو من تأليف أحد أقربائه ويدعى ظهير الدين النيشابوري وكان « أستاذاً » للسلطانين أرسلان (١١٦١ - ١١٧٧) ومسعود (١١٣٣ - ١١٥٢) ووضع مصنفه في عهد السلطان طغرل (١١٧٧ - ١١٩٤) آخر سلاجقة العراق[١٨٦]. والقصة التي يوردها حافظ آبرو[١٨٧] في مصنفه التاريخي الجغرافي (القرن الخامس عشر) المتعلقة بالفيل الذي سُرق من معسكر السلطان مسعود مأخوذة عن ظهير الدين هذا، وإن كان بيهقي قد ذكرها من قبل[١٨٨]. ولنذكر أخيراً أن مؤرخ القرن الرابع عشر حمد الله قزويني يشير إلى تاريخ للسلاجقة من تدوين شخص يدعى أبا العلاء الأحول[١٨٩].

---

(١٨٣) حاجي خليفة، الجزء الثاني، ص ١٠٩.

(١٨٤) Barhebraei, Chronicon Syriacum, ed. Bruns, p. 229; Houtsma, RTHS, P. IX

(١٨٥) حاجي خليفة، الجزء الثالث، ٦٠٦.

(١٨٦) لعل هذا المصنف (المرفوع الى طغرل) هو المذكور تحت رقم CXXXVIII (ص ١٣٣) في فهرست مورلي Morley, Cat.... the Lib....the R.A.S. ومما يدعو الى الأسف ان هذا المخطوط كما علمت من المشرفين على المكتبة قد فقد. (تم الآن نشر « سلجوقنامه » لظهير الدين بطهران، ١٣٣٢ = ١٩٥٤ ومعه « الذيل » لأبي حامد محمد بن ابراهيم - بوزورث Bosworth)

(١٨٧) Ruk. GPB Dorn 299, f196a

(١٨٨) طبعة مورلي، ص ٧٠٨ - ٧٠٩؛ (غني وفيّاض، ٥٦٦).

(١٨٩) حمد الله قزويني، تاريخ كزيده، طبعة براون Browne ص ٤٣٤؛ ترجمته، ص ٩٣. عن مصنفات متأخرة في تاريخ السلاجقة راجع: « العراضة في الحكايات السلجوقية » لمحمد بن محمد الحسيني (القرن الرابع عشر):
Rieu, Pers. MSS, vol. II, p. 848 sq.; Süssheim, Prolegomena; وطبعتين بالقاهرة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ وليدن ١٩٠٩؛ انظر الراوندي، طبعة اقبال، المقدمة P. XXXIV. أما مصنف أبي حامد محمد بن ابراهيم الذي يذكره رشيد الدين فهو نفس « راحة الصدور » لمحمد بن علي الراوندي، راجع P. XXXV (في الواقع ان أبا حامد لم يدون سوى « ذيل » لتاريخ ظهير الدين النيشابوري أفاد منه الراوندي - مينورسكي). (« الأحول » هذه تصحيف من الناسخ لاسم « ابن حسّول » الذي وضع رسالة في « تفضيل » الأتراك » نشرها عباس العزاوي في Belleten, No 14-15, Istanbul, 1940 - ملاحظة وردت في الطبعة الانجليزية الثالثة).

77 والفترة التي تشمل النصف الثاني من القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر تعتبر بوجه عام من أحلك فترات التاريخ الاسلامي وأشدها غموضاً، زد على هذا أن رواية المصادر التي وصلت إلينا متناقضة للغاية بشأن تلك الفترة، كما أن تحديد السنين بما في ذلك سني الأحداث الهامة تحيط به صعوبات جمة. ورغماً من ذلك فهي فترة تجيش بأحداث جسيمة هزت الشعوب الاسلامية أجمع هزاً عنيفاً، ففيها يقع تدهور السيادة السلجوقية وسقوطها، وخضوع بلاد ما وراء النهر لسيادة حكام وثنيين، وقيام دولتين مسلمتين جديدتين هما دولة شاهات خوارزم ودولة الغور، وانتصار شاهات خوارزم على منافسيهم من المسلمين ومن القراخطاي ثم توحيدهم لجميع القسم الشرقي للعالم الاسلامي تحت سلطانهم واقامتهم لدولة تحمل في الظاهر كل سمات القوّة والفتوّة ولكن سرعان ما انكشف ضعفها الداخلي عند أول صدام لها مع خصم أجنبي.

والمصنفات التاريخية التي وضعت من أجل سلاطنة الغور وشاهات خوارزم لم تصل إلى أيدينا، ولذا فإن معرفتنا بتاريخ هاتين الدولتين يرجع الى المؤرخين النقليين من أهل القرن الثالث عشر الذين سنعالج الكلام عنهم في القسم التالي لهذا. وفيما يتعلق بتاريخ الغور فإن مصدرنا الرئيسي هو جوزجاني صاحب «طبقات ناصري»؛ وقد أفاد جوزجاني من مصنف بعنوان «قصص ثاني» لأبي الحسن الهيضم بن محمد النابي[١٩٠] الذي يرد في مواضع أخرى تحت اسم ابن هيضم، وقد عالج ابن هيضم في مصنفه أيضا الكلام على تاريخ الطاهريين والصفاريين والسامانيين والسلاجقة[١٩١]. وفي روايته لتاريخ سلاطنة الغور اعتمد جوزجاني أيضا على كتاب في أنساب الأسر الحاكمة من تأليف فخر الدين مباركشاه مرورودي[١٩٢] تم تدوينه في بداية القرن الثالث عشر ويحتوي على عديد من الروايات الطريفة عن القبائل التركية ولغتها[١٩٣].

---

(١٩٠) أو لعلها «الباقي»؛ وفي مواضع أخرى من الكتاب يدعى «ابن هيضم».

(١٩١) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، ص ١١، ١٩، ٢٦، ٥٦، ١١٦، ٣٢٠.

(١٩٢) شرحه، ص ٣٠٠؛ عن المخطوطة التي اشتراها إليس A.G. Ellis مقال: Ross- Gauthiot, L'Alphabet sogdien, JA, ser. 11, t. I, 1913, PP. 521–533; Ross, The Genealogies..., «Ajab–nama», pp. 392–413. ويقول ابن الأثير إنه توفي في شوّال عام ٦٠٢ هـ = مايو – يونيو ١٢٠٦ (الجزء الثاني عشر، ص ١٦٠) (انظر Ross, the genealogies, p. 403) ولكن في مصنفه يذكر شهر ذي القعدة من نفس العام (شرحه، P. 401).

(١٩٣) تتفق أسماء القبائل المذكورة لديه (شرحه .P. 407 sq) إلى حد كبير مع أسماء القبائل التي يوردها لنا محمود الكاشغري في القرن الحادي عشر («قيق» في موضع «قيى»، و«يَزغِر» في موضع «يزِر» أو =

أما تاريخ شاهات خوارزم فإنه يشغل شطراً كبيراً من « تاريخ جهانكشاي » لجويني الذي يبدو في هذا المجال كأنه المصدر الوحيد لميرخواند والمؤرخين النقليين من الفرس السابقين له. وكل من جويني[194] وابن الأثير[195] اعتمد فيما يتعلق بتاريخ شاهات خوارزم على مصنف لأبي الحسن علي بن زيد[196] البيهقي بعنوان « مشارب التجارب وغوارب الغرائب »[197]، ووفقاً لألفاظ جويني فإن هذا المصنف يمثل تكملة « لتجارب الأمم »؛ وبالطبع فإن المؤلف يشير بهذا إلى المصنف المشهور بنفس العنوان لأبي علي أحمد بن مسكويه[198] المتوفى عام ٤٢١ هـ = ١٠٣٠. وينقل جويني أيضاً من الموسوعة التي تحمل

78

= « يازير »). وأنا أدين باطلاعي على المخطوطة (الموجودة « بمدرسة الدراسات الشرقية » بلندن) الى السير دنيسون روص Sir E.D. Ross (طبع مصنف مروروذي على يد روص في عام ١٩٢٧ – الناشرون).

(١٩٤) طبعة قزويني، الجزء الثاني، ص ١: « كتاب مشارب التجارب كه تتمّة ذيل تجارب الأمم است از تصنيف ابن فندق البيهقي ».

(١٩٥) الجزء الحادي عشر، ص ٢٤٩. يشير ابن الأثير في هذا الموضع الى الكتاب بصدد أحداث عام ٥٦٨ هـ. ولكن من المعلوم أن تدوينه قد تم قبل عام ٥٦٣ هـ، إذ ترد الإشارة فيه الى « تاريخ بيهق » الذي أُكمل في نفس ذلك العام وتوفي مؤلفه في عام ٥٦٥ هـ. ولعل ابن الأثير كان يوجد تحت تصرفه ذيل للكتاب.

(١٩٦) يدعوه جويني، كما رأينا، « ابن فندق ».

(١٩٧) حاجي خليفة، الجزء الخامس، ص ٥٤٤. ولنفس هذا المؤلف مصنف في تاريخ موطنه بيهق، وصل إلينا؛ انظر Pertsch, Verzeichniss, s. 516, No 535؛ و Rieu, Suppl. Pers., p. 60 sq.؛ و Kal, Persidskiye, arab. i tiurk. rukopisi, str. 8–9 (No 9 a) حيث ترد (خطأ) إشارة المؤلف الى تأريخ بيهق من تصنيف علي بن أبي صالح الهوَري وإلى تاريخ نيشابور لأبي عبد الله البيع؛ انظر Rieu, Supplement, p. 61 (تاريخ بيهق لأبي الحسن علي بن فندق نشره أحمد بهمنيار عام ١٣١٧ ش = ١٩٣٨ – الناشرون).

(١٩٨) الأجزاء الأول والخامس والسادس نشرها كايتاني Caetani في طبعة مصورة من أجل مجموعة جب التذكارية GMS, VII. هذا وقد طبع الجزآن الخامس والسادس مع ترجمة انجليزية والذيل الذي صنفه أبو شجاع ومقتطفات من كتب أخرى على يد امدروز Amedroz ومرجليوث Margoliouth وذلك تحت عنوان « كسوف شمس الدولة العباسية » The Eclipse of the Abbasid Caliphate, Oxford, 1920–1921. وثمة قطع تتعلق بتاريخ الفترة ١٩٨ هـ–٢٥١ هـ نشرها دي خويه De Goeje (Fragmenta Hist. Arab., Lugd. Batav., 1869–71, tom. II). ويحاول البروفسور مرجليوث في مقدمة طبعته أن يدلل على أن « ابن » التي تقف قبل « مسكويه » عادة إنما خطا (Eclipse, vol. VII, P. 11) ويعارضه في هذا محرر مادة « مسكويه » في دائرة المعارف الاسلامية فيقول إن مسكويه أو مُشكُويه إنما هو اسم جد المؤلف. ولا يذكر حاجي خليفة من بين متممي تاريخ مسكويه (الجزء الثاني، ص ١٩١) سوى أبي شجاع محمد بن الحسين (المتوفى عام ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥) وزير الخليفة المستظهر، ومحمد بن عبد الملك الهمذاني و(أبو الحسن) بيهقي نفسه، رغماً من أن عنوان كتابه يحمل إشارة واضحة الى عنوان =

عنوان « جامع العلوم » للفقيه الشهير فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي المتوفى عام ٦٠٦ هـ = ١٢١٠ التي وضعها من أجل خوارزمشاه تكش[١٩٩]. أما عن التاريخ المبكر لخوارزم فإن مصنفاً ضخماً يقع في ثمانين جزءاً لأبي محمد محمود بن محمد بن ارسلان العباسي الخوارزمي المتوفى عام ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ - ١١٧٣ عالج فيه الكلام على 79 خوارزم وأهلها كان بلا ريب سيكون ذا أهمية بالغة بالنسبة لنا ، وقد اختصر هذا الأثر المؤرخ الذهبي[٢٠٠] (القرن الرابع عشر) الذي مر ذكره عند الكلام على البيّع (صفحة ٨٠). ومن مصنف الخوارزمي هذا استعار ياقوت[٢٠١] قصة طريفة تتعلق بالفيلسوف الشهرستاني صاحب الكتاب المشهور في الملل والنحل[٢٠٢] وفي صدد تاريخ شاهات خوارزم يشير حاجي خليفة إلى كتاب من تأليف سيد صدر الدين بعنوان « تاريخ خوارزمشاهي »[٢٠٣].

= كتاب مسكويه ، يقول عن كتابه إنه تتمة لتاريخ اليميني (أنظر « تاريخ بيهق » Cod. Brit. Mus. Or. 3587, f. 12 a). وثمة مصنف آخر لبيهقي في تاريخ العلماء موجود في مخطوطة ببرلين ، انظر Brockelmann, GAL, Bd I, s. 324 والفقرات التي نشرها منه Jacob-Wiedemann, Zur Omer-i-Chajjam, Der Islam, III, S. 43 sq. راجع أيضاً مقالتي عن بيهقي في دائرة المعارف الاسلامية ، وترجمته في الإرشاد ، الجزء الخامس ، ص ٢٠٨ - ٢١٨ ؛ وقد ولد بيهقي يوم السبت ٢٧ شعبان عام ٤٩٩ هـ = ٥ مارس ١١٠٣ وتوفي عام ٥٦٥ هـ = ١١٦٩ - ١١٧٠ .

(١٩٩) أنظر Pertsch, Verz. s. 162-163 (No 92); Rieu, Suppl. Pers., p. 102 b؛ وثمة مصنف تاريخي موجز ينسبه فستنفلد الى هذا المؤلف (Wüstenfeld, Die Geschichtschreiber, s. 106) تم تدوينه في بداية القرن الرابع عشر (أنظر الفخري ، طبعة ألفارت Ahlwardt)

(٢٠٠) حاجي خليفة ، الجزء الثاني ، ص ١٢٩ والجزء السابع ، ص ٦٥٥ ؛ Wüstenfeld, Die Geschichtschreiber, s. 90 حيث توجد إشارة إلى ياقوت يجب قراءتها ٣٤٣ بدلاً من ٣٤١ .

(٢٠١) معجم البلدان ، طبعة فستنفلد ، الجزء الثالث ، ص ٣٤٣ .

(٢٠٢) يذكر ياقوت أيضاً نفس هذا المصنف (الذي رآه بخط يد المؤلف) في تاريخ خوارزم من تأليف أبي محمد بن ارسلان (وهو يدعوه في موضع آخر أبا أحمد محمد بن ارسلان ، الإرشاد ، الجزء الثالث ، ص ٢١٢) في كتابه الإرشاد ، الجزء الخامس ، ص ٤١٢ ، وذلك في ترجمته لأبي الحسن علي بن محمد العمراني (المتوفى عام ٥٦٠ هـ) تلميذ الزمخشري (انظر Brockelmann, GAL, Bd I, s. 289 sq.) وصاحب مصنف جغرافي رجع إليه ياقوت مراراً في معجمه (أنظر فهرس معجم البلدان ، الجزء السادس ، ص ٥٨٦).

(٢٠٣) حاجي خليفة ، الجزء الثاني ، ص ١٢٩ . هو بالطبع نفس مؤرخ السلاجقة الذي مر الكلام عليه من قبل (أنظر أعلاه ، ص ٩٦). وفي مخطوطة القائمة المتعلقة بالمصنفات التاريخية المفقودة التي يجب البحث عنها بالمشرق والتي رفعت (باللغة العربية) إلى السير جور اوزلي Gore Ousely (وتوجد هذه المخطوطة الآن بمدرسة الدراسات الشرقية بلندن) يرد الكلام (ص ١٤٨) عن تاريخ لجرجان (كتاب بلاد جرجانية) من =

وثمة مصدر بالغ الأهمية بالنسبة لتاريخ فترة شاهات خوارزم يتمثل في مجموعتين من الرسائل الرسمية لا تحمل الأولى منها أي عنوان(٢٠٤)، وهي محفوظة في مخطوطة فريدة كانت توجد في الماضي بقسم دراسة اللغات الشرقية التابع لوزارة الخارجية الروسية وترك لنا البارون ف.ر. روزن وصفاً دقيقاً لها(٢٠٥). والغالبية العظمى من رسائل هذه المجموعة ندين بها لقلم منتجب الدين بديع كاتب السلطان سنجر الذي ورد ذكره لدى جويني(٢٠٦) عند كلامه على حملة السلطان سنجر على خوارزم في عام ٥٤٢ هـ = ١١٤٧. ومن بينها مكتوب غاية في الطرافة بعث به خوارزمشاه ايل ارسلان إلى حكومة الخليفة العباسي(٢٠٧)، وهو كما نفهم من ألفاظ عماد الدين في مجموعته «خريدة القصر»(٢٠٨) من تحرير الشاعر الوطواط المتوفى عام ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ والذي يغلب على الظن أنه قام 80 بتحرير/رسائل أخرى باسم خوارزمشاه(٢٠٩). ولأتسز رسائل ذات أهمية خاصة، سواء منها التي ينعت فيها نفسه بأنه تابع سنجر المخلص، أو تلك التي يوجه فيها عدداً من التهم

عمل حمزة الأصفهاني؛ غير أنه لا علم لي بمصنف من هذا القبيل في المصادر التاريخية.
[راجع: History of Jurjan by Hamza b. Yusuf al-Sahmi al-Jurjani, ed. by Nizam al-din, Hyderabad, 1950 – الترجمة الانجليزية «لتركستان» (آخر طبعة)].

(٢٠٤) (في «المتون» Teksty التي نشرها بارتولد (ص ٢٣ – ٤٧) توجد نخبة مختارة من هذه المجموعة تحت عنوان «انشاء» منقولة عن مخطوطة معهد اللغات الشرقية MID, No 282 التي لا تحمل عنوانا ما (راجع الحاشية التالية) – الناشرون). (هذه المجموعة نشرها الآن عباس إقبال بطهران، ١٣٢٩ ش = ١٩٥٠ – مينورسكي). (نشر «عتبة الكتبة» لمنتجب الدين على يد محمد قزويني وعباس إقبال. راجع أيضاً: A.K.S. Lambton, «The administration of Sanjar's empire as illustrated in the Atabat al-Kataba», B.S.O.A.S., XX, 1957, P. 367 – 88 – بوزورث)

(٢٠٥) Rosen, Les manuscrits persans, p. 146 sq. وفيه يرد سرد لعناوين الوثائق باستثناء الأخيرة التي سقط عنوانها سهواً، راجع Teksty ص ٤٤ (انشاء). هذه المخطوطة قد نقلت الآن كبقية مخطوطات المعهد الى المتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية (هو الآن معهد شعوب آسيا التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية – الناشرون).

(٢٠٦) الجزء الثاني، ص ٩؛ يرد الكلام عن «رسالة» لبديع لدى جويني، الجزء الأول، ص ٨.

(٢٠٧) Teksty ص ٣٠ – ٣٢ (انشاء).

(٢٠٨) شرحه، ص ٧٠ («فريدة القصر»). عن الوطواط (رشيد الدين محمد بن علي الجليل) راجع Browne, A Literary History, vol. II, P. 330 sq. و Ethé, Neupersisch. Litteratur, s. 259 sq.

(٢٠٩) (نُشرت رسائل الوطواط العربية بالقاهرة في عام ١٣١٥ هـ = ١٨٩٧ – ١٨٩٨ «مجموعة الرسائل». أما الفارسية فقد نشرها Q. Tuysirkani بطهران عام ١٣٣٨ = ١٩٥٩ «نامهاى رشيد الدين وطواط» – بوزورث).

في حق السلطان ويبرّر خروجه عليه[٢١٠]. وإلى جانب هذا تهمنا بصورة خاصة الرسائل التي تلقي ضوءا على علاقات السلطان سنجر بخانات تركستان[٢١١].

أما المجموعة الثانية، والتي تحمل عنوان «التوسل إلى الترسّل»[٢١٢] فهي من تحرير بهاء الدين محمد بن مؤيد البغدادي الذي كان في خدمة خوارزمشاه تكش، ويوكد حمد الله قزويني[٢١٣] أنه أخ للفقيه المشهور مجد الدين بغدادي الذي قتل بأمر من خوارزمشاه محمد. ويذكر المؤلف نفسه في المقدمة أنه عاش من قبل بمدينة نسا بخراسان حتى استدعاه السلطان وجعله على رأس ديوان الانشاء، وأنه نزولاً على رغبة أصدقائه وعلى أمر السلطان قد قام على كره منه بتدوين مجموعة الرسائل التي خرجت من قلمه خلال العام أو العامين الأخيرين؛ وقد رفع كتابه الى الوزير[٢١٤]. ويبدو من المتن[٢١٥] أن الرسائل تتصل بعامي ٥٧٨ و٥٧٩ للهجرة = ١١٨٢ - ١١٨٤ رغماً من أن المؤرخين ينسبون الأحداث المذكورة فيها إلى تواريخ تالية لذلك.

ومن المؤسف أن هذه المادة التاريخية على ندرتها ليس هناك ما يزاد عليها من روايات الرحالة إلاّ النزر اليسير. والأدب الجغرافي بعد القرن العاشر قد غلب عليه طابع النقل والتجميع، زد على هذا أن مصنفاته قد تم تدوينها في القسم الغربي من العالم الاسلامي. ومن القلائل من رحالة القرن الثاني عشر يمكن أن نشير إلى شهاب الدين أبي عبد الله (أو أبي حامد) أحمد الغرناطي الذي وإن كان في الأصل من أهل الأندلس إلا أنه ساح في الأقطار الشرقية وضرب في أقاصي الشمال حتى بلغ بلاد بلغار الفولجا. ونلتقي لديه برواية لا تخلو من مغزى وهي تتعلق بالكشف عن قبر مزعوم للخليفة عليّ بنواحي بلخ[٢١٦].

---

(٢١٠) Teksty ص ٤٣ - ٤٤ (انشاء).

(٢١١) شرحه، ص ٢٣ - ٢٦ (انشاء).

(٢١٢) راجع عنه حاجي خليفة، الجزء الثاني، ص ٤٦٣؛ و Catal. Lugd. الجزء الأول، ص ١٦٩ - ١٧٢. (نشر بارتولد شذوراً من «كتاب التوسل» في Teksty (ص ٧٣ - ٨٢). أما المتن الكامل للكتاب فقد نشره (اعتماداً على مخطوطتي ليدن وباريس) أحمد بهمنيار مع مقدمة بقلم ميرزا محمد خان قزويني في عام ١٣١٥ ش = ١٩٣٦ - الناشرون).

(٢١٣) Teksty ص ١٥٣. في طبعة براون «لتاريخ گزيده» يوجد ها هنا سقط، لم ترد الإشارة إليه لا في الأصل (ص ٧٨٨) ولا في الترجمة الانجليزية (ص ٢١٥).

(٢١٤) Teksty ص ٧٣، (طبعة بهمنيار، ص ٤ وما يليها).

(٢١٥) Teksty ص ٧٩؛ (طبعة بهمنيار، ص ١٥٦).

(٢١٦) Teksty ص ٢١ - ٢٢. عن المؤلف ومصنفه راجع Brockelmann, GAL, Bd I, s. 477 sq. (نشره =

81 وحوالي منتصف القرن السادس الهجري تم تأليف « معجم الأنساب » لأبي سعد[٢١٧] عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفى عام ٥٦٢ هـ = ١١٦٦ . وأصل مؤلفنا من مدينة مرو ، ومن بين مصنفاته تاريخ لتلك المدينة ؛ وقد أبصر ياقوت بمدينة مرو خزانتي الكتب اللتين كانت تمتلكها أسرة السمعاني[٢١٨]. وقد بذل السمعاني جهده في معجمه لاستقصاء الأنساب التي اشتهرت بها جماعة العلماء والشيوخ وغيرهم من الشخصيات التي خلفت أثرها في الإسلام ، وذلك وفقاً لحروف المعجم ؛ وهو حين يفعل هذا نراه يفرد بضعة أسطر لترجمة حال كل شخص ورد ذكره بالمعجم . ولمّا كان معظم هذه الأنساب قد أخذ من أسماء المدن والنواحي فان كتاب السمعاني يمثل أهمية كبرى بالنسبة لجغرافيا العالم الاسلامي في العصور الوسيطة وأصبح بالتالي من المصادر الأساسية لياقوت. وفي سبيل جمع المادة لمصنفه قام المؤلف بطواف واسع ، وكان موجوداً ببلاد ما وراء النهر وخوارزم في عام ٥٥٠ هـ - ٥٥١ هـ = ١١٥٥ - ١١٥٦[٢١٩]. هذا وقد استمع السمعاني إلى دروس في الفقه وعلوم الدين ببخارا[٢٢٠] وسمرقند[٢٢١] وأقام بنسف[٢٢٢] قرابة الشهرين ، كما مكث بترمذ[٢٢٣] اثنى عشر يوما ؛ ولم يكن نادراً عند كلامه على مدينة أو ناحية أن يذكر عنها في الوقت ذاته بعض الحقائق .

ومما لا ريب فيه أن كتاب السمعاني يمثل أهمية كبرى بالنسبة لتاريخ الأدب ، على الرغم من أن المؤلف لسوء الحظ قد وجه جلّ اهتمامه الى الأدب الديني (ويمثل ذكره للشاعر رودكي[٢٢٤] حالة من الاستثناءات النادرة) ، فهو مثلاً لا يذكر اسم الجيهاني من

= الآن فيران Ferrand في JA, t. CCVII - جب Gibb) (طبعة جديدة قدمها لنا دوبلر C. Dubler في عام ١٩٥٣ - الناشرون). (يعتقد ليفي بروفنسال Lévi-Provençal أن الأمر يدور عن مصنفين مستقلين لأبي حامد الغرناطي. راجع مقاله عنه في دائرة المعارف الاسلامية [الطبعة الثانية] - المترجم).

(٢١٧) يرد في بعض المخطوطات والمطبوعات على أنه « أبو سعيد » بدلا من « أبي سعد » (أنظر مثلا ابن الأثير ، الجزء الحادي عشر ، ص ١٥٢).

(٢١٨) Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 2, 34. راجع ياقوت ، المعجم ، الجزء الرابع ، ص ٥٠٩ ، ٢١ .

(٢١٩) Teksty, ص ٦٦ (انظر طبعة مرجليوث تحت لفظ « الكندي »).

(٢٢٠) Teksty, ص ٦٢ ، ٦٥ (مرجليوث تحت لفظي « الصفّار » و« الكاشاني »).

(٢٢١) Teksty, ص ٥٦ (مرجليوث تحت لفظ « الخديمنكني »).

(٢٢٢) Teksty, ص ٦٨ (مرجليوث تحت لفظ « النسفي »).

(٢٢٣) Teksty, ص ٥٥ (مرجليوث تحت لفظ « الترمذي »).

(٢٢٤) Teksty, ص ٥٤ ، ٥٨ (مرجليوث تحت لفظي « البنجي » و« الرودكي »).

قريب أو بعيد؛ وعند كلامه على اسم بلعمي يقف عند ذكر اسم الوزير أبي الفضل محمد[٢٢٥] بينما يهمل تماماً ذكر اسم ابنه ناقل الطبري إلى الفارسية[٢٢٦]. ووفقاً لرأي ابن خلكان[٢٢٧] فإن مصنف السمعاني كان يشتمل على ثمان مجلدات وأنه أصبح منذ القرن الثالث عشر نادر الوجود؛ هذا وقد حظي برواج أكثر مختصره الذي عمله المؤرخ ابن الأثير في ثلاثة مجلدات[٢٢٨]. أما أصل الكتاب فقد نشره في طبعة مصورة (f acsimile) 82 البروفسور مرجليوث D.S. Margoliouth اعتماداً على مخطوطة المتحف البريطاني[٢٢٩]، وهناك مخطوطة كاملة بالتقريب لهذا الأثر بمكتبة المتحف الآسيوي[٢٣٠].

والمعجم الجغرافي لياقوت[٢٣١]، وهو شهاب الدين أبو عبد الله الحموي المتوفى عام ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩، معروف بالدرجة التي تغنينا عن الوقوف عنده طويلاً. هذا وقد جمع ياقوت لمعجمه مادة وفيرة خاصة من خزانات كتب مدينة مرو، وسجل فيه جميع أسماء المدن والنواحي الهامة بالعالم الاسلامي باذلاً جهده في ضبط الأسماء التي قد تستعصي قراءتها على من لا عهد له بها بالنظر لما يطرأ أحياناً على الكتابة العربية من تصحيف وتحريف وغيرهما. ولم يكن التوفيق حليفه في جميع الأحوال، خاصة عندما تقف معرفته بأسماء المدن في حدود ما دُوّن في بطون الكتب والأسفار. ورغما من تسفاره العريض فهو لم يتمكن بالطبع من زيارة جميع أصقاع العالم الاسلامي؛ وهو إن كان قد زار خوارزم مثلاً إلاّ أن قدمه لم تطأ أرض بلاد ما وراء النهر على الإطلاق، لذا فإن من الخطل الاعتماد عليه اعتمادا دون وعي فيما يتعلق بضبط الأسماء كما لاحظ بحق دي خويه[٢٣٢]. ولياقوت معجم آخر للأدباء يحتوي على نقول من رسائل عديدة تعتبر الآن في حكم المفقودة، وقد تم الآن نشر ما أمكن العثور عليه من هذا المصنف على يد البروفسور

---

(٢٢٥) Teksty, ص ٥٤ (مرجليوث تحت لفظ «البلعمي»).

(٢٢٦) يخلط البروفسور جكوفسكي سهواً بين الأب والابن (Razvaliny Starogo Merva, str. 18)

(٢٢٧) طبعة ڤستنفلد، الترجمة رقم ٤٠٦؛ ترجمة دي سلان، الجزء الثاني، ص ١٥٧.

(٢٢٨) نشر بدايته ڤستنفلد Specimen el-Lobabi Sive Genealogiarum Arabum..., Gottingae, 1835

(٢٢٩) GMS, XX (يجري طبعه الآن طبعة منقحة بواسطة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد وذلك منذ عام ١٩٦٢. وقد ظهر حتى هذه اللحظة ستة أجزاء منه، وذلك بتصحيح وتعليقات الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني أمين مكتبة الحرم المكي - المترجم).

(٢٣٠) راجع Rosen, Notices sommaires, p. 146. عن المؤلف ومصنفه راجع Brockelmann, GAL, Bd I, s. 329 sq.

(٢٣١) طبعة ڤستنفلد. عن حياة ياقوت راجع Von Kremer, Cutturgeschichte, Bd II, s. 433 – 436

(٢٣٢) BGA, I, PP. VII – VIII

مرجليوث[٢٣٣]. ويجب ألا ننسى في هذا الصدد الإشارة إلى الأثر الكوزموغرافي الجغرافي لزكريا بن محمد القزويني المتوفى عام ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ الذي نشره فستنفلد أيضاً[٢٣٤]؛ وهذا المؤلف كثيراً ما اعتمد على ياقوت، إلاّ أنه يقدم لنا في مواضع عديدة من كتابه مادة لا توجد «بالمعجم».

وفي عام ٦١٠ هـ = ١٢١٤ وضع صفي الدين أبو بكر عبد الله بن عمر مصنفاً باللغة العربية في وصف مدينة بلخ مصحوباً بعرض لتاريخها، وفي هذا الأثر يرد الكلام «في فضائل المدينة وتأسيسها وأنهارها وأشجارها وأثمارها وبساتينها ورياحينها، وفي مساجدها ومدارسها ورونق يوم الجمعة والأعياد بها وعماراتها، وفي ذكر علمائها ومشايخها وأمرائها المشهورين، وفي خلقها الكثير واحترامهم للناس ومراعاتهم لهم، وفي أمن طرقاتها وخصبها ونعمتها، وفي ميل سكانها إلى طاعة السلطان وزجر المفسدين بها وقمعهم». وقد نُقل هذا الأثر الى الفارسية في عام ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ على يد مؤلف مجهول اعتمد على النسخة التي كتبها المؤلف بخط يده، ومخطوطة هذه الترجمة موجودة بالمكتبة الأهلية بباريس (Ancien fond Persan 115)، وحدث أن ضمّن شيفير قطعة منها في منتخباته الفارسية «Chrestomathie persane»[٢٣٥].

وفي عام ٦٢٥ هـ = ١٢٢٨ دوّن محمد عوفي بالهند مجموعته الأدبية «جوامع الحكايات ولوامع الروايات»[٢٣٦]؛ وقد تنقّل عوفي كثيرا في أيام شبابه وزار بخارا[٢٣٧]

(٢٣٣) ارشاد الأريب الى معرفة الأديب Ed. by D.S. Margoliouth, vol. I–VII, Leyden–London, 1907 – 1927 (GMS, VI, 1-7) (باستثناء الجزء الرابع – المترجم). ويقال الآن إن الجزء المفقود قد تم العثور عليه. راجع مقال Margoliouth, A HIitherto undiscovered volume... Islamica, vol. I, fasc. 1.

(٢٣٤) عجائب المخلوقات، وآثار البلاد. Zakarija Ben Muhammed Ben Mahmud el-Cazwini's Kosmographie. I. Die Wunder der Schöpfung... hrsg. von F. Wüstenfeld, Göttingen, 1849; II. Die Denkmäler der Länder... hrsg. von F. Wüstenfeld, Göttingen, 1848; أنظر Brockelmann, GAL, Bd I, S. 48; Browne, A Literary History, vol. II, P. 482 sq.

(٢٣٥) Schefer, Chrestomathie persane, t. I, PP. 66–103; notes, pp. 63–68.

(٢٣٦) راجع Bartold, Novoe musul. izvestie o Russkikh, str. 263 sq. عن المؤلف ومصنفه راجع Browne, A Literary History, vol. II, P. 447 sq. (راجع الفهرس عن الشذور الأخرى)؛ مقتطفات واستطرادات لدى: Marquart, Grund. d. Iran. Phil., II, S. 213, 330, 332 Komanen راجع الفهرس تحت لفظ محمد عوفي. (توجد دراسة نقدية «لجوامع الحكايات» بقلم محمد نظيم الدين ظهرت ضمن مجموعة جب التذكارية GMS, NS, VIII (جب Gibb). (يعمل بعض العلماء الايرانيون الآن في نشر جوامع الحكايات بطهران، ويخرج في أجزاء متتابعة – المترجم).

(٢٣٧) Teksty ص ٩٣.

وخوارزم[٢٣٨]. ومن بين الحكايات التي جمعها تمثل أهمية كبرى بالنسبة لنا الحكايات العديدة المتعلقة بالقراخانيين، خاصة طمغاج خان ابراهيم بن نصر[٢٣٩]. وبجانب الحكايات يحتوي مصنف عوفي على فصل في التاريخ (الفصل الخامس من القسم الأول)، وآخر في الجغرافيا (الفصل السادس عشر من القسم الرابع)؛ وفي هذا الفصل الأخير تكتسب أهمية خاصة رواياته عن قبائل آسيا الشرقية والقبائل التركية، فالمؤلف مثلاً هو أول كاتب فارسي يرد لديه ذكر الأويغور[٢٤٠].

هذا وقد وضع محمد بن نجيب بكران من أجل خوارزمشاه محمد (١٢٠٠ - ١٢٢٠) مصنفاً بالفارسية بعنوان «جهان نامه»؛ وعلى ما نعلم فان هذا الأثر محفوظ في مخطوطتين فقط[٢٤١]، وهو يحتوي على معلومات طريفة في جغرافيا ما وراء النهر وتاريخ القراخطاي[٢٤٢].

أمّا تاريخ القراخطاي الذين أخضعوا بلاد ما وراء النهر فقد تعرّض له بصورة عامة المؤرخ جويني؛ ورغماً من أن روايته لتاريخهم تحفل بالكثير من الأخطاء والغموض والمتناقضات إلاّ أنها تكاد تكون المصدر الوحيد للمؤرخين النقليين المتأخرين. وأمّا تاريخ تدعيم القراخطاي لسلطانهم على الأقطار التي فتحوها فقد عرضه لنا بتفصيل كبير المؤرخ ابن الأثير[٢٤٣]. وفي ذيله لتاريخ نرشخي[٢٤٤] نشر شيفير فصلاً عن القراخانيين وآخر عن القراخطاي استقاهما من «مصنف نقلي لمؤلف مجهول دوّن في نهاية القرن السادس عشر». هذا المصنف هو في رأينا «تاريخ حيدري» لحيدر بن علي حسيني رازي الذي يرجع تاريخ تأليفه إلى أوائل القرن السابع عشر، ذلك أن المتن الذي نشره شيفير يتفق لفظاً لفظاً مع الفصول المطابقة من مخطوطة برلين[٢٤٥] لكتاب «تاريخ حيدري» كما

84

(٢٣٨) شرحه، ص ٨٨.

(٢٣٩) شرحه، ص ٨٤ - ٠٧.

(٢٤٠) شرحه، ص ٩٩. بدر ما هو معلوم الى الآن فان أول ذكر لاسم «أيغور» أو «أويغور» قد جاء لأول مرة في الأدب العربي لدى محمود الكاشغري «ديوان لغات الترك» (نهاية القرن الحادي عشر).

(٢٤١) راجع تومانسكي ZVORAO, T. IX, str. 302–303 وأيضاً تومانسكي Tumanski, Novootkryti, persidski geograf, str. 124.

(٢٤٢) Teksty ص ٨١ - ٨٢. (نُشر متن جهان نامه على شكل طبعة مصورة اعتمادا على مخطوطة لنينجراد على يد يو. ا. بروششيفسكي Iu. E. Broshchevski - الناشرون).

(٢٤٣) الجزء الحادي عشر، ص ٥٥ وما يليها.

(٢٤٤) نرشخي، طبعة شيفير، PP. II, 230 -- 243

(٢٤٥) Pertsch, Verzeichniss, s. 410, No 418. راجع Rieu, Suppl. Pers., pp. 20 – 21 (في مخطوطة المتحف البريطاني هذه يحمل كتاب حيدري نفس عنوان «مجمع التواريخ» الذي نلتقي به في مخطوطة شيفير). أنظر أيضاً مقالي عن «حيدر بن علي» في دائرة المعارف الاسلامية.

تأكدت من ذلك شخصياً أثناء زيارتي لبرلين صيف عام ١٨٩٨ . وتحتوي رواية حيدر رازي أحيانا على تفاصيل وأسماء لأعلام لا وجود لها لدى جويني .

٢ - فترة الغزو المغولي

كان من الطبيعي أن يتعرض مؤرخو جميع الأقطار التي مرت عليها عاصفة الغزو المغولي لتاريخ ذلك الحادث الجلل ؛ وسنعتمد في دراستنا هذه بصورة رئيسية على المصادر الإسلامية والصينية وفي القليل النادر على الأرمنية(٢٤٦) كذلك. ومن بين المصادر الصينية القائمة بذاتها يمكن أن نشير إلى تقرير دوّنه منغ - هنغ Meng - Hung الذي بعثت به حكومة السنغ Sung (في جنوب الصين) في عام ١٢٢١ في سفارة إلى الشمال ليعقد حلفاً مع المغول ضد الجورجه Churche(٢٤٧). أما القصص التي خلفها لنا الرحّالون

---

(٢٤٦) في الترجمات التي عملها پتكانوف K.P. Patkanov, Istoria mongolov inoka Magakii, XIII v, SPb, 1871; Istoria mongolov po armianskim istochnikam, SPb, 1873–1874, 2 VYP.) (لم تعد ترجمات پتكانوف مُرضية الآن ، وأفضل منها بكثير الترجمات الفرنسية بقلم M. Brosset, Deux historiens Arméniens..., ST.-Pbg., 1870, pp. 1-205 كيراكوس الكنجكي Histoire de la Siounie, par Stéphanos Orbélian... ST.-Pbg., 1866) ؛ وكذلك الترجمة الروسية «لتاريخ أرمينية » لكيراكوس الكنجكي التي عملها Ter-Grigorian (باكو ١٩٥٤). أما « تاريخ شعب الرماة بالنشاب (المغول) » الذي نسب من قبل الى شخص يدعى مغاكيا فقد ثبت الآن أنه من تصنيف غريغور الاكنزي (الاكنرزي) Grigor of Akanc الذي مات عام ١٣٣٥ ؛ راجع الترجمة الجديدة لمصنفه: History of the Nation of Archers (The Mongols)... ed. R.P. Blake and R.N. Frye, Cambridge, Mass., 1954 (المتن الأرمني مع الترجمة الانجليزية وتعليقات) أنظر أيضاً: Galstian, Armianskie istochniki - الناشرون).

(٢٤٧) Vasiliev, Istoria i drevnesti..., Trudy Vost. Otd. Arkh. Ob., IV. العنوان الصيني لهذا المصنف هو « منغ - تابي - لو » Mong-ta Pei-Lu وهذه الترجمة الروسية بقلم ڤاسيلييف ليست على مستوى رفيع حسب رأي البروفسور پليو (Pelliot, A propos des Comans, p. 130) (كما ثبت الآن فإن تأليف هذا المصنف نُسب خطأ منذ القرن الرابع عشر إلى منغ هنغ Meng Hung وقد دلل العلامة الصيني وان كؤو - وي Wan Kuo-Wei على أن هذا المصنف إنما في أغلب الظن من تأليف شخص يدعى تشاو هنغ Chao-Hung ويؤكد هذا الرأي پول پليو Pelliot, L'édition collective, راجع أيضاً Munkuiev, O, «Mong-ta Pei-lu», str. 81 ؛ وعلى هامش النسخة الانجليزية «لتركستان » التي كانت في حوزة بارتولد ترد في هذا الموضع الملاحظة الآتية: « پليو ٣٧ ، حاشية عن موقالي. مؤلف «Toung Pao, 1928-29, p. 169 sq, Tchao Hong عن موقالي انظر ما يلي ص ٥٤١- الناشرون).

الأُخَر/فقد اهتم بجمعها الدكتور برتشنيدر Dr. Bretschneider في مؤلفه(٢٤٨)؛ وأطرفها 85
جميعاً وصف طريق رحلة الراهب التاوي (Taoist) تشأن تشؤن Ch'ang - Ch'un
(التي دوّنها أحد تلامذته)، وتوجد في ترجمة روسية أيضاً(٢٤٩). وقد ترك لنا الصينيون
كرصفائهم المسلمين لوحة رهيبة للتخريب والتدمير الذي تركه المغول في أعقابهم، ولكن
بينما حال التعصب الديني لدى المسلمين، باستثناء القليل منهم، دون رؤية الخصال الحسنة
التي ميّزت الرحّل على أهل الحضر في آسيا الوسطى، فإننا على العكس نجد الكثير من
الحيدة وعدم التحيز في حكم أهل الصين على المغول. ذلك أنه رغماً من احترامهم العميق
لحضارتهم الدنبوية فإنه لم يكن من النادر أن يغمر أهل الصين شعور من الإعجاب
ببساطة أخلاق الرحّل حتى أن إشاراتهم عن المغول تذكّرنا بالمؤلفين الأوائل في
حديثهم عن الاشكوزيين Scythians والجرمان. مثال ذلك قول تشأن تشؤن: «وترجع
أخلاقهم وعاداتهم إلى أزمنة سحيقة... وهم لم يرثوا تعاليم مدونة عن حكمائهم بل عاشوا
قروناً طويلة على الفطرة قانعين بأسلوبهم البسيط في الحياة لا تزعجهم شواغل
الحضارة»(٢٥٠). ويرى منغ-هنغ في عادات المغول وأخلاقهم التي لا تشابه في شيء حياة الأمم
المتحضرة «العادات الأصيلة التي لم تلوّثها المدنية»، بل وينتابه شعور بالأسى عندما
يبصر زوال هذه البساطة الفطرية أمام طلاء المدينة الصينية الزائف فيقول: «ومن المؤلم
حقاً أن يصبح أساتذتهم في هذا الفن عمال دولة الكين Kin الذين هربوا من بلادهم،
فبدأوا يخرجون من حياة الفوضى (أي البساطة) ويقوّضون مبادئهم الفطرية (أي السليمة)
الإلهية ويتعلمون مكر المتحضرين ونفاقهم. آه! كم أجد هذا بغيضاً إلى النفس»(٢٥١).

---

(٢٤٨) Bretschneider, Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources..., vol. I, London, 1888؛ الطبعة الجديدة: 1910.

(٢٤٩) Trudy Rossiiskoi dukhovnoi missii v Pekinye, vol. IV

(٢٥٠) شرحه، ص ٢٨٩.

(٢٥١) شرحه، ص ٢٣٢. عن مراجع صينية أخرى تتعلق بتاريخ المغول، راجع: Bretschneider, Researches, vol. I, P. 189 sq. و Pelliot, A propos des Comans, p. 130 sq. ووفقاً لبليو فإن أقدم المصنفات إلى جانب Hsi-ta Che-lio هو Mong-ta Pei-lu الذي تندرج فيه تعليقات ترجع الى عام ١٣٢٧ (لا ذكر لهذا الأثر لدى برتشنيدر). أما الأثر المعروف باسم Huang Yuan Sheng Ts'in cheng lu الذي نقله إلى الروسية پالاديوس Palladius (كفاروف Kafarov) فيرجع تاريخ تدوينه الى القرن الربع عشر (Pelliot, A propos des Comans, p. 130؛ Bretschneider, Researches, I. P. 194)، ووفقاً لبليو فإن هذا المصنف يتفق كثيراً مع رشيد الدين، غير أن متنه في حالة يُرثى لها «Dans un etat deplorable» (شرحه P. 176) (راجع عن هذا المصنف Munkuiev, O «Mong--ta Pei-lu» 86-92 - الناشرون).

ومن المؤرخين المسلمين الذين عاصروا أحداث الغزو المغولي ودوّنوها في مصنفاتهم ثلاثة، هم ابن الأثير في تاريخه المشهور(٢٥٢) ومنهاج الدين أبو عمر عثمان بن سراج الدين 86 محمد جوزجاني/ في كتابه «طبقات ناصري»(٢٥٣) وشهاب الدين محمد بن أحمد النسوي في ترجمته لسيرة حياة جلال الدين منكبرتي (أو لعله منكبرني)(٢٥٤). ولا يقدم أي من هؤلاء الثلاثة تاريخاً كاملاً لحملات جنكيز خان وقواده، ذلك أنهم جميعاً لم يكونوا في وضع يسمح لهم بمعرفة أكثر من جانب من أحداث تلك الأزمنة المضطربة. فابن الأثير كان يقيم بأرض الجزيرة فلم يكن بوسعه أن يجمع مادة مفصّلة عن أحداث تركستان باستثناء وقائع معينّة رواها على لسان من شهدوها، كاستيلاء المغول على بخارا وسمرقند.

(٢٥٢) رواية ابن الأثير عن الغزو المغولي نقلها الى الروسية البارون ف. غ. تيزنغاوزن V.G. Tizenganzen (SMIZO, I, 1–45)

(٢٥٣) طبع القسم من الكتاب الذي يتعلق بتاريخ الغور والقراخطاي والمغول بمدينة كلكتا عام ١٨٦٤ The Tabaqat-i Nasiri of Aboo Omar Minhaj al-din Othman, ibn Siraj al-din al-Jawzjani. Ed. by W. Nassau Lees and Mawlawis Khadim Hosain and Abd al-Hai). أما المتن فقد نقله الى الانجليزية الماجور راڤرتي Tabakat-i- Nasiri: A general History of the Muhammadan Dynasties of Asia, including Hindustan... By the Maulana Minhaj-ud-Din, Abu Umar-i-Usman. Trnsl... by H.G. Raverty, vol. I–II, London, 1881) مع تعليقات وافية. وقد طبع الفهرس على حدة عام ١٨٩٧.

(يجب أن نضيف أن العلامة الأفغاني عبد الحي حبيبي قد أخرج طبعة قشيبة لمصنف جوزجاني بكابل في جزئين – المترجم).

(٢٥٤) نشر كتاب النسوي مع ترجمة فرنسية المستشرق هودا (Mohammed en-Nesawi, Histoire du sultan Djalal ed - Din Mankobirti prince du Kharezm. Texte arabe publié d'après le manuscrit de la Bibliothèque Nationale par O. Houdas, Paris. 1891: traduit de Houdas, Paris, 1895 (PELOV, III sér., vol. IX–X)). عن المؤلف راجع Brockelmann Bd I, s. 319 وقد ورد ذكر المصنف لدى ابن الشحنة (متنه على هامش الطبعة المصرية لابن الأثير، ١٣٠١ هـ=١٨٨٣ – ١٨٨٤، الجزء التاسع، ص ٨٦) عن هذا المؤلف ومصنفه راجع Brockelmann, Bd II, S. 141 sq تحت عنوان «تاريخ التتر» تأليف «محمد المنشي». كذلك ورد ذكره لدى اسماعيل بن الأثير (راجع عنه Brockelmann, Bd I, S. 341) الذي يدعوه «ابن المنشي» (مخطوطة المتحف البريطاني Or. 7914, f. 46 b). (ظهر بطهران في عام ١٣٠٨ ش = ١٩٢٩ مصنف بعنوان «نفثة المصدور» باللغة الفارسية، كان قد هيأه للنشر رضا قلي خان هدايت المتوفى عام ١٨٧١ اعتمادا على مخطوطة مفقودة اليوم، ونُسب تأليفه خطأً الى شخص مزعوم هو محمد زيدري. وقد دلل محمد خان قزويني على أن المصنف انما هو مذكرات النسوي (في مقاله: مقالهٔ تاريخى... در باب نسخهٔ نفثة المصدور). راجع أيضاً: Petrushevski, Novy Istochnik – الناشرون). (هناك طبعة جديدة للكتاب ندين بها لمجتبى مينوي – المترجم).

أما النسوي فقد كان لحظة الغزو مقيماً بقصر أهله في خراسان ، وهو لم يلتحق بخدمة جلال الدين خوارز مشاه إلاّ بعد عودة الأخير من الهند (عام ١٢٢٣). ولكن حدث أن كان له قبل هذا علاقة ما ببعض عمال دولة خوارزم لذا فإنه يروي عنهم وبألفاظهم في معظم الأحيان حكايات تتعلق بالأوضاع الداخلية والخارجية لدولة خوارزم. وله بالذات ندين بأوفى نصيب من الأخبار عن أحوال موطنه خراسان في ذلك العهد ، غير أنه لا يولي اهتماماً كبيراً للأحداث العسكرية بل يعالجها بإيجاز أكثر مما هو عليه الحال مع بقية المصادر .

وأما جوزجاني الذي ولد عام ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ فقد كان يعمل في خدمة أمراء الغور ، ولذا فإن الأحداث التي كانت افغانستان مسرحاً لها تحظي عنده بالنصيب الأوفى من التفصيل ، بل إن جوزجاني نفسه أخذ طرفاً في الدفاع عن إحدى القلاع . وقد هاجر مؤلفنا إلى الهند عام ١٢٢٧ وشغل هنالك بالتالي منصب قاضي القضاة ، وهناك أيضاً دوّن مصنفه في عام ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠./ ومن الملاحظ أن بعض حملات 87 المغول العسكرية ، كحملة جوچي مثلا من أترار منحدراً مع نهر سيردريا ، ليس لها أدنى ذكر عند أي من المؤرخين الثلاثة . هذا ويقدم لنا نصير الدين طوسي المتوفي عام ١٢٧٤ سرداً موجزاً للغاية لتاريخ المغول من عهد چنكيز خان إلى هولاكو وذلك في بداية جداوله الفلكية « زيج ايلخاني »[٢٥٥].

ولعلّ أكمل رواية لغارات المغول هي تلك التي يقدمها لنا علاء الدين عطا ملك بن محمد جويني المتوفي عام ٦٨١ هـ = ١٢٨٣ في مصنفه « تاريخ جهانكشاى ». وقد تم تدوين هذا الكتاب في نفس العام الذي دون فيه جوزجاني مصنفه[٢٥٦] ، غير أن مؤلفنا كان في ريعان الشباب وكان يصغر جوزجاني كثيراً حتى أنه ليصعب اعتباره من معاصري الغزو المغولي ، وإن كان بوسعه أن يستعمل رواية معاصريه الذين يكبرونه سناً . وكتاب جويني يتضمن تاريخاً للمغول حتى لحظة حملة هولاكو ضد الاسماعيلية ، وبعض مخطوطاته[٢٥٧]

---

(٢٥٥) نسخة هذا المصنف الموجودة بالمتحف البريطاني (Add. 7698) يصفها لنا ريو في فهرسه (Rieu, Pers. MSS, vol. II, P. 454).ومن بين المخطوطات التي حصل عليها المتحف البريطاني مؤخرا نسخة لهذا المصنف أقدم وأضبط وتضم مقدمة تاريخية أكثر تفصيلا (Or. 7464).عن المؤلف راجع Browne, A Literary History. Vol. II, P. 484 sq و Ethé, Neupersische Litteratur, s. 344-348

(٢٥٦) هذا لم يمنع راڤرتي (الترجمة ، الجزء الثاني ، ص ٩٨٧ ، الحاشية) من اعتبار صاحب « تاريخ جهانكشاي » بين المؤلفين الذين عاشوا بعد جوزجاني « بقرن أو ثلاثة قرون ».

(٢٥٧) مثلا مخطوطة GPB, IV, 2, 34.ووفقاً لمحمد قزويني (من مقدمة طبعته لجويني VL. I, P. LXIII فإن =

يحتوي على زيادة أشبه « بذيل للكتاب » في فتح بغداد؛ وفيما عدا هذا فقد ضمّن جويني كتابه تاريخاً لدولة شاهات خوارزم (أنظر ما مر في صفحة ٩٩). والقسم من الكتاب المتعلق بغزو المغول لبلاد ما وراء النهر وخراسان كان قد نشره شيفير ضمن مختاراته الفارسية Chrestomathie[٢٥٨].

هذا ولم ينل مصنف جويني بعد ما يستحق من تقدير، بل اننا نرى دوسون D'Ohsson منذ البداية يتهم مؤلفنا بتملق المغول والإسراف في مدحهم وهم الذين دمّروا وطنه وصيّروه خراباً بلقعاً، كما يتهمه أيضاً بالمبالغة في تنميق أسلوبه الكتابي وتزويقه، ثم شفع ذلك بأن تجاهل مزايا الكتاب وأعرب عن أسفه من أن المؤلف « لم يهتم كثيراً لإيراد الحقائق في عرضه، ولم ينظّم سرده لمادته بصورة أفضل »[٢٥٩]. هذا التعسف في اتهام جويني بالمبالغة في تملق المغول كشف عنه أول ناقد لكتاب دوسون وهو ابيل ريموزه Abel – Rémusat[٢٦٠]، فكما بيّن بحق فإنه لم يكن ثمت أساس في ذلك العهد للكلام عن « وطن » بالمفهوم الحديث لهذا اللفظ، زدْ على هذا أنه باستثناء ويلات الحروب التي لم يكن في وسع أحد أن يتجنبها فإن سكان إيران لم يكونوا بأتعس حالاً تحت سلطان المغول مما كانوا عليه في عهد شاهات خوارزم. أما فيما يتعلق بأسلوب التقريظ 88والمدح الذي لجأ إليه في كتابته وغلبة المحسنات البديعية على لغته فإن/جويني لم يختلف في هذا عن الغالبية العظمى من مؤرخي الفرس، كما أننا لا نلحظ عيوباً خاصة في طريقة عرضه لمادته. صحيح انه لم يسيطر على مادته التاريخية سيطرة تامة، فروايته لا تخلو من التناقضات الصارخة، غير أن آثار المؤرخين النقليين التالين له بما فيهم رشيد الدين لا تتميز عليه في هذا المضمار. وعلى أية حال فإن أحداً لا يستطيع انكار أن المؤلف قد جهد في أن يقدم لنا بأمانة وإخلاص سرداً كاملاً صادقاً لأحداث عصره. وميزة جويني الكبرى على كل من رشيد الدين ووصّاف تكمن في أنه عاش في وقت كانت فيه أمبراطورية المغول لا تزال وحدة متماسكة، وأنه زار بنفسه تركستان وبلاد الأويغور ومنغوليا، وقد جهد في عرضه أن يسرد تاريخ هذه الامبراطورية في مجموعها وبقدر ما سمحت له مصادره بذلك، هذا بينما ركّز كل من رشيد الدين ووصّاف اهتمامه على تاريخ

= هذا الذيل من عمل نصير الدين طوسي؛ غير أن البروفسور براون يكتفي بالقول « لعله إضافة من مؤلف متأخر » (A Literary History, vol. III, P. 66)

(٢٥٨) Schefer, Chrestomathie persane, t. II, PP. 110–160

(٢٥٩) D'Ohsson, Histoire des Mongols, t. I, PP. XX–XXVII

(٢٦٠) Abel–Rémusat, Sur l'histoire des Mongols, p. 437

المغول بايران بصورة خاصة وعلى تاريخ حلفائهم أباطرة المغول ببلاد الصين بوجه عام. أما فيما يتعلق بأحداث دولة چغتاي فإن معلومات هذين المؤرخين عنها نزرة للغاية، بل إنهما لم يستفيدا حتى من رواية جويني عن خلفاء چغتاي الأُوَل[٢٦١].

هذا وقد استعمل جويني الروايات التي أخذها سماعاً عن المغول[٢٦٢]، إلاّ أن هذا لم يحل دون استعماله أيضاً لروايات مدونة؛ وبعض تعابيره يشير إلى استعماله المباشر لمصادر مغولية[٢٦٣]. أما رشيد الدين فقد استعمل المصادر المغولية المدوّنة أبعد من هذا بكثير. 89

ومن المعلوم جيداً أن المغول لم يعرفوا الكتابة قبل عهد جنكيز خان، وهم عندما اتخذوا الأبجدية الأويغورية لتسجيل لغتهم كان هدفهم الأول هو تدوين «تعاليم جنكيز خان» (أي العرف والتقاليد الشعبية التي أكسبها جنكيز خان صبغة القانون)، والتي كان احترامها مفروضاً ليس على جميع سكان الامبراطورية فحسب بل وعلى الخانات أنفسهم؛

---

(٢٦١) هذه الرواية نشر متنها مصحوباً بترجمة فرنسية المستشرق دفريمري (Histoire des Khans Mongols du Turkistan et de la Transoxiane, extraite du Habib essiier de Khondémir, traduite du persan et accompagnée de notes, par M.C. Defrémery,– JA, sér. 4, t. XX, 1852, PP. 381–388, 399–406). وكما لاحظ بحق البروفسور براون فانه لمن العار ألا توجد حتى هذه اللحظة طبعة كاملة لجويني Browne, A Literary History of .Persia, vol. II, P. 473 «not less than a scandal». ويوجد بين أيدينا الآن الجزآن الأول والثاني اللذان ظهرا ضمن سلسلة جب التذكارية (GMS, XVI) بعناية ميرزا محمد خان قزويني ومصدران بمقدمة اضافية نقلها الى الانجليزية براون؛ ولم يبق سوى الجزء الثالث الذي يحوي تاريخ الاسماعيلية. راجع مقالي عن «جويني» بدائرة المعارف الاسلامية؛ وبراون Browne, A Literary History, vol. III, P. 63 sq.

(ظهر الجزء الثالث الذي يحوي تاريخ الاسماعيلية بإيران على يد قزويني في عام ١٩٣٧. كما توجد الآن ترجمة انجليزية كاملة للكتاب من عمل بويل Boyle ظهرت في عام ١٩٥٨ – الناشرون).

(٢٦٢) راجع قوله: «از جملهٔ مغولان معتبر شنيده ام». (الجزء الأول، ص ٢٨).

(٢٦٣) في روايته للأحداث التي سبقت اعتلاء كويوك العرش، يجعل جويني (الجزء الأول، ص ١٩٧) كوتان يرد على أمه التي طلبت منه تسليم النبلاء الذين استغاثوا به في الألفاظ الآتية: «بغاث الطيور كه از مخالب باز بخار بنى پناهد از صولت او امان يابد ايشان نيز چون بما استيمان كرده اند وبدامن دولت ما تمسك نموده بار فرستادن ايشان در آذين همّت ومروّت محظور است واز شيوهٔ مكرمت وفتوت دور» (أي ان بغاث الطير التي تحتمي بالأشواك هربا من مخالب البازي تجد الأمان بينها، وهم أيضاً قد طلبوا الأمان لدينا واحتموا بأكناف دولتنا لذا فان تسليمهم ليس من قواعد الهمة والمروءة وأبعد من صفات الكرم والفتوة – المترجم). ونفس هذه الصورة التشبيهة تقابلنا في الرواية المغولية (Cokrovennoe ckazanie, per. Kafarova, 43; (izd. Kozina, 93)) عندما يقول الذين أغاثوا جنكيز خان: «عندما يطارد البازي صغار الطير فإنها تحتمي بالأشواك الكثيفة التي تنقذ حياتها؛ فإن كان هذا فعل الأشواك فما أحرانا أن نمد يد العون لمن يستغيث بنا».

وبهذا برزت إلى الوجود « الياسا الكبرى »(٢٦٤) لچنكيز خان. ويتحدث عدد من المؤرخين عن وجود نسخ من هذه الياسا ومن بينهم چويني الذي يحدد أن هذه الأحكام كانت مدونة في طوامير محفوظة بخزائن كبار أمراء البيت المالك وأنه عند اعتلاء خان جديد للعرش أو عند الاتفاق على إرسال جيش كبير أو دعوة اجتماع للأمراء للتشاور في شؤون الدولة أُخرجت هذه الطوامير ودُبّر الأمر وفقاً لمحتوياتها(٢٦٥). ولا يمكن الجزم بأن تكون نسخة من هذه الياسا قد وقعت تحت بصر أي من المؤرخين، وأفضل عرض مفصل عن الياسا نجده لدى المؤرخ المصري تقي الدين أحمد المقريزي المتوفي عام ٨٤٥ هـ = ١٤٤١ - ١٤٤٢(٢٦٦).

وزيادة على هذا فقد أخذ المغول عن أهل الصين طريقة تدوين أقوال خاناتهم ثم نشرها بعد وفاتهم، ولا يحتاج الأمر إلى القول بأن هذه المدونات لم يكن ليتم تسجيلها دون رغبة الخان الذي كان في مثل هذه الأحوال يجهد في صياغة ألفاظه شعراً أو على الأقل في قالب مسجوع(٢٦٧). وقد عرفت هذه المدونات تحت لفظ تركي هو « بيليك » (ومعناه المعرفة)، وكانت بيليك چنكيز خان موضوعاً للمدارسة والمذاكرة، بل يروي أنه قد حدث مرة بالصين أن كان العرش من نصيب أحد الأمراء لأنه كشف عن معرفة عميقة بهذه البيليك(٢٦٨). ويورد لنا رشيد الدين نماذج من بيليك چنكيز خان في ذيل من ذيول مصنفه(٢٦٩).

---

(٢٦٤) الياسا هي الأحكام والقانون؛ وصيغتها الأكمل هي « اليَساق » (بالمغولية جساق) نلتقي بها لدى ابن بطوطة (الجزء الثالث، ص ٤٠). وثمة تعبير آخر يرد لدى وصّاف (مخطوطة GPBV, 3, 24 f. 390): تونچن؛ Tundschin لدى (Hammer-Purgstall, Geschichte der Glodenen Horde, s. 183.
وفي موجز « تاريخ أربع ألوس » لألوغ بيك يرد تعبير غير مفهوم اطلاقاً هو: شب آشوب (مخطوطة المتحف البريطاني Addi. 26, 190, f. 56.). راجع ايضاً مقالي Persidskia nadpis..., 1911, p. 31 حيث يرد تعبير آخر هو: تنكغال يرليغ، مأخوذ عن وصّاف.

(٢٦٥) Teksty ص ١٠٣؛ وطبعة قزويني، الجزء الأول، ص ١٧ وما يليها. راجع رشيد الدين، طبعة كاترمير، ص CLXL.

(٢٦٦) المتن والترجمة الفرنسية في منتخبات دي ساسي De Sacy, Chrestomathie arabe, t. II, texte, p. 58 sq., traduction, p. 160 sq; الترجمة الروسية من كتاب البروفسور برزين Berezin, Ocherk vnutrennego ustroistva, str. 25-31

(٢٦٧) Teksty ص ٢٤، وطبعة بلوشيه Blochet ص ١٩٥.

(٢٦٨) D'Ohsson, Histoire des Mongols, t. II, PP. 506-507

(٢٦٩) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، ص ١٢٠ وما يليها. وكل من برزين (شرحه، ص ١٧٣) وڤاسيلييف Vasiliev (Voprosy i somnenia, str. 381) يخلط بين البيليك والياسا.

هذا وقد دفعت انتصارات المغول الرائعة إلى تقوية الوعي القومي لديهم(٢٧٠)، وولّد 90
هذا بدوره الرغبة لديهم ولدي خاناتهم في التعرف على ما ضيهم وتسجيل أمجادهم الماضية وبطولات أسلافهم حتى لا يطويها النسيان. ولم يكن الفارق بين التاريخ والأسطورة واضحاً بالنسبة للمغول، شأنهم في هذا شأن غيرهم من الشعوب البدائية. وأغلب الظن أن أساتذة المغول وهم الأويغور لم يعرفوا التدوين التاريخي بالمعنى المفهوم لهذا اللفظ، وعلى أية حال فإن جويني ورشيد الدين لم يحفظا عن كتبهم سوى أساطير ممعنة في الخيال تتعلق بأصل شعبهم(٢٧١). وكان من اللازم تحت تأثير الوسط والمصالح الطبقية وغيرها أن تظهر روايات متباينة للأخبار المتواترة عن چنكيز خان وأسلافه وأصحابه والظروف التي نشأت فيها دولته. ومن العسير القول على وجه الدقة متى بدأ تدوين هذه الروايات لأول مرة، ويقص علينا رشيد الدين بأن دفتراً يحتوي على تاريخ حملات چنكيز خان كان في حيازة وزير چغتاي الصيني الأصل وذلك قبل توليه لمنصب الوزارة(٢٧٢). هذا وقد وصلتنا رواية كهذه في أصلها المغولي مصحوبة بترجمة صينية تم تدوينها بمنغوليا عام ١٢٤٠(٢٧٣)؛ وقد أعطى البروفسور برزين Berezin لهذه الرواية عنواناً لم يحالفه التوفيق

---

(٢٧٠) Volontes nomen suum, hoc est Moal, exaltare super omne nomen (يريدون رفع اسمهم، أي المغول، فوق كل اسم آخر - المترجم). Recueil de voyages et de mémoires, publ. par la Soc. de géographie, t. IV, Paris, 1839, p. 259

(٢٧١) قوتادغو بيليك، طبعة رادلوف Radloff الجزء الأول ص XXV وما يليها، وص XLI وما يليها. وأيضاً Radlov, K voprosu ob uigurakh, str. 40 sq., 56 sq.

(٢٧٢) Teksty ص ١٢٤؛ ورشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ١٩٥.

(٢٧٣) عن الأصل المغولي راجع دراسة البروفسور پردنييف- A.M. Pozdneev, O drevnem Kitaisko-mongolskom pamiatnike, IRAO, T. X vy p. 3-6, 1884, str. 245-259.. أما بصدد العنوان المغولي للمصنف وهو Mongolun nigucha tobchiyan = تاريخ المغول السري؛ فانظر Pelliot, le titre mongol, T'oung Pao, XIV, 1913, P. 131 sq. هذا وقد نقل الأرشمندريت پالاديوس (كفاروف) الكتاب إلى الروسية عن الصينية (لأن الأصل المغولي لم يكن قد تم الكشف عنه آنذاك) وظهرت الترجمة ضمن مطبوعات «آثار الإرسالية ببكين» TchRDM, T. IV. وكان من المفروض أن يقوم البروفسور پزدنييف بطبع الأصل المغولي في روسيا؛ ويقوم بطبعه الآن پليو (راجع وعده بذلك في Pelliot, A propos des Comans, JA, 11, XV, 132) (في عام ١٩٤١ نشر عالم المغوليات الأكاديمي الروسي س. أ. كوزين S.A. Kozin ترجمة روسية جديدة «للتاريخ السري» ومعها المتن المغولي بالأحرف الروسية ومعجم بألفاظ الكتاب. أما في أوروبا الغربية فقد ظهرت ترجمات للكتاب بقلم كبار المتخصصين الغربيين في شؤون الشرق الأقصى، فطبعه هينِش E. Haenisch (القسم الأول - المتن، القسم الثاني - معجم الألفاظ، القسم الثالث - الترجمة الألمانية. ١٩٣٧ - ١٩٤١)، ثم پليو (المتن المغولي بأكمله وستة فصول في ترجمة فرنسية، ١٩٤٩) (ظهرت عقب وفاة پليو - المترجم). أما في =

كثيراً وهو « الحوليات المغولية الصينية »، وهي تختلف عن بقية الحوليات التاريخية في أن أحداثها لم يجر ترتيبها وفقاً للسنين، أضف الى هذا أن توقيت الأحداث مضطرب ومفكك للغاية. ومن رأينا أن هذا الأثر الطريف يجب أن يضاف الى الملاحم البطولية، ففيه يحتل الأبطال المبرّزون مكانة أرفع بكثير من المكانة المفردة لچنكيز خان وأهل بيته. ووفقاً لرواية هذه الملحمة فإن چنكيز خان قد اغتال أخاه أيام صباه، مما جعل أمه تنعي الشراسة الخلقية التي اتصف بها بنوها الكبار وتقارنهم بالضواري[٢٧٤]، وأعقب هذا غدره بأحد أتباعه المخلصين[٢٧٥]. وهي نفس التهمة التي ألصقت فيما بعد باوكداي الذي يقال انه « اغتال سراً أحد رفاقه المخلصين لضغينة وحقد حملها له في نفسه »[٢٧٦]. وفي مقابل هذا تشيد الرواية بمواقف الأبطال وتتغنى بها، من ذلك مثلا موقف أحدهم الذي طلب صراحة من چنكيز خان أن يستمع الى مشورته في كل الأمور[٢٧٧]، بل إن ألفاظاً تنسب إلى چنكيز خان نفسه تكشف عن احترامه العميق لحرس الخان، أي للأرستقراطية العسكرية[٢٧٨]. وهذه الملحمة تعكس في خطوطها العريضة المثل الأعلى لبطل السهوب في شجاعته التي لا تعرف الخور وإخلاصه الشديد لرأس قبيلته وكرمه الذي لا يقف عند حد[٢٧٩]. أما فيما يتعلق بالأحداث الخارجية فانها تكتفي بسرد قصة الحروب التي كان مسرحها آسيا الشرقية، بينما لا تفرد لحملات المغول في الغرب سوى ألفاظ معدودة.

الصين فقد ظهرت طبعتان للمتن المغولي بالأحرف الصينية من نشر ا. دي-هو E. De-hoi (بكين ١٩٠٨) وشركة «Commercial Press» (شنغهاي، دون تاريخ). هذا وقد ترجم « التاريخ السري » الى عدد من اللغات، ويمثل أهمية خاصة بالنسبة لنقد المتن والترجمات (بما في ذلك ترجمة كوزين) بحث موستير A. Mostaert, Sur quelques passages de l'histoire secrète des Mongols,– HJAS, vol. 13–15, 1950–1952. ويقوم B.A. Pankratov بتحضير طبعة جديدة، ظهر القسم الأول منها في طبعة مصورة لمتن « يوان-تشا أو بي-شي » في خمسة عشر فصلا (المتن المعروف لنا من قبل يضم اثني عشر فصلا) – الناشرون).

(٢٧٤) « التاريخ السري للمغول »، ترجمة كفاروف ٣٩ – ٤٠؛ (طبعة كوزين، ٩٠ – ٩١)

(٢٧٥) شرحه، ترجمة كفاروف، ٦٩؛ (طبعة كوزين، ١١٦).

(٢٧٦) شرحه، ترجمة كفاروف، ١٥٩؛ (طبعة كوزين، ١٩٩).

(٢٧٧) شرحه، ترجمة كفاروف، ٦١؛ (طبعة كوزين، ١٠٧).

(٢٧٨) شرحه، ترجمة كفاروف، ١٢٩؛ (طبعة كوزين، ١٧٠).

(٢٧٩) هكذا على ما يبدو يجب فهم وصف منزل سرخنشيره الرجل الذي أغاث تيموچين: « إن منزله يمكن التعرف عليه من بُعد من صوت حلب إناث الخيل، الذي يبدأ من المساء حتى الصباح » (شرحه، ترجمة كفاروف، ٤٣؛ (طبعة كوزين، ٩٣). لهذا فمن العسير قبول تفسير پللاديوس لهذا بقوله (ص ١٨٠): « لعل إعداد القومس أو النبيذ كان من المهام الملقاة على منزل سرخنشيره ».

ونفس هذه المادة، وإن كان ذلك تحت ضوء مغاير بالطبع، نلتقي بها في المدونات الرسمية للأسانيد المغولية التي وصلتنا في صورتها الفارسية والصينية المعدّلة. ونحن نعلم تمام العلم أن أباطرة الصين قد اهتموا بتدوين أحداث التاريخ المغولي، ففي عهد الامبراطور كاي - سان Kai - San (١٣٠٨ - ١٣١١) مثلاً تمت صياغة تاريخ رسمي للمغول من هذا الطراز[٢٨٠]. وبعد سقوط السيادة المغولية على الصين تم جمع تاريخ مفصل للأسرة المخلوعة وذلك وفقاً لعادة أهل الصين، وهو التاريخ المعروف باسم «تاريخ أسرة اليوان» (يوان - شي Yuan - Shi). ومن المؤسف أن هذا التاريخ لم يظهر حتى الآن في لغة أوروبية فيما عدا نقول موجزة[٢٨١]، ولكننا نعثر من حين لآخر في دراسات علماء 92 الصينيات الأوروبيين بفقرات من المتن المبسوط لليوان - شي تقف دليلاً على أن إخراج ترجمة كاملة لهذا الكتاب سيقدم لنا الكثير من الطريف والجديد.

وفي ايران أسند غازان خان (١٢٩٥ - ١٣٠٤) إلى وزيره رشيد الدين[٢٨٢] مهمة

---

(٢٨٠) Abel-Rémusat, Khaisang, Nouveaux mélanges asiatiques, II, 3 (كما دلل پليو فإن اسم هذا الامبراطور يجب قراءته وفقاً للكتابة الصينية على أنه هاي - شان Hai-Shan (Pelliot, Notes sur le «Turkestan» p. 14). وهذا الاسم في الأصل كما يقول پليو ليس اسما صينياً بل يبدو أنه يعكس الاسم المغولي Qaišan* (شرحه). وعلى هامش نسخة بارتولد (الترجمة الانجليزية) ترد في هذا الموضع الإشارة الآتية: «Hai Shan» - الناشرون).

(٢٨١) Iakinth, Istoria pervykh cheteryekh khanov iz doma Chingizova, SPb, 1829; Douglas, The Life of Jenghis Khan, London, 1877. عن محتويات «اليوان - شي» وتبويبه راجع Bretschneider, Med. Res., I, 180-191. عن الآثار الصينية الأخرى راجع Pelliot, A propos des Comans, JA, II, XV (1920), P. 131 sq. (لم يترجم بتشورين مختصر اليوان - شي بل القسم من پن - كي Pen-Ki المتعلق بالقاآنات الأربعة الأوَل؛ راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 14 - الناشرون).

(٢٨٢) توجد مادة مفصلة عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته في مقدمة كاترمير لطبعته وترجمته لقسم من جامع التواريخ Histoire des Mongols de la Perse, écrite en persan par Raschid - eldin. Publiée, traduite en francais, accompagnée de notes et d'un mémoire dur la vie et les ouvrages de l'auteur par M. Quatremère, t. I, Paris, 1836 (Coll. orient)]. راجع الان: E. Blochet, Introduction à l'histoire des Mongols par Fadl Allah Rachid ad-Din, Leyden-London, 1910; وأيضاً نقدي له في مجلة Mir Islama, I, 1912, P. 56-107 (من الجلي ان بحث كاترمير عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته وإن كان يدعو الى الاعجاب الى هذه اللحظة وذلك رغما من مرور ما يقرب من قرن ونصف عليه! إلا ان الحاجة ماسة الآن الى بحث جديد يستوفى حياة رشيد الدين وآثاره - المترجم).

تدوين تاريخ للمغول ليكون في متناول الجميع(٢٨٣). وفضل الله رشيد الدين بن عماد الدولة أبي الخير كان في بداية أمره طبيباً ومؤلفاً لعدد من الرسائل الدينية، ولكنه التحق بخدمة الدولة منذ أيام آباقا خان (١٢٦٥ - ١٢٨٢) ثم لم يلبث أن تم تعيينه وزيراً عام ٦٩٧ هـ = ١٢٩٨. وكانت الحوليات الرسمية لتاريخ المغول محفوظة بخزائن الايلخان، ويبدو من ألفاظ رشيد الدين أن هذا التاريخ المدوّن باللغة المغولية وبالكتابة المغولية كان يتألف من شذور متفرقة لم يتم جمعها البتة بصورة منظّمة. ونظراً لأن الكتاب اعتُبر مقدساً فإنه لم يكن بوسع أحد الاطلاع عليه، وبهذا لم يستطع المؤرخون استعماله بل اكتفوا بنقل رواياتهم «من أفواه العوام»(٢٨٤). ويبدو أن مؤلفنا كان يقصد هذه الحوليات التاريخية عندما أشار في كلامه عن قبيلة التايجيوت(٢٨٥) إلى ما يسمى «بالسِّفر الذهبي» (التان دبتر)(٢٨٦) الذي كان «محفوظاً على الدوام بخزانة الخانات تحت يد كبار الأمراء». ويقول مؤلف مجهول لتاريخ في أنساب المغول تم وضعه في القرن الخامس عشر. وذلك بصدد الحديث عن أحد عمال (بتـكچي) اوكداى بأنه «من قبيلة.....(٢٨٧) التي كانت تحفظ السّفر الذهبي لچنكيز خان، ولم يحدث لأحد خارج أسرته وأسرة القاآن أن أبصر ذلك السّفر»(٢٨٨). وبالطبع لم يكن بوسع ايراني كرشيد الدين أن يستعمل التاريخ 93 المقدس للمغول استعمالاً مباشراً، ولكنه استمع إلى أخبار المغول يرويها أكبر خبير في التاريخ المغولي وهو پولاد چنكسانك مبعوث القاآن إلى بلاط ايلخانات ايران، كما استمع إليها كذلك من فم غازان نفسه الذي لم يكن ليفوقه في معرفة أخبار المغول سوى پولاد (أو فولاد) هذا(٢٨٩). ورواية رشيد الدين تتفق حرفياً في كثير من الأحايين مع رواية اليوان - شي، مما يقف دليلا على أن الاثنين انما يعتمدان على مصدر واحد هو بطبيعة

---

(٢٨٣) وفقاً لدوسون (Histoire des Mongols, 1 p. XXXV) فإن رشيد الدين تلقى هذا الأمر عام ٧٠٢ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٠٣؛ ولا يرد ذكر لهذا التاريخ عند كاترمير.

(٢٨٤) رشيد الدين، كاترمير، ص ٧٤ - ٧٥.

(٢٨٥) رشيد الدين، برزين، المقدمة، ترجمة برزين، سان بطرسبرغ، ١٨٥٩، ص ١٨٣؛ والأصل الفارسي، سان بطرسبرغ، ١٨٦١، ص ٢٤٤.

(٢٨٦) في المخطوطات نلتقي بالقراءات: دور التان دوبر وأيضاً دور التان دوتر؛ ويقترح كاترمير (ص ١٧٤ القراءة: التان دور دوتر.

(٢٨٧) لم يمكن التعرف على الاسم

(٢٨٨) Teksty ص ١٥٩ (معز الأنساب).

(٢٨٩) دوسون، الجزء الرابع، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

الحال التاريخ الرسمي للمغول[٢٩٠]. وفي الأحوال التي لا تقدم فيها الرواية المغولية المتواترة مادة كافية عن حملة ما فإن المؤلف يستقي مادته مما دونه ممثلو الشعوب التي تعرضت لغارات المغول، ومن بين هؤلاء نجده يشير إلى أهل الصين والهند وإلى الأويغور والقبچاق؛ أما فيما يتعلق بتاريخ غزو المغول لبلاد الإسلام فإن رشيد الدين يعتمد في روايته على مصنف جويني اعتماداً تاماً.

ولم يكن مصنف رشيد الدين قد اكتمل عندما اخترمت المنية غازان خان، ولم يلبث أخوه وخلفه اولجايتو أن كلف رشيد الدين بمهمة أوسع وهي وضع تاريخ لجميع الشعوب التي دخلت في علاقات مع المغول. وقد استعان المؤلف في هذا بعدد كبير من العلماء من مختلف الشعوب ممن كانوا يقيمون ببلاط الايلخانيين، فتاريخ الهند مثلاً تم تدوينه بمعاونة راهب (بيكشو Bhikshu) من كشمير يدعى كاما لشرى Kamalashri، وتاريخ الصين بمعاونة عالمين صينيين هما لى - تا - تشى Li - ta - chi ومكسون Maksun (؟)[٢٩١] وذلك اعتماداً على كتاب كان وضعه ثلاثة من الرهبان البوذيين. وليس لنا علم بأولئك الأوروبيين الذين زوّدوا رشيد الدين بمادته في تاريخ الفرنجه، ولكن يمكن أن نذكر أن مادته في هذا الصدد تمتاز أيضاً بالكثير من الدقة. ومن الملاحظ أنه عند تحليله للعلاقة بين البابا والامبراطور قد بالغ بعض الشيء في إظهار عظمة البابا مما يمكن أن يستدل منه على أن معاونيه من الأوروبيين كانوا ينتمون كما هو متوقع إلى طبقة رجال الدين. هذا وقد تم الفراغ من المصنف بأجمعه في عام ٧١٠ هـ = ١٣١٠ - ١٣١١[٢٩٢]، وكان ينقسم في الأصل إلى ثلاث مجلدات يعالج الأول منها الكلام على تاريخ المغول، بينما أُفرد الثاني للكلام على تاريخ البشرية وتاريخ سلطنة اولجايتو (ووفقاً لخطة رشيد الدين فإن هذا القسم من الكتاب كان سيتمه مؤرخون آخرون)؛ أما المجلد الثالث والأخير فيضم الذيل الجغرافي «في بيان صور الأقاليم ومسالك الممالك»[٢٩٣]. وقد

---

(٢٩٠) (وفقاً لپليو فإن رواية رشيد الدين لا تتفق مع اليوان - شي (المدون في عام ١٣٦٩) بقدر ما تتفق مع شن - أو صين - چين لو؛ فهذا المصدر هو الذي يعكس الرواية الصينية للحوليات المغولية التي استعملها رشيد الدين أو من زودوه بتلك المادة. أما «التاريخ السري» فإنه يعكس رواية أخرى تختلف تمام الاختلاف. راجع پليو Pelliot, Notes sur le «Turkestan» P. 14 - الناشرون).

(٢٩١) هكذا لدى كاترمير، ص LXXVIII؛ كسمون Rosen, Les manuscrits Persans, p. 106؛ يكمون Blochet, Introduction, p. 98

(٢٩٢) وفقا لوصاف فإن تاريخ اولجايتو وصل الى عام ٧١٢ هـ = ١٣١٢ - ١٣١٣ (كاترمير ص LXXI)

(٢٩٣) شرحه، ص L-LXI

94 أبدل المؤلف هذا التقسيم فيما بعد بتقسيم آخر، إذ يبدو أنه قد أفرد لموجز تاريخ البشرية مجلداً منفصلاً وسمه بالمجلد الثالث (بعد أن كان يمثل الفصل الأول من القسم الأول من الباب الثاني من المجلد الثاني). أما الذيل الجغرافي فقد كرّس له مجلداً رابعاً[٢٩٤]. وحمل المصنف بأجمعه عنوان «جامع التواريخ»، هذا بينما ظل المجلد الأول منه والذي تم تأليفه وفقاً لأوامر غازان يحمل عنواناً خاصاً هو «تاريخ غازاني» وذلك امتثالاً لرغبة أولجايتو[٢٩٥].

وبهذا اتخذ مصنف رشيد الدين صورة موسوعة تاريخية ضخمة، لم يوجد لها مثيل عند شعب من شعوب القرون الوسيطة، سواء كان ذلك بآسيا أم بأوروبا. وإن مجرد الاضطلاع بتنفيذ مشروع ضخم كهذا يستند على مجهود علماء من مختلف الشعوب ليقف مثلاً حياً للنتائج الايجابية التي تمخض عنها الغزو المغولي حين ربط بين شعوب باعدت بينها الشقة واختلاف الثقافات، وحين تهيأت الظروف الملائمة لظهور ثمار ذلك. وكان رشيد الدين على ثقة من أن الأجيال القادمة ستفيد كثيراً من مصنفاته، ولذا فقد عمل على أن تترجم جميع مصنفاته الفارسية إلى اللغة العربية[٢٩٦] وجميع مصنفاته العربية إلى اللغة الفارسية، كما اتخذ من الاجراءات ما يكفل إخراج نسخة كاملة من جميع هذه المصنفات بكلتا اللغتين مرة في كل عام[٢٩٧]. ورغماً من ذلك فإنه من العسير حتى هذه اللحظة الحصول على نسخة كاملة من «جامع التواريخ» حتى في موطن المؤلف نفسه، ويبدو من ألفاظ رشيد الدين[٢٩٨] أن طائفة من علماء المسلمين قد ناصبته العداء. هذا وقد وجهت إليه في آخر الأمر تهمة الخيانة وأعدم عام ١٣٠٨ في سلطنة أبي سعيد وبهذا توقف بالطبع أي اهتمام بنشر مؤلفاته والترويج لها. وأحد مؤرخي القرن الرابع عشر وهو محمد بن علي

---

(٢٩٤) شرحه، ص LXXII-LXXIV، وص CLIX-CLX

(٢٩٥) (عالج بارتولد الكلام عن تاريخ تدوين «جامع التواريخ» لرشيد الدين فضل الله بصورة أكثر تفصيلا في نقده لكتاب بلوشيه Blochet, Introduction à l'histoire des Mongols وذلك في مجلة Mir Islama, t. I, 1912, P. 56-107 - الناشرون).

(٢٩٦) توجد بإحدى مخطوطات المكتبة البودلية بأكسفورد الترجمة العربية لقسم من «جامع التواريخ» تتعلق بتاريخ الصين (MS. Arabe. b. 1) أما بصدد أقسام أخرى من الترجمة العربية أكثر أهمية من ذلك فراجع Morley, Descriptive Cat. of Historical MSS... in the Library of the Royal Asiatic Society, London, 1854, pp. 5, 8-11

(٢٩٧) كاترمير، ص CXXXIV-CXXXIX، وص CLXVII

(٢٩٨) شرحه، ص V، وص CXXVI

الشبانكارة صاحب « مجمع الأنساب »(٢٩٩) يعترف لرشيد الدين بسعة الاطلاع ولكن يتهمه بالميل إلى الدس والوقيعة(٣٠٠)، وهو لا يرجع إلى مصنفه البتة بل ولا يورد له ذكراً. وثمة مؤلف معاصر لرشيد الدين وهو أبو انقاسم عبد الله بن علي الكاشاني صاحب « تاريخ اولجايتو »(٣٠١) يتهم رشيد/الدين بالسرقة الأدبية ويجعل من نفسه المؤلف الحقيقي « لجامع 95 التواريخ » مدعياً أن رشيد الدين « على يد اليهود الملاعين » قدّم الكتاب إلى الأعتاب السلطانية بزعمْ أنه من عمله هو ونال في مقابل ذلك خمسين تومانا من الأموال وأملاكاً واسعة تغل عشرين تومانا في السنة (؟)، وأنه رغماً من الوعود التي قطعها من قبل للمؤلف الحقيقي للكتاب فإنه لم يشركه في درهم واحد من هذه المكافأة العريضة(٣٠٢). ومن العسير أن ننفذ الى الأسس التي يستند عليها هذا الادعاء الخطير، وعلى أية حال فليس من المستبعد أن يكون كاشاني من بين العلماء الذين أخذوا طرفاً في جمع المادة التاريخية من أجل رشيد الدين. وثمة مؤرخون من القرن الرابع عشر كوصاف مثلا يقفون من رشيد الدين موقفاً مغايراً لهذا بل ظلّوا إلى ما بعد اعدامه يشيرون إليه وإلى آثاره باحترام عميق، غير أنه يبدو أن واحداً منهم لم يجهد نفسه للكشف عن مصنفه التاريخي والعمل على الترويج له حتى ولا من أبناء رشيد الدين رغماً من أن أحدهم قد تولى منصب الوزارة من عام ١٣٢٨ الى عام ١٣٣٦؛ ويغلب على الظن أن انتهاب الربع الرشيدي بتبريز(٣٠٣) في عام ١٣٣٦ كان من العوامل التي ساهمت في اختفاء نسخ مصنفاته. وفي بداية القرن الخامس عشر عندما أصدر السلطان شاهرخ أو امره بجمع ما تبقى من أقسام

---

(٢٩٩) مخطوطة هذا المصنف بيد المؤلف نفسه موجودة بالمتحف الآسيوي رقم d 566 (INA, 372)، راجع أيضاً: Rieu, Pers. MSS, vol. I, PP. 83–84

(٣٠٠) شرحه، الأوراق ٢٢٢، ٢٢٥ (ب).

(٣٠١) توجد نسخة من هذا المصنف بباريس الآن (راجع Blochet, Catalogue... Schefer, MSS. Persans, I, No 1419, p. 95 sq) كان يمتلكها في الماضي شارل شيفير. وهناك نسخة أخرى باستنبول، آياصوفيا ٣٠١٩؛ راجع مقالي في ZVORAO, t. XVIII ص 0119؛ راجع أيضاً محمد حسيني (مقدمة سوسهايم) Süssheim, Das Geschenk aus der Seldschukengeschichte, Leiden, 1909, p. XI. ووفقاً لسوسهايم فإن مخطوطة شيفير منقولة عن مخطوطة استنبول. ولكاشاني هذا مصنف في التاريخ العام (إلى سقوط بغداد) يوجد القسم الأول منه في مخطوطة بمكتبة برلين (رقم ٣٦٨ في فهرست Pertsch) ويرد ذكر هذا المصنف لدى ميرخواند تحت عنوان « زبدة التواريخ » (حيث يجب قراءة الاسم « الكاشاني » بدلا من « الكاشي »).

(٣٠٢) Cententaire de l'E.L.O.V. Recueil de memoires, Paris, 1899, p. 12. وثمة متن أفضل (من مخطوطة استنبول) يرد ذكره في ZVORAO, t. XVIII, P. 0122 sq

(٣٠٣) رشيد الدين، كاترمير، ص LII

« جامع التواريخ » لم يكن من اليسير العثور على نسخة كاملة منه حتى في ذلك العهد المبّكر، وفي بداية القرن التاسع عشر اعتبرت النسخ التي عملت بأمر شاهرخ في حكم المفقودة حتى أن المستشرق الفرنسي كاترمير Quatremère عندما أخذ على عاتقه في عام ١٨٣٦ نشر مصنف رشيد الدين لم يكن له علم إلاّ بذلك القسم من كتابه الذي يعالج الكلام على تاريخ المغول(٣٠٤).

أما الآن فإن عدداً لا بأس به من مخطوطات « جامع التواريخ » أصبح معروفاً للدوائر العملية، غير انه لم يتم الكشف حتى هذه اللحظة على القسم الخاص بتاريخ أولجايتو(٣٠٥) أو الذيل الجغرافي. ومن فحص فهارس خزائن الكتب الأوروبية يبدو أنه لا توجد سوى مخطوطة واحدة ترتفع إلى القرن الرابع عشر هي مخطوطة المتحف البريطاني رقم Add. 16 688(٣٠٦)؛ والمخطوطة نفسها تحمل تاريخاً متأخراً عن هذا (الثالث من ذي الحجة عام ٩٣٠ هـ = الثاني من أكتوبر عام ١٥٢٤)، غير أن دكتور ريو Dr. Rieu يعتقد أن هذا التاريخ يمس بضع وريقات منها (هي رقم ٢، ٣، ٢٩١-٢٩٣) ندين بها ليد ناسخ متأخر حاول أن يقلد خط الناسخ الأول. وتحوي هذه النسخة على هيئة ذيل للكتاب فصلاً عن اعتلاء اولجايتو العرش، ليس من عمل رشيد الدين بل من عمل ناسخ كتابه الذي يتحدث عن الوزير على أنه من معاصريه. ورغماً من ذلك فإنه لا يمكن بأية حال القول بأن المخطوطة تتميز بتلك الدرجة من الدقة التي يمكن افتراضها فيها نتيجة لقدمها، ولنضرب مثلا لهذا أن المخطوطة تذكر (وذلك في الورقة الثامنة) أن أبناء جغتاى لم يتجاوز عددهم الستة، بينما تتحدث في موضع تال لهذا (الورقة السابعة عشر) عن ابن سابع للخان متفقة في هذا مع بقية مخطوطات الكتاب(٣٠٧).

أما المخطوطات الأخرى فترجع جميعها الى القرن الخامس عشر أو إلى تواريخ تالية

---

(٣٠٤) راجع Morley, Descriptive Cat., p. 3 حول الكشف عن أقسام أخرى من « جامع التواريخ » وذلك لأول مرة في عام ١٨٣٨.

(٣٠٥) عثر العلامة أحمد زكي وليدي طوغان على نسخة من « جامع التواريخ » تحوي تاريخ اولجايتو بمكتبة مدينة مشهد وذلك في عام ١٩٢٣ (Validov, Meshkhedskia rukopis, p. 247 sq.)

(٣٠٦) Rieu, Pers. MSS, vol. I, PP. 78-79. وتحمل المخطوطة الموجودة بمكتبة الجمعية الآسيوية الملكية RAS (Morley, A Descriptive Cat., p.11) (وهي تمثل ترجمة عربية لقسم من المصنف) تاريخها عام ٧١٤ هـ = ١٣١٤ - ١٣١٥.

(٣٠٧) (عن مخطوطات « جامع التواريخ » راجع التفاصيل لدى Storey, Persian Litterature, vol. I, PT. I, sect. II, fasc 1, p. 70 sq. وأيضاً الترجمة الروسية « لجامع التواريخ »، الجزء الثالث، مقدمة ارندس A.K. Arends ص ٨ - ١٣ - الناشرون).

لذلك، ويبدو أننا ندين بحفظ « جامع التواريخ »، إن لم يكن به أجمع فبقسم منه في أقل تقدير، إلى العناية الخاصة والإهتمام الشخصي الذي بذله في هذا الصدد شاهرخ ومعاونوه. وتثبيت المتن الأصلي للكتاب أمر تحيط به صعوبات هائلة، وحتى إذا ما اقتصرنا على مقابلة النسخ الجيدة القديمة بعضها بالبعض فستقفز أمام أعيننا مجموعة لا يستهان بها من التناقضات الجوهرية، خاصة فيما يتعلق بشجرة نسب بيت چنكيز خان. وقد كانت توجد بالمكتبة العامة بلنينجراد واحدة من أقدم وأجود نسخ الكتاب (وهي المخطوطة رقم V 3 I التي يرجع تاريخ نسخها إلى عام ٨١٠ هـ = ١٤٠٧-١٤٠٨) ولكنها للأسف تعتبر الآن في حكم المفقودة[٣٠٨].

وقبيل ظهور مصنف رشيد الدين بدأ عبد الله بن فضل الله الذي لقب فيما بعد بوصّاف الحضرة بتدوين مصنفه في تاريخ المغول، وذلك في شعبان من عام ٦٩٩ هـ = 97 ربيع عام ١٣٠٠. ومن الواضح جيداً أن مصنف وصّاف قد صيغ في أسلوب غلبت عليه الفخامة والصنعة حتى أنه اعتُبر خير أنموذج للبلاغة عند الفرس؛[٣٠٩] والمؤلف يعتبر

---

(٣٠٨) راجع Bartold, Otchet o Kommandirovke v Turkestane (1902 g.), p 232 بصدد مخطوطة رائعة « لتاريخ غازاني » بتاشكند مدونة فيها أسماء الأعلام (في شجرات النسب) بالأحرف الأويغورية. هذا وقد نشر مقدمة « جامع التواريخ » (المتعلقة بقبائل الترك والمغول) وتاريخ چنكيز خان المستشرق الروسي برزين I.N. Berezin مصحوبة بترجمة روسية (TVORAO, Ch. V, VII, XIII, XV)؛ أما تاريخ هولاكو فقد نشره كاترمير (أنظر أعلاه، ص ١١٧، حاشية ٢٨٢). وأما القسم من « تاريخ غازاني » الذي يحوي تاريخ الخانات الكبار من اوكداي إلى تيمور حفيد قوبيلاي فقد نشره بلوشيه في « مجموعة جب التذكارية » GMS XVIII. وعن رشيد الدين ومصنفاته راجع Browne, A Literary History, vol. II, PP. 68-87 الذي يورد قائمة هامة لرسائله (PP. 80 sq) موجودة في مخطوطة لم تكن معروفة من قبل.

(نشر قسماً من « تاريخ غازاني » يشمل تاريخ خلفاء هولاكو وتاريخ غازان خان المستشرق كارل يان K. Jahn عام ١٩٤٠ - ١٩٤١. كذلك نشر قسم من « تاريخ غازاني » (جرى تحضيره للنشر منذ عام ١٩٤٠ على يد مجموعة IVAN ليظهر في ثلاثة أجزاء) بباكو عام ١٩٥٧ (الجزء الثالث). ويجري تحضير الجزء الثاني للطبع. أما الترجمة الروسية في ثلاثة أجزاء فقد ظهرت في الأعوام ١٩٤٦ - ١٩٦١. وأما رسائل رشيد الدين (« مكاتبات رشيدي ») فقد نشرها عام ١٩٤٧ البروفسور خان بهادور محمد شفيع - الناشرون).

(لم يظهر من المتن الفارسي الذي يحضره العلماء السوفييت حتى هذه اللحظة، أي وبعد ظهور الجزء الثالث، سوى الجزء الأول الخاص بقبائل الترك والمغول. كذلك ظهر الجزء الثالث من الترجمة العربية الذي يشمل تاريخ ايلخانات ايران بالقاهرة - المترجم)

(٣٠٩) يعرف المصنف عادة باسم « تاريخ وصّاف ». أمّا العنوان الذي أعطاه إياه المؤلف فهو « كتاب تجزية الأمصار وتزجية الاعصار ».

المكمّل المباشر لجويني ويحمل لمصنفه تقديراً كبيراً، وهو لذلك يبدأ حكاية تاريخه من موت مونكو. ورواية وصّاف لأحداث عهد قوبيلاي تختلف عن رواية رشيد الدين في نقاط جوهرية عديدة، حتى أنه ليصبح من العسير أحياناً استجلاء حقيقة الأمر. هذا وقد رفعت المجلدات الأربعة الأولى من الكتاب إلى السلطان اولجايتو ووزيره رشيد الدين في يوم الخميس الرابع والعشرين من المحرم عام ٧١٢هـ =[٣١٠] أول يونيو ١٣١٢. ويقف المؤلف بروايته عند أحداث عام ٧١٠ هـ = ١٣١٠-١٣١١، ولكنه يضيف الى كتابه تذييلا يعالج فيه تاريخ ابتداء دولة المغول وتاريخ شاهات خوارزم وحملة هولاكو (معتمداً في هذا على رواية جويني).

أما المجلد الخامس من الكتاب فقد تم تدوينه فيما بعد[٣١١]، وهو يحوي خاتمة تاريخ المغول وفصلاً في تاريخ الخانات من بيتي جوچى وچغتاى؛ وهنا تتفق رواية المؤلف مع رواية رشيد الدين حتى في الأحداث التي سبق وأن رواها بصورة مخالفة في المجلد الأول من مصنفه. وبعد هذا يتابع المؤلف تاريخ بيت هولاكو إلى لحظة إخماد ثورة الأمير قورومشي (٧١٩ هـ = ١٣١٩). وقد تم نشر الكتاب الأول وترجمته الألمانية على يد همر - پورغشتال Von Hammer-Purgstall[٣١٢]، أما المصنف فقد ظهرت طبعته الكاملة ببمباي عام ١٢٦٩ هـ = ١٨٥٢ - ١٨٥٣[٣١٣].

وفي نهاية عام ٧١٧ هـ (ويرد بالتحديد تاريخ ٢٥ شوال[٣١٤] = ٣١ ديسمبر ١٣١٧ في مقدمة الكتاب) أتم أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد البناكتي شاعر بلاط غازان تدوين مصنفه «روضة أولى الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب» الذي لا يمثل في

---

(٣١٠) رفع القسم الأول من الكتاب الى غازان خان يوم الأحد الثالث عشر من رجب عام ٧٠٢ هـ (= الثالث من مارس ١٣٠٣)؛ انظر كاترمير، ص XIII.

(٣١١) وفقاً لدوسون (الجزء الأول، ص XXXIII) وريو (Cat., p. 161) فان ذلك كان في عام ٧٢٨هـ ، وفي مخطوطة مكتبة لنينجراد يرد عام ٧١٧ هـ (الورقة ٤٢٤) وعام ٧١٨ هـ (الورقة ٤٢٥) على أنه العام الذي تم فيه تدوين هذا القسم. غير أن هذه التواريخ مغلوطة لأنه يرد في نفس الفقرة أن الحاكم آنذاك على الوس چغتاي كان الخان ايلچيغداي. وفي الطبعة الحجرية (الهندية) للكتاب يرد عام ٧٢٧ هـ (ص ٦٠٧) وعام ٧١٨ هـ (ص ٦٠٨: ثمان وعشر وسبعمائة).

(٣١٢) Geschichte Wassafs, Persisch hrsg. und Deutsch übers. von Hammer-Purgstall, Bd I, Wien, 1856. عن المؤلف ومصنفه راجع: Browne, A Literary History, vol. III, P. 67 sq.

(٣١٣) لا يبدو ان نسخة من هذه الطبعة توجد بالمتحف البريطاني، لأن الفهرس المطبوع (ص ٤٥) لا يذكر سوى طبعة تبريز لعام ١٢٧٢ هـ = ١٨٦٥ - ١٨٦٦ (والجزء الأول منها فقط).

(٣١٤) (ورد خطأ في الترجمة الانجليزية ١٥ شوّال - الناشرون).

جوهرهسوى/ نسخة أخرى من « جامع التواريخ » لرشيد الدين زاد عليها المؤلف ذيلاً غير 98
ذي بال في أحداث عصره[٣١٥].

وإلى القرن الرابع عشر أيضاً ترجع مصنفات حمد الله أبي بكر مستوفي قزويني[٣١٦] في مجال التاريخ والجغرافيا. وقد تم تدوين مصنفه التاريخي الذي يحمل عنوان « تاريخ كزيده » (أي منتخب التواريخ) في عام ٧٣٥ هـ = ١٣٣٤ وبلغ به مؤلفه إلى أحداث عام ٧٣٠ هـ = ١٣٣٠[٣١٧]، وهو عبارة عن موجز في التاريخ العام إلاّ أنه لا يخلو رغماً ن إيجازه من بعض الأهمية. مثال ذلك أنه في الوقت الذي يعتمد فيه رشيد الدين في روايته لتاريخ السامانيين وتاريخ الغزنويين الأوائل إعتماداً حرفياً على الترجمة الفارسية لتاريخ العتبي، يقدم لنا قزويني وقائع لا وجود لها في مصنف العتبي ولكن تدعمها رواية مصادر أخرى؛ خذ مثلاً لهذا قصة النزاع بين السامانيين وآل سيمجور فهو لا يوردها كما دوّنها العتبي بل انه يعتمد في ذلك على رواية كرديزي وعوفي[٣١٨]. وأخبار آل چغتاى مقتضبة للغاية لدى قزويني[٣١٩]، ويبدو أنه لا يمكن الاعتماد عليه في هذا الجانب. وفي خاتمة الكتاب عدد من القصص المتعلقة بسيرة مجموعة كبيرة من الشيوخ مرتبة وفقاً للتتابع الزمني، كما أن المؤلف أضاف الى مصنفه في أواخر أيام حياته تاريخ الأحداث التالية من القرن الرابع عشر فوصل به إلى عام ٧٤٤ هـ = ١٣٤٣-١٣٤٤، ثم أكمله ابنه زين الدين فوصل به إلى لحظة اخضاع تيمور لبلاد ايران. هذا وقد نشر شيفير الفصل الخاص بالسامانيين من « تاريخ كزيده » كذيل لطبعته لتاريخ نرشخي[٣٢٠]، كما نُشر أيضاً الفصل الخاص بالسلاجقة في « المجلة الآسيوية » Journal Asiatique[٣٢١]. وفي عام ١٨٧٣ قام

(٣١٥) راجع Rieu, Cat., pp. 79-80 وتوجد أيضاً مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة جامعة لنينجراد رقم ٢٨٥. وما يقوله براون (III, 100 sq) بصدد هذا الكتاب ليس صحيحا تمام الصحة. وإن جميع ما يورده بناكتي متعلقا بأوروبا (الأباطرة والبابوات) والصين (فن الطباعة بها) قد نقله عن رشيد الدين (راجع متن رشيد الدين بصدد فن الطباعة بالصين، نشره البارون روزن في Les manuscrits persans, p. 107 sq).

(٣١٦) راجع عن المؤلف ومصنفاته المعلومات المفصلة لدى براون (III, 87-100).

(٣١٧) انظر Rieu, Pers. MSS, vol. I, PP. 80-82.

(٣١٨) Teksty, ص 11-12, 91-92

(٣١٩) حمد الله قزويني، تاريخ كزيده، مخطوطة LGU, No 153, p. 319-320 وطبعة براون، المتن ص ٥٧٦ وما يليها.

(٣٢٠) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٩٩ - ١١١.

(٣٢١) Histoire des Seldjoukides... Extraite du Tarikhi Guzideh... Traduite du persan... par M. Defrémery, Paris, 1849, JA, 4e Série, II, XI, XII (1848)

ملغونوف Melgunov بإعداد طبعة كاملة للأثر، ولكنها لم تر النور[٣٢٢]. وبين أيدينا الآن طبعة مصورة (facsimile) للكتاب تعتمد على مخطوطة لا تتصف بالكثير من الدقة رغم قدمها (وترجع الى القرن الخامس عشر) قام بنشرها البروفسور ا.ج. براون Browne في سلسلة جب التذكارية Gibb Memorial Series (الجزء الرابع عشر) مصحوبة بترجمة انجليزية موجزة وفهارس.

99 أما مصنف قزويني الجغرافي الذي يحمل عنوان «نزهة القلوب» فقد تم تدوينه عام ٧٤٠ هـ = ١٣٣٩. والمؤلف لا يحصر نفسه كبقية معاصريه (مثل أبي الفدا والدمشقي) في تكرار مادة جغرافيي القرن العاشر بل ويسجل التغييرات التي طرأت منذ ذلك العهد، وإلى جانب هذا فهو يقدم لنا معلومات مفصلة عن التقسيم الإداري لايران في فترة السيادة المغولية ومقدار الضرائب التي كانت تجبي من كل مقاطعة، فضلا عن أن مصنفه يعدّ من بين الآثار القليلة للعصور الوسيطة التي حفظت لنا مادة لغوية من اللسان المغولي لأن القسم الكوزموغرافي من الكتاب يضم قائمة بأسماء الحيوانات المختلفة باللسان الفارسي والتركي والمغولي. هذا وقد طبع «نزهة القلوب» بأكمله ببمباي في عام ١٣١١ هـ = ١٨٩٤، ثم طبع مرة أخرى مصحوباً بترجمة انجليزية بقلم ج. لسترانج Le Strange في «سلسلة جب التذكارية» (الجزء الثالث عشر، ١٩١٥ - ١٩١٨)[٣٢٣]؛ وكان شيفير قد نشر فصولاً منه بمثابة ذيل لطبعته «لسياست نامه»[٣٢٤].

ولن نقف عند المصنفات التاريخية والجغرافية التي تم تدوينها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بايران والشرق الأدنى والتي لا تمس تركستان، أو على الأقل العصر الذي يمثل موضوع بحثنا[٣٢٥]. وان ما سقناه حتى هذه اللحظة لفيه البرهان الكافي على أن أدب

---

(٣٢٢) يوجد بمكتبة جامعة لنينغراد مخطوطة لتاريخ كزيده (رقم ١٥٣) يرجع تاريخ نسخها الى ذي القعدة ٨١٣ هـ = مارس ١٤١١.

(٣٢٣) راجع عن التاريخ المنظوم بقلم هذا المؤلف («ظفر نامه») Ethé, Neupersische Litteratur, s. 236; و Blochet, Introduction, p. 106 sq; و Browne, A Literary History, vol. III, P. 95

(٣٢٤) نظام الملك، سياستنامه، طبعة شيفير، الملحقات، ص ١٤١ - ٢٣٥.

(٣٢٥) يمكن الإشارة أيضاً الى مصنف لأبي السعادة عبد الله بن علي اليمني اليافعي بعنوان «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان»، تم تدوينه في القرن الرابع عشر. في هذا المصنف يجري سرد الأحداث وفقاً للسنين مع تركيز الاهتمام على ترجمات الشيوخ والعلماء. وعنه نقلنا قصة الشيخ نجم الدين الكبرا المشهور (Teksty, p. 154-155)؛ أما عن المؤلف وتآليفه فراجع Brockelmann, GAL, Bd II, s. 176 sq (ظهر المصنف في طبعة جيدة ضمن منشورات دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - المترجم).

التاريخ قد بلغ في ايران شأواً بعيداً في ذلك العصر، وعلى وجود عدد من المصادر لا بأس به تحت يدنا لدراسة تاريخ السيادة المغولية على بلاد ايران، غير أنه من المؤسف أن هذا الحكم لا يصدق على تاريخ آسيا الوسطى، فالاضطرابات السياسية التي اندلعت بين أحفاد چغتاي لم يكن من شأنها أن تعاون على نمو العلوم والآداب، زد على هذا أن الثقافة الفارسية لم يقدر لها السيطرة التامة على تلك المناطق. فهناك جرى استعمال الكتابة الأويغورية(٣٢٦) بصورة واسعة كالكتابة العربية، بل إننا نلتقي بالكتبة الأويغور حتى في بلاط آخر التيموريين(٣٢٧). وكان لفظ «بخشي» (من المنسكريتية بيكشو Bhikshu) يطلق في آن واحد على الكتبة الأويغور وعلى الرهبان البوذيين؛ وفي شرحه لهذا اللفظ يذكر صاحب معجم اللغة الچغتائية أنه كان يطلق على «كتبة ملوك تركستان الذين لا علم لهم البتة بالفارسية»(٣٢٨). ويبدو/أن هؤلاء الكتبة قد تمتعوا برعاية الخانات 100 من آل چغتاي أكثر مما كان عليه الحال مع ممثلي الثقافة الإسلامية، وأنه قد أوكل إليهم تدوين الحوليات التاريخية للمملكة. وسيتبين لنا فيما يلي من إشارات موثوق بها أن ثمة مدوّنات وجدت باللغة الأويغورية، هذا بينما يقصر علمنا عن وجود مصنف أدبي إسلامي تم تدوينه تلبية لرغبة أحد سلاطنة الچغتائيين.

والرسالة التاريخية الوحيدة التي تم تدوينها في آسيا الوسطى في ذلك العصر ووصلت إلى أيدينا هي «ملحقات الصراح» لأبي الفضل بن محمد المعروف بجمال قرشي، فهذا المؤلف كان قد نقل «صحاح الجوهري»(٣٢٩) من العربية الى الفارسية في عام ٦٨١ هـ = ١٢٨٢ ثم زاد عليه في بداية القرن الرابع عشر «ملحقات» بالعربية نلتقي فيها بمعلومات تتعلق بعدد من الأسر الحاكمة بآسيا الوسطى، كما أنها تمس بصورة خاصة أخبار الشيوخ والعلماء الذين نالوا الشهرة في تلك المناطق. وكثيراً ما يغلب على روايته طابع الخرافة، إلاّ أنه يقدم لنا في بعض الأحايين معطيات تاريخية وزمنية لا تخلو من

---

(٣٢٦) Abel-Rémusat, Recherches, t. I, P. 40; Langlès, Notice, pp. 586-587

(٣٢٧) انظر Bartold, ZVORAO, t. X, P. 219

(٣٢٨) راجع معجم Budagov تحت لفظ «بخشي» (كذا!! بدلا من «بخشى»).
[لم يعد مقبولا الآن اشتقاق «بخشى» من السنكريتية Bhiksu راجع، Pelliot, «Notes sur le «Turkestan», p. 14-15 حيث يرجع بها پليو الى الصينية Po-Shih ومعناها العالم والمعلم. وأيضاً المناقشة المفصلة لأصل الكلمة لدى G. Doerfer, Türkische und mongolische Elemente in Neupersischen. II Türkische... Wiesbaden, 1965, 271-277, No 724 - C.E. Bosworth]

(٣٢٩) عن هذا المصنف العربي وترجمته الفارسية راجع Brockelmann, GAL, Bd I, S. 128, 296

القيمة. وإلى جانب هذا تعطينا روايته لأخبار معاصريه من العلماء فكرة لا بأس بها عن الحياة الثقافية لذلك العصر، بل إن «الملحقات» نفسها قد تم تدوينها بمدينة كاشغر استجابة لرغبة صدر العلماء بها؛ وليس للكتاب اية صلة ببلاط المغول. هذا وقد تم الكشف عن أول نسخة «للملحقات» بآسيا الوسطى قرب نهاية القرن الماضي على يد م.س. اندرييف M.S. Andreev، ثم وصلت إلى المتحف الآسيوي عن طريق ف.ب. ناليڤكين V.B. Nalivkin(٣٣٠).

ويشير صاحب موجز تاريخ ألوغ بيك إلى «مختصر الأمير الكبير خجندي»، ولكن هذا المصنف الأخير لم يتم تدوينه قبل عهد تيمور في أغلب الظن، لأنه يرفع من شأن جد تيمور الأعلى قراچر نوين(٣٣١). أمّا «تاريخ آل چنكيز» لمحمد التاشكندى الذي يرد ذكره لدى حاجي خليفة(٣٣٢) فإنه لم يدون قبل النصف الثاني من القرن الخامس عشر كما يبدو من النقول التي أخذها عنه المؤرخ جنّابى الذي صنف في آخر القرن السادس عشر(٣٣٣).

ولم يكن بوسع المدوّنات الأويغورية بالطبع أن تزحم المصنفات التاريخية باللغة الفارسية وتحل محلها؛ ومن المعلوم جيداً أن العثمانيين هم أول شعب تركي استطاع الفصل بين الأسطورة والتاريخ، ومن ثم يبدو أن الأويغور لم يعرفوا التصنيف التاريخي بالمعنى 101 المعروف لنا من هذا اللفظ(٣٣٤). ولذا فإنه يجب الحكم على المادة المتعلقة بتاريخ المغول التي استمدها المؤرخون من المصادر المغولية والأويغورية بأنها مادة أسطورية صرفة. وهذا يصدق مثلاً على قصة مصرع تولوي الذي تزعم الرواية أنه قدّم نفسه قرباناً للآلهة فدى لأخيه اوكداى، وهذه القصة نلتقي بها في الحوليات الصينية(٣٣٥) وعند رشيد

---

(٣٣٠) Petrovski, Bashnia «Burana», p. 353; Bartold, p. 283–287; Teksty, p. 128–152 ملحقات الصراح. وعن مخطوطة أخرى (افضل) اشتريتها عام ١٩٠٢ راجع Bartold, Otchet o Komandirovke v Turkestan (1902 g), p. 271 sq.؛ أما عن قراءة اسم «القرشي» فراجع Bartold P. 286 وملحقات الصراح Teksty, p. 140 («فعرفني بالقرشي لذلك») [هكذا وردت، ولعله من الأفضل قراءتها «فعُرِفتُ» - المترجم].

(٣٣١) Teksty, p. 162

(٣٣٢) حاجي خليفة، الجزء الثالث، ص ١٠٩.

(٣٣٣) مخطوطة المتحف الآسيوي رقم ٥٢٨ (٣٥٣)، ص ٤٤١؛ SMIZO, I, P. 535–538

(٣٣٤) راجع ما مر من الكتاب ص ١١٥.

(٣٣٥) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ٢٥٤، الحاشية

الدين[٣٣٦]، كما نلتقي بها أيضاً لدى منشدي القصص الشعبية بين المغول الشرقيين[٣٣٧] المعروفين بميولهم نحو تولوي وأهل بيته. وهذا الضرب من القصص الذي يتحيز لبيت مالك دون آخر قد لقي الرواج أيضاً في مملكتي آل جوچى وآل چغتاي، ويذكر صاحب موجز تاريخ ألوغ بيك في معرض كلامه على الافتراءات التي وجهت في حق جوچى من طرف، چغتاى واوكداى أن هذه الافتراءات واردة بالتفصيل في تواريخ علماء دولة آل چغتاي غير أن بهتانها قد شهد به جميع المؤرخين المنصفين. وبما أن موجز تاريخ ألوغ بيك قد تم تدوينه في عهد سيادة الاوزبك فان صاحبه قد استعمل بدوره القصص التي تتحيز لبيت جوچى[٣٣٨].

والريبة التي تحيط بقيمة المدونات الأويغورية كمصدر تاريخي يمكن لمسها من السهولة التي تم بها تزييف تاريخ أُلوس چغتاى ليتفق مع أهداف تيمور. ورغماً من أن تيمور قد كلّف المؤرخ الفارسي نظام الدين شامي بصياغة تاريخ حروبه إلاّ أنه أفاد في نفس الوقت من خدمة الكتبة الأويغور الذين خلفوا لنا تاريخاً منظوماً باللغة التركية لحملاته العسكرية[٣٣٩]. ومن المرجّح أن الخرافة القائلة بوجود اتفاق مزعوم بين الشقيقين قابول جد چنكيز خان الأعلى وقاچولى جد تيمور الأعلى إنما ترتفع في الأصل الى نفس هؤلاء الكتبة الأويغور، وينص هذا الاتفاق المزعوم على أن يعتلي أبناء الأول العرش بينما يتولى أبناء الثاني منصب الوزارة، ثم تم التوقيع على وثيقة[٣٤٠] مهرت «بالختم القرمزي» (آل تمغا). وتضيف القصة أن هذا الاتفاق قد جدد مرة أخرى على يد چنكيز خان وخراچر أو قراچر (من سلالة قاچولى)، ثم جدد مرة ثالثة بين دوا خان وايلنكيز (حفيد خراچر)، غير أن الوثيقة نفسها ضاعت أيام الفتن التي حدثت في عهد علي سلطان؛ واستناداً على هذا الإتفاق تولى قراچر وسلالته من بعده زمام السلطة في مملكة چغتاى.

102 هذه القصة التي تحكي عن وجود سلطة تمتع بها قراچر وسلالته من بعده لم يرد لها ذكر

---

(٣٣٦) ورقة 199 GPB V, 3, 1 مخطوطة؛ طبعة بلوشيه، ص ٢٢٠ وما يليها؛ و D'Ohsson, Histoire des Mongols, t. II, PP. 52-59

(٣٣٧) تاريخ المغول السرى، ترجمة كفاروف، ١٥٤ (كوزين، ١٩٣).

(٣٣٨) Teksty, p. 162-164

(٣٣٩) عن هذا المصنف وعنوانه «تاريخ خاني» راجع Bartold, Otchet o kamandirovke v Turkestan (1902 g.), p. 188

(٣٤٠) اكثر ما جاء بصدد هذه الوثيقة موجود في موجز تاريخ الوغ بيك. راجع Miles, The Shajrat ul Atrak, London, 1938, p. 373

عند أي من مؤرخي القرنين الثالث عشر والرابع عشر كما بيّن دوسون[٣٤١]. ورغماً من ذلك فإن هذه الأسطورة التي تتحدث عن وزراء لهم مطلق السلطة، والتي حيكت قصداً لتدعيم دعوى تيمور نفسه، لا تزال حتى هذه اللحظة تورد بعض العلماء الأوروبيين موارد الخطأ. وهي تقابلنا لأول مرة في مصنفات بعض مؤرخي القرن الخامس عشر ممن اعتمدوا على المصادر الأويغورية.

من بين هذه المصنفات يأتي في المرتبة الأولى من حيث الشهرة كتاب «ظفرنامه» لشرف الدين علي يزدي[٣٤٢] الذي تم تدوينه عام ٨٢٨ هـ = ١٤٢٥. هذا العنوان نفسه الذي تفتق عنه ذهن تيمور سبق وأن سميّ به مصنفه مؤلف سابق لشرف الدين هو نظام الدين شامي الذي دوّن تاريخ تيمور في عام ٨٠٦ هـ = ١٤٠٣-١٤٠٤ عندما كان الفاتح الكبير لا يزال على قيد الحياة[٣٤٣]. وقد سار شرف الدين وفقاً لخطة نظام الدين ودون أن يحدث تغييراً ذي بال، ولكنه أفاد إلى جانب ذلك من التاريخ المنظوم بالأويغورية لحملات تيمور، أما مقدمة الكتاب فمكرّسة لعرض عام لتاريخ ممالك بيت جنكيز خان ويرد فيه تاريخ دولة چغتاى في كثير من الإيجاز؛ ومن الجلي أن المؤلف رجع

---

(٣٤١) D'Ohsson, Histoire des Mongols, t. II, PP. 108-109. وقول دوسون بأن قراچر لم يرد له ذكر عند رشيد الدين قول غير دقيق، ففي كل من التاريخ السري (ترجمة كفاروف، ص ١٣٤ (طبعة كوزين، ص ١٥٨)) وفي رشيد الدين (طبعة بلوشيه، ص ١٧٨؛ طبعة برزين Ch. XV ص ١٤٤) يرد اسم قراچر ضمن أمراء چغتاي وإن كانت لا ترد الإشارة الى مكانة ما نالها في دولة چغتاي.

(٣٤٢) Rieu, Pers. MSS, vol. I, PP. 173-177; Browne, A Literary History, vol. III, PP. 362-365

(٣٤٣) Rieu, Pers. MSS, voi. I, PP. 170-172. ليست المخطوطة الموجودة بمكتبة تاشكند تحت رقم ١٤ ب [وأنظر أيضاً: Kal, Persidskie, arabskie, tiurkskie rukopisi, p. 13-14) Sobranie vostochnykh rukopisei AN UzSSR, T. I, No 116, p. 55 (الرقم الجديد هو 1520/11 - الناشرون)] سوى نسخة من مصنف سابق لغياث الدين علي يزدي؛ هذا المصنف تم نشره حاليا (على يد زيمين Zimin وبارتولد) ضمن مجموعة Teksty po istorii Srednei Azii I, 1915 وهو من مصادر نظام الدين وشرف الدين، وقد فحص فحصاً جيداً في مقدمة الكتاب الذي أشرنا إليه مع إضافة نقول من كتاب نظام الدين (راجع عنه ص ٢٦ وما يليها) عن مخطوطة المتحف البريطاني. هذا وقد ضمن حافظ آبرو كتاب نظام الدين بأجمعه في المسودة الأولى لمصنفه التاريخي والمحفوظة حاليا باستنبول بمكتبة الداماد ابراهيم باشا، تحت رقم ٩١٩ (انظر Bartold, O nekotorykh vostochnykh rukopisiakh v bibliotekakh Konstantinopli a i Kaira, p. 0138 sq) (نشر المستشرق التشيكي فليكس تاور Tauer «ظفرنامه» لنظام الدين شامي عام ١٩٣٧؛ وظهرت الترجمة الروسية لمصنف غياث الدين علي التي عملها ا.ا. سيمنوف A.A. Semenov عام ١٩٥٨ - الناشرون).

في ذلك إلى جويني ووصّاف وإلى حد ما إلى رشيد الدين. أما فيما يتعلق بتاريخ القرن الرابع عشر فإنه يكاد يقف عند حد ذكر أسماء الخانات فقط[٣٤٤].

103 وبولاية فارس في حوالي عام ٨١٥ هـ = ١٤١٢/وضع مؤلف مجهول كان يعيش ببلاط اسكندر حفيد تيمور مصنفاً (لا تحمل مخطوطاته أي عنوان)[٣٤٥] يعالج الكلام على التاريخ العام ويعتمد أساساً على مصنفي حمد الله قزويني ورشيد الدين، غير أن المؤلف أفاد الى جانب ذلك من القصص الأسطورية في تاريخ خانات بيت چغتاي أكثر مما فعل غيره من المؤرخين. وطابع هذه القصص يدل على أنها استقيت من مصادر مغولية أو أويغورية لا من مصادر إسلامية، فمثلا فيما يتعلق بالخان ترمشيرين الذي أسخط عليه المغول بسبب ميله إلى الإسلام والحضارة الاسلامية كان كل ما ذكره مصدرنا هو أنه لم «يراع الياساق لذا فقد اندلعت الفتن في جميع أنحاء البلاد»[٣٤٦].

---

(٣٤٤) كما هو معلوم فان مصنف شرف الدين قد نقله الى الفرنسية المستشرق بتي دي لا كروا (Histoire de Timur-Bec, connu sous le nom du Grand Tamerlan... Traduite en Français par feu M. Petis de la Croix..., t. I – IV, Delf. 1723). أما متن الكتاب فقد ظهر بكلكتا في عام ١٨٨٧ – ١٨٨٨ [كذا!] – (The Zafarn-amah by Maulana Sharfuddin Ali of Yezd. Ed... by Maulawi Muhammad Ilahdad, vol. I-II) ولا أثر لمقدمة الكتاب لا في الترجمة الفرنسية ولا في طبعة كلكتا، لذا فقد رجعت الى مخطوطة المتحف الآسيوي. وهناك مخطوطات أخرى للكتاب موجودة بالمتحف البريطاني وبمكتبة تاشكند وغيرها.

(٣٤٥) (رقم ٥٦٦ ب س) (INA, C 381). وهناك مخطوطة أخرى لهذا المصنف بالمتحف الآسيوي Rieu, Pers. MSS, vol. III, P. 1062 sq. وقد أطلقت على هذا المصنف في عديد من أبحاثي اسم «انونيم اسكندر» لأن المصنف المحفوظ بالمتحف البريطاني تحت رقم شرقية ١٥٩ (Rieu, Pers. MSS, vol. I, P. 180) والذي يفتقد أيضاً العنوان واسم المؤلف أُطلق عليه اسم «انونيم شاهرخ» (راجع مقدمة طبعة زيمين لغياث الدين علي، ص ٣٣ وما يليها؛ و Bartold, o pogrebenii Timura, p 20 sq) أما الأثر الذي يصفه ايته [Sachau – Ethé, Catalogue, pp. 21 – 22 (Elliot 2)] تحت عنوان غير صحيح هو «أصح التواريخ»] فلا علاقة له بمصنفنا هذا (كما حدث وان ذكرت في الطبعة الأولى لكتابي هذا (١٩٠٠) وفي مقالي (Narodnoe dvijenie v Samarkande) بمجلة (ZVORAO, T. XVII, P. 06 بل هو «تاريخ خيرات» لموسوي (راجع ما يلي). انظر أيضاً مقالي Istorik Musevi (فيما بعد، وذلك استناداً على إشارات وردت لدى دولتشاه (طبعة براون، ١٣٧)، أثبت بارتولد أن ما أطلق عليه اسم «انونيم اسكندر» إنما هو من تأليف معين الدين نطنزي وأن تاريخ تدوينه يرجع الى عام ٨١٦ هـ = ١٤١٣ – ١٤١٤. انظر Bartold, Yeshche ob «anonime» Iskendera: Bartold, Opredelenie «anonima Iskendera» – الناشرون). («انونيم» يقصد بها هنا بطبيعة الحال «المجهول المؤلف» – المترجم).

(٣٤٦) (نشر القسم الأكبر من «انونيم اسكندر» على يد البروفسور جان اوبن Jean Aubin تحت عنوان «منتخب التواريخ معيني» في عام ١٩٥٧. وتضم هذه الطبعة أيضاً فصولا في تاريخ تيمور توجد فقط في المخطوطة اللندنية لهذا المصنف – الناشرون).

وإلى ولاية فارس ينتسب أيضاً خسرو بن عبيد ابرقوهي[٣٤٧] الذي اشتهر باسم ابن معين، وهو صاحب كتاب أكثر ندرة يحمل عنوان « فردوس التواريخ »[٣٤٨] وتم تدوينه عام ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥-١٤٠٦. ويقدم لنا المؤرخ مادة نزرة للغاية في تاريخ بعض من الأسر الحاكمة، مبيّناً المدة التي تربع فيها كل حاكم على دست الحكم وعام وفاته أو عزله وأيضاً أسماء الوزراء والقادة الذين عاصروه؛ وهناك نسخة ليست كاملة تماماً لهذا التاريخ بالمكتبة العامة بلنينجراد (مخطوطة دورن رقم ٢٦٧) يبدو أنها بخط يد المؤلف نفسه.

كذلك استعمل القصص التركية المؤلف المجهول لمصنف في تاريخ أنساب المغول تم تدوينه عام ٨٢٩ هـ = ١٤٢٦ تحت عنوان «كتاب معز الأنساب في شجرة سلاطين مغل »[٣٤٩]، والمؤلف ينقل عن المؤرخين الأتراك والمغول كما ينقل أيضاً عن المؤرخين الذين دوّنوا تاريخ البيت المالك (اوروق). أما فيما يتعلق بتاريخ ونسب أسلاف تيمور فان المؤلف ينقل عن تلك المصادر نفس المادة الاسطورية التي نقلها شرف الدين، إلاّ انه يضيف إليها تفاصيل طريفة لا نجد لها مثيلاً في مصادر اخرى. هذا وقد ساق مؤلف آخر شجرة نسب بيت التيموريين إلى نهاية حكم تلك الأسرة[٣٥٠].

104

وفي عهد شاهرخ تم تدوين « مجمل فصيحي » من تأليف أحمد بن محمد فصيح

---

(٣٤٧) عن مدينة أبرقوه راجع ياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٨٥ - ٨٧.

(٣٤٨) راجع عن هذا المصنف Dorn, Catalogue des Manuscrits et Xylographes orientaux de la Bibl. Imp. publ, St. P. ,1852, pp. 265–267 Horn «Asadi‘s neupersisches Wörterbuch Lughat-i Furs» (Abh. der Kön. Ges. der Wiss. zu Gött., N.F., B I, No 8), s. 30; Jukovski, Omar Khaiàm, «al-Muzaffariye», pp. 335 sq

(٣٤٩) أنظر D‘Ohsson, Histoire des Mongols, I, P. XIV; Rieu, Pers. MSS, vol. 1, p. 183; Teksty, p. 159 (معز الأنساب). (رغما من وجود مخطوطات للكتاب بباريس ولندن فان قيمة المخطوطة الموجودة بالاتحاد السوفيتي هو في أنها تمثل الأصل الذي دونه المؤلف بخط يده، كما تضم أيضاً تكملة بقلم علي نائب فريومذي؛ راجع مقال A.M. Muginov, Istoricheski Trud Muhammeda Shebangaraii, UZIV, T. IX, 1954, str. 220–240. والمؤرخ النابه أحمد زكي وليدي طوغان يعتقد أن مصنف الشبانكارة ليس سوى تكملة لمصنف رشيد الدين فضل الله « شعب پنجكانه »، راجع مقال وليدي في مجموعة تشريف محمد شفيع اللاهوري - المترجم).

(٣٥٠) تشير مخطوطة بأكسفورد مجهولة المؤلف الى « بخشيون يعرفون التركية وأيغور يتكلمون المغولية » (الورقة ٨)، وهي المخطوطة Th. Hyde 31 (Sachau-Ethé, Catalogue, p. 83) وهذا المصنف المجهول المؤلف لا يرجع تاريخ تدوينه إلى ما قبل القرن الرابع عشر لأن مؤلفه ينقل عن اليافعي (الورقة ١١٦).

الخوافي[٣٥١] الذي يبدو عليه تأثير وسط البلاط. والكتاب يقدم لنا جدولاً مختصراً للأحداث من بداية التاريخ الهجري إلى عهد المؤلف، الذي دوّن كتابه في عام ٨٤٥ هـ = ١٤٤١. وعلى الرغم من إيجازه فإن مصنف خوافي النقلي ليس خلواً من الاهمية، فهو يقدم لنا مادة جديدة خاصة فيما يتعلق بأخبار الشيوخ والأدباء من أهل آسيا الوسطى وايران.

أما مؤرخ بلاط شاهرخ، أعني بذلك حافظ آبرو شهاب الدين عبد الله بن لطف الله الخوافي المتوفي عام ٨٣٣ هـ = ١٤٣٠[٣٥٢] ومصنفاته النقلية التاريخية منها والجغرافية فقد سبق وأن عالجت الكلام عنه في موضع آخر[٣٥٣]. ولقد كان مصنف حافظ آبرو النقلي «زبدة التواريخ» هو المصدر الرئيسي لعبد الرزاق السمرقندي صاحب كتاب 105 «مطلع السعدين ومجمع البحرين»[٣٥٤] الذي تم تأليفه بين عامي ٨٧٢ هـ = ١٤٦٧

---

(٣٥١) Dorn, Ueber Mudschmel Faszihy, sp. 1 sq; Rosen, Les manuscrits persans, pp. 111–113; Berje, Kratkii Katalog Tiflisskoi pub. bibl., Tiflis, 1861, p. 1033.
(طبع مجمل فصيحي بمدينة مشهد عام ١٩٦١ – الناشرون).

(٣٥٢) ورد في بعض فهارس المخطوطات الأوروبية وذلك تبعاً لخطأ وقع فيه عبد الرزاق السمرقندي (وظهر أيضاً في الطبعة الروسية الأولى لهذا الكتاب، ص ٥٦) أن الاسم هو: نور الدين لطف الله بن عبد الله الهروي.

(٣٥٣) انظر Bartold, Khafizi-Abru؛ ومن مقالاته التالية: O nekotorykh vostochnykh rukopisiakh v bibliotekakh Kanstantinoplia i Kaira, p. 0138–0144; Otchet o komandirovke v London, p. 881 حيث يرد ذكر للمخطوطة رقم 171 من «Catalogue of India Office» Ethé, p. 76؛ أنظر أيضاً Barthold, Hafiz-i Abru.ومن المؤسف ان البروفسور ج. براون لم يفد من جميع هذا في كتابه (الجزء الثالث، ص ٤٢٤ وما يليها) حيث وجد الخطأ طريقه الى ما سرده بصدد ما بقي بين أيدينا من شذور لمصنفات حافظ آبرو. ولقد أبصرت بعد عام ١٩٠٠ مخطوطتين للمصنف الجغرافي لحافظ آبرو لم يرد لهما ذكر في الفهارس. وهما تشملان كمخطوطة المتحف البريطاني رقم شرقيات ١٥٧٧ القسم من مصنفه الذي ينتهي بتاريخ خراسان. وإحدى هاتين المخطوطتين في حوزة ث. ڤياتكين بسمرقند، أما الأخرى فتوجد بمدرسة اللغات الشرقية بلندن LSOS
(تم نشر قطع منفصلة من تاريخ حافظ آبرو، هي «ذيل جامع التواريخ» [لرشيد الدين] من «مجموعة» حافظ آبرو، وذلك على يد خانبابابياني [الجزء الثاني وهو الترجمة الفرنسية ظهر بباريس عام ١٩٣٦؛ أما الجزء الأول ويمثل المتن الفارسي فقد ظهر بطهران عام ١٩٣٨]؛ و«ذيل ظفرنامه» [لنظام الدين شامي أيضاً من «مجموعة» على يد ف. تاور في عام ١٩٣٤ ببراغ؛ وشذور من «مجمع التواريخ»: Cinq opuscules de Hafiz-i Abru... éd. par F. Tauer, Prague, 1959 – الناشرون).

(٣٥٤) Notices et Extraits, XIV, Partie I, Rieu, Pers. MSS, vol. I, PP. 181–183 (نشر البروفسور محمد شفيع قسمين من «مطلع السعدين» بلاهور عام ١٣٦٠ – ١٣٦٨ هـ = ١٩٤١ – ١٩٤٩ – مينورسكي) (ويجري الآن طبعه بطهران).

و٨٧٥ ه = ١٤٧١ والذي يعالج فيه مؤلفه تاريخ الاعوام بين ٧٠٤ ه = ١٣٠٤ و٨٧٥ ه = ١٤٧١. ورواية عبد الرزاق لتاريخ تيمور تختلف في نقاط عديدة عن رواية شرف الدين، ويبدو أنه رجع إلى «تاريخ اسكندر المجهول المؤلف» (انونيم اسكندر Anonym Iskender)، أو ربما كان حافظ آبرو هو الذي رجع إليه. هذا وقد زحم تاريخ عبد الرزاق تاريخ حافظ آبرو في المشرق وانتزع محله، فمثلاً القصة التي نالت رواجاً كبيراً في المشرق والمتعلقة بسفارة شاهرخ الى الصين قد نقلها جميع المؤرخين المتأخرين عن عبد الرزاق رغماً من أنها ترد بتفصيل أكبر لدى حافظ آبرو(٣٥٥). ونفس القصة نجدها (ولكن في صورة موجزة للغاية) عند أحد معاصري شاهرخ، وهو محمد بن فضل الله الموسوي صاحب «تاريخ خيرات» الذي بدأ تدوين مصنفه في رجب من عام ٨٣١ ه = ابريل - مايو ١٤٢٨، ولكن أتمه بعد عام ٨٥٠ ه = ١٤٤٦ - ١٤٤٧ لأن الكلام يرد فيه عن وفاة شاهرخ(٣٥٦). هذا المؤلف كما يبدو من وصف مخطوطة الكتاب في فهرست ريو Rieu‘s Catalogue (صفحة ٢٧٠ من «التتمة» (Supplement, P.270) قد أفاد بدوره من مصنف حافظ آبرو(٣٥٧).

هذا ولابن شاهرخ وخلفه على العرش ألوغ بيك المتوفي عام ١٤٤٩ مصنف تاريخي بعنوان «تاريخ اربع الوس»، ويبدو من عنوانه انه يعالج الكلام على تاريخ امبراطورية المغول بأجمعها. ومصنف ألوغ بيك هذا لم يصلنا ولكن نجد نقولا منه لدى عدد من المؤلفين خاصة خواندامير في كتابه «حبيب السير»، ومن هذه النقول يتبيّن أن المؤلف ساق تاريخ دول المغول إلى أيامه هو ولكنه اكتفى في أغلب الأحيان بمجرد ذكر أسماء الخانات دون أن يضيف أية تفاصيل تتصل بأحداث حكمهم(٣٥٨)، لكل هذا فليس هناك سبب خاص يجعلنا نأسف كثيراً على ضياع المصنف. وبالمتحف البريطاني(٣٥٩) مخطوطة

---

(٣٥٥) Bartold, Khafizi-Abru, p. 27

(٣٥٦) Rieu, Suppl. Pers., pp. 270-271

(٣٥٧) شرحه، (ص 270)

(٣٥٨) خواندامير. [illegible] ١٢٧١ ه = ١٨٥٤ - ١٨٥٥، الجزء الثالث، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣٥٩) Sachau-Ethé, Catalogue, p. 77 sq; Rieu, Pers. MSS, vol. I, PP. 163-164 حيث يرد خطأ، وبنفس الصورة الذي وجد ذلك الخطأ سبيله الى فهرس ريو، ان العنوان «شجرة الأتراك» قد أعطى للكتاب «دون وجود ما يبرر هذا في المتن». غير أنه توجد مخطوطة ثالثة بالمتحف البريطاني (Or. 8106, f. 340-513) هي التي اعتمد عليها مايلز Miles في عمل ترجمته؛ ويبدو أن المخطوطة Add. 26190 منقولة عن المخطوطة Or. 8106. والعنوان «شجرة الأتراك» موجود في =

لموجز تاريخ ألوغ بيك الذي سبق ان تحدثنا عنه فيما مر من الكتاب(صفحة ١٢٩)، 106
ومؤلفه الذي نجهل اسمه يعطي إلى جانب ذلك[٣٦٠] عنواناً آخر هو « شجرة الأتراك ». أما الترجمة الانجليزية القديمة لهذا الكتاب وهي من عمل الكولونيل مايلز **Miles** فإنها لا تبعث على الرضى بأية حال من الأحوال.

وقريباً من نهاية القرن الخامس عشر، وعلى وجه التحديد في عام ٨٩٧ هـ = ١٤٩٢، وضع معين الدين محمد الاسفزاري تاريخاً لمدينة هرات بعنوان « روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات »[٣٦١]، وعن هذا الكتاب الذي لم يقدّر له أن يرى النور حتى هذه اللحظة أخذنا القصة الطريفة المتعلقة بالصناع من مدينة هرات الذين وقعوا في أسر المغول وسيقوا إلى منغوليا[٣٦٢].

وفي الأعوام الأخيرة لسيادة التيموريين تم تدوين ذلك المصنف النقلي في التاريخ الذي كان يمثل لعهد طويل المصدر الوحيد للبحاثة من الأوروبيين في تاريخ إيران وآسيا الوسطى، أعني تاريخ ميرخواند محمد بن ميرخاوند شاه المتوفي عام ٩٠٣ هـ = ١٤٩٨ والذي يحمل عنوان « روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا »[٣٦٣]. وكما هو

المخطوطة Or. 8106 بالورقة ٣٤٨ ب. وثمة مخطوطة أخرى موجودة بمكتب حكومة الهند بلندن India Office. أما عن مصنف الوغ بيك فراجع بحثي عن ألوغ بيك، ص ١١٣، حيث بيّنت ان المصنف ليس من تدوين ألوغ بيك نفسه ولكن رفعه « أحد العلماء » الى شاهرخ باسم الوغ بيك.

(٣٦٠) الورقة ١٣ أ: « ودرين مسوّده كه موسوم بشجرة الاتراك است » (أي « وفي هذه المسوّدة الموسومة بشجرة الأتراك »).

(٣٦١) D'Ohsson, Histoire des Mongols, t. I, PP. XLIV–XLV; Rieu, Pers. MSS, vol. I, PP. 206–207; Browne, A Literary History, vol III, P. 430 sq, وينقل براون تحليلا مفصلا أورده باربييه دي مينار ظهر في المجلة الآسيوية JA, sér. 5, t. XVI, PP. 461–520 حيث يذكر الاسفزاري من بين مصادره « مصنفاً يتعلق بأحد ملوك الكرت » من تأليف سيفي هروي. وتوجد نسخة من هذا المصنف الأخير بكلكتا، نقل نسخة منها السير دنيسون روص D. Ross (هذا المصدر الذي اعتمد عليه الاسفزاري يؤرخ للفترة ٦١٧ هـ – ٧٢١ هـ = ١٢٢٠ – ١٢٣١. وقد نشر مصنف سيفي هروي وهو « تاريخ نامهٔ هرات » البروفسور محمد زبير صديقي بكلكتا في عام ١٩٤٤. راجع عنه بالتفصيل بحث Petrushevski, Trud Seifi كذلك تم طبع مصنف الاسفزاري بطهران عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ – الناشرون).

(٣٦٢) Teksty, p. 165 (هذه القصة لدى سيفي الهروي في الصفحات ١٠٧ – ١٠٨ – الناشرون).

(٣٦٣) Rieu, Pers. MSS, vol. I, PP. 87 – 96; Elliot, History India, vol. V, PP. 131 – 133 حيث يرد تعداد لما نشر وترجم من تاريخ ميرخواند بأوروبا. أما المصنف، في مجموعه فقد نشر بالمشرق فقط =

معلوم جيداً فإن مصنف ميرخواند ينقسم إلى سبعة كتب يشتمل آخرها على تاريخ معاصره السلطان حسين وأكمله حفيد المؤرخ المدعو خواندامير. والأخير هو المسؤول أيضاً عن إعداد المسودة النهائية للذيل الجغرافي للمصنف التي ظهرت بالمشرق، كما أن مخطوطاته أكثر ندرة مما هو عليه الحال مع مخطوطات بقية المصنف.

107 وفي الكتاب الأول من مصنفه يورد المؤلف اسماء الآثار التاريخية المعروفة له سواء العربية منها أو الفارسية، دون أن يراعي في ذلك منهج الترتيب الزمني أو أي منهج آخر؛ ومن العسير القول ما إذا كان قد اطلع على تلك الآثار التي يتحدث عنها. وهي تضم أسماء عدد كبير من المصنفات ابتداء من مصنف محمد بن اسحق في سيرة الرسول إلى مصنفات مؤرخي التيموريين، اما في صلب المصنف فهو قليلا ما يشير إلى مصادره، رغماً من أننا نلتقي لديه بنقول من كتب لم تصل إلينا.

وبالنسبة لنا فإن أهم أقسام مصنفه هما الكتابان الرابع (في تاريخ الأسر الحاكمة بايران) والخامس (في تاريخ المغول)، وفي سرده لتاريخ شاهات خوارزم والقراخطاي والمغول[٣٦٤] يعوّل المؤلف بالطبع على جويني ورشيد الدين ووصاف وشرف الدين. وهذا الشطر من مصنفه لا يبعث كثيراً على الثقة في منهجه في النقل عن مصادره لأن ميرخواند لا يبذل جهداً ما لمقابلة الروايات المتعارضة التي أثبتها جويني في مصنفه عن شاهات خوارزم والقراخطاي، بل إنه يفضّل واحدة من الروايات على غيرها ويهمل ذكر البقية التي تتعارض معها. ولعل الثقة العمياء في هذا القسم من مصنف ميرخواند هي التي تمثل العيب الأساسي في بحث اوپيرت Oppert عن يوحنا الداعي Priester John[٣٦٥]. وفي عرضه لتاريخ سلالة چنكيز خان يردد ميرخواند في معظم الأحوال أقوال رشيد الدين

= وذلك بطهران وبمباي. والطبعة الطهرانية لعام ١٢٧٠ هـ (= ١٨٥٤) التي رجعت اليها ينقصها مع الأسف أرقام الصفحات. راجع أيضاً Browne, A Literary History, vol. III, P. 431 sq. أما الطبعات والترجمات الأوروبية والشرقية المتأخرة فقد ورد ذكرها لدى ادواردز Edwards, Catalogue, Col. 416 sq (عن تعداد مفصل للطبعات الكاملة والجزئية لمصنف ميرخواند راجع Krymski, Istoria Persii, t. III, P. 66-68; Storey, Persian Literature, vol. I, Pt. I, sect. II, fasc. I, PP. 95-100 راجع أيضاً ثبت المراجع الناشرون)

(٣٦٤) طبع القسمان المتعلقان بتاريخ شاهات خوارزم وبتاريخ چنكيز خان بأوروبا أيضاً: Histoire des Sultans du Kharezm, par Mirkhond, texte persan..., Paris, 1842; Vie de Djenghiz-Khan, par Mirkhond..., Paris, 1841.

(٣٦٥) Oppert, Presbyter Johannes, 2 Auflage, Berlin, 1870

ولكنه يقدم لنا أحياناً مادة جديدة ؛ خذ مثلاً تاريخ حفيد اوكداى المدعو قايدو والذي أسس دولة مستقلة بآسيا الوسطى فهو يرويه بتفصيل أكثر مما في المصادر الأخرى ، وكما هو معروف فإن القسم المقابل لهذا في تاريخ رشيد الدين قد تعرض لتشويه وحذف مقصودين في مخطوطات الكتاب حتى أوشك تثبيت المتن الحقيقي أن يصبح أمراً مستحيلاً .

وليس من هدفنا أن نقف لنتكلم عن المصنفات النقلية المتأخرة باللغة الفارسية ، ولكننا سنولي ألفاظاً قليلة لمصنف في تاريخ شيوخ بخارا أوردنا مقتطفات منه في ذيل لكتابنا هذا أفردناه خاصة للنقول المأخوذة عن متون تاريخية لم تر النور بعد[٣٦٦]. هذا المصنف الذي يحمل عنوان « كتاب ملاّزاده » من تأليف شخص يدعى أحمد بن محمد الملقب « بمعين الفقرا » ؛ واستناداً على كثرة مخطوطاته فإن الكتاب لا بد وقد تمتع برواج واسع في آسيا الوسطى . وفيه يتحدث المؤلف عن مشاهد الأولياء المدفونين ببخارا ويقدم بعض التفاصيل في سير حياتهم. وليس معلوماً لنا على وجه الدقة الفترة التي عاش فيها المؤلف ، غير أنه يبدو من المعطيات الزمنية/الواردة في كتابه أنها لا تتجاوز القرن الخامس 108 عشر[٣٦٧]، كما أن دقة معطياته تقف دليلا على أنه استعمل مصادره في كثير من الأمانة والنزاهة .

٣ - الأبحاث الأوروبية

كانت أول محاولة لكتابة تاريخ عام للقبائل التركية والمغولية كما هو معلوم جيداً هي محاولة المستشرق الفرنسي ديغين Deguignes[٣٦٨]، غير أن كتابه قد اهتم بمعالجة تاريخ القسم الشرقي من آسيا الوسطى أكثر من اهتمامه بمعالجة تاريخ القسم الغربي ، لأن ديغين اعتمد اعتماداً كبيراً على المصادر الصينية في حين نراه يقف عند عدد ضئيل من الآثار النقلية الاسلامية .

---

(٣٦٦) Teksty, p. 166-172 ؛ راجع عن هذا المصنف أيضاً مقال بارتولد بدائرة المعارف الاسلامية (« برهان »). (هذا وقد نشر الكتاب بايران على يد گلچين معانى - الناشرون).

(٣٦٧) (وفقاً لغفوروفا R. Gafurova فان تاريخ تدوين « كتاب ملاّ زاده » يرجع الى فترة تالية لعام ٨١٤ هـ = ١٤١١ - ١٤١٢ ، لأن هذا التاريخ الأخير مذكور فيه - الناشرون).

(٣٦٨) J. Deguignes, Histoire générale des Huns, des Turcs, des Mongols et des autres Tartares occidentaux, T. I- [V, Paris, 1756-1758

أما المصادر الاسلامية ذات الأهمية الجوهرية بالنسبة لتاريخ المغول فإن أول من أخضعها لفحص دقيق هو البارون دوسون C. d'Ohsson ، الذي ظهرت الطبعة الأولى من كتابه « تاريخ المغول » Histoire des Mongols عام ١٨٢٤ ، ثم تلتها الطبعة الثانية في عام ١٨٣٤ - ١٨٣٥ محتوية على زيادات كبرى[٣٦٩]. هذا وقد أفرغ المؤلف لمهمته عناية وأمانة فائقتين حتى أوشك أن يستغرق المصادر التي وجدت تحت يده ، خاصة فيما يتعلق بتاريخ المغول في الصين وايران. غير أنه حصر نفسه شيئاً ما في تصوير « الجوانب الرهيبة والسلبية » من تاريخ المغول ، مما عُدّ منذ البداية من مناقص الكتاب الواضحة ؛ وفي الواقع ان دوسون لا يولي أهمية لتاريخ المغول أنفسهم إلاّ باعتباره أمراً ضرورياً لفهم « الأحداث الكبرى للقرنين الثالث عشر والرابع عشر » ، لذا فهو يعالج بتفصيل واف تاريخ الأقطار المتحضرة التي وقعت تحت نير السيطرة المغولية بينما لا يفرد لتاريخ السيادة المغولية على آسيا الوسطى وروسيا إلاّ صفحات معدودات من كتابه. وفيما عدا ذلك فقد استعمل جميع الآثار غير المطبوعة اعتماداً على مخطوطات منفردة في معظم الأحوال ، ولم تكن إلى جانب ذلك تمثل أفضل المخطوطات ؛ أمّا الآن وحيث يوجد تحت تصرفنا عدد من المتون في طبعات علمية منقّحة فإنه من الممكن تصحيح عدد من الأوهام التي وجدت طريقها إلى كتابه. ورغماً من كل هذا فإن كتاب دوسون لم يفقد قيمته العلمية إلى أيامنا هذه ، ونظراً لغزارة علمه وسعة اطلاعه وأيضاً لحذره في الاستقراءات التي خرج بها فإنه يقف على مستوى أعلى بكثير من المؤلفات التالية له التي عالجت نفس الموضوع ، أعني بذلك مؤلفات هامر - بورغشتال[٣٧٠] Hammer-Purgstall وڤولف Wolff[٣٧١] واردمان Erdmann[٣٧٢] بل وحتى تاريخ المغول الضخم History of the Mongols للسير

109

---

(٣٦٩) C. d'Ohsson, Histoire des Mongols, depuis Tchinguiz-Khan jusqu'à Timour bey ou Tamerlan, t. I-IV, La Haye et Amsterdam, 1834-1835؛ وليست الطبعة الثالثة (امستردام ١٨٥٢) سوى طبعة طبق الأصل للثانية.

(٣٧٠) J. Hammer-Purgstall, Geschichte der Goldenen Horde in Kiptschak..., Pesth, 1840; J. Hammer-Purgstall, Geschichte der Ilchane, das ist der Mongolen in Persien, Bd I-II, Darmstadt, 1842-1843

(٣٧١) O. Wolff, Geschichte der Mongolen oder Tataren, besonders ihres Vordringens nach Europa, so wie ihrer Eroberungen und Einfälle in diesem Welttheile, kritisch bearbeitet von O. Wolff, Breslau, 1872

(٣٧٢) F. Erdmann, Temudschin der Unerschütterliche, Leipzig, 1862.

هنري هوورث Sir Henry Howorth الذي يقع في عدة أجزاء[٣٧٣]. ونظراً لأن هوورث لم تكن له دراية باللغات الشرقية فقد اعتمد على السابقين له اعتماداً تاماً، وهو يعترف أنه قد ولج موضوعه «لا كعالم لغة بل كعالم سلالات بشرية ومؤرخ»، غير أنه ليس بوسعنا أن نشير إلى موضع واحد من مصنفه كشف فيه المؤلف عن معرفة أدق بمنهج البحث في التاريخ أو علم السلالات البشرية أكثر مما فعل دوسون؛ فنظرياته عن أصل الشعوب المختلفة تستند استناداً تاماً على أسماء الاعلام والألقاب وحدها على حين لم يعد خافياً أنه في هذين المجالين بالذات يظهر بوضوح أكثر تأثير الشعوب المتحضرة التي تنتمي إلى أصول مغايرة تماماً. وهو يعد جميع الشعوب التي قطنت منغوليا قبل ظهور چنكيز خان من العنصر التركي، دون أن يكلف نفسه عناء السؤال كيف استطاع شعب قليل العدد كالمغول أن يحتفظ بلغته عقب اخضاعه لعدد من القبائل التركية بل وأن يفرض بالتالي تلك اللغة على عدد من القبائل التي خضعت له. ووفقاً لنعته نفسه بأنه عالم سلالات بشرية فقد كان من المفروض عليه أن يكون على علم بطبيعة حياة الرعاة ونظمهم السياسية التي لا تعرف نظرية وراثة العرش أو الانتخابات وفقاً لقوانين مثبتة، ورغماً من ذلك نراه يفحص بالكثير من الجدية سؤالاً[٣٧٤] مؤداه من كان من سلالة چنكيز خان أحق دون غيره بتولي العرش؟ وهل تمشّى انتخاب هذا الخان أو ذاك مع روح القانون[٣٧٥]؟.

وتستحق بعض الاهتمام تلك التعليقات الوافية التي زود بها الماجور رافرتي Major Raverty ترجمته لمصنف جوزجاني (انظر ما مر/ بصفحة ١١٠ و١١١) إذ نلتقي فيها 110 بنقول مأخوذة من عدد كبير من المصادر لم ير النور بعد أو أنه غير معروف معرفة كافية، هذا إلى جانب محاولات متفرقة من جانب المعلّق لجمع شتات المادة التاريخية المتصلة

---

(٣٧٣) H. Howorth, History of the Mongols from the 9th to the 19th century, Pt I–III, London, 1876–1888; (Pt IV (Supplement), London, 1927)

(٣٧٤) Howorth, History of the Mongols, vol. I, PP. 171, 180, 218

(٣٧٥) كذلك لا تتمتع بأية أهمية علمية مقالات هذا المؤلف التي تعالج الكلام على الأقوام المختلفة التي قطنت آسيا الوسطى تلك المقالات التي ظهرت في مجلة JRAS, 1875–1898 تحت عنوان شامل هو «جيران الصين الشماليون» «The Northern Frontagers of China». وآخر هذه المقالات «The Muhammedan Turks of Turkestan from the Tenth to the Thirteenth Century;» JRAS, July 1898, مكرس للقراخانيين، ويمكن الحكم على مستواه العلمي من قول المؤلف (ص ٤٦٨): «إن أول المؤلفين الذين تحدثوا عن غزو بغراخان لما وراء النهر قد دوّنوا ذلك بعد قرنين من وفاته».

بشعب ما أو بأسرة حاكمة. والمؤلف نفسه يصف كتابه في المقدمة[٣٧٦] بأنه « خزانة (Thesaurus) بمعنى الكلمة لمادة تاريخية متنوعة لا يزال بعضها مجهولا حتى هذه اللحظة » ويضيف أن « عدداً من الأوهام التاريخية التي كانت مقبولة على مدى زمن طويل » قد جرى تصحيحه. ثم يقول إن النقاد « خوفاً من أن يسبقهم أحد إلى اكتشاف ذلك » سيسارعون بالإشارة إلى خلو الكتاب من فهرس، غير أن وقت المؤلف « أثمن بكثير » من أن يضيعه في عمل مماثل لذا فإنه يترك هذه المهمة « لجمعية الفهارس » Index Society. هذا وقد استجيبت رغبة المؤلف، إذ يوجد بين أيدينا حالياً فهرس للكتاب يجعله الآن، على حد زعم المؤلف، خلواً من كل عيب. غير أن فكرة المؤلف الرفيعة عن كتابه، ثم ما لجأ إليه من أسلوب لاذع في نقد السابقين له يحرّم الكتاب في رأينا من أي حق في التسامح من جانب النقاد علماً بأنه في أمّس الحاجة الى ذلك. فأخطاؤه التي تعرضنا لبعضها خلال كتابنا هذا (أنظر أيضاً صفحة ١١١، حاشية ٢٥٦ أعلاه) تفوق بكثير أخطاء الآخرين التي تعرض هو لها. وهو يسرد مادته التاريخية دون أية محاولة لإخضاعها لأبسط قواعد النقد التاريخي، كما أنه لا يقوم بأي مجهود للتفرقة بين التاريخ والأسطورة او بين المصادر الأولى والمؤلفات النقلية المتأخرة. ورغماً من مغالاته في نقد السابقين له على أخطائهم في ضبط أسماء الأعلام، إلاّ أن راڤرتي نفسه يمسخ أكثر الأسماء رواجاً فيكتب خُرزْ (Khurz) مثلاً بدلاً من خَزَر (Khazar) وآغزُ (Aghuz) بدلاً من أُغُز (Oghuz) وعُمْرُو (Umro) بدلا من عَمْرو (Amr). ويبدو أن وقت المؤلف كان أثمن من أن يضيعه لا في وضع فهرس للكتاب فحسب بل حتى في تكليف نفسه مؤنة مراجعة مصنفه مراجعة سريعة وإلاّ فكيف يمكن فهم قوله في الصفحة رقم ١٣٣ أن أبا الفضل البلعمي مترجم كتاب الطبري قد شغل منصب الوزارة في عهد اسماعيل وظل محتفظاً بها إلى عهد نوح بن منصور (أي لفترة تزيد على السبعين عاماً!)؟ أو قوله في صفحة ٣٨ أن أبا الفضل البلعمي (وهنا يميز المؤلف بدقة هذا الشخص عن مترجم الطبري) قد قُتل (كذا!) عام ٣٣٠ هـ ؟. أمّا فيا يتعلق بالعيوب الظاهرة للكتاب فإن بعضها بلغ درجة لا يمكن أن نغض عنها النظر بأية حال من الأحوال، حتى لو غفرنا للمؤلف إهماله الفهرس؛ مثال ذلك أن المؤلف لا يشير إلى المخطوطات التي رجع إليها ولا يذكر أسماء مؤلفي الآثار المختلفة أو تواريخ تدوينها حتى أصبح التثبت من صدق استقراءاته أمراً

(٣٧٦) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص XV

جد عسير. وحيث أنه قد وجد تحت تصرفه مادة واسعة (مثال ذلك أن المؤلف هو أول من نقل عن/كرديزي بقدر ما نعلم) فقد كان بمقدوره دون شك أن يزيل عدداً من الأوهام 111 التي ثبتت بمرور الأيام ويستبدلها بنظريات جديدة أكثر صموداً، غير أن بلوغ هذا الهدف يحتاج إلى درجة من النزاهة العلمية ومقداراً معيناً من المعرفة بالمبادىء الأولية لمنهج البحث العلمي. ومن المؤسف أن كتاب رافرتي لا يستوفي حتى تلك الشروط التي تعودنا أن نتوقعها في أبحاث المبتدئين، لكل هذا فان أهمية الأثر الوحيدة هي في احتوائه لمادة واقعية ضخمة رغماً من افتقارها الشديد إلى الترتيب والتنظيم[٣٧٧].

وثمة محاولة جديدة لتقديم عرض عام لتاريخ الشعوب التركية والمغولية يمثلها مصنف ليون كاآن L. Cahun[٣٧٨] الذي سبق وحللناه بالتفصيل في موضع آخر[٣٧٩]، حيث جهدنا في أن نبين أن المصنف رغماً من ميزاته الأدبية التي لا تنكر إلاّ أنه لا يتمتع بأهميـة علميـة ذات بال. هذا وقد قام ا.د. روص (حالياً السير ا.د. روص Sir E.D. Ross) بوضع موجز لتاريخ تركستان تم نشره عام ١٨٩٩ في القسم الأول من كتاب «قلب آسيا» The Heart of Asia[٣٨٠]. وتكمن ميزاته الأساسية في روايته المفصلة بعض الشيء لتاريخ القرون الأولى للإسلام معتمداً في ذلك على الطبري في كلتا مسودتيه العربية والفارسية[٣٨١]، غير أنه لم يستعمل المصادر المتأخرة إلاّ في القليل النادر، والمصدر الوحيد الذي نقل عنه في مخطوطة هو «ظفر نامه» لنظام الدين شامي. ومن الجلي أن المؤلف نفسه أبعد من أن يوكد أنه من الممكن الاعتماد على كتابه في معرفة «كل ما هو هام» (everything important) فيما يتعلق بتاريخ آسيا الوسطى[٣٨٢].

---

(٣٧٧) باستثناء مصنفي دوسون وراڤرتي فان أكثر النقول عن المصادر الاسلامية غير المطبوعة تقابلنا في تعليقات كاترمير على القسم من تاريخ رشيد الدين الذي تولى نشره (أنظر أعلاه ص ٥٩).

(٣٧٨) L. Cahun, Introduction à l'Histoire de l'Asie. Turcs et Mongols des origines à 1405, Paris, 1896

(٣٧٩) JMNP, 1896 يونيو. راجع أيضاً نقد هوتسما Houtsma في GGA, 1896 No 9، وان حكم هذا الناقد الهولندي عليه ليتفق في جوهره تمام الاتفاق مع نقدي له.

(٣٨٠) راجع نقدي في ZVORAO, T. XII, P. 0130 sq

(٣٨١) Skrine and Ross, The Heart of Asia, pp. 34–108

(٣٨٢) انظر، Rickmers Rickmers, The Duab of Turkestan, Cambridge, 1913, p. 543

وقد عرى من أية قيمة علمية الجزآن اللذان وضعهما جرميا كيرتن J. Curtin وتم نشرهما في عام ١٩٠٨ (أي عقب وفاة المؤلف) تحت عنوان «المغول: عرض تاريخي» The Mongols: A History و«المغول في روسيا» The Mongols in Russia؛ والأول منهما يحمل مقدمة بقلم تيودور روزفلت. ورغماً من زعم هذا الأخير في تلك المقدمة بأن المؤلف «لا يجاريه أحد من العلماء الاميركيين أو الأوروبيين في مجال تخصصه» إلاّ أنه يأتي وراء سير هنري هوورث بكثير، سواء من حيث الاطلاع أو الدقة. وهو لا يذكر شيئاً ما عن مصادره، ناهيك عن أن يحاول تعريضها للنقد أو مقارنتها بعضها بالبعض من حيث القيمة. وترد فقط في ملاحظة مسبّقة لكتابه «المغول في روسيا» أن السيد كيرتن في جمعه لمادته التاريخية من أجل كتابيه/قد رجع إلى الحوليات التاريخية المبكرة لأهل الصين وايران وروسيا وأنه بغية الاطلاع على هذه الحوليات التاريخية قد زار روسيا مراراً كما قام أيضاً بزيارة إلى الشرق. ورغماً من هذا فإن الكتابين لا يقدمان دليلاً واحداً على أية معرفة بالمصادر الأولى، بل ان الجزء الثاني أقرب إلى أن يكون تاريخاً غير نقدي لروسيا من أن يكون تاريخاً لدولة المغول بروسيا «الأوردو الذهبي».

112

وحتى الآن لم تظهر بحوث خاصة (monographs) تعالج تاريخ القسم الاسلامي من آسيا الوسطى قبل عهد المغول يمكن وصفها بأنها ترضي متطلبات البحث العلمي المعاصر؛ وفيما عدا مقدمات بعض العلماء للمتون التي نشروها، مما أشرنا اليه في موضعه، فإن هذا الحكم ينطبق كذلك على دراسة مصادر تاريخ هذه الفترة. هذا النقص في الأبحاث العلمية لم يكن من شأنه إلاّ أن يترك أثره على المصنفات ذات الطابع العام في تاريخ الاسلام، حتى آخرها عهداً وهو الذي ندين به للمرحوم البروفسور ا. مولر A. Müller[٣٨٣]. وقد استعمل المؤلف في كثير من الحيطة والنزاهة مصادره العربية (ومعظمها قد كان مطبوعاً) غير أن معرفته بالمصادر الفارسية كانت على درجة أقل. ومما يعيب كتابه أن تحليله للشخصيات التي تركت أثرها على تاريخ آسيا الوسطى (مثل محمود

---

(٣٨٣) A. Müller, Der Islam in Morgen-und Abendland, Bd I-II, Berlin, 1885-1887 والترجمة الروسية لهذا الكتاب التي ظهرت تحت اشراف مدنيكوف N.A. Mednikov (سان بطرسبرغ ١٨٩٥ - ١٨٩٦) لا تبعث كثيراً على الرضى. راجع ملاحظاتي عليها في كتابي Musulmanskii mir ص ٨٢ وما يليها.

الغزنوي) قد جاء في معظم الأحوال مبتوراً وغير كامل. كما أن معالجته لتاريخ المغول يبدو فيها واضحاً ضعف الاستقراء وذلك لعدم دراسته للمصادر الأصلية في اللغة الفارسية، وهو أمر يعترف به المؤلف نفسه ويذهب فيه بعيداً الى درجة أنه يرفض كل مسؤولية عن ذلك القسم من مؤلفه(٣٨٤).

أما في اللغة الروسية(٣٨٥) فباستثناء تاريخ الاوردو الذهبي(٣٨٦) فإن تاريخ المغول وتاريخ الأسر الحاكمة بآسيا الوسطى قبل الغزو المغولي لم يعرّض بعد لبحث علمي مفصّل. ومن بين البحوث ذات الطابع التخصصي monographs التي تعالج موضوعات منفردة يمكن لواحد فقط من بينها أن يرضي متطلبات البحث العلمي المعاصر، وأعني به بحث البروفسور جكوفسكي V.A. Jukovsky عن مدينة مرو(٣٨٧). ولعل من المرغوب 113 فيه جداً أن يسير النشاط العلمي قدماً في خطى بحثه هذا حتى نجد بين أيدينا دراسات

---

(٣٨٤) Müller, Der Islam. Bd II, s. 211

(٣٨٥) ان كتاب ايڤانين M.I. Ivanin, O voennom iskusstve zavoeovaniakh mongol- tatar[, sredneaziatskikh narodov pri Chingiz-Khanei Tamerlane» (SPb., 1875) (« فن الحرب والغزو عند المغول والتتار وشعوب آسيا الوسطى في زمان جنكيز خان وتيمورلنك ») قد تقتصر قيمته على التاريخ العسكري فحسب.

(٣٨٦) لعله تجدر الإشارة بصورة خاصة الى كتاب البروفسور برزين Berezin, Ocherk vnutrennyvo ustroistva ulusa Dzhuchieva (TVORAO, ch. VIII, SPb., 1863) وأيضاً البارون تيزنغاوزن V.G. Tizengauzen, «Sbornik materialov, otnosiashchikhsa k istorii Zolotoi Ordy», T. I, SPb., 1884 « مجموعة نقول متعلقة بتاريخ الأوردو الذهبي»(الجزء الثاني من هذه النقول عن المصادر الفارسية نشرته IVAN عام ١٩٤١ . أما من بين الأبحاث السوفيتية فيسترعي الانتباه بصورة خاصة: B. Ia. Vladimirtsov, Obshchestvenny stroi mongolov. Mongolskii kochevoi feodalizm, L., 1934; B.D. Grekov, A. Iu. Iakobovski, Zolotaia Orda i ee padenie, M.-L., 1950; [K.V. Trever i A.Iu. Iakobovski], Istoria nardov Uzbekstana, t. I, Tashkent, 1950; Istoria Uzbekskoi SSR, T. I, Kn. 1, Tashkent, 1955 - الناشرون).

(٣٨٧) Jukovski, Drevnosti Zakaspiiskogo Kraia. Razvaliny Starogo Merva, SPb., 1894 (MAR, VYP.16.) عن نقد هذا الكتاب راجع: ZVORAO, t. IX, P. 300-305 (A. Tumanski); t. XI, P. 327-333 (V.G. Tizengauzen); t. XIX, P. 115-138 (Bartold, K istorii Merva). أنظر أيضاً مقالي

علمية لتاريخ وآثار المدن الكبرى بآسيا الوسطى مثل بخارا وسمرقند وبلخ(٣٨٨).

★ ★ ★ ★

---

(٣٨٨) يوجد بحث بقلم ڤياتكين Viatkin لا بأس به عن الجغرافية التاريخية لمنطقة سمرقند ؛ راجع نقدي له في ZVORAO, t. XV, (P. 0150-0156.أما عن كتاب لسترانج المعروف (G. Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate) وعن القسم منه المكرس لما وراء النهر فراجع الملاحظات من نقدي له الذي ظهر في ZVORAO, t. XVII, P. 0102-0107،وفي دائرة المعارف الاسلامية تحت لفظ « بخارا ». ويمكن الالتقاء بكمية من المعلومات والآراء الطريفة وإن كانت تفتقر الى التنظيم وذلك في أبحاث ماركڤارت J. Marquart خاصة في الآتية: Die Chronologie der alttürkischen Inschriften, Leipzig, 1898،مع بحثه أيضاً بعنوان: Historische Glossen zu den alttürkischen Inschriften, WZKM, Bd XII, S. 157-200; Eransahr nach der Geographie des Ps. Moses Xorenac'i, Berlin, 1901; Osteuropäische und ostasiatsche streifzüge..., Leipzig, 1903; Osttürkische Dialektstudien, Berlin, 1914 (هذا العنوان أعطي سهواً وذلك بدلا من العنوان الصحيح وهو Uber das Volkstum der komanen - الناشرون). وعن هذا البحث الأخير راجع نقد پليو P.Pelliot, A propos des Comans الذي ظهر بالمجلة الآسيوية JA, sér. 11, t. XV, PP. 125-185 ونقدي أيضاً Novy trud o polovtsakh والذي ظهر في «Russkii istorichskii jurnal» VII (1921), P.138-156. وأحد مصادر ماركڤارت وقد دون بالپهلوية في بداية العهد الاسلامي هو « قائمة مدن ايران »؛ انظر بلوشيه E. Blochet, Liste géographique des villes de l'iran,1895 وأيضاً: West, Pahlavi Literature, p.118 (S98) أما عن الجغرافيين المسلمين فراجع: Carra de Vaux, Les penseurs de l'Islam, t. II, Paris 1921 وعن الجغرافية التاريخية لما وراء النهر تراجع مقالاتي في دائرة المعارف الاسلامية (بصورة خاصة عن « امودريا »، و« بخارا »، و« فرغانة »، ومؤلفاتي: Svedenie ob Aralskom more i nizoviakh Amu-Dari s dreveneishikh vremen do XVIII Veka, Tashkent, 1902 (الترجمة الألمانية له ظهرت عام ١٩١٠ تحت عنوان Nachrichten über den Aral - See und den unteren Lauf des Amu-Darja... (Kistorii oroshenia Tuekestana, SPb., 1914; (عن المؤلفات التالية لذلك بصدد الجغرافية التاريخية لما وراء النهر (أي بعد عام ١٩٢٨) راجع كشاف المراجع بآخر الكتاب - الناشرون). (وعن الجغرافيا الاسلامية عامة راجع مصنف كراتشكوفسكي الكبير « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » الذي ظهرت ترجمته العربية منذ أعوام بالقاهرة. وهو من ترجمة ناقل هذا السفر - المترجم).

الفصل الأول

بلاد ما وراء النهر

عرض جغرافي

ما وراء النهر هو الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهري امودريا Amu-Darya (جيحون) وسيردريا Sir-Darya (سيحون). ولم تكن هذه المنطقة وفقا لمفهوم الجغرافيين المسلمين تدخل ضمن تركستان، لأن هذا الإسم الأخير إنما كان يقصد به بلاد الترك عامة، أي الأصقاع المترامية الأطراف التي تمتد بين بلاد الاسلام ومملكة الصين والتي كان يقطنها الرُحّل من الترك والمغول. ورغما من هذا فإن بلاد ما وراء النهر التي لم يكن يحميها من غارات الرعاة أية عوائق طبيعية قد خضعت في معظم الوقت لسيادة القبائل التركية. ومعلوم أن الحدود السياسية بين ايران وتوران كانت عرضة لتغيرات عديدة على مر العصور التاريخية؛ ففي عهد الهخامنشيين (Achaemenids) مثلا، وفي عهد السيادة العربية كذلك، كانت جميع بلاد ما وراء النهر تكوّن جزءاً لا يتجزأ من الشرق الأدنى. ولكن ابتداء من القرن العاشر الميلادي وقعت المنطقة نهائياً تحت سيطرة شعوب آسيا الوسطى حتى أن معاهدات الصلح المعقودة بين حكام ايران وتوران كانت تنص في معظم الأحوال على أن امودريا هو الحد الفاصل بين محيط نفوذ كل من الطرفين.

ومن وجهة النظر العِرقية (ethnographic) أيضاً فإن تلك البلاد التي كانت تقطنها في أول الأمر شعوب آرية لم تلبث أن تسربت إليها أعداد غفيرة من العنصر التركي بصورة أصبح معها عدد المتكلمين باللهجات التركية من أهل البلاد في الآونة الحاضرة لا يقف عند حد الجماعات البدوية وحدها بل شمل كذلك الشطر الأكبر من سكان المدن. وعلى وجه العموم فقد شغلت بلاد ما وراء النهر المكانة الأولى من بين الأقطار التي خضعت لسلطان الترك، وذلك بسبب خصبها وكثافة سكانها؛ زد على هذا أنها المنطقة الوحيدة التي وصلتنا عنها مادة تاريخية، وتاريخية - جغرافية مفصلّة. كل هذا يدفعنا الى أن نقصر هذا العرض الجغرافي على بلاد ما وراء النهر وحدها، خاصة وأن المادة

المتعلقة بالجغرافيا التاريخية لمناطق تركستان الغربية الأخرى، أي منطقة يدي صو («الأنهار السبعة»، وهي بالروسية «سمى رتشيه» Semirechie) والقسم الشرقي من مقاطعة سيردريا، سبق أن عرضنا لها في بحوث مستقلة[١]. ولأهمية امودريا باعتباره الحد الفاصل بين ايران وتوران فسنبدأ عرضنا الجغرافي بالكلام على شطآن هذا النهر. ولمّا **115** كانت الحدود عرضة للانتهاك من طرف أو/آخر فإنه يلزم أن نعالج في حديثنا أيضاً الكلام على المناطق الواقعة إلى الجنوب من نهر أمودريا لأن بعض مواضع بلاد ما وراء النهر قد ارتبط أحيانا بتلك المناطق أكثر مما ارتبط بسمرقند وبخارا[٢].

والاسم الآري القديم لامودريا وهو ڤخشو أو وكشو[٣] قد حفظ لنا في اسم أحد روافده وهو وخش[٤] (سرخاب)، مما يمكن الاستدلال به على أن ذلك الرافد كان يعتبر في الأزمنة القديمة عموداً لنهر امودريا. أما الجغرافيون المسلمون فقد اعتبروا عمود امودريا هو نهر جرياب المعروف حالياً باسم نهر پنج، والذي كان يحمل اسم وخاب[٥] في

---

(١) راجع O khristianstve v Turkestane ؛ Otchet o poezdke v Sredniu Azii؛ Ocherk istorii Semirechia (والترجمة الألمانية: Zur Geschichte des Christentums;)

(٢) يوجد عرض جيد وإن كان موجزاً بطبيعة الحال لبلاد ما وراء النهر في معجم برزين، وهو من تدوين ليرخ Lerch. وإلى جانب هذا فإن الجغرافيا التاريخية لحوض زرفشان وأعالي امودريا قد عالج الكلام فيها توماشيك (Tomaschek, Sogdiana)؛ ولا نكاد نلتقي في كتاب مينايف Minaev, Svedenia o stranakh po verkhoviam Amu-Dari, SPb., 1879) بأية معلومات تاريخية - جغرافية للفترة الممتدة من الفتح الإسلامي الى الغزو المغولي. ويقدم لنا بحث دي خويه De Goeje, Das alte Bett des Oxus, Leiden, 1875) مدخلا قيماً للغاية لدراسة الجغرافيا التاريخية لخوارزم. راجع أيضاً الفصول الأربعة الأخيرة من كتاب لسترانج G. Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1905) ونقدي له في ZVORAO, t. XVII, P. 0102 sq. وجميع الأوصاف المفصلة لبلاد ما وراء النهر ترتفع الى عهد السامانيين؛ أما فيما يتعلق بالظروف الجغرافية السابقة لذلك العصر فإن معلوماتنا مبتورة. (وتتمتع أيضاً بقيمة كبرى في هذا الصدد التعليقات الجغرافية - التاريخية التي ندين بها لمينورسكي في ترجمته الانجليزية «لحدود العالم» - الناشرون).

(٣) Tomaschek, Sogdiana, S. 37؛ Geiger, Die Pamir-Gebiete, S. 136

(٤) وفقاً لألفاظ البيروني (الآثار الباقية، طبعة زخاو ص ٢٣٧، ترجمة زخاو ص ٢٢٥) فإن الأهالي كانوا لا يزالون يعتقدون في القرن الحادي عشر أن «وخش هو اسم الملك الموكل بالماء وخاصة نهر جيحون». وحتى الآن وفقاً لقول ريغيل Regel (Pet. Mitt., Bd 30, 333) ومصدره هو غيغر، ص ١٣٦ (Geiger, Die Pamir-Gebiete) فإن اسم وخش لا يطلق على سرخاب وحده بل وعلى پنج وروافد أخرى لجيحون. أنظر Marquart, Untersuchungen Zur Geschichte von Iran, II, 26, n. 2

(٥) ابن رسته، ص ٩١.

مجراه الأعلى ويروي مقاطعات وخان وشغنان (چغنان) وكرّان (أغلب الظن أنها روشن ودرواز)[٦]. وقد ظل سكان هذه المقاطعات يدينون بالوثنية[٧] حتى القرن العاشر، رغما من أن قرائن الأحوال تشير إلى أنهم خضعوا سياسياً لسلطان المسلمين. ويذكر ابن خرداذبه[٨] أن خراج وخان كان عشرين ألف درهم (عشرة آلاف في مخطوطة أخرى)، وأن خراج شغنان كان أربعين ألفاً (وفي مخطوطة أخرى أربعة آلاف)، بينما كانت كران تدفع أربعة آلاف من الدراهم. ويرد لدى اليعقوبي[٩] ذكر لاسم «حماربك ملك شقنان وبدخشان». أما ماركو پولو[١٠] فيتحدث عن أهل وخان في زمانه بوصفهم مسلمين. وبوخان وجدت معادن الذهب[١١] والفضة[١٢]، وكان يجتاز أراضيها وأراضي چغنان طريق التجارة المتجه إلى بلاد التبت، أعني المجاري العليا لنهر السند التي كان يقطنها أهل التبت/والتي كان يجلب منها المسك؛ وقد اجتاز ماركو پولو هذه الأصقاع في طريقه الى كاشغر. وعلى أية حال فان هذه المقاطعات قد ظلت بوجه عام بعيدة عن طرق الغزو بسبب وعورة مسالكها وعدم صلاحيتها للحياة الرعوية، لذا فقد احتفظ سكانها بدمهم الآري الخالص إلى أيامنا هذه. 116

أما المقاطعة التالية لهذه على طريق التجارة القادم من التبت فهي بدخشان التي تفردت بالشهرة دون غيرها من جميع مقاطعات المجرى الأعلى لامودريا. هذا وقد اشتهرت بدخشان بمراعيها الجيدة ووديانها الواسعة الخصبة، كما اشتهرت أيضا بمعادن الياقوت واللازورد، ثم أخيراً بطقها الرائع[١٣]. وكانت الطريق الوحيدة لغزو بدخشان هي من ناحية الجنوب الغربي، أي من وادي أمودريا، وهنا فقط يمكن الالتقاء بعناصر تركية إلى جانب السكان الآريين. وبوجه عام فإن بدخشان نادراً ما تعرضت لغزو خارجي،

---

(٦) راجع القراءة «كُران» لدى ماركفارت (Eransahr, S. 222) وهو يحدد الموقع بأنه في القسم الجنوبي من بدخشان.

(٧) الاصطخري، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٨) ابن خرداذبه، ص ٣٧. ووفقاً للمقدسي (٣٤٠) فإنّ وخان كانت تدفع أربعين ألف درهما.

(٩) كتاب البلدان، ص ٢٩٢؛ راجع Marquart, Eransahr, S. 225

(١٠) Minaev, Svedenia, p. 75؛ ماركو پولو، ترجمة يول، الجزء الأول، ص ١٧١؛ (ترجمة مينايف، ص ٦٧).

(١١) ابن رسته، ص ٩٣.

(١٢) الاصطخري، ص ٢٩٧.

(١٣) شرحه، ص ٢٧٨؛ ابن حوقل، ص ٣٢٧؛ المقدسي، ص ٣٠٣؛ Minaev, Svedenia, p. 73–74

وكانت في معظم الأحيان متمتعة باستقلالها الداخلي[١٤]. ويبدو أن عاصمة المقاطعة كانت تقوم دائماً في المواضع القريبة من فيظاباد الحالية. أما جرم التي تقع إلى الجنوب من ذلك والتي احتفظت باسمها حتى اليوم فقد كانت تمثل في القرن التاسع أقصى نقطة بلغتها السيادة الإسلامية على طريق الصاعد إلى التبت[١٥].

وبين بلخ وبدخشان كانت تقع مقاطعة طخارستان التي أخذت اسمها كما هو معلوم من شعب الطخاريين الذين ورد ذكرهم من بين الشعوب التي قضت على امبراطورية بكتريا اليونانية[١٦]؛ وكانت هذه المقاطعة تمتد في عهد السيادة العربية، وفي عصر السامانيين كذلك، من ضفاف امودريا حتى ممرات هندوكوش الجبلية. وقد غلبت الرمال في المنطقة الغربية من النهر حتى أن الأرض لم تعد تصلح بتاتاً للري، لذا فقد بعدت المواضع المأهولة شيئاً ما عن شاطىء النهر وتركزت عند مخارج الجداول ومجاري المياه المنحدرة من الجبال في اتجاه النهر الذي يعجز معظمها عن بلوغه. وكانت الطريق الرئيسية من بلخ إلى بدخشان[١٧]/تمر على خلم (على مرحلة يومين من بلخ)، وورواليز أو ولواليز (على مرحلة يومين من خلم)، والطايقان أو الطالقان (على مرحلة يومين من وروواليز وسبعة أيام من عاصمة بدخشان)؛ أما مدينة قندز التي كانت قصبة لمملكة هامة في النصف الأول من القرن التاسع عشر فإنها لم تنل الأهمية إلاّ فيما بعد، رغماً من أن ذكرها ورد منذ القرن الثالث عشر. وكانت الطالقان تعتبر أكبر مدن طخارستان جميعها

117

---

(١٤) يزعم محمد حيدر (الترجمة الانجليزية لتاريخه، ص ١٠٧) ببعض المبالغة أن المنطقة لم تُغْزَ منذ عهد الاسكندر المقدوني. راجع مقالي «بدخشان» بدائرة المعارف الاسلامية حيث بيّنت أن الرواية المتعلقة بانحدار الأسرة الحاكمة من الاسكندر المقدوني لا تتجاوز القرن الثالث عشر وأنها تقابلنا لأول مرة لدى ماركو پولو، ترجمة يول، الجزء الأول، ص ١٥٧؛ (ترجمة مينايف، ص ٢٦٣).

(١٥) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٨٨؛ السمعاني (طبعة مرجليوث، تحت لفظ «البدخشي»). ويرد لدى ياقوت (معجم البلدان، الجزء الأول، ص ٥٢٨) ذكر رباط شيدته زبيدة زوج هارون الرشيد ببدخشان.

(١٦) Vivien de St.-Martin, Les Huns Blancs, pp. 25-26; Tomaschek, Sogdiana, S. 33. راجع أيضاً: Grum-Grjimailo, Istoricheskoe proshloe, str. 5-6 حيث حاول أن يبرهن على أن الطخاريين كانوا يقيمون في العهود القديمة بأفغانستان وأنه في القرن الأول والثاني قبل الميلاد كانوا «هم المعرّضين للغزو وليسوا بالغزاة». كذلك يفترض ماركفارت أن «تا-هيا» Ta-hia هي «طخارا» (راجع Eransahr, S. 204)

(١٧) الاصطخري، ص ٢٨٦.

ولم تكن لتزيد عن ثلث بلخ[١٨]، ولا تزال محتفظة باسمها (ممثلا في طالخان) الى أيامنا هذه.

أما الأهمية الكبرى، سواء من ناحية التجارة أو من الناحية العسكرية، فقد انفردت بها خلم التي كانت تقع على ضفة نهر يحمل نفس هذا الاسم وعلى مسافة غير بعيدة من مخرجه من واد ضيق. وخلم الحالية أو تاش قرغان التي لا تتجاوز نشأتها القرن التاسع عشر، تقع على مسافة يسيرة جنوبي خلم القديمة، وكان يمر بوادي خلم أكثر درب مطروق يؤدي الى جبال هندوكوش[١٩]. وعلى مرحلة يومين من خلم كانت تقع سمنجان التي يغلب على الظن أنها هيبك الحالية، وفي هذا الموضع يضيق الوادي بشكل ملحوظ حيث تقوم حتى الآن قلعة حصينة تشرف على المنطقة المحيطة. وعلى مرحلة يومين من سمنجان تقع بغلان، وهي قرية لا تزال موجودة إلى اليوم وتحمل نفس هذا الاسم، وهي غير بعيدة من مصب نهر بغلان في نهر قندز ولذا فإن ذلك الشطر من الطريق كان يربط وادي خلم بوادي قندز. وفي بداية القرن الثامن كانت المنطقة الواقعة بين خلم وسمنجان وبغلان مسرحاً لعمليات عسكرية بين العرب والأهالي ترك لنا الطبري وصفاً مفصلاً لها[٢٠].

وعلى خمسة مراحل من سمنجان، وذلك عن طريق بغلان في أغلب الظن، كانت تقع اندراب على سفح السلسلة الرئيسية لجبال هندوكوش. وكانت اندراب (أو اندرابه) في القرن العاشر تعتبر ثالث مدن طخارستان (وذلك بعد الطالقان وورواليز)؛ وتشير المسكوكات إلى أن ثمة أسرة حاكمة تولت مقاليد الأمور باندراب وببلخ آنذاك وكانت تدين بالتبعية للسامانيين. ومن اندراب يجتاز المسافر جبال هندوكوش (كان أفضل ممراتها ممر خاوك) فينزل بوادي نهر پنجهير وهو پنجشير الحالي، وقد اشتهر هذا الوادي منذ أكثر من ألف عام بمعادن الفضة التي لا تزال موجودة إلى أيامنا هذه وكانت تعتبر لعهدها أغنى معادن الفضة بالقسم الشرقي من العالم الاسلامي[٢١]. وعلى هذا النهر كانت تقع كاريابه وبنجهير[٢٢] وفروان أو پروان، ولا تزال الأخيرة محتفظة باسمها إلى اليوم. ومن

---

(١٨) شرحه، ص ٢٧٩.

(١٩) شرحه، ص ٢٧٩ و٢٨٦؛ المقدسي، ص ٣٤٦؛ Burnes, Travels, vol. II, PP. 147–200 Kostenko, Turkestanskii krai, t. II, str. 175–190

(٢٠) الطبري، القسم الثاني، ص ١٢١٩.

(٢١) الاصطخري، ص ٢٨٨. أنظر الرواية المزوّقة لدى ياقوت (معجم البلدان، الجزء الأول، ص ٧٤٣).

(٢٢) الاصطخري، ص ٢٨٠: الجاريابه؛ المقدسي، ص ٣٤٦: كاريابه؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٨٨: بنجهار، وفي مواضع أخرى: بنجهير.

118 پراون ينحدر طريق إلى وادي كابل ماراً على چركر و أستلف، بينما يرتفع طريق آخر بمحاذاة نهر غوربند إلى قرية تحمل هذا الإسم فينتهي إلى باميان؛ وقد افتتح العرب غوربند في نهاية القرن الثامن[٢٣]. وتفصل باميان عن كابل جبال وممرات أكثر ارتفاعاً عما عليه الحال بينها وبين خلم وبلخ، ورغماً من هذا فإن الممرات التي يخترقها الطريق إلى خلم كانت تكوّن في معظم الأحوال الحدود السياسية، حتى أنه في القرن التاسع عشر كان الحد الفاصل بين أملاك الأوزبك والأفغان، وذلك قبل خضوع الأوزبك لسلطان أمير افغانستان، هو ممر آق رباط الواقع إلى الشمال من باميان. وكانت باميان إلى القرن العاشر تعتبر المركز الرئيسي لمقاطعة كانت تضم كابل وغزنه ويحكمها أمير محلي[٢٤]. وفي الوقت الحاضر يمر الطريق من بلخ إلى باميان على خلم، ويبدو أن الجغرافيين العرب إنما كانوا يعنون طريقاً آخر هو ذلك الذي يرتفع محاذياً لنهر بلخ ثم ينحرف غرباً ليلتقي بالطريق القادم من خلم. والمدينة الوحيدة التي يرد ذكرها على هذا الطريق هى مدر على ستة مراحل من بلخ وأربعة من باميان، ولا تزال تحمل ذلك الإسم إلى أيامنا هذه قرية على طريق خلم تقع على سبعين ميلاً من باميان. وإلى الشمال قليلاً من هذه القرية وفي يسار الطريق (للقادم من ناحية الشمال) تلوح أطلال مدر القديمة.

وكان اسم «طخارستان» يطلق بشكل أوسع ليشمل جميع المقاطعات الواقعة على كلتا ضفتي أمودريا، والتي كانت تعتمد اقتصادياً على مدينة بلخ[٢٥]. ويورد الإصطخري[٢٦] أسماء أربعة أنهر تقع بين نهري پنج ووخش وتتجمع قبل معبر آرهن، وكان أقربها الى نهر جرياب هو نهر اخشو (آقصو؟) الذي يمر على هلبك، ويليه نهر بربان[٢٧]، ثم نهر

---

(٢٣) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٨٨ - ٢٩٠

(٢٤) الاصطخري، ص ٢٨٠.

(٢٥) شرحه، ص ٢٨٩ - ٢٩٢؛ ابن رسته، ص ٩٣؛ الطبري، القسم الثاني، ص ١١٨٠. وطخارستان بالمفهوم الدقيق كانت تدعى الأولى أو السفلى، أما المقاطعات الجبلية على المجرى الأعلى لأمودريا فكانت تدخل في طخارستان العليا.

(٢٦) الاصطخري، ص ٢٩٦.

(٢٧) ترد أيضاً في صورة «بلبان» (ابن حوقل، ص ٣٤٨). ولعل القراءة الصحيحة هي «تلبار» أو «تربار». وقد حفظ لنا هذا الاسم أحد مصادر نهر كلاب دريا (وهو في الخارطات الحديثة تلقار وتلبار). أمّا أخشو فيقرأها ماركڤارت (Eransahr, S. 233) باخشو، ولكن المتن يقول «ويسمى بأَخْشوا»؛ ولدى ياقوت (المعجم، الجزء الثاني، ص ١٧١) «بأَخْش».

پارغر[٢٨]، وأخيراً نهر انديچاراغ[٢٩]. ويبدو أن المقصود بنهري اخشو وبربان (أو برسان، أنظر ما يلي) هو نهر كلاب دريا[٣٠]، وأن المقصود بنهر پارغر هو نهر كچي سرخاب، وأن المراد من نهر انديچاراغ هو نهر طئرصو. وقد جاء في مخطوطة 119 تومانسكي[٣١] أن النهر الذي يمر على هلبك يصب فى أمودريا عند پارغر، ولا تزال قائمة في هذا الموضع الى أيامنا هذه قرية تحمل اسم (پارغر أو) پارحر. أما المقاطعة الواقعة بين نهري پنج ووخش فكانت تحمل إسم ختّل أو ختّلان[٣٢]، وكان أهم نواحيها على الدوام وادي نهر كچي سرخاب الضيق الخصيب ورافده نهر كلاب دريا. وعلى شاطىء كچي سرخاب كانت تقع منك أكبر مدن المقاطعة وذلك في موضع بلجوان الحالية، وهلبك عاصمة أمير الختل وذلك على مقربة من هلبك الحالية وإلى الجنوب قليلاً من كلاب[٣٣]. وكانت مقاطعة وخش التي تشغل سهل فرغان تبه ترتبط سياسيا ببلاد الختّل، ومدينتها الرئيسية هلا ورد لم يكن ليفوقها في الرقعة سوى منك، وكانت أكبر من هلبك وعلى مرحلة فوق هلاورد. وعلى نهر وخش أيضاً كانت تقع مدينة ليوكند[٣٤]. وتبلغ المسافة من منك إلى هلبك مرحلتين، ومثلها كذلك من هلبك إلى معبر آرهن على امودريا الذي كان بدوره يبعد مرحلتين عن هلاورد. وإلى جانب هذا يرد ذكر «لمعبر بدخشان» على نهر جرياب وذلك على ستة مراحل من منك. ومن معبر بدخشان إلى رستاق[٣٥] بيك[٣٦] مرحلتان، ومن هذه الأخيرة مرحلة إلى انديچاراغ (حيث يعبر المسافر في طريقه النهر الذي يحمل نفس الاسم)، ثم مرحلة من هناك الى پارغر (أيضاً بعد عبور نهر پارغر)،

---

(٢٨) لدى الاصطخري: فارغر؛ وفي حدود العالم (الورقة ٩ أ): پارغر وبارغر؛ ولدى ابن رسته (ص ٩٣). بارغر.

(٢٩) لدى اليعقوبي (كتاب البلدان، ص ٢٠٠): انديشاراغ.

(٣٠) لا يزال كلاب دريا يحمل إلى الآن اسم آق صو (Geiger, Die Pamir-Gebiete, s. 155)

(٣١) (حدود العالم، الورقة ٩ أ).

(٣٢) (راجع Belenitski, Istoriko-geograficheskii ocherk Khutallia)

(٣٣) هده المقاربات قد أجراها من قبل توماشيك (Sogdiana, s. 36, 46) الذي يقارب أيضاً بين هلبك و Kholbisina أو Kholbussa لدى بطلميوس. ويقال إن كمية من النقود اليونانية - البكترية عثر عليها قرب كلاب؛ أنظر Logofet, Na granitsakh Srednei Azii, kn. III, str. 190

(٣٤) وتكتب «لاوكند» و «ليوكند» (الاصطخري، ص ٢٩٧ و٣٣٩).

(٣٥) يضم «الرستاق» عدداً من القرى الريفية، وقد يمتلك الرستاق أحياناً شخص واحد (الاصطخري، ص ٣٢٣؛ ابن الفقيه، ص ٣٢٣).

(٣٦) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٩٠. كذلك كان يمتلك هذا الرستاق شخص واحد.

وبعد هذا يعبر المسافر نهر برسان (أنظر ما مر قبل قليل) فيبلغ هلبك. وعلى مرحلة يومين فوق ليوكند كانت تقوم قنطرة حجرية على نهر وخش لا تزال موجودة في نفس الموضع، ومن هذه القنطرة إلى منك كانت تعد مرحلتان. وعلى أربعة فراسخ من نفس القنطرة، وعلى الطريق المؤدية الى منك، تقع مدينة تمليات. ويمكن أن نخرج من كل هذا بأن هلبك كانت تقع على الضفة اليسرى لنهر كلاب دريا غير بعيد من موضع التقائه بنهر كچي سرخاب، وأن هلاورد كانت في موضع قرغان تبه(٣٧)، أما ليوكند فكانت على مقربة من قرية سنك توه، هذا بينما تقع انديچاراغ غير بعيد من مصب نهر طئر صو 120 (ووفقا لرواية المقدسي(٣٨) فإن هذه المدينة لم تكن بعيدة عن نهر امودريا). وأعسر من هذا الجزم بموقع معبري آرهن(٣٩) وبدخشان وذلك بسبب جهلنا بالمسافات التي كانت تفصل بينها وبين المدن الواقعه جنوبي امودريا. وعلى نهر جرياب وعلى بعد فرسخ فوق آرهن تقع مدينة تحمل اسم كاربنج(٤٠).

---

(٣٧) نفس الرأي يقول به ماركفارت (Eransahr, S. 233).

(٣٨) المقدسي ص ٢٩١.

(٣٩) في تاريخ تيمور (شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الأول، ص ١٩ و١٧٢؛ طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ٣٨ و١٨٤) يرد: ارهنك على الشط الجنوبي لجيحون. ويوافق ماركفارت بين ارهنك وحضرت امام، ولكن هذا أمر غير ممكن لأن كل موضع منها يرد ذكره على حدة في «عبد الله نامه» المصنف في القرن السادس عشر (راجع عنه فهرست ريو للمخطوطات الفارسية)، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقتان ٤١٣ ب و٤٣٧أ. وحضرت امام هذه التي لا يرد لها ذكر في مصادر العصور الوسيطة ترتبط بأسطورة تتعلق برأس الحسين. فيقال ان الأمير التيموري محمد جوكي (حفيد تيمور: أنظر كتاب بارتولد .Bartold, Ulugbek, str. 141; sl) أهدى هذا المزار قدرا ضخمة تتسع لثلاثمائة رأساً من الضان. ومن حضرت امام تخرج قناة كبرى مُدت من امودريا في عهد حكم عبد الله خان (القرن السادس عشر)؛ أنظر Bartold, Oroshenie, str. 76 وثمة أسطورة أخرى تربط حضرت امام باسم الإمام علقمة أحد الصحابة (راجع ما يلي من الكتاب عند الكلام على نواحي سمرقند)، راجع تاريخ نادر شاه لمحمد كاظم، الجزء الثالث، الورقة ٢٠٣ أ (النسخة الفريدة موجودة بلينجراد، راجع Bartold, O nekotorykh vostochnyx rukopisiakh, str. 927 i sl) (يقوم معهد شعوب آسيا INA بتهيئة طبعة مصورة لهذه المخطوطة الفريدة لكتاب «عالم آراي نادري»، وظهر الجزء الأول منها عام ١٩٦٠ - الناشرون). (يقوم المستشرق السوفيتي ميكلو خوما كلاي بنشر هذا الأثر الفريد الذي أولاه أبحاثا جيدة في البداية، وقد اكتمل الآن بظهور الجزئين الثاني في عام ١٩٦٥ والثالث في عام ١٩٦٦ - المترجم).

(٤٠) تكتب «كاربنج» و«كاربنك» (الاصطخري، ص ٢٧٦ و٢٩٧ و٣٣٩؛ المقدسي، ص ٢٩٠). وتذكر مع الختل مقاطعة بسار أو باسارا أو باساران (ابن خرداذبه، ص ٣٧؛ ابن رسته، ص ٩٢؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٨٩). ويبدو ان هذه المقاطعة قد ورد ذكرها لدى الطبري القسم الثاني، ص =

وينحدر نهر وخش من أراضي الترك القارلوق مجتازاً مقاطعات[٤١] پامير وراشت وكُماذ[٤٢]، ومن هذا يمكن أن نستنتج أن اسم پامير كان يطلق آنذاك على جبال آلاي أيضا. أما راشت التي كانت تعد من بلاد الاسلام منذ القرن العاشر فهي قراتكين[٤٣] الحاليـــة، ويظن توماشيـــك Tomaschek[٤٤] أن مقاطعـــة كماذ تتفـــق مـــع Komedon oreine (كوميذون اورينه) التي ورد ذكرها لدى بطلميوس، ومع مملكة Kiu-mi-tho (كيو - مي - ثو) التي ورد ذكرها لدى هيـون - تسانغ[٤٥]. ووفقا لما جاء في مخطوطة تومانسكي فإن المجرى الأعلى لكافر نهان يقع في هده المقاطعة، كما أن أحد روافد سرخان وهو قراطاغ دريا كان يحمل اسم كم. أما سكان المقاطعة فكانوا الكميجي[٤٦] الذين يعدهم المقدسي من الترك. وقد كان نهر كافر نهان يحمل اسم اميذ[٤٧]، بل إن هذا الإسم لا يزال يحتفظ به أحد روافده الرئيسية (راميت أوروميت)؛ وبين كافر نهان ووخش كانت تقع مقاطعتا واشجرد وقواذيان (كباديان). 121

١١٨٠ (في صورة: باسار اسخصن) وص ١٥٩٧ (في صورة: بسان). والقراءات التي يعرضها ناشرو الطبري وهي: كاسان (في الحالة الأولى) ونسا (في الحالة الثانية) لا شك أنها غير موفّقة. ولعل نفس هذه المقاطعة ورد ذكرها لدى كرديزي (Teksty, str. 7) تحت اسم: باشنداره. والإشارة إلى ابن رسته (ص ٩٢) موضع شك، وذلك بالنسبة لما أجراه ماركفارت من تعديل في المتن Marquart, Eransahr, S. 234, Anm. 1 «ذات اليسار» في مقابل «ذات اليمين»؛ غير أنه يقابلنا بالتأكيد اسم للمقاطعة لدى ابن خرداذبه (ص ٣٧) واليعقوبي (كتاب البلدان، ص ٢٨٩). أما «بنعخر» لدى البلاذري (ص ٤٢٠) فإنها توجد كما يبدو واضحا من النص بفرغانة.

(٤١) تكتب عادة «فامر»؛ ولدى اليعقوبي (كتاب البلدان، ص ٢٩٠) «بامر».

(٤٢) ابن رسته، ص ٩٢؛ وترد لديه في صورة: الكميذ. ولدى اليعقوبي (كتاب البلدان، ص ٢٩٠): كماد.

(٤٣) في تاريخ تيمور (شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الأول. ص ١٧٤) تحمل المقاطعة اسم: قايرتكين؛ أما في طبعة كلكتا (الجزء الأول، ص ١٨٩) فتحمل اسم: تيرتكين.

(٤٤) Tomaschek, Sogdiana, S. 47-48

(٤٥) راجع Chavannes, Documents, p. 164 وملاحظاتي فى Otchet o kommandirovke v Turkestan (1902, str 0177)، وأيضاً مقالي «قراتكين» في دائرة المعارف الإسلامية.

(٤٦) يقابلنا اسم هذا الشعب في صور مختلفة لدى كرديزي وبيهقي (Teksty, str. 9) [كان الكُميجي Kumijis (وحلفاؤهم الكنجينه Kanjina الذين قطنوا أيضاً في واد ينحدر من جبال البتّم) يمثلون على الأرجح بقايا للغزاة الأوائل لآسيا الوسطى مثل الساكا Saka أو الهياطلة Hephtalite; ويحدثنا بطلميوس عن قبيلة من قبائل الساكا تحمل اسم Komedai (راجع مينورسكي «حدود العالم»، ص ١٢٠ و٣٦١ - ٣٦٣) - بوزورث Bosworth].

(٤٧) ابن رسته، ص ٩٣: زامل؛ والأصح راميذ كما ورد لدى ليرخ (Lerch, Ein Blick, s. 186, No 8) راجع Tomaschek, Sogdiana, s. 43؛ و Teksty, str 63 (السمعاني؛ وطبعة مرجليوث تحت لفظ «القباذياني» حيث يرد الشكل: زاميل).

وقصبة المقاطعة الأولى كانت تحمل نفس هذا الاسم وكانت تدخل في القرن التاسع في أملاك الختل، بل إن أمراء الختل اتخذوها عاصمة لهم[٤٨]، وكانت تضارع ترمذ في الرقعة[٤٩] وتقع على مرحلة يوم من قنطرة الحجارة القائمة على نهر وخش[٥٠]، أي في موضع فيظاباد الحالية. هذه المقاطعة كانت تتمتع بأهمية كبرى في القرن التاسع، فهنا وعلى مسافة أربعة فراسخ من مدينتها الرئيسية كانت تمتد الحدود مع أراضي الترك لذا فقد قام في هذه الناحية ما يقرب من سبعمائة حصن. ويروي السمعاني أن هذه المنطقة كانت تستعمل في بداية عهد الاسلام حروفاً خاصة معروفة في الكتب[٥١]، ويغلب على الظن أنها كانت أبجدية من أصل سنسكريتي ترتفع إلى عهد سيطرة البوذية على تلك الأصقاع. أما في القرن العاشر فقد اشتهرت المقاطعة بإنتاج الزعفران[٥٢]. وكان يفصل واشجرد من راشت (عاصمة المقاطعة الثانية) أربع مراحل أو خمس[٥٣]، مما يستدل به على أن القصبة أو «القلعة» المسماة راشت إنما كانت تقع بالتقريب في موضع كرم قصبة ناحية قراتكين حالياً. وعلى الطريق[٥٤] الذي يربط بين الاثنين كانت تقع مدينة ايلاق (على مرحلة من واشجرد، وربما كانت هي قلعة دشت)[٥٥] ودربند (على مرحلة أبعد من ذلك، ولعلها آب كرم) ثم كاركن (على مرحلتين من قلعة راشت). وفي القرن الثامن أقام العرب في هذا الموضع سداً[٥٦] لصد غارات الترك.

وإلى جانب المدينة الرئيسية بمقاطعة قواذيان، والتي كانت تحمل نفس اسم المقاطعة 122 يرد ذكر مدينة نودز («القلعة الجديدة»)، هذا بالإضافة إلى مدن أخرى تقع على/شط نهر كافر نهان، من العسير ضبط أسمائها[٥٧] كما أن مواقعها لا ترد على وجه محدد. وكانت

(٤٨) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٩٢.

(٤٩) الاصطخري، ص ٢٩٨.

(٥٠) شرحه، ص ٣٤١.

(٥١) Teksty, str. 68 (السمعاني؛ وطبعة مرجليوث تحت لفظ «الواشجردي»).

(٥٢) الاصطخري، ص ٢٨٨ و٢٩٨.

(٥٣) ابن خرداذبه، ص ٣٤.

(٥٤) الاصطخري، ص ٣٤٠.

(٥٥) يحمل النهر الذي تقع عليه مدينة فيظاباد اسم ايلاق إلى اليوم.

(٥٦) لا علم لنا من أين جاء توماشيك (Tomaschek, Sogdiana, S. 49) بالتفاصيل المتعلقة بهذا السد والتي ينسبها الى ابن خرداذبه وابن سعيد. ففي متن مصنفيها لا يرد بحسب علمي أي قول إن السد كان يحميه حصنان، أو أن مدينة كاشغر كانت تقع الى الشرق منه.

(٥٧) المقدسي، ص ٢٩٠.

(٥٨) الاصطخري، ص ٢٩٨؛ ابن حوقل، ص ٣٥٠.

الفوّة تصدر بكميات كبيرة من هذه المقاطعة[٥٨]. وقرب مصب كافر نهان كان يوجد معبر أَوْزَج أو أُزَج، وهي أَيْوَج الحالية[٥٩]. وقرب مصب نهر وخش كان يوجد معبر مشهور عند ميله[٦٠] وذلك على ثلاث مراحل من بلخ[٦١] وفرسخين من ترمذ[٦٢]، وكان يطلق على هذا الموضع في القرن الثالث عشر اسم پنج آب[٦٣]. وكانت مقاطعة قواذيان تدخل في أعمال بلاد الختّل في القرن التاسع[٦٤]، غير أن جغرافيي القرن العاشر[٦٥] يكتفون بإيراد المسافات بينها وبين صغانيان (ثلاثة مراحل وذلك بطريق ممر حضرت بوي على ما يبدو) وبينها وبين ترمذ (مرحلتان)، مما يمكن الاستدلال به على أن المنطقة كانت أكثر صلة بهاتين المدينتين منها بمدن الختّل.

وكانت الأجزاء الشمالية لوادي كافر نهان تتداخل في وادي الرافد التالي لنهر اموردريا وهو نهر سرخان (ويطلق عليه اسم چغان رود في مخطوطة تومانسكي[٦٦] وفي تاريخ تيمور[٦٧]). ويورد ابن رسته[٦٨] اسماء كمروذ ونهام روذ وخاور روذ على أنها روافد كافر نهان وأنها تنبع من جبال سنام ونهام[٦٩] (داراي نهام من جبال حصار) وخاور من مرتفعات البتم (راجع عنها ما يلي)؛ وفي الواقع ان هذه الأنهار الثلاثة (والمعروفة حاليا باسم قراطاغ دريا وطوپلنك وسنكردك دريا) ليست سوى المجرى الأعلى لنهر سرخان[٧٠]. وكان وادي نهر سرخان تشغله في العصور الوسطى مقاطعة صغانيان أو

---

(٥٩) الاصطخري، ص ٢٩٨؛ ابن حوقل، ص ٣٥٠.

(٦٠) القراءة المعتادة هي: ميلة؛ ولدى المسعودي (التنبيه، ص ٦٤): ماله.

(٦١) الاصطخري، ص ٢٨٣.

(٦٢) المسعودي، التنبيه، ص ٦٤.

(٦٣) بكران، جهان نامه، مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس، الورقة ١٩١: بحدود ختلان ووخش پنج آب ديكر بدو يعني بجيحون پيو ندد وآن موضع را پنج آب خوانند. (وتضيف مخطوطة INA لفظ: بزرك بعد لفظ ديكر).

(٦٤) ابن رسته، ص ٩٣.

(٦٥) الاصطخري، ص ٣٤١.

(٦٦) (حدود العالم، الورقة ٩ أ: چغان رود).

(٦٧) شرف الدين علي يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الأول، ص ١٨٣؛ طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ١٩٦.

(٦٨) ابن رسته، ص ٩٣.

(٦٩) يذكرها ابن خرداذبه باسم نهام (ص ٣٧)، بينما يدعوها المقدسي بهام (ص ٣٤٤) وتقع على ثلاث مراحل من الصغانيان. وابن خرداذبه يذكر إلى جانب نهام مواضع أخرى هي بينقان ومندجان وكست (ونطق هذه الأسماء عرضة للشك)، ولعلها هي أيضاً تقع في حوض روافد سرخان.

(٧٠) Tomaschek, Sogdiana, S. 43

چغانيان[٧١] التي كان حاكمها يحمل في العهد السابق لدخول الإسلام لقب صغان خدات[٧٢]. ويذكر المقدسي[٧٣] أنه كان يوجد بصغانيان ما يقرب من ستة عشر ألف قرية، غير أن المقاطعة كانت دون الختّل في المساحة وأصغر مدناً وأقل ثروة. وكانت المدينة الرئيسية للمقاطعة تعرف بنفس الاسم وتقع على أربع مراحل أو أربعة وعشرين فرسخا من ترمذ[٧٤] وثلاث مراحل من قواذيان وربما كانت تشغل الموضع الذي تشغله حالياً دينو التي تعتبر إلى اليوم المركز الرئيسي للمنطقة بسبب أهميتها التجارية وموقعها الاستراتيجي الممتاز[٧٥]؛ والاسم الحالي للمدينة (ويغلب على الظن أنه ديه نو، أي «القرية الحديثة») يرد ذكره في تاريخ تيمور[٧٦]. ويصفها الاصطخري بقوله[٧٧] «والصغانيان مدينة أكبر من ترمذ إلاّ أن الترمذ أكثر أهلاً ومالاً، وللصغانيان قلعة»؛ أما المقدسي فيقول عنها «وأسواق القصبة مغطاة ظريفة، خبز رخيص ولحم كثير وماء غزير، والجامع وسط السوق لطيف على سواري آجر بلا طيقان. في كل بيت ماء جار قد التفت بها الآشجار؛ وهي من معادن أجناس الطيور وموضع الصيد، طيبة في الشتاء كثيرة الأمطار والثلوج، حشيشها عجب يغيب فيه الدواب. أهل جماعة وسنة، يحبون الغريب والصالحين، إلاّ أنها قليلة العلماء خالية من الفقهاء». هذا وقد ظل جامع الصغانيان مشهوراً الى القرن الثاني عشر[٧٨].

123

ويرد ذكر أسماء لبعض المدن الواقعة في القسم الجنوبي من الوادي، وذلك بين ترمذ

---

(٧١) كثيراً ما تستعمل الصاد لتعريب چ الفارسية.

(٧٢) الطبري، القسم الثاني، ص ١٥٩٦.

(٧٣) المقدسي، ص ٢٨٣ و٢٩٠.

(٧٤) الاصطخري، ص ٣٣٩ - ٣٤٠؛ ابن خرداذبه، ص ٣٤؛ قدامه، ص ٢١١

(٧٥) Kostenko, Turkestanskii krai, t. II, str. 146 (انظر Diakonov, Raboty Kafirniganskogo otriada, str. 180 (عن موقع چغانيان - صغانيان) - الناشرون).

(٧٦) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا الجزء الأول، ص ١٠٩. أنظر أيضاً مقالي «صغانيان» بدائرة المعارف الإسلامية حيث وردت الألفاظ «چغانيان كه امروز بديه نو مشهور است» نقلاً عن محمود بن ولي (القرن السابع عشر). أمّا الرأي الذي يقول به ماركفارت مؤخراً [Komanen, S. 71, Anm.2 «das erste mit Sicherheit bėlegte mongolische Wort im Westen». أي أول لفظ مغولية تستعمل بالغرب في صورة مؤكّدة] وهو أن چغانيان مشتقة من المغولية «چغان» ومعناها أبيض فهو بالطبع رأي مغلوط.

(٧٧) الاصطخري، ص ٢٩٨، المقدسي، ص ٢٨٣.

(٧٨) Teksty, str. 62 (السمعاني؛ وطبعة مرجليوث تحت لفظ «الصغاني»).

والصغانيان؛ أولها صرمنجان (أو صرمنجين) أو چرمنكان(٧٩) على مرحلة أو ستة فراسخ من ترمذ، ولعل الأطلال الماثلة على بعد ثلاث مراحل إلى الجنوب من قرية جر قرغـان هي بقايا هذه المدينة، ومن بينها برج من الآجر يبلغ ارتفاعه نحواً من ثمانية وعشرين متراً وقطره نحو أربعة أمتار ونصف(٨٠). وكانت صرمنجان ومعها مدينة أخرى تسمى هاشم جرد(٨١) (وتقع على مرحلة من ترمذ على الطريق إلى باب الحديد) تدخلان ضمن مقاطعة مستقلة(٨٢) عاصمتها ترمذ كان يتولى مقاليد الأمور فيها في الفترة السابقة لوصول/الإسلام دهقان أو ملك(٨٣)، أما في عهد السامانيين فقد كانت لفترات معينة تتبع 124 أمير صغانيان(٨٤). ويرد لدى السمعاني وياقوت(٨٥) ذكر لقلعة تسمى بوغ على مسافة ستة فراسخ من ترمذ(٨٦)؛ وعلى مرحلة واحدة أو ستة فراسخ من صرمنجان كانت تقع دارزنجي(٨٧) وهي قرية آهلة بالسكان ومركز صناعي مزدهر يعمل أهله بصنع الأكسية الصوفية، ومسجدها الجامع يتوسط السوق ويمر عليها نهر آخر غير سرخان(٨٨)؛ والأرجح أن تكون في هذا إشارة إلى خانق ضيق هو وادي بندخان أو ككجار (على ستة كيلومتر الى الغرب من كم قرغان) الذي يجري ماؤه في الربيع فقط، ولا تزال تقوم

---

(٧٩) الاصطخري، ص ٣٣٩ - ٣٤٠؛ ياقوت، معجم البلدان، الجزء الثالث، ص ٣٨٣. ويعطينا السمعاني «جرمنكان» (مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٣٥١ ب) على أنها الشكل الفارسي («بالعجمية») لصرمنكان.

(٨٠) Karaulshchikov, Marshrut, str. 396. وعن الأطلال الأخرى الموجودة بالقسم الجنوبي من وادي سرخان أنظر Geiger, Die Pamir Gebiete, S. 160.

(٨١) لعل المدينة أخذت اسمها من اسم هاشم بن بانيجور (بايجور؟) أمير وخش وهلاورد (اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٩١). وعن هذا الأمير ومملكته راجع Marquart, Eransahr, S. 301 sq.

(٨٢) الاصطخري، ص ٢٩٨. أما مدينة صرمنجي المذكورة لدى ابن حوقل (ص ٣٤٩ و٤٠١) فهي دون شك مدينة صرمنجان.

(٨٣) البلاذري، ص ٤١٨؛ الطبري، القسم الثاني، ص ١١٤٧ حيث يحمل هذا الملك لقب «ترمذ شاه».

(٨٤) Teksty, str. 10 (كرديزي).

(٨٥) معجم البلدان، الجزء الأول، ص ٧٦١.

(٨٦) ورد ذكر لقرى أخرى بنواحي ترمذ هي بوسنج (ياقوت، شرحه ص ٧٥٨؛ غير موجودة لدى السمعاني) ورخشبوذ (هكذا لدى السمعاني، طبعة مرجليوث تحت لفظ «الرخشبوذي») أو رخشيوذ (هكذا لدى ياقوت، المعجم، الجزء الثاني، ص ٧٧١).

(٨٧) دار زنجي لدى جغرافيي القرن العاشر؛ ودارزنكا لدى اليعقوبي (كتاب البلدان، ص ٢٨٩)؛ ودارزنكي لدى بيهقي (طبعة مورلي، ص ٥٧٦؛ طبعة غني وفيّاض، ص ٤٦٥).

(٨٨) المقدسي، ص ٢٨٣ - ٢٨٤. المسافة بين دارزنجي والعاصمة لدى المقدسي خاطئة (ص ٣٤٤).

عليه حتى هذه اللحظة قنطرة عتيقة مشيدة من الآجر(٨٩). وبين دارزنجي وصغانيان كانت تقع قرية برنجي(٩٠) (على مسافة سبعة فراسخ من الأولى وخمسة من الثانية). وبجانب هذه يرد ذكر قرى أخرى في نواحي صغانيان(٩١) مثل باسند، وهي قرية كبيرة على مرحلتين من صغانيان (أو مرحلة واحدة حسب قول المقدسي) كثيرة البساتين؛ وزينور على مرحلة من صغانيان (أو ثلاثة بُرُد على رواية المقدسي)؛ وبوراب (على مرحلة واحدة أو أربعة فراسخ من صغانيان)؛ وتقع سنكردك(٩٢) على مرحلة من العاصمة، وربما كان ذلك قرب مصب نهر سنكردك؛ وريكدشت (على بعد ستة فراسخ من العاصمة)؛ وكمكانان(٩٣) (على فرسخين من العاصمة) الى غير ذلك من أسماء لمواضع أخرى يصعب ضبطها على وجه الدقة.

أما الطريق بين صغانيان وواشجرد، أي بين دينو وفيظاباد الحاليتين، فإن روايات الجغرافيين العرب متضاربة في شأنها(٩٤). وكانت تشغل السهل الذي يربط بين وادي سرخان/ووادي كافر نهان في العصور الوسيطة مقاطعتا آخرون أو خرون وشومان (هو - لو - مو Holu-mo وسومان Su-man أو شومان Shu-man لدى هيون تسانغ، وكانت المقاطعة الثانية منها تقع إلى الشرق من الأولى)(٩٥). وفي بداية القرن الثامن كانت المقاطعتان تخضعان لحاكم واحد(٩٦)، ويبدو أنها أدمجتا فيما بعد في مقاطعة صغانيان(٩٧). ويغلب على الظن أن مقاطعة كفتان التي يرد ذكرها في أخبار حملات قتيبة العسكرية كانت تقع في القسم الجنوبي من وادي سرخان، أو شيئاً ما إلى الغرب منه وذلك في نواحي شيرآباد الحالية.

125

(٨٩) Kostenko, Turkestanskii krai, T. II, str. 144; Galkin, Marshrutnoe opisanie, str. 391 Karaulshchikov, Marshrut, str. 395

(٩٠) برنجي لدى ابن خرداذبه (ص ٣٣) وقدامه (ص ٢١١).

(٩١) الاصطخري، ص ٣٤٠ - ٣٤١؛ المقدسي، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ و٣٤٤.

(٩٢) سنكردة لدى المقدسي.

(٩٣) Teksty, str. 9 (كرديزي).

(٩٤) الاصطخري، ص ٣٤٠؛ ابن خرداذبه، ص ٣٤؛ قدامة، ص ٢١١. ووفقاً لكرديزي (Teksty, str. 9) فإن المسافة بين صغانيان وشومان اثنا عشر فرسخاً. وقول دي خويه (ابن خرداذبه، ص ٣٤، الحاشية C؛ الترجمة، ص ٢٤) إن المسافرين على هذا الطريق يعبرون نهر وخش خطأ دون شك. والنهر المذكور ليس سوى نهر كافرنهان وإن كان عرضه قد بولغ فيه كثيراً.

(٩٥) Tomaschek, Sogdiana, s. 39 - 40, 42; Chavannes, Documents, p. 195 sq.

(٩٦) البلاذري، ص ٤١٩؛ الطبري، القسم الثاني، ص ١١٨٠.

(٩٧) Teksty, str. 9 (كرديزي).

وغير بعيد من فم نهر سرخان كانت تقوم قلعة تِرْمِذ[٩٩] الحصينة التي ترك لنا عنها الجغرافيون العرب مادة غزيرة بما فيه الكفاية. وقد عرضت هذه المادة في موضع آخر، وذلك في تعليق على مقال بقلم پوسلافسكي Poslavsky[١٠٠] الذي ندين له بوصف مفصل لأطلال تلك المدينة. وليس هناك أدنى شك في أن الأطلال التي وصفها پوسلافسكي إنما تمثل خرائب ترمذ الوسيطة[١٠١]، رغما من أن هذا يبدو مناقضاً لقول ابن حوقل[١٠٢] إن النهر (سرخان) يصب في أمودريا أسفل المدينة. أما الجزيرة التي نزل بها القائد العربي عثمان بن مسعود في خمسة عشر ألف مقاتل لحصار ترمذ عام ٨٥ هـ = ٧٠٤ والتي عرفت فيما بعد باسم «جزيرة عثمان»[١٠٣] نسبة إليه، فهي دون ريب ارال پيغمبر؛ كذلك يشير كل من بيهقي[١٠٤] وشرف الدين يزدي[١٠٥] إلى الجزيرة الموجودة قبالة ترمذ. ويُستخلص من روايات الجغرافيين العرب أن ترمذ القديمة التي هدمها چنكيزخان كانت تقوم في الواقع على ضفة النهر، فهنابالذات/توجد أقدم الأطلال، أما مجموعة الخرائب التي تقف 126 بمنأى من الشط فهي بقايا المدينة الجديدة التي بنيت بعد چنكيزخان والتي ظلت قائمة إلى عهد سيطرة الأوزبك. وفي تاريخ تيمور يرد إلى جانب ترمذ الموجودة آنذاك ذكر

---

(٩٨) البلاذري، ص ٤٢٠؛ الطبري، القسم الثاني، ص ١١٥٠ و١١٨٠.

(٩٩) (رغماً من أن بارتولد اتخذ الشكل تَرْمِذ (أنظر أسفله، الحاشية ١٠١) وأثبته في الطبعة الروسية للكتاب لعام ١٩٠٠، إلاّ أنه كتبه في أبحاثه التالية في صورة تِرْمِذ، بل وظهر في الطبعة الانجليزية للكتاب لعام ١٩٢٨ Tirmidh.

وفيما يتعلق بالأبحاث الأثرية والطبوغرافية لأطلال ترمذ راجع: Masson, Gorodishche Starogo Termeza; Masson, Raboty Termezskoi ekspeditsii; Shishkin, K istoricheskoi topografii; Lunin, K istorii goroda Termeza – الناشرون).

(١٠٠) أنظر تقرير A.A. Semenov: O razvalinakh Termeza, str. 87–88 (Proiskhojdenie Termezskikh Seiidov) PTKLA, god XIX, str. 3–20

(١٠١) إن القراءة تَرْمِذ كما أثبت توماشيك (Sogdiana, S. 37) يوكدها تماماً النطق المحلي للإسم والذي سجله لنا السمعاني الذي أمضى اثنى عشر يوماً هناك (أنظر Teksty, str. 55 وطبعة مرجليوث تحت لفظ «الترمذي»). ومن الجلي أن الأهالي لا يزالون ينطقون اسم المدينة القديمة هكذا لأن الضباط الروس الذين قاموا بمسح الناحية يكتبونها Tarmyz و Termiz؛
Galkin, Marshrutnie opisanie, str. 393 Karaulshchikov, Marshrut, str. 399

(١٠٢) ابن حوقل، ص ٣٤٩.

(١٠٣) البلاذري، ص ٤١٩؛ الطبري، القسم الثاني، ص ١١٦٢.

(١٠٤) طبعة مورلي، ص ٧٠٤؛ (طبعة غني وغيّاض، ص ٥٦٣).

(١٠٥) ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الأول، ص ٦٢؛ طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ٨١.

« لترمذ القديمة »(١٠٦). وتوجد بين أطلال المدينة القديمة مقبرة لأحد الأولياء هو الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي(١٠٧) المتوفى عام ٢٥٥ هـ = ٨٦٩. ووفقا لرأي پوسلاڤسكي فان المقبرة مشيدة من الرخام الأبيض، أما البروفسور موشكيتوف Mushketov فيقول(١٠٨) إنها مشيدة من الحجر الجيري. ويرى پوسلاڤسكي أنه لا يكاد يفوق هذا الأثر « في إتقان الصنعة وجودة المادة » أي أثر من الآثار التاريخية التي وقع عليها بصره في المنطقة بأسرها. ولا ريب في أن المقبرة قد تم تشييدها في عصر لاحق لعصر ذلك الولي، بل إنها في واقع الأمر ترتفع إلى ما قبل القرن الرابع عشر كما يستدل من النقش العربي المكتوب بخط النسخ(١٠٩) المعمول به في ذلك العهد. ونضيف إلى هذا أن المقبرة قد ورد ذكرها في تاريخ تيمور(١١٠).

وقد سهّل وجود جزيرة كبيرة في مواجهة ترمذ بناء جسر عائم، كما أن قرب الموضع من عاصمة الإقليم بلخ وذلك على مرحلتين منها، كل هذا جعل من ترمذ أهم معبر لنهر امودريا بعد آمل (چارجوي)؛ وهذا هو السر في اقتتال حكام ما وراء النهر وحكام افغانستان من أجل السيطرة عليها. ويقرر البروفسور موشكيتوف أنه كثيراً ما عثر على

---

(١٠٦) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الأول، ص ٤١؛ طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ٥٧. وكانت القناة التي تسقي ترمذ تخرج من سرخان على بعد ٥٤ ميلا أعلى المدينة لعله قريبا من بندخان (أنظر ما مر قبل قليل)؛ أما القناة التي تسقي القلعة الروسية الحديثة (شيدت عام ١٨٩٤) فتخرج على بعد احدى عشر ميلاً فقط (P.T., Termezskii aryk)؛ وأمّا القلعة التي هدمها چنكيز خان فقد أعيد بناؤها مرات، كان أهمها على يد خليل الله (بداية القرن الخامس عشر) وعلى يد محمد رحيم خان (القرن الثامن عشر)؛ راجع بارتولد Bartold, Oroshenie, str. 73 i sl.

(١٠٧) توجد حكاية بصدده في « تذكرة الأولياء » لفريد الدين عطار (طبعة نيكولسون، الجزء الثاني، ص ٩١ وما يليها؛ أنظر أيضاً جامي « نفحات الأنس » طبعة كلكتا، ص ٧٧)؛ وانظر أيضاً PTKLA, god II, 29 Avgust, 1897 g., str. 17–20; (Nadpis na pamiatnike v Termeze, str. 17 ;K biografii, str. 18–20). هذا الولي لا علاقة له البتة بصاحب مجموعة الأحاديث الصحاح، فاسم هذا الأخير هو أبو عيسى محمد بن عيسى.

(١٠٨) Turkestan, str. 578

(١٠٩) أطلعني مشكوراً الفنان المرحوم ششربينا – كرامرينكو N.N. Shcherbina – Kramarenko على الصور الفوتوغرافية الممتازة التي أخذها لهذا الأثر. راجع الآن المقال (المصحوب بصور فوتوغرافية، وترجمة للنقوش من عملي) الذي دبجه يراع روجيڤتس Rojevits (poezdka), Izvestia imper. Russk. geograf. Obshch., XLIV, str. 647, 652

(١١٠) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الثالث، ص ٢٠٢، طبعة كلكتا، الجزء الثاني، ص ٢٠٩.

« نقود معظمها من أصل يوناني » بين أطلال القلعة القديمة، فان كان الأمر كذلك فان هذا يعني أن المدينة قد تمتعت بالأهمية قبل السيادة العربية بوقت طويل.

وفي منتصف الطريق بين ترمذ وبلخ يرد ذكر لقرية سياه كرد التي لا تزال قائمة الى الآن؛ وتقوم أطلال سياه كرد القديمة على مسافة عشرة أميال من القرية الحالية[١١١].

127 ويمكن القول بأن مدينة بلخ/هي أقدم المدن الكبرى في حوض أمودريا، ولم يبالغ المؤلفون المسلمون عندما لقبوها « أم البلاد » فهنا كانت عاصمة امبراطورية بكتريا Bactria القديمة التي تكتنفها الأساطير والتي أصبحت بالتالي ستراتبية (Satrapy، أي ولاية) باختر لعهد الهخامنشيين وكانت تضم في عهد داريوش على أقل تقدير ولاية مرغيانا[١١٢] (مرو) أيضاً. وعقب فتوحات الاسكندر أصبحت بلخ عاصمة لدولة بكتريا اليونانية. ومعلوماتنا عن هذه الدولة ليست من الوضوح بدرجة تمكننا من ضبط حدودها بوجه الدقة، غير أنه يمكن الاستدلال من أقوال الجغرافيين الأوائل على أن جميع الأراضي المزروعة بالتقريب الواقعة إلى الشمال من نهر امودريا قد دخلت حيناً من الوقت ضمن حدود هذه الدولة[١١٣]. وترجع أهمية بلخ إلى موقعها الوسط، كما سبق أن أشار الى ذلك اليعقوبي[١١٤]، فهي تقع على أبعاد متساوية من الحدود الغربية والشرقية والشمالية والجنوبية لمنطقة ايران الشرقية ذات الحضارة العريقة. وبذلك كانت بلخ عاصمة لتلك البلاد في العهد الذي كانت فيه جميع منطقة آسيا الوسطى الآرية تخضع لحاكم واحد أو وال واحد، أي على النقيض من مرو التي لم يرتفع ذكرها إلاّ عقب خضوع المناطق الواقعة إلى الشمال من نهر أمودريا لسلطان رعاة آسيا الوسطى، وذلك حينما أصبح الشغل الشاغل لحكام خراسان هو الدفاع عن خط امودريا (كما في عهد الساسانيين) أو العمل على بسط سيطرتهم على بلاد ما وراء النهر (كما في عهد العرب والسلاجقة). ووفقاً لرواية المؤرخين المسلمين فإن بلخ كانت في عهد الساسانيين مركزاً لأحد المرازبة الأربعة[١١٥] الذين كانوا يتولون شؤون خراسان؛ وفي بداية القرن الثامن كان الحاكم المحلي يحمل لقباً رفيعاً

---

(١١١) Kostenko, Turkestanskii krai, T. II, str. 168

(١١٢) Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 3

(١١٣) Strabonis Geografica, ed. Didot, Paris, 1853, lib. XI, cap. XI, S 2. راجع الآن مقالي Greko-baktriiskoe gosudarstvo i ego rasprostranenie na severo – vostok, str. 823–828

(١١٤) كتاب البلدان، ص ٢٨٧ – ٢٨٨.

(١١٥) Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 9 (اعتماداً على ابن خرداذبه، ص ١٨).

هو الاصبهبذ[١١٦]. غير أن سيادة الساسانيين على المنطقة لم تكن ذات أثر فعال، خاصة في القرن السابع على أقل تقدير كما يبدو جليا من ألفاظ السائح الصيني هيون تسانغ عند كلامه على الأديرة البوذية ببلخ والمقاطعات التابعة لها على ضفتي امودريا[١١٧].

وعلى مقربة من بلخ كان يقوم المعبد البوذي المعروف باسم «النوبهار» (أي «الدير الجديد») الذي تمتع بشهرة عريضة بين المسلمين وترك لنا عنه ابن الفقيه[١١٨] وصفاً مفصلاً. ووفقا لروايته فإن ذلك المعبد كان لعبدة الأوثان الذين يؤمنون بنفس الدين الذي يدين به ملوك الصين وكابل شاه، وكان يؤمه عدد غفير من الحجاج فيسجدون للصنم الأكبر. وكانت سدانة النوبهار في يد أسرة البرامكة/الذين كانوا يشرفون تبعاً لذلك 128 على أملاك تبلغ مساحتها ثمانية فراسخ في الطول وأربعة مثلها في العرض. هذا وقد خرب العرب بلخ والنوبهار في خلافة عثمان، أو في خلافة معاوية وفقاً لبعض الروايات[١١٩]، ثم ابتنى العرب مدينة جديدة عند محلة البروقان على فرسخين من بلخ. وفي عام ١٠٧ هـ = ٧٢٥ أمر الوالي أسد بن عبد الله بتشييد المدينة من جديد في موضعها القديم وأسند هذه المهمة إلى أسرة البرامكة[١٢٠]. وفي القرن التاسع (وذلك ابتداء من يونيو عام ٨٤٨ حسب رواية صاحب تاريخ بلخ[١٢١]) حكم بلخ داود بن عباس حفيد هاشم بن ماهيچور (ولعله نفس هاشم بن بانيچور[١٢٢] الذي مر ذكره من قبل)، الذي ينسب إليه بناء قرية نوسار وقلعتها بنواحي بلخ، كما شيد أيضاً بعض الأبنية داخل المدينة نفسها. وقد هدم جميع ما شيده داود على يد يعقوب بن الليث الصفار

---

(١١٦) الطبري، القسم الثاني، ص ١٢٠٦ و١٢١٨. («الإصبهذة وهي الرئاسة على الجنود»؛ الطبري، القسم الأول، ص ٨٩٤ - المترجم).

(١١٧) Memoires sur les Contrées occidentales, trad. par M. Stanislas Julien, Paris, 1857, I, 23-34. راجع أيضاً المقال عن «بلخ» في دائرة المعارف الاسلامية (بقلم رتشارد هارتمان (R. Hartmann

(١١٨) ابن الفقيه، ص ٣٢٢ - ٣٢٤؛ راجع أيضاً ياقوت، معجم البلدان، الجزء الرابع، ص ٨١٧ - ٨٢٠.

(١١٩) البلاذري، ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(١٢٠) الطبري، القسم الثاني، ص ١٤٩٠. أما مؤرخ بلخ فإنه يرجع بتاريخ إعادة بناء المدينة الى عام ١١٨ هـ = ٧٣٦ (Schefer, Chrestomathie persane, I, 71). ووفقاً للطبري (القسم الثاني، ص ١٥٩١) فإن أسداً نقل عاصمته الى بلخ في عام ١١٨ هـ. راجع أيضاً مقالي «البرامكة» بدائرة المعارف الإسلامية، وملاحظاتي في مقالي «الشعوبية...» في Festschrift Goldziher, S. 261

(١٢١) Schefer, Chrestomathie persane, I, 72

(١٢٢) راجع أيضاً Marquart, Eransahr, S. 301 sq.

مؤسس الدولة الصفارية وذلك في عام ٢٥٦ هـ = ٨٧٠، وعقب انصراف يعقوب رجع داود الى قلعته المهدّمة ولكنه توفي بعد سبعة عشر يوما من ذلك[١٢٣]. وعلى عهد الطاهريين والسامانيين كانت بلخ تعد من أكبر مدن خراسان وتقف على قدم المساواة مع مرو وهرات[١٢٤]، ويقول المقدسي إنها كانت تنافس بخارا في الرقعة.

وكما كان عليه الحال مع بخارا وسمرقند فقد أحاط بنواحي بلخ يوماً ما سور[١٢٥] كبير بلغ طوله اثنى عشر فرسخاً وبه اثنا عشر باباً، وكان يضم المدينة والقرى المجاورة لها؛ وقد اختفى هذا السور منذ القرن التاسع. وكغيرها من المدن الكبرى لتلك العهود فإن بلخ كانت تتكون من المدينة نفسها (أو «الشهرستان»[١٢٦] كما يقول الفرس) مضاف إليها الضواحي أو «الربض» (وبالفارسية «بيرون»[١٢٧]، وإن كان هذا اللفظ لا يقابلنا لدى المؤرخين والجغرافيين). ووفقاً لرواية اليعقوبي فقد كان لربض بلخ أربعة أبواب بينما يشير جغرافيو القرن العاشر إلى سبعة؛ ولعل الرواية الأولى لم يقصد بها الربض بل قصد بها الشهرستان، وفي واقع الأمر نجد شهرستانات بها أربعة أبواب في كبريات المدن الأخرى، مما يمكن ارجاعه في الغالب الى تأثير أسلوب تخطيط المدن في العهد الساساني[١٢٨]. ويذكر اليعقوبي أنه كان يفصل بين سور الربض وسور الشهرستان مسافة فرسخ وأن كلاً من طول الشهرستان وعرضه لم يكن ليزيد على الفرسخ (أي ثلاثة أميال)، إلاّ أن رواية/الاصطخري تختزل ذلك إلى نصف فرسخ فحسب؛ وكانت الأسوار 129 والأبنية جميعها من الطين. وفي وسط الشهرستان كان يقوم المسجد الجامع الذي يرجع مؤرخ بلخ تاريخ تشييده إلى عام ١٢٤ هـ = ٧٤٢،[١٢٩] وكانت تحيط به السوق، ويشيد المقدسي برخاء بلخ ويسارها ويقول عنها إنه «ليس بأقاليم العجم مثلها حسناً ويساراً يحمل من غلاتها في كل سنة مال عظيم إلى خزانة السلطان زائداً عمّا يحتاج إليه». وعلى

---

(١٢٣) Teksty, str. 4, 68 (كرديزي) والسمعاني، طبعة مرجليوث تحت لفظ «النوساري».

(١٢٤) الاصطخري، ص ٢٥٤ و٢٧٨؛ المقدسي، ص ٣٠١ – ٣٠٢؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٨٧ – ٢٨٨.

(١٢٥) راجع المتون التي أوردتها في مقالي بمجلة ZVORAO, t. XIX, str. 119 (K istorii Merva)

(١٢٦) كثيراً ما تقابلنا لدى نرشخي؛ راجع أيضاً المتون التي أوردتها في مجلة ZVORAO, t. XVII, str. 0107

(١٢٧) البيروني، الآثار الباقية، طبعة زخاو، ص XVIII

(١٢٨) Justi, Geschichte, S. 455

(١٢٩) Schefer, Chrestomathie persane, I, 71. هذا التاريخ موضع للشك لأن أسداً بن عبد الله توفي وفقاً لإجماع الأقوال في عام ١٢٠ هـ أو ١٢١ هـ.

عهد جنكيز خان خربت بلخ إثر ثورة قام بها أهلوها وكانت لا تزال أطلالاً إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر وذلك عندما مر عليها ابن بطّوطة[١٣٠]، إلاّ أنها لم تلبث أن أعيد بناؤها عقب ذلك بقليل ولكن لم يقدر لها أن تسترد مكانتها السابقة. وتمتد أطلال المدينة القديمة مسافة تقرب من الستة عشر ميلاً لم يخضعها علماء الآثار حتى هذه اللحظة لفحص منظم، ويبدو أن جميع الأطلال القائمة على سطح الأرض ترجع في الغالب إلى العهد الاسلامي[١٣١]. أما المدينة الرئيسية للمنطقة حالياً فهي مزار شريف على أربعة عشر ميلاً إلى الشرق من بلخ، وقد نشأت هذه المدينة حول قبر مزعوم للخليفة علي تم الكشف عنه في القرن الثاني عشر قريبا من قرية الخَيْرْ؛ ووفقا للأسطورة التي حفظها لنا الرحالة الأندلسي شهاب الدين الغرناطي[١٣٢] فإن أمير المقاطعة خرج بكافة عسكره إلى البرية يصحبه علماء البلد وفي قبر هناك عثروا على جسد الخليفة لم يذهب منه شيء البتة وكفنه صحيح؛ وكان لا بد من معجزة لإثبات أن ذلك القبر هو القبر الحقيقي للخليفة عليّ، غير أن ذلك لم يكن بالأمر الغريب آنذاك فإلى نفس هذا العصر يرجع اكتشاف رفات لأنبياء بني اسرائيل ابراهيم واسحق ويعقوب[١٣٣] وهي في حالة طيبة، بل إن ابن بطوطة يروي أن الناس كانوا يشيرون في وقته إلى قبر للنبي حزقيال بنواحي بلخ. هذا وقد بنى الأمير مشهداً عظيماً على قبر عليّ هذا لم يلبث أن أضحى مزاراً للناس من جميع الأنحاء؛ والمزار الحالي يرجع بالطبع إلى عهد متأخر لأن المزار القديم هدمه جنكيز خان[١٣٤].

وكانت الطريق التي تربط بلخ بالقاعدة الثانية للعرب في خراسان، أعني مدينة مرو تسير مثل الطريق من بلخ إلى بدخشان على هيئة قوس أسفل الجبال[١٣٥]، وعند بلوغها نهر مرغاب تنعطف صوب الشمال الغربي محاذية للنهر حتى مرو. وبين بلخ ومرو الروذ

---

(١٣٠) ابن بطوطة، الجزء الثالث، ص ٥٨ - ٦٢.

(١٣١) Burnes, Travels, vol. II, P. 204؛ أنظر أيضاً وصفها لدى ييت (مع رسم) Yate, Northern Afaghanistan, pp. 256, 280، والوصف المأخوذ عن كتابه في كتابي Istoriko-geograficheskii obzor Irana, str. 19

(١٣٢) Teksty, str. 21-22

(١٣٣) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ٣٩٤.

(١٣٤) كشف عن المقبرة للمرة الثانية في القرن الخامس عشر؛ راجع كتابي (نقلاً عن الاسفزاري) Istoriko-geograficheskii obzor Irana, str. 21

(١٣٥) الاصطخري، ص ٢٨٦؛ المقدسي، ص ٣٤٦.

(مروچك الحالية، أو بالامرغاب على الأرجح) [١٣٦]يرد ذكر مدن شپرُقان (أو اشبرقان) 130
وفارياب وطالقان، ومن بينها جميعا احتفظت شپرُقان وحدها باسمها حتى اليوم[١٣٧]،
وكان يفصل بين الواحدة منها والأخرى ثلاث مراحل. وكانت شپرقان وفارياب
تدخلان ضمن ولاية جوزجان أو جوزجانان[١٣٨] التي كان يحكمها في القرنين التاسع
والعاشر آل فريغون الذين قضى عليهم محمود الغزنوي[١٣٩]. وكانت قصبة هذه الولاية وفقا
لقول الاصطخري هي مدينة أنبار على مرحلة الى الجنوب من شپرقان، أما المقدسي
فيجعلها مدينة يهودية؛ ومن أنبار الى يهودية يقطع المسافر مرحلتين ليصل الى فارياب، ثم
مرحلة ثالثة منها ليصل الى يهودية. وأما من شپرقان إلى يهودية فقد كانت تعد ثلاث
مراحل، تضاف إليها مرحلة رابعة ليبلغ المسافر مدينة كُنْد دِرَم[١٤٠]. ووفقاً لقول المقدسي فإن
المسافر من يهودية إلى فارياب يأخذ مرحلتين، ومثلها إلى شپرقان؛ أما من يهودية الى
أنبار فمرحلة واحدة مما يجعلنا نفترض أن هذه المدينة كانت تقع أيضاً إلى الجنوب من
الطريق[١٤١]. ويرد كذلك ذكرٌ لطريق منفصلة تصل بين مرو ويهودية وتقطع طريق بلخ
قرب قلعة الأحنف الواقعة على مسافة مرحلة من مرو الروذ على نهر مرغاب[١٤٢].

ولا يبيّن الجغرافيون العرب المسافات بين هذه المدن والمدينة التالية على نهر امودريا
وهي مدينة كالف، وكل ما نعلمه هو أنها تبعد مرحلتين من ترمذ[١٤٣]. وينفرد
السمعاني[١٤٤] مؤلف القرن الثاني عشر بتحديد المسافة بين بلخ وكالف على أنها ثمانية عشر
فرسخاً. وفي القرن العاشر كانت كالف تمتد على ضفتي النهر، الأمر الذي ميّزها عن بقية
المدن الواقعة على شط أمودريا. وكان الشطر الرئيسي للمدينة يقع على الضفة اليسرى بما
في ذلك المسجد الجامع الذي كان يقوم برباط ذي القرنين؛ وفي مواجهة هذا الرباط على

---

(١٣٦) راجع عن هذه المسألة بحثي «مرو الروذ» في ZVORAO, 028–032 ,t. XIV (1902)
(١٣٧) عن مواقع المدن الأخرى، راجع المقال السابق، شرحه.
(١٣٨) الاصطخري، ص ٢٧٠ – ٢٧١؛ المقدسي، ص ٢٩٨، ٣٤٧.
(١٣٩) عن آل فريغون راجع Tumanski, Novootkryty persidskii geograf, str. 128 – 130
(١٤٠) يقرأها ماركفارت (.Eransahr, S. 85 sq) كُند دَرْم ويضعها في محل كُرْزوان (أو كُرَزْوان).
(١٤١) يبدو أن يهودية هي ميمنة نفسها (أو ميمند كما كانت تدعى في العصور الوسيطة). أنظر كتابي
Marquart, Eranšahr, S. 78 ؛Istoriko–geograficheskii obzor Irana, str. 23
(١٤٢) الاصطخري، ص ٢٧٠؛ المقدسي، ص ٣١٤. عن قلعة الأحنف أنظر البلاذري، ص ٤٠٦.
(١٤٣) المقدسي، ص ٣٤٣.
(١٤٤) طبعة مرجليوث، تحت لفظ «الكالفي»؛ أنظر أيضاً ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ٢٢٩.

131 الضفة اليمنى للنهر كان رباط ذي الكفل(١٤٥). أما الطريق من بخارا الى كالف فكانت كما هي اليوم تمر بوادي كشكادريا الذي كان بدوره أوثق صلة بحوض زرفشان منه بضفاف أمودريا.

وأسفل كالف على نهر أمودريا كانت تقع مدينتا زم واخسيسك، الأولى على الضفة اليسرى والثانية على الضفة المقابلة لها وذلك على خمس مراحل من ترمذ وأربعة من آمل (چارجوي)، أغلب الظن في موضع قلعة كركي الحالية. وكانت زم واخسيسك تكوّنان وحدة إدارية، غير أن المنبر (أي المسجد الجامع) كان بزم «وسط الأسواق وهي مغطاة» كما يقول المقدسي. ويصف الاصطخري زم بأنها مدينة صغيرة بينا يقول عنها المقدسي إنها كبيرة، وفي أطرافها كانت ترعى أعداد كبيرة من الإبل والغنم(١٤٦). والمقدسي في تعداده لمعابر أمودريا لا يذكر من بينها زم وأخسيسك، وهو يسمي معبر كركي باسم كركوه، وفي مقابل كركوه على الضفة اليمنى كان يوجد معبر بانكر(١٤٧) (أو بايكر). ويسوق المقدسي الطريق الى كركوه من ولاية جوزجان مبتدئاً من فارياب ماراً بأندخود (أندخوي الحالية)، ومن اندخوذ الى كركوه ثلاث مراحل(١٤٨). ووفقاً للاصطخري فإن اسم اندخوذ، أو انخذ، أطلق على رستاق بأكمله كانت قصبته مدينة اشترج(١٤٩) الصغيرة؛ ويبدو أن اندخوذ قد حازت على أهمية أكبر في العصور التالية. وبحسب أقوال الرحالة الأوروبيين فقد كانت تقوم أطلال مدينة قديمة كبرى قريباً من اندخوي التي أصبحت الآن قرية خاملة الذكر(١٥٠).

وابتداء من زم وذلك على الضفة اليسرى لنهر أمودريا كان الأهالي يستعملون مياه

---

(١٤٥) المقدسي، ص ٢٩١. وكان يوجد بين كالف وترمذ وفقاً للمقدسي (ص ٢٩٢) ثلاثة معابر. أما ذو الكفل فهو النبي المذكور في القرآن (الآية الخامسة والثمانون من صورة الأنبياء، والآية الثامنة والأربعون من سورة ص)؛ راجع مقال غولدزهر في دائرة المعارف الإسلامية. وقد انتقلت العبادة فيما بعد الى جزيرة ارال بيغمبر (ومن هنا جاءت التسمية)، راجع كتابي Oroshenie, str. 75. هذا وتذكر كالف كمدينة على الشط الجنوبي للنهر إلى القرن الثامن عشر، أما المدينة الجديدة والواقعة على الشط الشمالي فلا بد أن تأسيسها يرجع الى عهود متأخرة.

(١٤٦) الاصطخري، ص ٢٨٣، ٢٩٨؛ المقدسي، ص ٢٩١.

(١٤٧) المقدسي، ص ٢٩٢.

(١٤٨) شرحه، ص ٣٤٧.

(١٤٩) الاصطخري، ص ٢٧٠ – ٢٧١.

(١٥٠) Vambery, Travels in Central Asia, London, 1864, 240 sq. (الترجمة الروسية str. 120)؛ M.R. Kh., Svedenie, str. 109؛ راجع كتابي Istoriko – geograficheskii obzor Irana, str. 24؛ Le Strange, Lands of the Eastern Califate, p. 426

النهر في الري الصناعي[١٥١]، غير ان الأرض المزروعة المتصلة العمران كانت تبدأ من مدينة آمل[١٥٢] (چارجوي). وآمل هذه تقع على مسيرة فرسخ من النهر وكانت قدر زم بالتقريب[١٥٣]، إلاّ أن موقعها على الطريق الكبير الذي يربط خراسان ببلاد ما وراء النهر أكسبها أهمية كبرى حتى أطلق اسمها على النهر بأجمعه[١٥٤]. وعلى الضفةاليمنى 132 وعلى مسافة فرسخ آخر كانت تقع فربر أو فرب، وكان بها مسجد جامع كبير مشيد بأجمعه من الآجر ولم يستعمل في بنائه الخشب البتة. وقد كان أمير فرب يتمتع فيما مضى بدرجة من الإستقلال «لم يكن معها في حاجة إلى الذهاب إلى بخارا في أية مهمة كانت»، كما اشتهر أيضا قاض من فرب «كان يجري الأحكام بظلم شدّاد»[١٥٥]. ويطلق قدامة[١٥٦] على فرب اسم «قرية علي»، كما يذكر ياقوت[١٥٧] أنها كانت تحمل أيضاً اسم «رباط طاهر بن علي». ويورد لنا المقدسي أسماء معابر أخرى للنهر بين كركوه وطريق خراسان الكبير يمكن أن نذكر من بينها نويده، وهي مدينة صغيرة على الضفة اليمنى بها مسجد جامع وكانت معبراً لأهل سمرقند؛ وأيضاً برمادوي[١٥٨] وهي قرية للعرب. وغير بعيد من فرب كانت تقع قرية بتك التي لا تزال قائمة إلى اليوم والتي ورد ذكرها لدى نرشخي[١٥٩].

وكان الطريق الكبير من خراسان إلى بلاد ما وراء النهر يمر كما هو عليه الحال الآن

---

(١٥١) الاصطخري، ص ٢٩٧.

(١٥٢) شرحه، ص ٣٣٨.

(١٥٣) شرحه، ص ٢٨١.

(١٥٤) راجع أيضاً راي اشتريك Streck (في دائرة المعارف الإسلامية، مادة «آمل») ان آمو ربما كان «الاسم المحلي القديم لنهر جيحون» ولعل اسم المدينة اشتق منه. ومن الممكن جداً أن اسم مدينة آمل الواقعة على جيحون شأنه شأن اسم المدينة الموجودة بمازندران إنما يرتبط باسم شعب سابق للشعوب الآرية هو شعب الامارد الذين ربما عاشوا في وقت سابق في المنطقة الممتدة شرقاً الى ضفاف جيحون؛ راجع رأي ماركفارت Eranšahr, S. 136. فان كان هذا الرأي صحيحاً فإن اسم آمو إذن أقدم من الاسم الآري وخش (جيحون). أمّا اسم چارجوي فإنه يظهر للمرة الأولى في القرن الخامس عشر؛ راجع مقالي «امودريا» بدائرة المعارف الإسلامية.

(١٥٥) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٧؛ ترجمة ليكوشين، ص ٢٩. أما بصدد فاراب وأطلالها فراجع Zimin, Stary Farab, str. I i sl.

(١٥٦) قدامة، ص ٢٠٣.

(١٥٧) المعجم، الجزء الثالث، ص ٨٦٧

(١٥٨) المقدسي، ص ٢٩١ – ٢٩٢.

(١٥٩) طبعة شيفير، ص ٥

على آمل وفرب، لأن في هذه المنطقة بالذات يقترب من نهر أمودريا نهر زرفشان الذي كان يضيع في الرمال قبل بلوغه مجرى أمودريا، ولم يكن ذلك في القرن العاشر فحسب بل وحتى في عهد الاسكندر الأكبر[١٦٠]. وكان وادي زرفشان الذي سننتقل إلى الكلام عليه الآن أخصب مناطق ما وراء النهر وأكثفها سكاناً منذ أقدم العصور.

واسم زرفشان لا يقابلنا في أي مصنف تاريخي (سابق على القرن الثامن عشر). واستنادا على القراءة الصينية لاسم النهر وهي نامي Na-mi فقد خرج توماشيك بنتيجة 133 مؤدّاها أن الاسم الآري القديم للنهر كان نامق Namik[١٦١]. وعلى رأي العرب فإن النهر منبعه جبال البتّم أو بتمان[١٦٢]، وهم يعنون بذلك جميع المنطقة الجبلية الواقعة على المجرى الأعلى لكل من أمودريا وسيردريا والتي كانوا يميزون فيها بين البتم الأول والأوسط والخارج (من الجلي أن المقصود بها سلاسل جبال حصار وزرفشان وتركستان). وينبع زرفشان من البتم الأوسط[١٦٣] عند ناحية بُرْغَر قريباً من حدود صغانيان، وهناك مجمع للمياه يعرف بجن وهو أشبه بالبحيرة وتحيط به القرى[١٦٤]. ومن منابع النهر إلى سمرقند كانت المسافة ما بين العشرين إلى الثلاثين فرسخاً[١٦٥]؛ والأرجح أن عمود النهر كان يعتبر فن دريا، أو ربما كان أحد الروافد الأصغر منه على الجانب الأيسر للنهر. وعند قرية برغر كان يصب في النهر رافد يخرج من مقاطعة مسخه بأسروشنه[١٦٦] (لدى

---

(١٦٠) أنظر Arrian, Anabasis, IV, 6,6؛ ومقالي في مجلة ZVORAO, t. XXI, str. 0147. وحافظ آبرو هو الوحيد الذي يقول إنه في أيامه كان زرفشان يبنع في وقت الفيضان نهر جيحون (« المظفرية »، ص ١٨). وخلافاً لهذا يقول بابر (طبعة بفريدج، الورقة ٤٥ ب؛ الترجمة الانجليزية، ص ٧٧) إنه على أيامه كانت مياه النهر لا تبلغ بخارا « خلال ثلاثة أو أربعة أشهر من السنة ».

(١٦١) Tomaschek, Sogdiana, S. 19-20؛ من الممكن جداً أنه بدلاً من « ناسف » لدى اليعقوبي (كتاب البلدان، ص ٢٩٣) و« ماصف » لدى نرشخي (ص ٥) فإنه يجب قراءته « نامق ». أما لدى المؤلفين المتأخرين وإلى الآونة الأخيرة فإن النهر يحمل عادة اسم كوهك (أي الجبل ا لصغير) وهو اسم لتل قريب من سمرقند (يدعى الآن چوبان آتا). (يرى پليو أن « نا - مي » Nâ-miêt* الصينية ليس من طبيعتها أن تسوق إلى « نامق » لذا فهو يفضل أن يكون الشكل العربي هو « نامذ »*؛ راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 15 - الناشرون).

(١٦٢) هذا الاسم الأخير يرد في مخطوطة تومانسكي (حدود العالم، الورقات ٢٣ ب - ٢٥ أ: بتمان).

(١٦٣) الاصطخري، ص ٣٢٨.

(١٦٤) شرحه، ص ٣١٩.

(١٦٥) ابن حوقل، ص ٣٧٠، ٣٨٣.

(١٦٦) شرحه، ص ٣٨٣.

بابر[١٦٧] نهر مسيخا أو مسچا، وهو متچا Matcha الحالي الذي يعتبر عمود نهر زرفشان).
وأسفل هذا بقليل كانت تقوم مدينة بونجكث، أي پنجكث. ووفقاً لأقوال الجغرافيين[١٦٨] فإن هذه المدينة كان يفصلها عن سمرقند تسعة فراسخ، أما السمعاني وياقوت[١٦٩] فيجعلا نهاستة، والقول الأول أصح[١٧٠]. وأسفل من هذا قليلاً في ناحية ورغسر (ومعناها حرفيا «رأس السد»)، وعلى مسافة أربعة فراسخ من سمرقند[١٧١]، شُيِّد سد تشعب منه ماء النهر في أفرع عديدة أطولها نهر برش الذي كان يمر على سمرقند وهو ينطبق في أغلب الظن على قناة درغم الحالية، ومنه كانت تتفرع قنوات المدينة المختلفة[١٧٢]؛ وإلى الجنوب منه كانت توجد قناتا بارمش (على مسيرة يوم) وبشمين (وهي أقصرها). وكانت مهمة أهل ورغسر صيانة السد لذا فقد أُعفوا من الخراج؛ وورغسر هي رباط خوجه الحالية. أما القنوات الثلاث فقد حملت فيما بعد أسماء درغم وعباس وقراوناس (وهي الآن درغم وينكي اريق وقازان اريق[١٧٣]). وفي قبالة ورغسر بناحية غوبار كانت تخرج ثلاث قنوات هي بوزماجن وسناوب واشتيخن لتروي النواحي الشمالية من ولاية سمرقند. وكانت القنوات الكبرى، وهي برش وبارمش صالحة للملاحة[١٧٤]؛ وأغلب الظن أن المقصود بهذا الأرمات فقط لأن الملاحة بمعناها الدقيق لم تكن ممكنة في ذلك الوقت كما يقول المقدسي ولا في الآونة الحاضرة إلاّ على امودريا وسيردريا وحدهما[١٧٥]. ومما لا ريب فيه أن نظام الري السائد قد كان معمولاً به في خطوطه العريضة منذ الفترة السابقة لدخول الإسلام بلاد ما وراء النهر. ويقف دليلاً على ذلك

134

---

(١٦٧) بابرنامه، طبعة ايلمينسكي، ص ١١٨؛ طبعة بفريدج، الورقة ٩٧؛ ترجمة بفريدج، الجزء الأول، ص ١٤٩ والفهرس تحت لفظ «مچا»؛ راجع طبعة بفريدج، الورقة ٩٩، وترجمة بفريدج، الجزء الأول، ص ١٥٢ حيث يرد ذكر لقرية آب بردن ولمقبرة عند المنبع. وفي هذه القربة تم الكشف عن عمود عتيق من الخشب؛ راجع Bartold, Otchet o komandirovke v Turkestan (1920 g.), str. 215

(١٦٨) الاصطخري، ص ٣٤٢.

(١٦٩) المعجم، الجزء الأول، ص ٧٤٤.

(١٧٠) كانت تذكر في الأزمنة التالية قرية تقع قرب پنجكث عرفت باسم مغكداي پنجكث (أي بيت عبدة النيران من پنجكث) ;Viatkin, Materialy, str. 25

(١٧١) الاصطخري، ص ٣٤٢؛ أيضاً لدى السمعاني، تحت لفظ «الورغسري».

(١٧٢) كان لفظ «اريق» أو «ارغ» يطلق للكلام على القنوات بتركستان خاصة.

(١٧٣) راجع كتابي .Oroshenie, str. 104 i sl أمّا عن رباط خواجه فراجع نفس الكتاب ص ١١٦؛ وبابرنامه، طبعة بفريدج، الورقة ٥٩؛ ترجمة بفريدج، الجزء الأول، ص ٩٧.

(١٧٤) الاصطخري، ص ٣١٩ - ٣٢١.

(١٧٥) المقدسي، ص ٣٢٣.

محاولة الوالي أسد بن عبد الله (وذلك في عام ٣٧٥ أو ٧٣٦) منع أهل سمرقند الماء بتشييد سد عند ورغسر[١٧٦]. ويبدو من رواية الاصطخري أن القنوات التي تجري إلى الجنوب من سمرقند لم تتميز بالطول، وأن قناة مونس التي «كانت تحمل كمية وافرة من الماء الى ما وراء قرشي» وفقا لرأي اراندرنكو Arandarenko[١٧٧] لم تكن قد حفرت آنذاك، (بل إنه من المشكوك فيه أن تكون قد وجدت فعلا قناة بهذا الوصف).

ولقد ظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أُولى مدن ما وراء النهر قاطبة[١٧٨]، حتى في تلك العهود التي كانت فيها بخارا عاصمة للبلاد كما حدث في عهد السامانيين. وهذه المكانة التي نالتها سمرقند إنما ترجع قبل كل شيء إلى موقعها الجغرافي الفريد عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى القادمة من الهند (مارة ببلخ) ومن ايران (مارة بمرو) ومن أراضي الترك، كما أن ما امتازت به المنطقة المحيطة بها من خصب فوق المألوف جعل من الميسور لعدد هائل من السكان أن يجتمعوا في بقعة واحدة. غير أن سمرقند لم تشتهر في الأزمنة القديمة بذلك الامتداد الذي عرف عنها في عهد السامانيين؛ ووفقاً لرأي مؤرخ قديم هو كورتيوس Curtius فإن سور المدينة الخارجي كان طوله سبعين استاديا (أي نحو عشرة أميال)، أما عند هيون تسانغ فإنه لم يزد على العشرين لي[١٧٩] (أي بين أربعة وخمسة أميال). ويقدم لنا النسفي[١٨٠] بضعة حكايات محلية عن أصل المدينة، ووفقاً لألفاظه فإن سمرقند عند مجيء قتيبة (أي في بداية القرن 135الثامن) كان قد مر على/بنائها ألفان ومائتان وخمسون عاماً تعاقب عليها في خلالها ثلاثة

(١٧٦) الطبري، القسم الثاني، ص ١٥٨٦.

(١٧٧) Arandarenko, Dosugi v Turkestane, str. 270؛ وإلى جانب هذا الكتاب نعثر أيضاً بمعلومات طريفة عن سدود زرفشان الأعلى لدى پتروفسكي (N. Petrovski, Zametka, str. 490–493) رغماً من أن هذه المعلومات عرضة للشك؛ راجع كتابي Oroshenie, str. 103

(١٧٨) (إلى جانب ما أورده بارتولد من مراجع عن سمرقند فيما يلي، أنظر أيضاً المؤلفات الآتية والتي ظهرت عقب ظهور الطبعة الروسية الأولى للمصنف، وهي: Bartold, Otchet o poezdke v Samarkand; Viatkin, Afrasiab; Viatkin, Pamiatniki; Bartold, sb. «Iran», T. II, str. 181 – 185; Umniakov, Arkhitekturnye pamiatniki ; Iakobovski, Iz istorii arkheologicheskogo izuchenia Samarkanda; Shishkin, Goroda Uzbekistana; Terenojkin, Voprosy; Terenojkin, Raskopki na gorodishche Afrasiabe; Polupanov, Arkhitekturnye pamiatniki ;Masson, K periodizatsii – الناشرون).

(١٧٩) Tomaschek, Sogdiana, S. 65. كان اللي Li في تلك الأزمنة لا يتجاوز ثلث القرست Verst الروسي ولا يبلغ نصفه كما هو الحال الآن.

(١٨٠) Teksty, str. 48–49 (القندية).

عشر ملكاً حكمها الواحد منهم في عقب الآخر؛ والغالب أن المقصود بهذا هو نفس الأسرة الحاكمة التي حدث في عهدها الفتح العربي. ووفقاً لأسطورة معيّنة فإن مؤسس المدينة، أو قسماً منها على الأقل، كان الاسكندر المقدوني(١٨١).

وأقدم وصف بين أيدينا لسمرقند الإسلامية ندين به لابن الفقيه الهمداني(١٨٢). ووفقاً لألفاظه فإن سمرقند وضواحيها، أسوة ببلخ وبخارا، كان يحيط بها سور طوله اثنا عشر فرسخاً وبه اثنا عشر باباً، وكانت هذه الأبواب من خشب ولكل باب مصراعان، كما كان يوجد خلف كل باب باب آخر ذو مصراعين أيضاً، وبين البابين كانت تقوم منازل البوابين. والمتن العربي في هذا الصدد ليس واضحاً كل الوضوح (ونحن نأخذ هنا بمفهوم دي خويه De Goeje)، إلاّ أنه يشير بجلاء الى وجود صفين من الأسوار. وكانت أرباض المدينة (بما في ذلك المدينة نفسها على أغلب الظن) تشغل مساحة مقدارها ستة آلاف جريب(١٨٣)، أما المدينة فكانت تشغل خمسة آلاف جريب، بينما شغلت المدينة الداخلة(١٨٤) (الشهرستان) الفين وخمسمائة جريب. وبالشهرستان كان يقوم المسجد الجامع والقلعة (القهندز) وقصر الإمارة، وكان للقلعة بابان من الحديد. وفي هذا كانت سمرقند تختلف عن بخارا في أن قلعتها كانت بداخل المدينة، شأنها في ذلك شأن مدن أخرى (كعاصمة اسروشنه مثلاً).

(١٨١) أنظر أيضاً الاصطخري، ص ٣١٨؛ ابن الفقيه، ص ٣٢٥.

(١٨٢) ابن الفقيه، ص ٣٢٥ - ٣٢٦؛ أنظر أيضاً ياقوت، المعجم، الجزء الثالث، ص ١٣٤ حيث يرد الكلام على مدينة خارجية واحدة فقط (مساحتها عشرة آلاف جريب) وأخرى داخلية (مساحتها ألفان وخمسمائة جريب).

(١٨٣) في «تاج العروس» (الطبعة الشرقية، الجزء الأول، ص ١٧٩) ان الجريب يساوي عشرة قفيز، وبتقدير آخر أربعة قفيز؛ ذلك أن الجريب شأنه شأن مقاييس الطول والوزن كان يختلف من قطر لآخر. وكان القفيز (شرحه، الجزء الرابع، ص ٧٠) يساوي مائة وأربعة وأربعين ذراعاً، يقصد مربعة (راجع التحديد المشابه للتنب Tanap لدى خانيكوف, Khanikov, Opisanie Bokharskogo khanstva, str. 113) وفي مادة «جريب» بدائرة المعارف الاسلامية يرد فقط أن «مقداره يختلف بحسب الزمان والمكان». وكان الجريب عادة يساوي ثلاثة آلاف وستمائة ذراعاً مربعة («مفاتيح العلوم»، ص ٦٦). ووفقاً لهرتسفلد Herzfeld فان الذراع يساوي ٥١,٨ سنتيمتراً (Der Islam, IV, S. 199) أي أنه أكثر من نصف المتر بقليل وأقل بقليل من الأرشن الروسي. لهذا فإن الجريب يجب أن يكون أكثر من تسعمائة متراً مربعاً بقليل. [ووفقاً لرأي هنتس (W. Hinz, Masse und Gewichte, S. 66-69) فإن الجريب القانوني كان يعادل ١٩٥٢ م م في العصور الوسيطة المبكرة، أما في العصور الوسيطة المتأخرة فكان يعادل ٩٥٨ م م بإيران والمناطق المتاخمة لها (بعد القرن الخامس عشر) - الناشرون].

(١٨٤) من المحتمل أن هذه المدينة هي المعنيّة بأنه كان بها اربعة أبواب، وليست المدينة ذات الخمسة آلاف جريباً كما ورد بالمتن.

ويقدم لنا المؤرخون معلومات قليلة عن خطط سمرقند وما طرأ عليها من تغير على ممر العصور. وينسب الطبري[١٨٥] إلى أبي مسلم بناء السور الخارجي للمدينة، ووفقاً لألفاظ هذا المؤرخ نفسه[١٨٦] فان الثائر المعروف رافع بن الليث عندما حصره القائد هرثمة واحتل/السور الخارجي لسمرقند احتمى بداخل المدينة (عام ٨٠٩) واعتصم هناك عاماً كاملاً. ووفقاً لقول اليعقوبي[١٨٧] فقد كان يحيط بسمرقند سور كبير تداعت أجزاء منه، ثم أعيد تعميره بأمر هارون الرشيد. ويذكر النسفي[١٨٨] أن اسم باني السور الخارجي للمدينة هو أبو النعمان، ولعل المقصود بذلك أحد الملوك اليمنيين نصف الأسطوريين ممن يربط أصحاب القصص بينهم وبين سمرقند على ما يبدو لمجرد أن أحدهم كان يدعى شمّر. وفي عام ١٣٥ هـ = ٧٥٢-٧٥٣ شيد أبو مسلم وفقاً لرواية النسفي الأبواب والشرفات وأبراج المراقبة، وكان طول السور بأجمعه سبعة فراسخ ونصف الفرسخ وقسّمه أبو مسلم الى ثلاثمائة وستين قسماً. وكان يفصل البرج عن الذي يليه مسافة مائتي كَزْ (ذراع، أنظر ما مر)؛ وبما أن النسفي يجعل اثني عشر ألف كز للفرسخ الواحد فإن عدد الأبراج يبلغ وفقاً لذلك أربعمائة وخمسين برجاً. وكان ارتفاع السور أربعة أكزاز.

136

هذا وقد أولى جغرافيو القرن العاشر[١٨٩] اهتماماً خاصاً لوصف الشهرستان الذي كان له كغيره من شهرستانات المدن الأخرى أربعة أبواب، ففي ناحية الشرق يقوم باب الصين على مرتفع من الأرض ينزل منه الانسان على درج إلى نهر زرفشان، وفي ناحية الشرق يوجد باب النوبهار أو باب الحديد، أما إلى الشمال فباب بخارا أو اسروشنه، وإلى الجنوب باب كش أو الباب الكبير. ويبدو أن سور الشهرستان قد تم تشييده في الفترة السابقة للإسلام، وقد لزم لتشييده كمية هائلة من الطين حتى نشأ من ذلك خندق كبير؛ ولإيصال الماء عبر هذا الخندق بنيت «مسناة» عالية من الحجر يجري عليها الماء من موضع «الصفّارين». وكان الماء يدخل المدينة من باب كش عند موضع يعرف «برأس الطاق» كانت توجد به الأسواق الرئيسية ويتجمع فيه معظم سكان المدينة. وحتى القرن

---

(١٨٥) الطبري، القسم الثالث، ص ٨٠.

(١٨٦) الطبري، القسم الثالث، ص ٧٧٥.

(١٨٧) كتاب البلدان، ص ٢٩٣.

(١٨٨) Teksty, str. 48-49 (القندية)؛ والترجمة الروسية بقلم فياتكين، ص ٢٤٢ و٢٥٠.

(١٨٩) الاصطخري، ص ٣١٦ - ٣١٧؛ ابن حوقل، ص ٣٦٥ - ٣٦٦؛ المقدسي، ص ٢٧٨ - ٢٧٩؛ ابن الفقيه، ص ٣٢٢.

الثاني عشر كان الحي القريب من باب كش من أبرز أحياء سمرقند[١٩٠]. أما القناة فيرجع تاريخ حفرها إلى العهد السابق للإسلام وكانت تمر فوق خندق السور وجانباها مكسوّان بالرصاص، وكانت غلة الأراضي المحيطة بالقناة تستعمل في صيانتها. أما صيانة السد فقد كلف بها عبدة النار من أهل سمرقند نظير إعفائهم من الجزية.

وإنه لمن العسير حقاً تكوين فكرة حقيقية عن موقع شهرستان سمرقند في العصور الوسطى اعتماداً على هذه المعطيات وحدها، غير أنه ثبت الآن بصورة قاطعة أن الشهرستان إنما تمثله الخرائب التي يطلق عليها حالياً اسم افراسياب والواقعة إلى الشمال من المدينة/الحالية[١٩١]. وخارج الشهرستان كان يقوم تل يسمى «كوهك» (أي «الجبل 137 الصغير»، وهو حالياً چوبان آتا) ويبلغ وفقاً للاصطخري[١٩٢] نصف ميل ويمتد الى أسوار المدينة، ومنه كانت تؤخذ الحجارة لأبنية المدينة ويستخرج الجص لصناعة الأواني وغير ذلك. ومن باب الصين كانت الطريق تنحدر إلى النهر لتعبر في أغلب الظن قنطرة كانت موجودة هناك، وهي التي يطلق عليها ابن حوقل[١٩٣] اسم جيرد. وهناك أطلال قنطرة ما تزال ماثلة حتى الآن ويرجع بها العهد الى تاريخ متأخر، إلاّ أن هذه الأطلال تبعد بعض الشيء عن افراسياب. وتنسب الرواية الشعبية بناء القنطرة، شأنها في ذلك شأن بقية المباني الأخرى في البلاد، إلى تيمور أو عبد الله البخاري؛ غير أنه من المعلوم أن الذي شيدها هوشيباني خان وذلك في بداية القرن السادس عشر[١٩٤]. وكان عمق النهر أسفل القنطرة قامتين (والقامة هي طول الانسان)، ولكن في فترة ذوبان الثلوج على قمم الجبال ربما كان الماء يرتفع فيغمر المنطقة ويعجز أهل سمرقند عن مغالبة الفيضان. ويحدثنا المؤرخ العتبي[١٩٥] عن قنطرة أخرى أصغر من تلك، كما يرد ذكر لقنطرة لدى السمعاني كانت توجد بحي غاتفر «في نفس البلد» التي كانت في القرن الثاني عشر تنطبق على المدينة الحالية على وجه التقريب[١٩٦].

(١٩٠) ياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٤٤٦ (السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ «البابكسي»).

(١٩١) راجع بارتولد .Oroshenie, str. 106; sl

(١٩٢) الاصطخري، ص ٣١٨.

(١٩٣) ابن حوقل، ص ٣٧١.

(١٩٤) راجع التقرير عن رحلتي إلى تركستان في عام ١٩١٦، ص ١٢٣٩ وما يليها (Otchet o kommandirovke v Turkestanskii Krai)

(١٩٥) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢١٧؛ العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٣٢٣ (قنطرة كوهك).

(١٩٦) السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ «الغاتفري» (عن ضبطها راجع السمعاني تحت لفظ «الرستغفري»). هذا الحي كان موضعه قرب القلعة الحالية، راجع Viatkin, Materialy, str. 19

وكان باب النوبهار في السور الغربي لافراسياب، والجبانة الحالية المعروفة باسم سنكرسان تقع في جوار هذا الباب[١٩٧]. أما القلعة فيبدو من الخرائب أنها كانت تقع في القسم الشمالي لافراسياب، وحافظ آبرو عندما يتحدث عن تدمير چنكيز خان «للقلعة»[١٩٨] لم يكن يقصد بذلك قلعة القرن الثاني عشر فحسب بل جميع الموضع المعروف باسم افراسياب (راجع رواية جويني عن أحداث الغزو المغولي فيما يلي من الكتاب). وكان باب بخارا يقع في الجهة الشمالية لافراسياب، هذا بينما يقع باب كش في الجهة الجنوبية لها. وكان أكثر أحياء المدينة عمارة وسكاناً، وهو الحي المعروف باسم رأس الطاق (لدى جغرافيي القرن العاشر) أو دروازه كش (لدى السمعاني)، يمثل جزءاً من المدينة الحالية ويقع في القسم الشمالي منها. أمّا أن الموضع المحيط بباب كش كان داخل المدينة منذ العصر السابق للإسلام فأمر توكده حكاية الاصطخري[١٩٩] بصدد صفيحة من الحديد/ 138 عليها كتابة قديمة بأحرف غير معروفة كان قد أبصرها على ذلك الباب. وكان السكان يزعمون أن تلك الكتابة باللغة الحميرية وأن محتوياتها تناقلها جيل عن آخر فيما بينهم، وهي تحدد المسافة بين صنعاء عاصمة اليمن وسمرقند كما تحدد أيضاً المسافات بين نقاط عديدة أخرى[٢٠٠]. هذا التفسير للكتابة المجهولة يتفق دون شك مع القصص الجغرافية التي مر ذكرها والمتعلقة بغزوات مزعومة لسمرقند من طرف ملوك اليمن، ورغماً من ذلك فلا سبيل إلى التشكك في واقعة وجود صفيحة من الحديد في القرن العاشر على باب كش كانت بها كتابة لم يستطع الأهالي فك رموزها. وفي لحظة زيارة الاصطخري لسمرقند وقعت فتنة بالمدينة احترق معها الباب وذهبت الكتابة، فلما أعيد تشييد الباب على يد حاكم المدينة أبي المظفر محمد بن لقمان بن نصر بن أحمد بن أسد (ابن عم الأمير نصر) لم يكن من الممكن بالطبع إعادة الكتابة.

---

(١٩٧) قريباً من هذا الباب وفي داخل المدينة نفسها وجدت أطلال لمبنى قديم لم يجر فحصها بعد؛ انظر Bartold, Otchet o komandirovke v Turkestanskii Krai, str. 1241

(١٩٨) Bartold, Khafizi-Abru, str. 14, 16

(١٩٩) الاصطخري، ص ٣١٨.

(٢٠٠) يورد ابن الفقيه (ص ٣٢٦) وياقوت (المعجم، الجزء الثالث، ص ١٣٦) نقولا من هذه الكتابة أكثر مما لدى الاصطخري، وذلك عن رواية الأصمعي (راجع عنه Brockelmann, GAL, Bd I, S. 104). وثمة رأي (لبلوشيه E. Blochet) يفترض أن الكتابة كانت كتابة النقوش الاورخونية التي تشابه الحميرية؛ غير أن العرب كانت تطلق اسم الحميرية أو المسند على جميع صنوف الكتابة التي لا تعرفها؛ راجع ZVORAO, XII, str. XXIV i sl.

أما السور الخارجي للمدينة فيصفه لنا الاصطخري بالألفاظ الآتية[٢٠١]: «والمدينة من الربض على جانبه قريب من وادي السغد الذي هو بين الربض والمدينة (أي الشهرستان)؛ وذلك أن سور الربض ممتد من وراء وادي السغد من مكان يعرف بافشينه على باب كوهك حتى يطوف بوَرْ سنين ثم يطوف على باب فَنَك وعلى باب ريوْدَد ثم إلى باب فرخشيذ ثم إلى باب غَداوَد ثم يمتد إلى الوادي؛ والوادي للربض كالخندق مما يلي الشمال. ويكون قطر السور المحيط بربض سمرقند فرسخين». وبالطبع فإن في هذا تناقضاً واضحاً، إذ لو كان النهر يجري حقاً بين الشهرستان والربض فمن المتحيل أن يكون «الوادي للربض كالخندق مما يلي الشمال». وفي موضع آخر يرد لدى الاصطخري[٢٠٢]، كما يرد لدى المقدسي[٢٠٣] أيضاً، ذكر أبواب المدينة على أنها ثمانية في العدد وهي: غداود، اسبسك، سوخشين، افشينه، ورسنين، كوهك، ريودد، فرخشيذ. ولا يرد ذكر في هذا التعداد لباب فنك، ومن ثم وجب أن يكون هو وباب اسبسك أو باب سوخشين واحداً. ويرد ذكر فنك لدى السمعاني وياقوت[٢٠٤] على أنه اسم لقرية قرب سمرقند يفصلها عن المدينة نصف فرسخ، أما غداود فيرد لديهما على أنه اسم لحي قريب من سمرقند على فرسخ منها[٢٠٥]، واسـكت (اسـكث لدى ياقوت) قرية على فرسخين من سمرقند[٢٠٦]،وورسنين/أو ورسنان من أحياء سمرقند[٢٠٧]. أما قرية ريودد كما سنرى 139 بعد قليل فكانت تقع إلى الجنوب من المدينة ويفصلها منها فرسخ واحد. وفي القرن العاشر هدمت جميع أبواب الربض بأمر من الحكومة السامانية بسبب الفتن التي أشعلها سكان المدينة[٢٠٨]. وفي طرف قرية فرخشيذ وذلك خارج أسوار المدينة كانت تقوم مقبرة خواجه عبدي بيرون (أي «الشيخ عبدي البراني») التي يمكن مشاهدتها إلى اليوم، وثمة مقبرة أخرى داخل السور كانت تعرف باسم خواجه عبدي درون (أي «الشيخ عبدي

---

(٢٠١) الاصطخري، ص ٣١٧.

(٢٠٢) شرحه، ص ٣١٨.

(٢٠٣) المقدسي، ص ٢٧٨.

(٢٠٤) المعجم، الجزء الثالث، ص ٩٢٠.

(٢٠٥) شرحه، ص ٧٧٦. أمّا السمعاني فيكتبها «غُذَاوَذ».

(٢٠٦) ياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٢٣٨.

(٢٠٧) شرحه، الجزء الرابع، ص ٩٢١.

(٢٠٨) ابن حوقل، ص ٣٦٧.

الجواني »)[٢٠٩]. وفي زمن خانيكوف[٢١٠] Khanikoff كانت أطلال القسم الغربي من أسوار سمرقند القديمة لا تزال ماثلة للعيان، وذلك على بعد أربع فرستات إلى الغرب من المدينة الحالية. ويجعل جنّابي[٢١١] أطلال سور المدينة القديمة إلى أبعد من ذلك في ناحية الغرب، وذلك على مسيرة نصف يوم من سمرقند. وفي هذا الموضع بنى تيمور مدينة دمشق (وهي الآن قرية من قرى مركز انهار). وجميع هذه التفاصيل تتعلق دون شك بسور الربض الذي يمكن رؤية أطلاله الى اليوم، وهي التي قامت بدراستها لأول مرة «الجمعية الروسية لدراسة آسيا الوسطى والشرقية» Russkia Komitet dlia izuchenia Srednei i Vostochnoi Azii وذلك في عام ١٩٠٣. وهذا السور يطلق عليه اسم ديوارقيامت أو كندلنك ويقرب طوله من سبعة وعشرين ميلاً ويضم مساحة تقرب من الأربع وأربعين ميلاً مربعاً[٢١٢].

أما عدد سكان سمرقند فإنه لا يتفق بالطبع مع فكرتنا عن مدينة في قدرها. ذلك أن شطراً كبيراً من مساحة سمرقند كانت تشغله البساتين، فقد كان كل منزل يضم بستاناً بالتقريب. وكان الناظر إلى المدينة من أعلى القلعة لا يستطيع رؤية مبانيها من خلال الأشجار[٢١٣]. ولا توجد بين أيدينا بالطبع احصائيات عن عدد سكان سمرقند؛ والسائح الصيني تشأن تشؤن[٢١٤] Chang-Chu'un يذكر أنه كان بالمدينة ما يقرب من مائة ألف أسرة قبل استيلاء چنكيز خان عليها، ولكننا إذا تذكرنا جيداً أن المدينة تعرضت قبل هذا بأعوام قليلة للقتل والتخريب على يد خوارزمشاه، وأن عهد القراخانيين كان في عامته عصر تدهور حضاري وبالتالي عصر تدهور في الحياة المدنية لأمكننا إذن أن نفترض دون مبالغة أن عدد سكان سمرقند قد جاوز نصف المليون على عهد السامانيين.

والازدهار الكبير في زراعة البساتين الذي يصوره لنا الاصطخري لا بد أن يكون قد صاحبه تطور كبير في الري الصناعي. غير أن جغرافيي القرن العاشر لا يقدمون للأسف أية معلومات مفصلة عن قنوات سمرقند، ويمكننا أن نعثر على بعضها لدى

---

(٢٠٩) أنظر نسفي، القندية، ترجمة ڤياتكين ص ٢٧٩.

(٢١٠) Khanykov, Opisanie Bukharskogo khanstva, str. 100, 106 حيث يسمى الحائط «ديول (أي ديوال أو ديوار) قيامت».

(٢١١) تاريخ، ص ٤٥٢. ومصدر جنّابي هو ابن عربشاه (عجائب المقدور، طبعة القاهرة، ص ١٧).

(٢١٢) Viatkin, Materialy, str. 21؛ نسفي، القندية، ترجمة ڤياتكين، ص ٢٧٧ وما يليها.

(٢١٣) الاصطخري، ص ٣١٧.

(٢١٤) ترجمة كفاروف، ص ٣١١؛ Bretschneider, Researches, I, 78

النسفي[٢١٥] رغماً من أن معلوماته هذه لا تخلو في ذات الوقت من الكثير من الغموض. 140
ووفقاً لألفاظه فقد كان النهر يلج المدينة من الباب الغربي (؟) فيتفرع إلى أربع قنوات رئيسية تتفرع كل واحدة منها بدورها إلى فرعين حتى بلغ عدد قنوات المدينة في مجموعه الثمانية. أما القنوات الأربع الرئيسية فكانت هي: جاكرد يزه، مزاخين (أو مزداخين)، اسـ[illegible]ر غم، اسنكين وسنكرسان ويبدو أن الإسمين الأخيرين كانا يطلقان على فرعين لقناة واحدة. أما الأراضي التي كانت ترويها هذه القنوات فكانت تقاس مساحتها بالحبال، وكان الحبل يحتوي على ستين ذراعاً[٢١٦]. وقد بلغت مساحة سمرقند والأراضي المحيطة بها أربعة عشر الفاً وستمائة حبل (ثمة مخطوطة تحددها بأربعة آلاف وستمائة فقط)، وكان بها ستمائة وسبعون (أو ستمائة وثمانون) سِكْراً. ومن بين هذه المجموع كانت قناة جاكرديزه التي تروي الشهرستان، وهي نفس القناة التي يرجع بها الاصطخري والمقدسي إلى الفترة السابقة على الاسلام، تسقي مساحة مقدارها الف وسبعة وستون حبلاً، وكان طولها سبعة عشر الفاً ومائتان وأربعون كزاً ويقوم عليها تسعة وخمسون سكراً. أما قناة مزاخين (أو مزداخين) فكانت تتفرع إلى خمسة وأربعين فرعاً وتسقي ألفين وتسعمائة حبلا أو ألفين وسبعمائة وخمسين (وفي مخطوطة أخرى ألفين وسبعمائة وخمس وثمانين) چفت (والچفت القطعة من الأرض التي يمكن حرثها في يوم واحد[٢١٧] وبواسطة زوج من الثيران، أي أشبه ما يكون باللاتينية «يوغوم jugum»)؛ أما قناة اسكندرغم فكانت تروي ألفاً وأربعمائة وست وثمانين چفت، وقناتا اسنكين وسنكرسان مائتين وخمس وسبعين چفت. ووفقاً لهذا الحساب فإن عدد حبال جميع هذه الأراضي يزيد على أربعة آلاف وستمائة حبل بكثير، كما أنه في ذات الوقت يقل بكثير عن أربعة عشر ألفاً وستمائة حبل. وجميع هذه القنوات كانت قاصرة على ري المدينة وحدها بما في ذلك النواحي المجاورة لها من الغرب والجنوب، ذلك أن النواحي الواقعة إلى الشمال والشرق كانت على ما يبدو تُروَى كما هو الحال الآن بواسطة أقنية مأخوذة من مياه العيون مثل سياب (سياه آب، وبالتركية قراصو أي النهر الأسود)، أو آب رحمت التي ورد ذكرها لدى بابر[٢١٨].

---

(٢١٥) Teksty, str. 49–50 (القندية)؛ راجع ترجمة ڤياتكين وتعليقاته؛ نسفي، القندية، ترجمة ڤياتكين، ص ٢٨٧ وما يليها؛ وأيضاً Bartold, Oroshenie, str. 108

(٢١٦) Le Strange, Baghdad, p. 326

(٢١٧) (يعلق الناشرون السوفيت ها هنا بقولهم إن الاصح إضافة «في فصل واحد» – المترجم).

(٢١٨) بابرنامه، طبعة بفريدج، الورقة ٤٨؛ الترجمة، الجزء الاول، ص ٨١.

ويبدو أن الاصطخري حينما يتحدث عن « وادي السغد » لم يكن يقصد بذلك زرفشان وحده بل وسياب أيضاً، وبهذا فقط يمكن توضيح التناقض في الأقوال الذي أشرنا إليه قبل قليل. وفي القرن الثالث عشر يتحدث تشأن تشؤن[٢١٩] عن قناتين فقط تدخلان المدينة، ولكن حتى بالنسبة لعصره كان الماء يجد طريقه إلى كل منزل بالمدينة بالتقريب، أي مثلما كان عليه الحال في القرن العاشر.

وقد حمل اسم جاكرديزه في القرن الثاني عشر حي من أحياء المدينة كانت به مقبرة كبيرة مشهورة للعلماء والكبار[٢٢٠]. وإلى جانب الاحياء التي مرت بنا حتى الآن يمكن أن 141 نضيف أسماء الأحياء (المحلات) الآتية بمدينة سمرقند: ١) اسفزار، بالشهرستان. وكان به قصر للسامانيين[٢٢١]. ٢) باب دستان[٢٢٢]، وكان يتصل به حي كبير هو حي اشتابديزه. ٣) پنجخين[٢٢٣]، وهو حي كبير. ٤) زغريماش[٢٢٤]، حي كبير. ٥) سنكديزه[٢٢٥] (بالفارسية) أو الرضراضة (بالعربية) أي « الحجارة الصغيرة ». ٦) فرزاميثن[٢٢٦]، بالربض. ٧) فغيدزه[٢٢٧]. ٨) كنون[٢٢٨]. ٩) ما تُريد أو ما تُريت، بالربض[٢٢٩] ومكانه

---

(٢١٩) ترجمة كفاروف، ص ٣١١؛ Bretschneider, Researches, vol. I, P. 77 sq.,

(٢٢٠) السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الجاكرديزي »، والتي تنقصها الألفاظ الآتية: « بها مقبرة كبيرة مشهورة للعلماء والكبار » (موجودة في Teksty, str. 55 اعتماداً على مخطوطة المتحف الآسيوي). هذه المقبرة لا تزال قائمة وتقع في القسم الشرقي من المدينة الحالية (عن بابرنامه، نقلها وترجمها ڤياتكين، ص ٣١ و٣٢). ويجعل السمعاني المقبرة (أنظر تحت لفظ « السوبخي ») قرب « باب المزار »، وأغلب الظن أن المقصود بذلك مقبرة قثم بن عباس.

(٢٢١) ابن حوقل، ص ٣٦٦.

(٢٢٢) ياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٢٧٥ و٤٤٤؛ السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الاشتابديزكي ».

(٢٢٣) شرحه تحت لفظ « البنجخيني »؛ وياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٧٤٣.

(٢٢٤) ياقوت، المعجم، الجزء الثاني، ص ٩١٣؛ Teksty, str. 58 (والسمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الزغريماشي »).

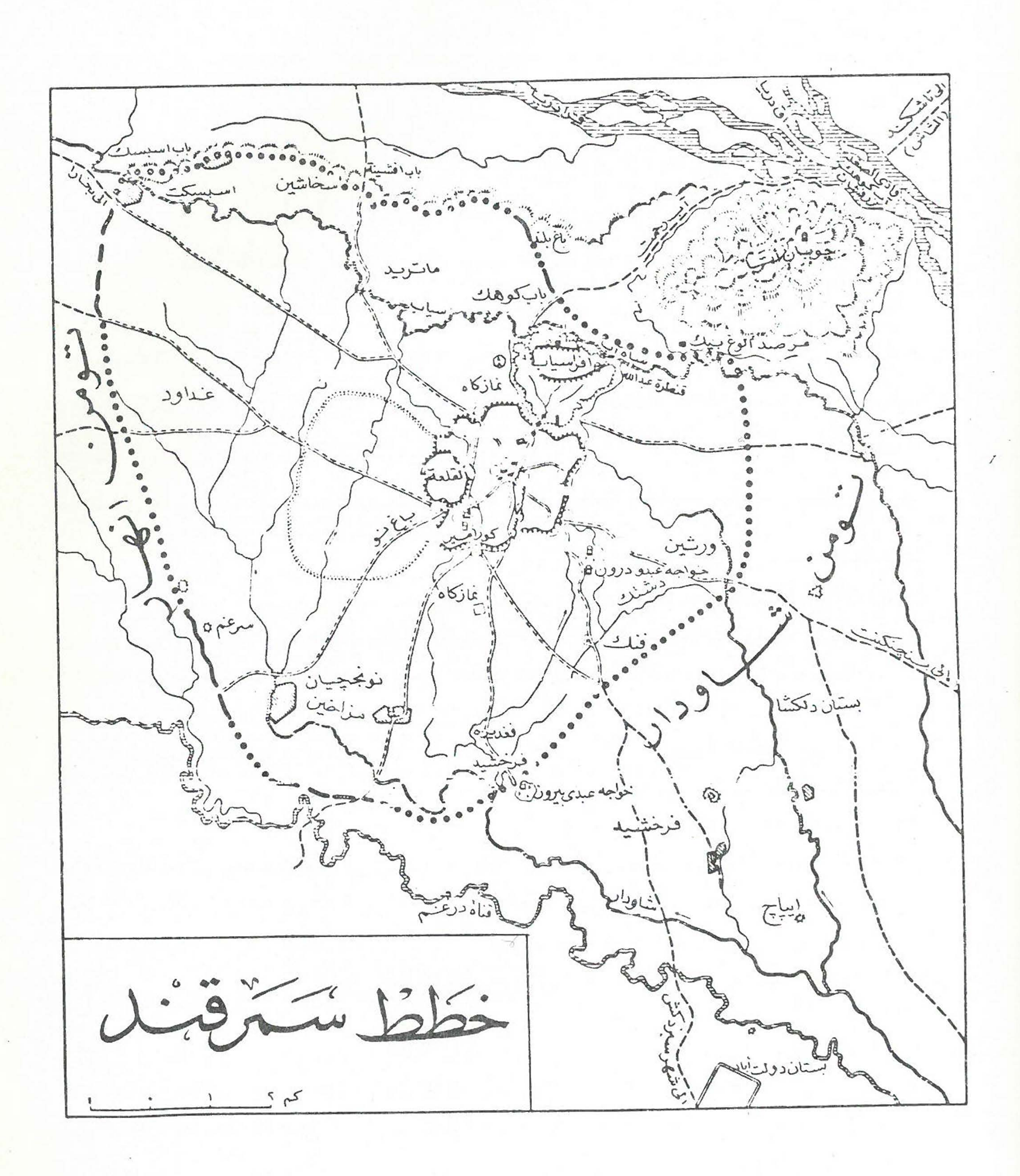
(٢٢٥) ياقوت، المعجم، الجزء الثاني، ص ٧٨٩؛ الجزء الثالث، ص ١٦٢ و١٦٨.

(٢٢٦) شرحه، الجزء الثالث، ص ٨٧٢؛ والسمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الفرازميثني ».

(٢٢٧) ياقوت، المعجم، الجزء الثالث، ص ٩٠٤ (حيث توجد القراءة « فَغَنْدَرَة »)؛ السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الفغيدزي ».

(٢٢٨) ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ٣١٣.

(٢٢٩) Teksty, str. 66 (السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الماتريتي »)؛ ويذكرها ياقوت تحت شكل مغلوط هو « ماتيرب » (المعجم، الجزء الرابع، ص ٣٧٨).



خطط سمرقند
باب اسبسك
باب افشينة
اسبسكت
ماتريد
باب كوهك
مرصد الوغ بيك
افراسياب
نمازگاه
غداود
باغ نو
سرغم
مزاخين
ورثين
خواجه عبدو درون
فنك
بستان دلكشا
خواجه عبدي بيرون
فرخشيد
ايباچ
شاودار
قناة درغم
بستان دولت آباد
كم

الآن قرية إلى الشمال الغربي من المدينة بها جواسق ريفية للأثرياء[٢٣٠]. ١٠) غرجمين (أوكرجمين؟)، وكان بها قصر لطمغاج خان ابراهيم بن الحسين[٢٣١]. ١١) قباب[٢٣٢]. هذا وقد حمل حي ورسنين أيضاً اسم يارکث[٢٣٣]. وإلى جانب هذا حفظ لنا السمعاني[٢٣٤] أيضاً أسماء ثلاثة شوارع بالمدينة هي شارع عبدك وشارع صالح (بحي غاتقز) وشارع حائط حيّان.

أما من بين المباني المعروفة بالمدينة فيرد ذكر الآتية: ١) دار الإمارة القديم بالقلعة، وكان هذا القصر لا يزال قائماً على عهد الاصطخري [٢٣٥] ولكن ابن حوقل[٢٣٦] وجده في حالة خراب. ٢) الحبس،/ويوجد بالقلعة أيضاً وقد ورد ذكره كذلك لدى الاصطخري 142 رغماً من أن ابن حوقل يقول إن بناءه قديم في أيامه هو. ٣) المسجد الجامع، بالشهرستان قريباً من القلعة وكان يفصله من القلعة «عرض الطريق»[٢٣٧]، هذا وقد تم الكشف عن موضع هذا المسجد غربي القلعة في افراسياب على يد ڤياتكين Viatkin وكاتب هذه السطور عام ١٩٠٤-١٩٠٥[٢٣٨]. ٤) قصر رافع بن الليث[٢٣٩]. وكانت شوارع المدينة فيما عدا القليل منها مرصوفة بالحجارة، أما مبانيها فكانت في معظمها كما هي الآن مشيدة

---

(٢٣٠) Arandarenko, Dosugi, str. 653. وماتُريد هي مسقط رأس الفقيه المشهور أبي منصور الماتُريدي المتوفى حوالي عام ٣٣٣ هـ = ٩٤٤ (Brockelmann, GAL, Bd I, S. 195) ويشار الى مقبرته الى اليوم بجاكرديزه. راجع Bartold, Otchet o kommandirovke v Turkestan (1920 g.), str. 215 ; sl.

(٢٣١) Teksty, str. 87 (عوفي).

(٢٣٢) ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ٢٥.

(٢٣٣) السمعاني، تحت لفظ «البارکثي»: «يارکث محلة من سمرقند يقال لها ورسنين».

(٢٣٤) Teksty, str. 58 (السمعاني تحت لفظ «الزغرياشي» والساغرجي»، حيث ترد قراءة مغلوطة في طبعة مرجليوث، إذ يجب قراءتها «غاتفر» بدلا من «عاهر»). كذلك يتحدث السمعاني (تحت لفظ «المربّعي») عن ميدان «المربّعة» بسمرقند.

(٢٣٥) الاصطخري، ص ٣١٦.

(٢٣٦) ابن حوقل، ص ٣٦٥.

(٢٣٧) الاصطخري، ص ٣١٧.

(٢٣٨) أنظر Bartold, Poezdka v Samarkand, str. XXXV: sl.; Bartold, Otchet o poezdke v Samarkand, str. 21 i sl; Viatkin, Otchet o raskopskakh na Afrasiabe, str. 22 i sl. إذا تعمقت الحفريات في باطن الأرض فليس هناك ما يحول دون الكشف عن بقايا المعبد الوثني الذي كان في هذا الموضع؛ راجع Teksty, str. 49 (نسفي)؛ نسفي، القندية، ترجمة ڤياتكين، ص ٢٥٠.

(٢٣٩) Teksty, str. 64 (السمعاني؛ وفي طبعة مرجليوث، الورقة ٤٥٦ أ، تحت لفظ «القصري»).

من الطين والخشب. وكان أكثر أسواق المدينة بالربض ومعظمها على مقربة من باب كش[٢٤٠]. وكان يوجد بالمدينة والربض أكثر من ألفي موضع يمكن أن يستقي منها الناس الماء المثلج وبالمجان مما يصرف عليه أهل الخير، وكان الماء يحفظ بطرق مختلفة «من بين سقاية مبنية وحباب نحاس منصوبة وقلال خزف مثبتة في الحيطان مبنية»[٢٤١]. ويستلفت النظر أيضاً ألفاظ ابن حوقل[٢٤٢] عن تماثيل للحيوان منصوبة في الميادين العامة بسمرقند (رغماً من مخالفة ذلك لتعاليم الاسلام)، وذلك حين يقول: «وقصصت به أشجار السرو فجعل منها طرائف الحيوانِ من الأفيلة والإبل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض كالمتناجية والمطالب بعضها لبعض كالمتقاتلة المتعاتبة».

ومن بين المشاهد والمزارات بالمدينة احتل مكان الصدارة على الدوام قبر قثم بن العباس. وتتناقض الروايات حتى بين العرب أنفسهم عن ابن عم رسول الله هذا الذي يقال إنه جاء إلى سمرقند عام ٥٦ للهجرة = ٦٧٦ مع سعيد بن عثمان[٢٤٣]، فتذكر إحداها أنه قتل بينما تورد الثانية أنه مات موتاً طبيعياً[٢٤٤]؛ وثمة رواية ثالثة تقول إنه لم يمت بسمرقند بل بمرو[٢٤٥]. وقد أصبح قبر قثم المزعوم أو الحقيقي موضعاً للزيارة والتبرك في عهد أقربائه العباسيين ولعل ذلك لم يكن دون تدخل منهم؛ وقثم معروف للأهالي الآن باسم شاه زنده («الأمير الحي»)، وثمة أسطورة تزعم أنه لم يقتل بل أنقذ نفسه من الكفار بأن دخل صخرة انفتحت بمعجزة أمامه/ثم أقفلت وراءه[٢٤٦]. ومنذ عهد بابر[٢٤٧] حمل القبر اسم مزارشاه (أي «قبر الأمير»). ولعل قبراً قد وجد في هذا الموضع 143

---

(٢٤٠) الاصطخري، ص ٣١٧ – ٣١٩.

(٢٤١) شرحه، ص ٢٩٠؛ ابن حوقل، ص ٣٣٩.

(٢٤٢) ابن حوقل، ص ٣٦٥.

(٢٤٣) ابن الأثير، الجزء الثالث، ص ٤٢٥. ولا يذكر الطبري في روايته لحملة سعيد (القسم الثاني، ص ١٧٩) قثم هذا ولكنه يتحدث عنه في مصنفه الآخر (المرفق مع طبعة تاريخه، أنظر القسم الثالث، ص ٢٣٥٢ من أسفل).

(٢٤٤) البلاذري، ص ٤١٢.

(٢٤٥) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٩٨؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ٣٩.

(٢٤٦) هذه الاسطورة توجد بكتاب «القندية» (راجع ما مر، ص ٧٩) وذلك في القسم منه الذي لم ينقله ڤياتكين إلى الروسية، وإن كان ڤياتكين قد ترجمها ولكن عن مصدر آخر وذلك في SKSO (Samarkandskie legendy) ص ٢٣٠ وما يليها. كذلك يورد M. Lapin أساطير أخرى في SKSO لعام ١٨٩٦ (Lapin, Shahi – Zinda) ص ٤٠ – ٤١.

(٢٤٧) بابرنامه، طبعة ايلمينسكي، ص ٥٥؛ طبعة بفريدج، الورقة ٤٤ ب؛ ترجمة بفريدج، الجزء الأول، ص ٧٥ (حيث يحمل اسم «شاه زنده»)؛ قطعة منه في ترجمة ڤياتكين، ص ٣١.

منذ العهود السابقة للإسلام وكان موضع التقديس من الأهالي، وأن التبرك بهذا القبر ظل إلى ما بعد دخول الاسلام. ومنذ القرن الثاني عشر وإلى يومنا هذا كان ذوو المكانة من الناس يدفنون حول قبر قثم، بل وقامت هناك مدرسة عرفت باسمه(٢٤٨). وأول وصف مفصل للقبر يقدمه لنا ابن بطوطة(٢٤٩)، ومنه يبدو أنه قد وجد هناك ضريح في العهد السابق للعصر التيموري يفوق من حيث روعته الضريح الحالي بمراحل، ويرجع ابن بطوطة بزمن بنائه الى الفترة السابقة للغزو المغولي. ووفقاً لألفاظه فان التتار وهم على وثنيتهم لم يمتنعوا فحسب عن إلحاق ضرر بذلك المزار بل أخذوا بدورهم في التبرك به «لما يرون له من الآيات». ويرد وصف القبر لدى ابن بطوطة بالصورة الآتية: «وبخارج سمرقند قبر قثم بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عن العباس وعن ابنه وهو المستشهد حين فتحها. ويخرج أهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة إلى زيارته، والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة ويأتون إليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير فيصرف ذلك في النفقة على الوارد والصادر ولخدام الزاوية(٢٥٠) والقبر المبارك. وعليه قبة قائمة على أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام منها الخضر والسود والبيض والحمر، وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب وسقفها مصنوع بالرصاص. وعلى القبر خشب الأبنوس المرصع مكسو الأركان بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة، وفرش القبة بالصوف والقطن. وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هنالك وعلى/حافتيه الأشجار 144 ودوالي العنب والياسمين، وبالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر».

وكان يتبع ولاية سمرقند اثنا عشر رستاقاً(٢٥١)، ستة منها جنوبي زرفشان هي: بونجكث (أو پنجكث)، ورغسر، ما يْمرُغ، سنجرفغان، درغم، ابغر؛ وستة إلى الشمال

---

(٢٤٨) Teksty, str. 65 (السمعاني؛ وطبعة مرجليوث، تحت لفظ «الكشاني»). وينقل لاپين قصة تنسب بناء المدرسة الى السلطان سنجر وذلك عن «تاريخ نيشابور» لأبي عبد الله البيّع. وفي الواقع ان القصة منقولة عن كتاب حديث هو «السمرية» لأبي طاهر خواجه الذي نشره ڤسيلوڤسكي عام ١٩٠٤ (أنظر ص ٢٢) ونقله الى الروسية ڤياتكين في (.SKSO, vyp. VI (str. 175 i sl أنظر نقدي له في .ZVORAO, t XII, str. 0122 i sl.

(٢٤٩) ابن بطوطة، الجزء الثالث، ص ٥٢ - ٥٤. عن قراءة اسم «ابن بطوطة» راجع Fischer, Battuta, s. 289

(٢٥٠) «الزاوية» مكان التعبد، وأيضاً الاستضافة؛ ومن الواضح أن استعمالها هنا بالمعنى الثاني، أو ربما بمعنى «المدرسة».

(٢٥١) الاصطخري، ص ٣٢٠ - ٣٢٣؛ ابن حوقل، ص ٣٦٩ - ٣٧٣.

منه وهي: ياركث، بورنمذ، بوزماجن، كبوذ نجكث، وذار، مرزبان. وقد جرى تعداد الرساتيق من الشرق إلى الغرب، وبعضها مثل ما يمرغ (الذي كان يضم سابقاً ورغسر وسنجرفغان) وكبوذ نجكث[٢٥٢] وأبغر[٢٥٣] كانت تكوّن في الأزمنة السابقة للإسلام إمارات منفصلة. وكانت رساتيق ورغسر وما يمرغ وسنجرفغان[٢٥٤] ودرغم ترويها قنوات تخرج من ورغسر، وكان رستاق درغم يعتبر أخصب رساتيق المنطقة كما اشتهر أيضاً بكرومه[٢٥٥]. وقد شغلت المنطقة المزروعة بالري والممتدة من ورغسر إلى الطرف الغربي لدرغم عشرة فراسخ في الطول وأربعة مثلها في العرض. أما رستاق أبغر -(وهو حالياً مركز چشمه آب) فلم يعرف الري الصناعي إذ غلبت عليه المراعي وزراعة الأمطار ولكن غلته كانت وافرة (مائة ضعف وأزيد)، بل إن عدد قراه جاوز عدد قرى غيره من الرساتيق. ويوكد ابن حوقل أنه في الأعوام التي يجود فيها المحصول فان أراضي أبغر كان باستطاعتها إطعام سكان الصغد بأجمعه[٢٥٦]. وكان طول هذا الرستاق مرحلتين، وكانت مساحة بعض قراه تمتد نحو فرسخين وأكثر. وعلى بعد مرحلتين أسفل سمرقند كانت تخرج قناة بَيْ أو فَيْ[٢٥٧] من الضفة الجنوبية للنهر وتجري مسافة مرحلتين، وكانت المنطقة التي ترويها هذه القناة تعتبر من أخصب نواحي الصغد وأكثفها سكاناً، وكانت فَيْ أيضاً إمارة مستقلة في غابر الزمان[٢٥٨]. ولم تكن توجد مدن كبيرة إلى جانب سمرقند في المناطق الواقعة إلى الجنوب من نهر زرفشان، وبنجيكث/وحدها هي التي كان بها 145 مسجد جامع؛ هذا وقد انتشرت في نواحي هذا الرستاق أشجار الفاكهة واحتل المكانة

---

(٢٥٢) Tomaschek, Sogdiana, S. 79 - 87. أنظر أيضاً Marquart, Die Chronologie, S. 56 sq. Chavannes, Documents, p. 134 sq.

(٢٥٣) ابن الأثير، الجزء الخامس، ص ٦٨.

(٢٥٤) لا يزال اسم سنجرفغان محفوظاً لنا في الاسم الحالي زنجيرباغ وهي قرية على الضفة اليمنى لينكي اريق؛ أنظر مخطوطة المتحف الآسيوي e 574 ag (وهي «وقفنامه» من القرن السادس عشر) الورقة ٣٨أ والورقة ٦٧ب. أنظر أيضاً Viatkin, Materialy, str. 38

(٢٥٥) يرد درغم على أنه اسم «لواد» في الأبيات التي يستشهد بها ياقوت (المعجم، الجزء الثاني، ص ٥٦٨).

(٢٥٦) وفقا لقول المقدسي (ص ٢٧٩) فإنه يكفي «الصغد كله وبخارا سنتين».

(٢٥٧) يجب قراءتها «فيّ» وليس «قيّ» كما يدل على ذلك الاسم الحديث نربي أي نهربي؛ راجع كتابي Oroshenie, str. 117 لذا فان تفسيرات ماركفارت خاطئة. (Die Chronologie, S. 60; Eranšahr, S. 29, n. 2; Die Komanen, S. 197)

(٢٥٨) Marquart, Die Chronologie, S. 60 حيث يرد الكلام عن مَلك لفّي (نقلا عن الطبري، القسم الثاني، ص ١٤٢٢).

الأولى بكثرة فواكهه خاصة اللوز والجوز. وبرستاق مايمرغ وجد عدد كبير من القصور، كما اشتهر هذا الرستاق أيضاً بخيراته الكثيرة. وهنا في ريودد وهي القرية الرئيسية للمنطقة كانت تقوم قصور الاخشيديين حكام الصغد قبل الإسلام[٢٥٩]. ووفقاً للسمعاني[٢٦٠] فإن ريودد كانت على مسافة فرسخ واحد من سمرقند وكان «ينزل بها عسكر سمرقند في بعض الأوقات». هذا وقد امتدت ولاية سمرقند جنوباً إلى جبال الشاوذار التي كانت تمثل رستاقاً قائماً بذاته يضم من بين قراه قرية للنساطرة باسم وازكرد ذكرها الاصطخري ووصفها ابن حوقل بالتفصيل، ولعلها هي نفس قرية وازد أو ويزد الواقعة على جبل الشاوذار والتي يجعلها السمعاني[٢٦١] على أربعة فراسخ من سمرقند. وكان رستاق الشاوذار يمتد إلى مسافة عشرة فراسخ فأكثر، ولم يكن بنواحي سمرقند «رستاق أصح هواء ولا أجود زرعاً ولا أحسن فاكهة منه»، حتى ابتنى فيه الرهبان النصارى بيعهم وقلّاياتهم (cells)؛ وقد أبصر فيه ابن حوقل جماعة من نصارى العراق «انتجعوه لطيبته وقصدوه لعزلته ونزهته وبه وقوف ويعتكف به قوم منهم». ويعتقد ڤياتكين Viatkin أن قرية النصارى هذه هي نفس قرية كنكير Kingir الحالية بمقاطعة اركوت Urgut[٢٦٢].

أما الرساتيق الشمالية فقد كان اثنان منها وهما ياركث وبورنمذ يتاخمان ولاية أسروشنه المجاورة، ولم تبلغ إليهما مياه زرفشان لذا فقد اعتمدا في ري أراضيهما على العيون وعلى مياه الأمطار. وكان السمعاني[٢٦٣] يضم ياركث الى أسروشنه، هذا بينما يضم ياقوت[٢٦٤] الى أسروشنه رستاق بورنمذ. وكان هذا الرستاق الأخير يقع على مسافة أربعة فراسخ من زامين، وذلك على الطريق الرئيسي الخارج من سمرقند[٢٦٥]. أما رستاق بوزماجن فكانت

---

(٢٥٩) المقدسي، ص ٢٧٩.

(٢٦٠) Teksty, str. 58 (السمعاني؛ وأيضاً طبعة مرجليوث تحت لفظ «الريو د دي»).

(٢٦١) Teksty, str. 68 (السمعاني؛ وأيضاً طبعة مرجليوث تحت لفظ «الوازدي»).

(٢٦٢) Materialy, str. 37; K istoricheskoi geografii, str. 159; sl. وإلى الشمال الغربي من اركوت وعلى مقربة من قرية صوفيان تم العثور على كتابة graffiti مسيحية فيها صورة الصليب وأحرف سريانية؛ راجع Bartold, Otchet o komandirovke v Turkestan (1920 g.), str. 215

(٢٦٣) ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ١٠٠١؛ السمعاني، تحت لفظ «الياركثي».

(٢٦٤) المعجم، الجزء الأول، ص ٧٥٥.

(٢٦٥) ابن خرداذبه، ص ٢٧؛ قدامة، ص ٢٠٣.

ترويه قناة تحمل نفس الإسم، ومدينته الرئيسية هي باركث أو أباركث[٢٦٦] الواقعة على الطريق الرئيسي من سمرقند إلى سيزدريا على مسافة أربعة فراسخ من سمرقند[٢٦٧]؛ ووفقاً لقول السمعاني وياقوت فقد كانت هذه المدينة تتبع أسروشنه حيناً ما[٢٦٨]. وكان
146 يقطع رستاق وذار قناة سناواب التي كانت تبلغ إلى اشتيخن، بينما كانت تروي رستاقي كبوذ نجكث ومرزبان قناة منفصلة تخرج من النهر قبالة سمرقند؛ ويفصل كلاً من مدينتي كبوذنجكث ومرزبان عن سمرقند فرسخان[٢٦٩]. ويجعل توماشيك[٢٧٠] مدينة كبوذنجكث قرية كبدان Gubdan أو كبدون Gubdun الحالية[٢٧١]. أما وذار فكانت هي وبعض رساتيقها مركزاً من مراكز تجمع العرب في حوض زرفشان، وكان هذا الفريق من بكر بن وائل ويسمون أنفسهم السُباعيين نسبة إلى أبي مزاحم سُباع بن النضر السكري الذي شيد المسجد الجامع هناك والمتوفي في جمادي الأولى من عام ٢٦٩ هـ = نهاية عام ٨٨٢[٢٧٢]. وفي زمن ابن حوقل كان التدهور قد بدأ يأخذ طريقه إلى تلك المستعمرة العربية ولكنها كانت لا تزال حافظة لبعض مظاهر عزها السابق، وقد زار السمعاني قبر سباع بن النضر. وفي وذار كانت تقوم صناعة الأنسجة القطنية التي تمتعت بسمعة واسعة واشتد الطلب عليها في العراق نفسها، وقد أثنى عليها ابن حوقل كثيراً[٢٧٣]. أما رستاق المرزبان

---

(٢٦٦) المقدسي، ص ٢٧٩.

(٢٦٧) الاصطخري، ص ٣٣٤ و٣٤٢.

(٢٦٨) ياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٤٦٤؛ السمعاني، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٣٨؛ طبعة مرجليوث تحت لفظ «الباركثي» (في الطبعة المصورة يرد خطأ «الأباركثي»، وأسفل ذلك «أباركث»). وكانت باركث في الموضع الذي بنى فيه تيمور قرية شيراز؛ Bartold, Oroshenie, str. 111

(٢٦٩) الاصطخري، ص ٣٤٢. ووفقاً للسمعاني Teksty, str. 68 (وطبعة مرجليوث، تحت لفظ «الوذاري») وياقوت (المعجم، الجزء الرابع، ص ٩١٦) فإنه من سمرقند الى وذار أربعة فراسخ. ويضيف السمعاني أنه كان بها حصن ومسجد جامع ومنارة.

(٢٧٠) Tomaschek, Sogdiana, S. 85

(٢٧١) يذكر بابر (طبعة بفريدج، الورقة ٥٩ ب؛ الترجمة، الجزء الأول، ص ٩٨) قريتي كابُد وشيراز؛ وكابد هي بيش اريق الحالية (Viatkin, Materialy, str. 70)

(٢٧٢) السمعاني، شرحه. وعام ٢٠٩ هـ الذي يذكره ياقوت (الجزء الرابع، ص ٩١٧) سهو، لأن السمعاني يوكد أن أبا مزاحم لم يعد الى وطنه من العراق إلا في عام ٢٣٣ هـ.

(٢٧٣) ابن حوقل، ص ٤٠٣.

فينسب الى المرزبان بن تركش(٢٧٤) حاكم هذه المقاطعة « الذي كان أُستدعي الى العراق في جملة دهاقين السغد ».

وإلى الشمال الغربي من سمرقند كانت تقع مقاطعتا اشتيخن وكُشانيه(٢٧٥) اللتان كانتا تكونان وحدة إدارية قائمة بذاتها ولذا فلم تحسبا ضمن رساتيق سمرقند. ومن سمرقند إلى اشتيخن كانت تعد سبعة فراسخ، ومن اشتيخن إلى كشانيه مرحلة أو خمسة فراسخ(٢٧٦)؛ والسمعاني وياقوت(٢٧٧) يجعلان أيضاً المسافة من سمرقند الى كشانيه اثني عشر فرسخاً. وكانت قناة اشتيخن كما رأينا تخرج من نهر زرفشان عند غوبار. ولا تزال قرية اشتيخن موجودة إلى أيامنا هذه، وفي القرن العاشر كانت اشتيخن مدينة مرموقة مكونة من شهرستان وقلعة وربض. وفي القرن الثامن وذلك عقب احتلال العرب لسمرقند/نقل الاخشيديون عاصمتهم إليها(٢٧٨). وكان خراج أسواق اشتيخن وقرى 147 أخرى يذهب الى القائد عجيف بن عنبسه(٢٧٩) الذي يرد ذكره في تاريخ الخلفاء. وقد استصفي الخليفة المعتصم أملاك هذا القائد، ثم أقطعها المعتمد (٨٧٠ - ٨٩٢) محمد بن طاهر حاكم خراسان (٨٦٢ - ٨٧٣). وكان طول اشتيخن خمس مراحل وعرضها مرحلة واحدة، وكان يحدها من الشمال الشرقي جبال ساغرج. والإسم الأخير وفقاً للسمعاني وياقوت(٢٨٠) كانت تحمله أيضاً قرية من قرى مقاطعة اشتيخن تقع على خمس فراسخ من سمرقند. وكانت تقوم في نفس الناحية مدينة افَرينكث أو فرنكث، وهي فرنكنت Frinkent أو پرنكنت Prinkent الحالية التي بناها في القرن السابع افارون أخو غورك أمير سمرقند(٢٨١). أما مقاطعة كشانيه فكانت تماثل اشتيخن في عرضها (بل إن المقدسي

---

(٢٧٤) يرد اسمه من بين متهمي الأفشين أثناء محاكمته (٢٢٥ هـ = ٨٤٠). راجع الطبري، القسم الثالث، ص ١٣١٠ و١٣١٢؛ وابن الأثير، الجزء السادس، ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢٧٥) الاصطخري ص ٣٢٣؛ ابن حوقل ص ٣٧٤ - ٣٧٥؛ المقدسي ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢٧٦) الاصطخري، ص ٣٤٢؛ ابن حوقل، ص ٤٠٣.

(٢٧٧) المعجم، الجزء الرابع، ص ٢٧٦؛ السمعاني تحت لفظ « الكشاني ».

(٢٧٨) راجع مقالي Die alttürkischen Inschriften. S. 21–22

(٢٧٩) من قوّاد الخليفتين المأمون والمعتصم؛ غدر برافع بن الليث عام ١٩٢ هـ = ٨٠٨ ودخل في خدمة الخليفة (الطبري، القسم الثالث، ص ٧٣٢؛ ابن الأثير، الجزء السادس، ص ١٤٢)؛ قتل بأمر المعتصم في عام ٢٢٣ هـ = ٨٣٨ (الطبري، القسم الثالث، ص ١٢٦٥ - ١٢٦٦؛ ابن الأثير، الجزء السادس، ص ٣٤٩).

(٢٨٠) المعجم، الجزء الثالث، ص ١١.

(٢٨١) أنظر الفهرست، الجزء الأول، ص ١٨؛ Teksty, str. 48 (نسفي، القندية، ترجمة ڤياتكين ص ٢٤١)؛ =

يحدد عرضها على وجه الدقة بأنه مرحلتان)، ولكنها كانت تقل عنها كثيراً من حيث الطول (مرحلتان فقط). وكانت مدينة كشانيه أكثر مدن الصغد عمراناً (بعد سمرقند بالطبع)، لذا فقد أطلق عليها الاصطخري «قلب الصغد». وفي العهد السابق للإسلام كانت تكوّن إمارة منفصلة[٢٨٢]، بل إن الطبري[٢٨٣] يتحدث عن كشان شاه؛ ووفقاً لابن خرداذبه[٢٨٤] فان كشان شاه كان يوماً لقباً لملوك ما وراء النهر. ويغلب على الظن أن هذا القول ينطبق على فترة سيادة اليويه - تشيه Yueh-Chih أو الكوشان Kushans على بلاد ما وراء النهر، واسم الكوشان قد أطلق أيضاً بالتالي على الشعب الذي تلاهم في السيطرة على تلك البلاد وهم الهياطلة أو الهبطاليون[٢٨٥] Hephtalites. ويذكر الاصطخري[٢٨٦] المسافة من اشتيخن وكشانيه إلى المدن الواقعة بين سمرقند وبخارا، فيقول إنه من اشتيخن إلى زرمان فرسخ واحد ومن كشانيه إلى ربنجن أواربنجن فرسخان.

148 أما الطريق التي كانت تصل بين المدينتين الرئيسيتين لبلاد ما وراء النهر وهما سمرقند وبخارا والتي كانت تعرف باسم «الطريق الملكي» (شاه راه)[٢٨٧] فكانت على الدوام ذات أهمية كبرى. وكان يعد من سمرقند إلى بخارا سبعة وثلاثون أو تسعة وثلاثون فرسخاً، وست أو سبع مراحل[٢٨٨]. وكانت أولى القرى على هذا الطريق هي زرمان على مسافة سبعة فراسخ من سمرقند؛ ويرد ذكر هذه القرية منذ القرن

= Bartold, O khristianstve v Turkestane, str. 9. وكانت افرينكث الى القرن السابع عشر موضع إقامة حاكم أوبيك، وعقب هذا حلت محلها دهبيد. وسكان القريتين إيرانيون (تاجيك)؛ كذلك يوجد بافرينكث بعض العرب (Viatkin, Materialy, 57 i sl.)

(٢٨٢) Tomaschek, Sogdiana, S. 89 - 99

(٢٨٣) Marquart, Die Chronologie, S. 59

(٢٨٤) ابن خرداذبه، ص ٤٠. لذا فإن توماشيك مصيب على ما يبدو في اعتباره كشانيه عاصمة للكوشان.

(٢٨٥) وفقاً للمؤرخين الصينيين فقد كان بكشانيه مبنى به صور لأباطرة الصين والترك والفرس والرومان والهنود البراهمة (Chravannes, Documents, p. 145). ويعرف الموضع اليوم باسم كشان - اتا Kashan - Ata (Viatkin, Materialy, str. 49)

(٢٨٦) الاصطخري، ص ٣٤٣؛ وحافظ ابرو (Bartold, Khafizi-Abru, str. 21) يعطينا أيضاً المسافة من كشانية الى دبوسية (خمسة فراسخ).

(٢٨٧) هذه التسمية يستعملها نرشخي (طبعة شيفير، ص ١١).

(٢٨٨) الاصطخري، ص ٣٣٤؛ ابن الفقيه، ص ٣٢٥؛ ابن خرداذبه، ص ٢٦، قدامة، ص ٢٠٣.

الثامن(٢٨٩) والغالب أنها في موضع چمباي Chimbai الحالية(٢٩٠). وبين سمرقند وزرمان، وعلى بعد فرسخين من الأولى كان يقع قصر علقمة(٢٩١). أما المدينة التالية وهي ربنجن أو اربنجن، على مسافة خمسة أو ستة فراسخ من زرمان، فيرد ذكرها أيضاً منذ القرن الثامن(٢٩٢). وأغلب الظن أنها كانت تقع إلى الغرب قليلا من قتاقرغان Katta-Kurgan الحالية وغير بعيد من تلال زرابولاق. وفي القرن الثاني عشر خربت المدينة أثناء حملة خوارزمشاه ايل ارسلان(٢٩٣) (عام ١١٥٨). واستناداً على المسافات فإن محلة فَيْ التي مر ذكرها قبل قليل (صفحة ١٨٤) والتي ترويها القناة التي تحمل نفس الإسم إنما هي نفس مدينة ربنجن ونواحيها(٢٩٤). والمنازل الرئيسية التي تلي ذلك على هذا الطريق وهي دبوسية وكرمينيه وطواويس ترجع إلى نفس ذلك العهد البعيد. ولا يزال اسم دبوسية (وهي على خمسة فراسخ من ربنجن) محفوظاً لنا في اسم خرائب قلعه دبوس الواقعة إلى الشرق قليلاً من قرية ضياء الدين، وأغلب الظن أن دبوسية القديمة كانت تضم أيضاً قلعه ضياء الدين الملاصقة لأكوام الخرائب والتي كانت مقراً لحاكم المنطقة. ويقول ن. ف. ستنياكوفسكي N.F. Sitniakovsky(٢٩٥)، الذي فحص هذه الخرائب «إن الجبانة

---

(٢٨٩) الطبري، القسم الثاني، ص ١٥٢٩.

(٢٩٠) زرمان اليوم قرية صغيرة جداً (Viatkin, Materialy, str. 76)

(٢٩١) كوشك علقمة، أو «إمام أتاي علقمه» لا تزال تحمله الى اليوم قرية على مسافة ١٦ ڤرست (عشرة أميال) من سمرقند على الطريق الرئيسي الى بخارا (Viatkin, Materialy, str. 55؛ أبو طاهر خواجه، ترجمة ڤياتكين، ص ٢٥٤).

(٢٩٢) الطبري، القسم الثاني، ص ١٢٤٩.

(٢٩٣) Teksty, str. 58 (السمعاني، تحت لفظ «الربنجي»).

(٢٩٤) لا تزال قناة نربي Narpay الى اليوم المصدر الوحيد للري بمنطقة قتاقرغان؛ ويرى خانيكوف (Opisanie Bukharskogo khanstva, str. 35) أنها لم تكن قناة صناعية بل ذراعاً طبيعية للنهر. فان صح أنها كانت قناة صناعية فإنها تكون قد حفرت عقب زمان الاسكندر عندما خربت «مراكنده» (سمرقند) وتحول المركز السياسي في حوض زرفشان ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد، كما تحدثنا المصادر الصينية، الى منطقة قتاقرغان الحالية. ولا يرد ذكر لسمرقند في المصادر الصينية قبل القرن الخامس للميلاد. وقريباً من زرا بولاق يوجد الآن تل يعرف باسم رمجن أو رميجن تپه، وذلك على الحدود السابقة (قبل عام ١٩١٤) بين روسيا وإمارة بخارا؛ أنظر Viatkin, Materialy, str. 55; Pospelov, Materialy, str. 108

(٢٩٥) Soobshchenie v zasedanii TKLA 21 aprelia 1898 g., str. 92. وقد زار المرحوم ل. زيمين L.Zimin الأطلال مرة أخرى عام ١٩١٥ وترك لنا وصفاً أكثر تفصيلا (طبع عام ١٩١٧؛ راجع (Zimin, Kala-i Dabus

الكبيرة تشير إلى أن ثمة مدينة ما قد وجدت فعلاً في هذا المكان ». وينسب بناء القلعة
149 (خطأ في أغلب الظن) في القرن الخامس عشر إلى جلال الدين آخر شاهات خوارزم[٢٩٦].
وعلى مسافة خمسة فراسخ من دبوسية قامت كرمينيه، وهي كرمينه Kermine الحالية، ويعد نرشخي المسافة من بخارا إلى كرمينيه على أنها أربعة عشر فرسخاً، بينما يجعلها السمعاني وياقوت[٢٩٧] ثمانية عشر فرسخاً. ووفقاً لرواية محلية حفظها لنا نرشخي فإن هذه المدينة كانت تدعى في الأصل بادية خُردك (أي حرفياً « الجرة الصغيرة »)، وثمة اشتقاق آخر للاسم غير مقبول كثيراً وينسبه السمعاني إلى أحد علماء كرمينيه في القرن الثاني عشر، ومؤداه أن المدينة أخذت اسمها من العرب الذين وجدوا المنطقة المحيطة بالمدينة « كأرمينيه » (أي أشبه ما تكون بأرمينيا) في خصب تربتها وكثرة مياهها. وقد وجد السمعاني المدينة أنقاضاً، ويغلب على الظن أن المسؤول عن ذلك هو خوارزمشاه ايل ارسلان؛ وفي القرن الخامس عشر قامت في هذا الموضع من جديد مدينة كبيرة[٢٩٨].
وعلى بعد فرسخ (أو فرسخين على حد قول السمعاني) إلى الشرق من كرمينيه، وذلك على مسافة تقرب من ثلاثمائة وخمسين ياردة[٢٩٩] إلى الشمال من الطريق الرئيسي، كانت تقوم قرية خديمنكن التي اختصت في القرن الثاني عشر « بأهل الحديث » أي الشافعية، وكان بها مسجد جامع[٣٠٠]. وإلى الشمال من النهر وعلى مسافة فرسخ واحد من كرمينيه كانت تقوم قرية خرغانكث، وقريباً منها قرية مذيامجكث. وتوماشيك[٣٠١] يربط خرغانكث (وهي قلقان اتا Kalkan-ata الحالية) باسم امارة هوهان Ho-han التي تجعلها الرواية الصينية بين كشانيه وبخارا.

---

(٢٩٦) Bartold, khafizi-Abru, str. 19 (المتن الفارسي); str. 21 (الترجمة)

(٢٩٧) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٠ Teksty, str. 65 (السمعاني تحت لفظ « الكرميني »)؛ ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ٢٦٨.

(٢٩٨) Bartold, Khafizi-Abru, str. 21

(٢٩٩) لدى الاصطخري (ص ٣١٦ و٣٤٣): غلوة. ووفقاً لألفاظ ابن رسته (ص ٢٢) فإن « الفرسخ أربع وعشرون غلوة »، أي أكثر من ربع الكيلومتر قليلا.

(٣٠٠) Teksty, str. 56 (السمعاني، تحت لفظ « الخديمنكني »).

(٣٠١) Chavannes, Documents, pp. 137, 273; Tomaschek, Sogdiana, str. 99-100. وثمة قصة يتناقلها الأهالي إلى الآن وترتبط بملك محلي يدعى خرخان (Sitniavski, Soobshchenie v zasedanii TKLA 21 Apreлa 1898 g., str. 94)

أما القرية التالية لهذا فكانت طواويس على مسافة سبعة أو ثمانية فراسخ[٣٠٢] من بخارا ، وكانت داخل السور الذي يحيط ببخارا وضواحيها[٣٠٣]. وقد أخذت اسمها العربي في عام ٩١ هـ = ٧١٠[٣٠٤]، فهنا ولأول مرة أبصر العرب بالطواويس التي كان يقتنيها أغنياء البلد ويحفظونها في منازلهم على حد قول نرشخي[٣٠٥]، أو كانت مطلوقة في القرية على حد قول الطبري. والاسم القديم للقرية كان ارفود[٣٠٦]، وإلى جانب بيت 150 الأوثان وجد بارفود أيضاً بيت لعبدة النار. وفي العهود الغابرة كان يعقد هنا سوق مرة في السنة وذلك في أواخر الخريف ويستمر لمدة عشر أيام (أو سبعة وفقاً للبيروني)[٣٠٧]؛ وكان من تقاليد هذه السوق أن السلع المشتراة فيها لا يمكن ردها بأية حال حتى ولو ثبت بالتالي تدليس التاجر. وفي هذه السوق كان يجتمع التجار من مختلف نواحي بلاد ما وراء النهر، حتى من فرغانه والشاش؛ وقد كانت هذه الأسواق مصدر ثروة للسكان الذين لم يحفلوا كثيراً بالزراعة. وبطواويس وجد مسجد جامع إلاّ أنه كان أصغر من مسجد كرمينيه، أما قلعتها فكانت في حالة خراب منذ نهاية القرن العاشر[٣٠٨]، وفي القرن الخامس عشر كانت القرية نفسها قد اختفت[٣٠٩]. أما قرية كوك أو كوكشيغن فقد كانت تقع على بعد ستة فراسخ وفقاً لإحدى الروايات[٣١٠] أو ثلاثة وفقاً لرواية أخرى[٣١١]، وذلك إلى الشرق من طواويس، وكانت هذه القرية منزلاً للترك يجمعون فيها قواتهم للغارة على ولاية بخارا.

---

(٣٠٢) ثمانية لدى السمعاني (تحت لفظ « الطواويسي »).

(٣٠٣) الاصطخري، ص ٣١٣؛ المقدسي، ص ٢٨١.

(٣٠٤) الطبري، القسم الثاني، ص ١٢٣٠.

(٣٠٥) طبعة شيفير، ص ١١.

(٣٠٦) في طبعة نرشخي: ارفود؛ ولكن السمعاني (طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الأرفودي ») وياقوت (المعجم، الجزء الأول، ص ٢٠٩) يتحدثان عن ارفود بالفاء على أنها قرية قرب كرمينية على الطريق الى بخارا. ومن جهة أخرى فلعل لهذا الاسم علاقة باسم طواويس القديم وهو وَرْقود (السمعاني تحت لفظ « الورقودي »)، وهي وَرَقود لدى ياقوت (المعجم، الجزء الرابع، ص ٩٢٢) قرية من نواحي كرمينية.

(٣٠٧) الاثار الباقية، ترجمة زخاو، ص ٢٢١.

(٣٠٨) المقدسي، ص ٢٨١.

(٣٠٩) Bartold, Khafizi-Abru, str. 19 (المتن الفارسي)، str. 21 (الترجمة)؛ ومن المحتمل أن طواويس هي أطلال شهرويران (المدينة الخربة) الواقعة قرب السور والتي وصفها لنا زيين (Otchet o dvukh poezdkakh po Bukhare, str. 135 i sl.)

(٣١٠) ابن خرداذبه، ص ٢٦ (في صورة كوكشيجن - الناشرون).

وكانت الرحلة من بخارا الى طواويس تتم تارة في يوم وأخرى في يومين، وفي الحالة الثانية كانت المنزلة بين الاثنين قرية شرغ أو جرغ(٣١٢) على أربعة فراسخ من بخارا على ضفة قناة سامجن التي اشتهرت في الأزمنة التالية تحت اسم حرامكام؛ وفي القرن الثاني عشر شيد أرسلان خان محمد هنا قنطرة محكمة من الآجر. وفي مواجهة شرغ، أي على الضفة المقابلة من القناة، كانت تقوم قرية إسْكِجْكث أو سِكِجْكث(٣١٣)، وكانت كلتا القريتين مركزاً هاماً لأهل الحرف والتجار، الأمر الذي يرجع إليه ثراء سكانها. ولم تكن الزراعة وحدها مصدر ثرائهم لأن المحروث من أرض اسكجكث وغير المحروث لم يتجاوز في مجموعه الألف جفت. وكان يعقد باسكجكث سوق في كل يوم خميس، وأخرى بشرغ في كل يوم جمعة، ويحدثنا البيروني(٣١٤) أيضاً بأنه كان يعقد بشرغ في الأزمنة الغابرة سوق في منتصف الشتاء. وكانت اسكجكث، شأنها في هذا شأن اشتيخن، ملكاً للخليفة الذي أقطعها محمداً بن طاهر ثم باعها هذا الأخير لسهل بن أحمد الداغوني الذي ابتنى لنفسه بها قصراً عظيماً واسعاً على ضفة القناة هدمته فيما بعد مياه زرفشان. وفي القرن الحادي عشر وفي عهد إمارة شمس الملك نصر بنى أحد سكان القرية ويدعى خوانسلار مسجداً جامعاً بها من خالص ماله، غير أن صلاة الجمعة لم تعقد به سوى مرة واحدة وعُطلت استجابة لشكوى أئمة بخارا. وفي القرن الثاني عشر شيّد ارسلان خان محمد رباطاً في اسكجكث ومسجداً جامعاً بشرغ(٣١٥). وقريباً من شرغ واسكجكث كانت تقع قرى بجكث(٣١٦) (على أربعة فراسخ من بخارا ونصف فرسخ شمالي الطريق) وسكبيان(٣١٧) (قرب بجكث) وديمس (التي يجعلها المقدسي(٣١٨) على الطريق بين طواويس وبخارا بينما يجعلها السمعاني(٣١٩) على ثلاثة فراسخ من بخارا).

151

---

(٣١١) قدامة، ص ٢٠٣.

(٣١٢) ياقوت، المعجم، الجزء الثالث، ص ٢٧٦. والأصح قراءتها «چرغ».

(٣١٣) شرحه، ص ١٠٦.

(٣١٤) الآثار الباقية، ترجمة زخاو، ص ٢٢٢.

(٣١٥) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١١ - ١٣.

(٣١٦) الاصطخري، ص ٣١٥ و٣٤٢؛ ياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٧٣٧.

(٣١٧) السمعاني، تحت لفظ «السكبياني»؛ ولا يورد ياقوت شيئاً بصدد موقع القرية (المعجم، الجزء الثالث، ص ١٠٦).

(٣١٨) المقدسي، ص ٣٤٢.

(٣١٩) تحت لفظ «الديمسي»؛ وقبل ذلك (تحت لفظ «الديماسي») يرد أن «ديماس» معناها «الحمّام»؛ أما ياقوت فلا يذكر شيئاً عن المسافة.

وبخارا[٣٢٠] على النقيض من سمرقند شغلت على الدوام موقعها الحالي ، بل ويمكن القول بأن خطط المدينة لم تتغير كثيراً خلال ألف عام على الرغم مما تعرضت له مرات عديدة من نهب وتخريب على أيدي الغزاة من الرحّل. وعلى عهد السامانيين كانت المدينة تنقسم بالطبع إلى قلعة. وشهرستان وربض ، وكان الشهرستان يقع على مقربة من القلعة وكلاهما على نشز من الأرض حتى تعذّر رفع الماء إليهما[٣٢١]. ومن هذا يستبين لنا أن الشهرستان كان يحتل القسم الوسط المرتفع من المدينة الحالية (والذي لا يصل إليه الماء حتى هذه اللحظة)[٣٢٢]. أما مبنى القلعة[٣٢٣] فقد كان يختلف قليلاً عما هو عليه الآن ، فكان لها بابان أحدهما باب الريكستان (في الغرب) والآخر باب المسجد الجامع (في الشرق). والباب الثاني يطلق عليه نرشخي اسم باب غوريان ، كما أن الباب الأول كان يسمى في القرن الثاني عشر باب « علف فروشان » أو « كاه فروشان »[٣٢٤] (أي باعة العلف) ، وكان يقطع القلعة شارع يصل بين البابين الغربي والشرقي[٣٢٥]. وكان بداخل القلعة وفقاً لرواية الاصطخري قلعة أخرى كانت مسكناً للحكام من آل سامان. ومما لا شك فيه أن المقصود بالقلعة الداخلية هو القصر (كاخ) الذي يتحدث عنه نرشخي والذي تم تشييده في

---

(٣٢٠) (عن خطط بخارا وتاريخها في الفترة من القرن الثامن الى القرن الثالث عشر أنظر المراجع الأساسية الآتية والتي رأت النور بعد ظهور الطبعة الروسية الأولى « لتركستان »: Bartold, «Bukhara», (EI, I); Umniakov, k voprosu ob istoricheskoi topografii; Shishkin, Arkhitekturnye pamiatniki; Shishkin, Goroda Uzbekistan; Pugachenkova– Rempel, Bukhara; Sukhareva, K istorii – الناشرون).

(٣٢١) الاصطخري ، ص ٣٠٥ و٣٠٧.

(٣٢٢) (بدلا من هذه الجملة التي وضعتها بين قوسين ، جاء في الترجمة الانجليزية للكتاب (ص ١٠٠) ما نصه: «Which is even now very conspicuous» أي بمعنى أن ذلك واضح للعيان ، أو أمر بيّن الى اليوم. وهذا لا يتفق مع ألفاظ المتن الروسي. ولا أدري هل أجرى المستشرق الكبير هذا التعديل بنفسه ،ولِمَ لَمْ يسجله الناشرون السوفيت. على أية حال فإنا نسجل الاختلاف بين المتنين تاركين للقارىء فرصة الخروج منها بما يريد – المترجم).

(٣٢٣) الاصطخري ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ ؛ نرشخي ، طبعة شيفير ، ص ٢١ – ٢٣.

(٣٢٤) هكذا لدى نرشخي (طبعة شيفير ، ص ٧ و٢٢) ؛ غير أنه يمكن أن يفهم من موضع آخر من متن نرشخي (ص ٢١) أن هذه التسمية حملها الباب الشرقي.

(٣٢٥) كلا البابين (ولم يتبق الآن سوى الغربي منهما) يرد ذكرهما في القرن الخامس عشر أيضاً ؛ Bartold, Ulugbek, str. 51

القرن السابع على يد بخار خدات بيدون[٣٢٦]؛ وهو الذي بنى القلعة الكبرى أو أعاد
152 ترميمها. وكان اسم بيدون محفوظاً مدة طويلة على صحيفة من حديد مثبتة على باب القصر. وثمة رواية أخرى تقول إن القصر قد تهدم مراراً قبل أن ينجز بناؤه حتى عمل بيدون بنصيحة الحكماء فأقيم القصر على سبعة أعمدة حجرية بعدد نجوم بنات نعش فأمكن بعد هذا إتمام البناء وفيما بعد تهدم كل من القلعة والقصر فأعاد بناءهما ارسلان خان محمد في القرن الثاني عشر. وفي عام ٥٣٤ هـ = ١١٣٩ - ١١٤٠ هدم خوارزمشاه اتسز القلعة، وفي عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ - ١١٤٢ أعاد تعميرها البتكين حاكم المدينة من قبل القراخطاي، وفي عام ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ - ١١٤٤ هدمت مرة أخرى على يد الغز. وفي عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٥ استعمل آجرها في بناء سور ربض بخارا. وفي عام ٦٠٤هـ = ١٢٠٧ - ١٢٠٨ أعاد خوارزمشاه محمد بناء القلعة التي ظلت قائمة حتى تم تدميرها على يد چنكيز خان عام ١٢٢٠.

وكان شهرستان بخارا على نقيض شهرستان كل من سمرقند وبلخ ومرو ذا سبعة أبواب، ولعل مرجع ذلك كان لنفس تلك الاعتبارات التي أخذت في الحسبان عند بناء القصر داخل القلعة. وحفظت لنا أسماء أبواب الشهرستان لدى كل من الاصطخري[٣٢٧] ونرشخي[٣٢٨]، والأخير يوردها بالصورة الآتية[٣٢٩]: ١) باب السوق (باب الحديد لدى الاصطخري)، وقد عرف فيما بعد باسم باب العطارين؛ ٢) باب الشهرستان (باب المدينة لدى الاصطخري)؛ ٣) باب بني سعد؛ ٤) باب بني أسد، وكان يعرف في العهد السابق للاسلام باسم باب مهره؛ ٥) باب القلعة[٣٣٠]؛ ٦) باب حق راه؛ ٧) الباب الجديد، وقد تم تشييده في زمن متأخر عن الأبواب الأخرى[٣٣١]. ومن العسير تكوين فكرة دقيقة

(٣٢٦) يبدو أنه هو نفس الأمير بيدون الذي قدم من تركستان لمعاونة ملكة بخارا (نرشخي، ص ٤٠). ويدعو البلاذري بيدون (ص ٤١٣) أمير الصغد بأجمعه. ويرد الإسم لدى يوستي في صورة بندون وبَيْدون ونَيْدون (Justi, Iranisches Namenbuch, S. 62 b, 219 b)

(٣٢٧) الاصطخري، ص ٣٠٦.

(٣٢٨) طبعة شيفير، ص ٥٢ - ٥٦.

(٣٢٩) (في حالات معينة لم يكن بارتولد موفقاً في تحديده لأبواب بخارا. وقد تم تصحيح ذلك على يد سخاريڤا O.A. Sukhareva, K istorii, str. 36-44 - الناشرون).

(٣٣٠) في طبعة شيفير (ص ٥٤) يجب قراءة «كنديز» بدلاً من «كبريه»؛ راجع ترجمة نرشخي لدى ليكوشين Lykoshin ص ٧٢.

(٣٣١) هكذا وفقاً لتوضيح نرشخي؛ ونبصر في طبعة شيفير أنه بدلا من «نو» ترد أيضاً القراءة «نون» (ص ٥٢)؛ واعتماداً على المخطوطات العربية فضّل دي خويه قراءتها «نور».

استناداً على متن نرشخي عن مواقع هذه الأبواب، فيما عدا باب القلعة الذي كان يقف بطبيعة الحال في مواجهة القلعة؛ غير أنه يبدو جلياً أن باب بني سعد وباب بني أسد كانا قريبين الواحد من الآخر. وكان باب القلعة يعتبر أقوى أبواب الشهرستان أجمع، وقد وجد قريباً منه حصن شيده حاكم تركي يدعى سوباشي تكين (أي «الأمير قائد الجيش»)(٣٣٢). وفي هذا الموضع بالذات كانت تقوم بيوت العرب؛ وفي القرن العاشر كان هذا الحي الذي عرف باسم فغسدره في حالة خراب. أما باب حق راه (أي «طريق الحق») فيرجع السبب في تسميته إلى أنه كان يعيش بجواره الحكيم أبو حفص المتوفي عام ٢١٧ هـ = ٨٣٢(٣٣٣)، وقد تعوّد الناس أن يلجأوا إليه فيما أشكل عليهم من معضلات، 153 وكان القبر الذي دفن فيه هذا الحكيم قريباً من الباب الجديد: وفي موضع آخر من كتابه يشير نرشخي(٣٣٤) إلى وجود مدفن آخر يقوم الى جانب قبر أبي حفص إلاّ أنه أكبر منه؛ وتجعله الرواية الشعبية مدفن البطل الأسطوري افراسياب وكان على مقربة من «باب معبد» أو «باب قصر معبد». ووفقاً لنرشخي(٣٣٥) فإن هذا الباب الأخير يدين باسمه لحاكم المدينة العربي معبد الخيل(٣٣٦). ومن الباب الغربي للقلعة إلى باب معبد كان يمتد الريكستان(٣٣٧). ومن الجلي أن باب معبد إنما هو باب فغاسكون أو باب إمام الحالي(٣٣٨) حيث لا يزال يقوم «تل عريض مرتفع فوقه تلاّن آخران طويلان ضيقان»، وهذه التلال والمدافن لا تزال تحتلها حتى هذه اللحظة الجبانات والمقابر(٣٣٩) من كل هذا يتضح أن الباب الجديد كان في القسم الشمالي من الشهرستان، أما باب حق راه فهو أَمْيَلُ الى ناحية

---

(٣٣٢) «سوناس» في طبعة شيفير.

(٣٣٣) هذا التاريخ موضع للشك؛ ويرد ذكر لابن أبي حفص كرأس للمدينة عام ٨٧٤ هـ (أنظر أسفله).

(٣٣٤) طبعة شيفير، ص ١٥.

(٣٣٥) شرحه، ص ٥١.

(٣٣٦) (يجب قراءتها معبد الجليل (عامل بخارا من عام ١٤٨ هـ الى عام ١٥٧ هـ) - الناشرون).

(٣٣٧) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٤.

(٣٣٨) أخذ هذا الباب اسمه من اسم «الإمام الكبير» أبي حفص، ويظهر مقترنا باسمه في الآثار الأدبية؛ راجع مخطوطة خانيكوف رقم ٨١ بمكتبة GPB (تاريخ (الأمير) نصر الله)، الورقة ١١٧أ. ولا يزال قبر الإمام ماثلاً الى اليوم وإن كان الاسم ينطق حاليا ببخارا (خطأ) ابو حِفْص والنقش الحديث على القبر يحمل الكتابة الآتية: «استاد علماء ما وراء النهر». راجع Bartold, Otchet o kommandirovke v Turkestan (1920 g.), str. 215

(٣٣٩) Poslavski, Bukhara, str. 56

الشرق. وكان مسجد القرشيين على يمين الداخل المدينة من الباب الجديد، وذلك غير بعيد من دار أبي حفص.

أما سور الربض[٣٤٠] فقد بني في العهد الاسلامي وفي عام ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ - ٨٥٠ على وجه التحديد، وكان له كما هو الحال مع أسوار المدينة الحالية أحد عشر باباً. والاصطخري[٣٤١] يذكرها على التوالي مبتدءاً من الركن الجنوبي الغربي للمدينة، وذلك على النحو الآتي: ١) باب الميدان، الذي يؤدي الى طريق خراسان؛ ٢) باب ابراهيم، إلى الشرق منه؛ ٣) الريوْ؛ ٤) المردكشان (وهو المردقشة لدى الاصطخري)؛ ٥) كلاّباذ؛ ٦) النوبهار[٣٤٢]؛ ٧) سمرقند، الذي يخرج منه الطريق إلى سمرقند وسائر ما وراء النهر؛ ٨) فغاسكون؛ ٩) الراميثنه؛ ١٠) حدشرون، الذي يخرج منه الطريق إلى خوارزم؛ ١١) غُشَج. وكان بابا مردكشان وكلاّباذ يؤديان إلى طريق نسف (قرشي) وبلخ. ويمكن أن نستدل من جميع هذه المعطيات على

154

	أن	باب	الميدان	هو	باب	قراقول	الحالي
و	أن	باب	ابراهيم	هو	باب	شيخ جلال	الحالي
و	أن	باب	الريو	هو	باب	نمازكاه	الحالي
و	أن	باب	المردكشان	هو	باب	سلخانه	الحالي
و	أن	باب	كلاّباذ	هو	باب	كوله (قرشي)	الحالي
و	أن	باب	النوبهار	هو	باب	مزار	الحالي
و	أن	باب	سمرقند	هو	باب	سمرقند	الحالي
و	أن	باب	فغاسكون	هو	باب	امام	الحالي
و	أن	باب	الراميثنه	هو	باب	اوغلان	الحالي

---

(٣٤٠) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٣٣ - ٣٤.

(٣٤١) الاصطخري، ص ٣٠٦ وما يليها.

(٣٤٢) وفقاً لتوماشيك (Sogdiana, S. 103) فان اللفظ السكريتي «ڤِهارا» Vihâra اتخذ في دولة الهياطلة وأيضاً بالتالي لدى الأويغور والمغول صورة «بُخار» Buchâr هذا بينا نلتقي لدى الايرانيين عادة بالشكل «بهار» Behâr، وكبرهان على هذا يسوق لنا اسم معبد النوبهار (شرحه، ص ٧٩) ومواضع أخرى بنواحي بلخ. ووجود أبواب بسمرقند وبخارا تحمل اسم النوبهار ليقف دليلاً على أنه حتى في هذه المنطقة كان الشكل الايراني مستعملاً، على الأقل في عصر معيّن.

و أن باب حدشرون هو باب طليچ الحالي
و أن باب غشج هو باب شيركيران الحالي

ويذكر نرشخي[٣٤٣] في موضع من كتابه أنه عند احتلال العرب لبخارا كانت كلها تتكون من الشهرستان فحسب، ولكن يبدو من ألفاظه في مواضع أخرى[٣٤٤] أن بعض أقسام المدينة قد تمتع في الأزمنة السابقة للإسلام بشيء من الأهمية، وان كان من المحتمل ألا تكون قد دخلت آنذاك ضمن المدينة. وكانت حدود المدينة القديمة (أعني المدينة السابقة لعصر السامانيين والتي ترتفع إلى عهد أبي مسلم فيما يبدو)[٣٤٥] يمثلها سور آخر كان به أحد عشر باباً[٣٤٦] أيضاً أسماؤها كما يلي: ١) باب الحديد؛ ٢) باب قنطرة حسّان؛ ٣) و٤) بابان عند مسجد ماخ؛ ٥) رخنه[٣٤٧]، ٦) باب عند قصر أبي هشام الكناني؛ ٧) باب عند قنطرة السويقة؛ ٨) باب فارجك، ٩) باب دروازجه؛ ١٠) باب «سكة مغان» (أي شارع المجوس)؛ ١١) درب سمرقند الداخل. ويمكن أن نستدل من رواية لنرشخي[٣٤٨] بصدد الحريق الهائل الذي شب عام ٣٢٥ هـ = ٩٣٧ على أن مدرسة فارجك وبالتالي الباب الذي يحمل نفس الإسم كانا يقعان إلى الشمال من القناة الرئيسية للمدينة (والتي كانت كما نرى تشق بالتقريب نفس المواضع التي تشقها الآن)، وأن مسجد ماخ كان إلى الجنوب منها. وعلى هذا فإن تعداد الأبواب في هذه المرة يبدأ من ناحية الشمال الشرقي ويمكن تحديد مواقعها بالطريقة الآتية:

155

باب الحديد في مواجهة باب النوبهار (مزار)
باب قنطرة حسّان في مواجهة باب كلاّباذ (قرشي)
باب مسجد ماخ في مواجهة باب مردكشان والريو (سلخانه ونمازكاه)

(٣٤٣) طبعة شيفير، ص ٢٩.
(٣٤٤) شرحه، ص ١٩ - ٢٤.
(٣٤٥) أنظر شرحه، ص ٦٣.
(٣٤٦) الاصطخري، ص ٣٠٧؛ ابن حوقل ص ٣٥٦؛ المقدسي ص ٢٨٠.
(٣٤٧) أغلب الظن أنه يجب قراءتها ها هنا كما ورد لدى الاصطخري (ص ٢٧٨) «رحبة» (أي الميدان) بدلا من «رخنة».
(٣٤٨) طبعة شيفير، ص ٩٣ - ٩٤.

باب	رخنه	في مواجهة	باب	ابراهيم (شيخ جلال)
باب	قلعة هشام	في مواجهة	باب	الميدان (قراقول)
باب	قنطرة السويقة	في مواجهة	باب	غشج (شيركيران)
باب	فارجك	في مواجهة	باب	حدشرون (طليچ)
باب	دروازجه	في مواجهة	باب	الراميثنه (اوغلان)
باب	شارع المجوس	في مواجهة	باب	فغاسكون (امام)
باب	درب سمرقند الداخل	في مواجهة	باب	سمرقند

هذا السور المزدوج الذي كان يحيط بالمدينة أعاد بناءه أولاً ارسلان خان محمد في القرن الثاني عشر، ثم أعاده فيما بعد قليج طمغاج خان مسعود عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٥، وفي بداية القرن الثالث عشر أعاد بناءه خوارزمشاه محمد.

وقبل أن نشرع في تعداد الأسماء التي حفظت لنا عن أحياء بخارا وشوارعها يجب علينا أن نقف قليلاً للكلام على نظام الري بالمدينة[٣٤٩]. ووفقاً لقول نرشخي فإن القناة الرئيسية التي تجلب الماء الى المدينة كانت تحمل اسم رودزر (أي «نهر الذهب» أو «النهر الذهبي»). وفي هذا الصدد يقول المقدسي: «(وأما نهر الصغد فإنه ينتهي ببخارا) ودخوله القصبة من كلاّباذ وقد سجر وجعل له مفتتح واسع وأقيم فيه الخشب، فإذا كان الصيف وغزر الماء رفعوا تلك الخشب واحدة بعد واحدة على قدر زيادة الماء حتى ينقلب أكثره في المفتح ثم يمد الى بيكند؛ ولولا هذه الحيلة لقلب الماء على القصبة. ويسمى هذا الموضع فاشون، وبأسفل المدينة أيضاً مفتح آخر يسمى رأس الورغ على هذا العمل. وهذا النهر يشق البلد ويتخلل الأسواق ويتشعب في الشوارع؛ ولهم حياض في البلد واسعة مكشوفة قد اتخذ على حافتها بيوت من الألواح بأبواب يغتسل فيها، وربما غلب ماء النهر المنقلب إلى بيكند فغرّق الضياع في الصيف وغلب في السنة التي أتيت ثمّ على ضياع كثيرة وافتقر أقوام وخرج المشايخ إلى سده وبذل الشيخ أبو العباس اليزدادي في ذلك أموالاً جمة احتساباً. وهو ماء كدر ويطرح فيه بلاذات كثيرة في البلد».

ومن ألفاظ المقدسي يبدو جلياً أن القناة الرئيسية كانت تدخل المدينة قرب باب قرشي الحالي أي من نفس الموضع بالتقريب الذي تدخل منه حالياً. كما أنه من الواضح

---

(٣٤٩) شرحه، ص ٣١؛ الاصطخري، ص ٣٠٧ - ٣٠٩؛ المقدسي، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

أن قنطرة حسّان التي مر ذكرها قبل قليل كانت تقف على القناة في القسم الشرقي من المدينة. وموقع باب قنطرة السويقة/يجعلنا نفترض أن القناة كانت تخرج من المدينة قرب 156 باب شيركيران الحالي.

وقد حفظ لنا الاصطخري(٣٥٠) أسماء القنوات الصغرى التي تتشعب داخل المدينة متفرعة من قناة زر الكبرى التي تشق البلد. وهذه القنوات هي الآتية:

١) قناة فشيديزه: وتخرج من موضع يعرف بالورغ (بما أن القناة تدخل المدينة من ناحية الشرق فإن هذا الموضع يتفق مع فاشون لا رأس الورغ التي يذكرها المقدسي)، وتمر من باب مردكشان (وهو الآن سلخانه) مجتازة في طريقها جوبار (أي «مجرى») أبي ابراهيم حتى تنتهي الى باب «الشيخ الجليل أبي الفضل» فتصب في قناة نوكنده. وكان يطل على هذه القناة نحو ألفي بستان وقصر عدا الأراضي المزروعة، وكان طولها نحواً من نصف فرسخ. أما الشيخ أبو الفضل المذكور فهو وزير السامانيين المشهور أبو الفضل بن عبيد الله البلعمي المتوفي عام ٣٢٩ هـ = ٩٤٠، وأما الباب الذي حمل اسمه فأغلب الظن أن المقصود به هو باب ابراهيم الذي أخذ عنه أيضاً تسميته الحالية (شيخ جلال). ولا تزال تقوم قرب مقبرته الى اليوم مدرسة جوبار وجبانة جوبار.

٢) قناة جويبار بكار (أي «المجرى الذي تعم به الفائدة»)، وتخرج من موضع في وسط المدينة عند مسجد أحيد وتصب في قناة نوكنده بعد أن تسقي قسماً من الربض ونحواً من ألف بستان وقصر سوى الأراضي المزروعة.

٣) جويبار القواريريين (أي «مجرى صنّاع الزجاج»)، وكانت تخرج من القناة الرئيسية عند موضع يعرف بمسجد العارض (أي «صاحب أرزاق العسكر») فتسقي بعض الربض. وكان ماؤها أغزر من ماء القناة السابقة لها وتروي عدداً كبيراً من البساتين.

٤) جوغشج أو جويبار العارض، وتأخذ من النهر عند مسجد العارض فتسقي بعض الربض وتصب في قناة نوكنده. والإسم الأول يشير إلى أن مجراها كان في القسم الغربي من المدينة حيث قام بالتالي مسجد العارض.

٥) قناة بيكند، وكانت تأخذ من القناة الرئيسية عند رأس سكة ختع (أي «المرشد») فتسقي بعض الربض وتصب في قناة نوكنده. ومما سيجيء يتضح أن هذه

---

(٣٥٠) الاصطخري، ص ٣٠٧ وما يليها.

القناة التي كانت تجري في بخارا قد اتخذت اسمها من بيكند (هذا اذا كانت قراءة الاسم قد ثبتت لدى دي خويه De Goeje بصورة قاطعة) دون أن يكون لها على ما يبدو صلة بها.

٦) قناة نوكنده، وتأخذ من القناة الرئيسية عند دار حمدونه وهي مصب لبقية القنوات؛ وبعد أن تسقي الربض تضيع في المفازة دون أن تستعمل في ري الأرض. واسم 157 هذه القناة ومعناه «المحفورة حديثاً» يحمل على الافتراض/ بأن حفرها جاء تالياً لبقية القنوات، وأغلب الظن أنها حفرت بغرض تصريف مياهها. ومن الواضح أنها كانت تجري في الجزء الغربي من المدينة، وبصورة أدق الجزء الجنوبي الغربي.

٧) قناة الطاحونة، وتأخذ من القناة الرئيسية داخل المدينة عند موضع النوبهار، ثم تسقي بعض الربض، وكان يقف عليها عدد من الطواحين التي تدار أرحيتها بالماء. وكانت هذه القناة تجري إلى بيكند ومنها شرب أهلها، ويغلب على الظن أن السكور (sluices) التي يشير إليها المقدسي كانت قرب باب مزار.

٨) قناة كشنه، وهي أيضاً تأخذ من القناة الرئيسية داخل المدينة عند النوبهار وعليها شرب هذه الناحية من الربض. ثم تفضي إلى قصور وضياع كثيرة وبساتين حتى تجاوز كشنه إلى ما يمرغ وهي قرية على مسافة مرحلة من نسف[٣٥١] (قرشي).

٩) قناة رَبَاح، وكانت تخرج من القناة الرئيسية قرب الريكستان فتصل إلى قصر رباح، وعليها ألف بستان وقصر.

١٠) قناة الريكستان، وتأخذ من القناة الرئيسية بقرب الريكستان ومنها شرْب الريكستان والقلعة ودار الإمارة حتى تنتهي الى قصر جلال ديزه.

١١) قناة لم يورد اسمها، تأخذ من القناة الرئيسية بقرب قنطرة حمدونه (أي في أغلب الظن نفس الموضع بالتقريب الذي تخرج منه قناة نوكنده)، وتجري تحت الأرض إلى الحياض القريبة من باب بني أسد (أي قريباً من الجزء الجنوبي الغربي للشهرستان)، ثم يقع الفائض من مائها في خندق القلعة (أو «فارقين القهندر» كما يقول الاصطخري).

١٢) قناة زغار كنده، وتأخذ من القناة الرئيسية عند موضع يعرف بورغ (والغالب أن المقصود به هي رأس الورغ التي وردت لدى المقدسي) فتجري على باب دروازجه وعليه سوق دروازجه فتبلغ باب سمرقند وتنتهي إلى سبيد ماشه وتجاوزه نحواً من

---

(٣٥١) شرحه، ص ٣٣٧.

فرسخ، وعليها قصور وبساتين وأراض كثيرة. ومن الواضح أن هذه القناة كانت تجري في الجزء الشمالي الغربي من المدينة.

وسنترك اجراء المقارنة بين هذه المادة التي تركها لنا الاصطخري وبين ظروف الأحوال في الوقت الراهن فيما يتعلق بسقاية بخارا إلى أولئك الذين بمقدورهم القيام بأبحاث طوبوغرافية في المنطقة نفسها(٣٥٢). أما فيما يتعلق بأحياء المدينة وشوارعها وأبنيتها في العصور الوسيطة فأرى أن نقف بعضاً من الوقت لفحص المادة المتعلقة بالشهرستان التي تركها لنا نرشخي(٣٥٣). وهو يقول إن قتيبة قد وزع الشهرستان بين العرب فأقطع الناحية الممتدة من باب السوق إلى باب الحديد مُضَر وربيعة، أما ما تبقى فأقطعه اليمانية. وكان الداخل إلى المدينة من باب السوق يجد إلى يساره «درب الفُسَّاق» (كوي رِندان)، وخلف ذلك كانت تقع بيعة للنصارى تم تحويلها فيمابعد إلى مسجد بني حنظلة. أما 158 الداخل المدينة من باب الشهرستان فيجد شارع وزير بن أيوب بن حسّان إلى يمينه، وكان يسمى أيضاً «شارع القصر» (كوي كاخ). وأيوب بن حسّانَ من قواد قتيبة وكان أول أمير عربي لبخارا، وقد أقام الأمراء بعده في نفس الموضع. أما الشارع والقصر فكانا ملكاً لدهقان يدعى خينه اسلم فيما بعد وتسمى أحمداً. وقرب سور الشهرستان كان يقوم «سوق البقالين» (جوبة بقالان) و«سوق الفستقيين» (بسته شكنان). وعند باب بني سعد في الشهرستان كان يقوم قصر الحسن بن علاء سعدي، وكان الشارع والباب يحملان اسم ابيه علاء. ولم يوجد قصر يدانيه ببخارا أجمع حتى قصور الأمراء أنفسهم، وكانت الاراضي التابعة للقصر تدر غلة بلغت ألفاً ومائتي دينار في الشهر. وقرب مخرج باب بني أسد كان يوجد قصر أمير خراسان، وعند باب حق راه، أي قريباً من الركن الشمالي الغربي للشهرستان كانت لا تزال قائمة صومعة الإمام أبي حفص وبجوارها عدد من المساجد والزوايا. وغير بعيد من هذا الموضع، وذلك على يمين الداخل من الباب الجديد، كان يقوم مسجد القرشيين الذي بناه مقاتل بن سليمان القرشي مولي(٣٥٤) (؟) حيّان النبطي من مشاهير رفاق قتيبة.

والتل (قرغان) الذي مر ذكره قبل قليل(ص ١٩٥)والذي زُعم أنه قبر أفراسياب،

---

(٣٥٢) أنظر Umniakov, K voprosu ob istoricheskoi topografii, str. 148 i sl.

(٣٥٣) طبعة شيفير، ص ٥٢ - ٥٧.

(٣٥٤) إن لفظ «مولى» كما هو معلوم يحمل معان مختلفة، فهي يمكن أن تدل على السيد وعلى المسود معاً؛ وهي هنا في الغالب بالمعنى الأول لأن مقاتل قرشي وحيان نبطي.

أُرجع ابتداء من عهد السامانيين إلى الفترة السابقة للاسلام. كذلك كانت الرواية الشعبية تضع قبر سياوش الذي قتله أفراسياب بموضع قريب من باب القلعة الشرقي، وكان مجوس بخارا يضحّون بديك قبل طلوع الشمس في يوم النوروز عند قبره. وكانت لهم أناشيد في مقتل سياوش اشتهرت باسم «نواح المجوس»(٣٥٥).

وفيما عدا دار الإمارة المشهور داخل القلعة، وجُدت منذ العهد السابق للإسلام قصور ملكية في الريكستان أيضاً(٣٥٦). وبالإضافة إلى هذا فقد أُفردت في العهود السابقة للاسلام أهمية كبرى لموضع في الحي الجنوبي الشرقي للمدينة عُرف فيما بعد باسم «باب مسجد ماخ» حيث كانت تعقد سوق ماخ - روز مرتين في العام وتباع فيها الأصنام (أغلب الظن أن المقصود بذلك تماثيل البوذا)؛ وقد ظلت هذه العادة الوثنية باقية إلى عهد السامانيين(٣٥٧) حين اشتد الطلب على هذه التماثيل حتى بيع منها ما قيمته خمسين ألف درهم (في اليوم الواحد). ويُنسب بداية هذه العادة الى أمير أسطوري يدعى ماخ، 159 ووفقاً للرواية الشعبية فقد وجدت هنا أجمة/ وكانت السوق تعقد تحت ظلال الأشجار فكان الأمير يأتي إليها ثم يجلس على عرشه عند الموضع الذي شيد فيه المسجد في الأزمنة التالية ويرغّب الناس في شراء الأصنام. وفيما بعد بُني في هذا الموضع بيت للنار فكان الناس بعد فراغهم من السوق يهرعون إلى ذلك المكان لعبادة آلهتهم، وقد ظل بيت النار هذا قائماً إلى دخول الإسلام ما وراء النهر، فلمّا قويت شوكة المسلمين ابتنوا مكانه مسجداً أصبح فيما بعد من أكبر مساجد المدينة(٣٥٨). وفي القرن الثاني عشر سمع السمعاني(٣٥٩) هذه الرواية ولكن في صورة مخالفة، فهو يقص علينا أن ماخ هذا كان رجلاً

---

(٣٥٥) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢١.

(٣٥٦) شرحه، ص ٢٤.

(٣٥٧) يقول نرشخي إن هذه العادة «ظلت باقية الى أيامه». لهذا فيمكن الاستنتاج بأنها اختفت في وقت تال لميلاد نرشخي الذي حدث عام ٢٨٦ هـ = ٨٩٩ (السمعاني، تحت لفظ «النرشخي») وسابق لتأليفه لمصنفه (٣٣٢ هـ = ٩٤٣ - ٩٤٤).

(٣٥٨) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٨ - ١٩. وحاليا يعتبر مسجد ماخ هو «مسجد الحفرة» («مغاك»)؛ أنظر Bartold, O nekotorykh vostochnykh rukopisiakh, str. 926 ;Umniakov, k voprosu ob istoricheskoi topografii, str. 151. والتسمية الحديثة «مسجد مغاك» في موضع «مسجد ماخ» وردت لدى نرشخي (طبعة شيفير، ص ٦٣).

(٣٥٩) Teksty, str. 66 (السمعاني؛ وطبعة مرجليوث، تحت لفظ «الماخي»)، ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ٣٨٠.

من المجوس دخل الإسلام وحوّل داره إلى مسجد. وكانت توجد على عهد السمعاني سوق دائم في حي «باب مسجد ماخ».

وفي القرن الثامن نال شهرة كبيرة موضع آخر من المدينة. كان قد التجأ اليه عقب استيلاء قتيبة على بخارا أغنياء التجار من أصل أجنبي وكان يطلق عليهم اسم كشكثان[٣٦٠]؛ ويفترض توماشيك[٣٦١] أن هؤلاء من سلالة الكوشان أو الهياطلة (الهبطاليون). وقد تركوا بيوتهم بالشهرستان للعرب وشيّدوا لأنفسهم في موضع آخر سبعمائة قصر أحاطوها بالبساتين وأسكنوا معهم خدمهم وأتباعهم حتى جاوز عدد سكان المدينة الجديدة سكان المدينة القديمة. ولم يلبث الموضع أن أخذ اسم «قصر المجوس» (كوشك مغان)، وهنا كانت توجد معظم بيوت النار. ولما استقر السامانيون ببخارا رغب غلمانهم (أي رجال حرسهم) في شراء ضياع كوشك مغان فاشتد الطلب عليها حتى بلغ ثمن الچفت الواحد أربعة آلاف درهم، غير أن نرشخي ينقل كلاماً لنوح بن نصر يفهم منه أن سعر الچفت كان أغلى من ذلك بكثير في الماضي حيث بلغ اثني عشر ألف درهم. وتحكي الرواية الشعبية أن نزاعاً نشب ذات مرة بين أهل هذه القصور والسكان المسلمين فاقتحم الأخيرون قصور أولئك واقتلعوا أبوابها واستعملوها في توسيع المسجد الجامع. وكانت على باب كل قصر صورة صنم مالكه (أغلب الظن الروح التي تحمي أسرته)، وقد حفظت هذه الصور على أبواب المسجد الجامع ولكن كشطت وجوهها. وفي عهد السامانيين كان لا يزال متبقياً منها قصران أو ثلاثة، أما في القرن الثاني عشر فلم يتبق سوى باب واحد كان لا يزال محتفظاً بصورة صنم[٣٦٢]. ومن المؤسف أن موضع كوشك مغان لم ترد الإشارة إليه على وجه التحديد، ولكن نظراً لأن «باب شارع المجوس» كان في مواجهة باب امام الحالي فانه يجب البحث عن كوشك مغان في الجزء الشمالي الغربي من المدينة في أغلب الظن. ويرد شارع باسم «شارع المجوس» لدى نرشخي[٣٦٣]، وكان يقع بينه وبين «شارع الدهاقنة» سوق خرقان.

160

أما الأبنية الإسلامية فقد شغل بالطبع مركز الصدارة بينها المسجد الجامع[٣٦٤].

---

(٣٦٠) لدى نرشخي: آل كنكثا أو كنكثان.

(٣٦١) Tomaschek, Sogdiana, S. 106، وقول توماشيك إن الكشكثان كانوا بوذيين يضحده ألفاظ نرشخي الواردة فيما يلي.

(٣٦٢) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٩ و٤٧ – ٤٨ و٦٢.

(٣٦٣) شرحه، ص ٥٦.

(٣٦٤) شرحه، ص ٤٧ – ٥١.

وكان أول مسجد هو المسجد الذي شيده قتيبة عام ٩٤ هـ = ٧١٣ بالقلعة وذلك في الموضع الذي كان يقوم عليه في الأزمنة السابقة بيت للأصنام، وأغلب الظن أن المقصود بذلك معبد للبوذيين؛ وقد أفرد لصلا العيد موضع في الجزء الشمالي من الريكستان، قرب باب معبد. وشُيِّد فيما بعد مسجد جامع جديد بين القلعة والشهرستان، بناه الحاكم الفضل بن يحي البرمكي (٧٩٤ - ٧٩٥) وتم توسيعه بصورة ملحوظة في عام ٢٩٠ هـ = ٩٠٢ على يد إسماعيل الساماني الذي اشترى الدور المجاورة لهذا الغرض. وقد انهار المسجد مرتين في بداية حكم نصر (٩١٤ - ٩٤٣)، الأولى منهما أثناء صلاة الجمعة مما ساق إلى موت عدد كبير من الناس فأمرت الحكومة باعادة بنائه وأضاف إليه منارة في عام ٣٠٦ هـ = ٩١٨ - ٩١٩ الوزير أبو عبد الله الجيهاني من خالص ماله. وهذا البناء هو الذي يعنيه الجغرافيون العرب في كلامهم، ووفقاً لوصف المقدسي[٣٦٥] له فإن المسجد كان يحوي عدداً من الرحاب امتازت بنظافتها، وبجوار هذا المسجد كان يقوم مصنع النسيج الرئيسي بالمدينة[٣٦٦]. وثمة بناء آخر شيده في عام ٣٤٠ هـ = ٩٥١ - ٩٥٢ الأمير نوح بن نصر قريباً من «قصر أمير خراسان»، أغلب الظن في الجزء الجنوبي الغربي من الشهرستان. وكل ما نعلمه عن هذا البناء الأخير هو أنه كان لا يزال قائماً في القرن الثاني عشر، ويبدو أنه هو نفس البناء المشار إليه في الرواية التي أوردناها قبل قليل عن مترجم نرشخي بصدد الباب الوحيد المتبقي في ذلك العصر وعليه صورة صنم، لأن الطريق الى قصر أمير خراسان كان يمر على هذا الباب. وفي عام ٣٦٠ هـ = ٩٧١ أمر الأمير منصور بإفراد موضع لتقام فيه صلاة العيد على مسافة نصف فرسخ من باب القلعة وذلك على الطريق إلى قرية سمتين؛ وموقع هذه القرية غير معروف ولكن يبدو أن الموضع الجديد لصلاة العيد لم يكن بعيداً عن الموضع القديم[٣٦٧].

هذا وقد احترق مسجد السامانيين الجامع عام ٤٦٠ هـ = ١٠٦٨ أثناء النزاع على العرش بين أبناء طمغاج خان ابراهيم، فقد اشتعل أعلى المنارة المصنوع من الخشب لإصابته بمادة محرقة قذفت من القلعة فاحترق المسجد. وأعيد بناؤه في العام التالي وبُني القسم الأعلى من المنارة من اللبن المحروق («ازخشت بخته»، كما يقول نرشخي)، وإلى 161 جانب هذا تم تشييد دار جديدة على مسافة من القلعة تضم مقصورة نحتت ونقشت

---

(٣٦٥) المقدسي، ص ٢٨٠.

(٣٦٦) نرشخي. طبعة شيفير، ص ١٨.

(٣٦٧) يرد ذكر القرية في «عبد الله نامه» (لحافظ تنيش)، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ١١٦ ب.

بسمرقند شأنها في هذا شأن المنبر والمحراب. وقد أمر ارسلان خان محمد ببناء مسجد جامع جديد بالشهرستان، وبذلت في بنائه عناية وتكلفة فائقتان. وتم في عام ٥١٥ هـ = ١١٢١، ويبدو أنه ظلّ قائماً لحين فتح چنكيزخان لبخارا. ومنارته التي تم تشييدها في عام ٥٢١ (٣٦٨) هـ، لا تزال قائمة إلى اليوم، ويبدو أنها لم تتعرض لأي تدمير إلى لحظة ثورة سبتمبر ١٩٢٠ حينما أصابها بعض الضرر من نيران الجيش المحاصر. وفي عام ٥١٣ هـ = ١١١٩ بنى أرسلان خان موضعاً جديداً لصلاة العيد قرب باب ابراهيم، أي في نفس المكان الموجود به حالياً. وفي القرن الحادي عشر كان يحتل هذه البقعة قصر لشمس الملك (١٠٦٨ - ١٠٨٠) ببستانه ومراعيه ومسارح وحشه، وكانت المنطقة تعتبر حراماً (غورق، أي قروق quruq) وأخذت اسم شمساباد نسبة إلى مؤسسها. وقد استمرت العناية بشمساباد في عهد خليفة شمس الملك وهو خضرخان، ولكن لم يلبث أن أُهمل أمره فيما بعد ثم خرب نهائياً أثناء حملة ملكشاه السلجوقي (٣٦٩) (١٠٨٩). كما كان ببخارا مسجد أيضاً عرف «بمسجد الشام» ورد ذكره لدى السمعاني وياقوت (٣٧٠).

ولم يكن عدد القصور الملكية التي شيدت ببخارا على مختلف العصور قليلاً على الأطلاق. فقد ابتنى الأمير اسماعيل لنفسه قصراً بمحلة جوى موليان التي لا تبعد كثيراً عن القلعة والريكستان والتي كانت تعتبر من خيرة بقاع بخارا (٣٧١). وكانت المساحة الممتدة من باب الريكستان الى مقصبة (قاميش) دشتك المتصلة بالقلعة تغطيها القصور ودور الضيافة والبساتين وحيضان الماء. وأغلب الظن أن جوى موليان كان يطلق على إحدى القناتين اللتين يقول عنهما الاصطخري إنهما تخرجان من قرب الريكستان، إما قناة الريكستان أو قناة رباح، والأرجح أنها الثانية التي تسقي نحواً من ألف من البساتين والقصور حسب رواية الاصطخري. وفي الوقت الحاضر يطلق اسم جوى موليان على قرية تبعد ميلاً ونصف الميل من بخارا (٣٧٢). ووفقاً لألفاظ نرشخي فإن هذه التسمية قد حرّفها

---

(٣٦٨) Teksty, str. 172 (كتاب ملاّزاده).

(٣٦٩) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٧ - ٢٨. عن لفظ قروغ راجع بابرنامه، ترجمة بفريدج، الجزء الأول، ص ٨١ وما يليها؛ أنظر أيضاً Bartold, Oroshenie, str. 31 [يقول محمود الكاشغري في ديوان لغات الترك، الجزء الأول، ص ٣١٣ ما نصه: «قرغ - الحمى للأمراء وغيرهم. وكل مكان محوز فهو قرغ» (طبعة كليـلي رفعت) - المترجم].

(٣٧٠) السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ «الشامي»؛ ياقوت، المعجم، الجزء الثالث، ص ٢٤٤

(٣٧١) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٥ - ٢٧.

(٣٧٢) نرشخي، ترجمة ليكوشين، ص ٣٨.

الأهالي عن جوى موليان (أي «مجرى الموالي») لأن اسماعيل كان قد ابتنى بها دوراً لغلمانه(٣٧٣) (أي رجال حرسه) وأوقف عليهم الشطر الأكبر من ريع هذه الأراضي وكانت هذه الأراضي في العهود الماضية ملكاً لبخار خدات؛ وقد اشترى اسماعيل جوى موليان ودشتك من الحسن بن محمد بن طالوت؛ وكان ريع دشتك موقوفاً على المسجد الجامع. هذا وقد ظل قصر جوى موليان قائماً الى آخر ايام دولة السامانيين.

162

أما القصر الثاني والذي شيده نصر بالريكستان(٣٧٤) فقد بقي إلى عام ٩٦١، وكانت تقوم إلى جواره دواوين الحكومة. وفي عهد عبد الملك (٩٥٤ - ٩٦١) شيّد الوزير أبو جعفر العتبي(٣٧٥) (الذي تربع على دست الوزارة إلى عام ٣٤٨ هـ = ٩٥٩) مسجداً فاخراً في هذا الموضع. وأثناء الفتن التي اندلعت عقب موت عبد الملك الفجائي انتهب الثوار القصر وأحرقوه، فأمر الأمير منصور بإعادة بنائه ولكن لم يمض عام حتى شبت نار أخرى حدثت في هذه المرة قضاءاً وقدراً وذلك نتيجة لطقوس قديمة تقضي بإيقاد أكوام من الحطب في مناسبات معينة(٣٧٦). وفي هذه المرة احترق البناء بأجمعه فانتقل الأمير بكل ما يملك إلى جوى موليان، ومنذ تلك اللحظة ظل الريكستان مهجوراً. غير أن المقدسي(٣٧٧) الذي دوّن مصنفه في نهاية القرن العاشر تماما يضع القصر بالريكستان في مقابلة القلعة وذلك في اتجاه الغرب.

وبعد أعوام من هذا الحريق، وذلك في عام ٣٥٦ هـ = ٩٦٧، ابتنى المنصور قصراً قرب الباب الجديد في الموضع المعروف باسم كارك علويان(٣٧٨). وقد بقي هذا القصر كقصر اسماعيل إلى آخر عهد السامانيين، واعتبرت أرضه ملكاً للأمير الحاكم إلى عهد شمس الملك الذي وهبها لعلماء بخارا. وعلى عهد القراخانيين(٣٧٩) يرد إلى جانب شمساباد ذكر لقصر آخر ابتناه أحمد خان (المتوفي في عام ١٠٩٥) بجويبار، أي قرب باب ابراهيم.

(٣٧٣) لفظ «مولى» ها هنا مستعملة في نفس المعنى الذي يستعمل فيه نرشخي لفظ «غلام» (طبعة شيفير، ص ٨٣).

(٣٧٤) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٤ - ٢٥.

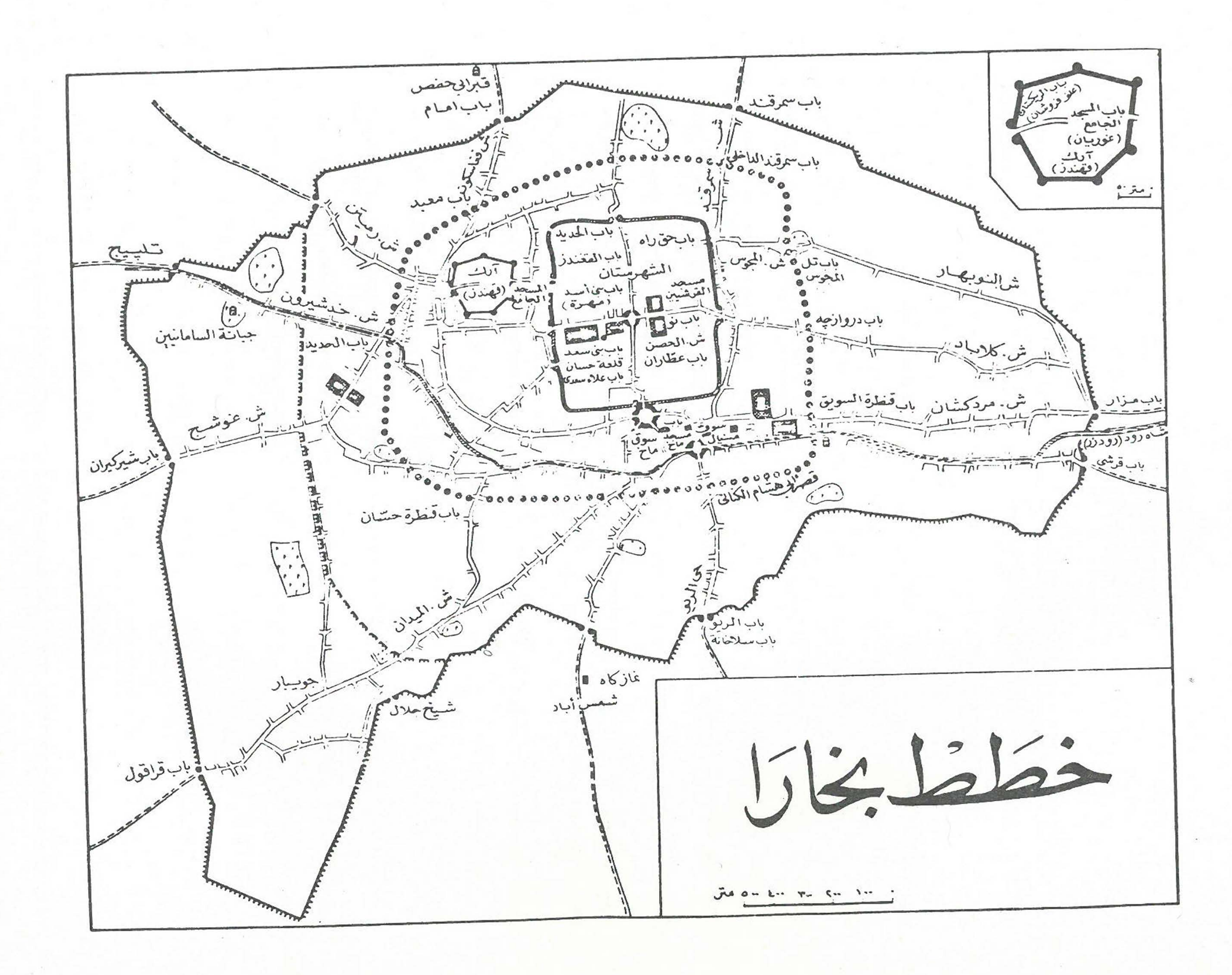
(٣٧٥) خلط مترجم نرشخي بينه وبين مؤلف «تاريخ يميني» (أنظر أعلاه، ص٨٣) بأن دعاه أحمد بن الحسن؛ أما كرديزي فيدعوه في موضع (Teksty, str. 8) بأحمد بن الحسين وفي موضع آخر (شرحه، ص ١٠) بالحسين بن محمد.

(٣٧٦) راجع عن هذه المناسبات Khanykov, Opisanie Bukharskogo Khanstva, str. 208

(٣٧٧) المقدسي، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣٧٨) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٧.

(٣٧٩) شرحه، ص ٢٨.



خطط بخارا
باب سمرقند
باب امام
قبر ابي حفص
باب معبد
باب سمرقند الداخلي
باب حق راه
باب الحديد
باب المقندز
الشهرستان
مسجد القريشيين
آرك (قهندز)
المسجد الجامع
ش. خدشيرون
جبانة السامانيين
باب الحديد
باب دروازجه
ش. كلاباد
ش. النوبهار
ش. المجوس
باب تل المجوس
ش. الحصن
باب عطاران
قلعة حسان
باب قنطرة السويق
ش. مردكشان
باب مزار
باب قرشي
ش. غوشج
باب شيركيران
تليبج
باب قنطرة حسان
ش. الميدان
جويبار
شيخ جلال
نمازكاه
شمس آباد
باب الربو
باب سلاخانة
باب قراقول
باب المسجد الجامع
(غوريان)

وقد أمر ارسلان خان بهدم هذا القصر وإعادة بنائه بالقلعة، وبعد هذا بأعوام قليلة ابتنى قصراً جديداً بجي دروازجه (أي في الجزء الشمالي الغربي من المدينة) في شارع بوليث؛ وبُني في نفس المكان حمّامان. وفيما بعد حوّل ارسلان خان هذا القصر إلى مدرسة وابتنى لنفسه قصراً جديداً بجوار باب سعد اباد (بني سعد)، أي قريباً من الطرف الجنوبي الغربي للشهرستان.

ويضيف السمعاني إلى أسماء الأحياء والشوارع التي مر ذكرها حتى هذه اللحظة الأسماء الآتية: سكة الجديد[٣٨٠]؛ سكة الصُفّة[٣٨١] (« مقابلة الخانقاه »)؛ حي ريو[٣٨٢] وقصر فارزه قرب باب الميدان،أي/باب قرا قول الحالي[٣٨٣]. ونرشخي في وصفه لحريق 163 عام ٩٣٧[٣٨٤] يتحدث بدوره عن شارع بكار (أغلب الظن أنه قرب القناة التي تحمل نفس الأسم في الجزء الغربي من المدينة بين بابي سمرقند وفارجك)[٣٨٥].

وقد اشتهرت بخارا بسعة شوارعها[٣٨٦] التي كانت مرصوفة بالحجارة، وكانت الحجارة تجلب من تل وركه القريب من قرية تحمل نفس الأسم. ومن هذا التل تبدأ سلسلة الجبال التي تتجه شرقاً فتفصل بين ولايتي سمرقند وكش[٣٨٧]. ويجعل السمعاني[٣٨٨] وركه على بعد فرسخين من بخارا على طريق نسف (قرشي). ورغماً من سعة شوارعها فإن بخارا كانت منذ ذلك العهد المبكر شديدة الزحام بالنسبة لكثافة سكانها، وكان هذا العيب ملحوظاً في بخارا أكثر من غيرها من مدن السامانيين. لهذا فقد كثر بها الحريق[٣٨٩]؛ ونلتقي في مصنف نرشخي[٣٩٠] بوصف لحريقين هائلين حدثا في عهد نصر

---

(٣٨٠) Teksty, str. 55 (السمعاني؛ طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الجديدي »).

(٣٨١) Teksty, str. 57 (السمعاني؛ طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الذيموني »).

(٣٨٢) ياقوت، المعجم، الجزء الثاني، ص ٨٩٢؛ السمعاني تحت لفظ « الريودي ».

(٣٨٣) السمعاني، تحت لفظ « الفارزي ». أما في ياقوت (المعجم، الجزء الثالث، ص ٨٣٥) فبدون ذكر « الحصن » أو الإشارة الى الموقع.

(٣٨٤) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٩٣.

(٣٨٥) يذكر ياقوت (المعجم، الجزء الثالث، ص ٨٨١) أيضاً موقعاً ببخارة يسمى « فرقد ».

(٣٨٦) المقدسي، ص ٢٨٤.

(٣٨٧) الاصطخري، ص ٣١٢.

(٣٨٨) السمعاني، تحت لفظ « الوركي ». ويذكرها ياقوت (الجزء الرابع، ص ٩٢٤) دون تحديد للمسافة. وفي الصفحة السابقة لهذه (٩٢٣) يذكر ياقوت نفس القرية تحت اسمي « وَرْكى » و« وَرْكَنْ ».

(٣٨٩) المقدسي، ص ٢٨١.

(٣٩٠) طبعة شيفير، ص ٩٣ - ٩٤.

عامي ٣١٧ هـ = ٩٢٩ و٣٢٥ هـ = ٩٣٧. وكان الحريق الثاني عنيفاً بصورة خاصة، ورغماً من أنه امتد إلى قسم كبير من المدينة وأتى على عدد من الأسواق إلاّ أن مجموع الخسائر كان في حدود المائة ألف درهم. ولعل ضيق المساكن وازدحام السكان يفسران بعض الجوانب المذمومة للمدينة (مثل الروائح الكريهة والمياه المؤذية الخ) مما سجله لنا المقدسي[٣٩١] وبعض الشعراء[٣٩٢] في ألفاظ لاذعة.

ويقسم الاصطخري[٣٩٣] المنطقة المحيطة ببخارا إلى اثنين وعشرين رستاقاً، منها خمسة عشر داخل السور الطويل الذي يحمي النواحي القريبة من المدينة كما هو الحال مع سور كل من سمرقند وبلخ. وينسب بناء هذا السور[٣٩٤] في كتاب أبي الحسن النيشابوري (أنظر أعلاه صفحة ٧٤) الى الوالي أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي (٧٨٣ - ٧٨٧). وكان الغرض منه حماية المدينة وما حولها من غارات الرعاة الترك، وقد اتخذ 164 هذا الاجراء وفقاً لمشورة يزيد بن غورك أمير سمرقند الذي ضرب مثلا بالصغد حيث أمن الناس على أرواحهم وأموالهم بإحاطة أنفسهم بالأسوار. وقد جعلت عليه الأبواب والأبراج تفصل بينها مسافة نصف ميل، ولم يكتمل بناؤه إلاّ في عام ٢١٥ هـ = ٨٣٠. وينقل المسعودي[٣٩٥] من مصنف لشخص يدعى سلمُويه (أو سلموَيْه) بعنوان «الدولة العباسية وأمراء خراسان» قولاً مؤداه أن سور المدينة القديم بناه أحد أمراء الصغد فتهدم بعضه وجُدّد على عهد الفضل بن سليمان. ووفقاً لرواية الاصطخري[٣٩٦] فإن المنطقة التي يحيط بها سوز بخارا كان مقدارها اثني عشر فرسخاً في مثلها. وكان السور يقطع طريق سمرقند شرقي طواويس أي على مسافة تبعد أكثر من سبعة فراسخ[٣٩٧] من المدينة، وتقطع طريق خراسان على مسافة ثلاثة فراسخ منها[٣٩٨]. أما داخل السور فقد كانت تقوم قريتا مغكان (على خمسة فراسخ من بخارا وثلاثة فراسخ إلى الشمال من طريق

---

(٣٩١) المقدسي، ص ٢٨١.

(٣٩٢) الثعالبي، اليتيمة، الطبعة الشرقية، الجزء الرابع، ص ٨ - ٩.

(٣٩٣) الاصطخري، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٣٩٤) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٣٢ - ٣٣.

(٣٩٥) التنبيه، ص ٦٥؛ ترجمة كارا دي ڤو Carra de Vaux ص ٩٦.

(٣٩٦) الاصطخري، ص ٣٠٥. والخطأ الوارد بالطبعة الروسية لعام ١٩٠٠ من أن طول الحائط لم ترد الإشارة إليه قد صححته في ZVORAO, t. XIX (K istorii Merva, str. 119).

(٣٩٧) راجع أعلاه، ص ١٩١.

(٣٩٨) ابن خرداذبه، ص ٢٥؛ المسعودي، التنبيه، ص ٦٥.

خراسان) وزندنه[٣٩٩] (على أربعة فراسخ شمالي بخارا). وكانت صيانة السور تحتاج في كل عام إلى أموال طائلة وتمثل عبئاً ثقيلاً على السكان، ولم يحدث أن أعفوا من هذا الالتزام الثقيل إلاّ في عهد اسماعيل عندما أمن الناس من الخطر الخارجي. وبعد هذا أخذ السور يتهدم، وفي القرن الثاني عشر كان يطلق عليه اسم كمپيرك («أي العجوز»)، ولا تزال بقاياه ماثلة إلى اليوم على هيئة حاجز (rampart) يعرفه الأهالي باسم كمپيردوال فحصها ن.ف ستنيا كوفسكي وبعده ل. زيمين L. Zimin[٤٠٠]. ومن ناحية الشرق يسير هذا الحاجز «مع الحد الفاصل بين الأرض المزروعة والسهوب القاحلة التي تمتد شرقاً من الحاجز الى كرمينه»، أما جانبه الشمالي فيسير قسم منه بحذاء ضفة زرفشان الشرقية المرتفعة[٤٠١].

وثمة حالات يكون من العسير معها أن نجزم بالنطق الصحيح لأسماء رساتيق بخارا، بله تحديد مواقعها على وجه الدقة. وهي تعطي أحياناً أسماءها للقنوات التي تسقيها، 165 وهذه القنوات وفقاً للاصطخري[٤٠٢] ونرخشي[٤٠٣] هي الآتية[٤٠٤]:

١) قناة كرمينيه، ويطلق الاصطخري على رستاق هذه المدينة اسم يسير (؟).

٢) شاپوركام[٤٠٥]، وقد أخذ اسمه من الأمير الفارسي شابور الذي هاجر إلى بخارا

---

(٣٩٩) الاصطخري، ص ٣١٥.

(٤٠٠) Sitniakovski, Soobshchenie v zasedanii TKLA 21 aprelia 1898 g., str. 89 - 92;Zimin, Otchet o dvukh poezdkakh po Bukhare, str. 119 i sl. ويوكد زيمين أن بقايا الحائط لا توجد في الجانب الشمالي الشرقي فحسب حيث رآها ستنياكوفسكي، بل وأيضاً في جهة الجنوب الغربي أيضاً على الطريق الى خراسان.

(٤٠١) (توجد معطيات قيّمة عن السور الذي كان يحيط بواحة بخارا لدى Jakubovski, Arkheologicheskia ekspeditsia; Shishkin, Arkheologicheskie raboty 1937 g. - Mukhamedov, Mudofaa inshootlari الناشرون).

(٤٠٢) الاصطخري، ص ٣١٠ - ٣١١.

(٤٠٣) طبعة شيفير، ص ٣٠ - ٣١.

(٤٠٤) يعتقد ستنياكوفسكي (Sitniakovski, Zametki, str. 121 i sl.) أن عدداً كبيراً من هده القنوات قد احتفظ باسمه الى اليوم؛راجع نقدي في ZVORAO, t. XIII, str. 0115 i sl. و Bartold, Oroshenie, str. 119 i sl.

(٤٠٥) «كام» هو اللفظ المحلي المستعمل ببخارا في محل «اريق» (أي القناة)، أنظر Bartold, Oroshenie, str. 29. وقد ترجم ستنياكوفسكي كام زر وجوي زر «زر الكبير وزر الصغير»، مما يمكن أن يستنتج منه أن التسمية المحلية إنما تشير الى قنوات أكبر مما يحمله مفهوم اللفظ الفارسي جوى أو جويى (Bartold, Oroshenie, str. 120)

فأقطعه بخار حدات هذه الأرض فابتنى بها قصراً وقرية وردانه واحتفر هذه القناة من أجل القرية. وحكّام وردانه الذين حملوا لقب وردان خدات كانوا الى بداية القرن الثامن منافسين لبخار خدات، بل إن وردانه كانت تعتبر في الأصل أقدم من بخارا نفسها. وكانت القرية ذات أهمية كبرى من الناحية الاستراتيجية (كثغر ضد الرعاة الترك) والتجارية والصناعية[٤٠٦]. وفي الأزمنة الحديثة أصبحت هذه المحلة تومن (Tümen) ڤردانزي Vardanzi الذي غطت الرمال جزءاً كبيراً منه عام ١٨٦٨[٤٠٧].

٣) خرغانه العليا، هذا الرستاق كان خارج السور الكبير، والأرجح أنه كان قرب قرية خرغانكث (التي مر الكلام عليها في صفحة ١٨٥) إلى الشمال من نهر زرفشان في مواجهة كرمينيه.

٤) خرغان رود، هذه القناة فيما يغلب على الظن كانت تسقي خرغانه السفلي وهو رستاق داخل السور الكبير. ووفقاً لقول الاصطخري فان خرغان رود كان ينتهي إلى قرية زوش التي يضعها السمعاني وياقوت[٤٠٨] قرب نور، أي على مسافة عشرين فرسخاً من بخارا.

٥) غاوختفر، ولعلها نفس القناة التي يسميها الاصطخري نجار ختفر (ربما يجب قراءتها بخارختفر)، وهي تسقي الرستاق الذي يحمل نفس الاسم وتنتهي إلى قرية خَرْمَيْثَن[٤٠٩] (كما ورد لدى ياقوت) أو خُرْمَيْثَن (كما ورد لدى السمعاني) التي لا نعلم شيئاً عن موقعها. ويرى نرشخي أن غاوختفر لم تكن قناة صناعية، بل إن الماء هوالذي حفر مجرى (bed) لنفسه. وهي تنطبق حالياً على قناة كدفر Gudfar أو وابكندريا Wabkand-Darya (الذي أخذ اسمه من قرية وافكند على طريق خوارزم)[٤١٠]؛ وخانيكوف بدوره يحدثنا عن هذه القناة بوصفها مجرى طبيعياً شقته المياه[٤١١]. وثمة أفرع 166

---

(٤٠٦) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٤.

(٤٠٧) Tomaschek, Sogdiana, S. 108. كذلك سمي هذا التومن باسم القناة (وهي الآن شافركام)؛ أنظر حافظ تنيش، عبد الله نامه، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٣٨٥. وقريباً من قرية عرب - خانه تنقسم القناة الآن الى فرعين هما شافركام القديم وشافركام الجديد. وماركفارت (أنظر Chronologie, S. 62 حيث يقدم ترجمة خاطئة لشابور كام بأنها «Wunsch des Shahpur» أي «رغبة شاهبور») يقارب بين وردان والصينية فا - تي Fa-Ti؛ راجع أيضاً (الفهرس) Chavannes, Documents

(٤٠٨) المعجم، الجزء الثاني، ص ٩٥٩؛ والسمعاني تحت لفظ «الزوشي» حيث يضيف «فيما أظن».

(٤٠٩) ياقوت، المعجم، الجزء الثاني، ص ٤٢٧؛ السمعاني تحت لفظ «الخرميثني».

(٤١٠) راجع ابن بطوطة، الجزء الثالث، ص ٢١.

(٤١١) Khanykov, Opisanie Bukharskogo khanstva, str. 32

من هذه القناة كانت تسقي أيضاً زندنه وراميثنه.

٦) سامجن، هذه القناة كما رأينا كانت تدعى أيضاً رود جرغ (كما لدى الاصطخري) وحرامكام، وكانت تقطع طريق سمرقند على مسافة خمسة فراسخ من بخارا. وفي هذا الموضع كان يقع في أغلب الظن رستاقا سامجن «مادون» وسامجن «ما وراء» اللذان يرد ذكرهما لدى الاصطخري. ويطلق اسم سامجن أيضاً على البحيرة التي كان يصب فيها فضل ماء زرفشان[٤١٢].

٧) بيكان[٤١٣] («رأس السهم»)، كانت تنتهي عند قرية وركه التي مر ذكرها (صفحة ٢٠٩) على أنها كانت محجر أهل بخارا.

٨) فراويز (أو فراواز) العليا، هذا الرستاق أسوة بالرستاقين اللذين يليانه كان داخل السور الكبير، وكانت القناة تنتهي عند قرية أوبوقار[٤١٤] (؟). ووفقاً لقول نرشخي[٤١٥] فإن هذه القناة قد حفرت في عهد الاسلام.

٩) فراويز السفلى، ورستاق يحمل نفس الاسم؛ وكانت القناة تحمل أيضاً اسم ديمون وهو اسم لقرية عتيقة على بعد فرسخين ونصف من بخارا على طريق بيكند[٤١٦].

١٠) أروان، ورستاق بنفس الاسم؛ وكانت تنتهي عند قرية بانب. وموقع هذه الأخيرة لا توجد أية اشارة إليه سواء لدى ياقوت[٤١٧] أو لدى السمعاني.

١١) كيفر، من العسير القول على أية قناة من القنوات التي وردت لدى الاصطخري ينطبق هذا الاسم. والأرجح أنها نفس القناة التي يذكرها السمعاني[٤١٨] وياقوت باسم

---

(٤١٢) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٧.

(٤١٣) «تنكان» في طبعة دي خويه (للاصطخري).

(٤١٤) وفقاً لابن حوقل عند قرية ريوقان (ص ٣٨٠).

(٤١٥) طبعة شيفير، ص ٥٣.

(٤١٦) Teksty, str. 57 (السمعاني تحت لفظ «الديموني»). واسم القرية التي تنتهي إليها القناة (وفي طبعة ديخويه (للاصطخري) فاراب، وهو أمر مستحيل) يجب قراءتها في أغلب الظن طاراب - وهي قرية قرب خنبون على مسافة أربعة فراسخ من بخارا على طريق خراسان. راجع ياقوت، المعجم، الجزء الثاني، ص ٤٧٤، والثالث، ص ٤٨٧؛ والسمعاني تحت لفظ «الطارابي». وفراويز الاثنتان لا تزالان تحملان هذا الاسم الى اليوم.

(٤١٧) المعجم، الجزء الأول، ص ٤٨٢.

(٤١٨) السمعاني تحت لفظ «الاودني» («بناحية جيفر وهو نهر بتلك الناحية»)؛ ولعله يجب قراءتها «خِتْفَر». ولا توجد هذه الألفاظ لدى ياقوت (المعجم، الجزء الأول، ص ٣٩٩).

جيفر عند كلامها على قرية أودنه.

167 ١٢) زر (الذر لدى الاصطخري)، هكذا كانت تسمى القناة الرئيسية لبخارا (وهي الآن شاه رود)، ونفس الاسم كان يحمله رستاق من رساتيق بخارا.

١٣) نوكنده، هذا الاسم وفقاً لرواية الاصطخري كانت تحمله قناتان تنتهي احداهما عند فرانه (؟) والأخرى عند نوباغ الأمير (أي «البستان الجديد للأمير»). ولعل الاسم الأخير ينطبق على قرية ونوفاغ من نواحي طواويس[٤١٩]، فلو صح هذا فإن قناة نوكنده الثانية كانت تسقي اذن رستاق تلك المدينة.

١٤) فرخشي، وكانت تنتهي عند قرية تحمل هذا الإسم (ثَمَّ قراءات أخرى للاسم هي: برخشي[٤٢٠] وورخشي[٤٢١] وافرخشي وفرخشا)[٤٢٢] وتقع على مرحلة أو أربعة فراسخ من بخارا على طريق خوارزم، وعرفت أيضاً باسم دخفندون[٤٢٣]. ووفقاً لقول نرشخي فقد وجدت هنا اثنتا عشر قناة.

وكانت قرية فرخشي تقع داخل سور المدينة الكبير، وكانت ملكاً لبخارا خدات منذ أزمنة سحيقة كما كانت تعد أقدم من بخارا نفسها. وبها كان يقوم قصر بخارخدات القديم الذي يرجع كما تزعم الرواية الشعبية إلى أكثر من ألف عام. وفي القرن الثامن جدد بناءه اثنان من أمراء بخارا هما خنك خدات وبنيات. وأملاك بخارخدات هذه التي كانت تغل عشرين الف درهم في السنة قد صادرها اسماعيل الساماني واقترح على الأهالي تحويل القصر إلى مسجد جامع ولكن فكرته لم تتحقق. هذا وقد هدم القصر بأمر أحمد بن نوح بن نصر الذي احتاج الى مواده لبناء قصر عند باب قلعة بخارا. وفي ورخشي كان يتم الاحتفال «بعيد المزارعين» (نوروز كشاورزان) وذلك قبل خمسة أيام من عيد العام الجديد (النوروز) بالنسبة للمجوس. وقد حفظ لنا اسم هذه القرية القديمة

---

(٤١٩) السمعاني، تحت لفظ «الونوفاغي»؛ ولا يرد تحديد للموضع لدى ياقوت (المعجم، الجزء الرابع، ص ٩٤٢).

(٤٢٠) ابن حوقل، ص ٣٦٠، المقدسي، ص ٢٨٢.

(٤٢١) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٥ - ١٦؛ الذي أخذنا عنه التفاصيل التالية عن القرية.

(٤٢٢) السمعاني تحت لفظ «الافرخشي»، ياقوت، المعجم، الجزء الثالث، ص ٨٦٩ (جاء خطأ في الأصل الروسي «فرخشان»؛ وفي طبعة حيدر اباد للسمعاني «قرية من قرى بخارا يقال لها فرخشي تخفيفاً وهي افرخش» - المترجم).

(٤٢٣) ضَبْط هذا الاسم يرد لدى السمعاني وياقوت (المعجم، الجزء الثاني، ص ٥٦٨).

على ما يبدو في اسم تل كبير يقع قريباً من قرية رميتن(٤٢٤).

١٥) كشنه، هذه القناة ورد ذكرها من قبل بين قنوات المدينة (أنظر ص ١٩٥).

١٦) رميثن (الراميثنه)، وكانت تنتهي عند القرية التي تحمل نفس الاسم. وقرية رميتن الحصينة(٤٢٥) التي حفظت اسمها الى أيامنا هذه كانت من أهم نواحي منطقة بخارا، بل وكانت تعتبر «بخارا القديمة»(٤٢٦) أي المقر القديم لحكام/ولاية بخارا؛ وحتى بعد تأسيس مدينة بخارا فانه لم يكن من النادر أن يمضي الحكام المحليون الشتاء برميتن. ويُعزي بناؤها الى البطل الأسطوري أفراسياب، ويحكي ان خصمه كيخسرو قد أسس في مواجهة رميتن، أي على الضفة المقابلة للقناة، قرية رامُش وشيّد هناك بيتاً للنار كان لا يزال موجوداً إلى عهد السامانيين. وعن بيت النار بقرية رامش يحدثنا أيضاً البيروني(٤٢٧) فيقول إن المجوس كانوا يحتفلون فيها بعيد من أهم أعيادهم السنوية، وكان يوجد برميتن بيت للأصنام أيضاً(٤٢٨). وعلى عهد المقدسي كانت نواحي «رياميثن» في حالة خراب(٤٢٩).

168

١٧) خامه، وكانت تنتهي عند القرية التي تحمل نفس الاسم والتي لا نعلم شيئاً ما عن موقعها.

من هذا يتضح لنا أنه من بين الرساتيق الخمسة عشر الموجودة داخل السور الكبير (وهي الذر، فرغيدد (؟)، سخر، طواويس، بورْق أو بورُق (؟)، خرغانه السفلي، بومه (؟)، نجار ختفر أو بخار ختفر، كاخشتوان، انديار كندمان (؟)، سامجن «مادون»،

---

(٤٢٤) Zimin, Otchet o dvukh poezdkakh po Bukhare, str. 131. (عن الحفريات التي أجريت في ورخشى راجع Shishkin, Issledovanie gorodishcha Varakhsha; Shishkin, Arkheologicheskie raboty 1947 g.؛ أنظر أيضاً أبحاث هذا المؤلف الأخرى في ثبت المراجع – الناشرون).

(٤٢٥) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٤ – ١٥.

(٤٢٦) المقدسي، ص ٢٨٢.

(٤٢٧) الآثار الباقية، ترجمة زخاو ص ٢٢١.

(٤٢٨) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٦.

(٤٢٩) هذا هو جميع ما يرويه لنا المقدسي؛ وهو لا يتحدث البتة عن «أطلال هائلة للمدينة القديمة» «Immense remains of the ancient city» (Le Strange, Lands of the Eastern Caliphate, p. 462). هذا وقد صححت من خطأ لوسترانج في ZVORAO, t. XVII, str. 0106. أما عن راميثن الحالية فراجع Zimin, Otchet o dvukh poezdkakh po Bukhare, str. 146 i sl.

سامجن «ماوراء»، فراويز السفلى، أروان، فراويز العليا) ثَمَّ ستة لا يمكن ربطها بقنوات معينة، كما تعوزنا أيضاً المعطيات لتحديد مواقعها الجغرافية. وحتى من بين هذه الستة الأخيرة لا يرد ذكر لدى السمعاني وياقوت[٤٣٠] إلاّ لرستاق كاخشتوان وحده، ودون تحديد لموقعه. أما أسماء القرى فان الجغرافيين العرب يوردونها منفصلة عن أسماء الرساتيق حتى إنه ليصعب تحديد الرستاق الذي كانت تقع فيه مثلاً رميتن وفرخشه.

وفيما يتعلق بالرساتيق السبعة الواقعة خارج السور الكبير (وهي جزّه (؟)، شابخش (أي «عطية الأمير»)، يسير (رستاق كرمينيه)، خرغانه العليا، رامند أو غرقند[٤٣١]، بيكند، فربر (فرب) فإنه يمكننا تحديد موقع يسير وخُرغانه العليا (أنظر أعلاه صفحة ٢١٢) وأيضاً موقع الرستاقين الأخيرين الواقعين على طريق خراسان. والمنطقة من بخارا إلى ضفاف أمودريا موصوفة لنا بما فيه الكفاية[٤٣٢]. فعلى مسافة فرسخ ونصف[٤٣٣] من المدينة كانت تقع قرية ماستين أو ماستي التي كانت تعتبر من أقدم قرى بخارا[٤٣٤]، وفي القرن الثاني عشر خربت هذه القرية وانقطع عنها الماء[٤٣٥]. وعلى فرسخين ونصف من بخارا تقع قرية ديمون التي مر ذكرها قبل قليل، وأبعد من ذلك وعلى ثلاثة فراسخ من المدينة كان الطريق يقطعه السور. وإلى اليمين من الطريق داخل السور كانت تقوم قريتا خجاده (على ثلاثة فراسخ من بخارا وفرسخ من الطريق) ومغكان (خمسة فراسخ من بخارا وثلاثة فراسخ من الطريق)[٤٣٦]. وخارج الأسوار وعلى أربعة فراسخ من بخارا كانت تقوم قرية خنبون، وإلى جانبها قرية طاراب (تاراب)[٤٣٧]. وفي

169

(٤٣٠) المعجم، الجزء الرابع، ص ٢٢٢.

(٤٣١) لعله يجب قراءتها قزغند بدلا من غرقند؛ ويروي السمعاني (تحت لفظ «القزغندي») أن قرية قزغند كانت تقع في نواحي سمرقند.

(٤٣٢) ابن خرداذبه، ص ٢٥.

(٤٣٣) وفقاً لقدامة (ص ٢٠٣) خمسة فراسخ، ونتيجة لهذا فإن المسافة من بخارا الى آمل تزيد لديه ثلاثة فراسخ ونصف (اثنان وعشرون فرسخاً ونصف الفرسخ) عن ابن خرداذبه؛ ولكن لا يوجد ما يدعّم هذا في المصادر الأخرى

(٤٣٤) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٦.

(٤٣٥) السمعاني، تحت لفظ «الماستيني».

(٤٣٦) الاصطخري، ص ٣١٥.

(٤٣٧) السمعاني تحت لفظ «الخنبوني» ولفظ «الطارابي»؛ ياقوت، المعجم، الجزء الثاني، ص ٤٧٤؛ والجزء الثالث، ص ٤٨٧ (حيث سقطت الألفاظ «عند خنبون»). ويذكر خجادة أيضاً السمعاني تحت لفظ «الخجادي» كقرية كبيرة بمسجد.

المنطقة الواقعة بين خنبون وطاراب ورميتن حدث ذات مرة أن حصر الصغد والترك قتيبة الباهلي[٤٣٨].

وأخيراً وعلى بعد خمسة فراسخ من بخارا كانت تقع بيكند[٤٣٩] التي اشتهرت حتى من قبل عهد الاسلام كمركز تجاري كبير. وكرصيفتها رميتن وفرخشي فإن بيكند أقدم من بخارا، وكانت تسمى «مدينة الصفر» أو «مدينة التجار».[٤٤٠] وكان لها تجارات مع الصين، بل وتجارات بحرية كذلك (الأرجح مع البلاد الواقعة وراء بحر قزوين). وكان لكل قرية من قرى بخارا رباط (منزل للجند أو القوافل)[٤٤١] عند باب بيكند، حتى بلغ عددها نحو ألف رباط، وكان ينزل بهذه الرباطات وحدات من العسكر لدفع غارات الترك؛ ويرجع نرشخي بداية تدهور رباطات بيكند (من الجلي أنها لم تعد ذات ضرورة عندما أمن الناس من الخطر الخارجي) إلى عام ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ - ٨٥٥؛ وفي زمن المقدسي كان عدد منها في حالة خراب رغماً من الانتعاش الذي صادفته المدينة على عهد السامانيين. وكان يحيط ببيكند سور حصين، وكانت القصبة داخل الحصن[٤٤٢] وذات باب واحد، وكان للمدينة سوقان أحدهما في القصبة والآخر في الربض. واشتهر مسجد بيكند الجامع بمحرابه الذي كان مذهّباً ومرصّعاً بالأحجار الكريمة ففاق بزينته ونقوشه جميع محاريب ما وراء النهر. وكانت بيكند تقع على حد المفازة لذا لم توجد إلى جوارها قرية ما، إنما كانت تقع إلى الغرب منها في بداية المفازة قرية امديزه الحصينة. وقريباً من بيكند كانت تجري قناة حرامكام التي لم تكن تصل دائماً إلى المدينة، وكانت مياه هذه القناة تصب في بحيرة سامجن. واسما حرامكام وسامجن يشيران إلى أن هذه هي نفس القناة

170

---

(٤٣٨) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٤٤.

(٤٣٩) شرحه، ص ١٦ - ١٧؛ الاصطخري، ص ٣١٤؛ المقدسي، ص ٢٨٢.

(٤٤٠) الطبري، القسم الثاني، ص ١١٨٥. عن «مدينة الصفر» أو «قصر الصفر» كمصطلح من مصطلحات الجغرافيا الأسطورية راجع Marquart, Beitrãge, S. 639 وأيضاً Marquart, Eranšahr, S. 83, 93 (أنظر كذلك Zimin, Razvaliny Starogo Peikanda; Kesati, Raskopki na Paikende - الناشرون).

(٤٤١) (جاء لدى السمعاني تحت لفظ «الرباطي»: «الرباط اسم لموضع يربط فيه الخيل، وعرف بالغزاة لأنهم اذا نزلوا في ثغر أقاموا في وجه العدو دفعا لكيدهم وفتكهم بالمسلمين» - المترجم).

(٤٤٢) هذا هو مفهوم لفظ «الحصن» ها هنا وكما يرد مراراً لدى المقدسي (ويقصد به السور - المترجم)؛ راجع في نفس الصفحة: «قهندز وحصن» و«حصن وقهندز»؛ ثم في ص ٢٩٤: «الجامع في الحصن والقهندز خارج منه». (القهندز القلعة وهي بالفارسية كهن دز أي القلعة القديمة أو العتيقة - المترجم).

التي تقطع طريق خراسان على بعد أربعة فراسخ من بخارا (راجع أعلاه صفحة ٢٠٢ وصفحة ٢١٣)، وكان الفائض من مائها وفقاً لقول الاصطخري[٤٤٣] يرجع إلى النهر. وبحيرة سامجن يرد ذكرها في القرن الثاني عشر أيضاً وذلك تحت اسم باركين فراخ («الحوض الواسع»)، وأخيراً تحت اسمها التركي الحالي وهو قراكول («البحيرة السوداء»)، وكانت تكثر بهذا الموضع الطيور والأسماك. وبين بيكند وفربر، التي مر بنا الكلام عليها قبل قليل، كانت تمتد منطقة رملية مساحتها اثنا عشر فرسخاً[٤٤٤].

وقد امتدت يد التدهور إلى بيكند، شأنها في هذا شأن كثير غيرها، عقب سقوط دولة السامانيين؛ وفي بداية القرن الثاني عشر قام ارسلان خان بمحاولة لاحيائها فبنى لنفسه قصراً هناك وأراد أن يحفر قناة جديدة للمدينة. وكانت المدينة تقع على تل غير مرتفع فأمر الخان بحفر القناة في وسطه ولكن تبين أن التل يقوم على قاعدة صخرية فهجر المشروع بعد جهود فاشلة ابتلعت الكثير من الأموال والأرواح. والأرجح أن استحالة ايصال الماء إليها كان هو السبب في عدم بقاء أبنية ارسلان خان، وعند زيارة السمعاني[٤٤٥] لها كانت خراباً ولم يجد/ «إلاّ نفراً يسيراً من التراكمة في رباطها». كذلك 171 أبصر السمعاني بعض أطلال رباطاتها التي بلغ عددها في الماضي حسب قوله ثلاثة آلاف.

ويحدثنا نرشخي عن القرى الآتية بمنطقة بخارا:

---

(٤٤٣) الاصطخري، ص ٣١١؛ من هذه المعطيات يبدو أنه من الممكن القول بأن قناة زر وقناة الطاحونة (أنظر أعلاه، ص ٢٠٢) كانتا من فروع قناة حرامكام.

(٤٤٤) يتحدث السمعاني أيضاً (تحت لفظ «الكبيري») وياقوت كذلك (المعجم، الجزء الرابع، ص ٢٣٤) عن «القرية الكبيرة» (وهي بالفارسية «ديه بزرك») قرب جيحون بنواحي بخارا (هكذا لدى السمعاني).

(٤٤٥) السمعاني تحت لفظ «البيكندي». ويقدم ستنياكوفسكي N.F. Sitniakovski عرضاً موجزاً للغاية لحالة الأطلال في الوقت الحاضر (Soobshchenie v zasedanii TKLA, 11 dekabria 1896 g., str. 20) ووفقاً لهذا العرض فإنه توجد على قناة پيكند تسع قرى صغيرة، وأنه على بعد ميلين من هده القرى «وعلى مرتفع من الأرض تقوم أطلال لحصن على هيئة مستطيل وخرائب لمنازل». أما الصورة والوصف الموجودان لدى پمپلي Pumpelly, Explorations in Turkestan, 1903, p. 10 فيقدمان فكرة مغلوطة تماماً لهذه الأطلال. ويقدم لنا زيمين وصفاً مفصلا وسرداً للحفريات التي أجراها هناك L. Zimin, Razvaliny starogo Peikenda; Otchet o vesennikh raskopkakh; Otchet o letnikh raskopkakh). وأطلال المدينة القديمة تدعى پيكند القديمة (پيكند كهنه)؛ وهناك أيضاً پيكند جديدة معروفة كقلعة في تاريخ القرن التاسع عشر. ولم يكن محيط المدينة القديمة ليزيد عن ٦٧٨ ساجن (وهو أكثر من سبعة أثمان الميل بقليل). وكان لها باب واحد (كما في وصف المقدسي)؛ والأشياء التي عثر بها من حفروا بالمنطقة (خاصة النقود النحاسية) ترجع الى عهد السامانيين على ما يبدو.

١) نور[٤٤٦]، وهي نور آتا الحالية الواقعة إلى الشمال الشرقي من بخارا على مقربة من التلال. وكان بها مسجد جامع وعدد كبير من الرباطات، واشتهرت بزاراتها ومشاهدها التي كان يؤمها الناس. ونظراً لوقوعها على الحد الفاصل بين الأرض المزروعة والمفازة فإن هذه القرية كانت ذات قيمة استراتيجية لا تنكر، وقد ورد ذكرها كقلعة في تاريخ نضال المنتصر آخر السامانيين ضد أعدائه[٤٤٧]. وعلى بعد فرسخ من نور وعشرين فرسخاً من بخارا كانت توجد قريتا سچار وچچار[٤٤٨].

٢) أفشِنه، قرية حصينة[٤٤٩] يجعلها المقدسي[٤٥٠] إلى الغرب من بخارا، وقد بنى بها قتيبة مسجداً جامعاً ولذا فربما كانت افشنه هي عين قرية مسجد الواردة لدى الطبري[٤٥١] والواقعة على مسافة فرسخ من بخارا.

٣) بركد[٤٥٢]، قرية قديمة ذات قلعة عتيقة اشتراها الأمير اسماعيل وأوقف ريعها على أهل بيت عليّ (خمسة أسباع) ولمساكين بخارا (لسبع) ولورثته هو (لسبع).

ويشير نرشخي في مواضع مختلفة من كتابه الى قرى ايسوانه[٤٥٣] وسقمتين وسمنين[٤٥٤] (انظر صفحة ٢٠٤) وسامدون[٤٥٥] (ربما كانت هي نفس القرية السابقة) وسفنه وسيونج[٤٥٦] وغِجْدُوان أو غُجْدُوان[٤٥٧] التي يجعلها السمعاني (ويكتبها غُجْدَوان)[٤٥٨] على ستة فراسخ من بخارا وينسب إليها بعض الأهمية التجارية. وقد 172

---

(٤٤٦) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٠ - ١١، ياقوت، الجزء الرابع، ص ٨٢٢.

(٤٤٧) نرشخي، طبعة شيفير.

(٤٤٨) ياقوت، الجزء الثالث، ص ٤٠.

(٤٤٩) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٤. ولدى السمعاني وياقوت (المعجم، الجزء الثالث، ص ٩٠٢) «فِشنة» ولدى ياقوت أيضاً (الجزء الأول، ص ٣٣٠) «أفْشَنَة».

(٤٥٠) المقدسي، ص ٢٨٢.

(٤٥١) الطبري، القسم الثاني، ص 1516.

(٤٥٢) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٤. يرد ذكر القرية لدى السمعاني (تحت لفظ «البركدي») ولدى ياقوت، الجزء الأول، ص ٥٨٩) دون ذكر لموقعها.

(٤٥٣) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٥.

(٤٥٤) شرحه، ص ٦.

(٤٥٥) شرحه، ص ٣٢.

(٤٥٦) شرحه، ص ٥ - ١٠. لعل سيونج هي نفس ايسوانه.

(٤٥٧) شرحه، ص ٦٦.

(٤٥٨) السمعاني، تحت لفظ «الغجدواني»:«قرية من قرى بخارا على ستة فراسخ منها وبها سوق في كل أسبوع يوماً يجتمع فيها أهل القرى للبيع والشراء».

حفظت القرية اسم غجدوان إلى يومنا هذا، وترويها قناة خرغان رود أو قلقان رود Kalkan - rud، أي «خرغانه السفلى» كما ورد لدى الجغرافيين العرب. وفي المراجع الحديثة يحمل مركز (Tümen) هذه الناحية تارة اسم القرية (تومن غجدوان) وطوراً آخر اسم القناة (تومن خرغان رود)[٤٥٩]. كذلك يذكر لنا نرشخي قرية أو قلعة نرشخ أو نرجق[٤٦٠] (راجع عن موقعها ما سيلي)؛ كما وأننا نلتقي لدى المقدسي[٤٦١] بأسماء لا ذكر لها عند بقية الجغرافيين، مثل أوشر (قرية كبيرة كثيرة البساتين من ثغور الترك) وزرميثن (قرية حصينة بمسجد جامع) ووخسون (قرية كبيرة محصنة). ووفقاً لكلام المقدسي فقد وجد عدد من القرى الكبيرة في نواحي بخارا «لا يعوزها من رسوم المدن وآلاتها إلاّ الجامع، لأن الأمير ببخارا والمقدم عند السلطان والمتمثل رأيه أصحاب أبي حنيفة. وعندنا لا جمعة ولا تشريف إلاّ في مصر جامع يقام فيه الحدود؛ وكم تعب أهل بيكند حتى وضعوا المنبر»[٤٦٢].

ولكي نختتم وصفنا لحوض زرفشان لم يبق سوى أن نذكر وفقاً لحروف المعجم أسماء القرى الواردة في معجم السمعاني وياقوت[٤٦٣] مما لم يذكره الجغرافيون. وهي الآتية:

173

الاسم	المرجع		ملاحظات[٤٦٤]
	السمعاني	ياقوت	
	(تحت الاسم)	(الجزء والصفحة)	
أُرْخس	الأرخسي	١ - ١٩٧	على أربعة فراسخ من سمرقند عند جبل الشاوذار

---

(٤٥٩) أنظر Bartoid, Oroshenie, str. 120

(٤٦٠) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٦٧.

(٤٦١) المقدسي، ص ٢٨٢.

(٤٦٢) أنظر السمعاني، تحت لفظ «الشامي»، وذلك بصدد بناء مسجد لصلاة الجمعة بكرمينيه.

(٤٦٣) كما هو معلوم فإن معجم السمعاني هو المصدر الرئيسي لياقوت، وإن كان ياقوت يهمل ذكر بعض القرى الواردة لدى السمعاني ويسقط ألفاظه أحيانا فيما يتعلق بمواقع القرى. وفي تهيئة قائمتنا استرشدنا بقائمة قرى منطقة مرو التي وضعها البروفسور جكوفسكي V.A. Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 35-48)

(٤٦٤) (بما أننا سنذكر هذه الأسماء وفقاً لترتيب حروف المعجم العربي فسيختلف وضعها في قائمتنا عن وضعها في الأصل الروسي ويختل بالتالي ترقيم الصفحات، لذا اكتفينا بأن نذكر أن القائمة في الأصل الروسي تقع بين الصفحتين ١٧٣ و١٨٧ - المترجم).

اِسبِسكَث	الاسـكثي (المخطوطة المصورة صفحة ٢٩ ب)	١ - ٢٣٨	على فرسخين من سمرقند
اِستان (استا لدى ياقوت)	الاستاني	١ - ٢٤٠	على ثلاثة فراسخ من سمرقند
اِسْفَرَنج	الاسفرنجي	١ - ٢٤٨	بالصغد
اِسْكارَن	الاسكارني	١ - ٢٥٢	على بعد فرسخ أو اثنين من دبوسية؛ كانت تعد من قرى كشانيه (أي إلى الشمال من نهر زرفشان)
أُسْمَنّد (أَسْمند أو سَمَند لدى ياقوت)	الأسمندي	١ - ٢٥٦	من قرى سمرقند
اسميثن	الأسميثني	١ - ٢٦٥	من قرى كشانيه
أَغْذون	الأغذوني	١ - ٣١٩	من قرى بخارا
أغزون	الأغزوني	١ - ٣١٩	أغلب الظن أنها نفس القرية السابقة كما يلاحظ بحق ياقوت.
أَفشْوان	الأفشواني	١ - ٣٣٠	على أربعة فراسخ من بخارا
اَنْبَرْدُوان	الانبردواني	١ - ٣٦٩	من قرى بخارا
اَنْجافَرين أو اَنْجُفارين	الانجافريني	١ - ٣٧١	من قرى بخارا
آنداق	الانداقي	١ - ٣٧١	على ثلاثة فراسخ من سمرقند؛ أغلب الظن انها اركوت الحالية (ولا يزال القسم الشرقي من القرية يسمى انداق) رغماً من أن المسافة التي تفصلها عن المدينة أكبر قليلا.
آنْدقَ	الاندقي	١ - ٣٧٤	على عشرة فراسخ من بخارا
انكفردر (؟)	–	١ - ٣٩٣	دون ضبط للاسم؛ من بلاد بخارا
آنيسون	الأنيسوني	١ - ٣٩٣	من قرى بخارا

أَوْدَنَه	الأودني	١ - ٣٩٩	من نواحي بخارا في رستاق جيفر (كيفر ؟) على القناة التي تحمل نفس الاسم (انظر صفحة ٢١٣)
اِيذَج أو اِيذوج أو ايذوخ	الايذجي والايذوخي	١ - ٤١٧	على ثلاثة فراسخ من سمرقند قرب جبل الشاوذار
باب		١ - ٤٣٧	من قرى بخارا
بابش	البابشي	١ - ٤٤٥	من قرى بخارا (على ظن السمعاني).
بابه	البابي	١ - ٤٥٢	من قرى بخارا
بادَن	البادني	١ - ٤٦٠	من قرى بخارا ؛ أو لعلها من قرى سمرقند (وفقاً لياقوت)
بارديزه	البارديزي	١ - ٤٦٣	من سواد بخارا
بُتَيين أو بُتَنين	البتييني والبتيـني	١ - ٤٩٠	على نصف فرسخ من دبوسية، بينها وبين اربنجن
بداكد أو بداكده	البداكدي	١ - ٥٢٣	من قرى بخارا
بذَيخون	البذيخوني	١ - ٥٣١	على أربعة فراسخ من بخارا قريبة من مغكان (وفي المخطوطة المصورة للسمعاني مغطان ؛ أنظر أعلاه صفحة ٢١٦). وقد مر عليها السمعاني في منصرفه من سرماري (أنظر أسفله). وكانت القرية يسكنها من قبل الشافعية ولكن سكانها في القرن الثاني عشر كانوا من الحنفية
براكَد أو	البراكدي	١ - ٥٣٨	من قرى بخارا (لعلها نفس بداكد ؛ أو ربما

براكدان			كانت بَرْكد ؛ أنظر صفحة ٢١٩)
بَرّان و بُرانَي أو فَوْران	البوراني	١ - ٥٤٠	على خمسة فراسخ من بخارا
بَرْداد	البردادي	١ - ٥٥١	على ثلاثة فراسخ من سمرقند على طريق اشتيخن
برسان	–	١ - ٥٦٥	من قرى سمرقند
بَرْسَخان	البرسُخَاني	١ - ٥٦٥	على فرسخين من بخارا ؛ وقد بات بها السمعاني لدى منصرفه من البرّانية (لعلها برّاني ؛ أنظر أعلاه)
بَرْفَشْخ	البرفشخي	١ - ٥٦٨	من قرى بخارا
بُرَم	–	١ - ٥٩٤	اسم رستاق يدعوه الاصطخري ابغر (BGA ,i ,332) ويذكره ياقوت بالاسم نفسه (١ - ٩٣)
بَسْبَه	البسي (في المصورة البسبني)	١ - ٦١١	من قرى بخارا
بَسْكَاير	البسكايري	١ - ٦٢٤	من قرى بخارا
پنج أو پنج رودك	البنجي	١ - ٧٤٢	من نواحي سمرقند (مسقط رأس الشاعر رودكي)
بنديمش	البنديمشى	١-٧٤٥	قرية من قرى سمرقند كما يفترض السمعاني
بِنْكَت	البنكتي	١ - ٧٤٦	من قرى اشتيخن
بيرمس	MS .As. Mus .f.69 (لا أثر لها في المصورة)	١ - ٧٨٥	من قرى بخارا ؛ والاسمان بيرمس وديمس (أنظر صفحة ١٩٢) ربما أخذا على أنهما لفظان تركيان بمعنى « لن يعطي » و« لن يقول » ، غير أننا لا نقدم هذا الرأي بصورة قاطعة إذ لا يوجد أساس للافتراض بوجود قرية تركية في بلاد ماوراء النهر منذ القرن الثاني عشر

تاديزه	التادزي	١ - ٨١٠	من قرى بخارا
تاذن	التاذني	١ - ٨١٠	من قرى بخارا (لعلها نفس بادن)
تخسانجكث	التخسانجكثي	١ - ٨٢٨	من قرى سمرقند
تخسي	التخسيجي	١ - ٨٢٨	على خمسة فراسخ من سمرقند في رستاق ابغر
تُربان	التربانى	١ - ٨٣٣	على خمسة فراسخ من سمرقند قرب فرنكث
ترناوذ	الترناوذي	١ - ٨٤٤	من قرى بخارا
تَرْواخ أو تِرواخ أو تَراخه أو تَزاخه والطرواخي (لدى ياقوت تَراخه وطُرواخا وينطقونها محلياً تَراخَى أو تِراخَى)	التراخي	١-٨٣٣ ، ٨٤٧ ، ٣ - ٥٣٤	على أربعة فراسخ من بخارا
تشكيدزه	-	١ - ٨٥٢	من قرى سمرقند
تُمتر	-	١ - ٨٧٣	من قرى بخارا
تُمُشكث	-	١ - ٨٧٤	من قرى بخارا
توذ	التوذي	١ - ٨٩١	على ثلاثة فراسخ من سمرقند، قرب وذار
توسْكاس (توسَكاس لدى ياقوت)	التوسكاسي	١ - ٨٩٤	على فرسخ من سمرقند
تيم	-	١ - ٩٠٨	(من قرى الصغد اعتماداً على قول ابن الفقيه، ولكن لا توجد بطبعة دي خويه)
جاجن أو غاجن	الجاجني	٢ - ٤	من قرى بخارا
جخزن أو جخزني	الجخزني	٢ - ٣٦	على ثلاثة فراسخ من سمرقند
جويبار	الجويباري	٢ - ١٦٣	من قرى سمرقند في ظن السمعاني
جيراخشت	الجيراخشتي	٢ - ١٧٣	من قرى بخارا
خاخسر (خاخَسْر لدى ياقوت)	الخاخسري	٢ - ٣٨٥	على فرسخين من سمرقند،

خاوص	الخاوصي		وهي من قرى رستاق درغم مدينة فوق سمرقند
خداباد	الخدابادي	٢ - ٤٠٥	على خمسة فراسخ من بخارا على طرف البرية (ياقوت)، أو على الطريق إليها (السمعاني)؛ وهي من أمهات القرى
خُدِيسر	الخديسري	٢ - ٤٠٦	من ثغور سمرقند بولاية اسروشنه
خُدْفِران (خُدْفَران لدى ياقوت)	الخدفراني	٢ - ٤٠٦	من قرى سمرقند
خذاند	الخذاندي	٢ - ٤٠٧	على فرسخ ونصف من سمرقند
خراجر أو خراجري	الخراجري	٢ - ٤٠٨	على فرسخ من بخارا وهي من قرى رستاق فراويز العليا، وربما كانت نفس قرية خَيْراخرا أو خيراخزا (الخيراخري لدى السمعاني مع بياض في المصورة، وياقوت ٢ - ٥٠٦) على خمسة فراسخ من بخارا بقرب زندنه
خرادين	الخراديني	٢ - ٤٠٨	من قرى بخارا
خرتنك	الخرتنكي	٢ - ٤١٨	على ثلاثة فراسخ من سمرقند بها توفي ودفن امام أهل الحديث محمد بن اسماعيل البخاري (عام ٢٥٦ هـ = ٨٧٠)
خرغون	الخرغوني (بعين مهملة بدلاً من الغين خطأً)	٢ - ٤٢٣	من قرى سمرقند برستاق أبغر
خرقان	الخرقاني	٢ - ٤٢٤	على ثمانية فراسخ من سمرقند وبها رباط يسمى قرحرقان (؟)
خُرميثن (خَرَمَيْثن لدى ياقوت)	الخرميثني	٢ - ٤٢٧	من قرى بخارا

خزاند	الخزاندي	٢ - ٤٣٦	على فرسخين أو أقل من سمرقند ولعلها هي نفس خذاند
خزوان أو خجوان	الخزواني	٢ - ٤٤٠	من قرى بخارا
خشاغر (؟)		٢ - ٤٤٢ (دون إعجام)	من قرى بخارا
خُشُرتي		٢ - ٤٤٥	من قرى بخارا
خُشوفَغْن (في ياقوت خُشوفَغَن)	الخشوفغني	٢ - ٤٤٧	قرية كبيرة كثيرة الخير بين اشتيخن وكشانيه[٤٦٥] وكانت تعرف في القرن الثاني عشر « برأس القنطرة » وكانت تعد « أطيب موضع » بالصغد . وثمة قلعة تحمل نفس الاسم (بالفارسية « سرپول ») يرد ذكرها في قصة حملة چنكيزخان ، وقد ذكرت سرپول مرة أخرى في القرن السادس عشر في ميانكال[٤٦٦]. وفي عام ١٨٨٥ فحص البروفسور ا. ڤيلوڤسكي أطلال هذه القلعة « الطريفة في بنائها » الواقعة على مسافة أربعة أميال من قتاقرغان[٤٦٧].

(٤٦٥) من وصف خشوفغن هذا لدى السمعاني وياقوت يبدو أنها ليست خشوفغن ابن خرداذبه (ص ٢٦) وقدامه (ص ٢٠٣) اللذان يضعانها على ثمانية فراسخ من سمرقند على الطريق الى زامين؛ وبين باركث (أنظر ص ١٨٦) وخشوفغن تقع مفازة قطوان. ومن الممكن أن السمعاني قد أخطأ ها هنا، فإن كان الأمر كذلك فإنه يمكن تفسيره بأن خشوفغن شأنها شأن القرية الواقعة بين اشتيخن وكشانيه قد حملت اسم سرپول (ومما يشير الى أنها كانت تقوم في هذا الموضع تسمية المحطة باسم « كامنّي موست » Kamenny most أي القنطرة الحجرية). (سرپول = رأس القنطرة، بالفارسية - المترجم).

(٤٦٦) حافظ تنيش، عبد الله نامه، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٢٧٥أ.

(٤٦٧) Veselovski, Zametki o kurganach, str. 255. هذا ويخطىء البروفسور ڤسيلوڤسكي حين يكتبها ساري پول، أي القنطرة الصفراء

خكنجه		٢ - ٤٥٧	من قرى بخارا
خَمْخِـيـره (خُمْخَيْـره لدى ياقوت)	الخمخيـري	٢ - ٤٧٠	من قرى بخارا
خميثن	الخميثني	٣ - ٤٧٢	من قرى سمرقند
خنامتي	الخنامتي	٣ - ٤٧٤	من قرى بخارا
خَيْذَ شْتر أو خنذ شتر (هكذا لدى ياقوت، ولكن السمعاني لا يبين حركة الحرف الأول)	الخيذشترى	٢ - ٥٠٦	من قرى اشتيخن
دخفندون	الدخفندوني	٢ - ٥٥٨	من قرى بخارا
درزيو	الدرزيوي	٢ - ٥٦٧	على ثلاثة فراسخ من سمرقند على الطريق إلى قطوان (أنظر ما يلي)
ديزك	الديزكي	٢ - ٧١٠	من قرى سمرقند
ذخينوي	الذخينوي	٢ - ٧١٧	على ثلاثة فراسخ من سمرقند
ذَرْعَيْنه	الذرعيني	٢ - ٧١٩	من قرى بخارا
ذمَّي	الذميّ	٢ - ٧٢١	على فرسخين من سمرقند
ذيبدوان	الذيبدواني	٢ - ٧٢٧	من قرى بخارا
راغِن (راغَن لدى ياقوت)	الراغني	٢ - ٧٣٤	من قرى دبوسية
رامَن (رامني لدى ياقوت)	الرامني	٢ - ٧٣٨	على فرسخين من بخارا غير بعيد من خنبون، وكانت على عهد السمعاني خراباً
رخينوي (رخينون لدى ياقوت)	الرخينوي	٢ - ٧٧٢	على ثلاثة فراسخ من سمرقند
رزماز أو رزمان	الرزمازي	٢ - ٧٧٦	على ستة فراسخ أو سبعة من سمرقند بين اشتيخن وكشانيه
رزماناخ	الرزماناخي		على فرسخ من بخارا
رستَغْفَر (رستغفِر لدى ياقوت)	الرستغفري	٢ - ٧٧٨	من قرى اشتيخن، ربما كانت نفس رستفغن التالية لها

رُسْتُفْغَن (رُسْتَغْفَن لدى ياقوت، ولعله تصحيف لرستفغن)	الرستفغني	٢ - ٧٧٨ من قرى سمرقند وهي الآن قرية بيلي اطا حيث يبصر الزائر قبر أبي الحسن الرَسْتَفَغني (كذا) الذي يدعوه السمعاني أبا الحسن علي بن سعيد الرُسْتُفَغْني[٤٦٨]
رفون	الرفوني	٢ - ٧٩٦ من قرى سمرقند
ركند	الركندي	من قرى سمرقند
روذفغكد (كما لدى ياقوت)	الروذ **قغكدي** (كذا! ومن الجلي أنها تصحيف للروذ فغكدي)	٢ - ٨٣٣ من قرى سمرقند
ريخْشَن (ريَخْشَن لدى ياقوت)	الريخشني	٢ - ٨٨٥ من قرى سمرقند كقول السمعاني
ريغْدَمون (ريغَدْ مون لدى ياقوت)	الريغدموني	٢ - ٨٨٨ على أربعة فراسخ من بخارا
ريودي أو ريود	الريودي	٢ - ٨٩٠ من قرى بخارا
ريورثون	الريورثوني	٢ - ٨٩١ من قرى بخارا، يرد ذكرها في القرن الرابع عشر على أنها مقام بهاء الدين نقشبند
زاز (زار لدى ياقوت)	الزازي	٢ - ٩٠٦ من قرى اشتيخن
زاغرسرس (لدى ياقوت زاغرسوسن)	الزاغرسرسي	٢ - ٩٠٧ من قرى سمرقند أو نسف
زاميثن أو زاميثنه		٢ - ٩٠٩ من قرى بخارا، وفي موضع آخر من معجمه (٢ - ٧٣٩) يصرح ياقوت بأن زاميثن قراءة خاطئة (للعمراني) بدلاً من راميثن (أنظر أعلاه ص ٢١٥)

---

(٤٦٨) Viatkin, Materialy, str. 49

زاور	الزاوري	٢ - ٩١٠	من قرى اشتيخن
زبغدوان أو سبغدوان	الزبغدواني	٢ - ٩١٤	من قرى بخارا
زرخش	الزرخشي	٢ - ٩٢٣	من قرى بخارا
زركران	الزركراني	٢ - ٩٢٥	من نواحي بوزماجن من رساتيق سمرقند
زرنكري أو زرنجري	الزرنجري	٢ - ٩٢٦	على خمسة فراسخ من بخارا
زروديزه	الزروديزكي	٢-٩٢٨/ ٩٢٩	على أربعة فراسخ من سمرقند عند عقبة كش
زكان	الزكاني	٢ - ٩٣٨	من قرى سمرقند بين زرمان (أنظر أعلاه) وكمرجه
زِمْلِق (زملقي لدى ياقوت)	الزملقي	٢ - ٩٤٤	من قرى بخارا
زند	الزندي	٢ - ٩٥١	من قرى بخارا
زند رميثن	الزند رميثني	٢ - ٩٥١	من قرى بخارا
ساركون	الساركوني	٣ - ٩	من قرى بخارا
ساغرج (أو صاغرج)	الساغرجي	٣ - ١١	على خمسة فراسخ من سمرفند، من نواحي اشتيخن[٤٦٩]
سَبَذْمون أو سُبَذْمون أو سبَذون	السبذموني	٣ - ٣١	على نصف فرسخ من بخارا
سبيذغك	السبيذغكي	٣ - ٣٦	من قرى بخارا
سبيري أو سباري	السبيري	٣ - ٣٦	من نواحي بخارا
سُتيفغن أو ستيفغنه	الستيفغني	٣ - ٣٩	من قرى بخارا

---

(٤٦٩) راجع وصفها لدى ڤياتكين (الترجمة الروسية لأبي طاهر خواجه، ص ٢٥٢): « ساغرج كانت تقع الى الشمال الغربي من سمرقند في وادي زرفشان وعلى أربعة فراسخ من قرية ينكي قرغان ، حيث تقوم الى اليوم أطلال وشواهد لقبور منتثرة على مساحة واسعة ». وكان ألمع عهود ساغرج أثناء حكم الاوزبك (خاصة آل جاني) حين كانت عاصمة لإمارة مستقلة.

ستيكن	الستيكني	٣ - ٣٩	من قرى بخارا
سرخكت	السرخكتي	٣ - ٧٢	بغرجستان سمرقند (المقصود في أغلب الظن منطقة زرفشان الأعلى الجبلية)، ويرد ذكر سرخكت لدى عوفي (لباب الألباب، الجزء الأول ص ١٧٩) على أنها مسقط رأس مجد الدين محمد بن عدنان السرخكتي
سردر (سردري لدى السمعاني)	السردري	٣ - ٧٤	من قرى بخارا
سرماري	السرماري	٣ - ٨٢	على ثلاثة فراسخ من بخارا
سغدان		٣ - ٩٤	من قرى بخارا (عن العمراني)
سُفْرَدان (سفرادن لدى ياقوت)	السفرداني	٣ - ٩٧	من قرى بخارا
سكان أو اسكان	السكاني	٣ - ١٠٦	من قرى اربنجن
سكبيان	السكبياني	٣ - ١٠٦	من قرى بخارا قرب بمجكث (انظر ص ١٩٢)
سميجن	السميجنى	٣ - ١٤٧	من قرى سمرقند قرب مرو (؟ هكذا لدى السمعاني)
سَنْجُفين (سَنْجَفين لدى ياقوت)	السنجفيني	٣ - ١٦٢	من قرى اسروشنه بقرب سمرقند (أغلب الظن برستاق بورنمذ؛ أنظر أعلاه ص ١٨٥)
سَنْكِباث أو سَنَكباث	السنكباثي	٣ - ١٦٨	من قرى اربنجن
سوتخن	السوتخني	٣ - ١٨٣	من قرى بخارا
سوينج	-	٣ - ٢٠٢	من قرى بخارا
سيارى أو سيازي	السيازي	٣ - ٢٠٧	من نواحي بخارا (لعلها سبيره)

شابْجَن (شابَجْن لدى ياقوت)	الشابجني	٣ - ٢٢٥ من قرى سمرقند
شاوكان		٣ - ٢٤٥ من قرى بخارا
شَرْفَدَن (نطقها المحلي شِرَفْدن)	الشرفدني	٣ - ٢٧٧ من قرى بخارا
شكان	الشكاني	٣ - ٣١٠ من قرى بخارا ، يقول عنها السمعاني : « ظنّي أنها من قرى بخارا والله أعلم . وقرأت في كتاب القندفي معرفة علماء سمرقند (راجع أعلاه ص ٧٩) أن شكان من قرى كش ثم كتب على الحاشية وثبت أن شكان من قرى بخارا » .
شكستان	الشكستاني	٣ - ٣١١ بين اشتيخن وكشانيه
شميديزه	الشميديزكي	٣ - ٣٢٤ من قرى سمرقند
شوخناك (في ياقوت شوخنان)	الشوخناكي	٣ - ٣٣٣ من قرى سمرقند
شيا أو شيان	الشيائي	٣ - ٣٤٥ على أربعة فراسخ من بخارا
شيرغاوشون	الشيرغاوشوني	٣ - ٣٥٢ من قرى بخارا
شيروان	الشيرواني	٣ - ٣٥٢ من قرى بخارا بجنب بمجكث
طاراب	الطارابي	٣ - ٤٨٧ من قرى بخارا قرب خنبون (ويضيف ياقوت « وهم يسمونها تاراب بالتاء »)
طغامي	-	٣ - ٨٣٢ قرية من سواد بخارا
طوسن	الطوسني	٣ - ٥٦٢ من قرى بخارا
غُجْدَوان (غُجْدُوان لدى ياقوت)	الغجدواني	٣ - ٧٧٥ على ستة فراسخ من بخارا
غَذَان أو غذانه	الغذاني	٣ - ٧٧٦ من قرى بخارا

غُذَ شْفَرْدَز (غذ شفرد لدى ياقوت)	الغذ شفردري	٣ - ٧٧٦ من قرى بخارا
غرمينوي	الغرمينوي	من رستاق ما يمرغ على فرسخين أو ثلاثة من سمرقند
غُشدان	الغشداني	٣ - ٨٠٣ من قرى سمرقند قرب جبال الشاوذار
غشيد أو غشيدي أو غشتي أو غشيتي	الغشيدي	٣ - ٨٠٣ من قرى بخارا
غنجير	الغنجيري	من قرى سمرقند
غورجك	الغورجكي	٣ - ٨٢١ من نواحي اشتيخن
غورشك	الغورشكي	٣ - ٨٢٣ من قرى سمرقند (لعلها نفس السابقة)
غيشتي أو لعلها مقصورة (لدى ياقوت غيشَتي)	الغيشتي	٣ - ٨٢٨ من قرى بخارا (الأرجح أنها نفس غشيد)
فاشوق	الفاشوقي،	٣ - ٨٤٤ من قرى بخارا
فاغ	الفاغي	٣ - ٨٤٥ من قرى سمرقند وفقاً للسمعاني
فامين	الفاميني	٣ - ٨٤٨ من قرى بخارا
فراب	الفرابي	٣ - ٨٦٠ على ثمانية فراسخ من سمرقند عند قدم الجبال قرب السكر ، ونفس الاسم تحمله الآن قرية تقع على الحد الفاصل بين الأملاك الروسية وأراضي أمير بخارا
فرجيه	الفرجائي	٣ - ٨٦٩ من قرى سمرقند
فردد	الفرددي	٣ - ٨٧٠ من قرى سمرقند قرب يزن (في المصورة نزن ، لعلها مزن؟)
فغانديزه (فغانديز لدى ياقوت)	الفغانديزي	٣ - ٩٠٤ من قرى بخارا
فَغدين أو فَغديز (فِغدين أو فِغْديز لدى ياقوت)	الفغديزي (كذا) والفغديني	٣ - ٩٠٤ من قرى بخارا

فغيطوسين أو فغيطيسين	الفغيطوسيني	٣ - ٩٠٤	من قرى بخارا
فغيفد		٣ - ٩٠٤	بالصغد
فورفاره	الفورفاري	٣ - ٩٢٣	على فرسخ ونصف من سمرقند ، قرب اربنجن (؟)
فَيْ	الفيي	٣ - ٩٦٣	بين اشتيخن وكشانيه ، وهو بالطبع اسم القناة التي مر ذكرها من قبل
فُياذْسون (فِياذَ سون لدى ياقوت)	الفياذسوني	٣ - ٩٢٦	من قرى بخارا
قُزْغند	القزغندي	٤ - ٨٧	من قرى سمرقند برأي السمعاني (راجع ما مر ،ص٢١٦حاشية٤٣١)
قَطوان	القطواني	٤ - ١٣٩	على خمسة فراسخ من سمرقند ، يقول عنها السمعاني : « بها الجامع والمنبر وكان بها مقتلة عظيمة للمسلمين وبها مقابر الشهداء غير أن أهل سمرقند يقولونها بسكون الطاء وظنّي أنها محركة ، خرجت إليها للزيارة وأقمت بها ليلتين » . يقصد السمعاني شهداء المعركة المشهورة لعام ١١٤١ [٤٧٠] .
كارْزنَ (كارَزْن لدى ياقوت)	الكارزني	٤ - ٢٢٤	من قرى اربنجن
كامدد أو كامدذ أو كامدز	الكامددي	٤ - ٢٣٠	من قرى بخارا
كايشكن (كاشكن لدى ياقوت)	الكايشكني	٤ - ٢٢٨	من قرى بخارا
كبوذ	الكبوذي	٤ - ٢٣٤	بينها وبين سمرقند أربعة فراسخ . على مقربة من فاران (؟)

(٤٧٠) عن موقع مفازة قطوان أنظر وصف حوض سيردريا فيما يلي من الكتاب .

كتّه	الكثوي	٤ - ٢٣٩	بينها وبين بخارا أربعة فراسخ ، على الطريق من سرماري الى مغكان
كسادن	الكسادني	٤ - ٢٧٣	من قرى سمرقند
أوكفشيشوان	الكفسيسواني	٤ - ٢٩٢	من قرى بخارا (في مصورة السمعاني ترد في شكل كفسْيوان والأرجح أنه تصحيف)
كفين	الكفيني	٤ - ٢٩٣	من قرى بخارا ، أو ربما كان موضعاً ببخارا نفسها[٤٧١]
كمرجه	الكمرجي	٤ - ٣٠٤	على سبعة فراسخ من سمرقند ، وفي هذه القلعة حوصر جيش عربي[٤٧٢] عام ١١٠هـ = ٧٢٨-٧٢٩
كمرد	الكمردي	٤ - ٣٠٤	من قرى سمرقند أو الصغد ولم يكن الإدريسي على ثقة من موقعها (أنظر أعلاه ص ٧٨)
كمزه أو كمري	الكمري	٤ - ٣٠٤	من قرى بخارا
كندسروان	الكندسرواني	٤ - ٣٠٩	من قرى بخارا
كندكين	الكندكيني	٤ - ٣١٠	على نصف فرسخ من دبوسيه
كنده أو كند	الكندي	٤ - ٣٠٩	من قرى سمرقند
كنديكث	الكنديكثي		برستاق درغم
ماجرم	الماجرمي	٤ - ٣٧٩	من قرى سمرقند
ماجندان	الماجنداني	٤ - ٣٧٩	على خمسة فراسخ من سمرقند
مَجْبَس أو مجبست (مَجْبُس أو مَجْبُست لدى أو المجبستي السمعاني)	المجبسي	٤ - ٤١٨	من قرى بخارا
مِجدون	المجدوني	٤ - ٤١٩	من قرى بخارا ، وكان أهل بخارا يلفظون اسمها بزدون

---

(٤٧١) (كفين من نواحي كرمينيه - مينورسكي).

(٤٧٢) الطبري ، القسم الثاني ، ص ١٥١٦ - ١٥٢٣

مِذيامجكث (مَذيامجكث لدى ياقوت)	المذيامجكثي	٤ - ٤٧٢ من قرى كرمينيه
مِذُيانكث (مَذيانكث لدى ياقوت)	المذيانكثي	٤ - ٤٥٠ من قرى بخارا (من الجلي أنها نفس القرية التالية)
مُذيانكن (مَذيانكن لدى ياقوت)	المذيانكني	٤ - ٤٧٢ من قرى بخارا
مُرزين (مَرَزين لدى ياقوت)	المرزيني	٤ - ٥٢١ من قرى بخارا
مرغبون	المرغبوني	٤ - ٥٠٠ من قرى بخارا
مزرنكن أو مرزنجن (أي مزرنكن بالكاف العجمية)	المزرنكني (أو المزرنكي)	٤ - ٥٢١ من قرى بخارا
مُزْن	المزني	٤ - ٥٢١ على ثلاثة فراسخ أو أربعة من سمرقند
مُزْنُوَي (مَزْنَوَي لدى ياقوت)	المزنوي	٤ - ٥٢١ على أربعة فراسخ من سمرقند
منكث	–	٤ - ٦٧١ من قرى بخارا
ميز	– (عن العمراني)	٤ - ٨٢٢ قرية على ثلاثة مراحل من بخارا وسمرقند
ميغ	الميغي	٤ - ٧١٧ من قرى بخارا
ميغن	الميغني	٤ - ٧١٧ من قرى سمرقند على رأي السمعاني
نافخس (نافخش)	النافخسي	٤ - ٧٣٢ على فرسخين من سمرقند
نُجانيكث	النجانيكثي	٤ - ٧٤٤ مدينة صغيرة من نواحي سمرقند قريبة من اسروشنه على رأي السمعاني
نحل	النحلي	٤ - ٧٦٥ من قرى بخارا
نرشخ	النرشخي	من قرى بخارا (قرب وابكنه، أنظر ما يلي)

نَقِبون أو نكبون و (نَكْبون أو نَقْبون لدى ياقوت)	النقبوني و النكبوني	٤ - ٨٠٣ ، ٨١١	من قرى بخارا
نوا	النوي	٤ - ٨١٥	على فرسخين (ثلاثة لدى ياقوت) من سمرقند ، غير بعيدة من وذار (انظر ص ١٨٦). وقد مر عليها السمعاني في منصرفه من وذار إلى سمرقند
نَوْجاباذ (نُوجاباذ لدى ياقوت)	النوجاباذي	٤ - ٨٢١	من قرى بخارا
نَوْخَس (نُوخس لدى ياقوت)	النوخسي	٤ - ٨٢١	من قرى بخارا
نَوْزاباد (نُوزاباد لدى ياقوت)	النوزابادي	٤ - ٨٢٢	من قرى بخارا
نَوْفر	–	٤ - ٨٢٤	من قرى بخارا
نَوْكدك (نُوكدك لدى ياقوت)	النوكدكي	٤ - ٨٢٦	من قرى شتيخن
نوكند	النوكندي	٤ - ٨٢٦	من قرى سمرقند على رأي السمعاني
وابْكنه (وابكَنه لدى ياقوت)	الوابكني	٤ - ٨٧٢	على ثلاثة فراسخ من بخارا ، ذكرها أيضاً ابن بطوطة (الجزء الثالث ، ص ٢١) في الرحلة من خوارزم إلى بخارا ؛ اسمها الآن **وافكند** Vafkand
وزاغر	الوزاغري	٤ - ٩٢٦	من قرى سمرقند
وزوين	الوزويني	٤ - ٩٢٦	من قرى بخارا
وندون	الوندوني	٤ - ٩٤٢	من قرى بخارا على قناة حرامكام ، نزل بها السمعاني عند منصرفه من البرّانية (راجع أعلاه)

ونوفاغ	الونوفاغي	٤ - ٩٤٢	قرب طواويس
وَنوفخ	الونوفخي (في المصورة ورد خطأ الونوفجي)	٤ - ٩٤٢	قرب بخارا (من الجلي أنها نفس ونوفاغ)
ويبَوْد (وَيْبَوْذَي لدى ياقوت)	الويبودي	٤ - ٩٤٤	من قرى بخارا
يسيرْكث	اليسيركثي	٤ - ١٠٢١	على فرسخ من سمرقند
يوخَسون (يوخشون لدى ياقوت)	اليوخسوني	٤ - ١٠٤٣	من قرى بخارا
يوغنك	اليوغنكي	٤ - ١٠٤٤	من قرى سمرقند

187 كانت الطرق التي تربط بخارا وسمرقند ببلخ تجتاز وادي كشكادريا الذي اشتهر بخصبه رغم أن أهميته لم تبلغ أهمية وادي زرفشان. وفي الأزمنة الحديثة عندما ضمت أفضل أجزاء وادي زرفشان الى الامبراطورية الروسية فقد أصبح وادي كشكادريا مورد غلة إمارة بخارا، كما اعتبرت مدينة قرشي المدينة الثانية في تلك الامارة.

188 واسم كشك رود، الذي يرتبط دون شك بالاسم الحالي/للنهر، كان يطلق على حد قول ابن حوقل(٤٧٣) على الرستاق الذي كان يخرج منه النهر، وكان هذا النهر يجري إلى باب كش(٤٧٤). ومن باب كش الشمالي كان يمر نهر آخر هو اسرود الذي ينبع من جبال سيام أو سنام؛ وكما رأينا من قبل فإن هذا الاسم كانت تحمله الجبال التي ينبع منها قراطاغ دريا، مما يرجّح أن يكون المراد بها انما هو القسم الشمالي جميعه لسلسلة جبال حصار. وفي جبال سيام كان يقوم الحصن الذي اعتصم به في السبعينيات من القرن الثامن(٤٧٥) المتنبي المشهور المقنع هو وأتباعه وتمكنوا من صد جميع هجمات العرب لبضعة أعوام. والى جانب الأنهار التي ذكرناها ترد أيضاً أسماء مجاري المياه الآتية: جاج رود،

(٤٧٣) ابن حوقل، ص ٣٧٦.

(٤٧٤) لدى دي خويه (الاصطخري، ص ٣٢٤؛ المقدسي، ص ٢٨٢) نهر القصّارين (أي الذين يعملون بغسل الثياب وتبييضها). وتعطى المخطوطات أيضاً اسم نهر القصّابين (أي الجزارين) للقناة وللباب المجاور لها؛ وفي الترجمات الفارسية نلتقي أيضاً باسم رود كزران (وهي بالعربية قصّار) ورودِ قصّابان.

(٤٧٥) يختلف عاما بداية هذه الفتنة ونهايتها باختلاف المصادر. ولا يدعم رواية نرشخي (ص ٧٢) التي تقول بأن المقنّع امتنع بحصنه لمدة أربعة عشر عاماً سوى شهادة البيروني (الآثار الباقية، طبعة زخاو، ص ٢٢١؛ ترجمة زخاو، ص ١٩٤).

على فرسخ من كش وهو أيزل الحالي الذي تقوم عليه مدينة كتب؛ وخشك رود، على فرسخ جنوبي كش وهو قزل سو أو يككّبغ دريا الحالي؛ ثم خُزار رود، على ثمانية فراسخ جنوبي كش وهو خزار دريا أو قتي اورو دريا الحالي(٤٧٦).

ومدينة كش(٤٧٧)، وهي شهرسبز الحالية (وينطقها الأهالي شرسبز)، اعتبرت يوماً ما إذا ما أخذنا بقول اليعقوبي(٤٧٨) أعظم مدن الصغد؛ أما على عهد السامانيين فقد كانت في حالة تدهور، ولعل مرد ذلك إلى ارتفاع شأن سمرقند وبخارا. وهي أيضاً كان بها كما هي العادة شهرستان بأربعة أبواب هي: ١) باب الحديد؛ ٢) باب عبيد الله؛ ٣) باب القصّابين؛ ٤) باب المدينة الداخلة. وليس بين أيدينا معطيات تمكننا من تحديد مواقع هذه الأبواب، ولعل اسم النهر وحده هو الذي يسوقنا إلى الافتراض بأن «باب القصابين» كان في الناحية الجنوبية من المدينة. وفي عهد السامانيين كان الشهرستان 189 والقلعة في حالة خراب وكان الموضع الوحيد المأهول من المدينة هو الربض الذي كان له بابان أحدهما باب المدينة الخارجة والآخر باب بركنان، وكانت قرية بركنان هذه تجاور المدينة. وإلى جانب الربض كانت تنمو مدينة جديدة. وكان طول كلا جانبي المدينة ثلث فرسخ (أي نحو ميل ونصف)، وكانت منازلها مشيدة من الطين والخشب. وبالشهرستان كان يوجد الحبس والمسجد الجامع، وبالربض الأسواق. أما دار الامارة فكانت خارج الشهرستان والربض في محلة تعرف بمصلّى، أي قريباً من موضع صلاة العيد. وكان طقس كش يعتبر وبيئاً.

وابن حوقل يعد لنا رساتيق ولاية كش بالصورة الآتية: ١) ميان كش؛ ٢) روذ؛ ٣)

---

(٤٧٦) النهر الرئيسي يدعوه الصينيون تا - مو Ta-mo (Chavannes, Documents, p. 145) ويرد ذكره تحت هذا الاسم (توم) في تاريخ تيمور (شرف الدين يزدي، طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ١٥٨). (كما بيّن پليو Pelliot فإنه بدلاً من تامو Ta-mo فانه يجب قراءته Tu-mo (القراءة القديمة دؤق - ماق* D'uk-mâk) راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 15. وعلى هامش نسخة بارتولد (الطبعة الانجليزية) توجد ملاحظة في هذا الموضع بقلم بارتولد نفسه وهي: «وفقاً لپليو، ص ١٥، «توم» وهي من «توقماق» (؟) - الناشرون).

(٤٧٧) الاصطخري، ص ٣٢٤؛ ابن حوقل، ص ٣٧٥ - ٣٧٧؛ المقدسي، ص ٢٨٢. هذا الاسم قراءته الصحيحة هي «كش»؛ أما الاسم المحلي الذي يورده ياقوت (المعجم، الجزء الرابع، ص ٢٧٤) نقلا عن ابن ماكولا (راجع عنه ص ٧٢، حاشية ٦٢) فهو كِس. وأما النطق الحالي لاسم المدينة وهو كَش فيوكده لفظ «دلكش» (كش دلكش). والاسم الحديث وهو شهرسبز (المدينة الخضراء) ظهر لأول مرة على السكة في القرن الرابع عشر.

(٤٧٨) كتاب البلدان، ص ٢٩٩؛ راجع Marquart, Chronologie, S. 57 ويوكد ماركفارت اعتماداً على المصادر الصينية أن المدينة شيدت في القرن السابع فحسب.

بلاندران؛ ٤) راسمايين؛ ٥) كشك؛ ٦) ارو؛ ٧) بوزماجن؛ ٨) سيام (أو سنام)؛ ٩) أرغان؛ ١٠) جاج رود؛ ١١) خزار رود؛ ١٢) خزار؛ ١٣) سورودە؛ ١٤) سنگ گردك الداخلة؛ ١٥) سنگ گردك الخارجة؛ ١٦) مايمرغ. ومن الواضح أن ترتيب هذه الرساتيق حسب تعداد ابن حوقل لها لا علاقة له البتة بموقع كل منها. ومن أسمائها يمكن الاستدلال على أنه كان يدخل ضمن ولاية كش إمارة گُزار بل ووادي نهر سنگ گردك أيضاً، وإن كانت المدينة الحالية التي تحمل نفس الاسم ذكرت على أنها من مدن صغانيان كما حدث أن أبصرنا فيما مر من الكتاب (ص ١٥٨). أما رستاقا كشك رود وسيام فمن المحتمل أنهما كانا يقعان في أعالي نهر كشكادريا، وأمّا ميان كش فلعل المقصود به رستاق مدينة كش نفسها، بينما يفهم من اسم سورودە المنطقة الواقعة في مجرى نهر اسرود أو سرود[٤٧٩]. وكان ذا أهمية كبرى رستاق خزار الذي كان يضم مدن سوبخ[٤٨٠] ونوقد قريش واسْكيفَغْن (أو اِسْكيفَغَن). وكانت سوبخ وفقاً لقول الاصطخري[٤٨١] على الطريق الرئيسي بين نسف وبلخ، على مسافة مرحلة من الأولى وعلى بعد فرسخين من كش وفقاً لابن حوقل[٤٨٢]. وعلى الرغم من رأى دي خويه De Goeje فإن الفاظ ابن حوقل مغلوطة، وأنه يجب قراءتها «مرحلتين» كما ورد لدى الأصطخري لا «فرسخين»[٤٨٣]. وعلى هذا الأساس فإنه من الممكن أن سوبخ كانت تحتل مركز گزار الحالية (لعله من الأصح ضبطها خزار). ووفقاً لقول السمعاني فقد كانت المسافة من نسف إلى سوبخ ستة فراسخ. أما نوقد قريش فكانت على الطريق من كش إلى نسف، على بعد خمسة فراسخ من كش على قول الاصطخري[٤٨٤] وستة من نسف على قول السمعاني[٤٨٥]، ولعلها كانت في موقع قرية قراباغ الحالية[٤٨٦]. أما اسكيفغن فكانت 190

---

(٤٧٩) الشكل الأخير يوجد في إحدى مخطوطات المقدسي (٢٨٢).

(٤٨٠) هكذا لدى السمعاني (تحت لفظ «السوبخي») وياقوت (المعجم، الجزء الثالث، ص ١٨٢).

(٤٨١) الاصطخري، ص ٣٣٧.

(٤٨٢) ابن حوقل، ص ٤٠٣.

(٤٨٣) الاصطخري، ص ٣٤٣.

(٤٨٤) شرحه.

(٤٨٥) السمعاني تحت لفظ «النوقدي»؛ ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ٨٢٥. ويقول السمعاني إنه وجدت نوقد ثانية بما وراء النهر، بل ويضيف بعد قليل اثنتين أخريتين تحملان نفس الاسم هما نوقد خرداخر (بنواحي نسف أيضاً) ونوقد ساوف؛ وهما لدى ياقوت: خرداخي وسازه.

(٤٨٦) يرد ذكر نوقد في القرن الثامن عشر في «تحفة الخاني» لمحمد وفا كرمينكي؛ أنظر Bartold, oroshenie, str 126

على فرسخ من سوبخ وأبعد من هذا قليلا من نسف، ولعل هذا الاسم قد حفظ لنا في اسم قرية اسكي باغ. وكانت نوقد قريش لا تزال قرية كبيرة في زمن السمعاني.

ويبدو أن اسم نسف[٤٨٧] قد قلبه العرب من الاسم المحلي وهو نخشب، أما الاسم الحالي وهو قَرْشي فلم تتخذه المدينة إلاّ في القرن الرابع عشر عندما ابتنى الخان كبك من آل چغتاي قصراً له على مسافة فرسخين ونصف من المدينة[٤٨٨] (ولفظ قرشي معناه « قصر » بلغة المغول). والظاهر أنه لم يكن لنسف شهرستان في القرن العاشر لأن الجغرافيين يحدثوننا عن ربض وقلعة فقط، غير أن شهرستان (أي مدينة) نسف يرد الكلام عليه لدى كل من السمعاني وياقوت[٤٨٩]. وكان للمدينة أربعة أبواب هي: باب النجارية (لعله يجب قراءتها البخارية)، وباب سمرقند، وباب كش، وباب غوبدين؛ والأخير اسم لقرية على مسافة فرسخين من نسف[٤٩٠]. وكان النهر يجري في وسط المدينة وعلى ضفته كانت تقوم دار الإمارة عند موضع يعرف « برأس القنطرة »، أما المسجد الجامع فكان قريباً من باب غوبدين، وأما موضع صلاة العيد فقرب باب النجارية (البخارية؟)، والأسواق ما بين دار الإمارة والمسجد الجامع[٤٩١]. وبرستاق المدينة كانت توجد قريتان كبيرتان هما كسبه وبزده لكل منهما مسجد جامع، بل إن كسبه كانت أكبر من نسف نفسها. وكانت كسبه على أربعة فراسخ من نسف على إحدى الطرق الذاهبة

---

(٤٨٧) الاصطخري، ص ٣٢٥؛ ابن حوقل، ص ٣٧٧ - ٣٧٩؛ المقدسي، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٤٨٨) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الأول، ص ٩٥؛ طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ١١١.

(٤٨٩) السمعاني تحت لفظ « المديني »؛ ياقوت، الجزء الرابع، ص ٤٥٨.

(٤٩٠) هكذا لدى السمعاني (تحت لفظ « الغوبديني »)؛ أما لدى ياقوت (الجزء الثالث، ص ٨٢٠) فعلى بعد فرسخ واحد. ويرد ذكر غوبدين في « وقف نامه » من القرن السادس عشر (مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٧٨ ب) كواحدة من قرى نسف العليا (« قراي عليا »)، أغلب الظن الى الشرق من المدينة.

(٤٩١) أطلال نخشب السابقة للعصر المغولي تحمل حاليا اسم شُلُّك Shulluk (وينطقها القرغيز « شُلدُق Shulduq) راجع Zimin, Kratkii otchet o poezdke po Bukhare, str. 103 i sl.; Logofet, V gorakh i ravninakh Bukhary, str. 583. وتقع هذه الأطلال على مسافة عشر فرستات الى الشمال الغربي من المدينة الحالية (وفقا لتصحيح زيمين للمخطوطة؛ أما المقالة المطبوعة فتحمل « الشمال الشرقي »)؛ ويذكرها مهدي خان في « تاريخ نادري »، طبعة طهران، ١٢٦٢ هـ = ١٨٤٦، ص ٣٢٤؛ كما يذكرها محمد وفا كرمينكي في « تحفة الخاني »، الورقة ١٧ ب. أما أطلال قرشي للقرن الرابع عشر فهي تقع الى الجنوب من المدينة الحالية قريباً من محطة السكة الحديدية وتحمل اسم ضحّـــاك مـــاران، انظر Zimin, Kratkii otchet o poezdke po Bukhare; Kastane, Arkheologicheskie razvedki, str. 27

إلى بخارا ، هذا بينما كان يفصل بزده من نسف ستة فراسخ[٤٩٢] وأربعة مراحل من بخارا على طريق كالف[٤٩٣]. وكانت القريتان لا تزالان تذكران في القرن الثاني عشر ، وكان بكسبه حتى في ذلك الحين مسجد جامع[٤٩٤] هذا بينما كانت بزده آنذاك قلعة حصينة[٤٩٥]. وعدد قرى نسف كان على الدوام كبيراً رغماً من عدم كفاية الماء لأن نهر كشكا دريا كان ينقطع ماؤه أحياناً ، أضف إلى هذا أنه لم يوجد بالمنطقة ماء جار سواه. وكان زرعها يسقي من الآبار ولكنه في معظم الأحيان يقتصر على الرطوبة الجوية. 191

والطريق من بخارا إلى نسف[٤٩٦] (حوالي التسعين ميلاً ، وهي ثلاثون فرسخاً لدى المقدسي) كانت أربعة مراحل ، ومنازلها هي: قراجون[٤٩٧]، وميانكال ، ومايمرغ[٤٩٨]؛ وكانت مايمرغ لا تزال في عهد السمعاني (الذي توقف بها عند منصرفه من بخارا) قرية كبيرة منتعشة. وثمة ذكر لطريق أخرى تمر بكسبه. أخيراً يحدثنا المقدسي عن طريق ثالثة من بخارا مارة على بزده إلى كالف (تسعة أيام) كانت توجد بها المنازل الآتية: ١) جكم؛ ٢) رباط عتيق؛ ٣) جب سعيد؛ ٤) بزده؛ ٥) رباط خواران؛ ٦) قرية البخاريين؛ ٧) قرية الخوارزميين؛ ٨) بلخان. ولعل قريتي البخاريين والخوارزميين إنما كان المقصود بهما المعبرين على نهر امودريا الوارد ذكرهما في موضع آخر من كتاب المقدسي[٤٩٩] (تحت اسم خارزميان وبخاريان). وجميع هذه الطرق تمر كما هو عليه الحال الآن على مواضع صحراوية ، كذلك غلب أيضاً هذا الطابع الصحراوي على المنطقة بين نسف وامودريا[٥٠٠].

ومن نسف كانت تخرج طرق إلى كش [٥٠١] (ثلاث مراحل) وإلى سوبخ (مرحلة)،

---

(٤٩٢) الاصطخري ، ص ٣٤٣.

(٤٩٣) المقدسي ، ص ٣٤٣.

(٤٩٤) السمعاني تحت لفظ «الكسبوي»؛ ياقوت ، الجزء الرابع ، ص ٢٧٣.

(٤٩٥) السمعاني تحت لفظ «البزدوي»؛ ياقوت ، الجزء الرابع ، ص ٦٠٤.

(٤٩٦) الاصطخري ، ص ٣٣٧.

(٤٩٧) لعله يجب قراءة هذا الاسم فراجون أو فراجون؛ ويرد في ترجمة بهاء الدين نقشبند ذكر «غابة فراجون» (بيشة فراجون)؛ أنظر أنيس الطالبين ، مخطوطة جامعة بتروغراد ٣٨٦ ، الورقة ١٧٤ أ.

(٤٩٨) تضيف واحدة من مخطوطات المقدسي (ص ٣٤٥) مرحلة أخرى باسم «رباط آستانة» بين ميانكال ومايمرغ ، وبهذا فان الرحلة بين بخارا ونسف تستغرق بحسب هذا التعداد خمسة أيام.

(٤٩٩) المقدسي ، ص ٢٩٢.

(٥٠٠) Teksty, str. 82 (بكران ، جهان نامه)

(٥٠١) الاصطخري ، ص ٣٤٣.

وبعد أن يتجاوز الطريق سوبخ (كزار) يدخل الجبال. ومن سوبخ مرحلة إلى قرية تسمى ديدكي[٥٠٢]، ومن هناك مرحلة إلى كندك حيث يلتقي بطريق نسف طريق سمرقند القادم إلى كش. فمن سمرقند إلى كش كانت تعد مرحلتان، والمقدسي[٥٠٣] يضع بين هاتين المدينتين قرية درزده التي يغلب على الظن أنها كانت إلى الجنوب من الجبال لأن 192 السمعاني وياقوت[٥٠٤] يجعلانها من مقاطعةنسف. وقد اشتهر الممر الذي يصل بين كش وسمرقند في تاريخ الفتح العربي كموضع لمعركة من المعارك الكبرى بين العرب والترك[٥٠٥]. وثمة طريق أخرى كانت تمر بقرية المحترقة التي أخذت اسمها من حرق القائد العربي حبيب بن المهلب لها، والذي بعد أن أوقع الهزيمة بجيش بخارا لحق بأبيه المهلب الذي كان آنذاك محاصراً لكش[٥٠٦] (عام ٨٠ هـ = ٦٩٩). غير أن الطبري في موضع آخر[٥٠٧] من كتابه ينسب حرق هذه القرية إلى قتيبة ويرجع بهذا الحادث الى عام ٩١ هـ = ٧١٠، وكانت القرية تسمى قبلاً فرياب (أو قرياب). وفي عام ٧٣٠ خاف العرب المرور بقرية المحترقة لأن المنطقة كانت مغطاة بأشجار كثيفة خُشي اشعال الترك النار فيها؛ وكانت العرب تفضل الموت بحد السيف على الموت حرقاً[٥٠٨]. ومن الجلي أن المحترقة كانت إلى الشمال من الجبال لأن حافظ آبرو يجعلها من ولاية سمرقند[٥٠٩]. ومن العسير القول ما إذا كان ثمة ما يربط اسم فرياب باسم قرية فراب التي مر بنا الكلام عليها.

أما كندك فكانت على ثلاث مراحل من كش[٥١٠]، الأرجح في وادي كچي اورودريا وربما في نفس موضع قرية قراهوال. ولا ذكر لها لدى السمعاني أو ياقوت، ويبدو أن الأول لم يزر هذه المنطقة الجبلية بل أخذ الطريق من نسف إلى ترمذالمار على كالف. وهذا يفسر لنا السبب في أن السمعاني (ويتبعه في هذا ياقوت)، يجعل في منطقة نسف حتى تلك القرى التي كان من المؤكد أنها أقرب الى كش. وفي تاريخ حملات

---

(٥٠٢) تكتب دادكي وديدجي لدى الاصطخري (ص ٣٣٧).

(٥٠٣) المقدسي، ص ٣٤٢.

(٥٠٤) السمعاني تحت لفظ «الدرزدهي»؛ ياقوت، الجزء الثاني، ص ٥٦٦.

(٥٠٥) Marquart, Die Chronologie, S. 35

(٥٠٦) الطبري، القسم الثاني، ص ١٠٤١.

(٥٠٧) شرحه، ص ١٢٢٩.

(٥٠٨) شرحه، ص ١٥٣٣.

(٥٠٩) Bartold, Khafizi-Abru, str. 15, 18؛ من الجلي أنه في موضع «متفرقة» يجب قراءة «محترقة».

(٥١٠) لدى المقدسي (ص ٣٤٢) مرحلة واحدة، وهو أمر غير معقول.

تيمور[٥١١] نلتقي بأسماء مخالفة تماماً، وأكثر ما يتردد بينها هي ناحية تنكي حرام، ونهر چكداليك أو شكداليك (حالياً كچي أو رودريا) الذي كان يلتقي فرعاه عند قطليش، ثم چكچك إلى الشمال من باب الحديد وهي الآن وادي چكچه الذي يجري في أسفله نهير يحمل نفس الاسم.

ومن كندك كانت تعد مرحلة إلى باب الحديد المشهور وهو بالفارسية درآهنين[٥١٢] ويعرف الآن بمر بُزْغله، واذا اجتاز المسافر هذا الممر بلغ ترمذ من الجهة الأخرى خلال ثلاثة أيام يمر طريقه فيها على رباط رازق وهاشم جرد (أنظر ص ١٥٧). وليس هناك ذكر لهذين الموضعين عند المقدسي الذي يضع بدلاً منها على هذا الطريق قرية قرنه. 193 وكان يوجد طريق آخر يصل باب الحديد بصغانيان (دينو) ماراً ببيسون الحالية، وهي نفس الطريق الذي أخذها جيش بخارا في خريف عام ٩٤٨[٥١٣]. أخيراً وجد طريق يصل بين كش وصغانيان ماراً بوادي سنگ گردك وكانت الرحلة بهذا الطريق تستغرق ستة أيام.

وفي معجمي السمعاني وياقوت نلتقي بأسماء لعدد من القرى بوادي كشكا دريا خاصة في نواحي نسف حيث أمضى السمعاني نحو شهرين (أنظر أعلاه، ص ١٠٠)، هذا الى جانب أسماء عدد من أحياء وشوارع المدينة نفسها. وهذه الأسماء هي الآتية[٥١٣أ]:

---

(٥١١) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الأول، ص ١٠٨ - ١١١، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٨؛ طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ١٢٣ - ١٢٥، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢.

(٥١٢) لدى اليعقوبي (كتاب البلدان، ص ٢٩٠) درياهنين.

(٥١٣) Teksty, str. 8 (كرديزي)

(٥١٣أ) [وتقع في الأصل الروسي بين صفحتي ١٩٣ و١٩٦ - المترجم].

الاسم	المرجع السمعاني (تحت الاسم)	ياقوت (الجزء والصفحة)	ملاحظات
آفران	الآفراني	١ - ٦٤	على فرسخ (أو اثنين وفقاً لياقوت) من نسف
أُتَشُنْد (أتشَند لدى ياقوت)	الأتشندي	١ - ١١٢	من قرى نسف
أُسْتُغداديزه	الاستغداديزي	١ - ٢٤٣	على أربعة فراسخ من نسف، مر عليها السمعاني في طريقه من نسف إلى بخارا
انددي	الانددي	١ - ٣٧٢	من قرى نسف
انشميثن	الانشميثني	١ - ٣٨٠	من قرى نسف
اِيبَسَن (اِيبَسْن لدى ياقوت)	الايبسني	١ - ٤١٥	على فرسخ من نسف
بايان	البایاني	١ - ٤٨٨	سكة ومحل بنسف
بَتْخُدان (بُتْخَدَان لدى ياقوت)	البتخداني	١ - ٤٨٨	من قرى نسف
پديانا (بديانا لدى ياقوت)	اليديانوي (المصورة الورقة ٦٩؛ والمطبوعة ج ٢ ص ١١٤)	١ - ٥٢٧	من قرى نسف
بُزْغام	البزغامي	١ - ٦٠٥	من قرى نسف
بَشْتان	البشتاني	١ - ٦٢٨	من قرى نسف
بيران	-	١ - ٧٨٢	على فرسخ من نسف
تديانه	التدياني	١ - ٨٣٢	من قرى نسف، لعلها نفس پديانا
توبن	التوبني	١ - ٨٨٨	قرب سوبخ
جوبق	الجوبقي	٢ - ١٤٢	موضع بنسف، ونفس هذا الاسم كان يطلق في مرو ونيشابور على مواضع بيع الخضر وعلى الخانات الصغيرة (منازل القوافل)

جويبار	الجويباري	٢ - ١٦٣	سكة ومحلة زارها السمعاني بنفسه
جويك		٢ - ١٦٤	حي بنسف ، والسمعاني يذكر جويك فقط على أنه شارع ببعلبك
خشمنجكث	الخشمجكثي	٢ - ٤٤٧	من قرى كش متصلة بقرى سمرقند ، وكانت من أعمال سمرقند
خَشْيَنْديزه (خشِيندِيزه لدى ياقوت)	الخشينديزي	٢ - ٤٤٧	من قرى نسف
خوزيان	الخوزياني	٢ - ٤٩٧	قصر بنواحي نسف برستاق غوبدين
دجاكن	الدجاكني	٢ - ٥٥١	من قرى نسف
راغسِرْسَنه (؟) أو راغِرِسْنَه	الراغسرسني	٢ - ٧٣٤	على نصف فرسخ من نسف
زاذك	الزاذكي	٢ - ٩٠٦	من نواحي كش
زنديا(؟)[٥١٤] (زندينا لدى ياقوت)	الزندياني	٢ - ٩٥٢	من قرى نسف
زِيكون (زَيْكون لدى ياقوت)	الزيكوني	٢ - ٩٦٦	من قرى نسف
ساكبدْيازو (؟) أو ساكبدِياز لدى ياقوت)	الساكبديازوي	٣ - ١٣	من قرى نسف
سانجن	السانجني	٣ - ٢٣	من قرى نسف
سركث		٣ - ٨٢	من قرى كش
سونج		٣ - ١٩٧	من قرى نسف ، الأرجح أنها سوبخ

---

(٥١٤) لدى السمعاني: الزاي والدال المهملة بين النون (كذا) والألف بين اليايين آخر الحروف. (وفي الطبعة الجديدة للأنساب جاء ما يأتي: « الزندنيائي بفتح الزاي والدال المهملة المفتوحة بين النونين والألف بين اليايين آخر الحروف، هذه النسبة الى زندنيا وهي قرية من قرى نسف»، وفي الهامش يقول ناشره: « هذا هو الذي يقتضيه الضبط الآتي وهكذا وقع في مخطوطة اللباب والقبس، ووقع في م. « الزنديائي » وفي بقية النسخ ومطبوعة اللباب « الزندنياني »... ولم تذكر زندنيا في معجم البلدان وإنما ذكر « زندينا » قال « بعد الدال المهملة ياء مثناة من تحت ثم نون وألف مقصورة قرية من قرى نسف » وعلى هذا فالنسبة « الزندينائي » انتهى » - المترجم).

شاوْخَران (شاوَخْران لدى ياقوت)	الشاوخراني	٣ – ٢٤٥	من قرى نسف ، وفي القرن العاشر لم يتبق منها سوى أطلال
شرغيان أو جرغيان	الشرغياني	٣ – ٢٧٧	سكة بنسف أخذت اسمها من مهاجري قرية شرغ أو جرغ التجارية بمنطقة بخارا (أنظر أعلاه ص ١٩٢)
شوزْيان (أو شوزِيان)	الشوزياني		من قرى كش
شيركث	الشيركثي	٣ – ٣٥٢	من قرى نسف
غردِيان (غردْيان لدى ياقوت)	الغردياني	٣ – ٧٨٤	من قرى كش
غزينان	الغزيناني	٣ – ٧٩٨	من قرى كش
فرخورديزه	الفرخورديزجي	٣ – ٨٧	على فرسخين (أو فرسخ وفقاً لياقوت) من نسف برستاق العوالي ، أمضى بها السمعاني ليلة
فنكد	الفنكدي	٣ – ٩٢٠	من قرى نسف ، ظن السمعاني أنه مر عليها (ولكن لا يجزم بذلك)
فويدين		٣ – ٩٢٤	من قرى نسف ، لعلها تصحيف غويدين
فيجكث	الفيجكثي	٣ – ٩٢٦	من قرى نسف
قلاسي	القلاسي		« بيت معروف بنسف »(السمعاني)
كاجر	الكاجري	٤ – ٢٢٢	على فرسخين من نسف
كاسن	الكاسني	٤ – ٢٢٧	من قرى نسف
كُبِنده – معقل	الكبندوي	٤ – ٢٣٤	من قرى نسف (ترد أيضاً على صورة كِبنده وكَبنده)
كرمُجين (كرمَجين لدى ياقوت)	الكرمجيني	٤ – ٢٦٧	من قرى نسف
مُجدوان (مجَدوان لدى ياقوت)	المجدواني	٤ – ٤١٩	من قرى نسف ، كانت على عهد السمعاني أطلالاً

مرغبان	المرغباني	٤ - ٤٩٩	من قرى كش
مسنان	المسناني	٤ - ٥٣٣	من قرى نسف
موان	المواني		من قرى نسف
مودا	المودوي	٤ - ٦٧٨	من قرى كش، يظن السمعاني أنه زارها ولكنه لا يجزم
نيازي	النيازي	٤ - ٨٥٤	قرية كبيرة بين كش ونسف أمضى بها السمعاني ليلة « في الثلج والبرد »
ورثين	الورثيني	٤ - ٩٢٠	من قرى نسف
ورغچن (ورغجن أو وزغجن لدى ياقوت)	الورغجني	٤ - ٩٢١	من قرى نسف على قول السمعاني، وربما هي نفس وزغجن
وزغجن	الوزغجني		من قرى نسف على قول السمعاني (أنظر ورغچن)
وصّاف أو درب وصّاف	الوصّافي	٤ - ٩٤١، ٩٤٢	من قرى نسف، كان بها رباط
ونَه، ونَج	الونجي	٤ - ٩٣١	سكة بنسف
يغني	اليغنوي	٤ - ١٠٢٢	من نواحي نسف، يظن السمعاني أنه مر بها في طريقه الى بخارا

وفيما عدا هذا يرد في ترجمة الشيخ أبي عبد الرحمن معاذ بن يعقوب النسفي المتوفي في عام ٢١٩ هـ = ٨٣٤، وأصله من قرية كاسن إحدى قرى نسف، أنه/بنى مسجداً عرف 197 باسم « الجامع العتيق » ورباطاً بنسف في « سكة الزهاد » التي عرفت لوقت ما باسم سكة أبي عبد الرحمن نسبة إليه(٥١٥). هذا وقد زار السمعاني قبره بنسف.

نعود الآن إلى الكلام على الأراضي الواقعة على نهر امودريا. وقد رأينا كيف أن الحزام الزراعي المتصل العمران والذي يسير بموازاة الضفة اليسرى للنهر كان يبدأ عند آمل، وعلى مسيرة خمسة مراحل أسفل منها كانت تقع الطاهرية أولى مدن خوارزم(٥١٦)

---

(٥١٥) السمعاني تحت لفظ « الكاسني ».

(٥١٦) (مما كتب عن خوارزم مؤخراً، أنظر Tolstov, Po sledam; Guliamov, Istoria oroshenia Khorezma - الناشرون).

التي كان يفصلها عن آمل المنازل الآتية: ويزه، مردوس، أسباس، سِفايه أو سپايه (لاسفانه كما ورد في المتن المطبوع للاصطخري)(٥١٧)، وهذه القرية الأخيرة يرد ذكرها أيضاً في تاريخ تيمور(٥١٨). وكانت الطاهرية تحتل في أغلب الظن أطلال كتمنچي Ketmenchi. وفي القرون التالية وذلك ابتداء من القرن الحادي عشر(٥١٩) كانت درغان تعتبر عادة أبعد مدن خوارزم الى ناحية الجنوب، وكانت تقع على مسيرة يومين أسفل الطاهرية، وعلى منتصف المسافة بينهما كانت تقع قرية جكربند(٥٢٠) حيث كان الطريق من بخارا الى عاصمة خوارزم يقترب من نهر اموردريا(٥٢١). ويرد ذكر درغان لدى أبي الغازي(٥٢٢) تحت اسم دروغان أو دروغان اتا (وهي الآن اطلال درغان اتا Darghan-ata). وكانت درغان في القرن العاشر تعد أكبر مدن الضفة اليسرى بعد گرگانج، وكان بها جامع جميل لا مثيل له في المنطقة بأسرها مزين بالحجارة الكريمة ومنقوش بالذهب. وعلى مسافة فرسخين بحذاء الشط كانت تمتد كروم المدينة التي بلغت الخمسمائة، واشتهرت درغان بزبيبها. ويصف لنا ياقوت أيضاً درغان، وكان قد مر عليها في طريقه من مرو إلى خوارزم، وكانت المدينة تقع على جرف عال يبعد ميلين من النهر وبين هذا الجرف والنهر كانت تمتد مزارع الأهالي/ وبساتينهم(٥٢٣). وكان بجكربند التي كانت موضعاً تجارياً هاماً مسجد جامع أيضاً(٥٢٤). 198

---

(٥١٧) الاصطخري، ص ٣٠١، ٣٣٨؛ De Goeje, Das alte Bett des Oxus, S. 95

(٥١٨) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الأول، ص ٢٣٢، ٢٦٠؛ طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ٢٣٦، ٢٦١.

(٥١٩) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٨٥٩ (حيث يجب قراءة «درغان» بدلا من «درخان»؛ (طبعة غني وفياض، ص ٦٨٤)؛ Teksty, str. 29, 42 (انشاء).

(٥٢٠) في بحثه (Das alte Bett des Oxus, S. 95) يميل دي خويه الى تفضيل القراءة الواردة بالمخطوطات والتي تقول إن جكربند كانت تقع بين درغان وسَدُور (القراءة الصحيحة هي سَدْوَر؛ راجع كتابي Oroshenie, str. 80). ومما يوكد هذا الفرض هو المسافة بين سدور ودرغان آتا، ولكن لا يمكن في هذه الحال القول بأن المسافة من جكربند الى «مضيق النهر» كانت ثلاث مراحل. كذلك يذكر لنا المقدسي (ص ٢٩٢) جكربند بعد درغان في تعداده لمعابر اموردريا. راجع أيضاً الطريق الذي يورده حمد الله قزويني فيما يلي.

(٥٢١) المقدسي، ص ٣٤٣؛ وكانت جكربند على الشط الأيسر للنهر (شرحه، ص ٢٨٧).

(٥٢٢) Rodoslovnia tiurok, izd. Demezona, (Tekst, 259, 279, 326; per. 277, 300, 348)

(٥٢٣) ياقوت، الجزء الثاني، ص ٥٦٧. يكاد نفس الوصف لدرغان اتا الحالية يقدمه لنا قالميقوف A. Kalmykov, Khiva, str. 70

(٥٢٤) المقدسي، ص ٢٨٩.

وعلى مرحلة أسفل درغان (وذلك وفقاً للمتن المطبوع للاصطخري، رغماً من أن جكربند في واقع الأمر كانت تقع بين درغان وسدور) كانت تقوم مدينة سدور وكان بها مسجد جامع[٥٢٥]، وكانت لا تزال تذكر إلى القرن السابع عشر[٥٢٦] (وهي الآن اطلال سدڤر Sadvar). وعلى مرحلة أبعد من ذلك كانت تقوم مدينة هزاراسب المشهورة والتي ظلت محتفظة باسمها الى أيامنا هذه، وعلى ثلاثة فراسخ من هزاراسب كانت تقع كردران خاس، وعلى خمسة فراسخ منها كانت تقوم خيوه[٥٢٧] عاصمة المنطقة حالياً. ومن هزاراسب إلى خيوه مقدار مرحلة، وكانت خيوه على طرف الصحراء وبها مسجد جامع. اما كردران خاس وهزاراسب فكانتا مدينتين حصينتين لهما أبواب من الخشب وخندق[٥٢٨]. وكانت قناة هزاراسب تأخذ من جيحون «مما يلي آمل»[٥٢٩]، أما قناة كردران خاس فكانت على فرسخين من هزاراسب، ثم تليها أسفل ذلك قناة خيوه. ووفقاً لقول المقدسي[٥٣٠] فإن المسافة بين قناتي هزاراسب وكردران خاس كانت فرسخين، وكان أكبرها جميعاً قناة خيوه التي كانت تجري فيها السفن إلى خيوه[٥٣١]. وفي بداية القرن الثالث عشر كان سكان خيوه شافعية، رغماً من أن بقية سكان خوارزم كانوا حنفية[٥٣٢].

وأسفل مخارج هذه القنوات، عند الموضع المسمى أبو قشه، يمر أمودريا بخانق جبلي فيضيق مجرى النهر إلى نحو من الثلث ويصبح خطراً على السفن[٥٣٣]. ووفقاً لرواية المقدسي[٥٣٤] فان «مضيق النهر» كان على ثلاث مراحل من جكربند. وكانت المنازل بين النقطتين هما رباط حسن ونابادغين. والخانق المشار إليه هو دون شك دلدل اتلاغان

(٥٢٥) شرحه، ص ٢٨٨. ويجعل المقدسي (ص ٢٨٦) هذه المدينة على الشط الأيمن للنهر وهو أمر غير مقبول.
(٥٢٦) أبو الغازي، Rodoslovnia tiurkov, izd. Demezona, (Tekst, 326; per. 349)
(٥٢٧) الاصطخري، ص ٣٤١.
(٥٢٨) المقدسي، ص ٢٨٩.
(٥٢٩) «مما يلي آمل»؛ ويستعمل الاصطخري (ص ٣٠١) نفس الألفاظ لوصف موقع الطاهرية، وهي على خمس مراحل أسفل آمل. لذا فإنه لا يحق لنا أن نستنتج بأن مخرج قناة هزاراسب كان آنذاك قرب چارجوى الحالية.
(٥٣٠) المقدسي، ص ٢٩٢.
(٥٣١) الاصطخري، ص ٣٠٢.
(٥٣٢) ياقوت، الجزء الثاني، ص ٥١٢.
(٥٣٣) الاصطخري، ص ٣٠٤.
(٥٣٤) المقدسي، ص ٣٤٣. هذا التحديد للمسافة موضع لشك كبير كما بيّنا قبل قليل في إحدى الحواشي.

Duldul-atlagan ، الواقع بين محلتي اوچ چچاق Uch-chuchak (أو اوچ اوچاق Uch-uchak) وايچكه ير Ichke-yer حيث يضيق النهر فيصبح عرضه ثلاثمائة واثنين وتسعين ياردة. وأسفل الخانق بثلاثة فراسخ (أو مرحلة على حد قول ابن حوقل)/[٥٣٥] تخرج من النهر قناة كبيرة هي قناة گاوخواره[٥٣٦] (أي « ما يأكل البقر ») التي كانت أكبر من قناة هزاراسب بمقدار الضعف، وكان عرضها نحو خمسة أبواع (أي بين ثلاث وأربع ياردات) وعمقها نحو قامتين (أنظر أعلاه ص ١٧٣). وكانت قناة كبيرة تتفرع من قناة گاوخواره على بعد خمسة فراسخ من مخرجها. وأسفل مخرج گاوخواره بستة فراسخ وذلك على الضفة اليمنى لنهر امودريا كانت تقع قرية غار الخشنه أو غارالخشنه، وابتداء من هذا الموضع كانت تبدأ الزراعة والعمارة على الضفة اليمنى للنهر. وبين قناة گاوخواره[٥٣٧] والمجرى الرئيسي للنهر كان يقع رستاق عاصمة خوارزم كاث، بينما كانت المدينة نفسها تقع على مسافة اثني عشر فرسخاً من مجرى گاوخواره. ومن الضفة اليسرى للنهر كانت تخرج قناة مدرا التي كانت تنتهي عند المدينة التي تحمل نفس ذلك الاسم، وكان يفصل هذه القناة نحو من ميل[٥٣٨] (ثلث فرسخ) من قناة خيوه. وعلى نحو ميل إلى الشمال من قناة مدرا كانت تخرج قناة وداك التي تنتهي عند كركانج، ومن مجرى وداك إلى كث فرسخان. وكانت قناة مدرا أكبر من قناة گاوخواره بمقدار الضعف. وليس بين أيدينا معلومات تفيدنا عن موقع مدينة مدرا هذه، ووفقاً لكلام السمعاني وياقوت[٥٣٩] فإن قرية فرنيفثان كانت تقع على مسافة فرسخين منها.

وكانت قصبة خوارزم في الماضي كاث الواقعة على الضفة اليمنى للفرع الرئيسي للنهر على مرحلة من خيوه[٥٤٠]، ووفقاً لقول ياقوت[٥٤١] فإن لفظ كاث بلغة أهل خوارزم

---

(٥٣٥) ابن حوقل، ص ٣٥٤.

(٥٣٦) عن القنوات راجع الاصطخري، ص ٣٠١ - ٣٠٣.

(٥٣٧) وفقاً لياقوت (الجزء الرابع، ص ٢٣٠ - ٢٣١؛ وهو مخطىء في هذا) فإن قناة كاوخواره كانت تجري قرب درغان التي تقع وفقاً لألفاظه على ميلين من النهر (الجزء الثاني، ص ٥٦٧)؛ De Goeje, Das alte Bett des Oxus, S. 113

(٥٣٨) وفقاً للمقدسي (ص ٢٩٢) نصف فرسخ؛ ونفس المسافة كانت تفصلها عن وداك.

(٥٣٩) السمعاني تحت لفظ « الفرينفثاني »؛ ياقوت، الجزء الثالث، ص ٨٨٥. ولا يسجل ياقوت موقع القرية. وفي هذا الموضع يذكر السمعاني مدينة مدراكث؛ ووفقاً لدى دي خويه فإن المقدسي يذكر نفس هذه المدينة تحت اسم مدراميثن (المقدسي، ص ٢٨٧، حاشية f).

(٥٤٠) الاصطخري، ص ٣٤١.

(٥٤١) المعجم، الرابع، ص ٢٢٢.

هو « الحايط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء »، أي أنه كان يحمل نفس مفهوم لفظ ترتكل Turtkul المستعمل حالياً بآسيا الوسطى.[٥٤٢] وأثناء الغزو العربي كانت المدينة تتكون من ثلاثة أقسام، كان أحصنها وهو القلعة يحمل اسم فيل أو فير[٥٤٣]. وبحسب قول البيروني[٥٤٤] فإن الفير هذا كان « قلعة على طرف مدينة خوارزم مبنية من طين ولبن ثلاثة حصون بعضها في بعض متوالية في العلو وفوق جميعها قصور الملوك » وأنه كان بالوسع رؤيته « من مقدار عشرة أميال وأكثر، فحطمه نهر جيحون وهدمه وذهب به قطاعاً كل عام ». وفي عهد الاصطخري[٥٤٥] كان الأهالي قد هجروا القلعة وجميع المدينة القديمة، بل إن أبواب المدينة القديمة كان قد ذهب بها الماء وكان يخاف على القلعة أيضاً من أن تتهدم بأكملها. هذا وقد ابتنى الأهالي دورهم شرقي خرائب المدينة. والى جوار القلعة كان يوجد المسجد الجامع وقصر خوارزمشاه والحبس. وكان يشق وسط المدينة قناة تقوم السوق على جانبيها. وكانت المدينة ثلث فرسخ في الطول ومثله في العرض، أو ثلاثة فراسخ على قراءة أخرى (ابن حوقل والمتن الفارسي للاصطخري). ويقول ابن حوقل[٥٤٦] إنه لم يوجد في أيامه أي أثر للقلعة أو للمسجد الجامع والحبس المجاورين لها، بيد أننا نعلم من البيروني أن آخر أطلال فير لم تختف إلاّ في عام ٩٩٤.

200

ويصف لنا المقدسي[٥٤٧] عاصمة خوارزم بالصورة الآتية: « كاث يسمونها شهرستان وهي على الشط نحو نيسابور [٥٤٨] (أي في قدرها، وفي مخطوطة أخرى للكتاب « أكبر من بخاري »)، وهي شرقي النهر لها جامع في وسط الأسواق[٥٤٩] على أساطين حجارة سود إلى قامة (أي خمسة أقدام)، ثم فوقها سواري الخشب. ودار الإمارة في وسط البلد ولهم قهندز (أي قلعة) قد خربه النهر، ولهم أنهار في البلد. وهو نفيس ذو علماء وأدباء

---

(٥٤٢) أنظر Bartold, Otchet o poezdke v Sredniue Aziu, str. 12، بل إن المدينة التي بناها الروس وأطلقوا عليها اسم پترو الكسندروفسك Petro – Aleksandrovsk أخذت بعد الثورة اسم تُرتُكل.

(٥٤٣) Sachau, Zur Geschichte, I, S. 20, 24.

(٥٤٤) Ibid., S. 10, 12

(٥٤٥) الاصطخري، ص ٣٠١.

(٥٤٦) ابن حوقل، ص ٣٥١.

(٥٤٧) المقدسي، ص ٢٨٧ – ٢٨٨.

(٥٤٨) وفقاً للاصطخري فإن مساحة نيشابور « فرسخ في فرسخ » (ص ٢٥٤).

(٥٤٩) يبدو من وصف المقدسي أن الأمر يتعلق بمبنى لم يذكره الاصطخري. وهذا يوكد قول ابن حوقل قبل قليل فيما يتعلق بخراب المسجد السابق.

ومياسير وخيرات وتجارات، بنّاؤون حذاق وقرّاء ليس مثلهم بالعراق وحسن نغم وجودة قراءة ومنظر وخبر إلاّ أنها في كل حين يغلب عليها النهر ويتأخرون عن الشط. (والمدينة) أوسخ من أردبيل كثيرة الميازيب إلى الطريق، عامة تغوطهم في الشوارع ويجمعون البلاذات في الحفائر ثم ينقلونها إلى السواد في المشافل، لا يمكن الغريب أن يظهر إلاّ أن يضيء النهار من كثرة البلاذات، وهم يدوسونها بأرجلهم». وأطلال كاث القديمة 201 تعرف حالياً باسم شيخ عباس ولي(٥٥٠)، والحصن الصغير الحديث البناء لا يشغل من القلقة القديمة إلاّ ربعها، وهناك منارة وبقايا سور قديم لا تزال ماثلة للعيان.

لقد رأينا كيف أن قناة وداك الكبيرة (وهي مجرى قنيادريا Kunya - Darya الحالي وفقاً لدي خويه)(٥٥١) كانت تخرج من النهر فوق كاث قليلا، أما أسفل المدينة فكانت تخرج قناة بُوّة التي كانت تتصل بقناة وداك قريباً من قرية أندراستان على مرحلة من كركانج، وكانت هذه القناة أصغر من قناة وداك. وعلى غلوة (أنظر أعلاه ص ١٩٠، حاشية ٢٩٩) من كركانج أقيم على النهر سد من الخشب فانحرف مجرى النهر نحو الشرق، وفيما مضى كان ماء النهر يصل عند أقدام المدينة نفسها. من هذا يبدو جلياً أن مجرى نهر اورون دريا Urun - Darya، وذلك بين قنيا ارگنج Kunya - Urgench وبحيرة صاري قاميش Sary - Kamish، لم يكن مليئاً بالماء في عهد السامانيين، ومن ثم فيجب اعتبار ألفاظ المسعودي(٥٥٢) بصدد «بحيرة الجرجانية» (أي صاري قاميش) إضافة أدخلت في عصر لاحق. وثمة فرع من النهر كان ينحرف شرقاً فيمر بقرية فراتگين أو براتگين، وكانت هذه القرية على خمسة مراحل(٥٥٣) من كاث إلى الشرق من النهر وعلى مسافة منه ليست بالقصيرة (أكثر من أربعة فراسخ)(٥٥٤)، وكان يفصل فراتگين من بحر آرال مرحلة واحدة(٥٥٥). وعلى قول المقدسي(٥٥٦) فان فراتگين

---

(٥٥٠) يصفها كون A. Kun تحت اسم شاه اباد ولي في Kultura oazisa nizovev Amu - Dari, str. 251 i sl.

(٥٥١) De Goeje, Das alte des Oxus, s. 71.، غير انه من الجلي أن وداك كانت قناة فحسب وبالتالي فلا يجوز الخلط بينها وبين المجرى الرئيسي للنهر في القرن العاشر.

(٥٥٢) التنبيه، ص ٥٥؛ الترجمة، ص ٩٦.

(٥٥٣) هكذا وفقا للاصطخري، ص ٣٤١؛ أما المقدسي فيقدم لنا مسافة أكبر من هذا بكثير (أنظر ما يلي).

(٥٥٤) الاصطخري، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٥٥٥) المقدسي، ص ٣٤٣.

(٥٥٦) شرحه، ص ٢٨٨.

كانت قرية كبيرة تقع في المفازة قرب الجبل وكانت تحمل منها الحجارة إلى المواضع المختلفة، وكان مسجد الجامع وسط السوق ومباني القرية من طين جيد. وإلى الشرق من المجرى الرئيسي للنهر كانت تجري قناة كردر الكبيرة التي كان مخرجها من النهر على أربعة فراسخ أسفل كاث. ويصف ابن رسته[٥٥٧] هذا الموضع بقوله « فإذا انحدر (أي النهر) من المدينة انشعبت منها أنهار وفيوض ذات اليمين وذات الشمال فصارت منها بطائح وآجام ومروج ». وكانت هذه القناة تخرج من أربعة مواضع متقاربة فتصير قناة واحدة في قدر بوّه ووداك بعد التقائها، وليس هناك ذكر لطول هذه القناة ولكن يقوم الدليل على أنها كانت طويلة إلى حد ما أن كردر كانت هي الحد الشرقي لرستاق مزداخقان الذي يقع في مقابلة كركانج بينما كانت مدينة كردر كما سنرى بعد قليل تقع على دلتا امودريا نفسها.

ومدينة كركانج التي دعاها العرب الجرجانية ثم أطلق عليها المغول والترك فيما بعد اسم أُركنج Urgench، كانت تقع على مسافة غلوة من السد الذي مر ذكره وعلى مسافة فرسخ من المجرى الرئيسي للنهر[٥٥٨]. وكانت المدينة تعتبر أهم موضع على الضفة الشرقية لامودريا، بل إنها كانت تنمو يوماً عن آخر على حد قول المقدسي[٥٥٩]. وكان للمدينة أربعة أبواب، وكانت مياه القنوات تصل إلى أبوابها ولكنها لم تكن تدخل المدينة وذلك لضيق مساحتها. ومن بين أبنيتها يرد ذكر لقصر المأمون عند باب الحجاج، وكان باب هذا القصر متقن الصنعة بصورة لا مثيل لها في خراسان كلها. هذا وقد ابتنى ابنه على بن المأمون قصراً آخر في مواجهة قصر أبيه وترك أمامه ميداناً تقليداً لريكستان بخارا، وفي هذا الميدان الفسيح كانت تباع الأغنام. والأرجح أن المقصود بهذه الاشارة هو المأمون محمد امير كركانج الذي أخضع بالتالي وذلك في عام ٩٩٥[٥٦٠] الجزء الجنوبي من خوارزم أيضاً واتخذ لنفسه لقب خوارزمشاه الذي كان يحمله حتى تلك اللحظة ممثلو الأسرة الحاكمة القديمة بكاث. هذا وقد خلفه ابنه علي عام ٩٩٧، ومن الجلي أن القصر قد ابتناه الأمير في حياة أبيه. وعلى عهد السامانيين كانت كركانج لا تزال أقل شأناً من كاث، ولكنها كانت تنمو يوماً عن آخر[٥٦١]. وليس بأيدينا معلومات مفصّلة عن المدينتين

202

---

(٥٥٧) ابن رسته، ص ٩١.

(٥٥٨) الاصطخري، ص ٣٤٢.

(٥٥٩) المقدسي، ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

(٥٦٠) عن هذا التاريخ راجع ما يلي من الكتاب (ص٤٠١، حاشية ٥٩٧).

(٥٦١) المنارة القائمة بين أطلال كركانج القديمة ابتناها خوارزمشاه المامون بن المامون في عام ٤٠١ هـ =

على مدى القرنين الحادي عشر والثاني عشر. وفي القرن الثاني عشر [٥٦٢]اكتسبت كركانج أهمية جديدة كعاصمة لدولة شاهات خوارزم القوية، ولما صارت هذه الدولة أقوى دولة في العالم الاسلامي لم يعد هناك مفر من أن تثري عاصمتها بخزائن البلاد المفتوحة. وياقوت[٥٦٣] الذي زار كركانج في نهاية عام ١٢١٩ وبداية ١٢٢٠ يعتبرها أعظم وأثرى مدينة رآها في حياته[٥٦٤].

وقد حفظ لنا المقدسي[٥٦٥] خير تعداد مفصّل لمدن خوارزم وقراها، مع تحديد المسافات التي تفصل بينها. كما قدم إلى جانب ذلك وصفاً للطرق المختلفة على كلا جانبي النهر. فعلى الطريق من هزاراسب إلى كركانج تتابع المنازل بالصورة الآتية:

هزاراسب	
زردوخ[٥٦٦]	بريدان[٥٦٧]
203 كردران خاس[٥٦٨]	بريد
خيوه	بريدان
رخشميثن أو أردخشميثن[٥٦٩]	مرحلة
دسكاخان خاس	مرحلة
اوزارمند أو وزارمند	بريدان

= ١٠١٠ - ١٠١١. هذا وقد نشر كاتانوف الكتابة العربية المدونة على صفيحة من الحديد وجدت في أسفل المنارة N. Katanov, Khorezmiiskia svintsovia plita, str. 015 i sl.

(٥٦٢) (هكذا في الطبعة الروسية لعام ١٩٠٠. أما في الترجمة الانجليزية لعام ١٩٢٨ فقد ورد «القرن الثالث عشر»، وهو سهو واضح لأن كركانج خربت على أيدي المغول في عام ١٢٢١ - الناشرون).

(٥٦٣) المعجم، الجزء الرابع، ص ٥٤، ٤٨٦.

(٥٦٤) (أنظر Iakobovski, Razvaliny Urgencha - الناشرون).

(٥٦٥) المقدسي، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٥٦٦) في التعداد العام لمدن خوارزم (شرحه، ص ٢٨٦) ترد زردوخ على الدوام على الشط الأيمن للنهر

(٥٦٧) كان «البريد» في الولايات الشرقية يعادل فرسخين (BGA, IV, 187)

(٥٦٨) يقارب دي خويه (Das alte Bett des Oxux, S. 84) بين كردران خاس وقرية كردن خاست الواردة لدى أبي الغازي بين خيوه وهزارسب (ويقول دي خويه سهواً «Unterhalb Khiwa» - أي أسفل خيوه؛ راجع أبو الغازي، طبعة دي ميزون، ص ٢٢٦، والترجمة، ص ٢٤٣).

(٥٦٩) وفقاً لياقوت (المعجم، الجزء الأول، ص ١٩١؛ حيث ترد في صورة ارتخشميثن) على ثلاث مراحل من كركانج. هذا وقد عبر ياقوت النهر بين كاث وارتخشميثن في شوال من عام ٦١٦ هـ (أي بين العاشر من ديسمبر ١٢١٩ والسابع من يناير ١٢٢٠) عندما كان النهر تغطيه كتل من الثلج.

روزوند	بريد
نوزوار	مرحلة
زمخشر	مرحلة
كركانج	مرحلة

وثمة طريق آخر أقصر من هذا يورده الاصطخري(٥٧٠) الذي يقرر أن الرحلة من كاث إلى كركانج لم تكن تستغرق أكثر من ثلاث مراحل، إحداها الى اردخشميثن وأخرى من اردخشميثن إلى نوزوار وثالثة من هذه الأخيرة إلى الجرجانية. وهو يعد مرحلة من هزاراسب إلى خيوه ومثلها من خيوه إلى كاث، غير أنه في ذات الوقت يقدم لنا بالفراسخ مسافة أكثر قليلا من تلك وعلى الوجه الآتي:

هزاراسب	
كردران خواس	ثلاثة فراسخ
خيوه	خمسة فراسخ
سافَرْدَز	خمسة فراسخ
كاث	ثلاثة فراسخ

ولا يرد ذكر لسافردز في طريق المقدسي، ولكنه ذكرها على رأي دي خويه ضمن مدن الضفة اليسرى تحت اسم سدفر(٥٧١). ومن الغريب أن السمعاني وياقوت(٥٧٢) وضعا سافردز « قريباً من آمل الماء على طريق خوارزم ». ولعله من الموثوق به أن موضع زمخشر تشير إليه الأطلال المعروفة تحت اسم زمكشر Zmukshir، غير أن هذه النقطة الأخيرة يفصلها من خيوه أكثر من خمسين ميلاً ومن قنيا ارگنج حوالي خمسة وثمانين ميلاً، مما لا يتفق تماماً مع المعطيات التي يقدمها لنا المقدسي(٥٧٣) رغماً من أن المسافة من خيوه الى قنيا أُرگنج عن طريق زمكشر تقرب كثيراً في مجموعها من المسافة بين خيوه وگرگانج كما ذكرها المقدسي.

---

(٥٧٠) الاصطخري، ص ٣٤١.

(٥٧١) المقدسي، ص ٢٨٧.

(٥٧٢) المعجم، الجزء الثالث، ص ١٢.

(٥٧٣) حسب قول ابن بطوطة (الجزء الثالث، ص ٦) فإن زمخشر لم يكن يفصلها عن خوارزم (كركانج) سوى أربعة أميال.

204 ويقدم لنا المقدسي[٥٧٤] معلومات ضئيلة عن بعض المواضع التي مر ذكرها فزردوخ مثلاً كانت قرية كبيرة عليها حصن ولها ربض، وروزوند متوسطة في الرقعة ويحيط بها خندق وكان يشقها الطريق الكبير، أما مسجدها الجامع فكان على طرف السوق وشرب الأهالي من عين لهم. وأما نوزوار فقرية صغيرة عليها حصن وخندق وأبواب حديد، وكان الطريق يشقها ولها بابان وجسر يرفع كل ليلة، وعلى باب المدينة الغربي حمّام لم يكن بالأقليم مثله، والجامع في السوق وكان مسقوفاً كله إلاّ قليلا. وقد شابهتها في ذلك زمخشر وكانت قرية صغيرة لها حصن وخندق وأبواب من الحديد ومحبس وجسر يرفع كل ليلة وجامع طريف بطرف السوق، وبالإضافة الى هذا كان الطريق الكبير يشقها. وعلى عهد السمعاني[٥٧٥] كانت زمخشر قرية كبيرة أشبه ما تكون بالمدينة. ويرد لدي السمعاني وياقوت[٥٧٦] ذكر لقرية أخرى على الضفة اليسرى قرب هزاراسب تسمى ساوكان، ويضعها ياقوت بين هزاراسب وخشميثن، أي أردخشميثن[٥٧٧]. وياقوت الذي مر بساوكان عام ١٢٢٠ يصفها بأنها قرية عامرة آهلة فيها سوق كبير وجامع حسن بمنارة.

أما فيما يتعلق بالضفة اليمنى للنهر فان المقدسي يعدد منازل الطريق ابتداء من «مضيق النهر» إلى مزداخقان[٥٧٨] الواقعة في مواجهة كركانج على بعد فرسخين من شط النهر (أي قريباً من خُجَيْلي Khojeili)، وذلك بالصورة الآتية:

رباط ماش	مرحلة
رباط سنده	مرحلة
بغرقان	مرحلة
شراخان	مرحلة

(٥٧٤) المقدسي، ص ٢٨٨ - ٢٩٠.

(٥٧٥) السمعاني تحت لفظ «الزمخشري».

(٥٧٦) المعجم، الجزء الثالث، ص ٢٤.

(٥٧٧) بعض المصادر يذكر خشميثن واردخشميثن على أنها مستقلتان؛ انظر الاصطخري، ص ٢٩٩.

(٥٧٨) الاصطخري، ص ٣٤٢. يرد ذكر مزداحقان مراراً ليس لدى أبي الغازي وحده بل وفي تاريخ خيوه من القرن التاسع عشر. ويقع مرتفع (قير) مزداخقان على مسافة فرسخ من خجيلي. وفي هذا الموضع يشير الأهالي الى قبر للنبي شمعون الذي يقال إنه الحواري بطرس وفي نفس الموضع تقوم أطلال لقلعة تسمى قاور قلعه (اي قلعه الكفار). انظر Kun, Kultura oazisa nizovev Amu-Dary, str. 217, و Bartold, Orashenie, str. 83 (كذلك البحث الأحدث من ذلك: Iakobovski, Gorodishche Mizdakhkan - الناشرون).

كاث	مرحلة
خاس	مرحلة
نوزكات	بريدان
وايخان	مرحلة
نوباغ	مرحلة
مز١اخقان	مرحلتان في المفازة

205

وإلى جانب هذا الطريق يرد ذكر لطريقين آخرين، تقود إحداهما من رباط ماش مارّة على المنازل الآتية:

أمير	مرحلة
باراب سار	بريدان
أردخيوه	مرحلة

أما الثانية فتبدأ عند كاث، ويرد عليها ذكر المنازل والمسافات الآتية:

غردمان	مرحلة.
وايخان	بريدان
أردخيوه	بريد
نوكباغ	مرحلة

ومن «مضيق النهر» إلى شراخان Shurakhan الحالية نحو الستين ميلا، وهذا يتفق بالتقريب مع المراحل الأربعة التي يشير إليها المقدسي، ومن شراخان إلى كاث القديمة (أي قرية شيخ عباس ولي الحالية) نحو العشرين ميلا. أما بغرقان التي يذكرها المقدسي فلا علاقة لها البتة ببغرقان الواردة لدى أبي الغازي والتي كانت تكوّن الحد الشمالي لمساكن الأوزبك النازلين بمنطقة خيوه[٥٧٩]. ومن شيخ عباس[٥٨٠] ولي إلى خجيلي نحو مائة وخمسة

(٥٧٩) أبو الغازي، طبعة ديميزون، ص ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٠، والترجمة، ص ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١. وبما أنه ورد لديه اسم بغرقان اتا فإن مسقط رأس الزاهد حكيم آتا سيكون بطبيعة الحال هو بغرقان أبي الغازي وليس بغرقان المقدسي، وذلك على الرغم من رأي زاليمان Legenda pro Khakim – Ata, str. 106 ومقبرة حكيم اتا تقع الآن في موضع ليس ببعيد من قنغرات الحالية: أنظر Bartold, Oroshenie, str. 88; sl.

(٥٨٠) (ورد سهواً مرتين في الطبعة الانجليزية للكتاب لعام ١٩٢٨ «شاه عباس ولي»، ص ١٤٦ وص ١٥٠ – الناشرون). (لم يذكر الناشرون السوفيت السبب الذي جعلهم يفضلون قراءتها «شيخ عباس ولي» بدلا =

من الأميال، لذا فإنه فيما يتعلق بالشطر الثاني من الطريق (خاصة اذا أخذ الطريق الأقرب من كاث إلى وايخان مارا بغردمان) فإن المسافات التي ذكرها المقدسي تقرب كثيراً من الصحة أيضاً. ويمكن وضع غردمان قريباً من كورلن Gurlen الحالية. وخاس ترد لدى الاصطخرى[٥٨١] في صورة درخاس وهو يضعها على مرحلتين من كاث، أما في عهد أبي الغازي فانه نسبة لتغيير النهر مجراه فقد أصبحت على الضفة اليسرى[٥٨٢]. أما وايخان فأغلب الظن أنها قريبة من منكيت Mangit، وأما اردخيوه فعلى بريد من وايخان وكانت تقع كما سنرى فيما بعد تحت جبل قريباً من محطة بريد خوجه قول. ومن الجلي أن الطريق الممتدة من رباط ماش الى أردخيوه كانت تتبع في البداية الضفة اليمنى لقناة گاوخواره، ثم أصبحت فيما بعد تتبع الضفة اليمنى لكُرْدر أي المجرى الرئيسي الحالي للنهر[٥٨٣]. ولم يكن من العسير أن تُقطع هذه المسافة (حوالي ١١٥ ميلا) في خمسة أيام.

206

وترد تفاصيل عن المواضع الآتية[٥٨٤]: فقرية غردمان كان عليها حصن ولها بابان وخندق مليء بالماء سعته رمية سهم. وكذلك كان يحيط بقرية وايخان خندق وعلى أبوابها عرّادات (Catapults). أما أردخيوه فكانت تقع على طرف الصحراء وعليها حصن بباب واحد وهي تحت جبل. وحول نوكفاغ (نوكباغ) كانت توجد قناة تخرج من امودريا وتذهب في الصحراء. ومزداخقان كانت مدينة كبيرة حولها رستاق واسع واثنا عشر الف (؟) حصن، أما المدينة نفسها فكانت تقارب كركانج في الرقعة. ويضع ابن رسته[٥٨٥]

= من «شاه عباس ولي» التي فضلها بارتولد في الترجمة الانجليزية للكتاب والتي اشرف على تصحيحها بنفسه - المترجم).

(٥٨١) الاصطخري، ص ٣٤١.

(٥٨٢) De Goeje, Das alte Bett des Oxus, s. 79

(٥٨٣) من الطريف ان قناة كردر كانت تعتبر في القرن العاشر المجرى الرئيسي القديم للنهر؛ راجع الاصطخري، ص ٣٠٣. هذا ويرد ذكر مدينة كردر (أنظر ما يلي) لدى الطبري (القسم الثاني، ص ١٥٢٥) تحت أحداث عام ١١٠ هـ كمقر «لملك». لكل هذا فانه من المستبعد ان يكون النهر قد جرى في منخفض ازبوي Uzboi الى بحر قزوين في القرن السابق للفتح العربي. راجع Bartold, Oroshenie, str. 82; الرأي المعارض لدى Herrmann, Alte Geographie ونقدي له في ZVORAO, t. XXII, str. 357; sl.

(٥٨٤) المقدسي، ص ٢٨٨.

(٥٨٥) ابن رسته، ص ٩٢.

قرية هراوز (أو) هرواز في رستاق مزداخقان، على حافة النهر. وكانت جميع القرى التي مر ذكرها محصّنة.

أما بالنسبة للمنطقة الواقعة أسفل مزداخقان فيرد ذكر المنازل والمسافات الآتية:

مزداخقان

درسان	بريدان
كُرر	مرحلة
جويقان	بريدان
براتكين	مرحلة
ضفة البحيرة	مرحلة

كذلك يرد ذكر لطريق آخر بنفس الطول يربط بين مزداخقان وكردر وذلك على النحو التالي:

وردراغ (؟)	مرحلة
كردر	مرحلة

ويجعل الاصطخري[٥٨٦] المسافة من درخاس إلى كردر مرحلة واحدة، ومن كردر الى براتكين مرحلتين؛ والقول الأول سهو دون شك. ذلك أن المسافة من خجيلي الى بحر آرال، أي عن طريق قُنغرات Kungrad ومنتهية عند خليج طالدق Taldyk وتبلغ حوالي المائة ميل، هذه المسافة يمكن قطعها في خمسة أيام، فلو كان المجرى الرئيسي للنهر يصب آنذاك عند أَيْبُكير Aibugir لكانت المسافة أقصر من ذلك. وبما أن الجغرافيين لا يقدمون لنا أية معلومات عن دلتا امودريا أو عن عدد أذرع النهر ومواضع مصباتها فإنه 207 من العسير تحديد مواقع المنازل المختلفة. واعتماداً على المعطيات التي مرت قبل قليل (ص ٢٥٢) فقد يستطيع شخص ذو خبرة بالمنطقة أن يحدد موقع براتكين[٥٨٧]، أما كردر فإن

---

(٥٨٦) الاصطخري، ص ٣٤١.

(٥٨٧) لعله كان بالامكان اعتمادا على المسافات تحديد موقع براتكين قريبا من مرتفعات كشكانه - تاو؛ غير أن التركيب الجيولوجي لهذه الجبال والذي لا يوجد فيه تحجُّرات (Petrification) قد لا يسمح بوجود «محاجر» (Stone quarries) بها. وكشكانه - تاو هي القسم الأعلى من هضبة (قير) قرا - تاو؛ وتوجد الى جانب ذلك تلال تحمل أسماء كوبه - تاو وپيغمبر - قيز وغيرها. راجع Kun, Kultura oazisa nizovev Amu - Dari, str. 224 i sl.

كل ما نعرفه عنها هو أنها كانت أكبر من نوكفاغ وأحصن منها(٥٨٨).

وغير بعيد من براتگين كانت تقع مذمينية، أقرب شيئاً ما إلى النهر وإن كان يفصلها عنه أربعة فراسخ(٥٨٩)؛ ومذمينيه هذه التي يدعوها المقدسي(٥٩٠) مدكمينيه كانت تمثل أقصى موضع للعمران في المنطقة من ناحية الشمال. وفي مواجهة مذمينيه، أي على الضفة اليسرى لأمودريا، كانت تقع قرية كيت أو جيت قرب جبل ووراء هذا الجبل المفازة. ولا يرد ذكر للمسافة بين كيت وكركانج، إنما يرد فقط أن كيت كانت على خمسة فراسخ من كوجاغ(٥٩١) (؟). ويضع المقدسي(٥٩٢) كيت في المفازة على حد الغز ومنها المدخل إلى بلادهم، ويصفها بأنها قرية كبيرة واسعة الرساتيق ومحصّنة. ويقول دي خويه(٥٩٣) إن كيت هي نفس مدينة وزير التي نالت أهمية كبيرة في القرن السادس عشر وهو يرى أطلال هذه المدينة إما في خرائب ديوكـكن Dew Kesken الواقعة على سفح اوست - اورت Ust-Urt وذلك بجوار چنك Chink مباشرة، أو في خرائب شَرْوَن Sharvan على مسافة أربعة وعشرين ميلا إلى الجنوب الشرقى من قنيا - أركنج (٥٩٤). غير أن كيت كانت تقع على مسافة أبعد من ذلك في اتجاه الشرق «بحذاء مذمينية». ووفقـاً للاصطخري(٥٩٥) فـإن قريـة مذمينيـة كانـت من أعمال كركانـج، وسبب وجودها على الضفة اليمنى للنهر هو أن النهر كان قد غيّر مجراه عند كردر ليجري بين كيت ومذمينية. ومن كلام الاصطخري هذا (الذي يردده لنا ابن حوقل)

---

(٥٨٨) المقدسي، ص ٢٨٨.

(٥٨٩) الاصطخري، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٥٩٠) المقدسي، ص ٢٨٦.

(٥٩١) الاصطخري، ص ٣٠٢. ولا يرد ذكر لأي موضع بهذا الاسم. وفي بحثه عن امودريا (Das alte Bett des Oxus, S. 64) يقترح دي خويه قراءتها كركانج أو كركانجك (أي كركانج الصغيرة؛ أنظر ما يلي). غير أنه سيكون من العسير توضيح السبب الذي جعل الاصطخري يستعمل في هذه الحال الشكل الفارسي للإسم، والذي لم يُقابل حتى هذه اللحظة لديه أو لدى أي من الجغرافيين العرب للقرن العاشر.

(٥٩٢) المقدسي، ص ٢٨٩.

(٥٩٣) De Goeje, Das alte Bett des Oxus, S. 63-64

(٥٩٤) كانت أطلال وزير معروفة جيداً الى القرن التاسع عشر؛ وقريباً منها كانت تقوم أطلال قلعة شماخه المذكورة على الخارطات الروسية تحت اسم شماكي Shimaki، راجع كتابي Oroshenie, str. 100. هذا ويرجع بناء وزير الى ما قبل عام ١٤٦٤ بقليل؛ انظر شرحه، ص ٩٢.

(٥٩٥) الاصطخري، ص ٣٠٣.

يبدو واضحا أن مذمينية كانت تقع الى الغرب أكثر من بقية المدن والقرى الواقعة على الضفة اليمنى للنهر. أما على شواطيء بحر آرال نفسه وعند مصب امودريا فيه فقد وجد موضع/يسمى خليجان، وهو موضع يقطنه الصيادون ولم تكن به قرية ولا بناء. ولم يكن 208 اسم خليجان على حد قول ابن رستة[٥٩٦] يطلق على المجرى الرئيسي للنهر بل على البطائح والمستنقعات الواقعة في مجراه الأدنى. وهنا كانت تصاد كمية كبيرة من الاسماك تصدّر من خوارزم إلى غيرها من البلاد. وأغلب الظن أن ابن رستة انما كان يصف فرع النهر الذي كان يصب في صاري قاميش، وأن خليجان التي يعنيها انما هي نفس هذا المصب وليست هي أيبكير، رغماً من أن الاصطخري كان يتكلم عن خليجان بوصفها موضع مصب امودريا في بحر آرال[٥٩٧]. ووفقاً لقول ابن رستة فإن محيط بحر آرال كان ثمانين فرسخاً بينما يجعله الاصطخري[٥٩٨] مائة فرسخ، والمرتفعات المحيطة بالشاطيء الغربي للبحر تسمى سياه كوه (أي «الجبل الأسود») على قول ابن رستة، هذا بينما يدعوها الاصطخري چغراغز، ولعل هذا الاسم الأخير يجب ربطه باسم قبيلة چغراق أو چغرات التي ورد ذكرها لدى بيهقي[٥٩٩] على أنها من جيران خوارزم؛ أما الشاطيء الشرقي فكانت تحيط به غياض ذات شجر كثيف ملتف لا يكاد يمكن اختراقها وسلوكها إلاّ في طريق ضيقة وعرة قد اتخذتها الخنازير البرية مسلكا لها. وكانت المسافة بين مصبي امودريا وسيردريا أربعة مراحل. وفيما عدا المدن والقرى التي ورد ذكرها فيما مر فإن المقدسي[٦٠٠] يذكر لنا أسماء الأماكن الآتية دون تحديد لمواقعها، فعلى الضفة اليسرى وجاز أو جاز (قرية كبيرة بحصن وخندق واسع وجسور، وهي بمعزل عن الطريق الكبير، والجامع على الطرف)، وكركانج الصغرى[٦٠١] (؟)، وجيت أخرى، ومساسان، وكاردار. وعلى الضفة اليمنى جشيره (قرية كبيرة محصنة).

ويضع ابن رستة[٦٠٢] قرية وَرَغْدِه أسفل كركانج بأربعة فراسخ، وأسفل ذلك وفوق

---

(٥٩٦) ابن رسته، ص ٩٢.

(٥٩٧) الاصطخري، ص ٣٠٣؛ راجع مادة «امودريا» لبارتولد بدائرة المعارف الاسلامية و Bartold, Oroshenie, str. 84

(٥٩٨) الاصطخري، ص ٣٠٤

(٥٩٩) طبعة Morley ص ٩١، ٣٩٨: (طبعة غني وفيّاض، ص ٨٦، ٢٨٤).

(٦٠٠) المقدسي، ص ٢٨٦ – ٢٨٩.

(٦٠١) وفقاً لياقوت (الجزء الرابع، ص ٢٦١) على ثلاثة فراسخ من كركانج الكبرى.

(٦٠٢) ابن رسته، ص ٩٢.

خليجان بقليل كانت تقوم قرية برابيض[٦٠٣] (؟)، وعلى الضفة اليمنى قريتان أخريتان أسفل هراوز لم يهتم بايراد اسميها[٦٠٤]. ويذكر السمعاني وياقوت بالإضافة إلى هذا أسماء القرى الآتية بخوارزم:

١) باف[٦٠٥]؛ ٢) بَرْقان أو بِرْقان، على الضفة اليمنى للنهر، من قرى كاث وعلى يومين من كركانج، وقد خرب أكثرها وأصبح مزارع منذ عهد السمعاني[٦٠٦]؛ ٣) بُغَيْدد/[٦٠٧]،وفي مصادر أخرى بغداد وبغدادك (أي «بغداد الصغرى»)، بين جند 209 وخوارزم، هذه القرية هي مسقط رأس الشيخ مجد الدين المشهور وأخيه صاحب المجموعة المعروفة من الرسائل الرسمية (أنظر ص١٠٣)؛ ٤) غوشفنج، نحو العشرين فرسخاً من كركانج[٦٠٨]؛ ٥) غزينز، من ناحية براغود[٦٠٩] (؟)؛ ٦) إشّ[٦١٠]؛ ٧) جنقان اخشّه[٦١١]؛ ٨) خرور، من نواحي ساوكان[٦١٢]؛ ٩) روذان[٦١٣]؛ ١٠) سرقسطة[٦١٤]؛ ١١) سيب[٦١٥]، موضع أو جزيرة من خوارزم السفلى؛ ١٢) سُبُرْنى أو سوبرني[٦١٦]، وهي على

---

(٦٠٣) هكذا في المخطوطة.

(٦٠٤) هذه المعلومات تتعلق بالذراع اليسرى للنهر التي تجري صوب صاري قاميش، كما بيّنا فيما مر.

(٦٠٥) السمعاني تحت لفظ «الباقي»؛ ياقوت، الجزء الأول، ص ٤٧٥.

(٦٠٦) السمعاني تحت لفظ «البرقاني»؛ ياقوت، الجزء الأول، ص ٥٧٠.

(٦٠٧) ياقوت، الجزء الأول، ص ٦٩٨. هذه المدينة كانت ترويها بالضرورة قناة من قنوات امودريا ورد ذكرها تحت اسم نهر بغدادك في وصف حملة تيمور لعام ١٣٨٨ (شرف الدين يزدي، طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ٤٤٧). وغير معروف لنا هل كانت هذه القناة تخرج من قناة كردز أم كاوخواره؛ راجع Bartold, Oroshenie, str. 87.ولعل موقع هذه المدينة تمثله كلدورسون قلعه الواقعة على الطريق الممتدة من پترو الكسندروفسك (تورتكل الحالية) الى آبار قوقچه Masalski, Turkestanskii Krai, str. 749

(٦٠٨) ياقوت، الجزء الثالث، ص ٨٢٥؛ ويوجد خلل في ضبطها.

(٦٠٩) السمعاني، تحت لفظ «الغزينزي»

(٦١٠) ياقوت، الجزء الأول، ص ٢٧٩.

(٦١١) شرحه، الجزء الثاني، ص ١٣٣.

(٦١٢) شرحه، ص ٤٢٩.

(٦١٣) شرحه، ص ٨٣٠ (عن العمراني).

(٦١٤) شرحه، الجزء الثالث، ص ٨٠ (عن العمراني).

(٦١٥) شرحه، ص ٢٠٩ (عن العمراني)

(٦١٦) شرحه، ص ٣٢، ١٨٢. كانت الشهرستان على ثلاثة أميال أو فرسخ الى الشمال من نسا، قريباً من عشقاباد الحالية. من هذا يمكن أن نستنتج أنه في بداية القرن الثالث عشر كانت الأرض العامرة تمتد أبعد صوب الجنوب مما كان عليه الحال في القرن العاشر. ولا يذكر المقدسي (ص ٣٤٤، الحاشية ٥) =

قول ياقوت موضع على حدود خوارزم على عشرين فرسخا من كركانج في الطريق إلى الشهر ستان (أي إلى خراسان)؛ ١٣) تُمُرتاش[٦١٧]. كما يرد أيضا في الرسائل التي مر ذكرها قبل قليل[٦١٨] إشارة الى قريتي نوخاس وسنكان اخسك.

ومن الجلي أن العزلة التاريخية التي ألقت جرانها على خوارزم إنما ترجع قبل كل شيء إلى موقعها الجغرافي. وفي الوقت الحاضر تحيط السهوب بذلك القطر من جميع الأنحاء. وربما يمكن الاستدلال من أقوال الاصطخري[٦١٩] على أنه قد وجد في العصور الوسطى حزام زراعي متصل العمران يبدأ عند آمل ويربط خوارزم بخراسان وبلاد ما وراء النهر، غير أن هذا في رأينا بعيد الاحتمال[٦٢٠]. وعلى أية حال فإن مثل هذا الحزام الزراعي ما كان ليشكل خطراً ما في حالات الغزو الأجنبي لأنه كان من السهل أن يغمر بالمياه، وهو إجراء لجأ اليه في واقع الأمر حكام خوارزم الفينة بعد الفينة. أما فيما يتعلق بالطرق التي تعبرالمفازة فقد كان من الممكن وفقاً لقول الاصطخري[٦٢١] العبور من قرية فرخشه بمنطقة بخارا إلى خوارزم في ثمانية أيام، ولم يكن المسافر ليلتقي برباط أو حتى بنافخ نار على طول هذه الرحلة سوى المراعي. ويحدثنا المقدسي[٦٢٢] عن طريق آخر من بخارا إلى ضفاف اموديريا ينتهي عند رباط جكربند الذي كان يقع في أغلب الظن في مواجهة القرية التي حملت ذلك الاسم. وكانت منازله هي الآتية: 210

على هذه الطريق سوى قريةُ واحدة (اردخوا)، وهي على مرحلة من كركانج؛ أما المراحل الأخرى فكانت تفصلها رباطات.

(٦١٧) ياقوت، الجزء الأول، ص ٨٧٣.

(٦١٨) Teksty, str. 75, 76 (بغدادي، كتاب التوسل)

(٦١٩) الاصطخري، ص ٣٣٨.

(٦٢٠) راجع Bartold, Oroshenie, str. 79

(٦٢١) الاصطخري، ص ٣٣٨.

(٦٢٢) المقدسي، ص ٣٤٣.

بخارا

امزه[٦٢٣]	بريدان
رباط تاش	مرحلة
شوروخ	مرحلة
الرمل	مرحلة
رباط طغان[٦٢٤]	مرحلة
رباط جكربند	مرحلة

وتضيف مخطوطة من مخطوطات مصنف المقدسي[٦٢٥] ذكراً لطريق يخرج من كرگانج ويبلغ به المسافر خراسان في ستة أيام، وكانت آخر منزلة على هذا الطريق هي رباط افراوه أو فراوه الذي كان يتكون من، ثلاثة حصون متصلة ويبعد أربعة فراسخ من نسا[٦٢٦]. ووفقاً لقول السمعاني[٦٢٧] فقد بني هذا الرباط عبد الله بن طاهر المتوفي عام ٨٤٤. ومن الجلي أن شطراً من هذا الطريق كان يتابع المجرى القديم لنهر امودريا (أُزبوى Uzboy)، ويرد ذكر المواضع الآتية عليه ويفصل كل موضع منها عنَ التالي مرحلة واحدة:

اردكوا
رباط باهان
رباط مهدي
رباط ميان شاه
بئر الحاكم
رباط أبي سهل
رباط دوغاج
رباط جعفر

---

(٦٢٣) يفترض دي خويه أن هذه القرية هي نفس قرية امديزه (راجع ما مر، ص ٢١٧)

(٦٢٤) في مسودة أخرى يقع «مضيق النهر» بين طغان رباط وجكربند، وهو أمر مستحيل. وفي الطريق التي يرد ذكرها أسفل ذلك يوضع «مضيق النهر» بين جكربند وسدور، وهو أصح.

(٦٢٥) المقدسي، ص ٣٤٤، الحاشية ٥.

(٦٢٦) شرحه، ص ٣٢٠؛ أنظر أيضاً الاصطخري، ص ٢٧٣.

(٦٢٧) السمعاني تحت لفظ «انفراوي»؛ ياقوت، الجزء الثالث، ص ٨٦٦.

211 ويورد لنا حمد الله قزويني وحاجي خليفة أسماء المنازل الآتية على الطريق من مرو 112 إلى كركانج[٦٢٨]:

سقرى أو سفرى	خمسة فراسخ
آبدان كنج	فرسخان
رباط سوران	ثمانية فراسخ
بئر بيرون[٦٢٩]	ثمانية فراسخ
رباط نوشاكر أو نوشاكرد	سبعة فراسخ[٦٣٠]
سنگاباد	سبعة فراسخ
الطاهرية[٦٣١]	ستة فراسخ
رباط بود[٦٣٢]	عشرة فراسخ
درغان	عشرة فراسخ
جكربند[٦٣٣]	سبعة فراسخ
رباط دهان شير[٦٣٤]	خمسة فراسخ
سَدُور أو سَدْوَر	أربعة فراسخ
هزاراسب	عشرة فراسخ
ديه ازرق (أي «القرية الزرقاء»)	عشرة فراسخ[٦٣٥]
اردخشميثن	سبعة فراسخ

(٦٢٨) حمد الله قزويني، نزهة القلوب، طبعة لسترانج Le Strange المتن ص ١٧٩ وما يليه؛ الترجمة ص ١٧٢؛ De Goeje, Das alte Bett des Oxus, s. 112; Jukovski Razvaliny Starogc Merva, str. 58-61, 81.

(٦٢٩) في المتن المطبوع «لنزهة القلوب» (طبعة لسترانج) (وهو أصح في أغلب الظن) «بئر الأرض» (چاه خاك)؛ وفي الترجمة «البئر الجافة Dry Well: خمسة فراسخ؛ بئر هارون: سبعة فراسخ».

(٦٣٠) في هذه المرحلة وجد رمل متحرك وذلك لمسافة ألفي خطوة.

(٦٣١) في المتن المطبوع (نزهة القلوب، طبعة لسترانج) ورد: طاهري رباط.

(٦٣٢) في المتن المطبوع (شرحه): بودينه.

(٦٣٣) في المتن المطبوع ترد جكربند قبل درغان؛ وتعطى المسافات على أنها تسعة فراسخ من بودينه رباط الى جكربند وخمسة فراسخ من هذه الى درغان.

(٦٣٤) هنا «مضيق النهر».

(٦٣٥) وفي طبعة لسترانج تسعة فراسخ.

اندراستان	ستة فراسخ
نوزوار	فرسخان
كركانج	ستة فراسخ

ولم يبق أمامنا الآن سوى وصف حوض سيردريا كي يكتمل عرضنا الجغرافي لبلاد ما وراء النهر. ونبدأ حديثنا فنقول إن الجغرافيين المسلمين كانوا يعتبرون عموداً لنهر 212 سيردريا (الذي كان العرب يسمونه سيحون[٦٣٦])/نهر قرادريا الذي لا يزال «معظم السكان المحليين إلى هذه اللحظة يعتبرونه المنبع الحقيقي لنهر سيردريا»[٦٣٧]. أما العمود الأكبر منه وأكثر ماءاً وهو نهر نارين فقد كان يحمل آنذاك اسم خيلام، وكان القسم من فرغانه الواقع بين هذين النهرين يحمل اسم ميان روذان[٦٣٨] (أي «ما بين النهرين») وهو تعبير يتفق تمام الإتفاق مع التسمية الحالية للنهر باللغة التركية (ايكي سو اراسي). أما من بين النقاط على الحدود المتاخمة لبلاد الترك فقد وجد إلى جانب اوزكند مدينتا بيسكند وسلات[٦٣٩] وناحية هفت ده (أي «القرى السبع») التي لم يفتحها المسلمون إلى القرن العاشر. وقريباً من هذه النقاط كان المعبر إلى بلاد الترك، ليس في واقع الأمر على طريق اوزكند ولكن غير بعيد عنه، ولعل المقصود في الحقيقة ممر كوكرت Kugart. وكانت أكبر مدن المنطقة هي خيلام (خيرلام لدى المقدسي)[٦٤٠] التي كانت تقع يقيناً على النهر الذي يحمل نفس الاسم. أما فيما يتعلق بمواقع هذه المواضع فإننا نلتقي بالمعلومات الآتية لدى الجغرافيين[٦٤١]: من اخسيكث (قصبة فرغانه آنذاك وتقع على عشرة أميال

---

(٦٣٦) عن التسميات القديمة للنهر أنظر Marquart, Chronologie, s. 5 و Bartold, Oroshenie, str. 130 والاسم القديم الذي يعطيه اليونان في صورة «يكسرت» Yaxartes حفظ لنا في الكتابة الصينية على صورة يو – چه Yo-cha (Chavannes, Documents, p. 140) وفي «خشرت» الموجودة «بحدود العالم» (الورقة ٢٤ أ). ولعل هذه هي نفس الكلمة التي يجب قراءتها في متن ابن خرداذبه المشوّه (ص ١٧٨، السطر الثالث).

(٦٣٧) Kostenko, Turkestanskii Krai, T. I, Str. 230

(٦٣٨) الاصطخري، ص ٣٣٤؛ ابن حوقل، ص ٣٩٦.

(٦٣٩) وفقاً لابن حوقل (٣٩٥) فإن بيسكند وسلاث كانتا كورتين مستقلتين. (في الطبعة الثانية لابن حوقل، ص ٥١٤، ورد الآتي: «واستياكند وشلاث فلها قرى وهما بابان للترك ويفضي إليها من ميان روذان»؛ وفي موضع آخر، ص ٥٢٥ «وشلاث واستياكند ليس بها منبر وهما ثغران وإنما يذكران لمحلها في الجهاد وإنها آخر الاسلام» – المترجم).

(٦٤٠) المقدسي، ص ٢٧٢.

(٦٤١) الاصطخري، ص ٣٤٦ – ٣٤٨.

جنوب غربي نامنجان قرب مصب كاسان سايى في نهر سيردريا) كانت تعد تسعة فراسخ إلى شكث أُولى قرى ميان روذان، وخمسة إلى سلات، ومن خيلام إلى سلات كانت تعد سبعة فراسخ. وعلى بعد سبعة فراسخ شمال غربي اخسيكث وذلك على الحدود بين فرغانه وايلاق (اي وادي نهر انگرين Angren) كانت تقوم مدينة وانكث، ومن وانكث إلى خيلام كانت تعد ثلاثة فراسخ. ولا شك أن المسافة الأخيرة مغلوطة أو تتعلق بوانكث أخرى (أنظر أسفله). وكانت خيلام وفقاً لألفاظ المقدسي مدينة كبيرة ذات جامع جميل، ووفقاً لألفاظ الاصطخري فهي مسقط رأس الأمير أبي الحسن نصر بن أحمد الساماني أخي اسماعيل الأكبر. وكانت شكث أيضا قرية كبيرة لها جامع بالسوق واشتهرت بجوزها الذي ربما بيع ألف منه بدرهم(٦٤٢).

أما فيما يتعلق بأكبر مدينتين على الثغور مع الترك وهما أوش وأوزكند(٦٤٣) فان اوش كانت تعد ثالث مدن فرغانه من حيث الرقعة، وكانت تتكون من شهرستان وقلعة وربض، وكانت دار الامارة والحبس داخل القلعة. وللمدينة ثلاثة أبواب هي: ١) باب الجبل، ٢) باب النهر، ٣) باب مغكده (أي «باب بيت النار»)؛ وكان جامعها وسط الاسواق. وكان يوجد بالقرب من المدينة رباط كبير يقصده المطوّعة من كل صوب، والأرجح أن هذا الرباط هو نفس «مرقب الأحراس على الترك» الواقع على الجبل(٦٤٤) الملاصق للمدينة، وحيث ابتنى بابر لنفسه فيما بعد داراً(٦٤٥). 213

وكانت اوزكند(٦٤٦) تبلغ ثلثي اوش، وهي بدورها كانت تتكون من شهرستان وقلعة

---

(٦٤٢) المقدسي، ص ٢٧١.

(٦٤٣) الاصطخري، ص ٣٣٣؛ ابن حوقل، ص ٣٩٤؛ المقدسي، ص ٢٧٢.

(٦٤٤) يمكن أن نستدل من ألفاظ ابن حوقل أنه وجد على الجبل مسلحة للأتراك كانوا يراقبون منها تجهزات المسلمين للغزو في سبيل الدين؛ غير أنه من العسير القول بأنه في عهد السامانيين تُرِك الجبل المشرف على المدينة ونواحيها في أيدي الترك.

(٦٤٥) بابرنامه، طبعة المينسكي، ص ٣؛ طبعة بفريدج، الورقة ٢ ب؛ ترجمة بفريدج، الجزء الأول، ص ٥؛ ترجمة ليدن - ارسكنز، ص ٢. ويحمل الجبل لدى بابر اسم «براكوه»، ولدى جمال قرشي (Teksty, str. 148) اسم «براكة»؛ وعليه وعلى جبل مجاور له مقابر للأولياء. وثمة رواية تزعم بأنه وجدت ها هنا مقبرة آسف وزير سليمان؛ ويشار في هذا الموضع اليوم إلى قبر سليمان نفسه، بل إن الجبل نفسه يحمل اسم «تخت سليمان» (أي «عرش سليمان»). أنظر .Shcherbina-Kramarenko, P. mus. Sv., str 53, وأيضاً رسالة عن اوش ترجمها وزودها بمشاهداته الشخصية ل. زيمين (L Zimin, Musul. skaz. str. 3 i sl.).

(٦٤٦) تكتب أيضاً يوزكند.

وربض. وكانت القلعة بالشهرستان، مما ميز اوزكند كما يقول المقدسي من غيرها من مدن فرغانه. وكان للمدينة أربعة أبواب ويأتي الماء بوفرة إلى جميع أنحائها، أما النهر الذي كان يمر أمام باب المدينة (وهو قرادريا) فكان يخاض لعدم وجود جسر عليه. واوزكند كانت مركزاً للتجارة مع الترك وكان يخرج منها كما هو معلوم طريق يؤدي إلى منطقة يدي صو، مجتازا عقبة يَسي إلى اتباش(٦٤٧). ومدينة اوزكند الحالية كانت في القرن التاسع مِلكاً لدهقان يدعى چورتكين، ولعله أمير تركي. واسم «دهقان چورتكين» كانت تحمله أيضاً محلة بين اوزكند والعقبة المذكورة(٦٤٨)، ويحمله في الوقت الحاضر وفقا لقول پتروفسكي N. F. Petrovsky(٦٤٩) موضع على الطريق بين اوزكند وآتباش القديمة وذلك خلف عقبة يَسى وعند عقبة أُرازخان Uraz-Khan. ولعل أكثر عصور اوزكند ازدهاراً كان عصر القراخانيين الأوائل عندما أصبحت المدينة عاصمة لجميع بلاد ما وراء النهر، إلاّ أن الآثار القديمة التي حفظت هنا(٦٥٠) يجب ألاّ تُرجع إلى هذا العهد بل إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر عندما كانت اوزكند عاصمة لفرغانة وحدها. وعلى عهد القراخطاي وخانات آل چغتاي الأُوَل كانت اوزكند مقراً لخزانة الدولة(٦٥١). وكانت المسافة بين اوش واوزكند سبعة فراسخ(٦٥٢)، ولم تكن هناك مدن قرب اوزكند/ 214 ولكن في نواحي اوش وعلى بعد فرسخ منها كانت تقوم مدينة مدوا (هي الآن قرية مادي Madi)(٦٥٣)

والطريق الكبير من خجند الى اوش(٦٥٤) الذي كان يجتاز الأجزاء الجنوبية لفرغانه (رحلة ستة أيام)، كان يمر على المدن الآتية (التي يفصل كلا منها عن السابقة لها مرحلة واحدة): كند، سوخ، رشتان، زندرامش، قُبا؛ وكانت أطول مرحلة هي التي بين قبا

---

(٦٤٧) أنظر بارتولد .Otchet o poezdke v Sred. Aziiu, str. 41-43

(٦٤٨) ابن خرداذبه، ص ٣٠؛ قدامة، ص ٢٠٨؛ (لدى المؤلفين في صورة «خورتكين»)؛ وفي ترجمة دي خويه للاثنين (ص ٢٢، وص ١٥٩) يوجد سقط خفيف.

(٦٤٩) Eshche zametka, str. 357

(٦٥٠) راجع عنها Shcherbina - Kramarenko, Po musulmanskim sviatyniam, str. 53; Dombrovski, Drevnia bashnia, str. 1-2; Nadpisi na drevnikh mogilnykh kamniakh, str. 5-7; Mallitski. Neskolko slov, str. 8-9

(٦٥١) Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str. 109, 129

(٦٥٢) ابن الفقيه، ص ٣٢٨.

(٦٥٣) الاصطخري، ص ٣٤٧؛ ابن حوقل، ص ٣٩٦.

(٦٥٤) الاصطخري، ص ٣٣٥.

واوش. وكند التي عرفت في الأزمنة التالية باسم كند بادم (أي « مدينة اللوز »)، وهي كنِ بدم Kan-i Badam الحالية، لم تكن على عهد السامانيين من أعمال فرغانه بل كانت تتبع مدينة خجند(٦٥٥). والمسافة من خجند إلى كن بدم (حوالي الأربعين ميلا) أكبر كثيراً من أن تقطع في يوم واحد، ولعل المدينة كانت في ذلك الحين أميل إلى جهة الغرب شيئاً ما مما عليه القرية الحالية، خاصة وأن بابر أيضاً يجعل المسافة من خجند إلى كند بادم خمس أغاچات (فراسخ) أو ست في مجموعها؛ وبحسب رواية المقدسي(٦٥٦) فقد كان بكند نهر (أو قناة) تجري وسط الاسواق. وكانت سوخ ورشتان تدخلان في فرغانه لأنها كانتا تتبعان كورة نسيا العليا، وسوخ(٦٥٧) كانت قرب الجبال، يقيناً على النهر الذي يحمل نفس الاسم والأرجح أنها كانت إلى الغرب من قرية صاري قرغان Sari-Kurgan الحالية، وكان يحيط بها نحو من ستين قرية(٦٥٨). أما رشتان التي حفظت اسمها إلى أيامنا هذه فكانت قرية كبيرة لها بابان أحدهما في الأسواق والآخر عند الميدان. وفي نفس المنطقة يرد ذكر لمدينتي خوقند وونكث، فالأولى كانت على مرحلة كبيرة من سوخ وخمسة فراسخ من نهر سيردريا (من الجلي عند موقع خوقند الحالية) أما الثانية فعلى ثلاثة فراسخ من خيلام (؟) ويفصلها عن سيردريا أكثر من الفرسخ بقليل. وبحسب رواية المقدسي فإن وانكث كانت في رقعة رشتان(٦٥٩).

أما كورة نسيا السفلى فكان بها عدد أكبر من المدن، فإلى جانب زندرامش تذكرها هنا مرغينان وبرنك واشتيقان واندوكن. والثلاثة الأولى منها يرد ذكرها أيضاً لدى المقدسي على أنها مدن صغرى (أو قرى)، وكان جامع اشتيقان في الأسواق، أما جامع برنك فكان بظاهر البلد في اتجاه سمرقند، هذا بينما كان جامع مرغينان بعيداً عن الأسواق وعلى بابه نهر. وموقع/مرغينان (مرغلان Margelan الحالية) واندوكن (انديجان Andijan) معروف جيداً، أما اشتيقان فكانت على الطريق من قبا إلى اخسيكث على 215

---

(٦٥٥) شرحه، ص ٣٣٣.

(٦٥٦) المقدسي، ص ٢٧٢.

(٦٥٧) عن مدن فرغانه الجنوبية راجع ابن حوقل، ص ٣٩٥ - ٣٩٦؛ المقدسي، ص ٢٧٢.

(٦٥٨) على نهر سوخ وذلك على مسافة عشرين ميلا الى الغرب من صاري قرغان تم العثور على أطلال لمدينة قديمة تدعى مغ تپه أو مغ قرغان (تل المجوس أو قلعة المجوس) وصفها لنا پتروف A. Petrov وزيمين Zimin, Kratkia istoricheskia spravka, str. 21-23; Petrov, Razvaliny; L. Zimin Mug-tepe, str. 24-25)

(٦٥٩) الاصطخري، ص ٣٣٥، ٣٤٧.

مسافة ثلاثة فراسخ من الأولى وسبعة فراسخ من شط سيردريا(٦٦٠)، وأما موقع برنك فليس بأيدينا أية تفاصيل عنه. ولا يرد ذكر للمسافة بين مرغينان وزندرامش نستطيع معه تحديد موقع الأخيرة على وجه الدقة. ويبدو أن مرغينان قد أصبحت منذ عهد القراخانيين أهم مدن المنطقة، ويصفها السمعاني(٦٦١) بأنها «من أشهر البلاد من نواحي فرغانه»، بل ويحفظ لنا اسم حي من أحيائها هو حي غنداب(٦٦٢). ويضع بابر مرغينان بين المدن الثمانية الرئيسية لفرغانه، بل إن رشتان نفسها كانت في ذلك الوقت من القرى التابعة لمرغينان. ويذكر لنا السمعاني(٦٦٣) من بين قرى فرغانه لا مش، التي يدعوها جمال قرشي(٦٦٤) إلا مش، وتقع في نواحي اندیجان. ووفقاً لألفاظ جويني فإن الواقعة بين خوارزمشاه محمد والقراخطاي قد حدثت بمفازة لامش، ونفس هذا المؤرخ يقول في موضع آخر من مصنفه إن المعركة وقعت عند طراز(٦٦٥) (تلاس Talas) مما يمكن أن يستنتج منه أن إلامش كانت في الجزء الأعلى من رستاق اندیجان. وكانت مدينة قُبا (وهي الان قرية كوفا Kuva) عاصمة لرستاق منفصل لم تكن به مدن أخرى، وكانت تعتبر الثانية من بين مدن فرغانه وتفوق من حيث المياه وعدد البساتين اخسيكث نفسها، بل إنها كانت تفوقها حتى في الرقعة والثراء وفقاً لرواية المقدسي. وعن المدينة نفسها لا يضيف المقدسي شيئاً سوى أنه كان في وسطها ميدان وأن جامعها كان بالأسواق. أما في رواية ابن حوقل(٦٦٦) فإن المدينة كانت تضم قلعة وشهرستان وربضاً، وكانت القلعة خراباً وبها الجامع(٦٦٧)، وكانت الأسواق ودار الأمارة والحبس بالربض. والمدينة نفسها كانت تقع على مجرى ماء يحمل نفس الاسم وكان يبلغ نهر سيردريا في ذلك الوقت، وليس من الواضح أي الأنهار الثلاثة الصغيرة التي تحمل حالياً أسماء اروان Aravan وابشوره Abshura واسفَيْرم Isfayram كان الذي يسقي قبا في الماضي عندما كانت مدينة، وليس 216

---

(٦٦٠) شرحه، ص ٣٤٧.

(٦٦١) السمعاني تحت لفظ «المرغيناني»؛ ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ٥٠٠.

(٦٦٢) السمعاني تحت لفظ «الغندابي»؛ ياقوت، الجزء الثالث، ص ٨٢٠.

(٦٦٣) السمعاني تحت لفظ «اللامشي»؛ راجع ياقوت، الجزء الرابع، ص ٣٤٦.

(٦٦٤) Teksty, str. 149

(٦٦٥) أنظر Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziu, str. 17؛ جويني، الجزء الثاني، ص ٧٧ و٩١

(٦٦٦) ابن حوقل، ص ٣٩٤

(٦٦٧) يبدو أن هذه هي الظاهرة الوحيدة من نوعها بفرغانة؛ والواقعة تشير الى أن قلعة قبا كان بها في الماضي حامية عربية كما كان عليه الحال ببخارا وسمرقند.

حالياً عندما أضحت مجرد قرية وذلك منذ عهد بابر[٦٦٨]. ومن قبا الى اوش مسيرة سبع فراسخ[٦٦٩] (ويحسب رواية أخرى لا تخلو من المبالغة[٦٧٠] عشرة فراسخ)، ويبدو أنه كانت تقع في هذه المنطقة مدينة اورست بكورتها (ولعل هذا الاسم يرتبط باسم قبيلة ارستيس Aristeis التي كانت تقطن وفقاً لبطلميوس[٦٧١] أعالي سيردريا). ونهر اورست من روافد سيردريا، والأرجح أنه هو نفس نهر اوش (آق بُرا Aq-Bura الحالي) الذي كان يجري بين «اوش واورست» وفقاً لمخطوطة تومانسكي («حدود العالم»). وإلى الشرق من اوش كان يوجد عدا مدوا مدينة خرشاب[٦٧٢] الواقعة على مجرى ماء بنفس الاسم يعطيه ابن حوقل[٦٧٣] مركز الصدارة بين الروافد الكبرى لنهر سيردريا، وكما هو معلوم جيداً فإنه لا يبلغ النهر في الوقت الحاضر من بين جميع الروافد اليسرى لقرادريا سوى خرشاب. أما بقية الروافد فتصب كلها في القناة الكبرى المعروفة باسم شاهريخان والتي تشابه القنوات الكبرى الأخرى التي مُدت من قرادريا وناربن في القرن التاسع عشر في أنها لم تكن معروفة لا في القرن العاشر ولا في عهد بابر.

ورغما من أن فرغانه لم يتم فتحها على يد المسلمين نهائياً إلاّ في القرن التاسع فإنه كان يشار إلى مشاهد لهم بنواحي انديجان منذ عهود سابقة لذلك. والرواية الشعبية التي تزعم بأن قبر النبي أيوب بفرغانه (وهو الآن المياه التي يستشفي بها والمعروفة باسم حضرت أيوب الواقعة على ميل ونصف من قرية جلال اباد[٦٧٤])، كانت معروفة لدى

---

(٦٦٨) بابرنامه، طبعة بفريدج، الورقة ١٦ ب، الترجمة، الجزء الأول، ص ٣٠ وما يليها حيث يرد شكل الاسم خطأ «قَبَا». ولا ندري السبب في فقدان المدينة لأهميتها بعد القرن العاشر. وحكاية دولتشاه (طبعة براون Browne؛ص ١٧٤ وما يليها، نقلا عن نصير الدين طوسي) بصدد «الاخوة الخمسة» من قبا وحربهم مع محمود الغزنوي من العسير اعتبارها واقعة تاريخية لأن محموداً لم يدخل فرغانة البتة راجع: Bartold Oroshenie, str. 132 sl؛وعلى عهد بابر كان بقبا «مياه مستنقعات آسنة لا تجتاز إلاّ بقنطرة».

(٦٦٩) قدامة، ص ٢٠٨.

(٦٧٠) ابن خرداذبه، ص ٣٠.

(٦٧١) Tomaschek, Sogdiana, s. 48

(٦٧٢) يرد ذكر المدينة في «حدود العالم» (الورقة ٢٤ أ، في صورة «خرساب»).

(٦٧٣) ابن حوقل، ص ٣٩٢.

(٦٧٤) في مقال Shcherbina - Kramarenko, Po musulmanskim Sviatyniam, str. 52 في صورة «جلاباد» Djallabad

المقدسي[٦٧٥]، ويحدثنا جمال قرشي[٦٧٦] عن قبور ألفين وسبعمائة من الصحابة والتابعين قرب أسپيد بولان كان قد أرسلهم الخليفة عثمان بن عفان تحت إمرة محمد بن جرير فاستشهدوا جميعاً في واقعة مع الكفار. ولا يزال هذا الموضع قائماً إلى اليوم تحت نفس الاسم (ويرد خطأ لدى شثربينا - كرامرنكو Shcherbina-Kramarenko في صورة سفيد بلند) بوادي كاسان سايى، وقد سمع ن. ب. شثربينا - كرامرنكو[٦٧٧] من الأهالي المحليين رواية شعبية تقرب كثيراً من/حكاية جمال قرشي. والأخير يضع أيضاً في خوقند مشهد عبد الله حفيد الحسين بن علي وأخي الامام محمد الباقر المتوفي عام ١١٣هـ = ٧٣١. أخيراً فإن قبر الفاتح العربي لبلاد ما وراء النهر قتيبة بن مسلم الباهلي المقتول عام ٩٦ هـ = ٧١٥ كان يمثل أيضاً موضعاً من مواضع الزيارة. وقد ورد ذكر قبر قتيبة (في رباط سرهنك من قرية كاخ) لدى كل من نرشخي[٦٧٨] وجمال قرشي[٦٧٩]، بل إن الأهالي يشيرون حتى اليوم إلى مقبرة «الإمام الشيخ قتيبة» في دائرة جلال كدك من أعمال انديجان[٦٨٠].

217

والى الجنوب من الطريق الكبير كانت توجد الكورات الجبلية، وهي اسفره (اسپره Ispara)، وأوال، ونقاد[٦٨١]. ولم يعرف اسم اسفره في ذلك العهد كاسم لمدينة (ويرد بهذا الوصف لأول مرة لدى بابر)، وكانت مدن كورة اسفره هي طاخش وبامكاخش[٦٨٢]. وكانت بامكاخش على مسافة خمسة فراسخ من سوخ، أما طاخش فكانت على بعد ميل من بامكاخش. ويبدو أن المدينتين كانتا تقعان إلى الشمال قليلا من قرية اسفره الحالية. وكانت كورة اسفره يقع بعضها في السهل وبعضها في الجبل، ويولي ابن حوقل اهتماماً خاصاً بجبال اسبره ويصفها بأنها «جبال بلق مقطعة سوداء حالكة وأخرى حمراء قانية وأخرى صفراء فاقعة»[٦٨٣]. وفي نفس هذا الموضع وفقاً للاصطخري[٦٨٤] وابن حوقل كانت

(٦٧٥) المقدسي، ص ٤٦.

(٦٧٦) Teksty, str. 148

(٦٧٧) أنظر أيضاً: Po musulmanskim sviatyniam, str. 51; Masalski, Turkestanskii krai, str. 702

(٦٧٨) طبعة شيفير، ص ٥٧.

(٦٧٩) وترد لديه في صورة «كُليج».

(٦٨٠) PTKLA, god III, str.4 (Protokol No 1 ot 11dekabria 1897 g.).وحتى عام ١٨٩٣ كانت هذه الدائرة من أعمال اوش.

(٦٨١) لدى المقدسي (٢٦٢): نَوْقد.

(٦٨٢) الاصطخري، ص ٣٤٧؛ وهناك يرد أيضاً ذكر المسافات بين مدن فرغانة الأخرى.

(٦٨٣) ابن حوقل، ص ٣٩٧؛ أنظر Mushketov, Turkestan, t. I, str. 509

(٦٨٤) الاصطخري، ص ٣٣٤.

توجد مناجم الفحم، أو على حد قولها «جبل الحجارة السود التي تحترق كالفحم ويبيض برمادها الثياب»، وكانت تباع منه ثلاثة أوقار (والوقر حمل حمار) بدرهم. وكان وزن الوقر يقرب من تسعين كيلو جراماً، وحتى لو أخذنا معياراً أقل (خمسة وخمسين كيلو جراماً) فإنه يجب الاعتراف بأن سعر الفحم كان رخيصاً للغاية خاصة إذا ما قورن بالأسعار التي كانت تدفع خلال الفترة المبكرة للإحتلال الروسي لتركستان(٦٨٥).

ومدينة أوال التي كانت عاصمة لكورة بنفس الاسم، كانت تقع على عشرة فراسخ من سوخ على الطريق إلى أوجْنة (أم أوجَنة؟)، وهذا الموضع الأخير لا نعلم عنه شيئاً ما(٦٨٦)، ولا تزال قرية أوال قائمة إلى أيامنا هذه إلى الجنوب من مرغلان. أما في المنطقة الجبلية المعروفة باسم نقاد فلم توجد سوى مدينة واحدة هي مسكان(٦٨٧)، ومن قبا إلى نقاد (أغلب الظن إلى مسكان) كانت تعد سبعة فراسخ في اتجاه الشرق. ومن المحتمل أن 218 نقاد هي الموضع الذي يسقيه الجدولان چيله Chile وقرغيزآتا Kirgiz-ata.

فإذا ما انتقلنا الى الاجزاء الشمالية من فرغانه وجب علينا أن نقف قبل كل شيء للحديث عن قصبة الولاية أجمع وهي مدينة أخسيكث. هذه المدينة التي كانت تقع على شط سيردريا الأيمن ترك لنا وصفها ابن حوقل والمقدسي(٦٨٨) اللذان يميزان فيها بين قلعة وشهرستان وربض. ويضع ابن حوقل القلعة في الشهرستان، بينما يضعها المقدسي في الربض. أما دار الامارة والحبس فكانا بداخل القلعة، بينا كان الجامع بالشهرستان في جوار القلعة (كما هو الحال مع كل من سمرقند وبخارا)، وأما مصلي العيد فعلى شط سيردريا. والأسواق بالشهرستان والربض، إلاّ أن أسواق الشهرستان امتازت بالاتساع. وكان للشهرستان خمسة أبواب لا علم لنا الا بأربعة منها هي: باب مردكشان (كما ببخارا)، وباب كاسان، وباب الجامع، وباب ريحانة (؟). وكان يسقي الشهرستان عدد من القني

---

(٦٨٥) أنظر Kostenko, Turkestanskii krai, T. III, str. 173 - 175

(٦٨٦) يقترح دي خويه في طبعته لمتن الاصطخري (ص ٣٤٧) قراءتها اوزجند، أي اوزكند.

(٦٨٧) ابن حوقل، ص ٣٩٦.

(٦٨٨) ابن حوقل، ص ٣٩٣ - ٣٩٤؛ المقدسي، ص ٢٧١. عن الأحوال الحاضرة لأطلال اخسيكث أنظر Lykoshin, Ocherk arkheologicheskikh izyskanii, str. 30 - 31، وأيضاً مقالي بدائرة المعارف الاسلامية «اخسيكث» حيث يرد وصف لأطلال القلعة القديمة (اسكي أخسي) ومساحتها ألف خطوة من الغرب الى الشرق وستمائة من الشمال الى الجنوب، وتقع على مائة وخمسين قدماً فوق مستوى سيردريا. وتتحدث السيدة بيفريدج في الملحق الأول لترجمتها لبابرنامه عن «اختفاء اخسي القديمة» كواقعة تحتاج الى التفسير، ولكن واقع الأمر هو أنها لم تختف. هذا وقد وردت أخسيكث في تاريخ التأنج T'ang - shu في صورة سي - كيين Si - Kien، أنظر Chavannes, Documents, p. 148

تصب في حياض جميلة جوانبها من الآجر والجص مصهرجة. وأبنية المدينة كانت من الطين وكانت الكبرى من بينها موجودة بالشهرستان؛ ووفقا لقول ابن حوقل فإن المدينة كانت تمتد (الأرجح أنه يقصد طولها على شاطىء النهر، أو ربما المقصود محيطها) لأكثر من ثلاثة فراسخ، أمّا بالنسبة للمقدسي فقد كانت أخسيكث أكبر من مدينة الرملة المعروفة بفلسطين مرة ونصف، وعن هذه الأخيرة(٦٨٩) نعلم أنها كانت ميلا في العرض وأكثر من ذلك قليلا في الطول. هذا وكانت البساتين تمتد إلى خارج المدينة على مسافة فرسخين، وفي الجانب المقابل من النهر مروج ومزارع كثيرة ورمال تمتد بمقدار مرحلة.

وكان يربط أخسيكث بالأجزاء الجنوبية لفرغانة عدد من الطرق. فكان هناك طريق مستقيم يربطها بخوقند مجتازاً المفازة والرمال (سبعة فراسخ)، وبهذا الطريق كان المسافر يبلغ «باب اخسيكث» ثم يعبر النهر، مما يمكن معه الاستدلال بأن قسما من ربض اخسيكث كان يقع على الضفة الجنوبية لنهر سيردريا. وكان من الممكن أيضاً المسير من خوقند إلى باب وهي پاپ Pap الحالية (خمسة فراسخ)، ومن هناك الى اخسيكث (أربعة فراسخ)(٦٩٠). ومن قبا إلى اخسيكث عشرة فراسخ، ثلاثة منها الى لشتيقان وسبعة من اشتيقان إلى شط سيردريا. أما فيما يتعلق بالطريق من خجند إلى اخسيكث فإننا نجد لدى الجغرافيين ذكر المنازل الآتية(٦٩١):

219 خجند

صامغار	خمسة فراسخ (مرحلة)
خاجستان	أربعة فراسخ (بريدان)
ترمقان	سبعة فراسخ (مرحلة)
باب	ثلاثة فراسخ (نصف مرحلة)
أخسيكث	أربعة فراسخ (بريدان)

وصامغار التي لا تزال محتفظة باسمها إلى اليوم كانت قرية كبيرة تقع في السهل، أما خاجستان فكانت نقطة محصنة قرب سلسلة الجبال التي تتصل بجبال ايلاق، وفي نواحيها وجدت ملّاحة كبيرة كان ما يخرج منها يكفي حاجة الشاش وخجند وغيرها من الولايات. وكما هو معروف فإن الملح لا يزال يستخرج إلى الآن من الجبال المجاورة

(٦٨٩) المقدسي، ص ١٦٥.

(٦٩٠) الاصطخري، ص ٣٣٥ - ٣٣٦

(٦٩١) المقدسي، ص ٣٤١؛ ابن خرداذبه، ص ٢٩ - ٣٠؛ قدامة، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

لصامغار. أما ترمقان وباب (مدينة كبيرة ثرية) فكانتا على نهر سيردريا، وفي القرن التاسع كثيراً ما كان المسافر يقطع المسافة بين خاجستان وباب في يوم واحد، مع تحاشي النزول بترمقان خوفاً من الترك.

وعلى خمسة فراسخ إلى الشمال من اخسيكث[٦٩٢] كان تقوم مدينة كاسان الواقعة على نهر يحمل نفس الاسم، وهي لا تزال قائمة في صورة مدينة صغيرة وإلى جوارها اطلال المدينة القديمة[٦٩٣]. وفي نهاية القرن الثامن وبداية التاسع كانت كاسان عاصمة لأمراء فرغانة[٦٩٤]، لذا فإن فحص أطلالها خاصة قلعة مغ القديمة قد يسفر عن نتائج باهرة.

أخيرا في الجزء الشمالي من فرغانة كانت توجد كورتا نجم وكروان بمدينتيهما بنفس الإسم، ثم كورة جِدْغِل ومدينتها اردلانكث. ومن كاسان إلى نجم كانت تعد مرحلة في اتجاه الشمال الشرقي، ومن كاسان إلى كروان أربعة فراسخ إلى حد كورة كروانِ وتسعة فراسخ إلى مدينة كروان نفسها[٦٩٥]. وربما كانت نجم في موضع قرية ناناي Nanai الحالية؛ أما كورة كروان فالأرجح أنها كانت تشغل القسم الشمالي من كورة چست Chust الحالية. 220
وأما جدغل فيرد على أنه اسم لأحد مخارج نهر پَرَك، اي چيرچيق Chirchik[٦٩٦]؛ ومن

---

(٦٩٢) الاصطخري، ص ٣٤٦.

(٦٩٣) Shcherbina – Kramarenko, Po musulmanskim sviatyniam, str. 49. ويقدم لنا بريانوف A. Brianov معلومات أكثر تفصيلا (O Sledakh. str. 142 i sl.). وتتكون قلعة مغ من ثلاث مربعات صغيرة مقاسها ٥٠٠ و٢٠٠٠ و٣٢٠٠ ساجن مربعا (بالتقريب ستة أفدنة أو ٢,٥ هكتار في مجموعها) ويذكر الصينيون كاسان تحت اسم كؤ – ساي K'o – sai (Chavannes, Documents, p. 148) ولعل هذه المدينة بالذات هي المقصودة في مصنف صيني مبكر هو بي – شي Pei – shi (الترجمة الروسية بقلم بتشورين، Bichurin, Sobronie svedenii, III, 186) الذي يورد أن عاصمة فرغانة كان قطرها لا يتجاوز الأربعة لي (حوالي الميل). راجع مقالي عن «فرغانة» في دائرة المعارف الاسلامية. (يرى پليو أنه من العسير التوفيق من الناحية الصوتية بين «كاسان» وكؤ – ساي الصينية (القراءة القديمة كأت – سك). *K'ât – sak، ويتساءل الا يوجد خطأ في المتن الصيني. راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 15 – الناشرون).

(٦٩٤) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٤٧٨؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٩٤.

(٦٩٥) الاصطخري، ص ٢٤٦ – ٢٤٧؛ ابن حوقل، ص ٤٠٥.

(٦٩٦) ابن حوقل، ص ٣٨٨. إن قراءة دي خويه للاسم «ترك» مغلوطة، إذ يجب قراءته «برك»، أي يراد به «فرك» (Parak). والاسم پَرَك يرد ذكره منذ القرن السادس عشر (محمد حيدر ص ١١٦؛ حافظ تنيش، عبد الله نامه، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٢٥٣ أ وفي مواضع أخرى؛ راجع نقدي لڤياتكين (Materialy) في ZVORAO, t. XV, str. 053؛ أنظر أيضاً بارتولد Oroshenie, str. 139. وچيرچيق مصغر چير، وقد ظهرت هذه التسمية لأول مرة في تاريخ تيمور Bartold, Oroshenie, str. 139

الجلي أن كورة جدغل انما تنطبق على وادي چُتكَل Chotkal الذي كان يتبع فرغانة آنذاك. أما اسم اردلانكث فكان يطلق أيضا كما سنرى على إحدى المدن الواقعة بين نهري پرك وايلاق، أي بين **چيرچيق** وانكرين[٦٩٧]. ومن كاسان إلى اردلانكث بفرغانة كانت تعد مرحلة[٦٩٨] أو منزلتان[٦٩٩].

ويعد لنا المقدسي[٧٠٠] من مدن فرغانة وقراها أربعين بمسجد جامع، وهو في تعداده للمدن يقدم لنا واحداً وثلاثين اسماً يوزعها باستثناء العاصمة على ثلاث مجموعات كالآتي: كورة ميان روذان (نصر اباذ، منارة، رنجد، شكت، زاركان، خيرلام، بشبشان، اشتيقان، زندرامش، اوزكند)؛ ثم كورة نسيا (اوش، قبا، برنك، **مرغينان**، رشتان، وانكث، كند)؛ وأخيرا كورة واغز (بوكند، كاسان، باب، چارك، اشت[٧٠١]، توبكار، اوال، دكركرد، نوقاد مسكان، بيكان، تسخان[٧٠٢] (؟)، جدغل، شاودان). ومن الجلي ان فكرة المؤلف هي أن يضع في المجموعة الأولى المدن الواقعة بين نهري نارين وقرادريا، وفي الثانية مدن القسم الجنوبي من فرغانة، وفي الثالثة مدن المنطقة الواقعة إلى الشمال من سيردريا؛ ومما لا شك فيه ان الخطأ قد تسرب الى محاولته هذه كما يظهر مثلا من وضعه اشتيقان وزندرامش في المجموعة الأولى وأوال ومسكان في المجموعة الثالثة. ومن بين المدن التي يرد ذكرها لدى الجغرافيين المبكرين يقدم لنا المقدسي معلومات عن المدن الآتية[٧٠٣]: نصر اباذ، كبيرة قد التفت بها الأشجار، بناها أمير (لعله أحمد بن اسد) لابنه نصر. وقرب رنجد مزارع كثيرة، ولها جامع لطيف في سوق الاسكافية. وتسخان كبيرة آهلة وجامعها في سوق تجار الأنسجة القطنية («الكرابيسيين»). أما زاركان فمتوسطة تكثر بها زراعة الأرز وهي نزهة غزيرة المياه وعلى باب جامعها بستان كثير الشجر. وبشبشان كبيرة وجامعها يفتح على الميدان. وإلى جانب هذا يذكر لنا الاصطخري وابن 221

---

(٦٩٧) الاصطخري، ص ٣٤٥؛ ابن حوقل، ص ٣٨٥، ٤٠٤.

(٦٩٨) ابن حوقل، ص ٤٠٥.

(٦٩٩) الاصطخري، ص ٣٤٦.

(٧٠٠) المقدسي، ص ٢٦٢، ٢٧٢.

(٧٠١) لا تزال موجودة الى اليوم.

(٧٠٢) المقدسي، وص٢٦٢ «إشحخان» ص ٢٧١ «تسحان»، لعله يجب قراءتها «آتشخان» (أي «بيت النار»).

(٧٠٣) المقدسي، ص ٢٧١ – ٢٧٢.

حوقل[٧٠٤] مدينة باراب أو فاراب على نهر سيردريا، كما يذكر لنا السمعاني وياقوت[٧٠٥] مدينة يذخكث دون تحديد لموقعها. ولم يكن بما وراء النهر أكبر من قرى فرغانة، وربما بلغ حد القرية مرحلة[٧٠٦]. وقد اشتهرت فرغانة بثروتها المعدنية، فقرب اخسيكث وعند نقاد وفي مواضع أخرى كانت توجد معادن الذهب والفضة وقرب سوخ كان يستخرج الزئبق وفي نسيا العليا كان يستخرج الزفت (القار) والجراغسنك (الاسبستوس Asbestos) والذهب والفضة والفيروزج والحديد والصفر والآنك (الرصاص). وأخيراً فإن فرغانة احدى بلاد الاسلام القليلة التي كان يستخرج منها ملح النوشادر[٧٠٧] (قرب اوزكند وفقاً لمؤلف جهان نامه[٧٠٨]).

ومدينة خجند (خجنده) التي عدت في الأزمنة التالية من أعمال فرغانة كانت تكّون في القرن العاشر وحدة ادارية قائمة بذاتها، ويرد الكلام على «ملك خجنده»[٧١٠] في الفترة السابقة للاسلام، إلاّ أنه يبدو أنه كان خاضعاً لأمير فرغانة. وخجند كانت من كبريات مدن ما وراء النهر بها قلعة وشهرستان وربض. وفي القلعة كان الحبس، وفي الشهرستان الجامع، وفي الربض في وسط ميدان كانت تقوم دار الإمارة. هذا وقد اشتهرت المدينة بكرومها وبساتينها، وكان عدد سكانها من الكثرة بحيث لم تكن غلة الحقول المجاورة للمدينة تفي بحاجتهم من الغذاء لذا فإن قمح المدينة كان يجلب من فرغانة واسروشنه. وكانت تشق وسط المدينة قناة، وأغلب الظن أنها لم تكن تأخذ من سيردريا بل من خوجه باقرغان[٧١١]. وكما رأينا فإن مدينة كند كانت تعتبر من أعمال خجند.

---

(٧٠٤) الاصطخري، ص ٣٤٧؛ ابن حوقل، ص ٤٠٦.

(٧٠٥) السمعاني تحت لفظ «اليذخكثي»؛ ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ١٠١٤. لعله ليس سوى قراءة خاطئة بدلا من «بُذَخكث» التي يذكرها الاثنان في مواضع أخرى (السمعاني تحت لفظ البذخكثي»؛ ياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٥٢٤؛ ويضيف السمعاني «وظني أنها من بلاد اسفيجاب أو الشاش»). ونعلم من ابن خرداذبه أنه كان يفصلها تسعة فراسخ عن اسفيجاب وذلك في اتجاه الشمال الشرقي على الطريق الى طراز. عن تفاصيل أخرى راجع Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziu, str. 9 (ترد لدى ابن خرداذبه في صورة «بدوخْكت»، ص ٢٨ - المترجم).

(٧٠٦) الاصطخري، ص ٣٣٣ - ٣٣٤؛ ابن حوقل، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

(٧٠٧) ابن حوقل، ص ٣٩٧ - ٣٩٨؛ راجع الاصطخري، ص ٣٣٤.

(٧٠٨) (بكران، جهان نامه) Teksty, str. 81. راجع أيضاً ما مر قبل قليل متعلقاً بالفحم الحجري وطريقة استخراجه بفرغانة.

(٧٠٩) الاصطخري، ص ٣٣٣؛ ابن حوقل، ص ٣٩١ - ٣٩٢؛ المقدسي، ص ٢٧٢.

(٧١٠) الطبري، القسم الثاني، ص ١٤٣٩.

(٧١١) انظر Bartold, Oroshenie, str. 136

وجميع المنطقة بالتقريب الواقعة بين سمرقند وخجند (أي مائة وأربعة وثمانون ميلا 222 بالطريق الكبير الحالي) كانت تدخل ضمن ولاية اسروشنه أو/ستروشنه[٧١٢]. ويقدم لنا الجغرافيون العرب مسالك مختلفة للرحلة بين المدينتين، فالاصطخري[٧١٣] مثلا يقرر ان الرحلة من سمرقند إلى خجند كانت تستغرق ثمانية أيام، وكانت المنازل بينهما هي باركث[٧١٤] (اباركث) ورباط سعد وبورنمذ وزامين وساباط واركند وشاوكث[٧١٥]. والطريق بين باركث (التي تقع كما رأينا على أربعة فراسخ من سمرقند) وبورنمذ يرد وصفها مغايراً لدى ابن خرداذبه وقدامه[٧١٦]، فوفقاً لقولهما فإن الطريق كانت تأخذ من باركث مجتازة مفازة قطوان الى خشوفغن (أربعة فراسخ)، ومن هناك تجتاز منطقة جبلية إلى بورنمذ (خمسة فراسخ)، ومنها تقطع المفازة إلى زامين (أربعة فراسخ). من هذا يبدو جلياً ان خشوفغن كانت تقع إلى الجنوب قليلا من محطة يني قرغان Yani-Kurgan الحالية، وأنه من هذه النقطة الأخيرة لا من جيزك كان يتفرع في ذلك العهد الطريق المتجه شرقاً الى زامين مجتازاً الجبال والمفازة. أما الطريق المار برباط سعد الذي يحدثنا عنه الاصطخري فأغلب الظن أنه كان أبعد من ذلك إلى الجنوب. ووفقا لرواية الاصطخري فإن طريق فرغانه ورباط سعد عندما يصل الى رباط أبي أحمد كان يتفرع منه طريق الشاش المار بديزك (جيزك)، وعلى طريق الشاش هذا يرد ذكر[٧١٧] لنقطة تعرف باسم قطوان ديزه وتقع على مرحلة من باركث، مما يحمل على الاعتقاد بأنها هي نفس خشوفغن. وعلى الطريق بين باركث وديزك كان من الممكن الوقوف عند خرقانه بدلا من قطوان ديزه، ومن خرقانه إلى سمرقند تسعة فراسخ، ومنها إلى ديزك خمسة، والى زامين تسعة[٧١٨].

---

(٧١٢) ان القراءة القديمة وهي «ستروشنه» المعروفة من المصادر الصينية توجد في عدد من مخطوطات مصنفات القرن العاشر؛ راجع ابن حوقل، ص ٣٧٩، الحاشية ب؛ كذلك توجد نفس القراءة بمخطوطة «حدود العالم»؛ راجع كتابي Oroshenie, str. 104 (راجع عن اسروشنه دراسات Negmatov – Istoriko – geograficheskii ocherk Usrushany; Usrushana – الناشرون).

(٧١٣) الاصطخري، ص ٣٣٤ – ٣٣٥.

(٧١٤) راجع أعلاه، ص

(٧١٥) يعد المقدسي (ص ٣٤٢) مرحلة من ساباط الى شاوكث. ويقول اليعقوبي أيضاً (كتاب البلدان، ص ٢٩٤) إن الطريق من سمرقند الى خجند يأخذ سبع مراحل.

(٧١٦) ابن خرداذبه، ص ٢٦؛ قدامة، ص ٢٠٣.

(٧١٧) الاصطخري، ص ٣٣٦.

(٧١٨) شرحه، ص ٣٤٣؛ ابن حوقل، ص ٣٨٢، ٤٠٣.

وبين زامين وحجند أيضاً كان يوجد عدد من الطرق. فمن ساباط(٧١٩) كان من الممكن الذهاب إلى خجند عن طريق اركند او ركند(٧٢٠) (على ثلاثة فراسخ من ساباط) 223 وغلوك انداز (ثلاثة فراسخ من ركند وأربعة من خجند). وثمة طريق آخر(٧٢١) من زامين إلى كركث يمر بخاوس (على سبعة فراسخ من زامين وستة من كركث). هذا ولا تزال قرى زامين وساباط (سَقْط Savat) وخاوس (خفست Khavast) وركند وكركث(٧٢٢) وغلوك انداز محتفظة بأسمائها إلى اليوم.

وكانت كبرى مدن اسروشنه وقصبتها هي بونجكث (الأرجح أنها پنجكث)، وكانت بمعزل عن هذه الطرق. ووفقاً لقول ابن خرداذبه وقدامة(٧٢٣) فإن الطريق عندما يخرج من ساباط يسير مسافة فرسخين في السهل، ثم خمسة فراسخ أخرى بمحاذاة النهر القادم من المدينة. وعلى كلا جانبي الطريق كانت الجبال تغطيها القرى. وكما بيّنت في موضع آخر غير هذا(٧٢٤) فإن هذه المعطيات تمكننا من اعتبار اطلال شهرستان الواقعة على ستة عشر ميلاً إلى الجنوب الغربي من اوراتبه Ura – Tübe هي أطلال عاصمة أسروشنه(٧٢٥)

---

(٧١٩) يعد المقدسي (ص ٣٤٢) بريدين من زامين الى ساباط، ويجعلها الاصطخري (ص ٣٤٣) ثلاثة فراسخ؛ أما ابن الفقيه (ص ٣٢٨) وابن خرادذبه (ص ٢٧) وقدامة (ص ٢٠٧) ففرسخين. ويرى اسكفارسكي Skvarski,Neskolko slov, str. 50 أن ساباط هذه قد لا تكون المحطة الحالية التي تحمل نفس الاسم بل قرية اسكي سقط الواقعة على ثمانية أميال صوب الشمال.

(٧٢٠) ابن الفقيه، ص ٣٢٨؛ قدامة، ص ٢٠٧. ليست «كركث» سوى افتراض من طرف الناشر (المتن. ص ٢٠٧، الحاشية d) وتبين المخطوطة «ركند»، أي «ركند»؛ وهي نفس «أركند» لدى الاصطخري، ص ٣٣٥ والتي يقارب دي خويه (الحاشية e) بالكثير من الصحه بينها وبين مدينة «ركند» (وإن كان يقرأها «ركيد») الواردة لدى قدامة. ويرد اسم «ركنت» Rugunt (كذا) على أنه لقرية الى الشمال من أُوراتُبه Uratübe لدى ا. كوشاكيفتش A. Kushakevitch (Svedenia, str. 215 والخارطة). ونفس القرية ترد في صورة «ركون» لدى محمد وفاكرمينكي، تحفة الخاني، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ١٥٠ ب. والمسافة بين ساباط وكركث أكبر بكثير.

(٧٢١) الاصطخري، ص ٣٤٣؛ ابن حوقل، ص ٢٨٢؛ ابن خرداذبه، ص ٢٧.

(٧٢٢) لدى المقدسي (ص ٢٦٥) كُرْدكث.

(٧٢٣) ابن خرداذبه، ص ٢٩؛ قدامة، ص ٢٠٨. ويعد الاصطخري (ص ٣٤٣) من ساباط الى بنجيكث ثلاثة فراسخ فقط.

(٧٢٤) Bartold, Neskolko slov ob ariiskoi kulture, str. 32

(٧٢٥) وجهة النظر الرائجة وهي التي أعرب عنها من قبل السلطان بابر (بابرنامه، طبعة بفريدج، الورقة ٨ ب، الترجمة، الجزء الأول، ص ١٧) يجعلها اوراتبه؛ ونفس وجهة النظر هذه يشاطر فيها بشدة من بين البحاثة المعاصرين كاستانييه I. Kastane وزملاؤه أعضاء حلقة الآثار بتركستان؛ راجع PTKLA, god XX = (Kastane, Drevnosti, str. 32 i sl.; Protokol No 2 ot 14 fevralia 1915 g., str. 159 i sl.)

هذه الخرائب قمتُ بفحصها عام ١٨٩٤[٧٢٦]، ثم وصفها فيما بعد بتفصيل أكثر ب.س اسكڤارسكي P.S. Skvarski[٧٢٧]. وفي القرن العاشر[٧٢٨] بلغ سكان المدينة عشرة آلاف، وكانت تتكون من قلعة وشهرستان يشقه النهر وربض. والقلعة كقول المقدسي كانت خارج الشهرستان (لا يخلو متن ابن حوقل ها هنا من بعض الغموض). أما الحبس فكان داخل القلعة، والمسجد الجامع بالشهرستان، والأسواق بعضها بالشهرستان وبعضها بالربض، ودار الإمارة بالربض في المربع الذي يملكه الأمير. وكان للشهرستان بابان يسمى أحدهما باب الأعلى والآخر باب المدينة، أما الربض فكان له أربعة أبواب هي باب زامين وباب مرسمنده وباب نوجكث وباب كهلباذ. وكان قطر سور الربض[٧٢٩] نحو فرسخ، وبناء المدينة من طين وخشب. وكانت تمد المدينة بالماء/ستة جداول[٧٣٠] تخرج من عين واحدة على بعد نصف فرسخ من المدينة. وأسماء هذه الجداول هي سارين (وهو الذي يشق الشهرستان) وبرجن وماجن وسنكجن ورويجن وسنبكجن، وكان عليها عدد كبير من الأرحية تدار بالماء.

224

أما ثاني مدن أسروشنه في الرقعة فكانت زامين[٧٣١] التي تقع على ضفتي نهر، ليس بعيداً عن مخرجه من الجبال. وإلى جوارها كانت تقوم المدينة القديمة التي هجرها سكانها منذ القرن العاشر؛ أما المدينة الجديدة والتي أطلق عليها أيضاً اسم سرسنده، فلم يكن لها أسوار. وكانت الأسواق على ضفتي النهر وتصل بينها جسور صغار، وكان الجامع على يمين الخارج إلى سمرقند أي إلى الشمال من الطريق الكبير.

والمدينة الثالثة بأسروشنه كانت ديزك أو جيزك[٧٣٢]، وكانت تقع في السهل في رستاق فكنان، وقد اشتهرت بأنها كانت مركزاً للمطّوعة ولذا فقد شيد بها عدد كبير من

= ويوجد في اوراتيه الحالية، شأنها في هذا شأن عاصمة اسروشنه القديمة، باب يدعى باب نوجكث (Kastane, Drevnosti, str. 32)، غير أنه من الصعب التوفيق بين وجهة النظر هذه وبما ورد أعلاه من أن الطريق كانت تسير لمدة خمسة فراسخ بمحاذاة النهر بين الجبال.

(٧٢٦) أنظر Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziu, str. 75 – 76

(٧٢٧) Neskolko slov, str. 47 – 51

(٧٢٨) الاصطخري، ص ٣٢٦ – ٣٢٧؛ ابن حوقل، ص ٣٧٩ – ٣٨٠؛ المقدسي، ص ٢٧٧.

(٧٢٩) لدى ابن حوقل «والربض جميعاً وحائط الربض يشتمل على نحو فرسخ» (ص ٥٠٤ من الطبعة الجديدة – المترجم).

(٧٣٠) وفقاً للمقدسي «وبهاستة أنهار تخرقها سوى النهر الأعظم».

(٧٣١) ابن حوقل، ص ٣٨٠ – ٣٨١؛ المقدسي، ص ٢٧٧.

(٧٣٢) الاصطخري، ص ٣٢٧؛ ابن حوقل، ص ٣٨١.

الرباطات والخانات كان أشهرها رباط خدايسر الذي بناه الأفشين وكان على فرسخ من المدينة.

أما بقية مدن أسروشنه فكانت كلها متقاربة في الرقعة، ويمكن أن نذكر من بينها:[٧٣٣] نوجكث على فرسخين جنوب شرقي خرقانه، أي في الجزء الغربي من الولاية. وفغكث على ثلاثة فراسخ[٧٣٤] من بونجكث على الطريق إلى خجند. وغزق على فرسخين من فغكث وستة من خجند، وارسيانيكث أو ارسبانيكث[٧٣٥] على تسعة فراسخ من نونجكث على حدود فرغانه؛ وخشت على الجبال قريباً من معادن الفضة[٧٣٦] أي في الجزء الشمالي الغربي للولاية. وعلى العموم فإن الحياة المدنية لم تنمُ كثيراً في أسروشنه، ونظراً لأنها تعرضت للثقافة العربية[٧٣٧] بدرجة أقل فقد كان من الطبيعي أن تحتفظ لمدة أطول بسمات المجتمع الارستقراطي الآري القديم. ووفقاً لليعقوبي[٧٣٨] فقد كان بأسروشنه ما يقرب من أربعمائة حصن، وأغلب الظن أن المقصود بذلك قصور الدهاقنة، وابن حوقل والمقدسي[٧٣٩] يوردان من جهة أخرى قائمة تضم عدداً من رساتيق أسروشنه ولا يوجد بأي واحد منها مدينة ما. وكان يوجد عدد من الحصون والقرى بجبال البُتّم، أي في ولاية زرفشان الأعلى التي كانت تعتبر جزءاً من أسروشنه أيضاً رغماً من أن البتم كانت لوقت ما ولاية منفصلة على ما يبدو؛ وابن خرداذبه[٧٤٠] يتحدث عنها كوحدة خراجية مستقلة بل إنه يتحدث في فقرة من مصنفه[٧٤١] عن «ملك (أي أمير) البتم».

---

(٧٣٣) الاصطخري، ص ٣٤٣ – ٣٤٣.

(٧٣٤) وفقاً لابن حوقل (ص ٤٠٤) تسعة فراسخ وهو أمر بعيد الاحتمال. لعل فغكث وغزق هما المدينتان اللتان ورد ذكرهما تحت اسم غزه Gaza وبغا Baga في تاريخ الاسكندر المقدوني (انظر Lerkh, Maverannagr, str. 578)،ولعل موضع فغكث (وترد مرة لدى الاصطخري، ص ٣٢٦ في صورة وغكث) تشغله حاليا قرية ڤغت Vagat التي يعد أهلوها من نسل الملك كشتاسب؛ راجع Skvarski, Neskolko slov, str. 50.ويضع ياقوت (الجزء الثالث، ص ٧٩٧) قزق في فرغانة معتمداً في ذلك على السمعاني (أنظر تحت لفظ «الغزقي»).

(٧٣٥) المقدسي، ص ٢٦٥؛ انظر ما يلي ص ٢٩٢

(٧٣٦) المقدسي، ص ٢٧٨.

(٧٣٧) Bartold, Neskolko slov ob ariiskoi kulture, str. 32

(٧٣٨) كتاب البلدان، ص ٢٩٤.

(٧٣٩) ابن حوقل، ص ٣٨٢؛ المقدسي، ص ٢٦٥ – ٢٦٦.

(٧٤٠) ابن خرداذبه، ص ٣٨.

(٧٤١) شرحه، ص ٤٠ (ويحمل ملك البتّم لقب «ذو النعنعة»).

ولعل مرسمنده (ارسمنده لدى اليعقوبي[٧٤٢]) التي ليس لدينا معلومات تحدد موقعها على وجه الدقة إنما كانت إحدى مدن هذه المنطقة. ويقول عنها ابن حوقل[٧٤٣] إنها كانت مبنية على ضفة نهر عريض كانت تتجمد مياهه في طبقة سميكة شتاء، ونظراً لشدة البرد فقد استحالت زراعة الكروم والبساتين فيها ولكن الأهالي وفّقوا كثيراً في زراعة الحبوب والزهور، وإلى جانب هذا فقد وجد سوق مشهور يفد إليه الناس من الأماكن البعيدة ويعقد مرة في رأس كل شهر، وبها جامع في جوار السوق. ومن بين الرساتيق التي لم يكن بها مدن البتة يمكن أن نشير إلى رستاقي مسخا (لعلها مسچا، وهي مچه لدى بابر) وبرغر (أنظر أعلاه ص ١٦٨) اللذين كانا يقعان دون شك في منطقة زرفشان الأعلى. ولعل اسم برغر بالعربية انما هو تحريف لپرغر أو فرغر (قارن مثلا بونجكث وپنجكث، أو قواذيان وكباديان الخ). والأرجح أننا نواجه نفس اللفظ الذي نلتقي به في الاسم القديم لكچي سرخاب (أنظر أعلاه ص ١٥١)، وهذا اللفظ يقابلنا مرة أخرى في اسم ناحية فَلْغَر Falghar الحديثة. ويقول بابر[٧٤٤] إن الحدبين مچه وپلغر كان يمر جنوبي قرية أُبُرْدَن بقليل، ولا تزال هذه القرية قائمة حتى الآن. ولعله من الممكن أن نضيف إلى نفس هذه المنطقة رستاق مينك (مانك لدى اليعقوبي) الذي كان به وفقاً لقول ابن حوقل[٧٤٥] حصن الافشين الأكبر، وهو أيضاً الموضع الذي قاتل فيه قتيبة بن مسلم «المسّودة»[٧٤٦]، وليس لهذا الحادث الأخير ذكر لدى المؤرخين. وقريتا جنكاكث وسويدك اللتان يبدو أنهما كانتا في نفس هذه المنطقة هما الموضع الذي تنتمي إليه أسرة أبي الساج ديوداد مؤسس دولة آل الساج بآذربيجان[٧٤٧]. وبناحية مينك ومرسمنده كان يستخرج الحديد الذي تصنع منه الآلات والأسلحة بفرغانه ويصدّر إلى جميع البلاد فيصل بغداد. وبجانب هذا كان بجبال البتم معادن الذهب والفضة والزاج (Vitriol) والنوشاذر (ammoniac)، ويصف لنا الاصطخري وابن حوقل[٧٤٨] بتفصيل واف

226

(٧٤٢) كتاب البلدان، ص ٢٩٤.

(٧٤٣) ابن حوقل، ص ٣٨١ - ٣٨٢؛ انظر أيضاً المقدسي، ص ٢٧٨.

(٧٤٤) بابرنامه، طبعة ايلمينسكي، ص ١٢١؛ ترجمة ليدن وارسكين، ص ١٠١؛ طبعة بفريدج، الورقة ٩٩؛ الترجمة، الجزء الأول، ص ١٥٢.

(٧٤٥) ابن حوقل، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٧٤٦) جاء لدى الاصطخري (ص ٣٢٨): «ومينك الموضع الذي قاتل فيه قتيبة بن مسلم وحصر الأفشين هناك».

(٧٤٧) Len - Pul, Musulmanskie dinastii, str. 103

(٧٤٨) الاصطخري، ص ٣٢٧ - ٣٢٨؛ ابن حوقل، ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

طريقة استخراج أملاح النوشاذر وتتفق روايتها مع أقوال الرحالة المحدثين[٧٤٩].

وإلى الشمال الشرقي من أسروشنه وعلى الضفة اليمنى لنهر سيردريا كانت تقع ولايتا ايلاق والشاش[٧٥٠] اللتان كانتا تكوّنان من الناحية الجغرافية وحدة لا تتجزأ[٧٥١]. والمقصود من ايلاق هو وادي نهر انكرين Angren (وأصح أن يقال آهنكران)[٧٥٢]، أما الشاش فيقصد بها وادي نهر پَرَك Parak (چيرچيق) الذي كان له منبعان يخرج أحدهما من جبال بسكام والآخر من رستاق جدغل[٧٥٣] (وهما حالياً پسكم Pskem وچتكل Chotkal). وقرب فم نهر انكرين كانت تقوم مدينة بناكث، أما قرب فم نهر چيرچيق فكانت تقوم مدينة نجاكث، وكانت المسافة التي تفصل بين المدينتين نحواً من ثلاثة فراسخ[٧٥٤]. ووفقاً لقول المقدسي[٧٥٥] فإن بناكث لم يكن بها حصن وكان جامعها في السوق واشتهر أهلها بالشغب. وكما هو معلوم جيداً فإن بناكث خربها المغول ثم أعيد بناؤها في عهد تيمور الذي سمّاها شاهرخيه تكريماً لابنه شاهرخ، ولا تزال أطلال شاهرخيه ماثلة على الضفة اليمنى لنهر سيردريا عند فم وادي كجكن Gijigen الذي كان يجري فيه الفرع الأيسر لنهر آنكرين[٧٥٦]. (وأسفل هذا الموضع بقليل تقوم أطلال بناكث القديمة).

وبقود من أسروشنه إلى وادي چيرچيق طريقان أحدهما من خاوس (أو خاوص) والآخر من ديزك. فبطريق خاوس كان المسافر يبلغ نهر سيردريا فوق بناكث بأربعة فراسخ[٧٥٧]، وعلى الطريق من بناكت إلى چيرچيق يرد ذكر خرشكث (على فرسخ من

---

(٧٤٩) Tomaschek, Sogdiana, S. 24

(٧٥٠) من الجلي أن التهجية المحلية للاسم هي چاچ، وهي الاسم المعهود للمقاطعة والمدينة الرئيسية بين المؤلفين الفرس. وكما هو معلوم فان حرف «الشين» العربية إنما تعكس في كثير من الأحيان حرف «چ»، راجع كتابي Oroshenie, str. 139

(٧٥١) الاصطخري، ص ٣٣٢ – ٣٣٣. واسم ايلاق لا يقابلنا لا في المصادر الصينية ولا في الروايات المتعلقة بالفتح العربي؛ ويبدو جلياً أن المنطقة قبل العهد الاسلامي كانت ولا بد متحدة سياسيا مع چاچ. راجع Bartold, Oroshenie, str. 139

(٧٥٢) (راجع Masson, Akhengeran – الناشرون).

(٧٥٣) ابن حوقل، ص ٣٨٨.

(٧٥٤) الاصطخري، ص ٣٤٥.

(٧٥٥) المقدسي، ص ٢٧٧.

(٧٥٦) Smirnov, Drevnosti v okrestnostiakh g. Tashkenta, str. 134؛ أنظر أيضاً وصف الأطلال الذي يقدمه لنا كاستانيه مع خارطات وصور I. Kastane (Otchet, str. 112 i sl.)

(٧٥٧) قدامة، ص ٢٠٤. لدى المقدسي (ص ٣٤٢) بريدان.

بناكـت، وهي ثانيـة مـدن الشاش من حيـث الرقعة) وخدينكث (أي « مدينة السيدة ») على فرسخ من الأخيرة. ثم يبلغ المسافر الضفة اليسرى **لچيرچيق** عند مدينة چينانجكث (على أربعة فراسخ من بناكث وفرسخين من شط سيردريا)[٧٥٨]. ولم يكن لچينانجكث حصن[٧٥٩]، شأنها في هذا شأن بناكث، وعندها كان يلتقي الطريق القادم من خاوس بالطريق القادم من ديزك. والمسافة من ديزك إلى فم نهر **چيرچيق**[٧٦٠] كان بالإمكان قطعها في ثلاثة أيام (وكانت المنازل بين الإثنين في البرية هي بئر الحسين وبئر حميد)، ثم يمر المسافر بعد ذلك على قرية وينكرد التي كان أهلها نصارى (أغلب الظن من النساطرة)[٧٦١]. وربما يمكن الإستدلال من قول الاصطخري[٧٦٢] إن چينانجكث كانت على الطريق من وينكرد إلى بناكث أن وينكرد كانت تقع على الضفة اليسرى لنهر **چيرچيق**، أو أكثر ميلاً إلى الجنوب وذلك قبل أن يعبر المسافر نهر سيردريا. هذا وقد أرسل المرحوم ن. س. ليكوشين N. S. Lykoshin بالملاحظات الآتية في مكتوب شخصي إليّ (تاريخه ١٣/١٤ أبريل ١٨٩٦): « أما فيما يتعلق بالقرية النصرانية القديمة على الضفة اليسرى لنهر **چيرچيق** وعلى مقربة من فوهته، فقد سمعت الأهالي المحليين يطلقون على أطلال هذه القرية اسم أُلجاكنْد Ulja – Kend ويتحدثون عن مصادر مدونة تشير إلى أن النصارى (ترسا) قطنوا هذه الناحية وقتاً ما ». غير أن ڤياتكين Viatkin أثبت بالتالي أن ألجاكنْد أو انجاكث انما هي نجاكث بعينها[٧٦٣]. وفي حديثه عن وينكرد يقول ابن حوقل إنها تقع بمنأى عن نهر الشاش (أي سيردريا) بوصفها تمثل حداً من حدود المنطقة المزروعة ببلاد الشاش، **ثم يشير إليها فيما بعد**[٧٦٤] **على أنها موضع يصله المسافرون عقب عبورهم البريـــة (دون أن يذكر شيئـــاً مـــا عن عبور للنهر)؛ والأرجـــح أن** وينكرد كانت تقع جنوبي نهر سيردريا، حيث تم الكشف عن آثار لقنوات قديمة للري؛ ولعل حزام الأرض المزروعة الواقع إلى الجنوب من سيردريا والى الشمال من البرية كان يعتبر ضمن بلاد الشاش[٧٦٥].

227

(٧٥٨) الاصطخري، ص ٣٤٤ – ٣٤٥؛ قدامة، ص ٢٠٤.

(٧٥٩) المقدسي، ص ٢٧٧.

(٧٦٠) الاصطخري، ص ٣٣٦.

(٧٦١) ابن حوقل، ص ٣٨٤.

(٧٦٢) الاصطخري، ص ٣٤٥.

(٧٦٣) Viatkin, K istoricheskoi geografii, str. 156 i sl.

(٧٦٤) ابن حوقل، ص ٣٩٩.

(٧٦٥) لعل المرحوم كاراڤايف Karavaev كان محقاً عندما جعل وينكرد هي أُوروماي ميرزا الحديثة =

وقريباً من چينا نجكث كان المسافر يعبر نهر چيرچيق ليصل إلى مدينة شتوركث أو اشتوركث[٧٦٦] («مدينة الجمل»)، ثالث مدن الولاية في الرقعة[٧٦٧]. وربما يمكن الإستدلال من ملاحظة لقدامة بن جعفر[٧٦٨] («فإذا عبر (النهر) فستوركث على اليسار») على أن المدينة كانت تقع أسفل چينانجكث، وهو أمر بعيد الاحتمال. ووفقاً لرأي الاصطخري[٧٦٩] فقد كان يفصل خدينكث من شتوركث ثلاثة/فراسخ. وأغلب 228 الظن أن شتوركث لم تكن ببعيدة من اسكي تاشكند Iski – Tashkent الحالية، وربما كانت في موضع تلك الأطلال التي يقول عنها ايڤارنيتسكي Evarnitsky[٧٧٠] إنها تقع «بازاء قشلاق (قرية) كِرشاول Kirshaul إلى الشرق من اسكي تاشكند، وتمتد حوالي ثمانية فرستات (versts) على ضفة النهر وحوالي فرستين أو ثلاثة في اتجاه الغرب داخل البرية». ووفقاً لرأي المقدسي[٧٧١] فقد كانت المدينة ذات حصن وبها أسواق («تيمات») حسنة. وكانت المسافة بين ستوركث وبنكث عاصمة الشاش تقطع في يوم واحد[٧٧٢]، وعلى الطريق يرد ذكر مدن دنفغانكث (على فرسخين من شتوركث) وزالثيكث[٧٧٣] (على فرسخ أبعد من ذلك) وبنونكث[٧٧٤] (على ثلاثة فراسخ من شتوركث). ومن بنونكث إلى بنكث كان يعد فرسخان، وزالثيكث كانت أيضاً على فرسخين من بنكث، وبهذا فإما أن تكون هي وبنكث شيئاً واحداً أو كانت على الأقل مجاورة لها. لكل هذا فإنه لجدّ ممكن أن تكون بنكث قد احتلت موضع تاشكند Tashkent الحالية.

وكان يحيط بمدينة بنكث[٧٧٥] سوران، للخارجي منها سبعة أبواب (ثمة شك حول

= Urumbai – Mirza (راجع كتابه: «Golodnia step» ونقدي له في ZVORAO, t. XXIII, str. 414

(٧٦٦) ابن خرداذبه، ص ٢٧.

(٧٦٧) ابن حوقل، ص ٣٨٩.

(٧٦٨) قدامة، ص ٢٠٤؛ ولفظ «اليسار» قد أدخلت في النص حسب افتراض الناشر. أما في المخطوطة فهي «السل» (؟).

(٧٦٩) الاصطخري، ص ٣٤٤.

(٧٧٠) Putovoditel, str. 149

(٧٧١) المقدسي، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٧٧٢) شرحه، ص ٣٤٢.

(٧٧٣) الاصطخري، ص ٣٤٤.

(٧٧٤) ابن خرداذبه، ص ٢٧.

(٧٧٥) ابن حوقل، ص ٣٨٦ – ٣٨٧؛ المقدسي، ص ٢٧٦. كثيرا ما نلتقي لدى المؤرخين باسم عاصمة الشاش القديمة طاربند (أنظر البلاذري، ص ٤٢١) وإن كانت لا تقابلنا لدى الجغرافيين.

نطق أسمائها) وللداخلي عشرة[٧٧٦] (يثير الأهتمام من بينها باب الأمير وباب سكة خاقان وباب قصر الدهقان). وكان للشهرستان ثلاثة أبواب (أبو العباس وكش وجنيد)، وللقلعة بابان أحدهما يفتح على الشهرستان والآخر على الربض. وكانت دار الإمارة والحبس بالقلعة، أما المسجد الجامع فخارجها ولكنه يجاورها، والأسواق بعضها في الشهرستان ولكن أكثرها كان بالربض. وطول البلد في عرضه، وذلك من طرف السور الخارجي إلى طرفه الآخر، كان مقدار فرسخ. وكانت المدينة وأطرافها تذخر بالبساتين والكروم.

أما فيما يتعلق بالطريق من خجند إلى بنكث (تاشكند) فقد كانت الطرق الجبلية إلى عهد قريب أكثر أهمية من الطريق الحالي الذي يجتاز البرية. والمقدسي[٧٧٧] يعد من بنكث إلى « معدن الفضة » مرحلة، ونفس المسافة من هناك إلى خاجستان التي تقع كما رأينا على الطريق من خجند إلى اخسيكث. وعلى أية حال فان هاتين المرحلتين اتصفتا بالطول[٧٧٨] لأن ابن خرداذبه وقدامة[٧٧٩] يعدان سبعة فراسخ من بنكث إلى مناجم الفضة وثمانية فراسخ من المناجم إلى خاجستان. ونجد لدى قدامة وصفاً لطريق أخرى 229 إلى وادي آنكرين، وطبقاً لألفاظه فان هذا الطريق كان يخرج من خجند محاذياً لشاطيء النهر (سيردريا) حتى يبلغ خرابة عندها عين تعرف باسم « موضع المرصد ». ومن هناك إلى قصر موهنان فرسخان، وهو يقع على « فم وادي معدن الفضة » أي نهر آنكرين أو أحد روافده الجنوبية ففيما يتعلق بالحالة الأولى (أي الطريق من خاجستان) فإن مما لا شك فيه أن المقصود هو الطريق الذي يعبر عقبة كندردفان Kendir – Davan و« معدن الشاش » يرد ذكره كثيراً على السكة حتى في العصر العباسي، والإسم الفارسي لهذا الموضع كما نوّه دي خويه من[٧٨٠] قبل هو كوه سيم (أي « جبل الفضة »)، ويرد ذكر قرية كهسيم لدى الاصطخري[٧٨١] ويبدو أنها كانت تقع إلى الجنوب من نهر آنكرين وربما كان ذلك في مواجهة قرية أبليق Ablyk الحالية.

---

(٧٧٦) لدى المقدسي ثمانية فقط.

(٧٧٧) المقدسي، ص ٣٤٢.

(٧٧٨) يعد اليعقوبي (كتاب البلدان، ص ٢٩٤) خمسة مراحل من فرغانة الى الشاش وأربعة مراحل من خجند الى الشاش.

(٧٧٩) ابن خرداذبه، ص ٢٧؛ قدامة، ص ٢٠٧.

(٧٨٠) ابن خرداذبه، ص ٢٧.

(٧٨١) الاصطخري، ص ٣٣٢، ٣٤٥.

وتحديد موقع تونكث قصبة ايلاق أمر جد عسير. ووصف الطريق بين بنكث وتونكث قد وصلنا في صورة مشوهة(٧٨٢)، كما أن المسافة بين تونكث وخجند أو بينها وبين مناجم الفضة لا يرد لها ذكر في أي من المراجع. وكل ما نعرفه هو أن تونكث كانت تقع على نهر آنكرين، وعلى ذلك فإنه من الممكن قبول رأي دي خويه القائل بأن المسافة من بنكث إلى تونكث كانت تبلغ ثمانية فراسخ. وكانت تونكث(٧٨٣) تبلغ حوالي نصف بنكث في الرقعة، ولكن وجد بها أيضاً قلعة وشهرستان وربض. وكان قصر الإمارة بالقلعة والجامع والحبس قريباً منها، أما الاسواق فبعضها بالشهرستان والبعض الآخر بالربض.

وكانت الأرض المزروعة الواقعة على نهر چيرچيق يطوّقها من ناحية الشمال حائط يمتد من جبال سابلك Sablik أو سايلك Saylik(٧٨٤) إلى وادي سيردريا، وقد بنى هذا الحائط لحماية المنطقة من غارات الترك في عهد السيادة العربية على ما يبدو وقبل فتح السامانيين لاسفيجاب، أي قبل عام ٨٤٠. وينسب ابن حوقل(٧٨٥) بناء هذا الحائط إلى عبد الله بن حميد بن ثور، ولعل المقصود هو عبد الله بن حميد بن قحطبة الذي ولى خراسان لمدة خمسة أشهر في عام ٧٧٦ عقب وفاة أبيه(٧٨٦). ووراء هذا الحائط كانت تبدأ برية قلّاص؛ والذي ينأى عن الحائط مسافة فرسخ داخل البرية يبلغ خندقاً كان يمتد أيضاً من الجبال إلى نهر سيردريا. ولا تزال بقايا هذا الحائط ماثلة إلى يومنا هذا على شكل حاجز يسميه الأهالي كمپير دوال(٧٨٧) Kempir – Duval (« حائط العجوز »)، وهو نفس الاسم الذي أطلق على حاجز بخارا. وحتى هذه اللحظة لم يفحص من هذا الحاجز سوى/القسم الغربي البالغ طوله أربعة وعشرين ميلاً تمتد من المرتفعات 230 المشرفة على قناة بوصو Bossu إلى قرية جلدمه Jaldama؛ وثمة رواية يتناقلها الأهالي مؤداها أن « الحاجز يقطع النهر إلى الضفة اليسرى لسيردريا ويمتد من هناك داخل مفازة

---

(٧٨٢) شرحه، ص ٣٤٤؛ ابن حوقل، ص ٤٠٤.

(٧٨٣) ابن حوقل، ص ٣٨٨ – ٣٨٩؛ المقدسي، ص ٢٧٧.

(٧٨٤) Bartold, Neskolko slov ob ariiskoi kulture, str. 27

(٧٨٥) ابن حوقل، ص ٣٨٨.

(٧٨٦) حمزة الأصفهاني، طبعة Gottwalt ص ٢٢١؛ الترجمة ص ١٧٢. ويقول كرديزي (مخطوطة اوكسفورد، الورقة ٩٤؛ مخطوطة كمبريدج، الورقة ٧٥ ب) أيضاً إن عبد الله حكم خراسان عقب وفاة أبيه الى عام ١٥٩ هـ (= اكتوبر ٧٧٦).

(٧٨٧) Smirnov, Drevnosti v okrestnostiakh g. Tashkenta, str. 132 – 133

الجوع Hunger - Steppe إلى مدينة جيزك »، غير أن مثل هذه الروايات لم تمحّص بعدُ للتحقق من صحتها. ولا ندري ما إذا تبقت آثار للقسم الشرقي من الحائط أم لا ومما لا شك فيه أن الخندق الذي يشير إليه ابن حوقل إنما هو الخانق « الشديد الانحدار والعمق » الذي نجري فيه قناة بوصو، ووراء هذا الخانق « تبدأ برية ذات تلال يشقها اثنان من روافد نهر كلس Keles ». ومن المحتمل جداً أنه رغماً من الإختلاف في صورة الكتابة فإن الاسم العربي للبرية وهو قلّاص انما ينطبق على اسم نهر كلس.

ومن كلام الجغرافيين المسلمين يبدو جلياً أن الحائط كان يبلغ شط **چيرچيق** عند مدينة جبغوكث[788] (أي « مدينة جبغو »، وجبغو أو يبغو لقب تركي معروف) على بعد فرسخين فوق بنكث، وفيما مضى كان هذا موضع المعسكر لجيش هذه الناحية. وموقع جبغوكث ينطبق في الغالب على الموضع الذي كانت تقوم عليه قلعة نيازبيك **Niyazbek**.

وعلى النقيض من اسروشنه كان عدد مدن الشاش وايلاق كبيراً للغاية، ويشير الاصطخري[789] إلى سبع وعشرين مدينـة بالشاش وحدها (يجعلها المقدسي أربعاً وثلاثين)[790] وأربع عشرة بايلاق (يجعلها المقدسي سبع عشرة). وليس بمقدورنا أن نتثبّت في جميع الأحوال من الطريقة التي كانت تنطق بها أسماء هذه المدن، كما أننا نفتقر كذلك إلى معطيات دقيقة فيما يتعلق بمواقعها[791]. فإلى الشمال من نهر **چيرچيق** وفي المنطقة التي تفصله من الحائط يرد إلى جانب المدن التي مر ذكرها قبل قليل المدن الآتية: خاتونكث (عـلى فرسخـين من بنـكـث)، وبركوش (عـلى ثلاثـة فراسخ من خاتونكـث)، وخرغانكث[792] (على أربعة فراسخ شرقي خاتونكث). وفي القائمة العامة للمدن ضمت خرغانكث، وربما كان ذلك سهواً، إلى ايلاق. وعلى الضفة اليسرى لنهر **چيرچيق** كانت تقوم أيضاً مدينة كنكراق على فرسخ من خدينكث. ووصف الطريق الكبير الذي يصل

---

(٧٨٨) يقول قدامة (ص ٢٠٤) إنه من بنكث « إلى معسكر داخل الحائط فرسخان »؛ وفي « حدود العالم » (الورقة ٢٤ ب) يرد أن « جبغوكث، شهركى خرمست ولشكرگاه چاچ بودى اندر قديم »، أي « جبغوكث بليدة لطيفة وكانت معسكر الشاش في القديم »، ويقول الاصطخري (ص ٣٤٥) إنه من بناكث الى جبغوكث الواقعة على شط چيرچيق فرسخان.

(٧٨٩) الاصطخري، ص ٣٢٨ - ٣٣٢.

(٧٩٠) المقدسي، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٧٩١) الاصطخري، ص ٣٤٤ - ٣٤٥؛ ابن حوقل، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٧٩٢) ترد في صورة « خركانكث » و« خرجانكث ».

بين بنكث وتنكث قد وصلنا في مسودات متناقضة ومشوهة بعض الشيء، والمنازل والمسافات الآتية هي أقربها إلى الصحة في رأيي:

بنكث	
نوجكث[٧٩٣]	فرسخ
بالايان[٧٩٤]	فرسخان
نوكث	فرسخ
بانجخاش	فرسخان
سكاكث	فرسخ
تونكث	فرسخ

231

ونوجكث هي الوحيدة من بين جميع هذه المدن التي كانت تتبع الشاش، بينما كانت البقية كلها من عمل ايلاق. وإلى الشرق من الطريق الكبير كانت تقع مدن فرنكث أو فرسكد (على فرسخين من جبغوكث)، وبغونكث (على فرسخ من فرنكث)، وانوذكث (على فرسخين من بغونكث)؛ وفي نفس المنطقة، ويفصل الواحدة عن التي تليها مقدار مرحلة، يرد ذكر كداك وغذرانك وكبرنه وغزك (تكتب أيضاً غزق) ووردوك وجبوزن. وجميع هذه المدن من عمل الشاش. أما إلى الغرب من الطريق الكبير (شمالي نهر آنكرين)، وعلى مرحلة كذلك الواحدة عن الأخرى، فكانت توجد مدن اشبنغو وكلشجك واردلانكث وبسكث وسامسيرك وخمرك وغنّاج، ومن بينها كانت بسكث (ولعلها بسكنت الحالية، وتنطق Biskent أو Pskent) وسامسيرك وخمرك تقع في ايلاق، أما الباقية فهي من عمل الشاش؛ ومن الغريب أن بناكث نفسها كانت تعد في الشاش لا في ايلاق. وجنوبي نهر آنكرين وفي المنطقة الواقعة إلى الشرق من تونكث كانت تقوم مدن

---

(٧٩٣) هذه هي القراءة الصحيحة فيما يبدو بدلا من نوغكث، والاسم الأخير لا يرد في القائمة العامة للمدن. وجاء في حدود العالم (الورقة ٢٤ ب) أن أصحاب السفن (كشتي بانان) الذين يشتغلون بالملاحة في نهري برك (چيرچيق) وخشرت (يكسرت، أي سيردريا) أصلهم من نوچكث. ومن المحتمل أن نوجكث كانت في موقع محطة چيرچيق الحالية.

(٧٩٤) راجع الترتيب الذي يعرض به الاصطخري مدن ايلاق.

غرجند وخاش وذخكث أو اذخكث[٧٩٥] وتكّث أو نكّث[٧٩٦] وكوه سيم، ومن بينها كانت غرجند وحدهـا تعتبر من عمل الشاش أما البقية فتتبع ايلاق، والمقدسي يجعل غرجند أيضاً من عمل ايلاق. وهذه المدن كانت تشغل مساحة تمتد مسيرة مرحلتين في الطول وأقل من مرحلة في العرض. وإلى الغرب من تونكث وعلى خمسة فراسخ منها كانت تقوم مدينتا اربيلخ ونموذلغ في ايلاق. وهناك مدينة واحدة فقط من بين مدن الشاش التي يذكرها لنا الاصطخري ليس بين أيدينا ما يوضّح موقعها وهي نكالك. ويضيف المقدسي إلى ذلك بضعة أسماء أخرى، غير أن نطقها موضع لشك كبير، وتوجد أحياناً حالات يرد فيها اسم لموضع ما في صورتين مختلفتين. واثنتان فقط من بين هذه المجموعة الأخيرة وهما بارسكث (بالشاش) وشاوكث (بايلاق) يرد ذكرهما في معجمي السمعاني وياقوت[٧٩٧]، ولعل/الأولى منها كانت تشغل موضع قرية پاركنت Parkent[٧٩٨] الحالية. وربما تتفق زرانكث لدى المقدسي (بالشاش) مع زركنت Zarkent؛ أما بقية الأسماء فقد رأينا الإقلاع عن الخوض فيها. وبالإضافة إلى هذا يرد لدي السمعاني وياقوت[٧٩٩] ذكر لقرية باسم شخاخ دون تحديد لموقعها.

232

وعلى عهد السامانيين كانت ولاية اسفيجاب، وهي الأرض المزروعة الواقعة في حوض نهر اريس Aris وروافده، تعتبر أيضاً من بلاد ما وراء النهر. ومدينة اسفيجاب نفسها تجعلها الرواية المحلية في موقع قرية سيرام[٨٠٠] الحالية. وترد أوصاف مختلفة للرحلة من الشاش إلى اسفيجاب، فالاصطخري[٨٠١] يذكر أنها تتم في أربعة أيام بينما يجعلها اليعقوبي[٨٠٢] يومين. والمقدسي[٨٠٣] أيضاً يعد مرحلة واحدة من بنكث إلى غركرد (أو

(٧٩٥) يضع السمعاني (تحت لفظ «الذخكثي» و«الروذباري»؛ راجع ياقوت، المعجم، الجزء الثاني، ص ٧١٧، ٨٣١) ذخكث «بالروذبار وراء نهر سيحون من وراء بلاد الشاش» (طبعة حيدر آباد، الجزء السادس، ص ٥ - المترجم). وفي تعداده للمدن لا يفرق السمعاني بين الشاش وايلاق. بل ويعد تونكث من الشاش (أنظر تحت لفظ «التونكثي)؛ راجع ياقوت، الجزء الأول، ص ٩٠٠.

(٧٩٦) يتشكك دي خويه (الاصطخري، ص ٣٣٢) دون مبرر في صحة هذهالأسماء .

(٧٩٧) المعجم، الجزء الأول، ص ٤٦٣؛ الجزء الثالث، ص ٢٤٥.

(٧٩٨) قارن برس كول وبركول Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str. 134

(٧٩٩) المعجم، الجزء الثالث، ص ٢٦٥.

(٨٠٠) ان الشكل «سريام» الذي يقترحه المتفقهون المحليون ليس سوى محض اختراع (انظر أيضاً Ivanov, K voprosu ob istoricheskoi topografii; Masson, Stary Sairam - الناشرون).

(٨٠١) الاصطخري، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٨٠٢) كتاب البلدان، ص ٢٩٥.

(٨٠٣) المقدسي، ص ٣٤٢.

غزكرد)، أمّا قدامة[٨٠٤] فيعد خمسة فراسخ من جبغوكث إلى غركرد وأربعة من الأخيرة إلى اسفيجاب، والمسافة الأخيرة تتفق أيضاً مع المسافة التي يعطيها المقدسي (بريدان). ويعد ابن خرداذبه[٨٠٥] ثمانية أميال من «معدن الفضة» إلى باب الحديد، ومن الأخيرة فرسخين إلى كتاك أو كداك، وستة فراسخ أخرى من هذه الى غركرد. هذه المسافات، خاصة المسافة الأولى، ضئيلة للغاية حتى انه ليصعب أخذها على علاّتها. وعلى أية حال فمن العسير ربط باب الحديد الذي يشير إليه ابن خرداذبه، حتى ولو افترضنا وجود خطأ لديه، بباب الحديد الوارد عند ابن حوقل[٨٠٦] والذي كان ببرية قلاّص على الحد الشمالي لولاية الشاش. ووفقاً لقول الاصطخري[٨٠٧] فإن رباط انفرن كان هو المنزلة في برية قلاّص بين بنكث وغركرد، وكانت البرية أيضاً تمتد بين غركرد واسفيجاب. ولعل غركرد كانت تحتل موقع دقانه Duvana، وعلى أية حال فإنه يجب البحث عنها في الموضع الذي يسقيه كلس الأعلى وروافده.

أما مدينة اسفيجاب[٨٠٨] فكانت نحو الثلث من بنكث في الرقعة، وفي القرن العاشر كانت قلعتها في حالة خراب وبقي الشهرستان والربض وحدهما. وكان طول السور الذي يحيط بالربض مقدار فرسخ. وللشهرستان أربعة أبواب هي باب نوجكث وباب فرخان وباب شكرانه وباب بخارا، وبداخله كانت دار الامارة والحبس والجامع والأسواق، التي 233 يخص المقدسي بالذكر منها سوق الأنسجة القطنية («سوق الكرابيس»). وكانت اسفيجاب ثغراً جليلاً ودار جهاد نالت في هذا الصدد أهمية أكبر من بنكث، وكان بها ألف وسبعمائة رباط للمطوّعة على قول المقدسي. وكغيرها من الثغور فإن بعض رباطاتها شيّده أهل المدن الكبرى من أجل مطوّعة مدنهم فنجد ذكراً لرباط النخشبيين ورباط البخاريين ورباط السمرقنديين، والبعض الآخر بناه أهل الخير من الأثرياء مثل رباط قراتكين الذي كان حاكماً على اسفيجاب[٨٠٩] في عهد نصر بن أحمد، وعند هذا الرباط

---

(٨٠٤) قدامة، ٢٠٤.
(٨٠٥) ابن خرداذبه، ص ٢٧.
(٨٠٦) ابن حوقل، ص ٣٨٤.
(٨٠٧) الاصطخري، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.
(٨٠٨) الاصطخري، ص ٣٣٣؛ ابن حوقل، ص ٣٨٩ - ٣٩٠؛ المقدسي، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.
(٨٠٩) (في الطبعة الروسية لعام ١٩٠٠وفي الترجمة الانجليزية ورد «بلخ» بدلا من «اسفيجاب» وهو سهو واضح، فلزم التنويه؛ راجع ما يلي من الكتاب ص ٣٥٦ - الناشرون).

كان يوجد قبره وبجواره قبر ابنه منصور المتوفي عام ٣٤٠ هـ = ٩٥١[٨١٠]، وإلى جانب ذلك سوق أوقفت غلتها (ومقدارها سبعة آلاف درهم في الشهر) لإجراء الخبز والادام على المعدمين. وكانت أبنية المدينة من الطين.

وكانت تدخل ضمن ولاية اسفيجاب جميع الأراضي الممتدة صوب المشرق إلى وادي تلاس Talas بما في ذلك الوادي نفسه، والممتدة صوب الشمال الغربي إلى سوران (صبران). أمّا وادي تلاس والطرق التي تصل بينه وبين اسفيجاب فقد فصلت فيها القول في موضع آخر غير هذا[٨١١]، وأمّا فيما يتعلق بالنواحي الواقعة في اتجاه الشمال الغربي[٨١٢] فإلى الغرب من اسفيجاب كانت تقع كورة كنجيده وقصبتها سبانيكث او اسبانيكث (ارسبانيكث لدى المقدسي) التي كانت على مرحلة يومين[٨١٣] من اسفيجاب، وكانت محصنة وذات مسجد جامع ومعظم أبنيتها بالربض. وأسفل كنجيدة كورة باراب أو فاراب التي كانت تقع على ضفتي سيردريا وكان مقدارها في الطول والعرض أقل من مرحلة. والاصطخري وابن حوقل يجعلان كدر قصبة لهذه الكورة ويحددان موقعها على بعد نصف فرسخ من سيردريا. أما المقدسي فيعطي قصبة الكورة نفس الاسم الذي تحمله الكورة ويقول إنها كبيرة تخرج نحو سبعين ألف رجل (مجاهد؟)، وجامعها بالشهرستان[٨١٤]، وكانت بالشهرستان أيضاً/حوانيت قليلة ولكن معظم الأسواق كان بالربض. ووفقاً لنفس ذلك الجغرافي فإن كدر كانت «مدينة محدثة جرى وقت نصب منبرها حروب»، ومن الجلي أن المقصود بذلك مصادمة وقعت بين أهلها وسكان قصبة الكورة. وأمام هذه الروايات المتضاربة فمن العسير أن نقطع برأي فيما لو كانت كدر هي

234

---

(٨١٠) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ١٥٧، ٣٧٠.

(٨١١) Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziu, str. 9–10, 15–16. يمكن أن نضيف الى هذا أن قرية منكنت Mankent الواقعة الى الشمال الشرقي من چمكنت يرد ذكرها لدى ياقوت (المعجم، الجزء الرابع، ص ٦٧١) في صورة «منكث».

(٨١٢) الاصطخري، ص ٣٤٦؛ ابن حوقل، ص ٣٩٠ – ٣٩١؛ ٤٠٥؛ المقدسي، ص ٢٧٣ – ٢٧٤.

(٨١٣) وبنفس المقاطعة على ما يبدو كانت توجد مدينتا خورلوغ وجشلاغو اللتان يذكرهما المقدسي بين اسفيجاب وسبانيكث دون تحديد أدق لموقعها. على أنه يجب ألا يغيب عن الذهن أن المقدسي لا يسرد المدن دائماً وفقاً لمواقعها الجغرافية، خذ مثلا لذلك وسيج التي ترد قبل كدر رغماً من أنها تقع أسفلها. أما عن جشلاغو فانظر Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziu, str. 10

(٨١٤) لعل هذا ما يقصده المقدسي بكلامه عن «الحصن»؛ ذلك أنه يتكلم عن كل من القهندز والربض على حدة.

فاراب المتأخرة أم اترار(٨١٥). ولعل اسم اتزار يقابلنا منذ عهد الطبري(٨١٦)، الذي يذكر من بين أعداء المأمون أمير بلدة اطرار بنده. ومن بين مدن فاراب على الشط الأيسر لنهر سيردريا كانت ستكند(٨١٧) التي وجد بها أحياء من الترك الغزية والقارلوقية ممن دخلوا حظيرة الإسلام، ووسيج وهي قرية محصنة ذات جامع وكان بها «أمير قوي» وتقع على مسافة فرسخين أسفل كدر. ووسيج هي مسقط رأس الفيلسوف المشهور أبي نصر الفارابي، وكانت قلعتها لا تزال قائمة إلى القرن الثاني عشر(٨١٨). ويروي المسعودي(٨١٩) أن نهر سيردريا في نواحي فاراب كان يغمر أحياناً مساحة من الأرض تزيد على الثلاثين فرسخاً (مما يجب اعتباره بالطبع مبالغاً فيه) وأن القرى كانت تصبح كالقلاع على رؤوس التلال حتى كان الأهالي يلجأون إلى استعمال الزوارق للاتصال ببعضهم البعض.

ومن كدر كانت تعد مرحلة واحدة إلى شاوغر(٨٢٠) وهي بلدة كبيرة حصينة ذات رستاق واسع وجامعها قرب السوق، ومن هذه الأخيرة مرحلة خفيفة إلى سوران (أو صبران)، ونظراً لأن سوران كانت من الثغور المواجهة للترك من الغز والكيماك فقد كانت محكمة الدفاع تحيط بها سبعة حصون، وكان جامعها داخل الشهرستان وكان يأتيها الغز للإتجار أو لعقد معاهدات الصلح. ووراء سوران يضع المقدسي بلدة أخرى صغيرة محصنة هي ترار، وفي رستاقها قرية زراخ حتى عرفت البلد أحياناً باسم ترار زراخ. 235
ورغما من التشابه في التسمية فإن موقع هذه البلدة كما يورده المقدسي لا يسمح لنا بالخلط بينها وبين مدينة أترار. ويسجل لنا المقدسي أسماء بضعة ثغور نائية على الحدود مع أراضي

---

(٨١٥) المسافات الواردة فيما بعد تضطرنا الى وضع كدر الى الشمال بعض الشيء من اترار.

(٨١٦) الطبري، القسم الثالث، ص ٨١٥ - ٨١٦.

(٨١٧) هذه القراءة لاسم ستكند (أي «مدينة اللبن») أخذناها عن «حدود العالم»، الورقة ٢٤ ب (وهي لدى ابن حوقل «بيسكند»). وأطلال ستكند معروفة جيدا الى اليوم (على ميل فوق بحيرة قراكول) ووصفها لنا رودنييف N. Rudnev (Zabroshenny ugolok). وفي ظفرنامه لشرف الدين يزدي، طبعة كلكتا، الجزء الثاني، ص ٦٤٦، يجب أيضاً قراءتها «سوتكنت» بدلا من سونكنت.

(٨١٨) السمعاني تحت لفظ «الوسيجي».

(٨١٩) التنبيه، ص ٦٥. الترجمة، ص ٩٧.

(٨٢٠) يجب عدم الخلط بينها وبين المدينة التي تحمل نفس الاسم والواقعة على الطريق الى تلاس قرب محطة كويوك Kuyuk الحالية (Bartold, Otchet o poezdke v Sredniuiu Aziiu, str. 9). وشاوغر الغربية هي مدينة تركستان الحالية كما افترض لسترانج (Le Strange, Lands of the Eastern Caliphate, p. 485) وكانت المدينة في الماضي قريبة من الطريق الكبيرة (المقدسي، ص ٢٧٤)، راجع، Bartold, Oroschenie, str. 147 (وألفاظ المقدسي هي: «وهي من الجادة بمعزل» - المترجم).

الترك، من بينها بلدة شغلجن الكبيرة الغنية الحصينة والواقعة على الحدود مع أرض الكيماك، ثم بلدة بلاج الصغيرة وبلدة بروكث الكبيرة وكانتا موطناً للتركمان الذين اعتنقوا الاسلام، وفي كلا الموضعين كانت التحصينات في حالة خراب. وعلى وجه العموم فإن الجند الذين أوكل إليهم مهمة الدفاع عن هذا الثغر اقتصروا على المهاجرين من أهل المفاور والبراري ممن دخلوا في حظيرة الاسلام والذين كانوا على حد قول ابن حوقل أهل بأس ومنعة في القتال ضد أبناء جلدتهم الذين بقوا على الوثنية. أمّا « المراعي الخصبة » الواقعة بين فاراب وكنجيده والشاش (أي إلى الغرب وإلى الجنوب الغربي من اسفيجاب) فقد كان يحتلها أيضاً الرحّل من الترك الذين اعتنقوا الاسلام وكان عددهم في حدود ألف أسرة.

وأسفل سوران كان نهر سيردريا يجتاز مفازة الترك الغزية. وعلى مرحلتين من مصبه في بحر آرال، وعلى مسافة فرسخ من النهر نفسه، كانت تقع مدينة ينيكنت[٨٢١] (أي « البلدة الجديدة »، ويطلق عليها العرب اسم « القرية الحديثة »، بينما يدعوها الفرس « ده نو »[٨٢٢]، وكثيراً ما يقابلنا أيضاً اسم « شهركنت » في المصادر الأدبية[٨٢٣] وفي السكة أحياناً)، وكانت مشتى لملك الغز، وهي الآن أطلال جنكنت **Jankent** الواقعة جنوبي سيردريا وذلك على ثلاثة أميال من قلعة إمارة خيوه المعروفة باسم جان قلعه[٨٢٤] وعلى خمسة عشر ميلا من كزالنسك **Kazalinsk**. وغير بعيد من ينكنت كانت تقوم بلدتان أصغر منها هما جند وخواره أو جواره، والمدن الثلاث كان سكانها من المسلمين (أغلب الظن من تجار خوارزم وما وراء النهر) رغماً من وجودها في أرض الكفار. ومن ينكنت إلى خوارزم كانت تعد عشر مراحل، ومنها إلى فاراب عشرون مرحلة[٨٢٥]، وفيما عدا ذلك فقد ترك لنا كرديزي[٨٢٦] وصفاً لطريق التجارة من ينكنت إلى مساكن الكيماك على ضفاف نهر ارتيش. وفي وقت السلم كانت الحبوب تحمل إلى ينكنت من ما

---

(٨٢١) عنها وعن غيرها من المدن راجع ابن حوقل (ص ٣٩٣).

(٨٢٢) Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziu str. 83, 106.

(٨٢٣) Teksty, str. 79 - 80 (كتاب التوسل) ؛(متن جويني) Schfer Chrestomathie persane, T. II, P. 114 ؛النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٦٣، الترجمة ص ٦٢ ؛ والعمري، فقرة منه لدى كاترمير، ص ٢٣٤.

(٨٢٤) Lerkh, Arkhelogicheskia poezdka, str. 11

(٨٢٥) ان افتراض ماركفارت بأنه يجب قراءة « فراسخ » ها هنا بدلا من « مراحل » (Marquart, Komanen, S. 202) محض خطأ. ذلك أن المسافة ها هنا ليست اكثر ولا أقل من عشرين مرحلة.

(٨٢٦) Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziu, str. 106 - 107

وراء النهر على نهر سيردريا. ويرى كاللاور V. Kallauer أن أطلال جند هي خرائب خشت قلعه بناحية تماروتكل Tumarutkul الواقعة من پيروڤسك Perovsk على مسافة تتراوح بين ستة عشر وعشرين ميلاً(٨٢٧).

236 هذا وقد احتفظ سكان النواحي الواقعة على المجرى الأسفل لنهر سيردريا بحريتهم لوقت طويل، وذلك بفضل الموقع الجغرافي لبلادهم. غير أن مصب النهر وقع في أيدي المسلمين منذ القرن العاشر وذلك على يد سلجوق(٨٢٨)، وفي النصف الأول من القرن الحادي عشر كانت هذه المنطقة تخضع لشاه ملك عدو السلاجقة اللدود(٨٢٩)، وإن يبدو من اسمه أنه كان مسلماً. ورغماً من هذا فإن المنطقة الواقعة بين جند وفاراب كانت تعتبر إلى القرن العاشر من بلاد الكفار. وكانت عاصمة القپچاق غير المسلمين كما سنرى في الفصل الثالث من الكتاب هي بلدة سغْناق(٨٣٠) التي ظلت محتفظة بأهميتها الكبيرة إلى عهد السيادة المغولية، وهي تقع على مسافة أربعة فراسخ من أترار وفقاً لرأي ليرخ Lerkh وذلك في موضع أطلال سُناق قرغان Sunak - Kurgan أو سناق اتا Sunak - ata الحالية الواقعة على ستة أو سبعة أميال إلى الشمال من محطة بريد تومن اريق Tümen - Arik(٨٣١). وبين سغناق وجند يرد أيضاً، وذلك ضمن أخبار حملة جوچي، ذكر لقلاع باسم اوزكند وبارچِلغكنت(٨٣٢) واشناس(٨٣٣). وكانت اوزكند وفقاً

---

(٨٢٧) Drevnie goroda Soganak, Ashnas i drugie, str. 16; O sledakh drevnego goroda «Djend», str. 81 (84)؛ أنظر أيضاً Bartold, Oroshenie, str. 151. غير أن بعض المقاربات بين المواقع القديمة والمواقع الحديثة التي أجراها ذلك البحاثة عرضة لشك كبير. (يقارب تلستوف S.P. Tolstov بين جند وأطلال جان قلعة Po sledam, str. 60 - 61 - الناشرون).

(٨٢٨) ابن الاثير، الجزء التاسع، ص ٣٢٢.

(٨٢٩) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٨٥٦؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٨٣ وما يليها).

(٨٣٠) هكذا يجب قراءة الاسم، وان وجدت الى جانبها أيضاً القراءة بضم السّين، وبهذا الشكل الأخير وردت في القرن الحادي عشر لدى محمود الكاشغري، الجزء الأول، ص ٣٩٢. (انظر أيضاً Iakubovski, Razvaliny Sygnaka - الناشرون).

(٨٣١) Lerkh, Arkheologicheskia poezdka, str. 11-12; Smirnov, Drevnosti na srednem i nijnem techenii r. Syr - Dari, str. 7 - 8.

(٨٣٢) لدى پلانو كارپيني (طبعة بيزلي، ص ٧٦، ١١٠، ١٥٢): بارچين Barchin، ولدى كيراكوس: پارچين Parchin، وفي سكة آل جوچي «بارجين» (Lerkh, Arkheologicheskia poezdka, str. 10 - 11) راجع الشكل الصيني با-اول-چي-لي-هان Ba-eulh-chi-li-han وبا-اول-چين Ba - eulh - chen (Shefer, Chrestomathie persane, T. II, P. 167). وترد لدى برتشنيدر في صورة با - ره - چي - لي - هان Ba - rh - chi - li - han = Bretschneider, Researches,

لقول مؤلف من القرن السادس عشر نقل عنه ليرخ تقع في جبال قراتاو، غير أن تفسير ليرخ للمتن الذي نقل عنه بهذه الصورة عرضة لشك كبير(٨٣٤). ويبدو أن بارچنلغكنت كانت أقرب إلى جند منها إلى سغناق، لأن خوارزمشاه تكش أضطر الى أن ينظم أحوالها قبل أن/ يفرغ لإخضاع الأخيرة(٨٣٥). وعن نقاط أقل أهمية من تلك يرد ذكر الآتية: صاغ دره على مسافة عشرين فرسخاً من جند وتقع على شط سيردريا أسفل من تلك المدينة فيما يبدو لأنها كانت على طريق القادم من خوارزم(٨٣٦)، وخيراباد بنواحي جند(٨٣٧)، ورباط طغانين إحدى القرى الكبرى في نواحي بارچنلغكنت وأغلب الظن أنها هي نفس قرية رباطات(٨٣٨).

237

★ ★ ★ ★

(vol. II, P.95 والخارطة أيضاً). وفي المصادر الاسلامية يقابلنا أيضاً الشكل المختزل «بارجكند» (جمال قرشي Teksty,str. 135, 151).ولعل اسم بارجين لا يزال يحفظه لنا حتى الآن بارشين دريا أحد فروع سيردريا (ش في اللهجات القرغيزية تحل عادة محل چ) الذي سجله كالالاور (O sledakh drevnego goroda,«Djend», str. 83);Drevnie goroda, kreposti i kurgany, str. 77 sl. ومن المؤسف أن وصفه لهذا الفرع االذي لم يزره بنفسه غير واضح تمام الوضوح.

(٨٣٣) ان التقريب بين اوزكند واوزكند بفرغانة وأيضاً بين اشناس والشاش ساق أحدث مؤرخ للاسلام وهو مولر A. Müller Der Islam, II, 209 الى الخطأ. واشناس هي أطلال اسناس على الشط الأيسر لسيردريا وعلى مسافة سبعة عشر ميلا من النهـــر وعشرين ميلا من محطـــة بريد بركازان Berkazan Kallauer (Drevnie goroda Soganak, Ashnas i drugie, str. 14 i sl.

(٨٣٤) راجع Bartold, Oroshenie, str. 151

(٨٣٥) Teksty, str. 74 (كتاب التوسل).

(٨٣٦) شرحه، ص ٤١ (انشاء).

(٨٣٧) شرحه، ص ١٥٢ (جمال قرشي).

(٨٣٨) شرحه، ص ٧٤ - ٧٥، ٧٩ - ٨٠ (كتاب التوسل).

الفصل الثاني

آسيا الوسطى إلى القرن الثاني عشر

حاولت في بحث سابق لي[١] أن أقدّم فكرة عامة عن مجتمع بلاد ما وراء النهر في الفترة السابقة للغزو العربي مباشرة. وقد بيّنتُ آنذاك أن الطابع المميز لذلك المجتمع قد تمثل في سيطرة طبقة ملاّك الأراضي المعروفين باسم الدهاقنة، ولكن الوضع اختلف عمّا كان عليه الحال بايران في أنه لم تكن ببلاد ما وراء النهر قوة تكبح من جماح سيطرة هذه الطبقة كما حدث بايران[٢] حيث قام حلف وثيق بين العرش والمذبح، أي بين مَلَكية قوية وطبقة من رجال الدين تمتعت بالنفوذ. أما الأمراء المحليون في بلاد ما وراء النهر فلم يكونوا سوى المقدمين من النبلاء، بل إن أقواهم وأكثرهم نفوذاً لم يزيدوا على أنهم دهاقنة شأنهم في هذا شأن رعاياهم أنفسهم. ويرد أحيانا في المصادر العربية ذكر للحرس الخاص بالأمراء وهم الذين أطلق عليهم اسم الشاكرية أو الچاكرية[٣] (وتفيد حرفياً معنى « الاتباع »)، ولكن يبدو من كلام نرشخي[٤] في وصفه لبلاط ملكة بخارا أن هذا الحرس كان أشبه ما يكون بحرس شرف ينخرط في سلكه شباب الطبقة الارستقراطية الذين كانوا يقومون بهذه المهمة ببلاط حكامهم عن طريق التناوب مثلهم في ذلك مثل أبناء طبقة الفرسان في بلاط ملوك أوروبا ودوقاتها. وما دام الأمر متعلقاً بنظام سياسي كهذا فمن العسير القول بوجود دين رسمي للدولة وفقاً للمفهوم الدقيق لهذه العبارة. ورغماً من أن دين الطبقة الحاكمة هنا كان الزرادشتية وفقاً لما كان عليه الحال بايران، إلاّ أن

---

(١) Neskolko slov ob ariiskoi kulture v Srednei Azii

(٢) بل إنه في ايران نفسها كانت مكانة الدهاقنة تفوق بكثير مكانة بقية سكان القرية. وفي روايته المتعلقة بالملك الأسطوري منوچهر يقول الطبري: « فجعل لكل قرية دهقاناً وجعل أهلها له خَوَلا وعبيداً وألبسهم لباس المذلة وأمرهم بطاعته » (الطبري، القسم الأول، ص ٤٣٤).

(٣) راجع مثلا الطبري (القسم الثاني، ص ١١٥٩).

(٤) النرشخي، طبعة شيفير، ص ٧ – ٨.

أتباع الفرق الثنائية الذين تعرضوا للاضطهاد بايران وجدوا ملاذاً آمناً ببلاد ما وراء النهر، ويبدو أن البوذيين والنساطرة قد تمتعوا كذلك بنفس القدر من حرية العبادة. والمثال الوحيد الذي ترد فيه اشارة الى وجود نزاع ما بين الزرادشتية والبوذية هو ما يقدمه لنا هيون تسانغ Hiuen-Tsiang في حديثه عن سمرقند، غير أن ما رواه هذا الحاج القادم من بلاد الصين عما لقيته مهمته من نجاح في تلك البلاد ليقف شاهداً على أن 239 هذا النزاع لم يبلغ درجة كبيرة من الحدة[٥]. ومبلغ علمنا أن طبقة الكهنوت لم تقاوم الغزاة العرب[٦]. وفي أخبار استيلاء قتيبة على بيكند عام ٨٧ هـ = ٧٠٦ يرد الكلام عن رجل أعور كان يستفز الترك لقتال المسلمين. وقد عدّه المسلمون اشد خطراً عليهم من القواد العسكريين، فلما وقع في أسرهم وأراد ان يفتدي نفسه بألف ألف (درهم) لم يُجْدِ هذا المبلغ الضخم في إغراء المسلمين بإطلاقه بل فضّلوا التخلص نهائياً من كيد هذا العدو اللدود[٧]. غير أنه لا يتبين لنا من ألفاظ المؤرخ الذي روى تلك القصة ما إذا كان تأثير هذا الرجل ذي العين الواحدة على قومه تأثيراً ذا طابع ديني أم لا.

ويعوزنا الدليل للإجابة على سؤال مؤدّاه هل وجدت بين الارستقراطيين أنفسهم مراتب وطبقات متمايزة كما كان عليه الحال في وسط الارستقراطية الإيرانية[٨]؛ والطبري في مواضع مختلفة[٩] من تاريخه يطلق على نبلاء آسيا الوسطى نفس الألقاب المستعملة لتمييز المراتب العليا في وسط الارستقراطية الايرانية، غير أن لفظ دهقان كما سبق أن بيّنا قد أطلق على ملاّك الأراضي العاديين وعلى الأمراء المحليين على السواء[١٠]. وقد تمتعت بمكانة خاصة على ما يبدو أرستقراطية المال وأعني فئة التجار التي جمعت ثروة هائلة من تجارة القوافل مع الصين ومع أقطار أخرى.

---

(٥) Bartold, O khristianstve v Turkestane, str. 5 (نقلا عن هوين تسانغ، ترجمة جوليان، ص ٥٩ وما يليها).

(٦) فقط في روايته لفتح خوارزم يذكر الطبري الكهنة الى جانب الدهاقنة (ويطلق عليهم اسم « الأحبار » ولعله يجب أخذها في المعنى الذي يستعمله الكتاب المقدس أي أهل العلم؛ الطبري، القسم الثاني، ص ١٢٣٧).

(٧) الطبري، القسم الثاني، ص ١١٨٨.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، الجزء الثاني، ص ٢٤٠ وما يليها.

(٩) الطبري، القسم الثاني، ص ١٢٣٧ و١٢٤٣.

(١٠) يمكن من بين الألقاب المستعملة خاصة بآسيا الوسطى الإشارة الى لقب نبلاء بخارا « جموك » (نرشخي، ص ٥). ونفس اللقب يقابلنا بين الترك (الطبري، القسم الثاني، ص ١٦١٣).

والطبري[١١] في روايته عن هجرة أهل الصغد يساوي بين هؤلاء التجار وبين الأمراء («الملوك» على حد قوله). أما نرشخي فيستدل من كلامه بصدد تجار بخارا[١٢] على أنهم كانوا يمتلكون عقارات واسعة ويسكنون قصوراً منيعة وأن مكانتهم لم تكن لتقل في شيء عن مكانة الدهاقنة. ومن ثم فنحن بإزاء مجموعة من الأثرياء ارتبطت مصالحهم بمصالح الارستقراطية ولسنا أمام طبقة مستقلة مكوّنة من التجار وأهل الحرف كما حدث فيما بعد في عهد الاسلام. ولا علم لنا البتة بوجود عداء بين الدهاقنة والتجار. ومن المؤسف حقاً أن المؤرخين لم يتركوا لنا مادة تعاوننا على تكوين فكرة عن نظام بيكند «مدينة التجار» ببخارا وطبيعة علاقتها ببخار خدات ودهاقنة بخارا، غير أنه يمكن الافتراض من قصة الأب الغيور التي يرويها لنا نرشخي[١٣]، وكذلك من واقعة عثور العرب بكميات كبيرة من الأسلحة ببيكند[١٤] أن أهل تلك الناحية لم يختلفوا عن بقية سكان بلاد ما وراء النهر في كونهم شعباً مقاتلا. ولاعطاء فكرة عن أخلاق السكان فليس أدلّ في هذا الصدد من تلك العادة التي يرويها لنا الطبري[١٥]، فقد كانت تفرد بسمرقند في كل عام مائدة يوضع عليها لحم ودك وخبز وابريق شراب وذلك في كل عام يوماً يجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقربه أحد غيره هو طعامه ذلك اليوم فان أكل منه أحد غيره بارزه فأيهما قتل صاحبه فالمائدة له.

240

من كل هذا يتضح لنا أن العرب وجدوا أنفسهم من ناحية أمام عدد كبير من الإمارات الصغيرة التي كانت في حال من العداء المستمر مع بعضها البعض، ومن ناحية أخرى أمام طبقة من الفرسان عرفت بالشجاعة والمهارة في القتال ولكنها افتقرت افتقاراً تاماً إلى التنظيم. وبإزاء هذه الظروف فإن نتيجة النضال بين الطرفين لم تكن موضعاً للشك، ويجب الاعتراف بأن النزاع الذي دبّ بين العرب أنفسهم، بما في ذلك اشتداد الخصومة بين القبائل العربية الشمالية والجنوبية، لم يرتفع مطلقاً إلى مستوى الشقاق والخلاف الذي ساد صفوف السكان المحليين، بل إن سيطرة العرب على خراسان لم تتعرض لأية هزة حتى في عهد استعار نيران الحرب الأهلية فيما بينهم. وقد وجدت

---

(١١) الطبري، القسم الثاني، ص ١٤٤٤.

(١٢) راجع أعلاه، ص

(١٣) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٤٣.

(١٤) الطبري، القسم الثاني، ص ١١٨٩.

(١٥) شرحه، ص ١١٤٦.

حالات انتصر فيها العرب بفضل معاونة أهالي المنطقة نفسها. والقانون الذي أصدره الخليفة عمر والذي كان يقضي بمنع غير المسلمين من حمل السلاح لم يكن مطبقاً في آسيا الوسطى[١٦]. وقد استعان قتيبة وغيره من الغزاة العرب نأهل بعض النواحي في إخضاع نواح أخرى من ما وراء النهر. أما بطء الفتح فيرجع من جهة إلى أن العرب أنفسهم قد اكتفوا لأمد طويل بالحصول على الغنائم والجزية دون أن يهتموا لاخضاع البلاد بصورة نهائية، كما وأنه يرجع من جهة أخرى إلى وعورة طبيعة البلاد. ورغماً مما اتصف به العرب من صفات حربية نادرة فقد كانوا بحكم الضرورة متأثرين بطبيعة أوطانهم، واذا حدث أنّ العمليات العسكرية في الأرض السهلة لم تمثل مشكلة لهم إلاّ أنهم لم يتمرسوا على الحرب الجبلية إلاّ بعد جهد كبير، بل إنهم فشلوا فشلا ذريعاً في تلك الشعاب التي لا تمثل صعوبة ما للجيوش الحديثة[١٧].

هذا وقد وصلت الينا أخبار سير الفتوحات العربية في العصر الأموي على هيئة قصص شبه أسطوري[١٨] مما تناوله الرواة عن طريق المشافهة لفترة طويلة من الزمان ولم يتم تدوينه إلاّ بعد أجيال عدّة، وهذا يفسر لنا السر في التناقض والخلط في التواريخ الذي غلب على عدد كبير من هذا القصص. بل إن واقعة عبور العرب نهر جيحون لأول مرة قد وصلتنا على هيئة روايات يناقض بعضها البعض[١٩]. ورغماً مما يعتور بعض هذه الوقائع التاريخية من شكوك فإن روايات المؤرخين تقدم لنا فكرة واضحة بما فيه الكفاية تعاون على فهم روح ذلك العصر ولا تترك مجالا للإرتياب في أن الهدف الأساسي للغزاة إنما كان الغنائم والمجد الشخصي، هذا بينما شغل الجانب الديني على وجه العموم دوراً ضئيلاً سواء بالنسبة لهم أو بالنسبة لأهل البلاد الذين كانوا يزودون عن أوطانهم. ولم يخل الأمر من حالات انبعثت فيها مودّة شخصيّة بين الأبطال من الجانبين[٢٠]. ولم يكن العرب قد اطّرحوا مثل الفروسية التي عهدت فيهم، وقد دعا قتيبة رجاله «دهاقين

241

---

(١٦) راجع شرحه، ص ١٦٩٣.

(١٧) راجع وصف القتال بين العرب والترك في الجبال الواقعة بين كش وسمرقند (شرحه، ص ١٥٣٣ – ١٥٤٤).

(١٨) عن الطابع الملحمي لهذه القصص راجع Wellhausen, Das Arabische Reich, S. 257، ومقالي الأكثر تفصيلا K istorii arabskikh zavoevanii, str. 0140 i sl.

(١٩) البلاذري، ص ٤٠٨؛ الطبري، القسم الثاني، ص ١٥٦؛ اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٢٨١؛ الثعالبي، اللطائف، ص ١١.

(٢٠) الطبري، القسم الثاني، ص ١٥٢٢.

العرب »[٢١] رفعاً لحالتهم المعنوية. كما أن البطل العربي ثابت بن قطبة أحد أصحاب موسى بن عبد الله بترمذ تمتع باحترام كبير بين الأهالي فكانوا يحلفون في معاملاتهم بين بعضهم البعض « بحياة ثابت »[٢٢]. وقد تشبّه ثابت بالأمراء الوطنيين فأحاط نفسه بعدد من الشاكرية، كانوا في أغلب الظن من بين الأهالي أنفسهم لأن الرواية التاريخية تجعل الشاكرية دائماً في مقابلة العرب[٢٣].

ولن نتوقف للكلام عن الغارات الأولى للعرب في بلاد ما وراء النهر التي كان هدفها الوحيد هو الغنائم، بل سنقتصر الحديث على معالجة أهم مراحل تاريخ الفتح العربي لبلاد ما وراء النهر التي لم تعرف حاكماً أجنبياً أو ولاة يمثلون ملكاً أجنبياً منذ سقوط دولة الكوشان (انظر ص ١٨٨)؛وعلى نقيض ما تذكره الروايات التاريخية[٢٤] فانه لم يحدث البتة أن حكم ولاة الساسانيين بلاد ما وراء النهر. هذا وقد اكتفى العرب في البداية بالغارة على ما وراء النهر فكانوا يرجعون في كل عام لتمضية فصل الشتاء بخراسان، وتنسب الرواية التاريخية إلى الوالي سلم بن زياد (٦٨١-٦٨٣) أنه أول من أمضى الشتاء على الجانب الآخر من النهر[٢٥]. ويروي الطبري[٢٦] أن الأمراء المحليين دأبوا على

(٢١) شرحه، ص ١٢٤٧.

(٢٢) شرحه، ص ١١٥٢.

(٢٣) شرحه، ص ١١٥٥.

(٢٤) يمكن أن نضم ها هنا الى الطبري وأبي حنيفة الدينوري (الطبري، ترجمة نولدكه، ص ١٥٩ و١٦٧) رواية البلاذري (ص ١٩٥) التي يقول فيها إن الملك قباد (أوكواد) الذي حكم من ٤٨٨ الى ٥٣١ أنزل المهاجرين من الصغد في بلاد القوقاز حيث بنى مدينة سغدبيل. وأغلب الظن أن هذه الأسطورة (والتي يرفضها كذلك ماركفارت,Marquart, Eranŝahr, S. 108, Anm. 2) شأنها في هذا شأن كثير غيرها قد اخترعت لتوضيح أصل اسم جغرافي. وعن سيادة الساسانيين على بلاد ما وراء النهر يتحدث أيضاً ابن خرداذبه (ص ١٤؛ وانظر أيضاً Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 9)وهو يوكد أن أحد مرازبة خراسان الأربعة كان يحكم بلاد ما وراء النهر، وأغلب الظن أن تقسيم خراسان الى أربع مرزبانيات انما يتفق مع تقسيم آخر للمنطقة نلتقي به في الفترة الاسلامية ولكن تحتل فيه نيشابور مكان بلاد ما وراء النهر (شرحه، ص ١٠). أنظر أيضاً Marquart, Eranŝahr, S. 70

(٢٥) راجع المكتوب الذي بعث به غورك أمير سمرقند في عام ٧١٨ الى امبراطور الصين والذي ترجمه شاقان عن دائرة المعارف الصينية تشيء - فو - يوين - كوى Tsh'e fu yuen Koei ويرد فيه أنه قد مضت خمسة وثلاثون عاما على بداية الحرب مع العرب (Chavannes, Documents, p. 204 sq.) ومن الجلي أن الأمير إنما يشير الى نشاط سلم ولم يهتم للغارات التي حدثت قبل ذلك. راجع أيضاً مقالي k istorii arabskikh zavoevanii, str. 0142

(٢٦) الطبري، القسم الثاني، ص ٣٩٤.

الاجتماع كل عام/ في إحدى مدن خراسان القريبة من خوارزم[٢٧] فيتعاقدون على ألاّ يغزو بعضهم بعضاً وألاّ يهيج أحد أحداً ويتشاورون في أمورهم لتوحيد صفوفهم لمواصلة النضال ضد الغزاة العرب. ويمكن الحكم على ما منيت به محاولاتهم من فشل من شيئين، أولهما اضطرار هؤلاء الأمراء الى تجديد عهدهم كل عام، وثانيهما من متابعة فتوحات قتيبة.

وكان من شأن الفتنة الكبرى التي استعر أوارها بين العرب عقب وفاة يزيد بن معاوية (عام ٦٨٣) أن امتد لهيبها إلى خراسان أيضاً. وسرعان ما وجد سلم بن زياد نفسه مضطراً إلى مغادرة خراسان بعد أن قدّم له أهلوها في البداية فروض الطاعة ريثما يتم مبايعة خليفة جديد[٢٨]، وأعقب ذلك حروب طاحنة بين القبائل العربية انتهت بسيطرة زعيم القيسيين عبد الله بن خازم الذي ظل الآمر الناهي بخراسان إلى عام ٧٢ هـ = ٦٩١-٦٩٢ وضرب السكة باسمه بما في ذلك النقود الذهبية[٢٩]. وفي عام ٧٢ هـ قتل عبد الله بن خازم بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان لرفضه مبايعته. وقبل ذلك بأعوام بعث عبد الله بن خازم بابنه موسى الى ما وراء النهر فاستطاع بحفنة من الرجال الاستيلاء على ترمذ واضطر حاكمها المحلي إلى إخلاء المدينة وتحصن بها مدة خمسة عشر عاما[٣٠] (٦٨٩-٧٠٤). وأثناء ولاية يزيد بن المهلب (٧٠١-٧٠٤) انضم إلى موسى ثابت بن قطبة الخزاعي الذي تمتع بشعبية كبيرة بين الأهالي واستطاع أن يجذب اليه الأمراء المحليين مما أعان موسى على طرد جميع عمال يزيد من بلاد ما وراء النهر ووضع يده على خراجها[٣١]. من هذا يتضح أن الأمراء المحليين لم يعودوا خاضعين للحكومة الشرعية للعرب بدفعهم الجزية للقائد الثائر. وأعقب هذا بقليل نجاح موسى في انزال الهزيمة بجيش غفير من الترك والفرس والهياطلة[٣٢]، كذلك نراه يخرج ظافراً من

---

(٢٧) يبدو ان المدينة لم يرد اسمها إلا لدى اليعقوبي (ص ٢٩٩: كنداكين)؛ ولا نلتقي لدى الجغرافيين المتأخرين بهذا الاسم. وبالطبع فهي ليست القرية بالصغد التي ذكرناها فيما مر من الكتاب (ص ٢٣٤).

(٢٨) الطبري، القسم الثاني، ص ٤٨٩.

(٢٩) Tizengauzen, Numizmaticheskie Novinki, str. 229 (نقود من مجموعة الجنرال كوماروف **Komarov**).

(٣٠) الطبري، القسم الثاني، ص ١١٥٠.

(٣١) شرحه، ص ١١٥٣.

(٣٢) إن ذكر الهياطلة (الطبري، شرحه، أنظر أيضا البلاذري، ص ٤١٨) في هذا العصر أمر يصعب تفسيره.

نزاع وقع له مع ثابت وبالتالي مع حلفائه من أهل البلاد فقتل ثابت واضطر كبير الأمراء المحليين وهو طرخون اخشيد الصغد إلى التقهقر عقب خرجة جريئة قام بها موسى[٣٣] وفي آخر الأمر استطاع القائد عثمان بن مسعود بتكليف من الوالي المفضّل بن المهلب من أن يضع يده على المدينة عام ٧٠٤ بمعاونة اخشيد الصغد وملك الختل[٣٤]. وهكذا/نبصر 243 أمامنا احدى الحالات التي يتحالف فيها الأمراء المحليون مع الحكومة الشرعية العربية.

وفي العام التالي أي عام ٧٠٥ (وفي رواية أخرى[٣٥] منذ عام ٧٠٤) قدم والياً إلى خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي، أحد كبار رجال الحجاج بن يوسف الثقفي. وكرئيسه وأميره فإن قتيبة لم يكن ليقف عند حد في سبيل بلوغ هدفه؛ وهو بالتجائه إلى استعمال الحيلة والغدر حينما لم تُجْدِ الشجاعة كان أول من ثبّت دعائم السيطرة العربية على بلاد ما وراء النهر. وقد استغلّ قتيبة إلى درجة كبيرة الشقاق والخلاف بين أهالي البلاد، ففي عام ٧٠٥ دعاه أمير الصغانيان بنفسه ليعاونه ضد عدوه ملك أخْرون وشومان[٣٦]، وفي عام ٧١٢ زحف قتيبة على خوارزم لمعاونة خوارزمشاه ضد أخيه الأصغر خرّزاذ والدهاقنة الثائرين عليه[٣٧]. وفي ذلك العام نفسه عاون أهل خوارزم وبخارا قتيبة بحماس شديد في حملته على سمرقند، مما جعل غورك إخشيد الصغد يعيّره بقوله: «انما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي من العجم فأخرج إليّ العرب»[٣٨]. وفي خلال حملة عام ٧١٣ فرض قتيبة على أهل بخارا وكش ونسف وخوارزم أن يمدوه بعشرين ألف مقاتل[٣٩].

هــذا وقد حرّكت انتصارات قتيبة الباهرة مطامح بعيدة بين رجال الدولة العرب. ولمّا كان محمد بن القاسم قد تمكّن في ذات الوقت (عام ٧١١) من بلوغ مصب السند عن طريق البحر وأخضع تلك البلاد فإن الحجاج وعد أن يجعل الصين من نصيب أول من

---

(٣٣) الطبري، القسم الثاني، ص ١١٥٥ - ١١٦٠.

(٣٤) شرحه، ص ١١٦٢. عن اللقب أو الاسم «السبل» أنظر شرحه، ص ١٠٤٠ - ١٠٤١؛ أنظر أيضاً Marquart, Eranšahr, S. 302

(٣٥) الطبري، القسم الثاني، ص ١١٨٠.

(٣٦) شرحه.

(٣٧) شرحه، ص ١٢٣٧ - ١٢٣٩.

(٣٨) شرحه، ص ١٢٤٤.

(٣٩) شرحه، ص ١٢٥٦. ووفقاً للبلاذري (ص ٤٢٣) فقد وجد تحت قيادة قتيبة بخراسان أربعون ألفاً من عرب البصرة وسبعة آلاف من الكوفة وسبعة آلاف من الموالي. ونفس هذه الأعداد بتفاصيل اكثر توجد في موضع آخر من الطبري، القسم الثاني، ص ١٢٩٠ وما يليها.

يبلغها منها[٤٠]. غير أن العرب قد قنعوا فيما بعد بنتائج أدنى من ذلك بكثير، وهي نتائج لم يكتب لها البقاء إلاّ في القسم الجنوبي من المنطقة. هذا وقد شيد قتيبة المساجد ببخارا وسمرقند ومواضع أخرى[٤١] وقسر أهل بخارا على إخلاء نصف منازل الشهرستان للعرب[٤٢] (وقد اتّبع العرب هذا الأسلوب[٤٣] من قبل مع أهل مرو في عهد ولاة خراسان الأُوَل). وثمة رواية تقول[٤٤] إن أهل سمرقند قد اضطروا إلى إخلاء مدينتهم فاحتلها العرب بينما كان قتيبة يتلو آيات الكتاب في هلاك عاد وثمود. هذا وقد بلغت جيوش قتيبة شمالا حد الشاش وهناك رواية تزعم أنهم بلغوا في ناحية الجنوب الشرقي كاشغر التي كانت آنذاك «أدنى مدائن الصين»[٤٥]؛ هذا وقد شهد عدد من الولايات بما فيها فرغانة حكاماً من العرب. ويمكن الاستدلال من الأحداث التي تلت ذلك على أن هؤلاء الحكام لم يكونوا سوى قادة عسكريين وجباة للضرائب (كما وأن هاتين الوظيفتين أُسندتا في حالات معينة إلى شخصيات مختلفة)، هذا بينما ظلت الأسر الحاكمة المحلية قائمة بل واحتفظت فيما يغلب على الظن بالإدارة الأهلية في أيديها.

244

وعلى الرغم من كل الانتصارات التي أحرزها قتيبة والغنائم الوفيرة التي عادت بسبب ذلك للعرب فإن قتيبة لم يتمتع بولاء جيشه. فلمّا حاول في عام ٧١٥ أن يثير الفتنة على الخليفة سليمان بن عبد الملك انفض الجميع من حوله ودفع حياته ثمناً لذلك. ولم يظهر الذين تولوا مقاليد الأمور بعده الاستعداد اللازم للاضطلاع بما أخذ به نفسه، فلم يلبث العرب أن فقدوا سريعاً سيطرتهم على ولايات حوض سيردريا في العام التالي لمصرع قتيبة، وفي عام ١٠٣ هـ = ٧٢١-٧٢٢ أقطع أمير فرغانة موضعاً برستاق أسفره

---

(٤٠) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٣٤٦؛ وهذا المؤرخ نفسه (شرحه، ص ١٩٢) يقول ان الخليفة عثمان قطع وعدا مماثلا لكل من عبد الله بن عامر والي البصرة وسعيد بن العاص والي الكوفة فيما يتعلق بخراسان.

(٤١) راجع أعلاه ص٢٠٤ وص٢١٩ (أنظر أيضاً مقاليّ O.I. Smirnova, Iz istorii arabskikh zavoevanii, و K istorii smarakandskogo dogovora – الناشرون).

(٤٢) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٥١.

(٤٣) البلاذري، ص ٤١٠؛ Teksty, str. 1 (كرديزي).

(٤٤) الطبري، القسم الثاني، ص ١٢٥٠. بالنظر الى عدم اتفاق المصادر فمن الممكن أن هذا الاجراء (رغما من شهادة الطبري) لم يَتخذ إلاّ فى عام ٧١٣ هـ ، وذلك بعد الغدر بالاهالي وإعادة فتح الصغد (راجع Barthold, Die alttürkischen Inschriften, S. 11 – 12).

(٤٥) الطبري، القسم الثاني، ص ١٢٧٦. ولعل مصيب في قوله ان قتيبة لم يعبر في واقع الأمر حدود الصين (أنظر H.A.R. Gibb, The Arab Invasion of Kashgar, p. 467 sq.)

للمهاجرين من الصغد وكان هذا الموضع يعرف بشعب عصام بن عبد الله الباهلي، الذي كـان أرسلـه قتيبة والياً على تلك الأصقاع[٤٦]. غير أن قرائن الأحوال تشير إلى أن العرب إمّا أن يكونوا قد اضطروا عقب وفاة قتيبة إلى إخـلاء ذلـك الموضع وإمّا أنهم أبيدوا عن آخرهم فرجعت الأرض إلى مالكها السابق أمير فرغانة. ولعل أسفره التي ورد ذكرها من قبل (ص٢٧٢) بصدد كتيبة عربية أُبيدت في الحرب ضد الكفار لها صلة بهذه القصة الواقعية.

وفي الأنحاء الجنوبية الغربية من بلاد ما وراء النهر، حيث ظلت بخارا وسمرقند ونقاط أخرى حصينة في أيدي الحاميات العربية جابهت هؤلاء مقاومة عنيفة من جانب العنصر الثائر من الوطنيين، وزاد من تعقيد المسألة تدخل الترك. وكما هو معلوم فإن خانـات الترك استطاعـوا توحيد آسيا الوسطى بأجمعها تحت سلطانهم في القرن السادس، بل إن الأمل كان يحدوهم يوماً ما في القضاء على دولة الساسانيين وذلك بالدخول في حلف مع البيزنطيين ولكن ضعف هؤلاء الأخيرين حال دون تنفيذ هذا المخطط. ولم تلبـث دولة الترك نفسها أن انشطرت إلى مملكتين شرقية وغربية، وتعاورت المملكتين فترات من القوة والمجد وأخرى من الضعف والاضمحلال، وأفاد الصينيون من فترات الضعف هذه في توسيع رقعة امبراطوريتهم واخضاع الرعاة لسلطانهم. هذا وقد هيّأ إحياء مملكة الترك الشرقية في نهاية القرن السابع[٤٧] فرصة جديدة/للترك أوشكوا معها على 245 استعادة وحدة دولتهم الكبرى. ففي عام ٦٨٩ أغارت كتيبة من الترك الشرقيين بعد انتصارهم على الترك الغربيين على بلاد الصغد فبلغت باب الحديد (أي ممر بزغله). وتجـددت هـذه الغارة في عام ٧٠١[٤٨]؛ وأخيراً وفي عام ٧١١ استطاع مجؤوه Me-ch'ue خان الترك الشرقيين من أن يأسر خان الترك الغربيين وأن يخضع مملكته بأسرها. وفي آخر عام ٧١٢ احتلت كتيبة من الترك بقيادة أبناء أخي مجؤوه بلاد الصغد تلبية لدعوة الأهالي الذين انتفضوا على العرب عقب رجوع قتيبة إلى مرو، ولم يتبق من بلاد ما وراء النهر في يد العرب غير سمرقند وحدها. ولكن في ربيع عام ٧١٣

---

(٤٦) الطبري، القسم الثاني، ص ١٤٤٠. وفي موضع سابق (القسم الثاني، ص ١٢٧٦) يجعل الطبري هذا الشعب على الطريق من فرغانة الى كاشغر.

(٤٧) (في الطبعة الروسية لعام ١٩٠٠ وأيضاً في الترجمة الانجليزية جاء «القرن الثامن»، وهو غلط من المؤلف - الناشرون).

(٤٨) Barthold, Die alttürkischen Inschriften, S. 14 - 16

استغل قتيبة الصعوبات التي أحاطت بالترك فاضطرهم إلى إخلاء المنطقة، حتى أنهم لم يكونوا في وضع يسمح لهم بإعاقة تحركات العرب على بلاد الشاش وفرغانة[٤٩]. وبعد موت مجؤوه (٧١٦) انفصل الترك الغربيون مرة أخرى عن الترك الشرقيين، ثم أسس صولو Sulu زعيم قبيلة التركش Turgesh مملكة قوية ظلت قائمة وفقاً للمصادر العربية حتى عام ٧٣٧، ووفقاً للمصادر الصينية حتى عام ٧٣٨[٥٠]. وبعد أن استطاع صولو من أن يضع يده على الجزء الغربي كله من آسيا الوسطى لم يكن بوسعه أن يترك بلاد ما وراء النهر لقمة سائغة في يد العرب بلا قتال؛ وإذا ما عدّ العرب بلاد الصغد «بستان أمير المؤمنين»[٥١] فإن الترك أيضاً رأوا في بسط سيطرتهم على تلك البلاد أمراً بالغ الأهمية. وقد عمل صولو طوال فترة حكمه على معاونة الدهاقنة الثائرين ضد العرب الذين أصابهم منه من الأذى والمشقة ما جعلهم يدعونه «بأبي مزاحم»[٥٢].

ويمكن ارجاع أسباب الثورات المتوالية التي قام بها الأهالي ضد الغزاة العرب إلى طبيعة الحكم العربي في عهد الأمويين، فهؤلاء الأخيرون على نقيض العباسيين لم يكونوا قد خططوا بعد سياسة امبرالية تستند على أسس متينة بل كانوا في المكان الأول طليعة الشعب العربي في حرب الجهاد فانصرف همهم إلى بسط سلطانهم بين العرب وجباية الضرائب من الشعوب التي خضعت لهم وجمع الجزية من الأمراء الذين دانوا لهم بالتبعية. ومن الطبيعي أيضاً ان اهداف ولاتهم كانت مطابقة لأهدافهم، وعلى تخوم الدولة الجديدة حيث اجتذب الأمل في الثراء العاجل أكثر العناصر اضطراباً وتمرداً[٥٣] أضحى موقف هؤلاء الولاة عسيراً للغاية. وبعد مصرع عبد الله بن خازم رجا أهل خراسان عبد الملك بن مروان أن يبعث اليهم بوال من البيت الأموي لأنه «لا تصلح خراسان بعد الفتنة إلاّ برجل من قريش»[٥٤]. وفي معظم الأحوال لم يرتفع الولاة إلى مستوى

246

(٤٩) شرحه، ص ١١ - ١٢. والربط بين رواية النقوش ورواية اليعقوبي لا يزال في رأيي صحيحاً رغما من اعتراضات البروفسور هوتسما Houtsma , Gött. Gel. Anz., No 5, S. 386 ووجهة النظر المناقضة يتمسك بها جب H.A.R. Gibb, The Arab Conquests in Central Asia, P. 46

(٥٠) Barthold, Die alttürkischen Inschriften, S. 27

(٥١) الطبري، القسم الثاني، ص ١٤٢٨.

(٥٢) شرحه، ص ١٥٩٣.

(٥٣) شرحه، ص ١٧٨.

(٥٤) البلاذري، ص ٤١٦.

الأحداث مما أدّى إلى تغييرهم على فترات قصيرة، وكان هذا بدوره من الأسباب التي دفعتهم إلى محاولة الإفادة ما أمكن من فترة حكمهم القصيرة، بامتلاك الضياع والعقارات التي ظلت تحت يد البعض منهم إلى ما بعد عزله بل وتوارثتها أسرهم من بعدهم(٥٥). غير أن الذي عانى حقيقة من غطرسة العرب وجشع ولاتهم هم السكان المحلون، حتى حدث أحياناً أن تعارضت مصالح الدولة مع تعاليم الدين الذي جرت الفتوحات باسمه. وكان جوهر المشكلة هنا أيضا كما كان عليه الحال في باقي أجزاء الأمبراطورية العربية هو هل يحق جمع الجزية ممن اعتنقوا الاسلام(٥٦)، وقد وجدت لهذه المسألة حلول متفاوتة اختلفت باختلاف العصور تبعاً للاتجاه الغالب في كل عصر، غير أن الأهالي بطبيعة الحال لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا التردد من جانب المسؤولين في أمر يمسهم في الصميم.

وقد أمر عمر بن عبد العزيز (٧١٧-٧٢٠) الذي كان أكثر بني أمية ورعاً وتقوى لا برفع الجزية عمن أسلموا فحسب بل وبعدم تعريض الذين دخلوا الإسلام حديثاً للإمتحان بالختان(٥٧)، وأمر ولاته بأن يوجهوا اهتمامهم كله لنشر الإسلام وإقامة الخانات(٥٨) والمباني ذات الفائدة العامة. وقد تمكن أول ولاته في المنطقة وهو الجراح بن عبدالله من أن يحتفظ بسلطان العرب هناك، ونجح أحد قواده وهو عبد الله بن معمر اليشكري في عملياته العسكرية في النواحي الشمالية الشرقية من بلاد ما وراء النهر وكان يتجهز لغزو

---

(٥٥) شرحه، ص ٤٠٦؛ Teksty, str. 2 گرديزي، مخطوطة گرديزي الورقة ٨٤؛ مخطوطة كمبريدج الورقة ١٦٧ ب:

ديه اسد اباد ازروستاي نيشابور اسد بن عبد الله بنا كرد وتاروزكار عبد الله بن طاهر فرزندان اوداشتند (أي «قرية أسد اباد من ريف نيشابور بناها أسد بن عبد الله وظلت في أيدي نسله الى أيام عبد الله بن طاهر» - المترجم).

(٥٦) من المعلوم جيداً أنه لم يوجد في ذلك الوقت فارق واضح بين الخراج (فيما بعد «ضريبة الأرض») والجزية (فيما بعد «ضريبة الرؤوس»). راجع أساساً: Wellhausen, Das Arabische Reich und sein Sturz (راجع الفصل الخامس من الترجمة العربية الجيدة لكتاب ڤلهوزن «تاريخ الدولة العربية» التي قام بها الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة ١٩٥٨ - المترجم)؛ و Müller, Der Islam, Bd. II, S. 361 sq.، ومادة «الجزية» في دائرة المعارف الإسلامية (بيكر Becker) وأيضاً مادة «مصر» في دائرة المعارف الاسلامية (بيكر Becker)، بل ان مؤلف «مفاتيح العلوم» وهو الخوارزمي لا يفرّق بين الخراج والجزية.

(٥٧) الطبري، القسم الثاني، ص ١٣٥٤.

(٥٨) شرحه، ص ١٣٦٤.

الأراضي التابعة لأمبراطورية الصين حينا أحاط به الترك فلم يمتطع الخلاص منهم إلاّ بشق الأنفس وبعد دفع الفدية(٥٩).

ولم يكن رأي الجراح في أن خراسان لا يمكن حكمها إلاّ « بالسيف والسوط »(٦٠) من شأنه أن يبعث الرضى في نفس الخليفة الورع فعزله وولّى مكانه عبد الرحمن بن نعيم الغامدي. وفي خلال ولاية هذا الأخير اندلعت ثورة أهل الصغد(٦١) بمعاونة الترك وظلت مستعرة الأوار حتى عهد ولاية خلفه سعيد بن عبد/العزيز الذي قدم خراسان عام ١٠٢ هـ = ٧٢٠-٧٢١ في خلافة يزيد الثاني. وقد جهد سعيد في استمالة دهاقنة خراسان باستعمال اللين، مما أثار عليه حفيظة العرب فلقبوه « خذينة »(٦٢) أي ربة البيت، بل إن قتاله مع العدو لم يتسم بالحزم. وفي عام ١٠٣ هـ = ٧٢١-٧٢٢ عُزل وولى مكانه سعيد بن عمرو الحرشي، وفي عهده استقر رأي الثوار من أهل الصغد وخاصة الدهاقنة وأثرياء التجار على هجر وطنهم (ولم يأخذ غورك أمير الصغد طرفاً في هذا)، وكان أمير فرغانة قد وعدهم بأن يقتطعهم أرضاً بأسفره ولكنه لم يلبث أن وشى بهم لدى العرب فحصروهم بخجند فاضطروا إلى الاستسلام وأعطوا عهداً بايفاء ما عليهم من متأخر الخراج إلاّ أن العرب بعد استسلام المدينة وجدوا ذريعة لخرق الاتفاق والغدر بالصغد فقتلوهم على بكرة أبيهم. وباتباع أسلوب الغدر هذا تمكنوا من وضع أيديهم على جميع النقاط الحصينة في واديَيْ زرفشان وكشكادريا واستعادوا بالتالي سيطرتهم التامة على تلك المنطقة(٦٣). وفي عام ١٠٦ هـ = ٧٢٤ وقعت معركة عنيفة بين القبائل العربية الشمالية والقبائل العربية الجنوبية بالبروقان من أرض بلخ، وبالرغم من هذا الحادث فقد استطاع الوالي مسلم بن سعيد القيام بحملة في بلاد ما وراء النهر في ذلك العام نفسه بلغ بها فرغانة ولكن في طريق العودة هزمه الترك فتكبد خسائر فادحة(٦٤). أمّا الوالي الذي

---

(٥٩) البلاذري، ص ٤٢٦.

(٦٠) الطبري، القسم الثاني، ص ١٣٥٥.

(٦١) شرحه، ص ١٤١٨.

(٦٢) Barthold, Die alttürkischen Inschriften, S. 22 – 23

(٦٣) الطبري، القسم الثاني، ص ١٤٣٩ – ١٤٤٩؛ البلاذري، ص ٢٢٧.

(٦٤) الطبري، القسم الثاني، ص ١٤٧٢ – ١٤٨١. راجع عن أهمية هذه الكارثة Gibb, The Arab Conquests in Central Asia, p. 66

خلفه وهو أسد بن عبد الله القسري[٦٥] فقد أعاد بناء بلخ في عام ٧٢٥ وقام بمحاولة لاخضاع سكان المناطق الجبلية الواقعة إلى الغرب وإلى الشمال الشرقي من بلخ ولكن دون أن يكتب له التوفيق التام[٦٦].

وأمّا خلفه وهو أشرس بن عبد الله السلمي (٧٢٧ - ٧٢٩) فقد أشرف على « صغير الأمور وكبيرها بنفسه » كما يقول الطبري[٦٧]. وكان أول من شيد الرباطات وهي منازل لسرايا الخيل التي كانت مهمتها حماية الثغور من غارات الأعداء[٦٨] (أشبه ما يكون بنظام القزاق لدى الروس)، إلاّ أنه يتحمل مسؤولية قيام حركة ضد السيادة العربية شملت جميع بلاد ما وراء النهر وكبدت العرب خسائر جسيمة[٦٩]. فقد حدث أن انبعثت لدى الأشرس في عام ٧٢٨ فكرة تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال جميع سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام فأرسل لهذا الغرض باثنين من الدعاة إلى سمرقند/أحدهما عربي 248 والآخر فارسي ووعدهما برفع الجزية عن من أسلم. هذا وقد فاق نجاح الدعوة كل حد حتى أثار سخط عمال الدولة والدهاقنة على السواء. فهؤلاء الأخيرون كان يهمهم الحفاظ على مجتمعهم الاستقراطي ولهذا لم يكن باستطاعتهم أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام انتشار الدين الجديد الذي لم يكن بعد قد فقد طابعه الديمقراطي. وكان الأشرس نفسه مقتنعاً بأن « في الخراج قوة للمسلمين » لذا فقد أمر برفعه فقط عن من اختتن وأقام الفرائض وحسن اسلامه وقرأ سورة من القرآن. وقد رُد عليه بأن الأهالي قد اعتنقوا الاسلام بالفعل وصحت عقيدتهم وبنوا المساجد لذا فقد « صار الناس كلهم عرباً » ولا يجوز أخذ الخراج منهم. فكان رد الوالي بأن أمر عماله « بأخذ الخراج ممن كنتم تأخذون منه »

(٦٥) (في المتن الروسي وردت في صورة « القُشَيْري ». ويقول بارتولد في الحاشية: « هكذا وردت لدى نرشخي وفي تاريخ بلخ؛ أما في متنَيْ الطبري والبلاذري المطبوعين (أي بأوروبا - المترجم) فترد القسري وإن كنا نلتقي فيهما أيضاً بالقشيري فيما يتعلق بشخصيات أخرى (خذ مثلا الطبري، القسم الثاني، ص ١٩٩٧؛ والبلاذري: ص٤٢٧) » - انتهى. وفي رأينا ان كل هذا لا يبرر السهو الذي وقع فيه المستشرق والمؤرخ الكبير، خاصة وأن أسد بن عبد الله القسري شخصية مشهورة في التاريخ الاسلامي - المترجم)

(٦٦) الطبري، القسم الثاني، ص ١٤٩٠ - ١٤٩٤.

(٦٧) شرحه، ص ١٥٠٤.

(٦٨) السمعاني، تحت لفظ « الرباطى ».

(٦٩) الطبري، القسم الثاني، ص ١٥٠٧ وما يليها؛ Marquart, Die Chronologie der alttürkischen Inschriften, pp. 33 - 36; Barthold, Die alttürkischen inschriften und die Arabischen Quellen, S. 23 - 26

فأعادوا الجزية على من أسلم. وكان ذلك ايذاناً باندلاع ثورة عامة انضم فيها الداعي العربي إلى الثوار لاعتقاده في غدر الوالي فألقى عليه القبض، هذا وقد ثارت الصغد بأجمعها على العرب وطلبت العون من الترك. وفي عام ٧٢٨ لم يكن قد تبقى بأيدي العرب سوى سمرقند ودبوسيه، ولكنهم تمكنوا في عام ٧٢٩ من استعادة سلطانهم على بخارا، وفي عام ٧٣٠ أو عام ٧٣١ في أقوال أخرى، اضطروا إلى الدخول في نضال مرير مع قوات خاقان الترك شارك فيه الأمير الوطني غورك اخشيد الصغد رغماً من أنه ظل حليفاً للعرب حتى عام ٧٢٨. وقد استطاع الوالي الجنيد بن عبد الرحمن أن ينقذ جيشه بمشقة عظيمة وأن يصد هجوم الترك، غير أن هؤلاء ظلّوا مسيطرين على البلاد باستثناء سمرقند وبخارا. ويغلب على الظن أن احتلال الترك لوادي زرفشان كان السبب في اندلاع المجاعة بخراسان عام١١٥ هـ = ٧٣٣، ويمكن أن نستنتج من ألفاظ الجنيد نفسه أن المجاعة سبّبها استعادة الكفار لسلطانهم في تلك البلاد التي كانت تمد مرو بالأغذية والميرة[٧٠].

وفي هذه الأثناء كانت تسير بنجاح بين صفوف العرب الحركة الرامية إلى إسقاط البيت الأموي. ويرجع الطبري[٧١] ببداية الحركة الشيعية في خراسان إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، غير أن الحارث بن سريج لم يرفع علم المسودة إلاّ في عام ٧٣٤ داعياً الناس إلى العمل «بكتاب الله وسنة نبيه»[٧٢] وواعداً «بالوفاء بالعهد المقطوع لأهل الذمة وألاّ تؤخذ الجزية من المسلمين وألاّ يظلم أحد من الناس»[٧٣]. ومثل هذا القول كان من شأنه أن يجتذب إليه المسلمين وخاصة الحديثي العهد بالاسلام، وأن يجتذب غير 249 المسلمين كذلك. ولم تتخذ الحركة في بداية/الأمر طابع الخصومة ضد الأسرة الحاكمة، بل إن الحارث قد وافق على رأي والي خراسان عاصم بن عبد الله الهلالي بأن يكتبا إلى الخليفة هشام بن عبد الملك يسألانه كتاب الله وسنة نبيه فإن أبى اجتمعا عليه[٧٤]. وكان رد الخليفة على هذا أن أمر بعزل عاصم وولّى مكانه من جديد أسد بن عبد الله (٧٣٥-٧٣٨). وفور وصوله أمر أسد بقتل دعاة بني العباس[٧٥] وبمتابعة الحرب ضد

---

(٧٠) الطبري، القسم الثاني، ص ١٥٦٣.
(٧١) شرحه، ص ١٣٥٨.
(٧٢) شرحه، ص ١٥٦٧ - ١٥٧٠.
(٧٣) Teksty, str. 1 - 2 (كرديزي).
(٧٤) الطبري، القسم الثاني، ص ١٥٧٧.
(٧٥) كرديزي، الورقة ٨٤؛ مخطوطة كمبريدج الورقة ٦٧ ب: اسد كروهي مردمان راكه داعيان آل عباس بودند بكرفت وبكشت.

الحارث. وكان مسرح الأحداث الرئيسي هو المواضع القريبة من ترمذ وفي بلاد الختّل، لذا فقد اتخذ أسد مقره في هذه المرة كذلك ببلخ بل ونقل عاصمته إليها في عام ٧٣٦[٧٦]. واغتنم الكفار فرصة الاضطرابات والفتن بين العرب فغلبوا على سمرقند، وفي عام ٧٣٥ أو ٧٣٦ زحف أسد على ورغسر ليصرف الماء عن سمرقند ببناء سد هناك، وأخذ هو نفسه طرفاً في العمل الذي لم يأت فيما يغلب على الظن بالنتيجة المرجوة[٧٧].

وفي عام ٧٣٧ أضطر أسد إلى الدخول في قتال عنيف بطخارستان (بالمعنى الواسع لهذه التسمية) ضد خاقان الترك وحلفائه الذين كان من بينهم الحارث وأمير الختّل، أما أمير الصغانيان (صغان خدات) فقد ظل حليفاً للعرب ولعله فعل ذلك بسبب عدائه مع جاره[٧٨]. وفي البداية دارت رحى الحرب على غير ما يهوى العرب، ولأول مرة منذ عهد طويل عبر جيش من الترك نهر امودريا إلى ضفته اليسرى[٧٩]. غير أن النصر لم يلبث أن تحول في آخر الأمر إلى جانب العرب فأرغموا الترك على التقهقر إلى اسروشنه، وهناك أخذ الترك يتجهزون لحملة جديدة على ما وراء النهر ويستعدون لحصار سمرقند[٨٠] (التي احتلها العرب فيما يغلب على الظن خلال تقهقر الترك). غير أن خاقان الترك قُتل آنذاك على يد أمير التركش المدعو كورصول فأدى هذا إلى سقوط دولة الترك الغربيين. واضطر الحارث إلى الالتجاء إلى بلاد الترك، وأخضع العرب بلاد الختّل التي كان يحكمها أمير من أهل باميان ولم تقف أمامهم سوى قلعة واحدة صغيرة[٨١]. وبالرغم من كل هذه العمليات العسكرية فقد وجد أسد متسعاً من الوقت للقيام بأعمال سلمية، ويحفظ لنا الطبري[٨٢] قولاً لأحد دهاقنة هرات يصف فيه أسداً بالألفاظ الآتية: «وما نعلم أحداً (أيها الأمير) هم أتم كتخدائية منك، إنك ضبطت أهل بيتك وحشمك ومواليك فليس بينهم أحد يستطيع أن يتعدى على صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير فهذا تمام الكتخدائية، ثم بنيت الإيوانات/في المفاوز فيجيء الجائي من المشرق والآخر من المغرب فلا يجد عيباً». 250

---

(٧٦) أنظر أعلاه، ص ١٦٢، حاشية ١٢٠

(٧٧) الطبري، القسم الثاني، ص ١٥٨٥ - ١٥٨٦.

(٧٨) شرحه، ص ١٥٩٦.

(٧٩) شرحه، ص ١٦٠٤.

(٨٠) ص ١٦١٣.

(٨١) شرحه، ص ١٦٣٢.

(٨٢) شرحه، ص ١٦٣٦ - ١٦٣٧.

وقد تابع نشاط أسد وعلى نحو أفضل خلفه نصر بن سيّار (٧٣٨-٧٤٨)، الذي شارك من قبل في حملات قتيبة ووهبه الأخير قرية في عام ٧٠٥[٨٣]. وكان نصر عند تنصيبه والياً على البلاد قد تقدمت به السن وكان آنذاك شيخ مُضَر[٨٤] (عرب الشمال) بخراسان. هذا وقد أعادت انتصارات نصر للعرب ذكرى أيام قتيبة لأن نصراً استغل سقوط دولة الترك الغربيين فأعاد السيادة العربية إلى حوض سيردريا، وعقد في عام ٧٣٩ معاهدات مع أمراء اسروشنه[٨٥] والشاش وفرغانه. ولم يلبث الأمير كورصول قاتل الخاقان الذي أصبح بالتالي أقوى رجل في بلاد الترك أن وقع في أسر العرب عند ضفاف سيردريا فقطعت رأسه وبهذا زال كل خطر من جانب الرعاة، بل لعل ولاة عرباً قد أُرسلوا إلى بلاد الشاش وفرغانة[٨٦]. كذلك كان التوفيق حليف نصر في البداية بازاء المشاكل الداخلية، ولقد جهد نصر في حل مشكلة الخراج بأن حوّل الجزية من المسلمين إلى من لم يكونوا يؤدونها من غير المسلمين. ويذكر الطبري[٨٧] أنه وجد ثلاثون الف مسلم يؤدون الجزية عن رؤوسهم دون وجه حق بينما وجد ثمانون ألفاً من المشركين ألقيت عنهم جزيتهم فحول نصر ذلك عليهم وألقاه من المسلمين. كذلك وصل نصر إلى اتفاق مع أولئك الصغد الذين لجأوا إلى الترك والذين كانوا يودّون العودة إلى بلادهم حين قُتل خاقان الترك، ففي عام ٧٤١ قبل نصر شروطهم بأجمعها وسمح لهم بالعودة إلى ديارهم. وكان من بين تلك الشروط ألاّ يعاقب من كان مسلماً وارتد عن الإسلام، وأن يُعفوا من ديونهم السابقة ومن المتأخر عليهم من الخراج، وأخيراً ألاّ يُلزموا بإرجاع الأسرى من المسلمين إلاّ بقضية قاض وشهادة العدول. وبعقده لهذه الاتفاقية التي وافق عليها الخليفة على مضض عرّض نصر نفسه فيما بعد للوم قارص فكان رده: «والله لو عاينتم شوكتهم في المسلمين ونكايتهم مثل الذي عاينت ما أنكرتم ذلك»[٨٨].

ويقول الطبري[٨٩] إن خراسان بلغت في ولاية نصر من العمارة والرخاء درجة لم

---

(٨٣) شرحه، ص ١١٨٠.

(٨٤) شرحه، ص ١٦٦١.

(٨٥) وفقاً لأبي عبيدة الذي ينقل عنه البلاذري (ص ٤٢٩) فإن نصراً لم يكن موفقا في اسروشنه، ولكن الطبري يقول (القسم الثاني، ص ١٦٩٤) إن دهقان اسروشنه دفع مالا لنصر، بل وان سكان اسروشنه قد أخذوا طرفا في الحملة ضد الترك (شرحه، ص ١٦٩٠).

(٨٦) شرحه، ص ١٦٩٤ - ١٦٩٥، ١٧٦٧.

(٨٧) شرحه، ص ١٦٨٩.

(٨٨) شرحه، ص ١٧١٧ - ١٧١٨.

(٨٩) شرحه، ص ١٦٦٤ - ١٦٦٥.

تعرفها من قبل، ورغماً من ذلك فقد ثبت أن استعادة النظام كان ضرباً من المستحيل، بل إن نصراً عجز حتى عن إصلاح ذات البين بين الفئتين المتخاصمتين من العرب. ولمّا كان نصر مضرياً فقد اصطدم مراراً مع الوالي السابق أسد بن عبد الله كبير اليمنية[٩٠]، ولم يستعمل لأربع سنين إلاّ مضرياً ولكنه أخذ في استعمال اليمنية فيما بعد رغبة في ترضيتهم[٩١] غير أن هذا لم يحل دون نشوب ثورة مسلحة عام ٧٤٤ تزعمها جديع بن علي الكرماني الذي ولي شؤون خراسان لفترة قصيرة عقب وفاة أسد. **ولكن** هذا العدو المسلح لم يكـن في نظر الوالي في درجة خطورة الحارث منذ التجائه إلى الترك، ففي عام ٧٤٤ حصل نصر من الخليفة على عهد بالأمان من أجل الحارث وأتباعه وأقنعهم بالعودة إلى خراسان[٩٢]. وفي ربيع عام ٧٤٥ وصل الحارث إلى مرو وبدأ فوراً دور الوسيط بين نصر والكرماني وأعلن أن هدفه إنّما القيام بالعدل والسنة والعمل بما أمر به الله، غير أن هذا لم يمنعه من أن يجمع بضعة آلاف من الانصار حول شخصه ويرفع الراية السوداء من جديد[٩٣]. وقد اضطرت ظروف الأحوال الحارث لأن يبدأ بمهاجمة الكرماني ولكنه قتل في حربه معه وذلك في ربيع عام ٧٤٦[٩٤] وبهذا تخلص الوالي من ألدّ أعدائه من بين جميع العرب. ولا ريب أن نصراً كان سيتمكن من القضاء أيضاً على بقية أعدائه من الثوار لولا أن الأقدار بعثت إليه بخصم جدير في شخص أبي مسلم الخراساني، المسؤول الأول عن زوال ملك بني أمية وقيام ملك بني العباس.

ومعلوم أن الحركة الشيعية قد بدأت في أول أمرها بالدعوة إلى التمسك بسنة النبي ومناصرة آل البيت دون اشارة لمصلحة فرع بعينه، غير أن الورثة الطبيعيين لرسول الله كانوا من نسل علي وفاطمة. ففي خراسان خرج يحي بن زيد ولكنه قتل في عام ٧٤٣ وعُلّق جسده بباب جوزجان (يهودية، أو انبار ، ص ١٦٥) وظل معلقاً هناك إلى حين انتصار أبي مسلم[٩٥]. وأصل أبي مسلم (واسمه الحقيقي عبد الرحمن بن مسلم، وهي الصورة التي ظهر بها أحياناً في السكة) من اصفهان وكان من أنشط دعاة العباسيين، الذين حلّوا

---

(٩٠) شرحه، ص ١٤٩٣ - ١٤٩٤ و١٤٩٨ و١٥٨٤ - ١٥٨٥.

(٩١) شرحه، ص ١٦٦٤ و١٨٤٧.

(٩٢) شرحه، ص ١٨٦٧ - ١٨٦٨.

(٩٣) شرحه، ص ١٨٨٩ و١٩١٩.

(٩٤) شرحه، ١٩٣٢ - ١٩٣٣.

(٩٥) شرحه، ص ١٧٧٠ - ١٧٧٤؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٣٠٢.

شيئاً فشيئاً محل العلويين في الدعوة لآل البيت. وفي عام ٧٤٧ وصل أبو مسلم إلى خراسان بتفويض من ابراهيم بن محمد العباسي. وقد نجح أبو مسلم في استمالة الدهاقنة وأهل الريف 252 بتقريبه/بين العقيدة الإسلامية والمعتقدات الشعبية[٩٦] خاصة فيما يتعلق بمذهب تناسخ الأرواح (transmigration of souls)، وحدث أن انضم الى صفوفه في يوم واحد أهل ستين قرية[٩٧]. وذهبت أدراج الريح مجهودات نصر لإقناع اليمنية بأن الهدف الحقيقي للحركة إنّما هو القضاء على العرب كافة وأن على العرب أن يوحدوا صفوفهم ضد عدوهم المشترك[٩٨]. وقد وُفِّق أبو مسلم في أن يضم إلى صفوفه كل العناصر المعادية للأمويين ومن بينهم جمع من خوارج سجستان[٩٩]، كما وُفِّق أيضاً في ضمّ اليمنية تحت زعامة الكرماني. وفي خلال القتال بين الطرفين استطاعت كتيبة تحت قيادة ابن للحارث أن تنصب كميناً لليمنيين لقي فيه الكرماني حتفه[١٠٠]، بينما ظل ابناه علي وعثمان حليفين لأبي مسلم. وفي بداية عام ٧٤٨ وجد نصر نفسه مضطراً إلى إخلاء خراسان ولم يلبث أن توفي بايران في خريف هذا العام نفسه، ولم يحل عام ٧٤٩ حتى كان السلطان قد انتقل من بني أمية إلى بني العباس بصورة نهائية.

من كل هذا يتبين لنا أن أبا مسلم لم ينتصر على الوالي الأموي إلاّ بتوحيده لأكثر العناصر تنافراً واختلافاً. لذا فقد كان من الطبيعي عقب الانتصار على العدو المشترك أن يتطلب الامر مجهودات جديدة لحفظ النظام في صفوف هذه المجموعة المتنافرة والتخلص من المنافسين الخطرين، وكان من أكبر أنصار أبي مسلم ابو داود خالد بن ابراهيم وزياد بن صالح الخزاعي. وكانت الخطوة الأولى هي القضاء على زعماء اليمنية فتم قتل عثمان ببلاد الختّل على يد أبي داود، كما قتل أبو مسلم أخاه علياً في نفس اليوم[١٠١]. غير أن العباسيين أنفسهم بعد توليهم مقاليد الأمور لم يستطيعوا ارضاء أنصارهم سواء من العرب أو الفرس، ولذا فقد اضطر أبو مسلم عقب انتصاره على الأمويين

---

(٩٦) Rosen, ZVORAO, t. III, str. 155 – 156؛ راجع الطبري، القسم الثالث، ص ١٢٩؛ الشهرستاني، ترجمة هاربروكر، الجزء الأول، ص ١٧٣. (عن أبي مسلم راجع أيضاً Arabskii anonim XI v. المتن الورقة ٢٥٧ ب وما يليها؛ الترجمة ص ٩٥ وما يليها – الناشرون).

(٩٧) الطبري، القسم الثاني، ص ١٩٥٢.

(٩٨) الدينوري، ص ٣٦٠.

(٩٩) الشهرستاني، الترجمة، الجزء الأول، ص ١٤٩.

(١٠٠) الطبري، القسم الثاني، ص ١٩٧٥.

(١٠١) شرحه، ص ١٩٩٩ – ٢٠٠٠.

وأنصارهم لأن يدخل في نضال عنيف مع العرب من جهة ومع الحركات القومية الإيرانية من جهة أخرى. فمن ذلك أن داعية ظهر بين عَبَدة النار بنيشابور اسمه به آفريد (أوماه آفريد على رواية عوفي) وكان هدفه إعادة ديانة زردشت في صورتها الخالصة، وكان عداؤه موجهاً بصورة خاصة إلى رجال الكهنوت من أتباع تلك الديانة. وقد اشتكى هؤلاء الأخيرون إلى أبي مسلم من أن رجلاً ظهر يدعو إلى القضاء على العقيدتين، أي عقيدتهم وعقيدة أبي مسلم فعاونهم أبو مسلم في قمع تلك الحركة[١٠٢]. وأخطر من هذا/ 253 كانت الثورة التي قام بها العرب ببخارا عام ١٣٣ هـ = ٧٥٠-٧٥١، وأعلن زعيمها وهو شريك بن شيخ المهري مبدأ الثورة بقوله: «ما على هذا اتبعنا آل محمد أن يُسفك الدماء وأن يُعمل بغير الحق».

من هذا يستبين لنا أن الإحساس بخيبة الأمل التي رانت على نفوس الناس تجاه العباسيين ترجع إلى عهد مبكر، وهو عين الإحساس الذي انعكس فيما بعد في مكتوب بليغ ينسب إلى أبي مسلم[١٠٣]. وقد رفع شريك الثورة باسم العلويين فانضم إليه أكثر من ثلاثين ألفاً وانحاز إليه عمال الدولة العرب ببخارا وخوارزم، ووفقاً لقول نرشخي فقد حالفه أيضاً جميع أهل بخارا. وقد بعث أبو مسلم عليه بزياد بن صالح الذي كان يعاونه بخار خدات قتيبة وأهل السبعمائة قصر (أنظر ص ٢٠٣). هذا وقد تم إخماد الثورة بقسوة بالغة وأُسلمت المدينة طعمة للنيران فظلت مشتعلة بها مدة ثلاثة أيام وصُلب الأسرى بأبواب المدينة. وبعد هذا تحرك زياد على سمرقند حيث قضى على بقية الثوار[١٠٤] أمّا بخار خدات قتيبة فرغماً مما قدمه من خدمات خلال هذه الأحداث إلاّ أن أبا مسلم أمر بقتله فيما بعد لمّا نما إلى علمه أنه ارتد عن الإسلام[١٠٥].

وفي وقت واحد مع هذه الاضطرابات الداخلية تعرضت بلاد ما وراء النهر لخطر كبير من جانب أعدائها الخارجيين. ولمّا لم تقم ببراري تركستان دولة قوية للرحّل بعد

---

(١٠٢) Teksty, str. 93 - 94 (عوفي)؛ الشهرستاني، الترجمة، الجزء الأول ص ٢٨٣ - ٢٨٤؛ البيروني، الآثار الباقية، طبعة زخاو، ص ٢١٠ - ٢١١؛ وترجمة زخاو ص ١٩٣ - ١٩٤؛ الفهرست، الجزء الأول، ص ٣٤٤؛ ومادة «به آفريد بن فروردين» في دائرة المعارف الاسلامية.

(١٠٣) Dozy, Essai sur l'histoire de l'Islamisme, pp. 240 - 241

(١٠٤) الطبري، القسم الثالث، ص ٧٤؛ اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٤٢٥؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ٦٠ - ٦٣.

(١٠٥) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٨.

سقوط دولة الترك الغربية فقد أفاد الصينيون من اضمحلال شأن الترك لبسط سلطانهم على ما وراء النهر التي اعتاد حكامها السابقون على أن يرسلوا بسفارات إلى الصين منذ عهود بعيدة وأن يقبلوا ألقاباً تشريفية من حكومتها. ففي عام ٧٤٨ استولى الصينيون على سوياب وخربوها[١٠٦]، وفي العام التالي نفذوا حكم الإعدام في أمير الشاش «لعدم وفائه بشروط التبعية». وتذكر الرواية العربية[١٠٧] أن الذي استعدى الصينيين على حاكم الشاش هو اخشيد فرغانه، ومن جهة أخرى فقد طلب ابن الرجل الذي أُعدم العون من العرب. واستطاع زياد بن صالح الذي كان قد فرغ لتوه من اخماد ثورة شريك من أن يلحق الهزيمة بجيش الصينيين الذي كان تحت قيادة كاو - هسين - تشيه Kao - hsien - chih وذلك في يوليو من عام ٧٥١؛ ووفقاً لأقوال المؤرخ العربي الذي يروي هذا الحادث، وذلك في شيء من المبالغة، فإن عدد الذين قُتلوا من الصينيين بلغ الخمسين ألفاً وأن من وقع منهم في أسر العرب قد بلغ العشرين ألفاً، غير أن المصادر الصينية تتحدث عن جيش كاو - هسين - تشيه بأجمعه على أنه لم يتجاوز الثلاثين ألفاً[١٠٨].

254 والمؤرخون العرب الأوائل الذين شغلتهم آنذاك الأحداث/التي كان مسرحها آسيا الغربية لا يذكرون شيئاً عن هذه الواقعة[١٠٩] (أنظر ص ٦٢)، إلاّ أنها ذات أهمية بالغة لتاريخ تركستان لأنها تتصل بالاجابة على سؤال حاسم هو أيها كانت ستكتب لها الغَلَبة على تلك البقاع، الحضارة الصينية أم الإسلامية. وفي مواضع أخرى كذلك مدّ الصينيون يد العون إلى الحكام المحليين المناوئين للعرب، ولكنهم أبَوْا الدخول في قتال سافر مع العرب. ويرد في الحوليات الصينية ذكر لانتصارات هامة للصين في أقصى الجنوب الشرقي لبلاد ما وراء النهر على الحدود مع الهند[١١٠]، غير أنه ليس لهذه المعلومات ما

---

(١٠٦) Bichurin (Iakinth) Sobranie svedenii, izd. 1, III, 244 - 245; Hirth, Nachworte zur Inschrift des Tonjukuk, s. 71; Chavannes, Documents, p. 143

(١٠٧) ابن الأثير، طبعة تورنبرج، الجزء الخامس، ص ٣٤٤.

(١٠٨) Chavannes, Documents, p. 143, note.

(١٠٩) نجد تلميحا بصددها لدى الثعالبي (اللطائف، ص ١٢٦) وذلك في قوله ان الصينين الذين وقعوا في أسر زياد بن صالح هم الذين علموا أهل سمرقند صناعة الورق. ويرجع الثعالبي في هذا الى كتاب «المسالك والممالك»، ولعله يقصد كتاب الجيهاني (أنظر ما مر من الكتاب، ص ٧٠). وثمة تلميح أسبق عن حملة زياد هذه لدى ابن طيفور (طبعة كيلر Keller ص ٨) يشير إليه جب، Gibb, The Arab Conquests, p. 96. راجع Chavannes, Documents, p. 297 sq.

(١١٠) Bichurin, 254; Chavannes, Documents, p. 151

يؤيدها في المصادر العربية. هذا وقد حالف التوفيق أبا داود خالد بن ابراهيم الذي عيّنه أبو مسلم حاكماً على بلخ وذلك في عملياته العسكرية بنواحي الختّل وكش، فهرب حاكم الختل إلى الصين وقُتل دهقان كش وخلفه أخوه على العرش[١١١]. وفي عام ٧٥٢ طلب حاكم اسروشنه المدد من الصين ضد العرب فقوبل طلبه بالرفض[١١٢].

وهكذا نبصر أبا مسلم ينتصر على جميع أعدائه في الخارج والداخل، غير أن ما تمتع به من مكانة كبيرة في قلوب أهل خراسان الذين لم يروا فيه ممثلاً للحكومة الشرعية فحسب، بل وأيضاً زعيماً دينياً كبيراً، أثار مخاوف العباسيين وانتهى الأمر بأن وجد نفسه هدفاً لعداء أولئك الذين يدينون له بالعرش. ففي عام ١٣٥ هـ = ٧٥٢ - ٧٥٣ قام سباع بن النعمان وزياد بن صالح اللذان عينهما أبو مسلم ولاة لبلاد ما وراء النهر بثورة هناك بإيعاز من الخليفة السفاح ولكن لم يكتب لها الفوز، فقُتل سباع بن النعمان بآمل وهرب زياد بن صالح إلى دهقان باركث (أنظر ص ١٨٦) بعد أن هجره أصحابه فقتله الدهقان وجاء برأسه إلى أبي مسلم[١١٣]. وفي خلال ذلك وقف ابو داود بجانب ابي مسلم غير أن دسائس العباسيين لم تلبث أن أثّرت عليه بدوره، بل إن أبا مسلم نفسه لم يلبث أن أُستُدرِج إلى قصر الخليفة واغتيل غدراً (عام ٧٥٥). وكان من الطبيعي بعد هذه الأحداث أن يصبح أنصار أبي مسلم أعداء ألدّاء لبني العباس، فلم يمض وقت طويل على مقتله حتى اندلعت ثورة للفرس بخراسان تطلّب إخمادها شهرين[١١٤]، بيد أن أنصار أبي مسلم/لم يختفوا تماماً. وكان زعماء عدد من الحركات التي اندلعت بايران وما وراء النهر 255 يقرنون حركاتهم باسم أبي مسلم على نحو أو آخر[١١٥]. وكانت السمة المميّزة لأنصاره (عند خروجهم على السلطان بطبيعة الحال) هي ارتداء البياض وحمل الأعلام البيض لذا فقد أُطلق على هذه الجماعة التي كانت تحمل في الماضي علماً أسود اسم سپيد جامكان (أي «أصحاب الثياب البيضاء»؛ أو «المبيِّضة» كما في المصادر العربية).

وسياسة بني العباس معروفة في جوهرها، ولم يكن خلفاؤهم الأوائل ليختلفون عن الأمويين، فقد كانوا أيضاً مثلهم حكاماً دنيويين، بل وأظهروا الإهتمام بالعلم اليوناني

---

(١١١) الطبري، القسم الثالث، ص ٧٤ و٧٩ - ٨٠.

(١١٢) Bichurin, 242 - 243; Chavannes, Documents, p. 140

(١١٣) الطبري، القسم الثالث، ص ٨١ - ٨٢.

(١١٤) شرحه، ص ١١٩ - ١٢٠.

(١١٥) نظام الملك، سياستنامه، طبعة شيفير، المتن ص ١٩٩ و٢٠٤؛ الترجمة ص ٢٩١ و٢٩٨.

وبعقيدة العقليين من المعتزلة خاصة في عهد خلافة المأمون. غير أنهم خالفوا الأمويين في أهدافهم السياسية، فبينما كان أولئك أولاً وقبل كل شيء ممثلين للشعب العربي عمل العباسيون على فرض المساواة التامة بين رعاياهم من العرب والفرس. وكان أنموذجهم في إدارة دولتهم هو نظام الساسانيين الذي رأى فيه العرب أوج الكمال في إدارة الدولة(١١٦)، كما أن وزراء العباسيين أنفسهم (ولا يغرب عن البال أن هذا المنصب بمعناه الدواويني(١١٧) قد ابتدعه العباسيون) الذين انحدروا منذ عهد خلافة المنصور من صلب أسرة فارسية مشهورة هي أسرة البرامكة قد عدّوا أنفسهم أيضاً الورثة المباشرين لبزرجمهر وغيره من أساطين السياسة في العصر الساساني ممن تعاورهم التاريخ والأسطورة معاً(١١٨).

هذا النظام قد حدد أيضاً طبيعة المهام الملقاة على عاتق حكام الولايات خاصة والى خراسان الذي كانت تتبعه أيضاً بلاد ما وراء النهر كما كان في الماضي. ومثلما كان عليه الحال في عهد الساسانيين فقد حدث ولمرتين اثنتين أن عُيِّن وليّ العهد والياً على خراسان 256 الأمر الذي يوضح مدى أهمية/الولاية على تلك المنطقة التي كانت معرّضة على الدوام لأخطار داخلية وخارجية. وكانت مهمة ولاة خراسان هي تدعيم النظام السياسي وفقاً لروح التقاليد الساسانية، وجمع كلمة أنصار النظام المتعاونين مع السلطات، وقمع عناصر الاضطراب، والضرب بيد من حديد على العصاة من بين الأمراء وحلفائهم من أهل السهوب. غير أن اخضاع المنطقة للحكم الإسلامي بصورة كاملة والاهتمام باستتباب الأمن في داخل البلاد وخارجها لم يصبحا حقيقة واقعة إلاّ بعد أن وضعت الدولة حداً لنظام الولاة المتعاقبين واستعاضت عنه بتعيين حكام وراثيين من بين صفوف الارستقراطية

---

(١١٦) يقول الجاحظ في رسالته «مناقب الأتراك» إن الشعوب الآتية فاقت غيرها في مجالات معينة: «أهل الصين في الصناعات واليونانيون في الحكم وآل ساسان في الملك والأتراك في الحروب، (اعتمدنا على الطبعة القاهرية الحديثة لرسائل الجاحظ التي اعتنى بتحقيقها ونشرها عبد السلام محمد هارون، الجزء الاول، ص ٦٧ - المترجم).

(١١٧) عن استعمال لفظ «وزير» قبل العصر العباسي وبعده أنظر مقال Barthold, Su'übija (خاصة ص ٢٥٨).

(١١٨) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٥٠ - ١٥١، الترجمة ص ٢٢٣ - ٢٢٤. (على هامش النسخة الانجليزية للكتاب التي كانت في حوزة بارتولد يرد في هذا الموضع: «اشارة پليو رقم ١٥ الى مجلة T'oung Pao, 1923, 97 - 125, La théorie des quatre fils du Ciel» (أنظر Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 15) - الناشرون).

المحلية ممن لديهم إلمام بظروف البلاد وتمتعوا بثقة سكانها. وكان من الطبيعي فيما بعد أن يهتم هؤلاء الحكام لمصالحهم الشخصية أكثر من اهتمامهم لمصالح الخلفاء وأن تتضاءل شيئاً فشيئاً تبعيتهم للحكومة المركزية لتصبح فيما بعد تبعية إسمية لا أكثر.

وقد اضطر ولاة العباسيين الذين تقلدوا الأمور بخراسان حتى قيام دولة الطاهريين إلى إخماد العديد من الثورات التي قام بها العرب والفرس. فبعد إخماد ثورة شريك توالت الثورات التي قام بها الشيعة العرب ببخارا. وقد أمر خلف ابي مسلم الثاني في ولاية خراسان وهو عبد الجبار بن عبد الرحمن بإعدام حاكم بخارا العربي مجاشع بن حريث الأنصاري في عام ١٤٠ هـ = ٧٥٧ - ٧٥٨ بسبب ميوله العلوية[١١٩]. وفي خلافة المهدي (٧٧٥ - ٧٨٥) اندلعت ببخارا حوالي عام ١٦٠ هـ = ٧٧٧ ثورة قام بها يوسف البرم الخارجي من موالي ثقيف الذي رفع علم الثورة باسم الإسلام «يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١٢٠]. ووفقاً لكرديزي[١٢١] فإن مسرح العمليات الحربية قد انحصر بصورة خاصة في الأجزاء الشمالية الغربية من افغانستان الحالية، ذلك أن يوسف كان قد وضع يده على مرو الروذ والطالقان وجوزجان. وقد لزم الأمر بعد ذلك في خلافة المأمون أن تخمد ثورة أخرى قام بها في هذه المرة حفيد ليوسف هذا اسمه منصور بن عبد الله[١٢٢]. وتتوالى بعد ذلك الحركات التي قام بها الخوارج بسجستان وبادغيس، وقد ظلت سجستان مهداً للفتن والاضطرابات حتى عهد الطاهريين والسامانيين. وفي عام ١٥٠ هـ = ٧٦٧ انبعثت أيضاً ببادغيس حركة دينية فارسية كان هدف زعيمها النبي أشناس أن يتمم أعمال به آفريد الذي قتله أبو مسلم[١٢٣].

أمّا «المبيِّضة»، أعني انصار أبي مسلم، فإن نشاطها لم يتوقف في واقع الأمر البتة (وقد عاشت الفرقة حتى القرن الثاني عشر)، ولكنه نادراً ما كان يظهر في صورة ثورة مكشوفة. وبعد مصرع أبي مسلم اشتعلت ثورة ببلاد ما وراء النهر/ بزعامة أحد أتباعه ويدعى اسحاق، وكان رجلا أمياً ولقب «بالترك» لأن أبا مسلم كان بعث به في إحدى 257

---

(١١٩) الطبري، القسم الثالث، ص ١٢٨.

(١٢٠) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٤٧٨ - ٤٧٩؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(١٢١) مخطوطة اكسفورد الورقة ٩٤؛ مخطوطة كمبريدج الورقة ٧٥ ب.

(١٢٢) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٥٤٦.

(١٢٣) كرديزي، مخطوطة اكسفورد الورقة ٩٢؛ مخطوطة كمبريدج الورقة ٧٤ أ

المرات بسفارة إلى الترك. وقد ادّعى اسحق انه خليفة زردشت وقال إن ذلك النبي لا يزال حياً وسيظهر قريباً ليمكّن لدينه في الأرض[١٢٤]. هذا وقد تم إخماد الثورة، ولكن أول وال خلف أبا مسلم في ولاية خراسان وهو أبو داود خرّ في عام ٧٥٧ صريعاً بطعنة من خنجر أحد أفراد هذه الطائفة[١٢٥]. أما الوالي التالي له وهو عبد الجبار فقد داخله الاستياء من حكومة العباسيين فتحالف عام ٧٥٩ مع الثوار وكان على رأسهم رجل يدعى براز الذي رفع العلم الأبيض دليلاً على العصيان[١٢٦]، ولكنه لم يلبث أن هُزم فلاذ بالفرار ولكن رعاياه العرب أخذوه أسيراً قرب مرو الروذ وسلموه لعمّال الدولة[١٢٧]. وثمة ثورة أخرى شكّلت خطراً أكبر على الدولة هي ثورة هاشم بن حكيم[١٢٨] وأصله من نواحي مرو وعمل من قبل تحت قيادة أبي مسلم ثم من بعده تحت قيادة عبد الجبار. هذا وقد اندلعت ثورته وفقاً لرأي كرديزي ونرشخي في ولاية حميد بن قحطبة، أي قبل عام ٧٧٦. وأعلن هاشم لأتباعه أن الله قد ظهر في صورته كما ظهر من قبل في صورة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وأبي مسلم، وكان يضع دائماً على وجهه قناعاً أخضر ويدعى أنه لا طاقة للآدميين بالنور المنبعث من عينيه ولذا فقد أطلق عليه العرب لقب «المقنَّع»[١٢٩]. ومن العسير الحكم على صحة الرواية القائلة بأنه إنما اتخذ القناع وسيلة يخفي بها عن أتباعه ما بوجهه من تشويهات. وكان أقصى ما ناله من نجاح هو في ريف كش ونسف حيث انضم إليه أول من انضم أهل قرية سوبخ؛ وبخلاف هذا نجح «المبيِّضة» في

---

(١٢٤) الفهرست، الجزء الأول، ص ٣٤٥.

(١٢٥) هكذا لدى كرديزي، مخطوطة اكسفورد الورقة ٩٠، مخطوطة كمبريدج الورقة ٧٣ أ، ولكن الطبري يقول (القسم الثالث، ص ١٢٨) انه قتله «ناس من الجند». (في الواقع ان الفاظ الطبري هي الآتية: «ذُكر أن ناساً من الجند ثاروا بأبي داود خالد بن ابراهيم بخراسان وهو عامل أبي جعفر المنصور عليها في هذه السنة ليلا وهو نازل بباب كشماهن في مدينة مرو حتى وصلوا المنزل الذي هو فيه فأشرف ابو داود من الحائط على حرف آجرة خارجة وجعل ينادي أصحابه ليعرفوا صوته فانكسرت الآجرة عند الصبح فوقع على سترة صفة كانت قدام السطح فانكسر ظهره فمات عند صلاة العصر» – المترجم).

(١٢٦) كرديزي، مخطوطة اكسفورد الورقة ٩١؛ مخطوطة كمبريدج الورقة ٧٣ أ: علم سپيد كرد. راجع أيضاً Van Vloten, Zur Abbasidengeschichte, S. 216 – 217

(١٢٧) الطبري، القسم الثالث، ص ١٣٥. ووفقا لألفاظ كرديزي فان أولئك القوم كانوا من الأزد.

(١٢٨) يتحدث عنه بتفصيل أكثر نرشخي (طبعة شيفير، ص ٦٣ – ٧٤). (عن ثورة ٧٧٦ – ٧٨٣ هـ راجع أيضاً: «عيني، عصيان مقنّع»؛ Iakobovski, Vosstanie Mukanny – الناشرون).

(١٢٩) هو النبي المقنّع «Veiled prophet» في قصة توماس مور Thomas Moore («لاله رخ» Lalla Rookh) راجع روايات المؤرخين العرب التي ترجمها براون (Browne, A Literary History of Persia, vol. I, P. 138 sq.)

التثبيت لأنفسهم ببخارا حيث عاونهم بخار خدات المدعو بنيات(١٣٠)، كما عاونهم الصغد أيضاً. هذا وقد ظلت قرية نرشخ لأمد طويل المركز الرئيسي لأتباع المقنع من أهل بخارا، كذلك طلب المقنع العون من الترك، أمّا معقله الأخير/فقد كان قلعة جبلية 258 بنواحي كش. هذا وقد تم إخماد الحركة في ولاية المسيّب بن زهير(١٣١) (٧٨٠ - ٧٨٣)، وبعد اخمادها قتلت -بيل الخليفة بخار خدات بنيات عند فرخشه لأن عواطفه كانت مع الثوار. غير أن الطائفة ظلت قائمة بنواحي كش ونسف وبعض قرى بخارا، وتورد لنا ترجمة نرشخي(١٣٢) اسماء هذه القرى بما ليس له ذكر في المصادر الأخرى، إلاّ إذا قرأنا زرمان (أنظر أعلاه، ص ١٨٨) أو رزماز (ص ٢٢٧) بدلاً من زرماز. أما قصر عمر فإن السمعاني(١٣٣) يطلق عليها اسم قصر عمير وموقعها غير معروف، كما أن المقدسي(١٣٤) يحدثنا عن وجود قرى ببلاد ما وراء النهر بها قوم «يقال لهم بيض الثياب ومذاهبهم تقارب الزندقة» (أي الثنوية). وجاء في مخطوطة تومانسكي المجهولة المؤلف (أي «حدود العالم») أن أكبر عدد للمبيِّضة كان يوجد بين سكان رساتيق ايلاق(١٣٥).

وأقل من ذلك وضوحاً الأسباب التي أدت إلى ثورة رافع بن الليث حفيد نصر بن سيار في عام ٨٠٦، أو الأسباب التي ساقت إلى نجاح هذا الثائر في بداية الأمر. وتشير قرائن الاحوال إلى ان اسرة نصر كانت قد وطّنت نفسها على قبول سيادة العباسيين، وأخذ أبو رافع وهو الليث (الذي يصفه الطبري(١٣٦) بأنه من موالي الخليفة المهدي) وابن خاله الحسن بن تميم طرفاً في الحرب ضد المقنّع(١٣٧). وينسب الطبري(١٣٨) ثورة رافع إلى

---

(١٣٠) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٩.

(١٣١) وفقاً لنرشخي (طبعة شيفير، ص ٧٠) فان المسيّب وصل في جمادى الأولى؛ أما حمزة الأصفهاني (المتن ص ٢٢٢، الترجمة ص ١٧٢ - ١٧٣، حيث يرد خطأً: زهير بن المسيّب) فيجعل ذلك في جمادي الثانية من عام ١٦٣ هـ؛ ويذكر گرديزي (اكسفورد، الورقة ٩٥؛ كمبريدج، الورقة ٧٦ ب) ان المسيّب وصل الى خراسان في جمادي الأولى من عام ١٦٦ هـ ولم يحكم لأكثر من ثمانية أشهر.

(١٣٢) نرشخي، ص ٧٣. ولعل قصر خشتوان هي نفس رباط كاخشتوان الذي أخذت عنه القرية والناحية اسمها؛ راجع ما مر من الكتاب ص٢١٦؛ والسمعاني تحت لفظ «الكاخشتواني».

(١٣٣) السمعاني تحت لفظ «المبيضي».

(١٣٤) المقدسي، ص ٣٢٣.

(١٣٥) Barthold, Die alttürkischen Inschriften, S. 22

(١٣٦) الطبري، القسم الثالث، ص ٤٨٤.

(١٣٧) گرديزي، اكسفورد الورقة ٩٣، كمبريدج الورقة ٧٥ أ.

(١٣٨) الطبري، القسم الثالث، ص ٧٠٧ - ٧٠٨.

دوافع شخصية صرفه، سببها معاقبة الخليفة له لاتهامه بالزنا. وغير واضحة لنا الطريقة التي استطاع بها رافع أن يجتذب الأهالي إليه ويقتل والي سمرقند ويضع يده على المدينة. بل إن أهل نسف كتبوا إليه بطاعتهم وسألوه أن يوجّه إليهم من يعينهم على الوالي فوجّه إليهم «صاحب الشاش في اتراكه وقائداً من قواده»[١٣٩]. وبجانب هذا فإن اليعقوبي[١٤٠] يضم إلى أنصار رافع أهل فرغانه وخجنده واسروشنه والصغانيان وبخارا وخوارزم والختّل، بل إن الطغزغز والقارلوق والتبت/أرسلوا إلى رافع بأمدادهم[١٤١]. ولم ينجح السلطان في إخماد الثورة إلاّ عام ٨١٠ حينما انصرف الترك عن رافع في سنة ٨٠٩[١٤٢] فوهن أمره وطلب الأمان من المأمون «لمّا انتهى إليه من الخبر عن المأمون وحسن سيرته في أهل عمله وإحسانه إليهم»[١٤٣]، فأنعم عليه المأمون بعفوه التام. 259

من هذا يتبين أن الترك كانوا يتدخلون في الاضطرابات الحادثة بماء وراء النهر وأن الثوار أنفسهم كانوا يستدعونهم أحياناً لمعاونتهم، غير أن العرب لم تواجههم البتة قوات تركية كبرى كتلك التي واجهتهم في العصر الأموي. ذلك أنه في أعقاب سقوط دولة التركش وهزيمة الصينيين قامت على حدود بلاد ما وراء النهر مملكتان، فمنطقة يدي صو (الأنهار السبعة Semirechie) والأجزاء الشرقية من منطقة سيردريا وقعت في قبضة القارلوق الذين احتلوا سوياب عاصمة التركش سابقا. وفي المجرى الأدنى لسيردريا قامت مملكة الغز الذين كانوا على ما يبدو ينتمون إلى الترك الغربيين الذين تمزقت دولتهم وتفرّقوا في الآفاق بعد موت صولو[١٤٤]؛ وإلى الترك الغربيين أيضا ينتمي الطغزغز الذين احتلوا تركستان الشرقية (سنكيانج). ومما لا شك فيه أن ذلك الفريق من الطغزغز الذي أخذ طرفاً كما رأينا في الاضطرابات التي حدثت ببلاد ما وراء النهر في القرن التاسع كان يُقصد بهم على ما يبدو الغز الذين قطنوا حوض سيردريا لا الطغزغز الذين نزلوا تركستان الشرقية[١٤٥]. ومن الجلي أنه لم يكن من هدف هؤلاء الرعاة إخضاع بلاد ما وراء النهر لسلطانهم، لذا فقد قصروا نشاطهم على الغارة وعلى معاونة الأمراء المحليين

---

(١٣٩) شرحه، ص ٧١٢.

(١٤٠) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٥٢٨.

(١٤١) شرحه.

(١٤٢) الطبري، القسم الثالث، ص ٧٧٥.

(١٤٣) شرحه، ص ٧٧٧.

(١٤٤) Marquart, Die Chronologie, S. 24 - 25 و Barthold, Die alttürkischen Inschriften, S. 28

(١٤٥) أنظر مادة «الغز» في دائرة المعارف الاسلامية (بارتولد).

والمتمردين على السلطان من بين العرب. ولحماية البلاد من غاراتهم فقد شيدت الأسوار براشت وبنواحي بخارا وبالشاش[١٤٦]، مما يدل على أن العرب رغماً من انتصار زياد بن صالح قد أخلوا الولايات الواقعة إلى الشمال من نهر چيرچيق. وعلى وجه العموم فالمادة الموجودة تحت يدنا فيما يتعلق بالحملات العسكرية ضد الأمراء المحليين العصاة أو ضد خانات الترك طفيفة للغاية. وفي خلافة المنصور (٧٥٤-٧٧٥) أُرسل الليث «مولي أمير المؤمنين» (يغلب على الظن أنه ابن نصر بن سيار، أنظر ص٣٢١) إلى فرغانة، وكان أمير فرغانة يقيم آنذاك بكاشغر ولكن العرب اضطروه إلى أن يطلب الهدنة وان يدفع أموالاً طائلة. وقد أوفد الأمير إلى العرب سفيراً في شخص أحد كبار النبلاء ويدعى باتيجور (أو بايجور) الذي أبى الدخول في الإسلام حين عرضه عليه العرب، وظل في الحبس حتى اعتلاء المهدي عرش الخلافة (٧٧٥)، وكان رده هو «لا أخون الملك الذي وجّهني»[١٤٧]. وفي خلافة المهدي (٧٧٥-٧٨٥) خلال ثورة يوسف البرم (راجع اعلاه ص٣١٩) قام أحمد بن أسد بحملة على فرغانة، وهنا يرد اسم كاسان[١٤٨] على أنها عاصمة ملك فرغانة، مما يمكن الاستدلال منه على أن الملك كان قد استعاد أراضيه. وعقب هذا بقليل وجه المهدي رسوله إلى الملوك يدعوهم إلى الطاعة فدخل أكثرهم في طاعته، وكان منهم اخشيد الصغد وافشين اسروشنه وملك فرغانة وجبغو القارلوق وخاقان الطغزغزو «ملك الترك طرخان» (لعل المقصود حاكم الشاش) وملك التبت، بل وحتى امبراطور الصين[١٤٩]. وفي خلافة الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) أرسل الوالي غطريف بن عطا (٧٩٢-٧٩٣) عمراً بن جميل إن فرغانة ليطرد منها جيش جابغو القارلوق[١٥٠]، كما أن الوالي الفضل بن يحيى البرمكي (٧٩٤-٧٩٥) قام بحملات عسكرية بما وراء النهر كُللت بالنجاح وكان من جرّائها أن **دان لـه بالطاعة ملك اسروشنه الذي لم يحدث أن «مثل من قبل أمام أحد من الناس أو** قدّم له فروض الطاعة»[١٥١]. وقد اضطر المامون خلال مقامه بخراسان (٨٠٩-٨١٨) لإرسال جيش الى الصغد وأسروشنه وفرغانة، كما طلب ذات الوقت عن طريق سفرائه

260

(١٤٦) أنظر ما مر من الكتاب، ص ١٥٤ وص ٢١٠ وص ٢٨٧ - ٢٨٨

(١٤٧) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

(١٤٨) شرحه، ص ٤٧٨؛ أنظر أيضاً مادة «فرغانة» بدائرة المعارف الاسلامية (بارتولد).

(١٤٩) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٤٧٩.

(١٥٠) كرديزي، اكسفورد، الورقة ٩٦، كمبريدج الورقة ٧٧ ب: «عمرو (في المخطوطة: عمر) بن جميل را بفرستاد تا جبغويه را (في المخطوطة: جنوبه را) از فرغانه بيرون كرد» [أي: «أرسل عمراً بن جميل لطرد جبغويه من فرغانه» - المترجم]. عن عمرو بن جميل هذا أنظر Teksty, str. 2 (كرديزي).

(١٥١) كرديزي، اكسفورد الورقة ٩٧، كمبريدج الورقة ٧٨ أ: «وجنان خره كه ملك سرشنه بود پيش او =

أن يقدم له الحكام المحليون فروض الطاعة[١٥٢]. ويروي ابن الأثير قصة حملة قام بها العرب عام ١٩٤ هـ = ٨١٠ على مدينة قلان (وهي الآن طرطي Tarti من مركز اولياااتا Aulie-ata) استشهد فيها الزاهد شقيق بن ابراهيم البلخي[١٥٣]. وقبل أن يبدأ الصراع مع أخيه الأمين (٨١١) اشتكى المأمون إلى وزيره الفضل بن سهل من أنه مضطر للدخول في هذا الصراع وهو في أسوأ لحظة لأن جبغو (القارلوق) حنث بيمين الطاعة، وظهر هذا الميل إلى العصيان لدى «خاقان صاحب التبت»، كما وأن ملك كابل كان يتهيأ للغارة على ما يليه من بلاد خراسان، وأن أميرا ترار[١٥٤] يتمنّع في دفع الجزية التي كان يؤديها من قبل. وقد أشار عليه الفضل بأن يكتب الى جابغو وخاقان يوليهما بلادهما ويعدهما بالمعاونة في محاربة الملوك (الآخرين)، وأن يبعث إلى ملك كابل بالهدايا ويعرض عليه المصالحة التي سوف يقبلها عن طيب خاطر، وأن ينزل لأمير اترار كصلة عن خراج عام بأكمله[١٥٥]. وأغلب الظن ان هذه الخطوات وأخرى غيرها/قد فعلت فعلها في مصالحة 261 أعداء البلاد في الخارج على أقل تقدير.

أما فيما يتصل بالأحوال الداخلية فإن رأي المؤرخين يتفق في أن أكثر من أسهم في رفاهية البلاد كان أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسي[١٥٦] (٧٨٣-٧٨٧)[١٥٧] والفضل بن يحيى البرمكي[١٥٨] (٧٩٤-٧٩٥). وأمّا بقية الولاة فقد انصرف جل اهتمامهم إلى

= باز آمد كه پيش هيچ كس نيامده بود وهيچ كس را فرمان نبرده بود» [أي: «ومثل خره ملك اسروشنه الذي مثل أمامه ولم يكن مثل من قبل أمام أحد من الناس أو قدم له فروض الطاعة» - المترجم].

(١٥٢) البلاذري، ص ٤٣٠.

(١٥٣) ابن الأثير، الجزء الرابع، ص ١٦٤. ويرد ذكر قلان في كتابي Otchet o poezke v Sredniu Azii, str. 21, 31؛ أنظر أيضاً Grenard, La Légende, p. 27

(١٥٤) في المتن: «أُترار بنده»؛ وفي المخطوطة «ايراز بنده».

(١٥٥) الطبري. القسم الثالث، ص ٨١٥ - ٨١٦.

(١٥٦) Teksty, str. 2 (گرديزي).

(١٥٧) يعطي گرديزي (اكسفورد الورقة ٩٥، كمبريدج الورقة ٧٧ أ) تاريخ وصول رسول الفضل الى مرو على أنه المحرم من عام ١٦٧ هـ (آغسطس ٧٨٣)، ووصول الفضل نفسه في ربيع الأول (أكتوبر) من نفس العام. ويعطي حمزة الأصفهاني نفس الأشهر ولكن يورد عام ١٦٦ هـ (المتن ص ٢٢٢؛ الترجمة ص ١٧٣؛ وهنا يوجد خطأ في الترجمة). أما الطبري (القسم الثالث، ص ٥١٧) ونرشخي (ص ٣٢) فيرجعان تعيين الفضل الى عام ١٦٦ هـ ولكن لا يذكران تاريخ وصوله.

(١٥٨) الطبري، القسم الثالث، ص ٦٣١. لم يكن بمقدور الفضل أن يقوم بكل ما نسب إليه في فترة ولايته القصيرة؛ أنظر مادة «البرامكة» بدائرة المعارف الاسلامية (بارتولد).

إثراء أنفسهم فحسب، ولجأ بعضهم بمجرد توليه السلطة مثل عبد الجبار بن عبد الرحمن[١٥٩] والمسيّب بن زهير[١٦٠] إلى زيادة الخراج بلا مسوّغ. ولم تكن هذه الإجراءات التعسفية لبعض الولاة عرضة على الدوام لعقاب رادع عاجل من طرف الحكومة المركزية، مثال ذلك أن واحداً من أكثر الولاة جشعاً وهو علي بن عيسى بن ماهان ظل والياً على خراسان مدة عشرة أعوام[١٦١] (منذ بداية عام ٧٩٦) لأنه كان يقتسم الغنيمة مع هارون الرشيد[١٦٢]. وكان سكان البلاد الخاضعة للدولة عرضة للخدمة العسكرية مثلما كان عليه الحال من قبل، وقد اتخذ الفضل بن يحيى جيشاً غفيرا من العجم بخراسان يقول الطبري[١٦٣] إن عدده بلغ خمسمائة الف رجل (وهو عدد مبالغ فيه بالطبع) وان عشرين ألفاً منهم قدموا إلى بغداد بينما ظل الباقون بخراسان، وكان يطلق عليهم اسم «العباسية» وفي هذا اشارة بالطبع إلى أن مهمتهم كانت خدمة مصالح الأسرة الحاكمة. وفي أخبار الحرب بين علي بن عيسى وحمزة الخارجي يرد ذكر لكتيبة من «السغد والنخشبيين»[١٦٤]، كما أن جيش طاهر بن الحسين كان يضم خلال حملته على العراق (عام ٨١١) سبعمائة من الخوارزميين[١٦٥].

262 وينبغي أن نقف لحظة أمام إجراء آخر من إجراءات الولاة العباسيين كان له بلا

---

(١٥٩) كرديزي (اكسفورد الورقة ٩١، كمبريدج الورقة ٧٣ أ): «خراج مرو وبلخ وبسياراز شهرهاي خراسان زيادت كرد» [أي «زاد في خراج مرو وبلخ وعدد كبير من مدن خراسان» - المترجم]. كذلك يُتهم عبد الجبار بأنه قتل كبار الخوارزميين (الطبري، القسم الثالث، ص ١٣٤).

(١٦٠) كرديزي (اكسفورد الورقة ٩٥، كمبريدج الورقة ٧٦ب): «بر وظيفة خراج زيادت كرد ورعايا ازوى كله كردند تا مهدى اورا معزول كرد». [أي «زاد في وظيفة الخراج وضج منه الرعايا فعزله المهدي» - المترجم].

(١٦١) وفقاً للطبري (القسم الثالث، ص ٧١٣) وكرديزي (اكسفورد الورقة ٩٨، كمبريدج الورقة ٧٩ب) فإنه عزل عام ١٩١ هـ (= ٨٠٦ - ٨٠٧)؛ أما حمزة الأصفهاني (المتن ص ٢٢٥، الترجمة ص ١٧٥) فيجعل ذلك في ربيع الثاني عام ١٩٣ هـ (ابريل ٨٠٨).

(١٦٢) الطبري، القسم الثالث، ص ٧٠٣ - ٧٠٤.

(١٦٣) شرحه، ص ٦٣١.

(١٦٤) كرديزي (اكسفورد الورقة ٩٨، كمبريدج الورقة ٧٩ أ): «سغديان ونخشبيان صبر كردند تا حمزه ستوه شد پس حمله آوردند ويارانش بكشتند وبرروي حمزه جراحت كردند» [أي «فصبر السغد والنخشبيون حتى فترت همة حمزة فحملوا عليه وقتلوا أصحابه وأصيب حمزة بجراح في وجهه» - المترجم].

(١٦٥) الطبري، القسم الثالث، ص ٨٠٠.

شك أخطر الأثر على الحياة الاقتصادية للبلاد وأعني بذلك تخفيضهم قيمة العملة المتداولة بين الناس. وكان أول من سك النقود الفضة (الدراهم) ببخارا وفقاً لقول نرشخي[١٦٦] هو بخار خدات كانا الذي حكم لفترة ثلاثين عاماً، وقد بدأ تداول هذه النقود في خلافة أبي بكر (٦٣٢-٦٣٤). وكانت هذه الدراهم من خالص الفضة وقد نقشت عليها صورة بخار خدات حاملا التاج فوق مفرقه. وقرب نهاية القرن الثامن كانت هذه السكة قد خرجت من التداول وحلت محلها السكة الخوارزمية فشكا أهل بخارا إلى الوالي غطريف بن عطا وطلبوا منه أن يسك لهم نقوداً من الفضة على هيئة دراهم ملوك بخارا القديمة على أن يقتصر التعامل بها محلياً ولا يجوز إخراجها من بلدهم. ونظراً لارتفاع سعر الفضة آنذاك فقد اتفق غطريف مع الأهالي على سك عملة من خليط مركب من ستة معادن هي الذهب والفضة والرصاص والقصدير والحديد والنحاس. وقد تم سك الدراهم الجديدة على الهيئة السالفة ولكنها حملت اسم غطريف ولهذا السبب اشتهرت باسم الغطريفية. وفي البداية رفض أهل بخارا التعامل بهذه الدراهم السوداء ففرض عليهم سعر إجباري يجعل ما قيمته ستة دراهم غطريفية مساوياً لدرهم واحد من الفضة الخالصة، ولم يلبث هذا التقويم للدراهم الغطريفية أن قبل بالتالي في دفع الخراج. وكان خراج بخارا ونواحيها حتى تلك اللحظة لا يتجاوز[١٦٧] المائتي الف درهم فارتفع إلى مليون ومائة وثمانية وستين ألفاً وخمسمائة وسبعة وستين (١٫١٦٨٫٥٦٧)[١٦٨] من الدراهم الغطريفية. وبعد برهة وجيزة ارتفع سعر الدرهم الغطريفي حتى عادل الدرهم الأبيض في قيمته، ولكن معدّل الخراج لم يخفض وبهذا وجد أهل بخارا أنفسهم يدفعون ستة أضعاف ما كانوا يدفعونه من قبل. ولم يقف الدرهم الغطريفي عند هذا الحد بل زاد إلى أكثر من ذلك فيما بعد، ففي عام ٢٢٠ هـ = ٨٣٥

---

(١٦٦) نرشخي، ص ٣٤ - ٣٦.

(١٦٧) يرى البروفسور ڤيلوڤسكي (N.I. Veselovski (JMNP, 1897, Dekabr, str. 467 – 468 أنه من الأفضل ترجمة ألفاظ نرشخي كالآتي (كما لدى ليرخ Lerkh): «وكان خراج بخارا في القدم مائتي الف درهم، ولم يكن ذلك كثيرا». ولا أرى ما يدعو الى التعسف في تأويل المتن الفارسي بهذه الصورة؛ والأرقام التي سنوردها تبين أن خراج بخارا كان في الواقع أقل من مائتي الف درهم بيضاء أو ما يعادل مليونا ومائتي الف درهم غطريفي.

(١٦٨) في المتن سقطت الألفاظ «وصد» (أنظر نرشخي، ص ٣١). أما لدى المقدسي فيرد رقم آخر (هو ١٫١٦٦٫٨٩٧، وأسفله ١٫١٦٦٫٨٧٧) ص ٣٤٠؛ وأما لدى ابن خرداذبة (ص ٢٧) فيرد الرقم ١٫١٨٩٫٢٠٠.

كانت مائة(١٦٩) من الدراهم البيض تعادل خمسة وثمانين درهماً غطريفياً لم تلبث ان انخفضت بدورها إلى سبعين درهم غطريفي في عام ٥٢٢ هـ = ١١٢٨.

ورواية نرشخي هذه عرضة للشك، فقد كانت العملة المخفضة تضرب ببخارا كما حدث من قبل بخوارزم بهدف قصر تداولها على ولاية بخارا وحدها. ويقول المقدسي(١٧٠) / 263 عن الخوارزميين ما نصه: «جعلوا الدراهم اربعة دوانق(١٧١) لئلا يخرجها التجار من عندهم فإلى اليوم الفضة تُحمل إلينا (من الجلي أن المؤلف يتحدث ها هنا على لسان الخوارزميين) ولا تخرج من عندنا». وهكذا فإن استبدال الفضة الخالصة بخليط من ستة معادن لم يكن سببه ندرة الفضة أو غلاء سعرها بل كان سببه الحد من تداول العملة الجديدة كما بين نرشخي، ومن ثم فإنه لم يكن هناك ما يبرر رفض أهل بخارا للدرهم الغطريفي. كما أن أحداً لم يفسر لنا ظاهرة ارتفاع سعر الدرهم المخّفض، ويغلب على الظن أن سبب ذلك كان يرجع إلى انخفاض قيمة الدرهم الأبيض لكثرة استعماله وقدمه. ولئن صح بعد كل هذا أن تحديد الأرقام المتعلقة بالخراج قد تم على أساس الدرهم الغطريفي فإنه يصبح من غير الممكن أن يتوقع من الدولة تخفيضها بسبب ارتفاع قيمة الغطريفي، أي بسبب انخفاض قيمة الدراهم البيض. ويضيف المقدسي(١٧٢) أن الدراهم السود المتداولة ببلاد ما وراء النهر وحدها هي التي كانت لها الأفضلية هناك على الدراهم البيض. ومما يؤسف له أنه ليس لدينا معلومات دقيقة يمكن أن تفيدنا بنسبة التبايع بين الغطريفية من جهة والدراهم الكوفية والفلس (النقود النحاسية) من جهة أخرى. ويحدثنا ابن حوقل(١٧٣) عن مبايعة الغطريفي بالفلس، كما وأن نرشخي(١٧٤) يتحدث عن مبايعته بالفضة وذلك في روايته لأحداث عام ٢٦٠ هـ = ٨٧٤، غير أن الإثنين لا يحددان على وجه الدقة أسعار تلك المبايعات(١٧٥).

---

(١٦٩) في المتن سقط لفظ «صد».

(١٧٠) المقدسي، ص ٢٨٦ (Des Goeje, Das alte Bett des Oxus, S. 100).

(١٧١) في موضع آخر «أربعة دوانيق ونصف» (المقدسي، ص ٣٤٠؛ Des Goeje, Das alte Bett des Oxus, S. 109) وكان الدرهم العادي يزن ستة دوانق.

(١٧٢) المقدسي، ص ٣٤٠.

(١٧٣) ابن حوقل، ص ٣٦٣.

(١٧٤) نرشخي، ص ٧٦.

(١٧٥) (عن سعر الغطريفي راجع «Masson, K voprosu o «Chernykh dirkhemakh; و Davidovich, Termezskii klad – الناشرون).

ولم تكن الدراهم الغطريفية هي الوحيدة أو الأولى من نوعها، فالمؤرخون والجغرافيون يميّزون إلى جانب الدراهم الخوارزمية بين ثلاث فئات من الدراهم المخفّضة المستعملة في دفع الخراج ببلاد ما وراء النهر، وهي المحمديّة والميّبية والغطريفية. أمّا الفئة الأولى فتنسب وفقاً لرواية كرديزي(١٧٦) إلى محمد بن دهده، رغماً من أن هذا الإسم لا يرد ذكر بين ولاة خراسان والأرجح أنه من حكام ما وراء النهر العرب التابعين لوالي خراسان، أما الدرهم المسيبي فقد سك في عهد ولاية مسيِّب بن زهير (٧٨٠-٧٨٣). ووفقاً لرواية ابن خرداذبه(١٧٧) (التي ترجع إلى عام ٢١١ ﻫ و٢١٢ ﻫ = ٨٢٦-٨٢٨) فإن الخراج كان يجبي على النحو التالي: في خوارزم بالدراهم الخوارزمية، أما في المدن التركية التي ضمت إلى أراضي نوح بن أسد فبالدراهم الخوارزمية والمسيبية،/وفي الشاش وايلاق وخجند بالدراهم المسيبية، وفي اسروشنه كان الخراج يجبى بعضه بالدراهم المسيبية ولكن غالبيته بالمحمدية، وفي فرغانة والصغد وكش ونسف بالدراهم المحمدية، وفي بخارا بالدراهم الغطريفية. من هذا يتضح أن كل فئة من هذه الدراهم المخفضة كانت لها منطقة انتشار جغرافية معينة. أمّا فيما يتصل بمظهرها الخارجي فإنه لم يكن هناك اختلاف جوهري يميز هذه الدراهم بعضها عن بعض وفقاً لأقوال الجغرافيين، فجميعها كان يحمل أشكالا يميزها بوضوح عن النقود الاسلامية المعروفة(١٧٨)، كما كانت تحمل أيضا كتابة غير مفهومة وفقاً لقول ابن حوقل(١٧٩). ولم يلبث أصل هذه الدراهم أن نسى، وكما يبدو من ألفاظ المقدسي(١٨٠) فقد كانت هناك أسطورة منذ القرن العاشر أعاد ذكرها السمعاني(١٨١) تدور حول ثلاثة إخوة هم محمد ومسيّب وغطريف كانوا قد استولوا على بلاد ما وراء النهر وضربوا السكة باسمائهم.

264

---

(١٧٦) كرديزي، مخطوطة اكسفورد الورقة ٩٥، مخطوطة كمبريدج الورقة ٧٦ ب: «ودرم مسيي («مسمى» في المخطوطة) بدو بازخوانند چنانكه غطريفي بغطريف بن عطا الكندي ومحمدي بمحمد بن دهده واين درمها باروى وارزيز آميخته باشد». [أي «والدرهم المسيبي سُمّي باسمه كما سمي الغطريفي باسم غطريف بن عطا الكندي والمحمدي باسم محمد بن دهده، وهذه الدراهم مخلوطة بالصفر والرصاص» - المترجم].

(١٧٧) ابن خرداذبه، ص ٢٧ - ٢٨.

(١٧٨) الاصطخري، ص ٣١٤.

(١٧٩) ابن حوقل، ص ٣٦٣.

(١٨٠) المقدسي. ص ٣٤٠.

(١٨١) السمعاني تحت لفظ «الريوندي». ولا يذكر المقدسي شيئاً عن ولاية الإخوة الثلاثة. ووفقاً للسمعاني فإنهم حكموا في بلاد ما وراء النهر عقب سعيد بن عثمان مباشرة.

وليس المجال هنا مجال الدخول في بحث مفصّل نعالج فيه مشكلة تصنيف الدراهم المختلفة التي تم العثور عليها بآسيا الوسطى حتى هذه اللحظة وإلى أية فئة من الفئات يجب أن ننسبها ، وأعني بذلك الدراهم المخفضة المسكوكة على نمط الدراهم الفضية المحلية التي ترجع إلى عهد سابق لمجيء الاسلام إلى بلاد ما وراء النهر(١٨٢). وعلماء النُمِّيات numismatics) ، أي المسكوكات) يميزون بين مجموعتين من النقود كانتا متداولتين بآسيا الوسطى قبل مجيء الإسلام هما الخوارزمية والصغدية ، فالأولى كانت تحمل على وجهها صورة لرأس ملك وصدره (بلا لحية) بينما نقش على ظهرها مذبح تتقد فيه النار المقدسة ، وإحدى هذه القطع نقش عليها صورة لجمل متّجه صوب اليمين. أمّا عن الكتابة الموجودة على الوجه فقد رأى ماركوف A. K. Markov أن تُقرأ مزدا خدات (« الحاكم المطلق ») ، بينما قرأها البروفسور دونر O. Donner ملكا صدق (« الملك العادل » ، على غرار Basileus dikaios الموجودة على نقود الاشكانيين Arsacides). وأما النقود الصغدية فكانت على أنواع شتى ولكن جميعها حمل صورة الملك الساساني بهرام جور (ڤرهران الخامس ٤٢٠-٤٣٨) الذي يبدو أن سكته أصبحت نموذجاً لأهل الصغد(١٨٣). وبجانب هذا تبرز الكتابة الموجودة عليها انماطاً مختلفة ، فأكثر الفئات انتشاراً تحمل أحد عشر حرفاً يجب قراءتها وفقاً لتفسير ليرخ Lerkh(١٨٤)/« بوخار خوددات ». وإلى جانب الدراهم الفضية التي تنتمي إلى قاعدة عالية (٩٧ ٪) وجدت دراهم من أجود أنواع الخليط كانت تحمل أحياناً كتابة عربية كاسم الخليفة المهدي (الذي كان معاصراً للمسيّب). ولم يتم العثور إلى هذه اللحظة على دراهم يمكن ان يستبين منها بجلاء أسماء محمد ومسيّب وغطريف ، وفي بعض النقود يرد اسم محمد عقب البسملة ولعل في هذا إشارة إلى اسم محمد بن دهده(١٨٥). وألفاظ نرشخي والسمعاني لا يُشتّم منها في رأيي (وذلك على

265

---

(١٨٢) بحث هذا بالتفصيل (مع ذكر المراجع) البروفسور دونر في مقاله Donner, Sur l'origine de l'alphabet turc du Nord de l'asie, PP. 33-38

(١٨٣) يرى توماس (E. Thomas, Bilingual coins, p. 118) أن نوع نقود ڤرهران الخامس استعارها أهل الصغد عن طريق سكة الثائر ڤرهران (بهرام) چوبين (حوالي عام ٥٧٨).

(١٨٤) أنظر ليرخ Lerch, Sur les monnaies, pp. 419 - 429 وأيضا مقاله الأطول الذي لم يكمله Lerch, Monety bukhar - khudatov

(١٨٥) Thomas, Bilingual coins, p. 128; Tiesenhausen, Notice p. 11 وهنا يجب قراءتها « محمدية » بدلا من « محمدله » على ما يبدو. وكما هو معروف فإن اسم الخليفة المهدي هو محمد ، لذا فمن الممكن أن تكون هذه النقود قد أخذت اسمها منه.

خلاف رأي البروفسور ڤسيلوڤسكي[١٨٦] (N. I. Veselovski) ما يدعو إلى الإرتياب في أن أسماء الولاة الثلاثة كانت منقوشة على النقود، إن ليس بأحرف عربية فربما بأحرف أرامية (كما هو الحال مع النقود العربية البهلوية). وشأن كل النقود المسكوكة من خليط معدني رخيص فإن هذه الدراهم قد تأثرت كثيراً بفعل الزمن حتى أصبحت قراءة ما كتب عليها أمراً بالغ الصعوبة، ولا يصدق هذا على الكتابة الأرامية وحدها بل وعلى الكتابة العربية أيضاً. وفيما عدا هذا فإن قراءة «بوخار خوددات» التي اقترحها ليرخ والتي بدت وهي أشبه بالمؤكدة قد قوبلت باعتراض شديد من جانب دروان E. Drouin، زد على هذا أن البروفسور دونر Donner يعترف بوجاهة اعتراضات دروان. ومما يزيد المسألة تعقيداً هو أنه وإن كان تداول الدراهم الغطريفية قد اقتصر على بخارا وحدها إلاّ أن الدراهم التي أطلق عليها اسم دراهم بخار خدات قد تم العثور عليها بسمرقند وخجنده وخيوه أيضاً[١٨٧]. من هذا يتضح أن كل ما يمكن استخلاصه من المسكوكات هو أنه في القرن الخامس أو السادس بدأت تسك ببلاد الصغد دراهم على غرار الدراهم الساسانية، وإذا ما قبلنا صحة التاريخ الذي يورده نرشخي بشأن ضرب العملة ببخارا فإنه يغلب على الظن أن بخار خدات قد استعاروا من الصغد لا من الساسانيين رأساً أشكال السكة المتداولة بين جيرانهم (وإلاّ كانوا قد اتخذوا دراهم كسرى الثاني نمطاً لهم كما فعل العرب عقب ذلك بقليل). ومن الغريب حقاً أنه حين كان الدرهم والفلس الكوفي يضربان ببلاد ما وراء النهر حتى فترة متأخرة كنهاية القرن الثامن، فإن حاجة الأهالي من العملة كانت تسد باستعمال الدراهم العتيقة التي كانت تحمل أشكالا وثنية.

وكان من الطبيعي وقد استعان بالفرس في هزيمة أخيه الأمين أن يجعل المأمون من نفسه راعياً للشعب الذي يدين له بعرشه، وأن يسند إلى الفرس إدارة الولايات الشرقية بدرجة أكثر مما فعل أسلافه. والى هؤلاء الولاة الفرس يرجع تأسيس الدولتين الطاهرية والسامانية. والجد الأعلى للطاهريين[١٨٨]/وهو رزيق كان في الأصل مولي لأبي محمد طلحة 266

---

(١٨٦) راجع أعلاه ص٣٢٦، الحاشية ١٦٧

(١٨٧) Lerch, Sur les monnaies, p. 423

(١٨٨) يقدم ابن خلكان تفاصيل وافية عن أصل هذه الأسرة (طبعة ڤستنفلد، رقم ٣٥٠؛ ترجمة دي سلان، الجزء الأول، ص ٦٤٩ وما يليها). ووفقاً للمسعودي فإن الطاهريين ينحدرون من صلب البطل الفارسي رستم.

ابن عبد الله الخزاعي[189] الذي ولي سجستان لسلم بن زياد (أنظر أعلاه ص ٢٩٥)، ويخلط حافظ آبرو[190] سهواً بين طلحة هذا والصحابي الجليل الذي اشتهر في صدر الإسلام. وقد كان مصعب بن رزيق حاكماً لمدينة بوشنج بولاية هرات، ونراه في زمن الدعوة العباسية يشغل منصب الكاتب لأحد رجال أبي مسلم، ويرد اسمه أيضاً خلال حكمه لبوشنج في أخبار ثورة يوسف البرم الذي انتزع منه هذه المدينة[191]. والأرجح أن بوشنج قد ردت لمصعب عقب إخماد الثورة وخلفه عليها ابنه الحسين (المتوفى عام ١٩٩ هـ = ٨١٤-٨١٥) ثم من بعده حفيده طاهر. وقبل هذا بقليل اشترك طاهر بن الحسين في القتال ضد رافع بن الليث[192]. وحين تم تجهيز الحملة ضد الأمين في عام ٨١١ عين طاهر بن الحسين قائداً لقوات المأمون، وعقد الوزير الفضل بن سهل بيده على سنان رمح طاهر اللواء الذي عمل من أجله[193]. ولمّا ولي المأمون عرش الخلافة (٨١٣) عين طاهراً واليا على أرض الجزيرة وصاحباً لشرطة بغداد ومعاوناً للسواد[194]. ثم أثار أحمد بن أبي خالد صديق طاهر بن الحسين مخاوف المأمون ضد غسّان بن عبّاد والي خراسان آنذاك، فأرسل طاهر عام ٨٢١ والياً على خراسان[195]؛ وفي نوفمبر ٨٢٢ مات طاهر فجأة وكان ذلك بُعَيْد إسقاطه اسم المأمون من خطبة الجمعة معلناً بذلك استقلاله عن بغداد. وقد حامت الريبة حول الخليفة بأنه قد أمر بسمّ طاهر، ومهما يكن من شيء فإن المأمون ثبّت ابنه طلحة على ولاية خراسان (٨٢٢-٨٢٨). أما خلف طلحة وهو أبو العباس عبد الله الذي قدم خراسان عام ٨٣٠ فقد كان حاكماً مستقلا بمعنى الكلمة حتى أن الخليفة المعتصم (٨٣٣-٨٤٢) الذي كان يبغضه[196] لم يستطع أن يفعل بإزائه سوى التحريض سراً على

---

(١٨٩) يرد ذكر هذا الشخص لدى الطبري أيضاً (القسم الثاني، ص ٣٩٣).

(١٩٠) Teksty, str. 158 (حافظ آبرو). ونفس هذا المؤرخ يعطي اسم والد مصعب على أنه فرُّخ.

(١٩١) گرديزي (اكسفورد الورقة ٩٤، كمبريدج الورقة ٧٥ ب): «يوسف ثقفي حروري بيرون آمده بود اندر روزكار حميد وحكم طالقاني وبومعاذ فريابي با وي بودند وبوشنك از مصعب بن رزيق بستده بودند» [أي «وكان يوسف الثقفي الحروري قد خرج في أيام حميد وكان معه حكم الطالقاني وابو معاذ الفريابي فانتزعوا بوشنج من مصعب بن رزيق» - المترجم].

(١٩٢) الطبري، القسم الثالث، ص ٧٧٧.

(١٩٣) Teksty, str. 2 (گرديزي)؛ وابن خلكان أيضاً.

(١٩٤) الطبري، القسم الثالث، ص ١٠٣٩.

(١٩٥) شرحه، ص ١٠٤٢.

(١٩٦) عن أسباب هذا البغض راجع Teksty, str. 3 (گرديزي)

267 اغتياله[١٩٧]، ولكنه لم يتخذ البتة اجراءات سافرة ضده. وفي الوقت/ذاته شغل عدد من أفراد أسرة الطاهريين مناصب هامة بالغرب، من بينها قيادة القوات العسكرية ببغداد مما أعان على دعم مركز الأسرة. ورغماً من ذلك فإن كبار رجالات هذا البيت كانوا لا يحسون الأمن إلاّ وسط رعاياهم بالمشرق. ويقال إن عبد الله بن طاهر لما أسرّ لكاتبه بأنه ينوي الحج رد عليه خادمه الأمين بقوله: «أيها الأمير أنت أعقل من أن ترتكب أمراً كهذا ليس من العقل في شيء»[١٩٨]. وقد أعرب عبد الله من موافقته التامة لرأي كاتبه وزاد عليه بأنه إنّما فعل ذلك ليبتليه.

أما السامانيون فقد انخرطوا في خدمة الدولة قبل الطاهريين، ولكنهم لم يرقوا إلى أكثر من حكم بلاد ما وراء النهر التابعة لولاية خراسان. والجد الأعلى للأسرة، وهو سامان خدات مؤسس وحاكم قرية سامان بولاية بلخ[١٩٩] كان يعد من سلالة القائد الساساني بهرام جوبين الذي هرب إلى الترك عام ٥٩١. وقد تمتع سامان خدات بحماية الوالي أسد بن عبد الله القسري (توفي عام ٧٣٨) وأسلم وسمي ابنه أسداً اعترافاً بفضل راعيه. ولا علم لنا بشيء عن حياة أسد هذا، ولكن أبناءه وهم نوح وأحمد ويحيى والياس قد اشتركوا في إخماد ثورة رافع بن الليث[٢٠٠] ثم دخلوا في خدمة المأمون واستطاعوا أن يكسبوا عطف الخليفة. وتنفيذاً لرغبة الخليفة فقد عين والى خراسان غسّان بن عباد (٨١٩-٨٢١) نوحاً حاكماً على سمرقند وأحمد حاكماً على فرغانة ويحيى حاكماً على الشاش والياس حاكماً على هرات[٢٠١]. ولم يستطع السامانيون الإحتفاظ بحكمهم

---

(١٩٧) وفقاً للقصة التي يرويها كرديزي (اكسفورد الورقة ١٠٢، كمبريدج الورقة ٨٢ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٢٧) فإن الخليفة أهدى عبد الله جارية وأعطاها فوطة (دستارچه) مسمومة من أجل عبد الله، ولكن الجارية عند وصولها الى نيشابور وقعت في حب الطاهري وكشفت له سر المؤامرة.

(١٩٨) كرديزي (اكسفورد الورقة ١٠٣، كمبريدج الورقة ٨٣ أ، طبعة محمد ناظم ص ٢٧): «يا أمير تو حازمتر ازاني كه كار كني كه از حزم دور بود».

(١٩٩) هذا إجماع معظم المصادر، غير أن المقدسي (ص ٣٣٨؛ وياقوت، المعجم، الجزء الثالث، ص ١٣) يجعل سامان من نواحي سمرقند.

(٢٠٠) نرشخي، ص ٧٤.

(٢٠١) هكذا لدى ميرخواند (تاريخ السامانيين، طبعة دفريمري، ص ٢ و١١٣)؛ ووفقاً لحمد الله مستوفى قزويني (نرشخي، طبعة شيفير، الملحق، ص ١٠٠) فإن الياس تولى الشاش ويحيى تولى هرات؛ ولكن في طبعة براون (حمد الله مستوفي قزويني، تاريخ گزيده، المتن ص ٣٧٩) يرد أن الياس تولى هرات ويحيى الشاش (بدلا من الشاش جاء في المخطوطات «اشناس» و«اشفاس»؛ بل وفي الترجمة أيضاً «Ashnas» ص ٧٣). غير أن رواية ميرخواند يدعمها ألفاظ السمعاني المذكورة في ما يلي. ونعلم من=

على هرات ويبدو أن الياس الذي توفي هناك في عام ٢٤٢ هـ = ٨٥٦-٨٥٧[٢٠٢] لم/يترك 268 وراءه خلفاً، وعلى أية حال فإن الروايات التي وصلتنا عن قيام دولة الصفاريين بسجستان وبولاية هرات لا يرد فيها ذكر للسامانيين. أما في بلاد ما وراء النهر فقد أصبح السامانيون حكاماً بالوراثة، حتى لقد استطاع احمد بن أسد الذي امتدت حياته إلى ما بعد وفاة إخوته أجمعين أن يورِّث السلطة لأبنائه. واذا ما أخذنا برأي ابن خرداذبه وذلك حين كلامه عن خراج بلاد ما وراء النهر[٢٠٣]، فإن نوحاً بن أسد، أكبر إخوته، قد أصبح في عام ٢١١ هـ و٢١٢ هـ (٨٢٦-٨٢٧) حاكماً فيما يبدو على جزء فقط من بلاد الصغد يضم سمرقند وعلى فرغانة وعلى بعض «مدائن الترك». وعقب وفاة نوح (٢٢٧ هـ =٨٤٢) ظل أخوه أحمد الذي أصبح بعده أكبر أفراد الأسرة مقيماً بفرغانة وأرسل ابنه نصراً إلى سمرقند[٢٠٤]. أمّا عن الأوضاع الداخلية ببلاد ما وراء النهر خلال فترة حكم السامانيين الأُوَل، فإن المامنا بها ضعيف للغاية. ويروي كرديزي خبر وقوع زلزال بفرغانة عام ٢٢٤ هـ =٨٣٩،[٢٠٥] كما يروي مؤلف «القندية» خبر مصرع آلاف من الأهالي برستاق الشاوذار في عام ٢٤٥ هـ =٨٥٩ بلا إيراد أدنى تفاصيل تتصل بأسباب الثورة[٢٠٦]. ومن الواضح أنه عند وفاة يحيى في عام ٨٥٥ ضمت بلاد الشاش إلى أحمد أيضاً، ذلك أننا نجد فيما بعد أبا يوسف يعقوب بن أحمد حاكماً على

= مصنف الكندي «ولاة مصر وقضاتها» (طبعة Guest ص ١٨٤) أن الياس بن أسد الساماني عُيِّن والياً على الاسكندرية عام ٢١٢ هـ = ٨٢٧، وإن كان المؤلف لا يذكر شيئاً عن مدة بقائه بالغرب؛ راجع أيضاً مقال غست Guest, Relations, p. 169. ورواية نرشخي (ص ٧٥) حول هذا الموضوع مشحونة بالأخطاء. أما كرديزي (اكسفورد الورقة ١٠١، كمبريدج الورقة ٨١أ) فيتحدث فقط عن تولية نوح («غسان مرليث بن سعدرا از سمرقند معزول كرد ونوح بن اسد را داد» [أي «وعزل غسان من ولاية سمرقند الليث بن سعد وولاها نوحاً بن أسد» - المترجم].

(٢٠٢) السمعاني تحت لفظ «الساماني»؛ وفيها يعطي أيضاً سني وفاة السامانيين الأخر.

(٢٠٣) ابن خرداذبه ص ٢٧ - ٢٨. وللحصول على مجموع خراج بلاد ما وراء النهر يجب ضم خراج «عمل نوح» الى خراج الصغد والبتّم وكش ونسف واسروشنه والشاش ومعدن الفضة (بإيلاق) وخجند. وقبل قليل من هذا اعتبرت الصغد من «عمل نوح»؛ وأغلب الظن أنه في الحالة الأولى يجب أن يفهم من الصغد مُلك الاخشيد (بما في ذلك عاصمته آشتيخن). أما في الحالة الثانية فإن المقصود منطقة سمرقند. [يجب إعادة ترقيم صفحات ابن خرداذبه لتكون ٣٨ - ٣٩ - المترجم].

(٢٠٤) ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ٢ و١١٤.

(٢٠٥) Teksty, str. 3 (كرديزي).

(٢٠٦) Teksty, str. 49 نسفي، القندية، ترجمة ڤياتكين ص ٢٤٢.

تلك النواحي[٢٠٧]. وعقب وفاة أحمد (٨٦٤) ظل نصر رأس الأسرة الجديد حاكماً على سمرقند، بينما أصبح أبو الأشعث الابن الآخر لأحمد حاكماً على فرغانة[٢٠٨]. هذا ولم تدخل بخارا تحت حكم السامانيين إلاّ في عام ٨٧٤ فحسب[٢٠٩]، وتلا هذا أن تسلم نصر ابن أحمد عهد أمير المؤمنين المعتمد في عام ٨٧٥ بولايته على جميع بلاد ما وراء النهر[٢١٠].

وإلى هذه الحقبة يرجع خضوع بلاد ما وراء النهر كلها لسلطان الاسلام، وهي مهمة وجد الطاهريون والسامانيون العون في تنفيذها من جانب الحكومة ببغداد. وقد رأينا كيف اندلعت ثورة شاملة ضد السيادة العربية ببلاد ما وراء النهر في الأعوام الأولى من ولاية المأمون، الذي تجددت بعد رحيله الإضطرابات ولم تستتب الأمور إلاّ في عهد 269 ولاية غسّان بن عباد[٢١١] (٨١٩–٨٢١). وليس بمستبعد بأن يكون من أسباب المجاعة التي/ حدثت بخراسان (وشملت في واقع الأمر ايران كلها) عام ٢٠١ هـ =٨١٦–٨١٧[٢١٢] هو انقطاع امداد الغلال من بلاد ما وراء النهر، مثلما حدث من قبل في مجاعة عام ٧٣٣ (أنظر أعلاه ص ٣١٠). وعند وفاة طاهر بن الحسين وتولية ابنه طلحة دخل جيش بقيادة أحمد بن خالد بلاد ما وراء النهر. وكان الهدف الرئيسي من هذه الحملة العسكرية هو اخضاع اسروشنه لأن أميرها كاوس (ابن الملك الذي قدم فروض الطاعة للفضل بن يحيى) كان قد وافق على دفع الجزية للمأمون ولكنه عاد فحنث بعهده عند رحيل المأمون إلى بغداد. وعقب هذا بقليل اندلع القتال بين أفراد الأسرة الحاكمة باسروشنة بعد أن قتل حيدر بن كاوس رجلا من كبار النبلاء كان على رأس حزب أخيه الفضل الذي تزوج من ابنة ذلك الرجل. وقد اضطر حيدر عقب ارتكابه الجريمة إلى الهرب فلاذ أول الأمر بممثل الدولة العربية المحلي ثم وجد الملاذ بعد ذلك ببغداد، وكان رد أخيه الفضل على ذلك أن فتح أبواب بلاده للطغزغز عام ٢٠٥ هـ = ٨٢٠–٨٢١. وفي عام ٢٠٧ هـ =٨٢٢ دخل أحمد بن خالد اسروشنه بجيشه وكان دليلهم حيدر الذي قادهم بطريق أقصر لم تعرفه العرب من قبل، ففوجىء كاوس واضطر إلى الاستسلام، أما الفضل فقد

---

(٢٠٧) نرشخي، ص ٨١.
(٢٠٨) شرحه، ص ٨٠.
(٢٠٩) شرحه، ص ٧٧.
(٢١٠) الطبري، القسم الثالث، ص ١٨٨٩.
(٢١١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٣٠٧.
(٢١٢) الطبري، القسم الثالث، ص ١٠١٥.

تقهقر الى السهوب مع الترك ولكنه لم يلبث أن غدر بهم وانضم إلى العرب فهلك الترك في المفازة بسبب العطش. وذهب كاوس إلى بغداد واعتنق الإسلام وتم الإعتراف به رسمياً حاكماً لبلاده، وخلفه على حكمها ابنه حيدر(٢١٣) الذي أصبح فيما بعد الرجل الأول ببلاط الخلفاء ببغداد ونال شهرة واسعة تحت اسم الافشين (وهو لقب أمراء اسروشنه). وقد أُعدم الافشين عام ٨٤١ ولكن أسرته ظلت تتولى مقاليد الأمور بأسروشنة حتى عام ٢٨٠ هـ =٨٩٣. ويوجد بمتحف الارميتاج ببتروغراد عملة تحمل اسم آخر افشين لاسروشنه وهو سير بن عبد الله وتاريخ سكها هو عام ٢٧٩ هـ ، كما توجد قطعة من العملة أيضاً تحمل اسم اسماعيل الساماني سكت بأسروشنه عام ٢٨٠ هـ (٢١٤).

وقد كان تعيين أحمد بن خالد الذي يعدّ من أوائل المسؤولين عن قيام دولة الطاهريين أمراً محبباً للغاية لطلحة الذي أغدق الهدايا على القائد العربي وعلى كاتبه. ووفقاً لرأي ميرخواند(٢١٥) فإن أحمد بن خالد كان أيضاً من حماة السامانيين وأعاد سلطان أحمد بن أسد على فرغانة التي طرد منها «أعداء الدين». وينسب البلاذري(٢١٦) إخضاع فرغانة بصورة نهائية، ويعني بذلك مدينتي كاسان واورست، بالتحديد إلى نوح بن أسد ولكنه يرجع بهذا الحادث إلى عهد خلافة المنتصر (٨٦١-٨٦٢) رغماً من أن نوحاً لم يكن آنذاك في عداد الأحياء. وقد حظيت عملية أخرى لنوح بنصيب أوفر من الثقة، تلك هي إخضاعه/ اسفيجاب عام ٨٤٠(٢١٧)؛ وقد أمر نوح ببناء حائط باسفيجاب «يحيط 270 بكروم أهله ومزارعهم»،(٢١٨) أي بمعنى آخر أمر ببناء سور يحمي المنطقة من غارات الترك وذلك على غرار السور الذي بنى من قبل بالشاش. غير أن ولاية اسفيجاب ظلت حتى القرن العاشر تحت حكم أسرة تركية منفصلة(٢١٩) وتمتعت بامتيازات كبرى كان من بينها الاعفاء من الخراج(٢٢٠). وكان أمير اسفيجاب يرسل في كل عام الى حكومة السامانيين بأربعة دوانق (وهو مبلغ زهيد للغاية) ومكنسة، بدلا من الخراج وكدليل على

---

(٢١٣) شرحه، ص ١٠٤٤ و١٠٦٥ - ١٠٦٦؛ البلاذري ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٢١٤) Markov, Inventarny katalog, str. 112, 114

(٢١٥) ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ٢ و١١٤.

(٢١٦) البلاذري، ص ٤٢٠. وفي احدى مخطوطاته يرد اسم الخليفة المنصور.

(٢١٧) السمعاني، تحت لفظ «الساماني».

(٢١٨) البلاذري، ص ٤٢٢.

(٢١٩) عن بعض أفراد هذه الأسرة راجع أعلاه، ص ٢٩١ - ٢٩٢

(٢٢٠) الاصطخري، ص ٣٣٣.

تبعيته وولائه[٢٢١]. وفي الوقت الذي أمر فيه الخليفة المأمون[٢٢٢] ولاته بمتابعة القتال ضد المتمردين أخذ مبعوثوه يدعون وجهاء الناس إلى الانضواء تحت خدمة الخليفة، وكانوا عند وصولهم إلى بغداد توزع عليهم الهدايا الثمينة. وقد اتّبع هذا التقليد نفسه وعلى نطاق أوسع في عهد المعتصم الذي أصبح الحرس التركي يمثل دعامة من دعائم العرش أيام خلافته[٢٢٣]، وكان هذا الحرس يضم أيضاً المهاجرين من الصغد وفرغانه وأسروشنه والشاش. وقد أسهمت هذه الظاهرة بصورة فعّالة في تمكين الحكم الإسلامي ببلاد ما وراء النهر. هذا وقد قام عبد الله بن طاهر، ولعل ذلك تم بمعاونة السامانيين، بحملة على بلاد الغز ففتح أماكن لم يبلغها أحد قبله[٢٢٤]. ويمكن القول بصورة عامة إن سكان بلاد ما وراء النهر قد حسن اسلامهم منذ خلافة المعتصم، بل إنهم أخذوا يجاهدون جيرانهم الترك في «سبيل الدين». ولعل اهتمام الخلفاء بأمر المنطقة حتى في عهد الطاهريين إنما كان مرده إلى وجود عدد من أكابر بلاد ما وراء النهر ببلاط الخليفة ببغداد. ومعلوم أن/ 271 الخليفة المعتصم ولو على كره منه قد تصدّق بمليونين من الدراهم لحفر قناة كبرى للري ببلاد الشاش كانت لا تزال موجودة حتى القرن الثالث عشر وفقاً لرواية عوفي[٢٢٥]. وقد **رأينا من قبل (أعلاه ص ١٨٧ وص ١٩٢) كيف أنه في الأعوام الأخيرة من حكم محمد بن طاهر كانت أراض معيّنة من بلاد ما وراء النهر تعد ملكاً خاصاً للخليفة.**

وبسبب أصلهم الأرستقراطي وبوصفهم ممثلين رسميين للسيادة العربية بالمنطقة فإنه لم

---

(٢٢١) المقدسي، ص ٣٤٠؛ BGA, IV, 343 (تفسير المصطلحات).

(٢٢٢) راجع عنه وعن المعتصم البلاذري، ص ٤٣١.

(٢٢٣) Dozy, Essai sur l'histoire de l'Islamisme, p. 247. أحاط المعتصم نفسه بالجند من الترك منذ أيام المأمون؛ وفي عام ٢١٤ هـ = ٨٢٩ وصل الى مصر يصحبه أربعة آلاف من أتراكه (الكندي، ص ١٨٨).

(٢٢٤) (فيما بعد (وذلك في مصنفه «موجز لتاريخ شعب التركمان») افترض بارتولد أن هذه الحملة قد أرسلت تجاه الشمال الغربي صوب منطقة سواحل بحر قزوين. وفي تعليقه على ترجمة قول البلاذري (وهو الذي ينقل عنه بارتولد في هذا الصدد) كتب ڤولين S.L. Volin يقول: «لقد افترض ف.ڤ. بارتولد أن هذه الحملة وُجهت صوب القسم الغربي من بلاد الغز لأن عبد الله بن طاهر بنى هناك سوراً لحماية الحدود (دهستان، فراوه). وبخلاف عدم تحديد الموضع الذي بني فيه السور فإن هناك اعتراضات لغوية، فالمخطوطات تحمل القراءة «العوربه» دون إعجام. وهذه يمكن قراءتها لا «الغوزية» فحسب بل وأيضاً «الغورية»، أي سكان المنطقة الجبلية الواقعة حاليا بافغانستان والتي وُجهت إليها الحملة في واقع الأمر. أضف الى هذا أن اسم الغز يكتب عادة بدون حرف الواو» (MITT, I, 78, prim. 3) – الناشرون).

(٢٢٥) الطبري، القسم الثالث، ص ١٣٢٦؛ Teksty, str. 83 – 84 (عوفي).

يكن بوسع الطاهريين والسامانيين أن يظهروا بمظهر المنتصرين للإتجاهات القومية والشعبية، كما كان عليه الحال مع أبي مسلم ودعاة الشيعة الآخرين. ويمكن وصف عهد حكم الأسرتين بالكثير من الدقة بأنه كان حكماً مستنيراً. وقد ظهر الطاهريون والسامانيون، في معرض محاولتهم لتثبيت دعائم حكم قوي ونشر الأمن بالبلاد، بمظهر المدافعين عن الطبقات الدنيا ضد تعسف الطبقات العليا، فهم قد اهتموا بالتعليم ولكنهم لم يقوموا بإصلاحات اجتماعية منتظمة، كما أنهم ضربوا على أيدي عناصر الاضطراب والفتنة من بين الكتل الشعبية. وينعكس كل هذا بصورة جلية منذ حكم عبد الله بن طاهر، أول والٍ ينظّم إدارة خراسان والذي قال عنه اليعقوبي بأنه حكم خراسان كما لم يحكمها أحد من قبله[٢٢٦]. وقد وجه عبد الله اهتمامه قبل كل شيء إلى إصلاح حال المزارعين[٢٢٧]، وكان النزاع بين الأهالي من أجل ماء الري أمراً مألوفاً. ولمّا لم تكن كتب الفقه الإسلامي تحوي شيئاً عن هذه المسألة فقد استدعى عبد الله فقهاء خراسان وكلّفهم بالإشتراك مع فقهاء من العراق بوضع قوانين تنظّم استعمال الماء في الري. وكان «كتاب القنى» الذي وضعه هؤلاء الفقهاء هو المرشد في مثل هذه الأحوال وظل معمولاً به لأكثر من قرنين بعد هذا وذلك في عهد كرديزي. وفي توجيهاته إلى عماله التي يأمرهم فيها برعاية مصالح الفلاحين[٢٢٨] تبرز سمات ذات طابع أخلاقي لدى عبد الله، فقد جاء فيها عن الفلاحين: «لأن الله عزّ وجل إنّما يطعمنا من أيديهم، ويحيّينا بألسنتهم ويحرم علينا أن نظلمهم». وقد ساقه اهتمامه بالطبقات الدنيا إلى فكرة نشر التعليم بين جميع الناس، وهي التي يعبّر عنها بألفاظ محددة للغاية حين يقول: «يجب أن يكون العلم في متناول من يستحقونه ومن لا يستحقونه، لأن العلم نفسه أدرى من أن يبقى مع من لا يستحقونه». وفي الحقيقة فإن أبناء أكثر الفلاحين فقراً كانوا في ذلك العهد يرتحلون إلى المدن طلباً للعلم، وهذا ما حدث بالذات لأخوين هما إبنا الخرغوني من/ قرية خرغون (أنظر ص٢٢٥) اللذين بعث بهما أبوهما إلى سمرقند عام ٢٣٣ هـ= ٨٤٧-٨٤٨، ففي خلال ثلاثة أعوام جوّدا العلوم بينما كانت أمهما تنفق عليهما من عملها في غزل الصوف[٢٢٩]. ومما لا شك فيه أن طاهراً وقد عاش في عهد انتصار المذهب العقلي لم نهم

272

(٢٢٦) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٥٨٦.

(٢٢٧) عما يلي ذلك راجع Teksty, str. 3 (كرديزي).

(٢٢٨) في Teksty وردت خطأ «بزركان» بدلا من «برزكران».

(٢٢٩) السمعاني، تحت لفظ «الخرغوني».

من لفظ « العلم » علوم الدين وحدها التي كانت جذورها قد ثبتت آنذاك بخراسان وبلاد ما وراء النهر خاصة ببخارا[٢٣٠]؛ وقد نال عبد الله ومن قبله أبوه بعض الشهرة في مجال الشعر، كما أن ابن أخيه منصوراً بن طلحة حاكم مرو وآمل وخوارزم قد دون بعض الرسائل الفلسفية وكان عبد الله يدعوه « بحكيم آل طاهر » ويفخر به كثيراً[٢٣١].

أمّا الثورات الشعبية التي شغلت الطاهريين فكان أخطرها اثنتين هما حركة الخوارج بسجستان وحركة الشيعة بطبرستان، وكلا الحركتين ظلت مستمرة إلى عهد السامانيين أيضاً. غير أن العناصر المتمردة لم يشتد ساعدها إلاّ في عهد محمد بن طاهر حفيد عبد الله، وكان أبوه طاهر بن عبد الله (٨٤٤-٨٦٢) خير خلف لعبد الله بن طاهر. والمؤرخون يتحدثون عن أيام حكمه وعن أخلاقه الكريمة بالقدر من التبجيل الذي تحدثوا به عن والده عبد الله بن طاهر[٢٣٢]. أما محمد بن طاهر فقد خلف أباه في سن الحداثة[٢٣٣]، والمؤرخون يصورونه حاكماً ضعيفاً أسلم نفسه للملذات[٢٣٤]. وكان حاكم طبرستان آنذاك عم لمحمد هذا اسمه سليمان بن عبد الله، وقد حدث أن قسماً من الأراضي الواقعة بين ولايتي طبرستان والديلم المُطِلَّتَيْن على بحر قزوين كان ملكاً للخليفة فمنحه لمحمد بن عبد الله الذي كان حاكماً لبغداد في الفترة بين عامي ٨٥١ و٨٦٧. وأوكل محمد إدارة هذه الأرض إلى رجل نصراني يدعى جابر بن هارون الذي وضع يده أيضاً على « السوافي » الملاصقة لأرض محمد، أعني المراعي التي ترعى فيها سائمة أهالي القرى المجاورة والتي لم تكن ملكاً لأحد من الناس. وقد أدى هذا الإعتداء على حقوق الأهالي إلى اشتعال نيران ثورة شاملة تزعّمها العلويون[٢٣٥]، وفي عام ٨٦٤ تمكن الحسن بن زيد من سلالة العلويين من جعل نفسه حاكماً على الولاية، وظل حاكماً لها فيما عدا فترات قصيرة حتى عام ٨٨٤. فنحن بإزاء حركة شيعية أشعلها الإعتداء على حقوق الزراع، 273 ويبدو أن هذا الطابع الديمقراطي نفسه قد اتخذته الثورة التي/اندلعت في عام ٣٠١ هـ= ٩١٣-٩١٤ ضد السامانيين تحت زعامة الحسن بن علي الأطروش الذي عُدّ أيضاً من

---

(٢٣٠) نرشخي، ص ٥٤.
(٢٣١) الفهرست، الجزء الأول، ص ١١٧.
(٢٣٢) Teksty, str. 3 (كرديزي)؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٣٠٧.
(٢٣٣) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٦٠٥.
(٢٣٤) كرديزي، اكسفورد الورقة ١٠٤، (كمبريدج الورقة ٨٤ أ، طبعة محمد ناظم ص ١٠).
(٢٣٥) الطبري، القسم الثالث، ص ١٥٢٣ - ١٥٢٦.

سلالة علي. هذا وقد نجح الحسن في نشر الإسلام بين الديلم[٢٣٦] واستمال إليه الأهالي وظل متمتعاً بالإجلال والتوقير في نفوسهم حتى وفاته، ويثني المؤرخون المنصفون[٢٣٧] على حكمه العادل. غير أن البيروني[٢٣٨] بما عرف عنه من عاطفة نحو التقاليد الفارسية القديمة يتهمه بالقضاء على نظام الأسرة الفارسي القديم الذي وضع أساسه افريدون الأسطوري، وذلك بقوله: « تملك افريدون وما أمر به الناس من تملك دورهم وأهاليهم وأولادهم وتسميتهم بالكذ خذاه أي رب الدار..... وقد أزال الناظر الأطروش ذلك وأعاد اشتراك المردة مع الناس في الكذ خذا هية ». ومن هذا يتبين أن الحسن قد قضى على أرباب الضياع الكبيرة.

أما في خراسان وما وراء النهر فلم يكن هناك بالطبع مجال للقيام بمثل هذه الإجراءات المشدّدة في سبيل مصالح الطبقات الدنيا، فلم يبق أمام الساخطين على الأوضاع إلاّ أن ينخرطوا في سلك المجاهدين والمطّوعين ويرتحلوا إلى الثغور لقتال الكفار والملاحدة. ولم تلبث جماعة المجاهدين هذه (حيث استعمل إلى جانب لفظ « غازي » و« فتى » أيضاً لفظ « المطّوعة »، وأصلها « المتطوعة ») أن أصبح لها نظام نقابي كغيرها من أهل الحرف في المشرق. ولم يكن من النادر أن يكتسب زعماء هؤلاء المطّوعة شهرة واسعة وأن ينالوا اعتراف الجهات الرسمية[٢٣٩]. ولمّا لم يكن للمطّوعة ما يربطهم بأوطانهم فقد كانوا، خاصة القادمين منهم من بلاد ما وراء النهر، يعرضون خدماتهم حيثما يكون الجهاد وتوقّع الغنائم[٢٤٠]، ولم يخل الأمر بطبيعة الحال من لحظات تعرض فيها الحكام أنفسهم لخطر هذه الفئة خلال الإستعانة بخدماتها. ويغلب على الظن أن المقدسي[٢٤١] إنّما يقصدهم في هجائه المشهور لأهل بنكث لمّا قال عنهم إنهم « عدة للسلطان ومشغلة »، يريد بذلك لدولة السامانيين[٢٤٢]. كما أنه كان لدى كرديزي[٢٤٣] من الأسباب ما جعله يطلق

(٢٣٦) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٦١.

(٢٣٧) شرحه، ص ٦٤؛ الطبري، القسم الثالث، ص ٢٢٩٢.

(٢٣٨) الآثار الباقية، طبعة زخاو ص ٢٢٤؛ ترجمة زخاو، ص ٢١٠.

(٢٣٩) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٢٣؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٢٣): « سالار غازيان ».

(٢٤٠) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٣٤٧؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٢٨٣).

(٢٤١) عن القوات العسكرية بالشاش وفرغانة، انظر الاصطخري، ص ٢٩١.

(٢٤٢) المقدسي، ص ٢٧٦.

(٢٤٣) Teksty, str. 4 (عن يعقوب بن الليث)، وص ١٣ (عن ابن علمدار) وهو الذي يدعى في تاريخ العتبي (أنظر العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٣٤١) « ريس الفتيان بسمرقند »؛ وفي الترجمة الفارسية لتاريخ العتبي (أنظر نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٢٥): « سپه سالار سمرقند ».

عليهم اسم « العيّارين » بدلاً من التسميات التي مرت بنا قبل قليل . وكما هو الحال في كل مكان فإن عناصر الأضطراب تمتعت بالقوة والنفوذ في المدن الكبرى بالذات ، وقد سبب 274 سكان سمرقند متاعب جمة للسامانيين أنفسهم[٢٤٤] ، وفي عهد/تيمور صمدت هذه الفئة (« غازيان ») لهجوم أجنبي رغماً من أن المدينة لم تكن محصّنة . ولكنهم لم يلبثوا أن تعرضوا عقب ذلك للإضطهاد من طرف الحكومة[٢٤٥] . ووفقاً لأقوال الرحالة المحدثين فإن سمرقند تمتعت بهذه السمعة حتى عهد الأسرة الحاكمة حالياً ببخارا[٢٤٦] .

وبخراسان نلتقي منذ عام ٨٢١ بثورة يؤجج نارها أحد المطّوعة[٢٤٧] . وقرب نهاية ذلك القرن انبعثت بين صفوف هذه الفئة دولة الصفّاريين القوية التي وضعت حداً لحكم الطاهريين وآل إليها زمام الأمور بإيران . ولم يقف الصفّاريون عند هذا الحد بل حاولوا أن يمدوا سلطانهم على ما وراء النهر فكان في ذلك خراب دولتهم . وينتمي مؤسس هذه الدولة يعقوب بن الليث بن معدّل هو وإخوته الثلاثة عمرو وطاهر وعلي[٢٤٨] إلى مدينة قرنين بسجستان ، وهي تقع على مرحلة من عاصمة الولاية زرنج وذلك على يسار الذاهب إلى بست . وقد انتقل يعقوب إلى المدينة (أغلب الظن أنها زرنج) فعمل لدى رجل صفّار (أي الذي يعمل الأواني من الصفر وهو النحاس) وكان يتقاضى خمسة عشر درهماً في الشهر لقاء عمله ، أمّا أخوه عمرو فإن إحدى الروايات تذكر أنه كان مكارياً يعمل باكراء الحمير ، بينما تجعله رواية أخرى نجّاراً . ومهما كان الأمر فقد برز الإخوة سريعاً من بين أقرانهم والتف حولهم الناس لما عُرفوا به من كرم وسخاء ، ثم لم يلبثوا أن ربطوا كفاحهم مع خالهم كثير بن رقّاق وكوّنوا عصابة لقطع الطريق ، وتلا ذلك أن انخرطوا في

---

(٢٤٤) أنظر أعلاه ، ص ١٧٤

(٢٤٥) شرف الدين يزدي ، ترجمة پتي دي لا كروا ، الجزء الأول ، ص ٩١ - ٩٦ ؛ طبعة كلكتا ، الجزء الأول ، ص ١٠٩ - ١١٢ . وعن عرض أكثر تفصيلا راجع Bartold, Narodnoe dvijenie v Samarkande, str. 01 - 014

(٢٤٦) J. Wolff, Narrative of a mission to Bokhara, 5th edition, Edinburgh & London, 1848, pp. 202 - 203

(٢٤٧) الطبري ، القسم الثالث ، ص ١٠٤٤ .

(٢٤٨) عن أصل الأسرة راجع Teksty, str. 3 - 4 (گرديزي) ؛ والاصطخري ، ص ٢٤٥ - ٢٤٧ ؛ وابن خلكان ، طبعة ڤستنفلد ، رقم ٨٣٨ (وترجمة دي سلان ، الجزء الرابع ، ص ٣٠١ وما يليها) . وثمة عرض موجز وبارع لتاريخ دولة الصفاريين ندين به للبروفسور نولدكه (Nöldeke, Orientalische Skizzen, S. 187 - 207) أنظر أيضاً Barthold, Zur Geschichte der Saffariden

زمرة جماعة من « المطّوعة » كانت تعمل تحت قيادة درهم بن نصر بن صالح[٢٤٩] في مجاهدة خوارج سجستان، هذا على الرغم من أن يعقوب نفسه كما بيّنت في بحث مستقل كان في بداية أمره خارجياً[٢٥٠]. وفي صدام لهم مع الخوارج قرب بست قُتل أحد الأخوة وهو طاهر. غير أن المطّوعة سرعان ما جعلوا من أنفسهم حلفاء غير مرغوب فيهم لدى السلطان/حتى اضطر ابراهيم بن الحسين[٢٥١] الذي كان يتولى أمور سجستان للطاهريين إلى 275 مغادرة الولاية وتركها في أيديهم. وأعقب ذلك أن جعل درهم من نفسه الحاكم الفعلي لسجستان وعيّن يعقوب حاكماً لمدينة بست، ولكن يعقوب لم يلبث أن كسف بأعماله الجريئة شخصية زعيمه في أعين المقاتلين مما حدا بدرهم إلى أن يساير اتجاه الجماعة ويتنازل عن الزعامة ليعقوب وينخرط في زمرة أصحابه؛ ووفقاً لأحد المصادر التي اعتمد عليها ابن خلكان فقد حدث هذا على وجه الدقة في يوم الأحد السادس من المحرم عام ٢٤٧ هـ الموافق الثاني والعشرين من مارس عام ٨٦١. من هذا يتبيّن لنا أن يعقوب على غير ما يرويه اليعقوبي[٢٥٢] قد بزغ نجمه منذ عهد طاهر بن عبد الله.

هذا وقد شغل يعقوب نفسه منذ البداية بتقوية سلطانه بسجستان، فقتل الملك المحلي الذي كان يحمل لقب رتبيل[٢٥٣] وقضى على الخوارج[٢٥٤]. وتلا هذا أن مد سلطانه على

---

(٢٤٩) يرد ذكر درهم بن نصر لدى الطبري (القسم الثالث، ص ١٨٩٢) بوصفه شخصاً يعمل في خدمة يعقوب. وفي متن كرديزي يبدو أن الألفاظ « درهم بن » قد سقطت قبل « نصر ». أما الاسم « درهم بن الحسين » لدى كل من ابن الأثير وابن خلكان فيبدو أن مصدره هو الخلط بين ذلك الشخص وبين ابراهيم بن الحسين. ويجعل خواندمير (حبيب السيّر، طبعة طهران ١٢٧١ هـ = ١٨٥٤–١٨٥٥، الجزء الثاني، ص ١٢٧) درهم هذا حفيداً لرافع بن الليث (أنظر ما مر من الكتاب، ص ٣٢١–٣٢٢).

(٢٥٠) Barthold, Zur Geschichte der Saffariden. وعن علاقة يعقوب بصالح بن نصر (أو ابن النضر) ودرهم (أغلب الظن أخ لصالح هذا) راجع شرحه، ص ١٧٨ وما يليها.

(٢٥١) لدى ابن معين (فردوس التواريخ، الورقة ٣٩٩أ): ابراهيم بن نصر بن رافع؛ ووفقاً لابن معين فقد التحق والد يعقوب بخدمته.

(٢٥٢) اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٦٠٥.

(٢٥٣) أو « زنبيل ». ويوكد ماركفارت (Eranšahr, S. 248) أن هذه القراءة « مقبولة أكثر من غيرها » ولكن دون ابداء أسباب وجيهة على ما يظهر. راجع Nöldeke, ZDMG, Bd LVI, S. 432

(٢٥٤) من الجلي أن يعقوب لم يقض على الخوارج بقدر ما نجح في ضمهم الى جماعته. على أية حال فقد جاء لدى نظام الملك (طبعة شيفير، المتن ص ١٩٤؛ الترجمة ص ٢٨٣، حيث لا تطابق الترجمة الأصل كثيراً) بصدد أحد الثوار أنه « كان من أصحاب يعقوب بن الليث واعتبر بين الخوارج خليفة له ». ويتهم حمد الله قزويني (تاريخ گزيده، مقتطف في ترجمة دفريمري JA, 4, XI, 419 – 420؛ طبعة براون، المتن ص ٣٧٥) يعقوب بن الليث كما اتهم البويهيين بأنهم كانوا يرون رأي الشيعة. كذلك يبدو =

وادي كابل ثم إلى السند ومكران، وأخيراً وفي عام ٨٦٧[٢٥٥] استولى على مدينتي هرات وبوشنج، والمدينة الأخيرة هي موطن الطاهريين الأوائل وكان يحكمها آنذاك طاهر بن الحسين بن طاهر[٢٥٦]. وفي عام ٨٦٩ وضع يعقوب يده على كرمان فمنح الخليفة المعتز (٨٦٦-٨٦٩) هذه الولاية لشخصين في آن واحد معاً هما يعقوب بن الليث وعلي بن الحسين حاكم فارس يريد بذلك إغراء كل منهما بالآخر رغبة في التخلص من أحدهما[٢٥٧]. وكان النصر حليف يعقوب الذي لم يكتف بالسيطرة على كرمان بل انتزع من خصمه فارس أيضاً. وفي عام ٨٧١ نال يعقوب رضاء الخليفة المعتمد (٨٧٠-٨٩٢)، وهو نفس ذلك الخليفة العباسي الذي كان يدير شئون الدولة في عهده أخوه أبو أحمد الموفَّق. فقد ضم إليه الخليفة ولاية بلخ وطخارستان[٢٥٨]، ووفقاً لرواية كرديزي[٢٥٩] فإن يعقوب كان قد وضع يده عليهما منذ عام ٨٧٠ بل إنه استولى في الوقت نفسه على غزنه وكرديز وكابل. وأخيراً وفي عام ٨٧٣ صمّم يعقوب على مهاجمة محمد بن طاهر نفسه وتذرع لذلك بأن محمداً قد أجار أعداء يعقوب. وانتهى الأمر بوقوع محمد أسيراً في يد يعقوب. وفي أول آغسطس من عام ٨٧٣ دخل يعقوب عاصمة الطاهريين[٢٦٠]. ويورد لنا كرديزي رواية طريفة عن الحادثة التي جرت لسفراء محمد مع يعقوب، فقد أمرهم محمد بأن يقولوا

276

= واضحاً أن نظام الملك اعتبر يعقوباً من الشيعة لأنه يورد على لسانه الألفاظ الآتية في مخاطبة الخليفة «لن يقر لي قرار حتى أرسل برأسك الى المهدية»، أي الى الفاطميين (طبعة شيفير، المتن ص ١٤، الترجمة ص ٢٠). وهذه الألفاظ لا أساس لها من الصحة لأن الدولة الفاطمية لم تكن آنذاك قد ظهرت الى عالم الوجود وبالتالي لم تكن مدينة المهدية قد شيدت بعد (راجع عن تأسيس هذه المدينة ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٧٠)، وان كانت في حد ذاتها تدفعنا الى الافتراض بأن يعقوبا قد ضم الى جماعته كل العناصر الثائرة من الطبقات الدنيا شأنه في هذا شأن أبي مسلم من قبل.

(٢٥٥) وفقاً لگرديزي (اكسفورد الورقة ١٠٥، كمبريدج الورقة ٨٥ أ، طبعة محمد ناظم ص ١٢) فان ذلك لم يحدث إلا في عام ٨٧١ هـ، أي بعد فتح بلخ. أما الطبري فيقول إن يعقوب زحف على هرات في عام ٨٦٢ (الطبري، القسم الثالث، ص ١٥٠٠). راجع Barthold, Zur Geschichte der Saffariden, S. 189

(٢٥٦) هذا الاسم يرد لدى كرديزي.

(٢٥٧) الطبري، القسم الثالث، ص ١٦٩٨.

(٢٥٨) شرحه، ص ١٨٤١.

(٢٥٩) Teksty, str. 4 (كرديزي).

(٢٦٠) يرد التاريخ لدى كرديزي (اكسفورد الورقة ١٠٦، كمبريدج الورقة ٨٥ ب، (طبعة ناظم ص ١٣) على أنه الثاني من شوال عام ٢٥٩ هـ؛ ولدى نولدكه (Orientalisch Skizzen, S. 195) على أنه الأحد الثاني من آغسطس؛ راجع أيضاً الطبري (القسم الثالث، ص ١٨٨١).

لغريمه: « إن كنت أتيت بأمر أمير المؤمنين فأرني عهدك ومنشورك حتى أسلمك الولاية وإلاّ فعد من حيث أتيت »(٢٦١)، فكان رد يعقوب أن سحب السيف من تحت مصلاته وقال: « هذا عهدي ولوائي »(٢٦٢).

ولم تستطع حكومة بغداد هذه المرة التزام الصمت حيال تصرفات يعقوب، خاصة وأن نفوذ الطاهريين ببغداد كان من شأنه أن يحمل الخليفة على أخذ جانب محمد. ففي عام ٨٧٤ تم جمع الحجاج القادمين من الأقطار الشرقية ببيت عبيد الله بن عبد الله الطاهري وقُرىء عليهم كتاب الخليفة يدين فيه يعقوب(٢٦٣)، ولكن تحركات يعقوب في اتجاه العاصمة سرعان ما أجبرت حكومة الخليفة على التنازل، فجمع الموفق التجار استجابة لطلب يعقوب وقرأ عليهم كتاباً جديداً للخليفة بتولية يعقوب على خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس وشرطة بغداد(٢٦٤). بيد أن هذا لم يوقف زحفه على العاصمة، إلاّ أن هزيمته في دير العاقول (في الثامن من ابريل عام ٨٧٦) أنقذت الدولة العباسية ولكن نتج عنها تجدد الإضطرابات بخراسان. وقد عيّن محمد بن طاهر الذي فك إساره جند الخليفة حاكماً للمرة الثانية على الولايات الشرقية، ولكنه ظل مقيماً جل وقته ببغداد تاركاً لأخيه الحسين بن طاهر متابعة العمليات العسكرية بمدن خراسان، وكان الحسين قد بلغ مرو الروذ منذ عام ٨٧٤ وهو في طريقه لمعاونة أخيه بجيش كان قد أمده/به أمير خوارزم وشخصيات أخرى. وتوفي يعقوب في يوم الثلاثاء التاسع من يونيو عام ٨٧٩(٢٦٥)، دون أن ينجح في تثبيت سلطانه إلاّ في ايران الجنوبية وحدها.

277

هكذا كانت نهاية « الصفّار » (الذي أخذت منه أسرته هذه التسمية فعرفت دولتهم باسم الدولة الصفّارية، أو دولة الصفّاريين) الذي دعاه أحد أعدائه وهو الحسن بن زيد

---

(٢٦١) كرديزي، اكسفورد الورقة ١٠٦، كمبريدج الورقة ٨٥ ب، (طبعة محمد ناظم ص ١٣): « اكر بفرمان أمير المومنين آمدي عهد ومنشور عرضه كن تا ولايت بتو سپارم واكر نه بازكرد » [أي « إن كنت جئت بعهد أمير المؤمنين ومنشوره فأرينها حتى أسلمك الولاية وإلا عد من حيث أتيت » - المترجم].

(٢٦٢) شرحه: « يعقوب شمشير از زير مصلى بيرون آورد وكفت عهد ولواى من اينست » [أي « فسحب يعقوب السيف من تحت مصلاته وقال هذا عهدي ولوائي » - المترجم].

(٢٦٣) الطبري، القسم الثالث، ص ١٨٨٧.

(٢٦٤) شرحه، ص ١٨٩٢.

(٢٦٥) هكذا وفقاً لابن خلكان، أما نولدكه (Orientalisch Skizzen, S. 204) فيجعله يوم الأربعاء الخامس من يونيو؛ ولكن ذلك اليوم كان خميساً.

حاكم طبرستان « بالسندان » لثباته وشدة بأسه. ولم يحاول يعقوب أن يشغل نفسه بتبرير شرعية أعماله بل اعتمد على سيفه وحده[٢٦٦]، ولذا فقد اهتم بخلق جيش يحمل له الولاء التام وبالحصول على الأموال اللازمة لمتابعة حروبه مما دفعه مراراً إلى مصادرة أملاك الأغنياء. وبالرغم من الفشل الذي منيت به أعماله العسكرية في أواخر سني حياته إلاّ أنه وجد بخزانته عقب وفاته أربعة ملايين من الدنانير وخمسون مليوناً من الدراهم، ويروي صاحب « تاريخ خيرات »[٢٦٧] أن يعقوب كان يمتلك خمسة آلاف جمل وعشرة آلاف حمار، وكان جنده باستثناء الكبار والقادة يتسلمون الخيل والعلف من خزائنه. هذا وقد ظل يعقوب في حياته الخاصة جندياً بسيطاً، فكان يلبس القطن ويجلس على الأرض ويتوسد ذراعه عند النوم. ولكنه في المناسبات الرسمية، خاصة عند استقباله للسفراء، كان يحيط به حرسه الذي انتقاه من خيرة جنده وكان مكوناً من كتيبتين تضم كل واحدة ألف رجل، وكان جنود الكتيبة الأولى يحملون أعمدة من الذهب بينما كان جنود الكتيبة الثانية يحملون أعمدة من الفضة. وكان يعقوب يقضي بنفسه في جميع أمور دولته ولم يشرك معه أحداً في شئون الحكم.

هذا وقد اضطر أخوه عمرو بن الليث الذي خلفه في الحكم (٨٧٩-٩٠٠) إلى الإلتجاء إلى أسلوب آخر في نضاله مع خصومه فاتبع سياسة اللين والمهادنة واضعاً كل اعتبار لتغير الظروف. وقد نصّبه جنود أخيه خلفاً له ولكن عمراً سارع بتقديم فروض الطاعة للخليفة الذي عيّنه والياً على خراسان وفارس وأصفهان وسجستان وكرمان والسند[٢٦٨]، مما سهل على رجال الدين والمطّوعة قبوله حاكماً شرعياً على تلك المناطق من بين جميع منافسيه[٢٦٩]. بل إن عمراً ذهب إلى أبعد من ذلك فقام بمحاولة لمصالحة الطاهريين، وبوصفه صاحباً لشرطة بغداد فقد عيّن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خليفته

---

(٢٦٦) الى جانب الألفاظ التي أوردناها أعلاه نقلا عن كرديزي راجع أيضا نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٤، الترجمة ص ٢٠.

(٢٦٧) موسوي، تاريخ خيرات، الورقة ١٣٣ أ (راجع أعلاه، ص١٣٤). وقد وقفت على هذه المخطوطة وعلى مخطوطات أخرى مثل « تاريخ بيهق » (أنظر أعلاه، ص١٠٠، حاشية ١٩٧) بعد طبعي لسفر « المتون » Teksty ومائة وستين صفحة من البحث « تركستان ». وعن « تاريخ خيرات » ومؤلفه موسوي، راجع Bartold, Istorik Musevi, str. 1365 i sl.؛ ومادة موسوي عن يعقوب بن الليث منقولة عن المسعودي (المروج، الجزء الثامن، ص ٤٦ وما يليها؛ وفيما يتعلق بالجمال والحمير نفس المرجع، ص ٥٥).

(٢٦٨) الطبري، القسم الثالث، ص ١٩٣٢.

(٢٦٩) Teksty, str. 4 (كرديزي).

هناك وأرسل إليه صولجاناً من الذهب علامة على تعيينه له في هذا المنصب[٢٧٠]. ورغماً من كل هذا فقد ثبتت استحالة التفاهم مع الطاهريين الذين قام من بينهم الحسين بن طاهر بالإستيلاء على مرو في عام ٨٧٧[٢٧١] (وكان يحكمها قبله « أخ لخوارزمشاه »). وفي ابريل من عام ٨٨٥ أُعلن تعيين محمد بن طاهر مرة ثانية والياً على خراسان فاختار رافع ابن هرثمة الذي كان قد استولى على نيشابور منذ ٨٨٢ نائباً عنه بها[٢٧٢]، ولعن الخليفة عمراً بحضور حجاج خراسان كما أمر أيضاً بلعنه على المنابر[٢٧٣]. ولكننا نبصر عمراً في عام ٨٨٩ يتمتع من جديد بعطف الخليفة ويعيّن للمرة الثانية أيضاً عبيد الله بن عبد الله نائباً له ببغداد، وكُتب اسم عمرو « على الأعلام والمطارد والترسة »، ولكن في بداية عام ٨٩٠ عُزل مرة أخرى وطُرحت « المطارد والأعلام والترسة التي كانت في مجالس الشرطة التي عليها اسم عمرو بن الليث »[٢٧٤]. ولم يتم الإعتراف بعمرو اعترافاً كاملاً بوصفه حاكماً شرعياً على خراسان إلاّ في عام ٨٩٢ بتولي المعتضد عرش الخلافة، وقد « نصب اللواء » الذي أرسل من بغداد بصحن قصر عمرو بنيشابور لمدة ثلاثة أيام كبرهان ملموس على رضاء الخليفة عن عمرو[٢٧٥].

وقد قام سلطان عمرو في واقع الأمر على السيف كسلطان أخيه، ولذا فقد كان ضرورياً له أيضاً أن يحصل على الأموال اللازمة لمتابعة حروبه، وقد تمكن من تحقيق ما أراد معتمداً على نظام اقتصادي محكم، هذا إلى جانب ما جمعه عن طريق النهب ومصادرة أموال الغير. ولا علم لنا بمقدار ما كان يعود على عمرو من مملكته، إلاّ أننا نستطيع أن نكوّن فكرة تقديرية عن ذلك اعتماداً على ما وصلنا من حقائق عن مقدار الخراج الذي كان يجبى في عهد الطاهريين والسامانيين. ووفقاً لقول الطبري[٢٧٦] فإن مجموع خراج الولايات التابعة لعبد الله بن طاهر بلغ عام وفاته ثمانية وأربعين مليوناً من

---

(٢٧٠) الطبري، القسم الثالث، ص ١٩٣٦.

(٢٧١) شرحه، ص ١٩١٥.

(٢٧٢) شرحه، ص ٢٠٣٩.

(٢٧٣) شرحه، ص ٢١٠٦.

(٢٧٤) شرحه، ص ٢١١٥ و٢١١٧.

(٢٧٥) شرحه، ص ٢١٣٣.

(٢٧٦) شرحه، ص ١٣٣٨ - ١٣٣٩. راجع أيضاً رواية المسعودي (المروج، الجزء الثامن، ص ١٢٥ وما يليها) بصدد الهدايا التي أرسل بها عمرو الى الخليفة عام ٢٨٣ هـ = ٨٩٦، وكان من بينها « صنم من صفر... كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها ».

الدراهم. أما ابن خرداذبه(٢٧٧) فيذكر أن مقدار الخراج الذي كان يدفعه عبد الله للخليفة قد بلغ أربعة وأربعين مليوناً وثمانمائة وستة وأربعين ألفاً من الدراهم، هذا زيادة على ثلاثة عشر من جياد الخيل وألفي رأس من الغنم وألفي رقيق من الغز قيمتها ستمائة ألف درهم وألف ومائة وسبعة وثمانين ثوب وألف وثلاثمائة قطعة من الحديد. هذه المعطيات تتصل بعام ٢١١ وعام ٢١٢ للهجرة (٨٢٦و٨٢٧)، أمّا في عام ٢٢١ هـ= ٨٣٦، إذا ما أخذنا بقول قدامة(٢٧٨)، فإن عبد الله قد التزم بدفع ثمانية وثلاثين مليوناً 279 تشمل/ثمن ما أرسل من الرقيق والغنم والثياب القطنية؛ ومن الجلي أن ما تبقى من العائد كان يتصرف فيه الطاهريون. ويجعل اليعقوبي(٢٧٩) خراج خراسان أربعين ألفاً يضم إليها خُمس الغنائم (أي المأخوذة في الحرب ضد الكفار) وهذا كله كان يتمتع به الطاهريون وحدهم، وإلى جانب هذا كان الطاهريون يتسلمون ثلاثة عشر مليوناً من العراق عدا ما كان يصل إلى أيديهم من الهدايا والتحف. أما ابن حوقل(٢٨٠) والمقدسي(٢٨١) فيجعلان خراج خراسان قريباً من هذا المقدار على عهد السامانيين. وأما ما كان يجبيه عمرو من ضرائب من أملاكه، فيما عدا بلاد ما وراء النهر التي لم تخضع له، كان أقل من ذلك بكثير، غير أنه بأجمعه كان تحت تصرف عمرو على النقيض مما كان عليه الحال مع الطاهريين. وليس لدينا ما يفيد بأنه أرسل أية أموال إلى بغداد سوى الهدايا التي كان يبعث بها من وقت لآخر. ويذكر ابن معين(٢٨٢) أن عمراً هو أول سلطان مسلم يأمر بذكر اسمه في خطبة الجمعة التي كانت حتى ذلك العهد مقصورة على إيراد اسم الخليفة وحده؛ وحتى إذا لم تثبت صحة هذا الزعم(٢٨٣) فإن عمراً كان يتمتع على أية

---

(٢٧٧) ابن خرداذبه، ص ٢٨.

(٢٧٨) قدامة، ص ١٨٥.

(٢٧٩) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٣٠٨.

(٢٨٠) ابن حوقل، ص ٣٤١.

(٢٨١) المقدسي، ص ٣٤٠.

(٢٨٢) مخطوطة فردوس التواريخ، الورقة ٤٠٠أ: «پيش ازان در خطبه جز خليفه را دعا نمى كردند وبنيادنام پادشاه در خطبه او نهاد» [أي «ولم يكن الدعاء قبل ذلك في الخطبة الا للخليفة، فكان هو أول من أدخل اسم السلطان في الخطبة» - المترجم].

(٢٨٣) راجع رواية نرشخي (طبعة شيفير، ص ٧٧) فيما يتعلق بالخطبة باسم يعقوب ثم من بعد باسم نصر بن أحمد ببخارا. ولعل هذه الروايات ليست أهلاً للثقة التامة. ويبدو جليا أن عمرا هو أول حاكم من حكام الشرق يسك النقود الفضية باسمه واسم أبيه. وكما هو معلوم فان العلاقة وثيقة بين السكة والخطبة في الدول الاسلامية.

حال بدرجة من الإستقلال فاقت كثيراً ما كان يتمتع به الطاهريون. ويقول ابن خلكان إن خراسان لم تر منذ زمن طويل حاكماً في كفاءة عمرو وحسن سياسته. أمّا فيما يتصل بسياسته المالية فإن كرديزي(٢٨٤) يقدم المعلومات الآتية التي استقاها فيما يغلب على الظن من السلاّمي: كان لعمر ثلاث خزائن الأولى تضم الأموال المجموعة من خراج الأرض وغيرها من الضرائب، وكان يستعمل هذا المال في القيام بأمر جيشه، أما الخزانة الثانية فكانت تضم الأموال المجموعة من الأملاك الخاصة بالأمير وكانت تصرف على متطلبات بلاطه، وأما الخزانة الثالثة فكانت تضم الأحداث(٢٨٥) وما صودر من أملاك أتباعه الذين انضموا إلى صفوف عدوه، ومن هذه الخزانة الأخيرة كان يوزع الصلات على خدمه المخلصين وعلى الكبراء والسفراء. وفيما يتصل بمصادرة أملاك الغير فإن عمراً كان/ 280 لا يلجأ كما يقول كرديزي إلى هذه الوسيلة إلاّ إذا وجد مبرراً كافياً(٢٨٦).

وكان الجيش موضع عناية خاصة من عمرو، ويتسلم أرزاقه في كل ثلاثة أشهر وسط عرض مهيب، ويحفظ ابن خلكان وكرديزي(٢٨٧) رواية لعرض كهذا استعاراها من السلاّمي. وكان دفع أرزاق الجند يقع تحت إدارة موظف خاص هو العارض الذي كان يأخذ مجلسه في المكان المعيّن للعرض، وعندما يُسمع صوت طبلين هائلين يتجمع الجيش بأكمله في ذلك الموضع. وتوضع أكياس الدراهم أمام العارض بينما يمسك معاونه بيده قائمة بأسماء الجند يناديهم منها. وينادي المنادي أولاً اسم عمرو بن الليث فيتفقد العارض دابته وآلتها بدقة ثم يعرب عن رضاه ويدفع له ثلاثمائة درهم فيضع النقود في خفه ويقول: « الحمد لله الذي وفّقني لطاعة أمير المؤمنين حتى استوجبت منه الرزق ». ثم يرجع عمرو فيأخذ مجلسه على صعيد من الأرض ليرقب فرسانه ورجاله يتقدمون بدورهم أمام العارض ليفحص دوابهم وآلاتهم ويسلمهم أرزاقهم. ولم يتنكب ابن خلكان الصواب

---

(٢٨٤) Teksty, str. 4 (كرديزي).

(٢٨٥) يبصر جيدا من سياق المتن ما هو المقصود بلفظ « أحداث »، والتي لم يستطع فون كرير توضيحها Von Kremer, Culturgeschichte des Orients, Bd. I, S. 200.ولعله يمكن أن تعني أيضاً ريع الأرض المزروعة حديثاً ؛ راجع لفظ « المستحدثة » (Rozen, ZVORAO, t. IV, STR. 135).كذلك استعمل نفس اللفظ في معنى مخالف تماما ويقصد به « الشبّان » المنخرطون في وحدة عسكرية خاصة، لعله في نفس المعنى الذي نفهمه من « غازيان » أو « المطوّعة » (راجع أعلاه).

(٢٨٦) يروي لنا كرديزي عقب هذا كيف أن عمرا اتهم واحدا من كبار رجال دولته وهو محمد بن بشر بأقسى التهم، ولكن لم يلبث أن أغضى عن اتهاماته عندما فهم ذاك مقصود قوله فسلّم جميع ممتلكاته للخزينة.

(٢٨٧) Teksty, str. 4 – 5 (كرديزي).

عندما لاحظ شدة الشبه بين هذه العادة التي سار عليها عمرو وبين وصف عرض الجيوش عند الساسانيين في عهد كسرى أنوشروان[٢٨٨]؛ ومن المستبعد أن يكون هذا التشابه من قبيل الإتفاق فحسب.

ولا علم لنا بما كانت عليه الإدارة في عهد عمرو، وكل ما يذكره كرديزي هو أنه كان لعمرو جواسيس في كل مكان وأنه كان على علم بكل ما يجري في أراضيه[٢٨٩]. أما صاحب «تاريخ خيرات»[٢٩٠] فيروي أن عمراً اشترى غلماناً أحداثاً وربّاهم في خدمته ثم أهداهم إلى كبار رجال دولته وأن هؤلاء الغلمة كانوا ينهون إليه كل أعمال أسيادهم. ولم يكونوا يخشون أسيادهم لأن أحداً لم يكن ليجرؤ في عهد عمرو على معاقبة غلامه إلاّ بإذن منه.

ولم يكتف عمرو بمد سلطانه على ايران وحدها بل رأى أن حق الطاهريين على ما وراء النهر إنما يجب أن يقع إليه أيضاً، وكانت هذه الدعوى هي السبب في القضاء عليه. ذلك أن سلطان السامانيين آنذاك كان قد توطد في بلاد ما وراء النهر أكثر من ذي قبل. هذا فوق أنه في تلك اللحظة بالذات كان يتولى شئون البلاد رجل لم يكن دون عمرو في المقدرة واستطاع كعمرو أن يخلق على أراضيه نظاماً حكومياً متيناً أقام قواعده على أسس أكثر عدلاً وإنسانية مما كان عليه الحال مع النظام الذي أقامه «المكاري» السابق.

281 ذلك هو اسماعيل بن أحمد الذي ولد بفرغانه عام ٨٤٩ وبدأ حياته السياسية ببخارا عندما بعث به إليها أخوه نصر عام ٨٧٤. هذا وقد مرت على بخارا بعد سقوط الطاهريين[٢٩١] نفس الظروف القاسية التي مرت بها مدن خراسان فلم تعرف حاكماً قوياً يبعث الطمأنينة في نفوس الأهالي. وفي بداية عام ٨٧٤ وصل إلى بخارا قادماً من خوارزم الحسين بن طاهر الطائي، ولعله ذلك الشخص المعروف الذي ينتمي إلى أسرة الطاهريين، وقد قاومه الأهالي ولكنه استطاع بعد قتال دام خمسة أيام أن يستولي على المدينة،

---

(٢٨٨) الطبري، القسم الأول، ص ٩٦٣ - ٩٦٥؛ الدينوري، ص ٧٤ - ٧٥.

(٢٨٩) Teksty, str. 5 (كرديزي).

(٢٩٠) موسوي، تاريخ خيرات، الورقة ١٣٦ ب.

(٢٩١) التفاصيل التالية مأخوذة عن نرشخي (طبعة شيفير، ص ٧٦ وما يليها)؛ [لعل Bosworth مصيب في تشككه أن الحسين بن طاهر الطائي ليس هو الحسين بن طاهر بن عبد الله، وهو يحيل في هذا الى مقال لفاسمر R. Vasmer, «Über die Münzen der Saffaridem und ihrer Gegner in Fars und Hurasan», Numismatische Zeitschrift, LXIII, 1930, S. 148 - 149]

فارتكب جنوده الخوارزميون كل ضروب الفساد وأحرقوا قسماً كبيراً من المدينة. وقد وعد الحسين الأهالي بالعفو التام، فلمّا اطمأنوا إلى وعده وتفرقوا عاد فنكث بقوله فانفجرت الثورة من جديد وحوصر الحسين في قصره واضطر إلى الهرب ليلاً تاركاً وراءه المال الذي كان قد جمعه من الأهالي فتقاسمه الثوار فيما بينهم «واغتنى منه أناس كثيرون فظل أثر هذا في أعقابهم». وبعد رحيل الحسين تجددت الإضرابات والفتن ببخارا فاجتمع أهل العلم والصلاح حول شخص أبي عبد الله الفقيه، وهو ابن أبي حفص المشهور، فنصحهم بأن يلتمسوا العون من نصر بن أحمد الذي بعث إليهم بأخيه اسماعيل. فلمّا بلغ اسماعيل كرمينيه خرج أبو عبد الله بنفسه لاستقباله وطمأنه كثيراً كما يروي المؤرخون على مستقبله، «وقد أدرك اسماعيل أن أهل المدينة لا ينقضون ما يفعله أبو عبد الله فقوّى ذلك من عزيمته». ومن الجائز أن يكون اسماعيل قد استعمل أبا عبد الله وسيطاً لعقد الصلح مع الأمير الحسين بن محمد الخارجي الذي فرض سلطانه على بخارا في حوالي ذلك الوقت، ويبدو من لقبه أنه كان من زعماء الخوارج، وليس ببعيد أن كان من أصحاب يعقوب بن الليث. وقد تم الإتفاق على أن يصبح اسماعيل أميراً لبخارا والحسين نائباً له، وأقسم له الجيش كله يمين الطاعة. وفي أول جمعة من رمضان (الموافق ٢٥ يونيو من عام ٨٧٤) تُليت خطبة الجمعة باسم نصر بن أحمد بدلاً من يعقوب بن الليث، وعقب ذلك بأيام دخل اسماعيل بخارا[٢٩٢] ونكث عهده على الفور فأمر بسجن الحسين وجعل من نفسه الحاكم المطلق للمدينة.

غير أن الوضع الذي وجد فيه اسماعيل نفسه كان عسيراً للغاية، فقد كان عليه أن يواجه ريبة أخيه نصر في إخلاصه له، وأن يواجه دسائس الحسين بن طاهر، وعصابات اللصوص من الفلاحين الذين ساءت أحوالهم، كما كان عليه أخيراً أن يواجه المتمردين من كبراء بخارا. وقد خرج اسماعيل ظافراً من كل هذه الصعاب. ففي نضاله ضد اللصوص الذين بلغ عددهم أربعة آلاف وكانوا يقطعون الطريق بين بركد وراميثن استعان اسماعيل بملّاك الأراضي/والكبراء الذين كانت مصالحهم الشخصية بطبيعة الحال تتطلب قبل كل شيء استتباب النظام والأمن. ولمّا أن تمكن اسماعيل من تحقيق هدفه هذا أبعد من بخارا أكبر ممثلي الطبقة الأرستقراطية المحلية وأكثرهم نفوذاً وعلى رأسهم بخارخدات

282

(٢٩٢) وفقاً لنرشخي (طبعة شيفير، ص ٧٨) يوم الاثنين الثاني عشر من رمضان. بيد أن ذلك اليوم من رمضان كان يوم خميس.

أبو محمد وواحداً من أغنى التجار هو أبو حاتم يسارى، وذلك بأن وجّه بهم كوفد إلى أخيه نصر بسمرقند وكتب إليه سراً بأن يتحفظ عليهم. وبعد أن أفاد من فترة غيابهم في توطيد مركزه بالمدينة طلب من أخيه أن يطلق سراحهم. فلما رجعوا إلى بخارا أحاطهم بعطفه ورعايته وجهد في إنجاز كل حوائجهم. ومن الجلي أنه كان يرمي بذلك إلى تثبيت قدمه وأن يثير في الوقت نفسه حفيظة الأرستقراطية على أخيه نصر لا على شخصه هو. وفي خلال النزاع الذي نشب بين الأخوين فيما بعد لم يكن الأهالي دائماً يأخذون جانب اسماعيل، ففي بيكند مدينة التجار قوبل نصر مقابلة حارة، بينما رفض الأهالي في إحدى النواحي أن يمدوا جيش اسماعيل بالمؤن لأنه كان في نظرهم خارجاً على الحكومة الرسمية. هذا وقد انتهى النزاع في خريف عام ٨٨٨[٢٩٣] بوقوع نصر أسيراً، ولكن اسماعيل كشف عن ذلك الإعتدال والتسامح اللذين عرف بهما واللذين كان تمليهما عليه الحكمة والتعقل، فعندما تقابل الأخوان لم يخاطب اسماعيل أخاه كما يخاطب الظافر أسيره بل وضع نفسه موضع أحد الرعايا من سلطانه. ولا شك أن هذا السلوكِ الحميد قد ترك أثره في نفس نصر، كما أنه من ناحية أخرى عمل على ذيوع شهرة اسماعيل. هذا وقد رجع نصر إلى سمرقند وظل الرئيس الأسمى للأسرة إلى حين وفاته في الحادي والعشرين من آغسطس عام ٨٩٢[٢٩٤]، وكان قبل ذلك قد أعلن اسماعيل خلفاً له فتم الإعتراف به في جميع أنحاء البلاد. وفي ربيع عام ٨٩٣ تسلم اسماعيل عهد الخليفة، وفي العام نفسه قام بحملة موفقة على طراز وحوّل كنيستها الكبرى إلى مسجد[٢٩٥]. وفي ذلك العام أيضاً تم خلع الأسرة الحاكم بأسروشنه وضمت المنطقة إلى الأراضي الخاضعة للسامانيين رأساً[٢٩٦].

---

(٢٩٣) يحدد نرشخي (طبعة شيفير، ص ٨٣) تاريخ المعركة بيوم الثلاثاء الخامس عشر من جمادي الثانية عام ٢٧٥ هـ ، ولكن ذلك اليوم كان يوم جمعة.

(٢٩٤) وفقاً لنرشخي (ص ٨٤) جمادى الأولى، بينما يجعلها السمعاني (تحت لفظ « سامان ») جمادي الثانية (أما اليوم من الشهر فيتفق فيه المصدران). وبما أن اليوم وفقاً للسمعاني كان يوم الاثنين فإن التاريخ الأول هو الأصح على ما يبدو.

(٢٩٥) راجع بارتولد Bartold, Otchet o komandirovke v Sredniu Aziu, str. 15 (اعتماداً على نرشخي وطبري). راجع أيضاً المسعودي (المروج، الجزء الثامن، ص ١٤٤ وما يليها) حيث يرد اسم الملك على أنه «الطنكس»(وهناك قراءات أخرى، راجع شرحه ص ٤٢٠) وأن عدد الأسرى من الترك بلغ خمسة عشر ألفاً كان من بينهم زوجة الملك الملقبة خاتون، وأن عدد القتلى كان عشرة آلاف. ويرى المسعودي أن هؤلاء الترك كانوا ينتمون الى قبيلة القارلوق (« الخرلخية » بالعربية).

(٢٩٦) راجع أعلاه، ص ٣٣٤

وفي العام التالي لهذا دعّم عمرو بن الليث حكمه بإيران واضطر الخليفة إلى إجابة جميع مطالبه. ففي فبراير من عام ٨٩٨ استدعى الخليفة نزولاً على رغبة عمرو حجاج 283 خراسان وقرىء عليهم قرار الخليفة بعزل اسماعيل وتولية عمرٍ على بلاد ما وراء النهر(٢٩٧)، وتلا ذلك أن وجه إلى عمرٍ بنيشابور بالخلع وبعهد ولايته على ما وراء النهر. ولم يسع عمراً إلاّ أن يعرب عن تهكمه وهو يتقبل خلع الخليفة، فعندما وضع رسول الخليفة الخلع بين يديه أخذ عمرو يرتديها الواحد تلو الآخر وهو يعبّر عن امتنانه حتى وضع الرسول أمامه عهد الخليفة على ولاية ما وراء النهر، فقال له عمرو: «ما أصنع به؟ فإن اسماعيل بن أحمد لا يسلم إليَّ ذلك إلاّ بمائة ألف سيف»، فكان رد الرسول: «أنت سألته فشمّر الآن لتتولى العمل في ناحيته». فأخذ عمرو عهد الخليفة وقبّله ثم وضعه بين يديه. بعد هذا انسحب سفير الخليفة فأنفذ عمرو إليه ومن معه سبعمائة ألف درهم(٢٩٨).

أما أخبار الحرب بين اسماعيل وعمرو فقد وصلتنا في روايات شتى، فالطبري(٢٩٩) يقول إن اسماعيل حاول منذ البداية أن يثني عمراً عن مقصده فرجاه أن يقنع بما في يده ويترك له ما وراء النهر فأبى عمرو إجابته إلى ذلك، ولكن الحال تغير فيما بعد حينما حصر جيش اسماعيل جيش عمرٍ قرب بلخ وأبى اسماعيل أن يقبل عروض الصلح التي عرضها عليه عمرو. وأما نرشخي فيروي أن عمراً عند تسلمه لعهد الخليفة كتب إلى أحمد بن فريغون حاكم جوزجان وإلى أبي داود حاكم بلخ(٣٠٠) وإلى اسماعيل بن أحمد يدعوهم إلى طاعته، فاستشاط اسماعيل غضباً لأن عمراً قد ساوى بينه وبين حكام صغار كهذين فأعلن عليه الحرب، وقد حاول عمرو دون جدوى أن يقنع اسماعيل بالمصالحة تاركاً له بلاد ما وراء النهر. على أية حال فإن اسماعيل استطاع أن يأخذ بزمام المبادرة من غريمه، فلم يكن مسرح القتال طيلة عامي ٨٩٩ و٩٠٠ ببلاد ما وراء النهر بل كان بالأراضي الواقعة إلى الجنوب من نهر أمودريا. وفي خريف عام ٨٩٩(٣٠١) هزم أكبر قواد

---

(٢٩٧) الطبري، القسم الثالث، ص ٢١٨٣.

(٢٩٨) ابن خلكان، طبعة ڤستنفلد رقم ٨٣٨؛ أنظر أيضا Teksty, str. 5

(٢٩٩) الطبري، القسم الثالث، ص ٢١٩٤.

(٣٠٠) عثر على نقود تحمل اسم هذا الوالي، واسمه الكامل هو ابو داود محمد بن أحمد، أنظر Markov, Inventarny katalog, str. 171

(٣٠١) حدثت هذه المعركة وفقاً لابن خلكان يوم الاثنين السابع عشر من شوال عام ٢٨٦ هـ، ولكن هذا اليوم كان يوم جمعة. ويجعله نولدكه (Orientalische Skizzen, S. 213) يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر عام ٨٩٨؛ ويبدو أنها وردت سهواً بدلا من عام ٨٩٩.

عمرٍ وهو محمد بن بشر وقتل[٣٠٢]، وأمر اسماعيل بإطلاق سراح جميع الأسرى دون فدية، جاهداً في هذه المرة أيضاً أن يستميل إليه قلوب أعدائه بكرم أخلاقه. أما عمرو فإن نية رجال دولته وجنده لم تكن خالصة نحوه وذلك لشدة بخله، ولذا فقد تخلى عنه عدد منهم وانضموا إلى صفوف اسماعيل من قبل وقوع المعركة الفاصلة، بل إن البعض الآخر/منهم انحاز إلى معسكر اسماعيل خلال المعركة نفسها التي حدثت قرب بلخ في ربيع عام ٩٠٠[٣٠٣] وانتهت بوقوع عمرٍ في الأسر وبإرساله بعد ذلك بقليل إلى بغداد. هذا وقد قوبلت أخبار هزيمة عمرٍ بسرور بالغ في عاصمة الخلافة، وعلى الرغم من أن تحركات اسماعيل كانت ضد رغبة الخليفة الظاهرية إلاّ أن الخليفة قد سارع بالتعبير للمنتصر عن رضاه التام[٣٠٤]. ويغلب على الظن أن حكومة بغداد وهي تستجيب لمطالب عمرٍ كانت في ذات الوقت تشجع اسماعيل سراً ضد عدوه[٣٠٥]. ولقد ظل اسماعيل حتى آخر أيام حياته المولى المخلص لأمير المؤمنين وظل يُخضع بالتدريج جميع ولايات ايران الشمالية[٣٠٦]. هذا وقد اضطر خلفاؤه فيما بعد إلى ترك مناطق بحر قزوين والقسم الغربي من ايران للأسر الحاكمة الشيعية من العلويين والزياريين والبويهيين[٣٠٧] الذين تمتعوا على ما يبدو بسند شعبي أكثر من السامانيين وجهدوا في إرضاء الروح القومية الإيرانية[٣٠٨].

وعواطف المؤرخين الذين استقينا منهم أخبار النزاع بين السامانيين والصفاريين

---

(٣٠٢) لدى نرشخي (طبعة شيفير، ص ٨٦): محمد بن الليث.

(٣٠٣) حدثت الواقعة وفقاً للسلامي في يوم الثلاثاء منتصف ربيع الأول عام ٢٨٧ هـ أي الثامن عشر من مارس؛ ويجعلها ابن خلكان في يوم الأربعاء ١٧ ربيع الثاني ولكن هذا اليوم (٢١ ابريل) كان يوم اثنين؛ أما العتبي - المنيني (الجزء الأول، ص ٣٤٣) فيجعلها في يوم الثلاثاء منتصف ربيع الثاني من عام ٢٨٧ هـ، وهذا الشهر توافق بدايته يوم السبت الخامس من ابريل عام ٩٠٠ م. وأما نرشخي (طبعة شيفير، ص ٨٨) فيعطي تاريخاً غير مقبول البتة (الأربعاء العاشر من جمادي الأولى عام ٢٨٨ هـ). وبحسب قول الطبري فان خبر الواقعة وصل بغداد في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من جمادى الاولى عام ٢٨٧ هـ وهو الموافق ٢٨ مايو عام ٩٠٠ م.

(٣٠٤) الطبري، القسم الثالث، ص ٢١٩٥.

(٣٠٥) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٤، الترجمة ص ٢٢.

(٣٠٦) أنظر بارتولد «اسماعيل بن أحمد» بدائرة المعارف الاسلامية.

(٣٠٧) أنظر لين پول، الأسر الحاكمة في الاسلام، ص ١٠٤ و١١٢ - ١١٩ (من الترجمة الروسية).

(٣٠٨) كان مؤسس دولة الزياريين وهو مرداويج يحلم بإعادة عرش الساسانيين (ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٢٢٦ - نقلا عن مسكويه، أنظر طبعة كايتاني، الجزء الخامس، ص ٤٨٩)؛ وكثيرا ما نلتقي في نقود البويهيين باللقب الفارسي القديم «شاهانشاه» أي ملك الملوك.

كانت بلا شك في جانب السامانيين. وقد اختلف السامانيون بأصلهم عن الطغاة العسكريين الذين انبعثوا من صفوف الشعب، فكانوا بذلك المتممين للطبيعيين للمهمةالتي بدأها الطاهريون وحماة للأمن والنظام، الأمر الذي كان يهم الطبقات العليا من المجتمع قبل غيرها. ويتضح من ألفاظ الطبري(٣٠٩) أن «التنّاء والدهاقين»، مهما كانت طبيعة علاقتهم بإسماعيل، قد برهنوا على أنهم أنصاره الأوفياء خلال نضاله مع عمرٍ. والواقع أن النظام الحكومي الذي أقام دعائمه اسماعيل أو أعاد تنظيمه من جديد، كان أكثر ملاءمة لمصالح الأرستقراطية من مبدأ المساواة بين عامة الناس الذي سار عليه الطغاة العسكريون من أمثال الصفاريين. وشُح معلوماتنا عن نظام الحكم في عهد الطاهريين لا يعاون/في الإجابة على سؤال مؤدّاه: إلى أي حد كان هذا النظام حقاً من عمل اسماعيل 285 وغيره ممن قاموا بتنظيم حكومة السامانيين ومنهم الوزير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني(٣١٠)؟ وعلى أية حال فليس تحت يدنا حقائق مفصلة في هذا الشأن إلاّ عن عصر السامانيين وحده لكي نتمكن بها من تكوين فكرة واضحة بما فيه الكفاية عن نظام الحكومة بخراسان وما وراء النهر وعن الأوضاع الإقتصادية في تلك البلاد.

كان يقف على رأس الدولة بطبيعة الحال حاكم مطلق مسئول أمام رب العالمين وحده(٣١١). وإذا لم تكن حكومة بغداد ترى في السامانيين غير ولاة و«موالي لأمير المؤمنين» بل و«عمال للدولة» (أي جباة ضرائب) فحسب(٣١٢)، إلاّ أنهم بلا ريب قد تمتعوا داخل أراضيهم بالإستقلال والسيادة التامة. وفي خلال النزاع من أجل العرش كثيراً ما كان الطرفان المتنازعان يلجآن إلى الخليفة يطالب كل منهما بأن يمنح عهد الولاية(٣١٣)، بل وهناك حالات منح فيها الخليفة عهد الولاية لأحد الثوار تنفيذاً لرغبة البويهيين الذين كانوا في عداء مع السامانيين(٣١٤)، غير أنه ليس هناك من دليل على أن عهد الولاية الذي كان يرسله الخليفة قد جعل الناس يميلون مع أحد المطالبين بالعرش أو كان له أهمية ما في النزاع الذي كان يحسم عادة بحد السيف. وفيما بعد عندما أصبح

---

(٣٠٩) الطبري، القسم الثالث، ص ٢١٩٤.

(٣١٠) Teksty, str. 6 (گرديزي).

(٣١١) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٩، الترجمة ص ١١.

(٣١٢) الطبري، القسم الثالث، ص ٢٢٧٩.

(٣١٣) شرحه، ص ٢٢٩٠.

(٣١٤) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

البويهيون يعزلون من يعزلون ويولون من يولون من الخلفاء وجدت حالات لم يكن يتم فيها الإعتراف في خراسان[٣١٥] بالخليفة الذي يعينونه، ولم يكن هذا ليمثل أدنى خطر بالنسبة لسلطان السامانيين. والمؤرخون من الفرس يطلقون على أمراء السامانيين أحياناً لقب «أمير المؤمنين»[٣١٦] أي أنهم يسبغون عليهم لقب الخلفاء، ووفقاً للتقاليد الإيرانية فقد كان المثل الأعلى للأمير هو أن يكون قبل كل شيء رب بيت[٣١٧] (كتخدا) حسن التدبير لشئون مملكته مهتماً بإسعاد رعيته، فهو الذي يقوم بشق القنوات وحفر الجداول تحت الأرض وبناء الجسور والإهتمام بأمر الريف وتشجيع الزراعة وتشييد المعاقل والحصون وبناء مدن جديدة وتجميل المدن بإقامة المباني الكبيرة الجميلة وإقامة الرباطات على الطرق الكبرى[٣١٨] وهلم جرا./غير أن الدور الرئيسي للأمير كان ينصبّ أساساً في اختيار من يعهد إليهم بإدارة شئون الدولة المختلفة. وكان النظام الحكومي بالقسم الشرقي من العالم الإسلامي يشطره أشبه ما يكون بالخط الفاصل الأحمر الذي يقسم كل أجهزة الدولة إلى مجموعتين رئيسيتين، هما البلاط (دركاه) والديوان (ديوان). ولا علم لنا قبل عهد السامانيين بوجود حرس خاص برأس الدولة بين دول القسم الشرقي للعالم الإسلامي أسوة بما كان عليه الحال عند العباسيين، ذلك الحرس الذي كان يتكون من المماليك الذين كانوا يُشترون قصداً لهذا الغرض وينتمون في الغالب إلى العنصر التركي. ونجد حرساً من هذا القبيل ببلاط اسماعيل وخلفائه، هذا بالرغم من أن «رجال الدركاه» لم يبلغوا في ذلك العهد ما بلغوه في العهود التي تلت من نفوذ وسيطرة. أما المناصب العسكرية الكبرى فإنها لم تكن وقفاً على ضباط الحرس وحدهم بل كان يتمتع بها أيضاً الأسر المحلية ذات الشأن. ونلتقي في صفوف الجند إلى جانب الترك بالدهاقنة أيضاً[٣١٩]، ذلك أن غالبية سكان بلاد ما وراء النهر كانت في تلك الأزمنة لا تزال تحمل السلاح[٣٢٠].

286

---

(٣١٥) Tizengauzen, O samanidskikh monetakh, str. 188 i sl. 234؛ ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٨١ والجزء التاسع ص ١٠٣.

(٣١٦) Teksty, str. 90 (عوفي).

(٣١٧) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١١٠، الترجمة ص ١٦٣

(٣١٨) شرحه، المتن ص ٦، الترجمة ص ٦ – ٧.

(٣١٩) الاصطخري، ص ٢٩٢؛ ابن حوقل، ص ٣٤٣.

(٣٢٠) Rozen, Rasskaz khilalia as-Sabi,str 275؛ أنظر هلال الصابي، تاريخ، المتن ص ٣٧٤، الترجمة ص ٤٠٠ (Eclipse of the Abbasid Caliphate).

ويصف نظام الملك[٣٢١] نشأة مملوك تركي ببلاط السامانيين منذ لحظة شرائه حتى يبلغ أعلى المراتب، وذلك على النحو التالي. ففي العام الأول كان المملوك (الغلام) يعمل سايساً للخيل ولم يكن ليجرؤ على امتطاء صهوة جواد حتى في السر وإلاّ كان جزاؤه العقاب الصارم. وفي هذه الفترة كان رداؤه من النسيج الزندنيجي (نسبة إلى قرية زندنه من أعمال بخارا، انظرص ٢١١ . وبعد عام من هذا يتسلم حصاناً تركياً بأمر من الحاجب وبموافقة رئيس الخيمة (وثاق باشي)، ومعه جهاز بسيط. أما في العام الثالث فيمنح حزاماً خاصاً (قراجور)، وفي العام الرابع قوساً وكنانة سهام. وفي العام الخامس كان يتسلم سرجاً أجود ولجاماً مكَوْكباً وزياً أفخر ودبوساً، أما في العام السادس فيصرف له قدح. وفي العام السابع رداء العرض العسكري، وفي الثامن كان يحمل لقب وثاق باشي أي رئيس الخيمة ويضم إليه ثلاثة غلمان من المماليك الجدد. وكان زي الوثاق باشي قلنسوة من اللباد الأسود مطرزة بالفضة ورداء كنجوى (نسبة إلى مدينة كنجه، وهي يليزا قتپول الحالية Yelizavetpol). بعد هذا كان المملوك يتدرج حتى يبلغ مرتبة خيل باشي (أي قائد كتيبة من الفرسان)، وأخيراً يصل إلى مرتبة الحاجب. وعلى رأس جميع رجال البلاط يقف الحاجب الأكبر (حاجب بزرك) أو حاجب الحجّاب الذي كان يعد من أعمدة الدولة.

أما المنصب الثاني في الأهمية بالبلاط فقد كان منصب «صاحب الحرس» أو «أمير الحرس»[٣٢٢]. ويرجع إنشاء هذا المنصب، شأنه شأن بقية مناصب البلاط، إلى معاوية الذي كان أول من أحاط نفسه من خلفاء المسلمين/ بأبهة الملك[٣٢٣]. ولا ريب في أن 287 منصب صاحب الحرس كان ذا صلة وثيقة في الأصل بمنصب صاحب الشرط[٣٢٤] الذي كان في ذات الوقت الحاكم العسكري للمدينة. ويستعمل الطبري[٣٢٥] في حديث له عن أحد ولاة الأمويين لفظي حرس وشرط بمعنى واحد، غير أن هذين المنصبين كان يشغلها

---

(٣٢١) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٩٥، الترجمة ص ١٣٩ - ١٤٠؛ [يعتقد بوزورث أن بارتولد قد أولى رواية نظام الملك اهتماما أكثر من اللازم، ويحيل في هذا إلى مقاله Bosworth, Ghaznevid organization, «Der Islam», XXXVI, 1960, P. 45]

(٣٢٢) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٢١، الترجمة ص ١٧٨ .

(٣٢٣) الطبري، القسم الثاني، ص ٢٠٥؛ اليعقوبي، التاريخ، الجزء الثاني، ص ٢٧٦ .

(٣٢٤) لفظ «شُرَط»، ومفردها «شُرْطة» مأخوذة عن اليونانية Khortis (شفوياً عن كراتشكوفسكي).

(٣٢٥) الطبري، القسم الثاني، ص ١٠٢٨ - ١٠٢٩ .

ببلاط الخليفة شخصان مختلفان[٣٢٦]. والأرجح أن منصب « صاحب الشرط » كان أعلى مرتبة من حيث الأهمية، ففي بغداد كما رأينا كان يشغله المقدّمون من آل طاهر وآل الصفار. وفي سمرقند كان اسماعيل نفسه هو الذي يشغل هذا المنصب اسمياً ببلاط أخيه نصر[٣٢٧]. وكان صاحب الحرس في العهد العباسي على أقل تقدير هو المسئول الأول عن تنفيذ أحكام الخليفة، ويروي نظام الملك[٣٢٨] القول الآتي على لسان المأمون: « ولديّ اثنان من قادة الحرس وظيفتها من شروق الشمس إلى انقضاء النهار ضرب الأعناق وقطع الأيدي والأقدام والضرب بالعصى والزج في السجن ». وكانت المظاهر التي تصاحب هذه الوظيفة تتفق مع طبيعتها، ففي العهد الأموي كان صاحب الشرط يحمل رمحاً أمام الوالي[٣٢٩]. ويرى نظام الملك أن صاحب الحرس كان يلزمه خمسون من حملة العصي (چوبدار) ليكونوا دائماً تحت تصرفه بالبلاط، عشرون منهم يحملون عصياً من الذهب وعشرون آخرون يحملون عصياً من الفضة وعشرة يحملون عصياً غليظة من الخشب.

وإلى جانب هذه المناصب الكبرى كان هناك عدد من المناصب التي تقل أهمية من ذلك[٣٣٠] (البوابون والخدم والندماء الخ). أما المناصب العسكرية الرئيسية في الحكومة، خاصة منصب الوالي فقد كان يشغلها أحياناً أفراد من الأسر الحاكمة المحلية (مثل قراتكين أمير اسفيجاب وابنه منصور[٣٣١]، وكأبي علي چغاني)، كما كان يشغلها أحياناً أخرى المماليك من الترك جزاء لما قاموا به من خدمات جليلة (كآل سيمجور والبتكين وتاش وفايق)، وهؤلاء الأخيرون لم يكن بمقدور أحدهم أن يبلغ هذا المنصب إلاّ بعد أن يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره[٣٣٢]. أما « حاجب الحجّاب » فقد كان امتهاناً لشخصه أن يعود مجرد وال بعد أن شغل ذلك المنصب الخطير[٣٣٣]. وكان أعلى المناصب

---

(٣٢٦) شرحه، القسم الثاني، ص ٢٠٥ ؛ القسم الثالث، ص ١٥٤٩ - ١٥٥٠.

(٣٢٧) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٧٨. ولكننا نبصر في عهد السامانيين المتأخرين « صاحب الشرطة » في دور المنفّذ لأحكام الأمير (الثعالبي، يتيمة الدهر، طبعة بيروت، الجزء الرابع، ص ٤٥).

(٣٢٨) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٢٢، الترجمة ص ١٧٩.

(٣٢٩) الطبري، القسم الثاني، ص ٨٦٢.

(٣٣٠) يرد ذكر لبعضها في « سياستنامه » (نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١١١ و١١٤، الترجمة ص ١٦٤ و١٦٧).

(٣٣١) راجع أعلاه، ص ٢٩١

(٣٣٢) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٩٥، الترجمة ص ١٤٠.

(٣٣٣) Teksty, str. 11 (كرديزي).

العسكرية في الدولة هو/منصب والي خراسان الذي كان يحمل لقب اسفهسالار (قائد 288 الجيش)[٣٣٤] ويشرف من مركزه بنيشابور على جميع أملاك السامانيين جنوبي نهر أمودريا. وفي العهد الساماني، كما في العهد المغولي فيما بعد[٣٣٥]، كان من بين التقاليد المتبعة أن يطلب الأمير مشورة قادة الجيش عندما يراد اختيار شخص ما ليشغل أكبر منصب مدني وهو منصب الوزير[٣٣٦].

وكان يشرف على الشئون الداخلية للبلاط «وكيل»[٣٣٧]، ومما يؤكد الأهمية الخاصة لهذا المنصب في عهد السامانيين هو أن گرديزي يذكر صاحبه جنباً إلى جنب مع الأمير والوزير[٣٣٨]. كذلك تطور النظام الديواني في عهد السامانيين بدرجة كبيرة، ويذكر نرشخي[٣٣٩] عشرة دواوين حكومية ببخارا تحيط بالريكستان وهي: ١) ديوان الوزير، ٢) ديوان صاحب الخزينة (المستوفي)، ٣) ديوان «عميد الملك»، ٤) ديوان «صاحب الشرط»، ٥) ديوان «صاحب البريد»[٣٤٠]، ٦) ديوان المشرفين، ٧) ديوان الأملاك الخاصة (أملاك الأمير)، ٨) ديوان المحتسب، ٩) ديوان الأوقاف، ١٠) ديوان القاضي.

أما الوزير «أو خواجة بزرك[٣٤١]»، فكان يقف على رأس كل «أهل القلم» أي على رأس الهيئة الديوانية بأكملها، وكانت شارته الرسمية حتى عهد السلاجقة هي الدواة[٣٤٢]. ويرى نظام الملك أن من الأصوب جعل هذه الوظيفة وراثية، شأنها في هذا

---

(٣٣٤) ويدعوه المقدسي (ص ٣٣٧): «صاحب الجيش».

(٣٣٥) D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. IV, P. 666

(٣٣٦) Teksty, str. 91 (عوفي).

(٣٣٧) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٨١ – ٨٢، الترجمة ص ١٢١.

(٣٣٨) گرديزي، اكسفورد الورقة ١٢٧، كمبريدج الورقة ١٠٢أ، (طبعة ناظم ص ٤٣): «نامهاي بخارا سوى سرهنكان البتكين رسيد از امير واز وزير واز وكيل» [أي «وصلت الرسائل من بخارا الى أمراء جيش البتكين من طرف الأمير والوزير والوكيل» – المترجم].

(٣٣٩) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٤.

(٣٤٠) أنظر نرشخي، ترجمة ليكوشين ص ٣٦ (المتن الفارسي مشوّه في طبعة شيفير).

(٣٤١) اللقب الفارسي «خواجة بزرك» نلتقي به حتى في مصنف البنداري بالعربية (طبع هوتسما، ص ٥٥). وعن لفظ «خواجه» وأصلها الخراساني راجع المسعودي (مروج الذهب، الجزء التاسع، ص ٢٤)؛ ويبدو من كلام المسعودي أن اللفظ كان على عهده لا يزال غير معروف بصورة واسعة في الغرب.

(٣٤٢) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ١٣٨.

شأن الإمارة أي أن تنحدر من أب إلى ابن[٣٤٣]. وفي عهد السامانيين نجد شيئاً أشبه ما يكون بالأسر الوزارية أي التي احتفظت بمنصب الوزارة بين أفرادها(مثل آل الجيهاني وآل البلعمي وآل العتبي) رغماً من أنه لا يكاد يوجد مثال واحد على الأقل في عهد السامانيين لابن خلف أباه مباشرة في منصب الوزراة، ذلك أنه كان من المعهود بعد سقوط أي من الوزراء أن تصير مقاليد الأمور إلى يد أعدائه ولا ترجع الى أيدي أهل بيته إلاّ بعد أعوام.

289 ويبدو أن لفظ «المستوفي» يتفق مع لقب «الخازن»[٣٤٤] أو «الخزينة دار»[٣٤٥]، وكان يعمل تحت إمرته «الحُسّاب» (جمع «حاسب»)[٣٤٦]. ويبدو أن الادارة التي كان يترأسها هذا الموظف تتفق مع «ديوان الخراج» عند العباسيين[٣٤٧]. ولم يكن النظام الذي ابتدعه عمرو بن الليث بتقسيم مالية الدولة بين ثلاث خزائن معروفاً للسامانيين[٣٤٨]. ويرى نظام الملك[٣٤٩] أن الطريقة المثلى هي وجود خزينتين تحوي إحداهما الأموال المستعملة في مصروفات الدولة بينما تحوي الأخرى الأموال التي يجب ألا تُمّس إلاّ في حالة الضرورة القصوى، وحتى إذا مُسّت فإنما يكون ذلك بمثابة قرض لا أكثر.

والغالب على الظن أن ديوان «عميد الملك» إنما قصد به «ديوان الرسائل» أو «ديوان الانشاء»، وكثيراً ما يتردد ذكر هذا الديوان الأخير بين المؤرخين، منذ عهد السامانيين في بعض الأحايين[٣٥٠]. ويحمل صاحب «ديوان الانشاء» لدى بيهقي[٣٥١] لقب «خواجة عميد» وكان يعد من كبار موظفي الدولة. ولقد وقفنا فيما مر عند منصب «صاحب الشرط»، ولعل ديوانه هو «ديوان جيش الأتراك» نفسه في عهد

---

(٣٤٣) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٥١، الترجمة ص ٢٢٣.

(٣٤٤) السمعاني، تحت لفظ «الخازن».

(٣٤٥) Teksty, str. 10 (گرديزي).

(٣٤٦) السمعاني، تحت لفظ «الحاسب».

(٣٤٧) الطبري، القسم الثالث، ص ١٥٥٠.

(٣٤٨) يطلق المقدسي (ص ٣٠٠ و٣٤٠) اسم «خزائن» نيشابور على المدن الثلاث الغنية في منطقتها وهي طوس ونسا وابيورد؛ راجع BGA, IV, 225 (تعليق دي خويه).

(٣٤٩) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٢٠٥، الترجمة ص ٣٠٠.

(٣٥٠) الثعالبي، اليتيمة، طبعة بيروت، الجزء الرابع، ص ٢٩ - ٣٢ وص ٦٩ و٧٠ و٧٥؛ السمعاني، تحت لفظ «الميكالي».

(٣٥١) بيهقي، طبعة مورلي، ص ١٦٣ و١٦٧، (طبعة غني وفيّاض، ص ١٤٤ و١٤٧).

العباسيين[٣٥٢]. ويغلب على الظن أن الموظف المدني الذي كان على رأس هذه الوظيفة هو الذي حمل لقب « العارض » وكان يخضع في هذه الحال « لصاحب الشرط »، ومهمة العارض هي صرف أرزاق الجند والاطمئنان على أن الجيش في حالة تأهب واستعداد[٣٥٣]. وكان دفع رواتب الجيش وعمال الدولة على عهد السامانيين كما كان عليه الحال في عهد عمرو بن الليث، يتم على أربع مرات في العام[٣٥٤] (أي كل ثلاثة أشهر).

290 وكما هو معلوم جيداً فإن البريد في الشرق كان وقفاً على خدمة مصالح/الدولة[٣٥٥]، وكانت مهمة عمال البريد (وإلى جانب لقب « صاحب البريد » كان هناك أيضاً « صاحب الخبر » و« المنهي ») هي أن يوافوا الأقاليم سراعاً بأخبار العاصمة وأن يبلغوا عن تصرفات الولاة، وفي العادة كان عمال البريد يشكلون ديواناً خاصاً مستقلاً عن حكام الولايات. وفي العهد الساماني كان سلطان الحكومة من القوة بالدرجة التي كان من الممكن معها أن تصل إلى العاصمة تقارير دقيقة لا تخضع لإشراف أحد من الناس حول أقوى عمّال الدولة قاطبة في الأقاليم وهو والي خراسان[٣٥٦]، ولكننا نجد منذ العهد الغزنوي تقارير حُررّت وفقاً لإرادة الوالي وهواه، حتى أن الدولة لجأت إلى استعمال العيون والأرصاد لمعرفة نشاطه[٣٥٧].

---

(٣٥٢) الطبري، القسم الثالث، ص ١٥٥٠.

(٣٥٣) Teksty, str. 5 كرديزي؛ السمعاني، تحت لفظ « العارض » راجع أعلاه ص٣٤٧

(٣٥٤) ابن حوقل ص ٣٤١ - ٣٤٢. كان حساب ما يدفع للجند يبلغ العشرين مليون درهماً، ولعله لهذا السبب أطلق عليها اسم « بيستكاني » وهي بالعربية « حساب العشرينية » (أنظر مفاتيح العلوم للخوارزمي، ص ٦٥).

(٣٥٥) Kremer, Culturgeschichte, Bd. I, S. 192 sq. ويعطي « مفاتيح العلوم » (ص ٦٣) للفظ « بريد » اشتقاقاً فارسياً، ولكن المرجّح أنها من اللاتينية Veredus (راجع مادة « بريد » بدائرة المعارف الاسلامية). أما حامل الرسائل فكان يدعى « الفُرانق » (من الفارسية « پروانه » أي الخادم)؛ وكان الصندوق الذي تحمل فيه الرسائل وقائمتها يسمى « اسكدار » (من الفارسية « ازكو داري؟ » [أي « من أين لك هذا؟ »] - الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٦٤. [ويرد في موضع آخر من مفاتيح العلوم: « الاسكدار مدرج يكتب فيه جوامع الكتب المنفّذة للختم » - المترجم]. ونلتقي كثيراً بلفظ اسكدار لدى بيهقي، مثال ذلك في الصفحات ٣٩٣ و٣٩٤ من طبعة مورلي (طبعة غني وفيّاض، ص ٣١٩ - ٣٢١). وأما الرسائل السرية فكانت تدوّن بنوع من الشفرة يدعى « المعما » (راجع نفس المصدر). (يقول مينورسكي ان اسكدار مأخوذة في أغلب الظن عن اليونانية **SKOUTARIOS**)

(٣٥٦) Teksty, str. 12 (كرديزي)؛ str. 92 (عوفي).

(٣٥٧) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٣٩٥ و٣٩٨، (غني وفيّاض، ص ٣٢٠ - ٣٢٢).

ولفظ« إشراف » يعني حرفياً المراقبة من أعلى، ولذا فان مهمة « المشرف » « أي المراقب » وفقاً لنظام الملك[٣٥٨] هي « أن يعلم بما يدور في البلاط ويطلع عليه المسؤولين إذا ما احتاج الأمر إلى ذلك »، وعليه أن يبث نوابه في كل مدينة وكل ناحية. ولمّا كان بيهقي[٣٥٩] يضع المشرفين جنباً إلى جنب مع أصحاب الخزينة ويجعلهم يقومون بمهمة تسجيل أملاك البلاط فمن الممكن أن نستنبط من هذا أن إشرافهم كان ينصب أساساً على الأموال المرصودة لبلاط الأمير. أمّا ديوان الخاصة الملكية فكان يحمل على عهد العباسيين اسم « ديوان الضياع »[٣٦٠]؛ ويغلب على الظن أنه كان على عهد السامانيين تحت إشراف الوكيل.

وأمّا مهمة « المحتسب » فقد تركزت في حفظ النظام بالشوارع والأسواق ومعاقبة من ثبت عليهم انتهاك حرمة الدين والشريعة جهراً[٣٦١]، أو الذين يعمدون الى غش المشترين أو يتقاعسون في دفع الضرائب المقررة[٣٦٢]. ووفقاً لألفاظ نظام الملك[٣٦٣] فان الملوك/ 291 « كانوا يعهدون بهذه المهمة دائماً إلى أحد خواصهم كالخصيان مثلاً أو لتركي مُسِنّ ممن شُهد له بعدم المحاباة وممن يرهبه الخاص والعام ». غير أننا نلتقي في عهد السامانيين بحالات كان يشغل فيها هذه الوظيفة جماعة من أهل العلم[٣٦٤]، ولعل سلطان المحتسب وتشدده مع الخارجين على القانون لم يكن يحمل آنذاك طابع الشدة الذي حمله من بعد.

ويبدو أن ديوان الأوقاف الذي وجد في عهد السامانيين قد أُلغي في الأزمنة التي تلت ذلك، إذ أننا نبصر من الأوامر الصادرة في القرن الثاني عشر أن إدارة الأوقاف كانت تدخل في نطاق مهام القاضي[٣٦٥]. وكان يتربع على رأس الهيئة القضائية « قاضي القضاة »، والفرس يقاربون بين هذه الوظيفة ووظيفة « موبذ موبذان » (كبير القساوسة)

---

(٣٥٨) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٥٦، الترجمة ص ٨٦ - ٨٧.

(٣٥٩) بيهقي، طبعة مورلي ص ١٨١، (طبعة غني وفيّاض، ص ١٥٨).

(٣٦٠) Kremer, Culturgeschichte, Bd. I, S. 199

(٣٦١) ولكن لم يكن للمحتسب سلطان على ما يحدث داخل المنازل؛ راجع أبيات سعدي في كلستان (طبعة استنبول ١٩٠٤، ص ٧٥؛ وطبعة Platts ص ٤٦).

(٣٦٢) Kremer, Culturgeschichte, Bd. I, S. 423 sq

(٣٦٣) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٤١، الترجمة ص ٦٢.

(٣٦٤) السمعاني، تحت لفظ « المحتسب ».

(٣٦٥) Teksty, str. 75 (بغدادي، كتاب التوسل).

في عهد الساسانيين[٣٦٦]. وإلى جانب هذا لم يكن أمراً نادراً أن يعالج الحاكم نفسه[٣٦٧] بعض المسائل القانونية خاصة فيما يتصل بشكاوى المتظلمين من رجال حكومته أو أن يفوّض في ذلك واحداً من أهل بيته[٣٦٨].

أمّا في الولايات فإننا نجد عين المناصب والإدارات الموجودة بالعاصمة، مع اختلاف يسير هو أن الوزير كان يحمل في الأقاليم لقب الحاكم[٣٦٩] أو الكتخدا (أي رب الدار، وهو لقب نلتقي به كثيراً لدى بيهقي). وعلى عهد السامانيين والغزنويين كثيراً ما كان الأمير يعيّن بنفسه عمال الولايات[٣٧٠]، بينما كانت التماسات اعتزال المنصب يرفعها أصحابها إلى الحاكم حتى وإن كانوا من صغار العمال[٣٧١]. وحينما اشتد نفوذ عمال الدولة في الأزمنة التي تلت ذلك كان رؤساء الإدارات المختلفة هم الذين يعيّنون نوابهم بمدن الولايات[٣٧٢].

وفي الدولة السامانية تمتع رجال الدين بمكانة خاصة[٣٧٣]، وقد رأينا كيف أن مؤسس الدولة نفسه إنما ثبّت سلطانه ببخارا مستعيناً بنفوذ رجال الدين هناك. وكان العلماء لا يُكلّفون بتقبيل الأرض بين يدي الأمير،/وكان يختار من بين فقهاء الحنفية ببخارا أكثرهم 292 علماً وأرفعهم مكانة فكانت الأمور تصدر عن رأيه وتقضي حوائجه ويعيّن العمال وفقاً لمشورته[٣٧٤]. ويستدل من ألفاظ السمعاني[٣٧٥] على أن هذا الشخص الذي يعادل المفتي أو شيخ الاسلام في الأزمنة المتأخرة كان يحمل آنذاك اللقب الفارسي أستاذ (أي المعلم)،

---

(٣٦٦) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٣٩، الترجمة ص ٥٧. ورد أيضاً ذكر للمهام القضائية التي كان يقوم بها الموبذ الكبير (Mo- hu- tan = mogpetan – mogpet) في المصادر الصينية (Bichurin, Sobranie svedenii, izd. 1, III, 168; Laufer, Sino – Iranica, p. 581); [راجع أيضاً مفاتيح العلوم، ص ٧٥ من الطبعة المصرية: «الموبذ هو قاضي المجوس وموبذان موبذ قاضي القضاة» – المترجم].

(٣٦٧) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٧، الترجمة ص ٢٦.

(٣٦٨) السمعاني، تحت لفظ «الساماني» (بصدد أخ لإسماعيل يدعى أبو يعقوب اسحق «كان على مظالم بخارا»).

(٣٦٩) السمعاني، تحت لفظ «الاسبانيكثي».

(٣٧٠) بيهقي، طبعة مورلي، ص ١٦٥ – ١٦٦، (طبعة غني وفيّاض ص ١٤٦).

(٣٧١) بيهقي، طبعة مورلي ص ٧٥٣ – ٧٥٤، (طبعة غني وفيّاض ص ٦٠١).

(٣٧٢) Teksty, str. 42, 43 (الانشاء)، و str. 75 (بغدادي، كتاب التوسل).

(٣٧٣) راجع رواية السمعاني بصدد أحد الزهاد الذي صلّى عليه أحد الأمراء من السامانيين، وزاهد آخر حمل تابوته الوزير أبو علي البلعمي (وذلك تحت لفظي «البابكسي» و«المزني»).

(٣٧٤) المقدسي، ص ٣٣٩.

(٣٧٥) السمعاني، تحت لفظ «الاستاذ».

وأن منصب الأستاذ قد وجد منذ عهد اسماعيل. هذا وقد حمل العلماء في بلاد ما وراء النهر لقب دانشمند الفارسي، الذي كان ينطق دانشومند باللهجة المحلية(٣٧٦).

وإلى المناصب الدينية الخالصة كان ينتمي منصب الخطيب. وكما هو معروف جيداً فإن الخطبة بالمسجد كان يلقيها في البداية الخليفة نفسه أو واليه. أما في عهد السامانيين فقد أبطلت هذه العادة بالمشرق لأن الأمراء وولاتهم كانوا في الأصل من الفرس أو الترك وقلّ أن وجد بينهم من يجيد العربية، إلاّ أنه في الحالات التي كان يجيد فيها أحدهم تلك اللغة فإنه كان يجمع في شخصه مسؤولية الوالي والخطيب على نحو ما فعل السلف(٣٧٧).

ولم يكن من المستطاع تطبيق النظام الديواني في الادارة بصورة موحدة في جميع أراضي المملكة، ذلك أن بعض الولايات كان لا يزال تحت حكم أسر محلية يرجع أصل بعضها إلى أزمنة تاريخية موغلة في القدم. فالى جانب أسرة أبي داود ببلخ التي لم يحس بوجودها أحد، نلتقي بأسر حاكمة في سجستان (آل الصفّار) وفي جوزجان (آل فريغون) وفي غزنة (وهم حكام وطنيون لم يلبث أن قضي عليهم فيما بعد البتكين وغيره من رجال الحرس) وفي بست (وكان حكامها من الترك شأنها شأن غزنه) وفي غرجستان (على المجرى الأعلى لنهر مرغاب) وفي خوارزم واسفيجاب والمناطق الجبلية التي تشمل الآن المناطق الشرقية من إمارة بخارا (وهي صغانيان والختّل وراشت). ويذكر المقدسي(٣٧٨) أن جميع هؤلاء الحكام (ولكنه يغفل سهواً ذكر أميري صغانيان وراشت وحاكم اسفيجاب) كانوا يقومون بارسال الهدايا دون الخراج. وفي إحدى المناطق وهي ايلاق كان كبير الدهاقنة المحلي والذي كان مركزه تونكث قد فقد في ذلك الوقت كل ما كان يتمتع به من نفوذ سياسي(٣٧٩) ولكنه ظل محتفظاً بنفوذه بين الناس (ولعل مردّ ذلك

---

(٣٧٦) المقدسي ص ٤٣؛ نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٨٨. ويبدو أن تشأن تشؤن وغيره من الرحالة الصينيين سمعوا اللفظ بنفس الشكل (لأنه يرد في الكتابة الصينية على هيئة da- shi- man وDa- shi- ma و te- she- man ؛راجع تشأن شؤن، ترجمة كفاروف ص ٣٢٦ و٤١٧؛ وأيضاً n. 231 (Bretschneider, Researches, vol. I, P. 90,

(٣٧٧) السمعاني، تحت لفظ «الخطيب».

(٣٧٨) المقدسي، ص ٣٣٧.

(٣٧٩) يقول مؤلف «حدود العالم» إن زعماء ايلاق كان يطلق عليهم اسم دهاقنة ايلاق؛ وان دهقان ايلاق كان يعد في القدم من «ملوك الأطراف» (الورقة ٢٤ أ).

إلى اتساع أملاكه)/، إذ أن المقدسي يصفه بأنه « دهقان قوي[٣٨٠] ». أما أقوى الأمراء 293 المحليين قاطبة فكانوا أمراء خوارزم واسفيجاب وصغانيان.

ويرجع أصل الأسرة المالكة بخوارزم[٣٨١]، أي شاهات خوارزم، إلى أزمنة تاريخية أسطورية. ورغماً من أن الفاتحين العرب تركوا الأمراء الوطنيين يحملون لقب الشاه إلاّ أن السلطة الفعلية كانت في يد الوالي العربي. وتعوزنا المعلومات اللازمة لمتابعة تطور العلاقات بين شاهات خوارزم والأمراء العرب، أو تطور الخلاف بين الطرفين الذي أدى إلى انقسام خوارزم إلى دولتين: الجزء الجنوبي وقصبته كاث قد ظل تحت حكم شاهات خوارزم، بينما أصبح الجزء الشمالي وعاصمته كركانج تحت حكم الأمراء. ولقد ظل الصدام قائماً بين الطرفين حتى عام ٩٩٥ حيث انتهى بأن أخضع أمراء كركانج أراضي شاهات خوارزم وأخذوا لأنفسهم ذلك اللقب العتيد[٣٨٢].

أمّا حاكم اسفيجاب فقد اكتفى باظهار تبعيته للسامانيين بدفع أربعة دوانق وإرسال مكنسة مع الهدايا[٣٨٣]. وكان إلى جانب ذلك يتمتع ببعض النفوذ لدى الترك المقيمين في الجزء الشرقي من مقاطعة سيردريا والجزء الغربي من منطقة يدي صو والذين يدينون بالطاعة للسامانيين . وأمّا « ملك التركمان » الذي كان يقيم بمدينة أردوا (اردو) فيُروى عنه أنه « لا يزال يبعث الهدايا إلى صاحب اسبيجاب »[٣٨٤]. ومن المؤسف أنه ليس هناك ما يفيدنا ما إذا كان حاكم اسفيجاب أبدى أي ضرب من المقاومة للقراخانيين عند غزوهم لبلاد ما وراء النهر.

وأصل حكام صغانيان، أو آل محتاج كما يدعوهم ابن حوقل[٣٨٥]، مجهول تماماً، وكان يطلق عليهم اسم الأمراء على طريقة العرب. ذلك أن لقب حكام صغانيان قبل الفتح الاسلامي، وهو صغان خدات، لم يعد يقابلنا في العصر الذي نتحدث عنه ؛ هذا وقد

---

(٣٨٠) المقدسي، ص ٢٧٧.

(٣٨١) راجع عنهم Sachau, Zur Geschichte und Chronologie von Khwarizm, Wien, 1873, Theil 1

(٣٨٢) Teksty, str. 12 – 13 (كرديزي)؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٨٩ (عن العتبي)؛ راجع ما يلي من الكتاب ص ٣٩٨

(٣٨٣) راجع ما مر في ص ٣٣٥

(٣٨٤) المقدسي، ص ٢٧٥.

(٣٨٥) ابن حوقل، ص ٤٠١. عن محتاج راجع ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ١٩٦.

ظلت صغانيان تحت حكم أمرائها الوطنيين إلى ما بعد سقوط السامانيين[٣٨٦]. وبالختّل أيضاً لا نلتقي في هذا العصر باللقب الذي استعمل في العصر السابق للغزو الاسلامي وهو ختلان شاه أو شير ختلان[٣٨٧]. وفي القرن الثاني عشر كان أمراء الختّل لا يزالون ينسبون أصلهم إلى الملك الساساني بهرام جور[٣٨٨] (فرهران الخامس ٤٢٠ - ٤٣٨).

294 ولم يكن أمراً نادراً أن يكون منصب/« الرئيس »[٣٨٩]، أي رئيس المدينة ونواحيها، وراثياً أيضاً أي يتوارثه ابن عن أب، ولكنه لم يكن قد اتخذ في العصر السابق لغزو المغول طابعه الشُرَطي المعروف الآن[٣٩٠]. وكان الرئيس هو الشخص الأول في المدينة والممثل لمصالح سكانها، وعن طريقه كان الملك أو رأس الدولة يتعرف على رغبات أهل المدينة[٣٩١]. ويغلب على الظن أن الرؤساء كان يتم تعيينهم في العهود الأولى على أقل تقدير من بين أفراد الأسر المحلية الكبرى.

أما سواد الشعب فقد تحسنت أحواله في عهد السامانيين بدرجة ملحوظة، وذلك لاستتباب الأمن وازدهار التجارة والصناعة. وقد سبق أن أشرنا في بحث آخر لنا[٣٩٢] إلى رواية لنرشخي تتصل بشراء أهل الحرف لأراضي الملاّك بمعاونة الحكومة؛ والى جانب هذا تم في عهد اسماعيل ضم أملاك بخار خدات[٣٩٣] الشاسعة وبعض القرى إلى أملاك التاج[٣٩٤]. ولعل أفضل تصوير لنمو الصناعة والتجارة ببلاد ما وراء النهر هو ذلك الذي ينعكس في قائمة المنتجات التي عرفت بها كل مدينة كما يوردها المقدسي[٣٩٥]

(٣٨٦) Teksry, str. 15 (كرديزي).

(٣٨٧) ابن خرداذبه، ص ٣٩.

(٣٨٨) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ١٥٥.

(٣٨٩) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٢٩٨ و٣٥٢، (طبعة غني وفيّاض، ص. ٢٤٧ و٢٨٦ - ٢٨٧)؛ Teksty, str. 77 (بغدادي، كتاب التوسل).

(٣٩٠) في الوقت الحاضر يطلق لقب « ريّس » على الموظف الذي كان يحمل في العصور الوسيطة اسم « المحتسب ».

(٣٩١) الى جانب الفقرات المشار اليها راجع أيضاً Teksty, str. 157 (حافظ آبرو).

(٣٩٢) Bartold, Neskolko slov ob ariiskii kulture, str. 31

(٣٩٣) نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٠.

(٣٩٤) شرحه، ص ١٣ - ١٤ و٢٦ - ٢٧.

(٣٩٥) المقدسي، ص ٣٢٣ - ٣٢٦. لم ننقل عن هذه القائمة إلا ما يخص مدن ما وراء النهر وحدها. أنظر أيضاً ابن رسته، طبعة خفولسون، ص ١٨٠ - ١٨١؛ و Jacob, Welche Handelsartikel. وفي رأيي أن ياكوب لم يوفّق في افتراضه بأن « ابوز » انما يقصد بها « الصقور » (Hawks) وليس البوازي (Falcons)

الذي يقول: « وأما التجارات فيرتفع..... من ترمذ الصابون والحلتيث......، ويرتفع من بخارا الثياب الرخوة والمصلّيات والبسط وثياب الفرش الفندقية وصفر المناير والطبري وحزم الخيل تنسج في المحابس وثياب اشموني[٣٩٦] والشحم وجلود الضان ودهن الرأس، ومن كرمينية المناديل ومن دبوسية ووذار ثياب الوذارية وهي ثياب على لون المصمت وسمعتُ بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان[٣٩٧]، ومن ربنجن ازر الشتاء من اللبود الحمر[٣٩٨] ومصليّات وطاسات اسبيدوري والجلود ومرير القنب والكبريت. ومن خوارزم السمّور والسنجاب وقاقون وفنك ودله والثعالب وخزبوست وخركوش ملوّن وبزبوست والشمع والنشّاب والتوز والقلانس وغرا السمك وأسنان السمك[٣٩٩]/وخزميان وكهروا والكيمخت والعسل والبندق وأبوز والسيوف والدرع 295 والخلنج والرقيق من الصقالبة والأغنام والبقر كل هذا من بلغار، ويرتفع منها عناب وزبيب كثير وملابن وسمسم وبرود وفروش وثياب اللحف وديباج بيشكش ومقانع ملحم[٤٠٠] واقفال وثياب آرنج[٤٠١] والقسى التي لا يقوى على معط القوس إلاّ أشدّ الرجال والرخبين والمصل والسمك والسفن تنحت وتعمل ومن ترمذ أيضاً. ويحمل من سمرقند ثياب سيمكون والسمرقندية والقدور العظيمة من النحاس والقماقم الجياد والأخبية والركب والحكمات وسيور، ومن دِزَك اللبود الجياد والأقبية منها، ومن بناكث ثياب تركستان، ومن الشاش سروج الكيمخت الرفيعة والجعاب والأخبية وجلود تجلب من الترك وتدبغ والأرز والمصليات والبنيقات والبرز والقسى الجيدة وأبردون والقطن يحمل إلى الترك والمقاريض. ومن سمرقند أيضاً ديباج يحمل إلى الترك وثياب حمر تسمى ممرجل وسينيزي[٤٠٢] وَقزّ كثير وثيابه والبندق والجوز...، ومن فرغانه واسبيجاب

---

(٣٩٦) أي من مدينة الأشمونين بمصر (الاصطخري، ص ٥٣).

(٣٩٧) راجع ملاحظة ابن حوقل عن الثياب الوذارية (ص ٤٠٣)؛ وأيضاً مادة « ديباج » بدائرة المعارف الاسلامية (بيكر).

(٣٩٨) يرد ذكر الأنسجة الصوفية المعمولة في ربنجن لدى الطبري، (القسم الثاني، ص ١٢٤٩).

(٣٩٩) لعله يقصد سن فيل البحر (Walrus) وبهذا المعنى نلتقي بتعبير «أسنان السمك» في قوائم السلع الروسية (أنظر PDTS, III, 303 - 304) وبالتركية « باليق تيشي »؛ أنظر Samoilovich, Tiyish, str. 1278

(٤٠٠) راجع Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 17

(٤٠١) يصفها الثعالبي (لطائف المعارف، ص ١٢٩) بأنها ثياب من القطن.

(٤٠٢) أخذت هذه الأنسجة اسمها من مدينة سينيز بفارس؛ وكان كتّانها يستورد أحيانا من مصر، ولكن منذ =

الرقيق من الأتراك مع الثياب البيض وآلات السلاح والسيوف والنحاس والحديد، ومن طراز بزبوست، ومن شَلْجي الفضة، ومن تركستان إلى هذه المواضع تخرج البغال وكذلك من الختّل...... ولا نظير للحمام بخارا وجنس بطيخ لهم يسمى الساف، ولا لقسى خوارزم وغضائر وكاغد سمرقند».

وعلى ضوء هذه القائمة التي أوردناها بحذافيرها نجد أن الاصطخري[٤٠٣] لم يتنكب الصواب حينما ذكر أن سكان بلاد ما وراء النهر كانوا يمتلكون كل شيء بوفرة ولم يكونوا في حاجة إلى شيء من الأقطار الأخرى. وما من شك في أن صناعتهم/قد تأثرت كثيراً بصناعة أهل الصين، حتى أن ابن الفقيه[٤٠٤] يقارن خراسان بالصين في مهارة الصناعة. هذا وقد أبصر العرب عند غزوهم لبلاد ما وراء النهر عدداً كبيراً من المصنوعات الصينية[٤٠٥]، ولكن الإقبال عليها كان قد قل بطبيعة الحال بسبب تطور الصناعات المحلية[٤٠٦]. أما الأثر الذي تركه أهل الحرف من الصين على الفن الاسلامي فيمكن رؤيته في أن العرب قد أطلقوا فيما بعد اسم «الصيني» على جميع الأواني المصنوعة بطريقة فنية[٤٠٧]. ومن منتجات ما وراء النهر نالت المنسوجات الحريرية المجلوبة من وادي زرفشان الصيت الأكبر في العالم الاسلامي، تلتها الأدوات والآلات المعدنية المستجلبة من فرغانه خاصة الأسلحة التي اشتد اقبال الناس عليها ببغداد نفسها (أنظر ص٢٨٢). ولا ريب في أن نمو صناعة المعادن بفرغانه قد أعان عليه وجود مناجم الفحم التي أشرنا اليها فيما سبق من الكتاب (ص٢٧٣). ولم يقف التأثير على صناعة النسيج عند حد الصين وحدها، بل إن مصر تركت أثرها عليه أيضاً، ومما يقف دليلا على ذلك، إطلاق اسم الدبيقي[٤٠٨] (نسبة الى بلدة دبيق بمصر) على ضرب من النسيج انتشرت صناعته

296

= القرن العاشر كان معظمه يزرع محليا (المقدسي، ص ٤٤٢). وهذه نقطة هامة تشير الى تأثير الصناعة المصرية على صناعات ما وراء النهر عن طريق فارس. راجع أيضا الحاشية رقم (٤٠٨) أسفله بصدد الأنسجة الدبيقية.

(٤٠٣) الاصطخري، ص ٢٨٧.

(٤٠٤) ابن الفقيه، ص ٣١٦.

(٤٠٥) الطبري، القسم الثالث، ص ٧٩.

(٤٠٦) لا تخلو من طرافة إشارة المقدسي الى ان منتجات المساجين كانت تعرض أيضاً للبيع.

(٤٠٧) الثعالبي، اللطائف، ص ١٢٧.

(٤٠٨) شرحه، ص ١٢٧. عن الدبيقي راجع مادة «دبيق» بدائرة المعارف الاسلامية (بيكر). «وهي تنسج من الكتان، ولكن يضم إليه أحيانا أو عادة الذهب والحرير». كذلك كان يُصنع الدبيقي بفارس (المقدسي، ص ٤٤٣).

بخوارزم، هذا فضلاً عن الثياب الأشمونية التي مر ذكرها منذ هنيهة لدى المقدسي. ولورق سمرقند (الكاغد) أهمية خاصة في تاريخ الحضارة، ووفقاً للروايات الاسلامية فان أهل سمرقند قد تعلموا هذه الحرفة من الصينيين الذين وقعوا في أسر زياد بن صالح عام ٥٧١ (انظر ص٣١٦). والي عهد قريب كان يظن، وذلك اعتماداً على أبحاث البروفسور كراباجيك Karabacek[٤٠٩] أن صناعة الورق من الخرق قد اخترعها أهل سمرقند لأن ورق الخرق الصيني لم يعرف قبل عام ٩٤٠. بيد أنه قد ثبت الآن بفضل اكتشافات السير مارك اوريل اشتين Sir M. A. Stein في جوف آسيا[٤١٠] أن ورق الخرق النقي كان يصنع بالصين منذ القرن الثاني للميلاد ومن ثم فإنه لا يمكن بأية حال أن ينسب اختراعه إلى المسلمين وحدهم، هذا فوق أن المصادر العربية نفسها حين تتحدث عنه لا تعده كشفاً جديداً. وقد أمكن لورق سمرقند قرب نهاية القرن العاشر أن يحل تماماً محل البردى والرق كمادة للكتابة في العالم الاسلامي[٤١١].

297 وبمناسبة ذكر «الملابن» كواحدة من بين منتجات خوارزم فلا بأس من أن نزيد أن الثعالبي[٤١٢] قد تحدث عن بطيخ خوارزم الذي كان يجلب إلى بلاط الخليفتين المأمون (٨١٣ - ٨٣٣) والواثق (٨٤٢ - ٨٤٧) في آنية رصاصية ملفوفة في الثلج، وكان ثمن البطيخة التي تصل إلى غايتها في حالة جيدة يرتفع إلى سبعمائة درهم. أمّا من بين سلع الرفاهية فيمكن أن نشير إلى المسك الذي كان يستورد من بلاد شتى ولكن مسك التبت كان أكثره جودة[٤١٣].

والتجارة مع الرعاة سكان السهوب والبراري كانت على الدوام ذات أهمية قصوى، فقد كان يستورد منهم عدد كبير من الماشية للحمها[٤١٤] ومن دواب الحمل أيضاً، هذا بجانب الجلود والفراء. كما أن الاتجار مع أهل الحضر كان أمراً حيوياً للرحّل الذي كانوا

---

(٤٠٩) Karabacek, Das arabische Papier, S. 108 - 117

(٤١٠) أنظر Stein, Serindia, vol. II, PP. 650, 673

(٤١١) الثعالبي، اللطائف، ص ١٢٦. وفي القرن الحادي عشر وجدت صناعة الورق بالشام أيضاً؛ ويقول ناصر خسرو عن الورق المعمول بطرابلس إنه «ورق جيد يشبه ورق سمرقند بل ويفوقه» (ناصر خسرو، طبعة شيفير، المتن ص ١٢، الترجمة ص ٤١).

(٤١٢) اللطائف، ص ١٢٩.

(٤١٣) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٣٦٥.

(٤١٤) فيما يتعلق برخص أسعار اللحم على الحدود الشمالية لما وراء النهر راجع المقدسي، ص ٢٧٤. وعن استيراد الضان من بلاد الترك راجع الاصطخري، ص ٢٨٨؛ وابن حوقل، ص ٣٣٦.

يحصلون بهذه الطريقة على حاجتهم من الملابس وغذائهم من الغلال[٤١٥]. وفي بلاد ما وراء النهر كان الرعاة، كما هو الحال في الصين وروسيا، يسوقون قطعانهم إلى مناطق الحدود التي يقطنها الحضر من غير أن ينتظروا وصول القوافل إلى بواديهم[٤١٦]. وكان أكثر من أفاد من التجارة مع الرعاة هم أهل خوارزم الذين كانت تعتمد ثروتهم اعتماداً تاماً كما يقول الاصطخري[٤١٧] على تجارتهم مع الترك، فمن كركانج كانت تخرج القوافل إلى خراسان جنوباً والى الخزر غرباً[٤١٨]. ويشير كرديزي[٤١٩] إلى طريق آخر يسير محاذياً للساحل الغربي لبحر أرال، ثم يخترق المفازة إلى بلادالبجناك. وكان معظم التجار بخراسان من أهل خوارزم حتى أنه لم تكن هناك مدينة كبيرة بخراسان إلاّ وكان بها جمع كبير من أهل خوارزم، وكان يميزهم عن السكان المحليين كما هو الحال الآن قلانسهم الطويلة[٤٢٠]. وقد حدث في فترة من الزمن أن كانت جميع ضياع نسا ملكاً للخوارزمية[٤٢١]. وكما هو متوقع فإن الانتعاش المادي كان يصحبه عادة إنتعاش فكري، ويقول المقدسي[٤٢٢] إنه قل أن التقى بامام في الفقه أو الأدب أو القرآن إلاّ وله تلميذ خوارزمي. هذا وقد دفعت الحاجة أهل خوارزم/ إلى الاهتمام بصناعة المنسوجات الصوفية والقطنية لاستعمالها في المقايضة مع البدو[٤٢٣]. 298

أما فيما يتصل بالأجور المعمول بها في تلك الأيام فإنه ليس لدينا ما نسوقه في هذا الشأن سوى رواية كرديزي[٤٢٤] التي جاء فيها أن يعقوب بن الليث كان يتقاضى خمسين درهماً في الشهر أجراً على عمله مع أحد الصفّارين. ولنذكر أخيراً أن من الأسباب التي

---

(٤١٥) عن الغلال التي كانت ترسل الى القبائل الرحّل، راجع ص**٢٨٨** من هذا الكتاب. والى أيامنا هذه كما أبصرت بعيني رأسي فان الرحّل يقبلون عن طيب خاطر الرغيف البائت من السارت (Sarts) في مقابل الأيران (airan)

(٤١٦) الاصطخري، ص ٣٠٣، ابن حوقل، ص ٣٩١.

(٤١٧) الاصطخري، ص ٣٠٥.

(٤١٨) شرحه، ص ٢٩٩.

(٤١٩) أنظر (عوفي). Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziu, str. 119 – 120; Teksty, str. 95

(٤٢٠) الاصطخري، ص ٣٠٤ – ٣٠٥.

(٤٢١) المقدسي، ص ٣٢٠.

(٤٢٢) شرحه، ص ٢٨٤.

(٤٢٣) الاصطخري، ص ٣٠٤.

(٤٢٤) Teksty, str. 3؛ راجع أعلاه ص ٣٤.

أدت إلى انتعاش الصناعة والتجارة هو أن الضرائب والعوائد لم تكن مرهقة[٤٢٥]. هذا وقد كان دخل السامانيين يقرب من الخمسة والأربعين مليوناً من الدراهم[٤٢٦] كانت كلها تحت تصرفهم، وكان خراج البلدان الشرقية آنذاك قد فُصل تماماً عن ميزانية الخليفة[٤٢٧]. أما أكثر أوجه الصرف التي كانت تواجه الدولة فهو دفع أرزاق الجند وعمال الحكومة، فقد بلغ العشرين مليوناً من الدراهم (خمسة ملايين كل ثلاثة أشهر، راجع ص ٣٥٩). وكانت رواتب عمال الحكومة ثابتة في جميع ولايات الدولة، حتى أن الأفراد الذين يخدمون في ناحية ما ويشغلون بالطبع نفس الدرجة في سُلّم الوظائف كانوا يتساوون في الرواتب[٤٢٨]. ووفقاً لرواية نظام الملك[٤٢٩] فإن «من سبق من الملوك» (يعني بذلك السامانيين والغزنويين) قد اكتفوا بدفع أرزاق رجالهم فحسب (البيستكاني أو المواجب)، ولم يمنحوهم الاقطاعات. غير أن هناك حالات شاذة بالطبع، فمنطقة مترامية الأطراف مثل قهستان كانت بأجمعها اقطاعاً لآل سيمجور الذين ينحدرون في الأصل من صلب مملوك تركي[٤٣٠]. زد على هذا أن المماليك الذين كانوا يبلغون أعلى المراتب العسكرية كان بمقدورهم امتلاك الأراضي عن طريق الشراء، فمن ذلك أن البتكين كان يمتلك خمسمائة من قرى خراسان وما وراء النهر وكان له في كل مدينة قصر وبستان وخان وحمام[٤٣١]. ولا شك أن النظام الذي وطد أركانه السامانيون والغزنويون قد منع السخرة والالزام من غير وجه حق بأكثر مما فعل/نظام الاقطاع العسكرية[٤٣٢] فيما بعد، إلاّ أنه لم 299

---

(٤٢٥) المقدسي، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٤٢٦) لو أجرى تحديد أدق لساق الى أرقام مخالفة (المقدسى، ص ٣٤٠؛ ابن الفقيه، ص ٣٢٨ - ٣٢٩).

(٤٢٧) Rozen, ZVORAO, t. IV, str. 136

(٤٢٨) ابن حوقل، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٤٢٩) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٩١ - ٩٢، الترجمة ص ١٣٤ - ١٣٥. وفي ترجمة شيفير ينسب اللفظ «اقطاع دار» وذلك نتيجة لخطأ ذريع في فهم التركيب النحوي للجملة، ينسب الى أولئك الذين يتسلمون منحاً نقدية فحسب. وأبو عبد الله الخوارزمي معاصر السامانيين يورد لفظ «اقطاع» (مفاتيح العلوم، ص ٥٩ وما يليها) ويلاحظ الفرق بين «القطيعة» (التي يمكن أن تورّث) و«الطعمة» (لمدى الحياة فقط). راجع متن عماد الدين الأصفهاني (البنداري، طبعة هوتسما، ص ٥٨)، الذي ترجمه وعلق عليه بيكر؛ (Becker, Steuerpact, S. 89)

(٤٣٠) السمعاني، تحت لفظ «السيمجوري».

(٤٣١) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٠١ - ١٠٢، الترجمة ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٤٣٢) من الغريب أن نظام الملك رغما من معارضته للاقطاع العسكري، قد قدر له أن يكون هو المسؤول عن إدخاله بشكل واسع، على الأقل في آسيا الغربية.

يكن من المستطاع تحاشي ذلك تماماً. فالحكومة نفسها كما سوف نرى فيما بعد كانت تلجأ تحت ضغط الظروف إلى فرض ضرائب طارئة وإلى جمع رسوم جديدة، كما كانت تتلكأ أحياناً في دفع رواتب عمّالها. كل هذا قد أثار سخط الناس، والواقع أن حمل السلاح لم يكن قاصراً على الحرس و«المطوّعة» وحدهم بل انتشر آنذاك بين أهالي ما وراء النهر، الأمر الذي كان من شأنه أن يجعل سخطهم يتخذ سريعاً طابع الخطر على الحكومة خاصة في المواقع الحضرية المأهولة. وكان سكان سمرقند، أكبر المدن التجارية ببلاد ما وراء النهر قاطبة، يُعّدون عنصراً متمرداً[٤٣٣] واحتفظوا بهذه السمعة حتى عهد قريب[٤٣٤]. وثمة ظاهرة أقل خطراً من هذا ولكنها غير محببة بدورها إلى قلوب المسئولين تلك هي ظاهرة بروز طبقة عمالية واعية أساسها المتعلمون الذين فشلوا في الحصول على وظائف حكومية. ويقدم نظام الملك[٤٣٥] حكاية تتصل بخطر هذه الطبقة، ولكنها ترتبط بحكومة البويهيين المعاصرين للسامانيين. ولتلافي خطر هذه الطبقة يوصى نظام الملك بأن تتحاشى الدولة بصفة دائمة إتاحة الفرصة لعمالها ليجمعوا في أيديهم بين عدة مناصب، ونجد لهذه الحالة الأخيرة أمثلة عديدة في عهد السامانيين[٤٣٦].

أما المكوس[٤٣٧] فانها كانت تجمع عادة عند معابر نهر أمودريا، بمقدار درهمين على الحمل ودرهم على أمتعة الراكب (سواء كان ممتطياً جواداً أم حماراً فيما يبدو)، وكانت سبائك الفضة ترد إلى بخارا وبسببها كان يقع التفتيش، وفي منازل الوصول (وربما كان المقصود بهذا الجهة المرسل اليها السلع التجارية) كان يجبي ما بين الدرهم ونصف الدرهم. أمّا الرقيق الترك فكانوا لا يعبرون إلاّ بجواز من السلطان يكلّف استخراجه من سبعين إلى مائة درهم[٤٣٨]، وكانت هذه القيمة نفسها تجبي عند جلب الجوارى من الترك ولكن

---

(٤٣٣) المقدسي، ص ٢٧٨ (راجع أعلاه ص ١٧٤ وص ١٧٥).

(٤٣٤) Wolff, Narrative, p. 203

(٤٣٥) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٤٥ - ١٤٨، الترجمة ص ٢١٥ - ٢١٩.

(٤٣٦) السمعاني، تحت لفظ «الخازن».

(٤٣٧) المقدسي، ص ٣٤٠ - ٣٤١. يستعمل الخوارزمي (مفاتيح العلوم، ص ٥٩) لفظ «ضريبة» في نفس معنى «مكس». راجع أيضاً اللفظ الفارسي «باج» لدى ابن رسته، ص ١٦٨. وكما هو معلوم فان المكوس (الكمارك) كانت تعد دائما في العالم الاسلامي مخالفة للشريعة.

(٤٣٨) وفقا لابن خرداذبه (ص ٣٩) فان قيمة ألفي رأس من الرقيق التي كان يرسل بها الطاهريون سنويا الى دار الخلافة بلغت ستمائة ألف درهم، لهذا فان سعر العبد التركي في القرن التاسع كان يبلغ الثلاثمائة درهم في المتوسط.

الأمر لم يكن ليحتاج إلى جواز خاص، أما النساء فكان يجبى عليهن ما بين العشرين الى الثلاثين درهما فحسب.

وبفضل هذا النظام الذي وصفناه أمكن لدولة السامانيين أن تحتفظ بمقاليد الحكم الى مائة عام، رغماً من أنه لم يظهر من بين أمرائها الذين اعتلوا العرش بعد اسماعيل من يمكن مقارنته به من حيث المقدرة. وكان أول من خلف اسماعيل ابنه أحمد (٩٠٧ - ٩١٤) الذي عرف بتقواه الشديدة، وفي عهده جعلت العربية مرة أخرى اللغة الرسمية لرسائل الدولة[٤٣٩] (وإن كان ذلك لم يستمر لفترة طويلة على ما يبدو). ومن الجائز أن العطف الذي أبداه أحمد نحو عمال الدولة الذين كانوا يجيدون تلك اللغة قد كان من أسباب سخط رجال الحرس عليه، ففي ليلة الثالث والعشرين من يناير عام ٩١٤[٤٤٠] قُتل الأمير في فربر على يد غلمانه. وتلا ذلك أن استولى حزب البلاط على السلطة، ثم اتهموا الكاتب ابا الحسن نصر بن اسحق[٤٤١] بالتحريض على قتله وأعدموه. ونصّب الشيوخ وقادة الحرس[٤٤٢] نصر الثاني بن أحمد (٩١٤ - ٩٤٣) الذي كان في الثامنة من عمره أميراً، والألفاظ التي نسبت الى ذلك الأمير الصبي[٤٤٣] تدل على أن قادة الحرس هم المسئولون حقاً عن قتل أحمد. ثم أسندت مقاليد الأمور بالاتفاق مع ممثلي البلاط[٤٤٤] إلى الوزير أبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني الذي استطاع أن يعيد الأمور إلى نصابها[٤٤٥]، وذلك في تعاون وثيق مع قائد الجيش حمويه بن علي. وتم أولاً إخماد ثورة قام بها أخ لاسماعيل يدعى اسحق بن أحمد بسمرقند وكان يعتمد على مؤازرة أهالي تلك المدينة المتمردة، وقد هُزم اسحق على يد قوات حمويه وقبل العفو الذي عُرض عليه ورجع إلى

---

(٤٣٩) حمد الله قزويني، تاريخ گزيده، طبعة براون، المتن ص ٣٨١، الترجمة ص ٧٣. وترجمة «مناشير وأحكام» باللفظ الانجليزي Proclamations لا يكفي لتغطية المعنى.

(٤٤٠) التاريخ الصحيح يرد لدى السمعاني (تحت لفظ «سامان»)؛ وكان اليوم في الواقع يوم الأحد وليس الخميس كما ورد في بقية المصادر.

(٤٤١) نرشخي، طبعة شيفير ص ٩٢. واسمه الكامل يرد لدى گرديزي (اكسفورد الورقة ١١٤، كمبريدج الورقة ٩٢ ب، (طبعة محمد ناظم، ص ٢٥): أبو الحسن نصر بن اسحاق الكاتب).

(٤٤٢) گرديزي (اكسفورد الورقة ١١٥، كمبريدج الورقة ٩٢ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٢٥): مشايخ وحشم.

(٤٤٣) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٥٨؛ ميرخواند، تاريخ السامانيين، طبعة دفريمري، باريس ١٨٤٥، ص ١٩ و١٣١.

(٤٤٤) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٥٩.

(٤٤٥) Teksty, str. 6 (گرديزي).

بخارا. أمّا ابنه الياس فقد هرب إلى فرغانه وتم تعيين أحد أفراد الأسرة وهو حفيد

301 لنصر الأول[٤٤٦] حاكماً على سمرقند. وهناك ابن لاسحق/هو أبو صالح منصور كان قد رفع لواء الثورة أيضاً ولكنه توفي بنيشابور[٤٤٧]، وعند وفاته تولى قيادة الثوار حليفه القائد الحسين بن علي المروزي (المروروذي في بعض المصادر)، وكان الحسين هذا قد قام بخدمات جليلة للدولة أيام أحمد ولكنه أحس بعد ذلك أن خدماته لم تجد ما تستحق من تقدير. ويبدو أن القائد المتمرد فد اعتمد على العناصر الشعبية لأن كلاً من نظام الملك[٤٤٨] وصاحب كتاب «الفهرست»[٤٤٩] يجعله في عداد زعماء الحركة الشيعية. هذا وقد فُوِّض أمر مقاتلته لأحد أفراد الطبقة الارستقراطية وهو الدهقان المشهور أحمد بن سهل[٤٥٠]، فأُسر الحسين في صيف عام ٩١٨[٤٥١]. وبعد هذا مباشرة رفع أحمد نفسه لواء الثورة ولكن تم اخمادها في أواخر عام ٩١٩[٤٥٢] على يد حمويه بن علي. وتلا هذا فترة من الهدوء في البلاد دامت عشرة أعوام[٤٥٣]. أما التمرد الذي حدث بفرغانه عام ٩٢٢ على يد الياس بن اسحق فقد أُخمد في سهولة بفضل مهارة أبي عمر محمد بن أسد[٤٥٤] الذي نصب كميناً لجيش الياس بكتيبة صغيرة (ألفان وخمسمائة رجل) فشتت قواته، ويقال إن قوات الياس بلغت ثلاثين ألف رجل. وهرّب محمد بن الحسين بن موت[٤٥٥]، أكبر أنصار

---

(٤٤٦) الطبري، القسم الثالث، ص ٢٢٨٩ - ٢٢٩٠؛ ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٦٠؛ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ١٣٢. ولعل الطبري أخطأ في اسم الأمير الذي عيّن حاكماً لسمرقند، لأن الاسم الذي يذكره هو اسم أبي عمرِ محمد بن أسد الذي سيرد الكلام عليه فيما يلي من الكتاب.

(٤٤٧) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٩٢ و٩٣.

(٤٤٨) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٨٧، الترجمة ص ٢٧٤.

(٤٤٩) الفهرست، الجزء الأول، ص ١٣٨ و١٨٨.

(٤٥٠) راجع عنه Teksty, str. 6-7 (گرديزي).

(٤٥١) التاريخ عند ابن الأثير (الجزء الثامن، ص ٦٥) وگرديزي (اكسفورد الورقة ١١٦، وكمبريدج الورقة ٩٤ ب، (محمد ناظم، ص ٢٩).

(٤٥٢) التاريخ عند ابن الأثير (الجزء الثامن، ص ٨٩).

(٤٥٣) من بين الثوار الذين ظهروا في بداية حكم نصر يذكر ابن الأثير (شرحه، ص ٥٩) شخصاً باسم جعفر لا علم لنا بنشاطاته؛ ولربما ترتبط بحركته النقود التي تحمل اسم ميكائيل بن جعفر والتي سكت بسمرقند والشاش عام ٣٠٦هـ(٩١٨-٩١٩)وعام ٣٠٨هـ (٩٢٠-٩٢١)؛ أنظر Markov, Inventarny katalog, str. 141

(٤٥٤) عن قطعة من النقود النحاسية حملت اسم هذا الأمير، أنظر مقالي Bartold, Iz mints – kabineta, II, str. 059

(٤٥٥) كما سنبصر مما يلي من الكتاب فإن هذا الاسم حمله في نهاية القرن العاشر قائد من اسفيجاب. وأغلب الظن أن صاحب الياس هذا كان أيضاً من الأسرة الحاكمة باسفيجاب.

الياس، إلى طراز ولكن دهقانها قتله استجابة لرغبة حكومة بخارا. وبعد محاولة فاشلة لاشعال نار ثورة أخرى بمعاونة والي الشاش أبي الفضل بن أبي يوسف هرب الياس الى كاشغر حيث حالف دهقانها طغان تكين. وبعد غارة فاشلة على فرغانه قبل الياس آخر الأمر العفو الذي عرضه عليه ابن عمه ورجع من كاشغر إلى بخارا(٤٥٦). وحوالي ذلك الوقت دعي لتقلد الوزارة رجل/من أشهر ساسة العصر الساماني هو الوزير أبو الفضل محمد ابن عبيد الله البلعمي. 302

وقد حدثت حركة أخرى حوالي عام ٩٣٠(٤٥٧) خلال رحلة نصر إلى نيشابور. فقد كان هناك ثلاثة من إخوة الأمير في الحبس بقلعة بخارا هم يحي وابراهيم ومنصور، واستطاعوا بمعاونة خبّاز يدعى أبا بكر أن يتصلوا بالعناصر الثائرة من بين الأهالي والعسكر ببخارا(٤٥٨)، فأُخرجوا من القلعة واستولوا على المدينة وأُعلن يحي أميراً. وكانت العناصر الثائرة تتألف وفقاً لرواية ابن الأثير(٤٥٩) «من الديلم والعلويين والعيّارين»، ومما يشير أيضاً إلى اشتراك الشيعة في الحركة أن كان على رأسها إلى جانب أبي بكر ابن للحسين المروزي. وقد وصل الوزير إلى اتفاق مع ابن الحسين الذي غدر بأبي بكر وسلمه لجنود نصر فجُلد إلى أن مات. غير أن مدى تأثير أبي بكر على الجماهير ينعكس في الأسطورة التي تزعم أن جسده قذف في تنور ملتهب فلما أُخرج في اليوم التالي وجد سليماً لم يمسه أذى(٤٦٠). وبعد صدامات مع يحي أُعيدت الأمور إلى نصابها ومُنحت ولاية خراسان إلى أبي بكر محمد بن المظفر أمير الصغانيان، ومن بعده لابنه المشهور أبي علي أحمد بن محمد(٤٦١).

وثمة حركة شيعية أشد خطراً من ذلك حدثت في آخر عام لحكم نصر ومست شخص

---

(٤٥٦) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٩٧؛ ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ٢٣٧.

(٤٥٧) التاريخ الدقيق لهذا الحادث موضع خلاف (أنظر ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ١٥٤؛ وميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ١٣٨ و٢٤٥).

(٤٥٨) گرديزي، اكسفورد الورقة ١١٧، كمبريدج الورقة ٩٤ ب - ٩٥ أ، (طبعة محمد ناظم ص ٢٩): اين ابو بكر ميان برادران سعيد وميان فضوليان بخارا ولشكر واسط بود [أي «وكان أبو بكر هذا هو الوسيط بين إخوة سعيد وبين ثوار بخارا والجيش» - المترجم].

(٤٥٩) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ١٥٥.

(٤٦٠) Teksty, str. 7 (گرديزي).

(٤٦١) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ١٩٦؛ گرديزي، اكسفورد الورقة ١١٨، كمبريدج الورقة ٩٥ أ - ٩٥ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٣٠).

الأمير نفسه(٤٦٢). والمعلوم أن الدعوة الشيعية لم تنقطع البتة في خراسان التي كان بها مشهد من أكبر مشاهد الشيعة، وحيث تمتعت سلالة علي منذ عهد طويل بنفوذ كبير بين الأهالي. ووفقاً لرواية أبي الحسن بيهقي(٤٦٣) التي يعتمد فيها على مصنف البيّع(٤٦٤) فإن الخطبة بنيشابور كانت تقرأ في عهد ولاية عبد الله بن طاهر باسم أحد العلويين هو أبو الحسين محمد بن أحمد الذي زوجه عبد الله من ابنة أخيه. وفي عهد نصر بايع أهل نيشابور أبا الحسين محمداً بن يحي حفيد العلوي المذكور خليفة لهم، وقد دعاه لزيارة بخارا وتحفظ عليه هناك بعضاً من الوقت ثم أطلق سراحه فيما بعد وأنعم عليه بل ومنحه معاشاً فكان 303 بهذا أول من تمنحه الدولة من العلويين/بخراسان معاشاً. هذا وقد نشطت الدعوة الشيعية بدرجة ملحوظة نتيجة لقيام الدولة الفاطمية (في أوائل القرن العاشر)، فوجد دعاة الفاطميين طريقهم إلى خراسان واستطاعوا أن يجتذبوا الحسين بن علي المروزي إلى المذهب الشيعي. وقد خلفه محمد بن أحمد النخشبي (أو النسفي) الذي نقل نشاطه إلى بلاد ما وراء النهر تنفيذاً لوصية أستاذه، وهناك أحرز في بداية الأمر بعض النجاح في موطنه نسف ثم في العاصمة نفسها. واستطاع النخشبي أن يجتذب بعض الأعيان إلى مذهبه وكان من بينهم الحاجب الأكبر آيتاش والكاتب الخاص (دبير خاص) أبو بكر بن أبي أشعث والعارض أبو منصور چغاني(٤٦٥) ورئيس بخارا وصاحب الخراج(٤٦٦) وحاكم ايلاق حسين ملك(٤٦٧). وعلى يد هؤلاء وجد النخشبي طريقه إلى القصر وسرعان ما أصبح الأمير نفسه «قرمطياً»(٤٦٨). واستجابة لطلب النخشبي وافق نصر على دفع مائة وتسعة عشر ألف دينار(٤٦٩) للخليفة الفاطمي القائم (٩٣٤ - ٩٤٦) دية عن دم الحسين بن علي

---

(٤٦٢) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٨٧ وما يليها، الترجمة ص ٢٧٤ وما يليها؛ الفهرست، الجزء الأول، ص ١٨٨.

(٤٦٣) تاريخ بيهق، مخطوطة المتحف البريطاني، ص ١٤٩.

(٤٦٤) أنظر أعلاه ص ٧٩ - ٨٠.

(٤٦٥) لعله ابن لأبي علي، وحكم فيما بعد على الصغانيان وترمذ Teksty, str. 10 (گرديزي).

(٤٦٦) لعل هذا المصطلح يعني الوظيفة التي شغلها بالتالي «المستوفي» (راجع ص ٣٥٧-٣٥٨ من هذا الكتاب).

(٤٦٧) راجع بصدد هذا الاقليم ص ٣٦٢ فيما مر من الكتاب، وأيضاً Barthold, Die altturkischen Inschriften, S. 32

(٤٦٨) يتضح من مصنفَيْ نظام الملك وبيهقي أن هذا اللفظ كان يستعمل في معنى أوسع بكثير من المعنى المعهود.

(٤٦٩) لا يتسم متن «الفهرست» بالكثير من الوضوح في هذا الموضع. أنظر الفهرست، الجزء الأول، ص ٧٩.

المروزي[470] الذي هلك بسجن بخارا. ولم يكن اعتناق الأمير مذهب الشيعة من شأنه أن يرضى أهل الدين الذين انضموا إلى حلفائهم التقليديين قادة الحرس التركي. وعرض الاتراك العرش على «الاسفهسالار الأكبر»[471]، وتتلخص المؤامرة في أن يدعو الاسفهسالار بعلم نصر جميع قادة الجيش إلى مأدبة بمناسبة تجهيز حملة على بلاساغون (التي وقعت قبل ذلك بوقت قصير في أيدي الكفار من الترك) ويقنعهم بالانضمام إل صفه، ويأخذ يمين الولاء منهم ثم يعزل الأمير بمساعدتهم ويقضي على القرامطة. وقد وصل علم هذه المؤامرة إلى نوح بن نصر الذي رجا أباه أن يستعمل الحيلة لاجتذاب/رأس 304 المتآمرين، ثم أمر بقطع رأسه. بعد هذا ظهر الأمير وابنه في المأدبة أمام قادة الجيش وأعلن نصر أمامهم أنه على علم بمؤامرتهم، ثم أمر بالقاء رأس كبير المتآمرين أمامهم، وفي الوقت نفسه أعلن تنازله عن العرش من أجل نوح الذي لم يتهمه أحد بالالحاد. وبإزاء هذه المفاجأة لم يكن أمام القادة الترك إلاّ الاذعان، وأمر نوح بوضع أبيه في الأغلال وأخذه إلى القلعة. ثم أعلن عقب هذا أن من اللازم قبل إرسال الجيش في حملة ضد الكفار أن تُستأصل أولاً شأفة الكفار داخل البلاد وأن توزّع أملاكهم، بما في ذلك أملاك الأمير المعزول، على المسلمين. وأعقب ذلك مذبحة عامة شملت جميع ملحدي ما وراء النهر وخراسان مبتدئة بشخص النخشبي وأتباعه من وجوه القوم، وفي الوقت نفسه اتخذت التدابير للحيلولة دون المساس بدماء المسلمين، مما يلجأ اليه عادة أصحاب الإحن في مثل هذه الظروف. ومنذ تلك اللحظة لم تستطع الشيعة البقاء ببلاد ما وراء النهر إلا خفية.

هذه هي القصة كما يرويها نظام الملك، غير أن صاحب الفهرست يروي قصة إخماد الحركة الشيعية بطريقة أخرى. فهو يقول إن السبب الرئيسي لتوبة نصر كان مرضاً ألزمه

---

(٤٧٠) يقول ابن الأثير (الجزء الثامن، ص ٦٦) إن الحسين بن علي قد أطلق سراحه بعد الثورة على يد الوزير أبي علي الجيهاني وأدخل مرة ثانية في خدمة الدولة. لهذا فانْ وفاته حدثت على ما يبدو عقب ثورة أخرى جديدة لا علم لنا بها. ويورد الثعالبي (اليتيمة، في J. A., 5, I, 204) أبياتا للحسين يشكر فيها الوزير البلعمي على اطلاق سراحه.

(٤٧١) من العسير القطع أي المسئولين هو المراد ها هنا. ولن يكون ذلك حاجب الحجّاب لأنه كان من بيْن من اعتنقوا المذهب مع الأمير؛ كما لن يكون حاكم خراسان وهو آنذاك أبو علي چغاني. ومن المحتمل أن لفظ حاجب خاص المستعمل مع اسم ايتاش ليس المقصود به رئيس البلاط بل الحاجب المقرّب الى الأمير؛ في هذه الحال فان المسؤول الذي يذكره نظام الملك تحت لقب «**الاسفهسالار**» إنما المقصود به حاجب الحجّاب.

الفراش، مما جعله يعتقد أن ذلك كان عقاباً من الله. وقبل وفاته استطاع أن يبيّن كل ذلك لابنه نوح الذي استدعى النخشبي عند اعتلائه العرش وأجرى مناظرة بينه وبين الفقهاء انتهت بإفحامهم إيّاه وبإثبات تهمة الزيغ عليه، وفضلا عن ذلك فقد انكشف لنوح أن النخشبي استولى على أربعين ألف دينار من جملة المال الذي كان مفروضاً دفعه دية عن وفاة الحسين فأعدمه هو واتباعه.

هذا ولا يذكر المؤرخون شيئاً عن إلحاد نصر، ولكنهم يروون أنه توفي في يوم الخميس السادس من ابريل عام ٩٤٣ [٤٧٢] بداء الصدر بعد مرض لازمه ثلاثة عشر شهراً. وقبيل وفاته ابتنى نصر لنفسه صومعة قرب باب القصر وأمضى فيها كل وقته متعبداً [٤٧٣]. وتزعم بعض الروايات أن نصراً قد اغتاله غلمانه مثل أبيه أحمد، وهذه المصادر الأخيرة [٤٧٤] تورد لوفاته تاريخاً مغايراً هو الحادي والثلاثون من مايو عام ٩٤٢. والأرجح أن هذا ليس تاريخ وفاته إنما هو تاريخ تنازله عن العرش وانتقال السلطة الفعلية إلى يد ابنه نوح/. ولعلّ قصة بناء نصر لصومعته تتفق مع هذا الحادث الأخير. وعلى النقيض من قول نظام الملك فإن ارتقاء نوح العرش لم يحدث إلاّ بعد وفاة أبيه، ووفقاً لرواية معاصره نرشخي [٤٧٥] فإن نوحاً اعتلى العرش في العاشر من ابريل عام ٩٤٣، أي بعد أيام العزاء الثلاثة المعهودة التي أقيمت للأمير الراحل. ويورد ابن الأثير [٤٧٦] أيضاً قصة إعدام النخشبي، ويزيد أن جثمان الداعي الشيعي قد سُرق من المشنقة ولكن سارقه لم يعرف. ويقدم ابن الأثير [٤٧٧]، وكذلك ميرخواند [٤٧٨] الذي ينقل عنه، قصصاً تتصل بحلم نصر غير المعهود، ومع هذا فقد وصلت إلينا أيضاً قصص أخرى [٤٧٩] تشير إلى أنه

305

(٤٧٢) التاريخ الصحيح عند السمعاني (تحت لفظ «الساماني»)،وفي الترجمة الفارسية لتاريخ العتبي (نرشخي، طبعة شيفير، الملحق ص ٢٢٨).

(٤٧٣) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٩١؛ ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ١٤١.

(٤٧٤) أقدمها جميعاً حمد الله قزويني (تاريخ گزيده، طبعة براون، المتن ص ٣٨٣، الترجمة ص ٧٤) حيث يرد نفس التاريخ (١٢ رمضان ٣٣٠ هـ) وإن كان لا يذكر شيئاً عن مقتل الأمير. راجع أيضاً نرشخي، طبعة شيفير، الملحق ص ١١١ - ١١٢؛ وجوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٣٧.

(٤٧٥) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٩٤.

(٤٧٦) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٠٢.

(٤٧٧) شرحه، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(٤٧٨) ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ١٣٩ - ١٤١؛ وهو يورد روايات ابن الأثير نفسها وعلى نفس النسق. راجع أيضاً Teksty, str. 88 - 89 (بصدد نصر **ومعلّمه**، نقلا عن عوفي).

(٤٧٩) بيهقي، طبعة مورلي، ص ١١٧ - ١١٩؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ١٠٦ - ١٠٨).

عرف بسورة الغضب الشديد حتى اضطر عملاً بنصيحة الوزير البلعمي والعميد المصعبي[٤٨٠] إلى إصدار قرار ينص على عدم تنفيذ أوامره المتصلة بالإعدام أو العقوبة المشدّدة بأية حال من الأحوال إلاّ بعد مضي ثلاثة أيام على إصدارها، وإلى جانب هذا تم تعيين ثلاثة شيوخ مهمتهم الشفاعة لدى الأمير لمن حاق بهم غضبه. ولعلّ الدليل على أن هذا الاجراء لم يأت بالثمرة المرجوّة هو قول ابن الاثير[٤٨١] وكرديزي[٤٨٢] بانه عند وفاة نصر لم يكن بقي من كبار رجال دولته أحد على قيد الحياة «فإنهم كانوا قد سعى بعضهم ببعض فهلك بعضهم (أي على يد الأمير) ومات بعضهم (أي توفاه الله)». ومن العسير القول إن أميراً ضعيفاً مات بالسل ولمّا يبلغ الأربعين ربيعاً كان بوسعه أن يقوم بدور فعّال في تسيير دفة الحكم، لهذا فإن الجوانب المشرقة من فترة حكمه يجب ردها إلى وزيريه أبي عبد الله الجيهاني وأبي الفضل البلعمي. وفي القصة المتعلقة بإلحاد نصر وانقلاب عام ٩٤٢ فليس هناك لسوء الحظ ما يكشف لنا عمّن كان على رأس الإدارة آنذاك، وعن الدور الذي قام به الوزير في تلك الأحداث. وقد صحب انتقال السلطة من يد البلعمي إلى يد أبي علي الجيهاني كما يروي كرديزي اضطراب في سير الجهاز الحكومي، ووفقاً لقول ابن الأثير[٤٨٣] فان هذا/الحادث وقع عام ٣٢٦ هـ = ٩٣٨. هذا وقد عاش البلعمي حتى 306 نوفمبر من عام ٩٤٠[٤٨٤]، أما الجيهاني فقد مات عام ٣٣٠ هـ =٩٤١-٩٤٢ «تحت الهدم»[٤٨٥] وهو تعبير كان يراد به عادة من هلكوا ضحية الزلزال[٤٨٦]. غير أنه لا علم لنا بوقوع زلزال في عام ٣٣٠ هـ ، وحتى إذا لم تكن لوفاة الوزير صلة مباشرة بثورة عام ٣٣٠ هـ فإنها على أية حال قد يسرت بلا شك انتصار رجال الدين والعسكريين. ويرد

---

(٤٨٠) أبو الطيب محمد بن حاتم. ووفقاً للثعالبي (اليتيمة، 197 - Journ. Asiat., 5, 1, 196) فان نصراً أعجبه ذكاؤه فقربه اليه؛ ثم لم يلبث أن بلغ مرتبة الوزارة ولكنه قتل فيا بعد. ويقول كرديزي إنه «أظهر الخلاف» عند تعيين الجيهاني وزيراً (وجاء في المخطوطة سهواً «الصبعي» Teksty, str. 8)

(٤٨١) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٠٠.

(٤٨٢) Teksty, str. 8

(٤٨٣) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٢٨٣.

(٤٨٤) السمعاني، تحت لفظ «البلعمي».

(٤٨٥) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٢٩٤.

(٤٨٦) هكذا لدى ابن الأثير (شرحه، ص ٣٠٢) وذلك في روايته لزلزال ٣٣١ هـ الذي خرب مدينة نسا بخراسان.

في كتاب الفهرست[٤٨٧] اتهام في حق أبي علي الجيهاني بالميل إلى الثنوية.

أمّا في عهد نوح بن نصر (٩٤٣-٩٥٤)[٤٨٨] فإننا نبصر بوضوح العلامات التي تشير إلى تدهور الدولة. وقد كان من جرّاء الأحداث التي أحاطت بأيام حكم نصر الأخيرة أن انتقلت السلطة إلى رجل عرف بتقواه الشديدة هو الفقيه أبو الفضل محمد بن محمد السلمى الذي اشتهر فيما بعد بلقب «الحاكم الشهيد». وكان من عادة الوزير الجديد[٤٨٩] (وقد رفض الفقيه الورع لوقت طويل إتخاذ لقب الوزارة ثم أذعن في آخر الأمر تحت إلحاح نوح) أن يصوم يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع ولا يدع صلاة الليل في السفر أو الحضر؛ وكرّس وقتاً قصيراً للغاية لمقابلة الناس فيما يتصل بشئون الدولة، وسرعان ما كان يرجع إلى التصنيف حال ما سنحت الفرصة. ومن الطبيعي أنه لم يكن باستطاعة وزير هذا شأنه أن يُخرِج الحكومة من المآزق التي وجدت نفسها فيها بسبب انتهاب الخزينة في عام ٩٤٢. وكانت الدولة في أمسّ الحاجة إلى الجند لإخماد ثورة شبت بخوارزم عام ٩٤٤[٤٩٠] وللحرب ضد الترك[٤٩١]، ثم لقتال آخر ضد أبي علي چغاني والى خراسان. وكان أهل خراسان قد اشتكوا إلى نوح[٤٩٢] منه في ربيع عام ٩٤٥ فعزله نوح واستعمل بدله زعيم الحزب التركي ابراهيم بن سيمجور/الذي كان «يجمع إلى هيبة الملك 307 سياسة الدين»[٤٩٣]. غير أن أبا علي لم يكن على استعداد ليخلي الجو لخلفه طواعية، كما أن الدولة لم تكن في وضع يسمح لها باستعمال القوة معه، ذلك أن العسكر لم يكونوا قد تسلموا أرزاقهم بعد وأخذوا يعلنون تزمرهم من الأمير ووزيره. وقد نتج عن المشاكل المالية زيادة في الخراج والضرائب، ويذكر المقدسي[٤٩٤] أنه حدث ذات مرة في إمارة

---

(٤٨٧) الفهرست، الجزء الأول، ص ١٣٨. وذكر الحسين بن علي المروزي وأبي زيد البلخي في هذا الموضع يدل على أن صاحب الفهرست لم يفرق بين الجيهاني الأب والجيهاني الابن (راجع ص ٧٤)، ولعل الاتهام بالزندقة قد مس الاثنين. ويخلط ياقوت (الارشاد، الجزء الثاني، ص ٥٩ - ٦٠) حتى بين أبي عبد الله الجيهاني وحفيده؛ ويرد ذكر الجيهاني الأول مرة أخرى لدى ياقوت في نفس المصنف (الجزء السادس، ص ٢٩٣ - ٢٩٤).

(٤٨٨) يقول عنه ياقوت في الارشاد (الجزء الثالث، ص ٩٩): «من أدباء ملوك آل سامان».

(٤٨٩) السمعاني، تحت لفظ «الشهيد».

(٤٩٠) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣١٠ - ٣١١؛ ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ٢٤٩.

(٤٩١) كان ابن خاقان الترك موجوداً في أسر نوح (شرحه).

(٤٩٢) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٣٤؛ ميرخواند: تاريخ السامانيين، ص ١٤٣.

(٤٩٣) السمعاني، تحت لفظ «السيمجوري».

(٤٩٤) المقدسي، ص ٣٤٠.

نوح أن استقرضت الحكومة خراج سنة من الناس ولم تستطع دفعه البتة. هذا وقد كثر تضرّر شعراء ذلك العصر من «عمال ديوان الخراج» الذين عمدوا إلى جمع بقايا الخراج(٤٩٥) في حين لم يكن بوسع الناس أن يدفعوا الخراج المقرر.

وفي خريف عام ٩٤٦ ضحى نوح بزعيم الحزب العسكري أحمد بن حمويه(٤٩٦) (والأرجح أنه ابن لحمويه بن علي المشهور) من أجل الوزير، ولكن في خلال الشهرين التاليين لم يستطع أن يحول بين العسكر وبين الفتك بالوزير الذي أخذوا عليه تأخير أرزاقهم واتهموه بالإتفاق سراً مع أبي علي. ويروي المؤرخون(٤٩٧) أن الوزير قد قتل بأمر من نوح، غير أنه وفقاً لرواية البيّع التي حفظها السمعاني(٤٩٨) فإن السلطان أرسل جماعة لحمايته ولكن الجند الثائرين أزالوها ووصلوا إلى الوزير فقتلوه.

وفي خلال ذلك كان أبو علي(٤٩٩) قد أرسل في طلب عم لنوح من أرض الجزيرة هو ابراهيم بن أحمد. ولم يلبث أن انضم الى الثوار جيش نوح، الذي لم يتسلم أرزاقه فيما يبدو حتى بعد مصرع الوزير. ولم يكد يمضي شهر على مصرع «الحاكم الشهيد» حتى دخل أبو علي وابراهيم بخارا وذلك في يناير عام ٩٤٧ وقرئت الخطبة باسم ابراهيم، بينما انسحب نوح إلى سمرقند. ولم يدم حكم أبي علي ببخارا أكثر من شهرين، فقد اضطره موقف العداء الذي اتخذه الأهالي إلى الانسحاب فجعل أنصاره على وظائف الديوان الكبرى وغادر بخارا تاركاً إلى جنب ابراهيم عضواً آخر/من أسرة السامانيين هو أبو جعفر محمد أخو نوح(٥٠٠). وقد غادر أبو علي بخارا بحجة الزحف على سمرقند ولكنه حين 308

---

(٤٩٥) الثعالبي، اليتيمة، في Journ. Asiat. 5, 1, 176 : وترجمة دي مينار لا يحالفها التوفيق «l'excédant» و «le droit ordinaire». أما عن معنى «البقايا» فراجع مفاتيح العلوم، ص ٦٠؛ ويبدو واضحاً أنها لا تحمل المعنى الذي تحمله «الباقي» (شرحه).

(٤٩٦) Teksty, str. 8 (كرديزي).

(٤٩٧) راجع الى جانب كرديزي ابن الأثير أيضاً (الجزء الثامن، ص ٣٤٥).

(٤٩٨) السمعاني تحت لفظ «الشهيد».

(٤٩٩) راجع عنه وعن نشاطاته ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٤٤ - ٣٤٨؛ وكرديزي، مخطوطة اكسفورد الورقات ١٢٠ - ١٢٢، مخطوطة كمبريدج الورقات ٩٧أ - ٩٩ب)، (طبعة محمد ناظم، ص ٣٣ - ٣٩)؛ Teksty, str. 8 - 9.

(٥٠٠) روايتا ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٤٥، وميرخواند (تاريخ السامانيين، ص ١٤٦ و١٤٧) بصدد رحيل أبي علي الى تركستان وعودته الى بخارا لا تجد ان التوكيد لدى كرديزي. ووفقا لقول ابن الأثير فان ابراهيم اتفق مع جيش أهل بخارا على أن يعقد الصلح مع نوح ولكن قبل وصول هذا الأخير =

بلغ نسف اتجه نحو وطنه صغانيان، عندئذ سارع الأميران بالدخول في مفاوضات مع نوح الذي وعدهما بالعفو واستطاع الرجوع إلى عاصمته في ابريل. ولم يبد نوح في خصومته مع الثوار ذلك التسامح والاعتدال اللذين عرف بهما أبوه، فرغماً من وعوده التي قطعها فقد أمر بسمل أعين عمه وأخويه (أبي جعفر محمد[٥٠١] وأبي محمد أحمد) وأعدم أحد كبار النبلاء وهو الحاجب طغان، ثم تم تعيين منصور بن قراتكين كبير بيت أمراء اسفيجاب والياً على خراسان، أما ابراهيم بن سيمجور فقد توفي في ربيع عام ٩٤٨[٥٠٢].

غير أن كبير الثوار، أعني أبا علي، فإنه لم يكن قد هُزم بَعدُ، ولمّا علم أن نوحاً بسبيل جمع جيش للزحف عليه تراجع إلى بلخ (مما يحملنا على الافتراض أن حاكمها كان في جانبه) ومن هناك زحف مرة أخرى على بخارا ولكنه هزم قرب خرجنك[٥٠٣]، هذا على الرغم من أن نوحاً انسحب بقواته الرئيسية من ميدان المعركة، وكان ذلك في آخر عام ٩٤٧. وكان انتصار قوات الحكومة حافزاً لعقوبات صارمة وقتل جديد، وكان من بين الضحايا أحد أفراد أسرة العتبي. وتصرفات أبي على التالية (من انسحابه إلى بلخ وجوزجان، وتحالفه مع أمير الختّل، واجتماعه بعسكره قرب سمنجان[٥٠٤]، وحلفه مع الكيمجي[٥٠٥] وأمير راشت) تقف دليلا على أنه قد نجح في أن يثير ضد الحكومة

= تمكن أبو علي من كسر جيش أهل بخارا وعزم على احراق المدينة ولم يكفّه عن ذلك سوى توسلات المشايخ. أمّا ميرخواند فيقول ان ابراهيم تمكن من الانضمام لنوح وان أبا علي هزمهما الاثنين. ولا يذكر كرديزي شيئا البتة عن معركة حدثت بين أبي علي وابراهيم؛ ووفقاً لألفاظه فان ابا علي أراد احراق بخارا لأن الأهالي اتخذوا منه موقفاً عدائياً.

(٥٠١) (قيل ان قصيدة رودكي التي مطلعها: «ما درمي بكرد بايد قربان» قد رفعها الى أبي جعفر محمد بن أحمد هذا. ولكن هذا القول تبين عدم صحته الآن باكتشاف «تاريخ سيستان» حيث يرد صراحة أن ممدوح رودكي هو أبو جعفر احمد بن محمد بن خلف بن الليث حاكم سيستان. أنظر مقال Sir E. Denison Ross, «A Qasida by Rudaki», JRAS, 1926, PP. 313 sq. – H.A.R. Gibb)

(٥٠٢) السمعاني، تحت لفظ «السيمجوري».

(٥٠٣) وفقاً لجمال قرشي (Teksty, str. 132) فقد وجد رباط يحمل اسم «رباط الملك» (أو «رباط ملك») قرب خرجنك شيّده شمس الملك؛ وعن أبنية أخرى لهذا الخان راجع ما يلي من الكتاب. وأغلب الظن أن الرباط كان بمفازة ملك غربي كرمينية. وعندما نشرت سفر «المتون» (Teksty (str.8 كان سهواً واضحاً من طرفي عندما خلطت بين خرجنك وخرتنك (راجع عن هذه الأخيرة ص ٢٢٥ من هذا الكتاب).

(٥٠٤) من الجلي أنه يجب قراءة «سمنكان» بدلا من «سمكان» التي وردت في متن كرديزي: وهي «سمنجان» لدى العرب (راجع ص١٤٩).

(٥٠٥) أنظر ص١٥٣

المركزية أمراء جميع الأقاليم/الخاضعة لآل سامان والواقعة على المجرى الأعلى لنهر 309 أمودريا. ونتيجة لهذا فإن جيش بخارا رغماً من انتهابه لصغانيان عاصمة أبي علي لم يلبث أن وجد نفسه في موقف عسير وقُطع عليه طريق الإتصال ببخارا. وفي آخر عام ٩٤٨ على وجه التحديد اتفق الطرفان على الصلح وبعث أبو علي بابنه إلى بخارا كرهينة. ولا علم لنا بالشروط التي قبلتها حكومة بخارا من أبي علي وحلفائه، غير أنه مما يقف دليلا على أن النصر كان في جانب الثوار ما قوبل به ابن أبي علي من حفاوة وتكريم لدى وصوله إلى بخارا فقد زينت المدينة من أجله وخلع عليه وأجلس على مائدة الأمير، أما أبو علي فقد ظل بالصغانيان بل إنه استجاب لطلب للحكومة فأخمد ثورة دينية محلية قامت ضد تعاليم الاسلام. وأمّا في خراسان فقد جهد منصور بن قراتكين عبثاً في استعادة النظام بين العسكر، ولم يتوقف في رجائه للأمير أن يعفيه من هذه المهمة الثقيلة، ومن الجلي أن أرزاق الجند لم تكن تدفع بشكل منتظم وذلك على نحو ما كان عليه الحال من قبل. وتوفي منصور عام ٩٥١ وعُيِّن خلفاً له أبو علي الذي وصل إلى خراسان في عام ٩٥٢ تاركاً صغانيان وترمذ في يد ابنه أبي منصور نصر بن أحمد. وقد استطاع أبو علي أن يعيد النظام إلى خراسان وخوارزم وبدأ الحرب ضد البويهيين(٥٠٦)، وانتهت الحرب بعقد صلح مما أثار سخط نوح فعزل أبا علي وعيّن مكانه أبا سعيد بكراً بن ملك الفرغاني. ولكن قبل أن يسافر بكر إلى مقر عمله توفي نوح في يوم الإثنين الثامن من آغسطس عام ٩٥٤(٥٠٧).

وأنجب نوح خمسة أبناء هم عبد الملك ومنصور ونصر وأحمد(٥٠٨) وعبد العزيز. وكما جرت عادة بعض الخلفاء فإن نوحاً حمل الناس أثناء حياته على مبايعة أولاده الخمسة الذين كان يفترض فيهم أن يتولوا الحكم الواحد تلو الآخر(٥٠٩). ومما يقف دليلا على المكانة التي تمتعت بها الأرستقراطية العسكرية أنه قد عُيِّن لكل واحد من الأمراء

---

(٥٠٦) Teksty, str. 8-9 (كرديزي)؛ ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٧٠ - ٣٧١ و٣٧٨.

(٥٠٧) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٧٩ - ٣٨١؛ السمعاني، تحت لفظ «الساماني». ووفقاً للعتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٣٤٩ (وجر باذقاني، لدى نرشخي، طبعة شيفير، الملحق ص ٢٢٩) فقد حدث ذلك يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ آغسطس.

(٥٠٨) يرد ذكره أيضاً لدى نرشخي (طبعة شيفير، ص ١٦).

(٥٠٩) كرديزي، اكسفورد الورقة ١٢٤، كمبريدج الورقة ١٠٠أ، (طبعة محمد ناظم، ص ٣٩)؛ ولا يرد فيه سواء أسماء أربعة من الأمراء (وأسقط اسم منصور).

الثلاثة الكبار حاجب خاص من بين قادة الحرس[٥١٠]. وارتقى عبد الملك العرش، وفكرة المقدسي[٥١١] الرفيعة عن مقدرة هذا الأمير (وذلك بقوله «ولم يكن في آل سامان مثله») لا تجد في واقع الأحوال ما يبررها، وسنرى أنه قرب نهاية حكمه كانت السلطة كلها في يد قائد الحرس. ولدى اعتلائه العرش أكد عبد الملك قرار سلفه الخاص بعزل/ 310 أبي علي وتعيين بكر، وعيّن أبا منصور محمداً بن عُزَيْر وزيراً له[٥١٢]. ويبدو أن الظروف لم تكن في مصلحة أبي علي لأنه كما يقول ابن الأثير[٥١٣] «علم أنه لا يمكنه المقام بخراسان ولا يقدر على العود إلى الصغانيان»، وهذا ما حدث فعلاً. إذ بالرغم من معاونة البويهيين له وإرسال الخليفة إليه بعهده فان أبا علي لم يستطع التمكين لنفسه بخراسان، أما عن العودة إلى الصغانيان فإنه لم يرجع اليها سوى جثمان حاكمها السابق فقد فارق أبو علي الحياة في نوفمبر عام ٩٥٥. ولم تبق الحكومة الجديدة على دست الحكم لوقت طويل فبكر ابن ملك «عامل الحرس باحتقار وأهمل مطالبهم وأثار حفيظتهم عليه» مما أدى إلى مصرعه في ديسمبر عام ٩٥٦ على يد قائد الحرس البتكين عند باب قصر الأمير، ويغلب على الظن أن ذلك قد تم بموافقة الأمير. وأعقب ذلك عزل الوزير من منصبه وتعيين أبي جعفر العتبي مكانه، وخلف بكراً على خراسان أحد أتباعه هناك وهو القائد أبو الحسن محمد بن ابراهيم سيمجوري. وقد حمل إليه عهد الولاية ولواءها ابن البتكين الحاجب[٥١٤] في عام ٩٥٧. هذا ولم يلبث كل من العتبي وأبي الحسن سيمجوري أن أثارا السخط العام على إدارتهما مما أدى الى عزلهما، وتم تعيين ابي منصور يوسف بن اسحق وزيراً في عام ٩٥٩، كما تم تعيين أبي منصور محمد بن عبد الرزاق والياً على خراسان (ابتداء من عام ٩٦٠)، ويقول عنه كرديزي إنه كان حاكماً عادلا. وتشير قرائن الأحوال إلى أن البتكين نفسه قد عُزل بعضاً من الوقت لأن عهد تعيين الاسفهسالار الجديد ولواءه حملها إليه أبو نصر منصور بن بايقرا[٥١٥] الذي يجعله المقدسي حاجباً للمنصور بن نوح. وقيام عبد الملك

---

(٥١٠) المقدسي، ص ٣٣٧.

(٥١١) شرحه، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٥١٢) هكذا لدى كرديزي. والمقدسي (شرحه) يجعل أبا منصور بن عزير وزيرا لنوح.

(٥١٣) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٧٩.

(٥١٤) (أبو اسحق ابراهيم بن البتكين ممن نقل عنهم ابن حوقل، الذي يدعوه «حاجب صاحب خراسان». أنظر ابن حوقل طبعة كرامرز Kramers، ليدن، ١٩٣٨ - ١٩٣٩، ص ١٤ - مينورسكي).

(٥١٥) كما هو معلوم فان اسم هذا الحاجب يلتقي به في سكة منصور؛ أنظر Tizengauzen, O samanidskikh monetakh, str. 218

ووزيره بمحاولة للتخلص من سيطرة العسكريين تؤكده ايضاً رواية ابن الأثير (تحت أحداث عام ٩٦٠ كذلك) بشأن إعدام قائد عسكري احتل منصباً عالياً، وقد أدى هذا بدوره إلى إثارة الاضطرابات بالبلاد. وعلى أية حال فقد باءت محاولتها بالفشل لأن عبد الملك وجد أن وسيلته الوحيدة للخلاص من البتكين هي أن يعينه والياً على خراسان التي بلغها في فبراير عام ٩٦١. وتولى منصب الحجابة مملوك سابق لا لبتكين، وقبل ذلك كان البتكين قد نجح في إقناع الأمير بخلع وزيره وأن يعين مكانه أبا علي محمداً بن محمد البلعمي الذي لم يرث مقدرة أبيه وكان آلة في يد قائد الجيش القوي[٥١٦].

311 هذا ما كان عليه الوضع عندما قذف موت عبد الملك الفجائي/في نوفمبر[٥١٧] عام ٩٦١ بالبلاد في اضطرابات جديدة، وكما رأينا فيما سبق من الكتاب (ص٢٠٦) فإن دار الإمارة نفسها قد تعرضت في غمرة تلك الأحداث للنهب والحريق على أيدي الثوار. وتنفيذاً لرغبة البتكين فقد أُجلس على العرش ابن صغير للأمير المتوفي اسمه نصر[٥١٨] ولكن سلطانه لم يدم إلاّ يوماً واحداً، ذلك أن أعضاء أسرة السامانيين يؤازرهم قادة الحرس أخذوا جانب أبي صالح منصور بن نوح الذي استطاع أن يرتقي العرش بمعاونة فايق حاجبه منذ أيام حداثته. ويبدو أن البتكين وجد نفسه منعزلاً عن الجميع، وتشير قرائن الأحوال إلى أن البلعمي نفسه قد أخذ جانب الحكومة الجديدة لأنه احتفظ بمنصب الوزارة حتى وفاته. وبخراسان خرج أبو منصور محمد بن عبد الرزاق الذي تركه البتكين حاكماً على طوس على عدوه القديم، خاصة وأن الحكومة قد عرضت عليه مركز

---

(٥١٦) Teksty, str. 10 – 11 (كرديزي)؛ ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٩٦؛ المقدسي، ص ٣٣٨.

(٥١٧) التاريخ الدقيق موضع نزاع؛ أنظر السمعاني تحت لفظ «الساماني»؛ وابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٩٨؛ ونرشخي، طبعة شيفير، ص ٩٦ و١٠٣ و١١٢ و٢٢٩؛ والعتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٣٤٩ حيث يرد التاريخ على أنه الخميس الحادي عشر من شوال عام ٣٥٠ هـ، غير أن ذلك اليوم كان يوم السبت ٢٣ نوفمبر.

(٥١٨) ولا يرد ذكره سوى لدى المقدسي (ص ٣٣٨)؛ غير أن مما يؤكد أنه اعتلى العرش نصيحة البتكين الواردة لدى گرديزي (اكسفورد الورقة ١٢٦، كمبريدج الورقة ١٠١ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٤١)): هم از فرزندان او يكي صواب تر بود نشاندن [أي «من الأصوب إجلاس أحد اولاده على العرش» – المترجم]. وعلى خلاف هذا يوكد نظام الملك (سياست نامه، المتن ص ٩٧، الترجمة ص ١٤٤) أن البتكين اعتبر منصوراً أصغر من أن يعتلي العرش، كذلك يقول المؤرخون النقليون المتأخرون (نرشخي ص ١٠٤؛ تاريخ گزيده ص ٣٨٤ والترجمة ص ٧٤؛ ميرخواند، تاريخ السامانيين ص ١٥٣) إن البتكين أراد إجلاس عم منصور على العرش.

البتكين الذي اضطر الى الانسحاب الى غزنه حيث عزل في عام ٩٦٢ حاكمها المحلي وأسس مملكة مستقلة[٥١٩]. ووفقاً لألفاظ كرديزي فان أبا منصور أدرك أن نصيبه هو أيضاً سيكون العزل لدى أول سانحة ولذا فقد أطلق العنان لجنوده لانتهاب البلاد وعقد علاقات مع البويهيين. وفي عام ٩٦٢ أُرسل ضده أبو الحسن محمد سيمجوري الذي تم تعيينه مرة أخرى والياً على خراسان (وكان من بين رجال جيشه أحمد بن منصور بن قراتكين). وقُتل أبو منصور وبقي أبو الحسن والياً على خراسان حتى آخر حكم منصور، وكان مُوفّقاً في حروبه ضد البويهيين والزياريين[٥٢٠]. ويتضح سبب هذه الحروب من رد منصور على طلب من أبي الحسن بأن يرسل إليه أرزاق العسكر، بقوله «عليك بانتزاع أرزاق الجند من بيستون[٥٢١]» (أمير آل زيار). هذا وقد تغير ساعتئذ سلوك كل من أبي الحسن وأبي جعفر العتبي، الذي اقتسم منصب الوزارة مع البلعمي، عمّا كان عليه في عهد عبد الملك وتمتع/ كل منهما بسمعة طيبة كحاكم عاقل عادل. وبغزنة أيضا استطاع السامانيون استرداد سيادتهم ولو اسمياً على أقل تقدير، فاسحق[٥٢٢] بن البتكين الذي كان قد خلف والده عند وفاته عام ٩٦٣ هُزم على يد أمير غزنة السابق في عام ٩٦٤ وهرب إلى بخارا ولم يستطع التغلب على خصمه إلاّ بمعاونة الحكومة السامانية في عام ٩٦٥[٥٢٣]، وتلا هذا ظهور اسم السامانيين إلى جانب اسم الحكام المحليين على السكة المضروبة بغزنة[٥٢٤]. ومدى علمنا أن بقية أيام حكم منصور مرت بسلام. وعقب وفاة البلعمي في ربيع ٩٧٤ (أنظر ص ٧١، حاشية ٥٦) أصبحت الوزارة من جديد من نصيب يوسف بن أسحق الذي لم يعش بعد سلفه لأكثر من خمسة أشهر. وفي العام الأخير لحكم منصور تولى منصب الوزارة أبو عبد الله أحمد بن محمد الجيهاني وهو ابن أبي علي محمد

312

---

(٥١٩) تعكس رواية نظام الملك (شرحه) بصدد البتكين تعاطفه مع هذا الأخير.

(٥٢٠) راجع أعلاه ص٣٥٢، الحاشية ٣٠٨

(٥٢١) كرديزي (اكسفورد الورقة ١٢٨، كمبريدج الورقة ١٠٣أ) (طبعة محمد ناظم ص ٢٤٥): مال حشم از بي ستون بن وشمكير بايد ستد.

(٥٢٢) لعل اسمه الحقيقي هو اسحق بن ابراهيم؛ راجع ابن حوقل (ص ١٣ - ١٤).

(٥٢٣) عن هذه الأحداث راجع Teksty, str. 160 (تاريخ فصيحي)؛ وجوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٧٠ - ٧٣. ولا شك أن التاريخ الذي يورده فصيح فيما يتعلق بوضع البتكين يده على غزنه (وهو ٣٢٢ هـ) خطأ. وعلى العموم فرغماً عن قيمة مصنف فصيح إلا أنه لا يمكن موافقة راڤرتي في اعتباره له حجّة «An excellent authority» حتى بالنسبة لأحداث القرن العاشر.

(٥٢٤) Saveliev, Dopolnenia, str. 240

وحفيد أبي عبد الله محمد بن أحمد المشهور. هذا وقد انتقل منصور إلى جوار ربه في يونيو عام ٩٧٦(٥٢٥).

وخلف منصوراً ابنه أبو القاسم نوح الذي لم يتجاوز آنذاك الثالثة عشر من عمره(٥٢٦)، وتولت إدارة المملكة باسمه أمه(٥٢٧) والوزير أبو الحسين عبد الله بن أحمد العتبي الذي تم تعيينه في آخر عام ٩٧٧(٥٢٨). وفي بداية فترة حكمه جهدت الحكومة في مصالحة كبار رجال الجيش، خاصة أبي الحسن سيمجوري الذي غُمر بأنواع العطف وألقاب الشرف(٥٢٩). وبعد أن دعّم الوزير الطموح مركزه عزم على أن يعيد سلطة أهل الديوان (البيروقراطية) إلى سالف مجدها وأن يخضع رجال الجيش لإرادته. ففي بداية عام ٩٨٢(٥٣٠)/ نجح في عزل أبي الحسن سيمجوري ذي النفوذ الواسع واستبداله بالحاجب 313 قاش الذي كان فيما مضى مملوكاً لوالد العتبي واحتفظ بوفائه للوزير، ووفقاً لبعض الروايات(٥٣١) فقد كان من العوامل التي أثّرت على تصرفاته حقده الشخصي على أبي الحسن الذي عدّ العتبي صغير السن على منصب الوزارة وأشار على نوح بترك الجيهاني يقوم بأعباء تلك المهمة. وقد اضطر أبو الحسن إلى الانسحاب إلى قهستان التي كانت

---

(٥٢٥) وفقاً للعتبي (العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٣٤٩) في يوم الثلاثاء الحادي عشر من شوال (١٣ يونيو). وأكثر التفاصيل عن سني حكمه نلتقي بها لدى گرديزي (اكسفورد الورقة ١٢٦ – ١٣٠، كمبريدج الورقة ١٠١ ب – ١٠٤ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٤٢ – ٤٧). أما تاريخ العتبي فيقتصر على أحداث ما وراء النهر فحسب؛ ولتفاصيل أكثر أنظر De Sacy, Histoire de Yémineddoula

(٥٢٦) هكذا لدى ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٤٩٥.

(٥٢٧) راجع عنها العتبي (العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ١٣٦؛ ونرشخي ص ١٤٠).

(٥٢٨) يرد التاريخ لدى گرديزي (اكسفورد الورقة ١٣٠، كمبريدج الورقة ١٠٥أ، (طبعة محمد ناظم ص ٢٤٨) على أنه ربيع الثاني عام ٣٦٧ هـ . ونفس التاريخ نلتقي به لدى ياقوت (الارشاد، الجزء الثاني، ص ٦٠) نقلا عن تتمة تاريخ السلامّي لأبي الحسن محمد بن سليمان بن محمد، الذي من الممكن أن يكون مصدر گرديزي أيضاً. ولا شك أن «فريد التواريخ» وردت خطأ في موضع «مزيد التواريخ»؛ راجع الارشاد، الجزء الثالث، ص ١٤٠.

(٥٢٩) Teksty, str. 11 (گرديزي).

(٥٣٠) التاريخ لدى العتبي (العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ١٠٥؛ والألفاظ «في منتصف شعبان منها» ترد في تعليق المنيني فقط)؛ أما لدى گرديزي (اكسفورد الورقة ١٣١؛ كمبريدج الورقة ١٠٥ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٢٤٩) فيرد على أنه منتصف شعبان من عام ٣٧١ هـ .

(٥٣١) Teksty, str. 11–12 (گرديزي) و str. 91–92 (عوفي)، نرشخي ص ١٠٥؛ حمد الله قزويني، تاريخ گزيده، المتن ص ٣٨٥ وما يليها، الترجمة ص ٧٥؛ أنظر أعلاه ص ٨٠.

اقطاعاً لأسرته (أنظر ص ٣٦٩). أما بقية قادة الحرس، ومن بينهم فايق صاحب النفوذ الكبير، فقد أُرسلو مع الجيش لقتال البهويهيين. غير أن فوز الوزير لم يدم طويلا، ففي مارس هُزمت جيوش خراسان على يد البهويهيين الذين لم يحل بينهم وبين غزو خراسان إلاّ وفاة عضد الدولة[٥٣٢]. وتنفيذاً لأوامر العتبي تم إعداد عسكر جديد بمرو وتجهز العتبي بنفسه للحاق بهم، ولكنه خر صريعاً على أيدي قتلة استأجرهم فايق وأبو الحسن. ويدعو العتبيّ المؤرخ[٥٣٣] قريبَة بحق آخر وزير جدير بهذا اللقب، وفي الواقع ان من خلفوه في هذا المنصب لم يتمتعوا بأية سلطة ولم يحاولوا حتى منازعة رجال البلاط في سبيلها. ولإعادة الأمور إلى نصابها فقد استدعت الحكومة تاش إلى بخارا حيث استطاع الوصول إلى اتفاق مع منافسيه محتفظا بمنصبه كاسفهسالار. أمّا أبو الحسن فقد بقي بقهستان، وتم تعيين ابنه أبي علي حاكماً على هرات كما تم تعيين فايق حاكماً على بلخ. وبعد مغادرة تاش لبخارا وقعت مقاليد الأمور من جديد في يد الفئة المعارضة، وتم تعيين عبد الله بن محمد بن عزير وزيراً في آغسطس عام ٩٨٦[٥٣٤] وكان من أعداء آل العتبي[٥٣٥]، كما أعيد منصب الاسفهسالار من جديد إلى أبي الحسن. وقد حاول تاش الالتجاء إلى المقاومة المسلحة ضد أبي الحسن وفايق متعيناً في هذا بفخر الدولة/البويهي وبألفي فارس أمدّه بهم بويهي آخر هو شرف الدولة أبو الفوارس أمير فارس، ولكنه مني بالهزيمة في الثاني من ديسمبر عام ٩٨٧[٥٣٦] وفر إلى جرجان حيث مات بالطاعون بعد عام من

314

---

(٥٣٢) كرديزي (اكسفورد الورقة ١٣١، كمبريدج الورقة ١٠٦ أ، (طبعة محمد ناظم ص ٢٥٠): واكرني خراسان وتاش را لاش كرندني. ويرى المقدسي أن سبب هلاك عضد الدولة وتَضعضع أسرته إنما كان تعرضه لآل سامان (ص ٣٣٨).

(٥٣٣) العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ١٢١ وما يليها (بصدد تفوقه على بقية الوزراء الموجودين في كتب التاريخ)، نرشخي، ص ١٣٠. ومما يثير الانتباه أنه حصل في نهاية حياته على وظيفة عسكرية أيضاً (العتبي، شرحه؛ نرشخي، ص ١٢٩) وبهذا جمع في يديه السيف والقلم.

(٥٣٤) يرد التاريخ لدى كرديزي (اكسفورد الورقة ١٣٢، كمبريدج الورقة ١٠٦ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٥١)) على أنه ربيع الأول عام ٣٧٦ هـ ؛ أما ابن الأثير (الجزء التاسع، ص ١٩) فيرجع بهذا الحادث الى عام ٣٧٣ هـ = ٩٨٣ – ٩٨٤.

(٥٣٥) نلتقي في «تاريخ بيهق» (مخطوطة المتحف البريطاني رقم Or. 3587 الورقة ٦٩ أ) بشكوى من سوء أخلاق هذا الوزير.

(٥٣٦) يرد التاريخ لدى كرديزي (اكسفورد الورقة ١٣٣، كمبريدج الورقة ١٠٧أ، (طبعة محمد ناظم ص ٥٢)) على أنه السابع من شعبان عام ٣٧٧ هـ .

ذلك[٥٣٧]. أمّا الوزراء الذين تلوا ذلك فانهم لم يفلحوا في إعادة النظام، وذلك كما يقول العتبي[٥٣٨] «لا نسداد الولايات وتراجع الارتفاعات واستشراء الحشم وضراوة الاتراك وتسحبهم على الوزراء». وعند وفاة أبي الحسن في ربيع عام ٩٨٩[٥٣٩] خلفه ابنه أبو علي الذي كان أكثر استعداداً وطموحاً من أبيه. وكان العطف والتفضيل اللذان أبدتها حكومة بخارا نحو فايق سبباً في نفور أبي علي والتجائه إلى السلاح حيث استطاع أن يهزم فايقاً الذي هرب إلى مرو الروذ، بينما أرسل أبو علي رسولاً إلى بخارا يبرر تصرفاته ويوكد طاعته. ولم يكن أمام الحكومة الاّ أن تقبل اعتذار المنتصر وتثبّته في منصب الوالي على جميع الولايات الواقعة جنوبي امودريا. وسرعان ما جعل أبو علي من نفسه الحاكم المطلق هناك واتخذ لقب «أمير الأمراء المؤيد من السماء»[٥٤٠]؛ وبحجة استيفاء حاجات جيشه وضع يده على خراج الدولة بل وعلى الضياع السلطانية[٥٤١].

وفي خلال ذلك استطاع فايق عقب حملة فاشلة له على بخارا[٥٤٢] أن يضع يده على بلخ ويزحف على ترمذ، فأرسل نوح إلى أمير جوزجان أبي الحارث محمد بن أحمد بن[٥٤٣] فريغون بأن يخرج ضده ولكنه هزم وعقد حلفاً مع فايق ضد عدوهم المشترك أمير الصغانيان طاهر بن الفضل (وغير معلوم إن كانت له صلة رحم بآل محتاج أم لا)؛ ووفقاً لألفاظ العتبي[٥٤٤] فان الصغانيان كانت قد ضمت من قبل/إلى أملاك أمير جوزجان، 315 وقد قتل طاهر في حصار بلخ فتشتت جيشه. وتلا ذلك أن شملت الاضطرابات دولة

(٥٣٧) وفقاً للعتبي (العتبي-المنيني، الجزء الأول، ص ١٤٥) فإنه بقي بجرجان لمدة ثلاثة أعوام، أمّا الطاعون وموت تاش فان العتبي ينسبها الى أحداث سنة ٣٧٧ هـ (٣٠ مايو ٩٨٧-٢٠ ابريل ٩٨٨) (شرحه، ص ١٤٩).وأما لدى دي ساسي (ص ٣٤٩) فيرد عام ٣٧٩، ولكنه لا يتفق مع تاريخ الأحداث الوارد ذكرها بعد.

(٥٣٨) نرشخي ص ١٥٢؛ العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٥٢.

(٥٣٩) وفقاً لگرديزي (اكسفورد الورقة ١٣٣؛ كمبريدج الورقة ١٠٧أ، (طبعة محمد ناظم ص ٥٢)) فان ذلك كان في شهر ذي الحجة من عام ٣٧٨ هـ.

(٥٤٠) هكذا لدى العتبي (العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٥٥)؛ قارن ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ١٧٠.

(٥٤١) Teksty, str. 12 (گرديزي). ويرد ها هنا تعداد لدخل الحكومة: من خراج واجلاب وعينية واحداث وضياع سلطانية.

(٥٤٢) هُزم وفقاً للعتبي (العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٦٥) في يوم الأحد الحادي عشر من ربيع الأول عام ٣٨٠ هـ = ٨ يونيو ٩٩٠.

(٥٤٣) يدعوه العتبي والمصادر المتأخرة أحمد بن محمد (العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٦٦)؛ راجع Tumanski, Novootkrytny persidskii geograf, str. 127 - 130

(٥٤٤) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٦٧ (وهو هنا: «أبو المظفر محمد بن أحمد»)؛ نرشخي، ص ١٥٧.

السامانيين فلم تلبث أن وقعت فريسة سهلة في يد فاتح آخر كان جيشه يقترب في تلك اللحظة من الحدود الشمالية لبلاد ما وراء النهر.

لا يوجد بين أيدينا ما يلقي ضوءاً على أصل خانات الترك الذين قضوا على دولة السامانيين، بل إن تحديد القبيلة التركية التي ينتسبون إليها لا يزال موضع خلاف. وإن ما فصّلناه في أبحاثنا الأخرى(٥٤٥) حول انتصار الطغزغز على القارلوق واحتلال كاشغر على يد قبيلة اليغما إحدى فروع الطغزغز وفتح بلاساغون على يد الأتراك الوثنيين، كل هذا يشير إلى أن القراخانيين كانوا على رأس الطغزغز الذين قضوا على دولة القارلوق، غير أنه مما يناقض هذا الزعم هو ما تمتع به القارلوق من وضع خاص داخل مملكة القراخانيين مما سنراه في تضاعيف هذا الكتاب، وهو وضع يشابه تمام المشابهة وضع الغز في دولة السلاجقة(٥٤٦). وعن اعتناق القراخانيين الإسلام، فانه ليس بين أيدينا سوى قصص أسطورية لعلّ أقدمها هو ما حفظه جمال قرشي(٥٤٧) منقولاً عن مصنف بعنوان «تاريخ كاشغر» تم تدوينه في القرن الحادي عشر (أنظر ص ٨٢). ووفقاً لهذه القصة فإن أول من أسلم من القراخانيين هو ستوق بغراخان عبد الكريم، جد الفاتح الأول لبلاد ما وراء النهر وجد أبي الفاتح الثاني والمتوفي عام ٣٤٤ هـ = ٩٥٥. ورغماً من قدم هذه القصة إلاّ أنها مليئة بأخطاء عديدة فيما يتعلق بسني الأحداث خاصة فيما يتصل بدولة السامانيين، لذا فمن العسير أخذ التواريخ الموجودة بها مأخذ الثقة، ومن ثم فإنها لن تقف حائلا دون قبولنا رواية ابن الأثير(٥٤٨) بشأن اعتناق عدد كبير من القبائل التركية (نحو

---

(٥٤٥) Bartold, ZVORAO, T. XI, str. 348 – 349; Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str. 94–95 Barthold, Die alttürkischen Inschriften, S. 28

(٥٤٦) أنظر أيضاً Bartold, O khristianstve v Turkestane, str. 22; Barthold, Zur Geschichte des Christentums, S. 49. وفي نهاية القرن الحادي عشر كما سنرى فان نواة جيش القراخانيين كانت تحمل اسم جكل، ولكن نعلم من معاصر لمحمود الكاشغري (ديوان لغات الترك، الجزء الأول، ص ٣٣٠) أن جميع الأتراك الشرقيين كانوا يُدْعَوْن جكل (أو چكل) بواسطة تركمان الدولة السلجوقية.

(٥٤٧) Teksty, str. 130 i sl.؛ وثمة أسطورة أخرى (تتعلق برؤيا صادقة لخان الترك) يحكيها ابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ٥٤)؛ ويرد اسم الحاكم ها هنا على أنه قراخاقان وأغلب الظن أنه حمل اللقبين؛ ويدعو الثعالبي (اليتيمة، الجزء الرابع، ص ٣١٦) حفيده فاتح ما وراء النهر بغرا قراخان.

(٥٤٨) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣٩٦. نفس الحادث يذكره مسكويه (طبعة مرجليوث، المتن، الجزء الثاني، ص ١٨١؛ الترجمة، الجزء الخامس، ص ١٩٦). ومن المؤكد أن المصدر الأول لذلك هو مصنف ثابت الصابي.

١. شجرة نسب السامانيين

سامان

أسد

نوح (سمرقند) — (١) احمد (فرغانه) — يحى (الشاش) — الياس (هرات)

محمد — (٢) نصر الاول — منصور — يحى — (٣) اسماعيل — حميد — اسد — اسحق — ابرهيم — يعقوب — ابواسحق محمد

ابوالعباس عبدالله — احمد — نوح — الياس — يحى — (٤) ابونصر احمد — ابوصالح نصر — ابواسحق ابراهيم — ابوزكريا — حمويه (؟) — الياس — حسن — ابوصالح منصور — سلوق — بكر

ابوزكريا يحى — (٥) نصر الثانى — أسد — منصور — ابوعلي محمد — محمد

محمود

ابوجعفر محمد — اسماعيل — (٦) نوح الاول — احمد

(٧) عبدالملك الاول — (٨) منصور الاول — محمد

نصر — ابوزكريا يحى — (٩) نوح الثانى — ابوسليمان (أو ابوصالح)

ابويعقوب — ابوابراهيم اسماعيل — (١٠) منصور الثانى — (١١) عبدالملك الثانى — (١٢) المنتصر

٣٨٩

٣٩٠

مائتي ألف خركاه) للاسلام عام ٣٤٩ هـ = ٩٦٠ على أن المراد بها إنما هم القراخانيون. / 316
ونظراً للعلاقة التجارية الوثيقة التي ربطت على الدوام بلاد ما وراء النهر بمناطق السهوب(٥٤٩) فإن الفرق الدينية التي وجدت لها أتباعاً بين سكان بلاد ما وراء النهر كان لا بد لها من أن تنتشر شيئاً فشيئاً بين الرحّل أيضاً. ومن المواد التي جمعتُها في موضع آخر بشأن انتشار المزدكية والعقائد الثنوية والمسيحية والاسلام يبدو جلياً(٥٥٠) ان الدعوة الاسلامية قد نشطت في أراضي السهوب منذ العصر الأموي ولكنها لم تحرز في واقع الأمر نجاحاً كبيراً. والإسلام في صورته الرسمية التي يبسطها الفقهاء لم يكن سهل المتناول على البدو بما في ذلك الأعراب أنفسهم(٥٥١)، وعلى النقيض من ذلك فقد تمتع بالنفوذ الأكبر بينهم رجال الطرق الصوفية الذين لا يزالون حتى هذه اللحظة يحظون بالعدد الأكبر من الاتباع في بوادي آسيا الوسطى. وتعوزنا تماماً المادة التاريخية عن نشاط الدعوة الاسلامية بين القبائل التركية في العصر الساماني، وليس هناك سوى رواية واحدة نلتقي بها لدى السمعاني(٥٥٢) ومؤدّاها أنه كان يعيش بأرض الترك على عهد عبد الملك بن نوح رجل يدعى أبا الحسن محمد بن سفيان الكلماتي النيشابوري خرج من نيشابور في عام ٣٤٠ هـ =٩٥١-٩٥٢ وأقام ببخارا بضع سنين، ثم التحق بخدمة «الخان خانان» وتوفي ببلاطه قبل عام ٣٥٠ هـ =٩٦١. وبسبب التوافق في التواريخ فلعل نشاط الكلماتي كان له صلة ما بحادث عام ٣٤٩ هـ =٩٦٠ (الذي يرويه ابن الأثير). واذا كانت القصة المتصلة بنشاط أمير ساماني تتمتع بنصيب من الصحة وأن هذا الأمير كان يدعى حقاً نصراً(٥٥٣)، فلن يكون هذا إذن إلاّ نصرا بن نوح بن نصر. وقد رأينا فيما سبق (ص٣٨١)

---

(٥٤٩) عن المستعمرات التي أقامها المهاجرون من بلاد ما وراء النهر بأراضي الترك راجع ما جاء بأعلاه ص ٢٩٤، وأيضاً Bartold, O khristianstve v Turkestane, str. 20 – 21; Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str. 83, 89; Barthold, Zur Geschichte des Christentums, S. 46 – 47 أنظر رواية السمعاني (تحت لفظ «ازركيان») بصدد مجوسي من أهل بخارا خرج بتجارة له الى الصين وعاد بالبحر عن طريق البصرة وذلك في خلافة علي بن أبي طالب حيث اعتنق الاسلام. راجع الآن المعلومات عن المستعمرات الصغدية في تركستان الشرقية والصين («Soghdian colonies in Eastern Turkestan and China») في كتاب Sir A. Stein, Serindia (الفهرس).

(٥٥٠) Bartold, O khristianstve v Turkestane, str. 9؛ ياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٨٣٩.

(٥٥١) Dozy, Essai sur l'histoire de l'Islamisme, p. 526

(٥٥٢) تحت لفظ «الكلماتي». من الجلي أن اسم عاصمة الخان مطموس في المخطوطة. راجع طبعة مرجليوث، الورقة ٤٨٦أ (ثم وقع الى الخان حامان (كذا) واتصل وليل بالسلاطين).

(٥٥٣) Teksty, str. 131 (جمال قرشي). عن الروايات المتأخرة التي يحمل فيها الأمير اسم خواجه ابو النصر =

أن نصرا بن نوح قد ورد ذكره من بين الأمراء الذين بايعهم الشعب في حياة أبيهم ولكن لم ترد بشأنه معلومات فيما بعد، كذلك مر بنا (ص ٣٦٦)حادث هروب أمير ساماني إلى
317 الترك منذ النصف الأول من القرن العاشر، ولكن ليس بين أيدينا البتة/ما يفيد بأنه قد كان «لدهقان» كاشغرطغان تكين علاقة ما بأسرة القراخانيين. أمّا عن وجود مسلمين آخرين عملوا في أوساط الترك فإن لدينا علماً برجل يدعى أبا الحسن سعيداً بن حاتم الاسبانيكثي «خرج إلى بلاد الترك» قبل عام ٣٨٠ هـ = ٩٩٠[٥٥٤].

وأمّا عن العلاقات السياسية بين السامانيين والترك فقد رأينا أن السامانيين منذ القرن التاسع والنصف الأول من القرن العاشر كانوا يرسلون بجيوشهم إلى السهوب لاخضاع الترك، ويمكن أن نشير في هذا الصدد الى فتح اسفيجاب على يد نوح بن أسد (ص ٣٣٥)، وحملة اسماعيل على طراز (ص ٣٥٠)، وحملة نصر على شاوغر[٥٥٥]، واحتلال المسلمين لناحية هفت ده بفرغانة (ص ٢٦٦). والحالة الوحيدة التي غزا فيها جيش تركي كبير بلاد ما وراء النهر حدثت في عام ٩٠٤ على عهد اسماعيل بن أحمد[٥٥٦]، حين تم طرد الغزاة بمعاونة المطوّعة من أراضي الاسلام. ولا علم لنا بتسيير حملة ضد الترك الوثنيين الذين استولوا على بلاساغون عام ٩٤٢، وكل ما نعلمه هو أنه في الأعوام التي تلت وقع ابن لخاقان الترك في أسر السامانيين[٥٥٧]. ومما يقف دليلا على أن حكومة السامانيين كانت لا تزال تتمتع ببعض النفوذ في بلاد الترك في النصف الثاني من القرن العاشر، تلك الرواية المتصلة بتشييد رباط بأمر فايق قرب ميركي[٥٥٨]. وقد تعوّد الرحّل المجيء في أعداد كبيرة إلى مدن الثغور الإسلامية بغرض المتاجرة، وذلك لحاجتهم الدائمة إلى منتجات المناطق الزراعية ولعجزهم آنذاك عن الحصول عليها عن طريق الإغارة

= ساماني، أنظر Smirnow, Manuscrits turcs, pp. 160-161; F. Grenard, La Légende de Satuk Boghra khan et l'histoire, JA, XV, 5-79 (في الصفحة السابعة: خواجه ابو النصر ساماني).

(٥٥٤) السمعاني، تحت لفظ «الاسبانيكثي».

(٥٥٥) Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziu, str. 10 اعتمادا على الاصطخري ص ٢٩١، ورغما مما جاء لديه فان المدينة المشار إليها هي دون شك شاوغر الغربية (شرحه ص ٣٤٦) وليست الشرقية، ذلك أنه لم يرد ذكر لهذه الأخيرة لا في الاصطخري ولا في ابن حوقل.

(٥٥٦) وفقاً للطبري، القسم الثالث، ص ٢٢٤٥.

(٥٥٧) ابن الأثير، الجزء الثامن، ص ٣١٠؛ ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ٢٤٩ (نقلا عن ابن خلدون).

(٥٥٨) المقدسي، ص ٢٧٥.

بسبب سطوة الدولة السامانية(٥٥٩). وبجانب هذا هجرت جماعات من الغز أوطانها لسبب لا نعلم كنهه، ونزلت بموافقة الحكومة السامانية أراضي ما وراء النهر الصالحة للمرعي، لقاء التعهد بحراسة الحدود ضد غارات الآخرين. وقد حدث أن أشرنا فيما سبق من هذا الكتاب (ص٣٩٦) إلى التركمان (الغز) الذين نزلوا الكَوْرة الواقعة إلى الغرب والجنوب الغربي من اسفيجاب، وثمة فرع آخر من التركمان برئاسة سلجوق(٥٦٠) انفصل عن بقية/ 318 القبيلة في حوض سيردريا الأدنى، وتلا ذلك أن اعتنق سلجوق الاسلام وحرّر سكان جند المسلمين من دفع الخراج للكفار(٥٦١). هذا وقد توفي سلجوق ودفن بجند، ولكن من البيّن أن خلفاءه لم يستطيعوا العيش في وفاق مع المسلمين الذين حرّروهم فغادروا المنطقة متجهين صوب الجنوب. وفي القرن الحادي عشر نجد حاكماً مسلماً على جند، كان في حالة عداء شديد مع أحفاد سلجوق(٥٦٢). وقد أفسح السامانيون المجال لأحفاد سلجوق وأنزلوهم بنواحي نور (أنظر ص٢١٩)، ويرجع حمد الله قزويني(٥٦٣) بهذا الحادث إلى عام ٣٧٥ هـ =٩٨٥. وبعد أعوام من هذا احتل اسفيجاب خان بلاساغون، وسنرى فيما بعد أن التركمان أخذوا أيضاً طرفاً في القتال بين هذا الخان وبين السامانيين.

وبغراخان هارون بن موسى(٥٦٤) حفيد ستوق الذي حمل اللقب الضخم «شهاب

---

(٥٥٩) راجع أعلاه ص ٣٦٨

(٥٦٠) **النطق الصحيح لهذا الاسم ليس Saljug ولا Salĉuq رغما عن الشكل الذي دونه به العلماء بأوروبا الغربية (من انجليز وفرنسيين وألمان) بل Seljük كما يبدو ذلك واضحا من كتابته «سلجك» في اثار** تركية بحتة مثل كتاب دده قورقوت وديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري (الجزء الأول، ص ٣٩٧). [ورغما من موافقة بوزورث C.E. Bosworth لبارتولد فيما يتعلق بمحمود الكاشغري إلا أنه يشير الى أن المصادر المبكرة للغزو السلجوقي مثل گرديزي وبيهقي و«تاريخ **سيستان**» تكتبه «سلجوق». وهو يعتقد أن الحل ممكن إذا ما وصلنا الى أصل اشتقاق الاسم بطريقة قاطعة، ويشير في هذا الصدد الى وجاهة رأي منجيس K.H. Menges من أنه قد يكون مشتقا من الفعل «سلمق» بمعنى يهجم ويتقدم والذي يعطي صيغة «سلجق» أي المهاجم والمتقدم (راجع JNES, X, 1951, 268 n. 2)]

(٥٦١) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٣٢٢.

(٥٦٢) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٨٥٦ ؛(طبعة غني وفيّاض، ص ٦٨١ - ٦٨٢).

(٥٦٣) حمد الله قزويني، تاريخ گزيده، مقتطف مترجم لدى دفريمري؛ طبعة براون، المتن ص ٤٣٤، الترجمة ص ٩٣. أنظر أيضاً جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ١١٧ - ١١٨.

(٥٦٤) هكذا لدى جمال قرشي (Teksty, str. 132) الذي نلتقي لديه بأكثر المعلومات تفصيلا ودقة فيما يتعلق بنسب القراخانيين. ووفقاً لابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ٥٤) وعوفي (Teksty, str. 132) فان أبناء موسى بن ستوق كانوا يمثلون فرعا آخر من القراخانيين هو الذي ينحدر منه نصر؛ وابن الأثير =

الدولة وظهير الدعوة »[٥٦٥]، لم يقابل مقاومة تذكر عند غزوه لما وراء النهر. هذا وقد عقد معه أبو علي معاهدة سرية لاقتسام أراضي السامانيين تنص على إطلاق يد بغراخان في احتلال ما وراء النهر، بينما تبقى الأراضي الواقعة إلى جنوبي أمودريا تحت حكم أبي علي. وإلى جانب هذا دعت « طائفة من دهاقين ما وراء النهر » بغراخان إلى المجيء، وكما رأينا فإن الدهاقنة كان لهم نفوذ لا يستهان به في المملكة ولكنهم كانوا ساخطين على الحكومة[٥٦٦]. ولا علم لنا بموقف رجال الدين من أول فاتح لبلاد ما وراء النهر، غير أن 319 اتفاق المؤرخين على ورع بغراخان[٥٦٧] وحليفيه الرئيسين أبي علي/وفايق[٥٦٨] يحملنا على الافتراض بأنه قوبل من جانبهم بنفس المقابلة الطيبة التي أظهروها فيما بعد لنصر. ويحدثنا الثعالبي[٥٦٩] عن حليف آخر لبغراخان يدعى أبا محمد عبد الله بن عثمان الواثقي كان يعد نفسه من أولاد الخليفة الواثق العباسي. وكان المنحدرون من صلب الخلفاء يتسلمون معاشاً ثابتاً سواء في أراضي الخلافة أو في دولة السامانيين، غير أن الواثقي لم يستطع الحصول على معاش أو عمل من أعمال الدولة يقيم به أوده فذهب إلى بلاد الترك ونال درجة عالية من النفوذ لدى خانهم حتى « ألقى اليه التركي مقاليد أمره وجعل يصدر عن رأيه وينظر بعينه ». وقد زيّن الواثقي لولي نعمته الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، ومن ثم فإن الثعالبي يجعله المسؤول الأول عن زوال دولة السامانيين. وبعد فتح ما وراء

= يدعو بغرا خان هارون بن سليمان (الجزء التاسع، ص ٦٨). أما المصادر المبكرة مثل العتبي وكرديزي فتدعوا بغرا خان « ابن ايلك » فحسب؛ ووفقاً لجمال قرشي فان والد بغرا خان كان ايلك فحسب وذلك في الوقت الذي كان فيه ابن آخر لستوق، وهو جد نصر، يحمل لقب خان. أنظر أيضاً هلال الصابي، التاريخ، المتن ص ٣٩٣: هرون بن ايلك. [يتساءل پليو أليس من الأفضل قراءتها Ilig بدلا من Ilak (أي بكسر اللام بدلا من فتحها - المترجم)، ويضيف ان القراءة الأولى ثبتت من النقوش الأويغورية. راجع P. Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 16]

(٥٦٥) نلتقي بنفس الألقاب في سكة بغرا خان المضروبة في ايلاق في عام ٣٨٢ هـ = ٩٩٢؛ أنظر Markov, Inventarny katalog, str. 198

(٥٦٦) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٦٣: طائفة من دهاقين ما وراء النهر؛ أنظر بارتولد Bartold, Neskolko slov ob ariiskoi kulture, str. 33. وفي الترجمة الفارسية لكتاب العتبي (أنظر نرشخي، طبعة شيفير، ص ١٥٥) يرد بدلا من لفظ دهاقين « بعض من كبار شخصيات ما وراء النهر »؛ ولدى دي ساسي «autres émirs» De Sacy, Histoire de Yémineddoula, p. 352

(٥٦٧) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٧٠.

(٥٦٨) السمعاني، تحت لفظي « الخاصّة » و« السيمجوري ».

(٥٦٩) اليتيمة، في JA, 5, III, 339 - 341

النهر أحاط الواثقي نفسه باتباع من الغلمان بلغ عددهم الثلاثمائة، بل خُيِّل إليه أنه سيُبايَع يوماً ما بالخلافة وأن بغراخان سيتقلد أعمال ما وراء النهر وخراسان من يده، غير أن مرض الخان وانسحابه من ما وراء النهر اضطره إلى الهرب إلى العراق. وهذه الواقعة الأخيرة تقودنا الى الافتراض بأن الثعالبي قد بالغ كثيرا في تصوير أهمية هذا الرجل[٥٧٠]، ويغلب على الظن أن الواثقي كان شخصية خاملة لا قيمة لها، شأنه في هذا شأن عدد من سلالة العباسيين الأصليين او الدعيّين ممن كانوا يقيمون بخراسان، وأن أهميته إنّما انحصرت في رأيه عن نفسه. وفي العام نفسه (٩٩٢) التقى الثعالبي في بخارا بواحد من سلالة الخلفاء يدعى الماموني كان يتسلم معاشا من السامانيين، ويقول عنه الثعالبي إنه «كان يسمو بهمته إلى الخلافة ويمنّى نفسه قصد بغداد في جيوش تنضم إليه من خراسان لفتحها»[٥٧١].

وتقل عن ذلك كثيراً معرفتنا بموقف الكتل الشعبية إزاء النضال بين الأسرة الحاكمة القديمة والفاتحين. ووفقاً لقول العتبي[٥٧٢] فإن أهل بخارا شاركوا في مطاردة الترك عند انسحابهم واستقبلوا عودة نوح بالفرحة والبشري، غير أننا لا نلتقي بخبر عن مقاومة ضد بغراخان عندما تقدم بجيشه من اسفيجاب إلى سمرقند وبخارا أو عند احتلاله لعاصمة/ 320 السامانيين. وأغلب الظن أن الشعب الذي ذاق الأمرين من الاضطرابات الدائمة لم يهتم كثيراً لتغيير الأسرة الحاكمة. ولّما كان السامانيون في ضائقة مالية منذ أيام نوح بن نصر فقد اضطروا إلى زيادة الضرائب على رعاياهم، ونجد في «تاريخ بيهق» خبراً طريفا عن ضريبة تبدو لنا الآن وكأنها أمر عادي ولكنها أثارت في ذلك الوقت سخطاً شديداً، تلك هي الضريبة على التركات. فقد ظهر قرار في أواخر عهد السامانيين يقضي بأنه في حالة وفاة عامل من عمال الديوان فإن جزءاً من أملاكه يذهب إلى بيت المال. وقد صدر قانون فيما بعد، يخص ناحية بيهق على أقل تقدير، ينص على أنه في حالة وفاة مواطن ما لم يخلف أبناء فإن جانباً من أملاكه يحتجز من أجل بيت المال وذلك بصرف النظر عن

---

(٥٧٠) يرد ذكر الواثقي لدى المؤرخين أيضاً. ومن رواية هلال الصابي (التاريخ، المتن ص ٣٩٣ - ٣٩٧؛ الترجمة ص ٤٢٠ - ٤٢٤) الذي يقدم لنا أوفى مادة عن الواثقي وتأثيره على بغرا خان وإن كان لا يذكر نصراً ويخلط بينه وبين بغرا خان، يبدو وكأن الواثقي لم يغادر وراء النهر إلا بعد وفاة نصر واعتلاء أخيه أحمد العرش (أنظر ما يلي). وفيما بعد غادر الواثقي أرض الجزيرة الى الأقطار الشرقية ولكنه لم يلبث في آخر الأمر أن قبض عليه بأمر محمود الغزنوي و«تم التحفظ عليه مكرّماً» الى وفاته.

(٥٧١) الثعالبي، اليتيمة، JA, 5, III, 333 – 339

(٥٧٢) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٧٦؛ نرشخي، ص ١٦١.

وجود ورثة آخرين. ولم يلبث هذا القانون أن طبِّق في آخر الأمر حتى على أملاك من تركوا ورثة مباشرين[٥٧٣].

هذا وقد أُرسل الحاجب آيج (ايتاخ) ضد بغراخان، ولكنه مُني بهزيمة ساحقة وأُخذ أسيراً. وعند ذلك رأى المسئولون أنه لم يبق من ينقذ الدولة سوى فايق، فتم العفو عنه واستقبل بالحفاوة في بخارا ثم أرسل الى سمرقند لصد العدو، غير أنه هو أيضاً هزم عند خرجنك (أنظر أعلاه ص٣٨٠، حاشية ٥٠٣)، ولعل الرأي القائل بأن هذه الهزيمة كانت خيانة من جانبه قد لا يخلو من بعض الوجاهة. واضطر نوح إلى هجر عاصمته فدخل بغراخان بخارا في مايو سنة ٩٩٢[٥٧٤] وخرج فايق لاستقبال الفاتح وأعلن خضوعه له، فتم تعيينه حاكماً على ترمذ وبلخ. ورغماً من تدهور أحوال أسرة السامانيين فإن بغراخان إذا ما أخذنا بقول بيهقي قد وجد غنائم لا تحصى ببيت المال؛ وقد نزل الخان بقصر جوى موليان المشهور (أنظر ص٢٠٥). وفي خلال ذلك جمع نوحا جيشاً عند آمل واستدعى عبد الله بن محمد بن عزير[٥٧٥] من خوارزم وجعله وزيراً له. وكما حدث من قبل فإن أبا علي رفض في هذه المرة أيضاً أن يمد يد العون الى أميره، غير أنه في الوقت ذاته وقعت جفوة بين أبي علي وبغراخان الذي نقض الاتفاق الخاص باقتسام أراضي السامانيين بعد أن مكّن لنفسه ببخارا، وأخذ يكاتب أبا علي مثلما كان ولاة خراسان يكاتبون أصحاب جيوشهم[٥٧٦]. وإزاء هذا فقد وافق أبو علي في آخر الأمر على الإنضمام بجيشه إلى نوح ولكنه طالب في مقابل ذلك بلقب «ولي أمير/المؤمنين» الذي كان حتى تلك اللحظة وقفاً على السامانيين وحدهم[٥٧٧]. ولم يجد نوح بداً من قبول هذا الشرط، غير أن ظروف الأحوال أخذت في التغيّر إلى صالح السامانيين قبل وصول أبي علي حتى أن نوحاً 321

---

(٥٧٣) تاريخ بيهق، مخطوطة المتحف البريطاني، الورقة ٧٥.

(٥٧٤) نفس التاريخ (ربيع الأول عام ٣٨٢ هـ) نلتقي به لدى مؤرخَيْن من القرن الحادي عشر هما كرديزي (Teksty, str. 12) وبيهقي (طبعة مورلي ص ٢٣٤، (طبعة غني وفيّاض ص ١٩٩))، الأمر الذي يدعونا الى اطراح رواية ابن الأثير (الجزء التاسع، ص ٦٧ - ٦٨) فيما يتعلق بحملتين لبغرا خان (في عامي ٣٨٢ هـ و٣٨٣ هـ). أما العتبي فلا يذكر التواريخ.

(٥٧٥) ورد خطأ لدى كرديزي «عبد العزيز». كما أن العتبي (العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٧٠؛ ودي ساسي De Sacy, Histoire de Yéminddoula, p. 353) يورد اسم أبي علي البلعمي وهو أمر مستحيل لأن البلعمي لم يكن على قيد الحياة في ذلك الوقت. راجع ص ٦١، الحاشية ٥٦

(٥٧٦) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٧٧؛ نرشخي، ص ١٦٢.

(٥٧٧) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٧٤؛ نرشخي، ص ١٦٠.

استطاع الرجوع إلى بخارا دون عون من نائبه المتمرد. فقد حدث أن أصيب بغراخان بعلة (نزيف) سببتها له فواكه بخارا وطقسها(٥٧٨) فاضطر إلى الإنسحاب مبدئياً إلى سمرقند مصطحباً معه وزير السامانيين أبا علي محمد بن عيسى دامغاني(٥٧٩). وعند ارتحاله ترك بخارا في يد عبد العزيز بن نوح بن نصر مذكّراً إياه بأنه قد أرجع إليه العرش بوصفه الوريث الشرعي(٥٨٠)؛ ويغلب على الظن أنه إنّما كان يشير بذلك إلى وصية نوح بن نصر (أنظر ص ٣٨١).غير أنه يمكن الافادة من فقرة لابن الأثير(٥٨١) أن انسحاب الخان كان مردّه أيضاً إلى غارات التركمان الذين أفلح نوح في اجتذابهم إلى جانبه؛ ومهما كان الأمر فإن التركمان وفي معيتهم أهل بخارا تعقبوا الجيش المنسحب وقضوا على ساقته ونهبوا أمتعته(٥٨٢). ولم يكن بوسع بغراخان في مثل هذه الظروف أن يوفي لعبد العزيز بنصرته ضد أعدائه، ففي ١٧ آغسطس عام ٩٩٢(٥٨٣) رجع نوح إلى بخارا وأمر بسمل عيني عبد العزيز. هذا وقد اشتدت العلة بالخان وزادت حاله سوءاً أكثر من ذي قبل بسمرقند فتوفي في الطريق إلى تركستان عند موضع يعرف باسم قچقار باشي(٥٨٤). وبهذا رجع حكم السامانيين على حوض زرفشان على أقل تقدير؛ ورغماً من أن فايقاً وجد نفسه الآن بلا حليف إلاّ أن هذا لم يمنعه من القيام بمحاولة من بلخ للاستيلاء على بخارا، ولكنه هُزم وانسحب إلى مرو ومن هناك عرض التعاون على عدوه السابق أبي علي. ويبدو أن قوات فايق كانت لا تزال في وضع لا يستهان به لأن أبا علي قبل عرضه عن طيب خاطر رغماً من أنه كان قد جمع هدايا قيّمة لدى سماعه بانتصار السامانيين ليسترضي بها نوحاً،

---

(٥٧٨) راجع عن هذا الثعالبي (اليتيمة، طبعة بيروت، الجزء الرابع، ص ١١٣ و٣١٦) الذي ينقل ألفاظ أحد عمال الدولة وهو أبو الفتح أحمد بن محمد بن يوسف الذي ترك خدمة السامانيين والتحق بخدمة بغرا خان وكان منافسا للوزير دامغاني. وفي ترجمة باربييه دي مينار يدعى هذا العامل أبا الفضل (JA, 5, III, 341)

(٥٧٩) راجع عنه كرديزي (اكسفورد الورقة ١٣٣، كمبريدج الورقة ١٠٧ أ، (طبعة محمد ناظم ص ٥٢)). وقد مات هذا الوزير بسمرقند في أول رجب من عام ٣٨٢ هـ = ٢ سبتمبر ٩٩٢.

(٥٨٠) خطأ لدى كرديزي؛ راجع Teksty, str. 12, prim. 5

(٥٨١) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٣٢٢.

(٥٨٢) العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ١٧٦؛ نرشخي، ص ١٦١.

(٥٨٣) التاريخ لدى بيهقي (طبعة مورلي ص ٢٣٤)، (طبعة غني وفيّاض، ص ٢٠٠)).

(٥٨٤) Teksty, str. 12 (كرديزي)؛ لعلها قلعة قچار باشي (أو قچقار) المذكورة في الشاهنامه؛ راجع Bartold, O khristianstve v Turkestane, str. 16; Barthold, Zur Geschichte des Christentums, S. 35; Marquart, Kamanen, S. 110

ويذكر العتبي أن أبا علي قد جمع ثمن هذه الهدايا من أثرياء خراسان. وهذه الهدايا قدّمت الآن لفايق. وأمام تحالف هذين التابعين القويين فانه لم يبق أمام الحكومة إلاّ الالتجاء إلى ثالث آخر لم يكن قد شارك حتى اللحظة في هذه الأحداث بل اغتنم فرصة تلك الأزمنة المضطربة ليدعّم لنفسه في الجزء الجنوبي من افغانستان، ذلك هو سبكتكين.

322

وسبكتكين(٥٨٥) الذي ربط فيما بعد النسّابة، ممن تمتعوا بعطف الدولة الغزنوية، شجرة نسبة بملوك الفرس الأقدمين(٥٨٦) أصله من الترك الوثنيين(٥٨٧)، وكان قد وقع هو وجماعة من قومه في أسر المسلمين من الترك أنفسهم أو من مطوّعه السامانية فساقه تجار الرقيق الى خراسان فاشتراه بنيشابور الاسفهسالار البتكين(٥٨٨). ولم تلبث أخلاق المملوك الشاب ان اجتذبت إهتمام مالكه منذ البداية، فترقى بأسرع مما جرت به العادة(٥٨٩). وبعد اعتلاء منصور العرش صحب سبكتكين مولاه إلى غزنه حيث قدم له ولخلفائه من بعده خدمات جليلة جعلت آخرهم وهو بيري يتنازل له عن الإمارة، وقد تم بالفعل اعلان سبكتكين أميراً على غزنه في العشرين من ابريل عام ٩٧٧(٥٩٠). وبعد أن نال الشهرة بانتصاراته في أفغانستان والهند ظهر الآن بما وراء النهر إمتثالاً لأمر نوح، وقد اجتمع الاثنان قرب كش وأخذ سبكتكين عهد الطاعة لنوح ووعد بمعاونته ضد أعدائه. وفي خلال إقامة نوح بآمل حدث أن مد له يد العون كل من خوارزمشاه وأمير

---

(٥٨٥) ان اشتقاق الاسم Sabuktagin من الفارسية سبك (أي خفيف، غير جاد) مضافة الى التركية تكين (أمير) أمر بعيد الاحتمال كما بين لي البروفسور نولدكه في مكتوب شخصي. ومن ناحية الاشتقاق فإن قراءته Sü- beg- tegin أكثر قبولا؛ واجتماع اللقبين الأخيرين (بيك + تكين) يقابلنا كثيرا (راجع مثلا Teksty, str. 20 نقلا عن مصنف مجهول المؤلف من القرن الثاني عشر) وان كان اتحادهما مع لفظ سو (أي الجيش بالتركية) غير معروف. ولربما كانت سبك هي التركية Sebik تحريفا للفظ Sevik أي «المحبوب». أمّا ماركفارت فيكتبها Sübük- tigin دون أن يعلل ذلك (أنظر Komanen, S. 50) (ويفضل پليو قراءتها Säbäk- tegin أو Säbük- tegin ويوضح أسباب ذلك، راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 16 - الناشرون).

(٥٨٦) Teksty, str. 158 نظام الملك، طبعة شيفير، الترجمة ص ١٤١ (الحاشية).

(٥٨٧) بيهقي، طبعة مورلي، ص ١٠٧؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٩٩).

(٥٨٨) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٢٣٧ - ٢٣٨؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٥٨٩) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٩٦ وما يليها؛ الترجمة ص ١٤ وما يليها.

(٥٩٠) التاريخ لدى جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول ص ٧٣ - ٧٤؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٧).

كركانج (أنظر ص٣٦١)، ولكي يجزيها نوح عن فعلها فقد ضم إلى الأول منها مدينة أبيورد وإلى الثاني مدينة نسا. وكانت كلا المدينتين بوصفها من مدن خراسان تحت حكم أبي علي، ومن الواضح أن نوحاً إنّما أراد بذلك أن يخلق أعداء جُدداً لأبي علي. هذا وقد تنازل أبو علي عن نسا طواعية ولكنه امتنع عن السماح لممثل خوارزمشاه بدخول أبيورد، وبهذا أزكى نيران الخلاف المستعرة من قبل بين حكومتي خوارزم وأزال كل خطر يتهدده من ذلك الجانب. وكانت خراسان نفسها مسرحاً للعمليات العسكرية، وقد انضم أميرا جوزجان/وغرجستان إلى جيش نوح وسبكتكين، كما أن دارا بن قابوس أمير 323 جرجان الذي كان حليفا لأبي علي قد انضم إلى قوات نوح خلال المعركة التي انتهت بنصر تام لقوات السامانيين (٩٩٤)[٥٩١]. وعقب النصر أُنعم على سبكتكين بلقب « نصير الدين والدولة »، كما أُنعم على ابنه محمود بلقب « سيف الدولة ». أما أبو علي وفايق فقد تراجعا إلى جرجان، وحل محل أبي علي بنيشابور محمود بن سبكتكين الذي اتخذ من الاجراءات ما يكفل عودة السلام واستقرار الأوضاع بخراسان، هذا بينما رجع نوح إلى بخارا[٥٩٢].

وقد وجد أبو علي وفايق الملاذ لدى البويهيين الذين تنازلوا لهما عن جزء من خراج جرجان ليسدا به حاجة عسكرهما، وامتنعوا عن تقديم أي عون آخر امتناعاً باتاً. وفي ربيع عام ٩٩٥[٥٩٣] وبعد إضرار من جانب فايق ومعارضة من أبي علي استقر رأي الاثنين على العودة إلى خراسان، وأفلحا في كسر جيش محمود واحتلال نيشابور وطوس ومدن أخرى. غير أن الاثنين لم يكونا يأملان في نصر حاسم، ولذا فقد حاول كل منهما منفرداً أن يفتح باب التفاوض مع الحكومة لينال العفو لنفسه. هذا وقد وقعت المعركة

---

(٥٩١) وفقاً للعتبي (العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ١٨٩) في يوم الأربعاء منتصف رمضان عام ٣٨٣ هـ ؛ ولعل ذلك كان في الثالث عشر من رمضان = أول نوفمبر ٩٩٣.

(٥٩٢) العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ١٨٠ – ١٩٩ ؛ نرشخي، ص ١٦٤ – ١٧٣. أما كرديزي فلا يقدم جديداً بصدد هذه الأحداث سوى قصة (اكسفورد الورقة ١٣٥، كمبريدج الورقة ١٠٨ ب، طبعة محمد ناظم ص٢٥٥) تتعلق بدهاء سبكتكين الذي لما كان على علم بنية دارا للغدر بأصحابه قال في حضرة جاسوس لأبي علي إن دارا وفايق وأخا لأبي علي يدعى أبو القاسم قد قرروا الانضمام الى قوات الحكومة أثناء المعركة وأن أحدهم وعد بأن يسلم أبا علي في يد سبكتكين. فلما انضم دارا فعلا الى العدو فقد أبو علي الثقة في حليفيه الآخرين كذلك.

(٥٩٣) وفقاً للعتبي (العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٢٠٥) في ربيع الأول عام ٣٨٥ (٥ ابريل – ٤ مايو ٩٥٥).

الفاصلة قرب طوس وانتهت بالنصر التام لسبكتكين وحلفائه (ولم يكن نصر حاضراً لها)، وهرب القائدان الثائران إلى سرخس ومنها إلى آمل، مستفيدين من أن سبكتكين وجيشه الكبير لم يكن بوسعهم أن يجتازوا الصحراء في سرعة. ومن آمل أرسل كل منهما رسله إلى نوح يستعطفه، فردت الحكومة برفض قاطع لرجاء فايق ووعد بالعفو التام عن أبي علي الذي أمر بالسير إلى كركانج والنزول مع أميرها أبي العباس المامون بن محمد. وهكذا بلغت الحكومة هدفها بتفريق كلمة الثوار. وقد قبل أبو علي صفح الحكومة عنه وخرج إلى خوارزم[٥٩٤] متتبعاً شط امودريا، اما فايق حين وجد نفسه/وحيداً فقد عزم 324 على أن يجتاز إلى ما وراء النهر دون موافقة نوح فأرسلت ضده قوة بقيادة الحاجب بكتوزون لحقت به في نسف، ولكن لم يجر قتال بين الطرفين. وتمكن فايق من بلوغ أراضي القراخانيين حيث قوبل بالاكرام. وفي تلك الأثناء هاجم خوارزمشاه أبو عبد الله قوات أبي علي قرب هزاراسب وشتتها وأخذ أبا علي أسيراً (يوم السبت التاسع عشر من سبتمبر عام ٩٩٦)[٥٩٥]، ولم يستطع بلوغ كركانج من أنصاره سوى الحاجب ايلمنكو. وقد اغتنم المأمون بن محمد أمير كركانج هذه الفرصة لمهاجمة خوارزمشاه، يريد بذلك أن يخلّص أبا علي الموجود في أسره من جهة، وأن يتخلص من عدوه اللدود من جهة أخرى. وقد انتهى الأمر بأسر خوارزمشاه وانتقال دولته ولقبه إلى المأمون. وكاتب المأمون حكومة بخارا يشفع في أبي علي ويسأل الصفح عنه فسمح له بالرجوع إلى بخارا حيث قوبل باحتفال كبير من جانب الوزير عبد الله بن عزير والحاجب بكتوزون وغيرهما من الأعيان واستقبله نوح في دار الإمارة بالريكستان (أنظر ص ٢١٠ وما يليها)، غير أنه لم يلبث أن اعتقل فيما بعد بأمر من نوح بقلعة بخارا هو وثمانية عشر من إخوته وأصحابه[٥٩٦].

(٥٩٤) وفقاً للعتبي (العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ١٩٩ - ٢١٩؛ نرشخي، ص ١٧٤ - ١٨٦). أما كرديزي فيقول (اكسفورد الورقة ١٣٦، كمبردج الورقة ١٠٩ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٥٧)) إن أبا علي هرب الى الري عقب المعركة فأجرى عليه علي بن الحسن البويهي (أي فخر الدولة) معاشاً مقداره خمسون ألف درهم في الشهر؛ ورغما من ذلك فإنه رجع الى نيشابور من أجل امرأة (از بهر زنى را) فقبض عليه الأمير محمود ولكنه هرب منه الى خوارزم.

(٥٩٥) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٢٢٤: في يوم السبت الأول من رمضان عام ٣٨٦ هـ، وإن كان هذا التاريخ فيما يبدو غير صحيح. ذلك أن رمضان من عام ٣٨٦ هـ يبدأ في يوم الخميس السابع عشر من سبتمبر. أنظر الحاشية رقم ٥٩٧، ص ٤٠١.

(٥٩٦) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٢١٩ - ٢٣١؛ نرشخي، ص ١٨٦ - ١٩١؛ Teksry, str. 12-13 - (كرديزي) وأيضاً مخطوطتي اكسفورد الورقة ١٣٧ وكمبريدج الورقة ١١٠ أ (طبعة محمد ناظم ص ٥٧ - ٥٨) - حيث يورد عدد الذين اعتقلوا مع أبي علي.

وفي العام نفسه غزا القراخانيون البلاد مرة أخرى. ولّما كان سلطان نوح قد امتد على جزء فقط من ما وراء النهر فانه لم يستطع مواجهة الترك بقوة كبيرة واضطر إلى أن يطلب العون من سبكتكين الذي كان آنذاك ببلخ، فلمّا أن وصله استدعاء نوح له عبر إلى ما وراء النهر بجيش كبير انضم إليه أمراء جورجان والختّل والصغانيان. وعسكر سبكتكين بين كش ونسف وكتب إلى نوح يستعجله اللحاق بجيشه لمناهضة عدوه، غير أن الوزير ابن عزير نصح الأمير بأنه ليس من الصواب لرأس السامانيين أن ينضم إلى جيش سبكتكين القوي بالقوات البائسة الموجودة تحت إمرته لأن في هذا تحقير للعرش، فاستعفاه نوح عن القدوم بنفسه. عند ذلك سارع سبكتكين بإرسال قوة من عشرين ألف رجل إلى بخارا تحت قيادة ابنه محمود وأخيه بغراچق، وكان هذا كافياً لحمل الحكومة السامانية على الإذعان فتم عزل الوزير وتسليمه إلى سبكتكين وعُيِّن مكانه أحد أنصار سبكتكين وهو أبو نصر أحمد بن محمد بن أبي زيد. واستجابة لرغبة سبكتكين فقد سلمه الأمير مع الوزير/أبا علي وحاجبه ايلمنكو[٥٩٧] فسيقوا جميعاً الى قلعة كرديز، وعقد سبكتكين صلحاً مع القراخانيين تم الاتفاق فيه على أن يكون الحد الفاصل بين أملاك السامانيين وأملاك القراخانيين مفازة قطوان. وبهذا بقي جميع حوض سيردريا في يد القراخانيين، كذلك استجيبت رغبتهم فتم تعيين فايق حاكماً على سمرقند[٥٩٨]. 325

هذا وقد ظل سبكتكين بطبيعة الحال الحاكم المطلق على جميع الولايات الواقعة جنوبي أمودريا ولم يعد لنوح يد في مجريات الأحداث بخراسان. أما في ما وراء النهر فقد جهد الوزير أبو نصر في إعادة الأمور إلى نصابها باستعمال الشدة «يغسل دماً بدم»[٥٩٩] ولكنه قتل على يد غلمانه بعد خمسة أشهر من توليه السلطة، وقد نكّل بهم نوح مخافة أن

---

(٥٩٧) يقول كرديزي (كمبريدج الورقة ١١٠ أ، (طبعة محمد ناظم ص ٥٧)؛ أما مخطوطة اكسفورد فيوجد بها ها هنا سقط) إن ذلك حدث في شعبان عام ٣٨٦ هـ ، أي آغسطس أو سبتمبر ٩٩٦، الأمر الذي يتعارض مع التاريخ الوارد أعلاه بصدد أسر أبي علي بخوارزم. ومن الممكن أن عام ٣٨٦ هـ الوارد لدى العتبي إنما هو خطأ وذلك بدلا من عام ٣٨٥ وأن وقوع أبي علي في الأسر بخوارزم حدث في الثامن والعشرين من سبتمبر ٩٩٥؛ ووفقاً لجداول قستنفلد فإن اليوم الأول من رمضان عام ٣٨٥ هـ يوافق يوم الأحد التاسع والعشرين من سبتمبر عام ٩٩٥)؛ وبدون هذا فإن الفترة الزمنية للأحداث التالية والمنتهية بوفاة نوح ستكون قصيرة للغاية. وإلى جانب هذا فإنه في عام ٣٨٦ هـ بلغت مسامع الناس الإشاعات عن مقتل أبي علي (أنظر السمعاني تحت لفظ «السيمجوري»).

(٥٩٨) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٢٣١ - ٢٤١؛ نرشخي، ص ١٩١ - ١٩٥.

(٥٩٩) هذا تعبير العتبي؛ أنظر العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٢٤١؛ نرشخي ص ١٩٦.

يتهم سبكتكين الذي كان يسبغ حمايته على الوزير أبي نصر حكومة السامانيين بالتواطؤ على قتله، ثم بعث رسولاً إلى سبكتكين يرجوه تعيين خلف للقتيل[٦٠٠] فترك سبكتكين الأمر للأمير نفسه فوقع اختياره على أبي المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي الذي ظل يشغل منصب الوزارة حتى وفاة نوح في يوم الجمعة الرابع عشر من رجب عام ٣٨٧ الموافق ٢٣ يوليو عام ٩٩٧[٦٠١].

ولم تتم مبايعة ابن نوح وخليفته أبي الحارث منصور إلاّ في نوفمبر عام ٩٩٧ (على رواية السمعاني)[٦٠٢]. ووفقاً لالفاظ بيهقي[٦٠٣] فقد كان هذا الأمير شاباً جميل الطلعة شجاعاً فصيحاً ولكنه لم يخل من رعونة الشباب حتى خشيه الجميع، وقد أدار دفة الملك 326 بمهارة وقوة إلاّ أنه لم/يكن بوسعه انقاذ الأسرة من مصيرها المحترم. وظلت السلطة في يد فايق والبرغشي، أما أبو علي وأنصاره فقد هلكوا في حبس سبكتكين[٦٠٤]، وكان الوزير عبد الله بن عزير هو الوحيد الذي تم إطلاق سراحه لسبب لا نعلم كنهه وسُمح له بالرجوع إلى ما وراء النهر. ورفع أبو منصور محمد بن الحسين بن موت الاسفيجابي (لعله ينتمي إلى بيت أمراء اسفيجاب، أنظر اعلاه ص٣٧٢، حاشية٤٥٥) بإيعاز منه لواء الثورة وطلب العون من حاكم ما وراء النهر من قبَل القراخانيين وهو الايلك نصر، فوعده بالعون وزحف نحو سمرقند. وهناك أمر بالقبض على زعيمي الثوار أبي منصور وابن عزير، ثم أرسل في طلب فايق فأجلّه ورفع محله وضم إليه ثلاثة آلاف رجل وأمره بالمسير إلى بخارا على مقدمته. فبادر أبو الحارث إلى الهرب من عاصمته إلى آمل، غير أن فايقاً عند احتلاله بخارا أعلن نفسه عبد السامانيين المخلص وأقنع منصوراً بالعودة[٦٠٥] أما الحاجب

---

(٦٠٠) العنبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٢٥٠؛ نرشخي ص ١٩٩ – ٢٠٠.

(٦٠١) التاريخ الصحيح لدى العتبي؛ أنظر العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٢٥٥؛ «لثلث عشرة ليلة خلت»؛ وفي الترجمة الفارسية (نرشخي ص ٢٠١) والمصادر الفارسية الأخرى: «سيزدهم رجب» (أي الثالث عشر من رجب)؛ غير أن يوم الجمعة كان في الغالب اليوم الرابع عشر من الشهر.

(٦٠٢) السمعاني، تحت لفظ «الساماني» (آخرها).

(٦٠٣) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٨٠٣؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٤٠). والوقائع التاريخية لا تبرر هذا الوصف.

(٦٠٤) السمعاني، تحت لفظ «الساماني». والقصة المتعلقة بفتح كفنه وأنهم «وجدوه ولم يتغيّر منه شيء وعليه قميص صوف أبيض وقد أرسل شعره الى عاتقيه والقيد على رجله»، هذه القصة تقف دليلا على ميل رجال الدين الى آل سيمجور.

(٦٠٥) العتبي – المنيني، الجزء الاول، ص ٢٦٨ – ٢٧١؛ نرشخي، ص ٢٠٥ – ٢٠٦؛ كرديزي، أكسفورد الورقة ١٣٧، كمبريدج الورقة ١١٠ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٥٩).

الآخر بكتوزون فقد أُرسل بصفة اسفهسالار إلى خراسان التي اضطر محمود إلى اخلائها حين بلغه نعي أبيه سبكتكين في نفس عام ٩٩٧ واعتلاء أخيه الأصغر اسماعيل العرش ورفضه التنازل لأخيه الأكبر.

وحتى يتحاشى منصور إضرام نار حرب أهلية جديدة فقد جهد في إعادة الوئام بين كبار رجال دولته، خاصة فايق وبكتوزون. ورغماً من هذا فإن فايقاً أرسل سراً إلى أبي القاسم سيمجوري حاكم قهستان يغريه بمهاجمة بكتوزون، ولكن لخيبة أمله الشديدة انتهى النزاع بانتصار بكتوزون (في مارس عام ٩٩٨)[٦٠٦] الذي عقد بعد هذا صلحاً مع غريمه ورجع إلى بخارا في يوليو عام ٩٩٨ رجوع الظافر. وأعقب هذا نزاع بين فايق والوزير البرغشي الذي لاذ بالأمير نفسه، وفي هذه المرة أيضاً لم يوفّق الأمير في إحلال ذات البين بين كبار رجال دولته لأن فايقاً أصرّ على تسليمه عدوه وأنّب الأمير في وقاحة. وأخيراً وبعد أن توسط مشايخ بخارا تم الوصول إلى اتفاق عزل بمقتضاه البرغشي من منصب الوزارة ونفي إلى جوزجان[٦٠٧]. ووفقاً لرواية كرديزي فان/أبا القاسم عباس بن محمد 327 البرمكي وأبا الفضل محمد بن أحمد الجيهاني[٦٠٨] (ولعله ابن لأبي عبد الله أحمد) كانا آخر وزراء السامانيين، غير أن العتبي[٦٠٩] يزيد عليهما أبا الحسن الحامولي الذي كان قد قدم إلى بخارا رسولاً من قبل محمود وهناك قبل منصب الوزير للسامانيين. ويبدو أن جميع هؤلاء الوزراء لم يكن لهم تأثير ما على مجرى الأحداث.

وكانت أشد المهام عسراً هي التوفيق بين أطماع بكتوزون ومحمود، الذي كان قد

---

(٦٠٦) ورد في العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٢٨٧: ربيع الثاني (ابريل)؛ ولكن في ترجمة رينولدز Reynold (P. 221) يرد ربيع الأول؛ وكذلك ورد ربيع الأول لدى كرديزي (اكسفورد الورقة ١٣٨، كمبريدج الورقة ١١١ أ، (طبعة محمد ناظم ص ٥٩) ولدى ابن الأثير (الجزء التاسع، ص ٩٧).

(٦٠٧) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٢٨٩؛ De Sacy, Histoire de Yémineddoula, p. 369. ووفقاً لرواية بيهقي فإن الوزير أدرك أن الدولة في طريقها الى الزوال فقرر الانسحاب بنفسه قبل سقوطها ليحتفظ بأملاكه لذا تظاهر بأن رجله كسرت ورشى الطبيب فاستطاع بذلك اقناع الأمير ليعفيه واعتزل بالضيعة التي كان قد اشتراها قبل قليل من ذلك بجوزجان. ولما وصل هناك باعها ثم أقام بنيشابور «بقلب مرتاح ورجل قد شفيت» وحيث تمتع لأعوام طويلة بحياة فاخرة وتكريم رفيع (بيهقي، طبعة مورلي، ص ٤٤٢ - ٤٤٥؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٣٥٧ - ٣٦٠)).

(٦٠٨) في كلا المخطوطتين (اكسفورد الورقة ١٣٨، وكمبريدج الورقة ١١١أ) يرد: الحياني؛ (انظر طبعة محمد ناظم ص ٥٩: الجيهاني).

(٦٠٩) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٢٩٢؛ De Sacy, Histoire de Yémineddoula; p. 370

انتهى آنذاك من هزيمة أخيه اسماعيل ووضع يده على غزنه بحيث لم تعد لديه الآن أية فكرة للتنازل عن نيابة خراسان لبكتوزون. وجهد منصور عبثاً في إرضاء محمود بتعيينه حاكماً على بلخ وترمذ وهرات وبست وما والاها، فقد أصر محمود على ولاية خراسان أجمع، واضطر غريمه إلى إخلاء نيشابور بقوة السلاح(٦١٠). وعندئذ سارع منصور إلى خراسان في جيش يصحبه فايق، ووفقاً لرواية بيهقي فإن الجميع كانوا لا يزالون يأملون في تسوية سلمية للمشكلة. ولكن تردد الأمير في هذه المرة أدّى به إلى كارثة، ففي سرخس انضم إليهما بكتوزون بجيشه وفسّر تردد الأمير بأنه إنما كان يفكر في دخيلة نفسه في الاتفاق مع محمود. وقد شاركه فايق كل المشاركة مخاوفه هذه، وخشي ليس دون وجه حق أن يلقي هو وبكتوزون عين المصير الذي لقيه أبو علي(٦١١). لهذا فقد قرر الاثنان أن يسبقا منصوراً إلى العمل، ففي مساء الأول من فبراير عام ٩٩٩(٦١٢) خلعا الأمير ووكلا به من سمل عينه بعد أسبوع من ذلك وأُرسل إلى بخارا، وتم إعلان أخيه الأصغر أبي الفوارس عبد الملك خلفاً له.

وظهر محمود في مظهر المنتقم للأمير المخلوع ولكنه لم يلبث أن وصل إلى تفاهم سريع مع 328 أعدائه فتنازل عن نيشابور لبكتوزون محتفظاً لنفسه ببلخ وهرات، أي أنه/قبل ذات الشروط التي كان قد عرضها عليه منصور من قبل. ومن الواضح أن الذي حمله على ذلك هو التفوق العددي لخصومه الذين انضم إليهم أيضاً أبو القاسم سيمجوري. ورغماً من أن هذا الاتفاق لم يكن لصالح محمود الاّ أنه سرّ به كثيراً حتى أنه تصدق بألفي دينار على الفقراء(٦١٣) (في مايو عام ٩٩٩). غير أن الاتفاق لم يلبث أن نقض لأن ساقة محمود تعرضت لهجوم غادر أدّى إلى تجدد القتال، فأحرز محمود نصراً عظيماً على أعدائه كان من جرّائه أن وقعت خراسان بأجمعها في قبضته. وقد حفظ نبأ هذا النصر ذلك المكتوب الذي أرسله محمود إلى الخليفة القادر بالله(٦١٤)، وفي هذا المكتوب يؤكد محمود أن سبب

---

(٦١٠) العتبي- المنيني، الجزء الأول، ص ٢٩١- ٢٩٤؛ De Sacy, Histoire de Yémineddoula, p. 370

(٦١١) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٨٠٣ - ٨٠٤؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٤٠ - ٦٤١).

(٦١٢) يتفق بيهقي (طبعة مورلي، ص ٨٠٤؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٤١)) وگرديزي (اكسفورد الورقة ١٣٨، كمبريدج الورقة ١١١أ؛ (طبعة محمد ناظم ص ٦٠)) في التاريخ: الأربعاء الثاني عشر من صفر عام ٣٨٩ هـ .

(٦١٣) هكذا لدى گرديزي؛ أما بيهقي فيتحدث فقط عن توزيع مبالغ كبيرة (طبعة مورلي، ص ٨٠٥؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٤١ - ٦٤٢)).

(٦١٤) هلال الصابي، التاريخ، المتن ص ٣٤١ - ٣٤٥، الترجمة ص ٣٦٦ - ٣٧٠. حدثت الواقعة قريبا من مرو في يوم الثلاثاء الثالث من جمادي الأولى عام ٣٨٩ هـ (= ١٦ مايو ٩٩٩).

الحرب كان امتناع السامانيين عن الاعتراف بالخليفة. وهكذا فإن محموداً «ورث دولة آل سامان وملك دّيار خراسان» (العبارة للعتبي)؛ ومما يقف دليلا على ما طرأ من تبدل كبير في ظروف الأحوال أن محموداً لم يعد يأبه ساعتئذ لاتخاذ لقب اسفهسالار (أي قائداً لجيوش خراسان ونائباً للملك بها) بل عيّن أخاه نصراً في ذلك المنصب. وهرب عبد الملك وفايق إلى بخارا، وهناك انضم إليهما بكتوزون بعد أن قام بمحاولة غير مجدية لتجديد القتال ضد محمود، وفي صيف ذلك العام نفسه توفي فايق. وفي تلك اللحظة قرر الا يلك نصر[٦١٥] أن يضع حداً لما تبقى من أثر لحكم آل سامان بما وراء النهر. ووفقاً لقول كاتب معاصر كان شاهد عيان لتلك الأحداث[٦١٦] فقد عقد السامانيون العزم على مقاومة عدوهم مقاومة المستميت، وخطب الأئمة بمساجد بخارا بأمر من الحكومة يستفزّون الناس لحمل السلاح دفاعاً عن الأسرة الحاكمة. وكان أهل بخارا حتى ذلك الحين، شأنهم شأن بقية سكان ما وراء النهر، لا يزالون يحملون السلاح، ولو كان باستطاعة السامانيين تنظيم حركة مقاومة شعبية لصالحهم لانبعثت دون شك مصاعب لا يستهان بها أمام القراخانيين، وإن كان ذلك لم يكن ليحول دون سقوط الأسرة. وعلى أية حال فإن خطب الأئمة لم تغن شيئاً. وحقيقة الأمر أن السامانيين لم يهتموا حتى في عهد اسماعيل[٦١٧] باكتساب ثقة الجماهير لتصبح دعامة للعرش. ومما يقف دليلا على هذا اضطهادهم للحركة الشيعية التي كانت تحمل بلا شك طابعاً شعبياً. ونحن نعلم تمام العلم أن تعاليم الشيعة قد وجدت أنصاراً في السر ببلاد ما وراء النهر حتى في عهد السامانيين الأواخر، وكان يعد من بينهم والد الفيلسوف الكبير ابن سينا وأخوه[٦١٨]. وهذا فوق أن عاطفة رجال الدين من أهل السنة لم تتجه نحو الأسرة الحاكمة رغماً من كل ما أبداه السامانيون من اهتمام بالدين ورجاله[٦١٩]، بل اتجهت عاطفتهم نحو أعدائهم مثل أبي علي وفايق. ولهذا فإن الشعب

329

---

(٦١٥) يدعوه كرديزي «أخا الخان» (كمبريدج الورقة ١١١ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٦٠).

(٦١٦) Rozen, Rasskaz Khilalia as-Sabi, str. 275؛ هلال الصابي، التاريخ، المتن ص ٣٧٢ وما يليها، الترجمة ص ٤٠٠ وما يليها.

(٦١٧) يروي عنه عوفي قصة ذات مغزى (Teksty, str. 90-91)

(٦١٨) ابن أبي أصيبعة، طبعة مولر، الجزء الثاني، ص٢؛ ابن القفطي، تاريخ الحكماء، طبعة ليبرت، ص ٤١٣.

(٦١٩) راجع العرض الشيّق للبروفسور جكوفسكي عن تأليف مصنف ديني باللغتين العربية والفارسية في عهد السامانيين (Jukovski, K istorii persidskoi Literatury, str. 50). وأبو القاسم سمرقندي الوارد ذكره في هذا العرض يرد ذكره أيضاً الى جانب أبي منصور الماتريدي على أنه المدافع الأول عن مذهب أهل السنة ضد المعتزلة والكرامية (نسفي القندية Teksty, str. 50. أنظر أيضاً ترجمة ڤياتكين، ص ٢٦٣).

حين لم تجد فيه خطب الأئمة اتجه إلى « أولئك الذين كان يعتبرهم علماءه »، أي اتجه كما يفترض بحق البارون ف. ر. روزن V. R. Rozen الى رجال الدين غير الرسميين الذين كانوا يتمتعون بين طبقات الشعب بنفوذ أكبر بكثير مما كان عليه الحال مع الأئمة والوعاظ الذين عيّنتهم الحكومة. ومثلما حدث في حالات مماثلة[٦٢٠] فإن الرّحل الذين اعتنقوا الاسلام منذ عهد غير بعيد، والذين كانوا لا يزالون تحت سيطرة المعتقدات الشعبية، قد أظهروا من الاحترام والغيرة نحو الدين ورجاله أكثر مما ظهر من أهل المدن المتحضرين، ومن ثم فإنه بالرغم من رأي البارون روزن فإنه لا يكاد يوجد ما يبرر القول بأن الفقهاء قد اشتراهم القراخانيون « دون شك ». ومهما يكن من شيء فإن الشعب أخذ بنصيحة فقهائه فقرر بأنه « عندما ينشب النزاع من أجل المصالح الدنيوية » فانه ليس هناك ما يلزم المسلمين « بأن يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة ». وقد أعلن الايلك بأنه ذاهب إلى بخارا كصديق للسامانيين وكمدافع عنهم. وقابل الشعب الغزاة بسلبية تامة، وظهر قادة جيش بخارا وهما بكتوزون وينالتكين بمحض ارادتهما في معسكر الغزاة فتم القبض عليهما. وفي يوم الاثنين[٦٢١] الثالث والعشرين من اكتوبر عام ٩٩٩ احتل الايلك بخارا بلا مقاومة واستولى على خزائن السامانيين. ثم تم ترحيل عبد الملك وجميع أفراد أسرة السامانيين إلى اوزكند، التي رجع إليها الايلك نفسه تاركاً ولاته على بخارا وسمرقند. وهكذا في جو من عدم المبالاة دالت دولة السامانيين العظيمة. ومن المشكوك فيه أن أحداً من الناس قد تحقق آنذاك من أهمية هذا الحادث التاريخي الذي وضع حداً نهائياً لسيادة العنصر الآري الوطني على تلك البلاد[٦٢٢].

ليست بين أيدينا معطيات دقيقة تسمح لنا بأن نعرف من كان على رأس دولة القراخانيين بعد وفاة بغراخان هارون[٦٢٣]، ولعله/كان والد نصر وهو ارسلان خان عليّ 330

---

(٦٢٠) راجع Dozy, Essai sur l'histoire de l'Islamisme, p. 364

(٦٢١) هذه رواية كرديزي وهي الصحيحة (اكسفورد الورقة ١٣٩، كمبريدج الورقة ١١١ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٦١)؛ أما العتبي (العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٣١٩؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢١٦) والمصادر المتأخرة (ميرخواند، تاريخ السامانيين، ص ١٩٧) فيجعلونه يوم الثلاثاء خطأ.

(٦٢٢) راجع ملاحظة البروفسور نولدكه: (Nöldeke, Das iranische Nationalepos, S. 152, Anm. 6) «eine der traurigsten Katastrophen in der Geschichte jener Länder» (أي « كارثة من الكوارث المؤلمة حقا في تاريخ تلك البلاد » – المترجم).

(٦٢٣) (راجع البحث الجديد: Pritsak, Die Karachaniden – الناشرون).

الذي مات وفقاً لرواية جمال قرشي(٦٢٤) ميتة الشهداء في يناير عام ٩٩٨ ، ويمكن استجلاء طبيعة ميتته من نعته « بالحريق ». ونصر الذي حمل لقب ارسلان ايلك لم يكن سوى حاكم لبلاد ما وراء النهر أي نائب الملك هناك، وكان موضع اقامته أوزكند . وبمملكة القراخانيين، شأنها في هذا شأن جميع دول الرعاة، استعيرت فكرة وراثة العرش من قانون المعاملات الشخصية إلى القانون الدستوري فكانت المملكة تعد ملكاً لأسرة الخان أجمع وجرى تقسيمها إلى عدد من الاقطاع التي كانت تقسّم بدورها إلى اقطاع أصغر منها، وكانت سلطة رأس الدولة قد لا تجد أحياناً الاعتراف من بعض التابعين الأقوياء. وكان النظام الاقطاعي كما كان عليه الحال دائماً مصدراً للمنازعات الداخلية واستبدال حاكم ما بآخر، ولذا فقد أصبح من المستحيل علينا أن نحدد على وجه الدقة فترات حكم ملوك هذه الأسرة كل على حدة. بل إن مسكوكات القراخانيين نفسها، والتي وصلتنا في أعداد كبيرة لا تعاون في إلقاء ضوء على هذه المشكلة لأن شُح المادة التاريخية بمفهومها الدقيق كثيراً ما أدى إلى الخلط حتى أصبح من العسير تحديد ما إذا كانت الألقاب التي على قطعة ما من السكة قد قصد بها شخص واحد أم أكثر.

هذا ولقد اضطر القراخانيون في ما وراء النهر في الأعوام الأولى من القرن الحادي عشر إلى إخماد حركة قام بها أحد السامانيين هو ابراهيم اسماعيل أحد أخوة المنصور وعبد الملك، وكان معتقلا بأوزكند ولكنه أفلح في الهرب متخفياً في زي امرأة(٦٢٥). واتخذ اسماعيل لقب « المنتصر » وذهب إلى بخارا ومنها إلى خوارزم حيث تقاطر إليه عدد من أتباع السامانيين، وأغلب الظن أن ذلك لم يتم دون التواطؤ مع خوارزمشاه أبي الحسن علي، وهو ابن المأمون الذي خلف أباه حين قتله جنده عام ٩٩٧(٦٢٦). وقد عقدت قيادة الجيش الذي جمعه المنتصر إلى ارسلان يالو الذي أفلح في أن يطرد من بخارا جعفر تكين واليها من قبل القراخانيين. وقد انضمت فلول جيش جعفر تكين إلى جيش والي سمرقند تكين خان، غير أن السامانيين هزموا أيضاً تكين خان قرب قنطرة نهر زرفشان واضطروه الى الهرب ورجع أبو ابراهيم المنتصر إلى بخارا(٦٢٧)/واستبشر

---

(٦٢٤) Teksty, str. 132 – 133

(٦٢٥) العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٣٢٠؛ نرشخي، طبعة شيفير. ص ٢١٧ . وورد اسمه سهواً على أنه ابراهيم في كتاب لين بول وفي ترجمتي له (Muslulmanskie dynastii, str. 108, 109)

(٦٢٦) العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٢٥٤ وما يليها؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٠١.

(٦٢٧) أغلب الظن أن هذا حدث عام ١٠٠٠ م، والى هذا العام (٣٩٠ هـ) ترجع إحدى النقود التي سكها المنتصر ببخارا. راجع Markov, Inventarny katalog, str. 169

331 أهلها بعودته على حد قول العتبي[٦٢٨]. وعلى الرغم من هذه الانتصارات فقد تبين أنه من المستحيل مواجهة القوات الرئيسية للايلك، فعند اقترابه هرب المنتصر وارسلان يالو الى ايران عن طريق آمل. وقد عادت عليها بالغرم في آخر الأمر مناوأتها لمحمود وأخيه نصر، على الرغم من بعض النجاح الذي أحرزاه في البداية. ولم يلبث المنتصر أن أمر بقتل ساعده الأيمن الحاجب أرسلان، وكان «يحقد على ارسلان يالو تسحبه عليه واشتطاطه في المطالب بين يديه ومنازعته الرأي فيما ينحوه ومراجعته القول في كل ما يفوه به فوه، وانضاف الى ذلك اتهامه إياه بالتخاذل في الحرب التي انهزم فيها»[٦٢٩]. ولما تم القضاء على آخر قوات المنتصر على يد نصر عاد المطالب بالعرش إلى ما وراء النهر عام ١٠٠٣ وحاول استجلاب عون الغز (التركمان)، ويذكر كرديزي[٦٣٠] أنه في هذه اللحظة بالذات اعتنق الاسلام زعيم الغز بيغو (لا بد وأنه يجب قراءتها يبغو)[٦٣١]، والأقرب الى الصواب أن المراد بهذا إنما هو ابن سلجوق الذي كان قد انضم كما رأينا من قبل الى السامانيين في نضالهم مع القراخانيين. وأملا في الحصول على غنائم وافرة فقد انضم الغز عن رغبة إلى المنتصر ومكنوه من هزيمة جيش سوباشي تكين على مقربة من ضفاف زرفشان، ثم جيش الايلك نفسه بعد ذلك قرب سمرقند (صيف عام ١٠٠٣) حين سقط ثمانية عشر من قواده في الأسر. هذا وقد رفض الغز رفضاً باتاً تسليم الأسرى إلى المنتصر واحتفظوا بهم طمعاً في الفدية على ما يظهر. غير أن ذلك أثار شكوك المنتصر فيهم وأحس أنهم يريدون الاتفاق وراء ظهره مع الايلك فقرر هجرهم، ففي أواخر خريف عام ١٠٠٣ عبر أموداريا على الجمد عند معبر درغان بقوة صغيرة (ثلاثمائة فارس وأربعمائة

---

(٦٢٨) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٣٢٣؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢١٨.

(٦٢٩) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٣٢٩؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٢١.

(٦٣٠) Teksty, str. 13؛ أما لدى العتبي (العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٣٣٥؛ نرشخي. طبعة شيفير، ص ٢٢٢) فبتفاصيل أقل.

(٦٣١) (يرى پليو أنه من الممكن قراءتها بَيْقو أو بَيْغو لأنه لا يوجد في المغولية الاسم پَيْهو Pai-hou الذي يرتفع عادة الى Baiqu* أو Baiyu*. وبخلاف هذا نلتقي في التركية بلفظ بيغو وهو طائر جارح أشبه بالعقاب. راجع Pelliot, Notes dur le «Turkestan», P. 16 - الناشرون).
[يقول بوزورث C.E. Bosworth ان پليو لا يرى من الضرورة أن بَيْغو لها علاقة باللفظ التركي بِيغو، ويحيل الى Doerfer, II, 427 - 428, No 846 تحت لفظ Pigu ثم يضيف أنه من الواضح في هذا الموضع على الأقل أن الأمر يتعلق بكبير الغز النازلين على ضفاف سيردريا الأدنى وأطراف بحر ارال والذي حمل دون شك لقب يبغو. ثم يشير الى بحث پريتساك Pritsak, «Der Untergang des Reiches des Oguzischen Yabgu», Fuad Köprülü armagani, Istanbul, 1953, 397 - 410]

راجل) فبلغ آمل. وفي عام ١٠٠٤ قام بمحاولة ليثبّت لنفسه بنسا وأبيورد ولكنه هزم على يد جيش أرسله خوارزمشاه استجابة لطلب الأهالي. وكان من بين أنصاره الذين سقطوا في هذه المعركة ابن لتاش(٦٣٢). وللمرة الثالثة ظهر المنتصر بفلول جيشه بما وراء النهر، ورغماً من أنه لقي الهزيمة على يد والي بخارا إلا أنه تحصن في نور ومن هناك هاجم عدوه الذي كان بدبوسية. وفي هذه المرة انتهت الواقعة إلى صالح المنتصر وتلا ذلك أن تشكلت في آخر الأمر حركة شعبية لمؤازرة السامانيين، فانضم إلى المنتصر رئيس الفتيان بسمرقند وهو الحارث المعروف باسم ابن علمدار (أي «ابن حامل العلم») بثلاثة آلاف مقاتل، كما أمده مشايخ [٦٣٣] المدينة بثلاثمائة غلام، كذلك توافى الغز/مرة أخرى إلى 332 جيشه فتمكن بهذه القوات من ايقاع الهزيمة في شعبان عام ٣٩٤ هـ (مايو - يونيو ١٠٠٤) بالقوات الرئيسية للايلك قرب بور نمذ، بل وبجيش «الخان الأكبر» إذا ما أخذنا بألفاظ كرديزي[٦٣٤]. غير أن انتصاره لم يدم طويلا فقد رجع الخان بقوات جديدة وعرض القتال على عدوه في مفازة الجوع بين ديزك وخاوس، وكان الغز الذين اكتفوا بما حصلوا عليه من غنائم في بورنمذ قد تراجعوا إلى معسكراتهم الرعوية فلم يشتركوا في هذه المعركة، وفي خلال القتال انحاز أحد قادة المنتصر وهو الحسن بن طاق الى الايلك بخمسة آلاف رجل. وهرب المنتصر مرة أخرى إلى خراسان، ولكنه لم يلبث أن عاد للمرة الرابعة إلى ما وراء النهر وقد استهوته وعود أحد أقربائه وهو ابن سرخك الذي كان يعيش ببخارا والذي تفاهم مع الايلك بأن يكاتب المنتصر ليجتذبه إلى ما وراء النهر واعداً إياه بالانضمام إليه. وفي الطريق إلى بخارا فارق المنتصر جنوده الذين انضموا إلى سليمان وصافي حاجِبَيْ الايلك، أما بقية جيش المنتصر فقد حصره العدو الذي تمكن من وضع يده على جميع معابر أمودريا. غير أن المنتصر أفلح في الهرب مع ثمانية فقط من أنصاره بينما وقع أخوته وأتباعه أسرى وأرسلوا الى أوزكند، أما المنتصر نفسه فقد قتل في بداية عام ١٠٠٥ [٦٣٥] على يد أحد زعماء القبائل العرب التي كانت تقيم بنواحي مرو.

---

(٦٣٢) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٣٤٠؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٢٥.

(٦٣٣) في الأصل العربي «مشايخ» (العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٣٤١)، وفي الترجمة الفارسية «خواجكان».

(٦٣٤) Teksty, str. 13 وهنا لا يزيد عدد جماعة ابن علمدار عن الألف شخص.

(٦٣٥) يقول كرديزي (مخطوطة اكسفورد الورقة ١٤٢، كمبريدج الورقة ١١٤ أ، (طبعة ناظم ص ٦٥)) إن ذلك كان في ربيع الثاني عام ٣٩٥ هـ؛ أما العتبي فيجعله في ربيع الأول (العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٣٤٦؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٢٨).

وبعد موت آخر السامانيين لم يبق سوى اقتسام الأسلاب بين القراخانيين ومحمود. وقد كان اعتلاء محمود العرش كسلطان مهيباً للغاية، وحدث ذلك في نفس الشهر الذي دخل فيه جيش الايلك[٦٣٦] بخارا أي في ذي القعدة عام ٣٨٩ هـ (أكتوبر - نوفمبر ٩٩٩). هذا وقد تسلم «ولي أمير المؤمنين» الجديد من الخليفة القادر عهداً بولاية خراسان وتاجاً ولقب «يمين الدولة وأمين الملّة»[٦٣٧]. وفي خطبة الجمعة بخراسان أدخل محمود من جانبه
333 اسم الخليفة القادر الذي كان البويهيون قد رفعوه إلى عرش الخلافة/منذ عام ٩٩١ ولكن السامانيين لم يعترفوا به[٦٣٨]. هذا وقد أحاط محمود نفسه بمظاهر الأبهة والعظمة أكثر مما فعل السامانيون، وعلى عهده استعمل لقب سلطان، على أقل تقدير في دوائر البلاط. ولا يمكن قبول ما ذهب إليه المؤرخون[٦٣٩] في زعمهم بأن هذا اللفظ الذي يدل في الأصل على «السلطة والحكم»، خاصة حكم الخليفة الشرعي، لم يحمله البتة أحد من الحكام قبل محمود. ففي هذا المعنى نلتقي به لدى الطبري[٦٤٠]، كذلك حمل الفاطميون لقب السلطان أيضاً، والجداول الفلكية التي وضعها ابن يونس[٦٤١] رفعها إلى «أمير المؤمنين أبي علي المنصور سلطان الاسلام الإمام الحاكم بأمر الله» (٩٩٦ - ١٠٢١). ويقول الجغرافي المقدسي[٦٤٢] في فقرة مشهورة من مصنفه «وخاطبت السلاطين والوزراء» و«سُعي بي الى السلاطين»،

---

(٦٣٦) [من الأفضل قراءتها Ilig بدلا من Ilek أو Ilak كما فعل بارتولد؛ أنظر بحث عثمان توران Turan, «Ilig unvani hakkinda», Türkiyat Mecmuasi, VII – VIII, 1940– 1942, 192–199; و بوزورث - Bosworth] Doerfer, II, 210 – 213, No 661

(٦٣٧) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٣١٧؛ كرديزي، اكسفورد الورقة ١٤٠، كمبريدج الورقة ١١٢ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٦٢). أمّا اللقب الثالث «كهف الدولة والإسلام» فإن محموداً لم يتسلمه إلا عام ١٠٢٦ (اكسفورد الورقة ١٥٨، كمبريدج الورقة ١٢٧ أ، (طبعة ناظم ص ٨٧ - ٨٨)). وأمّا القصة التي يرويها نظام الملك (طبعة شيفير، المتن ص ١٣١ - ١٣٦، الترجمة ص ١٩٣ - ٢٠٠) فيبدو أنه لا نصيب لها من الصحة.

(٦٣٨) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ١٠٣؛ هلال الصابي، التاريخ، المتن ص ٣٤١، الترجمة ص ٣٦٦. راجع أيضاً Tizengauzen, O samanidskich monetakh, str. 234

(٦٣٩) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٩٢؛ جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٧٥ - ٧٦؛ نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٤٤، الترجمة ص ٦٨.

(٦٤٠) الطبري، القسم الثالث، ص ١٨٩٤ حيث يرد الكلام عن مشاركة السلطان في الواقعة.

(٦٤١) مخطوطة ليدن رقم ١٤٣ (راجع عنها - Catalogue codicum orient. Bibl. Acad. Lugduno Batavae, III, 88)

(٦٤٢) المقدسي، ص ٤٤ وص ٢٧٥.

ويقول في موضع آخر من ذات المصنف في صدد بلدة صغيرة بآسيا الوسطى إن « الغالب عليها الكفار وسلطانها مسلم ». ومؤرخو البلاط وشعراؤه، وكذلك فيما يغلب على الظن كتاب الانشاء، قد دعوا محموداً بالسلطان غير أنه ظل في حياته العادية يدعى بالأمير كخلفائه. وفي كتاب بيهقي يشير الناس في حديثهم دواماً إلى مسعود بالأمير، ولا يكاد كرديزي يستعمل لفظ « سلطان »، كما أننا لا نجد هذا اللفظ في سكة الغزنويين الأوائل(٦٤٣).

هذا وقد أعلن القراخانيون أنفسهم أيضاً « موالي أمير المؤمنين »(٦٤٤)، وذلك بما وراء النهر على أقل تقدير حيث بدأت أسرتهم تسك النقود باسم الخليفة القادر(٦٤٥). ويحمل الايلك نصر في سكته لقب « ناصر الحق »، وقد توصلا هو ومحمود معاً إلى اتفاق والقتال لمّا يزل قائماً ضد المنتصر. وفي عام ١٠٠١ أرسل محمود أحد الأئمة من الشافعية وهو أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي ومعه حاكم سرخس طغانچق سفيرين إلى أوزكند، فاستقبلها نصر بالترحاب وأرسل معهما هدايا ثمينة إلى السلطان « من نقر المعادن ونوافج المسك وقود المراكب وعيس الركائب وروق الوصفاء والوصائف وبيض البزاة وسود الأوبار ونصب الختو(٦٤٦) وأحجار اليشب وطرائف الصين »./ هذا وقد تزوج محمود من 334 كريمة نصر وعُقدت معاهدة بين الطرفين تتفق في شروطها مع المعاهدة السابقة بين بغراخان وأبي علي، أي بقبول نهر أمودريا حداً فاصلا بين الدولتين(٦٤٧). ولم يلبث القراخانيون في سرعة أن نقضوا الصلح. وكان محمود قد عاهد نفسه على القيام بغزوة إلى الهند في كل عام(٦٤٨)، وخلال إحدى هذه الغزوات وذلك في عام ١٠٠٦ عندما كان

---

(٦٤٣) لين پول، Musulmanskie dinastii, str. 243

(٦٤٤) نلتقي بهذه الألفاظ في نقود سكت ببخارا عام ٣٩٠ هـ = ١٠٠٠ (Markov, Inventarny katalog, str. 198)

(٦٤٥) منذ عام ٣٩٣ هـ = ١٠٠٠ (شرحه، ص ٢٠٠).

(٦٤٦) BGA, IV, 222 تحت لفظ « خُتُوّ ». ويفهم الآن من هذا اللفظ على أن المقصود سن فيل البحر Walrus وكركدن البحر Narwahl أنظر Laufer, Arabic and Chinese trade pp. 315 – 364; و Pelliot, Addenda, PP. 365-370 (قارن أيضاً Laufer, Sino-Iranica, P. 565 sq.) – Ruska, DI, Bd IV, S. 239؛ (وله رأي آخر مخالف ظهر في مقاله Noch einmal al-Chutuww, S. 163; Ferrand, Relations des voyages, T. II, P. 679 sq.

(٦٤٧) العتبي – المنيني، الجزء الثاني، ص ٢٨ – ٣٢؛ كرديزي، اكسفورد الورقة ١٤٠، كمبريدج الورقة ١١٣ أ، (طبعة ناظم ص ٦٣).

(٦٤٨) العتبي – المنيني، الجزء الأول، ص ٣١٨.

بالملتان أرسل القراخانيون فرقتين من جيشهم على خراسان. وكانت الأولى تحت قيادة سباشي تكين لاحتلال نيشابور وطوس، والثانية تحت قيادة جعفر تكين لاحتلال بلخ. وقد حققت الفرقتان هدفيهما، ولكن بينما أبدى سكان بلخ مقاومة مستميتة دفعت الغزاة فيما بعد الى أن يسلموها للنهب[٦٤٩] كان موقف أهالي نيشابور إزاء الغزاة سلبياً للغاية. بل إن الطبقة الارستقراطية أخذت جانبهم كما حدث في ما وراء النهر[٦٥٠] ولمّا وصل خبر الغزو إلى محمود عاد سريعاً إلى غزنة وقسر جعفر تكين على الانسحاب من بلخ إلى ترمذ، كذلك لم يستطع سباشي تكين الوقوف طويلا أمام محمود وقواده، فعبر النهر في عدد قليل من جنده بعد أن بعث بأمتعته وديعة لدى خوارزمشاه علي[٦٥١]، وسقط أخوه وتسعمائة من عسكره أسارى في يد العدو. ولكي يصرف محموداً عن سباشي أرسل الايلك بجعفر تكين إلى بلخ مرة أخرى في ستة آلاف مقاتل، ولكن هذه الفرقة مزّقها نصر أخو محمود على ضفاف أمودريا شر ممزق[٦٥٢]. ويقص كرديزي[٦٥٣] علينا تفاصيل احدى هذه المعارك على ضفاف أمودريا حين هوجمت فلول الجيش التركي المنسحب فيقول إن جنود محمود «كانوا يتغنون بأغنية تركية ذات لحن خُتَني»، فلما سمعها الترك رموا بأنفسهم في الماء من الذعر فغرق عدد منهم. وعندئذ منع محمود عسكره من/تعقبهم خوفاً من أن يحملهم 335 ليأس على الصمود أمام عدوهم فتتغير بذلك نتيجة المعركة.

ويقال إن الايلك حين عنَّفَ قواده أجابوه بقولهم: «ليس لأحد قبَل بمقاومة تلك الفيلة وذلك السلاح والعدة وأولئك الرجال[٦٥٤]». وعقد الايلك العزم على الثأر لنفسه

---

(٦٤٩) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٦٨٨؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٥١)؛ Teksty, str. 157 (حافظ آبرو).

(٦٥٠) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٧٧: «وما يلهم كثير من أعيان خراسان».

(٦٥١) ينسب ڤلكن Wilken في ترجمته لميرخواند Mirchondi Historia Gazneviadarum, p. 163 إرسال الأمتعة الى خوارزم الى أرسلان جاذب، غير أنه لا يمكن استفادة ذلك من متن ميرخواند (المتن، شرحه، ص ٣١). هذا السهو وجد طريقه الى أبحاث زخاو (Sachau, Zur Geschichte, II, S. 8 والبروفسور ڤيسلوڤسكي Veselovski, Ocherk istoriko - geograficheskikh svedenii, str. 45 ورغما من ملاحظة زخاو فان رينولدز Reynolds مصيب في هذه الحالة؛ راجع مخطوطة المتحف الآسيوى رقم ٥١٠، الورقة ٩٨؛ وأيضاً De Sacy, Histoire de Yémineddoula, P. 385

(٦٥٢) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٧٧ - ٨٢؛ De Sacy, Histoire de Yémineddoula, p. 384-387

(٦٥٣) Teksty, str. 13-14؛ من المؤسف أن متن كرديزي ها هنا مشوه للغاية، ليس في مخطوطة اكسفورد فحسب بل وأيضاً في مخطوطة كمبريدج التي تعرفت عليها صيف عام ١٨٩٩.

(٦٥٤) كرديزي، اكسفورد الورقة ١٤٤، كمبريدج الورقة ١١٦ آ، (طبعة محمد ناظم ص ٦٩): «بسيار =

من محمود لهذه الهزيمة، ففي العام التالي جدد الحملة بقوات أكبر و« استنفر دهاقين ما وراء النهر[٦٥٥] » لمساعدته وعقد حلفاً مع قريبه قدر خان[٦٥٦] يوسف حاكم ختن. ويعطينا العتبي وصفاً مفصلاً لهؤلاء الترك « عِراض الوجوه خُزر العيون فُطس الأنوف خِفاف الشعر حِداد السيوف سود الثياب من حلق الدروع يحملون جعاباً كخراطيم الفيول محشوة بنبال كأنياب الغول ». وحدثت الوقعة عند قنطرة چرخيان على أربعة فراسخ[٦٥٧] من بلخ يوم الأحد الثاني والعشرين من ربيع الثاني عام ٣٩٨ هـ (= ٤ يناير ١٠٠٨) على حد قول كرديزي، وكان جيش محمود يضم خمسمائة فيل لم يكن للترك عهد بها وهي التي حددت مصير المعركة منذ البداية فمُنِيَ جيش القراخانيين بهزيمة ساحقة وابتلع النهر أعداداً كبيرة من جنده أثناء محاولتهم الهرب[٦٥٨].

وقد وضعت هذه الوقعة حداً لتحركات القراخانيين على خراسان، وحال بينهم وبين العمل الموحّد فيما بعد حدوث منازعات بين أفراد البيت المالك. وعقد أخو الايلك الأكبر[٦٥٩] وهو طغان خان حاكم كاشغر حِلْفاً مع محمود ضد أخيه، فوضع أخوه خطة لغزو كاشغر من أوزكند. غير أن سقوط ثلوج عظيمة سد عليه الدروب وأرغمه على العودة. وتلا هذا أن أرسل الطرفان سفراءهما الى محمود الذي نجح في القيام بدور الوسيط في هذا النزاع وبذل جهده في ذات الوقت للتأثير على السفراء بعظمة بلاطه فاستقبلهم على هيئة مهيبة يحيط به حرسه في زي متألق. ويبدو من رواية العتبي أن هذا قد حدث عام ٤٠٢هـ = ١٠١١ - ١٠١٢.

ووفقاً لرواية العتبي[٦٦٠] فان الايلك توفي عام ٤٠٣هـ = ١٠١٢ - ١٠١٣ فخلفه 336

= سرهنكان كفتند كه با آن فيلان وآلت ومردان هيچكس مقاومت نتواند كرد ».

(٦٥٥) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٨٣: « واستنفر دهاقين ما وراء النهر ».

(٦٥٦) لفظ « قدر » في اللقب « قدرخان » ليس اللفظ العربي ولكن نعتاً تركياً. راجع Radloff, Versuch eines Wörterbuches, II, S. 326 ; ويكتبها محمود الكاشغري (الجزء الأول، ص ٣٠٤) في صورة « قَدِر » ويفسرها: « الجبّار الصعب من الملوك ».

(٦٥٧) فرسخان لدى ابن الأثير (الجزء التاسع، ص ١٣٥).

(٦٥٨) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٨٣ - ٨٦ ؛ De Sacy, Yémineddoula, pp. 386- 387 كرديزي، اكسفورد الورقات ١٤٤ - ١٤٥، كمبريدج الورقات ١١٦ أ - ١١٦ ب، (طبعة محمد ناظم ص ٦٩).

(٦٥٩) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ١٢٨: « الكبير ».

(٦٦٠) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٢١٩ ؛ De Sacy, Histoire de Yémineddoula, P. 397

على ما وراء النهر أخوه طغان خان. وتاريخ القراخانيين مشوش للغاية، واعتماداً على المسكوكات فقد وصل دورنDorn[٦٦١] إلى نتيجة مفادها أن ما وراء النهر قد فتحها أخَوان اثنان هما ناصر الحق نصر وقطب الدولة[٦٦٢] أحمد، وأن نصراً هو الأكبر ومن ثم فإنه قد شغل المكانة الأولى ولكن أحمداً امتد به العمر أطول منه. وهناك مسكوكات باسم نصر بن علي[٦٦٣] يرجع تاريخها الى عام ٤٠١هـ = ١٠١٠ - ١٠١١، ولا علم لنا ما إذا كان خلفه قد اتخذ أيضاً لقب ناصر الحق. فان كان الأمر على غير ذلك فمن الواجب اذن أن نفترض أن نصراً بن علي حكم حتى عام ٤٠٦هـ = ١٠١٥ - ١٠١٦[٦٦٤]. ومن العسير القول على وجه التحديد ما إذا امتد بالفعل حكم طغان خان حاكم كاشغر إلى بلاد ما وراء النهر، ذلك أنه ليس هناك في مسكوكات هذا الخان التي وصلت الينا أدنى ذكر للتاريخ أو للموضع الذي ضربت فيه[٦٦٥]. ويغلب على الظن أن طغان بوصفه الأخ «الأكبر» كان هو الرأس الاسمي للأسرة حتى في حياة الايلك نصر الذي يدعوه كرديزي خلال سرده لأخبار فتح ما وراء النهر بلقب «أخي الخان». وعدد الألقاب والأسماء المختلفة التي نلتقي بها في السكة المضروبة بما وراء النهر في السنوات الأولى للقرن الخامس الهجري كبير بالدرجة التي تحول دون استقراء أية مادة تاريخية منها. أما اسم الأخ الرابع وهو أبو منصور[٦٦٦] محمد بن علي الذي اتخذ فيما بعد لقب ارسلان خان فيمكن الالتقاء به في المسكوكات المضروبة ببخارا منذ عام ٤٠٣هـ = ١٠١٢ - ١٠١٣[٦٦٧]. وكذلك فقد تخاصم ارسلان خان مع طغان خان كما يبدو من

---

(٦٦١) Dorn, Uber die Münzen, S. 706 - 707

(٦٦٢) يرد على بعض النقود أيضاً «نصر الملّة» (Markov, Inventarny katalog, str. 210, 221)، أما لقب قراخان أو قرا خاقان الذي نلتقي به في السكة فإنه لا يتعلق في أغلب الظن بأحد الأخوين أو بسلطانها وإنما بأبيهما علي، راجع ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٢١٠؛ Teksty, str. 84 (عوفي). أمّا هلال الصابي (التاريخ، المتن ص ٣٩٦، الترجمة ص ٤٢٤) فيذكر فقط اسم أحمد بن علي قراخان كخلف لبغرا خاقان.

(٦٦٣) اسم نصر المرقوم بالأحرف الأويغورية على السكة المضروبة بأسروشنه عام ٤٠٩ هـ وعام ٤١٠ هـ (Markov Inventar. Katalog, str.235) يتعلق في أغلب الظن بشخص آخر.

(٦٦٤) شرحه، ص ٢١٧.

(٦٦٥) شرحه، ص ٢٢٤؛ Dorn, Uber die Münzen, S. 717

(٦٦٦) هكذا لدى العتبي (العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٢٢٧: «ارسلان خان منصور الأصمّ»)؛ أمّا لدى ابن الأثير وعلى الكثير من السكة فيرد على أنه أبو المظفر.

(٦٦٧) Markov, Invent. katal., str. 226

إشارة بيهقي[٦٦٨] الى «الخانات والايلك» الذين تقاتلوا قرب أوزكند، ثم تصالحا عام ١٠١٦ بفضل وساطة خوارزمشاه المامون الذي كان يبحث آنذاك عن حلفاء تمهيداً لنزاعه القادم مع محمود. ومن الجائز أيضاً أن تكون العمليات العسكرية/بنواحي أوزكند 337 قد حدثت بين ارسلان خان حاكم ما وراء النهر وقدر خان الذي كان آنذاك حاكماً على كاشغر كما سنرى فيما يلي.

أما قصة استيلاء محمود على خوارزم فتلقى عليها ضوءاً ساطعاً رواية مفصلة وفريدة[٦٦٩] نقلها بيهقي عن «تاريخ خوارزم» للبيروني. وكان قد خلف خوارزمشاه المأمون على العرش ابنه أبو الحسن علي، ومن أخبار حملة سباشي تكين(ص٤١٠) نرى أن علياً كان يدين وقتاً ما بالتبعية للقراخانيين، ويغلب على الظن أن تقاربه مع محمود جاء نتيجة لهزيمة الايلك وحلفائه. ووفقاً لرواية العتبي[٦٧٠] فان علياً قد تزوج اختاً لمحمود. كذلك أصبح حليفاً لمحمود أخو علي وخليفته أبو العباس المأمون بن المأمون الذي تزوج بدوره أختاً للسلطان، ووفقاً لرواية كرديزي[٦٧١] فان هذا الزواج قد تم عام ٤٠٦هـ = ١٠١٥ - ١٠١٦. وحين أرسل الخليفة القادر الى المأمون مع عهده خلعة ولواءاً ولقّبه «عين الدولة وزين الملة» خشي المأمون أنه بقبوله لهذه المنح من الخليفة مباشرة أن يغضب السلطان ولذا فقد قرر ألا يستقبل رسول الخليفة بعاصمته وأرسل البيروني ليستقبله في الصحراء خارج المدينة ويتسلم منه الخلع. غير أن محموداً حين عقد عهد الصلح مع طغان خان والايلك رفض خوارزمشاه رفضاً شديداً رغبة حليفه القوي في أن يكون طرفاً في ذلك الصلح مما أدى الى وقوع الجفوة بينهما. وعملا بنصيحة وزيره أبي القاسم أحمد بن الحسن الميمندي فقد صمم محمود على أن يمتحن اخلاص المأمون، ففي حديث مع رسول خوارزمشاه اقترح الوزير وكأنما كان هذا الاقتراح صادراً منه شخصياً أن يجعل خوارزمشاه الخطبة في أراضيه باسم السلطان، زاعماً فوق ذلك أن اقتراحه صدر دون علم السلطان. وهذه الأحداث كما يوكد بيهقي جرت عام ١٠١٤. وبالطبع فان خوارزمشاه

---

(٦٦٨) طبعة مورلي، ص ٨٤٤؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٧٣).

(٦٦٩) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٨٣٨ وما يليها؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٦٨ وما يليها). هذه الرواية أفاد منها أيضاً زخاو في دراسته عن خوارزم (راجع أعلاه ص ٥٩ ، وص ٨٥).

(٦٧٠) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٢٥١: «أبو الحسن علي»؛ De Sacy, Histoire de Yémineddoula, P. 398 حيث يرد اسم خوارزمشاه سهواً على أنه أبو علي.

(٦٧١) مخطوطة اكسفورد الورقة ١٤٧، مخطوطة كمبريدج الورقة ١١٨ ب، (محمد ناظم ص ٧٣).

فهم جيداً أن الوزير لم يكن ليجرؤ على التعبير عن فكرة كهذه دون موافقة سيده، ورغماً من ذلك فقد تلكأ خوارزمشاه في تنفيذ رغبة السلطان. عند ذاك أعاد الوزير الطلب بصورة جازمة، فبعث المأمون في طلب قادة جيشه وأعيان دولته وعرض عليهم طلب محمود وأعرب عن نيته في أن يمتثل له حتى لا يعرّض نفسه وأهل بلاده للهلاك. وقد رفض الجميع في إصرار ذلك الرأي وغادروا القصر في حالة من الهياج ونشروا الأعلام/ 338 وامتشقوا السيوف وهم يسبّون ويلعنون (الأرجح المأمون ومحموداً معاً). وقد اضطر المأمون لكي يهدىء الساخطين إلى أن يعطيهم أيمانه الموثقة بأنه لم يكن ثمة طلب في هذا الشأن، وأنه انما أراد فقط أن يمتحن اخلاصهم. وبعد هذا عمل البيروني «بحديث الذهب والفضة» بين القوم فعدلوا عن العصيان وجاءوا إلى البلاط «فمرغّوا وجوههم في تراب عتبة الباب وبكوا وقالوا إنا أخطأنا». وفي الوقت ذاته رأى خوارزمشاه عملا بنصيحة البيروني أن يتوسط بين القراخانيين في خصوماتهم الداخلية فنجح في الوصول بهم إلى بر المصالحة وعقد معهم حلفاً، فلمّا علم محمود بهذا بعث رسوله من بلخ إلى «الخان والايلك» معاتباً لهما عما جرى، فأجاباه بأنهما يعلمان «أن خوارزمشاه صديق السلطان وصهره، ونعرف أن السلطان كان راضياً عنه إلى حد أنه حين أرسل إلينا رسله وأبرم العهد معنا طلب من خوارزمشاه أن يعين رسولاً من قبله ليشهد ما يكون بيننا وبين رسله فلم يستجب لذلك ولم يوفد رسولاً، واذا كان السلطان غاضباً عليه اليوم فالواجب ألاّ يعتب علينا. والخير أن نتوسط حتى تعود الألفة بينكما إلى ما كانت عليه». وقوبل هذا العرض بالصمت التام. هذا وقد أحاط القراخانيون خوارزمشاه علماً بسفارة محمود، فاقترح عليهم أن يرسل الطرفان أفواجاً من الفرسان على خراسان من اتجاهات مختلفة للقيام بحرب عصابات على ألاّ يمس أحد الرعايا الآمنين بسوء وأن تعتبر الحملة وسيلة فقط لاستتباب السلام. وقد رفض القراخانيون تقديم المعونة العسكرية لخوارزمشاه ولكنهم عرضوا الوساطة من جديد فقبلها المأمون. وفي شتاء عام ١٠١٦ - ١٠١٧ استقبل محمود رسل الخان والايلك ببلخ وأعادهم بجواب رقيق مفاده أنه ليس بينه وبين خوارزمشاه خلاف يذكر، وحتى هذا قد زال الآن تماماً نتيجة لوساطة القراخانيين.

وعقب هذا مباشرة تسلم المأمون الكتاب الآتي نصه من السلطان، وهو لا يخلو من مغزى: «ليخبره بحقيقة ما تقضي به العهود والمواثيق التي كانت بيننا ومدى حقنا عليه وأنه راعي جانبنا في أمر الخطبة لأنه عرف ما سيكون عليه مآل أمره إذا تجنبها، ولكن قومه ولا أقول حاشيته لم ينصاعوا وليس للرعية حق في أن يقولوا للسلطان أفعل أو لا

تفعل، فذلك دليل على عجزه وعلى أنه ليس حراً في شؤون ملكه، وانا قد أقمنا مدة طويلة في بلخ وعبأنا مائة ألف فارس وراجل وخمسمائة فيل لعلاج هذا الأمر ولنؤدب هؤلاء القوم العصاة الذين يعترضون على أمر ملكهم ليعودوا الى السراط المستقيم وكذلك لنرفع من شأن الأمير الذي هو أخونا وصهرنا ونفهمه كيف تكون الإمارة فان الأمير الضعيف لا يجدي نفعاً. والآن يجب أن يكون أمامنا عذر واضح حتى نعود الى غزنه، فلا مفر من اختيار أحد أمور ثلاثة ١) إما أن تُقرأ الخطبة باسمنا/طوعاً أو كرهاً ٢) وإما 339 أن ترسل إلينا النثار والهدايا العظيمة التي تليق بنا على أنّا سنعيدها سراً إليكم اذ ليس لنا حاجة إلى مزيد من المال فان أرض قلاعنا لتميد من ثقل ما تحمل من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ٣) وإما أن ترسل إلينا أعيان بلادك وأئمتها وفقهاءها حتى يقدموا المعاذير ويطلبوا الصفح وذلك حتى نستطيع العودة بهذه الآلاف العديدة من الجند».

والحقيقة أن السلطان إنما أراد في واقع الأمر أن توفى الشروط الثلاثة، وعلى أية حال فان خوارزمشاه قد فهم انذار محمود على هذا الوجه. فسارع أولا بإدخال الخطبة باسم السلطان في أراضيه بخراسان، وذلك بنسا وفراوة[٦٧٢]، ثم في سائر المدن بعد ذلك فيما عدا عاصمتيه (كاث وكركانج)، كما أرسل بثمانين ألف دينار وثلاثة آلاف حصان مع مشايخ هذه البلاد وقضاتها وأعيانها. وعند ذلك ثار عليه جيشه تحت قيادة الحاجب البتكين[٦٧٣] البخاري الذي كان معسكراً آنذاك بهزاراسب يراقب استعدادات محمود العسكرية فيما يغلب على الظن، واغتال الثوار الوزير وبعض مستشاري خوارزمشاه بينما أنقذ الباقون أنفسهم بالهرب. واحتمى خوارزمشاه بقصره ولكن الثوار أشعلوا فيه النار وقتلوا الأمير (وذلك في يوم الاربعاء العشرين من مارس عام ١٠١٧). ثم أجلس الثوار على العرش أبا الحارث محمداً بن علي ابن أخي الأمير الذي لم يكن قد تجاوز آنذاك السابعة عشر من عمره، ولكن البلاد في واقع الأمر كانت بأجمعها في قبضة البتكين والوزير الذي عينّه. وقد فعل الثوار ما راق لهم أن يفعلوه فنهبوا وقتلوا الأغنياء، كما أن بعضهم اغتنم الفرصة ليثأر من أعدائه الشخصيين.

وخوفاً على مصير أخته أرملة المأمون فقد أظهر محمود في البداية الكثير من الاعتدال

---

(٦٧٢) راجع أعلاه، ص ٢٦٤

(٦٧٣) يرد في صورة «نيالنكين» (أي «ينالتكين») لدى العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٢٥٤.

والحيلة عملاً بنصيحة وزيره، فلم يطلب أكثر من ادخال الخطبة باسم السلطان وتسليم القتلة إليه. فإذا ما قبل الثوار هذه الشروط نصحهم رسول السلطان، وكأنما هذا القول صادر عن شخصه، بأن خير وسيلة لاكتساب رضاء السلطان هو أن تُعاد أخته محاطة بكل مظاهر الإكرام والاعزاز. وكما توقع الوزير فان الخوارزميين قد أرسلوا أرملة خوارزمشاه إلى خراسان، وفي الوقت ذاته أخذوا خمسة أو ستة من الرجال وأدانوهم بقتل الأمير وألقوا بهم في السجن ووعدوا بأن يرسلوا بهم إلى محمود فور عقد المعاهدة، كما أنهم تعهدوا بأن يقدموا إليه مائتي ألف دينار وأربعة آلاف فرس إذا ما عدل السلطان عن قصد خوارزم وأبرم معاهدة معهم. وقد اغتنم محمود فرصة عامل الوقت ليكمل استعداداته العسكرية، وبأمر من الوزير أُعدّت القوارب بالختّل وقواذيان وترمذ وجمعت المؤن من أجل الجيش بآمل. ولكي يؤجل محمود من تحرك الخوارزميين لزمن أطول فانه سار إلى غزنه مصطحباً رسلهم معه، وهناك فقط أعطاهم جوابه الأخير الذي مؤداه تسليم البتكين وزعماء الثوار الآخرين للقصاص منهم، وبهذا لم يبق أمام الخوارزميين/إلاّ أن يستعدوا لمقاومة يائسة فجمعوا خمسين ألفاً من خيرة الفرسان وتعاهدوا على أن يقاتلوا حتى الموت.

340

وعند خروج محمود في حملته هذه كتب إلى «ايلك وخان تركستان» بأنه ذاهب للمطالبة بدم صهره ولإخضاع تلك البلاد التي كانت مصدر قلق ومتاعب له ولهم كذلك. ورغماً من أن القراخانيين قد استيقنوا بطبيعة الحال من أن اخضاع محمود لخوارزم ليس في مصلحتهم إلاّ أنهم لم يفكروا في نقض المعاهدة بل ردّوا عليه يتصوبون فكرته في معاقبة الثوار «حتى لا يجرؤ أحد من الرعية بعد هذا على إراقة دم الملوك». ولم يكن بوسع الخوارزميين اعتماداً على قوتهم وحدها مقاومة جيش محمود لأمد طويل. وقد بدأ محمود زحفه من آمل، ومن الجلي أنه سار على الضفة اليسرى لأمودريا[٦٧٤]، ومن جعفر بند[٦٧٥] على حدود خوارزم أرسل طليعة جيشه بقيادة محمد بن ابراهيم الطائي[٦٧٦] فانقضّ

(٦٧٤) عن العمليات العسكرية راجع الى جانب بيهقي (طبعة مورلي، ص ٨٥٠ - ٨٥١؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٧٧ - ٦٧٨)) أيضاً كرديزي (Teksty, str.14)؛ وفي الحواشي التالية ترد تصحيحات للمتن الذي نشرته عن مخطوطة كمبريدج.

(٦٧٥) أغلب الظن انها جكربند (أنظر ص ٢٤٨ من هذا الكتاب)؛وعن القراءات المختلفة للاسم انظر المقدسي ص ٢٨٧ الحاشية 9؛ وأيضاً Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 60-61.

(٦٧٦) يرد اسمه لدى بيهقي على آنه محمد أعرابي؛ والغالب انه زعيم كتيبة من بدو خراسان. ويدعوه العتبي أبا عبد الله محمد بن ابراهيم ويصفه بأنه «طليعة السلطان في كماة العرب»

عليها الخوارزميون الذين ظهروا فجأة من ناحية الصحراء بقيادة خمار تاش شرابي وأنزلوا بها خسائر فادحة ولم ينجها من الهلاك سوى ظهور محمود نفسه ببقية الجيش في اللحظة المناسبة، فحلت الهزيمة بالخوارزميين ووقع خمار تاش في الأسر. وفي اليوم التالي حدثت معركة عند هزاراسب مع القوات الرئيسية للخوارزميين الذين منوا بهزيمة أخرى وتفرقوا أيدي سبا تاركين في أسر السلطان زعيمي الثوار البتكين البخاري وصيّاد تكين خاني[٦٧٧]. بعد ذلك تقدم جيش محمود[٦٧٨] صوب عاصمة خوارزم (كاث) فاستولى عليها في الثالث من يوليو عام ١٠١٧[٦٧٩]، وأصدر السلطان أمره بنصب المشانق تجاه مقبرة المأمون وبأن يُرمى زعماء الثوار الثلاثة تحت أقدام الفيلة،ثم علقت أجسادهم على أنيابها/ 341 ليُطاف بها في المدينة ويُنادي « هذا جزاء كل من يقتل أميره ». ثم علقت الجثث بالمشانق وقد شدت إليها الحبال ووصل بين رؤوس المشانق ببناء من الآجر والجص كأنها جسور ثلاثة وكتبت عليها أسماؤهم. أما بقية الثوار فقد عوقبوا بعقوبات تختلف بدرجة ذنوبهم، ووفقاً لقول العتبي فإن قتلة المأمون لم يكونوا وحدهم هم الذين دفعوا ثمن الجريمة بل كان هناك آخرون ممن اتهمهم محمود بالالحاد، وبمعنى آخر أولئك الذين أراد أن يتخلص منهم لأسباب سياسية. واضطر خوارزمشاه الشاب وجميع أفراد أسرته إلى السير مع محمود الى بلاده حيث اعتقلوا في قلاع شتى. أما قوات خوارزم فقد أرسل جنودها مصفدين في الأغلال إلى غزنه ولكن أُفرج عنهم فيما بعد واستوعبوا في جيش محمود حيث عملوا في حملاته الهندية. ثم عيّن محمود حاجبه الأكبر[٦٨٠] التونتاش شاهاً على خوارزم وترك معه قسماً من جيشه بقيادة ارسلان جاذب لحين تهدئة المنطقة نهائياً.

إن استيلاء محمود على خوارزم « التي انضافت كاحدى اخواتها إلى سائر ممالكه » (كما يقول العتبي) قد أعطاه التفوق على القراخانيين، هذا فوق أن الحرب الأهلية في بلاد القراخانيين جعلت من المستحيل عليهم القيام بحملات خارجية. ومعرفتنا بتاريخ ما وراء

---

(٦٧٧) يقدم لنا العتبي أيضا تفاصيل لهذه الأحداث (العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٢٥٨)؛ ويفهم من ألفاظه أن البتكين هو الوحيد الذي جرؤ على الرد على تقريع السلطان لهم بينما التزم الباقون الصمت.

(٦٧٨) في المتن سقطت الألفاظ الآتية: « روى بخوارزم نهادند وشهر خوارزم را بكرفتند اول كار آن كرد يمين الدولة » وذلك عقب ألفاظ: « وسپاه يمين الدولة » مباشرة.

(٦٧٩) يجد التاريخ الذي يذكره كرديزي (وهو الخامس من صفر) التوكيد في قول بيهقي (طبعة مورلي، ص ٨٤٨؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٧٦)) إن حكومة الثوار استمرت لأربعة أشهر.

(٦٨٠) في المتن سقطت الألفاظ الآتية: « التونتاش را بخوارزم شاهي نامزد كرد وخوارزم وكركانج بدو داد واورا تا آخر عهد خويش » وذلك عقب ألفاظ « وحاجب بزرك خويش » مباشرة.

النهر في تلك الفترة مضطربة للغاية. ووفقاً لرأي العتبي[٦٨١] وابن الأثير[٦٨٢] فان طغان خان حليف محمود المخلص قد توفي عام ٤٠٨ هـ = ١٠١٧-١٠١٨ نفسه، وذلك بعد فترة وجيزة من انتصاره على جيش كبير من الكفار (يربو عددهم على مائة ألف[٦٨٣] خركاه) وصلوا من جهة الصين. وقد ظل أخوه وخليفته ارسلان خان أبو منصور محمد بن علي «الأصم»[٦٨٤] الذي عرف بتدينه الشديد محتفظاً بهذه الصداقة مع محمود، هذا وقد طلب محمود إليه والي «أخيه ايلك» يد إحدى كريمات بيتهم لولده الأكبر مسعود وقوبلت الأميرة بجفاوة بالغة ببلخ، غير أن محموداً الكاشغري يقص في مصنفه «ديوان لغات الترك»[٦٨٥] حكاية لا تخلو من مغزى عن مصارعة دارت بين مسعود وعروسه التركية في أول ليلة لزواجها. ويروي بيهقي[٦٨٦] أن زوجة أرسلان خان قد تعودت على أن ترسل كل عام غلاماً وجارية هدية إلى محمود، وكان السلطان يقابل هديتها بهدايا من الثياب المقصّبة والأقمشة المزركشة وعقود/اللؤلؤ والديباج الرومي. ويروي ابن الأثير[٦٨٧] أنه 342 كان في حبس ارسلان خان أخ لايلك ايلخان (فاتح ما وراء النهر) اسمه علي تكين[٦٨٨]، وقد أفلح في الهرب إلى بخارا واحتل المدينة وعقد حلفاً مع أرسلان بن سلجوق فزحف عليه «ايلك أخو ارسلان خان» ولكنه هزم فظل علي تكين ببخارا. غير أن أعمال علي تكين السيئة كانت السبب في حملة عسكرية قام بها محمود، وسيرد عنها الكلام بعد قليل. ومؤرخنا هذا نفسه خلال عرضه لتاريخ القراخانيين[٦٨٩] يذكر أنه بعد وفاة طغان خان

(٦٨١) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٢٢٧؛ وذلك دون ذكر التاريخ.

(٦٨٢) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٦٨٣) مائة ألف وفقاً للعتبي (العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٢٢٠) وثلاثمائة ألف وفقاً لابن الأثير. ويقدم ابن الأثير رواية أخرى مؤداها أن الحملة حدثت في عام ٤٠٣ هـ في عهد حكم أحمد بن علي.

(٦٨٤) «الأصم» (لدى العتبي). وغير واضح هل المراد بهذا كنية أم أن اللفظ يشير فعلا الى وجود عاهة لديه.

(٦٨٥) محمود الكاشغري، الجزء الأول، ص ٣٩٤.

(٦٨٦) طبعة مورلي، ص ٣٠٥؛ (طبعة غني وفيّاض).

(٦٨٧) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٣٢٣.

(٦٨٨) [فيما يتعلق بشخصية علي تكين يحيل بوزورث الى مقال لپريتساك، Pritsak, «Karachanidische Streitfragen. 2- Wer war Ali Tigin?», Oriens, III, 1950, 216-224 دلل فيه الأخير على أن علي تكين رغما من أقوال زخاو وبارتولد لم يكن أخا للايليك نصر بل من أبناء عمومته، لأنه ابن بغرا خان هارون فاتح بخارا الأول وأخ لقدر خان يوسف].

(٦٨٩) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٢١٠ - ٢١١. راجع أيضاً نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٣٤ (نقلا عن تاريخ حيدري). وابن الأثير لا يذكر السنة.

رفض قدر خان يوسف بن بغرا خان هارون (أول فاتح لما وراء النهر) والذي كان يحكم سمرقند باسم طغان خان، رفض أن يعلن خضوعه لارسلان خان وطلب العون من محمود الذي قام بعبور أمودريا على قوارب (وكانت هذه أولى حملاته على ما وراء النهر) ولكنه انسحب فيما بعد. وتصالح ارسلان خان وقدر خان وعقدا حلفاً يهدف الى غزو أملاك محمود، ففي عام ٤١٠ هـ = ١٠١٩-١٠٢٠ قاما بغارة على خراسان ولكنهما هزما شر هزيمة قرب بلخ. وعقب الوقعة وصلت التهاني الى محمود من خوارزمشاه التونتاش الذي علم بانتصار سلطانه من عدد قلانس القتلى من الترك التي حملها تيار أمودريا إلى خوارزم. وتلت هذا المقابلة بين قدرخان ومحمود.

وعلى الرغم من كل هذه التفاصيل فإنه يمكن القول عن يقين بأن حملة محمود على ما وراء النهر ومعركة عام ٤١٠ هـ التي ورد ذكرها في رواية ابن الأثير لم تحدث أيّ منهما البتة، وإلاّ لكان من العسير تفسير الصمت التام للعتبي وكرديزي بإزاء ذلك. ويقول كرديزي[٦٩٠] إن من أسباب حملة ١٠٢٥ كانت رغبة محمود في «عبور جيحون والتعرف عن كثب على تلك البلاد»، مما يحمل على الاعتقاد بأن حملة ١٠٢٥ كانت أول حملة لمحمود على ما وراء النهر. وكان محمود في واقع الأمر حليفاً لقدر خان يوسف في نزاعه مع أفراد الأسرة الآخرين، غير أن النزاع لم يحدث إلاّ بعد أعوام من ذلك عندما أصبح قدر خان حاكماً لا على سمرقند وحدها بل وعلى تركستان الشرقية كذلك.

وقد رأينا كيف أن العتبي في روايته لحرب عام ١٠٠٧ - ١٠٠٨(أنظر ص٤١٣) يذكر قدرخان على أنه حاكم لختن، فاذا ما أخذنا بقول ابن الأثير[٦٩١] فان افتتاح هذه المدينة وتثبيت الاسلام بها كان أيضاً من عمل قدرخان. ومن الجائز ألاّ يكون يوسف ابن بغراخان هارون، قد تسلم أدنى اقطاع عند وفاة أبيه وانتقال الحكم إلى فرع آخر من أسرة القراخانيين، ولكنه عرف كيف يجتذب عناصر الاضطراب/من بين طبقات الشعب 343 إلى صفه واستطاع بمعاونتهم وضع أسس دولة جديدة[٦٩٢]، ثم تمكن فيما بعد من إزاحة منافسيه شيئاً فشيئاً عن بقية مدن تركستان الشرقية. وكان حاكم كاشغر في بداية القرن

---

(٦٩٠) Teksty, str. 14

(٦٩١) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٢١١.

(٦٩٢) لعله يتعلق بفتح قدر خان لمدينة ختن تلك القصة التي يوردها ابن القلانسي (طبعة امدروز، ص ٧١) بصدد التركي دزبري الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخليفة الفاطمي، فقد كان في الأصل من سبي «ختل» وحمل الى كاشغر فهرب منها الى بخارا ولكنه أخذ رقيقاً للمرة الثانية هناك وحمل الى بغداد ومنها الى دمشق. هذا وقد دخلت بلاد الختل في أراضي الاسلام قبل ذلك بعهد طويل، أضف الى =

الحادي عشر كما رأينا هو طغان خان الأخ الأكبر لايلك نصر، غير أن النقود سُكّت بياركند منذ عام ٤٠٤ هـ = ١٠١٣ - ١٠١٤ وبكاشغر أيضاً في عام ٤٠٥ هـ باسم الخليفة القادر وقدرخان يوسف وحمل فيها قدرخان يوسف لقب «نصير الدولة» و«ملك المشرق». كذلك سكت النقود باسم قدرخان بكاشغر في الأعوام التالية لهذا[٦٩٣]، الأمر الذي يمكن أن يستخلص منه أن طغان خان فقد تركستان قبل وقت طويل من التاريخ الذي حدده المؤرخون لوفاته ولكنه بقي الحاكم على منطقة يدي صو، وربما الحاكم الأعلى لما وراء النهر أيضاً. أما أخوه محمد بن علي، إذا ما بنينا حكمنا على السكة، فقد كان نائباً في حياة أخيه على ما وراء النهر إلى مدينة طراز، بما في ذلك هذه المدينة نفسها. وبعد وفاة أخيه (التي ربما حدثت عام ٤٠٦ هـ = (١٠١٦ - ١٠١٧) رغما مما يورده المؤرخون) اتخذ لقب ارسلان خان وحكم حتى عام ٤١٥ هـ = ١٠٢٤ - ١٠٢٥[٦٩٤]. وفي هذه الفترة، بل ولعل ذلك كان في السنوات الأخيرة لحكم ارسلان خان، انفجرت الاضطرابات التي أفاد منها علي تكين. ومن العسير القول ما إذا كان علي تكين أخاً للايلك نصر حقاً (وأخاً بالتالي لكل من طغان خان وارسلان خان نفسه) كما يقول ابن الأثير. وعلى الرغم من فترة حكمه الطويلة إلا أنه ليس تحت أيدينا سكة تحمل اسمه، ومن الجائز أنه يجب أن ننسب إليه المقادير الكبيرة من النقود التي يرجع عهدها إلى تلك الفترة والتي تحمل لقب ايلك وارسلان تكين. ولم يرد البتة اسم علي بن علي في السكة، وثمة قطعة من السكة ضربت بكرمينية عام ٤٢٤ هـ (= ١٠٣٣) تحمل اسم علي بن محمد على أحد وجهيها، كما تحمل اسم علي بن حسين[٦٩٥] على وجهها الآخر، ونجد كذلك اسم علي بن حسين على قطعة من السكة من دبوسيه ترجع الى عام ٤٢٥ هـ (= ١٠٣٣ - ١٠٣٤)[٦٩٦]، وهذا كله لا يؤيد رواية ابن الأثير في شيء. وعلى ما سنرى فيما بعد، فقد

= هذا أنها تقابلنا دائما في صورة «الختل» وأن امدروز نفسه يضعها بهذا الشكل في فهرسه. لكل هذا فإن قرائن الأحوال تشير الى أن القراءة الصحيحة يجب أن تكون «ختن».

(٦٩٣) Markov, Invent. katalog, str. 192.

(٦٩٤) شرحه، ص ٢٢٦ - ٢٤٥. استنادا الى بعض قطع السكة يبدو ان اسم الايلك الذي يدعوه العتبي وابن الأثير أخا لأرسلان خان (أنظر أعلاه، ص٤١٤ وص ٤١٨) كان أحمدا.

(٦٩٥) Dorn, Uber die Münzen, S. 727

(٦٩٦) شرحه، ص ٧٢٨ - ٧٢٩؛ و Dorn, Nachträge, S. 63. كما لفت النظر الى هذه النقود (وإن ذكر في إحدى الحالات ان الاسم هو حسن) هوورث (Howorth, The Northern Frontagers, pt. IX, PP. 485-486) الذي ينسبها هو أيضاً بدوره الى علي تكين.

كان هناك أخ لعلي تكين يحمل لقب طغان/خان ويحكم منطقة يدي صو ، ومن المحتمل 344 جداً أن كان طغان الثاني هذا وعلي تكين ابنين لطغان الأول الذي ربما حمل بوصفه مسلماً اسم حسين. كذلك نعثر على اسم يوسف أو يوسف بن علي[٦٩٧] على سكة هذا العصر ، ولمّا كان عدد من السكة التي تحمل هذا الاسم قد وجد متداولاً في الأيدي بعد أعوام طويلة من وفاة علي تكين فان الأرجح أن يكون هذا الاسم قد حمله ابن علي تكين وخليفته. وكثيراً ما كان ينقش على السكّة بالمشرق اسم ولي العهد في حياة أبيه. هـذا وقد قدم علي تكين إلى ما وراء النهر منذ عهد حكم نصر ، لأن بيهقي[٦٩٨] يذكر أن الوزير الميمندي قال للسلطان مسعود في عام ١٠٣٢ إن علياً تكين يقيم بما وراء النهر منذ ثلاثين عاماً.

وقد اغتنم محمود فرصة الاضطرابات بمملكة القراخانيين ليغزو ما وراء النهر. وكان تبريره للبدء بالعدوان هو أن سكان ما وراء النهر كثيراً ما جاءوا إلى بلخ يتظلمون من علي تكين الذي رفض السماح لرسل محمود بالمرور إلى « ملوك الترك » ، أي حكام تركستان الشرقية[٦٩٩]. وفي عام ١٠٢٥ عبر محمود نهر أمودريا[٧٠٠] على جسر من القوارب موثقة بالسلاسل[٧٠١]، وكان أول من انضم إليه من أمراء ما وراء النهر أمير صغانيان وتلاه خوارزمشاه التونتاش. وضرب محمود معسكراً لجيشه الجرار وأمر أن يبني له سرادق كبير ليحوي عشرة آلاف فارس. وفي الوقت ذاته تقدم قدرخان ، الذي ينعته كرديزي « سالار تركستان أجمع » و« الخان الكبير » ، إلى ما وراء النهر من جهة كاشغر فبلغ سمرقند. وعلى باب هذه المدينة ، على رواية بيهقي[٧٠٢]، تم اللقاء بينه وبين محمود في جو من الود والصفاء. غير أن رواية كرديزي التي تتميز بتفصيل أكثر تبعث على الاعتقاد بأن معسكر محمود الذي ذهب إليه الخان كان أبعد الى الجنوب من ذلك لأن الخان « وصل إلى سمرقند وتابع سيره منها تحدوه روح المصالحة والوفاق حتى وصل إلى مسافة فرسخ من جيش الأمير محمود ، فترجّل وأمر بنصب خيمته. ثم أرسل سفراءه الى محمود يخبرونه

---

(٦٩٧) Dorn, Uber die Münzen, S. 724; Markov, Invent. katalog, str. 248

(٦٩٨) طبعة مورلي ، ص ٨٢ و٢٥٥ ؛ (طبعة غني وفيّاض ، ص ٣٣٨).

(٦٩٩) هذا الدافع الأخير يورده ابن الأثير (الجزء التاسع ، ص ٣٣٨).

(٧٠٠) عن تفاصيل أكثر راجع Teksty, str. (كرديزي).

(٧٠١) التفاصيل العديدة الواردة في المتن ليست واضحة لي كل الوضوح.

(٧٠٢) طبعة مورلي ، ص ٨٢ و٢٥٥ ؛ (طبعة غني وفيّاض ، ص ٧٩ و٢١٦).

بوصوله وتشوقه إلى مقابلته[٧٠٣]. ورواية كرديزي تقدم صورة جيدة للمراسم المتبعة آنذاك عند التقاء حاكمين مستقلين قويين.

واستجابة لسفراء قدرخان فقد عين محمود موضعاً للّقاء، وصل إليه كل منهما في ثلة من الفرسان. «فلمّا أبصر/كل منهما الآخر ترجّل. وكان محمود قد سلّم من قبل إلى صاحب 345 خزينته حجراً كريماً ملفوفاً في قطعة من النسيج، فأمر بتقديمه إلى قدرخان[٧٠٤]. كذلك كان قدرخان قد أحضر معه حجراً كريماً ولكن لفزعه واضطرابه نسيه، فلما انصرف من أمام محمود تذكر الحجر فأرسله مع أحد رجاله راجياً المعذرة ثم قفل راجعاً[٧٠٥]». «فلما كان الغد أمر الأمير محمود بنصب خيمة كبيرة من الديباج وتهيئة اسباب الضيافة، ثم أرسل سفراءه إلى قدرخان يستضيفه. فلمّا وصل قدرخان أمر [٧٠٦] محمود باعداد مائدة فاخرة وجلس هو وقدرخان جنباً إلى جنب يتناولان الطعام فلما فرغوا من ذلك ذهبوا إلى مجلس الطرب الذي كان مزيناً بأندر الزهور ومزوداً بأطيب أنواع النقول والجواهر الكريمة والثياب المذهبة والبلور والمرايا البديعة وأشياء نادرة حتى عقدت الدهشة لسان قدر خان[٧٠٧]. وجلسوا لبعض الوقت ولم يتناول قدر خان شيئاً من النبيذ لأنه لم يكن من رسوم ملوك الترك أن يفعلوا ذلك. فلما استمعوا إلى الموسيقى لبعض الوقت قام قدر خان. وهنا أمر الأمير محمود باحضار الهدايا التي كان من بينها أوان من ذهب وفضة[٧٠٨] وأحجار كريمة وطرائف بغدادية وثياب فاخرة وأسلحة ثمينة وخيل نجيبة بألجمة من الذهب وأعمدة مرصّعة بالأحجار الكريمة وعشر من أناث الفيلة بألجمة من الذهب والفضة وأعمدة مرصّعة بالأحجار الكريمة وبغال من بغال بردعة[٧٠٩] بمعاليق من الذهب

---

(٧٠٣) (گرديزي، كمبريدج الورقة ١٢٤ أ، طبعة محمد ناظم ص ٨٢).

(٧٠٤) شرحه: «تادر دست قدر خان داد» [أي «حتى يسلمه الى قدر خان في يده» - المترجم].

(٧٠٥) (گرديزي، كمبريدج، الورقة ١٢٤ أ - ١٢٤ ب، طبعة ناظم، ص ٨٣).

(٧٠٦) لا يوجد حرف «و» قبل لفظ «بفرمود» في مخطوطة كمبريدج.

(٧٠٧) في مخطوطة كمبريدج: «خيره ماند».

(٧٠٨) في مخطوطة كمبريدج: «انيها».

(٧٠٩) مدينة من مدن ما وراء القوقاز Zakavkaze، عن تخريبها على أيدي الروس راجع مادة «بردعة» في دائرة المعارف الاسلامية (بارتولد)؛ ومقال Margoliouth, The Russian seizure of Bardha'ah, pp. 82-95 (راجع أيضا مقال Jakubovski, Ibn Miskaveikh o pokhode rusov v Berda'a - الناشرون).

وهوادج[٧١٠] بمناطق وأجراس من ذهب وفضة[٧١١] وهوادج من الديباج وسجاجيد ثمينة من عمل الأرمن وحصر أويسية وأبو قلمون وثياب مطرّزة[٧١٢] ومصنوعات من طبرستان منقوشة بأنواع الزهور وسيوف هندية وعود قماري[٧١٣] وصندل مقاصيري[٧١٤] 346 وعنبر أشهب وأناث حمر الوحش وجلود الفهود البرية وكلاب الصيد وبزاة وعقاب مدربة على صيد الطيور والغزلان وغيرها من أنواع الوحش. ثم ودع قدر خان بالاعزاز والاكرام وأظهر له الكثير من اللطف وأعتذر له عن قصر ذات اليد، فلما رجع قدر خان إلى معسكره وأعمل نظره في هذه الأشياء من طرائف ومتاع وسلاح ومال تحيّر كثيراً ولم يدر كيف يؤدي حق هذا الدين. فأمر صاحب خزينته بأن يفتحها وأخرج أموالاً كثيرة أرسلها إلى محمود مع بعض ما يرتفع من تركستان من الخيل العتاق وآلات الذهب وغلمان الأتراك بمناطق وكنانات من الذهب والبزاة والشواهين وأوبار السمور والسنجاب والثعالب وأوعية مصنوعة من جلد شاتَيْن بقرون من الختو (أنظر أعلاه ص ٤١١، حاشية ٦٤٦) والديباج الصيني[٧١٥]... وما شابه ذلك. ثم افترق المليكان وكلاهما مفعم بالرضاء وروح المصالحة وحسن النية».

أمّا فيما يتصل بالنتائج السياسية لهذا الاجتماع فقد اتفق العاهلان على توحيد قواتهما لانتزاع ما وراء النهر من يد علي تكين واعطائها ليغان تكين[٧١٦] الابن الثاني لقدر

---

(٧١٠) عقب لفظ «هرّاها» ترد الألفاظ الآتية في مخطوطة كمبريدج: «بزر هو دجهاي استران (Sic) باكمرها وباهها ى زرين وسيمين وجلاجل وهو دجهاى از الخ».

(٧١١) قياسا من لفظ «عصا» علينا أن نفترض أن المراد هو لفظ «باهو».

(٧١٢) «دستها»، لعل المقصود قطع من النسيج.

(٧١٣) ليست النسبة الى رأس قومورين Comorin (بالهند) كما قلنا في الطبعة الروسية للكتاب لعام ١٩٠٠، بل الى خمير Khmer (كمبوديا)؛ راجع Ferrand, Relations, T. I, P. 284 (عن مواضع أخرى يرد فيهاهذا الاسم راجع فهرس فيران).

(٧١٤) ان القراءة «مصفرى» الواردة في المتن هي تحريف للفظ «مقاصيري»، راجع فيرّان Ferrand, Relations, T. II, PP. 605, 617, n. 8 («المقاصيري» (نسبة الى مكاسر؟ - الناشرون) هي شجرة الصندل Sandal wood كما ورد في الترجمة الانجليزية للكتاب لعام ١٩٢٨؛ أما في الطبعة الروسية لعام ١٩٠٠ فيرد «الصندل المسفاري masfarskii (؟)» - الناشرون).

(٧١٥) لم أفهم ما هو المراد من لفظ «دار خاشالى» (وفي مخطوطة كمبريدج «خاشاك»).

(٧١٦) في المخطوطات «يغا» و«يغان»؛ والنون الأخيرة لا ترد في المسكوكات (Dorn, Uber die Münzen, S. 706, 721; Markov, Inventarny katalog, st. 243 وفي كلتا الحالتين كان المعنى شخصا آخر وليس ابن قدر خان). على أية حال فقد بدا لنا أكثر قرباً من الصحة قراءتها «يغان» (أي الفيل) أسوة =

خان، على أن يتزوَج زينب كريمة محمود. ووعد قدر خان بأن يعطي كريمته زوجة لمحمد ابن محمود الثاني وهو الأمير الذي كان والده يفكر في اعلانه وريثاً له بدلا من ابنه الأكبر مسعود لعدم رضائه عنه[٧١٧]، ومع ذلك فإن هذه الفكرة لم تتم بالتالي. وقد وجه محمود اهتمامه منذ البداية إلى التركمان حلفاء على تكين الذين كان يترأسهم اسرائيل[٧١٨] بن سجلوق، فتمكن من أسر اسرائيل (عن طريق الخيانة وفقاً لرواية ابن الأثير) وأرسله إلى الهند حيث سجن في احدى القلاع، أمّا جماعاته فقد نكب محمود بعضها، كما أن عدداً كبيراً منها هجر زعماءه[٧١٩] (من آل سلجوق) وارتحل الى خراسان بموافقة محمود. 347

وأمّا علي تكين فقد تخلى عن سمرقند وبخارا وهرب إلى المفازة، وسقطت أمتعته في يد بلكاتكين حاجب محمود وأُخذت زوجه وبناته أسيرات. ورغم كل هذه الانتصارات رجع محمود الى بلخ من غير أن يتخذ من الاجراءات ما يؤمِّن مصالح حلفائه. ومن الواضح أنه لم يكن في نيّته القضاء على أحد الفرعين الرئيسيين للقراخانيين فينفسح بهذا المجال لقدر خان ليصبح الحاكم المطلق لجميع تركستان. ولا نجد تحت سلطان الغزنويين فيما بعد سوى ترمذ وقواذيان وصغانيان وختّل[٧٢٠]، وهي الولايات المتاخمة لبلخ والتي كانت من قبل خاضعة لمحمود (أنظر ما مر ص ٤١٨). فلما وصل الأمير يغان تكين إلى بلخ بنّية متابعة سيره إلى غزنة للزواج من الأميرة ثم الاستيلاء على بخارا وسمرقند بمعاونة حموه، رجاه محمود بأن يعود من حيث أتى لأنه في طريقه إلى مدينة سومنات (بالهند) وأنه واثق من أن يغان تكين سيفلح خلال ذلك في هزيمة منافسيه بتركستان مما سيسهل عليهما في المستقبل اخضاع ما وراء النهر بقواتها الموحدة؛ ولقد وعي الأمير جيداً المغزى الحقيقي لهذه الاجابة وغادر بلخ وفي نفسه شيء من الوحشة. هذا وقد استطاع قدر خان وأبناؤه من هزيمة طغان أخي علي تكين وانتزاع بلاساغون من يده[٧٢١]. ولما رجع محمود من الهند

= بارسلان وبغرا. وحذف النون في آخر الكلمة يقابلنا في السكة كما يقابلنا في حالات أخرى (Markov, Inventarny katalog, str. 192)

(٧١٧) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٢٣٠ وص ٦٥٥؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ١٩٧ وص ٥٢٦ - ٥٢٧).

(٧١٨) هكذا لدى كرديزي (Teksty, str. 17) أما ابن الأثير فيدعوه ارسلان. وأغلب الظن أن هذا هو الاسم التركي لاسرائيل.

(٧١٩) وفقاً لكرديزي (اكسفورد الورقة ١٥٦) فقد كان عددهم أربعة آلاف بيت، وأنهم اشتكوا لمحمود من ظلم «أمرائهم»؛ قارن مخطوطة كمبريدج الورقة ١٢٥ ب؛ (طبعة محمد ناظم، ص ٨٥).

(٧٢٠) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٩٨؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٩٢).

(٧٢١) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٩٨ وص ٦٥٥؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٩١ و٥٢٦).

بعث بالفقيه أبي بكر الحصيري إلى مرو. هذا وقد كانت بلاد ما وراء النهر مسرحاً لعمليات حربية وفقاً لقول بيهقي، ولكن لا علم لنا في تفاصيلها إلاّ أنها انتهت بتسوية سلمية(٧٢٢). وعلى أية حال فقد بقي علي تكين حاكماً على بخارا وسمرقند، أما أخوه طغان تكين فيبدو أنه بعد أن طُرد من بلاساغون حكم لبعض الوقت باخسيكث حيث ضرب هناك سكة باسمه في عامي ٤١٧ هـ = ١٠٢٦ و٤١٨ هـ = ١٠٢٧. أما في الجزء الجنوبي من فرغانه، وبالذات في أوزكند عاصمة الايلك السابقة فقد ضربت السكة منذ عام ٤١٦ هـ = ١٠٢٥ باسم قدر خان الذي نجد اسمه أيضاً على سكة مضروبة باخسكيث يرجع تاريخها إلى عام ٤٢٠ هـ (٧٢٣).

وفي عام ١٠٢٦ وصل إلى غزنه سفراء من قبل اثنين من الحكام غير المسلمين هما قياخان وبغراخان(٧٢٤)، ويبدو من لقبيهما (وقراءتها موضع للشك) أنهما من خانات الترك، ولعلهما من أسرة القراخانيين أيضاً./هذا وقد أعلنا عن طاعتهما لمحمود والتمسا 348 الانتساب إلى أسرته عن طريق الزواج، غير أن محموداً وإن كان قد استقبل سفراءهما بالاحترام والتكريم إلاّ أنه رد عليهما بقوله: «نحن قوم مسلمون وأنتم كفار ولا تحل لكم أخواتنا ولا بناتنا، ولكن لو دخلتم في الاسلام فلعله يمكن تدبير ذلك(٧٢٥)».

---

(٧٢٢) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٦٥٥ - ٦٥٦؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٢٦ - ٥٢٧). مما يؤسف له حقا أن الفصل من تاريخ بيهقي الذي يعالج الحديث بالتفصيل عن هذه الأحداث لم يصلنا.

(٧٢٣) Markov, Inventarny katalog, str. 246, 250

(٧٢٤) (في طبعة محمد ناظم (ص ٨٧) يرد اسما الخانين في هذه الصورة: قنا خان واقغر خان - الناشرون).

(٧٢٥) Teksty, str. 17 (گرديزي)؛ (طبعة محمد ناظم، ص ٨٧). وراڤرتي (ترجمة طبقات ناصري، ص ٩٠٥) يدعوهما أخوين لقدر خان، مشيراً الى أن مصدره هو گرديزي. غير أن هذه التفاصيل لا تقابلنا سواء في مخطوطة اكسفورد أو كمبريدج. ويرد ذكر هذه السفارة التركية كذلك، وذلك اعتمادا على مرجع مفقود، في المصنف اللغوي المجهول المؤلف الذي نشره مليورانسكي (Melioranski, Arab-filolog o turetskom iazyke, tekst, str. 80; per., str. 04)؛ كذلك ينقل مؤلف هذا المصنف عن كتاب «طبائع الحيوان» للطبيب شرف الزمان المروزي وهو كتاب من شأنه أن يكون ذا أهمية كبرى بالنسبة لنا ويقال انه يحتوي أسماء «نواحي» الصين والترك. والرسائل يقال إنه أرسلها «صاحب» الصين و«صاحب» الترك في عام ٤١٨ هـ = ١٠٢٧، غير أن المؤلف يضيف أنها دوّنت في الشهر الخامس من عام الفأرة وهو يوافق عام ١٠٢٤. وعن هذه المصادر نقل شرف الزمان أسماء الاثني عشر حيوانا الموجودة في توقيت الترك. وفي قائمته أخذ عام السمكة «باليغ» محل عام التنين، بينما يدعى عام النمر (برس أو قبلان) عام الأسد (ارسلان، وفي المخطوطة «صلان» التي لم يستطع مليورانسكي تفسيرها). (الفصول من كتاب شرف الزمان طاهر المروزي المفردة للصين والترك والهند نشرها في عـام ١٩٤٢ ف. =

وفي العام نفسه استقبل محمود سفراء الخليفة القادر الذين حملوا اليه عهد ولواء الولايات التي تم فتحها على يده، وألقاباً جديدة أخرى لمحمود وبنيه وأخيه يوسف(٧٢٦). وفي علاقاته مع الخليفة فان محموداً كان يتكلم بوصفه الوريث الشرعي للسامانيين والحاكم المطلق لجميع المشرق (أي مشرق العالم الاسلامي)، وقد تم عقد معاهدة بينه وبين الخليفة الذي تعهد بمقتضاها بألاّ يدخل في علاقات مع القراخانيين أو يرسل اليهم الهدايا إلاّ عن طريق محمود(٧٢٧). ووفقاً لرواية نظام الملك(٧٢٨) (وهي موضع لشك كبير) فإن محموداً كان يدعو القراخانيين أتباعه في مكاتباته مع الخليفة، رغماً من أن لقاءه مع رأس هذه الأسرة كما رأينا إنّما قام في واقع الأمر على المساواة التامة.

هذا وقد طرأ على العلاقات بين القراخانيين والغزنويين بعض الفتور عقب وفاة محمود التي حدثت في يوم الخميس الثلاثين من ابريل عام ١٠٣٠. وقد امتدت سيادة محمود كما رأينا على بضع ولايات فقط من ما وراء النهر، ورغماً من هذا فان فترة حكمه كانت ذات أهمية كبرى لتاريخ المشرق أجمع، ذلك أن نظام الحكم الذي غلب على مشرق العالم 349 الاسلامي قد بلغ أوج تطوره/في تلك الفترة. والذين يؤيدّون هذا اللون من الحكم كنظام الملك مثلا يعدون محموداً مثلهم الأعلى في معظم الأحوال، ولهذا يلزمنا أن نقف للحديث على الجوانب البارزة من حكم محمود بصورة أكثر تفصيلاً خاصة وأن الباحثين لم يعالجوا الحديث فيها إلى الآن، حتى أننا نجد آخر مؤرخ للاسلام وهو أوغست مولر

= مينورسكي (المتن العربي مع ترجمة وتعليقات). أما مؤلف المصنف اللغوي (وهو معجم عربي - تركي) الذي نشره مليورانسكي فقد اتضح أنه ابن المهنا. وكما بيّن پليو P. Pelliot فان «صلان» يجب قراءتها «قبلان» (أي النمر) وليس «ارصلان» (راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», PP. 17–18) - الناشرون)..

[يحمل كتاب ابن المهنا عنوان «حلية الانسان وحلبة اللسان»؛ وبخلاف طبعة مليورانسكي نشره أيضاً فيما بعد كليسكلي رفعت بيك باستنبول عام ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩. ومن طبعة مينورسكي للقسم من مصنف المروزي يتضح عند وصفه للسفارة ان اسم الحاكم الثاني ليس هو بغرا خان بل «الايلك المعظم بوغور خان»؛ ويرى مينورسكي أنه من المحتمل أن المقصود بذلك حاكم إمارة الأويغور القائمة بمقاطعة قان - صو في شمال غربي الصين].

(٧٢٦) گرديزي، مخطوطة اكسفورد الورقة ١٥٨، مخطوطة كمبريدج الورقة ١٢٧ أ؛ (طبعة محمد ناظم، ص ٨٧ - ٨٨).

(٧٢٧) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٣٥٩؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٢٩١).

(٧٢٨) طبعة شيفير، المتن ص ١٣٢، الترجمة ص ١٩٣.

Müller A.[٧٢٩] لا يتعرض عند معالجته الحديث على الجوانب الإيجابية من شخص محمود إلاّ لطاقته التي لا تعرف الكلل بينما يشير عند حديثه على الجوانب السلبية إلى تعصبه الشديد الذي أسال دماء الكفار بالهند وإلى اضطهاده للملحدين دون رحمة في أراضيه الاسلامية.

ولكن لعهد محمود جوانب أخرى أكثر إجحافاً وظلماً ساقت إلى هلاك آلاف من رعاياه، لا على أساس اتهامهم بالالحاد بل نتيجة للضرائب الفادحة. ومن الواضح أن حملات محمود الهندية قد جلبت غنائم لا تحصى له ولجنده وللعدد الكبير من «المطّوعة» الذين سارعوا من كل فج، بما في ذلك من ما وراء النهر، إلى الانضمام إلى جيوشه[٧٣٠]. وأحياناً نبصر محموداً يصرف بعض هذه الأموال في تشييد مبان فخمة كالمسجد الجامع والمدرسة بغزنه[٧٣١]. غير أن حملاته العسكرية كانت مصدر بلاء وخراب للكتل الشعبية، فقد كان محمود على الدوام في حاجة إلى المال من أجل هذه الحملات. وقد حدث أن أمر قبل إحدى حملاته العسكرية بجمع الأموال اللازمة في مدى يومين وتم ذلك بالفعل، غير أن الأهالي كما يذكر مؤرخ البلاط «سُلخوا سلخ الغنم[٧٣٢]». وهذه الوقائع تجعل من العسير القول بأن الوزير أبا العباس فضلاً بن أحمد الاسفرايني، كما زعم ذلك المؤرخ نفسه[٧٣٣]، هو المسؤول الوحيد عن الضرائب الفادحة التي وصلت بالبلاد إلى تلك الحال حتى «تداعى معظم الضياع ووقفت القنى بين القصور والانقطاع وشرد في البلاد أكثر الأكرة والزراع». وانضاف إلى هذه الظروف اندلاع القحط (عام ٤٠١ هـ = ١٠١٠ – ١٠١١)، فقد حدث بسبب الصقيع المبكر أن لم ينضج القمح في موعده[٧٣٤] فقاسى الأهالي من ذلك الأمّرين، هذا على الرغم من أن القمح كان يوجد بكميات كبيرة

---

(٧٢٩) Müller, Der Islam, Bd II, S. 53, 60–61, 75

(٧٣٠) العتبي – المنيني، الجزء الثاني، ص ٢٦٢ وما يليها. وهنا يرد الكلام على عشرين ألف غازي «من أداني بلاد ما وراء النهر وأقاصيها».

(٧٣١) العتبي – المنيني، الجزء الثاني، ص ٢٩٠ وما يليها؛ De Sacy, Histoire de Yémineddoula, PP. 404 – 405

(٧٣٢) العتبي – المنيني، الجزء الثاني، ص ١٦٨: «سلخوا سلخ الغنم».

(٧٣٣) العتبي – المنيني، الجزء الثاني، ص ١٥٨ وما يليها.

(٧٣٤) تاريخ بيهق، مخطوطة المتحف البريطاني، الورقة ١٠٢ أ (نقولات عن القسم المفقود من تاريخ بيهقي).

في نيشابور، ويذكر العتبي[٧٣٥] أنه وجد بأسواقها ذات مرة أربعمائة من[٧٣٦] من القمح وهي كاسدة. ومؤرخنا عندما ساق هذه الواقعة لم يستطع إلاّ أن يشهد الله على هذا بقوله «فسبحان من يقضي/على من شاء بالفناء مع إمكان الأقوات ووجود الكفايات». ويُقال 350 إنه هلك بنيشابور ونواحيها وحدها ما يقرب من مائة ألف نسمة، ولعل إشارة مولر إلى ضحايا الحملات الهندية يصدق بدرجة أكبر على ضحايا القحط «schon der vierte Theil wäre furchtbar»، أي «بل إن ربع هذا العدد لمن شأنه أن يبدو شيئاً مخيفاً»). أما الكلاب والقطط فقد فنيت بالتقريب، بل كانت هناك حالات أُكلت فيها لحوم البشر. ورغماً من أن الذين ثبتت عليهم هذه التهمة قد لقوا عقاباً صارماً إلاّ أنه يبدو أن ذلك لم يُجدِ فتيلاً. أما السلطان فقد اكتفى بأن أصدر أمره إلى ولاته بتوزيع المال على فقراء الناس.

وقد اقتضى الأمر اتخاذ اجراءات أكثر فاعلية عندما توقف الرعايا عن دفع الضرائب نتيجة لما حاق بهم من كوارث، وقد رد الوزير على طلب السلطان للمال برفض حازم فلجأ السلطان إلى أفراد الطبقة الارستقراطية ممن لم تكن لهم علاقة برجال الديوان، وبوجه خاص إلى رئيس بلخ[٧٣٧] الدهقان أبي اسحق محمد بن الحسين. وغير معروفة الوسيلة التي لجأ إليها الرئيس ليجمع أموال طائلة من هرات في ذات عام ٤٠١، غير أن هذا لم يمنع الوزير من الإصرار على رفضه الضغط على الرعايا لحل الضائقة المالية وفضّل عن طيب خاطر أن يذهب إلى الحبس، الأمر الذي أثار ثائرة السلطان فأمر بمصادرة أملاك الوزير على الرغم من أنه أقسم بأنه لم يخف مالاً قط. وقد قيل إنه حين كشف فيما بعد عن وجود مال له كان وديعة عند أحد تجار بلخ أعيدت محاكمته من جديد وظل يُعذَّب كل يوم حتى أسلم الروح إلى بارئها (٤٠٤ هـ = ١٠١٣-١٠١٤). وقد تذرع السلطان بغيابه ساعة موت الوزير فأعرب حين عودته عن أسفه لما أبداه عماله من إفراط في الغيرة عند تنفيذ أوامره[٧٣٨].

وإن كانت الأبنية الضخمة التي شادها محمود قد بنيت بالأموال التي جلبها من الهند،

---

(٧٣٥) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ١٢٧.

(٧٣٦) أو «المِنا»، راجع الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٤ و٦٧ وما يليها.

(٧٣٧) عن أهمية هذا المنصب راجع ما مر في ص ٣٦٤

(٧٣٨) العتبي - المنيني، ص ١٦٠ وما يليها (التاريخ يرد في ص ١٦١).

إلاّ أن عبء صيانتها قد وقع على كاهل الرعايا. ويحكي حافظ آبرو[٧٣٩] قصة منقولة عن القسم المفقود من مصنف بيهقي تتعلق بالبستان الكبير الذي أنشأه محمود ببلخ وكلف سكان المدينة مؤنة صيانته. وكان السلطان يعقد بهذا البستان المآدب ولكنها ثم كانت تنقضي سريعاً، وذات يوم سأل السلطان بطانته عن السبب في فقدان مآدبه لروح المرح رغماً من سحر البستان، فاستأذن العميد أبو نصر مشكان (استاذ بيهقي) في أن يتحدث صراحة وقال «إن أهل بلخ أجمعين تثقلهم مؤنة هذا البستان الذي لا يعود عليهم بالنفع، وهم في كل عام يشاركون بدفع أموال طائلة تصرف على هذا العبء الثقيل ولهذا فإن قلب السلطان لا ينتابه الفرح». فغضب السلطان ولم يكالم أبا نصر لأيام عديدة، وبعد ذلك بقليل استوقفه جمع من الناس في أحد شوارع المدينة وتظلّموا إليه من هذه المؤنة 351 الثقيلة فقرر السلطان على الفور أن هؤلاء المتظلمين إنّما فعلوا ذلك بإيعاز من أبي نصر، رغماً من أن أبا نصر لم يكن له في واقع الأمر علم بما حدث. وبعد هذا استدعى السلطان رئيس بلخ وسأله عن مقدار ما ألحقه القراخانيون، الذين طردهم السلطان من بلخ، من أضرار بالمدينة في عام ١٠٠٦. فرد الرئيس بأن تلك الأضرار لا يمكن حصرها «فقد أخضعوا المدينة لتخريب غير معقول وسيمرّ وقت طويل قبل أن تسترد حالتها الأولى، هذا إذا أمكن أن تستردها على الاطلاق». عندئذ قال السلطان: «لقد رفعنا جميع هذه المصائب عن أهل المدينة فإذا بهم يتضايقون الآن من مؤنة بستان واحد لي». فرد عليه الرئيس معتذراً: «إن ذلك الرجل لم يتحدث إلينا سلفاً، وهذا التظلم حدث دون علم كبار أهل البلد وأعيانها». ورغماً من هذا فإن السلطان عند رحيله إلى غزنة بعد أربعة أشهر من ذلك، أصدر أمراً كتابياً باعفاء أهل بلخ من مؤنة البستان وجعلها على اليهود على ألاّ تزيد بأية حال عن خمسمائة درهم.

وهكذا فإنه لا يمكن القول بأية حال بأن محموداً كان مستبداً عادلاً، استناداً على قاعدة السهر على إسعاد الرعية. وحتى فيما يتصل برعايته لشعراء وعلماء بلاطه فان أ. مولر[٧٤٠] رغماً من تحيّزه لمحمود يعترف بأن دافعه لهذا لم يكن سوى رغبة دنيوية، هي أن يجمع ببلاطه النابهين من أهل عصره لا حباً حقيقياً للمعرفة والنور. كذلك لا يمكن أن يُؤخذ اهتمامه بالدين كدليل على ورعه وتقواه، وشخص كمحمود لم تكن لتخفى عليه طبيعة الصلة الوثيقة بين الدين وبين نظام استبدادي كنظامه، ومن هنا كان عطفه على

(٧٣٩) Teksty, str. 157 – 158

(٧٤٠) Müller, Der Islam, Bd. II, S. 62

الفقهاء والمشايخ ما بقوا أداة طيعة لسياسته. وفي بعض حالات استثنائية حين كان الأمر يتصل بمقدار ضئيل من المال فلربما كان محمود يأخذ في الاعتبار التماس أحد رجال الدين ليعفيه من ضريبة أو أخرى[٧٤١]، غير أن رأيه فيما يتصل بدور رجال الدين كطبقة من طبقات المجتمع إنما ينعكس بوضوح تام في موقفه من حركة الزهد (pietism) التي انبعثت بنيشابور في ذلك العهد[٧٤٢]. ومؤسس هذه الحركة هو الزاهد أبو بكر محمد بن اسحق رأس طائفة الكرّامية التي أقامها أبو عبد الله محمد بن كرّام[٧٤٣]. وكان والد أبي بكر من مشاهير الزهاد، كما أن أبا بكر نفسه/عرف بالزهد والتقشف منذ أيام سبكتكين. ولقد ظل محمود بعد أبيه يبدي له الكثير من الاحترام والإجلال ويؤثر طائفة الكرامية بعطفه ورعايته. ويورد العتبي في هذا الشأن أبياتاً لأبي الفتح البستي يشير فيها إلى ما حظيت به هذه الطائفة من عطف لدى السلطان:

352

الفقه فقه أبي حنيفة وحده	والدين دين محمد بن كرام
ان الذين أراهم لم يؤمنوا	بمحمد بن كرام غير كرام

غير أن بعض الفقهاء اتهم الكرامية بالقول بالتجسيد (a nthropomorphism) . وقد عرفت الطائفة بالمغالاة في التعصب، وكان أبو بكر اليد اليمنى للسلطان في قمع الملحدين. وبلغ نفوذ أبي بكر بين أهل نيشابور درجة كبيرة اضطرت الترك عند غزوهم لها أن يلقوا عليه القبض حماية لأنفسهم من شيعته وحذراً من مكيدته وأخذوه معهم عند تراجعهم أمام جيوش محمود ولكنه أفلح في الإفلات منهم، الأمر الذي ضاعف من نفوذه في دولة محمود. ولم يلبث أن انعقدت له رئاسة الصوفية وأصبح صاحب النفوذ بنيشابور فكان أهلها أجمعون من الخاصة والعامة ينظرون إليه « بعين المرجو والمخوف ». ولم يلبث قمعه الذي لم يعرف حدود الرحمة للملحدين، ومصادرته لأملاكهم أن جرّ إلى الكثير من التعسف والظلم فأثار عليه في نهاية الأمر سخط الجميع. واضطر السلطان بعد تردد طويل

---

(٧٤١) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٢٤٧.

(٧٤٢) راجع التفاصيل لدى العتبي (العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٣٠٩ وما يليها؛ De Sacy, Histoire (de Yémineddoula, pp. 40-407

(٧٤٣) عن مذهب الكرّامية راجع الشهرستاني (ترجمة هار بروكر، الجزء الأول، ص ٢٩ - ٣٠ و١١٩ وما يليها؛ وهو يتحدث أيضاً عن قولهم في التجسيد anthropomorphism وما بلغه مذهبهم من شأن في عهد محمود. [يضيف بوزورث عنوان مقال له هو C.E. Bosworth, «The rise of the Karramiyyah in «Khurasan», Muslim World, London, 1960 , 5-14]

إلى أن يتخلص منه. وعادت رئاسة نيشابور مرة أخرى إلى رجل من غير رجال الدين، فقد عيّن السلطان في هذا المنصب أحد المقرّبين إليه وهو أبو علي الحسن بن محمد الذي ينحدر من صلب أسرة مشهورة، فقد كان جده من «جملة الأعيان والتنّاء» في دولة السامانيين، أمّا أبوه فقد انضم إلى محمود الذي كان ساعتئذ اسفهسالار السامانيين على خراسان. وقد أسرع الرئيس الجديد باتخاذ اجراءات صارمة ضد الكرامية، فعوقب أبو بكر بمصادرة أملاكه[٧٤٤] واعتقل كبار أنصاره وأرسلوا إلى قلاع مختلفة. أما بقية ممثلي الطوائف الطوائف الدينية الأخرى وخاصة العلويون فقد بين الرئيس الجديد «أن حشمتهم بالطاعة موصولة، وحرمتهم بلزوم القصد وترك تعدي الجد مكفولة، فتلقوه بالإجلال وقابلوا أمره بالامتثال علماً بأنه ظل الله في أرضه، فما يغني غير الانقياد والميل على الغلو إلى الاقتصاد»[٧٤٥].

وقد كان مرجع حروب محمود الدينية منذ البداية، كما أوضح ذلك عدد من البحاثة[٧٤٦]، هو طمعه في ثروات الهند وأنه لا أساس البتة للقول بأن دوافعها انما كانت غِيرته الدينية. كما أن قمعه للملحدين يمكن تفسيره أيضاً بالدوافع السياسية التي أشرنا إليها قبل قليل، بل إن تهمة الإلحاد لم تكن أحياناً سوى وسيلة/لمصادرة أملاك الشخص المتهم[٧٤٧]. ويقع في ذات الخطأ من يحاول أن يرى في محمود شخص المدافع عن الأماني القومية الايرانية، برغم الملحمة الكبرى التي رفعها فردوسي إليه. هذا وقد كان جيش محمود قاصراً على المماليك والمرتزقة وحدهم، ولكي يدعّم نظام الملك نظريته في أن الجيش يجب أن يضم ممثلي جميع الشعوب نجده[٧٤٨] يشير بصفة خاصة إلى ما فعله محمود؛ وقد وجدت ألفاظه التأييد التام من الوقائع التاريخية[٧٤٩]. أمّا بقية الرعية فإنهم لم

353

---

(٧٤٤) لم يضع هذا حدا لنشاطه، فبعد وفاة محمود نبصره هو وصديقه القاضي سعيد من بين الأشخاص الذين شملهم مسعود السلطان الجديد بعطفه عند مجيئه الى نيشابور (بيهقي، طبعة مورلي، ص ٣٩؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٣٩)). كما يرد ذكر الاثنين بين من حاكموا الزنادقة في ترجمة الشيخ أبي سعيد (ابن المنوَّر، طبعة جكوڤسكي، ص ٨٤ وما يليها). أنظر ما يلي، ص ٤٥٨

(٧٤٥) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٣٢٥: فأشعرهم أن حشمتهم بالطاعة موصولة الخ.

(٧٤٦) Kazimirski, Menoutchehri, préface, p. 133

(٧٤٧) تأثير، الجزء التاسع، ص ٢٨٣.

(٧٤٨) طبعة شيفير، المتن ص ٩٢؛ الترجمة ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٧٤٩) وفقاً لألفاظ العتبي (العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٨٤؛ De Sacy, Histoire de Yémineddoula, p. 386) فان جيش محمود الذي نال النصر قرب بلخ عام ١٠٠٨ كان =

يكونوا في نظر محمود سوى مجموعة من دافعي الضرائب لا يتوقع منهم أدنى ضرب من الوطنية. ويذكر بيهقي(٧٥٠) أن سكان بلخ كان نصيبهم التقريع من محمود على مقاومتهم للقراخانيين (ص٤١٢)، فقد قال لهم: «ما للرعية والقتال! لا جَرْم قد هلكت مدينتكم وأُحرق من أملاكي بلد يغل عليّ أموالاً طائلة(٧٥١)، وإنّي أحمّلكم غرامة هذه الخسارة، ولكنّي أعفو عنكم فانظروا واحذروا أن يتكرر هذا فإن كل ملك يتسلط عليكم ويلزمكم بالخراج ويؤمنّكم عليكم أن تدفعوا له الخراج وتحافظوا على أنفسكم». ومما يقف دليلاً على أن عهد محمود لم يكن عهد انتعاش أو ازدهار للغة والأدب الفارسي تلك الجهود التي بذلها وزيره الميمندي لكي يجعل اللغة العربية لغة المكاتبات الرسمية من جديد. وكانت جميع مكاتبات الدولة تحرر من قبل بالفارسية، مما أدى كما يقول العتبي(٧٥٢) إلى أن «كسدت سوق البيان وبارت بضاعة الإجادة والإحسان واستوت درجات العجز والكفاءة والتقى الفاضل والمفضول على خطي الموازاة»، فما كان من الوزير الميمندي إلاّ أن «رفع ألوية الكتاب وعمّر أقنية الآداب فحرّم على أوشمة ديوانه أن يتنكبوا ويتحاشوا الفارسية إلاّ عن ضرورة من جهل من يكتب إليه وعجزه عن فهم ما يتعرب به عليه»؛ ومما لا شك فيه ان أمثال هذه الحالات الأخيرة كانت عديدة في ذلك العصر.

ويبدو أنه ابتداء من ذلك العصر نشأ تقسيم الشعب إلى فئتين: عسكر يدفع إليه الملك الأرزاق مقابل الاخلاص في خدمته، ورعية يحميها السلطان من الأعداء في الداخل والخارج لقاء الطاعة العمياء ودفع الضرائب بلا امتعاض أو تذمر. وليس للعسكر أو الرعية أدنى حق في/الإعتراض على رغبة السلطان أو أوامره،وقد رأينا في رسالة محمود إلى خوارزمشاه كيف تم التعبير عن ذلك بصورة قاطعة (ص٤١٦). هذا وقد ارتبط الحكم المطلق كما هي العادة دائماً بنمو نظام للتجسس، ويقال إن محموداً نفسه زكّى العيون والأرصاد على ابنه مسعود(٧٥٣).

354

= يتكون من الترك والهنود والخلج والأفغان والغز («الغزنوية»؛ ومن المحتمل أنها تحريف للفظ «الغزية»).

(٧٥٠) طبعة مورلي، ص ٦٨٨؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٥١).

(٧٥١) الأمر يتعلق بسوق المدينة الكبير الذي شيده محمود والذي احترق عند الاستيلاء على المدينة.

(٧٥٢) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ٨٨ و١٧٠ وما يليها؛ De Sacy, Histoire de Yémineddoula, P. 386

(٧٥٣) بيهقي، طبعة مورلي، ص ١٣٥ و١٥٤؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ١٢١ و١٣٧).

إن جميع هذه الوقائع تدفعنا إلى الخروج بنتيجة مؤداها أن عهد محمود كان بلا شك عبئاً ثقيلا على رعاياه(٧٥٤)، واذا ما حدث أن محموداً نفسه لم يقدّر له أن يتحمل العواقب الوخيمة لنظامه، ولّم يحدث أن اهتز سلطان العرش من تحته فإن مردّ هذا كله هو هيبته الكبيرة في النفوس مما يجعل البون شاسعاً بينه وبين خلفائه. وقد حالت عزيمته القوية وذكاؤه وبعد نظره دون انعكاس حاد للجوانب العنيفة من شخصيته، ذلك أن محموداً كان يقع فريسة لسورة غضب شديد إذا ما عارضه أحد من الناس في القول، حتى مرت أحياناً على من فعلوا ذلك لحظات تعسة في حياتهم، ولكن حين يراجع نفسه فسرعان ما كان يعود إلى صوابه(٧٥٥). وكان وضع الوزير في أمثال هذه الحالات عسيراً للغاية. وقد علّقت إمرأة ذكية على ذلك بقولها: «إن السلطان إذا ما استوزر أحداً من الناس فإنه يعاديه بعد أسبوع من ذلك رغم حبه إيّاه، إذ يتصوره شريكاً له في الملك، والملك لا يتم بالشريك(٧٥٦)». وقد أشرنا قبل قليل إلى مصير أحد هؤلاء الوزراء(ص ٤٣٠). كذلك فقد قاسى خلفه الميمندي مرارة العزل والحبس بإحدى القلاع. ورغماً من هذا فإن حالات الإعدام في عهد محمود (إذا ما استثنينا الاضطهاد الديني) كانت نادرة شيئاً ما، ويروي العتبي(٧٥٧) أن محموداً كان يرى أن «الملك الحازم من يسلب الجاني في حال سخطه ما يمكنه الوفاء بعينه أو بمثله عند رضاه، وجرح المال يؤسي بالتعويض والاحلاف فأما النفوس فليس لإتلافها من تلاف». وكان مصير الوزير الميمندي معرّضاً لأن يصبح أكثر سوءاً، ذلك أن محموداً أرسل مكتوباً لأحد خواصه هو أبو القاسم كثير يأمره باعدام الوزير «قصاصاً للدماء التي أريقت بأمر منه». وكان لرفض أبي القاسم القاطع بأن يأخذ على عاتقه مثل هذه المسؤولية الفضل في إنقاذ حياة الوزير(٧٥٨). ويبدو أن هذه الشجاعة التي تنطوي على الكثير من النبل لم تَعُد على أبي القاسم بسوء، مما يقف دليلاً على/أن 355

---

(٧٥٤) قارن حكم ماركفارت (الذي لا يخلو دون شك من القسوة والافتقار الى الحقيقة) عن الغزنويين Komanen, S. 50, Anm. 1; «Jene Dynastie, welche von den Mordbrennern Sübük-tigin und seinem widerlichen Sohne Mahmud in Gaznin gegründet wurde» [أي «تلك الأسرة الحاكمة التي أقامها بغزنة السفاك المخرب سبكتكين وابنه البغيض محمود»].

(٧٥٥) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٤٩٥؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٤٠٠).

(٧٥٦) شرحه، ص ٤٢١؛ (شرحه، ص ٣٤٠).

(٧٥٧) العتبي - المنيني، الجزء الأول، ص ٣١٦ وما يليها؛ دي ساسي، ص

(٧٥٨) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٤٥٠؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٣٦٤).

محموداً كان بإمكانه أن يملك زمام نفسه. وكان احترام القانون على عهد الغزنويين لا يزال قوياً في النفوس، بالدرجة التي جعلت المسؤولين في حالات مصادرة أملاك من حلّ بهم غضب السلطان يجهدون في إعطائها صورة المبايعة القانونية. فمثلاً حين عزل محمود حكام غرجستان المحليين وسجنهم حتى ماتوا في حبسه، لم يمنعه هذا من أن يدفع إليهم نقداً قيمة أملاكهم التي كانت قد ضُمت إلى بيت المال[٧٥٩] (وإن كان تقييم هذه الأملاك قد ترك لمحمود وحده). وأكثر من هذا مغزى ما يقصه بيهقي بشأن مصادرة أملاك أحد الوزراء ممن حلّ بهم سخط السلطان (في عهد مسعود) وحكم عليه بالشنق، فقد قسر على الإقرار بأنه باع إلى السلطان عن طواعية واختيار أملاكه من عقار ومنقول وأنه تسلم النقود التي قدروها ثمناً لها، ثم سجل الحاكم ذلك في المحضر وأجرى القضاة اللازم في مثل هذه الحالات[٧٦٠].

وبعد الفترة القصيرة الأمد التي قضاها محمد، الابن الأصغر لمحمود، على العرش آل العرش إلى الإبن الأكبر مسعود (١٠٣٠-١٠٤١) الذي لم يرث عن أبيه غير مساوئه. وكانت لمسعود نفس الفكرة العالية التي كانت لأبيه عن سلطانه، فكأبيه كان يريد أن يبت في كل شيء وفقاً لرأيه الشخصي. ونظراً لافتقاره إلى مواهب أبيه الطبيعية فقد أسفرت قراراته عن كوارث، ولكنه أصر على التمسك بها ضارباً بعرض الحائط نصائح أهل التجربة. والقصص المتواترة عن شدة بأسه في الصيد[٧٦١] وفي القتال[٧٦٢] تدل على أنه اتصف بضراوة كبيرة في القتال، غير أن من المدهش حقاً هو افتقاره التام إلى الشجاعة الأدبية، فقد أثبت في ساعات المحنة أنه أجبن من امرأة[٧٦٣]. أما من حيث جشعه فإن مسعوداً لم يكن دون أبيه، فقد بلغ ابتزاز أموال الأهالي الدرجة القصوى في أيام حكمه. وعلى عهده نرى أنواعاً من العقاب تلحق «بلصوص صغار لترضية اللصوص الكبار»[٧٦٤]، فاللصوص الكبار الذين كانوا يقتسمون أسلابهم مع السلطان ظلوا يزاولون نشاطهم في هدوء تام. وقد اتصف بسمعة سيئة بشكل خاص أبو الفضل سوري الحاكم

---

(٧٥٩) العتبي - المنيني، الجزء الثاني، ص ١٤٦؛ دي ساسي، ص ٣٩٤.
(٧٦٠) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٢١٥؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ١٨٤ - ١٨٥).
(٧٦١) شرحه، ص ٢٨٨؛ (شرحه، ص ٢٤٠).
(٧٦٢) شرحه، ص ٧٨٣؛ (شرحه، ص ٦٢٤).
(٧٦٣) شرحه ص ٨٢٨؛ (شرحه، ص ٦٦٠ - ٦٦١).
(٧٦٤) شرحه، ص ٥٥٦ - ٥٥٧؛ (شرحه، ص ٤٤٩).

المدني لخراسان الذي أرسل إلى السلطان من الهدايا الفاخرة ما يفوق حد الوصف، تلك الهدايا التي لم تكن تمثل في واقع الأمر سوى نصف ما استلبه من الرعايا. وبلغ اليأس والقنوط بالسكان درجة بعيدة وتقطعت بهم الأسباب حتى أخذ الأعيان وأرباب الضياع يكتبون الرسائل ويوفدون الرسل إلى ما وراء النهر «شاكين لأمراء الترك كي يغزو التركمان بالغزنويين»(٧٦٥)، غير أن الذي أفاد من هذه/الظروف لم يكن القراخانيون 356 أنفسهم بل زعماء التركمان المنخرطون في خدمتهم.

أما فيما يتصل بالقراخانيين فقد تابع مسعود سياسة أبيه. ففي آخر عام ١٠٣١ جُدِّدت مع الخليفة تلك المعاهدة التي التزم فيها الخليفة بألاّ يدخل في علاقات مع القراخانيين إلاّ عن طريق الغزنويين(٧٦٦)، وفي الوقت ذاته ظل مسعود يعامل رأس القراخانيين معاملة الند للند. وقد أمر سفيره بأن يجذب انتباه قدرخان إلى أن أبصار الناس شاخصة نحو المليكين ليروا توطيد دعائم الود بينهما(٧٦٧). وليس أبلغ من تصوير حقيقة العلاقات بين الغزنويين والقراخانيين من إيراد فقرة من رسالة لخوارزمشاه التونتاش إلى السلطان مسعود يرجع تاريخها إلى عام ١٠٣٠ جاء فيها(٧٦٨): «لا يخفى ما تحمّل السلطان الماضي من المشقة والمؤنة حتى توطدت أقدام قدرخان في الحكم هنالك واستتبت له الأمور في تلك الانحاء، فمن الواجب أن تنمّى اليوم هذه الصلات لتزداد بواسطتها تلك الألفة. وهم في الحقيقة ليسوا أحبّاء ولكن مجاملتهم واجبة كيلا يركنوا إلى الفساد،أمّا على تكين فانه عدو لدود، وهو كالثعبان الأبتر(٧٦٩) لأن أخاه طغان خان حرمه من حكومة بلاساغون بأمر من السلطان الماضي ولا يمكن أن يكون العدو صديقاً في يوم من الأيام. فمن الواجب على أية حال أن نعقد معه عهداً ولو شكلياً، فإذا ما أبرم العهد فينبغي أن تحشد ثغور بلخ وطخارستان وصغانيان وترمذ وقباديان وختّلان بالرجال والجند فإن من عادته أن يهاجم كل ناحية يعرف أنها خالية من معدات الحرب والدفاع فينهبها ويتركها».

---

(٧٦٥) شرحه، ص ٥٠٩ – ٥١٠؛ (شرحه، ص ٤١١ – ٤١٢).

(٧٦٦) شرحه، ص ٣٥٩؛ (شرحه، ص ٢٩١).

(٧٦٧) شرحه، ص ٢٥١؛ (شرحه، ص ٢١٢ – ٢١٣).

(٧٦٨) شرحه، ص ٩٨. والقسم من المتن الذي ورد فيه ذكر طغان خان قد جرى تصحيحه بمراجعة ص ٦٥٥ من نفس الكتاب؛ (قارن طبعة غني وفيّاض، ص ٩١ – ٩٢ وص ٥٢٦).

(٧٦٩) حرفياً «وهو كالثعبان الأبتر».

هذا وقد أخذ مسعود بنصيحة التونتاش فبعث إلى كاشغر في ربيع عام ١٠٣١[٧٧٠] بسفارة على رأسها أبو القاسم ابراهيم بن عبد الله الحصيري والقاضي أبو طاهر عبد الله بن أحمد التباني[٧٧١]. وكانت مهمة السفراء هي أن يحيطوا قدرخان علماً باعتلاء مسعود العرش وأن ينقلوا إليه توكيدات الصداقة ويطلبوا يد كريمته لمسعود ويد ابنة ولي العهد بغراتكين بن قدرخان لمودود، ابن مسعود ووريثه. وعرض مسعود خمسين الف دينار هروي صداقاً لعرسه/وثلاثين ألفاً لابنه[٧٧٢]. ويبدو من الرسائل التي بعث بها السفراء من كاشغر خلال عام ١٠٣١ أن المفاوضات تعثرت بعض الشيء[٧٧٣]، ثم لم تلبث أن توقفت في العام التالي له[٧٧٤] بسبب وفاة قدر خان الذي خلفه على العرش ابنه الأكبر بغراتكين واتخذ لقب ارسلان خان. أما الابن الثاني يغان تكين محمد فقد اتخذ لقب بغرا خان وبدأ حكمه بطراز واسفيجاب. وعلى ما جرت عليه العادة فإن مسعوداً أرسل مكتوباً إلى كاشغر يعزي في وفاة الخان ويهنىء خلفه باعتلائه العرش. ولم يرجع السفراء إلى غزنة إلاّ في سبتمبر من عام ١٠٣٤ بعد أن وُفّقوا في تنفيذ مهمتهم، غير أن خطيبة مودود توفيت في الطريق أما خطيبة مسعود وهي شاه خاتون فقد وصلت بسلام إلى غزنة حيث قوبلت باحتفالات لم ير الناس مثلها، ووفقاً لقول بيهقي فقد أراد السلطان بذلك أن يرى الترك من المباهج ما لم يروه من قبل[٧٧٥].

357

ولم تسفر المفاوضات مع علي تكين عن نتيجة ما. وكان مسعود قبل اعتلائه العرش قد

---

(٧٧٠) التاريخ لدى بيهقي (طبعة مورلي، ص ٢٦١؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٢٢٠). وحكما على اسم اليوم من الاسبوع فيمكن الاستنتاج ان الشهر المقصود هو ربيع الأول بدلا من ربيع الثاني الذي ورد خطأً بالمتن.

(٧٧١) للأسماء الكاملة للسفراء راجع بيهقي، طبعة مورلي، ص ٢٥٠؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٢١٢). ويرد اسم أبي طاهر في إحدى المواضع في صورة أبي طالب، طبعة مورلي، ص ٢٣١؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ١٩٩).

(٧٧٢) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٢٥٣ - ٢٥٤؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٢١٠).

(٧٧٣) شرحه، ص ٣٤٨؛ (شرحه، ص ٢٨٣.

(٧٧٤) هكذا لدى ابن الأثير (الجزء التاسع، ص ٢١١)؛ ولا يورد بيهقي أية تاريخ ويضيف في موضع من مصنفه (طبعة مورلي، ص ٦٥٦؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٢٧)) أن قدر خان توفي بعد عام من ارتقاء مسعود العرش، ويقول في موضع آخر طبعة مورلي، ص ٨٩؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٢٨٤) بعد عامين من ذلك. أما التاريخ الذي يورده جمال قرشي (أول المحرم عام ٤٢٤؛ انظر Teksty, str. 132) فانه يتعارض على ما يبدو مع السكة (Markov, Inventarny katalog, str. 251)

(٧٧٥) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٥٢٦ و٦٥٦؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٤٢٥ - ٤٢٧).

بعث إلى علي تكين يطلب منه العون على أخيه محمد ووعده في مقابل ذلك بأن يتنازل له عن الختّل. الاّ أنه حين حلت مشكلة وراثة العرش لصا لحه دون إراقة دماء بسبب خيانة أنصار محمد، لم يجد مسعود ما يحمله على البر بوعده، مما أثار عليه بالطبع حنق على تكين(٧٧٦). وقد جدد مسعود خطة أبيه لمساعدة ابن قدر خان الثاني لينتزع ما وراء النهر من يد علي تكين، مخالفاً بذلك نصيحة التونتاش الذي كان يرى الاكتفاء كما رأينا بسياسة دفاعية صرفة(٧٧٧)، فإذا لم يتحقق لمسعود ما أراد فقد رأى أن يوعز لخوارزمشاه التونتاش بفتح بلاد ما وراء النهر. وقد استصوب مستشاروه الخطة الثانية(٧٧٨)، فأرسل رسله بذلك إلى التونتاش. وفي ربيع عام ١٠٣٢ اقتحم التونتاش بجيشه حدود ما وراء النهر بأمر السلطان، وأمده السلطان من بلخ بجزء من عسكره بلغ عدده خمسة عشر ألفا(٧٧٩). وأسند علي تكين مهمة الدفاع عن بخارا إلى المطّوعة (غازيان)، واختار مائة وخمسين غلاماً ليحموا قلعتها ثم انسحب إلى دبوسيه. وعند اقتراب العدو هرب رجال علي تكين من المدينة فقدّم أهلها والمطوّعة فروض الطاعة إلى التونتاش، ثم لقتحمت القلعة/ووقع سبعون غلاماً في الأسر(٧٨٠). غير أن الهجوم على القوات الرئيسية لعلي تكين 358 قرب دبوسية كان أقل توفيقاً من ذلك، فقد انضم التركمان برئاسة السلاجقة(٧٨١) إلى علي تكين الذي كان لواؤه الأحمر يرفرف على ربوة وإلى جانبه مظلته علامة على مكانته كملك(٧٨٢). ولم تكن المعركة حاسمة، إلاّ أن التونتاش أصيب بجراح قاتلة، ويرجع الفضل في عودة الجيش سالماً إلى خوارزم إلى مهارة وزيره الذي أخفى عن العدو خبر إصابة خوارزمشاه ودخل في مفاوضات، بدت وكأنها من جانبه، مع وزير علي تكين وحمله على أن يقنع أميره بأن يقدم اعتذاراته ويرجو من خوارزمشاه أن يتوسط بينه وبين مسعود. وقد ذكّر علي تكين خوارزمشاه بأن السلطان السابق كان يدعوه ابنه وأنه في خلال النزاع في سبيل الوارثة كان قد تجهز لتقديم العون المسلّح لمسعود(٧٨٣). وقد بذل

---

(٧٧٦) شرحه، ص ٣٤٨؛ (شرحه، ص ٢٨٣).
(٧٧٧) أنظر شرحه، ص ٤٢٦؛ (شرحه، ص ٣٤٤ - ٣٤٥).
(٧٧٨) شرحه، ص ٤١٨ - ٤١٩؛ (شرحه، ص ٣٣٨ - ٣٣٩).
(٧٧٩) شرحه. ص ٤٢٣؛ (شرحه، ص ٣٤٢).
(٧٨٠) شرحه، ص ٤٢٤؛ (شرحه، ص ٣٤٣).
(٧٨١) شرحه، ص ٤٢٥؛ (شرحه، ص ٣٤٣).
(٧٨٢) شرحه، ص ٤٢٨؛ (شرحه، ص ٣٤٦).
(٧٨٣) شرحه، ص ٤٣٢؛ (شرحه، ص ٣٤٩).

خوارزمشاه الذي أحس منيته دنت مجهوداً خارقاً لاستقبال رسول علي تكين ليوهم عدوه بأنه على خير حال. وبعد عقد الصلح انسحب علي تكين إلى سمرقند[٧٨٤] ولم يقم بأية محاولة لعرقلة انسحاب جيش خوارزم إلى آمل. وقد حدثت وفاة خوارزمشاه من قبل أن يبدأ الجيش انسحابه، غير أن الخوارزميين لم يعلموا به إلاّ بعد أن فصلت بينهم وبين العدو عشرون ميلاً. وفي الثاني من مايو عام ١٠٣٢[٧٨٦] أحيط السلطان علماً بهذه الأحداث.

والغالب على الظن أن حملة مسعود دفعت علي تكين إلى التقارب مع أهل بيته والاعتراف بسيادتهم عليه، ففي بخارا وسمرقند بدأت النقود تسكّ باسم ارسلان خان وبغراخان[٧٨٧]. وفيما عدا هذا وجد علي تكين لنفسه بعد عامين من ذلك حليفاً جديداً في شخص حاكم خوارزم. وبسبب موقعها الجغرافي الفريد فقد تمتعت خوارزم على الدوام باستقلال فعلي، خاصة عندما كان يتولى تصريف شؤونها قائد مجرّب وحاكم قدير مثل التونتاش. وقد نجح التونتاش عند تعيينه حاكماً على خوارزم في صد غارات القبائل الرحّل المجاورة، والتي يرد من بينها لأول مرة ذكر القبجاق[٧٨٨]. وفي الوقت ذاته عمل هو وحلفاؤه، كما فعل فيما بعد شاهات خوارزم في القرن الثاني عشر، على اجتذاب جماعات من هذه القبائل للخدمة بجيوشهم[٧٨٩]، والى جانب هذا فقد اشترى التونتاش، 359 مقتفياً في ذلك أثر مليكه، عدداً/كبيراً من الغلمان للخدمة بحرسه حتى أثار ريبة محمود[٧٩٠]. ورغماً من أن التونتاش ظل معترفاً بالتبعية للغزنويين إلاّ أن محموداً كان يعلم تمام العلم أنه كان بوسعه أن يرفع لواء الثورة في أية لحظة يريد اعتماداً على جيشه، وألا يأبه البتة للأوامر الصادرة من غزنه أو بلخ. هذا ولم تنجح محاولات محمود في اجتذاب خوارزمشاه إلى غزنه عن طريق الحيلة، كذلك لجأ مسعود إلى دسائس مماثلة دون جدوى[٧٩١]. ورغماً من كل هذا فان التونتاش لم يرفع علم الثورة، غير أنه أظهر بصورة لا تدع مجالاً للشك ما سيؤول إليه مصير رعاياه ممن تحدثهم أنفسهم بمتابعة دسائس الحكومة

---

(٧٨٤) شرحه، ص ٤٣٤؛ (شرحه. ص ٣٥١).

(٧٨٥) شرحه، ص ٤٣٦؛ (شرحه، ص ٣٥٢).

(٧٨٦) التاريخ لدى بيهقي (شرحه، ص ٤٢٥؛ (شرحه، ص ٣٤٢)).

(٧٨٧) Markov, Inventarny katalog, str. 251–252

(٧٨٨) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٩١؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٨٦).

(٧٨٩) شرحه، ص ٣٩٨ و٨٥٩؛ (شرحه، ص ٣٢٣ و٦٨٤).

(٧٩٠) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ٢٠٦، الترجمة ص ٣٠٠ - ٣٠٢؛ Teksty, str. 89–90 (عوفي).

(٧٩١) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٩١ و٣٨٩ وما يليها؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٨٦ و٣١٦ وما يليها).

الغزنوية[٧٩٢]. وحتى بعد وفاة التونتاش لم يقرر مسعود حرمان وريثه من الإمارة ولكنه اتخذ من الاجراءات ما يحد من سلطانه، فقد منح لقب خوارزمشاه لسعيد ابنه هو وقرر أن يحكم خوارزم هارون بن التونتاش بالإنابة عن الأمير («خليفة الدار»)، كما أن الخلعة التي تسلمها هارون من السلطان كانت نصف خلعة أبيه[٧٩٣]. وفي ربيع عام ١٠٣٤ بدأ هارون يظهر العصيان، وكان الدافع الظاهري هو وفاة أخيه ببلاط مسعود نتيجة لترديه من أحد السطوح (وذلك في أواخر عام ١٠٣٣ أو بداية عام ١٠٣٤)، وكتب «كل هماز مشّاء بنميم» إلى هارون أن أخاه قد ألقى به من السطح بأمر السلطان[٧٩٤]. وعقد هارون اتفاقاً مع علي تكين والسلاجقة، وفي آغسطس من عام ١٠٣٤ شق عصا الطاعة على السلطان بأن حذف اسمه من خطبة الجمعة[٧٩٥]. وخرجت الشائعات بأن هارون قد تواطأ سراً مع علي تكين على أن يجيء أولهما إلى مرو ويزحف الثاني على ترمذ وبلخ[٧٩٦]. ولعل غارة الكيمجي الجبليين[٧٩٧] على مقاطعة الختّل (في ربيع عام ١٠٣٤)، ومهاجمة التركمان لقواذيان (في أواخر العام نفسه) كانت لها صلة بهذه المخططّات. وقد زحف حاكم ترمذ بكتكين ضد التركمان، ولكنهم داروا حول جيشه وعبروا نهر أمودريا عند ميله/فلم يستطع بكتكين اللحاق بهم إلاّ عند شبرقان حيث أنزل بهم الهزيمة ولكنه 360 قتل خلال تعقبه للعدو. واستطاع القائد الذي بعث به مسعود وهو علي تكين بن عبد الله أن يعيد الأمور إلى نصابها[٧٩٨].

وفي عام ١٠٣٤ نفسه كسب هارون السلاجقة كحلفاء له. ووفقاً لرواية ابن الأثير[٧٩٩] فان النزاع بين علي تكين والسلاجقة يرجع الى عام ١٠٢٩ عندما أمر علي تكين قائده الب قره بقتل يوسف حفيد سلجوق على الرغم من أن علي تكين نفسه كان قد جعله من

---

(٧٩٢) شرحه، ص ٤١٠ - ٤١١؛ (شرحه، ص ٣٣٢ - ٣٣٣).

(٧٩٣) شرحه، ص ٤٣٩؛ (شرحه، ص ٣٥٥).

(٧٩٤) شرحه، ص ٤٩٩؛ (شرحه، ص ٤٠٣). قبل رواية هذه الأحداث يوجد ها هنا بياض بجميع المخطوطات؛ وفي طبعة طهران لعام ١٣٠٧ هـ = ١٨٩٠ (ص ٤١٠؛ وأيضاً في طبعة غني وفيّاض) نلتقي بثلاثة أسطر لا وجود لها بطبعة مورلي.

(٧٩٥) شرحه، ص ٨٥٤ - ٨٥٥، (شرحه، ص ٦٨٠ - ٦٨١).

(٧٩٦) شرحه، ص ٥٣٥؛ (شرحه، ص ٤٣٣).

(٧٩٧) شرحه، ص ٤٩٩؛ (شرحه، ص ٤٠٣).

(٧٩٨) شرحه، ص ٥٤٣ - ٥٤٤؛ (شرحه، ص ٤٣٩ - ٤٤٠).

(٧٩٩) الجزء التاسع، ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

قبل على رأس جميع الأتراك الموجودين في خدمته ومنحه لقب اينانج پيغو[٨٠٠]. وفي العام التالي (١٠٣٠) قام ابنا عم القتيل وهما طغرل وداود بثورة قتلا فيها الب قره وألفاً من رجاله فزحف علي تكين وأبناؤه يساندهم الأهالي على السلاجقة ونكبوهم نكبة شديدة واستولوا على ممتلكاتهم وسقط في الأسر عدد من نسائهم أطفالهم. « فاضطرتهم الحاجة إلى الانتقال الى خراسان »، ولذا فانهم حين وصلتهم دعوة هارون لينضموا إليه سارعوا إلى انتهاز تلك الفرصة. وابن الأثير هو الوحيد الذي يروي لنا قصة هذه الأحداث، أما بيهقي[٨٠١] فعلى النقيض من ذلك يؤكد أن علي تكين جهد حتى آخر أيام حياته في اكتساب التركمان إليه « بالقول الطيب والمال » لأنه كان يعدّهم دعامة عرشه. وبعد وفاته دخل أبناه وقائدهما في عداء مع التركمان واضطروهم إلى الرحيل إلى خوارزم حيث أمضوا أكثر من شتاء في عهد التونتاش[٨٠٢]. ومنحهم هارون أرضاً قرب شراه خان ورباط ماش[٨٠٣]. وكان بين هؤلاء التركمان وشاه ملك حاكم جند خصومة وثأر قديمان، فدهمهم في أكتوبر من العام نفسه ونكبهم في مجزرة عظيمة سقط منهم فيها سبعة آلاف أو ثمانية آلاف وفر الباقون منهم عابرين النهر على الجليد. ودخل هارون في مفاوضات مع شاه ملك الذي رفض رفضاً باتاً عرضاً للتوسط بينه وبين السلاجقة ولكنه قبل بأن يعقد معاهـدة معه وأن يساعده بقسم من جيشه لغزو خراسان وكان الاتفاق أن يسير الجيشان إلى النهر ويتم اللقاء بين الملكين على زوارق وسط النهر، وتم اللقاء في الثاني عشر من نوفمبر ولكن شاه ملك لمّا رأى جيش هارون اللجب (ثلاثون ألف رجل) لم يف بالوعود التي قطعها وانسحب فجأة راجعاً الى جند دون أن يخبر حليفه بذلك. وعلى أية حال فان 361عداوة شاه ملك لم تمنع هارون من غزو خراسان في ربيع عام ١٠٣٥/، لأنه كان يعلم أن غزو خوارزم من ناحية جند لا يتم إلاّ في الشتاء[٨٠٤].

وقد حدثت وفاة علي تكين، إن كانت حقاً هي السبب في هجرة التركمان، صيف أو

---

(٨٠٠) لعله يجب قراءة پيغو ها هنا يبغو؛ أنظر Marquart, Komanen, S. 45

(٨٠١) طبعة مورلي، ص ٥٥١ و٨٥٦؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٤٤٥ و٦٨١).

(٨٠٢) شرحه، ص ٥٨٣؛ (شرحه، ص ٤٧٠).

(٨٠٣) هنا ترد في صورة « ماشه » (بيهقي، طبعة مورلي، ص ٨٥٦؛ طبعة غني وفيّاض، ص ٦٨٢)؛ أنظر أعلاه، ص ٢٥٦

(٨٠٤) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٨٥٦ -٨٥٨.؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٨٢ - ٦٨٤). هذه الرواية عرضة لبعض الشك، لأنه من الغريب أن يستطيع جيش بأكمله عبور امودريا فوق الجمد في شهر اكتوبر.

خريف عام ١٠٣٤ . وفي ربيع عام ١٠٣٥ أُخطر مسعود باعتلاء ابنه الأكبر العرش فبعث برسالة الى بخارا يعزي في وفاة الأول ويهنىء الثاني . وفي هذه الرسالة نراه يخاطب الايلك الشاب « بالأمير الفاضل الولد »(٨٠٥). غير أن ولدي علي تكين كانا قد شرعا آنذاك في تنفيذ اتفاقهما مع هارون القاضي بأن يغيرا على صغانيان وترمذ وينهباهما ثم يعبران نهر أموديا لينضما الى هارون عند اندخود ، ولم يستطع أبو القاسم حاكم صغانيان مقاومتهما فهرب شمالاً إلى بلاد الكميجي . وأخذ جيش الايلك طريق دار زنكي فحاصر ترمذ ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على القلعة . وفي هذه اللحظة وصلت الأخبار بأن هارون قد قتل في بداية تحركه على يد غلمان اشترتهم الحكومة الغزنوية(٨٠٦) فرجع ولدا علي تكين إلى سمر قند عن طريق باب الحديد(٨٠٧). وفي صيف ذلك العام دفعت أخبار انتصارات السلاجقة الذين دخلوا خراسان عقب وفاة هارون ، دفعت ابني علي تكين إلى معاودة الكرّة والاغارة على نواحي صغانيان وترمذ ، فخرجا من سمر قند ولكنهما لم يتقدما لأكثر من ثلاثة منازل عندما بلغهما أن أبا القاسم وقواداً آخرين من قواد مسعود قد عبّأوا قوات كبيرة(٨٠٨). وكان مسعود يتجهز للثأر من ابني علي تكين لغزوهما أراضيه ، غير أنه في الثامن من ديسمبر وصل رسول من النبلاء من قِبَل ابني علي تكين بصحبة فقيه من أهل سمرقند إلى بلخ لتقديم الاعتذار باسم أميرهم . وقد قُبل الاعتذار ، ولكن مسعوداً أبى أن يقابل الرسول علامة على سخطه وجعل المحادثات تدور بين الوزير والفقيه فقط(٨٠٩) .

وبعد مضي عام من هذا ، أي ديسمبر ١٠٣٦ ، استقبل السلطان رسولين آخرين من قبل ولدي علي تكين هما البتكين وعبد الله الفارسي خطيب بخارا . وفي هذه المرة لقي السفيران الكثير من التكريم والعطف واستقبلهما السلطان مستفسراً عن أحوال « أخيه الايلك خان » يريد بذلك أن يظهر له من الاحترام والتبجيل أكثر مما فعل من قبل حين نعته « بالولد » ولكن لسوء ظنه بالرسولين فقد أمر مسعود بالاحتراز من تقديم أية معلومات اليهما تتصل بشؤون دولته . وقد أعرب الايلك عن رغبته في الزواج من إحدى أميرات البيت الغزنوي/وأن تتزوج إحدى أميرات القراخانيين من أحد أبناء السلطان ، 362

---

(٨٠٥) شرحه ، ص ٥٧٥ ؛ (شرحه ، ص ٤٦٥): الأمير الفاضل الولد .

(٨٠٦) شرحه ، ص ٨٦٠ ؛ (شرحه ، ٦٨٥) .

(٨٠٧) شرحه ، ص ٥٧٥ - ٥٧٥ (شرحه ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦) .

(٨٠٨) شرحه ، ص ٦١١ ؛ (شرحه ، ص ٤٩٢) .

(٨٠٩) شرحه ، ص ٦١٥ - ٦١٦ ؛ (شرحه ، ص ٤٩٦) .

وفي مقابل هذا وعد بأن يتنازل عن دعواه فيما يتصل بالختّل كما رجا أيضاً السلطان مسعوداً بأن يتوسط بينه وبين رأس أسرة القراخانيين ارسلان خان. وقد تعهد الايلك للسلطان في مقابل ذلك بمعاونته عسكرياً في نضاله مع السلاجقة. وقد استجيبت رغباته فتقرر أن تصبح أخت الايلك زوجة لسعيد بن مسعود وأن تصبح ابنة نصر أخي محمود زوجة للايلك. ثم أرسل عبد السلام رئيس ديوان بلخ[٨١٠] سفيراً إلى ما وراء النهر وبقي ببلاط ولدي علي تكين حتى سبتمبر من عام ١٠٣٧[٨١١].

كذلك فيما يتصل بعلاقات مسعود بالقراخانيين في تركستان فلا يمكن القول بأنها قد اتسمت بروح الصداقة. ففي خريف ١٠٣٤، أي في الوقت الذي رجع فيه مبعوثو الغزنويين، وصل سفراء بغراخان يطلبون إرسال عروسه زينب إليه. وكان السلطان راغباً في الاستجابة لمطلبه، لولا أن بلغ مسامعه أن بغراخان ينوي إثارة حقه في ميراث محمود باسم زينب. فغضب السلطان وأعاد رسول بغراخان، ثم اشتكى الى ارسلان خان من مزاعم أخيه. ولم تؤد معاتبة ارسلان خان لأخيه إلاّ إلى إثارة بغراخان حتى أصبح عدواً سافراً لأخيه وللغزنويين. وإزاء هذا فقد أظهر بغراخان الفرح والشماتة حين بلغه خبر انتصار السلاجقة عام ١٠٣٥، خاصة وقد كانت تربطه بطغرل صداقة قديمة[٨١٢]. وفي عام ١٠٣٧ قُبض على إسكافي عند شاطىء أمودريا تبين أنه جاسوس لبغراخان، وكان يحمل رسائل الى زعماء التركمان يعدهم فيها الخان بإرسال كل ما يطلبونه من الرجال. وعملاً بنصيحة أحد رجال بلاطه فان السلطان لم يظهر ما يدل على علمه بتصرف الخان، وأعطى الاسكافي مائة دينار وألحقه بالهند حتى يصبح مصير الرسائل مجهولاً. ثم أرسل أبا صادق التباني[٨١٣] الى تركستان على رأس سفارة عظيمة ومعه أمتعة تربو قيمتها على عشرة آلاف دينار على أمل الوصول الى اتفاق مع بغراخان عن طريق وساطة ارسلان خان. وقد غادر السفير غزنه في ٢٣ آغسطس ١٠٣٧ وبقي بتركستان ثمانية عشر شهراً يعاني فيها أداء هذه المهمة ويجادل عنها حتى قال عنه بغراخان إنه يذكرهم بمناظرات أبي حنيفة وجدله[٨١٤]، وأقرّ الجميع بأنهم لم يرو كمثله أحداً في

(٨١٠) شرحه، ص ٦٣١ - ٦٣٤؛ (شرحه، ص ٥٠٨ وما يليها).

(٨١١) شرحه، ص ٦٦١؛ (شرحه، ص ٥٣٠).

(٨١٢) من الجلي أنه ليس هو ببغرا خان المتعلقة به قصة ابن الأثير عن أسر طغرل على يد بغرا خان وتخليص أخيه داود له من أسره (ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٣٢٣).

(٨١٣) يجب قراءة الاسم أبو طاهرالتباني بدلا من أبو صادق، راجع أعلاه ص ٤٣٨

(٨١٤) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٦٥٦ - ٦٥٨؛ (طبعة غني وفياض، ص ٥٢٧ - ٥٢٩).

الصدق والأمانة، وأخيراً نجح بعد مفاوضات طويلة في إبرام العهد مع ارسلان خان وأخيه وأقنعها بوجوب إيثار الود مع السلطان. ويتضح من هذه القصة أن العلاقات المتوترة بين الأخوين لم تكن قد بلغت آنذاك، خلافا لرواية بيهقي التي مرت قبل قليل، مرحلة/العداء السافر. وفي ٢٤ سبتمبر من العام نفسه استقبل مسعود في وقت واحد رسل 363 الأخوين، وكذلك رسولاً آخر من حاكم غير معروف[٨١٥].

وفي عام ١٠٣٨ ظهر فجأة بما وراء النهر أبو اسحق ابراهيم[٨١٦] ابن الايلك الأول نصر، وكان يحمل آنذاك لقب بوري تكين[٨١٧]. وقد نجح في الهرب من السجن الذي كان قد زجّه فيه ولدا على تكين، ويبدو أنه وجد الملاذ في بداية الأمر لدى أخيه عين الدولة بأوزكند[٨١٨]، ولكنه لم يستطع البقاء هناك طويلاً[٨١٩]. وفي صيف عام ١٠٣٨ تسلم منه وزير الغزنويين رسالة أطلع السلطان على ما تضمنته، ولِمَا لشخص هذا الأمير من أهمية فقد حررت له الحكومة الغزنوية رداً يليق بمكانته ولكن المكتوب صيغ وفقاً لأمر السلطان بطريقة لا ينتج عنها ضرر إذا ما وقع في يد ولدي علي تكين[٨٢٠]. وقد انسحب الأمير الى منطقة الكميجي وهناك جمع قوة من ثلاثة آلاف فارس نهب بها وخش[٨٢١] والختّل في المنطقة المحيطة بهلبك. وكان قد وصل إلى ضفاف پنج حين بلغه أن السلطان ينوي أن يقود حملة عليه بنفسه، فانسحب بوري تكين بعد أن أعرب عن أسفه لما حدث،

---

(٨١٥) شرحه، ص ٦٦٠: لشكر فان والىء سكمان؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٣٠: لشكر خان ووالي سكمان). أنظر Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str. 97

(٨١٦) يبدو أن متن بيهقي (طبعة مورلي، ص ٦٨٢؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٤٧)) مشوه بعض الشيء؛ ذلك انه لم يوجد إطلاقا ايلك باسم ابراهيم. ولقب ايلك ماضي كان يطلق بالتالي على الدوام على نصر (أنظر Teksty, str. 133 (عن جمال قرشي)). ويبدو أنه ينعكس في هذا أول ظهور لطمغاج خان ابراهيم الذي اكتسب الشهرة بالتالي، رغم أنه حمل كنية أخرى وفقا لابن الأثير (الجزء التاسع، ص ٢١١) هي أبو المظفر، وإن كان هذا قد حدث في أغلب الاحتمال في وقت نال من سني حكمه.

(٨١٧) لدى بيهقي وگرديزي ومنوچهري نلتقي دائما بالاسم پورتكين، غير أنه من المؤكد انه يجب قراءته بوري (أي الذئب)؛ ومثل هذه القراءة يحتّمها أيضا وزن الشعر لدى منوچهري (طبعة ببرستين كازيمرسكي، ص ٤٧ من المتن، البيت الثاني والستون).

(٨١٨) هذه هي القراءة الصحيحة، وكما وردت في طبعة طهران (١٣٠٧ هـ) (ص ٥٥٨)؛ أما في طبعة مورلي (ص ٦٨٢) فقد ورد: راست اوركنج. ومن اوزكند خرج مكتوبه الى الوزير.

(٨١٩) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٦٩٧؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٥٨).

(٨٢٠) شرحه، ص ٦٨٤؛ (شرحه. ص ٥٤٨).

(٨٢١) مما لا شك أنه يجب قراءتها «وخش» لدى بيهقي بدلا من «رخش»؛ (وترد القراءة «وخش» في طبعة غني وفيّاض - الناشرون).

ورغماً من ذلك فان قوة مكونة من عشرة آلاف أرسلت ضده في آخر اكتوبر[٨٢٢]. ولم تلبث الأخبار أن وصلت بأن بوري تكين قد هجر الختّل ورجع إلى بلاد الكميجي فعاد القائد الى بلخ تنفيذاً لأوامر السلطان. ثم جدد مسعود خطته للقيام بحملة على ما وراء النهر تحت قيادته شخصياً للقضاء على بوري تكين في شتاء العام نفسه حتى يفرغ لقتال التركمان في الربيع. وعبثاً حاول الوزير أن يثنيه عن ذلك موضحاً أن الحملات توجّه في الربيع حين يخضر النبات أو في الخريف حين يتم الحصاد، فضلاً عن أنه يكفي تفويض 364 أمر القتال ضد بوري تكين إلى حاكم الصغانيان وولدي علي تكين/ دون ما حاجة الى تعريض جيش السلطان لعناء حملة شتوية[٨٢٣]. غير أن السلطان ضرب بكل هذا عرض الحائط، وكانت فكرته وفقاً لقول كرديزي[٨٢٤] هي أن يغتنم فرصة اندلاع الاضطرابات ببلاد ما وراء النهر ليضم تلك المنطقة إلى أملاكه.

وبأمر من مسعود صدرت التوجيهات الى حاكم ترمذ بكتكين[٨٢٥] ليعيد بناء الجسر العائم الذي عبر به محمود نهر أمودريا عام ١٠٢٥، وكان الجسر يربط جانبي النهر بجزيرة ارال پيغمبر ويتألف من قسمين (أنظر ص ١٥٩-١٦٠)؛ولم يحتج الأمر الى كبير عناء لأن جميع الآلات والسفن اللازمة لاقامته كانت بموضعها وفي حالة جيدة. واجتاز جيش السلطان النهر في يوم الاثنين ١٨ ديسمبر فبلغ صغانيان يوم الأحد ٣١ منه دون أن يلتقي بالعدو، ولكنه قاسى الأمرّين من البرد والصقيع. ووفقاً لرواية بيهقي الذي اشترك في تلك الحملة فان الجوكان بارداً «برودة لا يذكر أحد أنه شعر بمثلها في حياته.». وفي يوم الثلاثاء التاسع من يناير بلغ الجيش ممر شونيان «وكان البرد هناك من نوع آخر، ولم ينقطع هطول الثلج، ولم يلق الجيش من مشاق الطريق مثل ما لقي في هذا السفر». وفي هذه اللحظة وصلت رسالة من الوزير يفيد فيها السلطان بخبر تقدم السلاجقة من سرخس صوب جوزجان وأن وجهتهم على ما يبدو ترمذ ليخربوا الجسر ويقطعوا السلطان عن

---

(٨٢٢) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٦٩٦ - ٦٩٩؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٥٧ - ٥٦٠).

(٨٢٣) شرحه، ص ٧٠٢ - ٧٠٣؛ (شرحه، ص ٥٦٣).

(٨٢٤) Teksty, str. 17 (كرديزي).

(٨٢٥) يمكن أن نستخلص من ألفاظ بيهقي (طبعة مورلي، ص ٧٠٤؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٦٣) أن بكتكين هذا قد عُيّن حاكما لترمذ في عهد سبكتكين، أي أنه نفس بكتكين ذاك الذي كما رأينا (أعلاه ص٤٤١) وفقا لألفاظ بيهقي نفسه قد قتل في عام ١٠٣٤. وفيما يلي من كتابه (طبعة مورلي، ص ٧٠٧) يرد اسم حاكم ترمذ على أنه نوشتكين! (في طبعة غني وفيّاض، ص ٥٦٦ يرد اسم حاكم ترمذ على أنه بكتكين (كوتوال بكتكين) - الناشرون).

بلاده. فاضطر السلطان إلى الانسحاب خاصة وأن بوري تكين كان قد زحف من شونيان واستولى على الممر، وإزاء هذا فقد كان من المتحيل مواجهة عدو مثله يعرف المنطقة المحيطة معرفة جيدة. وبدأ الانسحاب في يوم الجمعة الثاني عشر من يناير، وبعد أسبوعين من ذلك بالتمام (يوم ٢٦ يناير) وصل مسعود الى ترمذ. وفي هذه الأثناء كان بوري تكين يتعقب الجيش فينهب بعض أمتعته وكثيراً من جماله وخيله[٨٢٦]. وبالطبع فقد نجم عن فشل حملة مسعود أن ارتفعت أسهم بوري تكين، ويتضح من المكاتبات التي تسلمتها الحكومة الغزنوية في خريف عام ١٠٣٩ أن بوري تكين تمكن بمعاونة التركمان من كسب عدد من المعارك ضد ولدي علي تكين وأشرف على انتزاع ما وراء النهر من يديهما[٨٢٧].

وليس هدفنا هنا[٨٢٨] أن نروي قصة ما ناله السلاجقة شيئاً فشيئاً من توفيق في خراسان، أو قصة الكفاح المرير بين قوات مسعود العسكرية التي كانت أكثر/عدداً وعدّة 365 ولكن عاق من حركتها أمتعتها الثقيلة، وقوات الرحّل الخفيفة التي كانت لها الصحراء بمثابة «الأب والأم»[٨٢٩] والتي كان بمقدورها ترك أمتعتها وراءها على بعد مائتي فرست (ثلاثين فرسخاً) من قواتها الرئيسية[٨٣٠]. وكان السلاجقة قد وصلهم المدد الذي طلبوه من ما وراء النهر[٨٣١]، كما أنهم اطمأنوا على مؤخرتهم لأن خوارزم وقعت عقب موت هارون (أنظر ص ٤٤٣) في يد أخيه اسماعيل خندان الذي ظل عدواً للغزنويين. وحتى يتخلص مسعود من شر هذا العدو فانه أرسل عهده بولاية خوارزم في عام ١٠٣٨ إلى شاه ملك صاحب جند. ورغماً من أن شاه ملك لم يستطع اقناع الخوارزميين بالخضوع له كنائب من قِبَل سلطانهم الشرعي، إلاّ أنه لم يقم بحملته على خوارزم إلاّ في عام ١٠٤٠ - ١٠٤١. وفي فبراير عام ١٠٤١ التقى الجمعان في معركة بسهل آسيب دامت ثلاثة أيام بلياليها وانتهت بهزيمة الخوارزميين. ووفقاً لرواية بيهقي فانه كان بامكان الخوارزميين أن

---

(٨٢٦) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٧٠٧؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٦٦؛ ويقترحان في الحاشية القراءة «شومان» بدلا من «شونيان»؛ وفي الطبعة الروسية للكتاب لعام ١٩٠٠ وردت أيضاً القراءة «شومان» - الناشرون).

(٨٢٧) شرحه، ص ٧٤٥؛ (شرحه، ص ٥٩٤).

(٨٢٨) قام بهذا الى حد ما ببرشتين - كازيميرسكي (راجع أعلاه، ص ٩٠).

(٨٢٩) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٦٦٩؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٥٣٧: بيابان ايشانرا پدر ومادراست - الناشرون).

(٨٣٠) شرحه، ص ٧١٢ - ٧١٣؛ (شرحه، ص ٥٧٠).

(٨٣١) شحه، ص ٧٣٤؛ (شرحه، ص ٥٨٦).

يقاوموا ولكن انتشار الشائعات باقتراب جيش للغزنويين بثّ الذعر في نفوسهم. وقد هجر اسماعيل عاصمته (٢٨ مارس) ولجأ إلى حلفائه السلاجقة بسبب خوفه من الغدر، وفي ابريل احتل شاه ملك العاصمة وقرئت الخطبة باسم مسعود، رغماً من أنه كان آنذاك في عداد الأموات[٨٣٢].

ذلك أن انتصار السلاجقة الحاسم على مسعود حدث قبل حملة شاه ملك، فقد وضعت معركة دندانقان[٨٣٣] (مايو ١٠٤٠) حداً نهائياً لحكم الغزنويين بخراسان. ونُصب التخت في موضع المعركة نفسها[٨٣٤] فجلس عليه طغرل وجاء الأعيان أجمعين وسلموا عليه بإمارة خراسان. ثم حُررت الرسائل إلى خانَيْ تركستان وإلى ابنَيْ علي تكين ولبوري تكين ولعَيْن الدولة ولكل أعيان تركستان لاعلانهم بخبر الانتصار، وطورد المنهزمون إلى شواطىء أمودريا بهدف قسرهم على الهرب إلى ما وراء النهر حتى يقدّموا بذلك برهاناً ملموساً على النصر. ومن ناحيته فقد أعرب مسعود في مكتوب بعث به إلى رأس القراخانيين، وقام بصياغته بيهقي، عن ثقته في أن أرسلان خان لن يتوانى عن مساعدته بل سيقوم في هذا السبيل بحملة عسكرية[٨٣٥] غير أن مسعوداً نفسه قد أذهلته 366 الصدمة بدرجة فقد معها الرغبة في المقاومة فخيّل إليه/أنه لا بد من ترك بلخ ومعتمداتها، ليس هذا فحسب بل وغزنة أيضاً. ورغماً من محاولات الوزير وغيره من كبار رجال دولته لاقناعه أنه لا أساس لمثل هذه المخاوف[٨٣٦]، إلاّ أنه قرر الانسحاب إلى الهند بعد أن أرسل الى بوري تكين عهداً بتعيينه حاكماً على بلخ وطخارستان[٨٣٧] حتى يثير

---

(٨٣٢) شرحه، ص ٨٦٥ - ٨٦٧؛ (شرحه، ص ٦٨٧ - ٦٩٠).

(٨٣٣) تقع القلعة على مسافة ستين فرست من مرو؛ انظر Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 38 [يوجد تحليل مفصل لواقعة دندانقان (يستند أساسا على بيهقي) في مقال زاخودر B.N. Zakhoder, Istoricheskii Jurnal, III-IV, 1943; ولهذا المقال ترجمة الى التركية ظهرت في Belleten, XVIII, 1954, 581-587]

(٨٣٤) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٧٨٨. ورغما من هذا فان راڤرتي (جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ١٣٢، الحاشية) يؤكد بصورة قاطعة أن بيهقي لا يذكر شيئاً عن عرش ما: «Baihaki does not say anything about a throne» (أنظر طبعة غني وفيّاض، ص ٦٢٨: طغرل بر تخت بنشست - الناشرون).

(٨٣٥) شرحه، ص ٧٩٦؛ (شرحه، ص ٦٣٣ - ٦٣٤.

(٨٣٦) شرحه، ص ٨٢٩ - ٨٣٠: (شرحه، ص ٦٦١ - ٦٦٢).

(٨٣٧) شرحه، ص ٨٢٦؛ (شرحه، ص ٦٥٩).

الشحناء بينه وبين السلاجقة، كما أنه أذن لكبار دولته المتبقين بغزنة بالانخراط في خدمة السلاجقة فور وصولهم[٨٣٨].

وقد برهنت الأحداث على أن يأس مسعود كان في واقع الأمر سابقاً لأوانه. فبعد خلعه وقتله (في يناير ١٠٤١)[٨٣٩] وجلوس محمد أخيه للمرة الثانية على العرش لفترة قصيرة على يد الجيش، اعتلى العرش في ابريل عام ١٠٤١[٨٤٠] ابن مسعود النشط مودود الذي أخذت الأحوال في عهده تتجه اتجاهاً أفضل لصالح الغزنويين. فقد ظلت بلخ وترمذ في يد مودود، كما أن «ملك الترك بما وراء النهر» (الغالب على الظن أن المراد بهذا هو بوري تكين) قدم له فروض الطاعة[٨٤١]. وكان المتصرف في ترمذ هو أميرك بيهقي (واسمه الحقيقي أبو الحسن أحمد بن محمد) الذي دافع وفقاً لرواية أبي الحسن البيهقي[٨٤٢] عن المدينة ضد السلاجقة لخمسة عشر عاماً، ولم يسلمها إلى داود إلّا عندما فقد الأمل تماماً في الغزنويين. وقد عرض عليه داود منصب الوزارة ولكن أميرك رفضه رفضاً باتاً ورجع إلى غزنة حيث تم تعيينه رئيساً لديوان الوثائق الحكومية. غير أن رواية المؤرخ لهذا الدفاع الطويل الأمد عن ترمذ يناقضها قوله بنفسه إن أميرك تم تعيينه رئيساً لديوان الوثائق في عهد مودود، أي قبل عام ١٠٤٨. وحتى من قبل هذا في عام ١٠٤٣ كان السلاجقة قد استولوا على خوارزم وهرب شاه ملك إلى ايران حيث وضع يده لبعض الوقت على ناحية بيهق[٨٤٣] ولكن أمره انتهى بالسجن في مكران وتوفي وهو في الحبس[٨٤٤].

---

(٨٣٨) شرحه، ص ٨٣٢؛ (شرحه، ص ٦٦٣).

(٨٣٩) وفقاً لگرديزي (اكسفورد الورقة ١٧٤، كمبريدج الورقة ١٤٠أ، (طبعة محمد ناظم، ص ١١١): الحادي عشر من جمادي الأولى عام ٤٣٢ هـ. راجع Teksty, str. 18

(٨٤٠) نفس التاريخ (شعبان من عام ٤٣٢ هـ) يرد لدى كل من بيهقي (طبعة مورلي، ص ٨٦٧؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٩٠)) وابن الأثير (الجزء التاسع، ص ٣٣٤)؛ ويرد خطأً لدى موللر عام ٤٣٤ هـ (Müller, Der Islam, Bd II, S. 77).

(٨٤١) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٣٣٤.

(٨٤٢) تاريخ بيهق، مخطوطة المتحف البريطاني، الورقة ٦٩ ب - ٧٠ أ.

(٨٤٣) شرحه، الورقة ٢٨ ب - ٢٩ أ؛ وهنا يحمل شاه ملك اسم ابي الفوارس شاه ملك بن علي البرّاني ولقب حسام الدولة ونظام الملّة.

(٨٤٤) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٨٦٧ - ٨٦٨؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٩١)؛ وابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٣٤٦.

أمّا انتقال بلخ نهائيا إلى حكم السلاجقة، وبالتالي انقطاع الصلة تماماً بين الغزنويين وما/وراء النهر، فإنه لم يحدث إلاّ عام ١٠٥٩ وذلك وفقاً لنصوص معاهدة تمت بين داود والسلطان الغزنوي ابراهيم(٨٤٥). وحوالي ذلك الوقت كان بوري تكين ابراهيم قد ثبّت أقدامه بشدة في ما وراء النهر وأقام لنفسه دولة مستقلة(٨٤٦). ويمكن الاستدلال من المسكوكات(٨٤٧) على أنه حكم بخارا منذ عام ٤٣٢ هـ =١٠٤١-١٠٤٢، لربما بوصفه تابعاً لبغراخان، وفي مسكوكات عام ٤٣٨ هـ =١٠٤٦-١٠٤٧ التي ضُربت على أرجح الظن بسمرقند(٨٤٨) يحمل ابراهيم لقب «عماد الدولة وتاج الملة سيف خليفة الله طمغاج خان ابراهيم». ولقب طمغاج خان(٨٤٩) هذا الذي اتخذه ابراهيم وحمله من قبله بغراخان تنعكس فيه محاولة لتقليد أباطرة الصين، ولعل هذا هو نفس السبب في اتخاذ ابراهيم فيما بعد للقب «ملك الشرق والصين»(٨٥٠) واتخاذ ابنه نصر للقب «سلطان المشرق والصين»(٨٥١)، على الرغم من أن سلطانها كما هو معلوم لنا من أوثق المصادر لم يتجاوز حدود ما وراء النهر.

367

---

(٨٤٥) Müller, Der Islam, Bd II, S. 77؛ أنظر أيضاً جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ١٠٣ و١٣٢؛ (طبعة نساوليس، ص ٢٠).

(٨٤٦) [يوجد هنا تعليق لبوزورث Bosworth هو الآتي: لقد أشار بريتساك (Pritsak, «Die Karachaniden», Der Islam, XXX, 1953-1954, 34 sq). الى خطأ وقع فيه بارتولد حينما قال إن بوري تكين ابراهيم بن نصر قد أقام له دولة مستقلة ببلاد ما وراء النهر. وفي الواقع ان الأمر انما يتعلق بحدوث انقسام في دولة القراخانيين حوالي عام ٤٣٣ هـ =١٠٤١-١٠٤٢. وبهذا انتهى نظام الخانية المزدوج الذي كان يقوم على أساس وجود خان أكبر ومعه خان مشارك، وحدث ذلك بعد وفاة قدر خان يوسف في سنة ٤٢٤ هـ= ١٠٣٢ وذلك على يد ابنَيْ الاليك نصر الطموحَيْن محمد وابراهيم فمكن عين الدولة محمد لنفسه بأوزكند كخان اكبر، منافسا لسليمان بن قدر خان يوسف اكبر أعضاء الاسرة الحاكمة سنا والذى كان يقيم بختن وكاشغر. هذا بينما مكّن ابراهيم لنفسه بسمرقند كخان مشارك. وابتداء من ذلك الوقت ظهرت الى الوجود دولتان للقراخانيين احداهما شرقية مركزها بلاساغون وبالتالي كاشغر والأخرى غربية مركزها اوزكند وفيما بعد سمرقند].

(٨٤٧) Markov, Inventarny katalog, str. 256

(٨٤٨) شرحه، ص ٢٦٢.

(٨٤٩) تكتب أيضا «طفغاج» و«طنغاج»؛ وترد في نقوش الأورخون في صورة «طبغاج». وعن معنى هذا اللقب راجع Radloff, Die alttürkischen Inschriften der Mongolei, Lief. III, S. 428; Hirth, Nachworte, S. 35

(٨٥٠) Markov, Inventarny katalog, str. 263 i sl.

(٨٥١) شرحه، ص ٢٦٨ وما يليها.

وقد أعان على انتصارات ابراهيم، كما بيّن ابن الأثير(٨٥٢)، النزاعات الداخلية التي استعرت بين القراخانيين في تركستان، ممّا فصّلنا القول عنه في بحث آخر لنا(٨٥٣). وزيادة على هذا فقد اندلعت بما وراء النهر على عهد بغراخان هارون حركة شيعية، لعلها آخر حركة من نوعها، وكان ذلك في عام ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤-١٠٤٥؛ ومن المؤسف أنه ليس تحت يدنا بشأنها سوى النزر اليسير. وفي هذه المرة أيضاً استطاع دعاة الشيعة أن يغروا الأهالي بمبايعة الخليفة الفاطمي المستنصر (١٠٣٦-١٠٩٤). بل إن بغراخان نفسه تظاهر بقبول تعاليمهم حتى يطمئنوا إليه، فلما أمنوا جانبه أمر بمذبحة الشيعة ببخارا وأرسل أوامر مماثلة إلى بقية المدن(٨٥٤).

وبالنسبة لتاريخ ما وراء النهر فإن عهد القراخانيين، أول أسرة تركية تحكم البلاد بأجمعها حكماً مباشراً، يمثل بلا شك أهمية كبرى. ومن المؤسف أن المادة الضئيلة التي وصلتنا عن هذا العصر تجعل من العسير علينا متابعة التغيرات التي طرأت على النظام الذي وضع أساسه السامانيون، وكيف تطورت به الأحوال حتى صار إلى الوضع الذي وجد عليه المغول البلاد. ويزيد عن هذا قليلا علمنا بما أدخله السلاجقة على ايران من تغييرات. ومن الواضح/أن التشابه في الظروف التي أحاطت بالمنطقتين (وذلك باخضاع 368 الرعاة الترك لبلاد كان يسود عليها النظام السياسي الذي غلب على الولايات الشرقية للخلافة) كان من شأنه أن يؤدّي إلى حد كبير إلى نتائج مشابهة، زد على هذا أن نظام امبراطورية السلاجقة كان ذا أهمية لما وراء النهر أيضا لأن خوارزم كانت تدخل ضمن تلك الأمبراطورية، فضلاً عن أن شاهات خوارزم الذين أفلحوا في أن يجعلوا من أنفسهم سادة على بلاد ما وراء النهر في القرن الثالث عشر إنّما كانوا في الأصل ولاة للسلاجقة. لكل هذه الاسباب رأينا أن نعالج بإيجاز الخطوط العريضة التي ميّزت دولة السلاجقة عن الدول السابقة لها.

والصفات الشخصية الرفيعة التي تميز بها سلاطنة السلاجقة الأول: طغرك والب ارسلان وملكشاه، قد وجدت ما تستحق من تقدير منذ زمن طويل. بل إنّ مؤرخاً مثل مولر عرف بازدرائه الشديد للترك(٨٥٥) قد أوفى هؤلاء الحكام حقهم من التقدير، خاصة

---

(٨٥٢) الجزء التاسع، ص ٢١١.

(٨٥٣) Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str. 98

(٨٥٤) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٣٥٨.

(٨٥٥) Müller, Der Islam, Bd II, S. 22

الاخيرَيْن منهم[٨٥٦]. وفي الواقع أن الاختلاف بين أخلاق الشعوب التركية والحكام الأتراك قد أثار الاهتمام منذ العصور الوسيطة، وينعكس هذا بوضوح في قول الإدريسي[٨٥٧] عن الترك «وملوكهم أهل عدة وشكة واحتفال ونظر وحزم وعدالة قائمة وسيرة حسنة، ولهم (أي الشعب) قلوب جافية وأطباع غليظة غشيمة». والمستوى الحضاري الذي بلغه الترك وأسلوب معيشتهم نفسه، ليقفان دليلاً على أنهم أيضاً قد سادت بينهم ذات العوامل النفسانية التي تفسر الاختلاف بين عقلية الفرد والجماعة في فترة الصبا. فضلا عن أن المثل الأخلاقية للرعاة تخضع لتعاليم الدين بأكثر مما عليه الحال مع الشعوب المتحضرة. ولعله من الطبيعي أن يبدو السلاجقة والقراخانيون الأوائل أكثر تمسكاً بتعاليم الاسلام من محمود ومسعود، بنفس الدرجة التي كان بها القديس ڤلاديمير Vladimir الروس أكثر تمسكاً بالمسيحية من أباطرة بيزنطة مثلاً. ولم يكن الدين في أعين القراخانيين وسيلة للحفاظ على عرشهم فحسب، بل كانت تعاليمه تطبّق على الجميع بما في ذلك الملوك الذين أحجموا عن تناول الخمر لتعارضها مع الدين كما رأينا (ص ٤٢٤). وليس بمستبعد أن يكون بعض هؤلاء السلاطين قد تشرّبته رغبة مخلصة تحت تأثير العاطفة الدينية ليضرب مثلاً للملك العادل.

ومن الجلي أن زعيماً لشعب رعوي لا يميّزه عن بقية رجال جيشه شيء في الملبس[٨٥٨] 369 ويشاطرهم جميع المشاق[٨٥٩] ليس بمقدوره أن يتحول فجأة/إلى طاغية من طراز محمود ومسعود. ولا يخلو من مغزى أن تكون وظيفة «صاحب الحرس» المقيتة (أنظر ص ٣٥٥) قد فقدت كل صلاحيتها على عهد السلاجقة[٨٦٠]. كذلك بطل استعمال وظيفة «صاحب الخبر»، إذ أن نظام التجسس كان من شأنه أن يصدم مشاعر رعاة بسطاء

---

(٨٥٦) شرحه، ص ٩٥.

(٨٥٧) ترجمة جوبير Jobert الجزء الأول، ص ٤٩٨ [نقلنا هذه الألفاظ حرفيا عن الطبعة الجديدة المحققة لمصنف الادريسي والتي يجري طبعها حاليا بايطاليا على شكل ملازم يشرف على نشرها نفر من كبار العلماء، ص ٥١٨ (عام ١٩٧٤) - المترجم].

(٨٥٨) يرد وصف دقيق للثياب التي كان يرتديها طغرل عند دخوله نيشابور (١٠٣٨) لدى بيهقي (طبعة مورلي ص ٦٩١؛ (غني وفيّاض، ص ٥٥٣). وكان رداؤه من نسيج المُلْحَم (أنظر أعلاه، ص ٣٦٥)، وعلى رأسه عمامة توّزية (وأنسجة توّز وهي مدينة صغيرة بولاية فارس نالت شهرة عريضة؛ أنظر المقدسي، ص ٤٣٥)، وحذاؤه من اللبّاد، وحمل على ذراعه قوساً وثلاثة أسهم.

(٨٥٩) أثناء تقهقر التركمان لم ينزع طغرل لعدة أيام حذاءه أو درعه (بيهقي، طبعة مورلي، ص ٧٦٠؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٦٠٦)).

(٨٦٠) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١٢٢؛ الترجمة ص ١٧٩.

مثلهم. وأحد مؤيدي هذا النظام وهو نظام الملك[٨٦١] يسوق رداً للسلطان ألب ارسلان على من سأله لِمَ لَمْ يعيّن «صاحب خبر» في الألفاظ الآتية: «إذا عيّنت صاحب خبر فإن أصدقائي وأهل ثقتي لن يقيموا له وزناً ولن يقدّموا له الرشاوى اعتماداً على صداقتهم لي وصلتهم بي، بينما سيجهد أعدائي والمخالفون لي على كسب صداقته وثقته بالهدايا والأموال. وإزاء هذا فلا مناص من أن يجلب صاحب الخبر إلى مسامعي على الدوام مقالات سيئة على لسان أصدقائي ومقالات طيبة على لسان أعدائي. والحديث الطيب والحديث الخبيث كالسهام، إذا رميت عدداً منها فلا بد من أن يصيب أحدها الهدف، ومن ثَم فإن قلبي سيتغير على أصدقائي يوماً عن آخر وتقع القطيعة بيني وبينهم، بينما يصفو شيئاً فشيئاً لأعدائي حتى يحلّوا آخر الأمر محلهم. وبهذا يحدث من الضرر ما لا قِبَل لأحد بتداركه». ومن العسير أن ننكر أن هذه الألفاظ لا تدل على حسن الظن بالبشر فحسب، بل تعكس في ذات الوقت فطرة سليمة لرجل لم تلّوثه المدنية، فضلاً عن أن من عيوب نظام التجسس هو أنه ربما استعمل كسلاح ضد رأس الدولة نفسه. وإذا كان محمود قد بث العيون والأرصاد على ابنه مسعود (ص ٤٣٤)، فإن مسعوداً بدوره كان له جواسيس في ديوان أبيه[٨٦٢]. ومن ناحية أخرى فإن نظام الملك محق في اعتبار وظيفة صاحب الخبر إحدى قواعد الملك، وفي الواقع ان الغاء نظام التجسس من غير استبداله بأداة للرقابة أكثر فاعلية كان من شأنه أن يؤدي إلى استبداد الولاة وحكام الأقاليم بالأمر.

والفكرة الايرانية عن الملك بوصفه صاحب السلطة المطلقة في الدولة كانت أيضاً غريبة على الرحّل الذين كانوا يرون في الامبراطورية ملكاً لجميع الأسرة الحاكمة. ومما يقف دليلاً على أن فكرة الحاكم صاحب السلطة المطلقة كانت غريبة على السلاجقة الأوائل أن الخطبة كانت تلقى في آن واحد باسم طغرل في بعض مدن خراسان وباسم أخيه داود في البعض الآخر منها[٨٦٣]. غير أن نظام الإمارات الصغيرة وما ينشأ عنها من عداوات وحروب داخلية قد أقض مضجع الحكومة السلجوقية بنفس الطريقة التي أقض بها مضجع حكومة القراخانيين. كذلك أصاب الرعايا كثير من الضرر بسبب قيام نظام

---

(٨٦١) شرحه، المتن ص ٦٥؛ الترجمة ص ٩٩.

(٨٦٢) بيهقي، طبعة مورلي، ص ١٦٤ - ١٦٥؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ١٤٥ - ١٤٦).

(٨٦٣) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

الاقطاع العسكرية، أي الأراضي التي كانت توزع على الجند بدلاً من الأرزاق أو كجزء منها[٨٦٤]؛ وفي النصف الشرقي من العالم الإسلامي/لم يُتوسع في هذا النظام إلاّ بعد الغزو 370
التركي. ولقد حدثت في العهود السابقة لذلك حالات استثنائية منحت فيها أراض على سبيل الجزاء لمن برّزوا في الخدمة العسكرية، غير أن هذه الحالات كانت نادرة للغاية، مما حمل نظام الملك على القول بأن الملوك السابقين لم يوزعوا اقطاعاً البتة بل كانوا يدفعون أرزاق جنودهم نقداً وحسب. وكان هذا النظام الأخير لا يزال متّبعاً على أيامه في دولة الغزنويين[٨٦٥]، أما في دولة السلاجقة فإن منح الاقطاع كان أمراً مألوفاً ولكنه لم يؤد إلى قيام نظام رقيق الأرض. ويذكّر نظام الملك[٨٦٦] أصحاب الاقطاع بأن ما سمح لهم به هو جزء من ريع الأرض وأن حقهم لا يمتد وراء ذلك إلى أرواح الأهالي أو أموالهم أو نسائهم أو أولادهم. وتوزيع الاقطاع الذي أدى بدوره الى التقليل من الأرض المملوكة للسلطان هو الذي يفسر في الغالب على الظن السبب في تدهور منصب الوكيل[٨٦٧].

ومن الطبيعي أن تكون طبقة ملاّك الأرض أو أصحاب الضياع أكثر الفئات تضرراً من قيام نظام الإمارات الصغرى ونظام إقطاع الأراضي، وقد حدث هذا بما وراء النهر أكثر مما حدث بخراسان. وقد رأينا فيما سبق من الكتاب (ص ٣٩٢) كيف كان دهاقنة ما وراء النهر مسئولين إلى حد ما عن سقوط دولة السامانيين، ولذا فقد كان من الطبيعي أن يتمتع الدهاقنة بنفوذ أكبر في الفترة الأولى لحكم الأسرة الجديدة، وينعكس هذا بصورة واضحة في أن دهقان ايلاق سك نقوداً خاصة به[٨٦٨]. وكما رأينا فيما سبق أيضاً بشأن أحداث حملة عام ١٠٠٧ - ١٠٠٨ (ص ٤١٣) فإن «دهاقنة ما وراء النهر» يرد ذكرهم على حدة. أما عند سرد أحداث الغزو المغولي فلا يرد ما يفيد بأهمية هذه الطبقة في ما وراء النهر، بينما ترد الإشارة الى أصحاب الضياع بخراسان على نحو ما كان عليه الحال من قبل وإلى أنهم كانوا يعيشون في قصور أسرهم. وعندما جمع المغول أهل الريف لاستعمالهم في حصار المدن، كعادتهم في كل مكان غزوه، أصدروا أمرهم بذلك إلى

---

(٨٦٤) Kremer, Culturgeschichte, Bd I, S. 251 sq., 285

(٨٦٥) أنظر أعلاه، ص ٣٦٩، الحاشية ٤٢٩

(٨٦٦) طبعة شيفير، المتن ص ٢٨؛ الترجمة ص ٤٠.

(٨٦٧) شرحه، المتن ص ٨١؛ الترجمة ص ١٢١.

(٨٦٨) Dorn, Uber die Münzen, S.715 ; Markov, Inventarny katalog, str. 218 - 219

أصحاب الضياع[٨٦٩]. وقد أُطلق اسم الدهاقنة أيضاً على من تسلموا اقطاعاً من بين الأتراك، على أقل تقدير بخراسان. وفي عام ١٠٣٥ حين منحت ولايات نسا وفراوه ودهستان إلى زعماء السلاجقة (طغرل وداود وعمهما بيغو أو يبغو) خوطب ثلاثتهم بلقب « الدهقان » وتسلم كل واحد منهم من الخلع ما يتفق مع منصب الوالي، وهي قلنسوة ذات ركنين ولواء وحلة مطرّزة على طريقة الفرس وجواد وسرج ومنطقة من ذهب على طريقة التركمان وثلاثون ثوباً غير مخيطة[٨٧٠]. والأرجح أن تدهور طبقة ملاّك الأرض بما وراء النهر/كان مرده إلى تدهور قيمة الأرض نفسها، كما يشير إلى ذلك مترجم نرشخي[٨٧١]، ففي ذلك العهد لم يكن أحد ليقبل أرضاً ولو على سبيل الهدية، بينما كان الجفت على عهد السامانيين يساوي أربعة آلاف درهم. وحتى إذا وُجد من يشتري الأرض فإنها كانت مع ذلك تظل غير مزروعة « بسبب القسوة (قسوة الحكام) ومعاملة الرعية معاملة لا رحمة فيها ». 371

ونظام الحكم الاوتوقراطي الذي غلب على البلاد المفتوحة لم يكن من شأنه ألاّ يترك أثره على الفاتحين الجدد. ومن الواضح أن الميل إلى الانفراد بالسلطة قد أبعد هؤلاء عن أفراد قبيلتهم، وقربهم أكثر إلى ممثلي البيروقراطية الايرانية. ولم يكن بوسع السلاجقة أن يتشبهوا تماماً بالسامانيين والغزنويين، لأنهم ظلّوا حتى آخر أيامهم غريبين على أي ضرب من المدنية. هذا وقد وصلت إلينا معلومات غاية في الثقة[٨٧٢] توكد أنه حتى السلطان سنجر آخر السلاجقة الكبار كان أمياً، وليس هناك ما يحملنا على الافتراض بأن أسلافه كانوا أكثر ثقافة منه، رغماً من أن والده ملكشاه كان أحيانا يُصوّر في صورة من بلغ درجة عالية من التمدن. ومن المؤكد أنه إذا ما كان العاهل جاهلاً بالقراءة والكتابة فإنه لن تتاح له فرصة تتبع الإدارة البيروقراطية المعقّدة لدولته الشاسعة، ومن ثم فإن هذه المسؤولية كانت تقع بكاملها على عاتق الوزير، وهذا هو السر في أننا نلتقي في العهد السلجوقي بوزراء تمتعوا بسلطة لم يتمتع بها رصفاؤهم في العهود السابقة لذلك.

---

(٨٦٩) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٥٣، الترجمة ص ٩٠ - ٩١. ترجمة دوسون أكثر دقة (أنظر D'Ohsson, Histoire des Mongols, T.I, P. 278)

(٨٧٠) بيهقي، طبعة مورلي، ص ٦١١؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٤٩٢).

(٨٧١) طبعة شيفير، ص ٢٩ - ٣٠. من الصحيح أن المؤلف إنما يتحدث عن سعر الأرض داخل مدينة بخارا، غير أنه من المحتمل جدا أن الحال ينطبق على القرى أيضاً.

(٨٧٢) Teksty, str. 38 (عن وثيقة دبلوماسية حررت باسم سنجر نفسه).

ولنظام الملك الحق كل الحق في أن يدعو نفسه شريكاً في الملك لسلطانه[٨٧٣]. وبإزاء ظروف كهذه فإن تدخل السلطان ورجال حاشيته في شئون الإدارة كان من شأنه أن يؤدي إلى نتائج سيئة، ولذا فقد قام نظام الملك[٨٧٤] بمحاولات جادّة للتقليل ما أمكن من الأوامر المكتوبة الصادرة من البلاط «لأن ما يصبح مبتذلاً تذهب حرمته بين الناس». وكان أكثر خطورة من هذا الأوامر الشفوية الصادرة من السلطان، وقد رأى نظام الملك[٨٧٥] أن من الضروري إصدار قانون يقضي بألاّ يتقدّم بمثل هذه الأوامر إلى الديوان أو الخزينة إلاّ شخص واحد، وأنه ليس من حق هذا الشخص أن يوكل شخصاً آخر للقيام بهذه المسؤولية، وبعد تسلّم الأمر يجب على الديوان رفع تقرير بذلك إلى السلطان قبل الشروع في وضع الأمر موضع التنفيذ. ولا حاجة بنا لأن نزيد القول بأن 372 هذا التنظيم الذي لا يتفق في شيء مع جوهر الحكم الاستبدادي لم يتم تطبيقه عملياً، /وأن التوسع الزايد في سلطة الوزير لم يؤد إلاّ إلى نشوب النزاع بينه وبين مليكه.

أما أعوص المسائل على عمال الدولة، فكانت هي مسألة الغزاة الأتراك الذين دخلوا البلاد مع السلطان والذين لم تكن لديهم الرغبة في أن يبدّلوا أسلوب معيشتهم الرعوية ليصبحوا حضراً ويخضعوا لأوامر الحكومة أسوة ببقية رعايا الدولة. وبالطبع فإن عمال الدولة الايرانيين كانوا يريدون ضم وحدات الرعاة إلى «حشم» السلطان وإخضاعهم لنفس النظام الذي سار عليه من قبل حرس السلاطنة السابقين المؤلف من المماليك والمرتزقة. وفي هذا الشأن لا يخلو من طرافة رأي نظام الملك[٨٧٦] عن التركمان، فهو يقول إنه على الرغم من أن وحداتهم العسكرية قد أصبحت مصدراً من مصادر الاضطراب الدائم للدولة إلاّ أنه لا يجدر بالدولة أن تتخذ ضدهم إجراءات مشددة، وذلك بسبب خدماتهم السابقة ولرابطة الرحم التي تجمعهم مع أهل البيت المالك. لهذا فهو يرى أن تُختار من أولادهم فرقة قوامها ألف وتدرب على طريقة «غلمان البلاط» حتى «يتصلوا بالناس ويعتادوا عليهم ويقوموا بالخدمة مثل الغلمان وتزول بهذا النفرة الموجودة في طباعهم. واذا ما دعت الحاجة فإنه يمكن اختيار خمسة آلاف أو عشرة آلاف منهم ليقوموا بالخدمة على طريقة الغلمان، فترتبط بذلك مصالحهم بمصالح الدولة نفسها ويُحمد الملك

---

(٨٧٣) ابن الأثير الجزء العاشر، ص ١٣٨

(٨٧٤) طبعة شيفير، المتن ص ٦٦، الترجمة ص ٩٩ - ١٠٠.

(٨٧٥) شرحه، المتن ص ٨١؛ أما في الترجمة فيرد المعنى معكوساً (ص ١٢٠).

(٨٧٦) شرحه، المتن ص ٩٤، الترجمة ص ١٣٨.

على هذا ويبلغ الرضا غايته لديهم ». وعلى أية حال فإنه لم يكن من السهولة بمكان تحويل أبناء البراري إلى « غلمان البلاط ». وأشد عسراً من هذا كانت محاولة التوفيق بين مصالح الحضر ومصالح الغزاة الرحّل الذين لم توجد لديهم الرغبة في تبديل أسلوب معيشتهم الرعوية. وكلما ازداد تحول سلاطنتهم من خانات أتراك إلى حكام مستبدين على النمط الايراني، كلما أصبحت المنازعات الناشبة بين هؤلاء البدو وبين أهل الحضر تنتهي بالضرورة الى صالح الحضر. وبهذا وجد الرعاة أنفسهم بين أمرين، إمّا الانتقال إلى أسلوب الحياة الحضرية أو معاناة شظف العيش في بلاد فتحوها بحد السيف.

وأمام هذه الظروف يصبح من السهل أن نفهم أسباب استحالة تحقيق تلك الأهداف التي وضعها نظام الملك نصب عينيه، وأن نفهم أيضاً طبيعة المخاطر التي يمكن أن تنجم عن ظهور أي ضعف في الجهاز الحكومي. وفي عَيْن نظام الملك بدا استفحال نفوذ جماعة الاسماعيلية في عهد ملكشاه(٨٧٧) يشكل خطراً متزايداً، مثلما أخذ يشكل خطراً كبيراً أيضاً تدخل النساء(٨٧٨) اللائي شغلن في المجتمع الرعوي مكانة تختلف عن وضع النساء بين الحضر. كذلك كان بمقدور العاطلين من طبقة عمال الدولة أن يصبحوا من عناصر الاضطراب، ولذا فقد كان من الضروري تحاشي وقوع منصبين أو/أكثر في يد شخص واحد، لأن هذا كان من شأنه أن يقلّل من عدد الذين يشغلون الوظائف الحكومية(٨٧٩). وكان أكثر خطراً من كل هذا في نظر نظام الملك(٨٨٠) فكرة ظهرت في أواخر حكم ملكشاه ترمي إلى ضغط المنصرف على الشؤون العسكرية. فقد نجح أحد رجال الحاشية في اقناع السلطان بأنه بعد أن استتب السلام والأمن فإنه لم تعد هناك حاجة ماسة للاحتفاظ بجيش قائم يضم أربعمائة ألف رجل يتسلمون أرزاقهم دون انقطاع، وأنه من المستطاع انقاص ذلك العدد إلى سبعين ألفاً(٨٨١). ولو استجاب السلطان لتلك الفكرة لكسبت الدولة بذلك ثلاثمائة ألف عدو، ويرى نظام الملك أنه من الأَوْلى أن يزاد عدد الجيش إلى سبعمائة الف لتخضع به آسيا الشرقية وافريقيا وبلاد الروم. كذلك يشتكي

373

---

(٨٧٧) شرحه، المتن ص ١٦٤ - ١٦٥، الترجمة ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

(٨٧٨) شرحه، المتن ص ١٥٦ وما يليها، الترجمة ص ٢٣١ وما يليها.

(٨٧٩) أنظر أعلاه، ص ٣٧٠.

(٨٨٠) طبعة شيفير، المتن ص ١٤٤، الترجمة ص ٢١٣.

(٨٨١) وفقاً للراوندي (طبعة اقبال، ص ١٣١ - ١٣٢) فان عدد الفرسان في حرس السلطان الخاص على عهد ملكشاه لم يتجاوز الستة وأربعين ألفاً.

نظام الملك[٨٨٢] من بخل ملكشاه وبأنه لم يقم المآدب الكبيرة للجيش أسوة بأهل بيته السابقين[٨٨٣]، والرحّل من بين سائر الأمم يضعون الجود والندى في مقدمة فضائل الملوك والرؤساء. ويضرب الوزير مثلاً لذلك بمآدب طغرل، كما يشير أيضاً إلى الأهمية الكبرى لمثل هذه المآدب في دولة القراخانيين وإلى خيبة الأمل التي أصابت سكان ما وراء النهر لأن ملكشاه لم يستضفهم ولو مرة واحدة في أثناء حملته على تلك البلاد.

ونلتقي في دولة القراخانيين بظاهرة أخرى يبدو أنها لم تبلغ في دولة السلاجقة ما بلغته هناك، ألا وهي ظاهرة العداء بين السلطة الزمنية ورجال الدين. وسنشير فيما يلي إلى عدد من الوقائع التي تدل على ما اتصفت به هذه الخصومة من حدّة، وإن كانت مصادرنا لا تعين مع الأسف على إلقاء الضوء على أسباب هذه الخصومة. فالخانات الترك الأوائل كما رأينا غلبت عليهم روح التدين الشديد، رغماً من أنه يجب الاعتراف بأن اهتمامهم وعنايتهم انصرفا إلى الزهاد وأهل التصوف أكثر مما انصرفا إلى الفقهاء من أهل المذاهب. وكمثل لشيخ بلغ بايران درجة عالية من النفوذ نشير إلى الشيخ المشهور أبي سعيد ميهنى الذي أظهر له السلاجقة نهاية التوقير في بداية نضالهم مع الغزنويين، إذا صدّقنا قول مترجمه[٨٨٤]. ويمكن الاستدلال من قصة لعوفي[٨٨٥] على أن الشيخ أبا سعيد لم يعش عيشة الزاهد المتقشف فيما بعد، بل على النقيض من ذلك عاش «عيشة السلاطين» مما جعله يختلف في هذا اختلافاً جوهرياً مع أسلوب عيشة شيخ آخر هو أبو الحسن خرقاني، الذي لم يمنعه تقشفه على أية حال من أن يعترف بأنه من المستطاع «القيام بخدمة المولي تعالى» سواء في الخرق أو في الملبس الفاخر . وقد وقف الشيخ أبو سعيد موقف التسامح هذا نفسه مع من يدرسون/العلوم الدنيوية، فقد جرت له وفقاً لقول حمد الله قزويني[٨٨٦] محادثة مع ابن سينا قال الشيخ بعدها «إن ما أراه يعلمه هو» وقال الفيلسوف «إن ما أعلمه يراه هو». هذه العلاقة بين الشيخ وبين فيلسوف اشتهر ببغض أهل السنة له[٨٨٧]، لأمر جدير بكل اعتبار. ومن الجلي أن غيره من الشيوخ، ممن

374

(٨٨٢) طبعة شيفير، المتن ص ١١٥، الترجمة ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٨٨٣) عن مآدب الب ارسلان، انظر البنداري طبعة هوتسما ص ٤٧.

(٨٨٤) ابن المنوّر، طبعة جكوفسكي، ص ٢٠٦.

(٨٨٥) Teksty, str. 97؛ راجع ابن المنوّر طبعة جكوفسكي ص ١٨٨.

(٨٨٦) Teksty, str. 153 (عن تاريخ كزيده، وغير موجودة في طبعة براون)؛ قارن ابن المنوّر، طبعة جكوفسكي ص ٢٥٢.

(٨٨٧) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٣١٠.

اصطدم بهم القراخانيون، لم تعتد فيهم هذه الروح التواقة إلى السلام وحب الخير.

ولقد عُرف طمغاچ خان ابراهيم بتدينه الشديد، وفقاً لقول ابن الأثير(٨٨٨). وكان أبوه نصر من الزهّاد أصحاب الكرامات(٨٨٩)، بل إن طمغاچ خان نفسه لم يكن يأخذ مالاً من أحد (أي لم يفرض ضرائب جديدة) حتى يستفتي الفقهاء. وقد بلغ من توقيره لرجال الدين أنه لمّا قال له الخطيب أبو شجاع أحد سلالة العلويين «أنت لا تصلح للملك»، أغلق الخان أبواب قصره وعزم على التنازل عن العرش ولكن الأهالي أفلحوا في إقناعه بأن الخطيب أخطأ وأن ألفاظه تتعارض ما يبذله الخان من جهد من أجل رعيته.

وعوفي(٨٩٠) في حكاياته عن طمغاچ خان ابراهيم «الكبير»، يظهره لنا في صورة المثل الأعلى للملك الصالح. وهذه الحكايات تحمل طابعاً خرافياً ولكن يمكن من خلالها أن نتبيّن الفكرة التي كوّنها الشعب عن هذا السلطان الممتاز من جميع الوجوه. كذلك يورد عوفي(٨٩١) قرارات مدوّنة وصلتنا عن هذا الخان، يتضح منها أن القراخانيين كانوا أكثر تحضراً من السلاجقة، وهو أمر طبيعي للغاية لأنهم وقعوا بلا شك في تركستان الشرقية تحت تأثير الحضارة الصينية، وان كان ذلك عن طريق الأويغور على أقل تقدير. وفي الملحمة الشعرية التي تحمل عنوان «قوتادغو بيليك» التي صاغها نظماً في عام ١٠٦٩ رجل من أهالي مدينة بلاساغون نلتقي في اللغة التركية ببعض من ألفاظ الحضارة (مثل لفظ بتيكچي = الكاتب وعامل الدولة)(٨٩٢) التي جرى استعمالها فيما بعد في العصر المغولي أيضاً، وقد استعارها القراخانيون والمغول بلا شك من الأويغور.

وقد اتجهت عناية طمغاچ خان ابراهيم منذ البداية إلى تثبيت قواعد النظام والأمن بأراضيه، فكان أدنى اعتداء على أملاك الغير يلقي جزاء صارماً. وقد حدث ذات مرة أن كتب بعض اللصوص على باب قلعة سمرقند «نحن كالبصلة، كلما نُقطع تكبر رؤوسنا»، فأمر الخان بأن يكتب/تحت ذلك «وأنا كالبستاني، كلما ارتفع لكم رأس اجتثثته». وفي إحدى المرات قال لأحد خواصه «منذ مدة وأنا قد استللت سيف

375

(٨٨٨) شرحه، ص ٢١١ - ٢١٢.

(٨٨٩) أنظر أيضاً الحكايات عن نصر التي سجلها جمال قرشي (Teksty, str. 133 - 135)

(٨٩٠) شرحه، ص ٨٤ - ٨٧.

(٨٩١) شرحه، ص ٨٧.

(٨٩٢) من الأفضل مراجعة دورفر عن أصل هذه الكلمة، أنظر (Doerfer, II, 262-267, Nos. 717-718)

النقمة من غمد الانتقام فقتلت رجالاً أفاضل وشباباً زيناً. واليوم أنا محتاج إلى مثل هؤلاء الرجال لأنه وصل إليّ أن أهل كوكر وبَاتِك[٨٩٣] قد عصفت بهم ريح الخلاف ونوواشق عصا الطاعة، فأنا الآن في حاجة إلى رجال من أهل العمل خاصة وأني عرفت قدرهم في هذه اللحظة. لذا فيجب أن تبحث لي عن أحد زعماء العصابات التي عملت فيما مضى بقطع الطريق حتى أسبغ عليه من عطفي وعفوي وحتى يجمع لي رجالاً من أهل العمل». وكان بالمدينة رجل اشتغل من قبل بزعامة اللصوص وقطّاع الطرق ولكنه أعلن توبته أيام شدة السلطان وأصبح يعيش هو وأبناؤه الأربعة من عرق جبينهم. فأُحضروا أمام الخان الذي جعله سيّافه الأول (جاندار)[٨٩٤] وخلع عليه وعلى أبنائه الأربعة. وبأمر من الخان جمع له هذا الرجل ثلاثمائة رجل لم يكن منهم أحد من قبل إلاّ لصّاً أو قاطع طريق، فجعلهم الخان في خدمته وأمر بأن تُوزّع الخلع عليهم أيضاً، فأُخذوا واحداً بعد الآخر إلى الغرفة التي كانت تحفظ بها الخلع وكساوي الشرف ومن تلك الغرفة أُخذوا إلى غرفة أخرى وهناك أُلقي عليهم القبض أجمعين الواحد تلو الآخر، كما تم القبض على رئيس اللصوص هو وأبناؤه الأربعة، ثم أعدموا جميعاً. ولم يحدث أن شهدت سمرقند من قبل مثل هذه الشدة، ودخل اللصوص وقطّاع الطرق حال من الفزع والرهبة لم يفتقد معها أحد من الناس درهماً بعد ذلك. وتفاصيل هذه القصة تحمل على الافتراض بأن الأمر يتصل باجراءات اتخذت ضد تلك الفئة من الشعب التي كان يخرج من صفوفها في عهد آخر جماعة «المطّوعة».

ولم يكتف الخان بحماية مصالح الشعب الكادح ضد السرقة والاعتداء على الممتلكات فحسب، بل وضد جشع التجار أيضاً. ففي ذات مرة اشتكي إليه القصّابون من أن أسعار اللحم ضئيلة بدرجة لا يربحون معها شيئاً، والتمسوا منه رفعها عارضين في مقابل ذلك دفع ألف دينار إلى الخزينة. فقبل الخان وأحضر القصابون المال إلى الخزينة ورفعوا أسعار اللحم، وعند ذلك منع السلطان الناس من شراء اللحم مهدداً إياهم بعقوبة الموت. فتعرض القصابون لخسائر فادحة، وفي كل حي من أحياء المدينة اشترك خمسة أو ستة من الرجال في شراء رأس من الضان فاقتسموا لحمه بينهم. وانتهى الأمر بأن اضطر

---

(٨٩٣) ورد في الأصل: كوكر وباتك؛ والأول غير معروف البتة، أما الثاني فلعله اسم قرية بتك (راجع أعلاه ص١٦٧).

(٨٩٤) يرد لفظ «جاندار» غير مرة، وهو يستعمل فيما يظهر في نفس معنى «صاحب حرس» (أنظر أعلاه ص ٣٥٥ - ٣٥٦).

القصابون مرة أخرى إلى دفع مبلغ من المال، ولكن بغرض إرجاع الأسعار إلى ما كانت عليه. وقال الخان في هذا الشأن: «لا يجوز أن أبيع جميع رعيتي بألف دينار».

376 ولا علم لنا بالأسباب التي حملت هذا الخان التقيّ/على الإصطدام برجال الدين، وأن يأمر بقتل أحد المشايخ وهو الإمام أبو القاسم السمرقندي[٨٩٥]. ولا نعلم عن حياة هذا الإمام إلاّ الحكاية الموجودة في «كتاب ملاّزاده» (أنظر أعلاه ص ١٣٧)، وهي مروية على لسان أبي القاسم نفسه[٨٩٦]. فيقال إن الامام خلال أدائه لفريضة الحج اختلى في غار حراء الذي كان يختلي فيه النبي ﷺ، وفي أثناء هذه الخلوة دعى الله أن يمنحه السعادة والإقبال وأن يجعله من عباده الصالحين. فسمع هاتفاً ينادي «إن السعادة التي نمنحها للآدميين إنّما تقوم على ثلاثة أوجه أولها النبوّة وثانيها الشهادة وثالثها الفقر. وبما أن باب النبوّة قد أوصد فعليك أن تختار بين الشهادة والفقر». فاختار الامام الشهادة «لأنني كنت أعلم أن تحمّل الفقر يحتاج إلى أخلاق كأخلاق المصطفى عليه السلام». وإذا ما أخذنا بقول عوفي[٨٩٧] فإن قتل الإمام قد أثار على الخان سخط الرعية وعداءها، ولكن يبدو من رواية ابن الأثير التي سبقت قبل قليل أنه في ساعة العداء بين الخان ورجال الدين أخذ الشعب جانب السلطان.

وغارات سلاطنة السلاجقة على بلاد ما وراء النهر بدأت منذ عهد طمغاچ خان ابراهيم. وكان القسم الشرقي من امبراطورية السلاجقة قد وقع عقب وفاة داود في يد ابنه الب ارسلان، الذي اضطلع في عام ١٠٦٤ بحملة شاقة على الختّل وصغانيان. وبعد أن فقد الغزنويون بلخ وترمذ كان من الضروري أن تخضع هذه الولايات للسلاجقة أيضاً، وقد أشعل حكامها نار ثورة لم يستطع الب ارسلان إخمادها إلاّ بعد عناء شدبد اضطر معه أن يجعل من نفسه قدوة لعسكره في اقتحام قلاع جبلية منيعة[٨٩٨]. وفي العام

---

(٨٩٥) يجب عدم الخلط بينه وبين شخص آخر يحمل نفس الاسم وكان يعيش في عهد السامانيين Teksty, str. 50 (نسفي)؛و Jukovski, K istorii persidskoi literatury, str. 05. وهناك ابو القاسم السمرقندي ثالث آخر، ونقصد بذلك الامام نصر الدين الذي جاء الى بلخ من سمرقند عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١. ويرد ذكره لدى مؤلف «بحر الأسرار في مناقب الأخيار» الذي دون كتابه ببخارا حوالي عام ١٦٤٠ (مخطوطة مكتبة مكتب الهند India Office Library رقم ٥٧٥ في الفهرست الجديد و١٤٩٦ في القديم، الورقات ٤٢٩ ب - ٣٣٠ ب؛ ويقدم لنا المؤلف كذلك وصفاً وافياً لخطط بلخ).

(٨٩٦) Teksty, str. 170

(٨٩٧) شرحه، ص ٨٥.

(٨٩٨) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ٢٢.

التالي لهذا وهو عام ١٠٦٥ خرج الب ارسلان من خوارزم في حملة على جند وسوران (وفقاً لميرخواند في الشتاء، انظر أعلاه ص٤٤٢)، فأعلن حاكم هذه المدينة الطاعة وبقي حاكماً على مقاطعته(٨٩٩). ومن قبل هذا قام الب ارسلان بهجوم على أراضي طمغاچ خان ابراهيم، فأرسل هذا سفارة إلى بغداد في عام ١٠٦١ يشكو إلى الخليفة أفعال السلطان السلجوقي. ولم يكن بوسع الخليفة إلاّ أن يقدّم الخلع والألقاب إلى الخان(٩٠٠)؛ 377 ونعلم من السكة التي تم العثور عليها(٩٠١) أنه إلى جانب الألقاب التي سبق ذكرها قبل قليل (ص ٤٥٠) فإن الخان حمل أيضاً ألقاب «عز الأمة» و«كهف المسلمين»(٩٠٢) و«مؤيد العدل»(٩٠٣).

وقد تنازل الخان وهو على قيد الحياة عن العرش لابنه شمس الملك، فلم يلبث أخوه شعيث(٩٠٤) أن أشعل نار الثورة ضده. وكانت سمرقند مسرح القتال بين الأخوين، ويزيد عليها مكمل نرشخي بخارا أيضاً. وقد حدث هذا في نفس العام الذي توفي فيه والدهم (١٠٦٨) وانتهى الأمر في صالح شمس الملك. وفي عهد حكمه ظلت الحرب دائرة مع السلاجقة، ففي خريف عام ١٠٧٢ قام الب ارسلان بحملة على ما وراء النهر في جيش لجب (مائتا الف رجل)، ولكن الحملة توقفت منذ البداية بسبب موت الب ارسلان الذي خر صريعاً من طعنة خنجر سددها إليه صاحب إحدى القلاع، وكان قد وقع في أسر السلطان فأمر بقتله. وفي شتاء نفس ذلك العام استولى شمس الملك على ترمذ ودخل بجيشه بلخ، وكان حاكمها اياز (ابن الب ارسلان) قد غادرها قبل ذلك. وفي طريق عودته منها هاجم بعض الأهالي فرقة من جنده الاتراك، فأمر شمس الملك بإحراق المدينة، ولكنه لم يلبث أن استجاب لتوسلات السكان ورضي بأموال يدفعها إليه

---

(٨٩٩) شرحه، ص ٣٣؛و Sachau, Zur Geschichte, II, S, 29

(٩٠٠) ابن الأثير، الجزء التاسع، ص ٢١٢.

(٩٠١) Markov, Inventarny katalog, str. 265

(٩٠٢) (وردت سهواً لدى بارتولد في صورة «كعب» بدلا من «كهف»؛ وقد صححها ناقل هذا الكتاب في بحث خاص له، S.O. Hashim, «Les Titres exacts d'un Khan de la Transoxiane», TURCICA, T. VIII, 2, 1976, PP. 9-15؛ هذا وقد ارتأينا أن نورد هذا المقال بنصه الكامل في صورة ملحق لترجمتنا هذه لمصنف بارتولد - المترجم).

(٩٠٣) شرحه.

(٩٠٤) اعتمادا على السكة فانه يجب قراءتها «شعيث» بدلا من «سيفس» الواردة في المتن المطبوع لمصنف نرشخي (طبعة شيفير، ص ٤٩). ويدعو ابن الأثير (الجزء التاسع، ص ٢١٢) هذا الأمير طغان خان. ويبدو ان اللقب طغان تكين يرد في إحدى مسكوكات شعيث.

التجار. وفي يناير عام ١٠٧٣ رجع اياز إلى بلخ، وفي ٦ مارس قام بهجوم على ترمذ ولكن لم يحالفه التوفيق وغرق أكثر عسكره في النهر(٩٠٥). وفي نهاية العام نفسه، أو في بداية العام الذي تلاه استسلمت ترمذ التي كان يحكمها أخو شمس الملك للسلطان ملكشاه الذي استقبل الأمير بالحفاوة وصرفه محمّلاً بالهدايا. ومن ترمذ تحرك ملكشاه على سمرقند فأرسل شمس الملك يطلب الصلح ويلتمس وساطة نظام الملك، فقبل السلطان ورجع إلى خراسان(٩٠٦). ويحدثنا ابن الأثير(٩٠٧) أيضاً عن نزاع نشب بين شمس الملك وابني قدرخان يوسف وهما طغرل قراخان يوسف وبغراخان هارون، انتهى بصلح ينص على أن تكون خجند هي الحد الفاصل بين أملاك شمس الملك وخانات تركستان. ومعنى هذا فيما يبدو تنازل شمس الملك عن فرغانه وعن أراضي ما وراء النهر الواقعة وراء نهر سيردريا، ومما يؤكد هذا أن السكة أخذت تضرب في كل من مرغينان واخسيكث باسم طغرل قراخان وابنه طغرل تكين،/بينما كانت سكة اخسيكث وتونكث تحمل قبل ذلك 378 اسم ابراهيم وأسماء أبنائه(٩٠٨).

هذا وقد نال شمس الملك الشهرة كحاكم عادل شأنه أبيه، وظل يعيش في البادية كبقية الرحّل، فيما عدا فصل الشتاء الذي كان يمضيه مع جيشه قرب بخارا مشترطاً على جنده ألاّ يغادروا خيامهم وألاّ يمدوا أيديهم بسوء نحو الأهالي، ولم يكن أحد من عسكره ليجرؤ على البقاء بالمدينة بعد مغيب الشمس(٩٠٩). وبالرغم من أسلوب حياتهم الرعوي فإن القراخانيين قد اضطلعوا بواجبهم كملوك، الأمر الذي يتضح من «تزيينهم المدن بالعمارات العالية الجميلة وإقامة الرباطات على الطرق الكبرى الخ» (راجع أعلاه ص ٣٥٤). وليست هناك إشارة في المراجع الموجودة بين أيدينا إلى أية أبنية شيدها طمغاج خان ابراهيم، غير أن سميّه طمغاج خان ابراهيم بن الحسين ابتنى قصراً نفيساً بسمرقند في محلة كرجمين (أنظر ص ١٨١) ليخلّد ذكره بين الناس كما خلّدت منارة الاسكندرية اسم الاسكندر المقدوني وايوان كسرى اسم كسرى انو شروان(٩١٠). ومن المباني التي

---

(٩٠٥) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ٤٩ - ٥٣.

(٩٠٦) شرحه، الجزء العاشر، ص ٦٣ - ٦٤.

(٩٠٧) شرحه، الجزء التاسع، ص ٢١٢.

(٩٠٨) Markov, Inventarny katalog, str. 263-272

(٩٠٩) Teksty, str. 85 (عوفي).

(٩١٠) شرحه، ص ٨٧. وكانت هذه أيضاً أهداف الب ارسلان من الأبنية التي شيدها (البنداري، طبعة هوتسما، ص ٤٧).

شيّدها شمس الملك نال شهرة خاصة رباط ملك الذي بُنى عام ٤٧١ هـ = ١٠٧٨-١٠٧٩ قرب قرية خرجنك (أنظر اعلاه ص ٣٨٠، حاشية ٥٠٣). وثمة رباط آخر شيده شمس الملك بمحلة آق كتل الواقعة على الطريق بين سمرقند وخجند، حيث وجدت مقبرته على ما ترويه بعض الروايات[٩١١]. ويرجع إلى شمس الملك أيضاً تشييد قصر شمساباد (قرب بخارا)، وبناء المسجد الجامع ببخارا (ص ٢٠٣-٢٠٤). هذا وقد ظلت الخصومة بين الحكومة ورجال الدين مستعرة في عهد شمس الملك أيضاً، ففي بداية حكمه في عام ٤٦١ هـ = ١٠٦٩ أُعدم الإمام أبو ابراهيم بن اسماعيل بن أبي نصر الصفّار ببخارا، ويروي السمعاني ذلك بقوله: «وكان إماما فاضلاً قوّالاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، قتله الخاقان نصر بن ابراهيم المعروف بشمس الملك ببخارا صبراً لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر»[٩١٢].

وفي عام ١٠٨٠ خلف شمس الملك أخوه الخضر الذي لا نكاد نعلم شيئاً عن فترة حكمه، بل إننا لا نلتقي بعام وفاته في أي من المصادر. ووفقاً لقول مؤلف من القرن 379 الثاني عشر وهو نظامي عروضي/سمرقندي[٩١٣] فإن المملكة قد بلغت في عهده أقصى درجات الرخاء، وامتد سلطانه على جميع ما وراء النهر وتركستان (؟) وأمن جانب خراسان بمعاهدات دائمة، وقد اتصف حكمه بالعدل وكان راعياً للشعراء. ويروي المؤلف نفسه أنه كان من عادة الملك ووجهاء مملكته بما وراء النهر أن يضعوا في أبهاء قصورهم أطباقاً مليئة بالذهب والفضة، وكان بقصر قدر خان أربعة أطباق من هذا النوع في كل واحد منها مائتان وخمسون ديناراً، وقد حدث ذات مرة أن كانت جميع هذه الأطباق من نصيب شاعر واحد. وكان السلطان حين يركب يتقدم حصانه سبعمائة صولجان من الذهب والفضة بخلاف الأسلحة الأخرى.

---

(٩١١) Teksty, str. 132 (جمال قرشي) وص ١٦٨ و١٧٢ (كتاب ملاّ زاده). ويرد ذكر رباط ملك أيضاً في «عبد الله نامه» (من تصنيف حافظ تنيش) (مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقات ٢٢٠ أ - ٢٢٠ ب) على مرحلة الى الشمال من جيزك.

(٩١٢) Teksty, str. 62 (السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ «الصفّار» الورقة ٣٥٣ ب، حيث ترد القراءة «قبله» خطأ في محل «قتله»). ومن بين أصحاب النفوذ الكبير من رجال الدين في فترة حكمه يرد اسم واعظ من بلخ هو زين الصالحين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشوماني استاذ شمس الملك (Teksty, str. 61؛ أنظر طبعة مرجليوث تحت لفظ «الشوماني»، الورقة ٣٤١ أ).

(٩١٣) چهار مقاله، طبعة **قزويني**، ص ٤٦ وما يليها؛ ترجمة براون ص ٥٢ وما يليها.

وفي عهد حكم أحمد[٩١٤]، وهو ابن الخضر وخلفه، أدى العداء بين الخان ورجال الدين إلى تدخل السلاجقة. ففي أول عهد أحمد تم إعدام الوزير أبي أحمد نصر بن سليمان الكاساني الذي كان قاضياً للقضاة في عهد الخضر؛ ووفقاً لقول السمعاني[٩١٥] فإنه لم يكن محمود السيرة في ولايته. ويقول ابن الأثير[٩١٦] إن الحاكم الشاب كان ظالماً، ولذا فقد التمس الفقيه الشافعي أبو طاهر بن ايلك العون من ملكشاه باسم المظلومين. وقد استولى ملكشاه على بخارا عام ١٠٨٩، ثم حاصر سمرقند ولكنه قوبل بمقاومة شديدة رغماً من أن الأهالي على حد قول ابن الأثير كانوا يزوّدون الجيش السلجوقي بالمؤن أثناء حصاره لقلعة سمرقند. وقد أوكل الخان إلى كل أمير من أمرائه الدفاع عن أحد أبراج المدينة، وكان لأحد هؤلاء الامراء وهو من العلويين (أي ممن يمثلون مصالح رجال الدين) ابن أخذ أسيراً ببخارا فهدد ملكشاه بقتله، لذا فقد تقاعس الأب في الدفاع عن البرج الذي أُوكل إليه ومكّن للسلاجقة من أخذه. ووقعت سمرقند في قبضتهم، فاختبأ أحمد في منزل بعض الأهالي حيث عثر عليه واقتيد أمام السلطان والحبل حول عنقه فأرسله السلطان إلى اصفهان. ومن سمرقند تابع ملكشاه زحفه حتى بلغ اوزكند وهناك استدعى خان كاشغر فظهر أمامه وقدم فروض الطاعة وجعل الخطبة باسم السلطان وسك النقود أيضاً باسمه[٩١٧]. ورجع السلطان إلى خراسان تاركاً نائبه بسمرقند.

380 وما كاد السلطان يغادر ما وراء النهر حتى تجددت بها الاضطرابات. فالعسكر من قبيلة الجكل[٩١٨] الذين كانوا نواة جيش القراخانيين سخطوا على السلطان لبخله وأنه لم

---

(٩١٤) يرد اسمه على أنه سليمان في المتن المطبوع (محمد اقبال) لكتاب «راحة الصدور» للراوندي (ص ١٣٠). واقتراح الناشر ان اسمه الحقيقي هو سليمان بن أحمد لا يستند على أي أساس.

(٩١٥) Teksty, str. 64 (السمعاني؛ وطبعة مرجليوث تحت لفظ «الكاساني»، الورقة ٤٧١ أ - ٤٧١ ب).

(٩١٦) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ١١٢ وما يليها.

(٩١٧) يروي البنداري (طبعة هوتسما، ص ٥٥) هذه الأحداث بصورة مخالفة. وهو يقول ان الزحف على اوزكند حدث بعد عام من الحملة على سمرقند، وأن ملكشاه قد ساق ملك الترك كما ساق خان سمرقند الى اصفهان ولكنه لم يلبث بالتالي أن أعادهما الاثنين الى عرشيهما.

(٩١٨) ليس هناك ما يبرر محاولة شيفير (سياستنامه، الترجمة ص ١٣٢) أن يرى في هذا اللفظ «جلكه» (وهي لفظ فارسي يعني الولاية أو المقاطعة)؛ كما أنه ليس من الحقيقة في شيء أن ينسب الى ابن الأثير القول بأن الجكلية هم سكان سمرقند، بينما يبدو واضحا من متنه ان الألفاظ «المعروفين بالجكلية» انما ترجع الى اللفظ «عسكرهم». ولا يوجد أدنى شك في أنه يجب قراءتها «جكلية» و«جكليان»، وليس «جلكية» و«جلكيان». أما عن مساكن جكل الأولى فراجع Bartold, Ocherk istorii =

يُقِم لهم خلال وجوده بما وراء النهر أية مآدب[٩١٩] (من الجلي إذن أنهم دخلوا في خدمة ملكشاه)، وقد اضطرت ثورتهم نائب ملكشاه إلى الانسحاب إلى خوارزم. عند ذلك كاتب عين الدولة مقدم الجكلية يعقوب تكين حاكم مدينة اتباش وأخا خان كاشغر ليحضر من يدي صو إلى سمرقند. وقد بدأ يعقوب حكمه بأن قتل عين الدولة، الأمر الذي أثار عليه بطبيعة الحال حنق الجكلية. وما كاد ملكشاه يدخل بخارا حتى هرب يعقوب عن طريق فرغانه إلى آتباش، وانضم جيشه بطواويس إلى جيش ملكشاه الذي احتل سمرقند للمرة الثانية وترك عليها أحد أمرائه ثم تابع سيره حتى بلغ اوزكند للمرة الثانية أيضاً. وقد قضت الخصومات الداخلية بين خانات تركستان[٩٢٠] على كل خطر من جانبهم، مما مكّن ملكشاه من العودة إلى خراسان بسلام.

وغير معروفة الأسباب التي دفعت ملكشاه ليعيد العرش بعد هذا بقليل إلى أحمد، وعلى أية حال فإن حكم أحمد لم يدم طويلاً إذ أنه قُتل في بداية عام ١٠٩٥ نتيجة لنزاعه مع رجال الدين. وقصة ذلك هي أن الخان أثناء وجوده بايران كان قد دخل في علاقات مع ملاحدة الديلم، فلمّا رجع إلى ما وراء النهر وُجّهت إليه تهمة الإلحاد ونشر الفقهاء وقضاة سمرقند فتوى بين جنده يطالبون فيها بعزله وقتله. وكان أحمد يتمتع بشعبية عريضة في العاصمة حتى أنه كان من المستحيل أن تشعل نار الثورة عليه، ولذا فقد اقنع الحزب العسكري مستحفظ قلعة كاسان المدعو طغرل ينال بيك بأن يعلن العصيان على الحكومة. فلما اقترب أحمد من المدينة بجيشه ثار قواده وقبضوا عليه وعادوا إلى سمرقند. وهناك أُحضر الخان المعزول أمام محكمة من الفقهاء أفتت بإدانته على رغم دفعه للتهمة، ثم حُكم عليه بالإعدام وجرى تنفيذ الحكم بخنقه بقوس[٩٢١]. وهذا الحادث يجب أن يُعدّ كأقصى ما بلغه نفوذ طبقة رجال الدين في حلفها مع طبقة العسكريين ضد الحكومة/والكتل الشعبية. أما فيما يتصل ببقية أحداث عهد أحمد فلا نعلم عنها سوى 381

= Semirechia, str. 90؛ ومن الواضح ان الجكل إنما دخلوا ما وراء النهر في صحبة القراخانيين. ويرد في « ديوان لغات الترك » لمحمود الكاشغري (الجزء الاول، ص ٣٣٠) أن التركمان يطلقون اسم جكل على كل الأتراك الشرقيين. (كما بين پليو فان لفظ « جلكه » نفسها مغولية الأصل).

(٩١٩) نظام الملك، طبعة شيفير، المتن ص ١١٥، الترجمة ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٩٢٠) Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str. 99

(٩٢١) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ١٦٥ - ١٦٦؛ نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٣٦ - ٢٣٧. [خنق الخان في ٢٥ يونيو ١٠٩٥ (أنظر مقال أحمد آتش A. Ates, «Tarcuman al-balaga, das frühste neupersische Werk über rhetorische Figuren», Oriens, I, 1948, 56-57 n.) - مينورسكي].

تخريب مدينة شمساباد التي كانت لا تزال قائمة في عهد الخضر وأنه عقب رجوعه من ايران ابتنى لنفسه قصراً جديداً نفيساً في جويبار، ويغلب على الظن أن المراد بهذا هو الموضع المعروف باسم «جويبار (قناة) أبي ابراهيم» (أنظر ص ١٩٩). وقد ظل هذا القصر مقراً للخانات مدة ثلاثين عاماً[٩٢٢].

وأجلس الثوار على العرش مسعود خان ابن عم القتيل، وفي عام ١٠٩٧ خضعت البلاد لابن ملكشاه الأكبر وهو السلطان برقياروق[٩٢٣]، الذي عين على التوالي سليمان تكين فمحمود تكين فهارون تكين حكاماً على البلاد[٩٢٤]. والأول منهم وحده هو المعروف لنا أصله على وجه الدقة، فهو ابن داود كوچ تكين وحفيد طمغاچ خان ابراهيم[٩٢٥]. وفي أول القرن الثاني عشر تعرضت ما وراء النهر لغزو جديد من تركستان على يد القراخانيين، ولم يكتف قدر خان[٩٢٦] جبرئيل حفيد بغراخان محمد (أنظر ص ٤٣٨) باحتلال بلاد ما وراء النهر وحدها بل تقدم في عام ١١٠٢ صوب أملاك السلاجقة. ورغماً من استيلائه على ترمذ فقد هُزم فيما بعد وقتل في معركة ضد السلطان سنجر[٩٢٧]، غير بعيد من تلك المدينة وذلك في الثاني والعشرين من يونيو. وقد أحضر السلطان من مرو ابناً لسليمان تكين اسمه محمد تكين كان قد التجأ الى خراسان عندما غزا قدرخان ما وراء النهر[٩٢٨]، فملّكه البلاد. واتخذ محمد تكين لقب ارسلان خان وظل يحكم المنطقة حتى عام ١١٣٠.

---

(٩٢٢) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٨.

(٩٢٣) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ١٨١.

(٩٢٤) البنداري، طبعة هوتسما، ص ٢٥٨ - ٢٥٩. ولعل محمود تكين هو نفس محمود خان الوارد لدى ابن الأثير (الجزء التاسع، ص ٢١٣)، الذي يضيف ان هذا الخان كان أصما. ويقول ابن الأثير ان محموداً هذا كان الخلف المباشر لأحمد وحفيداً لأحد الملوك السابقين؛ كذلك يذكر مسعوداً في موضع آخر (الجزء العاشر، ص ١٦٦).

(٩٢٥) النسب الصحيح لدى جمال قرشي (أنظر Teksty, str.132). ويظهر اسم داود كوچ تكين على بعض النقود التي سكت أيام حكم أبيه (Markov, Inventarny katalog, str. 266).

(٩٢٦) يدعوه ابن الأثير في موضع آخر طغان تكين (الجزء التاسع، ص ٢١٣) ويقول ان ابا المعالي محمد بن زيد البغدادي من أولاد علي قد حكم بسمرقند باسم طغان خان ولكنه لم يلبث أن رفع راية العصيان بعد ثلاثة أعوام؛ ثم استولى طغان خان على المدينة وقتل البغدادي مع عدد من الناس. ويمكن أن يستنتج من هذا ان التركستانيين قد احتلوا ما وراء النهر بمعونة رجال الدين، ولكن أصطدموا بهم بالتالي.

(٩٢٧) وفقاً للبنداري فانه أسر وهو يصطاد (طبعة هوتسما، ص ٢٦٢).

(٩٢٨) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ٢٣٩ - ٢٤١؛ Teksty, str. 84 (عوفي). ووفقاً لكتاب ملاّ زاده (Teksty, str. 172) فان ارسلان خان قد ولد بقرية مسُوس (أو مسوس) من أعمال مرو (راجع =

382 وفي بداية حكمه اضطر ارسلان خان إلى مقاتلة/أحد الأمراء العصاة وهو ساغر بك الذي ينحدر أيضاً من صلب القراخانيين، على حد قول ابن الأثير[٩٢٩]. وكانت أولى ثورات ساغر بك في عام ١١٠٣، وأسرع سنجر إلى مناصرة صنيعه وتوسط لعقد السلام بين الخصمين، ثم رجع إلى مرو في ديسمبر من العام نفسه. وفي عام ٥٠٣ هـ = ١١٠٩ أشعل ساغر بك نار ثورة أخرى، ولكن ارسلان تمكن من كسر شوكة الثوار قرب نخشب بمعاونة عسكر سنجر[٩٣٠]. ثم ما لبثت البلاد بعد هذا أن تمتعت بالسلام والطمأنينة لفترة امتدت لعشرين عاماً. وقد اشتهر ارسلان خان أكثر من غيره من القراخانيين بعماراته العديدة، ولقد أشرنا فيما مر من هذا الكتاب إلى عدد منها كإعادته بناء قلعة بخارا (ص ١٩٥)، وترميمه أسوار المدينة (ص١٩٨)، وتشييده في عام ١١١٩ موضعاً لصلاة العيد في موضع أطلال شمساباد، وبناء مسجد جامع فاخر عام ١١٢١ (ص ٢٠٠)، وتشييد قصرين أصبح أحدهما مدرسة فيما بعد (ص ٢٠٦-٢٠٩)، وإعادة بناء مدينة بيكند (ص ٢١٢)، وزيادة على هذا نقلت منارة المسجد الجامع القريب من القلعة إلى الشهرستان وأُعيد ترميمها بصورة أفضل من ذي قبل، غير أنه بعد قليل من اتمام العمل بها تهاوى البناء وتداعى معه ثلث المسجد الجامع فأمر ارسلان خان بإعادة بناء المنارة بأكملها على نفقته[٩٣١]، ويرجع صاحب «كتاب مُلاّزاده»[٩٣٢] بتاريخ بناء المنارة إلى عام ١١٢٧. ومما يقف دليلاً على شدة تديّن ارسلان خان ليست هي عماراته وحروبه ضد الكفار[٩٣٣] (الأرجح

= (Jukovski, Razv. Star. Merva, str. 43. وبحسب قول عوفي ومؤلف كتاب ملاّ زاده فان ارسلان خان حمل أيضاً لقب طمغاج خان.

(٩٢٩) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ٢٤١ و٢٥٢. وترد الكتابة «هاغو» و«ساغو» أيضا في مخطوطات مصنف ابن الأثير؛ راجع نرشخي، ص ٢٤٠.

(٩٣٠) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ٣٣٥. وفي نفس العام (٥٠٣) انتشرت الإشاعة بأن السلطان سنجر قد انتصر على قوم من الكفار (قوم كافر) قرب نهر جيحون (ابن القلانسي) (ص ١٦٨).

(٩٣١) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٤٩ - ٥٠. ولا تزال المنارة قائمة الى اليوم.

(٩٣٢) Teksty, str. 172

(٩٣٣) وفقاً للبنداري (طبعة هوتسما، ص ٢٦٤) فان ارسلان خان (وهو يدعوه أحمدا، انظر ما يلي) كان لديه اثنا عشر الف من المماليك الأتراك يصحبونه في حروبه المستمرة ضد كفار الترك وانه قطع ببلادهم مسافات أخذت رحلتها ثلاثة أشهر. راجع رواية ابن الأثير (الجزء العاشر، ص ٥٥ وما يليها) عن حملات ارسلان خان، والتي ينقل عنها ماركفارت (Komanen, S.164 sq.) حيث ترد الاشارة الى الجزء الثاني عشر وعام ٥٥٢ هـ سهواً). ويرد القول بأن ارسلان خان كان طوع أوامره ستة عشر الف خيمة من «الأتراك الخطا»، كانت مهمتهم حماية الحدود بين بلاده وبلاد الصين. ويستنتج ماركفارت =

ان المقصود بهم القپچاق) فحسب، بل وأيضاً علاقته الشخصية مع الزاهد الحسن بن يوسف/البخاري الساماني الذي حمل لقب « نمد پوش » (صاحب الصوف). وقد عاش هذا 383 الشيخ ثلاثين عاماً في زاويته ببخارا يقتات على الخضر فقط، ولم يمتنع ببخارا عن أكل ذات الروح بجانبه إلاّ شيخ واحد هو أبو بكر الكلاّباذي. وكان ارسلان خان يدعو نمد بوش « أباه »، وقد استطاع بمعاونة هذا الزاهد أن يطهّر بخارا من « أهل الإباحة والبدع ». ويُحكى أنه عمل على طرد كل صوفي يشرب الماء جهرة في السوق من المدينة لأن مراعاة قواعد الأدب كانت في رأيه أُولى مقدمة واجبات الصوفي. وقد لقي الشيخ حتفه في عام ٥٠٩ هـ = ١١١٥-١١١٦ من سهم رماه به أحد « أهل الإباحة »(٩٣٤).

وبالرغم من هذا فإن النزاع مع رجال الدين لم يتوقف طيلة مدة حكمه هو أيضاً. وكان للإمام الصفّار الذي قُتل في عهد شمس الملك (ص ٤٦٤) ابن اسمه ابو اسحق ابراهيم بن اسماعيل، خرج كأبيه « في اجتناب المداهنة وقمع السلاطين وقهر الملوك » حتى أخذه السلطان سنجر معه إلى مرو وأسكنه فيها لمصلحة السلام بما وراء النهر(٩٣٥). وأصيب ارسلان خان في أواخر سني حياته بالفالج فاضطر إلى إشراك ابنه نصر في الحكم، وحيكت ضد الحاكم الشاب مؤامرة على رأسها اثنان هما الفقيه المدرس اشرف بن محمد السمرقندي من نسل العلويين وكان رأس رجال الدين بالمدينة، والآخر هو رئيس مدينة سمرقند. ففي إحدى الليالي وفي غيبة ارسلان خان اغتيل نصر(٩٣٦)، فاستغاث أبوه بسنجر واستدعى في ذات الوقت ابنه الآخر أحمد(٩٣٧). وخرج الفقيه والرئيس لاستقباله فأمر الخان الشاب بالقبض عليهما وبقتل الفقيه في الحال. ووفقاً لإحدى روايات

= من هذا أن هؤلاء المرتزقة هم الذين بنوا مدينة ايميل (قرب چوغوچاق Chuguchak الحالية)، لا القراخطاي الذين جاءوا من الصين مع الكورخان (أنظر ما يلي من الكتاب). هذا الرأي مغلوط دون شك، ذلك أنه لا يمكن أن نتصور أن سلطان خان سمرقند قد امتد وقتا ما كل هذه المسافات صوب الشمال.

(٩٣٤) Teksty, str. 170-171 (كتاب ملاّ زاده).

(٩٣٥) شرحه، ص ٦٢ (السمعاني، طبعة مرجليوث، تحت لفظ « الصفّار »، الورقة ٣٥٣ ب).

(٩٣٦) يرد في موضع من ابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ٥٤) أن نصرا نفسه قد اشترك في المؤامرة وقتل بأمر من أبيه.

(٩٣٧) لا يذكر ابن الأثير اسم هذا الأمير، وإن كان من المحتمل أن ننسب إليه النقود التي تحمل اسم قدر خان أحمد (Markov,Invent.katalog,str.275-276)؛ ومما يؤكد هذا أن الراوندي (شطرة منه لدى شيفير، Schefer, Nouveaux mélanges orientaux, p. 32 وطبعة محمد اقبال، ص ١٦٩) والبنداري (طبعة هوتسما، ص ٢٦٤) يدعوان ملك سمرقند أحمدا ويخلطان بينه وبين ارسلان خان.

ابن الأثير[٩٣٨] فإن السلام قد استتب عقب ذلك ولم تعد ثمة حاجة لعون سنجر ، فندم ارسلان خان على استنجاده بالسلطان. وفي موضع آخر من مصنفه يذكر هذا المؤرخ[٩٣٩] أن سنجر هزم القارلوق («القارلغية») الذين انتقضوا على الخان. ومهما يكن من شيء فقد نشب العداء بين السلطان الذي كان جيشه قد دخل آنذاك ما وراء النهر وبين حاكم البلاد ، وبينما سنجر يوماً في الصيد اذ رأى اثني عشر رجلاً مدجّجين بالسلاح فقُبض عليهم وأقرّوا أن محمداً خان أرسلهم/لقتل السلطان. فألقى سنجر الحصار على سمرقند ، 384 ولكن رجال الدين كتبوا إليه يشفعون لأميرهم وذلك فيما يغلب على الظن بإيعاز من الخان نفسه. وقد وصل إلينا المكتوب الذي أُرسل باسم سنجر إلى «الأئمة والقضاة والأعيان» بسمرقند رداً على مكتوبهم ذلك. وفيه يعرب السلطان عن دهشته من أن رجال الدين «يتابعون رجلاً أخزاه الله عز وجل ولم يبق في يده شيء من أداة الحكم ومادته ، وحرمه الله تعالى من عطفه ورحمته ، وعزله سلطان العالم وظل الله في الأرض وولى خليفة رسول الله». ثم يذكّرهم السلطان كيف أنه رفع الخان من الخمول حين لم يكن شيئاً مذكوراً ووضعه على العرش ونفى معارضيه إلى خراسان وسانده بجيشه لسبعة عشر عاماً ، ورغماً من هذا فإن الخان طوال الفترة لم يفعل شيئاً غير أن أساء الحكم وأهان سلالة النبي صلعم واستأصل أهل البيوتات العريقة وقتل الناس دون وجه حق على مجرد الظن والشبهة واستصفى أموالهم ، ثم يستخلص السلطان من هذا أن أصحاب المكتوب قد تعرضوا في الغالب على الظن إلى الضغط من قبَل الخان. وفي الختام يعلن السلطان أن لديه سبعين ألفاً من الجند «لا يقف أمامهم جبل قاف» يرابطون منذ ثلاثة أيام أمام المدينة استعداداً للإنقضاض عليها ، وأنه لم يمسك بزمامهم إليه إلاّ لرغبته في أن يجنّب المدينة النهب لأن أهلها عرفوا بالورع والصلاة ، وكذلك لشفاعة زوجته[٩٤٠] (ابنة ارسلان خان).

وقد وقعت سمرقند في قبضة سنجر في أوائل ربيع عام ١١٣٠[٩٤١] ، وحُمل الخان المريض إلى السلطان في محفّة[٩٤٢] فأرسله إلى ابنته ، وبعد هذا بقليل توفي[٩٤٣] ببلخ ودفن

(٩٣٨) ابن الأثير ، الجزء العاشر ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٩٣٩) شرحه ، الجزء الحادي عشر ، ص ٥٤ - ٥٥.

(٩٤٠) Teksty, str. 25–26 (الانشاء).

(٩٤١) ربيع الأول من عام ٥٢٤ هـ (ابن الأثير).

(٩٤٢) البنداري ، طبعة هوتسما ، ص ٢٦٤.

(٩٤٣) وفقاً لكتاب ملاّ زاده (Teksty, str. 172) في عام ٥٢٤ أو ٥٢٥ هـ ، أما جمال قرشي (Teksty, str. 132) فيجعل ذلك في رجب من عام ٥٢٦ هـ (مايو - يونيو ١١٣٢).

بمرو في المدرسة التي ابتناها هناك[٩٤٤]. وفي البداية أُعلن خلفاً له أخوه أبو المظفر طمغاچ بغراخان ابراهيم الذي نشأ في بلاط السلطان سنجر[٩٤٥]، ثم لم يلبث أن أعقبه فرد آخر من الأسرة هو قليچ طمغاچ خان أبو المعالي الحسن بن علي بن عبد المؤمن المشهور بحسن تكين[٩٤٦]، ثم تلاه ركن الدين (أو جلال الدين)[٩٤٧] محمود بن ارسلان خان، وهو ابن اخت سنجر، فبرهن على أنه من الرعايا المخلصين/لخاله. وزيادة على هذا فقد كان 385 بمقدور سنجر أن يدعو خان كاشغر من صنائعه[٩٤٨].

وهكذا، مثلما حدث في عهد ملكشاه، انضوت آسيا المسلمة بأجمعها مرة أخرى تحت لواء حاكم واحد. غير أنه في تلك الآونة بالذات كان يقترب من الحدود الشرقية للعالم الاسلامي شعب قادم من جوف آسيا لم يلبث أن غلب على ما وراء النهر، وقسر سكانها المسلمين لأول مرة في تاريخهم على الخضوع لنير الكفار.



---

(٩٤٤) اعتقد البروفسور جكوفسكي (Razvaliny Starogo Merva, str. 27–28) خطأ ان هذا يتعلق بالب ارسلان السلجوقي. ولا علم لنا بمصير أحمد، بخلاف الفاظ ابن الأثير (الجزء العاشر، ص ٤٨٠) أنه في صيف ١١٣٢ وسنجر مشغول في الغرب اضطر الى العودة الى خراسان «عندما بلغته الأخبار بثورة أحمد خان حاكم بلاد ما وراء النهر». لهذا فمن الممكن أنه بعد استيلائه على سمرقند ترك أحمد حاكماً على قسم من بلاد ما وراء النهر.

(٩٤٥) Teksty, str. 24 (في وثيقة دبلوماسية)؛ ولا يذكر المؤرخون اطلاقا هذا الخان.

(٩٤٦) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ٥٥.

(٩٤٧) Teksty, str 27,33 (الانشاء).

(٩٤٨) شرحه، ص ٣٧ (الانشاء).

الفصل الثالث
القرا خطاي وشاهات خوارزم

سبق أن عرضت بالتفصيل في موضع غير هذا الموضع لقيام دولة القراخطاي وتحركاتهم(١). ففي أعقاب الهزيمة التي ألحقها بهم خان كاشغر أحمد بن الحسن(٢) أعربت الحكومة السلجوقية في مكتوب إلى وزير الخليفة ببغداد عن ثقتها في زوال كل خطر من جانب الكفار(٣). غير أن القراخطاي تمكنوا بالتالي من أن يؤسسوا دولة شاسعة وأن يخضعوا لسلطانهم منطقة يدي صو وتركستان الشرقية وأن يوقعوا الهزيمة بجيش محمود خان قرب خجند في رمضان من عام ٥٣١ هـ = مايو - يونيو ١١٣٧ . وقد أحدثت هذه الهزيمة هلعاً شديداً بين سكان بلاد ما وراء النهر(٤)، ولكن القراخطاي فيما يبدو كانوا منشغلين في موضع آخر فلم يجنوا ثمار نصرهم في هذه المرة.

وكان اهتمام سنجر آنذاك موجهاً إلى سحق تابعه الثائر خوارزمشاه(٥) اتسز. وجدّ

---

(١) Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str. 120 i sl.

(٢) راجع عن أصله Teksty, str. 133 (جمال قرشي). وكان والده طمغاج خان الحسن يحكم لبعض الوقت بمدينة طراز، كما يتضح من سكّته (Markov, Inventarny katalog, str. 272) وهو نفس الخان الذي صُنّف له « القوتادغو بيليك »؛ راجع Bartold, Bughra khan, Bull. Sch. of Oriental Studies, III, 152

(٣) Teksty, str. 38

(٤) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ٥٦ .

(٥) عن المراجع التي تناولت الكلام في تاريخ شاهات خوارزم راجع ص ٩٩ من هذا الكتاب وما يليها. وقد اعتمد ميرخواند اعتماداً كلياً على جويني؛ وعن علاقة ميرخواند بمصادره راجع ما مر من هذا الكتاب، ص ١٣٢ . هذا وقد أفاد البروفسور ڤسيلوڤسكي من ميرخواند وابن الأثير في بحثه Ocherk istoriko-geograficheskikh Svedenii o khivinskom khanstve s drevneishikh vremen do nostiashchego, SPb., 1877. وفي عرضي التالي سأشير الى المصادر فقط اذا كانت المعلومات التي استقيتها لم ترد في بحث البروفسور ڤسيلوڤسكي.

اتسز هو انوشتكين غرجه[٦] الذي كان في الأصل مملوكاً للأمير السلجوقي بلكاتكين (أو بلكابيك)، وقد أخذ اسمه من أن بلكاتكين كان قد اشتراه من رجل من أهالي غرجستان[٧]. وبعد خدمته لبلكاتكين ذهب انوشتكين/إلى بلاط ملكشاه حيث بلغ أعلى 387 المراتب وتم تعيينه في وظيفة الطشتدار، أي المشرف على الأواني السلطانية. وكانت نفقات هذا الجانب من ميزانية البلاط تُغطّي من خراج خوارزم[٨]، لذا فان انوشتكين قد حمل أيضاً لقب حاكم خوارزم[٩] على رغم أنه لمّا يكن في واقع الأمر قد تولى الحكم في تلك البلاد كما يتضح ذلك من رواية المصدرين الأساسيين في هذا الشأن[١٠]. أما ابنه قطب الدين فقد نشأ وترعرع بمدينة مرو.

وفي عام ١٠٩٧ اغتال الأمراء الثائرون خوارزمشاه اكنجي بن قچقار[١١]، وبعد إخماد ثورتهم عيّن السلطان برقياروق الأمير داد حبشي بن التونتاق[١٢] حاكماً على خراسان فأوكل هذا بدوره أمر إدارة خوارزم إلى قطب الدين محمد بن أنوشتكين. هذا وقد أقر السلطان سنجر قطب الدين محمداً في منصبه وعاونه في إخماد ثورة طغرل تكين بن اكنجي الذي دعا الترك لغزو البلاد. ووفقاً لرواية ابن الأثير[١٣] فقد اشتهر قطب الدين محمد بالعدل وبتقريبه لأهل العلم، ويروي جويني أن قطب الدين ظل تابعاً مخلصاً لسنجر وكان طوال مدة حكمه يقوم بزيارة بلاط السلطان مرة في كل عامين ويرسل ابنه اتسز في الأعوام التي تقع بين ذلك.

---

(٦) أصح أن تنطق غرچه (وهي غلچه الحالية)؛ انظر Bartold, Istoriko – geograficheski obzor Irana, str. 27; وأيضاً Bartold, K istorii Merva, str. 134

(٧) ابن الأثير، الجزء العاشر، ص ١٨٢.

(٨) جويني، الجزء الثاني، ص ٢.

(٩) ألفاظ جويني (شرحه) هي الآتية: اورا باسم شحنگي خوارزم موسوم كردند.

(١٠) أول مؤلف يدعوه فعلا حاكما لخوارزم بقدر ما هو معلوم لدينا هو حمد الله قزويني (طبعة براون، ص ٤٨٦ وما يليها، الترجمة ص ١١١ وما يليها)؛ ولكن راجع ملاحظة المترجم على تاريخ ٤٩١ هـ.

(١١) ورد ليس فحسب عند ابن الأثير، بل أيضا لدى جويني (الجزء الثاني، ص ٣ حيث يرد الاسم في صورة النجي)، وإن كان اغفله المؤرخون التالون بدءاً برشيد الدين (مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٥١٧ أ). راجع وجهة نظر ماركفارت (Komanen, S. 48 sq., 201 sq.) الذي يطابق بين اكنجى هذا وشخص ورد لدى عوفي (Teksty, str. 99).

(١٢) لدى جويني (الجزء الثاني، ص ٢): داد بك حبشي بن التونتاق.

(١٣) الجزء العاشر، ص ١٨٣.

ويُعدّ اتسز[١٣أ] الذي خلف أباه عام ١١٢٧ أو ١١٢٨ المؤسس الحقيقي لسلطان أسرة شاهات خوارزم. ذلك أنه هو وخلفاءه لم يقفوا عن نهج أية وسيلة لبلوغ هدفهم إلى إقامة دولة مستقلة قوية، وذلك في مثابرة ومهارة نادرتين. وكان اتسز في الأعوام الأولى من ولايته التابع المخلص لسنجر فقد شارك في حملات السلطان ومن بينها حملته على ما وراء النهر[١٤]، غير أنه في ذات الوقت ظل يعمل على تدعيم سلطانه فأخضع الرحّل المجاورين لخوارزم. وفي سبيل تنفيذ خطته هذه احتل مواضع ذات أهمية كبرى في حياة الرحّل مثل جند، أي المجرى الأسفل/لنهر سيردريا، وشبه جزيرة منقشلاغ[١٥]. ومن جند قام بحملة «في جوف تركستان» وحاز نصراً على «الملك والمقدّم الذي كان يتمتع بالمنزلة الكبرى بين الكفار»[١٦]. وعقب هذا بقليل انتفض على سنجر، ويقول جويني[١٧] إن اتسز عند اشتراكه في حملة سنجر على غزنة تبين له تغيّر السلطان نحوه بفعل حاسديه. وفي خريف عام ١١٣٨ قام سنجر بحملة على خوارزم، وتنص الوثيقة الرسمية التي وصلت إلينا[١٨] على أن سنجر قد عنّف اتسز لأنه بدون موافقته قد «أراق دماء المسلمين» بجند ومنقشلاغ التي عرف أهلها باخلاصهم في الدفاع عن ثغور الاسلام وجهادهم الدائب ضد الكفار. وكان رد اتسز على هذا أن أوقد نار الثورة على السلطان فقبض على عماله ورمي بهم في السجن وصادر ممتلكاتهم ثم أغلق جميع الطرق المؤدية إليه من خراسان. وكان السلطان آنذاك ببلخ، ومنها بدأ حملته بجيش جرار (في المحرّم، أي سبتمبر وفقاً لرواية جويني). وكان معسكر اتسز الحصين قريباً من هزاراسب وهي قلعة منيعة، وقد تم اغراق المنطقة المحيطة بالمعسكر لبضعة فراسخ - وهو إجراء لجأ إليه شاهات خوارزم

388

(١٣أ) (يقول ابن خلكان (الجزء الرابع، ص ١٧٠، من طبعة محمد محي الدي عبد الحميد، القاهرة) وذلك في معرض حديثه عن أحد الأمراء من الأيوبيين وكان يحمل أيضاً اسم اطسيس «وهي كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم، ويقال انما سمي بذلك لأن الملك الكامل ما كان يعيش له ولد، فلما ولد له المسعود المذكور قال بعض الحاضرين فى مجلسه من الأتراك: في بلادنا اذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه أطسيس، فسماه أطسيس». وبالطبع فهذا الاسم صورة أخرى من اسم اتسز لأن ات اواط هو الاسم بالتركية وسز اوسيز أو سيس، هي أداة التجريد - المترجم).

(١٤) جويني، الجزء الثاني، ص ٤؛ ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، طبعة دفريمري، ص ٢.

(١٥) يتحدث أيضا ياقوت عن فتح منقشلاغ على يد اتسز (معجم البلدان، الجزء، الرابع، ص ٦٧٠). ووفقاً لابن الأثير (الجزء العاشر، ص ١٨٣) فان اتسز فتح منقشلاغ في حياة أبيه.

(١٦) Teksty, str. 37 (الانشاء) وثيقة يرجع تاريخها الى يوليو ١٢٣٣ (شرحه، ص ٣٥).

(١٧) الجزء الثاني، ص ٤؛ ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، طبع دفريمري، ص ٣.

(١٨) Teksty, str. 44 - 47 (الانشاء)

فيا بعد متى ما دهمهم خطر الغزو (أنظر ص٢٥٧). ولّما كانت الأرض العامرة الملاصقة للنهر قد غُمرت بالمياه فقد اضطر الجيش السلجوقي إلى التقدم عن طريق الصحراء لهذا كان سيره بطيئاً للغاية. وتنص الوثيقة الرسمية على أن مرد هذا البطء هو رغبة السلطان في أن يتيح لاتسز مهلة من الوقت يراجع فيها نفسه، لذا فان الواقعة الفاصلة لم تحدث إلاّ في الخامس عشر من نوفمبر. وقاد اتسز جنده من خنادقهم، غير أن جيش خوارزم الذي كان يضم عدداً من الأتراك الكفار هُزم هزيمة منكرة وفقد عشرة آلاف بين قتيل وجريح وأسير. وكان من بين الأسرى ابن خوارزمشاه[١٩] فضربت هامته على الفور وأرسل رأسه إلى بلاد ما وراء النهر. ومكث سنجر أسبوعاً في ميدان المعركة حيث انضمت إليه فلول الجيش المنهزم فعفا عنهم جميعاً. وهرب اتسز ودانت البلاد لسنجر دون مقاومة تذكر. وقدنصب السلطان ابن أخيه سليمان بن محمد[٢٠] حاكماً على خوارزم، وخلف معه وزيراً وأتابيك وحاجباً/ثم رجع إلى مرو في فبراير ١١٣٩. غير أن الزمن لم 389 يمتد بسليمان في حكمه فسرعان ما عاد اتسز إلى خوارزم وهرع إليه السكان الذين ساءتهم أعمال جيش سنجر فأعانوه على استعادة ملكه مما اضطر سليمان الى الهرب إلى عمه[٢١]. وفي عام ٥٣٤ هـ = ١١٣٩ - ١١٤٠ قام اتسز بهجوم على بخارا وأسر حاكمها زنكي بن علي وقتله وهدم قلعتها[٢٢]، وعلى الرغم من ذلك فانه لم يجد بدأ من أن يعلن خضوعه للسلطان من جديد. وقد وصل إلينا نص العهد الذي أخذه اتسز على نفسه في نهاية مايو ١١٤١ متضمناً العبارات المستعملة عادة في مثل هذا المقام[٢٣]. والعهد مرفق بوثيقة يعرب فيها اتسز عن سروره من أن السلطان يكشف الآن «أنوار رحمته[٢٤]» بعد أن شهد العالم أجمع آثار عدله في حق خوارزمشاه. غير أن خوارزمشاه لم يلبث أن حنث بالعهد خلال أشهر من ذلك.

أما في ما وراء النهر فقد اندلع النزاع التقليدي بين العرش والطبقة العسكرية عام

---

(١٩) في كلا مخطوطتي جويني يرد الاسم في صورة ابلنغ؛ وفي المطبوعة (الجزء الثاني، ص ٥) في صورة آتليغ؛ ولدى ميرخواند (شاهات خوارزم، ص ٤) في صورة ايل قتلغ.

(٢٠) هكذا لدى جويني.

(٢١) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ٤٤.

(٢٢) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٣.

(٢٣) Teksty, str. 40 (الانشاء)؛ قارن عهد السلطان مسعود للخليفة لدى بيهقي (طبعة مورلي، ص ٣٧٠ - ٣٧٤، ٣٨٤ - ٣٨٩؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ٣٠١ - ٣٠٤؛ ٣١٢ - ٣١٦)).

(٢٤) Teksty, str. 30 (الانشاء)

١١٤١[٢٥]. وأرسل محمود خان إلى سنجر يستنجد به ضد القارلوق فدخل الجيش السلجوقي ما وراء النهر في يوليو، أما القارلوق فقد طلبوا العون من كورخان القراخطاي. وهكذا فان الكورخان الذي ظهر ببلاساغون كمدافع عن الخان ضد عسكره من الرعاة[٢٦] أخذ الآن جانب القارلوق وكتب إلى سنجر يستشفعه فيهم. غير أن الرد المسيء الذي تسلمه من السلاجقة دفعه إلى غزو جديد لما وراء النهر، وفي معركة دامية بمفازة قطوان في التاسع من سبتمبر مُني الجيش السلجوقي بهزيمة ساحقة. واضطرت قوات سنجر الى التقهقر الى درغم [٢٧] تحت ضغط القراخطاي، وحملت مياه هذا النهر عشرة آلاف بين قتيل وجريح وبلغت خسائر المسلمين في مجموعها ثلاثين ألفاً في تلك المعركة[٢٨]. وهرب سنجر إلى ترمذ، وقد حزا محمود خان حزو سنجر فغادر ما وراء النهر وخضعت جميع البلاد للقراخطاي الذين استولوا على بخارا في عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ - ١١٤٢ نفسه.

وكان قد ارتفع ببخارا في ذلك العهد شأن أسرة من الرؤساء الوراثيين للمدينة 390 أخذت اسمها «آل برهان» من اسم مؤسسها، واستناداً على قول مؤلف «كتاب مُلاّ / زاده[٢٩]» فان هؤلاء الرؤساء الذين حملوا لقب «صدر جهان» (أي صدر العالم) كانوا من سلالة «أهل العمائم (أي رجال الدين) إلاّ أن بابهم باب يلوذ به أرباب التيجان». ومؤسس الأسرة «الصدر الكبير» برهان الملة والدين عبد العزيز بن مازه «النعمان (أبو حنيفة) الثاني بحر المعاني» كان يُعد من سلالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ويرد ذكره لدى المؤرخ أبي الحسن البيهقي في القصة التي يسردها في شأن أبيه المتوفي في آغسطس عام ١١٢٣[٣٠]. وعند غزو القراخطاي كان رئيس بخارا ابناً لعبد العزيز هذا يُدعى حسام

---

(٢٥) بتفصيل اكثر لدى ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢٦) Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str. 103

(٢٧) يبدو أن المقصود ليست القناة التي تحمل نفس الاسم والواقعة جنوبي سمرقند (راجع الصفحات ١٦٥ و ١٧٩من هذا الكتاب).

(٢٨) الراوندي، مقتطفات من طبع شيفير (Nouveaux mélanges orientaux, PP. 20, 35-36؛ راحة الصدور، طبعة محمد اقبال، ص ١٧٢ وما يليها. [راجع عن هذه الواقعة Sir E.D. Ross في كتاب Travel and Travellers of the Middle Ages, London, 1926, P. 174. راجع أيضاً F. Zarncke, Der Priester Johannes, PP. 24-34 - تعليق Gibb.

(٢٩) Teksty. str. 169

(٣٠) تاريخ بيهق، مخطوطة المتحف البريطاني، الورقات ٦٠ ب - ٦١ أ. حيث يرد اسم جد عبد العزيز هذا على أنه عبد العزيز المازه؛ ولكن يرد في كتاب ملاّ زاده على أنه عبد الله.

الدين عمر، وفيما يبدو فان بخارا أبدت بعض المقاومة ضد الكفار لأن الصدر قُتل[٣١]. هذا وقد عيّن القراخطاي شخصاً يدعى البتكين حاكماً على بخارا[٣٢].

ولقد جاءت هزيمة سنجر مواتية كل المواتاة لاتسز حتى أنها ساقت إلى انتشار اشاعة مؤدّاها أن خوارزمشاه اتسز هو الذي استدعى القراخطاي[٣٣]. غير أن جويني[٣٤] يروي أن أملاك اتسز نفسها قد تعرضت بدورها للنهب على يد فرقة من جيش القراخطاي وأن عدداً كبيراً من الأهالي قد قُتل. وقد اضطر اتسز لعقد الصلح والالتزام بدفع ثلاثين ألف دينار من الذهب إلى القراخطاي في كل عام، هذا إلى جانب الجزية النوعية. ومن الجلي أن مهاجمة القراخطاي لخوارزم لم تحدث بعد واقعة قطوان مباشرة، لأننا نبصر اتسز وجيشه في أكتوبر من نفس العام بخراسان حيث أسرع ليفيد من هزيمة سنجر. وقد تم نهب مرو في التاسع عشر من نوفمبر من نفس العام ولكن اتسز لم يبلغ نيشابور إلاّ في مايو من عام ١١٤٢، ولعل هذا التأخير كان مصدره هذه المرة هجوم القراخطاي. وفي منشور وجهه اتسز إلى أهالي نيشابور قال إن ما حاق بسنجر كان جزاء وفاقاً على نكرانه الجميل الذي قابل به إخلاص خوارزمشاه في خدمته «ولا ندري إن كان ينفعه الندم فهو لن يجد عضداً أو صديقاً لدولته مثلنا[٣٥]». وبأمر من اتسز قرئت الخطبة باسم اتسز في نيشابور في ٢٩ مايو/غير أنه لم يكد ينقضي صيف ذلك العام حتى كان سنجر قد 391 استعاد سلطانه على خراسان[٣٦].

وفي عام ٥٣٨هـ= ١١٤٣ - ١١٤٤[٣٧] قام سنجر بحملة على خوارزم واضطر اتسز

---

(٣١) البنداري، طبعة هوتسما، ص ٢٧٨. ووفقاً لألفاظ فصيح فان الصدر سقط في المعركة وتم دفنه بكلاباد من نواحي بخارا (Teksty, str. 160)

(٣٢) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٣. قارن نظامي عروضي، چهار مقاله، طبعة قزويني، ص ٢٤؛ ترجمة براون، ص ٢٤ حيث يرد الاسم في صورة اتماتكين

(٣٣) بهذا يمكن تفسير رواية ابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ٥٣)، التي ينقلها البروفسور ڤسيلوفسكي (ص ٦٠).

(٣٤) الجزء الثاني، ص ٨٨؛ ميرخواند، تاريخ چنكيز خان، طبعة جوبير، ص ٩١ - ٩٢؛ Oppert, Der Presbyter Johannes, S. 146؛ ويرد اسم قائد القراخطاي لدى ميرخواند في صورة اريز، ولدى جويني في صورة ار نوز (مخطوطة خانيكوف) واربوز (طبعة جويني).

(٣٥) (الانشاء) Teksty, str. 43-44

(٣٦) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ٥٨.

(٣٧) مما هو جدير بالملاحظة انه الى هذا العام يرجع دينار آتسز المذكور عليه اسم مسعود سلطان العراق (١١٣٢ - ١١٥٢)؛ راجع A. Markov, Invent. katalog, str. 297

إلى الطاعة وإعادة الكنز الذي نهبه من مدينة مرو[٣٨]، ولربما ارتبط بهذه الحملة في أغلب الظن هجوم الغز على بخارا في مارس ١١٤٤ وتخريبهم لقلعتها[٣٩]. ولعلمه بأن اتسز كان لا يزال ينوي الخروج عليه فقد بعث إليه سنجر برسالة حملها الشاعر أديب صابر. وقد وصل إلى علم هذا الأخير أن اتسز قد استأجر اثنين من فدائيي الاسماعيلية وأرسلهم الى مرو لاغتيال السلطان فتمكن من تحذيره في الوقت المناسب ولكنه دفع حياته ثمناً لهذا فقد أصدر أمراً بالقائه في مياه أمودريا[٤٠]. وفي نوفمبر من عام ١١٤٧[٤١] قام سنجر بحملته الثالثة على خوارزم فحاصر هزاراسب واستولى عليها بعد شهرين، ثم زحف على عاصمة اتسز. ونزولاً على رجاء اتسز دخل وسيطاً بين الخصمين الزاهد آهوپوش الذي كان يعيش على لحم الغزلان ويرتدي جلدها[٤٢] (ومن هنا أخذ اسمه)، وقد وافق سنجر على الصفح عن الثوار ولكنه اشترط أن يظهر اتسز أمامه بشخصه على ضفاف أمودريا ليعرب عن خضوعه. وقد تمت هذه المقابلة في يونيو ١١٤٨[٤٣]. غير أن اتسز على غير العادة المتبعة لم يقبّل الأرض بين يدي السلطان، بل ولم يترجل عن صهوة جواده واكتفى باحناء رأسه ثم رجع من فوره ولمّا يلوي السلطان عنان فرسه. وبرغم ذلك فان سنجر لم يجد ضرورة لتجديد القتال بسبب هذا القصور في واجب الاحترام الذي بدر من أحد أتباعه، وعاد إلى مرو.

هذا وقد وجّه اتسز اهتمامه من جديد إلى ضفاف سيردريا بعد أن فشل في إقامة دولة مستقلة وفي الاستيلاء على خراسان. وكانت من نتائج فشله في نضاله مع سنجر أن ضاعت من يده مدينة جند، التي أصبح حاكماً عليها كمال الدين بن أرسلان خان محمود الذي يغلب على الظن أنه كان من/نسل القراخانيين. ووفقاً لرواية جويني[٤٤] فان اتسز بدأ بأن 392 عقد حلفاً مع كمال الدين وتم الاتفاق على أن يقوم الاثنان بحملة مشتركة في ربيع عام

---

(٣٨) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ٦٣؛ البنداري، طبعة هوتسما، ص ٢٨١.

(٣٩) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٣.

(٤٠) هكذا لدى جويني، الجزء الثاني، ص ٨ وميرخواند (شاهات خوارزم، ص ٥-٦)؛ غير صحيحة لدى البروفسور ڤسيلوڤسكي Ocherk istoriko-geograficheskikh svedenii, str. 61

(٤١) يرد ذكر الشهر لدى جويني (جمادي الثاني).

(٤٢) جويني، الجزء الثاني، ص ١٠: زاهد آهو پوش كفتندي طعام ولباس اواز گوشت وپوست آهو بود.

(٤٣) وفقاً لجويني (شرحه) في يوم الاثنين الثاني عشر من المحرم عام ٥٤٣ هـ، ولكن ذلك اليوم (٢ يونيو ١١٤٨) كان يوم أربعاء.

(٤٤) شرحه؛ راجع أيضاً ميرخواند، شاهات خوارزم، ص ٨ - ٩.

١١٥٢ على أراضي القپچاق الكفار الذين اتخذوا مدينة سغناق أو سقناق (راجع ص ٢٩٥) مركزاً لهم. غير أن اتسز حين وصل الى جند بجيشه اللجب أثار ذعر كمال الدين على نحو لم يجد معه النجاة إلاّ في الفرار، فسارع إلى مغادرة البلاد وتركها في يد اتسز. وقد أرسل اتسز وراءه بمبعوثين من ذوي المكانة نجحوا في اقناعه عن طريق الوعود بالعودة ولكنه ما لبث أن ألقي القبض عليه بعد قليل من وصوله وأمضى بقية حياته في الحبس. وفي وثيقة رسمية وصلت إلينا لم يرد أي ذكر للحملة على سغناق[٤٥]، وكل ما يذكره اتسز هو أنه بسبب انشغال جنده في مواضع أخرى سقطت جند في يد الثوار. وأخيراً في بداية ربيع الأول عام ٥٤٠ هـ (؟)[٤٦] استطاع أن يقوم بحملة خارج خوارزم، وقد تمكنت قواته من اجتياز المفازة الواقعة بين خوارزم وجند في أسبوع واحد ووصلت الى ضفاف سيردريا في اليوم الثامن منه عند صاغ دره وذلك على مسافة عشرين فرسخاً من جند. وقد أمكن قطع هذه العشرين فرسخاً في ليلة واحدة، وفي صباح الجمعة التاسع من ذات الشهر تجهز الجيش للمصاف وشارف أبواب المدينة. عند ذلك وصلت الأنباء بأن كبير الثوار الذي كان يحمل لقب خان قد هرب فأرسلت تجريدة لتعقبه بينما أقسم بقية زعماء الثوار يمين الطاعة وتم العفو عنهم، وبذا استعاد خوارزمشاه سيادته على جند دون إراقة دماء. ووفقاً لرواية جويني فقد تم تعيين أبي الفتح ايل ارسلان الابن الأكبر لاتسز حاكماً على المدينة، وسنرى أنه في الأزمنة التالية لذلك كان أيضاً يتولى مقاليد الأمور بجند الابن الأكبر لخوارزمشاه مما يشير بوضوح الى الأهمية التي كان يعلّقها اتسز وخلفاؤه على امتلاكهم لتلك المدينة.

وفي ربيع العام التالي، أي عام ١١٥٣[٤٧]، جرت أحداث/بخراسان كانت لصالح 393

---

(٤٥) Teksty, str. 41–42 (الانشاء)

(٤٦) من المحتمل جداً أن الرقم الأول لهذا التاريخ قد سقط في متن المخطوطة. ومما يتضح بالتالي فان التاسع من ربيع الأول كان يوم جمعة، ومن ثم فيمكن أن نستخلص من هذا أن العام المقصود إنما كان عام ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م. غير أنه في هذه الحال ستكون حملة آتسز على جند قد وقعت قبل حملة سنجر الثالثة، لذا فانه اكثر احتمالا وذلك اتفاقا مع رواية جويني ان العام كان عام ٥٤٧ هـ = ١١٥٢. ووفقا لجداول ڤستنفلد فان التاسع من شهر ربيع الأول عام ٥٤٧ هـ (١٤ يونيو ١١٥٢) كان يوم سبت، غير أن وقوع الاختلاف في يوم واحد بين الجداول والمصادر التاريخية أمر معهود. ولعله من الغريب ان الحملة من خوارزم الى جند تمت في فصل الحر على نقيض ما كانت عليه العادة.

(٤٧) يرجع الراوندي (طبعة محمد اقبال، ص ١٧٧) بتاريخ ثورة الغز الى نهاية عام ٥٤٨ هـ. غير أنه وفقاً لقول معاصر للحادث وهو يوسف بن عبد الله اندخودي الذي ينقل عنه مؤلف «تاريخ خيرات» =

مخطط اتسز ، فقد أسفرت محاولة سنجر لاخضاع الرعاة الغُزّ لإدارة عمال الدولة وجباة ضرائبها من الايرانيين الى عواقب وخيمة بالنسبة للسلطان نفسه إذ كسر زعماء الغز جيشه وأخذوا السلطان أسيراً. ومنذ تلك اللحظة ولثلاثة أعوام تالية بالتقريب أخذوه معهم محيطين إيّاه بمظاهر التعظيم والاحترام وبجميع مراسم السلطنة(٤٨). هذا وقد أخضع الغز بعض مدن خراسان ومن بينها مرو(٤٩) ونيشابور لنهب ذريع. غير أن اتسز لم يستفد في هذه المرة من نكبة السلطان ليعلن استقلاله بل ظهر بمظهر المدافع عن السلطة الشرعية، فبدأ بأن طلب من حاكم قلعة آموي (آمل) أن يسلمه تلك النقطة الهامة(٥٠). ومن الجلي أن اتسز قد تحقق جيدا من أهمية ذلك الموضع كما تحقق من قبل من أهمية كل من جند ومنقشلاغ، ولكن محاولته الاستيلاء على آمل لم تكلّل بالنجاح فرجع إلى مملكته وجدد حملاته ضد « الكفار »، أي القپچاق. وتشير ألفاظ أبي الحسن البيهقي(٥١) إلى أن ينال تكين أخا اتسز قد قام بتخريب نواحي بيهق بين آخر ديسمبر عام ١١٥٣ وبداية خريف عام ١١٥٤.

وكان ذلك القسم من جيش سنجر ممن رفضوا الانضمام إلى الغز قد اختاروا حاكم ما وراء النهر السابق محمود خان رئيساً لهم، فدخل محمود خان في مفاوضات مع اتسز الذي خرج بجيشه يريد خراسان واصطحب معه ابنه ايل ارسلان تاركاً ابنه الآخر خطاي خان نائباً بخوارزم. ووفقاً لرواية جويني فان اتسز كان قد علم وهو لمّا يزل بمدينة

= (مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٤٨٩٨، الورقة ١٦٢أ)، وأيضا لقول ابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ١١٦) فإنها حدثت في أول ذلك العام. وفي رواية أخرى أكثر جدارة بالاعتبار وذلك على ضوء الوثائق التي نقلنا عنها فيما يلي، يقول ابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ١١٨ - ١١٩) ان سنجر هُزم مرتين على يد الغز وهرب بعد ذلك الى مرو في صفر (مايو). ثم لم يلبث جميع قادة الجيش بل والسلطان نفسه أن هجروا العاصمة بعد قليل من ذلك التاريخ فنهبها الغز في جمادي الأولى (آغسطس أو نهاية يوليو). وعقب ذلك مباشرة أسر الغز السلطان سنجر ثم نهبوا المدينة للمرة الثانية في رجب (اكتوبر أو نهاية سبتمبر). راجع عن توقيت هذه الأحداث Inostrantsev, korkud, str. 040 i sl.

(٤٨) وفقاً لمتمم « مجمل التواريخ » المجهول الاسم (راجع أعلاه، ص ٩٣) فقد ابقى الغز للسلطان سنجر جميع مظاهر السلطنة ولكنهم عيّنوا له خدما من بينهم (مخطوطة المكتبة الأهلية، الورقة ٣٤٨: همچنان با خويشتن مى آوردند برآيين سلطنت الاّ آنك خدمتكاران ازآن خويش نصب كردند). ووفقاً لجويني (الجزء الثاني، ص ١٢) وميرخواند (تاريخ شاهات خوارزم، ص ٩ - ١٠) فان الغز سمحوا للسلطان بهذه المراسم أثناء النهار فقط، وكان يحبسونه ليلا في قفص من حديد.

(٤٩) قارن Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 29.

(٥٠) جويني، الجزء الثاني، ص ١٢؛ ميرخواند، شاهات خوارزم، طبع دفريمري، ص ١٠.

(٥١) تاريخ بيهق، مخطوطة المتحف البريطاني، الورقة ١٥٨ ب.

شهرستان التي بلغها وفقاً للوثائق الرسمية[٥٢] في آخر صفر، أي ابريل من عام ١١٥٦، بأن سنجر قد تمكن من الهرب من الأسر بمعاونة أحد قواده وبلغ ترمذ بسلام. ويرجع ابن الأثير[٥٣] خطأً بهذا الحادث إلى/رمضان من عام ٥٥١ هـ = اكتوبر - نوفمبر ١١٥٦. 394
عندئذ بقي خوارزمشاه بمدينة نسا وهناك وصل إليه رسول محمود خان المدعو عز الدين طغراتي.

وفي أثناء ذلك كان الخان والأمراء يعضون بنان الندم على دعوتهم لحليف خطر مثل اتسز، غير أنه على غير ما كانوا يتوقعون فان اتسز لم يتقدم بأية مطالب فادحة. فمن مدينة نسا أرسل مكتوباً إلى سنجر[٥٤] يهنئه بافلاته من الغز ويعرب عن استعداده ليضع نفسه تحت أوامر سيده، وذلك بأن يذهب إلى ترمذ لينضم إلى جيش السلطان أو يرجع الى خوارزم أو يبقى بخراسان. ورسائل اتسز إلى حلفائه، أي محمود خان وحاكم سجستان وحاكم ولاية الغور الجبلية قد صيغت في نفس الأسلوب الذي غلبت عليه روح المصالحة. هذا وقد قابل رسول حاكم سجستان اتسز وهو لما يزل بشهرستان، وبمدينة أخرى من مدن خراسان هي خبوشان جرت مقابلة أخوية بين اتسز ومحمود، واليها أيضاً وصل في نهاية ربيع الأول (مايو) ضابط من حرس سنجر هو الوثاق باشي (أنظر ص ٣٥٥) نجم الملك لوحي يحمل مكتوباً من السلطان[٥٥]. وعقب وصول محمود خان وفي انتظار وصول حكام سجستان والغور أمر اتسز بتحرير مكتوب الى طوطي بيك كبير الغز. هذا المكتوب[٥٦] يمثل أنموذجاً من أفضل نماذج الدبلوماسية عند أهل المشرق اذ لم يرد فيه ذكر لأسر سنجر بل على العكس من ذلك فهو يقرر أنه عندما وصلت قوات الغز إلى خراسان وغادر عمال الدولة مدينة مرو كان بمقدور السلطان كذلك أن يشد الرحال «اذ أن جميع البلاد حتى أطراف الروم إنما هي ملكه ولم تزل في حيارته»، غير أن «سيد العالم» قد عدّ قوات الغز ملكاً له، واستناداً إلى سلطاته الملوكية وعطفاً منه على رعاياه فقد اعتمد عليهم ودخل «طوعاً» بينهم. ولكن الغز لم يقدروا هذا العطف حق قدره وتقاعسوا في القيام بواجب «الاحترام والتبجيل لبلاطه المقدس»، لذا فقد ارتحل السلطان عنهم «وتركهم

---

(٥٢) (الانشاء) Teksty, str. 27–28
(٥٣) الجزء الحادي عشر، ص ١٣٨.
(٥٤) (الانشاء) Teksty, str. 26 .
(٥٥) شرحه، ص ٢٧ - ٢٨ (الانشاء).
(٥٦) شرحه، ص ٢٨ - ٢٩ (الانشاء).

لأنفسهم ». فما الذي يود الغز أن يفعلوه الآن؟ إن انتقالهم من مدينة إلى أخرى كل يوم لم يعد أمراً ميسوراً لأن احتلالهم لمدن خراسان من قبل إنما كان « بسبب حرمة مقام السلطان بينهم »، كما أن تجمعهم بولاية بلخ (حيث اقطعت لهم أرض قبل انتفاضهم) خروج عن حدود الطاعة واللياقة لأنه وقد رجع السلطان الآن ليتولى مقاليد الأمور بنفسه لم يعد من حق أحد من الناس أن ينزل بأراضيه دون موافقته. فلم يبق إذن لهم إلاّ أن يعلنوا خضوعهم للدولة السلجوقية وأن يقوموا بواجب الاعتذار لما بدر منهم، وحينئذ/سيعمل محمود خان وحكام خوارزم وسجستان والغور على الاستشفاع لهم حتى يحدد لهم « موطناً » (يورت) وما يقيمون به أودهم. 395

وأيّاً كانت النوايا الحقيقية لخوارزمشاه فإنه لم يقدر لها أن تتحقق، فبينا هو لا يزال بخبوشان فاجأه الموت بسبب الفالج في الثلاثين من يوليو عام ١١٥٦ وهو في التاسعة والخمسين من عمره[٥٧]. وقد توفي اتسز وهو ما يزال على طاعته للسلطان السلجوقي، وبرغم ذلك فإنه يجب الإعتراف به حقاً كمؤسس لسلطان دولة خوارزمشاه. فبضمه جند ومنقشلاغ لأملاكه استطاع أن يخضع الرحّل المجاورين لسيادة خوارزم، وبتدعيمه لقواته العسكرية بكتائب من المرتزقة الاتراك وضع الأساس لمملكة قوية مستقلة في واقع الأمر. هذا وقد سار خلفاء اتسز على نفس النهج الذي اختطه وأبدوا نفس روح المثابرة التي عهدت فيه، وكشفوا عن مهارة وحسن ادراك لمصلحة أسرتهم خلال تتبعهم لهدفهم الأساسي. وكانوا إذا ما اضطروا أمام عقبات قاهرة إلى ارجاء حل مسألة ما فإنهم سرعان ما كانوا يعودون إلى متابعة ذلك الهدف متى ما واتتهم الفرصة.

وقد اضطر ايل ارسلان خليفة اتسز الى الرجوع الى خوارزم ليضمن لنفسه العرش. ويروي ابن الأثير[٥٨] ان ايل ارسلان « قتل نفراً من أعمامه وسمل أخاً له فمات بعد ثلاثة أيام وقيل بل قتل نفسه ». أما جويني[٥٩] فيذكر أن هذا الأمير واسمه سليمان شاه وُضع في الحبس وأن مؤدبه (الأتابيك) اوغل بيك هو الذي أعدم. وتُوِّج ايل ارسلان رسمياً في ٢٢ آغسطس، وقد استهل حكمه بأن زاد في أرزاق الجند وأقطاعهم، وفي رمضان

---

(٥٧) تاريخ وفاة آتسز وهو التاسع من جمادي الثانية عام ٥٥١ هـ يعطيه على السواء جويني (الجزء الثاني، ص ١٣) وابن الأثير: قارن أيضاً ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ١١.

(٥٨) الجزء الحادي عشر، ص ١٣٨.

(٥٩) الجزء الثاني، ص ١٤؛ قارن ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ١٢. وينسب ميرخواند خطأً تاريخ اعتلاء ايل ارسلان العرش إلى عام ٥٢٢ هـ.

(اكتوبر – نوفمبر) من نفس العام أرسل سنجر، الذي كان قد رجع إلى مرو، بعهده إلى ايل ارسلان. وفي ربيع عام ١١٥٧[٦٠] توفي سنجر وهو في سن الحادية والسبعين من عمره، وبوفاته انتهت السيادة المطلقة لسلاطنة السلاجقة بايران الشرقية. وكان محمود خان هو خليفة سنجر بخراسان فأرسل إليه ايل ارسلان يهنئه ويخبره بأنه قد أعلن الحداد مدة ثلاثة أيام بخوارزم حزناً على السلطان سنجر[٦١]. غير أن خوارزمشاه في رسائله هذه/ 396 يدعو نفسه «بالصديق المخلص» وهو نفس الأسلوب الذي استعمله مع حكام خراسان الصغار[٦٢]، بينما كان اتسز يدعو نفسه في رسائله إلى سنجر «بالمولى» (بنده). وكان رأس الأسرة السلجوقية بعد وفاة سنجر هو غياث الدين محمد بن محمود حاكم العراق (١١٥٣ = ١١٥٩) وحفيد ملكشاه، وقد أرسل بسفارة إلى ايل ارسلان يخبره بنيته في المجيء إلى المشرق بجيشه. غير أن عوائق عدّة حالت دون تحقيق هذه الفكرة وأهمها هو العداء بين السلطان والخليفة، وكان الخليفة قد استعاد سلطاته الزمنية عقب وفاة السلطان السلجوقي مسعود (١١٥٢). وقد استصوب ايل ارسلان فكرة مجيء السلطان وعرض أن يتوسط للتوفيق بينه وبين حكومة بغداد. وفي رسالة منه إلى وزير الخليفة المقتفي[٦٣] (١١٣٦-١١٦٠) يقرر خوارزمشاه أن السلطان محمداً وحده هو الذي يستطيع تخليص خراسان من قطاع الطرق وتخليص ما وراء النهر من نير الكفار، وأن سكان هاتين المنطقتين ينتظرون وصوله بفارغ الصبر وأنه يجدر بحكومة الخليفة أن تتناسى في لحظة كهذه عداءها للسلطان وأن تسانده خاصة وأنه ليس هناك في واقع الأمر ما يدعو إلى قيام هذا العداء. وفي توجيهاته إلى رسوله الذي بعث به ليمثله ببلاط محمد[٦٤] يدعو خوارزمشاه السلطان السلجوقي «سيد العالم السلطان الأعظم حاكم وجه الأرض»[٦٥]

---

(٦٠) وفقاً لجويني (الجزء الثاني، ص ١٤) ٢٦ ربيع الأول عام ٥٥٢ هـ (٨ مايو ١١٥٧)؛ اما البنداري (طبعة هوتسما، ص ٢٥٥) فيقول الاثنين ١٤ ربيع الأول، ولكن هذا اليوم (٢٦ ابريل) كان يوم جمعة.

(٦١) (الانشاء) Teksty, str. 33

(٦٢) شرحه، ص ٢٧، ٣٣ (الانشاء). من المرجح ان المكتوب الأول الذي يشتكي فيه خوارزمشاه من أن محمودا عند اعتلائه العرش لم يبدأه بالكتابة إنما يرجع الى عهد آتسز عندما كان سنجر أسيراً، وأن الألفاظ «بعد وفاة السلطان» قد أضافها الناسخ الى اللقب خطأ.

(٦٣) شرحه، ص ٣٠ – ٣٢ (الانشاء)، ص ٧٠ (عن فريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين محمد الأصفهاني).

(٦٤) هذه هي محتويات الوثيقة التالية (Rosen, Les manuscrits persans, p. 154, No 75)

(٦٥) خدايكان عالم سلطان اعظم فرمان ده روى زمين.

ولّما لم تتحقق فكرة السلطان فإن ايل ارسلان بوصفه أقوى حكام مشرق العالم الإسلامي بلا منازع عقد العزم على الاضطلاع بالمهمة التي وردت الإشارة إليها في مكتوبه إلى وزير الخليفة ببغداد. ولم يلبث أن سنحت له فرصة التدخل في شؤون ما وراء النهر التي ظل النزاع فيها مستعراً بين الخانات والقارلوق على الرغم من خضوعها للسلطة العليا للقرا خطاي. وبعد واقعة قطوان كان الحاكم على سمرقند هو طمغاج خان ابراهيم، ابن أرسلان خان محمد، فقتله القارلوق وألقوا بجثته في المفازة[٦٦]، ووفقاً لما ذكره 397 جمال قرشي[٦٧] فإن هذا الحادث/ قد وقع عام ٥٥١ هـ= ١١٥٦ عند كلّاباذ قرب بخارا. وقد خلفه چغري خان[٦٨] جلال الدين علي بن حسن تكين (أنظر أعلاه ص ٤٧١) وعلى رأي جويني[٦٩] فإن هذا قتل زعيم القارلوق[٧٠] بيغوخان[٧١] واضطهد أبناءه وغيرهم من أمراء القارلوق الذين كان على رأسهم لاچين بيك فهرب الأمراء المضطهدون إلى ايل ارسلان الذي سارع بأخذ جانب القارلوق وغزا بجيشه ما وراء النهر في يوليو ١١٥٨، على الرغم مما سبق ذلك بقليل من تبادله رسائل الود مع خان سمرقند[٧٢]. واستدعى خان سمرقند لمعاونته التركمان الرحّل الذين كانوا يتنقلون في المفازة الواقعة بين قراكول وجند، كما التمس أيضاً مساعدة القراخطاي فأرسلوا اليه قوة من عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة ايلك تركمان[٧٣]. وقد «أخضع خوارزمشاه أهل بخارا بالوعود»، أي أنه اجتذبهم إلى

---

(٦٦) يرجع ابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ١٣٣) بهذا الى شهر ذي الحجة عام ٥٥٠ هـ (نهاية يناير - بداية فبراير عام ١١٥٦ م)؛ ويضيف ابن الأثير ها هنا ان الخان قد أثبت على طول مدة حكمه أنه كان حاكما ضعيفا؛ قارن (الكاتب السمرقندي) Teksty, str. 72

(٦٧) Teksty, str. 132

(٦٨) هكذا لدى ابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ٢٠٥). وقراءة اللقب الآخر لهذا الخان يحيط بها الشك؛ ويرد لدى جويني (مخطوطة خانيكوف، والنسخة المطبوعة) في صورة: كوك ساغر؛ قارن (الانشاء) Teksty, str. 34

(٦٩) جويني، الجزء الثاني، ص ١٤؛ قارن ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ١٢ - ١٣.

(٧٠) يرد لدى ميرخواند قراخان بدلا من قرلغان (لدى جويني في مخطوطة خانيكوف قولغان وقرلغ، وفي طبعة قزويني قرلغان).

(٧١) لعله يجب قراءتها يبغو.

(٧٢) (الانشاء) Teksty, str. 34–35؛ وثمة خطاب مماثل أرسل عام ١١٥٧ الى حاكم سجستان، راجع شرحه ص ٣٠ (الانشاء).

(٧٣) جويني، الجزء الثاني، ص ١٥. ومن المحتمل أن ايلك تركمان هو الحاكم السابق لمدينة بلاساغون Oppert, Der Presbyter Johannes, S. 132؛ ويرد ذكره لدى جويني مرة أخرى (الجزء الثاني، ص ٨٨)، وإن كانت النسخة المطبوعة تذكره ها هنا في صورة ايلك تركان.

صفه ، وفي أثناء زحفه هدم مدينة ربنجن على قول السمعاني (انظر أعلاه ص١٨٩). وتصاف الجيشان وجهاً لوجه على ضفتي زرفشان ولكن ايلك تركمان وقد تأكد من تفوق قوات خوارزمشاه تحاشى القتال وطلب الصلح عن طريق الوسطاء من أئمة سمرقند وعلمائها. وقد وافق خوارزمشاه على المصالحة شريطة أن يعاد أمراء القارلوق إلى مناصبهم مكرّمين ، ثم رجع إلى خوارزم.

ولدى ابن الأثير(٧٤) رواية مخالفة لهذه بشأن الصدام بين الخان والقارلوق ولكنه يرجع بذلك خطأ إلى عام ٥٥٩ هـ = ١١٦٤ ، إذ يبدو بجلاء من السكة(٧٥) أن حاكم سمرقند آنذاك كان ابن جلال الدين المدعو قليچ طمغاچ خان مسعود. ووفقاً لرواية ابن الأثير هذه فإن ملك القراخطاي كان قد طلب من الخان اجلاء القارلوق من أعمال بخارا وسمرقند إلى كاشغر وأن يتركوا حمل السلاح ويعملوا بالزراعة وغير ذلك. فتقدم إليهم الخان بذلك فامتنعوا فألزمهم وألحّ عليهم بالانتقال ، وكان/رد القارلوق أن رفعوا لواء 398 الثورة وزحفت قواتهم المتحدة على بخارا. فأرسل رئيس بخارا وهو محمد بن عمر بن برهان الدين الذي قُتل والده عمر عام ١١٤١ يخبر الخان ويحثه على إيقافهم قبل أن يستفحل شرهم وينهبوا البلاد. وفي الوقت نفسه أرسل الرئيس إلى القارلوق يذكّرهم أن القراخطاي الكفار لمّا وضعوا يدهم على البلاد امتنعوا عن النهب والقتل(٧٦). فأحرى بهم وهم مسلمون وأهل جهاد ألاّ يمدوا الأيدي إلى الأموال والدماء. وترددت الرسل بينهم والرئيس يطاولهم ويداريهم حتى دهمهم الخان بغتة ووضع السيف فيهم وقطع دابرهم. أغلب الظن أن هذه الرواية إنما تتعلق بالحادث الذي دفع ايل ارسلان إلى غزو ما وراء النهر ، ولكن هذا لا يمنع من جهة أخرى أن تكون المشكلة قد اندلعت من جديد بين القارلوق وجلال الدين عقب انسحاب ايل ارسلان. ومما يقف دليلاً على أن هذا النضال لم ينته بالقضاء التام على القارلوق ثورتهم على خليفة جلال الدين قليچ طمغاچ خان مسعود. ونعلم من ألفاظ ابن الأثير(٧٧) أيضاً أنه في آغسطس من عام ١١٥٨ ، أي في خلال حملة ايل ارسلان ، قام أمير الختّل أبو شجاع فرخشاه بهجوم فاشل على ترمذ ، ويبدو أن ذلك كان بإيعاز من القراخطاي.

---

(٧٤) الجزء الحادي عشر ، ص ٢٠٥.

(٧٥) Dorn, Über die Münzen, S. 734; Markov, Inventarny katalog, str. 278

(٧٦) ان صدور مثل هذه الألفاظ من ابن الصدر الذي قتل على أيدي القراخطاي لأمر غريب.

(٧٧) ابن الأثير ، الجزء الحادي عشر ، ص ١٥٥ - ١٥٦.

ولم تصب حكومة خوارزم بخراسان نجاحاً يذكر في عهد ايل ارسلان. وكان ثمة نضال يدور بمدن خراسان بين محمود خان وزعيم الغز مؤيد الدولة اي آبه[٧٨]، ولم يعترف بحماية ايل ارسلان سوى واحد من بين زعماء الغز هو اختيار الدين آيتاق حاكم دهستان. ورغماً عن هذا، وعن مخالفته أيضاً لحاكم ما زندران، فان آيتاق قد هُزم في نضاله مع غريمه يغمور خان. وفي بداية عام ١١٦١ فرآيتاق الى خوارزم وتعرضت جرجان ودهستان لنهب الغز الذين « خرّبوا جرجان وفرقوا أهلها في البلاد »[٧٩]، غير أن آيتاق استعاد سلطانه على دهستان وجرجان بمعاونة الخوارزميين عقب رحيل الغز. وفي هذه المدن ظلت الخطبة تقرأ باسم ايل ارسلان وآيتاق حتى بعد انتهاء النزاع بين محمود ومؤيد الدولة الذي استطاع في عام ١١٦٢[٨٠] أن يأخذ محمود خان وابنه جلال الدين محمد أسيرين ويسمل أعينهما. ولم يمتد سلطان مؤيد الدولة إلاّ على نيشابور وطوس/ونقاط 399 أخرى، وفي عام ١١٦٣ ضم إلى أملاكه بسطام ودامغان مما اضطر السلطان السلجوقي ارسلان (١١٦١-١١٧٧) إلى الاعتراف به نائباً له، فقبل مؤيد الدولة ذلك وأدخل الخطبة باسم السلطان ارسلان في أراضيه. أمّا مرو وبلخ وسرخس فقد كانت في أيدي الغز الذين لم يعترفوا لأحد بسلطان، وإن كانوا يذكرون اسم السلطان سنجر المتوفي في الخطبة. . وأمّا هرات فكان يحكمها الأمير آيتكين الذي كان مسالماً للغز[٨١]. وفي عام ١١٦٥ اشتعلت الحرب بين مؤيد الدولة وايل ارسلان، وقد نجح خوارزمشاه في صد مؤيد الدولة عن نسا وتثبيت قبضته عليها إلاّ أن زحفه على نيشابور انتهى بالفشل. وعقب هذا مباشرة اندلع النزاع بين ايل ارسلان وآيتاق فطلب الأخير العون من مؤيد الدولة، وقد تمكن مؤيد الدولة من حماية الجزء الجنوبي من أملاك آيتاق من الخوارزميين إلاّ أن مدينة دهستان وقعت في قبضتهم ونصبوا عليها حاكماً من قبلهم[٨٢].

---

(٧٨) يقدم لنا ابو الحسن بيهقي (تاريخ بيهق، مخطوطة المتحف البريطاني، شرقية رقم ٣٥٨٧؛ الورقة ١٦٦ أ) لقبه الكامل فيدعوه « خسرو خراسان ملك المشرق ».

(٧٩) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٨٠) يتفق جويني (الجزء الثاني، ص ١٦) وابن الأثير على التاريخ الذي أُسر فيه محمود خان، وهو رمضان من عام ٥٥٧ هـ الموافق آغسطس - سبتمبر ١١٦٢ م.

(٨١) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ١٨٠، ١٩٢ - ١٩٣.

(٨٢) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ٢٠٨. ويرجع جويني (مخطوطة مكتبة لينجراد، الورقة ١٠٤) بحملة ايل ارسلان على نيشابور الى عام ٥٦٢ هـ= ١١٦٦ - ١١٦٧م؛ ولكن النسخة المطبوعة (الجزء الثاني، ص ١٦) تعطى عام ٥٥٨ هـ(١١٦٢ - ١١٦٣م).

من هذا نرى أن الأمور لم تستتب بخراسان في عهد حكم ايل ارسلان، ولم يكن من اليسير في ظروف كهذه التفكير في طرد القراخطاي من ما وراء النهر، أو حتى في اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية الولايات الواقعة جنوبي أمودريا من هجماتهم. وينقل صاحب «تاريخ خيرات»[٨٣] عن يوسف بن عبد الله اندخودي الذي مر ذكره من قبل (ص ٤٨٠، حاشية ٤٧) خبر نهب القراخطاي لبلخ واندخود في عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٥، وأغلب الظن أن هذا الغزو يتعلق بحملة قليچ طمغاچ خان مسعود في الشتاء والتي يحدثنا عنها الكاتب السمرقندي. هذا وكان أبو المظفر قليچ طمغاچ خان مسعود بن علي الذي حمل أيضاً اسم قتلغ بيلكا بك[٨٤] ولقب «ركن الدنيا والدين»[٨٥] قد اعتلى العرش عام ٥٥٨ هـ = ١١٦٣ كما يستدل من سكّته. وفي عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٥ أعاد بناء سور بخارا على أساس من الآجر مستعملاً لهذا الغرض آجر جدار قلعة بخارا وأبراجها التي هدمها الغز[٨٦] (أنظر أعلاه ص٤٧٨) ويقدم لنا الكاتب السمرقندي[٨٧] التفاصيل الآتية عن حكم قليچ طمغاچ خان، ففي عهده حدثت ثورة عيار بك وهو رجل عصامي لم ينحدر من صلب أسرة نبيلة ولكنه بلغ أعلى المراتب بحسن رأيه واجتهاده ولم يكن بين صفوف القارلوق من يعدِ لَه في فروسيته./وكانت له إمارة الجند بما وراء النهر لمدة عام، ولكنه لم يلبث لسبب ما أن أعلن العصيان ووقعت بينه وبين الخان معركة في مفازة الجوع بين زامين وساباط. واخترق عيار بيك صفوف عسكر الخان وأوشك أن يبلغ المرتفع الذي نصبت عليه شمسية الخان وحيث كان الخان يقف مع خاصته ولكنه سقط أسيراً واقتيد أمام الخان وضربت هامته. كذلك نال الخان التوفيق في عملياته «ضد طغمتين من أراذل الخلق»، والمقصود بهذا قَتَلة طمغاچ خان ابراهيم والغز الذين خربوا خراسان. ومن الجلي أن عبور الخان لنهر أمودريا شتاءاً على الجمد بمائة ألف مقاتل إنما يتصل بحربه مع هؤلاء الاخيرين. أما الحرب ضد قوات القارلوق التي اغتالت ابراهيم فقد كان مسرحها نخشب وكش وصغانيان وترمذ، وفي هذه المواضع عاد السلام والأمن بفضل مجهودات الخان.

400

---

(٨٣) موسوي، تاريخ خيرات، الورقة ١٦٢ أ (مخطوطة المتحف البريطاني، شرقية رقم ٤٨٩٨).

(٨٤) محمد سمرقندي، اعراض السياسة (مخطوطة ليدن رقم ٩٠٤، الورقة ٣): قلغ نيكابكا.

(٨٥) هكذا على السكة ولدى نرشخي.

(٨٦) نرشخي، طبعة شيفير، ص٢٣، ٣٣ - ٣٤.

(٨٧) Teksty, str. 71–72

أخيراً فقد قام القراخطاي بحملة على خوارزم. ووفقاً لرواية جويني[٨٨] فقد حدث ذلك في عام ٥٦٥ هـ = ١١٦٩-١١٧٠، أما ابن الأثير[٨٩] فيجعله في عام ٥٦٧ هـ = ١١٧١-١١٧٢. واعتماداً على ما يلي فإن التاريخ الأخير أقرب إلى الصواب. وكان سبب الحملة هو امتناع خوارزمشاه من دفع الاتاوة للقراخطاي في الميعاد المتفق عليه بين الطرفين. هذا وقد هُزم قائد مقدمة جيش خوارزمشاه المدعو عيار بك (ومن الواضح أنه لا علاقة له بأمير القارلوق الذي مرّ ذكره) وأُخذ أسيراً، أمّا ايل ارسلان فرجع إلى عاصمته مريضاً ولم يلبث أن أسلم الروح في مارس عام ١١٧٢[٩٠] بعد أن أصدر أوامره باتخاذ الاجراءات الضرورية لوقف غزو القراخطاي وذلك بهدم السدود وإغراق البلاد بالمياه.

وفي عهد خلفه وقف النزاع الداخلي بين أفراد الاسرة حائلاً ما دون تحقيق أهدافها. فعقب وفاة ايل ارسلان اعتلى العرش ابنه الأصغر سلطا نشاه بمعاونة والدته تركان[٩١]/فرفض الابن الأكبر تكش، الذي كان آنذاك حاكما على جند، الانصياع لهما 401 وهرب إلى جانب القراخطاي الذين كان يتولى مقاليد الحكم بينهم في ذلك الوقت ابنة الكورخان الأول وزوجها فوما[٩٢]، فطلب تكش العون منها ووعد بدفع جزية سنوية.

---

(٨٨) جويني، الجزء الثاني، ص ١٦؛ ولكن في مخطوطة خانيكوف يرد عام ٥٦٠ هـ. راجع ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ١٤.

(٨٩) الجزء الحادي عشر، ص ٢٤٦.

(٩٠) وفقاً لجويني (الجزء الثاني، ص ١٧) في ١٩ رجب من نفس عام ٥٦٥ هـ(٨ ابريل ١١٧٠م)،أو حتى من الممكن عام ٥٦٠ هـ. ووفقاً لصدر الدين حسيني (زبدة التواريخ، مخطوطة المتحف البريطاني، الورقة ٩٤ أ، وأنا أدين بهذه الإشارة الى البروفسور هوتسما) ٩ رجب من عام ٥٦٧ هـ (٧ مارس ١١٧٢ م). ويذكر ابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ٢٤٧) عام ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ - ١١٧٣م. ومما لا شك فيه أن التاريخ الذي يورده ميرخواند (وهو ٥٥٧ هـ = ١١٦٢) مغلوط، وقد وجدت هذه الغلطة طريقها الى بحث البروفسور ڤسيلوڤسكي Ocherk istoriko-geograficheskikh svedenii, str. 62). وهذه الغلطة لا توجد لدى ابن الأثير، رغما من إشارة البروفسور ڤسيلوڤسكي إليه.

(٩١) كلمة «تركان» التي كثيراً ما ترد كاسم للملكات التركيات ليست اسم علم بل لقب يعني الملكة والسيدة راجع Tekstү, str. 150 (جمال قرشي): تركانه (مضافة الى الضمير). والنطق الصحيح للفظ كما ورد في معجم محمود الكاشغري (الجزء الأول، ص ٣١٤، ٣٦٨) هو Terken

(٩٢) عن هذا اللفظ الذي يعني بالصينية «صهر الملك» راجع ملاحظة دفريمري في طبعته لميرخواند (شاهات خوارزم، ص ١٢٤). والنسخة المطبوعة لمصنف جويني (الجزء الثاني، ص ١٧) تعطينا «فرما».

وقد صحبه زوج الملكة بجيش قوي إلى خوارزم فأخلى سلطا نشاه وأمه العاصمة دون قتال واعتلى تكش العرش في يوم الاثنين الحادي عشر من ديسمبر ١١٧٢ [٩٣] باحتفال مهيب. واستنجد سلطا نشاه بمؤيد الدولة، وانتظر تكش أعداءه على حافة المفازة قرب قرية سبارلي (؟) الصغيرة التي تم اغراقها بالماء [٩٤]. ولمّا لم يكن بمقدور جيش كبير أن يعبر المفازة فقد عبرها جيش مؤيد الدولة في أفواج صغيرة، ولكن الفوج الأول الذي كان يضم مؤيد الدولة هوجم وسُحق بواسطة الخوارزميين ووقع مؤيد الدولة نفسه في الأسر فقطع رأسه [٩٥] (١١ يوليو ١١٧٤) [٩٦]. وهرب سلطا نشاه وأمه الى دهستان ولكن تكش تعقبهم واستولى على المدينة، ثم أمر بقتل الملكة. أما سلطا نشاه فهرب إلى ابن مؤيد الدولة وخليفته طغانشاه ابي بكر، ومن هناك لجأ الى بلاط غياث الدين ملك الغور.

ويطلق اسم الغور على المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقي من هرات وإلى الجنوب من غرجستان وجوزجان، وكانت لهجة هؤلاء الجبليين تختلف اختلافا كبيراً من لهجة أهالي خراسان. وحتى القرن العاشر كان معظم سكان الغور لا يزالون على وثنيتهم رغماً من أن المنطقة كانت محاطة من جميع الجهات ببلاد الاسلام [٩٧]. ويلاحظ مؤلف/« حدود العالم » بأن حاكم الولاية (غورشاه) كان يدين في زمانه بالتبعية 402 لآل فريغون حكام جوزجان وأن أكثرية الغور آنذاك كانت مسلمة. ووفقاً لبيهقي [٩٨]

---

(٩٣) هكذا لدى جويني (الجزء الثاني، ص ١٧ وما يليها - ٢٢ ربيع الثاني من عام ٥٦٨ هـ)؛ ويرد هنا لدى ميرخواند عام ٥٥٨ هـ (١١٦٢ - ١١٦٣م).

(٩٤) وفقاً لجويني (الجزء الثاني، ص ١٨؛ وعن الفيضان انظر ص ١٩). ويرد اسم المدينة في صورة: سوبرلي وسوبربى وسورمى. والنسخة المطبوعة فضلت القراءة سوبرلي. ووفقاً لابن الأثير فهي تقع على عشرين فرسخا من خوارزم (أي كركانج). ولا شك أنها نفس المدينة التي ورد ذكرها فيما مر (ص ٢٦٢) كآخر مدينة بخوارزم على الطريق الى شهرستان وفقاً لياقوت الذي يعطينا الاسم في صورة سُبُرْنى وسوبَرْنى. ولا بد أنها كانت في منطقة ان ليس بها ماء الآن إلا أنها كانت آنذاك تسقى من نهر امودريا. أما الفيضان الذي يشير اليه جويني فلا بد انه كان نتيجة لتحويل النهر مجراه بعد الغزو المغولي. أنظر مقال بارتولد في دائرة المعارف الاسلامية «امودريا».

(٩٥) هكذا لدى جويني وابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ٢٤٧). أما الرواية التي ينقلها ابن الأثير من مصدر آخر (الجزء الحادي عشر، ص ٢٤٩ - ٢٥٣) ومؤداها ان مؤيد الدولة قد عاش بعد سلطان شاه فهي ليست جديرة بالتصديق لأن اسم طغان شاه يرد في الوثيقتين لعام ٥٧٨ وعام ٥٧٩ (انظر ما مر ص ١٠٣).

(٩٦) التاريخ الذي يعطيه جويني (الجزء الثاني، ص ١٩) هو يوم وقفة عرفات من عام ٥٦٩ هـ.

(٩٧) الاصطخري، ص ٢٧٣؛ وابن حوقل، ص ٣٢٣، ٣٢٩.

(٩٨) طبعة مورلي، ص ١٢٨ - ١٣٥؛ (طبعة غني وفيّاض، ص ١١٣ - ١٢١).

فإن أول من نفذ إلى داخل بلاد الغور جيوش السلطان الغزنوي مسعود الذي كان آنذاك (١٠٢٠) حاكماً على هرات. وعقب افتتاحهم لبلاد الغور ترك الغزنويون الأسرة الحاكمة مكانها. وفي منتصف القرن الثاني عشر استفاد سلاطنة الغور من فرصة تدهور الدولتين السلجوقية والغزنوية، شأنهم في هذا شأن شاهات خوارزم. وقد رأينا كيف أخذ أحد سلاطنة الغور طرفاً في الأحداث التي مسرحها خراسان عقب أسر الغز للسلطان سنجر وبعد هذا بقليل رفع الأخوان غياث الدين وشهاب الدين الذي اتخذ فيما بعد لقب معز الدين مملكتها إلى مصاف دولة كبرى. وكان الأخ الثاني يتولى قيادة الجيش في العادة، وكان خلال سلطنة أخيه غياث الدين يحكم غزنة التي انتقلت إلى سلطان الغور بصفة دائمة في عام ٥٦٩ هـ = ١١٧٣-١١٧٤. وكان فخر الدين مسعود عم الأخوين حاكماً على باميان وطخارستان وشغنان ومناطق أخرى إلى بُلور أما ابنه شمس الدين محمد، إذا ما أخذنا برواية جوزجاني، فقد ضم إلى أملاكه بعض الولايات الواقعة شمالي امودريا وهي صغانيان ووخش[٩٩]. ولم يكتف الغور بمد أملاكهم شرقاً فحسب بل احتلوا هرات عام ٥٧١ هـ = ١١٧٥-١١٧٦، مما ساقهم إلى منافسة شاهات خوارزم في خراسان. ولا شك أن الغور كانوا على وجه العموم في وضع أفضل من وضع شاهات خوارزم، ذلك أن شاهات خوارزم لم يكن في مقدورهم الدخول في قتال بغير المرتزقة، أما الغور فإنهم بجانب حرسهم من الأتراك قد كان باستطاعتهم كذلك الإعتماد على الغور الجبليين من أهالي بلادهم. وكانوا مقاتلين أشدّاء. زد على هذا أن شاهات خوارزم أنّى بلغت قوتهم فهم كانوا يدينون بالتبعية للقراخطاي الكفار وبذا فإن دولة الغور كانت الدولة الوحيدة الكبيرة المتمتعة بالإستقلال في شرقي العالم الاسلامي ومن ثم كان من الطبيعي ان تتجه إليها أنظار مسلمي خراسان وما وراء النهر حين غاض كل أمل في العون من جهة الغرب. وإذا ما حدث برغم هذا أن انتهت نتيجة الصراع إلى صالح شاهات خوارزم فإن مردّ هذا قبل كل شيء إلى السياسة الماهرة التي انتهجتها حكومة خوارزم والى المقدرة الشخصية لشاهات خوارزم أنفسهم. وعلى أية حال فإن من العسير القول بأنه كان من محض الصدفة أن ارتفع عقب انحطاط سلطان السلاجقة نجم حكام تلك المناطق بالذات التي تميزت بظروف جغرافية وعنصرية فريدة بالنسبة لغيرها من البلاد. وفيما يتصل بالغور وشاهات خوارزم فإنه كان باستطاعة بلادهما أن تمثل نقطة الارتكاز في حالات الهجوم والحرم الآمن حين يقلب الدهر لهم ظهر المجن.

---

(٩٩) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٤٢٣، ٤٢٦؛ (طبعة نساو - ليس، ص ١٠٣، ١٠٥).

ورغماً من أن تكش كان يدين بعرشه للقراخطاي إلاّ أنه لم يكن بمقدوره أن يعيش معهم في وئام. وكان الباعث على انتفاضه عليهم، كما هو الشأن دائماً في دول/الرعاة، هو 403 تحكم وغطرسة المبعوثين الذين كان يرسل بهم القراخطاي لتسلم الجزية المتفق عليها. وقد أخذت «حمية المُلْك والدين»[100] تكش فقتل المبعوث الذي كانت تربطه بالكورخان صلة الرحم كما أنه استنفر كبار رجال دولته فقتل كل واحد منهم رجلا من القراخطاي فلم يسلم منهم أحد. فلما بلغ ذلك سلطا نشاه سار فوراً إلى القراخطاي ونجح في إقناع ملكتهم مثلما أقنع مؤيد الدولة من قبل بأن أهل خوارزم وجيشها سيقفون بجانبه عن طيب خاطر ويهجرون أخاه. وقد أُرسل فوما الذي سبق له أن أسقط سلطا نشاه عن عرشه منذ أعوام خلت، أُرسل هذه المرة إلى خوارزم لإعادته إلى العرش. وقد عمل تكش على إعاقة تقدم القراخطاي بإغراقه البلاد، كما تبين أن أملهم في عون الأهالي لم يستند البتة على أساس. واضطُر فوما إلى الانسحاب ولكنه نزولاً على رغبة سلطا نشاه ترك معه قوة من القراخطاي استطاع بها أن يدخل خراسان ويهزم الحاكم الغزي المحلي قرب سرخس ويستولي على مرو. كما ان النصر كان حليفه في معاركه مع طغا نشاه فألحق به هزيمة ساحقة يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر مايو ١١٨١[101] ضم على أثرها سرخس وطوس إلى مملكاته.

ولا يذكر لنا المؤرخون شيئاً عن أحداث الأعوام التالية التي ترتبط بها، وذلك استقراءاً من تواريخ بعض الرسائل، مجموعة المكاتبات الدبلوماسية التي أرسلت بها حكومة خوارزم إلى بعض حكام ذلك العهد. ومما يقف دليلاً على صحة هذه التواريخ هو أن بعض هذه الوثائق يتحدث عن طغا نشاه الذي توفي كما سنرى بعد أعوام قليلة من ذلك، وكان طغا نشاه يتولى في ذلك الوقت شؤون نسا لتكش[102]. ويتبين من الوثائق أنه في نهاية عام ١١٨١ على وجه التحديد[103] وصل الأمير همام الدين إلى خوارزم في سفارة

---

(١٠٠) العبارة لابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ٢٤٨). قارن أيضاً جويني، الجزء الثاني، ص ١٩ ؛ وميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ١٧ وما يليها.

(١٠١) التاريخ من جويني وهو ٢٦ ذو الحجة عام ٥٧٦ هـ ؛ ولكن يرد في مخطوطة مكتبة لنينجراد خطأ ٢٣ ذو الحجة.

(١٠٢) بغدادي، كتاب التوسل؛ (طبعة احمد بهمينار، ص ٣٠ - ٣٨)، Teksty, str. 74

(١٠٣) وفقاً لمخطوطة ليدن (رقم ٢٨٥، الورقة ٢٦) لكتاب التوسل فان ذلك كان في شعبان، ولا يرد ذكر للعام ولكن يبدو مما يلي أن المقصود هو عام ٥٧٧ هـ .

من سلطان الغور للتفاوض في مسائل تتعلق بخراسان. وقد وعد خوارزمشاه بدخول خراسان بجيش في ربيع العام التالي ليتقابل مع غياث الدين. ولم يلبث همام الدين أن عزل في يناير من عام ١١٨٢[١٠٤] وأرسل معه تكش مبعوثه فخر الدين.

وبعد هذا بقليل بدأ خوارزمشاه يتجهز لحملته على خراسان ولكن وصل في هذه اللحظة رسول سلطا نشاه إلى خوارزم. وطلب تكش من أخيه أن يعيش في سلام ووئام مع طغانشاه. وقد قدم الرسول فروض الطاعة نيابة عن/سيده ولذا فإنه لم يعد ثمة ما 404 يدعو إلى الحملة، وإن كان خوارزمشاه اعرب عن استعداده للوفاء بوعده لسلطان الغور في أية لحظة، وأردف مؤكداً قيامه بهذا دون صعوبة لأن الأمور مستتبة بجميع أنحاء خوارزم. وهذا المكتوب أرسل في ابريل او في بداية مايو[١٠٥]. ويلي هذا مباشرة في المجموعة وثيقتان حُرّرتا بخراسان في آخر مايو[١٠٦] وذلك حينما كان خوارزمشاه مشغولاً بحصار سرخس، ومن هذا يتضح أن الحملة قد تمت في آخر الأمر. وأول هذين المكتوبين يعرب عن ثقة خوارزمشاه في أن المدينة ستسقط في خلال أيام من ذلك وأنه من الممكن اجراء المقابلة بين خوارزمشاه وسلطان الغور بعد ذلك، كما ترد الاشارة أيضاً إلى أن جيش خوارزمشاه يضم قوات من جميع الأنحاء الخاضعة له. غير أن الأمل في احراز انتصار عاجل لم يتحقق لأن المكتوب الثاني حُرّر أيضاً «عند باب سرخس». ومما جاء في هذا المكتوب أن ألب قرا اوران قد قدم أثناء الشتاء إلى جند يصحبه عدد غفير من القپچاق الذين لم يكونوا قد اعتنقوا الاسلام بعدُ وأنه أعلن خضوعه وأرسل بابنه الأكبر فيران(؟)[١٠٦أ] وبعدد كبير «من أبناء اليوغور» (؟) إلى خوارزمشاه يعرض خدماته. وقد بعث بهم خوارزمشاه إلى الأمير ملكشاه الذي كان حاكماً على جند آنذاك مع توجيهاته إليهم بأن يتحركوا مع الأمير ضد الكفار. وفي ذلك الشتاء نفسه فكر

---

(١٠٤) في شهر رمضان.

(١٠٥) في آخر ذي الحجة.

(١٠٦) الأولى ترجع الى منتصف المحرم من عام ٥٧٨ هـ (= النصف الثاني من مايو ١١٨٢ م).

(١٠٦أ) (في مقال له ظهر بمجلة الدراسات التركية الفرنسية يقول شرواني ان الاسم يجب قراءته قيران (من الفعل التركي قيرماق) محتجا بأن فيران لا يقابلنا في اللهجات التركية القديمة لأنه ليس بها ألفاظ تبدأ بحرف الفاء، بل انها لا تقابلنا كاسم علم حتى في العربية والتركية. ورغما من ذلك فان الخطأ الذي وقع فيه بارتولد وجد طريقه الى طبعتي أحمد بهنيار (طهران) ومكرمين خليل (استنبول) لمصنف بهاء الدين بغدادي؛ راجع مقال Y.Z. Chirvani, Muhammed Ibn – Keys et son glossaire Turc, TURCICA, T. II, 1970, P. 90, No 3 – المترجم).

خوارزمشاه في الذهاب لمعاونة سلطان الغور، ولكنه حين علم بانتصاره على أعدائه أقلع عن الحملة.

ويلي هذا مكتوب موجه إلى غياث الدين تاريخه يناير ١١٨٣[١٠٧]، وفيه يعتذر خوارزمشاه عن أن اللقاء المرتقب لم يتم للمرة الثانية لأن ثمة مصالح عاجلة تستدعي انتباهه المباشر قد اضطرته إلى القيام بحملة بما وراء النهر وأنه عند رجوعه منها كانت خيوله منهكة على نحو لا يسمح بالقيام بزحف جديد[١٠٨].

ويرد ذكر القپچاق كذلك في مكتوبين أُرسلا في شهري أكتوبر[١٠٩] ونوفمبر[١١٠] من عام ١١٨٢ إلى الأتابك «بهلوان عراق»[١١١]. ففي مكتوب أكتوبر/ يرد أن فيران بن ألب قرا تشرف بالانتساب (من الجلي أن ذلك كان عن طريق المصاهرة) إلى بيت تكش، كما ترد الإشارة إلى تصريح لألب قرا نفسه يعرب فيه عن استعداده ليقوم في ذلك العام بنفس الخدمات التي قام بها في العام الماضي حينما استطاع أن يحرر من سيطرة الكفار أراض شاسعة تمتد إلى طراز[١١٢] (تلاس). أما مكتوب نوفمبر فيشير إلى أن أفواجاً جديدة من القپچاق ظلت تأتي متلاحقة من أقاصي تركستان للانخراط في خدمة خوارزمشاه[١١٣].

405

وأما الحملة على ما وراء النهر فيرد الكلام عليها في رسالة منفصلة هي مكتوب حُرّر ببخارا باسم تكش وأُرسل إلى الوزير بخوارزم. وقد جاء فيه أن خوارزمشاه لمّا عبر نهر

---

(١٠٧) في آخر رمضان.

(١٠٨) (بغدادي، كتاب التوسل، مخطوطة ليدن، الأوراق ٢٦ – ٢٨)، Teksty, str. 78–80 (كان من الأصح القول: «المكاتيب التالية» ذلك انه في Teksty ترد مقتطفات من خمسة مكاتيب موجهة الى غياث الدين غوري؛ ومتن هذه المكاتيب الخمسة يرد بالتمام في طبعة أحمد بهمينار، ص ١٤٥ – ١٦٥ – الناشرون).

(١٠٩) في منتصف جمادي الثانية.

(١١٠) في منتصف رجب.

(١١١) Stanley Lane-Poole, Mohammedan Dynasties, p. 171 (المقصود جهان پهلوان محمد ايلدگيز اتابيك آذربيجان والحاكم الفعلي في دولة سلاجقة العراق؛ وتاريخ حكمه يقع وفقا للراوندي بين ١١٧٤ – ١١٨٦؛ بينما يرد لدى لين – بول ١١٧٢ – ١١٨٦ – الناشرون).

(١١٢) (بغدادي، كتاب التوسل، طبعة بهمنيار، ص ١٧٥)، Teksty, str. 80

(١١٣) بغدادي، كتاب التوسل (طبعة احمد بهمنيار، ص ١٨٠): مدد ايشان از اقصى تركستان منقطع نشود.

امودريا أرسل قوة إلى بخارا وصدرت الأوامر إلى العسكر بألاّ يمسوا الأهالي الآمنين بسوء، ولكن يبدو أن «طغمة من الطغاة الظالمين والمرتدين الباغين ممن بقوا في تلك الولاية ووقعوا في شباك الكفر» اعتصموا بالمدينة المحصنة(١١٤). ولكن خوارزمشاه بما عهد فيه من الحلم والأناة كبح جماح جنده طويلاً وجهد في اقناع العصاة بالحسنى، ولكن «آذانهم كانت محشوة بقطن الغرور». وفي يوم الثلاثاء الثاني عشر من الشهر(١١٥) بدأ العسكر الهجوم، وفي لحظة اقتحموا الأسوار وأراد الجيش الظافر أن ينهب المدينة ويخربها ولكن السلطان أخذته الرأفة بالمسلمين الصالحين من أهل البلد فسحب جيشه من الأسوار لأنه كان يعلم أنه في حالة أخذ المدينة عنوة فإن السكان المسالمين كانوا سيتعرضون لويلات الحرب على الرغم من أنهم أُجبروا على الخضوع لنير الكفار قسراً. من هذا يتضح لنا أن الهجوم قد رد. وقرر خوارزمشاه أن ينتظر عرضاً بالتسليم حتى صباح اليوم التالي (أي الاربعاء)، وفي ساعة متأخرة من المساء استغل قائد العدو وقوع الظلام فقام بخرجة محاولاً الهرب ولكن جيش خوارزمشاه أدركه وأسره هو وسائر قواته (أكثر من ألف رجل) وسيقوا أمام خوارزمشاه الذي عفي عنهم أجمعين(١١٦)، وبهذا المسلك استولى على المدينة. كذلك حُفِظ لنا عهدان من عهود تكش موجهان إلى أئمة بخارا (ولعلها/الاثنين موجهان إلى شخص واحد)، ففي العهد الأول الذي تم تحريره عقب رجوع 406 تكش إلى خوارزم يشكر تكش أحد الأئمة من السادة على ما أبداه من اخلاص أكثر من مرة في خدمة السلطان خاصة أثناء حملة الخوارزميين على بخارا. وفي العهد الثاني يرد تثبيت للامام بدر الدين في مناصب كان قد سبق أن عيّنه فيها الصدر برهان الدين، وهي مناصب دينية تتصل بالتدريس والتذكير والإمامة والخطبة والافتاء(١١٧)، على شريطة أن يذكر اسم السلطان عقب اسم الخليفة(١١٨).

---

(١١٤) لعل لفظ «حصن» يراد بها ها هنا «أسوار المدينة». قارن Bartold, Otchet o poezdke v Sredniu Aziiu, str. 15, prim. 8. ولم يكـن ببخارا قلعة آنذاك (نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٣).

(١١٥) سقط اسم الشهر في المخطوطتين (كتاب التوسل، مخطوطتا ليدن رقم ٢٨٥ و٥٨٦)؛ وفي عام ٥٧٨ هـ يقع الثاني عشر من المحرم (١٨ مايو) في يوم الثلاثاء، ولكن التاريخ المشار اليه ها هنا هو في أغلب الظن الثلاثاء الثاني عشر من اكتوبر (ووفقا لجداول ڤستنفلد فان هذا يوافق ١١ جمادي الثانية. ولكن اختلاف يوم واحد أمر يقابلنا على الدوام كما هو معروف في التوقيت الاسلامي؛ راجع أعلاه، ص ٤٧٩، حاشية ٤٦).

(١١٦) Teksty, str. 77-78 (بغدادي، كتاب التوسل: (طبعة بهمنيار، ص ١٢٥ - ١٣١)).

(١١٧) شرحه، ص ٧٦ - ٧٧ (طبعة بهمنيار، ص ١٠٤ - ١٠٥).

(١١٨) بغدادي، التوسل (طبعة بهمنيار، ص ١٠٨).

ولم يحل صيف عام ١١٨٣ حتى كان خوارزمشاه بجيشه مرة أخرى في خراسان. وكانت الأحداث في تلك الفترة قد اتخذت اتجاهاً لغير صالح غياث الدين الذي ضيق عليه الثوار الخناق بمرو (أغلب الظن سلطانشاه وقواته). وفي مكتوب أرسله إلى سلطان الغور في بداية ربيع الثاني (أواخر يوليو) يذكر خوارزمشاه بكثير من الاعتداد والثقة أنه لم يبق لغياث الدين من أمل سوى عون تكش، ويخبره بأنه زاحف بجيش قوامه خمسون ألفاً من الأتراك. ومن الجلي أن تكش قد فكر في الإفادة من الموقف العسير الذي وجد غريمه نفسه فيه لكي يبسط سلطانه على شرقي العالم الاسلامي. وفي هذا المكتوب لا يدعو تكش غياث الدين «أخاه» كما فعل في بقية الرسائل، بل دعاه «ابنه»، مشيراً بوضوح إلى نيته في أن يجعل جميع الحكام المحليين بما في ذلك سلطان الغور أتباعاً يدينون له بالطاعة[١١٩].

وبعض هذه الأحداث يرد ذكره لدى المؤرخين أيضاً، كوصول القپچاق مثلاً وحملة تكش على بخارا، ولكنهم يرجعونها إلى الأعوام الأخيرة من حكمه حين لم يكن سلطانشاه في عداد الأحياء ولم يعد ملكشاه موجوداً بجند. ويقدم لنا جويني[١٢٠] المعلومات التالية بصدد القپچاق: ففي عام ١١٩٥[١٢١] قام خوارزمشاه بحملة («غزوة»، أي ضد الكفار) على سغناق ضد قاير توقو خان[١٢٢] الذي لاذ بالفرار حين علم بوصول الجيش الخوارزمي إلى/جند، فاقتفى الخوارزميون أثره. وكانت في حرس خوارزمشاه كتيبة من الاورانيين[١٢٣] (بطن من القپچاق هو الذي ينتمي إليه الخان على ما يبدو) فأخبروا الخان بأنهم سينسحبون من صفوف جيش خوارزمشاه أثناء المعركة مما شجعه على الالتحام مع الخوارزميين في يوم الجمعة التاسع عشر من مايو[١٢٤]. وانسحب الاورانيون من صفوف الجيش وانتهبوا أمتعة الخوارزميين فمُني المسلمون بالهزيمة وسقط عدد كبير منهم في 407

(١١٩) Teksty, str. 80 (بغدادي، التوسل (طبعة بهمنيار، ص ٢٠٠).

(١٢٠) الجزء الثاني، ص ٣٤ - ٤٣؛ ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ٣٤ - ٣٧.

(١٢١) شتاء عام ٥٩١ هـ، الذي يبدأ في ١٦ ديسمبر ١١٩٤.

(١٢٢) في طبعة قزويني: قاتر بوقو. ولعله هو نفس الحاكم الذي دعي بالتالي قدر خان (انظر ما يلي). (ويوافق پليو قزويني في قراءته للإسم؛ راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 22)

(١٢٣) يرد في النسخة المطبوعة (الجزء الثاني، ص ٣٥) اللفظان «اعجميان» و«اورانيان». واللفظ الأخير لعله مشتق من «اوران» المذكورة في قائمة القبائل التركية لدى فخر الدين مروروذي، راجع Sir E.D. Ross, in «Ajab-namah», p. 407 (No 17)

(١٢٤) وفقاً لجويني (الجزء الثاني، ص ٣٥) السادس من جمادي الثانية.

المعركة وهلك عدد أكبر من ذلك في المفازة من الحر والعطش. ولم يبلغ خوارزمشاه بلاده إلاّ بعد ثمانية عشر يوماً(١٢٥)، ثم أمضى بقية العام بالعراق. وفي نهاية العام وصلت الأخبار بوقوع الخلاف بين قاير توقو خان وابن أخيه(١٢٦) الب درك الذي قدم إلى جند يطلب العون من خوارزمشاه. فوافق تكش على ذلك، وجاء ابنه قطب الدين محمد من نيشابور إلى خوارزم. وفي يناير ١١٩٨ (ربيع الأول ٥٩٤ هـ) قام الأمير ومعه الب درك بحملة في منطقة السهوب. وهُزم الخان وأُخذ أسيراً هو ونبلاؤه، وفي فبراير (ربيع الثاني) أُحضروا جميعاً إلى خوارزم مقيدين في السلاسل والأغلال(١٢٧). وخضع شعب قاير توقو خان لالب درك، الذي لم يتوان في أن يجعل من نفسه جاراً بغيضاً لخوارزم بنفس المنهج الذي كان عليه سلفه. وعملاً بالمثل العربي «الحديد بالحديد يُفلح» فقد أطلق تكش سراح الخان وزوده بجيش كبير وعقد معه معاهدة وأرسله ضد الب درك. وفي العام التالي وصل «خبر بشارة» انتصار الب درك على قاير توقو خان(١٢٨). هذه هي قراءة مخطوطات جويني، وهي في أغلب الظن تحريف من النساخ (lapsus calami)، ويجب تصحيح الفقرة لتقرأ كما وردت لدى ميرخواند والنسخة المطبوعة لتاريخ جويني(١٢٩) بأن الأخبار وصلت بانتصار الخان على الب درك. وليس هناك أدنى شك في أن الب المشار إليه ها هنا إنّما هو عين الب قرا الوارد ذكره في الوثائق الرسمية والذي وصل إلى خوارزم كما أبصرنا منذ عام ١١٨١ لا في عام ١١٩٥، غير أنه من العسير القول بأن الأحداث الأخرى التي ورد ذكرها هنا ولم يثبت وجودها بالوثائق يلزم رد هاهي أيضاً إلى تاريخ سابق.

408 أما الحملة على بخارا والأسباب التي دعت إليها فلا يذكرها من بين المؤرخين سوى ابن الأثير(١٣٠). ففي عام ٥٩٤ هـ = ١١٩٨ استولى حاكم باميان بهاء الدين سام بن محمد وحفيد مسعود(أنظر أعلاه ص٤٩٠)على بلخ التي كانت حتى تلك اللحظة تحت حكم أمير

---

(١٢٥) في مخطوطة مكتبة لنينجراد يرد خمسة عشر، ولكن في مخطوطة خانيكوف وفي النسخة المطبوعة يرد ثمانية عشر ويتفق هذا مع ما ورد لدى ميرخواند.

(١٢٦) ابن أخيه وفقاً لجويني (الجزء الثاني، ص ٤٠)؛ وابن أخته وفقاً لميرخواند.

(١٢٧) جويني، الجزء الثاني، ص ٤١.

(١٢٨) خبر بشارت ظفر الب درك بر قاير توقو خان برّ رسيد.

(١٢٩) طبعة قزويني الجزء الثاني، ص ٤٣: خبر بشارت ظفر قاتر بوقو بر سركنار (Sic) درك بر رسيد.

(١٣٠) الجزء الحادي عشر، ص ٨٨ - ٩١.

تركي يدين بالطاعة للقراخطاي. فاغتنم سام فرصة وفاة ذلك الأمير ليحتل المدينة ويدخل الخطبة هناك باسم غياث الدين، وكان هذا الأخير مشغولاً آنذاك بحملة في خراسان ضد تكش تنفيذاً لرغبة الخليفة. وطلب خوارزمشاه العون من القراخطاي، ففي شهر جمادي الآخرة وفي فصل الشتاء[١٣١] (؟) عبر جيش من القراخطاي تحت قيادة أحد النبلاء وهو تاينكو[١٣٢] نهر امودريا ونهب قسماً من جوزجان والولايات المجاورة، واشترط القراخطاي على سام أن يترك بلخ أو أن يدفع الجزية فلم يجبهم إلى ذلك. أما غياث الدين فقد قرر ألاّ يهاجم المدينة لأن أخاه شهاب الدين الذي كان عادة يتولى قيادة الجيوش ومباشرة الحروب كان هو وجنوده متغيبين بالهند، في حين كان هو نفسه يعاني من النقرس ولم يكن يستطيع الحركة فكان يُحمل على محفّة. وكان تكش خلال ذلك يتجهز للزحف من طوس على هرات، غير أن ثلاثة من قواد الغور وحّدوا قواتهم في هجوم ليلي على معسكر القراخطاي حققوا به نصراً كاملا لأن «من عادة الخطا أنهم لا يخرجون من خيامهم ليلاً ولا يفارقونها»، أي أنهم لم يكونوا يقيمون حرساً بالليل على معسكرهم. وحين علم القراخطاي في اليوم التالي بأن غياث الدين لم يكن مع الجيش قويت قلوبهم وجددوا القتال، ولكن مدداً كان قد أرسله غياث الدين انضم إلى جيش القواد الثلاثة ولحق بهم عدد من «المطّوعة» أيضاً فانتهى الأمر بهزيمة ساحقة للقراخطاي وغرق عدد كبير منهم في نهر امودريا أثناء تقهقرهم. فلما وصل خبر النكبة الى ملك القراخطاي أنحى باللائمة على خوارزمشاه وحمّله تبعة فقدانه لهذا العدد الكبير من رجاله وطلب منه أن يدفع مبلغاً كبيراً هو عشرة آلاف دينار عن كل قتيل، وكان عدد القتلى من القراخطاي قد بلغ في مجموعه اثني عشر ألفاً(؟)[١٣٣]. عندئذ دخل خوارزمشاه في مفاوضات مع غياث الدين، فاشترط الأخير أن يعلن تكش طاعته للخليفة وأن يعوّض الأهالي عمّا أخذه منهم القراخطاي. وقد توجت المفاوضات بالنجاح، وفي اثر ذلك بعث خوارزمشاه بالرد

---

(١٣١) يحيط بألفاظ ابن الأثير بعض الخطأ، ذلك ان جمادي الآخرة من عام ٥٩٤ تبدأ في العاشر من ابريل.

(١٣٢) عن هذا اللفظ الذي ليس باسم علم بل لقب راجع Marquart, Komanen, S. 126 ويكتبها ماركفارت Tajang (ولدى ابن الأثير: طاينكوه)، ويبصر في المقطعين الأولين الكلمة الصينية T'ai Wang. والقراءة طاينكو يبدو أنها صحيحة، راجع إعجامها في عوفي، لباب الألباب، طبعة براون، الجزء الأول، ص ١٩٤، والأبيات الواردة في ص ١٩٦ (البيت السادس عشر).

(١٣٣) من المستبعد ان يطلب القراخطاي مبلغاً هائلا يصل الى مائة وعشرين مليون دينار، وذلك من قطر كان يدفع ثلاثين الف دينار أتاوة في العام. ذلك أن مثل هذا المبلغ الهائل لا يقابلنا اطلاقا في العصور الوسيطة.

409 التالي إلى كورخان القراخطاي: « إن عسكرك إنّما قصد انتزاع بلخ ولم يأتوا إلى نصرتي ولا اجتمعت بهم ولا أمرتهم بالعبور، وإن كنت فعلت ذلك فأنا مقيم بالمال المطلوب منّي. ولكن حيث عجزتم أنتم عن الغورية عدتم عليّ بهذا القول وهذا المطلب. وأما أنا فقد أصلحت الغورية ودخلت في طاعتهم[١٣٤] ولا طاعة لكم عندي ». وحاصر القراخطاي عاصمة خوارزمشاه فكان تكش يخرج إليهم كل ليلة ويقتل منهم خلقاً كثيراً وأتاه من « المطّوعة » كثيرون فأثخن في العدو واضطر القراخطاي في النهاية إلى الانسحاب. وسار خوارزمشاه في أثرهم وألقى الحصار على بخارا، غير أن أهلها امتنعوا عليه وقاتلوه مع القراخطاي، ووصل بهم الحد أنهم أخذوا كلباً أعور وألبسوه قبا وقلنسوة وطافوا به على السور يدعونه خوارزمشاه (لأن تكش كان أعور)[١٣٥] ثم قذفوه بمنجنيق في معسكر العدو صائحين: « هذا سلطانكم ». وكان الخوارزميون من جانبهم يسبّون أهل بخارا ويدعونهم « بجنود الكفار والمرتدين ». وفي النهاية اقتحمت المدينة عنوة، ورغماً من سلوك أهلها فقد عفي عنهم تكش وأحسن إليهم وفرق فيهم مالاً كثيراً، ثم قفل راجعاً إلى خوارزم بعد حين.

مما سبق يتبين لنا أن رواية ابن الأثير هذه عرضة للكثير من الشك، ومع الأسف فلسنا في وضع يسمح لنا بتمحيصها على ضوء مصادر أخرى. ولا يرد ذكر لحملة تكش على بخارا سواء لدى جويني أو جوزجاني مؤرخ الغور الذي لا يذكر شيئاً ما عن فتح بلخ على يد غياث الدين أو عن حربه مع القراخطاي[١٣٦]. ويعترف ابن الأثير[١٣٧] بأنه لم تكن لديه فكرة واضحة كل الوضوح عن الأحداث التي كانت خراسان مسرحاً لها في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، ولذا فإنه لم يكن بمقدوره أن يحلل الروايات المتناقضة لمصادره، وهذا يفسر لنا بعض الشكوك التي أثارتها رواياته وتناقض التواريخ

---

(١٣٤) من المشكوك فيه أن يكون تكش قد صرّح بمثل هذه الألفاظ في أواخر أيام حكمه وعندما بلغ سلطانه أقصى قوته.

(١٣٥) (في الطبعة الروسية لعام ١٩٠٠ ورد لفظ « أعمى »؛ ولكن يبدو أن بارتولد صلّحها في الترجمة الانجليزية لعام ١٩٢٨ - الناشرون). ولا يوجد توكيد لهذه الحقيقة في أي مصدر من المصادر.

(١٣٦) ولكن جوزجاني يذكر فقط ان القراخطاي قد قاتلوا الغور مرتين أو ثلاث، وأن قادة الغور كانوا خرجم ومحمد بن خرنق، وأن خرجم قتل في إحدى هذه المعارك (طبقات ناصري، ترجمة راﭬرتي، الجزء الثاني، ص ٩٢٤ - ٩٣٠ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٢٩ - ٣٣٠). ووفقا لابن الأثير فان اسم القائد الذي قتل في المعركة مع القراخطاي كان خرّوش.

(١٣٧) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ٢٥٣.

التي يقدمها مع تواريخ الوثائق الرسمية التي نقلنا عنها فيما مر. ومن العسير الافتراض بأن تكش قد استولى على بخارا مرتين.

410 هذا وقد انبعثت الاضطرابات من جديد بخراسان عقب وفاة طغانشاه التي/حدثت وفقاً لرواية جويني[١٣٨] في يوم الأثنين الخامس عشر من ابريل عام ١١٨٥. ورُفع إلى العرش ابنه الصغير سنجرشاه. ولكن قسماً كبيراً من أملاكه وقع لسلطانشاه الذي كان ينافسه أخوه تكش وغياث الدين سلطان الغور. وانتهى النزاع إلى صالح تكش الذي استولى على نيشابور في مايو أو يونيو من عام ١١٨٧[١٣٩] وترك عليها ابنه الأكبر ملكشاه (حاكم جند سابقاً) وأرسل سنجرشاه إلى خوارزم، ولكنه لمّا تبين له أنه لا يزال يعمل على استمالة سكان نيشابور أمر تكش بسمل عينه[١٤٠]. أما مرو فإنها لم ترجع إلى حكم تكش إلاّ بعد وفاة سلطانشاه التي حدثت في يوم الأربعاء ٢٩ سبتمبر ١١٩٣[١٤١]. وفي نهاية العام نفسه أرسل تكش ابنه ملكشاه والياً على مرو وعيّن أخاه محمداً والياً على نيشابور.[١٤٢].

ومن قبل هذا وجد تكش الفرصة للتدخل في شؤون ايران الغربية وذلك في النزاع الذي نشب بين السلطان السلجوقي طغرل وخصمه الاتابك قتلغ اينانج[١٤٣]. ففي عام ١١٩٢ عندما أرسل قتلغ اينانج إلى تكش يستنجده تقدم خوارزمشاه فاحتل الري

---

(١٣٨) الجزء الثاني، ص ٢٢ (١٢ من المحرم عام ٥٨١ هـ). ويرجع ابن الأثير (الجزء الحادي عشر، ص ٢٤٩) بهذا الحادث الى المحرم من عام ٥٨٢ هـ.

وفقاً لجويني (الجزء الثاني، ص ٢٥) في يوم الثلاثاء السابع من ربيع الأول عام ٥٨٣ هـ ، غير أن ذلك اليوم (١٧ مايو ١١٨٧) كان يوم أحد؛ ومن ناحية أخرى فان السابع من ربيع الثاني (١٦ يونيو) من نفس العام كان يوم ثلاثاء (وفقا لمخطوطة جامعة لنينجراد، رقم ١٧٢ الورقة ١١٨ ب يرد التاريخ على أنه ١٧ ربيع الأول؛ ولعله كان يوم الثلاثاء ٢٦ مايو). هذا وقد بدأ حصار تكش لنيشابور في ١٤ المحرم من نفس العام (٢٧ مارس ١١٨٧).

(١٤٠) ابن الأثير، الجزء الحادي عشر، ص ٢٤٩.

(١٤١) التاريخ لدى جويني (الجزء الثاني، ص ٣٠) وابن الأثير هو آخر يوم في رمضان عام ٥٨٩ هـ. وبقدر ما هو مستوثق من المصادر الجديرة بالثقة فان سلطانشاه لم يكن في سجن أخيه ولم تسمل عيناه. لهذا فان رواية جمال قرشي (Teksty, str. 135) عن الحادثة بين الأخوين يجب أن تحمل محمل الأساطير.

(١٤٢) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٧٠.

(١٤٣) راجع عنه Stanley Lane-Poole, Muhammedan Dynasties, p. 171 (قتلغ اينانج أخ لأتابيك آذربيجان أبي بكر من أسرة ايلديگيز وهو ابن لجهان بهلوان وحكم من ١١٩١ - ١٢١٠ - الناشرون).

ولكنه اضطر إلى الرجوع إلى بلاده عندما بلغه أن أخاه سلطانشاه قد قصد خوارزم[١٤٤]. غير أنه لم يلبث أن قام بحملة جديدة في عام ١١٩٤، وفي هذه المرة لم يطلب العون من خوارزمشاه قتلغ اينانج وحده بل طلبه منه أيضاً الخليفة العباسي الناصر. وكانت مجهودات هذا الخليفة لبسط نفوذه وتوسيع رقعة أملاكه قد ساقت إلى الصدام بينه وبين الحكومة السلجوقية. وكان والد قتلغ اينانج وهو الأتابيك محمد بهلوان جهان قد حرّض السلطان طغرل على انتزاع السلطة الزمنية من الخليفة. وعلى ما رواه الراوندي[١٤٥] الذي كان معاصراً لهذه الأحداث فإن أنصار السلطان والأتابيك كانوا يقولون على ملأ 411 من/الناس: «يجب أن يقوم الإمام بالخطبة والإمامة لحماية الملوك ذوي السلطة الزمنية، وهي من أفضل الأمور وأجل الأعمال، وقد فوّضوا السلطنة للملوك وتركوا الملك للسلطان»[١٤٦]. ولهذا لم يكن السلطان طغرل محبباً إلى رجال الدين. وفي ١٩ مارس ١١٩٤[١٤٧] هاجم خوارزمشاه طغرل قرب الري وسقط هذا الأخير في المعركة بعد مقاومة باسلة، وأخضع تكش الري وهمذان. وسرعان ما تحققت حكومة الخليفة من أن شاهات خوارزم سيصبحون أعداء الداء كما كان الشأن مع سلاطنة السلاجقة من قبل. هذا وقد عرض مطالب الخليفة وزيره مؤيد الدين في كثير من الادعاء والصلف فأعلن أن خوارزمشاه إنّما يدين بعرشه «للديوان العزيز»[١٤٨]، يريد بذلك حكومة بغداد،

---

(١٤٤) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٦٩.

(١٤٥) راحة الصدور، طبعة محمد اقبال، ص ٣٣٤. هذا القسم من الكتاب ندين به للراوندي نفسه، وليس لابن بيبي أو الترجمة التركية للكتاب (أنظر أعلاه ص ٩٧). وينقل الراوندي هذا عن أخيه الذي كان ضمن وفد همدان الذي استقبله تكش (ص ٣٨٤، الترجمة التركية الورقة ١٢١)، بل وفي بعض اللحظات يتحدث عن تجربته الشخصية (ص ٣٤٤ و٣٥٧).

(١٤٦) عن مخطوطة الترجمة التركية لكتاب الراوندي (مخطوطة المتحف الآسيوي رقم٥٩٠ ب أ،الورقات ١١٦ - ١١٧): خليفه چون كه امام در پس اكا كركدر كم دايم اشى نماز اولا كه دينك ركنى در وجميع اشلرك يكركى در وآنده تقدّمى وخلق اكا اقتدا قلدوغى يتر حقيقتده پاذشا هلغى اولدر بومجازى پاذ شاهلغه اول دخل اتمك بى معنى در بونى سلاطينه اصمر لمق كرك. غير أن الأصل الفارسي أقل توكيدا من هذا: امام را بخطبه وپيش نمازى كه شاهان مجازى در حمايت آنند وبهترين كارها ومعظمترين كردارهاست مشغول مى بايذ بوذن وپاذشاهى باسلاطين مفوّض داشتن وجها ندارى بذين سلطان بكذاشتن.

(١٤٧) التاريخ لدى ابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ٧٠) وهو ٢٤ ربيع الأول عام ٥٩٠ هـ.

(١٤٨) جويني، الجزء الثاني، ص ٣٣: تشريف وعهد سلطنت از ديوان عزيز مبذول كشته است.

ولذا فانه عند التقائه بالوزير عليه أن يكون هو البادىء بالتقدم نحوه وأن يترجل من صهوة جواده. ووفقاً لرواية ابن الأثير(١٤٩) فإن الوزير طلب أن يأتي تكش شخصياً إلى خيمته ليتسلم الخلعة منه. فلم يكن من تكش إلاّ أن رفض بشدة جميع هذه الادعاءات، ولم يحل دون حدوث الصدام بين الجيشين في تلك اللحظة سوى تقهقر الوزير السريع. غير أن الصدام وقع فعلاً بعد وفاة الوزير وذلك في يوليو عام ١١٩٦ فألحق الخوارزميون الهزيمة بجيش بغداد ونبشوا قبر الوزير وجزّوا رأسه وأرسلوا به إلى خوارزم(١٥٠). وظل الخليفة حتى بعد هذه الواقعة في إصراره على أن يخلي خوارزمشاه ايران الغربية وأن يكتفي بخوارزم. وكان رد تكش هو أن أملاكه/بما في ذلك العراق لن تكفي للقيام بنفقة 412 جيشه الجرار وأنه لذلك يرجو من الخليفة أن يتنازل له أيضاً عن خوزستان(١٥١). ووفقاً لرواية ابن الأثير(١٥٢) فإن تكش قد طالب في أواخر أيام حكمه، وقد حذا ابنه في ذلك حذوه فيما بعد، بأن تقام الخطبة باسمه في بغداد نفسها. وقد كانت هذه هي بداية العداء بين العباسيين وشاهات خوارزم، ذلك العداء الذي عاد بالوبال على البيتين. وقد ساقت الصدامات المتتالية بين جيوشها إلى خراب الأهالي الآمنين، وأحدثت كتائب الجيش الخوارزمي تخريباً مريعاً في نواحي البلاد، وبحسب رواية الراوندي(١٥٣) إن قائد تكش، المدعو مياچق قد ارتكب من صنوف القسوة ما فاق أعمال الغز بخراسان وما فعله المغول فيما بعد في العراق. وفي آخر عام لحكمه أصغى تكش في نهاية الأمر إلى شكاوي الناس فعزل مياچق من منصبه وبعد وصوله إلى خوارزم أمر بقتله. غير أن جيش بغداد نفسه لم يكن في سلوكه بأفضل من ذلك، ويحكي الراوندي(١٥٤) أنه بعد تقهقر تكش عام ١١٩٤ أرسل الخليفة خمسة آلاف فارس إلى العراق فنهبوا كل ما لم تصل إليه يد الخوارزميين. ولم تكن ادعاءات الوزير مؤيد الدين موجهة نحو الامراء الحاكمين وحدهم بل إنه لم يسلم منه المزارعون، فقد أعلن أن أرض المسلمين إنّما هي جميعها ملك لأمير المؤمنين وأنه ليس

---

(١٤٩) الجزء الثاني عشر، ص ٧٠.

(١٥٠) شرحه، ص ٧٣.

(١٥١) راحة الصدور، ص ٣٨٥.

(١٥٢) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٨٨.

(١٥٣) راحة الصدور، ص ٣٩٨. يقارن المؤلف أعماله السيئة بما فعله «كفار الابخاز (نصارى القوقاز وبلاد الكرج) وأتراك الخطا وفرنجة الشام».

(١٥٤) شرحه، ص ٣٧٧.

لأحد أن يدّعي ملكِيتها، ويضع الراوندي[155] هذه بين جملة البدع التي استحدثها ذلك الوزير. وعند وفاة تكش كانت الغلبة في العراق للخوارزميين، ولكن لمّا انتشر خبر وفاته انتفض الأهالي ثائرين وقتلوا جميع الجنود الخوارزميين الموجودين في منطقتهم[156].

هذا وقد حدثت وفاة تكش في الثالث من يوليو عام ١٢٠٠[157]، وذلك بعد أن 413 تمكن كما رأينا من بسط سلطان الأسرة وتوسيع رقعة الدولة. غير أنه منذ أيام حكمه/ بدأت تظهر على مملكة خوارزم علامات الوهن والانحلال التي أدى استمرارها إلى وقوع النكبة في عهد خلفه. ولمّا كان شاهات خوارزم في عداء سافر مع الخليفة فإنه لم يكن بوسعهم الاعتماد على طبقة رجال الدين، كما أن تكش بتقريبه لأمراء القپچاق وإدخالهم في خدمة الدولة وارتباطه معهم برباط المصاهرة فإنه خلق طبقة عسكرية قوية ساهمت في انتصاراته العسكرية ولكنها أثبتت منذ أيام حكمه كما رأينا (ص ٤٩٥) أنه ليس بوسعه الاعتماد عليها في نزاعه ضد أعدائه من أهل السهوب. وبتوجيه من امرأة في ذكاء تركان خاتون[158] زوجة تكش وأم محمد فإن نفوذ هذه الارستقراطية العسكرية لم يلبث أن زلزل دعائم العرش نفسه. فقد كان بمقدور القپچاق أن ينهبوا أملاك الأهالي دون أن يحول بينهم وبين ذلك شيء على الرغم من أنهم جاؤوا إلى تلك الأمصار في صورة المحرّرين لأهلها من ظلم الآخرين، وبهذا جعلوا من اسم سلطانهم هدفاً لبغض الأهالي.

وكان الإبن الأكبر لتكش وهو ملكشاه قد توفي في حياة أبيه وذلك في ربيع عام ١١٩٧[159] فخلفه على العرش ابنه الثاني محمد الذي حمل في حياة أبيه لقب قطب الدين ثم حمل بعد وفاته لقب علاء الدين. ولم يُعلَن محمد شاهاً لخوارزم إلاّ في يوم الخميس الثالث

(١٥٥) الراوندي، الترجمة التركية، الورقة ١٢١: جمله بدعتلر ندن برسى بو ادى كه مسلمانلرك النده كه ملكلرن طوتردى ايدردى كه جميع يرلر اراضى مملكتدر امير المومنينك در كمسه نك ملكى يوقدر اثبات اتسونلر. أما الأصل الفارسي (طبعة اقبال، ص ٣٨١) فيقول: قبالها بمى خواست ومى گفت زمين از آن امير المؤمنين است كسى كباشذ كه ملك دارذ.

(١٥٦) شرحه، الورقة ١٣٠؛ الأصل الفارسي، ص ٣٩٩.

(١٥٧) هكذا لدى جويني (الجزء الثاني، ص ٤٦) وهو الثاني عشر من رمضان عام ٥٩٦ هـ؛ ولدى ابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ١٠٣) العشرون من رمضان. وهو لا يتفق مع ٢٧ يونيو كما اعتقد خطأ البروفسور ڤيلوڤسكي (ص ٦٥).

(١٥٨) راجع عن هذا الاسم ما مر أعلاه ص ٤٨٨، الحاشية ٩١.

(١٥٩) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٨٥.

من آغسطس عام ١٢٠٠[١٦٠]؛ وترجع أسباب هذا التأجيل إلى المنافسة بينه وبين هندوخان ابن ملكشاه. وكان يؤيد حقوق هذا الأخير سلاطنة الغور الذين نجحوا في الاستيلاء على بعض مدن خراسان؛ هذا وقد صادر الغور غلّة الاهالي لغذاء جيوشهم[١٦١] مما أدى الى عداء السكان لهم ونفرتهم منهم فسارع خوارزمشاه باستغلال ذلك لمصلحته خاصة وأن غياث الدين كان قد توفي في ذلك الحين. وقد أفلح محمد منذ عام ١٢٠٣ في استرجاع أملاكه بخراسان، وشرع في توسيع رقعتها منذ ربيع عام ١٢٠٤ فانتهب بادغيس وقسر أهل هرات على دفع أموال طائلة، ومن المعلوم أن هرات لم تخضع مطلقاً لسلطان تكش. وفي هذه اللحظة كان شهاب الدين قد رجع من الهند إلى خراسان وزحف بجيشه قاصداً خوارزم رأساً، فسارع محمد بالرجوع من مرو وكشأن أسلافه فقد جهد في اعاقة تقدم العدو بغمر الأراضي بالمياه، غير أن هذا لم يؤخرهم لأكثر من أربعين يوماً. هذا وقد هُزم الخوارزميون عند قراسو[١٦٢]، وتابع شهاب الدين انتصاره بأن حاصر گرگانج. ووفقاً لرواية جويني[١٦٣] فقد هب أهلوها هبة رجل واحد للدفاع عن مدينتهم، وتم توزيع الأسلحة على الجميع، وكان الإمام شهاب الدين خيوقي «ركن الدين وحصن الملك»[١٦٤] يحرّض الناس من المنبر على قتال عدوهم مستشهداً في ذلك بحديث صحيح نصه: «من قُتل دون نفسه وماله فهو شهيد». ويعرض لنا عوفي[١٦٥] الذي كان بگرگانج آنذاك هذا الحادث في صورة مغايرة تماماً، فهو يقول إن تسليح الاهالي لم يكن سوى خدعة حربية من طرف الملكة تركان خاتون التي بعثت رسولاً إلى خراسان[١٦٦] ليبلغ ابنها بنبأ الغزو. وفي

414

---

(١٦٠) التاريخ لدى جويني (الجزء الثاني، ص ٤٧) وميرخواند (شاهات خوارزم، ص ٤١) هو العشرون من شوال.

(١٦١) جويني، الجزء الثاني، ٥١.

(١٦٢) يقول عنه جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الجزء الأول ص ٤٧٤؛ (طبعة نساو – ليس، ص ١٢٢)) إنه احدى القنوات التي تأخذ من اموداريا شرقي العاصمة. ويدعوه ابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ١٢٢) سوقرا ويعربه «الماء الأسود». ولأنه يوجد الاسم الب قرا (انظر أعلاه ص ٤٤٢ وص ٤٩٢) فإن تتابع اللفظين بهذه الصورة ليس بالمستحيل، وإن كان الغالب هو أنه يجب قراءته كما ورد لدى جوزجاني (قراسو).

(١٦٣) جويني، الجزء الثاني، ص ٥٤ وما يليها؛ راجع ميرخواند (شاهات خوارزم، ص ٤٦ – ٤٧).

(١٦٤) جويني، الجزء الثاني، ص ٥٥: دين را ركنى وملك را حصنى بود.

(١٦٥) Teksty, str. 88

(١٦٦) من الممكن أن نستنتج من هذا ان جيش محمد لم يصطدم بالغور عند قراسو (وفي الواقع يلتزم جويني الصمت بصدد هذه المعركة). ولعل القوة التي هزمت عند قراسو كانت قد أرسلتها الملكة، كما وأن =

الوقت نفسه أصدرت في أنحاء المدينة أمراً بتسليح الأهالي جميعاً وعملت لهم خوذات من الورق. وقد جعل منظر هذا الجيش الجرار الغور يحجمون عن القيام بهجوم سريع على المدينة التي كانت في واقع الأمر عاجزة تماماً عن الدفاع عن نفسها لأنه لم يكن بها أحد من الجنود. وفي خلال أسبوع وصل محمد بمائة فارس ثم أخذت الامدادات تتوالى من جميع الجهات، وبهذا تم إنقاذ المدينة(١٦٧).

ويذكر جويني أن الجيش الذي جمعه خوارزمشاه بلغ السبعين ألفاً، وأنه بجانب هذا طلب المدد من القراخطاي. وكان معسكر الغور على الضفة الشرقية للنهر(١٦٨)، وأمر شهاب الدين جيشه بالبحث عن معبر لمهاجمة المدينة في اليوم التالي. ولكن وصل في تلك 415 اللحظة جيش غفير من القراخطاي تحت قيادة القائد/تاينكو طراز يصحبه عثمان سلطان سمرقند. وتقهقر الغور على عجل ولكن محمداً اقتفى أثرهم إلى هزاراسب حيث هزمهم ورجع إلى كركانج ليحتفل بانتصاره. أما القراخطاي فقد تابعوا أثر العدو وحصروا جيش الغور قرب اندخود. وفي الأيام الأخيرة من سبتمبر أوفى بداية أكتوبر(١٦٩) نشبت معركة دامت يومين(١٧٠) وانتهت بهزيمة الغور، واضطر شهاب الدين إلى أن يغلق نفسه بقلعة اندخود. وكان موقفه في ذلك أشبه بموقف نابليون (الثالث) بسيدان، وإذا حدث

= اغراق المنطقة صدر بأمر منها. ووفقاً لألفاظ جوزجاني فان السلطان محمد «ارتد حاسراً» أمام العدو و«تراجع الى خوارزم»، (وعوفي يدحض هذا الزعم)؛ وأن الأعمال العسكرية عند قراسو قام بها «أهل خوارزم» عندما كان شهاب الدين على أبواب عاصمتهم. ويتحدث ابن الأثير عن الاشتباك عند سوقرا بوصفه معركة كبيرة بين الجيشين.

(١٦٧) يقدم زكريا القزويني (عجائب المخلوقات، الجزء الثاني. ص ٣٤٩ تحت لفظ «الجرجانية») رواية مخالفة عن بأس أهل كركانج فيقول إنهم كانوا جميعا مجندين بما في ذلك أهل الحرف منهم: ويحكى انه حدث ذات مرة ان انهزم السلطان محمد على يد القراخطاي فهرب الى كركانج مع عدد قليل من رجاله ودخل المدينة ليلا حتى لا يلحظ السكان ذلك، وفي صباح اليوم التالي خرج ضد العدو بجيش قوامه ثلاثون ألف فارس. هذه القصة (اذا تركنا جانبا المبالغة في عدد الفرسان) تتعلق دون شك بحرب محمد ضد شهاب الدين، وذكر القراخطاي هنا حدث سهوا.

(١٦٨) جويني، الجزء الثاني، ص ٥٥: برحانب شرقي شط؛ ولعل المقصود ليس المجرى الرئيسي للنهر بل القناة التي تمر قريبا من كركانج.

(١٦٩) وفقاً لابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ١٢٢) في بداية صفر عام ٦٠١ هـ (أول صفر يوافق ٢٨ سبتمبر ١٢٠٤ م).

(١٧٠) (هكذا في الطبعة الروسية لعام ١٩٠٠ (ص ٣٧٦). أما في الترجمة الانجليزية للكتاب لعام ١٩٢٨ (ص ٣٥١) فقد ورد «معركة لمدة اسبوعين» «A two weeks battle» - الناشرون).

وأن لم يتعرض لذات المصير فإن الفضل في ذلك يرجع إلى عثمان سلطان سمرقند الذي عزّ عليه وهو المسلم أن يرى « سلطان الاسلام » يقع أسيراً في يد الكفار ولذا فإنه عرض وساطته التي قُبلت من الطرفين، وسمح القراخطاي للغور بالرجوع إلى بلادهم بعد أن أجبروهم على افتداء أرواحهم. وعند هزيمته قتل شهاب الدين بيده أربعة أفيال لم يستطع أخذها معه إلى داخل القلعة ووقع فيلان في يد العدو، وقد اضطر الآن إلى التنازل للقراخطاي عن فيل ثالث. ووفقاً لرواية جويني فإنه قد ترك للقراخطاي جميع ما كان بيده[١٧١].

ورجع شهاب الدين إلى غزنة حيث كانت الاشاعة قد انتشرت بموته، مما سبب بعض الاضطرابات. فبعد أن أعاد الأمور إلى نصابها عقد صلحاً وحلفاً مع محمد، ويبدو أن هذا الأخير كان قد تمكن من وضع يده على جميع مدن خراسان عدا هرات التي ظلت حتى لحظة وفاة شهاب الدين المدينة الوحيدة من بين مدن خراسان الموجودة في قبضة الغور. وفي ربيع عام ١٢٠٥ قام حاكم بلخ وهو تاج الدين زنكي[١٧٢] بغارة على أراضي خوارزمشاه، ولكنه فعل هذا دون موافقة سلطانه الذي لم يؤيده في ذلك. وقد نهب الغور مرو الروذ ولكنهم هُزموا عند سرخس، ووقع زنكي وعشرة من الأمراء في الأسر فأُرسلوا إلى خوارزم حيث قطعت رؤوسهم[١٧٣]. وكانت الفكرة الوحيدة المسيطرة على شهاب الدين آنذاك هي الانتقام من القراخطاي، كذلك وجد لزاماً عليه/بوصفه « سلطان 416 الاسلام » أن يحرر ما وراء النهر من نير الكفار. وعبثاً حاول الخليفة الناصر في رسائله إليه والتي عُثر عليها فيما بعد عند احتلال الخوارزميين لغزنة أن يغري السلطان بالانتهاء أولاً من أمر خوارزمشاه بل وأن يعقد من أجل ذلك حلفاً مع القراخطاي[١٧٤]، أي أنه

---

(١٧١) جويني، الجزء الثاني، ص ٥٧: تما مت آنج داشت. قارن ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ٤٨. وعن هزيمة السلطان يتحدث بإيجاز شديد مروروذي، الذي يذكر عودته إلى برشور (پشاور) من خوارزم واندخوى في عام ٦٠١ « بعد أن لحقه الأذى » (الورقة ١٦ ب: پس از چشم زخمى؛ وترجمة Sir Denison Ross, في Ajab–namah, p. 399, «after receiving a wound in his eye» أي « بعد أن أصيب بجرح في عينه » حرفية للغاية).

(١٧٢) من الغوريين، وهو ابن لفخر الدين مسعود؛ راجع جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٤٢٥؛ (طبعة نساو – ليس، ص ١٠٤).

(١٧٣) جويني، الجزء الثاني، ص ٥٨. ووفقاً لابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ١٣٥) فان الأسرى جرى اعدامهم بمرو وعلقت رؤوسهم هناك لبضعة أيام.

(١٧٤) جويني، الجزء الثاني، ص ١٢٠.

اقترح عليه الخطة نفسها التي قام محمد بتنفيذها في العام التالي لذلك. ويبدو أن السلطان الغوري لم يكن ليماثل غريمه في الدهاء وبعد النظر. وفي صيف عام ١٢٠٥ هذا قام عماد الدين عمر حاكم بلخ (أغلب الظن خلف زنكي) بأمر من سلطانه بالاستيلاء على ترمذ التي كانت في قبضة القراخطاي وكانت واحدة من أمنع القلاع وأقواها، وعين ابنه[١٧٥] بهرام شاه[١٧٦] حاكماً عليها. غير أن العمليات العسكرية ضد القراخطاي أُوقفت بسبب الاضطرابات بالهند. ويرى جويني أن حملة شهاب الدين على الهند كانت بغرض «إصلاح أمور الخزانة وأحوال الجند»[١٧٧] قبل أن يشرع في قتال القراخطاي. وفي ربيع عام ١٢٠٦ رجع شهاب الدين إلى غزنة وبدأ يُعد بصورة حازمة لحملته على ما وراء النهر. وقد تسلم بهاء الدين[١٧٨] حاكم الباميان الأمر بإقامة جسر على أمودريا[١٧٩]، كما تم تشييد حصن على ضفة النهر نصفه داخل الماء[١٨٠]. غير أنه خلال هذه الاستعدادات وفي يوم ١٣ مارس من عام ١٢٠٦ خرّ السلطان فجأة صريعاً على يد أحد الفدائيين، وبعض الروايات ترجع ذلك إلى فعل الهنود، بينما يرجعه بعضها إلى فعل ملاحدة الاسماعيلية[١٨١].

وكان شهاب الدين آخر حاكم مسلم في وضع يسمح له بمنافسة خوارزمشاه. أمّا رأس دولة الغور الجديد وهو غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد فلم يكن يتمتع بصفات الحكم، وقد ثار قادة الحرس التركي الضخم الذي تركه شهاب الدين فاستولوا على غزنة

---

(١٧٥) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٣٥.

(١٧٦) يرد اسمه لدى النسوي (سيرة جلال الدين، المتن ص ٣٩، الترجمة ص ٦٦).

(١٧٧) جويني، الجزء الثاني، ص ٥٨: امور خزاين وجنود.

(١٧٨) وفقاً لألفاظ جوزجاني فان أراضيه كانت تمتد شرقا الى كشمير وغربا الى بلخ وترمذ وشمالا الى حدود كاشغر وجنوبا الى غرجستان وبلاد الغور (طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٤٣١؛ طبعة نساو - ليس، ص ١٠٨)، وهو حفيد فخر الدين مسعود.

(١٧٩) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٣٨.

(١٨٠) جويني، الجزء الثاني، ص ٥٩: بر شط جيحون بارگاه بر آوردند چنانك يك نيمه از بارگاه در آب بود.

(١٨١) ترد الروايتان لدى ابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ١٣٩ - ١٤٠)؛ ووفقا لجويني (الجزء الثاني، ص ٥٩) فقد كان القتلة من الهندوكيين؛ ووفقا لمعاصر للأحداث هو صدر الدين نظامي مؤلف كتاب بعنوان «تاج المآثر» (مخطوطة جامعة لنينجراد، الورقة ٢٠٤) فقد كانوا من الاسماعيلية «ملاحدة»؛ وهو الاسم الذي يطلقه عليهم جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الجزء الاول، ص ٤٨٥؛ (طبعة نساو - ليس، ص ١٢٤: بدست فدائي ملاحده)).

وعلى أملاك الغور بالهند. /كما أن خوارزمشاه اغتنم الفرصة فاتفق مع حاكم هرات على أن 417 يدخل بجيشه في أراضيه بحجة أن القراخطاي ربما استولوا على بلخ وولايتها[١٨٢]. وقد قاوم عماد الدين عمر الجيش الخوارزمي مدة أربعين يوماً ولكنه اضطر في النهاية إلى التسليم (في أواخر نوفمبر) فأرسل إلى خوارزم. كذلك وقعت ترمذ في يد محمد متحالفاً مع القراخطاي الذين وضعوا بذلك يدهم عليها، وقد أثارت فعلة محمد هذه سخط المسلمين الشديد[١٨٣]. ووفقاً لرواية جويني فان حاكم ترمذ نفسه هو الذي سلم القلعة لعثمان سلطان سمرقند عملاً بنصيحة أبيه عماد الدين[١٨٤]. وفي ديسمبر[١٨٥] دخل محمد هرات دخول الظافر، وظل غياث الدين محمود حاكماً للغور ولكنه اضطر مع هذا إلى الاعتراف بالتبعية لخوارزمشاه وذكر اسمه في الخطبة وسك النقود باسم محمد. وفي يناير من عام ١٢٠٧[١٨٦] رجع خوارزمشاه إلى عاصمته بعد أن حقق أخيراً الهدف الذي كان يرمي إليه أسلافه.

ولقد رأينا أن محمداً في نضاله مع آخر منافسيه من أمراء المسلمين قد أفاد من معاونة القراخطاي، أمّا الآن وقد بلغ هدفه وهو مركز الصدارة بين الحكام المسلمين في شرقي العالم الاسلامي فان خوارزمشاه لم يكن باستطاعته بطبيعة الحال أن يظل تابعاً للقراخطاي الكفار، واضطر حفاظاً على مكانته أن يظهر كما فعل شهاب الدين في زيّ المحرّر للمسلمين. وكانت الظروف مواتية له في ذلك، فقد حدث في هذه اللحظة بالذات واحدة من تلك التحركات الكبرى في تاريخ العالم الاسلامي انتظمت تركستان الشرقية ومنطقة يدي صو (الأنهار السبعة) ونواحي قولجه وبلاد ما وراء النهر.

ولا علم لنا بالأحداث التي كان مسرحها بلاد ما وراء النهر في نهاية القرن الثاني عشر، ولكن يبدو من السكة أنه لم تكن سمرقند وحدها بل وبخارا كذلك على الأقل في بداية القرن الثالث عشر، تحت حكم الخان ابراهيم بن الحسين الذي اتخذ لقب «سلطان

---

(١٨٢) جويني، الجزء الثاني، ص ٦٢: در آن وقت سلطان از جانب خان ختاي مستشعر بود كه نبايد پيش دستى كند وبلخ وآن حدود راكه در تصرّف سلاطين غور بود وبملك ختاى نزديك باحوز خود گيرد.

(١٨٣) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٥١ - ١٥٣.

(١٨٤) جويني، الجزء الثاني، ص ٦٤. لدى ميرخواند (شاهات خوارزم، ص ٥١ - ٥٢) يرد «خوارزمشاه» بدلا من «عثمان».

(١٨٥) في منتصف جمادى الأولى (وفقا لجويني، الجزء الثاني، ص ٦٤).

(١٨٦) في جمادي الثانية (جويني، الجزء الثاني، ص ٦٥ - ٦٦).

السلاطين الكبير ». ولا يذكره من المؤرخين على ما هو معلوم سوى عوفي[١٨٧] الذي يكتفي بايراد اسمه دون أن يضيف الى ذلك أية تفاصيل. وأغلب الظن أنه كان الخلف 418 المباشر لقليج طمغاچ خان مسعود ولكن لا علم لنا البتة بصلة الرحم التي/تربطه به. وقد سكت النقود باسمه في بداية الأمر بأوزكند منذ عام ٥٦٠ هـ= ١١٦٥ وذلك حين كان قليچ طمغاچ خان على قيد الحياة. أما بسمر قند فتبدأ سكته من عام ٥٧٤ هـ= ١١٧٨ - ١١٧٩ وتمتد إلى عام ٥٩٥ هـ = ١١٩٩، وإلى جانب هذا فهناك أيضاً قطعة من السكة تحمل اسم ابراهيم ضربت ببخارا عام ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ - ١٢٠١[١٨٨]. وخلف ابراهيم ابنه[١٨٩] عثمان الذي كان حاكماً كما رأينا منذ عام ١٢٠٤، ويقول جويني[١٩٠] إنه هو أيضاً كان يلقب « سلطان السلاطين ». ومن الجلي أن سلطنة عثمان لم تمتد إلى بخارا. ولقد أبصرنا كيف بدأ منذ النصف الأول للقرن الثاني عشر ظهور أسرة من الوعاظ بمدينة بخارا توارثت لقب « صدر جهان » أباً عن جد، غير أن معلوماتنا عن نسب هذه الأسرة يعتورها للأسف الكثير من التناقضات. وكان من المحتوم أن يسوق اتساع نفوذهم في الشؤون الزمنية الى صدام مع خانات سمر قند، ولا بد كذلك من أن تكون قد وقعت لهم صدامات مع العناصر الشعبية من جهة ومع القراخطاي من جهة أخرى. وهذا يفسر لنا نعت « الشهيد »[١٩١] الذي لصق بكل من حمل منهم لقب الصدر ابتداء من الصدر عمر الذي قتله القراخطاي(أنظر ص٤٧٧).ورغماً من قتلهم لعمر فقد اضطر القراخطاي إلى الاعتراف بالزعامة الدينية لخلفه، الذي كان يُدعى وفقاً لرواية نظامي عروضي[١٩٢] بالامام أحمد بن عبد العزيز (أخ للرجل المقتول؟)، وإذا ما أخذنا برواية عروضي فقد اضطر نائب القراخطاي المدعـو البتكين (أو اتماتكين) إلى أن يعمل في كل شيء باشارة الامام. وفي روايته عن استئصال القارلوق يورد ابن الأثير كما

---

(١٨٧) Teksty, str. 84

(١٨٨) Markov, Inventarny katalog, str. 282-289؛ ونعلم من « لباب الألباب » لعوفي (الجزء الأول، ص ٤٤) ان ابراهيم كان لا يزال حيا في رجب ٥٩٧ هـ (٧ ابريل - ٦ مايو ١٢٠١) عندما جاء عوفي الى بخارا.

(١٨٩) هكذا وفقاً لعوفي وللسكة Markov, Inventarny katalog, str. 294؛ ووفقا « للباب الألباب » (الجزء الأول، ص ٤٤) فقد كان عمره اربعة عشر عاما أو خمسة عشر في عام ٥٩٧ هـ (١٢٠١م).

(١٩٠) جويني، الجزء الثاني، ص ١٢٢: اورا در ما وراء النهر سلطان سلاطين گفتندى.

(١٩١) (كتاب ملاّ زاده) Teksty, str. 169؛ راجع مقال بارتولد « برهان » في دائرة المعارف الاسلامية.

(١٩٢) چهار مقاله، طبعة قزويني، ص ٢٢ وما يليها؛ ترجمة براون، ص ٢٤ وما يليها.

رأينا(ص٤٨٥)اسم رئيس بخارا على أنه الفقيه محمد بن عمر المقتول ويجعل منه حليفاً لخان سمر قند، كما يذكر ثناءه على اعتدال القراخطاي. وفي عام ٥٦٠ هـ = ١١٦٥ كما يبدو من رواية لنرشخي(١٩٣) فان السيطرة على بخارا كانت في يد قليج طمغاج خان مسعود الذي جدد بناء سور المدينة في ذلك العام. هذا، وفي عام ٥٧٤ هـ = ١١٧٨ - ١١٧٩ رفع محمد بن زفر صاحب موجز تاريخ نرشخي مصنفه إلى الصدر برهان الدين عبد العزيز(١٩٤)، ووفقاً لكل الاحتمالات فانه هو ذات الشخص الذي تتحدث عنه رسالة خوارزمشاه تكش التي أشرنا اليها فيما مر من الكتاب (راجع أعلاه ص٤٨٧)(١٩٥). وفي عهد الحكم الطويل للخان ابراهيم بن الحسين أُعيد سلطان خانات سمر قند على بخارا(١٩٦)،/غير أن الصدر يظهر بعده مرة أخرى في دور الحاكم. ووفقاً لرواية ابن 419 الأثير(١٩٧) فقد وصل الى بغداد عام ١٢٠٧ في طريقه الى الحج برهان الدين محمد بن أحمد ابن عبد العزيز رئيس الحنفية ببخارا، وهو فيما يغلب على الظن ابن للامام أحمد بن عبد العزيز الوارد ذكره لدى نظامي عروضي. ويصفه ابن الأثير بأنه كان الحاكم «على الحقيقة» على المدينة ويؤدي الخراج الى القراخطاي وينوب عنهم في حكم البلد. وعند وصوله الى بغداد قوبل بالتكريم ولكن لم تحمد سيرته بين الحجاج بمكة فسموه «صدر جهنم» بدلا من «صدر جهان». وإلى هذه الحَجّة ترجع في أكبر الظن القصة التي يرويها لنا عوفي عن المساجلة بين صدر بخارا ورجل قرب جبل عرفات(١٩٨). فقد أدى الصدر فريضة الحج بالكثير من مظاهر الأبهة وهو محمول على محفّة ومتاعه محمول على أكثر من مائة بعير وفي معيّته عدد من كبار العلماء، فالتقى به رجل فقير جائع في أسمال حافي القدمين وتساءل هل يستوي عند الله ثواب حجته وحجة الصدر؟ حجته التي أحاطت بها المشاق وحجة الصدر التي أحاطت بها جميع ضروب الأبّهة. وكان رد الصدر عليه أنه من غير

---

(١٩٣) نرشخي، طبعة شيفير، ص ٢٣، ٣٣ - ٣٤.

(١٩٤) شرحه، ص ٢ - ٣.

(١٩٥) يرد اسمه في «اللباب» لعوفي (الجزء الأول، ص ٢١١) على أنه عبد العزيز بن عمر. وفي طبعة شيفير للنرشخي يرد على أنه عبد العزيز بن عبد العزيز، ولكن يبدو انه بين الاسمين سقط «بن عمر» سهواً (وفي الطبعة الحجرية لمصنف نرشخي التي عملت ببخارا لا يوجد هذا السهو).

(١٩٦) يوجد شعر في مدحه من عمل الصدر عمر بن مسعود (حفيد أحمد بن عبد العزيز (راجع «اللباب» لعوفي، الجزء الأول، ص ١٦٩ وما يليها).

(١٩٧) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٧٠ - ١٧١.

(١٩٨) Teksty, str. 88 (عوفي).

الطبيعي أن يكون جزاء الاثنين واحداً . « لأنني أنفّذ أمر الله ، بينما تعصى أنت أوامره . فالله قد أمرني بالحج ما استطعت إليه سبيلا ، وأمرك قائلاً ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة . لذا فهو قد دعاني الى الحج وعفاك منه . فأنا ضيف بينما أنت طفيلي . والطفيلي لا يتمتع بحرمة الضيف » . وتشير روايات عوفي وابن الأثير إلى أن الصدور لم يكونوا يعيشون معيشة الزهاد وأنهم كان يمتلكون أموالاً طائلة ولهم مصادر دخل واسعة . ويؤكد هذا كلام النسوي[١٩٩] عن هذا الصدر نفسه ، فهو كان يشغل منصبي الرئيس والخطيب ولكنه كان من حيث الثروة يضارع الأمراء الحاكمين ، وكان ينفق على ستة آلاف من الفقهاء . والحركة الشعبية التي اندلعت ببخارا قبيل حملة خوارزمشاه كانت موجهة في أغلب الظن ضد الصدور كذلك ، وقد جعل قائد الحركة من نفسه سيداً على المدينة وهو ابن لبائع دروع يدعى سنجر ، وقد بالغ في اهانة واستذلال « أهل الحرمات[٢٠٠] » . ويحكي لنا 420 عوفي[٢٠١] أنه/بعد وفاة عبد العزيز ذهب الصدور الى بلاط (اردو) القراخطاي واشتكوا من مَلك سنجر ، وقد استطاعوا أن يحصلوا على الوثائق الضرورية وعليها الأختام ولكنها لم تغنهم شيئاً لأن سلطان القراخطاي في هذه اللحظة بالذات كان قد زال ، فتركت قراهم بلا ماء وقضي على ثروتهم .

ولدى جويني روايتان فيما يتعلق بسير النضال بين محمد والقراخطاي . ووفقاً لاحدى الروايتين[٢٠٢] (وذلك في الفصلين بعنوان « ذكر استخلاص ما وراء النهر » و« ذكر استئناف السلطان الحرب ضد الكورخان ») فان السلطان ظل يؤدي الجزية للقراخطاي لفترة طويلة ولكنه في آخر الأمر وذلك في عام ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ أمر بأن يُرمى سفير القراخطاي في النهر[٢٠٣] ، وكان قد قدم إلى كركانج من أجل الجزية وأثار ثائرة السلطان حين جلس إلى جانبه على العرش . وتلى ذلك أن احتل السلطان بخارا ، ثم تقدم

---

(١٩٩) النسوي : سيرة جلال الدين ، المتن ص ٢٣ - ٢٤ ؛ الترجمة ص ٤١ .

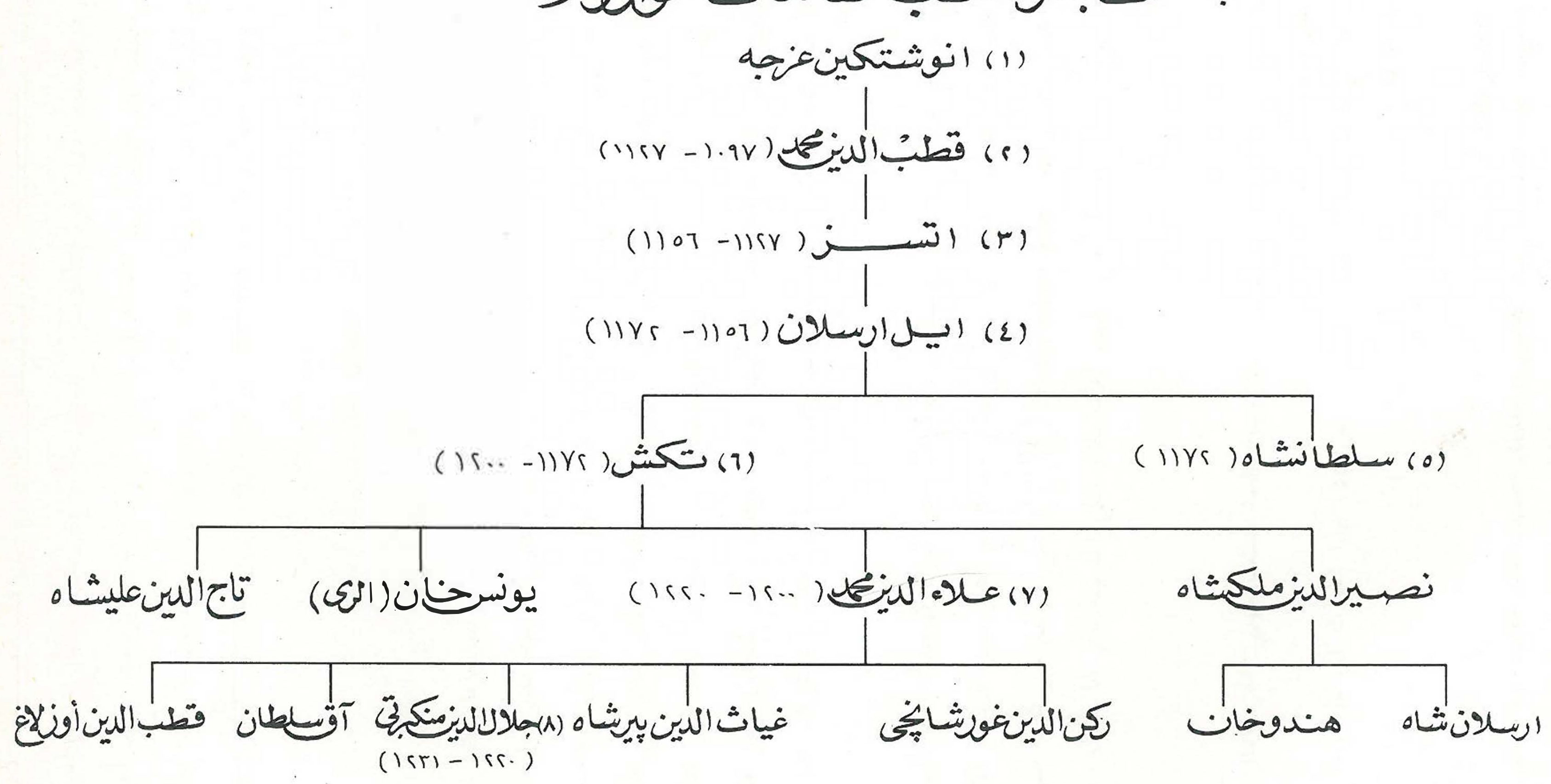
(٢٠٠) جويني ، الجزء الثاني ، ص ٧٤ (اهانت واستذلال اصحاب حرمت را از لوازم كار مى دانسته) ؛ ميرخواند ، تاريخ شاهات خوارزم ، ص ٥٤ .

(٢٠١) لباب الألباب ، الجزء الثاني ، ص ٣٨٥ ؛ حيث يورد المؤلف أبياتاً لشمس أعرج بخارى يهزأ فيها من صدور بخارا .

(٢٠٢) جويني ، الجزء الثاني ، ص ٧٤ - ٨٤ ؛ ميرخواند ، تاريخ شاهات خوارزم ، ص ٥٤ - ٦٠ .

(٢٠٣) يرد اسمه في مخطوطة مكتبة لنينجراد في صورة بوشى ؛ وفي مخطوطة خانيكوف في صورة : بولشى ؛ وفي النسخة المطبوعة لمصنف جويني (الجزء الثاني ، ص ٧٥) في صورة بوسى .

ب. شجرة نسب شاهات خوارزم



نحو سمر قند بعد أن بعث برسله إلى السلطان عثمان. وقبل قليل من ذلك كان عثمان قد طلب يد كريمة كورخان القراخطاي[٢٠٤] فقوبل طلبه بالرفض، وأثار هذا حفيظته فسارع إلى عقد حلف مع محمد وذكر اسمه في الخطبة وسك النقود باسمه. وقد أمر السلطان بتحصين سمر قند وعيّن الأمير برتنه[٢٠٥] من أقرباء تركان خاتون نائباً له ببلاط عثمان. وبعد هذا واصل خوارزمشاه زحفه فعبر نهر سيردريا، وفي شهر ربيع الأول سنة ٦٠٧ هـ[٢٠٦] (آخر أغسطس، وسبتمبر) التقى بجيش القراخطاي تحت قيادة تاينكو في سهل إلامش[٢٠٧]. وقد مُني جيش القراخطاي بالهزيمة ووقع تاينكو نفسه في الأسر فأُرسل إلى خوارزم. وفي طريق الرجعة استولى السلطان على أترار التي أبدى حاكمها بعض المقاومة[٢٠٨]، ثم رجع إلى سمر قند ومن هناك إلى خوارزم. وأُعدم تاينكو بأمر السلطان ورمي جثمانه في النهر. وخلال غياب السلطان عاثت «فلول جماعة قدر خان»[٢٠٩] فساداً وانتهبت نواحي جند لهذا فإن السلطان لم يبق طويلا بخوارزم بل زحف بجيشه على جند، أمّا عثمان الذي كان قد قدم إلى كركانج في معية السلطان فقد بقي هناك ليحتفل بزواجه/على كريمة خوارزمشاه. وبعد أن ظفر محمد بالقپچاق بلغه خبر محاصرة جيش القراخطاي لسمر قند فتوجه مسرعاً اليها. وعند وصوله كان سكان سمر قند قد ردوا سبعين هجمة للقراخطاي انتصروا فيها جميعاً عدا واحدة اضطرهم فيها العدو إلى التقهقر داخل مدينتهم. 421

غير أن خبر اقتراب جيش السلطان، وكذلك خبر ثورة كوچلك أمير النيمان في الجزء الشرقي للملكة، اضطرا القراخطاي إلى عقد هدنة مع أهل سمر قند ثم الانسحاب إلى بلادهم. هذا وقد رفض حاكم مدينة اغناق (؟)[٢١٠]، على الرغم من كونه مسلماً، الخضوع لخوارزمشاه فأُرسلت فصيلة من الجند للاستيلاء على المدينة وتم لها ذلك، وسيق الحاكم

---

(٢٠٤) لا يذكر ميرخولد هـ ذه التفاصيل.

(٢٠٥) لا يذكر ميرخواند شيئاً عن تعيين برتنه. وتورد طبعة مصنف جويني (الجزء الثاني، ٧٦) الاسم في صورة: ترتيه.

(٢٠٦) يرجع ميرخواند (تاريخ شاهات خوارزم، ص ٥٥) بهذا الحادث الى عام ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠م).

(٢٠٧) لا يذكر ميرخواند اسم موضع المعركة.

(٢٠٨) جويني، الجزء الثاني، ص ٨٠.

(٢٠٩) شرحه، الجزء الثاني، ص ٨٢: جماعتى از بقاياى اصحاب قادر خان.

(٢١٠) لعلها نفس يوغنك الوارد ذكرها فيما مر من الكتاب، ص٢٣٧

المتمرد الى السلطان في السلاسل والأغلال[٢١١]. وعقب هذا مباشرة وصل سفراء من قبل كوچلك إلى معسكر محمد وعُقد اتفاق بين كوچلك وخوارزمشاه على أن تصبح تركستان ملكاً لأول من يهزم الكورخان منها، فاذا أفلح السلطان في ذلك أصبحت جميع الولايات الى كاشغر وختن ملكاً له، أما إذا نجح كوچلك فعلى السلطان أن يعترف به أميراً على جميع المناطق الواقعة شرقي نهر سيردريا. وكان الظفر حليف كوچلك الذي نجح فعلاً في بلوغ ذلك الهدف، بينما فشل السلطان في معركته مع جيش الكورخان. فقد حدث قبل المعركة أن قام برتنه نائب خوارزمشاه بسمر قند ومعه أحد أمراء ما زندران وهو اصبهبذ مقاطعة كبودجامه باتصالات مع القراخطاي على أن يخونا خوارزمشاه إذا وعدهما الكورخان بتسليم خوارزم لبرتنه وخراسان للاصبهبذ. وقد وعدهما الكورخان بأضعاف ذلك. وفي بداية المعركة انسحب برتنه والاصبهبذ حسب الاتفاق فغلب الجناح الأيسر للقراخطاي على الجناح الأيمن للمسلمين هذا بينما انتصر الجناح الأيسر للمسلمين على الجناح الأيمن للقراخطاي، أما قلبا الجيش فقد وقعا في اضطراب شديد وانتهت المعركة بصورة غير حاسمة، ففي كلا الجيشين وجد منتصرون انتهبوا معسكر العدو ومنهزمون وجدوا السلامة في الفرار. وكان من عادة السلطان أن يرتدي في وقت المعركة زياً يشبه زي العدو، ففي أثناء الاضطراب وجد السلطان نفسه وبعضاً من خواصه (المرتدين زياً مشابهاً لزيه) وسط كتائب جيش القراخطاي وأمضى أياماً بينهم. ولكنه تمكن من اغتنام أول فرصة لمغادرة صفوف العدو دون أن يلحظه أحد ورجع إلى جيشه على ضفاف سيردريا فعمّ الجنود الفرح بعودته بعد مضي وقت كفي لنشر الشائعة لا باختفائه فحسب بل وبمصرعه.

ويرد ذكر هذه الأحداث نفسها على صورة مغايرة تماماً في الفصل المُعَنْوَن «ذكر خانات القراخطاي/ وظروف قيام دولتهم وزوالها» من كتاب جهانكشاي[٢١٢]. وموجز 422 ذلك أن السلطان وقد أغرته انتصاراته تباطأ في أداء الجزية المتفق عليها إلى القراخطاي لمدة عامين أو ثلاثة فقرر الكورخان في آخر الأمر إرسال وزيره محمود باي الى بلاط خوارزمشاه بغرض استيفاء هذه الأموال. وكان محمد آنذاك يتجهز للزحف على القپچاق لذا فقد رأى الفرصة غير مواتية للاشتباك مع القراخطاي، كما أنه أراد في الوقت ذاته

(٢١١) جويني، الجزء الثاني، ص ٨٣.

(٢١٢) جويني، الجزء الثاني، ص ٨٦ – ٩٣. يضمّن ميرخواند هذا الفصل في صورة موجزة في تاريخ جنكيز خان (طبعة جوبير، باريس ١٨٤١، ص ٩٠ – ٩٥).

أن يجنّب نفسه معرّة الاعتراف بالطاعة للكفار. لكل هذا فقد تحاشى تماماً مقابلة السفارة وخرج في حملته تاركاً لوالدته تركان خاتون أمر التباحث مع مبعوثي القراخطاي. هذا وقد استقبلت تركان خاتون السفارة بمظاهر الإجلال والإحترام ودفعت الأموال المستحقة بتمامها، كما أرسلت من قِبَلها جماعة إلى بلاد القراخطاي يحملون الاعتذارات الكافية للكورخان بسبب ما حدث من تأخير في أداء الأموال المتفق عليها وأن يعربوا له (باسم محمد) عن فروض الولاء والتبعية[٢١٣]. ورغماً عن هذا فإن محمود باي بيّن لسيده أن خوارزمشاه قد غرّته قوته ولم يعد التابع المخلص للكورخان، لهذا فإن المبعوثين الخوارزميين لم يُقَابلوا من جانب الكورخان بما يليق بهم من الاحترام والتكريم. ولمّا انتهى محمد من هزيمة القپچاق رجع إلى خوارزم عاقداً العزم على غزو بلاد ما وراء النهر، فقاد جيشه إلى بخارا ودخل سراً في اتصالات مع عثمان أمير سمر قند ومع غيره من الأمراء. وقد وعده الجميع بالتأييد لأنهم كانوا ساخطين من تعسف عمال القراخطاي الذين «على خلاف ما كان عليه الأمر في الماضي[٢١٤]» أمعنوا في ظلم السكان بكافة الوسائل. ولكن السلطان رجع من بخارا إلى خوارزم وهو ينوي تجديد الحملة في العام التالي[٢١٥]. وفي هذه الأثناء أشعل أمراء دولة القراخطاي الثورة في الأقاليم الشرقية للدولة، فاغتنم كوچلك أمير النيمان هذه الفرصة والتمس من الكورخان السماح له بالرجوع ليجمع فلول شعبه المتفرق. ولمّا تكشفت للكورخان سريعاً نوايا كوچلك للغدر به ندم على السماح له بالذهاب وأرسل يطلب المدد من الأمراء التابعين له ومن بينهم عثمان أمير سمر قند لمعاونته في قتال كوچلك. وكان عثمان غاضباً بسبب رفض الكورخان تزويجه من ابنته لذا فانه لم يستجب لطلبه وأخذ جهراً جانب خوارزمشاه، فأرسل اليه مبعوثاً وأدخل الخطبة وسك النقود باسمه. وكان رد الكورخان على ذلك أن أرسل ثلاثين ألفاً من المقاتلين إلى سمر قند نجحوا في وضع يدهم على المدينة، ولكن جنود القراخطاي أحجموا عن نهب المقاطعة امتثالاً لأمر مليكهم الذي «كان يعد سمر قند خزانته». ولكن لمّا تواترت الأخبار/ بظفر كوچلك اضطر الكورخان إلى سحب جيشه من سمر قند فسارع محمد باحتلالها، وخرج عثمان لمقابلته وسلمه المقاطعة وانضم إلى جيشه. وزحف الاثنان لغزو بلاد القراخطاي فالتقيا عند طراز بجيش قوي للقراخطاي تحت

423

(٢١٣) جويني، الجزء الثاني، ص ٩٠.
(٢١٤) شرحه: بر خلاف أيام ماضيه.
(٢١٥) شرحه: وسلطان بر قرار آنك در سال آينده برقصد او باز آيد از بخارا باز كشت.

قيادة تاينكو. ولم تكن المعركة بالحاسمة فقد هزم الجناحان الأيمنان للطرفين، ولكن تاينكو وقع في أسر المسلمين. وانسحب الجيشان[٢١٦] ونهب القراخطاي في طريق الرجعة رعاياهم وأثخنوا في بلادهم قتلاً وتخريباً. ولما كان أهالي بلاساغون قد داعبهم الأمل في أن يكون محمد في طريقه لتخليص جميع بلاد يدي صو (الأنهار السبعة) من يد الكفار فقد أوصدوا أبواب مدينتهم في وجه القراخطاي. وعبثاً حاول محمود باي وأمراء الكورخان أن يقنعوهم بالخضوع، وأخيراً وبعد حصار دام ستة عشر يوماً سقطت المدينة في يد الجيش فنهبها لمدة ثلاثة أيام وأعمل السيف في رقاب أهلها فهلك منهم سبعة وأربعون ألفاً. ولما كانت هذه العمليات العسكرية العديدة قد استنفذت أموال الكورخان، ولخوف محمود خان على ثروته «التي كانت تربو على كنوز قارون[٢١٧]» فقد نصح مليكه نصيحة خرقاء مؤداها أن يطالب العسكر برد الأموال التي سبق أن نهبها كوچلك من خزانة الدولة ثم استردها الجيش عند هزيمته له. وكان من نتيجة هذا القرار اندلاع العصيان في صفوف الجيش فسارع كوچلك باغتنام هذه الفرصة لضم الثوار إلى جانبه، فلمّا وجد الكورخان نفسه وحيداً ظهر أمام كوچلك وأراد أن يؤدي له فروض الطاعة والولاء إلاّ أن كوچلك أبى ذلك واستقبل مليكه بجميع مظاهر التكريم والاحترام وعامله معاملة الأب. ولكن السلطة كلها آلت بالطبع الى كوچلك الذي تزوج عرس الكورخان السابقة، ومات هذا الأخير بعد عام أو عامين من ذلك.

ويفضّل مير خواند الرواية الأولى، وهو يستبعد من الرواية الثانية كل ما يتعارض مع تلك (كدفع الجزية للقراخطاي بتدبير الملكة، وانسحاب السلطان من بخارا، واحتلال سمر قند بواسطة القراخطاي، وأسر تاينكو... الى غير ذلك من تفاصيل أقل من هذا أهمية). ولنفس هذا السبب يجري التعديل على متن جويني في مواضع مختلفة. ووفقاً لرواية هذا الأخير[٢١٨] مثلاً فإن ثورة حاكم هرات عز الدين حسين بن خرميل، وكذلك ثورة التركي كزلي من أقرباء الملكة، وكان حاكماً على نيشابور، كان سببها انتشار الإشاعة باختفاء السلطان أثناء قتاله مع القراخطاي. وقد أُخمدت الثورة بعد رجوع السلطان إلى خوارزم ووصوله الى نيشابور، وهذا الحادث الأخير تاريخه الحادي عشر من رمضان عام

---

(٢١٦) جويني، الجزء الثاني، ص ٩١ – ٩٢.
(٢١٧) القرآن الكريم، السورة ٢٨، الآية ٧٦.
(٢١٨) جويني، الجزء الثاني، ص ٦٦ – ٧٠.

٦٠٤ هـ (= ٣٠ مارس ١٢٠٨). وميرخواند[٢١٩] على النقيض من جويني يضع قصة الثورة/عقب سرده لأخبار حملتي السلطان ضد القراخطاي ويحذف التاريخ الذي لا يتفق 424 معها. ولكن معلوماتنا المستقاة من مصادر أخرى تدعمّ ذلك التاريخ، فابن الأثير[٢٢٠] أيضاً يضع حملة السلطان الأولى ضد القراخطاي بين أحداث عام ٦٠٤ هـ، ويقول أيضاً إنها انتهت بفشل السلطان. كما أن (مكمّل) نرشخي[٢٢١] يجعل استيلاء السلطان على بخارا في عام ٦٠٤ هـ. لذا، وخلافاً لمَا يراه أحد البحاثة المحدثين[٢٢٢]، فليس هناك ما يدعو إلى الدهشة في أن يفضّل دوسون D'Ohsson[٢٢٣] رواية ابن الأثير على رواية جويني الأولى التي أخذ بها ميرخواند. وتشير قرائن الأحوال إلى أن الرواية الثانية هي الأقرب الى الصحة، رغماً من احتوائها على تفاصيل من شأنها أن تثير شكوكاً قوية.

فأولاً وقبل كل شيء من العسير القول بأن السلطان لم يدفع الجزية للقراخطاي لبضعة أعوام قبل حربه معهم، فالسلطان إلى لحظة انتصاره الحاسم على الغور لم يكن بوسعه إلاّ أن يحمد للكورخان موقفه، ومما يثبت ذلك الواقعة التي ذكرناها فيما مر من الكتاب (ص٥٠٧)والمتعلقة بإعادته ترمذ للقراخطاي في نهاية عام ١٢٠٦. لذا فيجب ارجاع حملته على بخارا إلى خريف عام ١٢٠٧. ووفقاً لرواية جويني (الرواية الأولى) فإن السلطان أخذ جانب الحزب الارستقراطي ببخارا «ونال ابن بائع الدروع جزاء ما قدمت يداه». ويجب ألاّ يفهم من هذه الألفاظ أن سنجر قد أعدم، اذ يبدو من كلام النسوي[٢٢٤] أنه ظل يعيش ببلاط السلطان لأعوام طويلة بعد ذلك وأنه كان يشارك في حفلات البلاط أسوة بغيره من الأمراء الموجودين في أسر السلطان[٢٢٥]. ولا علم لنا بمدة إمارة سنجر على بخارا، فإذا كان لإمارته هناك علاقة بحجة الصدر التي أشرنا إليها فيما مر (ص٥٠٩)فإنه يمكن الافتراض بأن سنجر لم يحكم سوى بضعة أشهر، وإن كان وجود قصر يعرف «بقصر سنجر مَلك» يشير إلى مدة أطول. ويرد ذكر هذا القصر في أخبار

---

(٢١٩) ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ٦٠ - ٦٤.

(٢٢٠) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٧١ - ١٧٥.

(٢٢١) نرشخي، طبعة شيفير، ص٢٣ وص ٣٤، في الحالة الثانية المتن مطموس.

(٢٢٢) Oppert, Der Presbyter Johannes, S. 156

(٢٢٣) D'Ohsson, Histoire des Mongols, T.I, PP. 181-182

(٢٢٤) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٢١؛ الترجمة ص ٣٨.

(٢٢٥) نعلم من عوفي (لباب الألباب، الجزء الثاني، ص ٣٩٣) أن سنجر كان قد أُرسل الى آموى (چارجوي)؛ هذا ويورد عوفي بضعة أبيات في هجائه لشاعر يدعى شهابي غزال خجندي.

ثورة تارابي[٢٢٦] (٦٣٦ هـ = ١٢٣٨ - ١٢٣٩) مما يستفاد منه أن ذلك القصر لم يمس بسوء خلال النهب والحريق اللذين وقعا عام ١٢٢٠. ومما أورده متمم نرشخي نعلم أن السلطان قد أصلح قلعة بخارا وأسوارها. ويظهر أن نجاح السلطان في هذه المرة قد وقف عند حد 425 استيلائه على بخارا وعقده حلفاً مع القراخانيين، وبالذات مع السلطان عثمان/لذا فانه قفل راجعاً من بخارا رأساً إلى خوارزم. ويبدو من الإشاعة المتعلقة باختفاء السلطان والتي اندلعت بسببها الثورة بخراسان أن انسحاب السلطان من بخارا لم يتم عن رضى منه، الأمر الذي يؤيده ألفاظ ابن الأثير عن هزيمة السلطان وحليفه أمير سمرقند على يد القراخطاي. ومن ناحية أخرى فان الحكاية التي يسردها هذا المؤرخ نفسه عن سقوط محمد أسيراً هو وأحد خواصه ثم تمكنه من الإفلات بفضل حيلة هذا الأخير الذي أوهم العدو بأن السلطان مملوك له، هذه الحكاية ليست جديرة بالقبول. وكما هو معلوم فان هذه الحكاية نفسها تُروىَ عن ملكشاه ونظام الملك[٢٢٧].

وأياً كان الأمر فإن محمداً قد رجع إلى خوارزم، وفي ربيع عام ١٢٠٨ استطاع أن يضع الأمور في نصابها بظهوره شخصياً بخراسان. ووفقاً لابن الأثير[٢٢٨] فإن الثورة بهرات كان سببها سوء معاملة عسكر خوارزم للرعية، فلما انتشرت الاشاعة باختفاء السلطان جدّد حاكم هرات حلفه مع غياث الدين الغوري[٢٢٩] ولكن عند وصول خوارزمشاه وقف إلى جانبه من جديد. وقد أقنع مستشارو خوارزمشاه مليكهم بأنه ليس من الحكمة أن يثق في شخص خان العهد أكثر من مرة فلم يلبث أن أُعدم حاكم هرات، أمّا المدينة نفسها وقد تحصن بها وزير الحاكم السابق فإنها لم تقع في أيدي الخوارزميين إلاّ بعد حصار طويل. وفيما يتصل بثورة كزلي (الذي يدعوه ابن الأثير[٢٣٠] كزلك) حاكم نيشابور فإنه عقب دخول السلطان نيشابور (في ٣٠ مارس ١٢٠٨) هرب ابن لكزلي إلى ما وراء النهر يطلب اللجوء إلى القراخطاي ولكن قوات الخوارزميين أدركته عند ضفاف أمودريا وقُتل هو

---

(٢٢٦) Journal Asiatique, 4, XX, 393 ؛ Schefer, Chrestomathie persane, T.II, P. 128 ؛ جويني، الجزء الأول، ص ٨٧.

(٢٢٧) J.A. 4, XX, 448-449 ؛ تاريخ گزيده، طبعة براون ص ٤٤٥ ؛ الترجمة ص ٩٧.

(٢٢٨) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٧٢.

(٢٢٩) جويني، الجزء الثاني، ص ٦٦ ؛ ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ٦٣. ويروي ابن الأثير مصرع حاكم هرات بصورة مختلفة بعض الشيء، كما وأنه لا يذكر شيئاً عن انضمامه لفترة ما الى غياث الدين.

(٢٣٠) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٧٢ وما يليها.

وجميع أصحابه. أما كزلي نفسه فقد هرب إلى خوارزم حيث نصحته الملكة بأن يستجير بقبر السلطان تكش[٢٣١] ولكنه ما أن عمل بنصيحتها حتى أمرت بقتله وأرسلت برأسه إلى ابنها[٢٣٢]. ومن هذا يمكن الاستدلال على أن الملكة لم تكن آنذاك لتقدم على تأييد العصاة من أهلها.

وفيما يتصل بأحداث الأعوام التالية فلا علم لنا بشيء عنها سوى زلزال أصاب خوارزم عام ٦٠٥ هـ = ١٢٠٨-١٢٠٩. وقد خفف من وطأة الكارثة شيئاً ما حدوث ذلك في ساعات النهار حيث استطاع الأهالي الهرب من المدينة تاركين بها متاعهم. وبرغم ذلك/فقد هلك بالعاصمة ما يقرب من الألفين، كما وأن عدد من هلك بالريف جاوز ذلك بكثير، في حين زالت من الوجود قريتان بمن فيهما[٢٣٣]. 426

ويجب في أغلب الظن تحديد خريف عام ١٢٠٩ لوقوع سفارة محمود باي وللحملة على القبچاق، هذا في حالة ما إذا كان السلطان لم يقم حقاً بدفع الجزية للقراخطاي لأكثر من عامين قبل ذلك. وتصرف السلطان يدل على أنه لم ير من المناسب تجديد النزاع مع القراخطاي، ولكنّا نجده من أول العام التالي في وضع أفضل لكي يقوم بنشاط أكثر فاعلية. إذ حدث في تلك اللحظة بالذات أن تعرضت الولايات الشرقية لدولة القراخطاي إلى غزو من جانب الرحّل الذين طردهم چنكيزخان من منغوليا، ففي عام ١٢٠٨ ألحق حنكيزخان هزيمة ساحقة على ضفاف نهر ارتيش بفلول النيمان تحت قيادة كوچلك والمركيت تحت قيادة توقتا بيكي[٢٣٤]. وقد هرب كوچلك إلى بلاد القراخطاي، أما أبناء توقتا بيكي الذي سقط في المعركة فقد هربوا إلى أراضي ايديقوت الأويغور الذي كان يدين بالطاعة لكورخان القراخطاي. ويتصل بهذا في أغلب الظن ثورة الايديقوت على الكورخان وعقده حلفاً مع چنكيز خان. ففي عام ١٢٠٩ قتل نائب الكورخان ببلاد الاويغور ويدعى شاوكم وكان يقيم بقرية قراخواجه، ويصف جويني[٢٣٥] هذا بقوله:

---

(٢٣١) وفقا لابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ١٠٣) فان تكش قد شيد مقبرة لنفسه في المدرسة الكبرى التي قام بتأسيسها.

(٢٣٢) جويني، الجزء الثاني، ص ٧٢.

(٢٣٣) شرحه، ص ٧٢ - ٧٣. هذا وقد قاست مدن خراسان أيضا من هذا الزلزال، خاصة نيشابور (ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٨٧).

(٢٣٤) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ص ١٤، ١٦٨؛ الترجمة ص ١٠، ١١٣.

(٢٣٥) جويني، الجزء الأول، ص ٣٢: شاوكم را در خانهٔ پيچيدند وخانه برو انباشتند.

« حصروا شاوكم في منزله وهدموا المنزل فوق رأسه »، الأمر الذي نستطيع أن نستنبط منه أن العناصر الشعبية التي أثارها جشع جباة الضرائب من عمال دولة القراخطاي قد أخذت طرفاً في الثورة. هذا وقد تمكن الايدي قوت من إلحاق الهزيمة بالمركيت(٢٣٦) فهربت فلولهم إلى الأراضي الخاضعة لحكم الكورخان مباشرة(٢٣٧)، وهناك انضموا حسب رواية جويني(٢٣٨) إلى كوچلك.

427 وفي بداية القرن الثالث عشر/كانت المناطق التي يغلب العنصر المسلم بين سكانها تبدأ إلى الغرب من بلاد الأويغور مباشرة(٢٣٩)، وظهور جماعات الرعاة في هذه المناطق لم يكن من شأنه إلاّ أن يزيد من حالة الغليان التي بدأت فيها قبل ذلك بوقت مبكّر. وكما ذكرنا

---

(٢٣٦) حدثت المعركة عند نهر چام Ch'am وقد أخطأ دي غروت De Groot (وتبعه في خطأه ماركفارت Marquart, Komanen, S. 118)عندما ظن أن نهر چام هو نهر چو Chu وأغلب الظن أنه النهر الذي أخذت مدينة جامباليق أو جانباليق اسمها منه، وهي تقع في القسم الغربي من بلاد الاويغور. راجع عن هذه المدينة فهرست Bretschneider, Researches ويقول برتشنيدر (شرحه) إن هذا النهر قريب من نهر ارتيش (راجع أيضاً Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 22 – الناشرون).

(٢٣٧) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ص ١٧ ؛ الترجمة ص ١١.

(٢٣٨) جويني، الجزء الأول، ص ٤٧. ومن بعض ملاحظات لجويني(الجزء الأول ص ٤٦ وما يليها)والموضع الموافق لها من مصنف رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ص ١٧، ٥٥؛ الترجمة ص ١١، ٣٤ – ٣٥) قد يمكن الاستنتاج ان كوچلك أخذ طرفا في الحملة على بلاد الاويغور وهرب من هناك غربا عن طريق كچه مع المركيت. ولكن جويني يذكر في نفس الصفحة ان أمراء المركيت التقوا بكوچلك في ناحية ايميل وقوبق(النسخة المطبوعة تورد قياليغ) بعد ان حصل كوچلك على اذن الكور خان بأن يجمع لنفسه جيشا. وأقوال جويني تدل على أنه قد خلط بين كوچلك وسنكون امير الكرايت الذي هرب الى تركستان الشرقية (قارن رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الثالث عشر، المتن ص ٢٣٧. الترجمة ص ١٤٨). وأمير الكرايت هذا معروف في العادة بلقبه الصيني سنكون، وقد بينت في نقد لي (ZVORAO, T. XI, str. 350) أن اسمه الشخصي غير معروف على الاطلاق. ولكن نصير الدين طوسي يذكره في « زيج ايلخاني » (مخطوطة المتحف البريطاني رقم Or. 7464،الورقة ١ ب) في صورة ايلاقا، كما وأن اليوان – شي (الفصل الأول، الورقة ٥ ب) يورده في صورة يي – لا – ها (Pelliot, A propos des Comans, PP. 176,180 حيث يقول ان الشكل نيلقا هو الأصح، رغما من أن الكتابة الفارسية لا توكد ذلك). ولدى رشيد الدين يرد في صورة ايلقه (طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ١٢٥ ؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ٩٨ ؛ والقسم الثالث عشر، المتن، ص ١٨٦ وما يليها؛ الترجمة ص ١١٥ و٢٨٢). (في نقده «لتركستان» يعتقد پليو ان كلا الشكلين ايلقا ونيلقا كانا مستعملين، ولكن الأول منها محلي (من الممكن ان ذلك كان في لهجة الكرايت) أما الثاني ففي المغولية نفسها. راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», PP. 22–24 – الناشرون).

(٢٣٩) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٣٠٣ ؛ Bretschneider, Researches, vol. I, P. 68

في موضع آخر(٢٤٠) فإن هذا الغليان لم يكن مرجعه إلى العوامل الدينية وحدها بل كان سببه الأساسي هو تدهور حال دولة القراخطاي وضعف سلطان العرش وارتفاع شأن الأمراء المحليين، يضاف إلى ذلك تعسف جباة الضرائب. ويلوح أن الحركة بدأت بتركستان الشرقية. وكما يظهر من رواية جويني(٢٤١) بطابعها المتميز، وذلك عند عرضه لموقف الكورخان من أمير القارلوق، فإن الكورخان أدرك منذ تلك اللحظة أن الثورة ستنتظم جميع الأراضي الإسلامية الخاضعة للقراخطاي. غير أن النصر لم يكن حليف المسلمين خلال ذلك، حتى ظهرت جماعات الرعاة. «فابن خان كاشغر» كان في سجن الكورخان حتى أطلق كوچلك سراحه(٢٤٢)، ويمكن من هذا أن نستنبط أن الثورة قد اندلعت أثناء حكم هذا الخان وهو ارسلان خان أبو المظفر يوسف المتوفي وفقاً لرواية جمال قرشي(٢٤٣) في رجب من عام ٦٠١ هـ (= فبراير - مارس ١٢٠٥). وفي بلاد ما وراء النهر أيضاً أُخمدت الثورة في باديء أمرها، كما يتضح ذلك من هزيمة محمد وسقوط سمرقند في يد القراخطاي. غير أن الكورخان استغل ثمرة انتصاره على عثمان (والذي حدث في أغلب الظن في النصف الأول من عام ١٢١٠) في كثير من الاعتدال فاكتفي بقبول جزية صغيرة وبترك نائبه بسمرقند. ومن الجائز أن يكون زواج عثمان بالأميرة القراخطائية قد تم آنذاك، وهو الزواج الذي سعى إليه عبثاً في الماضي. ويرجع جويني(٢٤٤) بهذا الزواج/إلى فترة المصالحة الثانية بين عثمان والقراخطاي وثورته ضد محمد، غير أنه من العسير الأخذ بألفاظ ذلك المؤرخ حين يقول إن محمداً لمّا بلغته أخبار هذه المصالحة والزواج أمهل صهره العاصي ولم يفعل بإزائه شيئاً ما. 428

بيد أن ما ناله كوچلك من توفيق في عام ١٢١٠ بفضل معاونة القارلوق المقيمين بالقسم الشمالي من منطقة يدي صو ونهبه لخزانة الكورخان ألتي كان مقرها بمدينة اوزكند، كان هذا كله سببا في اضطرار الكورخان إلى إخلاء سمرقند وتركيز اهتمامه في الدفاع عن مملكته نفسها. وكان من جرّاء ذلك أن تجددت الثورة بما وراء النهر، ووصل

---

(٢٤٠) Bartold, Ocherki istorii Semirechia, str. 106 i sl.

(٢٤١) جويني، الجزء الأول، ص ٥٦؛ أنظر أيضاً Bartold, Ocherki istorii Semirechia, str. 107-108

(٢٤٢) جويني، الجزء الأول، ص ٤٨؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T.I, P. 170

(٢٤٣) Teksty, str. 132

(٢٤٤) جويني، الجزء الثاني، ص ١٢٤.

محمد إلى بخارا قادماً من جند وذلك بعد انتصاره على القپچاق[٢٤٥]، ومرة أخرى وقف عثمان إلى جانبه. وإلى هذه الحملة يرجع في أغلب الاحتمال الرواية المتصلة بمحاصرة اغناق والاستيلاء عليها. ورغماً من انتصار الكورخان على كوچلك في يدي صو وذلك غير بعيد من مدينة بلا ساغون إلاّ أن قائده تاينكو وقع أسيراً في يد المسلمين على مقربة من تلاس. ولم يكن انتصار المسلمين حاسماً ولذا فقد أقلع السلطان عن تعقب العدو أو معاونة إخوانه في الدين بيدي صو. غير أن تلك الواقعة وما أعقبها من ارسال قائد القراخطاي الأسير إلى خوارزم، كانت مبعث سرور وفرح بين رعايا محمد وزادت من هيبته في قلوب الناس. وفي الرسائل الرسمية بدأ محمد يُلقب «بالاسكندر الثاني»، وان فضّل هو شخصياً أن يلقّب «بالسلطان سنجر»[٢٤٦] تيمناً بفترة الحكم الطويلة لذلك السلطان. وإلى هذا العهد نفسه يرجع نقش لقب «ظل الله في الأرض» على ختم السلطان. ووفقاً لرواية جويني[٢٤٧] فان تاينكو قد قُذف به في مياه امودريا تنفيذاً لأوامر السلطان، ولكن جوزجاني[٢٤٨] يؤكد ان القائد الأسير اعتنق الاسلام وعاش بخوارزم متمتعا بقدر كبير من الاحترام. ولعل مؤلفنا خلط بين مصير تاينكو ومصير اثنين آخرين من القراخطاي هما براق وأخوه اللذان أُسرا في هذه الواقعة أيضاً وانخرطا في خدمة خوارزمشاه حتى بلغا مرتبة الأمير والحاجب[٢٤٩].

429 ولم تدم أفراح المسلمين طويلا، فسرعان ما أدرك الأمراء المسلمون الذين/ دانوا بالتبعية للقراخطاي أن انتقال السلطة من الكورخان الكافر إلى خوارزمشاه المسلم لم يعد عليهم بأدنى نفع. ووفقاً لرواية جويني فإن محمداً اضطر منذ عام ١٢١٠، أي قبل رجوعه

---

(٢٤٥) أغلب الظن أنه الى هذا التاريخ يجب ان نعود برواية النسوي بصدد ذهاب السلطان الى جند وشكوى الأهالي اليه من وزيرهم المحلي (النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ١٠٢ - ١٠٣، الترجمة ص ١٧٠).

(٢٤٦) أنظر اللقبين لدى عوفي (Teksty, str. 84). كذلك يرد ذكر اللقب «سلطان سكندر»، والمعارك قرب طراز في «لباب الألباب» (الجزء الأول ص ١١٢ وذلك في ترجمة طريفة لحياة الوزير أبي بكر أحمد الجامجي الذي قام من قبل بزيارة الى بلاد الخطا وبلاساغون، شرحه ص ١١١). راجع نفس المصدر، الجزء الأول، ص ٢٠٢، والجزء الثاني ص ٣٤٢ (سلطان سكندر).

(٢٤٧) جويني، الجزء الثاني، ص ٨١؛ ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢٤٨) ترجمة راڤرتي، الجزء الاول، ص ٢٦١ - ٢٦٢ (غير موجودة في طبعة نساو - ليس)، وص ٩٣٤ (طبعة نساو - ليس ص ٣٢٩).

(٢٤٩) جويني، الجزء الثاني، ص ٢١١.

إلى خوارزم، إلى إخماد ثورة قام بها أمير اترار، وقد استسلم الثائر في نهاية الأمر وأُرسل إلى نسا[٢٥٠]. ويذكر النسوى[٢٥١] ان صاحب اترار وهو تاج الدين بلكا خان كان ابن عم[٢٥٢] لعثمان أمير سمرقند وأنه كان أول من انحاز إلى جانب خوارزمشاه من بين أمراء القراخطاي (أي من الأمراء الخاضعين للكورخان) وقد خف إلى السلطان آملا في أن ينال جزاء ما سلفت يداه (وكان قد أخذ طرفاً في معركة اندخود). ولا يورد النسوى شيئاً البتة عن ثورته ويجعل من نفيه اجراءاً تحفظياً لجأ إليه السلطان قبل حملته على العراق (١٢١٧). وقد أقام بلكا خان عاماً وأكثر بنسا، استمال فيه قلوب الناس بكرمه وجوده، فلما بلغ ذلك السلطان بعث بجلّاده إلى نسا فاجتز رأسه وأتى به إلى خوارزم. ومن الجلي أن النسوى أدرى من غيره من المؤرخين بأحداث مسقط رأسه نسا، بيد أنه من العسير الافتراض، بأن بلكا ظل حاكماً لأترار حتى عام ١٢١٧ ولم يُعزل في وقت واحد مع بقية ممثلي أسرة القراخانيين.

وكان عثمان أمير سمرقند[٢٥٣] قد صحب السلطان إلى كركانج لعقد قرانه على كريمة خوارزمشاه. وقد دامت الاحتفالات بعض الوقت، ولكن عثمان لمّا أراد العودة إلى سمرقند أصرّت تركان خاتون وفقاً لعادات الترك على أن يبقى العريس عاماً كاملاً بمنزل صهره فلم يملك إلاّ الإذعان. ولمّا استأنف محمد في ربيع عام ١٢١١ حملته على القراخطاي وصل بمفرده إلى سمرقند، وسُرعان ما تبيّن له أن غياب الخان قد أثار خواطر الرعية وعداءهم له. فلم يستطع السلطان إزاء هذا إلاّ أن يأمر بإرسال عثمان وزوجه الشابة إلى سمرقند، فغادر عثمان خوارزم محاطاً بما يليق به من مظاهر التكريم تاركاً أخاه الأصغر بها، وعاد إلى عاصمته. ووفقاً لقول ابن الأثير فإن خوارزمشاه بعث مع عثمان نائباً له يتمتع بكافة الامتيازات التي تمتع بها من قبل ممثل الكورخان. ولا يشير جويني في هذا الموضع من تاريخه إلى أية عمليات عسكرية جرت في ذلك العام، حتى إنه ليصعب علينا أن نقرر ما إذا كانت قصته التي وردت في الرواية الأولى والمتعلقة بخيانة برتنه حاكم

---

(٢٥٠) جويني، الجزء الثاني، ص ٨١؛ ميرخواند، شاهات خوارزم، ص ٥٧.

(٢٥١) سيرة جلال الدين، المتن ص ٢٢ - ٢٣؛ الترجمة ص ٣٨ - ٤١.

(٢٥٢) هنا خطأ في الترجمة الفرنسية (أي لكتاب نسوي بقلم هوداس).

(٢٥٣) عن ما آل اليه مصيره راجع روايتي جويني (الجزء الثاني ص ١٢٢) وابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ١٧٧ - ١٧٨).

430 سمرقند لها أي نصيب من الصحة. وجوزجاني[٢٥٤] هو الوحيد/الذي ينسب إلى محمد نصراً آخر على القراخطاي في عام ١٢١١ أو ١٢١٢ وبجيش تعداده أربعمائة ألف رجل (؟).

ولم يلبث عثمان بعد رجوعه إلى سمرقند أن تولاّه الاستياء والسخط من مسلك الخوارزميين الذين انما جاءوا إلى بلاده في الأصل كمحررين لها من الكفار، وقد دفعه هذا إلى إعادة علاقاته مع القراخطاي. ولعل أغرب ما في الأمر أن يقدم على هذه الخطوة في عام كعام ١٢١١، الذي كان في جله عام سوء بالنسبة للكورخان. ففي القسم الشمالي من يدي صو وصلت كتيبة من المغول بقيادة قوبيلاي نوين، مما شجع أمير تلك الناحية على اطّراح التبعية للكورخان نهائياً وقتل نائب القراخطاي[٢٥٥]. ورغماً من كل هذا فقد قرر عثمان أن يستبدل سيادة الكفار السابقة بسيادة محرريه المسلمين، بل إن قرائن الأحوال فوق هذا تشير إلى أنه فعل ذلك في اتفاق تام مع رعيته. ولم تلبث الأخبار أن تواترت إلى محمد بأن عثمان يعامل ابنته معاملة غير كريمة وأنه يجاهر بتفضيل الأميرة القراخطائية عليها، بل إن ابنته قُسرت على القيام بخدمة ضرتها. وأخيراً في عام ١٢١٢ وصل الخبر بأن أهل سمرقند قد هبوا بتحريض من عثمان وقتلوا جميع الخوارزميين المقيمين بالمدينة. أما ابنة خوارزمشاه فقد اعتصمت بالقلعة وقبل عثمان بعد ممانعة شديدة أن يُبقى على حياتها. ويذكر ابن الأثير أن أجساد الخوارزميين شطرت نصفين وعلقت في الأسواق كما يعلق القصابون اللحم، من هذا يتضح مدى حقد أهل سمرقند على الخوارزميين وكراهيتهم الشديدة لسيطرتهم. وبالطبع فإن أنباء هذه الكارثة جعلت السلطان يزحف على سمرقند، ووفقاً لرواية ابن الأثير فإن محمداً أراد في البداية أن يقتل كل من بخوارزم من الغرباء ولكنه اقتصر فيما بعد على أهل سمرقند وحدهم، إلاّ أن أمه تركان خاتون حالت بينه وبين ذلك. ولم تطل مقاومة سمرقند. ويقول جويني إن عثمان ظهر أمام خوارزمشاه حاملاً سيفاً وقطعة من ثوب (أي كفناً له)، عنواناً على استسلامه التام. أما ابن الأثير فيذكر ان عثمان أغلق على نفسه باب القلعة بعد استيلاء

---

(٢٥٤) ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ (غير موجودة في طبعة نساو - ليس) وص ٩٣٤، (طبعة نساو - ليس ص ٣٢٩).

(٢٥٥) رشيد الدين، طبعة برزين (المتن، القسم السابع، ص ١٧١)؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٣٢؛ والقسم الخامس عشر (المتن ص ١٦٩) الترجمة ص ١١٣و١١٤ - ١١٤؛ والتاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٣٠ - ١٣١؛ وجويني، الجزء الأول، ص ٥٧.

الخوارزميين على المدينة ورُفض رجاؤه للعفو، ثم جيء به بعد استسلام القلعة بين يدي السلطان الذي أذن لعسكره بنهب المدينة وقتل أهلها لثلاثة أيام، فلم ينج منها سوى الحي الذي يقطنه الغرباء. وقد بلغ عدد القتلى من سكانها في تقدير ابن الأثير مائتي الف، ولكن العدد الذي يورده جويني وهو عشرة آلاف أقرب إلى الصحة. وقد أصغى محمد بعد ذلك لتضرعات السادة والأئمة والعلماء فأمر بإيقاف المذبحة. ويقال إن خوارزمشاه أراد الإبقاء على حياة عثمان ولكن ابنته خان سلطان لم توافق على العفو عن زوجها فأعدم في الليلة التالية. وأرسل محمد إلى «أمراء/ فرغانة وتركستان» يدعوهم إلى الخضوع والطاعة 431 كما أرسل فصيلة من جيشه لاحتلال اسفيجاب ومناوشة القراخطاي لمنعهم من استعادة قواهم. وأصبحت سمرقند العاصمة الفعلية لخوارزمشاه الذي شيد بها مسجداً جامعاً وشرع في بناء «صرح عال» بها، وأغلب الظن أنه أراد بذلك أن ينشيء قصراً.

ويتبيّن من ألفاظ ابن الأثير[٢٥٦] وجوزجاني[٢٥٧] أن عثمان وابن عمه لم يكونا الوحيدين من أسرة القراخانيين ممن قُتلوا بأمر محمد، فقد لقي بقية أعضاء الأسرة نفس المصير. ويبدو من معطيات السكة[٢٥٨] أن حاكم أوزكند آنذاك كان جلال الدين قدر خان الذي حمل لقب «السلطان الكبير» (الوغ سلطان)، شأنه في ذلك شأن والد عثمان، وتشير قرائن الأحوال إلى أن نهايته كانت مشابهة[٢٥٩]. وكان سبب ارسال تلك الفصيلة من الجيش إلى اسفيجاب هو تواتر الأخبار بتغوّل كوچلك على السلطة ببلاد القراخطاي. وقد أطلق هذا الأخير بعد أسره للكورخان سراح ابن خان كاشغر الذي كان في حبس القراخطاي وبعث به إلى كاشغر، وهناك قتله الأمراء العصاة ولمّا يضع قدميه بعد داخل المدينة[٢٦٠]. ووفقاً لرواية جمال قرشي[٢٦١] فإن هذا الأمير واسمه ارسلان خان أبو الفتح محمد قتل في عام ٦٠٧ هـ = ١٢١٠-١٢١١، مما يمكن أن يستدل منه على أن أسر الكورخان لم يحدث بعد النصف الأول من عام ١٢١١. وهذا يتفق مع رواية جويني

---

(٢٥٦) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٧٨.

(٢٥٧) ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٦٥ (غير موجودة في طبعة نساو - ليس).

(٢٥٨) Markov, Inventarny katalog, str. 292–293; (أنظر أيضاً Davidovich, Numismaticheskie Materialy - الناشرون).

(٢٥٩) لعله هو كوچ تكين الذي تزوج من أخت عثمان والوارد ذكره في «لباب الألباب»، الجزء الاول، ص ٤٥. واللقب كوچ تكين نلتقي به أيضاً في المسكوكات.

(٢٦٠) جويني، الجزء الأول، ص ٤٨؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, P. 170

(٢٦١) Teksty, str. 132–133

الذي يضع هذا الحادث كما رأينا عقب انسحاب جيش القراخطاي من ضفاف نهر تلاس واحتلالهم لبلاساغون. وفي حياة الكورخان استحوذ كوچلك على السلطة الفعلية بالدولة تاركاً للكورخان مظاهر التشريف اللائقة به كملك، وفي أثنا الاستقبالات الرسمية كان الكورخان يجلس على سرير الملك بينما يقف كوچلك بين يديه موقف الحاجب[٢٦٢]. وليس لدينا حقائق موثوق بها عن أية مفاوضات جرت بين محمد وكوچلك قبل أسر الكورخان، ومما لا شك فيه أن الاتفاق الممعن في الخيال الذي يورد قصته جويني (انظر اعلاه ص ٥١٤) لم يحدث البتة. وأقرب إلى الحقيقة من ذلك قول ابن الأثير[٢٦٣] إنه في خلال القتال بين الكورخان وكوچلك طلب الجانبان العون من خوارزمشاه وأن هذا الاخير تقدم بجيشه (من الجائز أن يكون ذلك قد حدث عام ١٢١١) ولكنه لم يمد يد العون لأحدهما في انتظار ما يسفر عنه الصراع بينهما، على حين طاف بظن كل/منهما أنه نصيره على الآخر. 432

وبعد هزيمة الكورخان وأسره فقط أخذ خوارزمشاه طرفاً في القضاء على دولة القراخطاي، بل إن قسماً من جيشهم انضم إلى قواته. وقد جهد خوارزمشاه ليدلل لكوچلك على أنه (أي كوچلك) مدين بانتصاره إلى العون الذي قدمه محمد، وأن عليه أن يتزل له عن قسم من أراضي الكورخان. وقد رفض كوچلك هذا الادعاء رفضاً قاطعاً. وهذه الاتصالات التي جرت على الصعيد الدبلوماسي يرويها لنا بدقة فائقة النسوى[٢٦٤]، الذي سنحت له فرصة التحدث مع محمد بن قراقاسم النسوى آخر سفراء خوارزمشاه إلى كوچلك. وقد آخذ محمد كوچلك على حرمانه إياه من ثمرة انتصاره وادعى أن الكورخان بعد هزيمته على يد خوارزمشاه عرض على عدوه الصلح على أن يزوجه كريمته طفغاج خاتون «تزف إليّ بما تحويه خزانته من الجواهر الثمينة والأعلاق النفيسة، على أن أتركه في أخريات بلاده بما لفظته السيوف من حشاشة نفس»، على أن كوچلك اغتنم في تلك اللحظة ضعف الكورخان فتغول على السلطة لذا فإن السلطان يطلب من كوچلك أن يرسل إليه بالكورخان نفسه وبابنته وخزائنه وأمواله وأشياعه. ولم يجد كوچلك أمام هذا التهديد إلاّ أن يلجأ الى أسلوب المصالحة والمهادنة فبعث بهدايا قيمة إلى محمد ولكنه رفض تسليمه الكورخان الذي ساوره الفزع، ليس دون وجه حق، من هول المصير الذي ينتظره بخوارزم فتضرع إلى كوچلك ألاّ يستجيب لطلب خوارزمشاه. وقد أوضح

---

(٢٦٢) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٧، الترجمة ص ١٣.

(٢٦٣) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢٦٤) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٧ - ٩؛ الترجمة ص ١٣ - ١٦.

الكورخان لكوچلك أن الأمر ليس كما يزعم سفراء محمد، فهو في سبيل انقاذ بقية ملكه رضي في الحقيقة ان يعقد الصلح مع خوارزمشاه وأن يزوجه ابنته ولكن محمداً رفض جميع عروضه. ولمّا لجأ كوچلك إلى أسلوب المماطلة بإزاء شروط السلطان فان السلطان لجأ بدوره إلى أسلوب أكثر تشدداً إذ أمر سفيره بمخاشنة كوچلك وإغلاظ القول له فأمر كوچلك بتقييد السفير ولكنه استطاع الهرب فيما بعد خلال الاشتباكات التي وقعت بين قوات كوچلك وقوات محمد «في كاشغر ومواضع أخرى».

ويذكر ابن الأثير أن خوارزمشاه قد اكتفى بإرسال وحدات صغيرة للقيام بحرب العصابات، مما حدا بكوچلك إلى أن يعيّره بقوله له: «ليس هذا فعل الملوك، هذا فعل اللصوص وإلاّ إن كنت سلطاناً كما تقول فيجب أن نلتقي فإمّا أن تهزمني وتملك البلاد التي بيدي وإمّا أن أفعل أنا بك ذلك». وليس من السهل على كوچلك أن يعيّر السلطان بما عيّره به لأنه هو نفسه قد لجأ إلى هذا الأسلوب في حروبه ونجح فيه نجاحاً تاماً، وبفضل هذا الأسلوب خرج منتصراً في نضاله مع خوارزمشاه، على الرغم من أنه لم يكن في يده في بداية الأمر سوى يدي صو والقسم الشرقي من ولاية سيردريا. غير أن المهمة الأولى التي واجهت كوچلك كانت سحق فلول الثوار المسلمين، أي القضاء على بوزار أو اوزار[٢٦٥]/وهو سارق خيل وقاطع طريق سابق كان قد أقام لنفسه خلال الثورة امارة مستقلة باقليم قولجه. وكان عليه أيضاً القضاء على زعماء الثورة الذين قتلوا الخان بكاشغر. ودون أن يجد كوچلك نفسه في حاجة إلى القيام بحملة لإخضاع تركستان الشرقية فقد عمل لمدة ثلاثة أو أربعة أعوام متتالية (من عام ١٢١١ إلى عام ١٢١٣ أو ١٢١٤) على الإغارة على المنطقة وتخريبها وقت الحصاد. وكما رأينا من رواية النسوي فإن محمداً أرسل في ذات الوقت سرايا من جيشه إلى تلك النواحي، ويؤيد هذا ألفاظ جويني[٢٦٦] عن بلوغ جيش محمد حدود مدينة بيشباليق. هذا وقد حققت غارات كوچلك الهدف المقصود منها، فقد اندلعت مجاعة في المنطقة اضطرت الأهالي إلى الخضوع له. وإذا ما حكمنا من سلوك الخوارزميين في مواضع أخرى فإن هناك ما يحملنا على الاعتقاد بأن ظهور سرايا من جيش محمد في المنطقة في ذات الوقت الذي كانت تعيث فيه قوات كوچلك لم يكن من شأنه إلاّ أن يدفع الأهالي إلى اتخاذ ذلك القرار، وهو اعلان خضوعهم لكوچلك. وفي

433

(٢٦٥) جويني، الجزء الأول، ص ٥٧ وما يليها؛ (جمال قرشي) Teksty, str. 135–136

(٢٦٦) جويني، الجزء الثاني، ص ١٢٦.

الواقع لم يكن بمقدور خوارزمشاه القيام بأية محاولة لايقاف ما تعرض له الاسلام من اضطهاد وتنكيل في تركستان الشرقية عقب انتصار كوچلك(٢٦٧). ولم ينكشف عجز محمد في فشله في تقديم العون لإخوانه في الدين بكاشغر وختن فحسب، بل إنه لعجز حتى عن حماية الأطراف الشمالية لما وراء النهر نفسها من هجمات كوچلك. ويذكر ابن الأثير(٢٦٨) أن السلطان كان يقضي الصيف بنواحي سمرقند، على أقل الفروض حتى عام ١٢١٤، لخوفه من أن يغزو كوچلك ما وراء النهر، وفي آخر الأمر أصدر أوامره إلى سكان اسفيجاب والشاش وفرغانه وكاسان بالجلاء عن بلادهم واللحاق بأرض الاسلام، ثم قام بتخريب هذه المنطقة كلها حتى لا تقع في يد كوچلك(٢٦٩). وذكر كاسان مقرونة بفرغانه يجب أخذه فيما يبدو على أن المقصود به هو الجزء من فرغانه الواقع خلف سيردريا. أما فيما يتصل باسفيجاب والشاش فان ألفاظ ابن الأثير تجد التأييد التام عند ياقوت(٢٧٠) الذي يورد نفس ذلك السبب لتفسير هذا التصرف من جانب خوارزمشاه، وهو أنه قد أمر بتخريب هذه المواضع لعجزه عن ضبطها. هذه كانت نتيجة الصراع بين أقوى سلطان في العالم الاسلامي وبين زعيم من زعماء الرعاة استطاع قائد من بين قواد الجيش المغولي القضاء عليه دون عناء في عام ١٢١٨.

وكان محمد أكثر توفيقاً في عملياته العسكرية ضد عدو آخر من الرعاة، هم القپچاق. هذا وكانت سغناق قد ضمت إلى مملكة خوارزمشاه، لأن اثنين من أبناء صاحب سغناق ورد ذكرهما من بين الأمراء الذين وُجدوا بخوارزم تحت التحفظ(٢٧١). ومن جند قام محمد بحملات عسكرية صوب الشمال على القپچاق/القاطنين سهوب القرغيز. وخلال إحدى هذه الحملات وقع أول اشتباك له مع قوات چنكيز خان، وإن كان ذلك من قبيل المصادفة البحتة. وقد وصلتنا عن هذا الاشتباك أربع روايات لأربعة من 434

(٢٦٧) راجع عن هذا Bartold, O khristianstve v Turkestane, str. 29 و Bartold, Ocherk istorii Semirechia, str 111 (عن جويني، راجع الجزء الأول، ص ٥٢ وما يليها).

(٢٦٨) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٩٩.

(٢٦٩) شرحه، ص ١٧٩.

(٢٧٠) ياقوت، معجم البلدان، الجزء الأول، ص ٢٤٩ - ٢٥٠، الجزء الثالث، ص ٢٣٤.

(٢٧١) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٣٩؛ الترجمة ص ٦٧.

المؤرخين، هم ابن الأثير(٢٧٢) والنسوي(٢٧٣) وجوزجاني(٢٧٤) وجويني(٢٧٥)، غير أنهم جميعاً يقدمون صورة مهتزة للغاية عن حملات خوارزمشاه بآسيا الوسطى. فابن الأثير يقول إن هذه الحملة قد قام بها السلطان ضد المغول عقب كارثة اترار (١٢١٨)، أما النسوي فإنه يصحح عن عمد الخطأ في التوقيت الذي وقع فبه ابن الأثير ويرجع بالحملة الى عام ٦١٢ هـ (=١٢١٥-١٢١٦)، ولكنه كابن الأثير يجعل المغول يقاتلون جيش السلطان عقب انتصارهم على كوچلك الذي لم يحدث كما هو معلوم جيداً إلاّ في عام ١٢١٨. زد على هذا أن كوچلك كان بتركستان الشرقية ومنها هرب إلى سارى قول، هذا بينما وقع الاشتباك بين المغول والخوارزميين، كما سنرى في حينه، بمقاطعة تورغاي. ويرجع جوزجاني بالحادث إلى عام ٦١٥ هـ = ١٢١٨، ووفقاً لألفاظه فإن السلطان كان آنذاك يتعقب أثر قدرخان ابن يوسف التتري (؟)(٢٧٦) وأنه ضرب في نواحي الشمال حتى بلغ مدينة يوغور(٢٧٧) بتركستان، أما عن سبب ظهور المغول في ذلك الموضع فهو يقول إنهم كانوا يتعقبون التتار فحسب. وفيما يتصل بالموضع المسمى يوغور فهناك إشارة في التاريخ الصيني إلى أن الموضع من بلاد القپچاق الذي دحر فيه سوبوتاي المركيت يحمل اسم يوكو Yu - Ku، وفي موضع آخر يُذكر لفظ يوكو على أنه اسم لزعيم المركيت(٢٧٨). والقول

---

(٢٧٢) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٣٨؛ و Tizengauzen, sbornik materialov, I, 7

(٢٧٣) النسوي، سيرة جلال الدين المتن ص ٩ - ١١؛ الترجمة ص ١٦ - ١٩.

(٢٧٤) ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٦٧ - ٢٧٠ (غير موجودة في طبعة نساو - ليس)، ١٠٩٦ - ١٠٩٧ (طبعة نساو - ليس ص ٣٧٨).

(٢٧٥) جويني، الجزء الأول، ص ٥١ وما يليها؛ الجزء الثاني، ص ١٠٠ وما يليها؛ ميرخواند شاهات خوارزم ص ٧٤ - ٧٧؛ ميرخواند، تاريخ جنكيز خان ص ٩٩؛ D'Ghsson, Histoire des Mongols, T.I, PP. 208- 210

(٢٧٦) في موضع آخر يدعوه جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٩٧، طبعة نساو - ليس، ص ٣٧٨ ثقفتان يمك)) «ابن ثقفتان يمك» (واليماك بطن من الكيماك، وابناء عمومة القپچاق). وزعم ماركڤارت (Komanen, S. 130) أن جوزجاني خلط بين قدر وقدو امير المركيت لا يمكن تفسيره إلا اذا افترضنا أن ماركڤارت لم يطّلع على القسم من مصنف جوزجاني الذي يعالج الكلام على دولة شاهات خوارزم.

(٢٧٧) ويكتبها راڤرتي Yighur «يغُر» (ترجمة راڤرتي لجوزجاني، الجزء الأول، ص ٢٦٧).

(٢٧٨) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ٢٣٣. ويعتقد ماركڤارت (Komanen, S. 130) ان يو - كو Yu-Ku الصينية كإسم جغرافي انما يراد بها إرغيز Irghiz. ولن يَصْدُق هذا إلا اذا افترضنا أن الصينيين قد انساقوا وراء كتابة عربية خاطئة (وردت في صورة يغر أو ايغر بدلا من ارغز). راجع ملاحظة پليو في Pelliot, A propos des Comans, P. 154

بأن لفظ يوغور كان يستعمل في بلاد القپچاق كلقب أيضاً يقف دليلاً عليه الألفاظ الواردة في الرسالة الرسمية التي أشير إليها فيما سبق من هذا الكتاب (ص ٤٩٢) بشأن «أبناء اليوغور». وأمّا رواية جويني فمؤدّاها أنه عقب كارثة أترار أقام محمد ببخارا من الثامن من شعبان حتى العاشر من شوال (وأقرب الاحتمال أن ذلك كان في عام ٦١٥هـ،/ أي من ٣٠ اكتوبر إلى ٣٠ ديسمبر عام ١٢١٨). ولما كان الوقت ربيعاً (؟) فإن السلطان أمضى وقته في المتع والملذات وغادرها فيما بعد إلى سمرقند بنيّة القيام بحملة ضد كوچلك. غير أن الأخبار وردت بظهور المركيت، عقب طردهم من منغوليا على يد چنكيز خان، في منطقة القنغلي (القپچاق) تحت قيادة توق طغان (قول تغان[٢٧٩] لدى رشيد الدين)، فاتجه السلطان نحوهم ماراً ببخارا في طريقه إلى جند التي علم فيها أنه زيادة على المركيت وصلت أيضاً قوات چنكيز خان التي كانت تتعقب أثرهم. ويلاحظ جويني في موضع آخر من مصنفه أن توق تغان سبق له أن تشاجر من قبل مع كوچلك وانحاز إلى حدود كم كمچك (وهي كم كمجيوت الواردة لدى رشيد الدين) أي بلاد القرغيز، حيث أُرسل جوچي في أثره. غير أن خوارزمشاه آثر الحذر فرجع إلى سمرقند وقاد بقية جيشه فوصل إلى جند بقوات أكبر آملاً بذلك أن «يصطاد عصفورين بحجر واحد»[٢٨٠]. ولكن المركيت في ذلك الوقت كان قد أُجهز عليهم نهائياً على يد المغول، ولم يجد السلطان من يقاتله سوى قوات چنكيز خان، ولم تكن نتيجة المعركة بالحاسمة رغماً من أن السلطان أجبر العدو على التقهقر. ولا يوجد أدنى شك في أن القوات المغولية التي التحم معها خوارزمشاه كانت في الحقيقة تتعقب المركيت. فالمصادر المغولية

(٢٧٩) يعترض ماركفارت (Komanen, S. 134, Anm. 1) بشدة على المقاربة بين الاسمين، غير ان قوله إن توق تغان إنما هو تدوين مغلوط (Falshe Umschreibung) للاسم المغولي توقتا خان وان هذا الأخير (الذي يطابق بينه وبين توقتا بيكي) قد خُلط بينه وبين ابنه قدو خان أمر مستبعد للغاية. ولدى رشيد الدين، كما يقرر ذلك ماركفارت نفسه (S.131)، يرد ذكر كل من قدو وقول تغان على أنهما ابنان لتوقتا بيكي، وقد هرب الاثنان الى بلاد القپچاق حيث قتل قدو؛ أما قول تغان فقد وقع أسيرا في المعركة ضد جوچي وقتل بأمر چنكيز خان. لهذا فمن الواضح ان قدو لم يشارك قول تغان في قتاله للمغول ببلاد القپچاق. ولعل الاسم هو (ك) - تو Ho(k)-tu الوارد في التاريخ الصيني (Marquart, S. 120) قد يعكس اسم قول تغان أيضاً. (كما بين پليو فان الاسم الصيني هو - تو لا يتفق مع اسم قول تغان بل مع اسم قُدو (Qodu) الوارد في التاريخ السري؛ كما يورد أيضاً بعض الحجج ليبرهن على ان اسم تقتا قد يتفق مع اسم تقتغان (أنظر Pelliot, Notes sur le «Turkestan», P. 24 - الناشرون).

(٢٨٠) جويني، الجزء الثاني، ص ١٠٢: مى پنداشت كه بيك تير دو نخچير خوا هد انداخت.

والصينية[٢٨١] تتحدث أيضاً عن فرار المركيت إلى بلاد القپچاق تحت قيادة الأمير قتلغان مرغين. ويُرجع رشيد الدين[٢٨٢] القضاء على المركيت الى عام الثور (١٢١٧)، وكانت قوات المغول تحت قيادة سوبوتاي وتقچار ولكن أخذ طرفاً في الحملة أيضاً جوچي الابن الأكبر لجنكيز خان والذي يجعله جويني والنسوي وجوزجاني (وميرخواند أيضاً، نقلا عنهما) قائداً لتلك القوات. وفي جامع التواريخ أن قول تغان قد سيق أمام جوچي، ولكن يرد في موضع آخر[٢٨٣] أنه هرب الى القپچاق وأن «جوچي خان أرسل جيشاً في أثره/ فأسره»؛ وهنا تقرأ اثنتان من مخطوطات الكتاب «قاد» بدلاً من «أرسل»[٢٨٤]. أما فيما يتصل بتاريخ العام الذي يورده رشيد الدين فمن الملاحظ أن توقيت هذا المؤرخ لأحداث أعوام ١٢١٥ - ١٢٢٥ مغلوط برمته. فرشيد الدين يحذف من متن تاريخه عام الخنزير (١٢١٥)، كما وأنه في عرضه السريع لأحداث تاريخ چنكيز خان تبعاً للسنين يلغي عام الفأرة (١٢١٦)، ونتيجة لهذا فإنه يخطىء في السنة الهجرية[٢٨٥] عند حسابها مع عامي الفأرة والثور في الحالة الأولى ومع عام الثور وحده في الحالة الثانية. ثم يبدأ التوقيتان في السير معاً من جديد ببداية عام ١٢١٨، مما تطلب الغاء عام ٦١٣ للهجرة. وفي متن الكتاب، كما أيضاً في العرض السريع لتاريخ چنكيز خان وفقاً للسنين، فإن غزو ما وراء النهر يُنسب إلى عام الحية[٢٨٦] (١٢٢١) بينما تتفق المصادر الموثوق بها في أن هذا قد حدث في عام ١٢٢٠. ومن رواية جويني يمكن الاستدلال على أنه يربط القضاء على المركيت بحملة جوچي على القرغيز التي يذكرها رشيد الدين ويضعها في عام ١٢١٨[٢٨٧]؛ على أنه ليس بأيدينا ما يؤيد فرار المركيت إلى بلاد القرغيز. كما أنه من العسير انكار أن النسوي كان على معرفة جيدة بأحداث الأعوام الأخيرة لحكم خوارزمشاه، وأنه من غير المتوقع أن يرجع بأحداث حملة وقعت في

436

---

(٢٨١) راجع المقتطفات من اليوان - شي التي يوردها كفاروف في ترجمته للتاريخ السري، ص ٢٣٣ و٢٤٨.

(٢٨٢) طبعة برزين، القسم الخامس عشر (المتن، ص ٥٠ - ٥١ و١٧١)؛ الترجمة ص ٣١ و١١٥.

(٢٨٣) شرحه، (المتن، القسم السابع، ص ٩٣ - ٩٤)؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ٧٣.

(٢٨٤) هكذا وفقا للمترجم؛ غير أنه في طبعته للمتن الفارسي (شرحه، القسم السابع، ص ٩٤) فان البروفسور برزين لم يورد اختلاف القراءات.

(٢٨٥) شرحه، القسم الخامس عشر (المتن ص ٤٩ - ٥١، ١٧١)؛ الترجمة ص ٢٩ - ٣١، ١١٥.

(٢٨٦) شرحه، القسم الخامس عشر (المتن ص ١١١، ١٧٣)؛ الترجمة ص ٧٣ - ٧٤، ١١٦.

(٢٨٧) شرحه، القسم السابع، ص ١٦٩؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٣١؛ القسم الخامس عشر، ص ١٧١ - ١٧٢؛ الترجمة ص ١١٥.

عام ١٢١٨ إلى تاريخ سابق على ذلك. وحتى يتم العثور على تفاصيل أكثر دقة فلا نملك إلاّ أن نأخذ بأقرب الاحتمالات إلى الواقع وهو أن حملة السلطان في ولاية تورغاي بدأت في شتاء عام ١٢١٥ - ١٢١٦، وأن صدامه مع المغول حدث في صيف[٢٨٨] عام ١٢١٦.

ووفقاً لرواية النسوي فإن السلطان قد بلغ ضفاف نهر إرغيز بجيش قوامه ستون ألفاً ولكنه لم يستطع العبور في الحال لأن النهر كان لا يزال مغطى بالجمد فمكث عند الشاطيء متحيناً الفرصة للعبور، وهذا يقف دليلاً على أن زحفه كان في أوائل الربيع عندما لم يعد الجمد قوياً بصورة يطيق معها الفرسان. فلما زال الجمد عبر محمد النهر ووصل إلى ميدان المعركة التي تم فيها القضاء على المركيت، ويحدد جويني مكان الوقعة بين نهري قَيْلي[٢٨٩] وقيمچ (؟). وقد علم المسلمون من أحد الجرحي أن المعركة حدثت/ في 437 ذلك اليوم نفسه ولذا فقد عقد السلطان العزم على تعقب المنتصرين فلحق بهم فجر اليوم التالي. ولم يكن جوچي وقواد المغول راغبين في مقاتلة المسلمين فأوضحوا أن چنكيز خان إنّما أرسلهم فقط ضد المركيت. فكان رد السلطان أنه يرى الكفار جميعهم أعداء له. فاضطر المغول إلى الدخول في معركة انتهت بصورة غير حاسمة، ففي كلا الجيشين غلب الجناح الأيمن الجناح الأيسر للعدو، وكان الجناح الأيمن للمسلمين تحت قيادة الإبن الأكبر لخوارزمشاه وهو جلال الدين الذي أنقذت شجاعته المسلمين من الهزيمة[٢٩٠]. وكان الإتجاه هو تجديد القتال في اليوم التالي ولكن المغول انسحبوا تحت جنح الظلام بعد أن أوقدوا النيران وتركوها متقدة لإيهام المسلمين الذين لم يعلموا بمغادرة المغول لمعسكرهم إلاّ عند

---

(٢٨٨) يشير الى هذا الفصل من السنة قول جوزجاني ان الضوء استمر طول الليل. ويجعل ماركڤارت (Komanen, S. 133) عام المعركة ١٢١٩ مختلفا في هذا مع اكثر المعلومات جدارة بالثقة. ويستند في رأيه على قول ابن الأثير ان چنكيز خان ظهر امام بخارا (في فبراير ١٢٢٠) بعد خمسة أشهر من عودة محمد الى تلك المدينة، غير انه من العسير التدليل على أن ابن الأثير كان على معرفة جيدة بتلك الأحداث. ويعترف ماركڤارت نفسه (شرحه، S. 135) بوجود فجوة تمتد الى ثلاثة أعوام. أما فيما يتعلق بالتوقيت «الخيالي» للروايات الصينية فراجع Pelliot, A propos des Comans, p. 162 sq.

(٢٨٩) جويني، الجزء الثاني، ص ١٠٢. ويطابق ماركڤارت (Komanen, S. 133) بين هذا النهر ونهر هوي - لي Hui-li الوارد في رواية صينية موجودة في اليوان - شي، حيث يرد خلط بين هذه الواقعة التي يعطى لها تاريخ ١٢٢٢ وحادث هرب السلطان التي جرت في عام ١٢٢٠.

(٢٩٠) هذه التفصيلات التي يوردها جويني (وذلك في روايتين؛ الجزء الأول، ص ٥٢؛ والجزء الثاني، ص ١٠٣) موضع للشك، خاصة وأن النسوي مترجم حياة جلال الدين لا يذكر شيئا عن دور بطله في هذه المعركة.

انبلاج الصبح. هذا وقد تركت شجاعة المغول أثراً قوياً في نفس السلطان، وكان ذلك من بين العوامل التي جعلته يتردد بالتالي في لقائهم وجهاً لوجه في ميدان القتال.

ولم يعد للسلطان منافس من بين أمراء المسلمين. وقبل أن يحول عام ١٢١٥ كان قد ضم نهائياً إلى مملكته جميع الأراضي التي كانت تابعة من قبل لمملكة الغور وجعل ابنه جلال الدين حاكماً عليها. وكما هو معلوم فإن أمراء باميان وهم فرع من الغور كانوا يجمعون إلى أملاكهم بضع مقاطعات إلى الشمال من نهر اموديا، ومن بين الحكام الذين كان متحفظاً عليهم بخوارزم يرد ذكر لجمال الدين عمر(٢٩١) أمير وخش الذي يغلب على الظن أنه خلف ملكشاه الوارد ذكره لدى جوزجاني(٢٩٢). وعندما كان السلطان قابعاً بما وراء النهر خوفاً من خطر غزو للرحّل، أخضع قواده جميع ايران بالتقريب لحكمه، بل إنه في عمان النائية قُرئت الخطبة باسمه(٢٩٣). وكان الفشل الأول والأكبر الذي مُني به محمد في الغرب هو عندما طلب من الخليفة العباسي قراءة الخطبة باسمه في بغداد نفسها، أي أن يتنازل له الخليفة عن السلطة الزمنية كما كان عليه الحال من قبل مع البويهيين والسلاجقة. وثمت رغبة مماثلة لهذه ظهرت كما رأينا من قبل لدى تكش، ولكن محمداً أظهر ذلك بصورة أكثر الحاحاً وبعث لهذا الغرض رسولاً إلى بغداد في شخص القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي (الذي حصل منه المؤرخ النسوي على تفاصيل ذلك). وقد ردت حكومة بغداد برفض بات وأرسلت بدورها/الشيخ شهاب الدين السهروردي 438 إلى خوارزمشاه. ووفقاً لجويني(٢٩٤) والنسوي(٢٩٥) فإن الشيخ قوبل في بلاط خوارزم بما لا

---

(٢٩١) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٣٩؛ الترجمة ص ٦٦ - ٦٧.

(٢٩٢) طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٤٣٦ و٤٩٠؛ (طبعة نساو - ليس، ص ١١٠ و١٢٥: ملك شاه وخش).

(٢٩٣) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٩٨.

(٢٩٤) أنظر ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ٦٩ - ٧٠؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols T.I, PP. 192-193. وفي النسخة المطبوعة من تاريخ جويني توجد روايتان (الجزء الثاني، ص ٩٦ وما يليها، وص ١٢٠ وما يليها) عن العداوة بين السلطان والخليفة ولكن لا يرد في أية واحدة منها ذكر لسفارة الشيخ. وعن هذا الشيخ راجع Brockelmann, Geschichte d. Arab, Lit., I, 440

(٢٩٥) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ١٢ - ١٣؛ الترجمة ص ٢١ - ٢٣. وثمة تفاصيل أكثر عن هذه السفارة يقدمها لنا اسماعيل بن أحمد بن الأثير (راجع عنه Brockelmann, Geschichte d. Arab. Lit. I, 341) في «كتاب عبرة أولي الأبصار»، مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٧٩١٤، الورقة ٣٧ أ. فهو يقول ان الجيش بلغ عدده أربعمائة ألف (مبالغة واضحة) وأنه وجدت ثلاث خيم احتوت الأولى على ملوك فارس والثانية على ملوك خراسان والثالثة على ملوك بلاد ما وراء النهر.

يليق بعلمه وفضله، ولكن النسوي يضع على لسان السلطان ألفاظاً تنم عن احترام أكثر؛ وقد جعل محمد الشيخ ينتظر بالبلاط وقتاً ما قبل أن يأذن له في الدخول[٢٩٦]. ولّما دخل عليه لم يسأله حتى الجلوس، إذا ما أخذنا بقول جويني. وسأل الشيخ أن يُسمح له بأن يبدأ كلامه بإيراد حديث شريف فسمح له السلطان بذلك وجثا على ركبتيه تأدباً ليصغى إلى الحديث كما جرت العادة آنذاك. ومؤدي الحديث أن النبي حذّر المؤمنين من إيذاء آل عباس. وكان رد السلطان: «أنا وإن كنت تركياً قليل المعرفة باللغة العربية لكنني فهمت معنى ما ذكرته من الحديث، غير أني ما آذيت أحداً من ولد العباس ولا قصدتهم بسوء. وقد بلغني أن في محبس أمير المؤمنين منهم خلقاً مخلّدين يتناسلون بها ويتوالدون، فلو أعاد الشيخ الحديث بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان أولى وأنفع وأجدى وأنجع». وقد بذل الشيخ جهده ليدلل على أن الخليفة إذا بويع فإنما «بويع على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد أمير المؤمنين، فإن اقتضى اجتهاده حبس شرذمة لاصلاح أمة لا يقدح ذلك في طريقته المثلى». هذا وقد فشلت سفارة الشيخ في بلوغ الهدف المنوط بها.

وبرغم ما اتصف به رد السلطان من ذكاء وقّاد، إلاّ أنه لم يكن من شأنه أن يقلل من احترام المسلمين في ذلك العهد لإمام الإسلام. وفي اتفاق تام مع مغزى ذلك الحديث النبوي الذي ساقه الشيخ، يشير ابن الأثير[٢٩٧] إلى «البيت الشريف العباسي» وأنه «لم يقصده أحد بأذى إلاّ لقيه فعله وخبث نيته». ووفقاً لرواية جويني فإن السلطان نفسه لم يرد أن يقال في حقه إن «هَوَس التملك والسيطرة قد دفعه إلى قصد إمام المسلمين الذي 439 تعدّ مبايعته إتماماً لركن من أركان الاسلام، وبهذا يعرّض/إيمانه للضياع»[٢٩٨]، لذا فقد وجد نفسه في حاجة إلى ذريعة أكثر قبولاً في نفوس الناس من الخطبة. ولم يكن هناك اليسير من أمر هذه المبررات، ذلك أن الخليفة لم يكن بأقل من السلطان لجوءاً إلى كل الوسائل المستطاعة في سبيل الحفاظ على ملكه وتدعيمه. فقد كانت للخليفة اتصالات مع زعيم الإسماعيلية جلال الدين حسن فالتمس منه أن يرسل إليه بجماعة من «الفدائيين»[٢٩٩] استعملهم في القضاء على أعدائه. وقد كان هذا مصير كل من اوغلمش

---

(٢٩٦) هكذا على ما يبدو يجب فهم المتن العربي، واطراح ما جاء بالترجمة الفرنسية.

(٢٩٧) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٠٧؛ و D'Ohsson, Histoire des Mongols, T.I, P. 194

(٢٩٨) جويني، الجزء الثاني، ص ١٢١: برهوس ملك قصد امام كه ركن اسلام به بيعت او تمام شودكرده ايمان خود برباد داد.

(٢٩٩) راجع عنهم Dozy, Essai sur l'histoire de l'islamisme, p. 303 و Browne, A Literary History of Persia, vol. II, P. 121 sq.

نائب خوارزمشاه بالعراق، وأمير مكة الذي اغتيل بالأرض الحرام خلال الحج وفي يوم عرفات بالذات. وأخيراً أعلن خوارزمشاه أن ثمة رسائل وجدت بغزنة عند الاستيلاء عليها (عام ١٢١٥) تكشف عن أن الخليفة كان يعمل دائماً على تحريض الغور على محمد. هذا وقد استطاع السلطان أن يحصل من «أئمة البلاد» على فتوى مقتضاها أن الإمام الذي يقدم على مثل هذه التصرفات يسقط حقه في الإمامة، وأنه حين يحيك المؤامرات ضد سلطان يجهد في تدعيم راية الإسلام ويقضي عمره في الجهاد فإن من حق هذا السلطان عزل ذلك الامام وتنصيب إمام آخر، زد على هذا أن الخلافة في الأصل إنّما من حق العلويين من نسل الحسين اغتصبها منهم أهل بيت العباس[٣٠٠] واستناداً على هذه الفتاوي من السلطات الدينية فقد أعلن السلطان عزل الخليفة الناصر وحذف اسمه من خطبة الجمعة ومن السكة وأعلن السيد علاء الملك ترمذي خليفة للمسلمين[٣٠١]. وفي عام ١٢١٧ استعاد خوارزمشاه سلطانه على ايران، ولكن جيشه الذي أرسله من همذان إلى بغداد تعرّض في شتاء العام نفسه لعواصف ثلجية بجبال كردستان ومُنى بخسائر فادحة، كما أن الكرد نكبوا فلوله فلم يرجع منهم إلى خوارزمشاه إلاّ القليل[٣٠٢].

وبهذا تعرضت كرامة خوارزمشاه للطمة عنيفة، خاصة وأن/ الناس أبصروا في 440 الكارثة سخطاً من الله على قصده بيت الخلافة. وإذا ما أخذنا بقول ابن الأثير[٣٠٣] فإن سبب رجوع محمد إلى المشرق كان تخوفه من غزو جديد يقوم به الرحّل على بلاد ما وراء النهر، ولكنه لم يطّرح إطلاقاً عداءه للخليفة بل على العكس من ذلك نراه عند وصوله

---

(٣٠٠) جويني، الجزء الثاني، ص ١٢١ وما يليها: هر امام كه بر امثال اين حركات كه ذكر رفت اقدام نمايد امامت او حق نباشد وچون سلطانى راكه مدد اسلام نمايد وروزگار بر جهاد ضرف كرده باشد قصد كند آن سلطان رار سدكه دفع چنين امام كند وامامى ديگر نصب گرداند ووجه ديگر آنك خلافت را سادات حسينى مستحق اند ودر خاندان آل عباس غصب است.

(٣٠١) شرحه، الجزء الثاني، ص ١٢٠ - ١٢٢؛ عن علاء الملك راجع شرحه، الجزء الثاني، ص ٩٧؛ ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ٦٦ - ٦٨؛ في تاريخ گزيده لحمد الله قزويني (طبعة براون، المتن ص ٤٩٦، الترجمة ص ١١٤) يرد اسم السيد على أنه عماد الدين.

(٣٠٢) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٠٧.

(٣٠٣) شرحه. ويقول معاصر لهذه الأحداث وهو يعقوب دي ڤيتري Jacob de Vitry اسقف عكا ان الخليفة باتفاق مع بطريك النساطرة أرسل سفراء الى الملك داود الذي كان قد غلب خان الخانات والذي أُضطر محمد في مواجهته الى هجر جميع الأراضي وراء نهر سيردريا، يعني كوچولك، وأنه تحت تأثير سفراء الخليفة بدأ الملك داود الحرب ضد خوارزمشاه مما اضطر هذا الأخير الى العودة الى بلاده (Zarncke, Der Priester Johannes, II, S. 48, 50–52).

إلى نيشابور في فبراير من عام ١٢١٨ (ذو القعدة عام ٦١٤ ﻫ)، يأمر فوراً بحذف اسم الناصر من الخطبة ويعلن أن الخليفة قد مات. وحدث مثل هذا في مدن أخرى كمرو وبلخ وبخارا وسرخس، ولكنه لم يمتد إلى خوارزم وسمرقند وهرات لأن هذه المدن لم تتبع الحكومة تبعية مباشرة بل تمتعت بحق إدخال الخطبة أو اسقاطها كيف شاءت (؟). ومن ناحية أخرى يوكد عوفي[٣٠٤] والنسوي[٣٠٥] أن محمداً أعرب عقب تلك الكارثة عن ندمه وبذل جهده ولو في الظاهر ليتصالح مع بغداد[٣٠٦]. وليس بمستبعد أن خوارزمشاه قد وجد نفسه مضطراً للتنازل للرأي العام، وأن حذف اسم الناصر من الخطبة قد تم قبل حملته على بغداد. ولعل السبب في بقاء الخطبة في بعض المدن بما في ذلك خوارزم نفسها ربما كان له بعض الصلة بالخصومة بين السلطان ووالدته، حيث أخذت طبقة العسكريين ورجال الدين جانب الوالدة.

ولقد عمل خوارزمشاه منذ عام ١٢١٦ على الإساءة إلى مشاعر أمه ومشاعر رجال الدين عندما أمر بقتل الشيخ مجد الدين بغدادي. وكان ذلك الشيخ الشاب من تلامذة الشيخ نجم الدين الكبرا مؤسس الطريقة الكبراوية التي التي لا تزال قائمة حتى أيامنا هذه. وكغيره من كبار مشايخ القرنين الثاني والثالث عشر فإن الشيخ نجم الدين كان ينتسب إلى المدرسة التي أسسها ببلاد ما وراء النهر مهاجر من الغرب هو الشيخ أبو يعقوب يوسف البزنجردي الهمداني[٣٠٧] (المتوفي عام ١١٤٠). ويندر أن نلتقي باسم مؤسس الطريقة وأتباعها في المصنفات التاريخية، ولكنهم تمتعوا دون شك بتأثير كبير وسط الكتل الشعبية؛ وكان من بين أعضاء هذه المدرسة النشطين عدد من الأولياء ممن لا يزال اسمهم يجد الاحترام بين الأهالي حتى أيامنا هذه، مثل حكيم آتا وأحمد يسوي[٣٠٨]. وليس من المستبعد أن يكون نفوذ/المشايخ على الأهالي قد أثار مخاوف 441

---

(٣٠٤) Teksty, str. 84

(٣٠٥) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٢٠ - ٢١؛ الترجمة ص ٣٦.

(٣٠٦) لا توجد معلومات عن مصير الخليفة الذي نصبه محمد.

(٣٠٧) (اليافعي، مرات الجنان) Teksty, str. 154؛ راجع Brockelmann, Gesch. d. Arab. Lit., II, S. 176 sq. وعن الشيخ الهمداني راجع Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 169–172 (نقلا عن القندية؛ راجع ترجمة ڤياتكين (ص ٢٦٦ - ٢٦٩).

(٣٠٨) راجع مقال مليورانسكي «أحمد يسوي» في دائرة المعارف الاسلامية؛ ومقال بارتولد «حكيم اتا» في دائرة المعارف الاسلامية.

السلطات الزمنية، لذا فقد جهد المشايخ منذ البداية في تحاشي ما من شأنه أن يجّر إلى صدام بين الطرفين. بل إن مؤسس الطريقة نفسه يوصي خليفته بأن يقدم لمريديه وأتباعه نفس النصيحة التي دونت على الرسالة المرفوعة إلى السلطان سنجر[٣٠٩]، أي أن عليهم أن يعبّروا في حديثهم إلى الناس عن نفس مشاعر الولاء التي يبدونها في حضرة الحكام. وإذا ما أخذنا بقول عوفي[٣١٠] فإن الشيخ مجد الدين بغدادي كان يتمتع بمثل هذه الحصافة واللباقة. وقد حدث أن كتب إليه الإمام شهاب الدين خيوقي الذي يرد اسمه مراراً لدى جويني والنسوي والذي كان يشغل آنذاك وظيفة الوكيل ببلاط خوارزم، كتب إليه رسالة يعبر فيها عن أمله في أن يستطيع بمعاونة الشيخ «أن يجد مخرجاً من ظلمات الدنيا إلى نور الطاعة وأن يقطع خيل الشواغل بسيف المجاهدة»، فكان رد الشيخ مجد الدين أن أفهم الوكيل أنه لا حرج عليه في خدمة السلطان وأنه بهذا قد تسنح له الفرصة لإعانة المظلومين وإغاثة الملهوفين فيبلغ بهذا سعادة دنياه وآخرته أكثر مما يبلغها بطريق الصوم والصلاة. لكل هذا فمن العسير إيضاح أسباب الصدام بين الشيخ وحكومة خوارزم. ومؤرخو القرن الثالث عشر يجهلون هذا الحادث تماماً بينما تدّعي جميع المصادر المتأخرة بالاتفاق، ابتداء من حمد الله قزويني[٣١١]، أن الشيخ قد قتل لريبة في وجود علاقة آثمة بينه وبين والدة السلطان[٣١٢]. ومن المستحيل قبول هذا القول لأن الملكة كان لها في ذلك الوقت حفيد[٣١٣]، لذا فإن العلاقة الوثيقة بين الملكة والشيخ يجب فهمها في الغالب على أن المقصود بها أن رجال الدين قد أخذوا جانب الطبقة العسكرية في نزاعها مع العرش مثلما حدث في حالات أخرى.

ومقتل مجد الدين لم يحدث وفقاً لرواية المؤرخين إلاّ نتيجة لسورة غضب جامحة تملكت خوارزمشاه، الذي سرعان ما ندم على فعلته. ولمّا كان محمد في حاجة ماسة إلى حرسه التركي فإنه كان مضطراً إلى بذل كل جهده ليعيش معهم في وئام، ذلك أن جيوش المرتزقة كانت تشكل القوة العسكرية الوحيدة لشاهات خوارزم. وفي القرن الثاني عشر

---

(٣٠٩) (القندية) Teksty, str. 51

(٣١٠) Teksty, str. 97

(٣١١) (تاريخ گزيده) Teksty, str. 153 وحمد الله قزويني، تاريخ گزيده، طبعة براون، المتن ص ٧٨٨ وما يليها؛ الترجمة ص ٢١٥ (في ص ٤٩٦ ورد خطأ: نجم الدين بغدادي؛ راجع الترجمة، ص ١١٤).

(٣١٢) مفصل للغاية في Teksty, str. 156

(٣١٣) عن عمر ابن جلال الدين راجع النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٨٤، الترجمة ص ١٤٠.

كانت الفكرة السائدة عن الكتل الشعبية، وذلك بدرجة أكبر مما كان عليه الحال من قبل، هي أنها مجموعة من الفَعَلة لا غير وأنه يجب الإحتفاظ بها في حالة من الخضوع التام. ويقص لنا الكاتب السمرقندي[٣١٤] قصة لا تخلو من مغزى عن السلطان/سنجر الذي يحكي عنه أنه قال ذات يوم إن حماية القوى من شر الضعيف أولى بكثير من حماية الضعيف من ظلم القوى، ذلك أن ظلم الضعيف على يد القوى لا يعدو أن يكون ضرباً من الظلم ولكن اعتداء الضعيف على القوى يتجاوز حد الظلم ليصبح عاراً وشناراً، وأنه إذا قدّر للجماهير أن تخرج من حد الطاعة فسيؤدي هذا إلى إشاعة الفساد والفوضى «لأن العامة تستطيع القيام بعمل السادة بينما لا يستطيع السادة تأدية أعمال العامة»، أي أن الجماهير تتوق إلى العيش كما يعيش السادة وبهذا لن يقوم أحد بالعمل الذي هو من نصيب سواد الشعب. بل إننا لنجد رأياً أكثر مغزى من هذا بشأن الحديث عن «أرباب الصناعات وأصحاب الزراعات»[٣١٥] في إحدى الرسائل الرسمية لعهد سنجر حيث يرد القول: «فهم لا يعرفون لغة الملوك وليست لديهم فكرة عن كيفية الحفاوة بالولاة أو الانتفاض عليهم، بل إن قصارى جهدهم منصرفة إلى ترتيب معاشهم والإهتمام بحال أرواحهم وأولادهم. لا جرم أنهم معفون علـــى الـــدوام من الملامـــة وملتزمون بالسلامة»[٣١٦].

وبهذا فإن جيش المرتزقة كان يمثل الدعامة الوحيدة للعرش، واضطر السلطان من أجل مصلحته المباشرة أن يمنحهم الأسبقية على العناصر المدنية. وبقدر ما يمكن الحكم من الرسائل الرسمية التي وصلت إلى أيدينا فإن الرتب العليا في دولة شاهات خوارزم كانت هي نفس الرتب المعمول بها من قبل في دولة آل سلجوق، أي رتبة الوزير والقاضي والمستوفي. ويبدو أن استعمال لفظي وكيل ومشرف قد طرأ عليه بعض التغيير في القرن الثاني عشر. فإلى جانب «وكيل البلاط»[٣١٧] يرد ذكر «وكيل الديوان الخاص»[٣١٨]، وهو يتفق في أغلب الظن مع «وكيل الخراج»[٣١٩] للعهد المغولي. وكان الوكيل يشرف على

---

(٣١٤) Teksty, str. 71

(٣١٥) Teksty, str. 30 (الانشاء)

(٣١٦) شرحه (نه زبان ملوك دانند ونه حفاية وفاق ولاة شناسند ونه شقاق، قصاراى كار ايشان ترتيب معاش وتربيت انتعاش زن وفرزندست. لا جرم هميشه از ملامت رسته اندوبسلامت پيوسته).

(٣١٧) Teksty, str. 97 (عوفي).

(٣١٨) شرحه، ص ٢٣ (الانشاء).

(٣١٩) جويني، الجزء الثاني، ص ٢٣٩.

تسلم الأموال النقدية، إلى جانب الأموال المقتطعة لنفقات الجيش، أما في الأقاليم فإن نفس هذه الوظيفة كان يقوم بها المشرفون[٣٢٠]. وقد فُوّض إلى رؤساء الدواوين تعيين الأشخاص الملائمين لملء هذه المناصب بالولايات[٣٢١]، وكان الاستثناء الوحيد هو منصب وزراء الولايات إذ كان هذا من حق العرش، خاصة في تلك الولايات التي كان ينوب فيها عن السلطان أحد أبنائه[٣٢٢]/وخلافاً لما كان عليه الوضع في دولة السلاجقة فقد حاز 443 منصب الجلاّد (جاندار) أهمية كبرى بين المناصب العسكرية في دولة خوارزم. وفي وثيقة تحمل اسم تكش[٣٢٣] يرد الجلاد بين «كبار حشم السلطان»، وفي عهد السلطان محمد حمل اياز المكلف بتنفيذ حكم الإعدام فيمن أمر السلطان بقتلهم لقب جهان بهلوان («بطل العالم») وكانت تحت قيادته فصيلة مكوّنة من عشرة آلاف فارس[٣٢٤]. وتقل عن ذلك معلوماتنا بمدارج الرتب بين رؤساء الإدارة الكتابية. ويبدو أن وزير محمد وهو نظام الملك محمد بن مسعود الهروي[٣٢٥] كان ابن وزير تكش[٣٢٦]، فهنا نلتقي أيضاً بظاهرة توارث الوزارة ابناً عن أب، تماماً مثل ما كان عليه الحال في الدول السابقة. كذلك فإن نظام الإقطاعات العسكرية الذي اتسع نطاقه على عهد السلاجقة ظل معمولاً به في دولة شاهات خوارزم. وأحد القواد بعد أن تم تعيينه حاكماً لبار چنلغكت في عهد تكش مُنح في ذات الوقت «على سبيل الإنعام، وذلك عن طريق ديوان العرض» (أي ادارة الجيش) قرية من كبريات قرى المقاطعة هي رباط طغانين[٣٢٧]. وفي عهد تكش أيضاً تسلم ابن لتكش وهو الأمير يغان دغدي بصفة ملك خاص به (أي أرض معفاة من الضرائب) قرية نوخاس التي كانت قد أعلنت بموجب الشرع ملكاً مطلقاً لا صاحب له[٣٢٨].

---

(٣٢٠) من الواضح ان النسوي يستعمل مصطلح «مشرف» بهذا المعنى (سيرة جلال الدين، المتن ص ١٩٥، الترجمة ص ٣٢٥).

(٣٢١) راجع أعلاه ص

(٣٢٢) Teksty, str. 75-76 (بغدادي، كتاب التوسل؛ (طبعة احمد بهمنيار، ص ٧٨ - ٩٠)؛ النسوي سيرة جلال الدين، المتن ص ١٠٢، الترجمة ص ١٧٠.

(٣٢٣) Teksty, str. 78 (بغدادي، كتاب التوسل؛ (طبعة أحمد بهمنيار ص ١٣٠).

(٣٢٤) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٢٣؛ الترجمة ص ٤٠.

(٣٢٥) شرحه، المتن ص ٢٨؛ الترجمة ص ٥٠.

(٣٢٦) راجع عنه Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 33 راجع عنه.

(٣٢٧) Teksty, str. 74-75 (بغدادي، كتاب التوسل؛ (طبعة أحمد بهمنيار، ص ٣٨ - ٤٣).

(٣٢٨) شرحه، ص ٧٥ (بغدادي، كتاب التوسل؛ (طبعة أحمد بهمنيار، ص ٤٣ - ٤٦).

وعلى الرغم من إعدام حَظِي الملكة فإن السلطان ظل بصفة عامة ينفذ رغبات والدته حتى لحظة زحفه على بغداد. واستجابة لرغبة تركان خاتون عيّن السلطان محمداً بن صالح وزيراً له وذلك بعد عزله لنظام الملك محمد الهروي، وكان المذكور غلاماً في خاصة الملكة فاتخذ لقب نظام الملك وناصر الدين[٣٢٩]. وسعياً وراء مرضاة والدته فقد عيّن السلطان، وبالطريقة ذاتها، ابنه الأصغر قطب الدين أُوزلاغ شاه ولياً لعهده، وقد كانت أمه تنتسب الى نفس قبيلة تركان خاتون. وكان محمد قد فوّض لابنه الأكبر جلال الدين منكبرتي أملاك الغور السابقة باستثناء هرات، بينما عيّن الوريث للعرش والأصغر منه سناً حاكماً على خوارزم وخراسان وما زندران[٣٣٠]، وبالطبع فإن الحكومة الفعلية لهذه الولايات الأخيرة ظلت في يد تركان خاتون. كذلك لم تُتخذ أية اجراءات جديدة ضد رجال الدين من أهل خوارزم، إلاّ أنه تم ابعاد من خيف منهم على العرش من بين علماء بخارا وسمرقند، فعُزل صدر بخارا برهان الدين وسُيِّر إلى خوارزم وجعل مكانه 444 مجد الدين مسعود بن صالح الفراوي/أخو الوزير نظام الملك (وإن كانت العلاقة بين الأخوين قد اتسمت بروح العداء) فبقي في هذا المنصب حتى دخول المغول بخارا. وأما «شيخ الاسلام» بسمرقند واسمه جلال الدين فقد نُفي إلى نسا هو وابنه شمس الدين وأخوه أوحد الدين[٣٣١]. غير أن الخصومة الشديدة بين السلطان وأمه لم تندلع إلاّ بعد رجوعه من العراق، وذلك خلال مقامه بنيشابور (فبراير ومارس[٣٣٢] من عام ١٢١٨). فقد اتهم السلطان نظام الملك بالعجز والقصور والابتزاز وعزله وأرسله إلى خوارزم قائلا: «ارجع إلى باب أستاذك»، يعني والدة السلطان. والجدير بالملاحظة أن هذه الألفاظ فيها تعريض بالملكة. غير أن سلوك الملكة زاد بدوره من حدة الخصومة، فقد استقبلت تركان خاتون الوزير المعزول باحتفال كبير عند وصوله عاصمة خوارزم وعينته وزيراً لولي العهد. وقد علم السلطان بهذا وهو في ما وراء النهر فأرسل أحد خواصه وهو عز الدين طغرل إلى خوارزم وأمره بأن يعود إليه برأس ناصر الدين، فما كان من تركان خاتون إلاّ أن ألقت القبض على طغرل ولم تحل بينه وبين تنفيذ أمر السلطان فحسب بل وقسرته على الإقرار علانية وأمام الديوان بأجمعه بأن السلطان يثبّت نظام الملك في

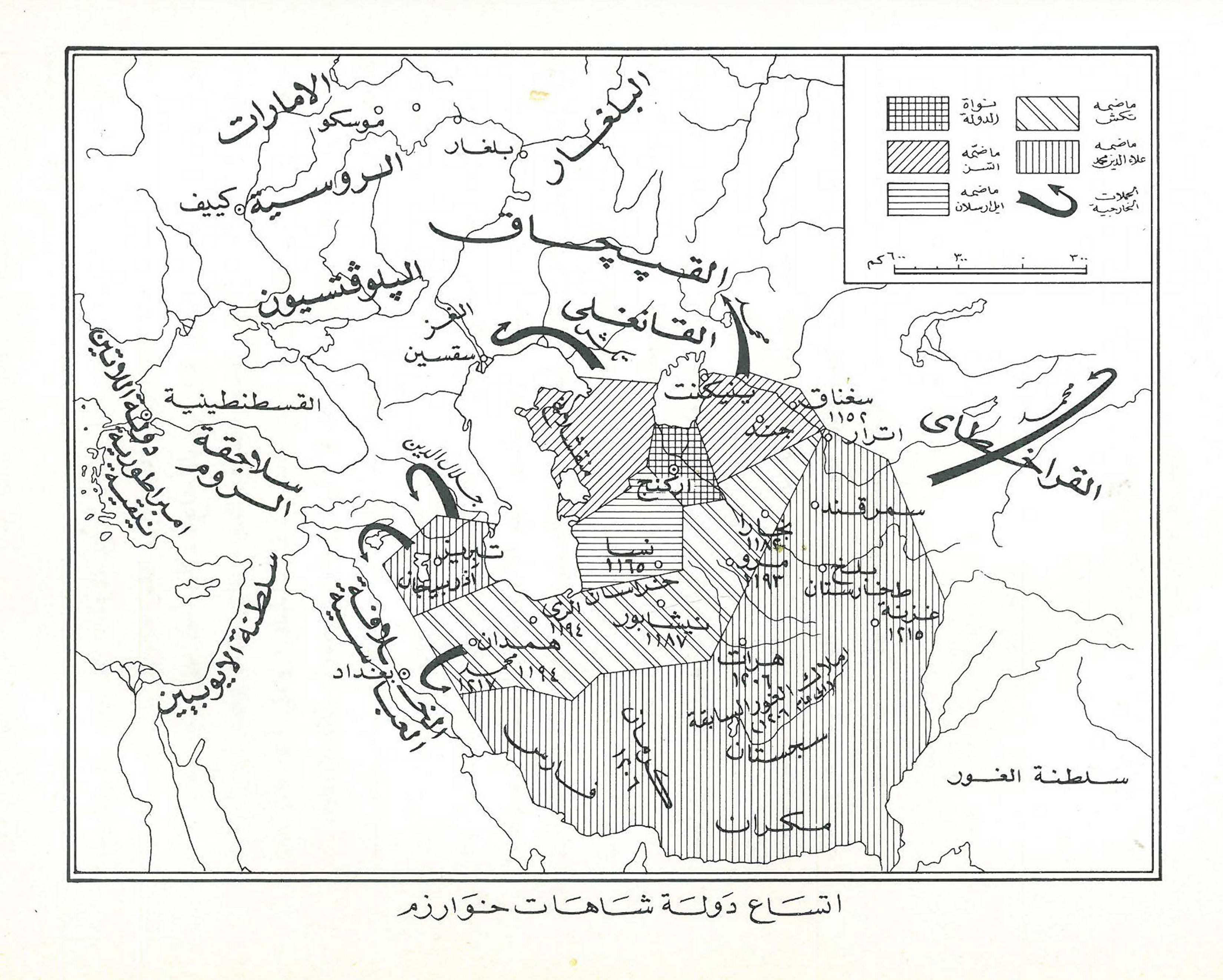
---

(٣٢٩) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٢٨؛ الترجمة ص ٤٨ – ٥٠.

(٣٣٠) شرحه، المتن ص ٢٨؛ الترجمة ص ٤٤ – ٤٥.

(٣٣١) شرحه، المتن ص ٢٣ – ٢٥؛ الترجمة ص ٤١ – ٤٣.

(٣٣٢) في ابريل كان السلطان بمرو (ابن الأثير الجزء الثاني عشر، ص ٢٠٧).



اتساع دولة شاهات خوارزم

مركزه السابق(٣٣٣). وبالنظر لأن السلطان وجد نفسه مضطراً حتى إلى قبول هذا فمن الواضح إذن أن سلطته في الأقاليم التي كانت تحت ادارة تركان خاتون كانت غير معترف بها في واقع الأمر.

وحتى في أملاكه الخاصة به فإن خوارزمشاه لم يُعِد الإدارة إلى سالف أهميتها بعد عزله لنظام الملك، بل أحال مهام الوزير الأكبر إلى مجلس مكوّن من ستة من وكلاء البلاط وشرط عليهم أن تكون قراراتهم بالإجماع، وكان أحد هؤلاء في الوقت ذاته رئيساً لديوان الانشاء(٣٣٤). ومن العسير اكتشاف الدوافع التي حدت بمحمد لاجراء هذا التغيير الجريء الذي يتعارض تماماً مع تقاليد النظام الكتابي؛ وعلى أية حال فإن استبداله إدارة جماعة بإدارة فرد واحد لم يكن من شأنه في صورته تلك أن يقود إلى الهدف المراد منه؛ ووفقاً لألفاظ النسوى فقد بدأ الناس يأسفون على أيام نظام الملك برغم تصرفاته المتعسفة، «إذ كان إرضاء واحد على العلاّت أسهل من ارضاء ستة».

وبهذا فإن النظام السياسي الذي أقامه العباسيون في شرقي العالم الاسلامي ونما وثبتت جذوره على يد الطاهريين والسامانيين، بلغ الآن مرحلة الاضمحلال والوهن. فالإدارة/فقدت كل ما كان لها من أهمية، والطبقة العسكرية التي كانت على رأسها والدة 445 السلطان دخلت في عداء سافر مع صاحب السلطة العليا في البلاد، أما طبقة رجال الدين فلم يكن بوسعها أن تغفر لخوارزمشاه اعدامه لمجد الدين وقسره إيّاها على إصدار فتوى ضد الخليفة، وأما الأهالي الذين حرّرهم محمد من نير الكفار فقد هبّوا في وجه محرريهم وأخمدت حركاتهم في بحار من الدماء. لكل هذا فإن محمداً لم يكن بمقدوره الاعتاد حتى على عنصر واحد في حكومته، أو على طبقة ما من السكان. وإزاء هذا يضحى مفهوماً لدينا نتيجة الصراع بين دولة كهذه وبين قوى الرعاة الفتيّة التي تم توحيدها في تلك اللحظة التاريخية على يد واحد من أفذاذ المنظمين وأقدرهم على مدى العصور.

★ ★ ★ ★

---

(٣٣٣) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٢٨ - ٣١؛ الترجمة ص ٤٩ - ٥٥. في الترجمة (ص ٥٥) يرد كريم الدين في موضع عز الدين؛ ولكن هذا السهو غير موجود في الأصل.

(٣٣٤) شرحه، المتن ص ٣٢؛ الترجمة ص ٥٦.

الفصل الرابع
جنكيز خان والمغول

حاولنا في موضع غير هذا[1] أن نوضح الظروف التي أحاطت بقيام امبراطورية جنكيز خان وأن نبيّن الخطوط الأساسية للنظام الذي ارتكزت عليه. وليس هناك ما يدعونا حتى هذه اللحظة إلى اطراح ما وصلنا إليه من استقراءات في هذا الصدد، رغماً عن اعترافنا بأنه من المرغوب فيه حقاً أن لو أُخضعت الروايات الشعبية المتواترة عن المغول والتي تكاد تمثل حتى الآن مصدرنا الوحيد في تاريخ منغوليا في القرن الثاني عشر، أخضعت لفحص جديد على ضوء ما سجله المعاصرون، على أن يتم ذلك بصورة أوسع مما عليه حالياً خاصة بالنسبة لأولئك الذين لا علم لهم باللغة الصينية. وباستثناء بعض التفاصيل الضاربة في الخيال، مما ينشأ عادة من تواتر الروايات التاريخية عن طريق المشافهة، فان الرواية المغولية لا تحوي في ذاتها شيئاً مما يمكن اعتباره مجافياً للواقع. وعلى العكس من ذلك تغلب روح الواقعية على تصوير العلاقات بين الرّحل والحكومة الصينية التي جهدت على الدوام في تحريض مجموعة من الرّحل ضد أخرى بدى لها أنها أكثر خطورة، ولكنها لا تلبث أن تجد نفسها مضطرة عند انتهاء النزاع الى انتهاج نفس الأسلوب ضد حلفائها بالأمس. وفي منتصف القرن الثاني عشر دخلت دولة الكين Kin وهم قوم يُنسبون الى المانشو وكانوا يحكمون الصين الشمالية، دخلت في حرب مع قبيلة المونغكو – تتا Mongku- tata أي المغول. وفي عام ١١٤٧ عقد أمبراطور الكين صلحاً مع أمير المغول المدعو أأولو – بوتزيله[2] aolo- botzıle، ويريد كل من البروفسور

(١) Bartold, Obrazovanie imperii Chingiz-khana, str. 105 sq. ويوجد ملخص لها باللغة الانجليزية في كتاب Skrine and Ross, The Heart of Asia, p. 151 sq. وبالألمانية في Stübe, Tschingiz-Chan, S. 532 sq. وينب المتشرق الألماني مارتن هارتمان M. Hartmann (Hartmann, Der islamische Orient, Bd II, S. 598) وجهة النظر الواردة في المقالة الى اشتوبه، رغماً من أن هذا الأخير يعترف في مقاله أن هدفه هو أن يعرض نتائج أبحاثي.

(٢) Vasiliev, Istoria i drevnosti, str. 79; Pelliot, A Propos des Comans, p. 146

فاسيلف[٣] Vasiliev والبروفسور برزين Berezin [٤] أن يبصر في هذا الإسم اللقب التركي ألـوغ وزير (أي الوزير الكبير)، غير أنه لا علم لنا بحالات اتخذ فيها الحكام الرعاة مثل هذا اللقب. وخير من هذا أن نرى في الشطر الأول من الاسم تحريفاً صينياً لاسم قوتوله خاقان الذي تتحدث عنه الرواية الشعبية المغولية[٥]. ولقد امتد حكم هذه/ 447 الأسرة المغولية على أقل تقدير حتى عام ١١٦١، وهو العام الذي أعلن فيه أمبراطور الكين عزمه على الخروج لقتال المونغكو - تتا[٦]. وعقب هذا بقليل وقعت على الاحتال الغالب هزيمة المغول الساحقة على يد تتار بوير نور Buir- nor ، ولكن الحكومة الصينية لم تلبث أن وجدت نفسها مضطرة في نهاية ذلك القرن إلى تحريض الكرايت والمغول ضد أولئك التتار. وكان أن برز في تلك الحروب لأول مرة اسم تيموجين وذلك على رأس كتيبة جمعها من بين ارستقراطية الرعاة. وبعد أن تمّ الانتصار على التتار وحين أصبح خان الكرايت الشخصية الأولى بمنغوليا الشرقية، أعلنت تلك المجموعة من الجند زعيمها تيموجين خاقاناً، وقد قبل تيموجين هذا اللقب بموافقة ونك خان زعيم الكرايت وبذلك أحيا أسم أسرة المغول الذي كان قد اندثر في منغوليا نفسها بعد قوتوله خاقان. ووفقاً لشهادة منغ - هنغ[٧] Meng- Hung فان لفظ مغول لم يكن على عهد چنكيز خان سوى مصطلح رسمي وكان مجهولاً تماماً لدى بقية الشعب. بل إن الوثائق الرسمية لأسرة اليوان Yuän تطلق على المغول والشعوب التي اندمجت فيهم ببلاد الصين اسم المغول (المنغول)، هذا بينا عرفوا في منغوليا نفسها باسم تتا[٨] (تتار). وباتخاذه اسم المغول علماً على قبيلته فإن تيموجين قد أعلن بذلك نفسه خلفاً لقوتوله خاقان وأكد في الوقت نفسه ادعاءه الانتساب إلى ذلك الخان، وهو ادعاء لا يقوم في أغلب الظن على أساس ما. ووفقاً للملحمة التاريخية المعروفة لنا في عنوانها الصيني « التاريخ السري لأسرة

---

(٣) Vasiliev, Istoria i drevnosti, str. 52, 79

(٤) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الثالث عشر، الترجمة، الحاشية ١٨٥.

(٥) (كما بيّن P. Pelliot فان لفظ بوتزيله (وكانت تنطق في القدم بوكيله bögilä *) يجب أن تحمل في الأغلب محمل اللقب، وأنها أخذت بالتالي لدى المنشوريين صورة بيْله Beile. ويعتقد P. Pelliot أنه من غير الممكن أن يبصر في «Aolo» تحريفا صينيا لاسم قوتوله خاقان. انظر (Pelliot, Notes sur le «Turkestan», PP. 24-25 - الناشرون).

(٦) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ١٤، ١٧٣، الحواشي.

(٧) Vasiliev, Istoria i drevnosti, str. 219-220

(٨) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ١٧٢، الحواشي.

اليوان » Yuän-ch'ao-pi-shi (يوان-شا أو-بي-شي) فـإن تيموجين قد خلق آنذاك عشرة مناصب بالبلاط. ولا يرد في المتن المغولي للكتاب أي ذكر لأسماء هذه المناصب باستثناء منصب چربي، إنّما ترد الإشارة فقط إلى وظيفة الأشخاص الذين شغلوا هذه المناصب، وهم[٩]:

١) أربعة رجال وظيفتهم « حمل القسي والسهام »: وهو ما عرف بعد باسم منصب قورجي (رامي السهام).

٢) أربعة « مشرفين على الطعام والشراب »، والمتن المغولي يميّز بين المشرفين في الصباح والمشرفين في المساء على أنواع الشراب، وهو الموظف الذي عرف فيما بعد باسم بكاول أو باورجي[١٠].

448 ٣) « مشرف على رعي الماشية »، وهذا الموظف نفسه يطلق عليه لدى رشيد الدين[١١] لقب راعي (اختجي) قطعان خيل البلاط.

٤) « مشرف على تجهيز العربات » ويسمى تركين، وهي الوظيفة التي عرفت في الأزمنة التالية بوظيفة « اليورتجي ». ووفقاً لأقوال رشيد الدين فان هذا الشخص قد عيّن قائداً لألف وكان يشرف على الأفراس[١٢]، وفي آخر أيام حياته شغل منصب بكاول وباورجي[١٣].

---

(٩) شرحه، ٦٢؛ راجع توضيحات البروفسور برزين (رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الثالث عشر، الترجمة، ٢٥٥ - ٢٥٧، (الحواشي)). المعلومات عن الأصل المغولي أدين بها للبروفسور ايفانوفسكي A.O. Ivanovski.

(١٠) النايمان وبعض قبائل أخرى يستعملون بدلا من لفظ بكاول اللفظ قنسات، الذي يلفظ بين المغول الشرقيين قنجات (رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ٢٣٤؛ الترجمة، القسم الخامس، ١٧٦؛ القسم الثالث عشر، المتن، ٢١٠، ١٣٠). (كما وضح پليو P. Pelliot (الذي يضيف أيضاً الإشارة الى القسم الرابع عشر، المتن، ٢١٠؛ الترجمة، ١٤٠) فإن من الأفضل قراءتها قيسات أو قيچات؛ راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», PP. 25-27 - الناشرون). (هذا ويقول Bosworth ان بكاول معناها « الذي يذوق الطعام؛ المتعهد بتزويد الأغذية للبلاط وللجيش؛ صاحب الميرة » وأنها غير مؤكدة الأصل؛ ويشير الى Doerfer, II, 301-7, No 755 ثم يضيف أنه فيما يتعلق بزعم بارتولد ان النايمان يستعملون لفظ قنسات بدلا من بكاول فان پليو يرد على هذا بقوله إن مخطوطات تاريخ رشيد الدين التي استعملها برزين إنما يرد فيها في واقع الأمر القراءات قيشات وقيچات؛ ثم يحاول ربطها مع بعض التردد بمصدر فعلي تركي هو قيش - بمعنى « يسحق الطعام ويسحنه » (راجع Pelliot, Notes..., PP. 25-27 - المترجم).

(١١) طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ٢٨٣؛ الترجمة، القسم الخامس، ٢١٣.

(١٢) شرحه.

(١٣) شرحه، المتن، القسم السابع، ٢٣٤، الترجمة، القسم الخامس، ١٧٥.

٥) شخص ليشغل وظيفة چربي[١٤]، وهو المشرف على « موظفي الخاصة ».

٦) أربعة رجال وظيفتهم « حمل السيوف في موضع واحد »، وكان على رأس هؤلاء أخ لتيموجين اسمه جوچي قسر[١٥].

٧) « مشرفان على تدريب الخيل » (اختا، وهي في الأزمنة التالية وظيفة الاختجي)، وأحد هؤلاء كان أخاً لتيموجين يدعى بلغوطاي.

٨) ثلاثة مشرفين على « قطعان الخيل في المراعي ».

٩) أربعة « أسهم قريبة وبعيدة » (وهي بالصينية يوان - تسين Yuän - tsien وكين - تسين Kin- tsien، أما بالمغولية فهي خولا وأويرا)، ويغلب على الظن أن المعنيّ بهذا أشخاص كانت وظيفتهم الاضطلاع بمهام شخصية للخان، كمنصب السفارة في أغلب الأحيان، وقد عرفت عادة ارسال « مبعوثين سهام » في عهد امبراطورية الكين[١٦]، وفي الأزمنة التالية أطلق مصطلح خاص على الأسهم في امبراطورية المغول التي كانت تودع بها رسائل سرية[١٧].

١٠) وفيما يتصل باثنين من النبلاء يرد الكلام بشأن تعيينهما شيخين، أو « محافظين » للجماعة وفقاً للمتن المغولي، دون تحديد أدق لطبيعة وظيفتهما. وبوصفهما المستشارين الرئيسيين للخان فمن المحتمل جداً أن تكون الوظيفة الملقاة على عاتقهما هي حفظ النظام خلال الاجتماعات. وكلا الشخصين المذكورين هنا قد شغلا على الدوام مراكز رفيعة للغاية ببلاط چنكيز خان، فكان بوغورجي نوين يجلس إلى يمينه في موضع أعلى من موضع القادة العسكريين[١٨]، أما الآخر وهو چلمه فكان من قواد الحرس

---

(١٤) جوزجاني (ترجمة Raverty الجزء الثاني، ٩٧٩) يترجم لفظ « چربى » (والتي وردت خطأً لدى Raverty في صورة « جزبى ») بلفظ « حاجب »؛ (في طبعة Nassau-Lees ٣٤٠: جزبى - الناشرون). (يقول رشيد الدين ان چربى « يعني دل راست وپاك اندرون »، أي « معناها الصادق القلب والطاهر السريرة »، راجع طبعة برزين ٢١١/٣ - المترجم).

(١٥) (كما بيّن P. Pelliot فان هؤلاء لم يكونوا « حملة السيوف في مكان واحد » بل كانوا حملة السيوف القاطعة، كما كان القورچي (أنظر ما يلي) حملة جعاب السهام؛هذا وقد أطلق عليهم في المصادر فيما بعد اسم اولدچي (Uldüči) وهي ايلدچي Ildüči في المغولية الكلاسيكية (أنظر Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 27 - الناشرون). (كان على الناشرين السوفيت أن يضيفوا أيضا أن Pelliot يشتق هذا اللفظ الأخير من Uldü (أو Ildü) أي السيف بالمغولية - المترجم).

(١٦) التاريخ السري، ترجمة كافاروف، ١٩١، الحواشي.

(١٧) D'Ohsson, Histoire des Mongols, T.III, P. 434

(١٨) رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ٢٧١؛ الترجمة، القسم الخامس، ١٦١.

(كشيك)، وقيل في حقه إنه « لم يكن هناك أكثر من اثنين أو ثلاثة هم أرفع منزلة منه[١٩] ».

449 أما حرس تيموجين فقد تم تنظيمه بصورة ثابتة[٢٠] عام ١٢٠٣، عقب انتصاره على الكرايت وبعد ما أصبح تيموجين نفسه هو الشخصية الأولى بمنغوليا الشرقية، وهنا وللمرة الأولى نُوَاجه بألفاظ مغولية. وقد تم اختيار سبعين رجلاً للحراسة النهارية وثمانين لحرس الليل، وأطلق على المجموعة الأولى اسم تركووت Turgewut وعلى الثانية اسم كبتووت kebtewut (ومفردها كبتوور[٢١] kebtewur)، وكلتا المجموعتين كانت تكوّن حرس الحماية (كشيكتن keshikten، ومفردها كشيك[٢٢] keshik = نوبة). وكان الحرس يضم أيضاً رماة السهام (قورجي) والفراشين (باورجي) وحرس الأبواب (غير واضحة في المتن ولعلها أكود نجي egudenchi، من المغولية أكودن أو أودن بمعنى باب) وسوّاس الخيل (اختجي)[٢٣]. أمّا شؤون القصر ومتطلباته فكان يديرها الجربي، الذين رُفع

---

(١٩) شرحه، المتن، القسم السابع، ١٩٠؛ الترجمة، القسم الخامس، ١٤٣. (وفقاً لرأي P. Pelliot فان الشكل كشيك Käŝik لم يثبت إلا في القرن الرابع عشر، أما قبل ذلك فقد عرف الشكلان المتشابهان كزيك Zäzik و Käzäk والأول منهما نلتقي به لدى المؤلفين الذين دوّنوا باللغة الجغتائية، وأيضاً لدى المؤلفين الذين كتبوا بالفارسية، ثم تحول هذا الشكل فيما بعد في المغولية الى صورة Käsik, ومنها الى صورة Käŝik. أما الشكل Kazäk فقد أعطى Käsäk* الواردة في المدونات بالكتابة الصينية على عهد أسرة اليوان. أنظر Pelliot, Notes..., PP. 27-29 - الناشرون).

(٢٠) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ١٠٢ - ١٠٣؛ (طبع كوزين، ١٤٤ وما يليها).

(٢١) لا شك أن هذا اللفظ يقابلنا لدى رشيد الدين في صورة « كبتاول » (طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ٤٨؛ الترجمة، القسم الخامس، ٣٨). هذا وقد قرأها البروفسور برزين خطأً « كيتاول » مشتقاً إياها من الفعل « كيتمك » (أي يذهب)؛ راجع نفس المصدر، القسم الخامس، ٢٣٠. وفي موضع آخر (شرحه، القسم الخامس عشر، المتن، ٢٠٤؛ الترجمة، ١٣٧) يظهر نفس اللفظ في صورة كيتاول بدلا من كبتاول. (كما بين P. Pelliot فإنه يجب قراءة Turgewut في صورة turqa'ut (=Tur غ a'ut)وهي جمع turqaq (=Tur غ aq) والاثنان من أصل تركي؛ ومن كبتوت فإن المفرد ليس كبتور بل كبتؤول (Käbtä'ül) التي ترد في الكتابة الفارسية في صورة كبتاول (أنظر Pelliot, Notes sur le «Turkestan», PP. 29-31 - الناشرون).

(٢٢) ترد لدى رشيد الدين عادة في صورة « كزيك ». ويترجم البروفسور برزين لفظ كشيكتن بلفظ « مبروك » (شرحه، القسم الثالث عشر، الترجمة، ١٨٥، الحواشي). وأمثلة استعمال لفظ كشيك قد جمعها كاترمير (رشيد الدين، نشر كاترمير، ٣٠٩ - ٣١١، الحواشي).

(٢٣) لفظ اختجي يظهر في اليوان - شا أو - بحي - شي حتى في تاريخ سنكون، انظر المتن: Pelliot A Propos des Comans, p. 180 الحاشية. (يقول Bosworth ان اختا معناها في الأصل الحصان المخصي =

عددهم إلى ستة. وإلى جانب هؤلاء تم اعداد «ألف شجاع» (بهادور) كحرس شخصي للخان، وهذه المجموعة كانت تشكل طليعة الحرس في وقت القتال وقسماً من حرس البلاط في وقت السلم. وكان عسس الحرس يستبدلون كل ثلاثة أيام.

هذا وقد أُجري تنظيم جديد للحرس[٢٤] في عام ١٢٠٦ عندما كسر تيموجين النايمان وقتل جاموقه Jamuka ووحّد تحت حكمه جميع سكان منغوليا «واتخذ لنفسه لواء ذا تسعة ذيول بيضاء[٢٥] واعتلى العرش»، وفي ذلك الوقت وفقاً للمصادر الرسمية اتخذ أيضاً لقب چنكيز خان. وقد دعم عدد الكبتووت برفعه أولاً/إلى ثمانمائة رجل ثم إلى ألف، 450 ورفع عدد القورجي أولاً إلى أربعمائة ثم زيد فيما بعد إلى ألف، كذلك تم تكوين ألف تركووت. وعلى نموذج «الألف بهادور» تم تنظيم ستة آلاف آخرين ضُمُّوا إلى الحرس، وبهذا أصبح الحرس يضم الآن عشرة آلاف رجل. أما العسس (قزا ول) فقد قُسموا إلى أربع نوبات، كانت كل واحدة منها تتولى الخدمة وفقاً لما عليه الحال من قبل لمدة ثلاثة أيام بلياليها. أما فيما يتصل بطريقة اختيار الحرس فيقال إن ابن كل زعيم لألف (من الواضح أن المقصود بهذا زعماء الألوف القدامى) كان عليه أن يحضر معه واحداً من أقربائه وعشرة من الرفاق، وإن ابن زعيم العشرة وكل رجل حر يحضر معه واحداً من أقربائه وثلاثة من الرفاق. وقد أُعلن «أن كل من يريد الانتظام في الحرس فليس لأحد الحق في منعه». وقد وُضعت قواعد مشددة تتصل بصورة خاصة بحراسة موضع إقامة الخان ليلاً، فعند حلول الغسق يلقي الحرس القبض على أي شخص يمر قريباً من مضجع الخان، كما أنه لم يكن بمقدور أحد ولوج خيمة الخان إلاّ في صحبة رجال الحرس، وقد

= ثم أصبحت تعني «يركب، يمتطي» لأن المغول كانوا يركبون عادة الخيل المخصية؛ راجع B. Vladimirtsov, Le régime social des Mongols: Le féodalisme nomade, Paris 1948, 45 هذا اللفظ المغولي - التركي ربما كان في الأصل ايرانيا، راجع Doerfer, I, 114–17, No. 8 وأيضاً 117 -18, No 9 (الأختجي = في العربية والفارسية: امير آخور).

(٢٤) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ١٢٥ - ١٣٠؛ (نشر كوزين، ١٦٩ وما يليها).

(٢٥) وفقا لقول منغ - هنغ Meng–Hung (Vasiliev, Istoria i drevnosti, str. 231) فان هذه الراية كان في وسطها قمر أسود. (يقول پليو إن راية چنكيز خان لم تكن راية ذات أربعة ذيول بيضاء بل راية بيضاء بتسعة ذيول (في التاريخ السري، الفقرة ٢٠٢: Yäsün Költü čaqa'an tuq) ثم يضيف ان العلم الذي يصفه لنا منغ هنغ Meng–Hung (أغلب الظن يجب قراءتها تشاو هونغ Tchao Hong) لم يكن علم چنكيز خان بل علم موقالي. وهو وإن لم يستطع أن يقطع هل القمر الأسود كان على راية چنكيز خان أم على راية موقالي، فإنه أميل الى القول بأنه كان في علم هذا الأخير - المترجم).

صدرت الأوامر الى الحرس باستعمال السلاح ضد كل من لا يتبع هذه التعليمات. ولم يكن أحد ليجرؤ على الاستفسار عن عدد الحرس في أي يوم من الأيام، وكانت عقوبة ذلك فرساً مُسرجاً وثوباً.

وكان الحرس يخضع لربط وضبط دقيقين، وكان عقاب من يفشل في الظهور يوم نوبته ثلاثين جلدة في المرة الأولى وسبعين في المرة الثانية، أما في المرة الثالثة فالطرد بعد ضربه سبعاً وثلاثين جلدة. وهذا العقاب نفسه كان من نصيب الضابط الذي نسي تذكير مرؤوسه بيوم نوبته. وفي مقابل هذا تمتع رجال الحرس بامتيازات كبرى، فالجندي المقاتل من رجال الحرس كان يحتل رتبة أعلى من قائد ألف في الجيش، أما غير المقاتلة من رجال الحرس فكان الواحد منهم أعلى من رأس مائة من ضباط الجيش. ولم يكن من حق قادة الحرس معاقبة مرؤوسيهم كما يشاؤون، بل عليهم رفع جميع تصرفاتهم إلى الخان. وقد وجدت قاعدة مؤداها «أن من يعاقب مرؤوسيه وفقاً لهواه بجلدهم بعصاة يكون جزاؤه الجلد بالعصاة، وكل من يلكم بيده يكون جزاؤه اللكم باليد». وهذه الامتيازات احتفظ بها رجال الحرس بوصفهم المقربين من الخان حتى في الحملات العسكرية النائية. وعندما أرسل چنكيز خان سوبوتاي بها دور في إحدى الحملات أصدر إليه التعليمات الآتية: «أياً من يعصى الأوامر فإن كان معروفاً لدي فأحضره إلى هنا وإلاّ فاعدمه في مكانه[٢٦]». ولم يكن الحرس يشارك في القتال إلاّ إذا أخذ الخان نفسه طرفاً في الحملة، وفي المعسكر كان «الألف بهادور» الأصليون ينزلون أمام خيمة الخان، هذا بينما ينزل القورجي والتركووت على اليمين، والسبعة آلاف الباقون على اليسار. وكان الألف بهادور والمقاتلة الذين كوّنوا الحرس الرئيسي للخان يتمتعون بالاحترام والتوقير أكثر من غيرهم.

451 ومن بين حرس چنكيز خان خرج معظم قوّاده، وهكذا فإنه بفضل هذه المنظمة فان قيادة القوات العسكرية في جميع أنحاء الامبراطورية الشاسعة كانت في أيدي رجال يعرفهم الخان معرفة مباشرة وخبرهم بنفسه. وإن ما قام به هؤلاء القوّاد من أعمال عسكرية مجيدة ليقف دليلاً على المقدرة والمعرفة بالرجال اللتين انتقى بهما چنكيز خان مساعديه. أما الكتل الشعبية فإنها لم تكن سوى أداة في أيدي مساعدي چنكيز خان الذي لا يشير في شيء حتى في الأقوال المأثورة عنه الى الشعب كمجموعة أو يتحدث عمّا قام به نحوهم من خدمات، بل يذكر فقط ما قام به الخان من أجل حلفائه وأنصاره من النبلاء. وكان

---

(٢٦) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ١١١ (طبعة كوزين، ١٥٣ - ١٥٤).

الأمراء « النويد » Noyad يكوّنون أعلى طبقة ارستقراطية بالبلاد[٢٧]. وكان لقب «النو.ين الأكبر » يحمله تولوي أصغر أبناء چنكيز خان[٢٨] الذي كان اليد اليمنى لأبيه في الشؤون العسكرية[٢٩]، كذلك حمل لقب نوين أخوا الخان الأصغران وهما تموغا وبلغوطاي[٣٠]. ومهما يكن من شيء فإنه لم يتمتع أحد من المنحدرين من صلب أخوة چنكيز خان بحقوق الإمارة إلاّ سلالة جوچي قسر، بينما دخل الباقون في زمرة الارستقراطية[٣١]. هذا وقد حمل أعضاء الارستقراطية العسكرية كما هو الحال لدى الترك لقب طرخان. وكانت امتيازات الطرخانات وفقاً لجويني[٣٢] هي الآتية: الاعفاء من الضرائب، وأن يكون لهم الحق في الغنائم التي تقع في أيديهم في الحرب أو الصيد[٣٣]، كما كان باستطاعتهم دخول البلاط في أي وقت يشاءون دون اذن خاص. وهم غير مسؤولين عن جريمة يرتكبونها إلاّ عند الجريمة التاسعة[٣٤] (وإن لم يمس هذا في واقع الأمر إلاّ الجرائم التي كانت عقوبتها الاعدام[٣٥]). وفي المآدب يحتل الطرخانات مواضع الشرف ويقدم لكل واحد منهم كأس من النبيذ[٣٦].

وكما كان عليه الحال مع كل الشعوب الرعوية قبل چنكيز خان بوقت طويل فقد كان

---

(٢٧) (« النويَد » جمع « نويَن » وهو الأمير والقائد من طبقة الارستقراطية، وعكسها هَرَن Haran أي سواد الشعب - المترجم).

(٢٨) رشيد الدين. طبعة برزين، القسم الثامن، (في المتن، ١٢٦: الغ نويان)؛ الترجمة، ٧٧. (يضيف Bosworth أن Boyle في مقاله «On the titles given in Juvaini to certain Mongol princes», H.J.A.S., XIX, 1956, 146-8 يرى أن لقب « الأمير الكبير » (بالتركية « الوغ نوين » وبالمغولية « يكه نوين ») قد أعطى لتولوي عقب موته لتحاشي ذكر اسمه).

(٢٩) جويني، الجزء الأول، ص ٢٩.

(٣٠) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الثامن، (المتن، ٩٧، ١٠٠)؛ الترجمة، ٦٠، ٦٢.

(٣١) شرحه، (المتن، ٨٧)؛ الترجمة، ٥٥.

(٣٢) جويني، الجزء الأول، ص ٢٧. (راجع ابن العبري، ص ٣٩٥ حيث يقول: « والترخان هو الحُرّ الذي لا يكلف بشيء من الحقوق السلطانية ويكون ما غنم من الغزوات له مطلقا لا يؤخذ منه نصيب للملك. وزاد لهؤلاء أن يدخلوا على الملوك بغير إذن ولا يُعاقبوا على ذنب الى تسعة ذنوب »؛ ويبدو واضحاً من ألفاظ ابن العبري انه انما يعتمد على جويني - المترجم).

(٣٣) أنظر التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ٩٨، ١٢٤؛ (طبعة كوزين، ١٤٠، ١٦٧).

(٣٤) أنظر المصدر السابق، ترجمة كفاروف، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤؛ (طبعة كوزين، ١٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧).

(٣٥) شرحه، ترجمة كفاروف، ٢٢٣، الحاشية.

(٣٦) شرحه، ترجمة كفاروف، ٩٨، ١٢٣؛ (طبعة كوزين، ١٤١، ١٦٧).

يقف على رأس الجيش قادة العشرة والمائة والألف والتومان tumen ، وكان التومان يضم عشرة آلاف مقاتل. وعلى عهد چنكيز خان كان هناك ثلاثة من قادة التومانات. أحدهم وهو موقالي Muqali كان يقود الميسرة أو الجهة الشرقية (وكانت الجهة الموقرة لدى المغول هي الجنوب[٣٧])، أما الثاني فكان بوغورجي Bogorci/قائد الميمنة أو الجهة الغربية، وكان الثالث نايأ Nayá يقود «عسكر الوسط[٣٨]». ويرد اسم نايأ لدى رشيد الدين على أنه فقط مساعد لموقالي، كما أن بوغورجي نوين كان له أيضاً مساعد ولكن لقب هذا المساعد لم يعثر عليه في المصادر المغولية على مدى علمنا فضلاً عن أن نطقه عرضة للشك[٣٩]. وكان الجندي الذي تثبت عليه تهمة التحول من قائد إلى آخر طواعية يُنفذ فيه حكم الاعدام أمام الجيش كله، كما أن القائد الذي يقبله كان يعاقب عقاباً صارماً[٤٠]. وكذلك وضعت قواعد دقيقة للصيد الملكي الذي لم يعتبر في دول المغول تزجية للوقت فحسب بل هو قبل كل شيء وسيلة للحصول على الغذاء، فضلاً عن أنه كان يخدم غرض تدريب الجند على المناورات العسكرية[٤١]. وكان تجاوز قوانين الصيد يؤدي أحياناً إلى عقوبة الاعدام[٤٢]. وفيما بعد أوكل چنكيز خان أمر الاشراف على الصيد إلى ابنه الأكبر جوچي[٤٣].

وأشق من هذا بكثير كان أمر تنظيم الإدارة المدنية. ومما لا ريب فيه أن مغول چنكيز خان كانوا على مستوى منخفض جداً من الحضارة حتى عند مقارنتهم بأبناء عمومتهم من الكرايت والنيمان. ونتيجة لهذا فانه فور الفراغ من توحيد منغوليا وقبل إخضاع البلاد المتحضرة برزت أهمية الإفادة من الشعوب التي خضعت للمغول. وكان

452

(٣٧) شرحه، ترجمة كفاروف، ٨٣ (في طبعة كوزين، ١٢٧، الترجمة مختلفة)، ٢٠٣، الحاشية. راجع أيضاً رواية پلانو كارپيني Plano Carpini بصدد تقديس روح چنكيز خان وذلك بالانحناء صوب الجنوب (ص ٨٤ من المتن الروسي بقلم يزيكوف، ١٨٢٥، سان بطرسبرغ؛ وص ٦٢١ من الأصل اللاتيني، طبعة داڤيزاك ١٨٣٩؛ هذه الفقرة لا توجد في الترجمة الانجليزية التي عملها روكهل لجمعية هاكلويت).

(٣٨) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ١١٦ - ١١٧، ١٢٤؛ (طبعة كوزين، ١٦١، ١٦٨).

(٣٩) في ذات مرة يقرأها برزين «سوتوكرسون» ويقول إنها المغولية Sutukersen بمعنى «ممتاز، مجتهد» (رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ٢٦٠؛ الترجمة، القسم الخامس، ١٩٥، ٢٩٧، الحاشية)؛ وفي مواضع أخرى (القسم الخامس عشر، المتن، ص ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٩) يقرأها «سونكوسون» ويشتقها من التركية «سونك» بمعنى «بعد، عقب» (شرحه، ١٧٧).

(٤٠) جويني، طبعة قزويني، الجزء الأول، ٢٤.

(٤١) D'Ohsson, Histoire des Mongols, T.I, PP. 404-406

(٤٢) جويني، الجزء الأول، ص ٢٠.

أول ممثلين للحضارة ببلاط چنكيز خان (وذلك قبل عام ١٢٠٣) ممن وصلتنا حقائق بشأنهم هم بعض التجار من المسلمين(٤٤)، ولا علم لنا بما تمتعوا به من نفوذ لدى چنكيز خان ولكن يمكن القول بأنهم أخذوا طرفاً في وضع نظام الحرس. ولقد ظهر النظام الكتابي بمملكة چنكيز خان عقب اخضاعه للنايمان (١٢٠٦)، فأحد الأويغور واسمه تاشاتون الذي كان يقوم بحفظ ختم خان النايمان شغل هذه الوظيفة نفسها ببلاط چنكيز خان، وفوق هذا أسندت اليه وظيفة تعليم أبناء الخان القراءة والكتابة على طريقة الأويغور(٤٥). ويقول جويني/(٤٦) إن التتار لم يكن لهم رسم للكتابة ولذا فقد أمر چنكيز خان بأن يتعلم أولاد المغول الكتابة على يد الاويغور ليستطيعوا تدوين مجموعة الياسا، أي القانون العرفي للمغول. أما فيما يتصل بختم الخان فان معلوماتنا التاريخية تشير الى أنه كان من نمطين استعمل للتمييز بينهما التعبيران التركيان آل تمغا (أي الختم القرمزي) وكوك تمغا (أي الختم الأزرق). والتعبير الأول يقابلنا كثيراً/(٤٧)، أما الختم الأزرق فيبدو أنه استعمل في المهام الخطيرة فقط خاصة على الوثائق الموجهة الى أفراد بيت الخان(٤٨).

453

وبذا فإن أول معلمين للمغول، بل وأول عمال للدولة في امبراطورية المغول كانوا من

---

(٤٣) شرحه، الجزء الأول، ص ٢٩.

(٤٤) Teksty ص ١٥٩ (معز الأنساب)؛ Bartold, Obrazovanie imperii Chingiz-Khana, str. 112

(٤٥) Abel-Rémusat, Tha-tha- toung-o, p. 61 (كما بين پليو فإن تاشاتون Tashatun قراءة خاطئة لاسم تاتاتونغا Ta-ta-tonga (عن اليوان - شي)؛ ويرى أنه رغما من أن هذا الاسم الاويغوري لم يظهر حتى الآن في أية وثيقة تاريخية إلا أن المقطع الثاني منه وهو تونغا يعني دون شك بالتركية «البطل» (راجع Pelliot, Notes..., pp. 33-35) - الناشرون).

(٤٦) جويني، الجزء الأول، ص ١٧.

(٤٧) من المصادر التي يرد فيها جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الثاني، ١١٥٨)؛ طبعة ناساو - ليس، ص ٤٠٢: الطمغاج).

(٤٨) مثال لاستعمال الختم الأزرق يرد لدى رشيد الدين (طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ٥١؛ الترجمة، القسم الخامس، ٤٠). ويبدو أن الشخص المذكور ها هنا قد حمل الوثيقة من الخاقان الى الايلخان اباغا ووفقاً لمحتويات الوثيقة حصل على منصب بالبلاط. (ويرى پليو أن افتراض بارتولد فيما يتعلق باستعمال الختمين القرمزي والأزرق لم يوكد بعد؛ وان الوحيد الذي نعرفه من شكله المباشر هو الختم القرمزي «آل تمغا». وفيما يتعلق بفرض پليو حول استعمال مصطلح كوك تمغا راجع مقاله P. Pelliot, Notes..., PP. 35-42 - الناشرون). (ولا حاجة بنا الى أن نضيف أن لفظ طمغة أو دمغة بمعنى العلامة والطابع والرسم المستعملة حاليا في عدد كبير من الأقطار العربية التي خضعت من قبل لسلطان الدولة العثمانية، انما هي مأخوذة من اللفظ التركي - المغولي تمغا ولا علاقة لها بالفعل العربي دمغ أي ضربه على دماغه خاصة. وجاء في ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري: «تمغا - هو طابع الملك وغيره»، الجزء الأول، ص ٣٥٥ (طبعة كليسلي رفعت) - المترجم).

الأويغور، وفيما بعد دخل عمال الأويغور الأقطار المتحضرة في معية الغزاة المغول، فنراهم في كل من الصين والبلاد الاسلامية ينافسون بنجاح أهالي البلاد الذين كانوا أوسع ثقافة منهم. وليس هناك أدنى شك في أن الحضارة بدأت تنفذ إلى الأقطار الواقعة على سفوح تيان - شان Tien- shan منذ عهد مبكر، وأن هذه الحضارة قد تسربت من جهات مختلفة، من الصين ومن الهند (البوذية) ومن تركستان (المانوية[٤٩] والنسطورية)، غير أن افتقار الأويغور إلى حياة آمنة قد حال بينهم وبين الافادة من تعاليم أساتذتهم كي يقيموا لانفسهم حضارة قومية وطيدة البنيان. وفي الواقع فإن تاريخ علاقة الأويغور بغيرهم من الشعوب وبصورة خاصة تاريخ تطورهم الحضاري لم يظفر حتى هذه اللحظة بدراسة وافية، ورغماً من أن الاكتشافات الأثرية التي تمت في الآونة الأخيرة[٥٠] قد ألقت بعض الضوء على تاريخهم الحضاري إلاّ أن تبيان أهمية هذه الاكتشافات لن يتيسر إلاّ بعد 454 فحص دقيق للمصادر المدونة، خاصة المصادر الصينية. لكل هذا فإننا سنحصر أنفسنا/في توضيح الخطوط العريضة لما نعلمه عن هذه المنطقة في القرن الثالث عشر. ووفقاً لألفاظ عوفي[٥١] فإن القراخطاي والأويغور كان بعضهم يعبد الشمس والبعض الآخر كان نصارى. وعلى وجه العموم فإن كل دين وجد له أتباعاً بين الأويغور فيما عدا اليهودية، إلاّ أن معظم الأويغور كانوا نصارى. وقد كان نظام مملكة الأويغور معروفاً تماماً لمعاصري عوفي حتى أنه لم يجد حاجة لتفصيل الكلام فيه. ومؤلفنا هذا نفسه[٥٢] يتحدث في حكاية

(٤٩) من المعلوم جيدا ان اويغور الاورخون قد التقوا بدعاة المانوية في لويانغ Lo-yang بالصين عام ٧٦٢؛ انظر Chavannes-Pelliot, Un traité, JA, I, P. 177 sq والطبعة المنفصلة: Un Traité Manichéen retrouvé en Chine, p. 201.

(٥٠) Nachrichten über die von Kais. Akad. Der Wiss. zu St. Petersburg im Jahre 1898 ausgrüstete Expedition nach Turfan, Heft, 1, St. Petersburg 1899. راجع عن الاكتشافات التالية Barthold «Stand und Aufgaben der Geschichtsforschung in Turkestan» (Die Geisteswissenschaften,1914,S.1075-1080) حيث يرد ذكر عدد من المراجع. وثمة قائمة أوفى من ذلك حول هذا الموضوع تجدها لدى Sir Aurel Stein, Serindia, Introduction, P. XXV sq. وإن كان لا يرد ذكر لأعمال لوكوك Le Coq. وبقدر علمي فإن المعلومات المتناثرة حول شعب الاويغور والتي يمكن تجميعها من المكتشفات الأخيرة لم تخضع بعد لدراسة وافية. (أبحاث جديدة عن الاويغور: Gabain, Das uigurische Königreich; Hamilton, Les Ouïghours. - الناشرون). (من الأبحاث الأخيرة عن الأويغور: Colin Mackerras, The Uighur Empire, Canberra, 1973; D.I. Tikhonov, Khoziaistvo i obshchesvenny stroi uigurskogo gosudarstva X-XIV VV., M. 1966 - المترجم).

(٥١) Teksty ص ٩٩.

(٥٢) شرحه، ص ٩٥.

من الحكايات التي يقصوا علينا عن الأويغور بوصفهم شعباً مسالماً لم تعرف فيه الشجاعة. وغلبة النصرانية على الأويغور يؤكدها إلى جانب عوفي پلانو كارپيني Plano Carpini [٥٣]، إلاّ أن من المتبعد أن كان النصارى أكثر عدداً من البوذيين في بلاد الأويغور. ولفظ بخشى (من السنسكريتية bhikshu) الذي كان يطلق في الأصل على الرهبان البوذيين اتخذ في دويلات المغول معنى «الكاتب، وعامل الدولة[٥٤]» أيضاً، مما يمكن أن يستنتج منه أن ممثلي الطبقة المثقفة من الأويغور الذين عملوا في خدمة المغول كانت أكثريتهم من فئة البوذيين. وثمة تفاصيل عن البوذيين الأويغور يقدمها لنا روبروك Rubruk[٥٥] الذي يقول بأنهم كانوا يشكّلون «طائفة متميزة بذاتها تقريباً» (quasi secta divisa ab allis) بين عبدة الأصنام. والأويغور في صلاتهم كانوا يستقبلون الشمال ويضمون أيديهم إلى بعضها ويركعون ثم يسجدون واضعين جباههم في أيديهم، وكانت معابدهم تزينها صور موتاهم، كما كانت النواقيس تستعمل خلال العبادة. وقد حفظ لنا روبروك إحدى الصلوات البوذية وهي «أوم ماني پادمه هوم». ووفقاً لقول تشأن تشؤن[٥٦] فإن الرهبان البوذيين ببلاد الأويغور كانوا يرتدون زياً أحمر اللون، ونفس رحالتنا هذا التقى باتباع التاوية ببلاد الأويغور وهو أمر بدا بعيد الاحتمال بالنسبة للأرشمندريت پالاديوس Palladius[٥٧]. أما المانوية التي يرد ذكرها في كل من المصادر الاسلامية[٥٨] والصينية[٥٩] في القرنين التاسع والعاشر جنباً إلى جنب مع البوذية ببلاد

(٥٣) طبعة بزيكوف، ١٢٨؛ طبعة بيزلي، ٦٩، ١٠٣، ١٤٤؛ (ترجمة ماليين، ٨).

(٥٤) راجع معجم بوداغوف Bodagov (تحت لفظ «بخشي»).

(٥٥) Recueil de voyages et de mémoires publié par la Société de Géographie, T. IV, Paris, 1839, pp. 283-287 (ترجمة ماليين، ١٠٧ - ١٠٩).

(٥٦) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ٣٠٠. لا ذكر له عند برتشنيدر Bretschneider, Mediaeval Researches, vol. I؛ راجع Chavannes - Pelliot, un traité, JA, II, 1, 317 (الطبعة المنفصلة، ص ٢٧٩) حيث يترجم النص: «رداء بُنّي» (Habit brun).

(٥٧) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٤٠٧، الحاشية؛ ويقترح شاقان وپليو أن التاوئيين المزعومين إنما كانوا في الحقيقة من المانويين (Chavannes - Pelliot, un traité..., JA, II, 1, P. 317؛ الطبعة المنفصلة، ص ٢٧٩).

(٥٨) Bartold, O Khristianstve v Turkestane, str. 18 وبصورة خاصة ما ورد لدى ياقوت (المعجم، الجزء الأول، ص ٨٤٠)؛ وعن البوذيين راجع البيروني، الآثار الباقية، ترجمة زخاو، ص ١٨٩.

(٥٩) خاصة في رحلة وانغ - ين - ته (W. Radloff, Das Kudatku Bilik, Theil 1, Wang-Yen-té p. LXIX; Radlov, K voprocu ob uigurakh, St. Petersburg, 1893, S. 100) ورادلوف ينسب خطأ هذه المعلومات الى النصارى. نفس المتن لدى شاقان وپليو، ص ٣٠٨ (الطبعة المنفصلة، ص ٢٧٠).

الأويغور فيبدو أنها اختفت تماماً في القرن الثالث عشر ولكن بقايا من تعاليمها حفظت لنا في العقيدتين البوذية والمسيحية. وقد جرت لروبرك مجادلة مع أحد ممثلي البوذية من أهل الصين تمسك فيها البوذي بصورة خاصة بثنائية الخير والشر وبنظرية التناسخ، وقد لاحظ روبروك بهذه المناسبة أنهم كانوا جميعاً يعتنقون الهرطقة المانوية بما فيها من ثنائية وتناسخ لأرواح البهائم. بل إن واحداً من أكثر الرهبان النسطوريين ثقافة سأل روبروك ذات مرة عما إذا كان هناك عالمٌ ثان للبهائم تتمتع فيه بحرية تامة بعيدة من استغلال الآدميين[٦٠]. ولعل الفكرة الأخيرة هذه قد استعارها النساطرة من البوذيين رأساً وبدون الالتجاء الى المانوية، غير أن التأثير الواضح للمانوية نجده لدى الراهب الأرمني سرجيوس (الذي ظهر ببلاط المغول في مسوح الزاهد) في تصويره للعالم، فقد سأل روبروك: «ألم يجمع ابليس الأرض في أول أيام الخليقة من الجهات الأربع للعالم؟ وألم يشكل جسم الانسان من طين ولكن نفخ فيه الروح؟»[٦١]. وسرجيوس الذي كان يفتقر الى أي ضرب من الثقافة لا شك وأنه سمع بهذه النظرية في آسيا الوسطى. وكان البوذيون الأويغور يطلقون على كتبهم المقدسة، كما يفعل البوذيون المغول اليوم، اسم «النوم»[٦٢]،

---

(٦٠) روبروك، الطبعة الفرنسية، ص ٣٥٦ - ٣٥٨؛ (الترجمة الروسية، ص ١٥٣).

(٦١) شرحه، ص ٣٣٢؛ (الترجمة الروسية، ص ١٣٧).

(٦٢) Radloff, Das Kudatku Bilik, P. XLVII; Radlov, k voprosu ob uigurakh, str. 60; جويني، طبعة قزويني، الجزء الأول، ص ٤٤. القراءة «نوميان» غير صحيحة ويجب قراءتها «توينان» وهو الاسم الذي يطلق كما هو معروف الى اليوم بمنغوليا على الرهبان البوذيين من أصل نبيل. وفي القرن الثالث عشر كان لهذا اللفظ انتشار واسع (جوزجاني، ترجمة راﭬرتي، الجزء الثاني، ص ١١٥٧). هذا وتظهر القراءة «توينان» أيضا في المتن المطبوع لتاريخ جويني (طبعة قزويني، الجزء الأول، ص ٤٤). هذا وينقل عوفي (Teksty ص ٨٣) عن شقيق بن ابراهيم البلخي الذي عاش في نهاية القرن الثامن وبداية التاسع أنه التقى في تركستان براهب بوذي يرتدي حلة ارجوانية وأن هؤلاء الرهبان كانوا يدعون توين بلسان الخطا (أغلب الظن لسان القراخطا) ويدعون في الهندستورا Sthavira (أدين بهذا التوضيح الأخير للزميل S.F. Oldenburg)
(نلتقي بلفظ توين لدى المؤلفين الفرس، وأيضا لدى المؤلفين الأرمن في القرن الثالث عشر، في معنى «الراهب البوذي». ويقول جوزجاني (ترجمة راﭬرتي، الجزء الثاني، ص ١١٥٧؛ وطبعة نساو - ليس، ص ٤٠١) بصددهم: «زهاد كفارچين وبت پرستان تنكوت وطمغاج كه ايشانرا توينان ميكويند بركيك استيلا يافتند» (أي «الزهاد من كفار الصين الوثنيون (= البوذيون) من بلاد التنكوت وطمغاج الذين يطلق عليهم اسم التوين قد غلبوا على رأي الخاقان كويوك». وفي طبعة نساو-ليس ترد خطأ في صورة نوين بدلا من توين؛ وفي ترجمة راﭬرتي في صورة Tuni. ويقول المؤرخ الارمني كيراكوس الكنجكي (أنظر Istoria monogolov po armianskim istochnikam, II, 107: «وبين شعب التتار =

ولا ريب/في أن هذا اللفظ اليوناني (الذي جاء عن طريق السريان) قد أدخله إلى بلاد الأويغور أتباع المانوية. 456

وعلى مدى علمنا فإنه لم يكن هناك ادنى عداء ديني بين البوذيين والنصارى من الأيغور، رغماً من أن النساطرة اتخذوا من الاجراءات ما يحول دون الخلط بينهم وبين البوذيين، ولهذا فإنهم لم يستعملوا النواقيس ولم يضموا أيديهم إلى بعضها عند الصلاة بل كانوا يطلقونها إلى الأمام بمحاذاة الصدر(٦٣). وأياً ما كان الامر فإن الشعور القومي بين الأويغور كان أقوى من الشعور الديني، وقد بسط الأويغوري النصراني چينغاي حمايته على البوذي كركوز لأنه كان أويغوريا(٦٤). ومما يقف شاهدا كذلك على انتشار التسامح الديني بين الأويغور النصارى أن مقدّمهم خرج للترحيب بالراهب التاوي تشأن تشؤن(٦٥). ومن ناحية أخرى نرى أن كلاً من البوذيين(٦٦) والنصارى(٦٧) كانوا أعداء ألدّاء للمسلمين، رغماً من أن النساطرة إذا ما أخذنا بقول روبروك(٦٨) قد استعاروا

= توجد جماعة التوين وكلهم سحرة وساحرات، لهم قوى شيطانية يستطيعون بها أن يجعلوا الخيل والابل وأصنام اللبد تتحدث. وكلهم رهبان، يحلقون الشعر واللحى ويحملون على صدورهم المآذر الصفراء. وهم ينحنون لكل شيء، خاصة شكمونيه ومدرينو» (أي شكموني البودا وميتري) - الناشرون).

(ويضيف بوزورث أنه من المتفق عليه الآن أن لفظ توين المغولية - التركية إنما مأخوذة عن الصينية تاو - جن Tao-jen «الرجل صاحب طريق الحق (تاو Tao)» أي الراهب البوذي، راجع (Doerfer, II, 648-51, No 993

(٦٣) روبروك، الطبعة الفرنسية، ص ٢٨٣ - ٢٨٤؛ (الترجمة الروسية، ١٠٦ - ١٠٧).

(٦٤) جويني، الجزء الثاني، ص ٢٢٨. يعتقد پليو Pelliot, Chrétiens..., T'oung Pao, 2 S., XV, P. 634 أن كوركوز كان في الغالب نصرانيا لأن اسمه قريب من اسم جورج؛ غير أن جويني (الجزء الثاني، ص ٢٤٢)، الذي كان أبوه يعرف كوركوز معرفة شخصية، يوكد انه كان وثنيا (بت پرست) وأنه اعتنق الاسلام في أواخر أيام حياته.

(يضيف بوزورث أن «بت پرست» ها هنا وفي المواضع التي ترد فيها إنما تعني بالتأكيد البوذي. ومن الجلي أنه على صواب لأن البت والبد هو تعريب للفظ البوذا؛ وبت پرست يجب أن يكون معناها في الأصل «عابد البوذا» - المترجم).

(٦٥) تشأن - تشؤن، ترجمة كفاروف، ٣٠١، ٤٠٧، الحاشية، Bretschneider, Researches, vol. I, P. 66

(٦٦) Radloff, Das kudatku Bilik, Theil I, P. XLVIII; Radlov, K voprosu ob uigurakh, p. 61 جويني، الأول، ص ٤٤.

(٦٧) جويني، الأول، ص ٢١٤.

(٦٨) روبروك، طبعة: Recueil de voyage, IV, 293 (الترجمة الروسية بقلم مالبين، ص ١١١)؛ Oppert, Der Presbyter Johannes, S. 142

بعض الشعائر الاسلامية مثل اتخاذهم الجمعة يوماً مقدساً وقيامهم بالوضوء قبل دخول الكنيسة. ويغلب على الظن أن دوافع ذلك العداء لم تكن دينية بقدر ما كان مرجعها إلى التنافس من أجل المكاسب التجارية أولاً، ثم من أجل المناصب الحكومية فيما بعد.

وعلى وجه العموم فإن الدين لم يكن له أثر كبير في حياة الأويغور حتى يسهم في رفع مستواهم الروحي أو الفكري. ولقد احتفظ الأويغور بعادة الزواج من أرملة الأب(٦٩)، غير أن هذه العادة اختفت اليوم بين المغول تحت تأثير البوذية(٧٠). كما أن عادة التخلص من المُسنِّين بالمبالغة في إطعامهم الشحم لم تكن معروفة بين الوثنيين منهم فحسب، بل 457 كانت كذلك بين «النصارى الزائغين»(٧١). ويكشف لنا النصراني چينغاي/الذي أصبح فيما بعد على رأس الإدارة المدنية للأمبراطورية، يكشف عن اعتقاد فاضح في الخرافات الشعبية وذلك في محادثته مع الراهب التاوي تشأن تشؤن، قابله الأخير بصمت مطبق(٧٢). أما ضعف الروح العسكرية بين الأويغور فمن الممكن رده في يقين إلى تحولهم إلى شعب تجاري. ومع هذا فليس بمستبعد أن يكون لانتشار الزهد يد في ذلك، وظاهرة الزهد التي جاءت بها البوذية والنصرانية حظيت في كل مكان وزمان بقبول بين الكتل الشعبية أكثر مما كان عليه الحال مع التعاليم الدينية.

أما فيما يتصل بنوع التعليم الذي كان يقوم به الرهبان الأويغور فإن معرفتنا به

---

(٦٩) جويني، طبعة قزويني، الجزء الثاني، ص ٢٢٦.

(٧٠) Vasiliev, Istoria i drevnosti, str. 246

(٧١) پلانو كارپيني، طبعة يزيكوف، ص ٩٨ - ١٠٠؛ (غير موجودة في ترجمة ماليين الروسية؛ وهذه الرواية التي ساقت الى الكثير من الارتياب لا ترتفع الى كارپيني ولكنها إضافة من ڤنسنت دي بوڤيه Vincent de Bouvais على أساس رواية شفوية ترجع الى الأخ سيمون الذي صحب الراهب اسلين Ascelin عند زيارته لايران عام ١٢٤٧؛ واسلين هذا لم يزر لا بلاد الاويغور ولا منغوليا. - الناشرون). قارن: Vasiliev, Istoria i drevnosti, str. 254

(٧٢) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٢٩٦؛ Breschneider, vol. I, P. 61. عقب قليل من هذا أعرب تشأن تشؤن عن رأيه في خوف الناس من «السعالى الجبلية» في الألفاظ الآتية: «إن السعالى والجن النجس عندما يلتقون برجل طاهر يبتعدون عنه؛ وقد ورد هذا في الكتب، فمن ذا الذي لا يعرفه؟ إن التاوي ليس من شأنه أن يشغل نفسه بمثل هذه الأمور». (راجع ترجمة كفاروف، ص ٢٩٨ - ٢٩٩؛ وراجع أيضاً Bretschneider, Researches, vol I, P. 64) (نقل عالم الصينيات المعروف آرثر ويلي Arthur Waley أسفار تشأن شؤن الى اللغة الانجليزية تحت عنوان «The Travels of an Alchmist» London, 1931. The Brodway Travellers وقد اعتمدنا على هذه الترجمة الحديثة في كل الاشارات الواردة عن الراهب في هذا الكتاب - المترجم).

شحيحة للغاية، فالنساطرة منهم كانوا يعرّفون تلامذتهم بأصول المسيحية والأناجيل والشعائر الدينية(٧٣). ومن الجائز ان يكون المعلمون البوذيون قد وضّحوا أيضاً مبادىء دينهم. غير أن چنكيز خان وخلفاءه الأوائل لم يخضعوا البتة لتأثير مستشاريهم المتحضرين، إذ لم يروا فيهم سوى أدوات لتنفيذ سياستهم. وكانت أولى نتائج اتخاذ المغول للكتابة الأويغورية هي تدوين القانون العرفي المغولي (الياسا) الذي ظل لعهد طويل المرجع الأعلى لملوك المغول إلى جانب تعاليم چنكيز خان (بيليك) أيضاً (أنظر أعلاه ص١١٣). ويبدو أن أول من أفاد من دروس الأويغور من بين بطانة چنكيز خان كان شيكي قوتوقو نوين، وهو تتاري الأصل كانت قد تبنته زوجة چنكيز خان أيام صغره(٧٤). وقد عهد اليه الخان بالبت في المسائل القضائية وأمره كما تذكر الملحمة البطولية بقوله: «آمرك بأن تحاكم وتعاقب في المسائل المتصلة بالسرقة والغش، وكل من يستحق القتل جازه بالقتل، وكل من يستحق العقوبة عاقبه، وأنت الذي ستقطع في المسائل المتصلة بتقسيم الأملاك بين الناس. وعليك بتدوين أحكامك على لوحات سود حتى لا يغيّرها أحد من الناس في الأزمنة التالية(٧٥)». واللفظ الذي يفيد معنى قاض/(يرغوچي) لا وجود له في الملحمة البطولية (أي يوان - شا أو - بي - شي)، وفيما بعد أصبح چغتاي وهو الابن الثاني لچنكيز خان المسؤول عن حفظ الياسا(٧٦). 458

وكانت وظيفة «البخشي الأكبر»، أي رأس الخدمة المدنية في أية مقاطعة من

---

(٧٣) روبروك، طبعة Recueil de voyages, IV, 293 (ترجمة ماليين، ص ١١٢)؛ Patkanov, Istoria mongolov po armianskim istochnikam, I, 11

(٧٤) رشيد الدين، طبعة برزين، (المتن، القسم السابع، ص ٧٣)؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ٥٨؛ القسم الخامس عشر، (المتن، ص ٢٠١ - ٢٠٢)؛ الترجمة، ص ١٣٦.

(٧٥) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١١٥. ووفقا لرشيد الدين (طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ٧٥؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ٥٩) فقد قام بهذه الوظيفة على الوجه الأكمل، وتميز بعدم التحيز في تحقيقاته، ولم يعط أهمية للاعترافات التي تمت تحت عامل الخوف؛ وأضحت أحكامه قدوة للأجيال التالية. (كما بيّن پليو فإن كلا من ڤلاديمير تسوف وبارتولد قد تابع خطأ كفاروف عندما ترجم اللفظ الصيني «تسنغ - تسوْ Ts'ing-Ts'ö» على أنه «اللوحات الداكنة». ذلك أن هذا اللفظ في الترجمة الصينية لليوان - تشا أو بيشي إنما هو ترجمة حرفية للفظ المغولي «كوكو دبتر KöKö debter» (أي السجل الأزرق). وفي هذا السجل الأزرق كان يسجل توزيع الأهالي بين النبلاء المغول وأيضاً الأحكام القضائية؛ راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», pp. 38-40 - الناشرون).

(٧٦) D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, P. 100 جويني، الجزء الأول، ص ٢٩.

مقاطعات الأمبراطورية، يطلق عليها اللفظ الصيني تايشي[٧٧]. وفي خلال حياة چنكيز خان كان لقب تايشي يحمله رأس السلطة المدنية المغولية ببلاد الصين، وكان في أصله من شعب الجورچه[٧٨]. وقد حمل قواد القوات المساعدة لجيش القراخطاي والچورچه لقب دايشي الذي كان يعني وفقاً لقول رشيد الدين[٧٩] «قائد تومان» (أي كتيبة من عشرة آلاف جندي)، غير أنه ليس هناك أدنى شك في أننا هنا بإزاء لفظ تايشي[٨٠].

ورغماً من اتصاله بأناس متحضرين فقد ظل چنكيز خان متمسكاً بديانته الشامانية، فنجده عند تنظيمه للإدارتين العسكرية والمدنية يعين أيضاً رجلا لملء وظيفة بيكي، ولفظ بيكي وجد قبل چنكيز خان بعهد طويل، ويغلب على الظن أن المعنيّ به كان هو كبير القساوسة أي أعلى مناصب السلطة الدينية. وهو حين عيّن في هذا المنصب أكبر أفراد قبيلة البارين سناً أمره بالآتي: «عليك أن تمتطي صهوة جواد أبيض وأن ترتدي زياً أبيض اللون، وأن تجلس في المجتمعات في أرفع موضع، واختر عاماً وقمراً ميمونين، ثم اقطع برأيك والزم الناس احترامه وتنفيذه»، فهو إذن يريد أن يقول له وفقاً لتفسير الارشمندريت پالاديوس: «إذا ما عزمت فاجعل قرارك نافذاً ومعمولاً به بين الناس»[٨١]. ولقب بيكي هذا نفسه/نلتقي به في ألقاب بعض الملوك مثل ملوك 459 المركيت[٨٢] والأويرات[٨٣].

(٧٧) رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ١٩٠؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٤٣؛ القسم الخامس عشر، المتن، ص ٢٠٧؛ الترجمة، ص ١٣٨.

(٧٨) Vasiliev, Istoria i drevnosti, str. 223 (يعطي پليو شرحاً مخالفاً لهذا الموضع من كتاب منغ - تاپي - لو Mong-Ta pei-lou، راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», pp. 46-49 - الناشرون).

(٧٩) طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ٢١٤؛ الترجمة، ص ١٤٣.

(٨٠) (كما بيّن پليو فإن برزين قرأ خطأ «ديشي» بدلا من «ونشي» (راجع «ونشي» لدى رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ص ٢١٤)، وهي تعادل اللفظ الصيني يوان - شواي Yuan-chouai أي القائد الأكبر Généralissime (راجع: Pelliot, Notes sur le «Turkestan», PP. 42-43). كذلك بيّن بليو أن لقب «بخشى بزرگ» الذي يوضح به رشيد الدين لقب «تايشي» لم يوجد في واقع الأمر لدى المغول، وأن لقب «تايشي» إنما قصد به عامة أي منصب رفيع - الناشرون).

(٨١) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ١٢٢ - ١٢٣، ٢٢٨ - ٢٢٩، الحواشي؛ (طبعة كوزين، ١٦٦). أغلب الظن أن ذلك الشخص قد ورد لدى رشيد الدين، الذي أخذ خطأ لفظ «بيكي» على أنه اسم علم (طبعة برزين، الترجمة، القسم الخامس، ص ١٩٨).

(٨٢) رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ٩٢؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ٧٢.

(٨٣) شرحه، المتن، القسم السابع، ص ١٠١؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ٧٩؛ التاريخ السري، ترجمة =

وبجوار شخصية كشخصية چنكيز خان فإنه لم يتأت بطبيعة الحال لأهل بيته أن يتمتعوا بأدنى نصيب من السلطة، ولم يكن بمقدورهم إلاّ أن يكونوا المنفّذين لإرادة رأس الدولة الموهوب. ورغماً من ذلك فإن چنكيز خان كان يولي عناية كبيرة للعرف، لذا فإنه عمل وهو على قيد الحياة على تحديد اقطاع أبنائه وغيرهم من أهل بيته. وكان أول من نال نصيبه الإبن الأكبر لچنكيز خان وهو جوچي، وذلك عندما تم إخضاع «شعوب الغابات» في عام ١٢٠٧[٨٤] وعام ١٢٠٨[٨٥]، وكان موطنهم المنطقة الواقعة بين نهري سلنكا وينسى وحوض هذا النهر الأخير. هذا وقد جعل جوچي من نفسه سيداً على «جميع الشعوب القاطنة في الغابات، من شعب الشبير حتى الجنوب»، ومنحه أبوه جميع هذه الشعوب[٨٦]. ويضع رشيد الدين[٨٧] بلاد الإبير والشِبير إلى ناحية الشمال الشرقي من بلاد القرغيز، التي كان يفصلها عنها نهر انغارا. ويبدو أن العرف المغولي لم ينص فقط على أن تكون الأملاك الأصلية للأب من حق الإبن الأصغر، بل نص كذلك على أن تتناسب مسافة بُعد اقطاع كل ابن طردياً مع سِنِّه، لذا فإن الإبن الأكبر جوچي تسلم أبعد الاقطاع، وبعد اتساع رقعة الامبراطورية منح هو وسلالته جميع الأصقاع التي افتتحها المغول في نواحي الشمال الغربي «وذلك الى أقصى حد بلغته سنابك خيل التتار»[٨٨]. ويضع رشيد الدين[٨٩] اردو (يورت) جوچي «في حدود ارتيش». ووفقا لشهادة پلانو

= كفاروف، ص ١٣١. ويلوح أن لفظ بيكي Biki لا علاقة لها باللقب بيگه Bige أو بيگي Bigi الذي يطلق على الأميرات (رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ١٢٧ وما يليها؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٠٠ - ١٠١؛ التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ٢٢٨). (راجع بصدد هذا اللقب پليو Pelliot, Notes sur le «Turkestan, PP. 49-15 وأنه من الأفضل قراءتها بيكي Beki أو بيگي Begi - الناشرون).

(٨٤) ترجع الملحمة البطولية (التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤١ - ١٤٢) ورشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، (المتن، ١٣، ١٦٨)؛ الترجمة، ٩، ١١٢ - ١١٣) إخضاع القرغيز الى هذا العام.

(٨٥) في هذا العام تم اخضاع الأويرات (رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، (المتن، ١٤)؛ الترجمة ١٠).

(٨٦) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ١٣٢؛ (طبعة كوزين، ١٧٤ - ١٧٥).

(٨٧) رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ١٦٨؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٣٠. ولفظ إبير - شبير (الذي اشتق منه اسم سيبيريا) يقابلنا في التاريخ الصيني (التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ٢٣٥، الحاشية (Bretschneider; Researches, vol II, P. 37)

(٨٨) جويني، طبعة قزويني، الجزء الأول، ص ٣١.

(٨٩) مخطوطة المكتبة القومية بلنينجراد، الرقم ٥، ٣، ١، الورقة ١٨٧: در حدود ارديش. وفي مخطوطة =

كارپيني فإن هذا الموضع بالذات هو الذي أورثه جوچي لابنه الأكبر أردا خِلافاً لما جرى به العرف. ومن العسير قبول الرواية المتأخرة التي تزعم أن قبر جوچي موجود في حوض 460 صاري صو قرب/نهير صرا إيلي، وإلى الشمال شيئا ما من نهير ترس كندرلك Ters-Kenderlik(٩١).

ولا علم لنا باللحظة التي تسلم فيها أبناء چنكيز خان الآخران، وهما چغتاي واوكداي اقطاعيتهما. وأقدم المعلومات في هذا الصدد نجدها عند تشأن تشؤن الذي عبر تلك النواحي في عام ١٢٢١، وكذلك في عام ١٢٢٣ في طريق عودته. وكان أردو چغتاي آنذاك جنوبي نهر ايلي(٩٢)، ولكنه لا يورد أدنى ذكر ليورت اوكداي، غير أن وصف الطريق الذي سلكه عبر جبال التاي الجنوبية(٩٣) يشير إلى أن اوكداى قد بسط سلطانه أيضاً في الأنحاء التي كان يشملها اقطاعه. ويقرر جويني(٩٤) أن يورت اوكداي في حياة ابيه كان يقع داخل حدود ايميل وقوبق وأن اوكداي وصل إلى قوريلتاي عام ١٢٢٩ من هذا الموضع(٩٥). ويُفهم من ألفاظ رشيد الدين(٩٦) بصدد موضع دفن اوگداي أن حوض ارتيش الأعلى كان أيضاً ضمن يورته.

رأينا فيما سبق (ص٥١٥) كيف بلغت قوات المغول في عام ١٢١١ منطقة يدي صو

= المتحف الآسيوي بلينجراد، رقم أ ٥٦٦ (د٦٦)، الورقة ٢٠٢ ب يضاف الى هذا: وكوههاي التاي. وفي طبعة بلوشيه Blochet ص ١٣١ يرد: التاي.

(٩٠) پلانو كارپيني، طبعة يزيكوف، ص ٢٨؛ وطبعة بيزلي، ص ١٢٣؛ ١٦٧؛ (وترجمة مالين الروسية، ص ٥١).

(٩١) Veliaminov-Zernov, Issledovanie o Kasimovskikh tsariakh, ch. 2, str. 307-308 (فقرة منقولة عن «عبد الله نامه» من تأليف حافظ تنيش).

(٩٢) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٣٣٧؛ وأيضاً Bretschneider, Researches, vol, I, P. 99

(٩٣) شرحه، ص ٢٩٦: وبرتشنيدر، شرحه، ص ٦٢.

(٩٤) جويني، الجزء الأول، ص ٣١: حيث وردت القراءة «قوناق» بدلا من «قوباق».

(٩٥) شرحه، مخطوطة مكتبة لننغراد، ٤، ٢، ٣٤، الورقة ٦٣: از ايميل وقوباق (في طبعة قزويني، الجزء الأول، ص ١٤٥ - يرد مرة أخرى لفظ: قوناق). وفي التاريخ الصيني ترد في صورة هوبوقو (Bichurin, Ist. chet.) Hobogo وهوبو (Bretschneider, Res., I, 161 نقلا عن اليوان شي). وزعم البروفسور ڤيلوڤكي (ZVORAO, T. VIII, str. 162) بأن اوكداي قد وقع له أيضاً بلاد الاويغور لا يوجد ما يسنده في المصادر.

(٩٦) وجودة في Teksty ص ١٢٢ (لا وجود لها في طبعة بلوشيه Blochet) (راجع الترجمة الروسية، طبعة IVAN، الجزء الثاني، ص ٤٣ - الناشرون).

غرباً وضمت القسم الشمالي من تلك البلاد إلى امبراطورية المغول، غير أنه في نفس ذلك العام بدأت الحرب مع الصين مما اضطر چنكيزخان إلى أن يوجه بكل قواته صوب تلك الناحية وأن يترك لبعض الوقت النايمان والمركيت الذين هربوا صوب المغرب في سلام. هذا وقد أدت الانتصارات التي أحرزها چنكيز خان بالصين، والتي توّجها باستيلائه على بكين عام ١٢١٥[٩٧]، أدت إلى الرفع من شأنه واعلاء كلمته أكثر من توحيده لقبائل منغوليا. هذا وقد اجتذبت ثروة الصين اهتمام المسلمين بصفة دائمة، ولذا فقد كان طبيعياً أن تساور خوارزمشاه عقب انتصاره على الكورخان تلك الأحلام التي ساورت الحجّاج وعمّاله من قبل (ص٣٠٣) وهي فتح بلاد الصين (وذلك بالطبع بعد الانتهاء/من أمر كوچلك). غير أن الأخبار لم تلبث أن تواترت عن سبق الغازي المغولي إلى ذلك. وكانت رغبته في التحقُّق من صدق هذه الأنباء، وفي الحصول أيضاً على معلومات دقيقة عن القوات المقاتلة لچنكيز خان هيَ السبب الأكبر في إرساله بسفارة خوارزمية إليه وفقاً لرأي جوزجاني[٩٨] وكان على رأس هذه السفارة بهاء الدين رازي الذي زوّد المؤرخ بأخبارها. ولقد وصل السفراء عند چنكيز خان عقب سقوط بكين وهو لمّا يزل موجوداً بالصين (لم يرجع چنكيز خان الى منغوليا إلاّ في عام ١٢١٦)[٩٩]. وكان ابن التون خان، أي امبراطور دولة الكين أسيراً آنذاك في يد المغول، وكانت مظاهر التخريب الشديد واضحة للعيان في كل مكان وعظام القتلى تصنع تلالاً بأكملها، كما كانت الأرض مشربة بدهن الآدميين، وقد أدّى تعفن الجثث إلى وباء مات بسببه بعض رفاق بهاء الدين. وعند باب بكين كان يقوم تل هائل من العظام البشرية، ونما إلى علم السفراء أنه عند الاستيلاء على المدينة قذفت ستون ألف فتاة بأنفسهن من الأسوار حتى لا يقعن في أيدي المغول.

461

هذا وقد استقبل چنكيز خان السفراء بمظاهر العطف وأمرهم بأن يخبروا خوارزمشاه بأنه يعتبره سيد المغرب بنفس الدرجة التي يعتبر فيها نفسه سيد المشرق، وأنه

(٩٧) هكذا وفقاً للمصادر الصينية Vasiliev, Istoria i drevnosti, str. 153؛ أما رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، الترجمة، ٢٧، ١١٤ - المتن، ص ٤٣ - ٤٤، ١٧٠)) فإنه يجعل ذلك الحادث منذ عام الدجاجة (١٢١٣).

(٩٨) ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٧٠ - ٢٧٢؛ (لا توجد في طبعة نساو - ليس)؛ الجزء الثاني، ص ٩٦٣ - ٩٦٦؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٣٥ - ٣٣٦).

(٩٩) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر (المتن، ص ٤٩)؛ الترجمة، ص ٣٠، Bichurin, Istoria chetyrekh khanov, 83-84 (عن اليوان - شي).

يرغب في أن يحل الوئام والسلام بينهما وان يتمتع التجار بحرية السفر والانتقال من بلد إلى آخر. وليس هناك ما يسوق إلى التشكك في صدق نوايا چنكيز خان، فهو قد كان في تلك الآونة أبعد ذهناً عن السيطرة على العالم. ذلك أن توحيد القبائل الرحّل القاطنة بمنغوليا كان يسوق دائما الى غزو للصين، غير أنه قبل عهد المغول لم تنجح سوى امبراطوريتين رعويتين في مد سلطانها على كل من الأجزاء الشرقية والغربية لآسيا الوسطى هما أمبراطورية الهون ثم امبراطورية الترك في القرن السادس، أما في جميع الحالات الأخرى فإن الرحّل لم يظهروا في الأقطار الغربية إلاّ بسبب تضييق الخناق عليهم وطردهم من سهوب منغوليا. ومن ناحية أخرى فإن التجارة مع الشعوب الحضرية كانت دائما ذات أهمية قصوى للرحّل، خاصة تجارة الثياب، زد إلى هذا أنه في عهد چنكيز خان كانت الغلال نفسها ترد إلى منغوليا «من وراء الجبال الشمالية»، وربما حدث ذلك بسبب العمليات العسكرية بالصين الشمالية وما نتج عنها من تخريب لتلك البلاد؛ ولعل المقصود بتعبير «من وراء الجبال الشمالية» هو ضفاف الينسى حيث كان يزرع القمح وفقاً لأقوال تشأن تشؤن[١٠٠]، وحيث وجد «عدد كبير من المدن والقرى» وفقاً لأقوال رشيد الدين[١٠١]. وكان الوسطاء في هذه التجارة هم «البرابرة التجار من الأقطار الغربية»[١٠٢]، وكما هو معلوم جيداً فإنه حتى التجارة بين الصين والمغول كانت في أيدي التجار الأويغور والمسلمين[١٠٣] /وبهذا فإن مصالح چنكيز خان كانت تتفق في هذه الحال 462 تمام الاتفاق مع مصالح الرأسماليين المسلمين.

ومثل هذه الروح الطيبة لم تتوفر بين المطامع السياسية لمحمد من جهة ومصالح تجار بلاده من جهة أخرى. فهو حين بعث بالسفارة إلى چنكيز خان كان هدفه الأوحد الحصول على معلومات موثوق بها عن ذلك الغازي الذي أبصر فيه منافسا خطيراً له؛ ولم يضع في حسابه البتة المصالح التجارية لرعاياه رغماً من أن هذه المصالح كانت واسعة للغاية. وكان الاتجار مع أقطار نائية مثل روسيا والصين يعود بأرباح وافرة على التجار ولكن كانت تحيط به مخاطر جمة، لأن السلع في الشرق كانت تؤخذ على الدوام نسيئة ولذا كان تأخير التجارة ولو لفترة وجيزة يصيب التجار بخسائر فادحة. وفي حملة لأحد

---

(١٠٠) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٣٣٩؛ Bretschneider, Researches, vol. I, P. 101

(١٠١) طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ١٦٨؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٣٠.

(١٠٢) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٢٩١ - ٢٩٢؛ Bretschneider, Researches, vol. I, 58

(١٠٣) Bartold, Obrazovanie imperii Chingia-khana, str. 108 (عن منغ - هنغ Meng-hung)

سلاطنة السلاجقة على طربيزون أدى تعطيل التجارة مع بلاد اليونان وروسيا إلى أضرار بليغة للتجار المسلمين(١٠٤). وفي عام واقعة نهر كَلْكَا عندما « انقطع الطريق » مع جنوب روسيا وتوقف لوقت قصير إستيراد « البرطاسي(١٠٥) والسنجاب(١٠٦) والقندز وغيرها مما يحمل من تلك البلاد » كانت هذه المسألة من الأهمية بمكان عند المسلمين جعل ابن الأثير(١٠٧) يقف عندها بصورة خاصة. وقد كان من أثر عقد مهادنة بين خوارزمشاه والقراخطاي (من الجائز أن يكون ذلك قد حدث في عام ١٢٠٩(١٠٨)، أنظر اعلاه ص ٥١٩) أن عاون ذلك فوراً في توجيه قافلة تجارية إلى تركستان الشرقية، وكان أن تمكن الشاعر سعدى(١٠٩) في صحبة هذه القافلة من زيارة كاشغر. وفي اوائل القرن الثالث عشر اكتسب طريق التجارة البري مع الصين أهمية أكثر من ذي قبل نظراً للمخاطر التي أحاطت بالطريق البحري بسبب نزاع نشب بين أميري ثغرين بحريين في الخليج الفارسي هما هرمز وكيش حين جهد كلاهما بكافة الوسائل في منع المراكب التجارية من أن ترسو ببلد خصمه(١١٠). ومن ناحية أخرى فإن أملاك خوارزمشاه أصبحت تتاخم الآن أملاك چنكيز خان، وذلك عقب حملة محمد على القپچاق وضم المغول القسم الشمالي من يدي صو إلى امبراطوريتهم. وقد كان الاثنان، وبخاصة چنكيز خان، يهتمان اهتماماً كبيراً بتأمين حدود دولتيهما. وفي ظروف هذه الأحوال كان التجار من رعايا محمد مضطرين بطبيعة الحال لأن ينفذوا إلى منغوليا عن طريق الشمال متحاشين تركستان الشرقية الخاضعة لكوچلك.

463 ويقدم لنا جويني(١١١) تفاصيل وافية عن هذه القافلة التي كان على رأسها ثلاثة من

---

(١٠٤) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٦٠.

(١٠٥) فيما يتعلق بلفظ « برطاسي » (فرو ثعلب المناطق الباردة) راجع Jacob, Welche Handelsartikel bezogen die Araber des Mittelalters ans den Nordisch- Baltischen Ländern, Berlin, 1891, S. 24-25

(١٠٦) (ولكن في الطبعة الانجليزية للكتاب يرد الذئب Wolves بدلا من السنجاب).

(١٠٧) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٥٤؛ V. Tizengauzen, Sbornik materialov, I, 28

(١٠٨) وفقاً لبراون حوالي عام ١٢١٠، E.G. Browne, Literary History of Persia, vol. II, P. 527

(١٠٩) كلستان (الطبعة السوفيتية الجديدة بتحضير عليف، ص ٣٢٣ وما يليها).

(١١٠) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٩٩.

(١١١) الجزء الأول، ص ٥٨ وما يليها. وقد ضمّن شيفير هذه الرواية منتخباته الفارسية Schefer, Chrestomathie Persane, T. II, P. 106 sq.؛ راجع أيضاً D'Ohsson, Histoire des Mongols, I, 204 sq.

التجار هم أحمد خجندي و« ابن الأمير حسين » أو حسن[١١٢] وأحمد بالچيچ (؟). وقد حملوا معهم من البضائع ثياباً مذهبة (لعل ذلك كان حريراً) وأنسجة قطنية وقطعاً من الزند نيجي (راجع أعلاه ص٣٥٥). وغير معلوم لنا مكان التقائهم بچنكيز خان، أكان ذاك بمنغوليا أم بالصين، ويغلب على الظن أن التجار قد اغتنموا فرصة سفارة بهاء الدين ليكونوا في صحبته. وقد غضب چنكيز خان في البداية من قحة بالچيچ الذي غالى في الثمن حين طلب ثلاثة بوالش[١١٣] ثمناً لثوب لم يكلفه أكثر من عشرة دنانير أو عشرين ديناراً، وأمر بإحضار الأنسجة الموجودة بخزائنه لكي يراها فيعلم أن مثل هذه المصنوعات ليست بالشيء الجديد على المغول. وبعد هذا أسلمت بضاعته للنهب. وكان هذا درساً لشريكيه اللذين امتنعا عن تحديد ثمن سلعهما وقالا إنهما إنّما أتيا بها هدية للخان، وقد فعل هذا فعله في إطفاء سورة غضب چنكيز خان الذي أمر بأن يدفع لهما بالش ذهب عن كل ثوب مذهب وبالش فضة لكل ثوب من القطن والزندنيجي. كما دفع المبلغ نفسه إلى شريكهما بالچيچ عن بضاعته. ويلاحظ جويني أن المغول كانوا في ذلك العهد يحملون احتراماً خاصاً للمسلمين فكانوا ينصبون لهم خياماً من الوبر الأبيض دليلاً على ذلك الاحترام، غير أن المسلمين حُرموا فيما بعد من هذا التكريم عندما تكشفت عيوبهم.

وقد أرسل چنكيز خان من جهته بسفارة وقافلة تجارية إلى الغرب، رداً على سفارة خوارزمشاه. ووفقاً لقول النسوى[١١٤] فقد كان على رأس هذه السفارة **محمود الخوارزمي** وعلى خواجه البخاري ويوسف كنكا الأتراري[١١٥]، وكان من بين الهدايا التي أرسلت

---

(١١٢) راجع ابن عربشاه (فاكهة الخلفاء، ص ١٦٨) حيث يرد: «عبد الله بن الأمير حسن الجندي».

(١١٣) تختلف المصادر حول قيمة البالش؛ راجع رشيد الدين، طبعة كاترمير، ص ٣٢٠ - ٣٢١؛ وجوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ١١١٠، الحاشية ٦. ووفقاً لجويني (كما ينقل عنه كاترمير) فإن البالش كان يعادل خمسة وسبعين دينارا لذلك العهد.

(١١٤) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٣٣ - ٣٤؛ الترجمة الفرنسية ص ٥٧ - ٥٩.

(١١٥) نفس الأشخاص يرد ذكرهم لدى ابي الغاري (شجرة الأتراك، طبعة ديميزون، (المتن ص ٩٥)؛ الترجمة ص ١٠٥)، ولكنه يتحدث عن سفارة محمود يلواج على أنها منفصلة عن الآخرين (شرحه، (المتن، ص ٩٤ - ٩٥)؛ الترجمة، ص ١٠٢ - ١٠٤) وينسب إليه الحادثة الليلية مع السلطان وعقد معاهدة. وبما أن لفظ «يلواج» يعني بالتركية السفير فمن المحتمل جدا ان محموداً يلواج هو نفس **محمود الخوارزمي** الوارد ذكره لدى النسوي (وهذا ما يرد فعلا لدى ميرخواند؛ راجع القسم من تاريخه الذي نشره جوبير، تاريخ چنكيز خان، ص ٩٩)، وأن «اليوان - تشاو أو بي - شي قد أخطأ في قوله إن =

إلى السلطان قطعة من الذهب الصامت[١١٦] من جبال الصين في حجم سنام الجمل وكانت محمولة في عربة، هذا إلى جانب نقر المعادن الثمينة/وقطع اليشب وقرون الختو ونوافج المسك، وأخيراً الثياب التي كانت تسمى وفقاً لقول النسوى « طرقوا »[١١٧] وهي مصنوعة من وبر الجمل الأبيض (؟). وكان الثوب منها يباع بخمسين ديناراً أو أكثر. وفي ربيع عام ١٢١٨ استقبل خوارزمشاه السفارة بما وراء النهر[١١٨]. وكانت رسالة چنكيز خان كما يصفها النسوى تشتمل على طلب المسالمة والموادعة وسلوك مسلك المجاملة، وقالوا: « إن الخان الكبير يسلم عليك ويقول: ليس يخفي عليّ عظيم شأنك وما بلغت من سلطانك، ولقد علمت بسطة ملكك وإنفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات وأنت عندي مثل أعز أولادي، وغير خاف عليك أيضا أنني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك وقد أذعنت لي قبائلهم. وأنت أخبر الناس بأن بلادي مثارات العساكر، ومعادن الفضة، وأن فيها لغنية عن طلب غيرها. فإن رأيت أن تفتح للتجار في الجهتين سبيل التردد، عمت المنافع وشملت الفوائد ». ولم يحفظ لنا المؤرخ رد محمد على السفراء في مجلسه. وفي الليل أرسل خوارز مشاه يطلب محموداً الخوارزمي وحده من بين السفراء وجرت له محادثة معه لا نعلم أن حضرها آخرون سواهما، ولا نعلم كذلك حقيقة الشخص الذي أخذ عنه النسوى فحواها. وقد بدأ خوارز مشاه كلامه بأن ذكّر محموداً بأنه خوارزمي ومن ثم فإن ولاءه إنّما لأهل بلاده، ولذا فإن عليه أن يذكر له كل ما يعرفه عن چنكيز خان وأن يبقى جاسوساً لخوارز مشاه ببلاط الخان لقاء وعده إيّاه بالمكافأة، ثم قدم له جوهرة نفيسة عنواناً للوفاء بما وعد. وقد أعرب محمود في رهبة عن موافقته. بعد هذا سأله خوارز مشاه عمّا إذا كان صحيحاً خبر افتتاح چنكيز خان للضين واستيلائه على « مدينة طمغاج ». فأكد المبعوث صحة الخبر وزاد قائلاً: « ومثل هذا الأمر المعظّم لا

464

= يلواج لم يلتحق بخدمة چنكيز خان إلا عقب سقوط گرگانج (التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤٩؛ (طبعة كوزين، ص ١٨٩)).

(١١٦) عن هذه راجع جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ٩٦٦؛ (طبعة نساو – ليس، ص ٣٣٦)).

(١١٧) اللفظ « ترغو » (وأحيانا تكتب « ترقو ») يقصد بها لدى المؤرخين وخاصة رشيد الدين جميع أصناف الثياب المهداة خاصة الى الملوك؛ ويحدد پليو أنها المصنوعة من الحرير الخفيف (Tissu de soie léger) راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 52

(١١٨) يحدد دوسون « بمدينة بخارا » D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, P. 201؛ وهو أمر محتمل وإن كان لا يرد ذكر لذلك في المصادر الموجودة بين أيدينا.

يخفي حاله، وعن قريب يتحقق السلطان ذلك»، فقال السلطان: «أنت تعرف ممالكي وبسطتها وعساكري وكثرتها فمن هذا اللعين حتى يخاطبني بالولد، وما مقدار ما معه من العساكر؟». ولخوفه من غضب السلطان سارع المبعوث فأكد أن جيوش چنكيز خان لا يمكن مقارنتها من حيث العدد بجيوش خوارزم مشاه. وعند ذلك سرى عن السلطان وأعرب عن موافقته على عقد معاهدة سلام مع چنكيز خان. غير أنه لم يرد هنا ذكر لعلاقات تجارية، ومما ذكره النسوى[119] بالتالي يمكن أن نستخلص نتيجة مؤداها أن السفراء عادوا إلى چنكيز خان الذي سُرّ بالمعاهدة، وأنه عقب ذلك فقط أرسلت قافلة تجارية مزودة بوثيقة تحمل ختم السلطان (من الواضح أن السفراء قد أحضروها معهم). إلاّ أنه لم يكن في الوقت متسع لإنجاز ذلك فقد وقعت مذبحة أترار (وفقاً لكل الروايات) في نفس عام ١٢١٨ هذا. واتفاقاً مع رواية جويني فإنه يغلب على الظن أن القافلة قد غادرت منغوليا في وقت واحد مع السفارة فبلغت مدينة الحدود أترار بعد قليل من مغادرة السفراء لأملاك خوارزم مشاه. ويقدم لنا النسوى أسماء التجار الأربعة الذين كانوا على رأس القافلة، وهم عمر خواجه الاتراري والحمّال المراغي وفخر الدين الديزكي البخاري وأمين الدين الهروي. ووفقاً لرأي جويني فإن القافلة كانت تضم في مجموعها أربعمائة وخمسين رجلاً كلهم من المسلمين، وكان معهم كما يروي جوزجاني خمسمائة جمل محملة بالبضائع من الذهب والفضة والحرير الصيني وثياب الترغو وفرو القندس والسمور وغيرها من الأشياء. وقد جرى اعتقال جميع هؤلاء التجار بأترار على أنهم جواسيس وذلك بأمر الحاكم اينالچق الذي كان يحمل لقب قاير خان[120] (ويدعوه النسوى ينال خان)، وهو من أقرباء تركان خاتون (ابن خال السلطان على رأي النسوى). وهناك روايات متناقضة عن مدى مسؤولية السلطان نفسه في هذا الشأن، فعلى رأي النسوى فإن السبب الوحيد لتصرف الحاكم هو جشعه وطمعه في الاستيلاء على سلع التجار، وأنه حين أخبر السلطان بأنهم يتصرفون كالجواسيس لم يزد محمد على إرسال أمر باعتقالهم، وأن

465

(١١٩) النسوي، سيرة جلال الدين؛ المتن ص ٣٤؛ الترجمة الفرنسية، ص ٥٩ - ٦٠.

(١٢٠) يرد لدى جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٧٢؛ الجزء الثاني، ص ٩٦٦؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٣٧)) في صورة «قدر خان». (كما بين پليو فإن لقب قاير خان هو في أغلب الظن الصورة المغولية للقب التركي قدر خان (أي العظيم والقهار) وأنه لا علاقة له باللفظ العربي قدر الذي يعطيه جوزجاني؛ كذلك فإن اينالجق يمكن أن تكون اسما ولقبا (بمعنى الأمير) في آن واحد. (راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», PP. 52-54 - الناشرون).

الحاكم هو الذي قتلهم لحاجة في نفسه ثم وضع يده على كل ممتلكاتهم، ولم يجد السلطان بعد ذلك بُداً من الموافقة على عمل الوالي إذ لم يكن بمقدوره الدخول في نزاع مع الحزب العسكري. أما ابن الأثير[١٢١] فيقول إن الوالي لم يزد على إبلاغ السلطان خبر وصول التجار وما معهم من تجارة فأمره السلطان على الفور بقتلهم وبإرسال متاعهم إليه. ثم بيعت بضائعهم إلى تجار بخارا وسمرقند وقبض السلطان ثمنها. وأمّا جويني فيقول إن اينالچق قد أثار حفيظته مسلك أحد التجار وهو من أصل هندي وكانت له معرفة سابقة بالوالي فأخذ يدعوه باسمه في غير تكلف على مألوف عادته دون أن يقرنه بلقب خان. وقد دفعه هذا مقروناً بطمعه في مالهم إلى القبض عليهم ثم أرسل إلى السلطان بالعراق (؟)[١٢٢] يتهمهم/بالتجسس فأمره السلطان بقتلهم وبمصادرة ممتلكاتهم. وأمّا جوزخاني[١٢٣] فيتحدث عن مذبحة أترار في موضعين من مصنفه، وفي كلا الموضعين ينسبها إلى جشع الوالي ولكنه يضيف بأن هذا الأخير قد طلب الإذن من السلطان، وفي أحد الموضعين يذكر أن بضاعتهم أرسلت إلى محمد. ويتضح من كل هذا أنه ليس ثمة مصدر واحد يزعم أن التجار هم الذين أثاروا سخط المسؤولين بسوء مسلكهم. وطبيعي ألاّ يكون لسلوك الهندي الذي يشير إليه جويني أي ضلع في المشكلة، وتشير كل قرائن الأحوال إلى أن التجار كانوا ضحية جشع الوالي وارتياب السلطان. وقد رأينا أن محمداً أرسل سفارة إلى چنكيز خان هدفها الأول والأخير هو الاستطلاع ولم يرد بأية حال الدخول في علاقات تجارية مع منغوليا، ولذا فقد كان من الطبيعي أن يرتاب بدوره في أن القوافل العديدة التي بعث بها المغول إنّما أُرسلت للغرض نفسه. ومن العسير القول ما إذا كان النسوى مُحقاً في زعمه بأن محمداً لم يصدر أمراً قاطعاً بقتل التجار، غير أنه ليس ثمة شك في أنه قد اقتسم الأسلاب مع الوالي وفي أنه قد وجدت بالفعل بضائع في أيدي تجار بخارا باعها إياهم السلطان. والأحداث التي كان مسرحها بخارا كانت معروفة جيداً لابن الأثير الذي

466

(١٢١) الجزء الثاني عشر، ص ٢٣٩؛ وتيزنهاوزن، الأول، ص ٥.

(١٢٢) جويني، الجزء الأول، ص ٦١. في الجزء الذي خصصه لتاريخ شاهات خوارزم (الجزء الثاني، ص ٩٩) يقول جويني أيضاً إن محمودا قد تسلم رسالة قاير خان عند رجوعه من العراق، وكان ذلك بهمدان وفقاً لقول حمد الله قزويني (تاريخ گزيده، طبعة براون، ص ٤٩٦). غير أن هذا لا يتفق مع الروايات الأخرى، خاصة الرواية المفصلة التي يقدمها لنا النسوي.

(١٢٣) طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٧٢ (لا توجد في طبعة نساو - ليس)؛ الجزء الثاني، ص ٩٦٧، (طبعة نساو - ليس، ص ٣٣٧).

استقى معلوماته من فقيه أسره المغول ببخارا ولكنه أفلت منهم فيما بعد بسمرقند[١٢٤]. ومن الجائز جداً أن بيع البضائع للتجار (بسعر مربح لهم) كان من أسبابه الرغبة في تعويضهم عن انقطاع المتاجرة مع الرعاة. أما فيما يتصل بعدد القتلى فإن جويني يقول إن القافلة قد تم القضاء عليها بأكملها (أي الأربعمائة وخمسين رجلاً) فيما عدا واحد (هو سائق إبل وفقاً لرأي جورزجاني) نجح في إنقاذ نفسه بالهرب وحمل النبأ الرهيب إلى چنكيز خان[١٢٥].

ومرة أخرى كشف چنكيز خان عما عهد فيه دوماً من ضبط للنفس وكبح لجماح الغضب فأرسل مبعوثاً إلى خوارزم مشاه هو ابن كفرج بغرا[١٢٦] (وكان أبوه يعمل من قبل في خدمة تكش) وفي صحبته اثنان من التتار، وأمره أن يلوم باسمه خوارزم مشاه وأن يطالب بتسليم اينالچق. ولم يقف خوارزم مشاه عند رفضه الاستجابة لهذا الطلب بل أمر 467 بقتل المبعوث، أما رفيقاه فقد أُطلقا بعد/أن حلقت لحيتاهما[١٢٧]. وبهذا أضحت حملة چنكيز خان على بلاد خوارزم مشاه أمراً لا مفر منه. وعلى غير ما يراه مولر Müller[١٢٨] فإنه ليس ثمة ما يحملنا على الافتراض بأن مؤثرات خارجية هي التي عملت على الإسراع في الصدام بين الدولتين. أما رغبة چنكيز خان في الدخول في علاقات تجارية مع امبراطورية خوارزم مشاه فيمكن إرجاعها كلية إلى المصالح التجارية الخاصة لمستشارية المسلمين أصحاب النفوذ. وإذا حدث وأن دعى سفراء چنكيز خان خوارزم مشاه ابناً له تنفيذاً لأوامره فمن العسير الإعتقاد بأن الغرض من وراء ذلك هو إغضاب محمد. بل إن محمداً نفسه لم ير في ذلك ذريعة للحرب. كذلك ليس هناك البتة ما يدعونا لأن نعلّق أهمية على الزعم القائل بأن الخليفة الناصر قد حرّض المغول على خوارزم مشاه. ولدى

---

(١٢٤) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٤٢؛ تيزنهاوزن، الأول، ١٣.

(١٢٥) وفقاً للرواية المغولية (التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤٣؛ (طبعة كوزين، ص ١٨٢)) فإن المسلمين اغتالوا السفير المغولي اوقون ومن معه، والبالغ عددهم أجمعين المائة شخصاً. (وفقا لتصحيح پليو فإن اسم السفير المغولي لم يكن اوقون بل اوقونا، راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», p. 54 - الناشرون).

(١٢٦) راجع عنه النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٣٤ - ٣٥؛ الترجمة الفرنسية، ص ٦٠ - ٦١.

(١٢٧) هذه رواية ابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ٢٣٧؛ تيزنهاوزن، الأول، ٧). ووفقاً لرواية النسوي فإن السفراء الثلاثة قد قتلوا.

(١٢٨) Müller, Der Islam, Bd. II, S. 205

مير خواند[١٢٩] وحده رواية مفصلة لسفارة للخليفة، أما في القرن الثالث عشر فقد كان هناك حديث عن سفارة ما في قالب إشاعات غامضة[١٣٠] لم يكن غريباً رواجها آنذاك نظراً لعلاقات العداء بين الخليفة وخوارزم مشاه. وبهذه الطريقة نفسها نجد أنصار البابا بأوروبا يتهمون الامبراطور فريدريك الثاني باستدعاء المغول، بينما يتهم أنصار الأمبراطور البابا اتهاماً مماثلاً[١٣١]. وواقع الأمر فإن الخليفة كان بسبيل البحث عن حلفاء له من بين الجيران الشرقيين لخوارزم مشاه، ولهذا أرسل مبعوثيه إلى الغور أولاً ثم إلى كوچلك، غير أنه لا مجال للافتراض بأنه طلب العون من زعماء آسيا الشرقية. وتصرف خوارزم مشاه حتى من وجهة نظر القانون الدولي المعاصر قد أعطى چنكيز خان أكثر من سبب كاف لإعلان الحرب، بحيث لم يحتج الأمر إلى تحريض ما من طرف ثالث. ولا مراء في أن حدوث غزو مغولي على أملاك خوارزم مشاه كان شيئاً جائزاً آنذاك، حتى أن الأمر لم يعد بحاجة إلى تبرير من هذا القبيل، ذلك أن المغول عند فراغهم من توطيد سلطانهم بصورة قاطعة على منطقة السهوب المتاخمة لأراضي خوارزم مشاه لم يكن ليغيب عن نظرهم الضعف الداخلي لتلك الدولة، وفي ظروف كهذه فإن غزو الرحّل للأقطار المتحضرة بما سيجره ذلك من ثروات وغنائم كان أمراً محتماً. غير أن چنكيز خان لم يكن في تلك اللحظة على علم بذلك الضعف، ويبدو من تجهّزه للحرب أنه كانت لديه فكرة عالية جداً عن جيش خوارزم مشاه. لكل هذا فإن المغول فيما يغلب على الظن كانوا سيقنعون لبعض الوقت بالدخول في علاقات تجارية سلمية إذا ما أعطى محمد/ موافقته على ذلك. وكان خوارزم مشاه قد سد طريق التجارة الذاهب إلى تركستان وما وراءها على ما رواه ابن الأثير[١٣٢] أثناء حربه مع كوچلك. 468

وقد رأى چنكيز خان وهو يعد نفسه للانتقام من خوارزم مشاه أن يفرغ اولا من

---

(١٢٩) تاريخ چنكيز خان، طبعة جوبير، ص ١٠٢ - ١٠٤.

(١٣٠) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٨٧؛ راجع D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, P. 211 (ألفاظ ابن الأثير هي: «وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحا من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد وأرسل إليهم في ذلك، فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم» - المترجم).

(١٣١) L. Cahun, Introduction à l'histoire de l'Asie. Turcs et Mongols des origines à 1405, Paris, 1896, pp. 35-357؛ بصدد التهمة الموجهة نحو الامبراطور راجع أيضاً Purchas, XI, P. 181.

(١٣٢) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٣٦؛ تيزنغاوزن، الأول، ص ٥. تشير الفقرة الى ايقاف بيع الثياب وغيرها من السلع للرحّل، لا العكس كما يفهم من الترجمة المغلوطة.

كوچلك، فأرسل عليه چبه نوين[١٣٣] في قوة كبيرة[١٣٤]. وقد استغل القائد المغولي في كثير من الحذق الاضطهاد الديني الذي أوقعه كوچلك بأهالي البلاد، فاستولى على مملكته دون مقاومة تذكر. وقد بدأ أولاً فثبّت سلطان المغول على مدينة الماليق التي كانت تحاصرها آنذاك جيوش كوچلك. وكان الأخير قد أفلح بواسطة هجوم مفاجيء في أسر بوزار الذي كان قبل ذلك قد عقد حلفاً مع چنكيز خان وتزوج من ابنة جوچي. غير أن كوچلك لم يفلح في الاستيلاء على الماليق لأن الأهالي دافعوا عن مدينتهم بشجاعة، ثم إن خبر اقتراب المغول لم يلبث أن اضطره إلى الإنسحاب، وخلال تقهقره أمر بقتل بوزار. وقد دخل المغول الماليق وسلموا الولاية لابن بوزار المدعو سقناق تكين، الذي تزوج بدوره بابنة جوچي. هذه هي رواية جويني[١٣٥]، أمّا جمال قرشي[١٣٦] فيحكي أن بوزار الذي اتخذ لقب طغرل خان كان قد أرسل بابنه سقناق تكين وابنته الوق قاتون إلى چنكيز خان وعقد حلفاً مع المغول. غير أن كوچلك استطاع أن يقبض على بوزار خلال خروجه للصيد وأن يقتله، وقد حدث هذا قبل حملة كوچلك على كاشغر، أي في حوالي عام ١٢١١. بعد هذا حاصر كوچلك مدينة الماليق، غير أن أرملة بوزار التي تدعى سلبك تركان نجحت في الدفاع عن المدينة. ولمّا بلغ چنكيز خان مقتل بوزار أرسل چبه نوين في جيش إلى الماليق ولكنه لم يجد كوچلك بمقاطعة قولجه. أما سقناق تكين فانه لم يتزوج ابنة جوچي المدعوّة بلغان بيكه إلاّ في عهد حكم اوكداي.

ومن رواية تشأن تشؤن[١٣٧] نعلم أنه كان للمغول في عام ١٢٢١ دار وغجي، أي نائباً لرأس الدولة، بمدينة الماليق وذلك إلى جانب الحاكم المحلي. ووفقاً للتاريخ الصيني[١٣٨] فإن وظيفة الدار وغجي، في العهود التالية على أقل تقدير، كانت تشمل: ١) إحصاء

---

(١٣٣) عن كيفية كتابة هذا الاسم راجع .Pelliot, A Propos des Comans, P. 172 sq

(١٣٤) ان العدد عشرين ألفا الذي يذكره دوسون (Histoire des Mongols, I, P. 172) قد نقله في أغلب الظن عن النسوي، والذي لا تتعلق روايته كما رأينا بالحرب مع كوچلك (راجع ص ٥٢٩ من هذا الكتاب). ويقول رشيد الدين (طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ١٦٤؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٢٧) ان ايديقوت الاويغور قد اشترك في الحملة بوحدة صغيرة (٣٠٠ شخصاً)؛ ونفس هذه المعلومات ترد لدى جويني (الجزء الأول، ص ٣٣).

(١٣٥) جويني، الجزء الأول، ص ٥٧ وما يليها.

(١٣٦) Teksty, str. 135-136, 140

(١٣٧) ترجمة كفاروف، ص ٣٠٤؛ Bretschneider, Researches, I, P. 70

(١٣٨) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ٢٥٦، الحاشية.

السكان، ٢) جمع جيش من الأهالي، ٣) إقامة المواصلات البريدية، ٤) جمع الضرائب، ٥) إرسال الخراج إلى البلاط. وبهذا فإن الدار وغجي كان يقوم في آن واحد بوظيفة الحاكم العسكري ووظيفة جامع الضرائب، كذلك كان يحيط الحكومة المركزية علماً/بما 469 يجري في منطقته. وعلى مدى علمنا فإن داروغجي منطقة المااليق كان أول نائب للسلطة المغولية في بلاد آسيا الوسطى المتحضرة، أمّا ببلاد الأويغور فإن أقصى ما يمكن أن نستخلصه من رواية تشأن تشؤن هو أنه لم يكن هنالك في ذلك العهد ممثل للحكومة من هذا النوع.

ولا علم لنا بالطريق الذي سلكه المغول في زحفهم من مقاطعة قولجه على منطقة كاشغر أو ما إذا كانوا قد أرسلوا بفصيلة من جيشهم إلى منطقة يدي صو. وهناك رواية في التاريخ الصيني وحده[١٣٩] تتصل بشخص يدعى هو - سه - ما إي - لي Ho-sze-mai-li (ولعله مسلم يدعى اسماعيل) كان قبلُ من خاصة الكورخان، وكان والياً على مدينتي كو - سان Ko-san وبا - سي - ها Ba-sze-ha (كاسان واخسيكث ؟)[١٤٠] التابعتين لمقاطعة كودسيه - أُردو Gudse-ordo، أي بلاساغون[١٤١]. وقد خرج لمقابلة جيش المغول مع كبار أهل البلد وأعلن خضوعه، وقد أعلم چبه چنكيز خان بهذا فأمره بضم هو - سه - ماإي - لي إلى طليعة جيشه، بمعنى أن يقوم بمهمة الدليل.

---

(١٣٩) شرحه، ص ٢٣٣، الحاشية؛ Bretschneider, I, P. 233

(١٤٠) لعل من الممكن أن هذا القسم من فرغانة الذي خربه محمد قد شغله بالتالي رعايا كوچلك من المسلمين. (يفترض پليو ان لفظ با - سي - ها الوارد في المتن الصيني (يوان - شي) ليس المقصود به موضعاً جغرافيا بل لعله تدوين للفظ التركي بسقاق (وهو يعادل اللفظ المغولي داروغي)، وبهذا فإن متن اليوان - شي انما يقصد أن اسماعيل هذا كان بسقاق مدينة كاسان. غير أن پليو يحتاط بأن أضاف أنه من غير المعلوم هل وجد بسقاقات ببلاد القراخطا قبل الغزو المغولي (ألفاظ پليو في هذا الصدد هي الآتية: «La seule difficulté réelle, et que je ne suis pas à même de résoudre, est d'établir qu'il y avait des basqaq en pays qarahitai avant la conquête mongole.» - (المترجم). راجع (Pelliot, Notes sur le «Turkestan», pp. 54-55 - (الناشرون).

(١٤١) Bretschneider, Researches, vol. 1, p. 18 (يترجم پليو الفقرة من اليوانشي بالصورة الآتية: «Ho-sseu-mai-li était un homme de Kou- tsü- wo- eul- to (Ghuzz-ordo?) des pays d'Occident» (Notes sur le «Turkestan», p. 54). والقراءة للاسم بهذه الصورة وقف عليها بارتولد وسجلها على هامش نسخته من الطبعة الانجليزية للكتاب (وان لم يكن من الممكن تمييز الفاظه بجذافيرها) - الناشرون).

وأبو الغازي وحده[١٤٢] هو الذي يحدثنا عن وقوع قتال بين جيشي كوچلك وچبه؛ وقد ظن اوپيرت Oppert[١٤٣] أن هذه الرواية التي لا سند لها من المصادر الأخرى، فضلا عن انتمائها إلى عصر متأخر، تجد التأييد في رواية پلانو كارپيني[١٤٤] عن المعركة التي هزم فيها المغول النايمان والقراخطاي في «واد ضيق بين جبلين» اجتازه پلانو كارپيني نفسه في طريقه إلى أُردو كويوك. ومما يدعو الى الأسف أن الرحالة لم يورد هذه المعلومات في وصف طريق سيره بل في الفصل الذي عقده للفتوحات المغولية وهو فصل يحفل كما هو معلوم بالكثير من السهو. لهذا فإننا لا نعلم موقع ميدان المعركة التي يتحدث 470 عنها، وما إذا كانت الشعوب التي يذكرها قد أخذت طرفاً فيها/أم لا. ووفقاً لروايات أخرى فإن كوچلك هرب من المغول دون أن يلتحم معهم في معركة. والرواية التي أوردناها قبل هنيهة عن المدعو هو - سه - ماإي - لي تقود إلى الإفتراض بأن المغول قد زحفوا من منطقة قولجه إلى يدي صو، ومن هناك غزوا منطقة كاشغر. وقد استولوا على عاصمة يدي صو وهي بلا ساغون دون مقاومة، لأنهم أطلقوا عليها اسم قوباليق أي «المدينة الطيبة»[١٤٥]. وبمنطقة كاشغر، ولربما بمنطقة يدي صو من قبل، أصدر چبه منشوراً يعيد للمسلمين حقهم في العبادة علناً، وهو الحق الذي حرمهم إياه كوچلك. وقد رحب الأهالي بالمغول كمحررين لهم من الاضطهادات القاسية، ولم يمض وقت طويل حتى قتلوا كل جنود كوچلك النازلين ببيوتهم. وعلى غير ما كان عليه محمد فقد استطاع چبه بفضل روح النظام التي وضع أساسها چنكيز خان أن يحتفظ على الدوام بدور المحرر. ولم تطالب وحدات جيش المغول الأهالي إلاّ بأن يدلوا بما يعرفونه من معلومات عن كوچلك، وفيما عدا هذا فإنهم لم يتعرضوا بسوء لممتلكاتهم حتى عدّ أهالي كاشغر، الذين استمد منهم جويني[١٤٦] هذه المعلومات، قدوم المغول من رحمة الله بعباده. هذا وقد أدرك المغول

---

(١٤٢) ابو الغازي، طبعة ديميزون، (المتن، ص ٩٤)؛ الترجمة، ص ١٠٢. من الواضح ان أبا الغازي فهم الفعل «دوانيدن» الوارد لدى رشيد الدين (طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ٢٧٨) بهذا المعنى وفي موضع آخر (شرحه، القسم الخامس عشر، المتن، ص ٦٢؛ الترجمة، ص ٤٠) يقول رشيد الدين إن كوچلك هرب قبل أن يعطى الفرصة للمغول لبداية المعركة.

(١٤٣) Oppert, Der Presbyter Johannes, S. 160

(١٤٤) طبعة يزيكوف، ١٢٦؛ طبعة بيزلي، ص ٦٩، ١٠٢، ١٤٣؛ (ترجمة ماليين، ص ١٧).

(١٤٥) Bartold, O Khristianstve v Turkestane, str. 30؛ وأيضاً بارتولد: ZVORAO, T. X. str. 226 حيث ينقل عن ميرخواند (تاريخ چنكيز خان، طبعة جوبير، ص ٩١).

(١٤٦) جويني، الجزء الأول، ص ٥٠.

كوچلك عند ساري قول[١٤٧] وقتلوه، ووفقاً للتاريخ الصيني فإن چبه أصدر أمره إلى هو - سي - ماإي - لي بأن «يجتاز برأس كوچلك أراضي النيمان»، وأعقب ذلك خضوع جميع المدن للمغول. ومن غير أن يتعرض المغول لممتلكات الأهالي الآمنين بسوء؛ إلاّ أنه برغم ذلك فقد حصلوا على غنائم كثيرة، واستطاع چبه أن يقدّم إلى جنكيز خان ألفاً من الخيل ذات الخياشيم البيض[١٤٨]، ومن الجلي أنها انتزعت من الرحّل المنهزمين أو الهاربين. وكان فتح مملكة كوچلك في نظر المعاصرين حدثاً ذا أهمية كبرى، حتى أن جنكيز خان نفسه بدأ يخشى من افتتان قائده بهذا النصر فيجنح للعصيان[١٤٩]. وليس هناك أدنى ريب في أن أنباء فتح تركستان الشرقية على يد المغول قد بلغت مسامع رعايا السلطان وتركت أثراً عميقاً في أنفسهم، فقد استطاع أحد قادة المغول في يسر أن يقضي قضاءاً تاماً على قوة عسكرية كانت قد أرغمت السلطان منذ وقت غير بعيد على إخلاء وتخريب ولايات خصيبة عامرة بالسكان، هذا فوق أنه استطاع في الوقت نفسه أن يقوم 471 بدور المحرر للمسلمين من العنت والاضطهاد أفضل مما قام به «سلطان الاسلام». وبدا فقد أصبح من العسير على محمد أن يسبغ على حربه مع جنكيز خان طابع الجهاد خاصة وأن ضحايا كارثة أترار التي جعلت الحرب أمراً لا مفر منه كانوا جميعاً من المسلمين بلا استثناء.

ومن الثابت أن جنكيز خان قد كوّن اعتماداً على أقوال مستشاريه المسلمين فكرة عالية للغاية عن «سيد المغرب» وتجهز للحرب ضده بنفس العناية التي تجهز بها من قبل

---

(١٤٧) هذه رواية رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر. (المتن. ص ٦٣)؛ الترجمة. ص ٤٠)، وأيضاً الرواية المغولية Salikhkun - انظر التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ١٣١؛ (طبعة كوزين، ١٧٤)) وجمال قرشي (سارغ قول) ,Teksty, str. 133؛ أما جويني (مخطوطة لنينجراد، الورقة ٢٣) فيقول إن كوچلك قد قتل بوادي وزاري ببدخشان (طبعة قزويني، ج١، ص ٥٠ تعطي: وراري). (في الترجمة الانجليزية لتركستان يرد: Sarykul ويعلق پليو على هذا بقوله ان الاسم يرد لدى رشيد الدين في صورة «ساريق قول» التي يجب قراءتها Sariq-qol (أي النهر الأصفر) وليس Sariq-qul كما فعل برزين. أما رواية التاريخ السري فيجب قراءتها Sariq-qun (ومعناها الصخرة الصفراء) وليس Salikhkun وإن كانت المخطوطة المغولية التي تم العثور عليها مؤخرا تدل على ان نساخ القرن الرابع عشر قد ارتكبوا خطأ وأن المتن الأصلي للتاريخ قد حمل أيضاً القراءة Sariq-qol (انظر Pelliot, Notes sur le «Tuekestan», P. 55 - الناشرون).

(١٤٨) رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ٢٧٨؛ الترجمة، القسم الخامس، ٢٠٩.

(١٤٩) شرحه، راجع أيضاً D'Ohsson, Histoire des Mongols, T.I, P. 172

لحربه مع الجورچه. وبينما اكتفى في حربه مع كوچلك بإرسال أحد قواده ضده نراه الآن في هذه الحملة يظهر بنفسه مصحوباً بجميع أولاده وقواته الرئيسية. وقد أمضى صيف عام ١٢١٩ على ضفاف ارتيش[١٥٠] وتحرك من هناك في الخريف، وعند قياليغ، والغالب أنها نفس الموضع الذي يصفه روبروك[١٥١] بأنه «سهل جميل للغاية»، إنضم إليه بقواته كل من سقناق تكين أمير الماليغ والايدي قوت[١٥٢] بارچوق[١٥٣]، هذا إلى جانب الحاكم المحلي ارسلان خان. وهكذا تجمعت في ذلك الموضع كل القوات التي كلفت بمهمة العمليات العسكرية ضد دولة خوارزمشاه. وليس بين أيدينا معلومات وثيقة عن حقيقة عدد هذه القوات، والأعداد الكبيرة التي سجلها لنا المؤلفون المسلمون مرفوضة من أساسها (خذ مثلاً جوزجاني[١٥٤] الذي يجعل جيش جنكيز خان ستمائة ألف، بل ويصل به إلى سبعمائة ألف)، ومن جهة أخرى فإنه ليس من المستطاع الاهتداء بالمعلومات المتعلقة بجيش المغول النظامي والذي لم يتجاوز عدده في عام موت چنكيز خان تسعة وعشرين ومائة ألف وفقاً لرواية رشيد الدين[١٥٥]. وهذا العدد يشمل فقط مجموع الوحدات التي تكوّن القوة العسكرية لمنغوليا وحدها والتي انتقلت فيما بعد بحق الإرث إلى ابن چنكيز خان الأصغر وهو تولوي، أما فيما يتصل بجيوش اخوته الثلاثة الآخرين فإن التي ورد ذكرها من بين تلك الجيوش كانت فقط هي الوحدات المغولية الصرفة التي خصصت لهم (أربعة آلاف رجل لكل واحد منهم)، والتي كانت بلا ريب تكوّن شطراً صغيراً من القوات التي كانوا

---

(١٥٠) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، الترجمة، ص ٤٢، ١١٦ (في الحالة الأولى خطأ في ترجمة النص الفارسي، راجع المتن، ص ٦٦، (١٧٢). عن تحديد رشيد الدين للسنين، راجع كتابنا هذا، ص٥٣١

(١٥١) طبعة ميشيل - رايت، ص ٢٨١؛ (ترجمة مالبين، ص ١٠٥).

(١٥٢) (ايدي قوت هو لقب أمير الأويغور. ويقول جويني (الجزء الأول، ص ٣٢): «أتراك اويغور امير خودرا ايدي قوت خوانند ومعنى آن خداوند دولت باشد»، أي أن «أتراك الأويغور يدعون أميرهم ايدي قوت ومعناها صاحب الدولة والبخت». ويقول ابن العبري «امير الاويغور وهو الذي يسمونه ايدي قوت أي صاحب الدولة» (ص ٣٩٩) - المترجم).

(١٥٣) (يكتبها بارتولد باورچق ويضيف):هكذا لدى جويني، طبعة قزويني، الجزء الأول، ص ٣٢. (على هوامش النسخة الانجليزية دون بارتولد الملاحظة الآتية: «تصحح الى بارچوق، پليو ٥٥»؛ وكما بيّن پليو فان الشكل: بارجوق يرد لدى جويني في صفحة ٣٢ فقط (الجزء الأول، طبعة قزويني) وأنه لا وجود له في ص ٦٣. (أنظر Pelliot, Notes sur le «Turkestan», PP. 55-56) - الناشرون).

(١٥٤) ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٧٣؛ الجزء الثاني، ص ٩٦٨؛ (طبعة ناساو - ليس، ص ٣٣٨: ثمانمائة الف - الناشرون).

(١٥٥) طبعة برزين، القسم الخامس عشر، (المتن، ص ١٩٥ وما يليها)؛ الترجمة، ص ١٣٢ وما يليها.

يعتمدون عليها في اقطاعهم. غير أنه من الثابت أن كتائب هؤلاء الأمراء بالذات هي التي قامت بالدور الرئيسي في الحملة على الغرب. ولّما لم يكن المغول قد فرغوا تماماً من فتح الصين وبلاد التنكوت فإنه لم يكن بوسع چنكيز خان أن يسحب قوات من جيش قائد الجناح الأيسر موقالي الذي كان تحت قيادته نصف الجيش النظامي بالتقريب (اثنان وستون ألفاً)، ومن ناحية أخرى فإن القائد الأعلى للجناح الأيمن وهو بوغورجي نوين قد اشترك في الحملة على الغرب كما ذكر تشأن تشؤن[١٥٦]. ويروي جوزجاني[١٥٧] أن قوات أرسلان خان كانت تتكون من ستة آلاف رجل، غير أنه ليس بأيدينا ما نستطيع به التعرف على عدد قوات كل من الأيدي قوت وسقناق تكين. ومعلوماتنا عن توزيع القوات المغولية يضطرنا الى الافتراض بأن جيش چنكيز خان لم يكن ليقل بأية حال عن مائة وخمسين ألفاً في مجموعه، كما أنه لم يكن ليتجاوز بأية حال المائتي ألف. 472

وعلى رأي دوسون D'Ohsson الذي يستند على تمحيص جيد للمادة فإن قوات خوارزمشاه كانت أكبر من ذلك بكثير. ونظراً للخصومة بينه وبين قادة الجيش فإنه لم يكن بوسع خوارزمشاه الإفادة من تفوقه العددي. وحتى قبل وصول آخر سفارة للمغول دعا السلطان مجلساً للحرب، وفي هذا المجلس أعرب شهاب الدين خيوقي عن رأي مؤداه أن على السلطان تجميع قواته على ضفاف سيردريا فإذا ما وصل جيش المغول انقضّ عليه بقواته المستريحة قبل أن يجد الفرصة للإستجمام بعد سيره الطويل المنهك[١٥٩]. وقال آخرون إن الحل الوحيد هو ترك المغول يعبرون سيردريا إلى بلاد ما وراء النهر وأن يتم القضاء عليهم هناك في الشعاب والعقبات التي يجهلون مسالكها. واقترح البعض الآخر أن تُترك ما وراء النهر لحالها وأن يتركز الدفاع في معابر أمودريا، أما أشدهم خذلاناً فهم الذين اقترحوا جمع الجيش في غزنة (أي التقهقر الى ما وراء جبال هندوكوش) ثم الانسحاب منها الى الهند إذا ما لزم الأمر[١٦٠]. ولم يأخذ السلطان بالرأي الأول، بل قرر

---

(١٥٦) شأن شؤن، ترجمة كفاروف، ص ٣١٨، ٤١٤ (الحاشية)؛ Bretschneider, Researches, vol. I, P. 81

(١٥٧) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٠٤؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٤٣).

(١٥٨) D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, P. 212

(١٥٩) ابن الأثير، طبعة تورنبرج، الجزء الثاني عشر، ص ٢٣٧؛ Tizengauzen, Sbornik Materialov, I, str. 6

(١٦٠) جويني، الجزء الثاني، ص ١٠٦؛ قارن ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، طبعة دفريمري، ص ٧٨.

ترك حاميات كبيرة بمدن ما وراء النهر، وبعد هذا مباشرة رحل من البلاد بعد أن وعد بالرجوع إليها بجيش جديد، ثم أخذ في جمع قواته ببلخ. وقبل مغادرة السلطان سمر قند عزم على بناء سور حول المدينة، ويقول النسوي[١٦١] إن هذا السور كان مقرراً له أن يمتد مسافة اثني عشرة فرسخاً، أي أن الغرض منه لم يكن حماية المدينة وحدها بل وضواحيها أيضاً مثلما كان عليه الحال في العهد السابق للاسلام(أنظر أعلاه ص١٧٢).ولتغطية نفقات هذا المشروع الضخم فقد جبى السلطان الخراج السنوي بأجمعه ثلاث مرات في عام واحد، ووفقاً لقول النسوي فإن بناء السور لم يكن قد تم حينما وصل المغول، بل إنه لمّا يكن قد شُرع في بنائه بحيث لم يصرف شيء من تلك الأموال التي جمعت لهذا الغرض.

473 ويحدثنا جويني عن ترميم السلطان لقلعة سمر قند، وقد حضر السلطان/نفسه ذات يوم ليرقب سير العمل، فلما حُفر الخندق زُعم أن السلطان قال إنه على فرسان المغول أن يقذفوا فيه سيطانهم وحدها حتى يمتلىء. وقد كان لألفاظه هذه أثرها السيء على الروح المعنوية للحاضرين. ولعل هذه القصة قد ظهرت بعد الغزو المغولي، إذ ليس من المعقول أن يعمل محمد على هدم الروح المعنوية للسكان والمغول على الأبواب. وينعي النسوي[١٦٢] على السلطان قراره المشئوم بتفريق عسكره على مدن ما وراء النهر، كما يعرب عن ثقته في أنه كان من السهل على السلطان أن يقضي على العدو لو أنه واجه المغول عند الحدود (أي لو أخذ بنصيحة شهاب الدين خيوقي). والبحاثة الأوربيون بدءاً بمولر[١٦٣] Müller يتهمون السلطان أيضاً بالجبن الذي يبلغ حد الاجرام و«بالغباء»، غير أننا إذا ما أخذنا في الاعتبار أحداث الأعوام الأخيرة لحكم محمد فمن الميسور أن نصل إلى نتيجة مفادها أنه لم يكن أمامه مفر من ذلك. ولو كان جيشه أداة طيعة في يده على النحو الذي كان عليه جيش المغول في يد چنكيز خان، لكان باستطاعته تجميع قواته في موضع واحد. غير أن روح العداء التي سادت العلاقات بين السلطان وقواده جعلت ذلك بالطبع أمراً مستحيلاً. وليس من المستبعد على الاطلاق أنه لو كان قواد جيش السلطان قد عملوا في جو من التفاهم فيما بينهم، وأنه لو كان وجد على رأسهم قائد ماهر يتمتع بثقة الجميع، فلربما كانوا قد افلحوا في صد المغول، غير أن تلك القوة الكبيرة كانت سترتد على السلطان وأهل بيته في حالة انتصارها. أما عن طبيعة العلاقات بين السلطان وقواده بعد

(١٦١) النسوي، المتن، ص ٣٥؛ الترجمة ص ٦١.
(١٦٢) شرحه، المتن، ص ٣٦ - ٣٧؛ الترجمة، ص ٦٣.
(١٦٣) Müller, Der Islam, Bd II, S. 209

نزاعه مع والدته فمن السهل استنباط ذلك من الحكاية التي يرويها لنا جويني[١٦٤]، ومفادها أنه في لحظة وجود السلطان على ضفاف أمودريا تم الكشف بين عسكره عن مؤامرة لاغتياله، ففي إحدى الليالي غادر محمد الخيمة التي كان سيمضي بها الليلة دون أن يلحظه العسكر، فلما أسفر الصبح إذا بالخيمة وقد اخترقها عدد كبير من السهام. ومن المشكوك فيه أن السلطان كان يتمتع بمحبة كبيرة بين الغور الذين وجدت منهم كتيبة بسمر قند[١٦٥]، أو بين الأهالي الذين قرر أن يجمع من بينهم قوة مرابطة (militia) من الرماة. وقد فرض محمد على كل منطقة أن تقدم من القوات المرابطة بمقدار ما يحّصل منها من خراج، على أن يصل كل واحد من الرماة راكباً جملاً وحاملاً سلاحه وزاده. وينكر النسوي[١٦٦] على السلطان هجره ضفاف سيردريا من قبل أن يجتمع إليه الجند المرابطون، فقد سارع الناس إليه من كل حدب وصوب «ولو أقام إلى أن تصل الجموع لأجمع خلقاً لم يُسمع بمثله كثرة». غير أن/عدم اجتماع الجند المرابطين إلى نهاية ربيع عام ١٢٢٠ ليقف 474 دليلاً على أن مشروع تجنيدَ الأهالي لم يكن من النجاح بالقدر الذي يريد ذلك المؤرخ إيهامنا به، وأنه حتى من هذا الجانب فإن السلطان كان يفتقر إلى نوع التعاطف الذي افتقده لدى جنده الأتراك[١٦٧].

والمؤرخون المسلمون لا يقدمون لنا أية معلومات دقيقة تساعدنا على تحديد لحظة ظهور الجيش المغولي أمام أسوار أترار رغماً من أهمية ذلك الحادث في التاريخ الاسلامي. ووفقاً لجويني[١٦٨] فإن أترار قاومت مدة خمسة أشهر، كما أن قلعتها ظلت تقاوم شهراً بعد

---

(١٦٤) جويني، الجزء الثاني، ص ١٠٩؛ ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، طبعة دفريمري، ص ٨٠؛ قارن أيضاً D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. 1, P. 243

(١٦٥) النسوي، المتن ص ٣٦؛ الترجمة ص ٦٢.

(١٦٦) شرحه.

(١٦٧) ليس بين أيدينا معلومات وثيقة تفيد عن حالة الرأي العام بين الكتل الشعبية في ما وراء النهر قبل الغزو المغولي مباشرة. وأبيات خرّم أبادي الموجودة لدى عوفي (لباب الألباب، الجزء الأول، ص ٢٠٢) والتي يرد فيها ذكر النضال مع التتار قد لا تعني النضال ضد چنكيز خان بل ربما النضال ضد كوچلك. (ذكر صاحب كتاب في العروض الفارسي وهو شمس الدين محمد بن قيس الرازي أنه قد انتشرت اشاعات رهيبة بآسيا الوسطى عن استعداد التتار المخيف لغزو البلاد وأن عددا من الناس فرّوا مذعورين صوب الغرب، من بينهم المؤلف نفسه الذي هرب الى ولاية فارس (الرازي، المعجم، طبعة قزويني - براون، ص ٣* وما يليها - الناشرون).

(١٦٨) جويني، الجزء الأول، ص ٦٤، ٩٢؛ Shefer, Chrestomathie persane, t. II, PP. 110-112, 132.

سقوط المدينة. وعقب استسلام المدينة لحقت القوة المحاصرة بجنكيز خان وهو يتهيأ لحصار سمر قند، أي في مارس من عام ١٢٢٠ كما سيتبين فيما بعد. ومن هذا يمكن الاستدلال على أن بداية حصار أترار ترجع إلى سبتمبر من عام ١٢١٩. غير أنه من الجائز جداً أن جويني بالغ شيئاً ما في تقدير الزمن الذي استغرقه حصار تلك المدينة. ووفقاً لرأي النسوي[١٦٩] فإن جنكيز خان لم يزحف على بخارا إلاّ بعد سقوط أترار، وهو شيء بعيد الاحتمال.

وعلى مقربة من أترار قام جنكيز خان بتقسيم قواته فترك قسماً منها (يضم عدداً من التومانات على قول رشيد الدين[١٧٠]) كان يتضمن وحدات الأويغور[١٧١] وغيرها لحصار المدينة، وأرسل قسماً آخر تحت قيادة جوجي محاذياً المجرى الأسفل لنهر سيردريا، وأرسل قسماً أصغر (تعداده خمسة آلاف) إلى أعلى النهر صوب بناكث وخجند، بينما زحف جنكيز خان نفسه يصحبه ابنه تولوي بالقوات الرئيسية في اتجاه بخارا يريد بذلك كما يقول النسوي «أن يقطع بين السلطان وبين عساكره المتفرقة». وفي أترار، ولعل ذلك كان قبل سقوط المدينة، انضم إلى جنكيز خان نائب السلطة المدنية بالمدينة واسمه بدر الدين عميد، وكان ينوب عن الصفي الأقرع (الذي يدعوه النسوي «وزير السلطان ببلاد الترك»)، وكان يحقد على السلطان لقتله أباه وعمه وجماعة من أقربائه عند استيلائه على أترار[١٧٢]، ومن الجائز أنهم كانوا ينتمون لحزب رجال الدين الذي كان مناوئاً للسلطان 475 وأظهروا عدواتهم بصورة أكثر حدّة مما فعل صدر بخارا ومشايخ سمر قند. وقد حصل جنكيز خان من بدر الدين على معلومات مفصلة عن ظروف الأحوال السياسية بالبلاد وعن العداء الذي حملته تركان خاتون والحزب العسكري للسلطان، فعمل جنكيز خان فيما بعد على استغلال ذلك لمصلحته. وفضلاً عن هذا فقد كان في معية جنكيز خان، وفي

---

(١٦٩) سيرة جلال الدين، المتن ص ٤٣؛ الترجمة ص ٧٣ - ٧٤.

(١٧٠) طبعة برزين، القسم الخامس عشر، (المتن ص ٦٧)؛ الترجمة ص ٤٣. اما لدى جويني (الجزء الأول ص ٦٤) فنفس هذه الألفاظ (چند تومان) ترد بصدد قوات جوجي.

(١٧١) رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ١٦٤؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٢٧. ووفقاً لجويني فإن الأميرين جغتاي واوكداي كانا في هذا القسم من الجيش.

(١٧٢) النسوي، المتن، ص ٣٧؛ الترجمة، ص ٦٤. قارن حمد الله قزويني، تاريخ گزيده، طبعة براون، المتن ص ٤٩٧.

معية أبنائه أيضاً، عدد من التجار المسلمين الذي قاموا بمهمة الوساطة بين المغول والسكان المسلمين وعملوا دون شك على تعريف المغول بظروف الأحوال في كل موضع. وبهذا لم يستطع المسلمون استغلال معرفتهم بالبلاد لمصلحتهم، بينما تؤكد خطط چنكيز خان الاستراتيجية وأسلوب تنفيذها أن الظروف الجغرافية للمنطقة كانت معروفة لديه جيداً.

وفي بداية زحفه اقترب چنكيز خان من قلعة زرنوق، ويرد ذكر هذه القلعة في وصف آخر حملة لتيمور، وهي تلك التي سلك فيها مضيق جيلانوته من سمر قند إلى أترار، على أنها آخر منزلة قبل بلوغ شاطىء سيردريا[١٧٣]. ومن الجلي أن المغول لم يلاقوا صعوبة ما في عبورهم النهر، ولا بد أنه كان متجمداً في ذلك الفصل من السنة. وقد أُرسل دانشمند حاجب إلى أهل زرنوق وأفلح في إقناعهم بالتسليم طواعية، بعد أن تعهد لهم بتأمين أرواحهم وممتلكاتهم. وقد تم الوفاء بهذا العهد واقتصر المغول على هدم التحصينات وجمع كتيبة من شباب المنطقة للمعاونة في أعمال الحصار. وأطلق المغول (أغلب الظن أنهم الترك الذين أخذوا طرفاً في الحملة) على المدينة اسم قتلغ باليغ يعني «المدينة المباركة[١٧٤]».

وكان في زرنوق بعض التركمان فساقوا المغول إلى نور بطريق لم تكن معروفة حتى تلك اللحظة، ومن ثم عرفت بعد ذلك التاريخ باسم «طريق الخان[١٧٥]»، وقد سلكها جويني في عام ١٢٥١. ويسود الاعتقاد لدى بعض من لهم إلمام بهذه الأنحاء أن طبيعة المنطقة قد تغيرت تغيراً تاماً منذ عهد حملات چنكيز خان وتيمور «لأنه ليس في أيامنا هذه طريق يربط نور آتا بمصب نهر اريس، حتى ولا طريق للقوافل لأنه لا يوجد بين هاتين النقطتين سوى صحراء قزيل قوم الجافة[١٧٦]». هذا الرأي لم يلبث أن اطرّح فيما بعد، لأن طرق القوافل لا تزال قائمة حتى أيامنا هذه بين أترار ونور[١٧٧]. هذا ويجب ألاّ يغيب على البال أن المغول قد اجتازوا هذه المفازة في شهر يناير. وتشير قرائن

---

(١٧٣) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الرابع ص ٢١٦؛ طبعة كلكتا، الجزء الثاني، ص ٦٤٦ (حيث يرد الاسم في صورة: زرتوق).

(١٧٤) Schefer, Chrestomathie persane, T. II, PP. 120–121؛ جويني، الجزء الأول، ص ٧٧.

(١٧٥) خاني (كما لدى جويني، الجزء الأول، ص ٧٨)، وليس خالي (أي مهجور) كما لدى رشيد الدين وفقاً لطبعة برزين وترجمته الروسية (القسم الخامس عشر، المتن ص ٨٠؛ الترجمة، ص ٥٢).

(١٧٦) Smirnov, Drevnosti na srednem i nijnem techenii r. Syr–Dari, str. 13.

(١٧٧) Klare , Drevnii Otrar, str. 6

الأحوال إلى أن قنوات الضفة اليسرى لسيردريا لم تكن حتى تلك الآونة قد أُهملت ، كما أن الصحراء/كانت تشغل حيزاً أضيق. وقد اقتربت طليعة جيش المغول من نور تحت 476 قيادة طاير بهادور ، وتحت جنح الظلام اجتاز المغول بساتين الأهالي. وعلى ما جرت عليه العادة في جميع أنحاء آسيا الوسطى فإن هذه البساتين كان يستعملها الأهالي بالطبع كمنازل ريفية أيام الصيف ، ولكنها كانت مهجورة في ذلك الفصل من السنة. وأمر طاير المغول باجتثاث الأشجار ليصنعوا منها سلالم (لاستعمالها بالطبع في حصار القلعة). وكان وصول المغول مفاجأة للأهالي الذين حسبوهم في البداية قافلة من التجار ولم يتحققوا من خطئهم إلاّ بعد أن اقتربت الوحدات الأولى من المدينة. وقد دعا طاير السكان إلى التسليم ، وبموافقته أرسلوا مبعوثاً إلى چنكيز خان الذي أمرهم بتسليم المدينة إلى سوبوتاي بهادور[١٧٨] (مما يقف شاهداً على أنه كان يحتل في الجيش مرتبة أعلى من طاير). وتنفيذاً لأوامر سوبوتاي أخلى الأهالي المدينة ولم يأخذوا معهم سوى ما لزمهم من الزاد وآلات الفلاحة والماشية ، ثم أُسلمت منازلهم للنهب. وبعد وصوله اكتفى چنكيز خان بفرض مبلغ ألف وخمسمائة دينار على الأهالي ، وهذا المبلغ يتفق مع ما كانت تجبيه حكومة السلطان من خراج من هذه المدينة ، وقد كانت أقراط النساء كافية لسد نصف هذه القيمة. والرواية الأخيرة تؤكد بصورة قاطعة أن ممتلكات الأهالي لم تنهب (وإلاّ فما كان باستطاعتهم دفع السبعمائة وخمسين ديناراً المتبقية) ، أو أنها على أقل الفروض رُدّت الى أصحابها بعد وصول چنكيز خان. هذا وقد تم اختيار قوة صغيرة (لا تزيد على الستين رجلاً) وضعت تحت إمرة ايل خواجه ابن الحاكم المحلي واستعملت فيما بعد في حصار دبوسية[١٧٩].

ووفقاً لرواية اثنين من معاصري الأحداث هما ابن الأثير[١٨٠] وجوزجاني[١٨١] فإن چنكيز خان بلغ بخارا في فبراير عام ١٢٢٠ وليس في مارس كما يقول جويني والنقلة المتأخرون الذين تبعوه في هذا الرأي[١٨٢]. وهذا التاريخ الذي أورده ابن الأثير

---

(١٧٨) بوصفه قائدا لألف كـان سوبوتاي ينتـب للجناح الأيسر (رشيد الدين ، طبعة برزين ، القسم الخامس عشر ، (المتن ص ٢١١)؛ الترجمة ص ١٤١).

(١٧٩) Schefer, Chrestomathie persane, T.II, PP. 121–122؛ جويني ، الجزء الأول ، ص ٧٩.

(١٨٠) ابن الأثير ، الجزء الثاني عشر ، ص ٢٣٩ ؛ Tizengauzen, Sbornik Materialov, I, str. 8

(١٨١) ترجمة راڤرتي ، الجزء الثاني ، ص ٩٧٦ ؛ (طبعة نساو – ليس ، ص ٣٣٩).

(١٨٢) وأيضاً دوسون (Histoire des Mongols, t. I, P. 228)

وجوزجاني تؤكده أيضاً رواية مكمل نرشخي(١٨٣). وهناك خلاف حول عدد جنود حامية بخارا، فجوزجاني يقدر عددهم باثني عشر ألفاً من الفرسان، بينما يقدرهم جويني بعشرين ألفاً «في الجيش الخارجي»(١٨٤) وحده (أي لم يحدد على وجه الدقة عدد الحامية من بينهم)، ويقدرهم النسوي(١٨٥) في مجموعهم بثلاثين ألفاً. ووفقاً لقول النسوي(١٨٥) فإن كبار القواد بالمدينة كانوا هم اختيار الدين كشلو(١٨٦) أمير آخور السلطان واينانج خان أوغل حاجب، ومن القواد الآخرين يذكر جويني حميد پور(١٨٧) (وأصله من القراخطاي، وكان قد أُسر في واقعة عام ١٢١٠ وانخرط في خدمة خوارزمشاه) وسونج خان وشخصاً آخر يدعى كورخان قيل إنه من المغول وكان قد هرب من چنكيز خان وانخرط في خدمة محمد. وجويني نفسه يتشكك في صدق هذه الرواية الأخيرة، (غير أنه من الجائز أن يكون ذلك الشخص هو جاموقة Jamuqa غريم چنكيز خان المشهور الذي اتخذ في واقع الأمر لقب كورخان على الرغم من أن الرواية المغولية تذكر أنه قتل بمنغوليا). وبعد ثلاثة أيام من بدء الحصار قرر الجيش تحت قيادة اينانج خان الخروج من المدينة، فشقوا طريقهم وسط قوات المغول، ولكن المغول جدّوا فوراً في تعقب الفارين فلم ينجح منهم في عبور أمودريا إلاّ اينانج خان في شرذمة قليلين وسقط حميد پور في المعركة. ولمّا وجد الأهالي أنفسهم بلا جيش يحميهم قرروا التسليم، وأرسلوا لهذا الغرض وفداً إلى المغول برئاسة القاضي بدر الدين قاضي خان. وقد دخل المغول المدينة وفقاً لرواية ابن الأثير(١٨٨) في اليوم العاشر من فبراير، وفي السادس عشر منه وفقاً لرواية جوزجاني. أما دفاع القلعة

477

(١٨٣) طبعة شيفير، ص ٢٣، ٣٤.

(١٨٤) جويني، المخطوطة، الورقة ٣٤: لشكر بيرون، ولكن في المطبوعة وأيضاً في مخطوطة خانيكوف: لشكر بيروني. ولدى شيفير (Chrestomathie persane, T. II, P. 123): لشكر اندروني. ولا يحدد جويني عدد الحامية في مجموعها على أنه عشرون ألفا كما ظن دوسون؛ (Histoire des Mongols, t. 1, P. 233)؛ ويبدو هذا واضحاً من كلامه بالتالي بصدد عدد المدافعين عن القلعة.

(١٨٥) النسوي، المتن، ص ٣٤؛ الترجمة ص ٦٢. ووفقاً لابن الأثير: عشرون ألفاً.

(١٨٦) ورد في المتن خطأ في صورة: كشكي، وفي الترجمة: Kechki؛ والقراءة الصحيحة في الصفحة ٤٣ من المتن والصفحة ٧٤ من الترجمة؛ وهكذا وردت لدى جوزجاني وفي مخطوطات جويني؛ أما في طبعة قزويني (الجزء الأول، ص ٨٠) فترد في صورة: كشلي.

(١٨٧) انظر أيضا جويني، الجزء الثاني، ص ٢١١.

(١٨٨) قارن الحاشية Tizengauzen, Sbornik Malerialov, I, 8؛ واسم اليوم الوارد لدى ابن الأثير هو يوم الثلاثاء وليس الأربعاء كما ظهر في الترجمة.

فقد دام بعد ذلك لمدة اثني عشر يوماً[١٨٩]، على الرغم من أن عدد حاميتها لم يزد على أربعمائة فارس[١٩٠]، كان من بينهم وفقاً لرأي جويني كورخان الذي أظهر ضروباً من البسالة. وقد اضطر الأهالي أن يسلّموا إلى المغول كل الذخيرة التي كانت قد جهزت من أجل جيش السلطان، وأن يردموا خندق القلعة من أجلهم. وبعد سقوط القلعة تم القضاء على كل المدافعين عنها، وبُعَيد هذا أُجبر جميع التجار الأغنياء على رد الفضة التي اشتروها من خوارزمشاه عقب كارثة أترار (كما ردوا سلعاً أخرى فيما يغلب على الظن). وأخيراً اضطر الأهالي إلى مغادرة المدينة دون أن يحملوا معهم إلاّ ما يسترهم من الثياب، ونهبت ممتلكاتهم على يد المغول، وكان القتل مصير كل من وجد منهم بالمدينة مخالفاً بذلك الأوامر. ويروي جويني أن الإمام جلال الدبن علي بن الحسن (أو الحسين) زندي لما رأى المغول ينهبون المسجد وسنابك خيلهم تطأ أوراق القرآن الكريم أعرب عن دهشته وأسفه لركن الدين إمام زاده أحد أفاضل علماء المدينة الذي قال له: «عليك بالتزام الصمت لأن ريح غضب الله تهب، وليس للهشيم أن يقول شيئاً[١٩١]». غير أن رواية ابن الأثير تشير إلى أن ركن لدين إمام زاده لم يكن على هذه الدرجة من الاستكانة إزاء ما نزل بهم، فيقال إنه لمّا رأى المغول يسلكون مع الأسرى سلوكاً مزرياً ويغتصبون النساء قاتلهم هو وابنه حتى قتلا، كذلك أبدَى نفس هذه الغيرة آخرون من بينهم القاضي صدر الدين خان (فكان مصيرهم القتل)، وكان من بين القتلى كذلك الصدر مجد الدين مسعود أخو الوزير نظام الملك[١٩٢] (راجع أعلاه ص٥٤٠).أما رواية جويني من أن چنكيز خان جمع الناس بموضع صلاة العيد وصعد إلى المنبر وخطب فيهم خطبة وصف نفسه فيها بأنه «غضب الله الذي سلّطه على البشر لسوء فعالهم» فإنها لبعيدة جداً عن التصديق **ولو** كان هذا الحادث الغريب قد وقع فعلاً لكان ابن الأثير قد سمع به من صاحبه الفقيه. ومن ناحية أخرى فإن رواية ابن الأثير تتفق مع رواية جويني في أن چنكيز خان طلب من الأهالي أن يذكروا له أسماء أكابر المدينة وأعيانها ثم قدم لهم مطالبه المالية. وبعد الانتهاء من انتهاب المدينة أُضرمت فيها النيران ولم يسلم منها سوى المسجد الجامع وبعض

---

(١٨٩) يؤكد هذا الى جانب ابن الأثير مكمل نرشخي (طبعة شيفير، ص ٢٣).

(١٩٠) يرفض دوسون بحق (Histoire des Mongols, T. I, P. 233) رواية جويني (الجزء الأول، ص ٨٣) التي تزعم أنه عند الاستيلاء على قلعة بخارا قتل ثلاثون ألفاً.

(١٩١) جويني، الجزء الأول، ص ٨١؛ Schefer, Chrestomathie persane, T. II, PP. 123-124

(١٩٢) النسوي، المتن ص ٢٤؛ الترجمة ص ٤٣.

القصور المشيدة من اللبن المحروق(١٩٣). ومن العسير إيجاد سبب لافتراض أن حرق المدينة كان من بين مخططات چنكيز خان، ذلك أنه لم يكن من السهل تجنب الحريق أثناء نهب مدينة كبخارا كانت الحرائق الكبرى أمراً معهوداً فيها بسبب كثافة البناء وتقارب المنازل (أنظر أعلاه ص ٢٠٩).

وفي طريقهم من بخارا إلى سمر قند ساق المغول معهم أعداداً هائلة من الأسرى. ووفقاً لرواية ابن الأثير التي حصل عليها بلا شك من الفقيه الآنف الذكر فان مصير هؤلاء الأسرى كان غاية في السوء، فقد كان عليهم أن يتابعوا راجلين فرسان المغول، وكان القتل نصيب كل من أعياه السير منهم(١٩٤)، ولم يقف هذا الجمع الغفير من الآدميين عند حد الأسرى من أهل المدن وحدهم بل تجاوزهم بلا ريب إلى سكان الريف كذلك. وعلى مدى المناطق التي مرّ بها المغول فإنهم كانوا يسوقون الفلاحين قسراً من القرى المجاورة للعمل في الحصار(١٩٥). ولم تكن هناك مقاومة تذكر في المواقع الخصيبة بين بخارا وسمر قند باستثناء دبوسية وسرپُل، وهذا يعني أن قوات المغول سارت على كلا ضفتي نهر زرفشان. ولعل القصة التي سمعها تشأن تشؤن(١٩٦) عام ١٢٢١ بشأن چنكيز خان تحملنا على افتراض أنه هو نفسه (أي چنكيز خان) قد سلك الضفة الشمالية للنهر./ولم يكن يتوقف عند القلاع التي لم تستسلم بل كان يتابع زحفه تاركاً وراءه كتائب صغيرة من العسكر لمحاصرتها. 479

ولقد رأينا كيف أن خوارزمشاه كان يعلق أهمية خاصة على الدفاع عن سمر قند(١٩٧) كبرى مدن ما وراء النهر، ومن الطبيعي أنه ترك فيها جيشاً أكبر مما ترك في

---

(١٩٣) هذه الألفاظ التي ينسبها دوسون (Histoire des Mongoles, t. I, P. 243) الى ابن الأثير انما توجد في واقع الأمر لدى جويني وحده (الجزء الأول، ص ٨٣؛ ومجموعة شيفير، الجزء الثاني، ص ١٢٤).

(١٩٤) ابن الأثير، طبعة تورنبرج، الجزء الثاني عشر، ص ٢٤٠؛ Tizengauzen, Sbornik Materialov, T. I, str. 10

(١٩٥) Vasiliev, Istoria i drevnosti, str. 224; Istoria mongolov po armianskim istochnikam, II, 20; النسوي، المتن ص ٥٣؛ الترجمة ص ٩١.

(١٩٦) ترجمة كفاروف، ص ٣١٠؛ Bretschneider, Researches, I, P. 76

(١٩٧) عن حصار سمرقند راجع ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٤٠ - ٢٤١؛ و Tizengauzen, Sbornik Materialov, I, str. 10-11؛ وجوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني ص ٩٧٩ - ٩٨٠؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٣٩ - ٣٤٠)؛ وجويني، الجزء الأول، ص ٩٠ - ٩٦؛ ودوسون Histoire des Mongols, T. I, PP. 234-240

غيرها من المواضع. وقد بلغ تعداد الجيش بسمر قند على ما رواه جويني مائة وعشرة آلاف، كان منهم ستون ألفاً من الأتراك وخمسون ألفاً من التاجيك معهم خمسون فيلاً. وعلى رواية النسوي[١٩٨] فإن الجيش لم يتجاوز عدده أربعين ألفاً. أما ابن الأثير فيجعله خمسين ألفاً، بينما يرتفع به جوزجاني إلى ستين ألفاً فيهم الترك والتاجيك والغور والخلج والقارلوق. ويزيد النسوي أن والي المدينة كان طغاي خان[١٩٩] أخو تركان خاتون.

وقد بلغ چنكيز خان سمر قند في مارس وأقام بضواحيها في قصر كوك سراي (الذي لا يربطه بطبيعة الحال بالقصر الذي شيد لتيمور سوى الاسم وحده، وإن كان من الجائز أن يكون قد شغل الموضع نفسه بالتقريب لأن المغول جاءوا إلى المدينة من الجانب الغربي). ولكي يرهب المغول المدافعين عن المدينة فإنهم نظموا الأسرى على هيئة صفوف مجهّزة للقتال، وكان مع كل عشرة من الأسرى علم ظن معه أهل البلد أنهم بازاء جيش عرمرم. وزاد من عدد الأسرى وصول چغتاي وأوكداي ومعهما أعداد كبيرة من أسرى أترار. وقد دام حصار أترار فترة أطول من غيرها من بلاد ما وراء النهر، فقد كان لاينال خان أسباب قوية جعلته يخشى على مصيره الشخصي ولذا فقد دافع عن نفسه دفاع اليائس رغماً من أنه لم يكن تحت قيادته سوى عشرين ألفاً من الفرسان إذا ما أخذنا بقول النسوي[٢٠٠]. وعلى رأي جويني فإن السلطان وضع تحت تصرفه خمسين ألفاً من «الجيش الخارجي»، وأنه زيادة على هذا أرسل إليه قبل فترة وجيزة من بدء الحصار بالحاجب قراجه ومعه قوة من عشرة آلاف لمساعدته. وبعد حصار دام خمسة أشهر[٢٠١] (؟) قرر قراجه التسليم وخرج بجيشه من المدينة، غير أن چغتاي واوكداي أمرا بقتله لأنهما لم يأمنا جانبه بعد خيانته لسلطانه. ولقد لقي سكان أترار ذات المصير الذي لقيه سكان بخارا، فطردوا من مدينتهم التي أسلمت للنهب. أما القلعة فقد قاومت شهراً آخر وعند سقوطها قتل

480

---

(١٩٨) لدى جويني (Schefer, Chrestomathie persane, T. II, P. 135): نعابي خان؛ ولدى النسوي (المتن ص ٣٦) يرد في المخطوطه: طعا اسحا. (فيما بعد وضع بارتولد على نسخته الروسية لعام ١٩٠٠: تغاي، نقلا عن طبعة جويني، الجزء الأول، ص ٩٥ - الناشرون).

(١٩٩) االدي حمل لقب: قاير خان او قدر خان، كما ورد فيما مر من الكتاب - الناشرون).

(٢٠٠) النسوي، المتن، ص ٣٦؛ الترجمة ص ٦٢.

(٢٠١) التفاصيل عن احتلال اترارترد لدى جويني وحده (الجزء الأول، ص ٦٤ وما يليها؛ مجموعة شيفير، الجزء الثاني، الصفحات ١١٠ - ١١١). قارن أيضاً دوسون Histoire des Mongols, T. I, PP. 219-221

جميع المدافعين عنها. وصعد اينال خان بنفسه إلى سطح بناء وحين لم يتبق معه شيء من السهام أخذ يقذف المغول بالآجر، ويبدو أن المغول كانت لديهم أوامر مشددة بأن يأخذوه حياً فتكاثروا عليه وأسروه، ثم اقتيد إلى چنكيز خان في كوك سراي حيث أُعدم بطريقة وحشية وصفها لنا النسوي(٢٠٢).

وبسمرقند قام المحاصرون في اليوم الثالث بخرجة (sortie) انتهت بكارثة شنيعة وفقاً لما رواه ابن الأثير وجوزجاني، فقد نصب المغول كميناً للمسلمين قضوا عليهم فيه إلى آخر رجل منهم حتى بلغت خسائرهم على ما قاله ابن الأثير سبعين ألفاً، بينما يجعلها جوزجاني خمسين ألفاً. ويؤكد ابن الأثير أن جيش السلطان لم يأخذ طرفاً في هذه الخرجة التي اقتصرت على أهل المدينة وحدهم. ورواية هؤلاء المؤرخين المعاصرين تضطرنا إلى رفض رواية جويني التي تزعم أن تلك الخرجة قد قام بها الأتراك تحت قيادة الب ارخان(٢٠٣) وشيخ خان وبالا خان وخانات أُخر فقتلوا عدداً من المغول وأخذوا بعضهم أسارى ولم يفقدواهم أكثر من ألف رجل. وفي اليوم الخامس للحصار(٢٠٤) أجمع الترك والأهالي معاً على التسليم. وفيما عدا قوة صغيرة أوصدت على نفسها القلعة فإن الترك وعلى رأسهم طغاي خان عرضوا خدماتهم على المغول الذين قبلوها في بداية الأمر، أما الأهالي فقد أرسلوا وفداً على رأسه القاضي وشيخ الاسلام، ودخل المغول المدينة من باب نمازكاه(٢٠٥) وشغلوا أنفسهم فوراً بهدم التحصينات. وكالعادة فقد تم إجلاء الأهالي عن مدينتهم التي أُسلمت للنهب، واستثنى من ذلك القاضي وشيخ الاسلام ومن كان تحت حمايتهم فبلغ عددهم فيما يقال خمسين ألفاً. هذه المعلومات الأخيرة لا تخلو من طرافة، فهي برهان على أن رجال الدين بسمرقند بعكس رصفائهم ببخارا لم يبدوا مقاومة ضد المغول وأنهم تمتعوا منذ البداية باحترام الغزاة، وهو احترام طالما حمله أتباع الشامانية Shamanism عادة

---

(٢٠٢) النسوي، المتن ص ٣٧؛ الترجمة ص ٦٣.

(٢٠٣) في متن جويني (الجزء الأول، ص ٩٢؛ ومجموعة شيفير، الجزء الثاني، ص ١٣٣) يرد الاسم في صورة: البار خان.

(٢٠٤) هكذا وفقاً لجويني؛ أما جوزجاني فيقول إن الحصار استمر لمدة عشرة أيام بعد الكمين، وأن المدينة سقطت في العاشر من المحرم (١٧ مارس).

(٢٠٥) أي باب مصلّى العيد. والمفروض أنه يقع في القسم الشمالي الغربي للمدينة، حيث قام ڤياتكين V. Viatkin بحفرياته عام ١٩٠٥ (راجع V. Viatkin, Otchet o raskopkakh v mestnosti Namazgoh, str. 12 i sl.، وأيضاً (Bartold, Oroshenie, str. 110).

لرجال الدين من جميع الملل(٢٠٥أ).وإذا كان « السادة » عُدّوا من طبقة رجل الدين كما حدث في العصور التالية فإن عددهم كان كبيراً بلا شك، إلاّ أنه أبعد من أن يبلغ 481 الخمسين ألفاً هذا وقد تم اقتحام القلعة عنوة كما حدث ببخارا ؛/وخلال ذلك خرب المغول « القناة الرصاصية »، أي قناة جاكرديزه (أنظر أعلاه ص ١٧٢-١٧٣ وص ١٧٧)، ومن الجائز أن يكونوا قد هدموا إحدى السكور فغمر الماء ما حول القلعة حتى ثلم جدارها(٢٠٦). وفي الليلة السابقة على هذا قام الب خان (ويغلب على الظن أنه هو الب ارخان نفسه) بخرجة قوامها الف مقاتل ونجح في اختراق صفوف المغول وانضم إلى جيوش السلطان. أما بقية المدافعين عن القلعة الذين بلغ عددهم الألف فقد تجمعوا بالمسجد الجامع ولكنهم قتلوا هنا عن آخرهم ثم أحرق المسجد. ولعل المقصود بالمسجد هو البناء الجديد الذي شيده خوارزمشاه (أنظر أعلاه ص ٥٢٥)، حيث تم الكشف عن آثار الحريق خلال الحفريات التي قمتُ بها هناك في عام ١٩٠٤. أما قوات السلطان من الأتراك الذين انخرطوا في خدمة المغول في بداية الأمر فقد أحيط بهم في صعيد من الأرض وقتلوا عن آخرهم ومعهم جميع قوادهم ومن بينهم طغاي خان؛ ووفقاً لرواية جويني فإن عدد الجند بلغ ثلاثين ألفاً بينما بلغ عدد القادة العشرين، وقد وردت أسماؤهم جميعاً فيما بعد في اليارليغ الذي كُتب باسم چنكيز خان من أجل ركن الدين كُرت(٢٠٧) جد أسرة حكام هرات المشهورة. وكانت هذه الوثيقة تضم أسماء جميع قادة الجيوش وحكام الأنحاء الذين خضعوا للمغول، إلاّ أنها بكل أسف لم تصل إلينا. أما فيما يتصل بالأهالي بوجه عام فإن ثلاثين ألفاً منهم يمثلون أرباب الصناعات والحرف ضُموا إلى معيّة أبناء چنكيز خان وأهل بيته، كما أن عدداً يقرب من ذلك سيق إلى العمل في الحصار،

(٢٠٥أ) [راجع في هذا الصدد ألفاظ القلقشندي (صبح الأعشى، الجزء الرابع ص ٣١١):« وأمّا عاداتهم في الأدب فكان من طريق چنكيز خان أن يعظّم رؤساء كل ملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة الى الله تعالى؛ ومن حال التتر في الجملة إسقاط المؤن والكلف عن العلويين وعن الفقهاء والفقراء والزهاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم ومن جرى هذا المجرى » - المترجم].

(٢٠٦) يبدو جليا من هذه الروايات أن القلعة التي استولى عليها المغول لم تقتصر على القلعة الداخلية فحسب والتي ترك لنا وصفها جغرافيو القرن العاشر بل والشهرستان أيضاً، أي جميع الرقعة المسماة الآن افراسياب والتي كان يـقيها آنذاك « القناة الرصاصية ». راجع وصف سمرقند فيما مر من الكتاب (ص ١٧٢).

(٢٠٧) (أوكَرْت (بفتح الكاف) الذي ثبت الآن أنه القراءة الصحيحة (حسب قول مينورسكي) - الناشرون).

وأما الباقون منهم فقد أُذن لهم بالرجوع إلى المدينة بعد دفع فدية مقدارها مائتا ألف دينار (أيعني هذا أن ما تبقى من ممتلكاتهم قد رد إليهم؟). وقد تعرض الأهالي للطرد من مدينتهم بعد ذلك مرات عديدة حتى عادت خراباً بلقعاً. وعند زيارة تشأن تشؤن لها لم تكن سمرقند تضم أكثر من ربع سكانها الذين كانوا بها في ما مضى[٢٠٨].

وبعد استيلائه على سمرقند أوقف چنكيز خان تقدم قواته لبعض الوقت. هذا وقد أحرز التوفيق في عملياته العسكرية أيضاً ذلك القسم من الجيش الذي زحف من أترار في محاذاة مجرى سيردريا الأدنى تحت قيادة جوچي. ومن الجلي أن سبب تكليف جوچي باخضاع هذه المنطقة من بلاد ما وراء النهر يرجع إلى أن الولايات الشمالية الغربية لأمبراطورية المغول كانت ستكون جزءاً من/إقطاعه. وقد سجل لنا جويني[٢٠٩] تفاصيل 482 انتصارات جوچي في حملته هذه، وكان أول موضع بلغه المغول هو سغناق (على مسافة أربعة وعشرين فرسخاً من أترار)[٢١٠] التي دخل جوچي في مفاوضات مع سكانها وأرسل مبعوثه التاجر المسلم حسن حاجي[٢١١] الذي أمضى سنوات عديدة في خدمة المغول والذي يغلب على الظن أنه هو ذات اسَن Asan الوارد ذكره في اليوان - شاأو - بي - شي[٢١٢]. وقد قتل الأهالي المبعوث فحاصر المغول المدينة مدة سبعة أيام، ثم اقتحموها عنوة وذبحوا أهلها عن بكرة أبيهم، ثم أصبح ابن حسن القتيل والياً على المقاطعة. وواصل المغول تقدمهم فاستولوا على اوزكند وبارچنلغكنت واشناس، وقد أبدت هذه المدينة الأخيرة التي كانت حاميتها في غالبها من اللصوص والأوباش «مقاومة عنيفة».

---

(٢٠٨) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٣١١؛ Bretschneider, Researches, vol. I, P. 78
يروي جويني (الجزء الأول، ص ٩٤) قصة تتعلق بهلاك الفيلة التي وجدها المغول بسمرقند، فقد سأل چنكيز خان عن كيفية تغذيتها فقيل له على العشب فأمر بإطلاقها في حقل فهلكت من الجوع. غير أنه يبدو من رواية تشأن تشؤن أن الفيلة كانت لا تزال على قيد الحياة في شتاء ١٢٢١ - ١٢٢٢ (راجع ترجمة كفاروف، ص ٣١٢؛ Bretschneider, Researches, vol. I, P. 79)

(٢٠٩) جويني، الجزء الأول ٦٦ - ٧٠؛ راجع دوسون Histoire des Mongols, T.I, PP. 221-224

(٢١٠) راجع ما مر من الكتاب ص ٢٩٥.

(٢١١) في المتن المطبوع لرشيد الدين (برزين، القسم الخامس عشر، المتن ص ٦٩؛ الترجمة ص ٤٥): حسين حاجي.

(٢١٢) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ٩٥؛ (طبعة كوزين، ص ١٣٩)؛ Bretschneider, Researches, vol.I, P. 269. في هذه الفقرة يرد أن اسن كان يقطن من قبل في بلاد الأونكوت Ongut وأنه جاء الى نهر ارغون Argun وراء المتاجرة.

وبعد هذا أُرسل چنتمور، وأصله من قبيلة الأونكوت[٢١٣] (التتار البيض) وقام بدور هام في تاريخ ايران بالتالي، أُرسل إلى جند للتفاوض مع أهلها. وكان قد هجرها قبل ذلك بقليل جيش السلطان الذي هرب قائده قتلغ خان مجتازاً السهوب إلى خوارزم. ويقول النسوي[٢١٤] إن قتلغ خان كان يعسكر على رأس قوة من عشرة آلاف عند شهركنت (ينكنت). وقد استقبل سكان جند چنتمور استقبالاً عدائياً ولم يستطع العودة إلاّ عندما ذكّرهم بمصير سغناق وأعطاهم المواثيق بسحب قوات المغول بعيداً عن جند. وكان رأي قواد المغول في الأصل هو تأجيل الزحف على جند[٢١٥] والاستجمام بقراقورم، وطبيعي أن هذا الموضع لا علاقة له البتة بعاصمة چنكيز خان في منغوليا بل إن المقصود به هو موضع نزول القنغلي (القپچاق) الذي يحمل الإسم نفسه والذي يذكره جويني[٢١٦] كذلك في روايته عن أول صدام بين السلطان والمغول، وكان المركيت قد هربوا إليه من منغوليا[٢١٧]. ويشير هذا الرأي من جانب/القواد المغول إلى أن خيالةَ المغول كانت في تلك 483 اللحظة في حاجة إلى مطايا، وان جوچي أراد لهذا أن يفيد من مصيف الرعاة، أمّا الآن فقد أقلع عن فكرته هذه وتقدم نحو جند. وفي كل مخطوطات مصنف جويني، وكذلك فيما نقله عنه رشيد الدين، يرد ذكر هذا الحادث على أنه وقع في اليوم الرابع[٢١٨] أو الرابع عشر من صفر[٢١٩] عام ٦١٦ هـ (أي في الحادي والعشرين من أبريل أو الأول من مايو ١٢١٩)، وهو أمر يوشك أن يكون مستحيلاً، ذلك أن قرائن الأحوال تشير إلى أنه يجب أن يوضع عام ٦١٧ هـ مكان ٦١٦ هـ وأن يُرجع بهذا الحادث إلى اليوم العاشر أو اليوم العشرين من ابريل عام ١٢٢٠. وقد أغلق السكان أبواب مدينتهم

---

(٢١٣) هذا قول رشيد الدين (طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ١٤٩؛ الترجمة، القسم الخامس، ١١٧). ولكن في موضع آخر (طبعة بلوشيه، ص ٣٧) يجعله من القراخطاي نقلا عن جويني (الجزء الثاني، ص ٢١٨)؛ وأغلب الظن أنه يدين لهذا الشعب بتعليمه؛ كذلك من المحتمل أنه من القراخطاي وكان يعيش ببلاد الاونكوت.

(٢١٤) النسوي، المتن ص ٣٦، الترجمة ص ٦٢.

(٢١٥) في مجموعة شيفير (Chrestomathie Persane, T. II, P. 114) يجب قراءة «بود» بدلا من «نبود» (كما في المتن المطبوع، الجزء الأول، ص ٦٩).

(٢١٦) جويني، الجزء الثاني، ص ١٠١: قراقورم كه موضع اقامت قنقليان بود.

(٢١٧) ووفقاً لناشر «تاريخ جهانكشاي» فإن القراءة الصحيحة هي: قراقوم.

(٢١٨) في المطبوعة، الجزء الأول، ص ٦٩؛ وفي مخطوطة لنينجراد، الورقة ٣٢. كذلك لدى رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ص ٧١، الترجمة ص ٤٦).

(٢١٩) هذا يرد لدى جويني في مخطوطة خانيكوف وفي مجموعة شيفير (ص ١١٤).

ولكنهم لم يبدوا أية مقاومة، ونصب المغول مراقيهم وتسوروا المدينة واحتلوها، ثم أرغموا الأهالي على مغادرتها والبقاء في الحقول مدة التسعة الأيام التي جرى فيها نهب المدينة. ولم يقتل من الأهالي إلاّ أولئك الذين تعرضوا لجنتمور. وقد تم تعيين علي خواجه البخارى والياً على المدينة، واعتماداً على أسباب قوية فيما يبدو فإن دوسون يرى في هذا الشخص ذلك الرسول الذي بعث به چنكيز خان إلى محمد والذي ورد ذكره لدى النسوي (ص ٥٦٤ أعلاه). أما جوچي نفسه على ما هو معلوم فقد بقي بجند، ومن ثم زحف في العام التالي على خوارزم. وقد أُرسلت وحدة الى ينيكنت (شهركنت) احتلت المدينة فيما يبدو بلا مقاومة. ثم أُرسل قسم من الجيش إلى قراقورم (أو قراقوم) تحت قيادة الوس ايدي[٢٢٠] وحل محله كتيبة مكونة من عشرة آلاف جندي تم جمعهم من بين التركمان ثم ضمت إلى الجيش الذي أُرسل على خوارزم بقيادة تاينال نوين. وكان تاينال[٢٢١] قد قطع بضعة مراحل بطليعة جيشه حين بلغه خبر تمرد الكتيبة التركمانية وقتلها قائدها المغولي، فرجع على الفور وقتل أكثرية التركمان وهرب الباقون إلى مرو وآمل. ومن العسير قبول هذه الرواية، ذلك أن جيش جوچي لم يكن من الكثرة بحيث يمكن اقتطاع/قسم منه لم يكن ليقل وفقاً لما لدينا من معلومات عن عشرين ألفاً. وأخيراً فإن الزحف بقوة محدودة كهذه على خوارزم مركز قوة البيت المالك أمر لا يقبله العقل البتة. ومهما يكن الأمر فإن الجيش لم يواصل سيره وظلت وحدات جوچي حتى نهاية العام قابعة على المجرى الأسفل لسيردريا في موقف دفاع، بل إنه حتى تلك المدن التي فتحها المغول لم تدم طويلاً في أيديهم على ما سنرى. 484

(٢٢٠) وقول البروفسور برزين إن «أُلوس ايدي إنما المقصود به الأيدي قوت وايغوره» بعيد عن الصحة، ويتابعه في نفس الخطأ دوسون (Histoire des Mongols, T.I, P. 223).وقد أبصرنا قوات الاويغور تشارك في حصار اترار. كما أن المتون تشير بوضوح الى أن أُلوس ايدي إنما هو اسم القائد المغولي. وأغلب الظن ان الاسم انما يراد به جدا نوين قائد ألف في الجناح الأيمن (رشيد الدين، طبعة برزين (المتن، القسم السابع، ص ٢٥٣)؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٩٠ - ١٩١؛ القسم الخامس عشر (المتن ص ١٩٩ - ٢٠٠)؛ الترجمة ص ١٣٤ - ١٣٥)؛ كذلك نلتقي باسمه في ترجمة برزين في صورة جدي وجده (برزين، الترجمة، القسم الخامس، ص ٧٦، ٨٧، ١٥٧)؛ وفي المتن جدي. وفي اليوان شا أو بى شي في صورة جدَي Jeday (التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ٦٠، ٦٢، (طبعة كوزين، ص ١٠٩ في صورة: جتَيْ Jetay)

(٢٢١) هذه القراءة يقبلها الى جانب برزين (رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر (المتن، ص ٧٢: تاينال نويان)؛ الترجمة، ص ٤٦) أيضاً دوسون؛ كذلك أيضاً طبعة جويني (الجزء الأول، ص ٧٠: تاينال) ولكن في مجموعة شيفير ومخطوطة لنينجراد: باينال.

أما الكتيبة التي أُرسلت على بناكث(٢٢٢) والتي كانت تضم في مجموعها خمسة آلاف فقد كانت تحت قيادة الاق نوين من قبيلة البارين، وكان هو وأخوه دائماً في معية چنكيز خان(٢٢٣). وأما القائدان الآخران للقوة فكانا سكتو چربي Suketu–Cerbi، من قبيلة كنغ ختن Kong–Khotan(٢٢٤) وهو قائد ألف بالجناح الأيمن، وتغاي؛ هذا وقد قاومت الحامية التركية لبناكث تحت قيادة ايلَتْكو(٢٢٥) ملك مدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع استسلمت المدينة. وقد ذبح المغول الحامية وساقوا من بين الأهالي أصحاب الصناعات والحرف ومجموعة من الشبان للعمل في الحصار. من هذا يتبين أن المغول لم يجدوا من المقاومة عند بناكث أكثر مما وجدوا في المدن الأخرى، ورغماً من هذا فإن بناكث ظلت وحدها من بين جميع مدن ما وراء النهر التي قيل في حقها إنها ظلت خراباً من عهد چنكيز خان إلى عهد تيمور(٢٢٦). ويغلب على الظن أن المدينة قد خُربت خلال الإضطرابات اني وقعت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، ولكن الرواية الشعبية نسبت تخريبها خطأ إلى چنكيز خان.

ومن بناكث تقدمت القوة وفقاً لجويني إلى خجند، غير أن جويني نفسه يذكر في موضع آخر من مصنفه أن آلاق نوين(٢٢٧) كان أحد القائدين اللذين بعث بهما چنكيز خان على رأس كتيبة من الجيش إلى وخش وطالقان. لذا وجب رجحان أن تكون القوة المؤلفة من خمسة آلاف قد رجعت عقب الاستيلاء على بناكث إلى چنكيز خان الذي كان

---

(٢٢٢) عن نشاطاته أنظر جويني، الجزء الأول، ص ٧٠؛ ودوسون Histoire des Mongols, T. I, P. 224

(٢٢٣) راجع عنه رشيد الدين (طبعة برزين، (المتن، القسم السابع، ص ٢٦١)؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٩٦).

(٢٢٤) شرحه، المتن، القسم السابع، ص ٢١٥؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٦٠؛ القسم الخامس عشر (المتن، ص ٢٠٠)؛ الترجمة، ص ١٣٥.

(٢٢٥) قراءات مخطوطات جويني: ابلبكو، منقوطة في طبعة قزويني (الجزء الأول، ص ٧٠) ومجموعة شيفير في صورة: ابلتكو، التي يمكن اشتقاقها من الفعل التركي. ايلتمك = يقود. أما الاسم فيرد في قراءة البروفسور برزين (رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ص ٧٣؛ الترجمة، ص ٤٧) في صورة: ايلكتو.

(٢٢٦) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الرابع، ص ٢٠٧؛ طبعة كلكتا، الجزء الثاني، ص ٦٣٦.

(٢٢٧) الجزء الأول، ص ٩٢ حيث ترد القراءة: غداق؛ اما في مجموعة شيفير (Chrestomathie Persane, T. II, P. 132) فترد أيضاً قراءة ثانية: علاق. واما لدى رشيد الدين فيرد في الحالتين القراءة: الاق (انظر طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ص ٧٣ و٨٦؛ الترجمة، ص ٤٧ و٥٧).

يحاصر سمرقند آنذاك، وأن حصار خجند قد أُسند إلى كتيبة خاصة أُرسلت إلى هذا الغرض من سمرقند. ويذكر كل من ابن الأثير(٢٢٨) وجوزجاني(٢٢٩) على وجه التحديد أن چنكيز خان أرسل كتيبة إلى فرغانة عقب سقوط سمرقند، بل إن جويني نفسه يعترف بأن القوة الرئيسية التي حاصرت خجند كانت مؤلفة من وحدات أُرسلت « من أترار، وبخارا وسمرقند وغيرها من المدن والقرى التي تم إخضاعها » وأن عددها بلغ عشرين ألفاً من المغول وخمسين ألفاً من الأسرى. ويقرب من الاحتمال أن تكون قوات چغتاي واوكداي هي التي أُرسلت إلى خجند عند رجوعها إلى چنكيز خان عقب سقوط أترار. ولا علم لنا ما إذا كان الأميران قد اشتركا في هذه الحملة. واننا بوجه عام نجهل قائد عمليات المغول العسكرية خلال حصار خجند الذي يمثل حدثاً من الأحداث الطريفة في التاريخ الحربي(٢٣٠). وقد عجز حاكم خجند المدعو تيمور ملك عن البقاء بالمدينة فتحصن بألف جندي في إحدى جزر سيردريا. وهناك ما يحمل على الإعتقاد أنها ذات الجزيرة الواقعة على مسافة فرست أسفل خجند، حيث تم العثور في الآونة الأخيرة على « عدد كبير من المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية، وعلى أوان من مختلف الأنواع وقطع من أثاث المنازل وغيرها »(٢٣١). وكانت الجزيرة على مبعدة من الشاطيء تعصمها من التعرض للقذف بالسهام أو بالحجارة. وقد قسم المغول الأسرى الى عشرات وجعلوا على رأس كل عشرتين أحد المغول، ثم سخرّوا الأسرى في حمل الحجارة من الجبال الواقعة على بعد ثلاثة فراسخ من خجند وكانت خيّالة المغول ترمي بهذه الحجارة في عرض النهر بهدف اقامة سد عليه. وكان تيمور ملك قد أمر بعمل اثني عشر زورقاً مسقوفاً ومغطى باللباد المبلل وعليها طبقة من الجص المعجون بالخل ومزودة بفتحات صغيرة، ولم تُجْد السهام أو النار أو النفط شيئاً ضد هذه الزوارق. ففي ساعات الليل أو في الصباح الباكر كان المدافعون عن الاستحكامات يتقدمون بزوارقهم الى الشط ويهاجمون المغول ويهدمون السد. وعلى أية حال فقد اضطر تيمور ملك في آخر الأمر إلى أن يهجر جزيرته، ويغلب على الظن أن مرجع ذلك هو نفاذ ذخيرته من الأغذية

485

---

(٢٢٨) ابن الأثير، الجزء الثاني، ص ٢٥٤؛ Tizengauzen, SbornikMaterialov, str. 28

(٢٢٩) ترجمة رافرتي، الجزء الثاني، ص ٩٨٠؛ (طبعة ناساو - ليس، ص ٣٤٠).

(٢٣٠) عن حصار خجند راجع جويني، الجزء الأول، ص ٧١ وما يليها؛ ودوسون Histoire des Mongols, T.I, PP. 224-226

(٢٣١) Andreev, Mestnosti Turkestana, str. 19

والأسلحة. ومدى علمنا أن المحاصرين لم يكونوا يتوقعون مدداً من جهة ما، ومن جهة أخرى فإنه لا علم لنا بالمدة التي استغرقها الحصار. ذلك أنه في إحدى الليالي وضع تيمور ملك رجاله وما تبقى من المؤن وغيرها من الأمتعة على متن سبعين قارباً تم إعدادها من قبل لمثل هذا اليوم، وأبحر في اتجاه مصب النهر على ضوء المشاعل. وقد تعقبهم عسكر المغول على الضفتين، ولكنه وهو على مثل هذه الحال فإن تيمور ملك إذا ما أخذنا بقول المؤرخ كان يقوم بهجمات على العدو ويبعدهم بسهامه الجيدة التسديد. وعلى مقربة من بناكث مدّ المغول سلسلة حديدية وسط النهر، ولكن تيمور ملك أفلح في كسرها. فلمّا بلغ نواحي بارچلغكنت وجند وجد أن ألوس ايدي قد صف قواته على جانبي النهر وبنى جسراً من القوارب ونصب المنجنيقات، غير أن تيمور ملك استطاع النزول إلى البر ولكن المغول تعقبوه/ ففقد كل أمتعته ورجاله ووصل بمفرده إلى خوارزم حيث يبدو 486 من المؤكد أنه قصّ أعماله الباهرة وعمل على تخليد ذكراها. ولم يحتج الأمر بطبيعة الحال إلاّ إلى بعض الخيال لبلوغ هذا الهدف. وواقع الأمر أن إنقاذ حياة تيمور ملك لم يكن فيه فوائد تذكر لا لخوارزم ولا للسلطان جلال الدين الذي لحق به تيمور ملك بعد ذلك بقليل وشاركه مصيره إلى لحظة وفاته. وبطولات تيمور ملك شأنها في هذا شأن بطولات جلال الدين نفسه فيما بعد كانت نماذج من البطولات الفردية لم تُجد فتيلاً. ونلتقي من بين المسلمين بأبطال يقومون في قلة من الرجال بخوارق البطولات (يجب أن نضيف هنا أن المبالغة وجدت بلا شك طريقها إليها، إمّا على لسانهم أو على لسان الغير) ولكنهم عجزوا تماماً عن القيام بتنظيم قوات كبيرة، ولذا كانوا دائماً في حالة تقهقر أمام القوات الرئيسية للتتار. أما في الجانب المغولي فلا نكاد نجد البتة أمثلة للشجاعة الفردية في القتال، إذ لم يكن القادة أكثر من منفّذين مهرة لإرادة مليكهم الذي كان يقتطع الوحدات من جيشه ويضمها من جديد وفقاً لمتطلبات الأحوال، والذي كان يتخذ إجراءاته سريعاً ليتحاشى نتائج الفشل الذي قد تتعرض له قواته في بعض الأحايين. فعساكر المغول الذين جرى تدريبهم وفقاً لنظام صارم لم يكن هدفهم التفوق على أقرانهم في ساحة الوغى بل كانت مهمتهم أن ينفذوا بدقة أوامر مليكهم أو القادة المعيَّنين من قبَله.

ولم يكن بوسع خوارزمشاه محمد أن يُبدي أية مقاومة ضد المغول، حتى من ذلك الضرب الذي تبين فيما بعد أنه لم يكن مستحيلا على جلال الدين. وقد أخذ چنكيز خان بنصيحة الخائن بدر الدين الاتراري لكي يزيد من ارتياب السلطان في قواده من أقرباء تركان خاتون فأرسل إلى السلطان سراً مكاتبات مزوّرة على أنها وجهت إلى چنكيز خان

من طرف القواد(٢٣٢). وفي خلال عمليات المغول العسكرية في ما وراء النهر احتل خوارزمشاه بقواته كالف واندخود(٢٣٣)، وكان هدفه فيما يبدو هو الحيلولة بين المغول وبين عبور نهر امودريا. وفي أثناء حصار سمرقند سيّر السلطان في إحدى المرات عشرة آلاف من الفرسان لمعاونة المحصورين، كما سيّر مرة أخرى عشرين ألفاً، على أنه لم تجرؤ أي من الفرقتين على الإقتراب من سمرقند(٢٣٤)؛ وفي الحقيقة أنه لم يكن بوسعهما أن يجديا شيئاً حتى إذا ما اقتربتا من المدينة. وعند سمرقند وزّع چنكيز خان قواته على الوجه الآتي: فبجانب الكتيبة التي أُرسلت إلى خجند وفرغانه أرسل كتيبة أخرى/بقيادة آلاق نوين 487 ويساور(٢٣٥) (من قبيلة جلاير) وهو قائد ألف من الجناح الأيسر إلى وخش وطالقان، وإلى كلاب أيضاً وفقاً لقول ابن الأثير(٢٣٦). ولا علم لنا البتة بتحركات هذه الكتيبة الاخيرة. ويحدثنا ابن الأثير أيضاً عن إرسال كتيبة إلى ترمذ، وكما سيتبين فإن هذه القلعة قد استولى عليها چنكيز خان بنفسه؛ وأخيراً فإن ثلاث تومانات (أي ثلاثين ألف مقاتل)(٢٣٧) تحت قيادة چبه وسوبوتاي وتقچار بهادور صدرت إليها الأوامر بعبور

---

(٢٣٢) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٣٧ - ٣٨، الترجمة ص ٦٤ - ٦٥؛ حمد الله قزويني، تاريخ گزيده، طبعة براون، ص ٤٩٧؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, PP. 213-215 رغماً من رأي دوسون فإنه ليس هناك ما يبرر التشكك في صحة هذه الواقعة.

(٢٣٣) النسوي، المتن ص ٤٣، الترجمة، ص ٧٣.

(٢٣٤) ابن الأثير، طبعة تورنبرج، الجزء الثاني عشر ص ٢٤١؛ Tizengauzen, Sbornik Materialov, p. 11

(٢٣٥) راجع عنه رشيد الدين (طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ٥٣؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ٤٢؛ القسم الخامس عشر، المتن، ص ٢١٠؛ الترجمة ص ١٤٠)؛ ويقرأ البروفسور برزين الاسم في صورتين: بسور وبسودر. غير أنه في رأينا هو نفس الاسم الذي حمله الأمير **الچغتائي** المشهور للقرن الرابع عشر الذي هاجر الى ايران (D'Ohsson, Histoire des Mongols, T.IV, PP. 564-568, 612-628, 643-644). ويكتب وصاف الاسم في صورة: يسور، بينما يرد في صورة: يساوور عند مكمل رشيد الدين.

(٢٣٦) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٥٤؛ Tizengauzen, Sbornik Materialov, str. 28. ويبدو ان القراءة: كلاب أو كلابه هي الأكثر احتمالا.

(٢٣٧) هذا العدد لا يقابلنا عند المؤلفين الذين عملوا تحت خدمة المغول، بل ولا لدى النسوي (المتن، ص ٤٤؛ الترجمة، ص ٧٥)؛ أما ابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ٢٤١) الذي ليس له علم بوجود فرقة تقچار فيتحدث عن عشرين ألف. وهو أيضاً العدد الذي يعطيه ورتان (K. Patkanov, Istoriya mongolv po armianskim istochnikam, I, 2)، لهذا وبالرغم من رأي راڤرتي (جوزجاني، الترجمة، الجزء الثاني، ص ٩٨٧، الحاشية ٣) فإنه لا يوجد ما يبرر اتهامه المؤرخين بأنهم قد اختزلوا =

أمودريا ومطاردة خوارزمشاه من غير أن يتعرضوا لأحد في سيرهم بقتل او نهب، بل كان عليهم أن يجدّوا في أثر السلطان وألاّ يمهلوه لحظة. وقد وصل چنكيز خان إلى هذا القرار بعد أن تلقى معلومات موثوق بها عن ضعف جيش السلطان. وقبل هذا بقليل انفصل عن جيش السلطان سبعة آلاف من القراخطاي انضموا إلى العدو، كما فعل ذلك أيضاً علاء الدين(٢٣٨) صاحب قندز. وقد جلبوا إلى چنكيز خان معلومات دقيقة عن حال جيش خصمه(٢٣٩) الذي تعرض قبل ذلك بقليل لمؤامرة ترمي إلى اغتياله بمعسكره إذا ما أخذنا برواية جويني (أنظر ص ٥٧٩). وقد قرر السلطان الأخذ بنصيحة وزير ابنه ركن الدين الذي كان آنذاك والياً بالعراق، وهي أن ينسحب الى تلك البلاد ليجمع جيشاً هناك. وإذا ما تركنا جانباً أقوال النسوي(٢٤٠) الذي بذل ما لديه من أساليب الفصاحة وتنميق الألفاظ لدحض هذا الرأي، فإن قرار السلطان كان أمراً طبيعياً للغاية. ويقول جويني(٢٤١) إن جلال الدين حاول إقناع والده بألاّ يتخذ مثل هذا القرار الذي ينطوي على الجبن، أو على الأقل أن يترك الجيش لجلال الدين وإلاّ فإن الحق سيكون في جانب الرعية في اتهامها لأسرتهم بأن اهتمامها كان منصرفاً لجمع الخراج فقط من غير أن/تُلقى بالاً للوفاء بالتزاماتها المترتبة على ذلك وهي الدفاع عن البلاد ضد الغزاة الأجانب. ومن العسير أن نصدق أن هذه الألفاظ قد صدرت بالفعل، خاصة وأنه لم يكن بوسع أحد آنذاك أن يحول بين جلال الدين وبين الذهاب إلى اقطاعه بغزنة وتنظيم المقاومة ضد المغول هناك. وإذا ما حدث أن شارك جلال الدين واخوته أباهم مصيره إلى لحظة هربه إلى جزيرته، فمن الجلي إذن أنهم وقعوا فريسة لذات الذعر الذي تملكه من المغول(٢٤٢). 488

= عدد الفرقة المغولية ليظهروا انتصارها في ضوء أسطع وان العدد ستين ألفا الذي يورده جوزجاني هو اكثر صحة من غيره.

(٢٣٨) يطلق عليه أيضا اسم علاء الملك (جويني، الجزء الثاني، ص ١٩٧، السطر ١٨؛ جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٢٣، الحاشية).

(٢٣٩) النسوي، المتن، ص ٤٣ - ٤٤؛ الترجمة، ص ٧٥.

(٢٤٠) شرحه، المتن، ص ٤٥؛ الترجمة، ص ٧٧.

(٢٤١) جويني، الجزء الثاني، ص ١٠٧، ١٢٧؛ ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، طبعة دفريمري، ص ٧٩؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, PP. 242–243

(٢٤٢) يقول جويني في موضع من كتابه (الجزء الأول، ص ١٣٥؛ شيفير، الجزء الثاني، ص ١٦٥) إن السلطان ارسل جلال الدين من نيشابور للدفاع عن بلخ، غير أن الأمير رجع الى أبيه عندما علم بعبور المغول.

وقبيل وصول القوات التي كان يقودها چبه وسوبوتاي هجر خوارزمشاه شط امودريا تاركاً وراءه وحدة فقط للمراقبة عند پنچ آب. وكانت هذه الوحدة ضئيلة العدد على ما يبدو لأن المغول عبروا امودريا بنفس السهولة التي عبروا بها سيردريا من قبل. ويصف لنا ابن الأثير(٢٤٣) طريقة عبورهم بالألفاظ الآتية: « فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار وألبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم وأمتعتهم وألقوا الخيل في الماء وأمسكوا أذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة إليهم، فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيرها فعبروا كلهم دفعة واحدة». ومن المشكوك فيه أن المغول استطاعوا تجهيز ذلك العدد الهائل من الاحواض الخشبية على شط أمودريا، ويغلب على الظن أن ابن الأثير لم يفهم ألفاظ روايته جيداً، وأن المغول لجأوا إلى الطريقة التي يستعملها الرعاة عادة في اجتيازهم الأنهار الكبيرة والتي وصفها لنا أيضاً پلانو كارپيني(٢٤٤) الذي يقول: « كان القادة من بينهم مزوّدين بجلد رقيق مستدير تحيط بحافته عرى يولج فيها حبل يُشد بصورة محكمة بحيث ينشأ جيب مستدير يلقون فيه بملابسهم وأسلحتهم وغيرها من الأمتعة حتى يمتليء تماماً ويُقفل إقفالاً محكماً، ثم يضعون وسط كل هذا أسر جتهم وأمتعتهم الثقيلة ويجلس الناس عليها. وبعد هذا يربط ذلك الشيء الشبيه بالقارب إلى ذيل فرس ويُكلف رجل بالسباحة ويجر الفرس خلفه، وكانت لديهم أحياناً مجاديف تعينهم على العبور، ثم يدفعون ببقية الخيل لتتبع ذلك الفرس. وبهذه الطريقة يعبرون المياه والأنهار الكبرى. أما الفقراء منهم فكان على كل منهم أن يحمل معه قرْبة متينة الحياكة يضع فيها كل أمتعته ثم يحكم عقدها عند الفتحة وتربط بذيل فرس، وبهذا يعبرون النهر/على النحو الذي وصفناه». ومعلوم أن هذه القرب نفسها كانت تستعمل لخزن الماء حين اجتياز الصحاري والفيافي. 489

ووفقاً لرأي جويني فإن خبر عبور المغول بلغ مسامع السلطان(٢٤٥) وهو بنيشابور التي

---

(٢٤٣) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٤١)؛ Tizengauzen, Sbornik materialov, I, 12.

(٢٤٤) طبعة بزيكوف، ص ١٧٠ - ١٧٢؛ طبعة بيزلي، ص ٨١، ١١٣، ١٥٦؛ (ترجمة مالنين، ص ٣٠؛ وهي تختلف عن الترجمة التي يوردها بارتولد - الناشرون).

(٢٤٥) عن هرب السلطان ووفاته راجع ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٤١ - ٢٤٢، ٢٤٦؛ و Tizengauzen, Sbornik materialov, I, 12-13, 17؛ وجوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٧٧ - ٢٧٩ (لا يوجد بطبعة نساو - ليس)؛ والنسوي، المتن، ص ٤٥ - ٤٨، الترجمة، ص ٧٦ - ٨٢؛ وجويني، الجزء الثاني، ص ١٠٥ - ١١٧؛ وميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، طبعة دفريمري، ص ٧٩ - ٨٥؛ و D'Ohsson, Histoire des Mongols, T.I, PP. 243-256

وصل إليها في الثاني عشر من صفر عام ٦١٧ هـ (= ١٨ ابريل ١٢٢٠)[٢٤٦]، ويقول جوزجاني إن العبور لم يتم قبل ربيع الأول، أي في شهر مايو. أما رواية جويني التي يزعم فيها أن السلطان أمضى شهراً كاملاً بالتقريب بنيشابور (من ١٨ ابريل الى ١٢ مايو) أطلق فيه العنان للمتعة والملاذ متناسياً المخاطر التي تهدده، هذه الرواية عرضة للشك الكبير. ويقول النسوى الذي سنحت له فرصة التحدث مع أحد الذين كانوا في معيّة السلطان بأن السلطان لم يمكث بنيشابور «إلاّ ساعة من نهار» للذعر الذي استولى على قلبه من المغول، ويغلب على الظن أن هذه هي الحقيقة. ويُستشف من هرب السلطان إلى نيشابور أنه كان يتوقع عبور المغول لأمودريا، وفي ظروف كهذه لم يكن من المتوقع أن يفكر في البقاء لفترات طويلة بمدن خراسان. وفي مدينة بسطام سلّم السلطان أحد وكلاء البلاط وهو تاج الدين عمر البسطامي صندوقين مملوءين بالحجارة الكريمة وأمره بحملها إلى قلعة اردهن[٢٤٧] «وهي من أحصن قلاع الأرض» (على قول النسوى)، وإلى هذه القلعة فيما بعد تم نقل رفات السلطان[٢٤٨]. غير أن السلطان لم يفلح في إنقاذ كنزه، إذ اضطرت القلعة فيما بعد إلى التسليم للمغول وحُملت الصناديق إلى چنكيز خان. وهرب خوارزم مشاه ماراً في طريقه بالري إلى قزوين حيث كان يعسكر ابنه ركن الدين غور شانچي بجيش قوامه ثلاثون ألفاً، وبهذا سنحت للسلطان الآن فرصة طيبة للقضاء على كتائب چبه وسوبوتاي المبعثرة ولكنه لم يهتبل هذه الفرصة. ثم قام السلطان بإرسال زوجته أم غياث الدين پيرشاه وبقية حرمه إلى قلعة قارون التي كان تاج الدين طغان قائداً لها، ثم بعث يطلب الأتابك نصرة الدين هزارسب[٢٤٩] صاحب لورستان للتشاور معه فيما يجب عمله. وقد أشار عليه هذا بأن ينسحب إلى موضع خصب خلف سلسلة الجبال[٢٥٠] الواقعة بين لورستان وفارس حيث يستطيع السلطان أن يجمع مائة ألف من

---

(٢٤٦) هذا التاريخ يرد مرتين لدى جويني، الجزء الأول، ص ١٣٤، السطر ٢٠، والجزء الثاني، ص ١٠٩ السطر ٢٠.

(٢٤٧) ورد خطأ في الترجمة الفرنسية للنسوي في صورة Erdelin بينما يعطينا المتن القراءة الصحيحة.

(٢٤٨) هكذا وفقاً لجويني (الجزء الثاني، ص ١١٧). وتقع القلعة على مسيرة ثلاثه أيام من الري (ياقوت، الجزء الأول، ص ٢٠٤).

(٢٤٩) قارن Lane-Poole, Mohammedan Dynasties, PP. 174-175

(٢٥٠) يرد الاسم لدى جويني (الجزء الثاني، ص ١١٣) في صورة: تنك تكو (في مخطوطة لينجراد (الورقة ١٤١) في صورة: سك بكو؛ وفي مخطوطة خانيكوف في صورة: ننك تكو)؛ ويقرأها راڤرتي: Tang-Talu (ترجمة جوزجاني، الجزء الأول، ص ٢٧٧)؛ (لا وجود لها لدى ناساو - ليس).

490 مشاة اللور والشول وأهل فارس ليرد بهم المغول./غير أن السلطان لم يستصوب هذا الرأي واعتقد بأن نصرة الدين إنما كان يستهدف مصلحته الشخصية للانتقام من غريمه أتابيك فارس، فرجع نصرة الدين إلى ولايته وبقي محمد بالعراق. وعند اقتراب المغول هرب بأهله إلى قلعة قارون ولكنه لم يمكث بها لأكثر من يوم، ثم اصطحب معه خيلاً وأدلاّء وسلك طريق بغداد. وبعد أن أفلح في أن يضل المغول الذين كانوا يقتفون أثره وصل إلى قلعة سرچاهان التي مكث بها سبعة أيام ومن هناك بلغ سواحل بحر قزوين.

هذه هي رواية جويني، وهي لا تذكر شيئاً عن ذهاب السلطان إلى همدان، حيث رآه التجار الذين أخذ عنهم ابن الأثير معلوماته. بل إن النسوى يقول إنه حدثت معركة بين السلطان والمغول ببرج دولت اباد قريبا من همدان. غير أن معرفتنا بتحركات المغول أنفسهم(٢٥١) ليست بدورها بالغة الوضوح. ووفقاً لما ورد في اليوان - شاأو - بي - شي(٢٥٢) فانهم أُمروا بأن «يتحاشوا المدن التي يسكنها المسلمون، وألاّ يمسّوا السكان المحليين لحين وصوله هو (أي چنكيز خان) لكي يتم الهجوم على المسلمين من جهتين». ويصف پلانو **كارپيني(٢٥٣) طلائع المغول (praecursores) وصفاً شبيهاً بهذا حيث يقول: «ولم يكن معهم** سوى لبادهم وخيلهم وسلاحهم. وهم لا ينهبون شيئاً في طريقهم أو يحرقون المنازل أو يقتلون الماشية بل كانوا يكتفون بجرح الناس أو قتلهم، أو في الأقل كانوا يضطرونهم إلى الهرب، إلاّ أنهم كانوا يفضلون الطريقة الأولى على الثانية». وكانت مهمة چبه وسوبوتاي إلى جانب هذا مطاردة خوارزمشاه، لهذا فإنهم وفقاً لشهادة ابن الأثير(٢٥٤) «لم يتعرضوا في سيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدّون السير في طلبه لا يمهلونه». وجوزجاني(٢٥٥) أيضاً يقول إن المغول «تنفيذاً لأمر چنكيز خان لم يُلحقوا ضرراً بأية مدينة من مدن خراسان» فيما عدا بوشنج من ولاية هرات حيث قُتل أحد قادة المغول فهدموا المدينة

---

(٢٥١) راجع عن ذلك بخلاف المراجع المذكورة أيضا ابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ٢٤٣ - ٢٤٦)؛ و Tizengauzen, I, str. 13-17؛ وجوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ٩٨٧ - ٩٩٥؛ (طبعة ناساو - ليس، ص ٣٤١ - ٣٤٢)؛ وجويني، الجزء الأول، ص ١١٢ - ١١٦، ١٣٤ - ١٣٨؛ Schefer, Chrestomathie Persane, II, 147-150, 164-168؛ ميرخواند، تاريخ چنكيز خان، طبعة جوبير، ص ١٢٤ - ١٣٤.

(٢٥٢) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤٦؛ (طبعة كوزين، ص ١٥٧).

(٢٥٣) طبعة يزيكوف، ص ١٧٠؛ طبعة بيزلي، ص ٨١؛ (ترجمة ماليين، ص ٣٠).

(٢٥٤) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٤١؛ Tizengauzen, I, 12

(٢٥٥) طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ٩٨٩ - ٩٩٢؛ (طبعة ناساو - ليس، ص ٣٤١).

وذبحوا الأهالي جميعهم. ومن ناحية أخرى يذكر جويني أن المغول نصبوا والياً على بلخ، وهدموا مدينة زاوه لأن أهلها قاوموهم وأساءوا إليهم بأن سخروا منهم، وبلغوا نيشابور في بداية ربيع الثاني (يونيو).

491 أمّا الأمر الخاص بعدم التخريب فقد خالفت عنه الفرقة الثالثة/وحدها، والتي كانت تحت قيادة تقچار. ويروي رشيد الدين[٢٥٦] ان حاكم هرات وهو ملك خان[٢٥٧] أمين الملك[٢٥٨] كان قد أعلن خضوعه لچنكيز خان قُبَيْل ذلك وتسلم منه منشوراً يطالب المغول بعدم نهب أراضيه. وقد عمل چبه وسوبوتاي بما جاء في المنشور، ولكن تقچار خرج عليه ولم يلبث أن قُتل في معركة ضد الجبليين. هذه الحالة من الخروج على الأوامر كانت مسألة لها خطورتها حتى أن ذِكْرها ورد في اليوان - شاأو - بي - شي[٢٥٩] الذي لا يقدم في العادة سوى النزر اليسير فيما يتصل بالحملة على الغرب. ووفقاً لهذه الرواية فان تقچار «انتزع القمح من سنابله» فحسب، ولم يرد ذكر لموته؛ فلما رجع إلى چنكيز خان أراد الأخير إعدامه ولكنه عفا عنه بالتالي وعنّفه وعزله من قيادة جيشه. ومن الواضح أن تخريب بوشنج الذي يحدثنا عنه جوزجاني يجب نسبته إلى تقچار. أمّا أن تقچار لم يقتل في تلك المناسبة فأمر توكده رواية النسوى[٢٦٠] بشأن تخريب مدينة نسا (التي لم يكن بمقدور تقچار بالطبع أن يبلغها إلاّ بعد فراغه من عملياته العسكرية بولاية هرات) على يد فرقة من المغول قوامها عشرة آلاف تحت قيادة تقچار نوين صهر چنكيز خان ومعاونه بوركا نوين[٢٦١]. وقُبَيْل هذا كان أهل نسا قد عمروا قلعة مدينتهم بإذن من السلطان، رغماً من أن الأخير قد أرسل من يحذر أهل نسا بقوله «إن هذا العدو ليس كسائر العساكر، والرأي تخلية البلادِ والتسحب إلى البرارى والجبال ريثما يجمعون من الغارات ما تملأ به

---

(٢٥٦) طبعة برزين، القسم الخامس عشر، (المتن، ص ١١٨ - ١١٩)؛ الترجمة، ص ٧٨.

(٢٥٧) هكذا وبهذه الصورة، أكثر مما ترد بصورة: خان ملك.

(٢٥٨) ترد في مواضع أخرى في صورة: امين ملك، امين الملك، يمين ملك، يمين الملك.

(٢٥٩) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤٦ - ١٤٧؛ (طبعة كوزين، ص ١٨٧؛ تختلف ترجمة كوزين اختلافا بيّناً عن ترجمة كفاروف - الناشرون).

(٢٦٠) النسوي، المتن، ص ٥٠ - ٥٢؛ الترجمة، ص ٨٤ - ٨٩.

(٢٦١) ترد في متن النسوي على صورة: يركا؛ ولدى جويني (الجزء الأول، ص ١٣٨) في صورة: نوركاي نوين؛ وفي Schefer, Chrestomathie persane, T.II, P. 167 في صورة: بوركا. وأصله من قبيلة جلاير (رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع عشر، ص ٥٢، ٢٧٨؛ والترجمة، القسم الخامس، ص ٤١، ٢٠٩).

أعينهم وأيديهم فيرجعون ويسلم الناس من فاجيء ركضهم ». ووفقاً لرواية جوزجاني[٢٦٢] وجويني[٢٦٣]، فإن تقجار نوين قد قُتل قرب نيشابور، ويعطي جويني تاريخ ذلك على أنه منتصف رمضان (نوفمبر). وقد خربت فرقة تقجار عقب ذلك مدينة سبزوار. ولا يرد بعد هذا ذكر لفرقة تقجار، ولكن يغلب على الظن أن التتار الذين اصطدم بهم الأمراء الخوارزميين في بداية عام ١٢٢١ إنما كانوا من تلك الفرقة. ويجعل النسوى[٢٦٤] من مدينة نسا أول موضع بخراسان يستولي عليه التتار، مما يتناقض مع رواية جويني بشأن تخريب زاوه. وعلى أية حال فإن قوات/جبه وسوبوتاي كانت من ضآلة العدد بحيث لم 492 يكن بوسعها أن تترك ولاة بمدن كبرى مثل بلخ، لأن ترك وال بلا حامية أمر لا يقبله العقل. ولعل قصة جويني عن تسلم سكان نيشابور[٢٦٥] لمنشور مدوّن بالخط الأويغوري ومهور بالختم القرمزي هي أكثر قرباً من الواقع. ففي هذا المنشور يُنصح الأهالي بعدم مقاومة المغول وبضرورة إعلان خضوعهم فور وصول جيش چنكيز خان.

وما من شك في أن محمداً عند مغادرته لنيشابور قد أفلح في إخفاء أثره. أما عن حركته صوب العراق فإنه لا الفقيه الذي تحدث معه ابن الأثير ولا المؤرخ جوزجاني يعلم عنها شيئاً. وهذا ما يفسر لنا أسباب إرسال المغول قواتهم من نواحي نيشابور إلى جميع الجهات، وذلك بلا ريب بغرض الحصول على أخبار عن الطريق التي سلكها السلطان في فراره. ووفقاً لجويني فإن فرقة سوبوتاي بعد نهبها لطوس ومدن أخرى أخذت طريقها إلى الري مارة بدامغان وسمنان، وفي الري إلتقت بفرقة چبه التي نهبت في طريقها أيضاً بعض مدن ما زندران، خاصة مدينة آمل. ويقول جويني إن أهل الري خضعوا طائعين للمغول، أما ابن الأثير فيقول إن التتار ظهروا فجأة أمام المدينة وأخذوها عنوة وساقوا النساء والأطفال أسارى. ويفسر ابن الأثير ظهورهم أمام الري بأن الإشاعات قد بلغتهم بوصول السلطان إلى الري، غير أنهم علموا وهم بالري برحيل السلطان إلى همدان فتحركوا صوبها « فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مرّوا عليها وفعلوا في الجميع أضعاف

---

(٢٦٢) طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ٩٩٢؛ طبعة نساو - ليس، ص ٣٤١).

(٢٦٣) الجزء الأول، ص ١٣٨؛ Schefer, Chrestomathie persane, T. II, P. 167؛ ميرخواند، تاريخ چنكيز خان، طبعة جوبير ١٤٣؛ الذي يزعم خطأ ان تقجار قد أرسل الى تولوي.

(٢٦٤) النسوي، المتن، ص ٥٨؛ الترجمة، ص ٩٨.

(٢٦٥) وفقاً لقول جويني (الجزء الأول، ص ١٣٦؛ شيفير، الجزء الثاني، ص ١٦٦) فإن مقدمة المغول بلغت المدينة في ١٩ ربيع الأول (٢٤ مايو)، وأن چبه نفسه وصل إليها في أول ربيع الثاني (٥ يونيو).

ما فعلوا في الري وأحرقوا ووضعوا السيف في الرجال والنساء والأطفال فلم يبقوا على شيء ». وعلى رواية ابن الأثير فإن السلطان غادر همدان قبل وصول العدو، ويقول جويني إن السلطان التقى بالمغول على الطريق الذاهب من قزوين إلى قارون ولكنهم لم يعرفوه، وقد أطلق المغول بضعة سهام على جماعته فأصابوا السلطان بجرح، ورغماً من ذلك بلغ القلعة في سلام. وقد حاصر المغول القلعة بعد أن غادرها السلطان ولكنهم ما إن علموا بأنه غير موجود بها رفعوا الحصار في الحين. وفي الطريق استطاعوا القبض على بعض أدلاّء السلطان وأسرعوا جادّين في أثره، ولكن السلطان غيّر خط سيره فجأة وبلغ قلعة سرچاهان وبذلك فقد المغول أثره فقتلوا الأدلاّء ورجعوا عن ذلك الطريق. وأخيراً كما يذكر النسوى أحاط المغول بالسلطان ومعه جيش بلغ تعداده العشرين ألفاً وذلك في سهل دولت اباد بنواحي همدان فلم يستطع الإفلات منهم إلاّ بمشقة بعد أن قُتل الجانب الأكبر من رجاله على يد المغول. هنا إذن، وفي أقصى الغرب من أملاكه جرى الإلتحام الوحيد بين السلطان والمغول. ولو أن جميع قوات چبه وسوبوتاي كانت في مواجهة السلطان، وهو أمر بعيد الإحتمال (يقرر جويني أن/فرقة چبه هي الوحيدة التي تحركت 493 على همدان)، فإنها ما كانت ستتجاوز قوات السلطان في العدد، ولكن حتى في وضع كهذا فإن السلطان لم يفكر في شيء سوى إنقاذ نفسه بالهرب.

ورغماً من أقوال ابن الأثير وجويني والنسوى فإن من العسير الشك في أن المغول فقدوا أثر السلطان تماماً بنواحي همدان، وأن السلطان لم يتعرض لاقتفاء أثره على يد المغول حتى الجزيرة التي اختتمت حياته فيها. وكانت هذه الجزيرة تقع على مقربة من الساحل حتى أن المازندرانيين كانوا كما يروي النسوى يحملون الطعام وغيره كل يوم. وما من شك في أن المغول كانوا سيجدون العدد الكافي من القوارب بمواني مازندران ليصلوا بها إلى عدوهم[٢٦٦]، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار العداء المستحكم بين خوارزم مشاه والأمراء المحليين. أما عن التتار فقد اتجهوا من همدان إلى زنجان وقزوين وقاموا بتخريبها؛ وعلى قول جويني فإنهم قد قضوا بجانب ذلك على جيش خوارزمي كان يقوده بكتكين وقچ بغا خان. وفي بداية الشتاء دخلوا آذربيجان حيث نهبوا اردبيل، ولمّا اشتدت برودة الطقس اتجهوا صوب شواطيء بحر قزوين عند مغان، وفي طريقهم إليها اصطدموا بالكرج؛ غير أنهم حال وصولهم إلى بحر قزوين لم يكن السلطان ساعتئذ في عداد الأحياء.

---

(٢٦٦) هذه النتيجة وصل إليها أيضاً ايڤانين (Ivanin, O voennom iskusstve, str. 66)

وكانت الجزيرة التي اختفى بها السلطان تقع قريباً من فرضة ابسكون التي يفصلها ثلاث مراحل عن جرجان[٢٦٧]، أي أنها لم تكن بعيدة عن مصب نهر جرجان. ولعلها هي الجزيرة المعروفة الآن باسم أشوراده. ووفقاً لأقوال من كانوا في معيّته، والذين تحدث إليهم النسوى فيما بعد، فإن السلطان عند بلوغه الجزيرة كان يقاسي من التهاب الرئة وأن حالته بلغت درجة من السوء لم يبق معها أمل في شفائه. وفي الأيام الأخيرة من حياته أغدق الرتب والاقطاع بسخاء على من أخلصوا في خدمته، ومن الواضح أن هذه المكافآت لم تكن لها أية قيمة حقيقية في ذلك الوقت، غير أننا اذا ما أخذنا بقول النسوى فإن ابنه جلال الدين قبل جميع هذه العهود فيما بعد. والتاريخ الحقيقي لوفاة السلطان لا يرد في المصادر الأولية، وكلا التاريخين الواردين لدى راڤرتي[٢٦٨] Raverty (شوال ٦١٧ هـ = ديسمبر ١٢٢٠) ومولر[٢٦٩] A. Müller (١٥ ذو القعدة ٦١٧ هـ = ١١ يناير ١٢٢١) قد استعيرا من نقول متأخرة على ما يبدو. على أن التاريخ الأول على أية حال هو اقربها إلى الواقع، لأنه في يناير من عام ١٢٢١ بدأ وفقاً لقول النسوى[٢٧٠] حصار المغول لعاصمة خوارزم. ويذكر النسوى أنه عند وفاة السلطان لم يكن هناك ما يكفي لشراء كفن له وأن أحد أتباعه كفّنه بقميصه.

494

هكذا كانت خاتمة ذلك الملك الذي وحّد تحت سلطانه معظم البلاد التي دخلت فيما مضى في امبراطورية السلاجقة. غير أن دوره في مواجهة المغول كان من الضعف والتخاذل بحيث أن المغول أنفسهم نسوه تماماً، بل إن الرواية المغولية للقرن الثالث عشر لا تذكر اسمه البتة انما تتحدث فقط عن جلال الدين، مازجة الشخصين في شخص واحد كما يتضح من متابعة أعمال چبه وسوبوتاي وتقچار[٢٧١]. كما أن ابن بطّوطه[٢٧٢] الذي يقص علينا بلا شك أخبار الغزو المغولي مما سمعه بأذنه في آسيا الوسطى يذكر اسم جلال الدين وحده ويُرجع إلى أيام حكمه أحداثاً وقعت في عهد أبيه. ولعل من العسير أن يُلام

---

(٢٦٧) ياقوت، معجم البلدان، الجزء الأول، ص ٥٥ - ٥٦. راجع عن ابسكون أيضاً الاصطخري (ص ٢١٤) وابن حوقل (ص ٢٧٣).

(٢٦٨) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٧٨، الحاشية.

(٢٦٩) Müller, Der Islam, Bd II, S. 213: يرد التاريخ لدى دولتشاه (طبعة براون، ص ١٣٦، ١٨) على أنه ٢٢ من ذي الحجة عام ٦١٧ هـ (١٧ فبراير ١٢٢١).

(٢٧٠) النسوي، المتن، ص ٩٢؛ الترجمة، ص ١٥٣.

(٢٧١) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤٦؛ (ترجمة كوزين، ص ١٨٧).

(٢٧٢) ابن بطوطة، الجزء الثالث، ص ٢٣.

خوارزمشاه على هربه أمام عدو لم يكن في مقدوره كحاكم أن يفعل ضده شيئاً ولم يكن في طوقه أن يقاومه إلاّ كمغامر، غير أنه كان واضحاً أن طبيعته لم تكن لتؤهله للقيام بمثل هذا الدور الأخير، وهو دور وافق إلى حد كبير طباع ابنه جلال الدين.

لقد كان في مقدور چنكيز خان منذ ربيع عام ١٢٢٠ أن يعتبر بلاد ما وراء النهر قسماً من أملاكه، بل إنه اتخذ الاجراءات اللازمة لاعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه، فأرسل من سمرقند نوشا بسقاق والياً مغولياً على بخارا واهتم شخصياً بإدارة المنطقة[٢٧٣]؛ وقد أمضى چنكيز خان الصيف بنواحي نسف تاركا لخيله الفرصة للاستجمام، وأصبحت نسف ونواحيها فيما بعد المصيف المفضل لقادة المغول. ومن المعلوم أن أحد خانات بيت چغتاي قد ابتنى لنفسه ها هنا قصراً أخذت عنه المدينة اسمها الحالي قرشي[٢٧٤]. بل إن بابر نفسه عندما وصف قرشي قال إنه وإن كانت المقاطعة غير وفيرة المياه إلاّ أن الربيع بها بديع للغاية[٢٧٥]. وليس هناك أدنى شك في أن كش ونواحيها كانت إلى ما قبل الغزو المغولي في حالة من التدهور لأسباب لا نعلمها، بينما أخذت نسف مكانها في الازدهار. وهذا يفسر لنا السبب الذي جعل جغرافي القرن العاشر يعدّون خزار (كزار)، بل وناحية ما يرغ الواقعة على الطريق بين بخارا ونسف، على أنها من مقاطعة كش وذلك خلافاً لما ذهب اليه السمعاني الذي يعد من مقاطعة نسف لا هذه المواضع فحسب بل ويضم اليها أيضاً قرية تقع على الطريق بين سمرقند وكش[٢٧٦].

495 وفي الخريف تقدم چنكيز خان صوب ترمذ، وكان الدفاع عن المدينة قد أُسند إلى كتيبة من أهل سجستان يدعى قائدها وفقاً لقول النسوى[٢٧٧] بفخر الدين حبش عنان النسوى، ولكن جوزجاني[٢٧٨] يدعوه بزنكي بن أبي حفص، إلاّ أنه لم يرد ذكر لعدد

---

(٢٧٣) Schefer, Chrestomathie persane, T. II, PP. 125–126 (جويني)،وفي النسخة المطبوعة لمصنف جويني (الجزء الأول، ص ٨٣ وما يليها) اتخذ الناشر القراءة: توشا.

(٢٧٤) راجع ما مر من الكتاب، ص ٢٣٩ – ٢٤٠

(٢٧٥) بابرنامه، طبعة الميـــكي Ilminski ص ٦٢؛ طبعة بفريدج المصورة، الورقة ٤٩ ب؛ الترجمة الانجليزية لبفريدج، الجزء الأول، ص ٨٤. (هذا ما ورد في الطبعة الانجليزية لكتاب بارتولد؛ أما الروسية التي صدرت عام ١٩٠٠ فيرد فيها «بل ان بابر... يقول ان المنطقة تفيض بالمياه» – الناشرون السوفيت).

(٢٧٦) راجع ما مر من الكتاب، ص ٢٣٧ – ٢٤٠.

(٢٧٧) النسوي، المتن، ص ٣٦؛ الترجمة، ص ٦٣.

(٢٧٨) طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ١٠٠٢؛ (طبعة ناساو – ليس، ص ٣٤٢)

الحامية. وقد رفض المدافعون عرضاً بالتسليم وتقاتل الجانبان بالمجانيق لبضعة أيام، وفي النهاية أفلح المغول في إسكات أسلحة العدو ثم أُقتحمت القلعة عنوة بعد حصار دام أحد عشر يوما وهدمت المدينة وقتل سكانها جميعهم(٢٧٩).

أما شتاء ١٢٢٠-١٢٢١ فقد أمضاه چنكيز خان على ضفاف امودريا، وكغيره من شطئان الانهار الكبرى فإن هذا الموضع كان دائماً في نظر الرحّل مكاناً مناسباً لقضاء فصل الشتاء، وقد قامت في هذا الموضع فيما بعد إحدى قصبات دولة چغتاي وهي بلدة سالي سراي(٢٨٠). وخلال الشتاء والربيع الذي أعقبه جرت أحداث غيّرت مجرى الأحوال فترة قصيرة لصالح المسلمين، فالأعمال العسكرية التي جرت حتى تلك اللحظة كان مسرحها ولايات ضمت إلى مملكة خوارزم في عهدي تكش ومحمد فقط، بينما لم تمس خوارزم نفسها البتة. وقد رأينا أن هذه الولاية كانت تحكمها تركان خاتون والدة خوارزم مشاه التي كانت على رأس الحزب العسكري. وقد كان سلوك أنصارها في الولايات المفتوحة أحد الأسباب الرئيسية لانهيار مملكة خوارزم مشاه ولكن نظراً لأن الرعاة وجدوا لأنفسهم أراض واسعة بتلك الولايات فإن خوارزم نفسها لم تقاس شيئاً على أيديهم، بل العكس من هذا هو الصحيح ذلك أن هذه الولاية التي لم تشهد غزواً أجنبياً منذ عام ١٢٠٤ ووجدت طريقها إليها ثروات البلاد المفتوحة لا ريب في أنها قد بلغت درجة عالية من الرخاء. ومن السهل معرفة هذا من أقوال ياقوت الذي زار خوارزم وعاصمتها في عام ١٢١٩(٢٨١). وقد انعكست درجة الرخاء المادي فيما بلغته بها الحياة الفكرية من مستوى رفيع. ومن المتفق عليه أن القرنين الثاني والثالث عشر لم يكونا عصر تقدم للعالم الاسلامي كالقرون السابقة عليها، غير أن الغيرة على حفظ كنوز العلوم والمعارف المتوارثة عن الأجيال السابقة كانت لا تزال مشتعلة في النفوس. فقد تم في هذا العصر وضع مؤلفات نقلية هامة في جميع فروع العلوم، كما أقيمت أيضا خزانات للكتب حافلة بشتى ضروب المصنفات. وفي بداية حكم أسرة خوارز مشاه عاش بخوارزم حتى عام

---

(٢٧٩) عن استيلاء المغول على ترمذ انظر طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٠٤ - ١٠٠٥؛ (طبعة ناساو - ليس، ص ٣٤٣ - ٣٤٤)؛ وجويني، الجزء الاول، ص ١٠٢؛ Schefer, Chrestomathie, persane, T.II, P. 140

(٢٨٠) شرف الدين يزدي، الترجمة الفرنسية بقلم پتي دي لا كروا، الجزء الأول، ص ٢١؛ قارن طبعة كلكتا، الجزء الأول، ص ٣٨ حيث ترد القراءة: شالي سراي.

(٢٨١) راجع ما مر من الكتاب، ص ٢٥٤

٥١٠ هـ = ١١١٦ الشهر ستاني صاحب المصنف المشهور في الملل والنحل، ويقدم لنا أحد المؤرخين المحليين تفاصيل شيقة عن حياته النشطة؛ وهذه الرواية التي حفظها لنا ياقوت[٢٨٢]/تقف شاهدا على أن أهل الورع بخوارزم لم يغفروا للعلامة الشهير ميله إلى الفلسفة، وان كان لم تحل بينه وبين ذلك موانع خارجية. ووفقاً لهذه الرواية فإن الشهر ستاني «كان عالماً حسن الخط واللفظ، لطيف المحاورة خفيف المحاضرة طيب المعاشرة، تفقه بنيسابور على أحمد الخوافي وأبي نصر القشيري وقرأ الأصول على أبي القاسم الأنصاري وسمع الحديث على أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد المديني وغيره، ولولا تخبطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام. وكثيراً ما كنا نعجب من وفور فضله وكمال عقله كيف مال إلى شيء لا أصل له، واختار أمراً لا دليل عليه لا معقولاً ولا منقولاً، ونعوذ بالله من الخذلان والحرمان عن نور الايمان وليس ذلك إلاّ لإعراضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة. وقد كان بيننا محاورات ومفاوضات فكان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذبّ عنهم، وقد حضرت عدة مجالس من وعظه فلم يكن فيها لفظ الله ولا قال رسول الله صلعم ولا جواب عن المسائل الشرعية، والله أعلم بحاله».

وقرب نهاية حكم الأسرة عاش ببلاط خوارزم فيلسوف آخر مشهور هو فخر الدين الرازي، صاحب عدد من المؤلفات النقلية الجامعة في مختلف فنون العلوم. أما عن خزانات الكتب بالولايات الشرقية فمن الممكن أن نضيف إلى شهادة ياقوت المشهورة عن خزانات كتب مرو[٢٨٣] كلام ابن الأثير[٢٨٤] عن الشاعر فخر الدين مباركشاه بن الحسن مرورودي الذي عاش ببلاط غياث الدين الغوري وتوفي عام ١٢٠٦[٢٨٥]، فقد أبتنى

(٢٨٢) ياقوت، معجم البلدان، الجزء الثالث، ص ٣٤٣. ونفس المؤرخ المحلي هذا يرد ذكره في مصنف ياقوت الآخر، ارشاد الأريب (طبعة مرجليوث)، الجزء الثالث، ص ٢١٢؛ والجزء الخامس، ص ٤١٢.

(٢٨٣) [يشير الى رسالة ياقوت المشهورة الى الوزير القفطي: «وكان المقام بمرو الشاهجان، المفسر عندهم بنفس السلطان، فوجد بها من كتب العلوم والآداب، وصحائف أولي الفهم والألباب، ما شغله عن الأهل والوطن، وأذهله عن كل خل صفي وسكن، فظفر منها بضالته المنشودة، وبغية نفسه المفقودة فأقبل عليها إقبال النهم الحريص، وقابلها بمقام لا يزمع عنها محيص، فجعل يرتع في حدائقها، ويتمتع بحسن خلقها وخلائقها، ويسرح طرفه في طرفها، ويتلذذ ببسوطها ونتفها، واعتقد المقام بذاك الجناب، الى ان يجاور التراب.... الى ان حدث بخراسان ما حدث من الخراب، والويل المبير والتباب» (ابن خلكان، الجزء الخامس، ص ١٨٤، طبعة محمد محي الدين عبد الحميد؛ راجع أيضاً انباء الرواة للقفطي) - المترجم].

(٢٨٤) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٢٨٥) عن شخصه وآرائه وحياته بخوارزم راجع مقال غولدزهر في مجلة Der Islam, III, 213؛ وأيضاً Sir E.D. Ross في Ajab-namah, p. 393 (حيث ترد الاشارة الى المراجع).

هذا الرجل داراً للضيافة فيها كتب وشطرنج فكان العلماء (الذين يزورون الدار) يمضون وقتهم في مطالعة الكتب بينما يلعب الجهال بالشطرنج، وبهذا فإن العلماء وجدوا حاجتهم من الغذاء الفكري حتى بمنازل الضيافة. وبگرگانج ابتنى الوكيل شهاب الدين خيوقي، وكان متفقهاً في جميع فروع العلوم ويدرّس في خمس مدارس، ابتنى دار كتب بجامع الشافعية «لم يرُ قبلها ولا بعدها مثلها» على حد قول النسوى[٢٨٦]. ولما تواترت أخبار الغزو المغولي وعزم شهاب الدين على مغادرة خوارزم شق عليه ترك كتبه فاستصحب نفائسها. وبعد موته (وقد قتل بنسا عند استيلاء تقچار عليها) وقعت كتبه في أيدي العوام والسفلة، وقد بذل النسوى جهداً محموداً في تتبعها وجمعها فظفر بأنفسها، ولكنه بعد أعوام من ذلك اضطر إلى مغادرة مسقط رأسه إلى غير عودة/فترك جميع ما كان يملكه من طارف وتليد بقصر أهله[٢٨٧]. وهو يقول في هذا الصدد: «لم أتحسر مما خلفت بها إلاّ على الكتب»[٢٨٨]. ويغلب على الظن أن كتب النسوي قد لقيت مصير ممتلكاته الأخرى التي نهبت عند استيلاء غياث الدين پيرشاه على نسا لمّا رفض الحاكم المحلي أن يعترف به سلطانا[٢٨٩]. 497

ولمّا كانت تركان خاتون حاكمة على ولاية غنية وكانت تتمتع بولاء القوات التركية لها فقد كان بمقدورها أن تسبب خسائر جمّة لجيش چنكيز خان، أو في الأقل لقوات جوچي. وقد أدرك چنكيز خان هذا تماماً، لذا فقد بعث من بخارا أو من سمرقند رسولاً إلى الملكة في شخص دانشمند حاجب يقول لها إن الخان إنّما جاء لمقاتلة ابنها وحده الذي أساء إليها هي أيضاً، وأنه لن يتعرض إلى ما تحت يدها من البلاد[٢٩٠]؛ وكان طبيعياً أن يحنث بهذا العهد فيما بعد. غير أن الملكة كانت قد طعنت في السن فلم تُظْهر تلك الحيوية التي أبدتها خلال غزو عام ١٢٠٤. وحال وصول دانشمند وصلت الأخبار بإجفال

---

(٢٨٦) النسوي، المتن، ص ٤٩؛ الترجمة، ص ٨٣ - ٨٤.

(٢٨٧) في المتن يرد فقط «بالقلعة» وليس «قلعة نسا» (Citadelle de Nesa) كما ورد بالترجمة الفرنسية.

(٢٨٨) ان الجملة الغريبة الواردة في الترجمة الفرنسية (De tout cela plus tard je ne pus recouvrer que mes livres) إنما مردها الى ان الناشر قرأ «اتجسر» بدلا من «اتحسر». هذا الخطأ أشار اليه من قبل البارون روزن V.R. Rozen, ZVORAO, T. VI, str. 387 كما وردت الإشارة اليه أيضاً في قائمة الأخطاء الملحقة بالترجمة.

(٢٨٩) النسوي، المتن، ص ١٠٦ - ١٠٩؛ الترجمة، ص ١٧٥ - ١٨٠.

(٢٩٠) شرحه، المتن، ص ٣٨؛ الترجمة، ص ٦٥.

السلطان من ضفاف امودريا، فقررت تركان خاتون أن تحذو حذوه[٢٩١]. وقبل رحيلها أمرت بقذف أمراء الأنحاء المختلفة الموجودين تحت التحفظ بگرگانج في مياه امودريا حتى لا يفيدوا من الظروف العسيرة التي تمر بها الأسرة الحاكمة؛ ووفقاً لأقوال النسوى فإن الملكة كانت واثقة من أن هذه الظروف العسيرة لم تكن بأكثر من سحابة صيف. وكان عدد الأمراء الذين قتلوا في هذه المناسبة نحواً من العشرين، وهلك معهم أيضاً صدر بخارا برهان الدين ومعه أخوه واثنان من أبناء أخيه. ووفقاً لرواية جويني[٢٩٢] فإن تركان خاتون كانت قبل هذا قد أمرت بأن يعدم ليلاً وبالطريقة نفسها الأمراء المحتجزون كرهائن بگرگانج. وقد التجأت الملكة في بداية الأمر إلى ولاية يازر[٢٩٣] الواقعة في الأجزاء الغربية من تركمانستان الحالية[٢٩٤]، ومنها انتقلت إلى مازندران حيث أقامت هي واتباعها بقلعتي لارجان وإلال. وهنا حاصرهم المغول، وكما هو شأن/ 498 المغول حين يحاصرون قلاعاً تقع على مرتفع من الأرض[٢٩٥] فقد أقاموا حول القلاع سياجاً من الخشب وقطعوا عن الحامية كل اتصال بالخارج. وبعد حصار دام أربعة أشهر سلّمت القلاع بسبب انقطاع الماء. ووفقاً لرأي جويني فإن هذه الظاهرة كانت أمراً نادراً للغاية في منطقة ممطرة كمازندران، ويذكر النسوى أنه لم تسقط قطرة من المطر خلال أربعة أشهر، ويزيد جويني أن ما كـان بالقلعة من ماء قد تم استهلاكه خلال فترة تتراوح بين عشرة أيام وخمسة عشر يوماً. ويؤكد كلا المؤرخين بأنه من تصاريف الأقدار أن مطراً غزيراً قد هطل فور استسلام القلعة. ومن رواية ابن الأثير[٢٩٦] يمكن أن نستخلص ان الملكة وقعت في الأسر صيف عام ١٢٢٠، أي من قبل أن يبلغ المغول مدينة الري. وفي

---

(٢٩١) عن مصير الملكة راجع النسوي، المتن، ص ٣٨ - ٤١؛ الترجمة، ص ٦٦ - ٧١؛ وجويني، الجزء الثاني، ص ١٩٨ - ٢٠٠؛ وميرخواند، خوارزم، ص ٨٤ - ٨٥؛ و D'Ohsson, Histoire des Mongols, I, 259-261

(٢٩٢) جويني، الجزء الثاني، ص ١٩٨ وما يليها.

(٢٩٣) القراءة القديمة: يازغر ترد لدى محمود الكاشغري، وأيضا لدى فخر الدين مباركشاه، انظر Ajab-namah, p. 407؛ (لدى مروروذي، ص ٤٧: يزغر (كذا!) - الناشرون).

(٢٩٤) راجع مقال تومانسكي في ZVORAO, IX, 302-303. هذه المدينة أطلق عليها بالتالي اسم درون Durun (وتقع قريبا من محطة بهاردن الحالية، على منتصف الطريق بين عشقاباد وقزيل اروات). انظر كتاب بارتولد Oroshenie Turkestana, str. 41

(٢٩٥) راجع ألفاظ حوليات نفغورود لدى كارامزين، Karamzin, Istoria gosudarstva Rossiiskogo, T. III, Prim. 367, str. 124

(٢٩٦) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٤٣؛ Tizengauzen, I, 13-14

موضع من مصنفه يُرجع جويني[٢٩٧] لحظة بداية حصار القلاع واستسلامها إلى فترة وجود السلطان بالجزيرة، غير أنه في موضع آخر[٢٩٨] يرجع بذلك إلى فترة نشاط چبه بمازندران، وهو في كلا الموضعين يجعل القوة التي حاصرت القلاع من جيش چبه ولكنه ينسبها في موضع ثالث[٢٩٩] إلى جيش سوبوتاي. ويقول النسوى إن المغول حاصروا القلاع بعد هرب السلطان إلى الجزيرة. وإزاء هذا فمن العسير الجزم هل يرجع احتلال القلاع الى فترة نشاط وحدة چبه بمازندران أم إلى لحظة بلوغ المغول سواحل بحر قزوين لتمضية الشتاء. وقصة الجفاف الذي وقع تجعل الاحتمال الأول أقرب الى الصحة. هذا وقد أُسرت بنات السلطان وأولاده الصغار مع الملكة الوالدة، ثم قتل الأولاد جميعهم إلاّ أصغرهم سناً، وحتى هذا الأخير لم يلبث أن خُنق بأمر چنكيز خان. أما الأميرات فقد وزّعهم چنكيز خان على « المزندة » (أولاد الزناء)، أو (وفقاً لقراءة أخرى أقرب الى الصحة) « المرتدة »، أي المسلمين العاملين في خدمة المغول، وكان من بين هؤلاء الحاجب دانشمند. وقد أفلتت من هذا المصير خان سلطان أرملة عثمان أمير سمرقند فقد استخلصها جوچي لنفسه. ووفقاً لرواية جويني[٣٠٠] فإن خان سلطان بالذات هي التي أُعطيت لرجل صبّاغ يقطن ايميل وأنها ظلت زوجة له إلى حين وفاتها. ومؤرخنا هذا نفسه يقول إن أميرتين أُعطيتا لچغتاي فخص نفسه بإحداهن وترك الأخرى لوزيره المسلم حبش عميد. وقد أسر مع الملكة الوالدة/وزيرها نظام الملك فقتله 499 چنكيز خان في عام ١٢٢١، أما الملكة فقد ساقها چنكيز خان فيما بعد إلى منغوليا حيث عاشت حتى عام ٦٣٠ هـ = ١٢٣٢-١٢٣٣؛ ولدى مغادرتهن أرض الوطن أُذن للملكة ولبقية النساء بالتعبير عن حزنهن بالعويل والنواح.

وعند جلاء تركان خاتون وقعت الإدارة المدنية بخوارزم[٣٠١] في يد شخص يدعى علي ولقبه « كوه دروغان »، وقد سمي بذلك « لعظم أكاذيبه، ومعناه أكاذيب الجبال »؛ وعلى عهده اختلست أموال الدولة بطريقة مخجلة. ولا علم لنا بمن كان على رأس القوات

(٢٩٧) قصة هرب السلطان لدى جويني، الجزء الثاني، ص ١١٦؛ وميرخواند، خوارزم، ص ٨٤ - ٨٥.

(٢٩٨) قصة حملات چبه وسوبوتاي لدى جويني، الجزء الأول، ص ١١٥؛ و Schefer, Chrestomathie persane, II, 149

(٢٩٩) قصة تركان خاتون لدى جويني، الجزء الثاني، ص ١٩٩؛ وأيضا دوسون.

(٣٠٠) جويني، الجزء الثاني، ص ١٢٦.

(٣٠١) عن احداث خوارزم الى رحيل امراء البيت المالك انظر النسوي، سيرة جلال الدين، المتن، ص ٥٥ - ٥٧؛ الترجمة، ص ٩٤ - ٩٦؛ وجويني، الجزء الثاني، ص ١٣١ وما يليها؛ ورشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر (المتن. ص ١٠٢ - ١٠٣)؛ الترجمة، ص ٦٧ - ٦٨.

العسكرية للبلاد والتي بلغ عددها تسعين ألفاً(٣٠٢). وفي صيف عام ١٢٢٠ وصل إلى خوارزم تيمور ملك الذي قاد الدفاع عن خجند، فلمّا وجد الجيش قائداً مقداماً مثله تقدم لمهاجمة قوات جوچي فانتزع ينيكنت من المغول وقتل الحاكم المغولي للمدينة(٣٠٣). وإذا كان تيمور ملك لم يفد من ثمار انتصاره بل آثر الرجوع إلى خوارزم، فإن هذا يشير إلى فقدان الوفاق بينه وبين القواد الأتراك. وفي الشتاء أُستعيد جانب من النظام في الخدمة المدنية برجوع اثنين من موظفي الديوان هما المشرف عماد الدين والوكيل(٣٠٤) شرف الدين اللذان أخبرا الناس بأن السلطان لا يزال على قيد الحياة وأخذا يديران الأمور باسمه. وأعقب ذلك رجوع الأمراء أبناء السلطان وهم جلال الدين واوزلاغ شاه وآق شاه(٣٠٥) الذين ظلوا مع السلطان بالجزيرة حتى لحظة وفاته، وبعد أن واروا والدهم التراب ركبوا البحر إلى منقشلاغ يصحبهم سبعون فارساً وحصلوا هناك على خيل من السكان المحليين. وبعد هذا بلغوا العاصمة بسلام وأذاعوا فيها خبر وفاة السلطان وأعلنوا بأنه قبل وفاته غيّر من وصيّته السابقة التي كان قد أوصى فيها بالعرش لأوزلاغ خان وجعل الوصاية لجلال الدين (ابنه الأكبر). ورغما من موافقة الوريث السابق نفسه فإن الأمراء الأتراك لم يوافقوا على هذا، وكان على رأس المتمردين توجي پهلوان(٣٠٦) الذي حمل لقب قتلغ/خان وكان تحت إمرته سبعة آلاف فارس، ولعله هو الحاكم السابق لجند وينيكنت. وقد تآمروا فيما بينهم ليقبضوا على جلال الدين أو يقتلوه، غير أن الأخير تم تحذيره قبل وقت كاف على يد اينانچ خان فهرب من خوارزم إلى خراسان يصحبه تيمور ملك وثلثمائة من الفرسان. وبعد ثلاثة أيام من رحيل جلال الدين هجر خوارزم

500

---

(٣٠٢) العدد لدى جويني، الجزء الثاني، ص ١٣١.

(٣٠٣) Schefer, Chrestomathie persane, T. II, P. 117 (جويني) حيث ترد القراءة المغلوطة: شهر بارخليغ كنت؛ اما في مخطوطة لنينغراد والمتن المطبوع لجويني (الجزء الأول، ص ٧٢) فترد القراءة: شهر كنت؛ وأما لدى رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ص ٧٦؛ الترجمة، ص ٤٩) فيرد: ينكي كنت.

(٣٠٤) الكلمة مطموسة لدى النسوي، غير أنه يبدو جلياً ان الإشارة الى منصب وليست الى اسم علم كما افترض المترجم.

(٣٠٥) وفقاً لجويني فإن هؤلاء الأمراء كانوا بخوارزم من قبل، وهو أمر بعيد الاحتمال بالنسبة لرواية النسوي الدقيقة والأكثر صحة.

(٣٠٦) لدى النسوي: بوحى، وهكذا أيضاً في مخطوطة خانيكوف لمصنف جويني، أما في الطبعة (الجزء الأول، ص ١٣١) فترد في صورة نوح؛ وفي مخطوطات رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ص ١٠٢؛ راجع الترجمة، ص ٦٧) ترد في صورة: بوحى.

أيضا أُوزلاغ شاه وآق شاه عندما تواترت الأخبار باقتراب التتار.

وما من شك في أن الدفاع عن كركانج(٣٠٧) يعد من الأحداث التاريخية الفريدة. فحتى ذلك الوقت وقفت المنازعات حول وراثة العرش حجر عثرة في سبيل جمع الصف وتوحيد القوى المختلفة للدفاع عن العرش نفسه، غير أن انسحاب أعضاء البيت المالك كان في حد ذاته كافياً لاستعادة الوفاق بين قواد الجيش. وقد اتخذ خمار تكين وهو أحد قواد الجيش ومن أقرباء تركان خاتون، اتخذ لنفسه لقب سلطان بموافقة الآخرين. ويذكر جويني من بين الذين أخذوا طرفاً في الدفاع عن المدينة أوغل حاجب (الذي مر ذكره في الدفاع عن بخارا)(٣٠٨) واربوقا بهلوان وعلى دروغي(٣٠٩)، أي كوه دروغان، الذي يظهر هنا كقائد من قواد الجيش (اسفهسالار). ومن أجل حصار مدينة كبرى مثل كركانج اضطر چنكيز خان إلى ارسال قوات أكبر مما أرسل على المدن الأخرى. فتقدمت نحو خوارزم من ناحية الجنوب الشرقي قوات چغتاي واوكداي يصحبها ألوف الجناح الأيمن بطريق بخارا(٣١٠)، هذا بينما تقدمت من مدينة جند قوات جوچي من ناحية الشمال الشرقي. ووفقاً لرواية النسوى فإن أول من وصل من طلائع المغول هو تاجي بك (؟)(٣١١)، وتلاه جيش اوكداي، ثم «الحرس الخاص» لچنكيز خان تحت قيادة بوغورجي نوين(٣١٢). وأخيراً وصلت قوات چغتاي التي كانت تضم تولون چربي أحد قادة

---

(٣٠٧) راجع عن هذا جويني، الجزء الأول، ص ٩٦ - ١٠١؛ (Schefer, Chrestomathie persane, T. II, PP. 136-140)؛ ورشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ص ١٠٤ - ١١٠؛ الترجمة، ص ٦٨ - ٧٣؛ وابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٥٧ - ٢٥٨؛ و Tizengauzen, T I, 32-33؛ وسيرة جلال الدين للنسوي، ص ٩٢ - ٩٤؛ والترجمة، ص ١٥٣ - ١٥٦؛ و D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, PP. 265-271

(٣٠٨) في طبعة شيفير سقط اللفظ: اغول؛ وفي طبعة جويني ترد في صورة: مغول.

(٣٠٩) قراءة خاطئة لدى البروفسور برزين؛ في النشرة المطبوعة لمصنف جويني ترد في صورة: دروغيني.

(٣١٠) هكذا لدى رشيد الدين وفي اليوان - شاأو - پى شي (التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤٧؛ (طبعة كوزين، ص ١٨٧)).

(٣١١) لدى النسوي: باجي (غير منقوطة في المخطوطة).

(٣١٢) من الجلي أنه في متن النسوي يجب قراءتها: بغرجي بدلا من: بقرحن. وفي طبعة برزين وترجمته يظهر هذا الاسم في صور مختلفة، وإن كان برزين قد فضل نفسه القراءة بوغورجي كأصحها جميعا (رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الثالث عشر، ص ٢٤٢، الحاشية). ورغماً من قول النسوي فإن الألفاظ لن يقصد بها سوى «الألف الشخصية» لقائد الجناح الأيمن (شرحه، القسم الخامس عشر، (المتن، ص ١٩٨)؛ الترجمة، ص ١٣٤)؛ وكما أبصرنا فإن «الألف الشخصية» لچنكيز خان لم تكن تشترك في المعارك إلا إذا اشترك فيها الخان نفسه.

501 الألوف المشهورين في الجناح الأيمن[٣١٣]، واستون (اسون ؟) نوين وقدن نوين ،/وهذا الأخير وهو من قبيلة سونيت كان أيضا من قادة الألوف في الجناح الأيمن وكان تحت قيادته ألف كبتؤول[٣١٤]. ويزعم النسوى أن عدد هذه القوات حتى إلى ما قبل وصول كتائب جوچي قد تجاوز المائة ألف. ويقدم جويني بعض المعلومات عن تحركات طليعة المغول، غير أنه ليس من المستطاع فهم المعطيات الطوبوغرافية الموجودة بها إلاّ اذا ظفرنا بوصف مفصل لگرگانج في القرن الثالث عشر.

وقد ظهر المغول في أعداد صغيرة أمام أبواب المدينة وشغلوا أنفسهم بسوق الماشية؛ وخُدع المدافعون بالأعداد الصغيرة للعدو فقاموا بخرجة من «باب العالم» (دروازة عالي)[٣١٥] وأخذوا في مطاردتهم. غير أن المغول استدرجوهم إلى كمين تم إعداده قرب «بستان السعادة» (باغ خرّم)[٣١٦] على مسافة فرسخ من المدينة، وهنا أحاطت بالخوارزميين قوات كبيرة من المغول وقتلت منهم ألفاً[٣١٧] قبل الزوال وطاردوا البقية إلى المدينة وانفتلوا في أثرها داخل المدينة من باب آقابيلان (؟)[٣١٨] حتى بلغوا الموضع المسمى نبوره (؟)[٣١٩] ولكنهم انسحبوا عند غروب الشمس. واستؤنفت المعركة في اليوم التالي، ورد فريدون غوري بقوة مؤلفة من خمسمائة هجوماً على الباب. وبعد ذلك وصلت جيوش چغتاي واوكداي وشرعت في التفاوض مع الأهالي للتسليم، ولكنها بدأت في الوقت ذاته الاستعداد لضرب حصار منظم حول المدينة. ولمّا لم تكن هناك حجارة بنواحي خوارزم فقد صنع المغول قذائف من أصول شجر التوت، فقطعوها قطعا مستديرة

---

(٣١٣) شرحه، المتن، القسم السابع، ص ٢١٤؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٦٠؛ القسم الخامس عشر، (المتن، ص ٢٠٠)؛ الترجمة، ص ١٣٥؛ التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٢٠؛ (طبعة كوزين، ص ١٦٤).

(٣١٤) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، (المتن، ص ٢٠٤)؛ الترجمة، ص ١٣٧.

(٣١٥) دروازة عالي (جويني، الجزء الأول، ص ٩٨).

(٣١٦) باغ خرّم (شرحه).

(٣١٧) مائة ألف لدى رشيد الدين. وهو أمر بالطبع مستحيل.

(٣١٨) (وفقا لجويني)؛ لدى شيفير: آقا بيلان؛ اقا بيلان في مخطوطة لنينجراد؛ قابلان في مخطوطة خانيكوف؛ وقابيلان في المتن المطبوع (الجزء الأول، ص ٩٩)؛ قابيلان وقانيلان في مخطوطات رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ص ١٠٦؛ (الترجمة، ص ٧٠)؛ أما البروفسور برزين فيقرأها خايلان.

(٣١٩) هكذا لدى برزين؛ اما شيفير فيوردها في صورة: اتنوره؛ وفي مخطوطات جويني: ننوره (في المتن المطبوع: تنوره، الجزء الاول، ص ٩٩)؛ في مخطوطات رشيد الدين: تنوزه.

ونقعوها في الماء حتى صارت كالحجارة ثقلاً وصلابة. وبعد وصول قوات جوچي تم إحكام الحصار حول المدينة من جميع الجهات، ثم أُجبر الأسرى على طم الخندق فقاموا بذلك (ووفقاً لرواية رشيد الدين فإن هذا العمل تطلب عشرة أيام)؛ وأعقب هذا استعمال الأسرى في نقب الأسوار. وقد أفزعت عمليات المغول السلطان خمار تكين إلى الحد الذي جعله يخرج من المدينة ويسلّم نفسه للمغول[٣٢٠]. ولم يحدّد أي من المصادر من تولى القيادة بعده[٣٢١]. وقد فعلت خيانة السلطان هذه فعلها في تكدير النفوس، غير أن 502 الدفاع عن المدينة ظل قائماً، وبالرغم من أن المغول نصبوا ألويتهم على الأسوار إلاّ أنهم اضطروا إلى القتال في كل درب وحي، فأشعلوا النيران في المنازل عن طريق القوارير المليئة بالنفط، وتعرض جزء كبير من المدينة للتدمير قبل أن يقتنع المغول أن فعل النار كان بطيئاً للغاية وأنه من الضروري تحويل مياه اموديريا عن المدينة. وبهذا الهدف أقاموا جسراً على النهر وصعد عليه ثلاثة آلاف ليشرعوا في تنفيذ تلك الخطة، ولكن الخوارزميين انقضوا عليهم وقتلوهم عن آخرهم، مما أعاد الثقة والشجاعة إلى نفوس الأهالي فاستماتوا في الدفاع عن مدينتهم وهم أمضى عزيمة من قبل. ويقول ابن الأثير إنه في الدفاع عن المدينة إلى لحظة احتلال المغول لأسوارها قد هلك من المغول أكثر مما هلك من الأهالي، وفي رأي المؤرخ أن السبب الرئيسي في فشل المغول في حصارهم هذا يرجع الى النزاع الذي نشب بين جوچي وچغتاي. ولا يرد ذكر لأسباب هذا النزاع، ولكن يتضح مما رواه النسوي أن جوچي قد جهد في إنقاذ المدينة الغنية من الدمار لأنها ستُضم فيما بعد إلى أملاكه، لهذا فقد دعا الأهالي مرات عديدة إلى التسليم، ولكي يبرهن على صدق دعواه أشار الى أن المغول تحاشوا العمل العسكري قدر المستطاع وأنهم على نقيض ما تعودوا قد أحجموا عن تخريب الرساتيق (الريف) المحيطة بالمدينة. وقد جنح المتعقلون من أهلها إلى السلم، إلاّ أن السفهاء غلبوهم على رأيهم. وقد أشار الأولون الى أن السلطان محمداً نفسه عندما كان بالجزيرة[٣٢٢] نصح الأهالي في مكاتباته إليهم بمسالمة

---

(٣٢٠) هكذا لدى جويني (الجزء الأول، ص. ١٠٠)؛ ويتبع دوسون رواية رشيد الدين التي لا تذكر شيئاً على الاطلاق حول خيانة خمار تكين وتقول إن المغول احتلوا الأسوار ونصبوا لواءهم هناك وذلك بعد هلاك ثلاثة آلف وتولى اوكداي للقيادة، وكان ذلك قبل سقوط المدينة نهائيا بسبعة أيام.

(٣٢١) يبدو من رواية جويني لحصار مرو (الجزء الأول، ص ١٢٤؛ Schefer, Chrestomathie persane, T. II, P. 157; Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 50) أنه منذ بداية ١٢٢١ هرب من خوارزم الى مرو ألفان من المقاتلين كان من بينهم اوغل حاجب.

(٣٢٢) لا ندري السبب الذي جعل المترجم الفرنسي (لكتاب النسوي) يأخذ لفظ «الجزيرة» ها هنا على أنه اسم علم.

العدو. وقد أثار تردد جوچي ثائرة چغتاي، فلمّا بلغ نبأ الخلاف بين الأمراء مسامع چنكيز خان عيّن اوكداي قائداً أعلا للجيوش الثلاثة[٣٢٣]. ومضى المغول يستولون على المدينة حيّاً فحيا وداراً فداراً حتى إذا لم يبق منها غير ثلاثة أحياء في أيدي الأهالي قر رأيهم آخر الأمر على أن يرسلوا محتسب المدينة الفقيه عالي الدين الخيّاطي الى جوچي مستشفعاً، غير أن/جوچي نفسه لم يكن بمقدوره في تلك اللحظة أن يتدخل من أجلهم. 503
وسيق الأهالي إلى الحقول، وأُمر أرباب الصناعات والحرف أن يخرجوا من بين بقية الناس ففعلوا، وظن البعض أن المغول سيسوقون الصناع إلى بلادهم بينما سيتركون بقية الناس بأوطانهم فلم ينضم هذا البعض إلى بقية زملائهم. ووفقا لرأي جويني فقد كان بكركانج أكثر من مائة ألف من أصحاب الصناعات والحرف تم ترحيلهم إلى «الأقطار الشرقية» حيث توجد الآن مواضع عديدة في تلك الأصقاع معمورة منهم[٣٢٤]. أمّا الصغار والفتيات[٣٢٥] فقد أُخذوا أسارى وعوملوا معاملة السبى، وأما بقية السكان فقد تم قتلهم. ويقال إنه وقع لكل جندي مغولي (وكان عددهم وفقاً لرأي رشيد الدين خمسين ألفاً) أن يقتل أربعة وعشرين نفسا. ويبدو واضحاً أن جويني قد سمع عن عدد أكبر من ذلك، ولكن حتى بالنسبة له بدا الأمر غير قابل للتصديق فجنح عن تدوينه. كذلك يورد رشيد الدين قصة تتصل بالشيخ نجم الدين الكبرا، فيروي أن شهرة ذلك الشيخ في ميدان الصلاح والتقوى قد بلغت مسامع چنكيز خان فأرسل اليه من يحذّره من خطر تقدم المغول نحو خوارزم وأشار عليه بأن يغادر المدينة. غير أن الشيخ رد بأنه عزم على

---

(٣٢٣) يوكد هذا القول رواية الملحمة المغولية، يوان - شاأو - پي شي (التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤٧؛ (طبعة كوزين، ص ١٨٧)).

(٣٢٤) من الممكن أن هؤلاء المهاجرين من أهل خوارزم هم أجداد الدنجان (Dungans) الحاليين، أو أن أجداد الدنجان قد اعتنقوا الاسلام تحت تأثيرهم (عن مسألة الدنجان راجع بارتولد، Bartold, Otvet G.E. Grumu-Grjimailo, str. 700-704 حيث ترد رواية رشيد الدين عن دخول الأمير اناندا Ananda وجنده بلاد التنكوت؛ راجع الآن طبعة بلوشيه، ص ٥٩٩ وما يليها). وكما هو معروف فإن الدنجان لا يزالون إلى الآن شافعية، وتشير الروايات التاريخية الى أن اتباع ذلك المذهب كانوا أكثر بخوارزم دون غيرها من الأقطار في بداية القرن الثالث عشر.

(يعلق پليو على هذا بقوله:
«Sur une de ces colonies musulmanes transplantées dans l'Est, cf. aujourd'hui JA, 1927, II, 261-278» راجع Pelliot, Notes sur le «Turkestan», P. 56)

(٣٢٥) هكذا لدى جويني (الجزء الأول، ص ١٠١: كودكان وزنان جوان)؛ أما رشيد الدين فيقول «النساء والذكور والأولاد»، مما يجعل كلامه غير مفهوم.

مشاطرة أهل بلده مصيرهم في نعيمهم وبؤسهم، وسقط صريعاً عند استيلاء المغول على المدينة. وحدوث هذه القصة بعيد الاحتمال، ذلك أنه لم يكن لدى المغول في بداية الأمر اتجاه مسبق لتعريض عاصمة خوارزم «للمذابح والنهب» ولذا فلم يكن هناك ما يدعوهم لأن ينصحوا الشيخ بمغادرة المدينة.

ووفقاً لابن الأثير فإن مصير كركانج كان أكثر تعاسة من مصير غيرها من المدن التي وقعت في قبضة المغول والتي سلم فيها عدد من الناس بأرواحهم «منهم من يختفي ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي بنفسه بين القتلى فينجو»، أمّا أهل كركانج فإن من اختفى منهم مات غرقا أو تحت الأنقاض لأن المغول فتحوا السكر الذي كان يمنع ماء جيحون عن البلد فدخل الماء المدينة وغرق البلد جميعه وتهدمت الأبنية وظل الموضع مغموراً بالماء فلم ينج من أهله أحد البتة. وجوزجاني[٣٢٦] يذكر أنه قد تبقت بالمدينة عمارتان، إحداهما «القصر/العتيق» المعروف باسم كوشك أخجك (؟) 504 والأخرى قبر السلطان تكش[٣٢٧] (ويرد في أحد المواضع خطأ أنه قبر محمد). وإزاء هذا فإنه يصبح من العسير القول بأن المغول قد أغرقوا المدينة قصداً، غير أنه لا ريب في أن ما حدث على أيديهم من تخريب وتقتيل هو السبب في تدهور حال السدود، خاصة تلك التي تحتاج منها إلى الصيانة في كل عام مثل سد العاصمة[٣٢٨]. وهذا يفسر حقيقة الفيضان الذي اجتاح بعض مدن خوارزم، ويبين السبب في تغيير امودريا لمجراه فأصبح يصب مرة أخرى ببحر قزوين[٣٢٩].

---

(٣٢٦) طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٨١ (لا وجود لها في طبعة ناساو - ليس)؛ الجزء الثاني، ص ١١٠٠؛ (طبعة ناساو - ليس، ص ٣٧٨).

(٣٢٧) وفقاً لرواية متأخرة ومجهولة الأصل (عبد الكريم بخاري، المتن، ص ٧٨ Histoire de l'Asie Centrale الترجمة، ص ١٧٧) فان قبري نجم الدين الكبرا وابن حاجب، ومنارة المسجد، وقبر ابنة محمد، والحمامات وبقايا السوق لم يمسها أذى. وضريح الشيخ نجم الدين الكبرا لا يزال قائما بين الأطلال والمدينة الحديثة وهو موضع «توقير كبير من طرف أهل خيوه» H. Lansdell, Russian Central Asia, II, 347 (راجع E.Smirnov, Dervishizm v Turkestane, Tashkent 1898, str. 18). كذلك يرد ذكره لدى ابن بطوطة (الرحلة، الجزء الثالث، ص ٦).

(٣٢٨) ياقوت، معجم البلدان، الجزء الثاني، ص ٤٨٣.

(٣٢٩) Bartold, Khafizi-Abru, str. 8-11. راجع: (دائرة المعارف الاسلامية) Barthold, Amu-Darya ورواية پلانو كارپيني (طبعة بيزلي، ٦٧، ١١٠، ١٥٢) عن خراب مدينة تدعى اورناس Ornas بواسطة الفيضانات تتعلق دون شك بمدينة كركانج (راجع الترجمة الروسية بقلم مالين، ص ٢٤ - الناشرون).

هذا وقد دام حصار كركانج مدة سبعة أشهر على قول رشيد الدين، وخمسة أشهر على ما رواه ابن الأثير. ولكن رواية النسوى أقرب إلى الحقيقة، فهو يحدد سقوط المدينة بشهر ابريل من عام ١٢٢١. ولمّا كانت خوارزم ستدخل ضمن أملاك جوچي فإن چغتاي واوكداي رجعا إلى والدهما الذي كان آنذاك يحاصر طالقان، وفي طريقهما إليه قاما بتدمير مدينة أخرى[٣٣٠].

وكان على الأمراء الخوارزميين في رحلتهم من خوارزم أن يعبروا خراسان التي كانت بها كما رأينا قوات تقچار، ولم تكن للمغول آنذاك حاميات بمدن خراسان الكبرى. ولمّا وصل إلى مسامع چنكيز خان خبر هرب الأمراء أمر المغول بوضع سرايا للمراقبة على الحدود الشمالية لخراسان. وكانت تعسكر بنواحي نسا قوة مغولية مؤلفة من سبعمائة فارس هاجمها جلال الدين بغتة بثلاثمائة فارس، وكان هجومه من العنف بالدرجة التي اضطرت 505 المغول إلى الفرار تاركين عدتهم وعتادهم في يد العدو ولم يستطع الإفلات منهم غير القليل. والنسوى[٣٣١] يعد هذا الاشتباك أول نصر للمسلمين في هذه الحرب، ذلك أنه لم يكن له علم بانتصار تيمور ملك (باحتلاله ينيكنت). وبفضل هذا النصر استطاع جلال الدين وصحبه أن يستبدلوا خيلهم المنهكة وأن يبلغوا نيشابور بسلام. أما أخواه اوزلاغ شاه وآق شاه فلم يحالفهما الحظ مثله، فبالرغم من نجاحهما في الإفلات من قوات الحدود المغولية إلاّ أن المغول لم يلبثوا أن أحاطوا بهما في داخل البلاد وقتلوهما مع جميع اتباعهما[٣٣٢]؛ غير ان جويني[٣٣٣] يذكر أن الأميرين أخذا أسيرين ثم قتلا بعد ذلك بيومين. وبالرغم من ضآلة عدد القوات العسكرية المغولية بخراسان، إلاّ أن جلال الدين لم يستطع أن يجمع جيشاً هناك. ويقول النسوى[٣٣٤] إنه أقام شهراً كاملاً بنيشابور، بينما يذكر

---

(٣٣٠) يرد اسمها في المتن المطبوع لجويني (الجزء الأول، ص ١٠١) وفي شيفير وفي مخطوطة لنينجراد في صورة: كاسف. أما في مخطوطة خانيكوف ففي صورة: كاشف. ويقترح شيفير Chrestomathie persane, II, notes, 175-176 قراءتها: كاسن،زاعماً بأن الموضع المشار اليه هو قرية كاسن من نواحي نسف (راجع ما مر من الكتاب، ص ٢٤٦). غير أنه من المستبعد أن تلك القرية الواقعة في الموضع الذي أمضى فيه چنكيز خان صيف ١٢٢٠ كان باستطاعتها في ربيع ١٢٢١ رفع رأس المقاومة ضد المغول. ومن الممكن أن المقصود هي كالف.

(٣٣١) النسوي، المتن، ص ٦٠، الترجمة، ص ١٠١.

(٣٣٢) شرحه، المتن، ص ٦٢؛ الترجمة، ص ١٠٥

(٣٣٣) جويني، الجزء الثاني، ص ١٣٣.

(٣٣٤) النسوي، المتن، ص ٦٤؛ الترجمة، ص ١٠٨.

جويني أنه لم يمكث بها لأكثر من ثلاثة أيام ثم غادرها في السادس من فبراير عام ١٢٢١. ومن نيشابور بلغ جلال الدين زوزن (على الحدود بين خراسان وقهستان على مسيرة ثلاث مراحل من قاين)، وأراد أن يتحصن بقلعتها ولكنه اضطر الى مغادرتها بسبب موقف العداء الذي وقفه منه الأهالي على ما ذكره جويني[٣٣٥]. ووفقاً لرواية النسوى فإن جلال الدين نفسه هو الذي أقلع عن الفكرة عملاً بنصيحة قائد القلعة الذي قال له إن على الملوك أن يقاتلوا في العراء لا أن يعتصموا بالقلاع، وأنه مهما بلغت القلعة من المناعة فإن التتار لن تعوزهم الحيلة للاستيلاء عليها. ومن هناك أخذ جلال الدين الطريق إلى بست[٣٣٦] مجتازاً ولاية هرات. ويقول النسوى[٣٣٧] إنه اجتمع هناك بجيش تحت قيادة أمين الملك قوامه عشرة آلاف فارس وكان يعمل بسجستان، فاستطاع جلال الدين بهذه القوة أن يلحق الهزيمة بكتيبة للمغول كانت تحاصر آنذاك قندهار، وبعد هذا بلغ غزنه قصبة اقطاعه. ولا يوجد ذكر ما لمعركة عند قندهار في أي من المصادر الأخرى (إلاّ أن يكون القصد من ذلك هو انتصار أمين الملك الذي سيرد الكلام عليه فيما بعد)، وإذا ما حدث أن توغلت قوة للمغول في ذلك الوقت صوب الجنوب فإنها بلا شك لم تكن من الخطورة بمكان، وإلاّ لوردت تفاصيل بصددها لدى جويني أو رشيد الدين.

وأخيراً اجتاز چنكيز خان بجيشه نهر اموديا في ربيع عام ١٢٢١ واحتل مدينة بلخ، ويقول ابن الأثير[٣٣٨] ان المدينة قد استسلمت طوعاً فلم يتعرض لها المغول بنهب ولا قتل. أما جويني[٣٣٩] فيذكر أن چنكيز خان قد قبل طاعة الأهالي ولكنه عاد فيما بعد فنكث عهده وأمر بقتلهم، وأن أولئك الذين نجحوا في إخفاء أنفسهم ساعة المذبحة قد تم القضاء عليهم على يد المغول عند رجوعهم قافلين إلى أوطانهم. وكانت المدينة لا تزال أطلالاً على عهد ابن بطّوطة[٣٤٠]، ولكن يمكن أن نستنبط من رواية ابن الأثير أن تخريبها قد جرى مؤخراً عقب ثورة قام بها الأهالي. وقد أُرسل تولوي إلى خراسان

506

---

(٣٣٥) جويني، الجزء الثاني، ص ١٣٤): با سلطان مناقشت نمودند.

(٣٣٦) لا يذكر جويني شيئا ما عن التحرك صوب بست؛ غير ان جوزجاني (طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٨٧؛ (لا وجود لها في طبعة نساو – ليس)) ونسوي يتحدثان عن ذلك.

(٣٣٧) نسوي، المتن، ص ٦٤ – ٦٥؛ الترجمة، ص ١٠٩ – ١١٠.

(٣٣٨) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٥٥؛ Tizengauzen; I, 28

(٣٣٩) جويني، الجزء الأول، ص ١٠٣ وما يليها؛ Schefer, Chrestomathie persane, T.II, PP. 141-142

(٣٤٠) ابن بطوطة، الجزء الثالث، ص ٥٨ – ٦٢.

وأُرسل چغتاي واوكداي إلى خوارزم، أما بقية الجيش فقد شُغل بحصار القلاع الجبلية القائمة على السفوح الشمالية لجبال پاروپاميزوس Paropamisus وهندوكوش. وقد قام چنكيز خان نفسه بمحاصرة قلعة نصرت كوه(٣٤١) بنواحي طالقان(٣٤٢)، وعسكر المغول «بتل نعمان» و«مفازة كعب»(٣٤٣) بين طالقان وبلخ. ودام الحصار وفقاً لرواية ابن الأثير مدة عشرة أشهر (كانت الستة الأولى منها قبل مجيء چنكيز خان)، ووفقاً لرشيد الدين سبعة أشهر، وفي خلال ذلك كان تولي وچغتاي واوكداي قد نجحوا في تنفيذ المهام الملقاة على عاتقهم ورجعوا إلى والدهم. وقد فشل المسلمون في الاستفادة من هذه المهلة لكي يوقعوا بجيش المغول خسائر ذات أثر. وكان أحد الأسباب الرئيسية التي وقفت حجر عثرة في طريق جلال الدين هو الخلاف الذي نشب بين الترك والغور حتى من قبل وصوله.

وكان كربر ملك نائباً لجلال الدين بغزنة(٣٤٤) ولكنه هجر الولاية التي أسندت إليه منذ عام ١٢٢٠ وذهب إلى سجستان تلبية لدعوة أمين الملك الذي كان يعمل بتلك المنطقة. وقد اغتنم فرصة غيابه هذه والي مدينة پشاور المدعو اختيار الدين محمد بن علي خرپوست ليحتل غزنه. ووفقاً لجوزجاني (الذي كانت عواطفه كلها بحكم أصله في جانب الغور) فإن خرپوست كان قد قدم الى غزنه بأمر من السلطان محمد. ومؤرخنا هذا نفسه يزعم أن خرپوست قد جمع جيشاً من مائة وثلاثين ألفاً وتجهز به لمهاجمة چنكيز خان، بينما لم يتجاوز هذا الجيش في تقدير جويني العشرين ألفاً. وقد عرض عليه أمين الملك أن

---

(٣٤١) هكذا لدى جويني، الجزء الأول، ص ١٠٤ (ترد لدى شيفير خطأ في صورة: نقره كوه)؛ ويذكرها ابن الأثير في صورة: منصور كوه، وجوزجاني في صورة: ناصر كوه.

(٣٤٢) كما بيّن راڤرتي من قبل (ترجمة جوزجاني، الجزء الثاني، ص ١٠٠٨ وما يليها، الحاشية الأولى) فإن هذه طالقان خراسان وليست طالقان طخارستان. أما فيما يتعلق بتحديد موقع نصرت كوه فلعل المقصود بذلك قلعة مدينة طالقان.

(٣٤٣) النسوي، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٠٩، (طبعة نساو - ليس، ص ٣٤٦). المصادر الأخرى التي تتحدث عن الحصار: ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ٢٥٥؛ Tizengauzen, I, 29؛ جويني، الجزء الاول، ص ١٠٤ وما يليها Schefer, Chrestomathie persane, II, P. 142؛ رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر (المتن، ص ١١٤)، الترجمة ص ٧٥ - ٧٦؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, I, 273

(٣٤٤) عن أحداث غزنة قبل وصول جلال الدين راجع نسوي، المتن ص ٧٩ - ٨٠، الترجمة ص ١٣١ - ١٣٣؛ طبقات ناصري، الترجمة، الجزء الثاني، ص ١٠١٢ - ١٠١٦ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٤٧ - ٣٤٨)؛ جويني، الجزء الثاني، ص ١٩٢ وما يليها؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, I, 297-300

507 يعقدا حلفاً على أساس اقتسام الحكم بينهما، ولكن رده كان أن الغور/والترك لا يستطيعون التعايش في سلام[٣٤٥]. ولم يُرض هذا الجواب قائد القلعة صلاح الدين محمداً النسائي، ولا رئيس الإدارة المدنية شمس الملك شهاب الدين الب سرخسي وزير جلال الدين، اللذين وصلا إلى رأي مفاده أن «الغور ينوون عصيان السلطان لأنهم لا يمنحون قريبه فرصة المشاطرة في حكومة غزنه»[٣٤٦]. ومن العسير القطع بما إذا كان هذا الرأي قد انفرد به ذلك المؤرخ، أم أن الأشخاص المار ذكرهم قد اخترعوا هذا الدافع لتبرير أفعالهم. وهو دافع غريب حقاً إذا ما وضعنا في الإعتبار روح العداء التي سادت بين السلطان وأقاربه من جهة والدته. وقد قتل صلاح الدين بخنجره خرپوست في مأدبة (وعلى قول النسوى فإنه قتله في الميدان) ووضع يده على المدينة قبل أن يسمع الغور بالخبر، وكان معسكرهم على بعد نصف فرسخ من غزنه، ولم يجرؤ الغور على محاصرة المدينة وتفرقوا عنها، وكان التنكيل جزاء من بقي منهم بالمدينة، وأعدم صلاح الدين ابن أخي خرپوست. وبعد يوم من هذا أو يومين وصل أمين الملك وتسلم مقاليد السلطة في يده، وحبس الوزير شمس الملك بالقلعة. وكان چنكيز خان آنذاك يحاصر قلعة نصرت كوه، بينما كانت قوات صغيرة من المغول تعمل في مواضع أخرى. وقد استطاع أمين الملك أن يُلحق الهزيمة بإحداها (كان عددها يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف) ويطاردها تاركاً صلاح الدين وراءه بغزنه. أما الأحداث التي تلت ذلك فإن المؤرخين يوردون بشأنها أقوالاً متضاربة للغاية، فجويني يقول إن الغور اغتنموا فرصة غياب أمين الملك ليثوروا ويقتلوا صلاح الدين، وأن السلطة انتقلت إلى أيدي أخوين هما القاضي رضي الملك وعمدة الملك وأصلهما من ترمذ، وقد نصب أولهما نفسه ملكاً. أما پشاور فقد تجمعت بها أعداد كبيرة من الخلج والتركمان من خراسان وما وراء النهر، وكان على رأسهم سيف الدين اغراق ملك؛ وفي معركة معهم هزم رضي الملك وهلك هو وأكثر جيشه. أمّا بغزنه فقد تم إعلان عمدة الملك اميراً، وقد زحف عليه أعظم ملك وهو ابن عماد الدين صاحب بلخ[٣٤٧]

---

(٣٤٥) جويني، الجزء الأول، ص ١٩٣: ما مردم غوري ايم وشماترك باهم زندگاني نتوانيم كرد.

(٣٤٦) جويني، الجزء الثاني، ص ١٩٣: غوريان عصيان سلطان در دل دارند كه يمين ملك را كه خويش سلطانست در ملك غزنه راه نمى دهند.

(٣٤٧) غير معلوم كيف نجح في تلافي المصير الذي لاقاه أبوه وأخوه عند فرار تركان خاتون من خوارزم (نسوي، المتن، ص ٣٩؛ الترجمة، ص ٦٦). ويبدو ان النسوي يخلط بينه وبين أخيه عندما يذكر في موضع من كتابه (المتن، ص ٢١؛ الترجمة، ص ٣٨) اسم «ملك أعظم حاكم ترمذ» من بين الأمراء المتحفظ عليهم بخوارزم.

الذي مر ذكره آنفا (ص ٥٠٦-٥٠٧) ومعه ملك شير حاكم كابل، فوحّدا صفوف الغور واستوليا على غزنه، وأغلق عمدة الملك على نفسه القلعة التي تم احتلالها بعد حصار دام أربعين يوما. وفي ذلك الوقت أطلق جلال الدين سراح الوزير شمس الملك من القلعة التي كان معتقلاً بها وبعث به إلى غزنه ليبشر الناس بمقدم السلطان. وبعد أسبوع من هذا وصل جلال الدين فقدم له فروض الولاء والطاعة قادة الجيش كلهم.

508

ولا يرد لعمدة الملك ذكر لدى أي من جوزجاني أو النسوى، ووفقاً لجوزجاني فإن رضي الملك بعد الهزيمة التي مني بها على يد اغراق قبض عليه أعظم ملك وقتل بعد وصول جلال الدين. أما النسوى فيقول إن رضي الملك كان يشغل فيما مضى بغزنة منصب المشرف على الديوان (أنظر أعلاه ص ٥٢٩) وقد ترك صلاح الدين في يده مقاليد الإدارة المدنية بأجمعها ولكنه لم يلبث أن أنكر عليه تصرفه في أموال الدولة ولذا فقد أغرى به رضى الملك طائفة من السجزية فقتلوه. وقد ظل رضى الملك يحكم المدينة حتى وصول جلال الدين، بل إن جلال الدين لم يقرر عزله إلاّ بعد رجوعه ظافراً إلى غزنة بعد معركة پروان فقبض عليه وطالبه برد ما بدده من أموال حتى مات تحت التعذيب. وبالنظر لاتفاق شهادتي جويني وجوزجاني فمن المرجّح ان غزنة كانت في يد أعظم الملك عند وصول جلال الدين إليها يصحبه أمين الملك وجيش قوامه ثلاثون ألفاً، كما انضم إليه بغزنة وفقاً للنسوى[٣٤٨] جيش قدره، ونفس هذا العدد بالتقريب (ستون إلى سبعين ألفاً) يقدمه لنا جويني[٣٤٩] إلاّ أنه يقرر في موضع آخر[٣٥٠] أنه كان تحت قيادة أمين الملك أربعون ألفاً إلى جانب خمسين ألفاً تحت قيادة سيف الدين اغراق[٣٥١]. وبجانب القواد الثلاثة الذين مرّ ذكرهم (أي أعظم الملك وأمين الملك وأغراق) يورد النسوى اسمين

---

(٣٤٨) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٨٠؛ الترجمة ص ١٣٤. ويقول المؤلف ان القادة الأربعة الذين كانوا بغزنة كان مع كل واحد منهم جيش من ثلاثين ألف مقاتل، وإن جيشا آخر بنفس العدد أتى مع جلال الدين وأمين الملك. وبهذا فإن القوة أجمع سيكون تعدادها مائتين وأربعين ألف مقاتل وهو أمر يكاد يكون مستحيلا.

(٣٤٩) جويني، الجزء الثاني، ص ١٩٥: قرب شصت هزار بل هفتاد هزار (هذا ما ورد في مخطوطة لنينجراد؛ ولكن ما ورد في واقع الأمر في المطبوعة هو: شست هفتاد هزار)؛ كذلك يرد العدد ستون الفا لدى ابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ٢٥٨)؛ Tizengauzen, I, 33

(٣٥٠) ابن الأثير، الجزء الثاني عشر، ص ١٣٥؛ يعطي رشيد الدين أيضاً أربعين الفا في الحالة الأولى (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ص ١١٧؛ الترجمة، ص ٧٨).

(٣٥١) يدعوه نسوي بغراق؛ وأيضاً ابن الأثير (الجزء الثاني عشر، ص ٢٥٩).

آخرين هما مظفر الملك قائد الافغان وحسن زعيم القارلوق(٣٥٢). هذا وقد تزوج جلال الدين من ابنة أمين الملك.

وبهذا الجيش الذي جمعه من شتى الأمم تقدم جلال الدين للقاء المغول، واتخذ موقعاً قرب پروان(٣٥٣). ومن هذا الموضع هزم أولاً/قوة من المغول كانت تحاصر قلعة واليان (أو ولشتان) بطخارستان(٣٥٤). وقد فقد المغول(٣٥٥) ألف قتيل فعبروا النهر (ويغلب على الظن أنه پنجشير) وخربوا الجسر فأعاقوا بذلك تقدم العدو على وجه مكّنهم من العودة بسلام إلى چنكيز خان. وأعقب هذا فوراً وصول شيكي قوتوقو نوين بجيش من المغول يقدره جويني بثلاثين ألفاً، ويقدره جوزجاني(٣٥٦) بخمسة وأربعين ألفا. وتقدم جلال الدين للقاء العدو فاشتبك الطرفان في معركة على بعد فرسخ من پروان، وقد جعل جلال الدين على ميمنته أمين الملك وعلى ميسرته اغراق وقاد القلب بنفسه. وقاتل المسلمون على أقدامهم وهم ممسكون بأعنّة خيلهم في أيديهم(٣٥٧)، ودامت المعركة يومين ووفقاً لرواية جويني فإن

509

(٣٥٢) يرد ذكره مرة أخرى في تاريخ فترة حكم اوكداي (طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١١٩)؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٨٨)).

(٣٥٣) استناداً على ألفاظ جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٤٢؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٥٥: در حدود باميان وغزنين - الناشرون)) الذي يجعل پروان بين غزنه وباميان، وأيضا على اعتبارات أخرى يدلل راڤرتي بالكثير من الصحة على أن پروان هذه ليس المقصود بها پروان المعروفة والتي توجد في وادي پنجشير (راجع ما مر من الكتاب، ص ١٤٩) بل موضعاً آخر ليس ببعيد من منابع نهر لگر (Lugar) أحد روافد نهر كابل.

(٣٥٤) راجع عن هذه المعركة جويني، الجزء الثاني، ص ١٣٦ وما يليها؛ ورشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ص ١٢١، الترجمة ص ٨٠؛ جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠١٦ (في طبعة نساو - ليس، ص ٣٤٨: حصار زاولستان (أي قلعة زاولستان) - الناشرون).

(٣٥٥) يرد اسما قائدي القوات المغولية في المخطوطات والطبعات على الصور الآتية: لدى جويني، مخطوطة لينجراد، الورقة ١٥٠: كمجك وبلغور؛ وفي مخطوطة خانيكوف: بكجك وملغور؛ وفي المطبوعة (الجزء الثاني، ص ١٣٦): تكجك وملغور؛ وفي جويني، الورقة ١٧٣: بكاجك؛ وفي المطبوعة (الجزء الثاني، ص ١٩٧): تكاجك؛ وفي Schefer, Chrestomathie persane, T. II, PP. 142-143 تكجك؛ في المطبوعة (الجزء الأول، ص ١٠٥: تكجوك (وهذا ما ورد أيضاً في الطبعة الانجليزية لهذا الكتاب عام ١٩٢٨ - الناشرون). ويقرأ البروفسور برزين الاسمين: مكاجك وملغار (عن مخطوطات رشيد الدين، انظر القسم الخامس عشر، المتن، ص ١٢١).

(٣٥٦) طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٠٦ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٤٤).

(٣٥٧) هكذا وفقاً لرواية جويني (الجزء الثاني، ص ١٣٧: فرمود تا تمامت لشكر پياده شدند واسپان دردست (في المطبوعة: بر دست) گرفتند وتن بر مرگ نهادند. وبحسب رواية رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن، ص ١٢٢؛ الترجمة، ص ٨٠) فقد ربطوا أعنة الخيل بأحزمتهم؛ أنظر أيضاً ميرخواند (خوارزم، ص ٩٦).

شيكي قوتوقو نوين أمر عسكره ليلاً بتجهيز تماثيل مصنوعة من اللباد على هيئة فرسان حتى يظن العدو أن مدداً قد وصل إلى المغول. وقد نجحت هذه الخدعة في بداية الأمر ولكن جلال الدين أفلح في شحذ همة جنده. ولمّا ظهر الاعياء على المغول أمر جلال الدين جنده بامتطاء صهوات خيلهم وحمل على العدو بكافة جيشه فكسرهم، ولم يرجع شيكي قوتوقو إلى چنكيز خان إلاّ بنفر يسير[٣٥٨].

وكانت المعركة قرب پروان أكبر انتكاسة لحقت بالمغول في هذه الحرب. وكانت 510 نتيجتها المباشرة أن رفع المغول بعض الوقت/حصارهم لقلعة ولخ التي كانت قد أحدقت بها فرقتان إحداهما من القارلوق وقوامها ستة آلاف بقيادة ارسلان خان والأخرى من المغول بقيادة تولون چربي[٣٥٩] (الذي يبدو واضحاً أنه قد رجع من خوارزم). وبجانب هذا فقد ثار سكان بعض المدن التي احتلها المغول وقتلوا ولاتها المغول، ولم يفد المسلمون من ثمرة انتصارهم أكثر من أن صبّوا جام غضبهم على الأسرى المغول؛ ويحكي النسوى[٣٦٠] في حماس قائلاً: «كان الفراشون يحضرون الأسارى الذين يأسرونهم إلى بين يديه فيدقون الأوتاد في آذانهم تشفياً منهم، وجلال الدين يتفرج ووجهه بالبشاشة يتبلج. فقد عذبوهم في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى». ثم اختلف قادة جيشه بسبب الغنائم، وأثارت هذه المشاحنات النعرة العصبية في نفوس جنده وعجز جلال الدين عن معالجة الوضع ففارق سيف الدين أغراق وأعظم الملك ومظفر الملك مليكهم الذي لم يبق معه سوى أمين الملك وأتراكه[٣٦١].

وإذا ما أخذنا بقول رشيد الدين[٣٦٢] فإن چنكيز خان لم يكشف عن كدره لمّا بلغه نبأ الهزيمة بل ظل محتفظاً بكامل هدوئه، واكتفى بأن قال إن «شيكي قوتوقو قد ألف دائماً أن يكون هو المنتصر وأنه لم يحدث أن ذاق من قبل طعم الهزيمة، أمّا الآن وقد خبر ذلك فسيكون أكثر حذراً». وكانت طالقان قد وقعت في تلك اللحظة في أيدي المغول،

---

(٣٥٨) هكذا لدى جويني (الجزء الثاني، ص ١٣٨)؛ قارن رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر (المتن، ص ١٢١ - ١٢٢)؛ الترجمة، ص ٨٠ - ٨١.

(٣٥٩) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٠٤؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٤٣).

(٣٦٠) سيرة جلال الدين، المتن ص ٨١؛ الترجمة، ص ١٣٥. يقف شاهداً على مبالغة المسلمين في تضخيم نصرهم أن النسوي يقول ان تولوي قتل في المعركة.

(٣٦١) راجع عن هذا جويني، الجزء الثاني ص ١٣٩ وص ١٩٦؛ والنسوي، المتن ص ٨١ - ٨٢، الترجمة ص ١٣٦ - ١٣٧؛ و D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, P. 303

(٣٦٢) طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ١٢٣، الترجمة ٨١.

وبذا كان بمقدور چنكيز خان أن يزحف الآن ضد عدوه بكامل قواته. غير أن جلال الدين بعد أن فارقه قواده لم يكن بمقدوره أن يدخل في معركة مفتوحة مع العدو، ولكن من الجائز أنه كان في وضع يسمح له بإعاقة تحركاته خلال شعاب هندوكوش. ولا ندري لِمَ لَمْ يفعل ذلك، ولماذا قنع بالانسحاب أمام المغول إلى ضفاف السند. وفيما يتصل بتحركات المغول، فإن مادة المصادر الأولى لا تتسم بالوضوح التام. وجويني في روايته للغزو المغولي(٣٦٣) يقول إن چنكيز خان بلغه خبر هزيمة المغول وهو بواليان عقب استيلائه على طالقان فبدأ زحفه في الحال فبلغ باميان عن طريق كرزوان(٣٦٤)، وقد أمضى بهذه الأخيرة شهراً كاملاً بسبب مقاومة/الأهالي. وفي حصار باميان قتل موتكن بن چغتاي، 511 وكان أحب أحفاد چنكيز خان إليه، لذا فقد أصدر أمره بالقضاء على كل أثر للحياة بالمدينة بعد الاستيلاء عليها، فأخذت المدينة اسم موباليـق («المدينة التعسة»). وفي الفصل الذي تلا هذا من مصنفه يجعل جويني(٣٦٥) چنكيز خان يتقدم رأساً إلى غزنة عقب هزيمة قواده وبدرجة من السرعة «أعجلت جنده عن طهي طعامهم». وفي الفصل الذي عقده لجلال الدين لم يورد أية اشارة للزحف على باميان، ولم يفعل ذلك حتى في الفصل الذي عقده عن أمين الملك واغراق حيث يضيف أقوالاً لا وجود لها في المواضع الأخرى من مصنفه، ومفادها هو أن قسماً من جيش شيكي قوتوقو يتراوح بين العشرة والاثني عشر ألفاً قد انتهب غزنه التي لم يكن بها جيش ما آنذاك، فأحرقوا المسجد الجامع وقتلوا اعداداً كبيرة من السكان(٣٦٦) وذلك قبل صدامهم مع جلال الدين. ويجعل رشيد الدين(٣٦٧) چنكيز خان بعد الاستيلاء على طالقان، التي امتد حصارها لسبعة أشهر، يتوجه إلى باميان، وعقب تدميره لهذه المدينة عاد على أعقابه و«أمضى الصيف بتلال طالقان» ومعه أبناؤه. ولم يتحرك صوب غزنة إلاّ في الخريف «بعد أن استجم

---

(٣٦٣) جويني، الجزء الأول، ص ١٠٤ وما يليها؛ Schefer, Chrestomathie persane, II, P. 142–143

(٣٦٤) لدى شيفير وفي مخطوطة لنينجراد (الورقة ٤٦) في صورة: كروران؛ وفي مخطوطة خانيكوف: كردوان؛ وفي المطبوعة (الجزء الأول، ص ١٠٥): كرزوان. والموضع في أغلب الاحتمال هو قلعة رنگ بگرزوان (گزروان) التي كان قائدها الوغ خان (طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٠٣ (طبعة نساو – ليس، ص ٣٤٣)).

(٣٦٥) الجزء الأول، ص ١٠٦.

(٣٦٦) جويني، الجزء الثاني، ص ١٩٦؛ قارن جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٢١ (طبعة نساو – ليس، ص ٣٤٨ – ٣٤٩).

(٣٦٧) طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ص ١١٥ – ١١٧ وص ١٢٤ – ١٢٥؛ الترجمة ص ٧٦ – ٧٧ وص ٨٢ – ٨٣.

الجيش وشبعت الخيل ». والمؤرخون الذين لا يعتمدون على جويني (وهم ابن الأثير وجوزجاني والنسوى) لا يذكرون شيئاً البتة عن الاستيلاء على باميان بل يجعلون چنكيز خان يتقدم رأساً من طالقان إلى غزنه، ولا يقدمون أية تفاصيل عن خط سيره هذا. وفي فقرة من مصنفه يلاحظ جوزجاني[٣٦٨] أن چنكيز خان قد اجتاز في طريقه غرچستان وترك جميع أمتعته الثقيلة بمعسكره تحت حراسة قوة صغيرة لأنه لم يكن هناك طريق للعجلات عبر الجبال. وليس لنا علم بالمصدر الذي استقى منه ميرخواند[٣٦٩] روايته القائلة بأن چنكيز خان قد تحرّك من طالقان ماراً باندراب التي دام حصارها شهرا، ثم منها إلى باميان التي استولى عليها ثم مر بكابل حتى بلغ غزنه. ومن بين البحاثة الأوروبيين يجعل دوسون[٣٧٠] چنكيز خان يتقدم في الخريف من طالقان إلى كرزوان وباميان، وفي المدينة الأخيرة بلغه خبر هزيمة قواده. ويصل راڤرتي[٣٧١] إلى نتيجة مفادها أن حصار باميان لم يحدث البتة وأنه يجب أن تقرأ كلمة واليان في كل موضع وردت فيه كلمة باميان، غير أنه اذا كانت طالقان وپروان تقعان في الموضع الذي يضعها فيه ذلك المؤرخ فإنه لا يستبعد اختيار چنكيز خان للطريق الذي يخرج من ميمنه الحالية متجهاً صوب الجنوب إلى نهر مك، ومن هناك يمر بشهر/وبي وممر هفتاد كردش ومقاطعة بلخاب 512 ويكولن أوفيروزبكر ليبلغ باميان[٣٧٢]. ومن العسير القول ما إذا كان الاستيلاء على باميان قد تم ساعتئذ، أم أنه حدث منذ الصيف. واذا ما أخذنا بالافتراض الثاني فإنه يجب التسليم بأن چنكيز خان قد تقدم من طالقان إلى هندوكوش ليتفادى قيظ الصيف حتى قبل وقوع القلعة في يده تاركاً وراءه قوة لمواصلة حصارها، وأن الاستيلاء على القلعة لم يتم إلاّ في الخريف عقب رجوعه. وليس هناك بالطبع ما يحول دون ذلك.

ووفقاً لرواية رشيد الدين فإن چنكيز خان عاين ميدان معركة پروان وأنه أنّب قواده على سوء اختيارهم للموقع. ولم يُقابل چنكيز خان نفسه بأية مقاومة من جيش جلال الدين عند احتلاله لغزنه، وهناك علم أن السلطان قد غادرها قبل خمسة عشر يوماً

---

(٣٦٨) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٧١ - ١٠٧٢ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٧١).

(٣٦٩) ميرخواند، تاريخ شاهات خوارزم، ص ٩٧ - ٩٩.

(٣٧٠) D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, PP. 294–296

(٣٧١) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٩٠، الحاشية ٣؛ الجزء الثاني، ص ١٠٢٠ - ١٠٢١، الحاشية ٦؛ ص ١٠٢٥ الحاشية ٢.

(٣٧٢) الرواية الواردة فيما بعد بصدد ترك قسم من الأمتعة في بغلان تدفع الى الافتراض بأن مجموعة من القوات المغولية زحفت من طخارستان مجتازة اندراب ووادي پنجشير.

من ذلك. ووفقاً لجويني فإن جنكيز خان قد عيّن والياً على المدينة مابا يلواچ[٣٧٣] (ومن الجلي أنه ليس بمحمود يلواچ)، وبعد هرب جلال الدين بعث باوكداي إلى غزنة. وتنفيذاً لأوامر والده فقد اتخذ اوكداي اجراءات صارمة للغاية ضد المدينة التي كانت خضعت طوعاً للمغول (لا يرد هنا أي ذكر لثورة قام بها الأهالي)، فطرد الأهالي خارج المدينة حيث تم قتلهم باستثناء أهل الحرف الذين أُخذوا أسارى[٣٧٤]. ويؤكد جوزجاني[٣٧٥] بدوره خبر مذبحة الأهالي ولكنه لا يذكر قبل ذلك خبر احتلال المدينة. وكان جلال الدين قد تقهقر الى السند وأمر بتجهيز القوارب للعبور. وفي هذا الوقت جرى اشتباك لساقته تحت قيادة اورخان مع طليعة المغول انهزم فيها المسلمون[٣٧٦]، غير أن النسوى يقول إن جلال الدين نفسه قام بهجوم على طليعة المغول عند كرديز (على مرحلة الى الشرق من غزنة) وهزمها هزيمة نكراء. وأياً كانت نتيجة ذلك الاشتباك فإنه على أية حال لم يوقف تقدم القوات الرئيسية للمغول التي بلغت ضفاف السند من قبل أن تجهز القوارب التي لم يصل منها سوى قارب واحد أفرده جلال الدين لعبور والدته وحرمه، إلاّ أنه انكسر فتعذر العبور. كذلك فشلت محاولة ثانية لجلال الدين لاسترجاع القادة الذين تخلّوا عنه[٣٧٧].

513 هذا وقد وقعت المعركة الحاسمة على ضفاف السند/ يوم الأربعاء والعشرين من نوفمبر عام ١٢٢١ على رأي النسوى[٣٧٨]. أما عن مكانها، فليس بين أيدينا سوى شهادة جوزجاني[٣٧٩] الذي يقرر بأن جلال الدين قد تقهقر الى پشاور (القراءة مشكوك فيها)،

---

(٣٧٣) هكذا لدى شيفير (Chrestomathie persane, T. II, P. 143 أما المتن المطبوع، الجزء الأول؛ ص ١٠٦ فيرد الاسم في صورة: ماما يلواج.

(٣٧٤) راجع جويني، الجزء الأول، ص ١٠٨؛ شيفير، الجزء الثاني، ص ١٤٤؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, P. 310

(٣٧٥) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني ص ١٠٤٢ - ١٠٤٣؛ طبعة نساو - ليس، ص ٣٥٥).

(٣٧٦) راجع عن هذا جويني الجزء الثاني، ص ١٤٠؛ و D'Ohsson, Histoire des Mongols T. I, P. 306

(٣٧٧) النسوي، سيرة جلال الدين، المتن ص ٨٢ - ٨٣، الترجمة ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٣٧٨) التاسع من شوال وفقا للنسوي (الثامن في الترجمة)؛ ولكن هذا اليوم كان يوم جمعة (٢٩ نوفمبر). (هذه الألفاظ الأخيرة لا وجود لها في الترجمة الانجليزية للكتاب، التي تكتفي بالقول: الثامن من شوال - المترجم). وفي جويني والمصادر الأخرى يرد ذكر شهر رجب (آغسطس - سبتمبر)؛ ولدى ميرخواند (خوارزم، ص ١٠١) يرد خطأ ذكر عام ٦٢٠. وقد أشار راڤرتي من قبل (ترجمة طبقات ناصري، الجزء الثانى، ص ١٠٤٩ - ١٠٥٠، الحاشية ٢) الى استحالة هذه التواريخ، رغماً من أنه لم يكن قد قرأ النسوي.

(٣٧٩) طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

ورواية النسوى[٣٨٠] الذي يقول إن جلال الدين بعد عبوره للنهر تعرض لهجوم من صاحب جبل الجودي، وأخيراً هناك رواية شرف الدين يزدي لأخبار حملة تيمور[٣٨١]، التي يذكر فيها أن تيمور بلغ ضفاف السند عند الموضع الذي جرت فيه المعركة بين جلال الدين والمغول، وأنه بعد عبوره للنهر دخل مفازة حملت إسم چول جلالي تخليداً لذكري جلال الدين (ويقول راڤرتي[٣٨٢] إن هذا الاسم بقي حتى اليوم) ودان له بالطاعة أمراء ولاية جبل الجودي. ويرى راڤرتي[٣٨٣] أن من المستطاع تحديد مكان المعركة بالمعلم المعروف باسم غراتراب Ghora-trap (حرفياً «قفزة الفرس») التي تقع أسفل معبر نيلاب بقليل، وكل هذا الجانب من النهر تعترضه شلالات هائلة عسيرة الاجتياز. ويعترف راڤرتي[٣٨٤] بأن هذا المعلم لا يتفق تماماً مع الموضع الذي عبر منه تيمور، لأن تيمور قد عبر النهر عند دينكت Dinkot.

ووفقاً لرواية النسوى[٣٨٥] فإن قلب جيش المسلمين تحت قيادة جلال الدين نفسه قد أشاع الاضطراب وسط المغول حتى أن چنكيز خان تهيأ للفرار (؟)، غير أن المعركة تحولت في صالح المغول بهجوم عشرة آلاف من بهادرة المغول (أنظر أعلاه ص٥٤٧) كانوا متربصين حتى تلك اللحظة في كمين، فأهووا على ميمنة المسلمين التي كانت تحت قيادة أمين الملك فكسروها وطرحوها على القلب فانهزم الجيش. وقد أسر في الموقعة ولد لجلال الدين في السابعة أو الثامنة من عمره وقتل بين يدي چنكيز خان، وأمر جلال الدين بإغراق والدته وأم ولده وجماعة من حرمه في النهر حتى لا يقعن في أيدي المغول. أما السلطان نفسه فقد عبر النهر على ظهر فرس، وقد ظل معه هذا الفرس الى لحظة فتحه لتفليس إلاّ أنه لم يمتطه مرة ثانية. وقد بلغ الساحل أربعة آلاف من عسكره، ولحق به بعد ثلاثة أيام ثلاثمائة فارس كان الموج قد حملهم أسفل النهر.

ولم ير چنكيز خان ضرورة في أن يعبر السند وراء جلال الدين ولكنه أرسل في العام التالي فرقة من عشرين ألفاً لتعقب السلطان، غير أنها لم تتجاوز ملتان ورجعت على

---

(٣٨٠) النسوي، المتن ٨٦، الترجمة ١٤٢.

(٣٨١) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الثالث، ص ٤٥ - ٤٧؛ طبعة كلكتا، الجزء الثاني، ص ٤٧.

(٣٨٢) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ٢٩٣.

(٣٨٣) شرحه، ص ٢٩٢، حاشية ٤.

(٣٨٤) شرحه، ص ٢٩١، الحاشية.

(٣٨٥) النسوي، المتن ٨٣ - ٨٥، الترجمة ١٣٩ - ١٤١.

أعقابها من فرط هجير الصيف من غير أن تستولى على المدينة[٣٨٦]. هذا وتكاد العمليات العسكرية/لعام ١٢٢٢ تقتصر كلية على حصار القلاع الجبلية وإخضاعها، وقصة كل ذلك 514 ستخرج بنا من محيط كتابنا هذا[٣٨٧]. على أنه لا يزال علينا أن نقدم عرضاً لأحداث عام ١٢٢١ بخراسان، تلك الأحداث التي كان لها أثرها كذلك في ما وراء النهر.

ففي بداية عام ١٢٢١ بعث چنكيز خان بابنه تولوي من طالقان ليحتل مدن خراسان وأمدّه من أجل ذلك، إذا ما أخذنا برأي جويني[٣٨٨]، بعشر جيشه فقط. ومن الجلي أن عدد القوات التي جمعها من المدن التي خضعت للمغول كان أكبر من ذلك بكثير، لأنه قبل بلوغه مرو كان معه سبعون ألفاً على حد قول ذلك المؤرخ نفسه[٣٨٩]. وبخراسان اتخذت الأحوال عقب رحيل محمد ذات الاتجاه الذي اتخذته بخوارزم وغزنة، فقد وقعت السلطة في أيدي الطامحين والمغامرين، وكان بعضهم يحلم بعرش الملكية. وفي مرو ساورت مثل هذه الأحلام الرئيس السابق للإدارة المدنية بها وهو (الحاكم والوزير) مجير الملك شرف الدين مظفر[٣٩٠]. وفي مثل هذه الظروف استطاع تولوي أن ينفّذ مهمته وهي إخضاع المدن الثلاث الكبرى بخراسان (مرو ونيشابور وهرات) بجانب عدد كبير من المدن الصغرى في أقل من ثلاثة أشهر. وقد تم احتلال مرو في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٢٢١[٣٩١] وذبح الأهالي باستثناء أربعمائة من أرباب الصناعات والحرف، ثم عيّن حاكمان على المدينة أحدهما من طبقة النبلاء المحليين وهو الأمير ضياء الدين علي والآخر هو القائد المغولي برماس، وكلّفا بمهمة جمع بقية السكان ممن نجوا من المذبحة، غير أن هؤلاء الناجين لم يلبثوا أن تعرضوا لهجوم جديد من طرف قوات مغولية أخرى. وأكثر بشاعة من هذا كان مصير نيشابور التي استولى عليها المغول في يوم السبت العاشر من ابريل. فقد نقم المغول من الأهالي قتلهم تقچار في نوفمبر عام ١٢٢٠ بسهم

---

(٣٨٦) جويني، الجزء الاول، ص ١١٢؛ Schefer, Chrestomathie, persane, T.II, P. 147

(٣٨٧) اكثر المصادر تفصيلا جوزجاني، ترجمة راﭬرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٤٣ وما يليها (طبعة نساو – ليس، ص ٣٥٥ وما يليها).

(٣٨٨) جويني، الجزء الأول، ص ١١٢؛ Schefer, Chrestomathie persane, T. I, P. 151

(٣٨٩) جويني، الجزء الأول، ص ١٢٥؛ شيفير، الثاني، ص ١٥٧. راجع Jukovski, Razvaliny Starogo Merva, str. 51

(٣٩٠) راجع عنه جكوﭬسكي، شرحه، ص ٤٩ – ٥٠.

(٣٩١) لدى جويني، الجزء الأول، ص ١٢٥: اول المحرم من عام ٦١٨ للهجرة. لا يحدد البروفسور جكوﭬسكي التاريخ.

أصابه من أسوار المدينة. لهذا فقد رفض تولوي قبول التماس الأهالي بالعفو فقام عند الاستيلاء على المدينة بذبح أهلها خلا أربعمائة من الصناع، وتم تدمير المدينة إلى أساسها «ثم أمروا الأسارى فبطوها بالمجاريف حتى صارت ملساء لا مدرة بها ولا صخرة، يأمن منها الفارس العثرة فلعبوا فيها بالأكرة». وقد خلف تولوي وراءه بين أنقاض المدينة أميراً مغولياً على رأس أربعمائة من التاجيك[٣٩٢] لاستئصال من بقي من أهلها على قيد الحياة[٣٩٣]. وكان نصيب هرات من المعاناة أقل من غيرها، اذ لم يذبح أحد من/أهلها 515 باستثناء عسكر خوارزمشاه الذين بلغ عددهم اثني عشر ألفاً، وتم تعيين حاكمين على المدينة أحدهما مغولي والآخر مسلم[٣٩٤].

وفي النصف الثاني من عام ١٢٢١ سببت الإشاعات بانتصار جلال الدين ثورات في بعض مدن خراسان كان من بينها مرو وهرات، وقد انتفضت مدينة مرو[٣٩٥] في منتصف نوفمبر. وكان ضياء الدين قد غادرها آنذاك إلى سرخس لإخماد فتنة اشتعلت هناك، وكان برماس قد أخرج أهل الحرف وغيرهم من الأسرى من المدينة لإرسالهم إلى بخارا فظن الأهالي أن الحاكم قد وصلته أخبار عن تحركات السلطان فأخذ يتهيأ للهرب فهبوا ثائرين. وذهب برماس إلى باب المدينة وجهد عبثا في استدعاء كبار أهل البلد فلم يظهر منهم أحد، فقتل برماس بعض من ألفاهم لدى الباب وارتحل إلى بخارا بجماعته، الذين يرد بينهم ذكر خواجه مهذب الدين باستابادي[٣٩٦]. وقد مات برماس ببخارا، وبقي بها سكان مرو الذين جاء بهم معه. وعند رجوع ضياء الدين إلى مرو قسم كل ما غنمه على سكانها وأرسل اليهم ابن بهاء الملك (أحد كبار رجالات مرو سابقاً)، ولكنه تحاشى الدخول في اتصال مباشر مع زعماء الثوار وشغل نفسه في أثناء ذلك بترميم أسوار المدينة والقلعة. ولما ظهرت قوة من المغول أمام أبواب المدينة قابلها ضياء الدين بمظاهر

---

(٣٩٢) سقط لفظ «صد» لدى شيفير (الجزء الثاني، ص ١٦٩)؛ راجع جويني، الجزء الأول، ص ١٤٠.

(٣٩٣) عن أحداث نيشابور راجع جويني (الجزء الأول، ص ١٣٣ - ١٤٠؛ و Schefer, Chrestomathie persane, T. II, PP. 163-169); D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, PP. 288-291. ويقص النسوي أحداث نيشابور بنفس الألفاظ تقريبا ولكنه يقول إنها لم تستسلم حتى آخر عام ٦١٨، أي بعد هرب جلال الدين الى الهند (المتن ص ٥٤، الترجمة ص ٩٢).

(٣٩٤) D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, P. 292

(٣٩٥) لا يخلو عرض البروفسور جكوفسكي من بعض الأخطاء (Razvaliny Starogo Merva, str. 52)؛ راجع جويني، الجزء الأول، ص ١٢٨ وما يليها؛ Schefer, Chrestomathie persane, T. II, PP. 160-163

(٣٩٦) في متن جويني المطبوع، الجزء الأول، ص ١٢٩: باسنابادي.

التكريم وأنزلها معه، ولكن عقب ذلك مباشرة ظهر كشتكين[٣٩٧] پهلوان أحد قواد حرس جلال الدين بقوة كبيرة من العسكر وحاصر المدينة. وقد انضم إليه «جماعة من صعاليك» المدينة وهجروا ضياء الدين الذي تقهقر بصحبة المغول إلى قلعة مراغه[٣٩٨]، فاحتل كشتكين المدينة واتخذ الاجراءات لترميم أسوارها واعادة الزراعة. وقد استدعى الحزب المعارض ضياء الدين فجاء إلى باب المدينة، فلمّا سمع كشتكين بذلك أمر بإلقاء القبض عليه وطالبه بالأموال فكان رده أنه قد أعطاها «لأصحاب الفاحشات»، يريد بذلك أولئك الذين كانوا يقاتلون بالأمس الى جانبه وهم يقاتلون اليوم مع كشتكين. وقد أمر كشتكين بقتل غريمه، وبدأ يشغل نفسه في جد أكثر بإعادة تنظيم الزراعة، من ذلك أنه أعاد بناء السد الذي كان على نهر مرغاب. ووفقاً لرأي النسوى[٣٩٩] فإن كشتكين بلغ حداً من القوة استطاع معه/الزحف من مرو على بخارا وقتل القائد الذي تركه المغول بها[٤٠٠]، غير أن هذه الألفاظ الأخيرة عرضة للشك لأن نوشا بسقاق الذي يرد ذكره لدى جويني هو فيما يغلب على الظن نفس الحاكم بوقا بوشا (أو نوشا) الذي يذكره وصّاف[٤٠١]، وإن كان هذا الأخير يضيف أن بوقا نوشا عُيّن حاكماً على عهد اوكداي. وقد أخمد المغول ثورة مرو في عام ١٢٢٢ في نهاية الصيف في أغلب الظن، فقد وصل قراجه نوين[٤٠٢] إلى سرخس فغادر كشتكين مرو ليلاً يصحبه ألف من الفرسان، ولحق المغول بقواته قرب قرية سنك بست[٤٠٣] (بين سرخس ونيشابور وفقاً لقول البروفسور جكوفسكي) وقتلوا أكثر رجاله. أما كشتكين نفسه فقد استطاع الهرب كما نعلم من رواية النسوى، أولاً الى سبزوار ومن هناك إلى جرجان حيث انضم إلى جيش اينانج خان

516

---

(٣٩٧) أصح قراءتها كوچ تكين (كما لدى نسوي: كوج تكين؛ لدى جويني: كشتكين).

(٣٩٨) في المتن المطبوع لجويني، الجزء الأول، ص ١٢٩: مرغه.

(٣٩٩) النسوي، المتن ص ٦٨؛ الترجمة ١١٥.

(٤٠٠) في الترجمة الفرنسية لمصنف نسوي ورد خطأ «Garnison» (أي حامية)، بينما يقول المتن: «شحنه» (أي الحاكم العسكري).

(٤٠١) تاريخ وصّاف، طبعة هامر، الجزء الأول، ص ٢٥؛ (في طبعة بمباي، ص ١٢: بوقا بوشا – الناشرون).

(٤٠٢) او قراچه نوين؛ في طبعة جويني، الجزء الأول، ص ١٣٠: قراجه نوين.

(٤٠٣) ورد في طبعة جويني، الجزء الأول، ص ١٣٠ خطأ: سنك پوشت. وهي موضع معروف به رباط بناه ارسلان جاذب معاصر السلطان محمود الغزنوي، راجع الراوندي، راحة الصدور، طبعة ميرزا اقبال ص ٩٢؛ ووصف الأطلال لدى E.Diez, Churasanische Baudenkmäler, S. 52 sq. وتقع سنك بست على مسيرة يوم الى الجنوب الشرقي من مشهد.

الذي كان آنذاك حاكماً على بضع مدن بخراسان. وبعد هذا بأيام ثلاثة أو أربعة وصلت إلى مرو قوة مؤلفة من مائتين من الفرسان من جيش قوتوقو نوين، وقد عسكر مائة منهم قرب أسوار المدينة وأرسلوا بأخبار ذلك إلى القائدين تورباي[٤٠٤] (أو تورتاي) وقباي[٤٠٥] (أو قتاي) ايلچي اللذين كانا يعسكران عند نخشب (نسف). وبعد هذا بخمسة أيام (؟) بلغ تورباي مرو على رأس قوة مؤلفة من خمسة آلاف يصحبه القائد المحلي (اسفهسالار) همايون الملقب آق ملك. وقد احتلت المدينة فوراً وتم ذبح أهليها، وقيل انه قد هلك في هذه المذبحة مائة ألف. وترك المغول آق ملك بين الخرائب ليستأصل بقية السكان فقام بمهمته بغيرة فاقت كثيراً غيرة القواد المغول أنفسهم، فقد أغلق على البائسين مدرسة شهابي وقذف بهم من الاسطح. ورغماً من ذلك فقد تم تعمير المدينة بعد رحيل المغول وتولى الإمارة فيها شخص يدعى ارسلان، وهو «ابن لأحد الأمراء». بعد هذا
517 وصل إلى مرو من نسا أحد التركمان، فخضع له الأهالي/ونجح في جمع جيش من عشرة آلاف وحكم المدينة مدة ستة أشهر. ووفقاً لرواية النسوى[٤٠٦] فإن اسمه كان تاج الدين عمر بن مسعود، وأنه كان يحكم على ابيورد وخرقان إلى جانب مرو؛ ووفقاً لجويني فإنه استطاع أيضاً القيام بغارة نهب فيها أمتعة المغول التي كانت بمرو الروذ وپنج ديه وطالقان. وفي الوقت نفسه حاصر مدينة نسا التي كان يتولى مقاليد الأمور بها أحد أفراد الأسرة الحاكمة المحلية واسمه نصرت الدين حمزة بن محمد، وهنا تعرضت قوات تاج الدين لهجوم مفاجيء من اتجاه يازر (أنظر أعلاه ص٦٠٨)، كما أن حاكم القلعة قام في ذات الوقت بخرجة، وسقط تاج الدين قتيلاً أثناء ذلك. وزحف قراجه نوين من طالقان في ألف من العسكر على مرو وأعمل فيها نهباً دون أي مقاومة تذكر. وعقب هذا ظهر قوتوقو نوين بجيش قوامه مائة ألف (؟) يضم الخلج والأفغان الذين أبدوا من ضروب القسوة والتنكيل بالأهالي ما لم يشهد له أحد مثيلا من قبل، وقضوا على البقية الباقية من مرو.

---

(٤٠٤) وفقاً لطريقة كتابة الاسم فإنه نفس الشخص الذي كان في ربيع وبداية صيف عام ١٢٢٢ على رأس الوحدة المغولية التي دخلت الهند. ويرد اسمه في المتن المطبوع لجويني، الجزء الأول، ص ١١٢، في صورة: توربای تقشي؛ وفي الجزء الأول، ص ١٣٠ في صورة: تربای؛ ولدى شيفير (الجزء الثاني، ص ١٤٧ وص ١٦٢) في صورة: ترتای؛ وفي مخطوطة لنينجراد ومخطوطة خانيكوف في صورة تربای وتوربای؛ ولدى رشيد الدين (القسم الخامس عشر، المتن ص ١٢٨، ١٣٠) في صورة: دربای ودوربای. ويقرأ البروفسور برزين الاسم (شرحه، ص ٨٥، ٨٦): دوربای.

(٤٠٥) في طبعة جويني، الجزء الأول، ص ١٣٠: قبار.

(٤٠٦) النسوي، المتن ص ٩٩، الترجمة ص ١٦٥.

وبعد تدمير بلخ ومرو لم يعد للاضطرابات التي اشتعلت بالولايات الواقعة جنوبي امودريا أي أثر على استتباب الأحوال بما وراء النهر. ففي هذه البلاد لم تظهر العناصر المتمردة إلاّ في صورة عصابات اللصوص ولم تكن في وضع يسمح لها باحتلال المدن والأنحاء. وبعض المعلومات عن أحوال المنطقة خلال هذه الأعوام، وعن رجوع چنكيز خان إلى منغوليا نجدها في وصف رحلة الراهب الصيني تشأن تشؤن التي قام بتدوينها أحد مريديه(٤٠٧).

وكانت تقوى الراهب التاوي تشأن تشؤن قد اشتهرت بين الناس حتى بلغت مسامع چنكيز خان، فأرسل يستدعيه في صيف عام ١٢١٩ وهو لمّا يزل على ضفاف ارتيش. ويمكن أن نستنبط من الأسئلة التي وجهها إليه چنكيز خان فيما بعد أن الفاتح المغولي كان يأمل أن يجد لدى الفيلسوف الصيني «دواء الخلود»(٤٠٨)، أي أنه أخذ تعاليم التاوية Taoism عن تان Tan (حجر الفلاسفة) بمفهومها الحرفي، رغماً من أن المدرسة التي ينتمي إليها تشأن تشؤن كانت تبحث عن ذلك الكنز في العالم الروحي فقط وتجهد في بلوغ السكينة الفلسفية التي لا يعكر صفوها شيء. ومن بعض ألفاظ تشأن تشؤن يبدو جلياً أنه حين لبّى طلب چنكيز خان فقد كان أيضاً يمنّي نفسه ببلوغ حد من التأثير على الفاتح لكي يوقف تلك المذابح الوحشية(٤٠٩).

518 وقد اجتاز تشأن تشؤن في طريقه كلاً من منغوليا وبلاد الأويغور ومقاطعة قولجه/ 518 وبدي صو حتى بلغ سيرام في نوفمبر من عام ١٢٢١. وكان المغول قد أصلحوا أثناء زحفهم الطرق التي كانت في حال أفضل مما هي عليها الآن، وقد عبر المسافرون نهر چو على جسر من الألواح الخشبية كما عبروا نهر تلاس على قنطرة حجرية(٤١٠). ويبدو جلياً من وصف الرحلة أن الأراضي الواقعة إلى الشمال من سيردريا والتي سبق أن خرّبها خوارزمشاه محمد قد عمرت بالسكان من جديد. وعلى طول الطريق إلى سمرقند لا يرد إلاّ ذكر أسماء الحكام المحليين(٤١١) بلا أدنى أثر لوجود حكام مغول أو حاميات مغولية.

---

(٤٠٧) الترجمة الروسية بقلم كفاروف؛ الترجمة الانجليزية بقلم برتشنيدر في كتابه Medieval Researches, vol. I, P. 35 sq. (وهنا ترد التواريخ وفقا للتقويم الميلادي).

(٤٠٨) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٣٢٠؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٨٦.

(٤٠٩) شرحه، ص ٣٢٩؛ غير موجودة لدى برتشنيدر.

(٤١٠) شرحه، ص ٣٠٧ - ٣٠٨؛ برتشنيدر، الأول، ص ٧٢ وما يليها.

(٤١١) شرحه، ص ٣٠٨ - ٣١٠؛ برتشنيدر، الأول، ص ٧٤ وما يليها.

وهنا ولأول مرة نلتقي باسم سيرام بقدر علمنا[٤١٢]، ومن بين أبنية المدينة يرد فقط ذكر لبرج صغير، أما في طريق العودة[٤١٣] فإن المؤلف يتحدث عن سيرام بوصفها مدينة كبيرة. ويقول الرحالة انهم شاهدوا ها هنا في العشرين من نوفمبر الاحتفال بالعام الجديد، وفي الواقع ان ما شاهدوه كان الاحتفال بالعيد الذي يبدأ في عام ١٢٢١ في الثامن عشر من نوفمبر وكما جرت عادة الأهالي حتى الآن فإنهم في ذلك اليوم «يخرجون جماعات جماعات ويهنيء بعضهم البعض». وكان يقوم على سيردريا جسر عائم، ومن سيرام إلى شاطيء النهر يرد ذكر لمدينتين أخريين، الأولى منها تقع على ثلاثة مراحل من سيرام والثانية على مرحلة من تلك وعلى بعد مرحلتين من سيردريا. وخلف النهر كانت تمتد مفازة الجوع لسبعين ميلاً («أكثر من مائتي لي»)، وإلى الجنوب من المفازة وقبل بلوغ سمرقند مرّ الرحالة على خمس مدن أخرى. وفي كل موضع منها كان ممثلو السلطة المسلمون يخرجون لاستقبال المسافرين وللترحيب بهم.

أما الأحوال بسمرقند التي دخلها رحالتنا من الباب الشمالي الشرقي بعد عبورهم لزرفشان في الثالث من ديسمبر، فقد كانت أسوأ قليلاً. فعقب المذبحة التي قام بها المغول هبط عدد السكان إلى الربع مما كانوا عليه، ولم يُسمح للمسلمين بامتلاك حقول أو بساتين إلاّ بالاشتراك مع الصينيين والقراخطائيين وغيرهم، كذلك كان عدد من الرؤساء ينتمون إلى شعوب شتى. وكان والي المدينة نفسه واسمه اهاي من القراخطاي وحمل لقب تايشي، وقد كان على معرفة جيدة بالثقافة الصينية لأنه قام بدور المترجم خلال محادثات تشأن تشؤن مع چنكيز خان. وقد أقام اهاي في باديء الأمر بقصر خوارزمشاه الذي لم يكن قد أُكمل بناؤه (راجع أعلاه ص ٥٢٥)، ثم انتقل فيما بعد إلى الضفة الشمالية للنهر لظهور عصابات اللصوص في المنطقة المحيطة «بسبب صعوبة الحصول على الأغذية»[٤١٤].

519 وقبل وصول تشأن تشؤن إلى سمرقند بقليل هدم «الثوار»/الجسر المقام على نهر امودريا. ومن الواضح أن هذا كان من فعل المسلمين الذين ثاروا عقب انتصار جلال

---

(٤١٢) باستثناء مصنف محمود الكاشغري (في عهد المقتدر العباسي، ١٠٧٥ - ١٠٩٤) الذي يوكد ان سيرام هي اسفيجاب (ديوان لغات الترك، الجزء الأول، ص ٧٨).

(٤١٣) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٣٣٦؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٩٨ (حيث لا يرد ذكر لرقعة المدينة).

(٤١٤) شرحه، ص ٣١٠ - ٣١١، ٤١٠؛ برتشنيدر، الأول، ص ٧٨ وما يليها (وهو لا يذكر شيئا عن صعوبة الحصول على الغذاء).

الدين. وقد مكث تشأن تشؤن بسمرقند حتى السادس من ابريل ١٢٢٢، وفي مرة أخرى مكث من منتصف يونيو حتى الرابع عشر من سبتمبر، وفي المرة الثالثة أقام من بداية نوفمبر حتى التاسع والعشرين من ديسمبر، لذا فقد كان باستطاعته هو ورفاقه جمع معلومات دقيقة عن المدينة وسكانها. ويبدو جلياً من وصفهم أن الحياة هناك قد سارت سيرها الطبيعي رغماً من التخريب الذريع الذي ألحقه المغول بالمدينة. فكان الرجال والنساء عند سماعهم للأذان يهرعون إلى المساجد (وكانت المساجد في ذلك العهد لا تزال مفتوحة للنساء)، وكان كل من يترك الصلاة يُعاقب عقاباً رادعاً، وفي شهر رمضان كان الأهالي يحيون لياليهم. وقد كانت الأسواق حافلة بشتى صنوف المتاجر، ويرد في أشعار تشأن تشؤن الكلام على أن «المدينة كانت جميعها مليئة بآنية النحاس تلمع كالذهب»[٤١٥]. وفي ربيع عام ١٢٢٢ تمتع الصينيون بجولات بديعة في ضواحي المدينة، هذا وقد استرعت النظر بجمالها على وجه خاص الأطراف الغربية للمدينة، ويغلب على الظن أن المقصود بذلك هو الموضع الذي يدعوه بابر[٤١٦] «كول مغاك»، وهو الآن كول ماغيان بمركز (volost) انهار Anhar. فهنا «قامت في كل موضع الشرف والبحيرات والبروج والخيام». وفي بعض المواضع كانت تقوم حدائق الفاكهة التي لم يكن من السهل أن تقارن بها حتى بساتين الصين[٤١٧]. ومن ناحية أخرى ظهرت إلى الشرق من المدينة في سبتمبر من عام ١٢٢٢ عصابة من اللصوص قوامها ألفان، ولعلها كانت تتألف من السكان الجبليين لوادي زرفشان، وفي كل ليلة كان سكان سمرقند يرون السماء متأججة بالنيران[٤١٨]. وخلال آخر إقامة له بالمدينة وذلك في شهري نوفمبر وديسمبر أطعم تشأن تشؤن الفلاحين الجوعى من بقايا المؤن التي زُوّد بها، وعمل لهم إلى جانب هذا الثريد. وقد بلغ عدد من استضافهم على مائدته المفتوحة حداً كبيراً[٤١٩].

وفي آخر ابريل من عام ١٢٢٢ تحرك تشأن تشؤن في طريقه لمقابلة چنكيز خان. وكانت طرق المواصلات بين ضفتي امودريا قد استعيدت منذ بعض الوقت، فقد تمكن

---

(٤١٥) شرحه، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ (لا وجود لها لدى برتشنيدر).

(٤١٦) بابرنامه، طبعة الِمنسكي، ص ٦٠؛ قطعة منها في ترجمة ڤياتكين، ص ٣٦؛ طبعة بڤريدج الورقة ٤٨٦؛ ترجمة بڤريدج، الجزء الأول، ص ٨٢.

(٤١٧) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٣١٦؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٨٠ وما يليها.

(٤١٨) شرحه، ص ٣٢٨ (غير موجودة لدى برتشنيدر).

(٤١٩) شرحه، ص ٣٣٢؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٩٦ (موجزة).

چغتاي منذ بداية العام من ترميم الجسر العائم واستأصل شأفة الثوار[٤٢٠]. وكان چنكيز خان قد أُحيط علماً بوصول الراهب منذ شهر مارس حين كان معسكراً جنوبي هندوكوش. وفي السادس والعشرين من ابريل غادر تشأن تشؤن سمرقند وبعد ذلك بأربعة أيام بلغ كش. وعند عبوره لباب الحديد صحبه بأمر من چنكيز خان قائد الألف بوغورجي ومعه حرس من آلف من مقاتلة/المغول والمسلمين. وبعد عبورهم ذلك الممر 520 الجبلي اتجه الصينيون صوب الجنوب، أما الحرس فقد تحرك شمالاً ضد « اللصوص »، مما يفهم منه أن الجبليين الذين يقطنون الروافد العليا لسرخان لم يكن قد تم إخضاعهم بصورة نهائية. وقد عبر الصينيون فيما بعد نهري سرخان وامودريا على قوارب. وكانت الغابات الكثيفة تكسو في ذلك الوقت كلا ضفتي سرخان. وفي السادس عشر من مايو بلغوا معسكر الخان، الذي لم يكن يفصله آنذاك عن الموضع الذي عبروا عنده امودريا أكثر من أربعة مراحل.

ورداً على سؤال الخان حول « دواء الخلود » أجاب تشأن تشؤن بقوله: « إن وسائل الحفاظ على الحياة متوفرة ولكن ليس هناك دواء من أجل الخلود ». ولم يبد الخان امتعاضاً عن هذه الأجابة بل حمد للحكيم الصيني صدقه القول. وقد حدّد چنكيز خان اليوم الخامس والعشرين من مايو للاستماع إلى مذهب الراهب، ولكنه حين بلغته أخبار نشاط « الثوار المسلمين » بالمناطق الجبلية أجّل ذلك إلى شهر نوفمبر، ولهذا رجع تشأن تشؤن إلى سمرقند. وكان چنكيز خان قد بدأ زحفه صوب « الجبال المغطاة بالثلوج » منذ بداية لظى الصيف، ورافق تشأن تشؤن الجيش المغولي لبضعة أيام. وعند العودة صحب الحكيم الصيني حرس من ألف فارس تحت قيادة رجل مسلم سلك به طريقاً آخر يجتاز « ممراً أشبه بالباب » وسط الجبال، وكان الجيش قد احتله قبل ذلك بقليل. ويتبين من وصف تشأن تشؤن أن الطريق الذي يمر بهذه العقبة التي كانت تقع إلى الجنوب من نهر امودريا كان آشد وعورة من الطريق الذي يخترق « باب الحديد ». وفي طريقهم التقى الصينيون بقوة من المغول كانت عائدة من حملة في الغرب، فاشترت الجماعة منهم خمسين شعباً من المرجان لم تكلفهم أكثر من اثنين بي (الرطل الصيني) من الفضة[٤٢١].

وفي سبتمبر وعند رحلته من كش التي عبر فيها نهر امودريا، صحب تشأن تشؤن

---

(٤٢٠) شرحه، ص ٣١٥؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٨٠.

(٤٢١) شرحه، ص ٣١٨ - ٣٢٣؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٨٢ - ٨٨.

حرس أكثر عدداً عن الحرس الأول، قوامه ألف من المشاة وثلاثمائة من الفرسان. وقد أخذوا طريقاً جديداً غير «باب الحديد» الذي جاءوه في هذه المرة من ناحية الجنوب الغربي، وقد رأوا في طريقهم عيناً مالحة وأحجاراً من الملح الأحمر المترسب. وعبروا امودريا على متن سفينة، وتابعوا السير فمرّوا على بلخ «التي ثار سكانها قبل هذا بقليل وهربوا، ولكن نباح الكلاب كان لا يزال يسمع في أزقتها». وفي الثامن والعشرين من سبتمبر بلغ تشأن تشؤن معسكر المغول الذي كان يقوم آنذاك إلى الشرق من بلخ، وقد صاحب لبعض الوقت چنكيز خان الذي كان قد شرع في أخذ طريق العودة إلى أرض الوطن[٤٢٢].

ومن أقوال جوزجاني[٤٢٣] نعلم أن چنكيز خان أمضى بعد هرب جلال الدين ثلاثة أشهر على ضفاف السند بهدف القضاء على جيوش سيف الدين اغراق وأعظم ملك. 521 وكانت رغبته هي أن يرجع إلى منغوليا/مخترقاً الهند والهيمالايا والتبت، ولذا فقد أرسل سفراءه إلى السلطان شمس الدين ايلتتمش بدلهي. غير أن المؤرخ لا يقدم أية تفاصيل بصدد هذه السفارة أو نوع المقابلة التي قوبل بها السفراء. وكان الطريق خلال الجبال مغطى بالثلوج. وكان قد وصل إلى چنكيز خان في ذلك الحين نبأ ثورة ملك التنكوت فقرر العودة بذات الطريق الذي قدم به، زد على هذا أن عُرّافه نصحوه بعدم الذهاب إلى الهند. ولئن كان چنكيز خان قد أمضى ثلاثة أشهر على نهر السند فهذا يعني أن رحلته من پشاور إلى كابل قد تمت في أواخر فبراير أو في أوائل مارس من عام ١٢٢٢. وتنفيذاً لأوامره أزال العمال الثلج من الممرات الجبلية. أما عن بقية الطريق الذي سلكه چنكيز خان فإن لدى جوزجاني فكرة غاية في الإضطراب، فهو يجعله يسافر ماراً بكاشغر، وهي موضع لم تتح رؤيته قط لچنكيز خان.

ويؤكد جويني[٤٢٤] أيضاً أن چنكيز خان أراد منذ البداية الذهاب إلى الهند ولكنه قفل راجعاً بذات الطريق التي جاء منها، وقبل أن يغادر ضفاف السند أمر بقتل جميع الأسرى، وذلك بعد أن فرغوا من جمع كميات من الأرز. وتفاصيل هذه القصة (وكما هو

---

(٤٢٢) شرحه، ص ٣٢٨ - ٣٣٠؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٩١ - ٩٣.

(٤٢٣) ترجمة راڤرتي، الجزء الأول، ص ١٠٤٣ - ١٠٤٧، ١٠٨١؛ (طبعة نساو - ليس، ٣٥٥ - ٣٥٦، ٣٧٥).

(٤٢٤) الجزء الأول، ص ١٠٩ وما يليها؛ Schefer, Chrestomathie persane, T. II, PP. 144-147; D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, PP. 319-323

معروف فهي تروي أيضاً عن تيمور)[٤٣٥] تثير بعض الشكوك، خاصة وأن جوزجاني الذي لم يكن من عادته أن يغض النظر عن مساويء المغول لم ينبث بكلمة عن هذا الحادث الذي لم يكن من شأنه أن يجهل به. وجويني[٤٢٦] يقول قبل هذا إن قيادة الأسرى وأرباب الصناعات والحرف كانت قد أعطيت لقوتوقو نوين، وكما رأينا فإن قوة مؤلفة من عناصر مختلفة كانت لا تزال تعمل تحت إمرة هذا القائد بمرو في عامي ١٢٢٢ و١٢٢٣، ومن المؤكد أن الأسرى كانوا ذوي فائدة في مثل هذه العمليات. ولا ريب في أن چنكيز خان كان على معرفة بكل أحداث خراسان وأفغانستان، وكان يعلم جيداً أنه لمّا تزل هناك مدن وقلاع جبلية تنتظر الحصار. ولذا فإنه كان مضطراً لحقن دماء الأسرى، إن لم يكن ذلك لأسباب انسانية فعلى الأقل ليفيد من مجهودهم في هذا الشأن.

ووفقاً لرأي جويني فإن چنكيز خان اجتاز جبال الباميان فبلغ بغلان التي سبق وأن ترك فيها قسماً من أمتعته الثقيلة، ثم أمضى الصيف بمراعي هذه الناحية ولم يعبر أمودريا إلاّ في الخريف. وفي هذا الشأن تجد رواية جويني كما أبصرنا التأييد التام من رواية تشأن تشؤن. من هذا نرى أن چنكيز خان كان منذ شهر مايو على مسافة قريبة جداً من ضفاف امودريا، ولكنه برغم ذلك آثر فيما بعد أن يكون مصيفه في موضع قريب من جبال هندوكوش، بدلاً من نواحي نسف التي أمضى بها عام ١٢٢٠ والتي كان من الطبيعي أن 522 يقع اختياره عليها في هذه المرة أيضاً إن كان حقاً يتعجل الرجوع إلى منغوليا. ولا علم لنا/ بطبيعة الأحداث التي اضطرته إلى التصرف على هذا الوجه، كما أن مصادرنا لا تتحدث عن أية عمليات عسكرية تمت في عام ١٢٢٢ وكان لچنكيز خان نصيب فيها. وقد ترك چنكيز خان لقوّاده مهمة تدمير القلاع الجبلية وتأمين طرق المواصلات وأمتعة الجيش، وإذا كان قواده قد نفّذوا هذه المهمة بنجاح، وأن القوات الرئيسية للمغول لم تجد نفسها في مأزق ما ولو لمرة واحدة في منطقة وعرة المسالك كأفغانستان الشمالية فإن هذا يقف دليلاً من أقوى الأدلة على العبقرية العسكرية التي تميز بها چنكيز خان. وكانت أكبر خسائر مُنى بها المغول هي التي حدثت بطالقان، حيث ترك چنكيز خان أمتعته الثقيلة خلال تقدّمه صوب غزنة فقام الأمير محمد مرغني[٤٢٧] قائد قلعة اشيار الجبلية بغرجستان

---

(٤٢٥) شرف الدين يزدي، ترجمة پتي دي لا كروا، الجزء الثالث، ص ٩٠؛ طبعة كلكتا، الجزء الثاني، ص ٩٢

(٤٢٦) الجزء الأول، ص ١٠٨.

(٤٢٧) في طبعة نساو - ليس (ص ٣٧١) لمصنف جوزجاني: امير محمد مرغزي.

بهجوم على هذه الأمتعة واستحوذ على ما استطاع الاستحواذ عليه من العربات المحملة من الذهب وغيره، كما استولى على عدد كبير من الخيل وأطلق سراح عدد كبير من الأسرى. هذا وقد استولى المغول على قلعته في بداية عام ١٢٢٣ بعد حصار دام خمسة عشر شهراً، وفي خلال عامي ١٢٢٢ و١٢٢٣ تم الاستيلاء أيضاً على جميع قلاع غرجستان الأخرى[٤٢٨].

وفي خريف عام ١٢٢٢ عبر چنكيز خان نهر اموداريا وأمضى الشتاء بسمرقند. وكان چغتاي واوكداي يعسكران آنذاك عند قراكول قرب مصب زرفشان، حيث شغلا بصيد الطيور. وكانا يرسلان إلى چنكيز خان في كل أسبوع بخمسين جملاً محملة بالطيور. وفي طريق العودة رؤي القيام بحملة للصيد على نطاق أوسع (يغلب على الظن أنها كانت لتزويد الجيش بالأغذية) يشترك فيه أبناء چنكيز خان. وقد صدرت الأوامر إلى جوچي بأن يسوق الحمر الوحشية من القپچاق. وفي ربيع عام ١٢٢٣ استأنف چنكيز خان سيره، وعلى ضفاف سيردريا جرت له مقابلة مع چغتاي واوكداي وتم عقد قوريلتاي (مجمع)، وفي سهل قلان باشي[٤٢٩] (إلى الشمال من جبال الاسكندر) جرت له مقابلة مع جوچي الذي كان قد نفّذ أمر والده بشأن الحمر الوحشية وجلب معه بالإضافة إلى ذلك عشرين الف فرس أبيض كهدية. وأمضى المغول صيف عام ١٢٢٣ بأجمعه في تلك السهوب، وهنا أيضاً عقدت محاكمة لبعض أمراء الأويغور ونفّذ فيهم حكم الإعدام، وليس لنا علم بطبيعة الجرم الذي ارتكبوه.

وتؤيد رواية تشأن تشؤن[٤٣٠] بوجه عام رواية جويني، ولكنها تمكننا من متابعة طريق چنكيز خان على نحو أكثر تفصيلاً. فمنها نعلم أن الجيش قد عبر نهر اموداريا على جسر عائم في السادس من اكتوبر عام ١٢٢٢ /وخلال مرات ثلاث، وذلك في العشرين والرابع والعشرين والثامن والعشرين، استمع الخان لنصائح الحكيم الصيني مستعيناً باهاي كمترجم، وأمر بتسجيل أقواله. وفي أوائل نوفمبر بلغوا سمرقند حيث نزل الحكيم كما هو 523

---

(٤٢٨) طبقات ناصري، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٧٢ - ١٠٧٧؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٧١ - ٣٧٢).

(٤٢٩) عن مفازة قَلان راجع Kalaur, Drevnie mestnosti, str. 2 ويرد ذكر قُلان باشي مرة أخرى لدى جويني عند سرده لأخبار حملة ارغون (الجزء الثاني، ص ٢٥١: قلان تاشي، وأيضاً: بقلان تاشي، الجزء الأول، ص ١١١). ويرد اسم الحد الذي جرى فيه الصيد لدى جويني في صورة: اوتوقا.

(٤٣٠) ترجمة كفاروف، ص ٣٣٠ - ٣٣٦؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٩٤ - ٩٧.

الشأن في الماضي بقصر السلطان، وكان معسكر المغول يقوم على بعد عشر فرستات (ثلاثين لي) شرقي المدينة. ولم تكن إقامة چنكيز خان بسمرقند طويلة على النحو الذي يمكن فهمه من ألفاظ جويني. وليست لدينا معلومات دقيقة عن تاريخ رحيل المغول منها، لأن تشأن تشؤن استأذن في أن «يسافر متى ما يريد، متقدماً الجيش أو متأخراً عنه»[٤٣١]، ولكن يبدو جلياً من روايته أنه في نهاية يناير عام ١٢٢٣ كانت خيام الخان مضروبة على الضفة اليمنى لنهر سيردريا. وعلى أية حال فإن روايتي كل من جويني وتشأن تشؤن تشيران إلى أن چنكيز خان لم يمر على بخارا في طريق عودته إلى منغوليا، خلافاً لرواية مؤلف مجهول نقل عنه ميرخواند[٤٣٢].

ويبدو واضحاً من رواية تشأن تشؤن أن الموضع الذي انتظر فيه چنكيز خان وصول أولاده في ربيع عام ١٢٢٣ كان يقع على ضفاف نهر كبير يبعد ثلاث مراحل من سيرام، ويغلب على الظن أن المقصود به هو نهر چيرچيق. وهنا وفي العاشر من مارس وعلى مقربة من «الجبال الشرقية» وقع چنكيز خان من فرسه وهو يصطاد وكاد أن يقتله خنزير بري. وقد اغتنم تشأن تشؤن فرصة الحادث ليقنعه بالإقلاع عن الصيد بسبب تقدمه في السن فقبل چنكيز خان ولكنه قال إنه لا يستطيع إيقاف هذه الهواية فجأة، وبعد هذا امتنع عن الصيد مدة شهرين. وفي الحادي عشر من ابريل فارق تشأن تشؤن چنكيز خان إلى غير رجعة وذهب في طريقه من غير أن ينتظر وصول الأمراء.

أما عن رحلة چنكيز خان من سهوب قلان باشي إلى منغوليا فإن جويني[٤٣٣] لا يذكر عنها شيئاً غير أنه بدأ رحلته في الخريف فبلغ وطنه (اوردو) في الربيع. ووفقاً لرواية أجمع عليها رشيد الدين[٤٣٤] والتاريخ الصيني[٤٣٥] واليوان - شاأو - بي - شي[٤٣٦]

---

(٤٣١) (كفاروف، ص ٣٣٢)؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٩٥ (حيث تختلف الترجمة بعض الشيء: «To travel henceforth alone, in advance or behind»)

(٤٣٢) تاريخ چنكيز خان، طبعة جوبير، ص ١٦٦.

(٤٣٣) الجزء الأول، ص ١١١، شيفير، الجزء الثاني، ص ١٤٧.

(٤٣٤) طبعة برزين، القسم الخامس عشر (المتن، ص ١٤٢ - ١٤٣، ١٧٥)، الترجمة ص ٩٤، ١١٨. في الفقرة الثانية (السطر السادس) أضاف المترجم سهواً لفظ «صيفاً» التي لا وجود لها في المتن (ص ١٧٥).

(٤٣٥) ياكنث (بتشورين) Iakinth (Bichurin), Istoria chetyr. Khanov, str. 127

(٤٣٦) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤٩؛ (طبعة كوزين، ص ١٨٩).

فإن چنكيز خان لم يرجع إلى منغوليا إلاّ في عام ١٢٢٥ ، وكان ذلك إمّا في فصل الربيع وفقاً للتاريخ الصيني ولرشيد الدين ، وإمّا في الخريف وفقاً للملحمة المغولية . ويغلب على الظن أنه أمضى صيف عام ١٢٢٤ على ضفاف ارتيش كما تنص على ذلك الملحمة المغولية .

وغادر چنكيز خان الأقطار الغربية قبل أن يتمكن من إخضاعها بصورة نهائية لسلطانه ، غير أنه لم يكن هناك من يتحدى السيادة المغولية بما وراء النهر وخوارزم/ بعد 524 عام ١٢٢٣ . ويتفق كل من ابن الأثير(٤٣٧) وجويني(٤٣٨) في شهادتها على أنه بسبب ذلك استعادت ما وراء النهر عمرانها ورونقها بأسرع مما فعلت مدن خراسان والعراق . وتؤكد الوقائع التاريخية أن الكوارث التي حلت بسكان ما وراء النهر خلال الاضطرابات التي وقعت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر تركت آثاراً أطول عهداً وأبعد غَوْراً مما تركه الغزو المغولي ،بل إن خوارزم التي قاست أكثر من غيرها خلال ذلك الغزو استطاعت أن تستعيد عمرانها إلى حد ما . وبعد فتح المنطقة عين جوچي حاكماً (بسقاق) على خوارزم چنتمور الذي مر ذكره (ص ٥٧٩) ، وكان في النية أن تتبعه أيضاً خراسان ومازندران(٤٣٩) ، ومن الجلي أن جوچي قد افترض أن هاتين الولايتين كانتا بين اقطاعه . وقد عجز جوچي عن تنفيذ رغبته ليحول دون تخريب عاصمة خوارزم ، غير أن ابن الأثير(٤٤٠) يشهد بأنه خلال فترة قصيرة قامت إلى جنب اطلال گرگانج مدينة كبيرة جديدة . وقد غير المغول اسم گرگانج إلى أُركنج(٤٤١) ، ولا زالت محتفظة بهذه الهيئة حتى أيامنا هذه . وقد رأينا في القرن العاشر أن المدينة كانت تقوم على الضفة اليسرى لنهر امودريا ، أما في بداية القرن الثالث عشر وعندما أصبحت عاصمة لأمبراطورية مترامية الأطراف فإن المدينة امتدت على كلا جانبي النهر وكان يربط بينهما جسر . وكانت المدينة الجديدة كما يتبين من فقرات عديدة

---

(٤٣٧) ابن الأثير ، الجزء الثاني عشر ، ص ٣٢٣ ؛ Tizengauzen, I, 38

(٤٣٨) الجزء الأول ، ص ٧٥ ؛ شيفير ، الجزء الثاني ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٤٣٩) جويني ، الجزء الثاني ، ص ٢١٨ : بتوليت خراسان ومازندران نا مزدشد .

(٤٤٠) الجزء الثاني عشر ، ص ٣٢٣ ؛ Tizengauzen, I, 38

(٤٤١) رشيد الدين ، طبعة برزين ، القسم الخامس عشر ، المتن ، ص ١٠٤ ، الترجمة ٦٩ . من طبعة قزويني (الجزء الأول ، ص ٩٦) وشيفير (ص ١٣٦) لمصنف جويني يبدو ان الاسم أُركنج قد وجد قبل المغول ؛ غير أنه في العديد من مخطوطات مصنف جويني ترد القراءة ها هنا في صورة گرگانج .

من مصنف أبي الغازي[٤٤٢] تقوم على الضفة اليمنى [مما يجب أخذه في الاعتبار إذا ما تم التفكير يوماً في فحص الخرائب (وهو أمر مرغوب فيه للغاية) المحيطة بقنيا ارگنج الحالية التي نشأت في القرن التاسع عشر فقط][٤٤٣]. ولقد أصبحت ارگنچ مركزاً من أهم المراكز التجارية على الطريق بين أوروبا/وآسيا[٤٤٤]، ولكن رغماً من ذلك فإن خوارزم لم تسترد رونقها إلاّ في بطء ملحوظ فقد ظلت السدود وقتاً طويلاً في حالة خراب وظل امودريا مدة ثلاثة قرون يصب في بحر قزوين. ويكفي لإعطاء فكرة جيدة عن الاختلاف بين خوارزم لعهد المغول وخوارزم لعهد السامانيين قول ابن بطّوطة[٤٤٥] إنه كانت تمتد بين عاصمة خوارزم (ارگنچ) وبخارا مفازة ليس بها من العمارة سوى نقطة واحدة هي مدينة كاث الصغيرة. 525

هذا وقد رجع أولاد چنكيز خان إلى الشرق مع أبيهم باستثناء جوچي الذي بقي بأملاكه الشاسعة. وكانت محاولة جوچي السافرة لإقامة مملكة مستقلة عن مركز الامبراطورية سبباً في نشوب النزاع بينه وبين أبيه. ووفقاً لرأي جوزجاني[٤٤٦] فإن افتتان جوچي ببلاد القپچاق بلغ حداً جعله يعقد العزم على إنقاذ تلك البلاد من التخريب فقال لحاشيته إن چنكيز خان قد فقد عقله كي يقتل مثل هذا الخلق ويخرب مثل هذا العدد من البلاد، وأن الصواب في أن يقتل والده أثناء الصيد ويعقد حلفاً مع المسلمين. وقد نمى خبر هذه الخطة إلى چغتاي الذي أعادها على مسامع والده، فأمر الأخير بسمّ جوچي سراً. ومن بين المصادر الأولى لا يتحدث عن نزاع بين الأب والابن سوى رشيد

---

(٤٤٢) بصورة اكثر وضوحا فى ص ٢٢٥ من المصنف (ص ٢٤١ من الترجمة)؛ قارن أيضا رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، ص ٢٩٦ وما يليها،(ولكن الطبعة الانجليزية تضيف بعد هذا الآتي: راجع أيضا Zapiski, XV, 296 sq. نقلا عن مرجع من القرن السادس عشر). وأطلال المدينة التي خربها المغول يرد ذكرها منفصلا عن المدينة التي وجدت آنذاك.

(٤٤٣) Galkin, Etnograf. i astronom. materialy po Srednei Azii i Orenburgskomu Krayu, str. 161.؛ووفقا للتاريخ الرسمي لخيوه فإن قنيا ارگنج يرجع انشاؤها الى عام ١٨٣١؛ راجع Bartold, Oroshenie Turkestana, str. 99. وعن اطلال المدينة القديمة راجع أيضاً: Kun, Ot Khivy do Kungrada, str. 211-216 (من هلالي الى قنيا ارگنچ) والصفحات 216-218 (من قنيا ارگنچ الى خجيلي). ووصف الأطلال الذي يورده لانسدل انما هو مأخوذ من هذا المصنف (Lansdell, Russian Central Asia, vol. II, PP. 341-348)

(٤٤٤) Yule, Cathay and the way thither, II, 287-288

(٤٤٥) ابن بطوطة، الجزء الثالث، ص ١٩ - ٢٠.

(٤٤٦) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٠١، (طبعة نساو - ليس، ص ٣٧٩).

الدين[٤٤٧]، أمّا جويني[٤٤٨] فيذكر فقط أنه عقب الاجتماع الذي تم بقلان باشي فإن جوچي رجع الى أراضيه ومات عقب ذلك بقليل. ووفقاً لرأي رشيد الدين فإن جوچي كُلِّف بإخضاع الولايات الشمالية، أي تلك الأقطار التي اجتازها چبه وسوبوتاي في طريقهما، ولكن جوچي لم ينفّذ ذلك الأمر. فلمّا رجع چنكيز خان إلى منغوليا أرسل يستدعي ابنه للمثول بين يديه فتعلّل الأخير بالمرض، ولكن أحد المغول وصل من الأقطار الغربية وذكر أنه رأى جوچي في الصيد. عند ذلك قرر چنكيز خان أن ابنه قد عصي أوامره عن قصد فأرسل عليه چغتاي واوكداي وتجهز للحاق بهما عندما بلغه نبأ موت جوچي. ويزيد رشيد الدين على هذا أنه وفقاً لبعض الروايات فإن جوچي لم يتجاوز آنذاك العشرين من عمره، ووفقاً للبعض الآخر فإنه كان بين الثلاثين والأربعين من العمر حين أدركه الموت. ولمّا كان الابن الثالث اوكداي له ابن[٤٤٩] منذ عام ١٢٠٦ فإن جوچي الابن الأكبر لچنكيز خان لم يكن ليقل عمره في عام ١٢٢٥ عن الأربعين. ولا يعطينا رشيد الدين عام موت جوچي، ووفقاً لمصادر متأخرة[٤٥٠] فإنه قد مات قبل أبيه بستة أشهر، /أي في فبراير ١٢٢٧. فإن كان الأمر كذلك فإن نعيه وصل إلى چنكيز خان وهو ببلاد التنكوت التي بلغها برواية رشيد الدين[٤٥١] في خريف عام ١٢٢٥ وبرواية التاريخ الصيني[٤٥٢] في ربيع عام ١٢٢٦، والتي لم يقدّر له الرجوع منها إلى منغوليا حياً. أما القصة الخيالية بصدد الطريقة التي تم بها نعي جوچي لچنكيز خان[٤٥٣] فليس لها بالطبع قيمة تاريخية.

526

فارق چنكيز خان الحياة في آغسطس من عام ١٢٢٧[٤٥٤] وهو في سن الثانية

---

(٤٤٧) طبعة بلوشيه، ص ١٣٢ وما يليها؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, PP. 358-354

(٤٤٨) جويني، الجزء الأول، ص ٢٢١.

(٤٤٩) Iakinf (Bichurin), Istoria chetyr. Khanov, str. 298

(٤٥٠) هكذا في التاريخ الموجز لألوغ بيك (مخطوطة المتحف البريطاني، الورقة ١٠٨؛ Miles, The Shajrat ul Atrak, P. 196؛ أيضاً لدى راڤرتي ربيع الاول عام ٦٢٤ للهجرة (جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٠٢، الحاشية ٣).

(٤٥١) طبعة برزين، القسم الخامس عشر (المتن، ص ١٤٢ - ١٤٣، ١٧٥)، الترجمة ص ٩٤، ١١٨.

(٤٥٢) Iakinf, str. 132 (الكتاب السابق)

(٤٥٣) Teksty, str. 163-164 (نقلا عن شجرة الأتراك).

(٤٥٤) لدى جويني (الجزء الأول، ص ١٤٤) الرابع من رمضان (١٨ آغسطس) ونفس التاريخ يورده دوسون (Histoire des Mongols, T.I, P. 381)؛ ولدى جمال قرشي (Teksty, str. 136) العاشر من رمضان (٢٤ آغسطس). ويمكن أن نستنتج من ألفاظ رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن =

والسبعين، تاركاً لخلفائه امبراطورية مترامية الأطراف تم فتحها بحد السيف، وليس ذلك فحسب بل وترك أيضاً المبادىء الموجّهة التي قام عليها بناؤها. ورسم صورة أمينة متكاملة الجوانب لشخصية الفاتح الرهيب اعتماداً على ما بين أيدينا من معلومات لمهمة عسيرة للغاية. ولعلنا في وضع أفضل فيما يتصل بخلفائه لأن بعض المؤرخين رأوا فيهم بناة لا مخربين. فباتو مثلاً، وإن لم يكن غير «وحش ضار»[٤٥٥] في نظر مدوّني الحوليات الروسية إلاّ أنه اكتسب عند المغول لقب «الخان الطيب» (ساين خان)، ليس ذلك فحسب بل إنه اشتهر بالحلم والعدل والحكمة بين المؤلفين المسلمين[٤٥٦] والأرمن[٤٥٧] ممن ليس لهم أدنى ميل إلى مدح المغول. وإذا صدق ذلك على الشخصيات التاريخية فإنه يصدق كذلك على الشعوب، حتى أصبح من العسير إصدار حكم عادل ما لم تتوفر لدينا مادة تصور حياتهم في جوانبها المختلفة. أمّا إصدار الحكم على الشخصيات التاريخية وعلى الشعوب استنادا على وقائع منعزلة وجوانب منفردة من نشاطها فهو أسلوب لا يمت للمنهج العلمي بسبب، وإن كنا لا نزال نلتقي به مع الأسف حتى بين المؤرخين المحدثين. ولعل لقاء تشأن تشؤن بالمغول[٤٥٨] يبين أنه حتى مغول القرن الثالث عشر لم يكونوا مجردين من صفات الكرم وطيبة القلب المألوفة بين الرحّل شأنهم في هذا شأن القرغيز المعاصرين، 527 الأمر الذي لم يكن ليمنعهم بأية حال في/ ظروف أخرى من إثارة الفزع والرهبة في صدور جميع الشعوب بوحشيتهم وقسوتهم. غير أن المقابلة بين مظاهر الحياة السلمية للرحّل المعاصرين وماضيهم الدموي غير البعيد قد دعا بعض الرحالة الى القول بحدوث «تحول» جذري في أخلاق هذه الشعوب.

وأكثر المعلومات تفصيلا عن صورة چنكيز خان يقدمها جوزجاني ومنغ هنغ Meng-Hung فالأشخاص الذين تحادث معهم جوزجاني[٤٥٩] قد أبصروا الخان خلال

= ص ١٧٧، الترجمة ص ١١٩) أن موت چنكيز خان حدث قبل ذلك، لانه في الرابع عشر من رمضان (٢٨ آغسطس) كان جثمانه قد وصل الى منغوليا.

(٤٥٥) Karamzin, Istoria gosudarstva Rossiiskogo, T. IV, str. 10

(٤٥٦) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٧١ - ١١٧٢؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٤٠٦ - ٤٠٧).

(٤٥٧) Patkanov, Istor. mongolov inoka Magakii, str. 18 (وضح الآن ان المصنف المنسوب الى مغاكيا إنما هو من عمل غريغور الاكنزي. راجع الطبعة الجديدة التي قام بتحضيرها بليك وفراي. المتن ص ٣١٢، الترجمة ص ٣١٣ - الناشرون).

(٤٥٨) تشأن تشؤن، ترجمة كفاروف، ص ٢٨٨؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٥٢.

(٤٥٩) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٧٧؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٧٣).

غزوه لخراسان حين كان في الخامسة والستين من عمره ، وكان يتميز بقامته الطويلة وبنيته القوية وكانت عيناه « كعيني الهر » ولم يكن قد تبقى برأسه آنذاك سوى بضع شعرات وخطها الشيب. ووفقاً لرأي هنغ منغ(٤٦٠) فإن چنكيز خان قد امتاز عن بقية المغول بجسمه الباسط وجبهته العريضة ولحيته الطويلة ، أما خصاله الشخصية فقد كان أكثرها بروزاً ضبط النفس الشديد وعدم فقدانه السيطرة على عواطفه مهما كانت الظروف. وكغيره من الغزاة فقد كان بمقدور چنكيز خان أن يستأصل بهدوء تام الناس بالألوف متى ما رأى ذلك ضرورياً لتوطيد أركان سلطانه ، غير أنه من تصرفاته التي نعلمها جيداً فإنه لم تلح منه بادرة من القسوة المقصودة أو الظلم المتعمد ، كحالات التعذيب مثلاً التي عُرِّض لها الأسرى المغول بأمر من جلال الدين. وقد لاحظ الرحالة أكثر من مرة التناقض بين ما يتصف به الإنسان غير المتحضر من حيوية فيّاضة وعاطفة دافقة من جهة وبين حرصه على ألاّ يكشف عن مشاعره أمام الغريب حتى لا يقلل من هيبته من جهة أخرى. أما خلفاء چنكيز خان الذين نالوا ما أرادوا من الدنيا والدين وأحنى الجميع لهم هاماتهم فقد بلغوا في سهولة الحالَيْن ، أي ملاذ الحياة والحفاظ على هيبة الملك. ونلتقي من بينهم بملوك لم يسمحوا حتى لطيف ابتسامة أن تعبر وجوههم ولم يثيروا في نفوس رعاياهم غير الرهبة (چغتاي وكويوك)(٤٦١). بينما يقابلنا من جهة أخرى أولئك الذين أطلقوا العنان للحيوية الطبيعية في أخلاق الرحّل التي انعكست في أقوى صورها في الرغبة في العيش وفي ترك الآخرين يعيشون ، فكانوا يقابلون جميع رعاياهم بالبشاشة حتى أسروا قلوب الناس بحسن معاملتهم وكرمهم ، فكان شأنهم في هذا شأن شخصية سردَنَپال Sardanapalus لدى بيرون Byron ، إذ سمحوا لأنفسهم على مرأى من الجميع أن يسرفوا في ضروب المتعة إلى درجة الإفراط فأضاعوا بذلك هيبة العرش (اوكداي ، وإلى حد ما الخان الچغتائي ترمشيرين)(٤٦٢). غير أن چنكيز خان كان غريباً على كلتا الحالتين ، فهو من ناحية قد أخضع لشخصيته إرادة كل شخص آخر ، كما أخضع جيشه إلى ضرب من الضبط الشديد جعل السرقة والكذب على حد/قول جوزجاني(٤٦٣) (الذي لا يمكن اتهامه بمحاباة المغول) 528

---

(٤٦٠) التاريخ السري ، ترجمة كفاروف ، ص ٢١٧.

(٤٦١) عن أخلاق كويوك وشخصيته راجع پلانو كارپيني Plano Carpini طبعة بيزلي ، ص ١٢٧ ؛ (والترجمة الروسية بقلم مالبين ، ص ٥٨ - ٥٩) ؛ وجويني ، الجزء الأول ، ص ٢١٣ ؛ ورشيد الدين ، طبعة بلوشيه ، ص ٢٥٢ وما يليها.

(٤٦٢) راجع عنه ابن بطوطة (الجزء الثالث ، ص ٣٣ - ٣٩).

(٤٦٣) ترجمة راڤرتي ، الجزء الثاني ، ص ١٠٧٩ ؛ (طبعة نساو - ليس ، ص ٣٧٤).

أمراً غير متصور بين جنده، غير أننا نراه من ناحية أخرى تستهويه صورة البطل الكريم السمح حتى قيل عنه: «إن الأمير تيموچين لينتزع ملابسه التي يرتديها ويخلعها على من يريدها، وينزل عن صهوة جواده الذي يركبه ويمنحه للغير»[٤٦٤].وقصة مقابلة چنكيز خان مع القاضي وحيد الدين بوشنجي التي حفظها لنا جوزجاني تقف برهاناً على مقدرته على كبح جماح غضبه حين لا ترضيه ألفاظ الغير[٤٦٥]. وقد شارك چنكيز خان قومه افتتانهم بالخمر، حتى إنه لم يستطع في تعاليمه أن يذهب بعيداً في إدانة شاربها[٤٦٦]، ولعل ما صوره منغ هنغ[٤٦٧] من أن چنكيز خان قد «غرّم» المبعوث الصيني «ستة دنان من الخمر» يذكرنا بمآدب بطرس الأكبر. ومنغ هنغ هذا يحدّث أيضاً عن جماعة من الفتيات كانت تصحب الخان المغولي في تنقله من مكان إلى آخر، وفي وصف رحلة تشأن تشؤن[٤٦٨] يرد أيضاً ذكر للفتيات. وقد كان إمداد الجيش وقادته، بل إمداد الخان بالسراري يتبع نظاماً دقيقاً[٤٦٩]. غير أن ما بلغه چنكيز خان من سن متقدم وتمتعه على الدوام بكامل قواه العقلية وصفاء ذهنه ليقف برهاناً على أنه لم يطلق العنان لشهواته بالدرجة التي بلغها معظم خلفائه.

والمواهب التنظيمية الفذّة التي تمتع بها چنكيز خان تستحق اهتماماً أكثر لأنه ظل حتى آخر أيام حياته غريباً على جميع الحضارات، فهو لم يتحدث إلى جانب المغولية لغة أخرى[٤٧٠]، كما أنه لم ير في امبراطوريته سوى أداة لسيادة الرعاة الفاتحين على الشعوب المتحضرة التي أعطاها الله للمغول ليفيدوا من ثمرة عملها، ولذا فإن على المغول بسط حمايتهم عليها[٤٧١]. وإذا حدث وأن لم نلتق بتوجيهات قاطعة في تعاليم چنكيز خان التي

---

(٤٦٤) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الثالث عشر، المتن ص ١٦٠ ؛ الترجمة ص ٩٨.

(٤٦٥) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٠٤١ - ١٠٤٢ ؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٥٣ - ٣٥٤). (وقد اتهمه القاضي في وجهه بسفك الدماء، واضطر الى الهرب من بعد).

(٤٦٦) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر (المتن ص ١٨٦ - ١٨٨)، الترجمة، ص ١٢٥ - ١٢٧.

(٤٦٧) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ٢٣٤.

(٤٦٨) كفاروف، ص ٢٧٣ ؛ برتشنيدر، الجزء الأول، ص ٤٣ وما يليها.

(٤٦٩) جويني، الجزء الأول، ص ٢٤ ؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. I, PP. 416-417

(٤٧٠) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١١٤ ؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٨٦).

(٤٧١) راجع تاريخ مغاكيا ترجمة بتكانوف الى الروسية، ص ١١ ؛ (طبعة بليك وفراي، المتن ص ٣٠٠، الترجمة ص ٣٠١).

وصلت إلينا، كما هو الشأن مع التعاليم التي ينسبها العثمانيون إلى اوغوز خان[٤٧٢] بأنه خاطب شعبه قائلاً: «عليكم بالتجوال الدائم/وألاّ تنزلوا الأمصار أبداً»، فمما لا ريب فيه 529 إطلاقاً أن هذه كانت أيضاً إرادة چنكيز خان، وعلى أية حال فإن قولاً بهذا المعنى كان ينسب إلى ياسا چنكيز خان[٤٧٣] في القرن الرابع عشر. وكان على المزارعين وأهل الصناعات أن يكونوا أداة طيّعة في أيدي سادتهم المغول، أو القادة منهم بتعبير أدق. وقد عمل چنكيز خان فقط لنفسه وللمنحدرين من صلبه ولأنصاره المقربين. وليس هناك أدنى دليل لإثبات أن چنكيز خان تأثر بفكرة العمل لصالح الشعب بأجمعه، ولو بالصورة التي تم فيها التعبير عن هذه الفكرة في نقوش الأورخون[٤٧٤]. ومن ناحية أخرى فإن الحضارة الفكرية كانت تمثل في حد ذاتها قوة لم يكن من الصواب تركها كلية في أيدي رعايا الدولة، ولقد كانت محاولة التوفيق بين أمرين متناقضين كالحياة الرعوية من جهة والحضارة الفكرية من جهة أخرى أضعف حلقة في البناء الشامخ الذي شيده چنكيز خان وكانت السبب الرئيسي في تقويض أركانه. وبالرغم من ذلك فإن النظام الذي أقام عليه صرح امبراطوريته أثبت أنه كان كافياً للحفاظ على وحدتها مدة أربعين عاماً بعد وفاة منشئها، وعلى سيادة بيت چنكيز خان في الدول التي قامت على أنقاضها لعدة أجيال فيما بعد. وهذا أمر جدير بأن يسترعي الانتباه، خاصة وأنه لم يحدث لأحد من أبنائه أو أحفاده أن ورث مواهبه الفذّة. ولقد اختار چنكيز خان خلفه وهو لمّا يزل على قيد الحياة، وكان هذا الاختيار برهاناً آخر على حكمته وبعد نظره، فهو لم يغرّه النبوغ العسكري لابنه تولوي ولا الشدة المتناهية التي كان يطبق بها چغتاي القواعد الأساسية للنظام الذي أقامه والده، بل إن چنكيز خان وقع اختياره على اوكتاي الذي اجتذب إليه القلوب بسماحته وكرم أخلاقه. ولمّا كان ما اتصف به چنكيز خان من قوة الإرادة أمراً لم يرثه أي من أبنائه فإن السلطة قد آلت إلى أسرة الخان بأجمعها. ولم يكن من المستطاع الحفاظ على تماسك الامبراطورية في مثل هذه الحال إلاّ إذا كانت السلطة العليا.

---

(٤٧٢) تواريخ آل سلجوق (الترجمة التركية - مخطوطة المتحف البريطاني، ص ٢٨): دايم كوچ ايده لر اوتراق اوليالر (لا توجد بالطبع في الأصل الفارسي).

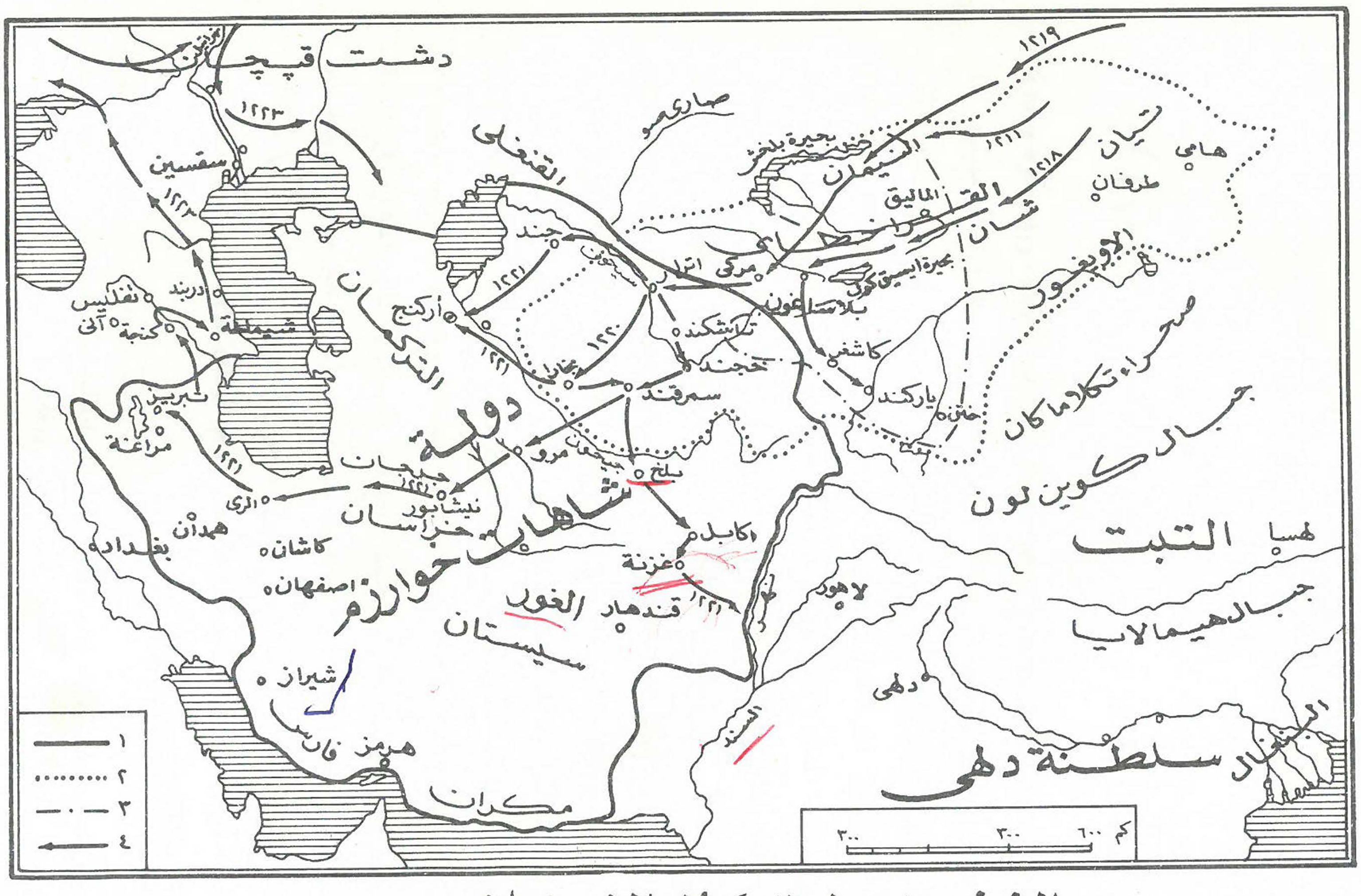
(٤٧٣) حمد الله قزويني، تاريخ گزيده، مخطوطة جامعة لنينجراد، الورقة ٤٧٢: مغول را در شهر نشستن قاعده نيست وخلاف ياساق چنكز خانست (لا توجد في طبعة براون Browne المصورة).

(٤٧٤) Melioranski, Pamiatnik v chest Kül-Tegina, str. 70 (نقش كول تكين الكبير، السطران السادس والعشرون والسابع والعشرون)؛ Radloff, Die Alttürkischen Inschriften der Mongolei, Lief 1, S. 17؛ Thomsen, Inscription de l'Orkhon, PP 106, 107

في يد رجل يستطيع أن يجمع حوله الناس، إن لم يكن بتفوقه العقلي وبقوة إرادته فبأخلاقه الحميدة وبشاشته. وليس لنا علم بالظروف التي عرضت فيها هذه الإعتبارات لجنكيز خان نفسه، غير أن جميع الروايات متفقة على أن اوكداي قد أُعلن وريثاً للعرش في حياة أبيه؛ وإن الاتفاق واجتماع الكلمة اللذين عالج بهما أعضاء البيت الحاكم أمورهم خلال توليه عرش الخانية، إلى جانب ما تمتع به الرعايا من رخاء نسبي لتقف كلها دليلاً على أن اوكداي قد برّر بما فيه الكفاية تلك الآمال التي عقدها عليه والده البعيد النظر.

530 أما البحث في آثار قيام امبراطورية المغول على تاريخ آسيا الوسطى، وأي تلك الآثار أثبت مقدرته على البقاء في الدول التي قامت على أنقاضها، فهو مما لا ريب فيه أمر بالغ الطرافة. غير أن إيضاح ذلك بصورة وافية بالغرض يحتاج في رأينا إلى بحث مستقل قائم بذاته.

★ ★ ★ ★



الغزو المغولي للعالم الاسلامي

١ ـ حدود دولة شاهات خوارزم حوالي عام ١٢١٩ ـ ٢ ـ الحدود التقريبية لدولة القراخطاي
٣ ـ دولة النيمان (١٢١٠ ـ ١٢١٩) ـ ٤ ـ خط سير حملات جنكيزخان وأولاده وقواده

الفصل الخامس[1]

(تركستان تحت سيادة المغول (١٢٢٧ - ١٢٦٩))

عهد چنكيز خان بالملك إلى اوكداي وهو ما يزال على قيد الحياة، وبعد فترة وجيزة من ذلك، تم تنصيبه قاآن في قوريلتاي عام ١٢٢٩ (عام الثور)[٢] وسط احتفال مهيب. أمّا من الذي كان يدير شؤون الأمبراطورية في الفترة ما بين موت چنكيز خان واعتلاء اوگداي العرش، فليس غير المصادر الصينية ما يعين على الإجابة على هذا السؤال؛ وعلى ضوء رواية هذه المصادر فإن تولوى هو الذي تقلد منصب الوصي ووافق على كره منه على دعوة القوريلتاي للانعقاد تحت ضغط من الوزير الصيني يه - لو چئو - تسأى Yeh-lü Ch'u-ts'ai. وهذا الدور الكبير الذي ينسب للوزير الصيني لا سند له من المصادر الأخرى التي لا تذكر حتى مجرد اسمه. وقد برهن چنكيز خان مرة أخرى وهو يختار خليفته، على ما امتاز به من مقدرة فائقة في تقديره للرجال، فابنه الأكبر جوچي لم تكن لديه فرصة ليُنادي به خلفاً لوالده حتى في حياة هذا الأخير وذلك لعدائه مع إخوته. وبهذا وجد چنكيز خان نفسه مضطراً إلى اختيار خلفه من بين أبنائه الثلاثة الآخرين. ويكاد چغتاي أن يكون أقربهم إليه في الطباع، وهو الذي عرف بالصرامة والتشدد في تطبيق القانون. أما من حيث الصفات العسكرية بل والمقدرة في قيادة الجيوش كذلك فإن تولوي قد فاق كل إخوته بلا منازع. غير أن چنكيز خان كان يعلم علم اليقين أن تلك الصفات، وان كانت تجعل هذين الأخوين إداريين ممتازين إلاّ أنها لم تكن تكفي لحكم امبراطورية مترامية الأطراف ولضمان روح الوفاق بين أمراء البيت المالك،

---

(١) (هذا الفصل ينشر لأول مرة ها هنا، نقلاً عن مخطوطة بارتولد الموجودة بأرشيف أكاديمية العلوم للسوفيتية، F. 68, OP. 1, NO 12 (من خمس وعشرين ورقة). وفي المخطوطة لا يحمل هذا الفصل عنواناً ما - الناشرون)

(٢) وفقاً للحولية المغولية - الصينية فان هذا القوريلتاي انعقد في عام الفأرة (١٢٢٨ ميلادية) راجع التاريخ السري، ترجمة كفاروف. ص ١٥٢؛ طبعة كوزين، ص ١٩١ .

وهو شرط أساسي للحفاظ على أمن الأمبراطوريات الرعوية ووحدتها. ذلك أن تماسك أمراء البيت المالك لم يكن ليتم إلاّ بسيطرة شخصية جبارة تتصف بالعبقرية كشخصية چنكيز خان، أو بتأثير شخص يتمتع بصفات حميدة ودماثة في الخلق يستطيع بها أن يجمع حوله أمراء البيت المالك وبقية سكان الدولة، ويجعل من نفسه هدفاً لمحبتهم وتفانيهم في الإخلاص له. وكان اوكداي وحده الذي توفر فيه ذلك الشرط. فهو لم يكن متشدداً في تنفيذ الياسا، بل إن ولعه بالخمر تجاوز بكثير الحدود التي وضعها چنكيز خان. كما أنه لم يكن يتمتع بصفات عسكرية، وفي الواقع أن اوكداي شارك في الحملات العسكرية بصورة أقل بكثير مما فعل أبوه وأمضى معظم أيام حكمه بالعاصمة قراقورم ونواحيها حيث شيد أبنيته الفخمة بمعاونة الصنّاع من أهل الصين ومن المسلمين. وقد أكبر چنكيز خان الصفات الحميدة التي تحلّى بها اوكداي فوقع عليه اختياره ليخلفه في الحكم مفضّلاً اياه على تولوي ذي المواهب العسكرية وعلى چغتاي الذي عرف بصرامته في تطبيق الياسا.

وغزو المغول لاقطار جديدة في عهد اوكداي أمر لا يهمنا في كثير، فقد سارت العمليات العسكرية في كل من الصين وآسيا الغربية وأوروبا في طريقها المرسوم لها، أما عن المنطقة التي نعالج الكلام في تاريخها في هذا الكتاب وهي تركستان فإن السلام ظل مستتباً فيها دون أن يعكر صفوه شيء. وفي أواخر عهد اوكداي فقط أخمدت ثورة قام بها سكان بخارا سنقف عندها في وقتها المناسب. أمّا الاجراءات التي اتخذها اوكداي لتثبيت أركان الدولة التي أقامها والده، ولإحلال السلام والأمن في ربوعها فقد كانت ذات أهمية قصوى لأنها تمس نظام الحكم عند المغول جميعاً.

وقد أجمعت المصادر التاريخية، حتى المبرّأة منها من تهمة الخضوع لتأثير المغول والتي لا يرقي الشك إلى استقلالها التام[٣]، بل وعرفت بعدائها لهم، أجمعت على الثناء على كرم أخلاق اوكداي ولين جانبه. فلا نلتقي خلال أيام حكمه بشيء من تلك العقوبات الرهيبة والتقتيل البشع، مما كان مألوفاً على أيام خلفائه. ورغماً من ذلك فإن اوكداي كان بطبيعة الحال ابناً لعصره وبيئته المغولية التي لم تكن كما رأينا قد اطّرحت بعد عادة تقديم الضحايا البشرية. ومهما يكن من شيء فإن الاغتيال السري للنبلاء الذين وصفوا بالخطورة قد جرى في عهده بدرجة تقل كثيراً عما كان عليه الحال في عهد أبيه، بل إن

---

(٣) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٠٦؛ طبعة نساو - ليس، ص ٣٨٠

تاريخ المغول السري[٤] لا ينسب إليه في هذا الشأن سوى حالة واحدة. فقد حدث أن أمر اوكداي سراً، إرضاء لدافع الانتقام الشخصي، باغتيال تابع مخلص هو توقولقو[٥] الذي كان من أصحاب أبيه المقربين وقائداً من قادة الجيش كثيراً ما ورد ذكره لدى رشيد الدين فيما يتصل بأخبار فتح الصين. كما أن جويني يورد قصة تكشف عن المعاملة الوحشية التي لقيتها قبيلة بأجمعها على يد اوكداي. وتفصيل ذلك أن نبأ قد ذاع بأن الخان يريد أن يزوج بنات هذه القبيلة من رجال قبيلة/أخرى، فسارع أهلوهن بتزويجهن من 533 رجال القبيلة، فلمّا علم اوكداي بذلك أمر باحضار بنات القبيلة كلّهن ممن تجاوزن سن السابعة وبأن يُعتدى عليهن بصورة وحشية أمام أنظار آبائهن واخوانهن وبعولتهن، ثم أمر بتفريقهن بعد ذلك فأُخذ البعض منهن إلى البلاط كمحظيات ووُزع البعض الآخر منهن على الأمراء وعلى كل الحاضرين من المغول والمسلمين، بينما أُرسلت البقية الباقية إلى بيوت الدعارة وإلى محطات البريد للترفيه على رسل القاآن[٦].

ومن العسير القول بأن هذا العمل الوحشي من جانب اوكداي كان مردّه إلى ضرب من القسوة الطائشة فحسب، فالزواج داخل القبيلة الواحدة كان يتنافى مع تقاليد الرعاة من الترك والمغول[٧]، وكان هدف القاآن في الواقع معاقبة تلك القبيلة لتجاوزها العرف

---

(٤) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٥٩؛ طبعة كوزين ص ١٩٧

(٥) توقولقو من بطن مانقو (مانقوق) كان من أول من انضموا الى چنكيز خان (التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ٦٠؛ (طبعة كوزين، ص ١٠٧). وفيما بعد أصبح من قادة الحرس الأربعة المتناوبين (شرحه، ترجمة كفاروف، ص ١٢٦؛ (طبعة كوزين، ص ١٧٠). ويذكر رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ص ٢١١؛ الترجمة ص ١٤١) اسم توقولقو چربى من قبيلة أرولات كقائد من قادة الألوف. وفي حكم اوكداي اخذ طرفاً في فتح الصين وفقاً لقول رشيد الدين (طبعة بلوشيه، ص ٢١ - ٢٤ وما يليها).

(٦) جويني، الجزء الأول، ص ١٩٠ - ١٩١؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, P. 98. ويرد سرد موجز لهذه الأحداث في المصادر الصينية تحت عام ١٢٣٧ (اليوان - شي - بي - شي، ترجمة بتشورين، ص ٢٧٢) حيث يقال إن الاشاعة انتشرت «بين أجيال الجانب الشرقي». وأغلب الظن أن التاريخ السري يشير الى نفس الأحداث (ترجمة كفاروف، ص ١٥٠، ؛ طبعة كوزين، ص ١٩٩) عندما يتهم أوكداي «بسلب فتيات من شعب عمه أوچكين». أما زعم دوسون بان الحادث يتعلق بقبيلة الاويرات، فان هذا لم يرد ما يؤكده فيما وقع بين يدي من مخطوطات جويني ورشيد الدين.

(٧) لا يقابلنا بين المغول حالات للزواج داخل العشيرة. وفي الحولية المغولية الصينية (التاريخ السري) يذهب المقاتلون للحصول على زوجات لهم بين العشائر الأخرى؛ وأحياناً يأخذ المقاتل عروساً لابنه من عشيرة أمه. وكان تقديم عروس لأهل البيت المالك من امتيازات قبائل معينة.

والتقاليد الشعبية. ومن ناحية أخرى فإنه من العسير تحديد طبيعة الشائعة التي قادت إلى ذلك السلوك المجافي للتقاليد. ومن الجلي أنه لا يمكن موافقة دوسون في افتراضه بأن أولئك المغول لم يكونوا يرغبون في أن يتزوج بناتهم من قبيلة أخرى. ولعلهم خافوا أن يقسرهم القاآن على التصاهر مع قبيلة معادية، كما أنه من الممكن ربط هذا الحادث بقرار اوكداي الذي كان يرمي إلى تسهيل وتشجيع التزاوج بين المغول والمسلمين(٨).

ومبدأ مشاركة أفراد البيت المالك في حكومات دول الرعاة الذي يصفه جويني في كتابه، هذا المبدأ لم يحدث أن طبق تطبيقاً صحيحاً مثلما حدث في حكم اوكداي. ففي كل حملة من الحملات العسكرية الكبرى شارك أمير ملكي من كل واحد من الوسات بيت چنكيز خان الأربعة. وحين أُسندت ادارة خراسان المدنية الى چنتمور، ضُم إليه مندوب من كل واحد من هذه الالوسات(٩)، وقد تم خلال فتح الصين توزيع خراج الولايات والمدن على جند أبناء الخانات(١٠)، كذلك عندما أثيرت مسألة تنظيم/البريد عين كل خان من خانات الألوسات مندوباً عنه في عملية تنفيذ ذلك المشروع(١١).

534

وقد أدرك المغول أنفسهم جوهر التباين بين حكمي چنكيز خان واوكداي والأهداف التي كان يرمي اليها اوكداي. وفي هذا الشأن ينسب تاريخ المغول السري(١٢) إلى اوكداي العبارات الآتية: «إن مليكنا چنكيز قد أقام أسس بيتنا بجهود جبّار، أما مهمتنا نحن الآن فهي تحقيق السلام والرفاهية لأفراد الشعب لا إثقال كاهلهم بما لا يطيقون من الأعباء». هذه الرغبة في إحلال السلام والسكينة في ربوع الأمبراطورية وحماية المواطنين الآمنين من الظلم ومن تسلط عمال الدولة وتعنتهم هي التي دفعت باوكداي إلى القيام ببعض الاصلاحات، كخلقه لوظيفة التناجي، وتحديده لفئات الضرائب، وتنظيمه البريد.

وبعد أن فرغ اوكداي من تقسيم ولايات الصين التي فتحها المغول على الأمراء، جهد وزيره الصيني يه - لـو چئو - تسأى في إقناعه بالعدول عن قراره هذا، فلمّا عجز أشار

---

(٨) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٠٧؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٨٠ - ٣٨١)

(٩) جويني، الجزء الأول، ص ٢١٨ - ٢١٩؛ من ألوس القاآن: كلبلات، ومن ألوس باتو: نوسال؛ ومن ألوس چغتاي: قزل بوقه؛ ومن ألوس أرمل تولوي، سوقتنى بيكي: يكه.

(١٠) اليوان - شي، ترجمة بتشورين، ص ٢٦٠.

(١١) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٤٢. عن القاآن: قريداي؛ وعن چغتاي: تايچيور تاي ايملكجين؛ وعن باتو: سوقومو لچتاي؛ وعن أرمل تولوي سيورقوقتني بيكي: الچيقة.

(١٢) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٥٧، (طبعة كوزين، ص ١٩٧)

عليه بأن يرسل مع كل أمير واحداً على الأقل من عمال الخراج وبألاّ يسمح للأمراء بجمع الضرائب رأساً من السكان فقبل اوكداي[١٣]. ويبدو أن هؤلاء العمال هم التناجية[١٤] الذين تم تعيينهم وفقاً/لعبارات الملحمة المغولية[١٥] (أي تاريخ المغول السري) «بجميع المدن 535 للحفاظ على الأمور بها». ويعتقد الأب باللاديوس أن التناجية هم البسقاقية[١٦]؛ ويغلب على الظن أن هذا الفرض صحيح، وتذكر الملحمة المغولية[١٧] بالتحديد أن التناجية قد

---

(١٣) اليوان - شي، ترجمة بتشورين، ص ٢٦٠، ٢٦٥

(١٤) جاء في التاريخ الصيني (شرحه، ص ٢٦٠): «أمر الخان بتعيين الدار وغجات في كل موضع، وعينت الوزارة ممثلين لها لجمع الضرائب». ويقول التاريخ السري (ترجمة كفاروف، ص ١٥٥؛ طبعة كوزين، ص ١٩٤) وذلك بعد وصف اخضاع شعوب أوروبا الشرقية: «وبعد أن عين دارو غجات وتاچيه، قفل (باتو) راجعاً. وفي المتن، كما يقول الارشمندريت باللاديوس (شرحه، ص ٢٥٥ - ٢٥٦، الحاشية)، فان لفظ داروغچه «تأتي غير منفصلة عن لفظ تاچي كأنما يتعلق الأمر باسم واحد؛ وأعتقد أن هذا خطأ من الناسخ». ويبدو أن الداروغچي كان الاداري الرئيسي للمقاطعة وأن التناجي كان تحت أوامره. ويعتقد الارشمندريت باللاديوس (شرحه، ص ٢٥٥، الحاشية) أن «التناچيه كانوا قادة من المغول يقودون الوحدات الأجنبية مثل وحدات الكيتان والترك وغيرهم. وفي الواقع ان اللفظ الذي أطلق على القادة إنما أخذ عن اسم هذه الوحدات وهو تنا». راجع تعليقات برزين على طبعة رشيد الدين (القسم الخامس عشر، ص ١٨١)؛ وفي المصادر الصينية والأرمنية والكرجية كثيراً ما نلتقي بلفظ تاچي(راجع مغاكيا، ترجمة پتكانوف، ص ٣٠ = غريغور الاكنزي) وإن كان معناه غير واضح. وفي تاريخ رشيد الدين يرد لفظ «تا» في صدد العسكر الذين أرسلوا من قبل الى أقطار الغرب لاحتلالها وحراستها وبما أن هذا العسكر قدم قبل غيره فقد دعاه الكتّاب الأرمن العسكر القديم. ونفس التسمية تقابلنا في المصادر الصينية، وفي صورة مغايرة هي تناچي. لهذا فإن لفظ تاچي يقصد بها العسكر الذي كانت مهمته هي «تا» أي الحراسة، ولم يلبث اللفظ أن أطلق على كبار رجال الدولة المنوطة بهم هذه المهمة. وفي المغولية يعني لفظ «ديم» العون والمدد، ويعني الفعل «تماكو» الجمع. وجاء لدى رشيد الدين (طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ص ٢٢٩): معيّن كردانيدند كه لشكرها كه بجهت تما بايران زمين فرستاده اند وآنچه باسامي نويان هم برسبيل تما بجانب ولايت كشمير وبدخشان وحدود بلخ اند تامت ازان هولاكوباشد - (= وتقرر أن العسكر الذين كانوا أرسلوا كحاميات لاحتلال ايران، وأيضاً أولئك الذين كانوا أرسلوا تحت قيادة سامي نوين لحراسة كشمير وبدخشان وحدود بلخ، أن يصبحوا جميعهم تحت إمرة هولاكو - المترجم)

(١٥) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٥٩؛ طبعة كوزين، ص ١٩٩

(١٦) شرحه، ترجمة كفاروف، ص ٢٥٥ (التعليق) (يضيف بوسورث Bosworth أن لفظ باسقاق لفظ تركي يقصد به الحاكم وممثل الخان في الأراضي المحتلة، خاصة المكلف بجمع الضرائب، وأنه يعادل اللفظ المغولي داروغه، داروغچين. أنظر Doerfer, Turkische Elemente im Neupersischen, I, 319- 323, NO 193; II, 240-243 No 691

(١٧) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٥٥؛ طبعة كوزين، ص ١٩٣

عُيّنوا في الصين وفي الأقطار التي أخضعها المغول في آسيا الغربية. وفي بعض الأحايين كانت توكل إلى التماجية أيضاً السلطة العسكرية، ويقال إنه حين سخط القاآن على ابنه كويوك وأراد أن ينفيه، قال: «فليُرسل إلى الثغور النائية بصفة تماجي حتى يستولى على المدن الحصينة ويؤدي بعض الأعمال الشاقة»[١٨]. وكان حكام الولايات الكبرى مسؤولين مباشرة أمام القاآن، ولم يصدق هذا على ولاية خراسان وحدها التي كان لها وضعها الخاص بها بل وما وراء النهر أيضا التي كان يحكمها باسم القاآن محمود يلواج[١٨أ] الذي كان

---

(١٨) شرحه، ص ١٥٦؛ (طبعة كوزين، ص ١٩٤).

(١٨ أ) [عن محمود يلواج يقول المؤرخ ابن الفوطي في معجمه «مجمع الآداب» (القسم الثالث من الجزء الرابع، ص ٢٩٨، من طبعة مصطفى جواد.):

«فخر الدين أبو القاسم محمود بن محمد، يعرف بيلواج الخوارزمي وزير قان كان من أعيان دولة چنكيز خان والعظماء والوزراء في هذا الزمان، وعليه مدار الملك في المشرق وإليه تدبير ممالك تركستان وبلاد الخطا وما وراء النهر وخوارزم. وكان مع هذا الحكم والدهاء كاتباً سديداً يكتب بالمغولية والأويغورية والتركية والفارسية ويتكلم بالخطائية والهندية والعربية. وكان غاية في الفهم والذكاء والمعرفة، وبتدبيره انتظم للمغول ملكهم وقد سبق ذكر ولده برهان الدين مسعود بك صاحب الحكم والحكمة الذي زاد عليه في علو الهمة». ويذكره ابن العبري (ص ٤٥٨) بالألفاظ الآتية: «الصاحب المعظم يلواج». ويقول جمال قرشي (ملحقات الصراح، Teksty, str. 139) عنه وعن أسرته: «ذكر معارف الأمراء والوزراء وذوي العوارف الكبراء منهم الصاحب الأقدم والدستور الأعظم فخر الدنيا والدين غياث الاسلام والمسلمين اعدل وزراء الخواقين ضابط الممالك حارس أهل الاسلام من المهالك أصف العهد محمود يلواج بن محمد الخوارزمي صبّ الله على تربته سجال رحمته- فوّض إليه الوزارة العامّة من قبل چنكيز خان الى دور مكو خان فرتّب الممالك ونظّم أمور الدولة والدين من جيجون خراسان إلى أقصى ممالك الصين قسم الممالك القاون الأعظم أو كتاي بن چنكيز خان بينه وبين ابنه واجلسه في ممالك خطاي وتنكت الى ديار يغر فعمرت البلاد بيده وأيده وانتعشت العباد بعدله وعهده يطلع الممالك الشرقية كالبدر في افاضة الأنوار واعتلاء القدر فعلا على الارؤس والهامات يلواج، كالتاج على المفرق وناهيك ولاية الخطاي من المشرق فتوفي في شهر ربيع الأول سنة ٦٥٢ بخان بالق ودفن بها شهيداً غريباً وإلى رحمة الله ورضوانه قريباً وأقام فيما بين ديار تنكت الى شط جيحون خراسان لأمور الامارة والوزارة بها ابنه الصاحب الصدر الكبير المعظم الأمير الخطير المفخم سلطان وزراء العالم مفخر أمراء بني آدم صاحب السيف والقلم ناصب الطور والعلم ناشر البر والكرم راقي رتبتي الملك والعلم ساقي كأس البأس والحلم سايق حليبى الحرب والسلم ليثى الوثوب في الحروب غيثى السيوب للنشوب برهان الدنيا والدين مسعود بن محمود الخوارزمي الذي هو خلاصة النقد وواسطة العقد ومن يعقد عليه الخناصر وعقم عن مثله العناصر - وكان ايامه كالليالي في انامة الفتن واستنامة الرعايا الى السبات والسكن لاستخلاصهم عن العوارض والمؤن واثبات أركان المملكة بالخصب والسعة واسبات سكّانها في الأمن والدعة ولياليه كالأيام بأضواء الاذكار وأنوار البحث والتكرار مع الشيوخ الكبار والاعلام الأحبار فاعتلى لواء العلم بنصره وانجلى ظلام الظلم في عصره - مات في شوال سنة

يقيم بخجند[١٩]. وقد حدث أن عزله چغتاي بلا وجه حق، فلمّا عتب عليه القاآن بسبب تصرفه اعتذر عن فعلته فقبل القاآن اعتذاره وضم إلى چغتاي ما وراء النهر بصفة اينجو[٢٠]. وهذا يقف برهاناً ساطعاً على أن وظيفة التناجي لم تكن لها الفاعلية اللازمة، ويصدق هذا أيضاً بوجه عام على حكام الولايات الخاضعين للقاآن رأساً عندما لا يكون هناك حاكم مطلق للدولة.

ويرجع رشيد الدين بالقرار الذي حُددت على أساسه فئات الضرائب وتنظيم البريد إلى قوريلتاي عام ١٢٣٥[٢١] (عام الشاة)[٢٢]، ورشيد الدين[٢٣] لا يتحدث إلّا عن ضريبة

= ٦٨٨ ببخارا ودفن في مدرسته بها - فولى مكانه أوضح الله برهانه باشارة قيدو ابنه الأمير المؤيد المنصور دستور بن دستور غياث الدنيا والدين مسعود الثاني ابو بكر بن مسعود بن محمود في سنة ٦٨٩ ومات في شعبان سنة ٦٩٧ وجلس بعده باشارة قيدو اخوه الأمير ستلمش بيك وهو مسعود الثالث ومات في سنة ٧٠٢ وجلس في دار الملك بكاشغر باشارة الخان جبر هداه الله مسعود الرابع الذي عدّ زحل في الفلك السابع من جملة خدمه ومشتري تراب قدمه وهو الأمير ابن الأمير والوزير ابن الوزير صاحب التاج والسرير فخر الملوك سيونج بن مسعود بن محمود الخوارزمي بارك الله في جلوسه وحرسه عن ضر الزمان وبؤسه »[المترجم].

(١٩) جويني الجزء الأول، ص ٨٦

(٢٠) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ١٩٦: teksty str. 124–125 . وبما أن محمود يلواج كان لا يزال ببلاد ما وراء النهر أثناء ثورة محمود تارابي، فمن الجلي أن استدعاءه قد حدث بعد عام ٦٣٦ هجرية (بين ١٤ آغسطس ١٢٣٨ و٢ آغسطس ١٢٣٩) (يعلق بوزورت Bosworth على لفظ « اينجو » بأنها الأرض المخصصة لاستعمال الخان وأهل بيته، وأنها ترد كثيراً في المصادر التاريخية (رشيد الدين مثلا) في صورة: خاص اينجو. راجع تعريف اللفظ لدى الشبانكارة« مجمع الانساب »: « اينجو هي الأراضي ملك رأس الدولة والديوان الكبير » (نقلها بارتولد في مقاله: Barthold, Die persische Inschrift an der mauer der Manuĉeh – moschee zu Ani; وأيضاً Doerfer, II, 220–225, No 670

(٢١) يرجع الصينيون بتاريخ انشاء قراقورم الى نفس ذلك العام. راجع اليوان - شي، ترجمة بتشورين، ص ٢٥٣: « في البداية كانت موضع اجتماع للمغول، ثم لم يلبثوا أن بنوا حولها سوراً من خمسة لي Li في دورانه » [ويقول ابن العبري (ص ٤٣٤): وبنى (أوكداي) بها (أي بمنغوليا) مدينة سمّاها أردوباليق وهي مدينة قراقورم وأسكنها خلقاً من أهل الخطا وتركستان والفرس والمتعربين ». والاردو بالتركية هي المعسكر والمخيم، وعربت إلى أوردي وعرضي، وعندما تأتي مطلقة في صدد تاريخ المغول فإنما يقصد بها في الغالب قراقورم هذه، ولكن اذا جاءت مقترنة باسم أحد الخانات فإنما المقصود عاصمة دولته - المترجم]

(٢٢) (ان نظام الضرائب والمكوس الذي أنشأه المغول والذي يرد وصفه فيما يلي، لم يلبث ان عالجه بارتولد بشكل أوسع في بحثه بصدد النقش الفارسي الموجود على حائط مسجد منوچه بمدينة آني - الناشرون).

(٢٣) رشيد الدين طبعة بلوشية ص ٤٢؛ و Teksty ص ١٢١

الأرض (عشر المحصول) وعن الضريبة التي تجبي من الرحّل أو ما يسمى بالقوپچور (رأس من كل مائة رأس). وكانت حصيلة ما يجمع بهذه الطريقة من الغلال والماشية/يوزع على الفقراء والمعوزين(٢٤). أما جباية الترغو والعوائد على السلع التجارية فلا يرد لها ذكر إلاّ في المصادرة الصينية، ولا علم لنا ما اذا جرى تطبيق هذه القواعد على كافة أرجاء الأمبراطورية أم لا. ففي الصين كان على كل اسرتين أن ترسلا چيناً Chin من الحرير إلى خزانة الدولة، وأنّ على كل خمس أسر أن ترسل چيناً من الحرير إلى النبلاء. كذلك كانت الضرائب بالصين تجبى من أهل كل بيت، وكان مقدار الضريبة على الأرض يختلف من مكان إلى آخر وفقاً لخصوبة التربة، فكانت تتراوح بين ٥٠ ر٢ ٪ و٥ ٪ في المو (Mou) الواحد (المو يساوي ١٢٠٠ قدماً مربعاً). أمّا السلع فكانت الفوائد تؤخذ عنها بمعدل ١/٣٠ من قيمتها، وبجانب هذا فقد وضعت أيضاً ضريبة على الملح (أوقية من الفضة عن كل ما زنته أربعون چيناً). وقد بدت هذه الضرائب معتدلة في نظر معاصريها(٢٥).

536

أما نظام البريد فقد كان يخدم للشعوب الرعوية أغراضاً تختلف تمام الاختلاف عن مثيلاتها لدى حكومات الدول الاسيوية المتحضرة. وليس هناك من دليل على أن المشرف على البريد لدى المغول كان قد أُوكل اليه أمر الأشراف على نشاط حكام الولايات وعمالها، ذلك أن مهمة البريد كانت قاصرة على تسهيل انتقال مبعوثي القاآن وحاملي رسائله. وكان القصد من إنشاء نظام البريد قبل كل شيء هو تحاشي الإعاقة والتأخير، كذلك تحاشي وقوع الظلم أو الحيف على الأهالي من جانب عمال الدولة المسافرين في مهام

---

(٢٤) نفس هذا الغرض من القوپچور ورد في التاريخ السري، ترجمة كفاروف ص ١٥٨؛ (طبعة كوزين، ص ١٩٧)[يقول بوزورت Bosworth، راجع مقال بارتولد عن نقش حائط مسجد منوچه، ص ٢٦٢ - ٢٦٠؛ وأيضاً .Doerfer, I, 387- 392, No 266. ويبدو أن المغول نشروا نظام القوپچور ليغطي المواضع الزراعية والحضرية للبلاد المفتوحة، والتي أخضعت من قبل لنظام القلان qalan. ويرى پتروشيفسكي I. P. Petrushevski أنها اصبحت في فترة سيادة المغول على ايران ضريبة رأس تجبى من المسلمين ومن غير المسلمين على السواء؛ وهذا يفسر إدانة نظام القوپچور وأثره السيء على المجتمع في قصيدة پوربها. راجع مقال مينورسكي، Minorsky,«Puri- Baha and his poems», Charisteria orientalia praecipue ad persiam pertinentia«Rypka Festschrift».Prague 1956, 192 ff. = Iranica, - Minorsky,Tehran, 1964, 299 ff).](ويقول عنه ابن العبري (ص ٤٥٩):
« مراعي ذوات الأربع الذي يسمّونه قوبجور » - المترجم)

(٢٥) اليوان - شي، ترجمة بتشورين، ص ٢٦٤ - ٢٦٦

عاجلة[٢٦]. ولتحقيق ذلك فقد أقيمت محطات البريد في معظم الأحوال في المواضع المهجورة. وكان اختيار فرس البريد يتم من بين ألف فرس ويتولى أحد الأشخاص «رعيها وحلبها»؛ كما أن الفرس وصاحبها كان يجري تغييرهما بلا انقطاع. وكان يسمح لسفراء القا آن ومبعوثيه، إذا لم تتوفر الخيل بالمحطات، أن يمروا بمنازل القبائل الرعوية، ويتمّ هذا فقط متى ما كانت المهمة المنوطة بهم تحمل طابع الخطورة والاستعجال[٢٧].

وكان هدف اوكداي من هذا أن يجد السفراء بالمحطات ما يلزمهم من الخيل ومن المأكل والمشرب، وقد اقتضى هذا بدوره أن تزوّد المحطات بمخازن لحفظ المواد الغذائية، وأن تساق إليها قطعان الماشية اللازمة لإطعام المسافرين. ووفقاً لرواية جويني[٢٨] فقد جعل لكل «يام»[٢٩] أو محطة بريد تومانان من الجند لحراسته. وكان البريد/يحمل لدى المغول اسم اولاغ، والى جانب هذا فقد كانوا يميزون بين البريد العادي وهو بيات (أو تيان نيات) والبريد الخاص بعاصمة الدولة (وكان يسمى ناريت أو بارين تاريت). وكان بالطريق من قراقورم إلى الصين سبعة وثلاثون ياماً يفصل بين كل واحد منها والآخر خمسة فراسخ (حوالي العشرين ميلا)، وكانت بكل محطة فصيلة مؤلفة من ألف جندي. وكانت الأغذية والمؤن تمر بهذا الطريق في كل يوم محمّلة على خمسمائة عربة، وكان حفظها يتم بمخازن الأطعمة. وقد صنعت لهذا الغرض عربات كبيرة يجر كل واحد منها ستة من الثيران[٣٠]. ومن الواضح في ظروف كهذه أنه لم تعد ثمة حاجة إلى تجارة

537

---

(٢٦) يوضح جويني هذين الهدفين (الجزء الأول، ص ٢٤ - ٢٥) بقوله: تامر ايلچيان بسبب نشستن أولاغ دور نيفتد ودايما لشكر ورعيت زحمت نباشند (أي: «حتى لا يتعطل سير السفراء بسبب تغيير مركبهم، وحتى لا تحدث المضايقة للعسكر والرعية»).وجاء في التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٥٨ (طبعة كوزين، ص ١٩٦): «يجتاز السفراء في غدوهم ورواحهم أراضي البدو، الأمر الذي يسوق إلى تعطيل مهامهم ويسبب الأذى للسكان».

(٢٧) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٥٨؛ (طبعة كوزين، ص ١٩٧ - ١٩٨)

(٢٨) جويني الجزء الأول، ص ٢٤

(٢٩) (يعلق بوزورث Bosworth : عن مصطلح البريد لدى المغول راجع Doerfer بصدد لفظ «نارين يام» narin yam (I, 513- 515 No 380) ولفظ «أولاغ» (II, ulagh 102- 107, No 521) ونارين تعادل اللفظ العربي الفارسي «خاص» (أي ملك الخان وأسرته).

(٣٠) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٤٩؛ Teksty, 121 . يوجد أيضاً لدى دوسون مع بعض الايجاز (Histoire des Mongols t. II, P. 65). أما لفظا «يكتي» و«سرمه» الواردان لدى رشيد الدين فالغالب على الظن أنهما مشتقان من الفعل «يكمك» أي إلباس الفرس عدتّه؛ والفعل «سرمك» بمعنى «يجر، يجذب». وعندما يتحدث التاريخ السري (ترجمة كفاروف، ص ١٥٩؛ (طبعة كوزين، ص

الغلال مع الأقطار الغربية التي وُضع أساسها في عهد چنكيز خان، فقد صارت قراقورم بذلك تتسلم حاجتها من الأغذية من الصين وحدها. وكان من جراء انقطاع المواد الغذائية من تلك البلاد حيناً من الوقت بسبب الحرب بين قوبيلاي واريق بوكا، حدوث مجاعة بالعاصمة(٣١).

ووفقاً لرواية الملحمة المغولية الصينية(٣٢) فقد أقيمت المنازل ومخازن الغلال على الطرق الأخرى التي أقيمت بها محطات البريد، كما صدر أيضاً قرار يقضي بإرسال عدد من الأشخاص من مواضع مختلفة «لحفظ الهدايا من الذهب والثياب والآلات والأسلحة والمخازن والحوانيت»(٣٣). ولا علم لنا ما اذا كانت هذه المخازن قاصرة على محطات البريد وحدها أم أنها أقيمت أيضا في نقاط أخرى.

هذا ولم تحقق اجراءات اوكداي ما كان يرجى منها من فوائد. فالقانون الذي ينص على أن الرسل الذاهبين «في مهمة عاجلة» يمكنهم المرور بمناطق سكنى الرعاة، أي استعمال خيل السكان المحليين، أدّى إلى كل ضروب الفساد، زد على هذا أنه لم يتم تحديد عدد الخيل التي يمكن أن يأمر بها موظف البريد. وكذلك اصبح التجار الذين تمتعوا بلا ريب بحماية كبار المغول وعمال دولتهم يستعملون خيل البريد أيضاً في أعمالهم الخاصة. وما أن اعتلى مونكو (مونككا) Möngke العرش حتى صدر قرار بألاّ يأخذ حامل البريد في أية محطة أكثر من أربعة عشر من الخيل، وألاّ يستعمل خيل البريد/من كان مسافراً لمصلحة شخصية، كذلك حُذّر عمال البريد تحذيرا شديدا من أخذ خيل السكان المحليين(٣٤).

538

ومثل هذا الأثر الضئيل نتج أيضاً عن القرار الذي يحدد فئات الضرائب، وذلك بسبب فقدان المراقبة على حكام النواحي وعلى جباة الضرائب. وكشأن الخلفاء

---

١٩٨) عن «اليام الداخلية» فمن البيّن أنه يقصد هذا الطريق؛ وإذا لم يوجد العدد المعيّن من الخيل والماشية والعربات والثيران بالمحطة فإن نصف أملاك الشخص المسؤول كانت تصادر. ووفقاً للتاريخ السري فانه كان يوجد أيضاً بكل محطة عشرون جملا.

(٣١) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣٦٣

(٣٢) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٥٩: (طبعة كوزين، ص ١٩٨)

(٣٣) شرحه، ص ١٥٨: (كوزين، ص ١٩٧)

(٣٤) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣١١ - ٣١٢؛
D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, PP. 265-266

والسلاطين في العالم الاسلامي كان اوكداي في مسيس الحاجة للمال لتشييد مبانيه واقامة مآدبة ولم يكن يهتم بما كلفت هذه الهدايا السكان المحليين من رهق. ولما كان اوكداي في مثل هذه الحاجة الى الأموال، كما أسلفنا، للبناء والمآدب، فلم يكن من المتوقع من شخص مثله أن يوافق على فرض الرقابة حتى ولو كان هذا في مقدوره. وكانت جباية الضرائب في الصين قد أُسندت في عهد اوكداي إلى رجل مسلم يدعى عبد الرحمن[٣٥]، رغماً من إلحاح يه - لو چئو - تسأى الشديد عليه بألاّ يفعل ذلك. ويغلب على الظن أن نظام الإلتزام قد وجد طريقه إلى أقاليم الأمبراطورية المختلفة. والطريقة التي كانت تجمع بها الضرائب في أراضي الدولة المغولية معروفة لنا جيداً من التاريخ الروسي. والملحمة المغولية - الصينية[٣٦] تحدثنا أيضاً عن إجراء آخر لاوكداي قصرت أهميته على الرحّل وحدهم[٣٧] وهذا هو السر في أن المؤرخين الصينيين والمسلمين لم يوردوا له ذكرا. فقد تقرر توزيع أراضٍ على الشعب لاستعمالها كمراع، ولذا فقد طُلب إليهم أن يختار كل ألف منهم من يمثلونهم. ثم أسند إلى اثنين من النبلاء هما چناي Chanay وأويرتاي Uyurtay فحص السهوب «التي أصبحت بسبب انقطاع الماء عنها مرتعاً للوحش ولم يكن بها نافخ نار». وكانت مهمتها هي تحديد المواضع المناسبة لنزول الرحّل، وحفر الآبار بها. وبطبيعة الحال فإن الأمر لم يكن ليتعدى تحويل السهوب الماحلة الجرداء إلى مراع، غير أنه وجدت حالات معينة اقتضت فيها مصلحة القبائل الرعوية تحويل أراض كانت من قبل تنبت الزرع إلى مراع، وفي إيجاز هذا ما يقوله روبروك وحده بصدد الأنحاء الشمالية من يدي صو.

---

(٣٥) اليوان - شي، ترجمة بتشورين، ص ٢٨١. يخطىء بتشورين في توضيح الاسم بينما يعطيه ابيل ريموزا صورة صحيحـــة (Yelio- thou- thsai). ووفقاً لجويني (الجزء الأول، ص ١٩٩) فإن عبد الرحمن قد تم تعيينه حاكما بالصين بعد موت أوكداي، وذلك على عهد توراكينه، ليشغل محل محمود يلواج: (عبد الرحمن رابركشيد وبجاي محمود يلواج بخطاي فرستاد). ووفقاً لليوان - شي (ترجمة بتشورين، ص ٢٨٧) فان اوكداي قبل قليل من موته كان ضيفاً على عبد الرحمن في رحلة صيد. وينسب جويني نفس القصة (الجزء الأول، ص ١٧٤) إلى محمود يلواج.

(٣٦) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٥٨؛ (طبعة كوزين، ص ١٩٧)

(٣٧) يبدو أنه كان من بين مخططات چنكيز خان الابقاء على بداوة المغول؛ على أية حال ففي الفترة التالية كان البعض يرجع الى ياسا چنكيز خان ليبرر ذلك. قارن حمد الله قزويني، تاريخ كزيده (مخطوطة جامعة لينجراد، رقم ١٥٣، الورقة ٤٧٢أ): مغول را درشهر نشستن قاعدة نيست وخلاف يا ساق چنكيز خانست («ليس للمغول شأن في البقاء بالمدن، لأن هذا خلاف لياسا چنكيز خان». وهذه الجملة لا توجد في طبعة براون - الناشرون).

539 ويثني مؤرخو المسلمين ثناء عاطراً على اوكداي لحسن معاملته للمسلمين، وبعض القصص التي أثبتها جويني[٣٨] عن اوكداي هدفها هو أن تؤكد أن القاآن كان يفضل الاسلام على بقية الأديان، وأنه كان يحمي المسلمين من كيد أعدائهم ومنافسيهم من الصينيين والأويغور. وقد وجد بعض هذا القصص طريقه أيضاً إلى مصنف جوزجاني[٣٩] الذي تم وضعه بالهند قبل مصنف جويني وليس له أدنى صلة به، ومن هذا يتبين مدى انتشار هذا القصص في العالم الاسلامي.

وعلى النقيض من ذلك كان أقل بكثير رضاء المسلمين عن چغتاي، الذي بسط نفوذه المباشر على الشطر الأكبر من المناطق الإسلامية بآسيا الوسطى، والذي كان إلى جانب هذا يتمتع بتأثير كبير على أخيه القاآن لأنه كان أكبر أفراد البيت المالك سناً[٤٠]. وبوصفه الساهر على تطبيق القانون فقد حدث ذات مرة ان لفت نظر القاآن إلى إفراطه في شرب الخمر، ولم يجرؤ القاآن على الاعتراض على نهي أخيه له بل لجأ إلى الحيلة ليتفادى ذلك[٤١]. وهو عين الأسلوب الذي لجأ اليه ليحتال لإنقاذ المسلمين من براثن غضب چغتاي عند خروجهم على تعاليم الياسا من غير أن يلجأ في ذلك إلى استعمال سلطته المباشرة كقاآن. وبالطبع فإن القاآن لم يحاول البتة حماية الجناة جهرة، ومن ثم فإن

---

(٣٨) جويني الجزء الأول، ص ١٦٢ - ١٦٤، ١٧٩ - ١٨١؛ وكذلك: D'Ohsson, Histoire des Mongols, t.II, PP. 92- 96. وإلى جانب الحكايات التي أوردها دوسون توجد أخرى طريفة تتعلق بمحاولة أحد الأويغور لارهاب أحد معارفه من المسلمين وحمله على الدخول في الوثنية (بت پرستي). وقد أمر القاآن بضرب الاويغوري مائة عصاة في السوق وأن تسلم زوجه ومنزله للمسلم، إلى جانب مائة بالش. (لفظ «بت پرستي» (فارسية) وتعني على السواء عبادة الأوثان بصورة عامة، والبوذية - الناشرون)

(٣٩) وبصورة خاصة الحكاية المتعلقة بانقاذ مسلم رمي بنفسه في الماء تفادياً لشدة چغتاي، وأيضاً الأخرى بصدد كشف الوثني الذي أحضر أمراً مزعوماً من چنكيز خان بقتل جميع المسلمين؛ راجع جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٠٧ - ١١١٤؛ طبعة نساو - ليس، ص ٣٨٣ - ٣٨٧

(٤٠) كان چغتاي من بين جميع أولاد چنكيز خان أكثرهم تعلقاً بتعاليم أبيه. والتقاليد المغولية المشبعة بتقديس **أحكام چنكيز خان، وجدت في شخص چغتاي الحامي الأول والمدافع الأكبر لتمسكه بعادات وحكم أهل السهوب (راجع فيما يلي قصة وزير). لذا فقد كان أكثرهم اهتماماً بمصالح بيت چنكيز** خان وقبيلته، وقد أقنع أخاه بأن يرسل اليه عدداً من أسرى جوچي قسر لتدعيم العنصر المغولي (رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الثالث عشر، المتن ص ٩٣؛ الترجمة ص ٥٨).

(٤١) رشيد الدين، طبعة بلوشيه ص ٥١؛ و D'Ohsson, Histoire, des Mongols, t. II. PP. 85 - 86

المسلمين أيام دولته لم يكن بوسعهم الوضوء في المياه الجارية أو أن يذبحوا البهائم وفقاً للشريعة إلاّ في السر. ولم يقتصر الأمر على المناطق التي كانت تحت سلطان چغتاي المباشر، بل إنه تعداه حتى لم يعد بوسع مسلم ما في خراسان أن يذبح الحيوان جهرة في حياة چغتاي/مما اضطر عدداً كبيراً من المسلمين أن يأكلوا لحماً كانوا هم أنفسهم يعدّونه 540 ضرباً من لحم الميتة[٤٢].

ومعروف لنا من أمراء چغتاي الآتية أسماؤهم: قراچر Qarachar من قبيلة برولاس Barulas، وموكه نوين - Möge-Noyan من قبيلة جلاير Jalayir،وقوشق نوين - Khoshuq-Noyan من ذات **القبيلة** (لعله كوكوسوس Kokosos الذي يرد ذكره في الملحمة المغولية - الصينية)، وچغتاي الصغير من قبيلة سونيت Sonit، وقشليق Qishlig من قبيلة سلدوس[٤٣] Süldüs وهو ثاني اثنين كانا يشتغلان برعي الماشية وحذّرا چنكيزخان من المؤامرة الغادرة التي كان يدبرها له ونك خان فجوزيا على ذلك بأن رُفعا إلى مرتبة النبلاء. وإلى جانب هؤلاء يرد أيضا ذكر لرجل من التاجيك يدعى قطب الدين حبش عميد أصله من اترار[٤٤] وكان قد التحق بخدمة المغول منذ أيام فتحهم لبلاد

---

(٤٢) جويني الجزء الأول، ص ٢٢٧

(٤٣) يوجد لدى رشيد الدين (طبعة بلوشيه، ص ١٧٨) اسمان (قراچر وموكه). وترد الأسماء الخمسة في «معز الانساب». الورقة ٢٩. وقوسوق نويان (أو قوسو) من قبيلة جلاير يرد اسمه أيضاً لدى رشيد الدين (طبعة بلوشيه، ص ١٩٤؛ Teksty, str. 123)؛ وعن چغتاي الصغير (چغتاي كوچك) راجع رشيد الدين (طبعة برزين، القسم السابع، المتن، ص ٥٩ والقسم الخامس، الترجمة، ص ٤٧). أما قشليق فهو وفقاً لقول رشيد الدين (شرحه، المتن، القسم السابع ص ٢٢٢؛ والترجمة القسم الخامس، ص ١٦٥) **من قبيلة اوريائوت، من بطن قيلنقوت. أما الكوكوسوسيون فانهم وفقاً لقول التاريخ السري (ترجمة كفاروف، ص ٦٠؛ (طبعة كوزين، ص ١٠٧) من قبيلة بارين. وعن دور الكوكوسوسيين في عهد چغتاي** راجع نفس المصدر، ص ١٣٤ (طبعة كوزين، ص ١٧٦ الذي يورد الاسم في صورة كوكوتسويين). (ورد ذكر چغتاي الصغير أيضاً لدى مغاكيا الارمني أو غريغور الاكنزي، طبعة بليك وفراي، المتن ص ٣٠٢، الترجمة ص ٣٠٣ - الناشرون)

(٤٤) يرد ذكر المدينة لدى رشيد الدين في مخطوطة المتحف الآسيوي وحدها، الورقة ٢١٦؛ (وأيضاً لدى بلوشيه، ص ١٩٧: حال حبش عميد چنان أست كه او مردى مسلمان بود بيتكچى چغتاي أصل أو **از اترار (بعد هذا يوجد سقط في المتن - الناشرون). (وفقاً لقول جمال قرشي (Teksty, str. 140** فان حبش عميد اصله من كرمينه قرب بخارا، وحمل أيضاً نسبة الايلارغوى (حبش عميد الكرميني البخاري الايلارغوى) وذلك إلى الموضع الذي كان به معسكر چغتاي (الاوردو). راجع Barthold, Zwölf Vorlesungen,195- 196, وأيضاً مقاله عن چغتاي خان في دائرة المعارف الاسلامية. **(ووفقاً** للنسوي، سيرة جلال الدين، ص ٦٣، فهو من ناحية استوا من أعمال خراسان).

ما وراء النهر وترقى حتى بلغ مرتبة الوزير لدى چغتاي[٤٥]. وقد تمتع حبش عميد بدرجة من النفوذ جعلت الأسر الحاكمة تسعى إلى مصاهرته، من ذلك أن قطب الدين حاكم كرمان زوجه من إحدى قريباته[٤٦]. أما مكانته بين المغول فيمكن معرفتها من الواقعة الآتية، وهي أنه عقب أسر المغول لأفراد الأسرة المالكة بخوارزم حدث أن وقعت بنتان من بنات محمد خوارزمشاه في نصيب چغتاي فاحتفظ لنفسه بإحداهن ومنح الأخرى لحبش عميد[٤٧].

541 هذه المكانة التي بلغها حبش عميد تدفعنا إلى الإعتقاد بأن الكراهية الشخصية التي كان يضمرها چغتاي للمسلمين، والتي تحدث عنها جوزجاني[٤٨] وبعض المصادر المتأخرة[٤٩]، كانت مبالغاً فيها بدرجة كبيرة. صحيح إنه لم تُعرف عن حبش عميد غيرة خاصة على الإسلام، ولكن رجال الدين المسلمين على أية حال لم يكونوا راضين عن إدارته، وهو أمر يمكن استشفافه من قصيدة وجّهها إليه الصوفي سيف الدين باخرزي. فبعد عبارات المدح والتفخيم المعهودة في حق الوزير صاحب الحول والطول، يخاطبه الصوفي بقوله: «بما أن ربّ العزة قد أوكل إليك في هذه الدولة أن تنصر الحق فماذا سيكون عذرك يوم الحشر إذا أنت لم تقم بذلك؟ وفي ملتنا الاسلامية (نصرها الباري إلى يوم الدين) شروط الرئاسة ثلاثة هي العلم والسن والإسلام. فإذا أراد شاب لا خبرة له أن يتولى الرئاسة فإنه في نظر العقلاء لا يعيب المُسنّين أن يُحرموا منها. وحيث يصبح الهدهد[٥٠] **القواد مَلكاً فإنه لا عار على البازي في أيام دولته أن يكون بغير تاج. ومن** الأفضل للعقلاء أن ينأوا بأنفسهم إذا ما تولى السفهاء الرئاسة: ذلك أن القصر عندما

---

(٤٥) جويني الجزء الأول، ص ٢٢٨

(٤٦) وصاف، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ١٩٧؛ (طبعة بمباي، ص ٢٨٨: عقيقة ديكررا بصاحب حبش عميد داد كه مشهور آفاق بود بكثرت تموّل وتقرّب در حضرت قاآن - الناشرون).

(٤٧) جويني، الجزء الثاني، ص ٢٠٠

(٤٨) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٤٥ - ١١٤٦؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٩٧) حيث يرد أنه لم يكن باستطاعة أحد أن يذكر اسماً لمسلم ما دون أن يصحب ذلك بالسبّ.

(٤٩) يقول مؤلف تاريخ هرات وهو **اسفزاري** (مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٢٠١) إن چغتاي كان يمنح بالش ذهب، أي ما يعادل ثلاثمائة دينار، لكل من يحمل له خبر اعدام أحد المسلمين.

(٥٠) «هدهد، كما ورد في الحاشية التالية

يصبح منبراً فإنه من الخير البقاء بلا منبر »(٥١). والأبيات الأخيرة تبين في صورة بالغة الوضوح السبب في سخط باخرزي، وهو سيطرة السلطة الزمنية وتدهور حال الطبقة التي ينتسب إليها. وقد كان المتصوّفة خلال الغزو المغولي أكثر حمية من غيرهم في إزكاء روح المقاومة ودعوة الشعب إلى جهاد عدوهم، وقد سقط اثنان من رؤسائهم هما نجم الدين الكبرا/وركن الدين إمام زاده اللذان يُعد باخرزي من مريديهما، سقطا في الدفاع 542 عن كركانج وبخارا(٥٢). ومن الجلي أن الحكام المغول ورجال دولتهم حين أعفوا رجال الدين المسلمين من الضرائب والإلتزمات أسوة في ذلك بغيرهم من رجال الدين من الملل الأخرى، لم يكن بوسعهم أن يشركوهم أيضاً في السلطة الزمنية(٥٣).

---

(٥١) متن قصيدة الشيخ سيف الدين باخرزي الموجهة الى حبش عميد نجده في مجموعة بارتولد (Teksty str. 102 تحت عنوان « بتخانه ») في الصورة الآتية:

نصرت حق رادرين دولت معيّن چون توئى	پس اكر نكنى بروز حشر چه عذر آورى
اندرين ملّت كه بادا تا قيامت پايدار	دانش وپيرى واسلام آست شرط سرورى
چون جوان بى هنر جويد سرى نزديك عقل	عاملان پيررا عيبى نباشد بى سرى
هدهد قوّاد درجايى كه باشد تاجدار	عار نبود بازرا در عهد او بى افسرى
عاقلانرا كنج بهتر چون سفيهان سر شوند	دار چون منبر شود بهتر بود بى منبرى

(٥٢) (راجع .Teksty, str,. 168, 171 (كتاب ملاّ زاده) - الناشرون).

(٥٣) كان من بين أعداء حبش عميد رجل آخر من الفقهاء هو أبو يعقوب السكاكي. وعنه يقول خواندامير (طبعة طهران، ١٢٧١= ١٨٥٤ - ١٨٥٥، الجزء الثالث، ص ٢٨) ما ترجمته بالعربية:

« العالم الفاضل أبو يعقوب السكاكي صاحب المؤلفات البليغة التي من بينها كتاب المفتاح في علم المعاني والبيان، كان له أيضاً معرفة جيدة بالعلوم الغريبة والفنون العجيبة مثل تسخير الجن والنيرنجات والسيطرة على الكواكب والطلسمات، والخبرة بفن السحر والسيميا وخواص أجسام الأرض وأجرام السماء.. وقد بلغ هذا مسامع جغتاي خان عن طريق وزيره حبش عميد وبعض عمال البلاط الخاني، فطلبه وجعله أنيسه وجليسه واجتهد السكاكي على الدوام في أن يظهر للسلطان غرائب الأشياء حتى حظي بالمزيد من اعزازه واحترامه. مثال ذلك أن جغتاي أبصر ذات يوم وهو جالس على سريره سرباً من طائر البلشون (كلنك) فمد يده إلى قوسه وسهامه، فسأله السكاكي أي واحد منها يريد السلطان أن يهوى إلى الأرض فقال جغتاي أولها وآخرها وواحد من وسطها. فخط السكاكي دائرة على الأرض وقرأ بعض السحر (أفسون) ثم أشار باصبعه نحوها فسقطت تلك الثلاثة على الأرض. فتعجب جغتاي لذلك غاية العجب وأصبح من مريدي أبي يعقوب والمعتقدين فيه حتى أخذ يجلس أمامه جلسة المتأدبين. وفي تلك الأيام قال السكاكى ذات مرة لجغتاي عندما كنت ببغداد آذاني وزير الخليفة فألقيت سحري على النيران فتوقفت حتى عجز الناس عن إيقادها. وبعد ثلاثة أيام ارتفعت الضجة وعلم الخليفة السبب في ذلك فاستدعاني وطلب مني اعادة النيران فقلت له لن أفعل ذلك حتى ينادى ببغداد أن الذي فعل ذلك السكاكي، وما لم يقبّل الوزير عجز كلب. وقد تم ذلك فأطلقت لهم نيرانهم الخلاصة أن تقرب السكاكي من جغتاي وصل الى درجة أثارت الغيرة والحسد في صدر الوزير **فعقد** =

543 وكان حكام ما وراء النهر من المغول في عهد اوكداي هم الآتية أسماؤهم: خزربوقا Khazar - Buqa الذي كان ينزل نخشب (ويبدو أن المغول قد اختاروا هذا الموضع
544 ليكون مصيفاً لهم كما فعل چنكيز خان من قبل) وكان متزوجاً من أخت لقطب/الدين حاكم كرمان(٥٤)، ثم چنكسانك طايفو Ching sang-Taifu (من الواضح أنه صيني) وبوقا نوشا Buqa Nusha حاكماً سمرقند وبخارا(٥٥)، ولعل الأخير هو نوشا نفسه الذي عينه چنكيز خان فيما مضى والياً على منطقة بخارا. هذا وكان يحكم المسلمين من أهل المدن في بداية عهد اوكداي وباسم القاآن محمود يلواج الخوارزمي(٥٦)، وقد أقام نظاماً خاصاً لجباية الضرائب بمنطقته، ونجده فيما بعد حاكماً على الصين. ولا شك أن ذلك قد حدث حين أضيفت ما وراء النهر إلى چغتاي، مما اضطر **محموداً** إلى اللحاق ببلاط اوكداي. ويتشكك كل من دوسون(٥٧) والدكتور برتشنيدر Bretschneider في وجود يلواج هذا،

= العزم على القضاء على ذلك الرجل زبدة أهل الفضل والكمال. فلما أحس السكاكي بهذا سبقه إلى جغتاي وقال له يتضح من النجوم أن كوكب دولة حبش عميد واقباله قد أفل وبلغ حد النحس وأنا أخشى أن يؤثر ذلك على سعادة واقبال دولتك. فصدق جغتاي كلامه وعزل حبش عميد فوراً من منصب الوزارة. فلما مضى عام على عزله اختلت أحوال المملكة وماليتها فقال جغتاي للسكاكي إن النحس في طالع الناس ليس بالشيء الدائم، فلعل كوكب اقبال حبش قد قوي من جديد. ولخوف السكاكي من عاقبة خيانته قال له إن هذا ممكن، فأعاد جغتاي حبش عميد الى كرسي الوزارة وكان هذا الأخير قد عقد النية على القضاء على أبي يعقوب فأخذ يغتابه لدى السلطان. عند ذلك سخّر السكاكي كوكب المريخ فأظهر في خيمة (خركاه) جغتاي جيشاً من النيران سلاحه وعدته من النيران أيضاً. فلما شاهد جغتاي ذلك اضطرب أشد الاضطراب، واغتنم حبش الفرصة وقال له إن السكاكي هو الوحيد الذي يملك القدرة على فعل ذلك، فلعل هوس الاستيلاء على السلطة قد دفعه إلى هذا. فوقعت هذه الألفاظ في قلب جغتاي الذي أمر بحبس السكاكي، وبقي هذا الأخير في السجن ثلاثة أعوام حتى استأثرت به العناية الالهية». (هذا الاستطراد الذي ينقله بارتولد عن خواندامير ليس سوى عرض مسهب ومزوّق لرواية ميرخواند (طبعة لكنهو الجزء الخامس، ص ٤٤). وفي رواية ميرخواند ينسب إلى السكاكي الى جانب معرفته بعلوم السحر أيضاً معرفة «مجموع علوم مسلماني ويوناني». - **الناشرون**). **أما الترجمة فمن عمل ناقل الكتاب الى العربية.**

(٥٤) وصاف، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ١٩٧، (طبعة بمباي، ص ٢٨٨).

(٥٥) شرحه، الورقة ٨؛ وطبعة هامر المتن ص ٢٤، الترجمة ص ٢٥؛ (طبعة بمباي، ص ١٢). وأيضاً جويني الجزء الثاني، ص ٢٣٢ الذي يعطي في روايته عن كوركوز ومنافسيه اسم حاكم (ملك) بخارا على أنه ساين ملكشاه. ولعل هذا يشير الى أن ثمة سلطة اسمية قد تركت لأولاد سنجر ملك كما كان الحال مع الأسر الحاكمة في بيشباليق والماليق.

(٥٦) جويني الجزء الثاني، ص ٢٥٤

(٥٧) D'Ohsson, Histoire des Mongols, t. II, P. 194

وهما يعتقدان أنه من الجائز أن يكون هو نفس يه - لو چئه - تسأي[٥٨]. غير أن محموداً الخوارزمي يرد اسمه في المصادر الصينية نفسها بوصفه كبير جباة الضرائب بالأقاليم الغربية[٥٩].

545 ويثني جويني[٦٠] على عدل محمود وابنه مسعود بيك ورأفتهما بالناس، ووفقاً لعباراته فإن البلاد استردت على عهدهما رخاءها السابق لتخريبها على يد المغول وأن بخارا بلغت أقصى درجة من الانتعاش حتى لم تعد تضارعها مدينة إسلامية في عدد السكان أو ثروتهم أو في ازدهار الثقافة والعلوم بها. وبالرغم من ذلك فقد انفجرت بنواحي بخارا بالذات حركة شعبية صرفة ضد المغول وبلغت الخطورة حدها حينما استطاع الثوار أن يحرزوا النصر لبعض الوقت على عسكر المغول. وكان قائد هذه الحركة، شأنها في هذا شأن الانتفاضة التي حدثت ضد صدر بخارا قبل الغزو المغولي، صانعاً للغرابيل[٦١] من قرية تاراب وهي من أقدم قرى منطقة بخارا (على ثلاثة فراسخ من المدينة على الطريق الذاهب إلى خراسان)[٦٢]. ومّما يبدو من رواية جويني بشأن هذه الفتنة فإنها لم تكن موجهة ضد المغول وحدهم بل ضد ارستقراطية بخارا كذلك، وكان محمود، شأنه شأن سنجر مَلِك من قبل، هو المعبر عن احتياجات الشعب الكادح وخاصة الفلاحين الذين قاسوا أكثر من غيرهم من الغزو المغولي. ولقد رأينا من قبل كيف كانت حال فلاحي ما وراء النهر في بداية العشرينات على ما وصفها تشأن تشؤن[٦٣]، ومن الجلي أن طبقة الفلاحين لم تنهض من كبوَتها تلك رغماً من إدارة يلواج العادلة.

واستندت حركة تارابي كالشأن في جميع الحركات الشعبية على العامل الديني، غير أن زعيمها لم يكن يتحدث بلغة تعاليم الإسلام الأولى بل بلغة المعتقدات الشعبية. وقد كثر بما

---

(٥٨) Breschneider, Medieval Researches, I. P. 11 .
(في الواقع يرفض برتشيندر محاولة دوسون للربط بين الشخصيتين).

(٥٩) اليوان - شي، ترجمة بتشورين، ص ١٤٩، ٣٧٠. مما لا شك فيه أن مو-خي - دي - خوا - لا - سي - ما هي الصورة الصينية لتدوين اسم محمود خوارزمي ولا علاقة لها البتة بالسكريتية ماها مكتارسمي

(٦٠) (الجزء الأول، ص ٨٤ - ٨٥)

(٦١) (شرحه، ص ٨٥: صانع غربال - الناشرون)

(٦٢) (عن أطلال تاراب، انظر Shishkin, Arkheologicheskie raboty 1937 g., str. 31-34

(٦٣) انظر ما مر من الكتاب، ص ٦٣٢ - ٦٣٣

وراء النهر وتركستان آنذاك عدد الذين يدّعون الصلة بعالم الأرواح خاصة من بين النساء، وبأنهم يشفون المرضى بوساطة استدعاء الجن، وعن طريق الرقص وغير ذلك من الخرافات. وكانت أخت تارابي تنتمي إلى تلك الفئة، ومنها تعلم هذه الحرفة، ولِما أحرزه من نجاح في علاج بعض المرضى فقد بدأ العامة يعتقدون في كراماته وأخذ عدد أتباعه يزداد يوماً عن آخر. ولم يقتصر أتباعه على الدهماء وحدهم، بل تعداهم حتى ذاع الاعتقاد به في بخارا بالدرجة التي جعلت جويني نفسه يروي أنه قد سمع من أناس من أهل بخارا «مقبول قولهم» بأن محموداً قد أعاد البصر إلى مكفوفين على ملأ منهم بأن مسح على أعينهما بروث كلب ويعلق جويني على هذا بقوله إنه لو كان شاهد ذلك الحادث لبذل جهده لعلاج عينيه هو أيضاً، ولكنه يعتقد أن العامة يقعون دائماً فريسة لمشعبذ أو آخر.

546 هذا وقد وقف إلى جانب تارابي واحد من أبرز دانشمندية (أي علماء) بخارا هو شمس الدين محبوبي وذلك بسبب عدائه الشخصي لأئمة بخارا، وصرح لتارابي بأن أباه كان قد روى بل سجل في إحدى الكتب أنه سيظهر من تاراب بخارا رجل يفتح العالم أجمع، ثم زعم بأن علامات هذا الرجل التيّ حددها أبوه تتفق مع تلك التي لدى تارابي. كما أعلن المنجمون أن طوالعهم تؤكد قول محبوبي.

هذا وقد إتخذت الحركة أبعاداً لم يعد في وسع أمراء المغول وبسقاقاتهم أن يتجاهلوها، فأرسلوا إلى يلواج الذي كان يقيم بخجند يحيطونه علماً بما حدث ثم رأوا (بموافقة يلواج على ما يبدو) أن يحتالوا على تارابي فيجذبونه إلى بخارا ثم يغتالونه في الطريق. وقد فطن تارابي إلى نواياهم وكشف للحاكم المغولي عنها، واضطرب الحاكم لما أبداه تارابي من مقدرة خارقة على معرفة ما في قلوب الناس فأخلي سبيله. ولا ريب أن تهاون المغول مع تارابي وإبطائهم الشديد في التحرك ضده إنّما يمكن ردّه إلى الإحساس بالرهبة والتوقير من جانب أتباع الشامانية لكل من يدّعي الإتصال بعالم الأرواح.

وبعد أن أصبح محمود الحاكم الفعلي إذا به يدخل بخارا وينزل بقصر سنجر مَلِك، وكانت المحلة والأسواق المحيطة بالقصر تمتلىء دائماً بالجماهير. وما أن علم محمود بأن أعداءه يدبرون لاغتياله حتى خرج من القصر بباب سري وركب هو وأصحابه جياداً كانت قد أعدت لهم من قبل فبلغوا فجأة تل أبي حفص، فلما كشفت الجماهير عن وجوده هناك قطعت بأنه طار إلى ذلك الموضع فحيّته بحماس شديد. عند ذلك قرر محمود دعوة أنصاره إلى الجهاد لطرد الكفار فتبعته الجماهير إلى بخارا وأخلي المغول المدينة فنزل محمود بقصر

ربيع ملك (وليس تحت يدنا حقائق عنه) وفي اليوم التالي وهو يوم الجمعة قرئت الخطبة باسمه في المسجد الجامع.

وبدأ تارابي عمله بأن استدعى ممثلي الارستقراطية ببخارا، وقد رأى الصدر الأكبر الذي كان ينحدر من صلب الأسرة التي تولت منصب الصدارة قبل الغزو المغولي[٦٤]، أن «من الكياسة» ألاّ يخالفه، كما أن تارابي رغبة منه في توطيد مركزه على وجه أفضل عيّن الصدر خليفة له وجعل محبوبي صدراً على بخارا مكانه. ومهما يكن من شيء فان محموداً /قد اعتمد على «الدهماء» و«الصعاليك» واضطهد الارستقراطية فقتل منهم 547 البعض وهرب البعض الآخر. وأذن تارابي لانصاره بأن ينتهبوا منازل الأغنياء وأن يقتسموا الأسلاب فيما بينهم، وقد أدّى هذا العبث بحياة المسلمين وما ملكت أيديهم إلى نفرة بعض أتباعه المخلصين منه، ومن بين هؤلاء كانت أخته التي يدين لها بالفضل فيما ناله من نجاح منذ البداية، أمّا الجماهير فقد كانت بالطبع أكثر استعداداً من ذي قبل للالتفاف حول قائدها. وكان ينقصها السلاح، فأعلن تارابي أن السلاح سينزل عليهم من السماء؛ وبعد هذا بقليل وصل تاجر من شيراز يحمل بضاعته من السيوف. ولم يعد أحد من الناس بعد ذلك يخامره أدنى شك في انتصار المتنبي الجديد.

هذا وقد حشد الارستقراطيون والمغول قواتهم قرب كرمينيه، ومن هناك زحفوا على بخارا فخرج تارابي ومحبوبي لملاقاتهم. ووقف الزعيمان وسط جيشهما بلا سلاح أو درع يقيهما، واثقين في قواهما الخارقة، بل إن العدو نفسه اعتقد أن الذراع التي ترتفع بالسلاح على ذلك النبي ستذبل مكانها، ولذا فقد تلكأ في الاشتباك مع قوات تارابي. ولمّا كرّ عليهم الثوار لاذوا بالفرار، وشارك في تعقبهم الفلاحون من القرى المجاورة وهم مسلحون بالمجارف والفئوس فهشموا بها رؤوس كل من استسلم لهم خاصة من بين عمال الدولة

---

(٦٤) (عن صدور بخارا، وهم زعماء بخارا الروحيون الاقطاعيون من أسرة آل برهان، راجع ما مر من الكتاب في الفصل الثالث (ص ٤٧٦-٤٧٧، ٥٤٠)؛ راجع أيضاً مقال بارتولد المفصل «برهان» في دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الأولى،وتحتوي جميع الاشارات إلى المصادر. والى جانب ما ذكره بارتولد من مصادر أنظر أيضاً جوزجاني (طبعة نساو-ليس، ص ١٦٧). ومما هو جدير بالذكر أنه حتى احداث ١٢٢٨ لم تقض عليهم؛ ويتحدث رشيد الدين (طبعة علي زاده، المتن ص ١٤١؛ ترجمة أرندس Arends ص ٨٨-٨٩) تحت أحداث ٦٧١ هـ (١٢٧٢-١٢٧٣) عن صدر جهان على أنه حاكم لبخارا. ومن بين مكاتيب رشيد الدين مكتوب موجه الى صدر جهان بخارا (مولانا صدر جهان بخارا) مدوّن في عهد حكم أولجايتوخان (١٣٠٤-١٣١٦) ويحوي اجابات على أسئلة دينية ألقاها الصدر (مكاتبات رشيد الدين، طبعة شفيع، المكتوب رقم ١٦، ص ٤٣-٥٢)-الناشرون).

وموظفيها. وبلغ عدد القتلى من المغول عشرة آلاف. غير أن قائد الثورة نفسه كان قد اختفى بلا أثر، فقد اصيب هو ومحبوبي خلال احتدام المعركة بنبال المغول فخرا صريعين دون أن يحس بهما أحد من الأصدقاء أو الخصوم. وسرعان ما اتخذ الثوار محمداً وعلياً أخوى تارابي زعيمين عليهم.

وبعد مرور اسبوع على هذا اقترب من بخارا جيش مغولي كثيف بقيادة يلديز نوين Yildiz Noyan وچكين قورچي Chigin Qorchi، وواجه محمد وعلى جيش العدو بلا سلاح على غرار أخيها، ويبدو أن الأخبار قد وصلت إلى المغول بأن الشامان الرهيب لم يعد له وجود في صفوف الثوار. ولذا فقد سحقت الثورة تماماً ولم ينقذ المدينة من القتل والنهب إلاّ وصول محمود يلواج. وقد بذل يلواج جهداً كبيراً في إقناع المسؤولين المغول بأن يؤجلوا معاقبة الثوار حتى يعلموا برأي القاآن في ذلك. واستقبل اوكداي رسل يلواج بعين العطف ووافق على الصفح عن أهل بخارا[٦٥] (في عام ٦٣٦ هـ = ١٢٣٩-١٢٤٠).

548 وبعد فترة وجيزة من هذه الأحداث اضطر يلواج إلى مغادرة ما وراء النهر. وكان قد علا في أواخر أيام چغتاي شأن رجل صيني كان في بداية أمره في خدمة طبيب چغتاي الصيني، وبعد موت الطبيب عمل راعياً في خدمة نبيل مغولي يدعى قوشق نوين. وحدث ذات مرة أن وجّه چغتاي بعض الأسئلة الى قوشق نوين تتعلق بحملات چنكيز خان العسكرية فلم يستطع الإجابة عليها كلها، فلما ذهب إلى منزله أخذ يسأل أهل بيته، وكان الراعي واقفاً ينصت إلى المحادثة فأخذ يصحح بصوت عال بعض الإجابات كاشفاً بذلك عن علم تام بحملات چنكيز خان، فاستدعى إلى الداخل وسئل عن مصدر علمه بما قاله فأراهم كنّاشة كان قد دوّن فيها تفاصيل كل ذلك؛ فسُر قوشق غاية السرور واقتاده ومثل به ومعه مدوّناته أمام چغتاي، ولما كان چغتاي يقدر هذا الضرب من المعرفة فقد

(٦٥) عن ثورة تارابي راجع جويني، الجزء الأول، ص ٨٥ - ٩٠. ويورد دوسون رواية جويني مع بعض الحذف، D'Ohsson, Histoire des mongols, t. II. PP. 102–107. (وقد ارتكب دوسون خطأ بيناً في نقله عن جويني بأن استبدل اسم محمود يلواج باسم ابنه مسعود بيك، وقد لفت هذا نظر بارتولد الذي كتب على هامش نسخته من كتاب دوسون «خطأ». هذا وقد نشر دفريمري Defrémery رواية جويني عن ثورة تارابي (JA, Séries 4, t. XX, PP. 376–399) وأيضاً فقرة من رواية خواندامير لمتن جويني (شرحه .T. XIX, P. 58 sq)؛ وفي كلا الحالتين يورد المتن الفارسي مصحوباً بترجمة فرنسية. كذلك نشر تلميذ بارتولد البروفسور أ. ى. ياكوبوفسكي A. Iu. Iakobovski مقالاً عن ثورة تارابي «Vosstanie Tarabi» (راجع ثبت المراجع)؛ وفي مقاله هذا يقدم ترجمة روسية لمتن جويني - الناشرون).

طلب من قوشق أن يتنازل له عن الراعي وجعله من حشمه. ولم يلبث الصيني أن أصبح ذا نفوذ كبير حتى إن القاآن اوكداي نفسه امتدح ذكاءه؛ ولمّا رأى المكانة الممتازة التي نالها ببلاط چغتاي أطلق عليه اسم وزير. وكان وزير هذا شخصاً قصير القامة زري المظهر، ولكنه من ناحية أخرى امتاز بالشجاعة والذكاء والفصاحة، وكان مجلسه في المآدب أعلا من مجلس معظم الأمراء، كما وأنه كان يعبر عن رأيه بصراحة تامة أمام چغتاي. وقد صاح مرة في وجه إحدى زوجات **چغتاي**: «أنت امرأة، وليس من شأنك الخوض في هذا الحديث». وحدث ذات مرة أن أمر دون علم چغتاي بإعدام زوج أحد أولاد **چغتاي** لاتهامها بعلاقة آثمة، فلما استفسر منه الخان رد عليه بقوله: «لا يليق بزوج أحد أولادك أن تسلك سلوكاً فاضحاً يسيء إلى سمعة أهل بيتك»، فاستصوب چغتاي منه هذا التصرف. ولمّا جرت العادة آنذاك بتدوين أقوال الملوك يوماً فيوماً، فقد كان من عادة الخان لهذا السبب ان يتحدث بقول مسجوع ويضرب الأمثال ويسوق الأقوال المأثورة (بيليك)، وكان وزير يقوم بمهمة التدوين لچغتاي بينما كان يقوم بها لاوكداي أويغوري مسيحي يدعى چينغاي. وذات مرة في إحدى المآدب شرع الأخوان يتحدثان بكلام من هذا النوع، وكان على وزير أن يحفظ تماماً في ذاكرته ألفاظها ويدونها عقب المأدبة، ولقد قام بمهمته خير قيام مما اضطر القاآن إلى الاعتراف بتفوقه على چينغاي.

وتحت تأثير هؤلاء المستشارين أصدر چغتاي يارليغ خلال حياة أخيه انتزع فيه من يلواج ذلك الجزء من ما وراء النهر الذي كان قد ولاّه عليه اوكداي. فكتب يلواج إلى القاآن شاكياً، وطلب هذا يستوضح من أخيه جلية الأمر فردّ **چغتاي** مقراً بذنبه وبأنه لديه ما يبرر به فعلته تلك. ولقد فعلت هذه الاجابة التي تنطوي على الطاعة والخضوع التام فعلها في تلطيف اوكداي حتى أنه ضمّ ما وراء النهر إلى اقطاع (اينجو) چغتاي الشخصي. ثم ظهر يلواج بعد ذلك ببلاط چغتاي فقوبل مقابلة عدائية،/ فاختلى بوزير وقال له: «أنا نائب القاآن ولن يستطيع چغتاي قتلي بلا موافقته، أما اذا اشتكيت أنا إلى القاآن منك فإنه لا محالة قاتلك. لذا فإن أنت تداركت أحوالي فبها، وإلاّ فإني سأتهمك أمام القاآن الذي سيأمر باعدامك. واذا ما حدث أن نقلت قولي هذا إلى چغتاي سأنكره كله، فضلا عن أنه لا شاهد عندك». فاستسلم وزير لحكم الضرورة وأصلح أحوال يلواج(٦٦) بأن مكّنه فيما يبدو من العودة بسلام إلى بلاط القاآن. 549

---

(٦٦) رشيد الدين، طبعة بلوشية، ص ١٩٦؛ Teksty, str. 124- 125

ونحن نعلم أن محموداً يلواج كان يحكم الصين خلال حياة اوكداي. ولما استُدعي قطب الدين من كرمان وأجلس ابن عمه ركن الدين على عرش كرمان نفاه القآن الى الصين عند يلواج الذي عامله بالكثير من العطف والإحترام كأنه أحد أولاده[٦٧]. وكانت حكومة• تركستان وما وراء النهر في عهد اوكداي وخلفائه حتى عهد قايدو، في يد مسعود بيك[٦٨] بن محمود يلواج الذي يثني عليه جويني بمثل ثنائه على أبيه[٦٩]. ووفقاً لقول رشيد الدين فإن مسعود بيك كان يدير شؤون جميع الحضر من سكان آسيا الوسطى بدءاً ببلاد الأويغور وانتهاء بخوارزم[٧٠]، أي أن إدارته لم تقتصر على الاقطار الإسلامية وحدها. وتشير رواية اليوان - شيه Yuan-Shih إلى أن مسعود بيك كان في واقع الأمر يحكم بلاد الأويغور[٧١]، على أقل تقدير في عهد مونكو قاآن. ويثني جويني ثناء عطراً على الأبنية التي شيدت على عهد مسعود بيك ببخارا، ويخص بالذكر المدرسة الخانية التي بنيت على نفقة الملكة سورققتني بيكي (ارملة تولوي)، والمدرسة المسعودية التي بنيت على نفقة مسعود بيك، ويبدو أن كلا البنائين كان قريباً من الريكستان لأنهما على حد قول جويني[٧٢] كانتا تزينان ميدان بخارا، وكان بكل واحدة من المدرستين ألف طالب. ولعل مما يلفت النظر بصورة خاصة في تصرف الملكة هو تبرعها بألف بالش لتشييد المدرسة رغماً من أنها كانت مسيحية العقيدة. وكان المدرس بالخانية والمتولي لأمرها هو سيف الدين باخرزي المشهور[٧٣]. ويغلب على الظن أن مسعود 550 بيك هو/الذي شيد أيضاً المدرسة المسعودية بكاشغر والتي يحدثنا عنها صاحب الترجمة الفارسية لصحاح الجوهري[٧٤].

---

(٦٧) جويني، الجزء الثاني، ص ٢١٥، D'Ohsson, Histoire des Mongols, t. III, P. 131

(٦٨) وفقاً لقول جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٤٧، (طبعة نساو - ليس، ص ٣٩٨) فان مسعود بيك كان من قبل في خدمة چغتاي: «مسعود بيك جملة الملك جغتاي بود».

(٦٩) جويني، الجزء الأول، ص ٨٤

(٧٠) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٨٥ - ٨٦. ومن جملة الولايات التي كانت تحت ادارة مسعود بيك ترد الأسماء الآتية: بيشباليق، قراخواجه(؟)، الماليق، ختن، كاشغر، وبلاد ما وراء النهر. وأضيف اليه في عهد مونكه خان فرغانه وخوارزم (بلوشيه، ص ٣٠٩)

(٧١) Bretschneider, Mediaeval Researches, vol. I, P. 11

(٧٢) جويني، الجزء الأول، ص ٨٤ - ٨٥

(٧٣) جويني، الجزء الثالث، ص ٩.

(٧٤) (أي جمال قرشي - الناشرون).

كان الإفراط في الشراب هو السبب في موت اوكداي الذي حدث وفقا لقول جويني[٧٥] في الخامس من جمادي الثانية عام ٦٣٩ هـ (١١ ديسمبر ١٢٤١)[٧٦]. وكانت عادة المغول أن يدفن الخان في الاردو الخاص به، ولذا فقد نقل جثمان اوكداي إلى ضفاف أعالي نهر ارتيش ودفن بجبل بولدوق قسر Boldoq Qasir الشاهق الذي تكلله الثلوج (وقد عرف فيما بعد باسم يكه اوندر Yeke Undür) والذي يبعد مسيرة يومين من النهر، وكان ينحدر من الجبل رافدان يصبان في ذلك النهر[٧٧]. وبعد قليل من موت اوكداي لحقت به الخاتون موكه Möge أحب زوجاته إليه، رغماً من أنه لم يرزق منها بطفل. وقد اتفق چغتاي وبقية أمراء البيت المالك على أن تتولى تصريف شؤون الامبراطورية الملكة توراكينه[٧٨] Töregene «أم أولاد الخاقان الراحل» [وذلك لحين اجتماع القوريلتاي[٧٨أ] وانتخاب القآن الجديد]. ولم يعش چغتاي بعد موت أخيه إلاّ بضعة أشهر[٧٩]. ولمّا مرض لم يستطع وزير أو الطبيب المسلم مجد الدين أن يداويانه،

(٧٥) جويني، الجزء الأول، ص ١٥٨

(٧٦) يبصر رشيد الدين (طبعة بلوشيه، ص ٥١ - ٥٢) تناقضاً بين جويني وبين الرواية المغولية التي تقول بأن أوكداي مات في عام الثور. وفي الواقع لا يوجد ثمة تناقض، فعام الثور ينتهي في شعبان عام ٦٣٩ للهجرة (أي بين ٤ فبراير و٤ مارس ١٢٤٢).

(٧٧) رشيد الدين (Teksty, str. 122) (اسم الجبل في المخطوطة المنقول عنها: بلداق قاسر، وإلاّ فهو ايكه اواير). والمتن هنا مختلط للغاية، بل يُفتقد في عدد من المخطوطات التي بين أيدينا (لا وجود له لدى بلوشيه - الناشرون). راجع أيضاً ملاحظة راڤرتي في ترجمته لجوزجاني (الجزء الثاني، ص ١١٤٣). ويرد الاسم لدى راڤرتي في الصور الآتية:

Buldan Kair, Yakah Wandur, Yasun Muran, Tarkan Usun.

(٧٨) جويني، الجزء الأول، ص ١٩٥ - ١٩٦

(٧٨أ) (المجلس العالي للشورى، ويقول عنه ابن العبري «أي المجمع الكبير» (٤٢٦) - المترجم)

(٧٩) هكذا لدى جويني (الجزء الأول، ص ٢٢٧) ولدى وصاف (طبعة بمباي، ص ٥٨٠) وبعض مخطوطات رشيد الدين، وأيضاً في «معز الانساب»، الورقة ٢٨. ووفقاً لمخطوطات أخرى لرشيد الدين فان **چغتاي** مات قبل اوكداي بسبعة أشهر، وذلك في ذي الحجة من عام ٦٣٨ هـ (أي بين ١٤ مايو و١٢ يونيو عام ١٢٤٢). ويقبل دوسون عن حق الرواية الأولى. وهي تؤكد رأي راڤرتي (جوزجاني، الترجمة، الجزء الثاني، ص ١١٤٨، الحاشية ٤) ان قول ميرخواند ان چغتاي مات عام ٦٤٠ (أنظر طبعة لكنهو، الجزء الخامس، ص ٤٤)« يناقض رواية بقية المؤرخين» وإن ميرخواند قد خلط في أغلب الظن بين عامي موت **چغتاي** وقراچر. ورواية ميرخواند هذه لا يمكن نسبتها إلى جويني، الذي لا يذكر حتى اسم قراچر.

موت اوكداي

وموت چغتاي

فاتهمتها الملكة يسولون Yesülün بعد موته بأنها قد سمّا الخان واعدمتها وأعدمت معها

551 كل أولادها. وكانت هذه هي نهاية/وزير[٨٠]. ووفقاً لألفاظ رشيد الدين فإنه هو نفسه كان يقول لچغتاي: «من أجلك لم أحتفظ بصداقة مخلوق، وبعد فوتك لن يرحمني من الناس أحد»[٨١]. هذه الكلمات تعطي صورة حية لما كانت عليه إدارة وزير، أو على أقل تقدير تبيّن رأي معاصريه فيه. ولّما مات چغتاي نظم الشاعر سديد أعور[٨٢] قصيدة جاء فيها: «ذلك الذي لم يكن ليجرؤ أحد على الدخول في الماء رهبة منه، قد غرق هو نفسه في خضم البحر المحيط (الموت)».

وكان أحب أولاد چغتاي إليه هو موتكن الذي وقع عليه اختيار أبيه ليخلفه، ولكنه قتل في حصار باميان فأعلن چغتاي ابناً آخر له يدعى بلدشي Bildishini خليفة له ولكن هذا الأمير مات في الثالثة عشرة من عمره[٨٣]. وعند ذلك أعلن چغتاي خلفاً له قراهولاكو بن موتكن[٨٤]، وبعد موت چغتاي أجلت الملكة يسولون وحبش عميد وكبار رجال الدولة الأمير الشاب على العرش[٨٥].

---

(٨٠) يكتب جويني (الجزء الأول، ص ٢٢٧) اسم وزير في صورة: هجر أو هجتر. ووفقاً لألفاظه فان وزير كان من أصل تركي. وعلا شأنه في أواخر أيام چغتاي. ولم يلاحظ دوسون (D'Ohsson, Histoire des Mongols t. II, PP. 108, 189) انه هو نفس الشخص الذي يذكره رشيد الدين. (إن ألفاظ جويني هي الآتية:

(«كان وزير تركيا اسمه هجير»، راجع ترجمة Boyle الانجليزية لمصنف جويني، الجزء الأول، ص ٢٧٢ - بوزورث). (إن وجود ادات النفي الروسية ne قبل تركي في الأصل الروسي لكتاب بارتولد سهو واضح - المترجم.)

(٨١) رشيد الدين، طبعة بلوشيه ص ١٩٦ - ١٩٧

(٨٢) جويني، الجزء الأول، ص ٢٢٨

(٨٣) رشيد الدين، مخطوطة مكتبة لينينغراد، الورقات ١٩٢ - ١٩٣: يلدش (وأيضاً مخطوطة دورن بنفس المكتبة، الورقة ١٨٨)؛ أما مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٢١١: يلكشي، وفي طبعة بلوشيه، ص ١٧٤: ايلدشن.

(٨٤) وفقاً لجويني (الجزء الأول، ص ٢٢٨) فان قرا هولاكو ولد أثناء حصار باميان، وذلك قبل وقت قليل من وفاة أبيه أو بعد وفاته ويقول رشيد الدين (طبعة بلوشيه، ص ١٢٢؛ Teksty, str. 122) ان قرا هولاكو هو الابن الأكبر لموتكن، وكان لديه أخوان اثنان. وفي بعض مخطوطات رشيد الدين (مخطوطة دورن، الورقة ١٨٨؛ ومخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٢١١؛ وطبعة بلوشيه، ص ١٦٢ - ١٦٣) يرد ان قرا هولاكو هو الابن الأصغر لموتكن، ولعل هذا حدث تحت تأثير رواية جويني.

(٨٥) جويني، الجزء الأول، ص ٢٩٩. أما رشيد الدين (طبعة بلوشيه، ص ١٥٤) فيقول إن يسولون ماتت قبل چغتاي، الذي تزوج بعد موتها أختها توكن

وكيفما كانت أحوال الشعب في عهد اوكداي إلاّ أنه من العسير أن ننكر أن بلاط المغول كان على عهده يختلف اختلافاً كبيراً عما آل إليه في عهد خلفائه. وبعد موت اوكداي فقط بدأت تلك السلسلة من المحاكمات المقيتة والإعدام الوحشي ببلاط القاآن وقصور الأمراء الاقطاعيين، والتي جعلت فيما بعد من عبارة «يذهب إلى الاوردو» تعني أنه ذاهب إلى موت محقق. على أنه ليس من الإنصاف إلقاء مسؤولية هذه الأعمال الرهيبة على المغول وحدهم. فدوسون وغيره من المؤرخين حينما يشيرون إلى «الصّوَر المريعة» في تاريخ المغول يتناسون أن معظم هذه المحاكمات، إن لم تكن جميعها، والتي تركت فينا مثل هذا الأثر الرهيب، إنما كان مبعثها الدسائس التي كان يحيكها ممثلو الشعوب المتحضرة، وأن الحكام المغول لم يكونوا في واقع الأمر سوى أدوات في أيدي أولئك الذين مهروا في الدس من بين المسلمين والأويغور والأوروبيين وكان المغول يقفون في معظم الاحيان/ 552 عند حد تسليم المتهم إلى أيدي أعدائه، الأمر الذي لم يكن ليخفف بالطبع من هول المصير الذي كان ينتظره.

وفي عهد قراهولاكو تعرض لمصير شبيه لهذا كوركوز Körgüz، وهو أيغوري بوذي أصله من قرية يرليق Yarliq (على أربعة فراسخ من بيشباليق، الى الغرب من الطريق)، وقد تولى في أواخر أيام اوكداي إدارة خراسان وجميع أملاك المغول الواقعة إلى الغرب من نهر امودريا. ولقد اضطر المؤرخ المسلم رغماً من عدائه للأويغور إلى الاعتراف بأن حكمه عاد على البلاد بالخير والرفاهية.

وعند منصرفه من منغوليا في عام ٦٥١ هـ زار جويني قرية يرليق وجمع فيها تفاصيل عن حياة كوركوز، يستبين منها انه كان ابناً لرجل رقيق الحال من الأيغور، وقد مات أبوه وهو طفل فلمّا شب أراد أن يتزوج من أرملة أبيه على عادة الأيغور والمغول ولكنها رفضته لصغر سنه فاشتكى كوركوز الى الايديقوت الذي أيّد العادة القديمة واضطرت الأرملة إلى أن تشتري حريتها بالمال. واشتغل كوركوز في بداية أمره بتعليم الصبية الكتابة الأيغورية، غير أن هذا الضرب من الحياة لم يكن ليتفق مع نفسه التوّاقة إلى المعالي فاقترض المال من ابن عم له يدعى بيش قلاچ Besh-Qulaj بعد أن رهن نفسه له واشترى فرساً واتجه الى أُردو باتو Batu. وهناك عمل راعياً في خدمة أحد الأمراء، ولكنه سرعان ما علا شأنه بفضل ذكائه وتعليمه، فانخرط في خدمة الحكومة وعمل في بداية الأمر في وظيفة معلّم لأولاد المغول، ثم في وظيفة كاتم لأسرار چنتمور والى خوارزم وبعد موت **چنتمور** تم تعيين كوركوز حاكماً على خراسان، وذلك بفضل رعاية

چينغاي[٨٦] الذي ينتمي إلى نفس قبيلته. ولكنه لم يلبث أن أحاطت به الدسائس التي حاكها ضد چينغاي عدوه دانشمند حاجب (وهو رجل مسلم) وبعض عمّال الحكومة بخراسان، خاصة أحد نواب باتو المدعو شرف الدين (وهو خوارزمي، وُلد ابناً لحمّال)[٨٧] وانتهى الأمر بمحاكمة دامت عدة أشهر. ويرجع الفضل في انتهاء المحاكمة بلا إراقة للدماء إلى اوكداي وإيثاره الخير، وبعد أن قطع اوكداي في المسألة لصالح كوركوز صفح عن أعدائه بعد أن بيّن لهم أن الموت كان جزاءهم لما اقترفوه من الوشاية والافتراء، وفي ذات الوقت حذّر كوركوز تحذيراً شديداً من الانتقام منهم وتوعّده بعقاب صارم إن هو خالف أمره.

553 وإذا حدث رغماً من كل ذلك أن تُوّجت دسائس أعداء كوركوز في آخر الأمر بنجاح تام فإن المسؤول عن ذلك هو كوركوز نفسه، ذلك أنه بالرغم من تحذير القاآن له فإن كوركوز لم يتوان في تعقب أعدائه والثأر منهم، زد على هذا أنه أساء إلى أحد أمراء الچغتائية بألفاظ تنطوي على القحة. بل إنه تحدث في حق الملكة بيسولون نفسها بألفاظ تنطوي على عدم الاحترام. وبهذا وجد أعداؤه مبرراً كافياً لمهاجمته، خاصة وأن اوكداي لم يعد بين الأحياء وأن چينغاي كان قد أبعدته الملكة توراكينه. فسيق كوركوز إلى الأُردو الچغتائي ألوغ ايف Ulugh-Ev، وهناك حشوا فمه بالحجارة جزاء ما تفوه به وقتلوه[٨٨]. وقد حدث خلال محاكمته أن زجر أحد الأمراء شرف الدين وأفهمه أن كوركوز إنما هو الذي جنى بكلامه على نفسه، وأن من الأجدر بشخص مثلك أن يقف موقف المعتذر والمستغفر لا موقف المكابرة والخصومة إذا ما أتيح له أن يخرج من ورطته هذه[٨٩].

---

(٨٦) (وهو اويغوري نصراني - الناشرون)

(٨٧) عن شرف الدين وحياته راجع جويني، الجزء الثاني، ص ٢٦٢ وما يليها. (توجد معلومات مفصلة عنه لدى سيفي هروي (ص ١٧٤ - ١٨٠). وكل من جويني وسيفي هروي يصف شرف الدين بأنه كان ظالماً للفلاحين وأهل المدن على السواء، ويتهمانه بجباية الضرائب من الأهالي بغير وجه حق وبالابتزاز والاختلاس وتعذيب أصحاب المتأخرات. ووفقاً لقول سيفي هروي فان شرف الدين عيّن كاتباً أكبر (بتيكچي) بواسطة بيسومونكو عام ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ - ١٢٤٩، ثم قبض عليه فيما بعد واعدم بأمر حاكم هرات شمس الدين كرت - الناشرون)

(٨٨) يرد تاريخ كوركوز بالتفصيل لدى جويني، الجزء الثاني، ص ٢٢٥ - ٢٤٢؛ ودوسون، D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. III, PP. 109- 121

(٨٩) جويني، الجزء الثاني، ص ٢٧٣ - ٢٧٤

ولعل أكثر ما يدعو للأسى في كل هذا هو ما آل إليه أمر منغوليا خلال حكم توراكينه. وعن أرملة اوكداي هذه يقول رشيد الدين[٩٠] إنها وإن كانت غير جميلة إلاّ أنها كانت بطبيعتها تميل إلى التسلط الشديد. ورغماً من هذا فإنها وقعت تحت تأثير وصيفتها المسلمة فاطمة والوزير عبد الرحمن اللذين شرعا في الدس من فورهما لكبار رجال دولة اوكداي. وكان على رأس الأخيرين يلواج وچينغاي اللذان أفلحا في إنقاذ حياتها بأن سارعا إلى الألتجاء بكنف الأمير كوتان Köten، فلما طلبت منه أمه الملكة توراكينه تسليمها أجابها قائلا: «إن بغاث الطير عندما تحتمي بالأشواك خوفاً من مخالب البازي تجد الأمان بها، وهما قد استجارا بي وليس من شروط الهمّة والمرؤة وصفات الكرم والفتّوة أن أسلّمها إليك»[٩١].

وقد أحاط بمسألة وراثة العرش في هذه المرّة بعض الصعوبات، إذ لم يكن من بين آل چنكيز من تلتف حوله القلوب. وقد شاع قول مؤداه أن چنكيز خان نفسه قد أوصى بأن يؤول العرش بعد موت اوكداي إلى ابنه الثاني كوتان[٩٢]، غير أن كوتان هذا كان مصاباً بعلة لم يكن يرجي له منها الشفاء. ولذا فقد أراد اوكداي أن يخلفه على العرش ابنه الثالث كوچو Köchü/ولكن كوچو مات قبل والده، لذا وقع اختيار القاآن على ابنه شيرامون Shiremün، غير أن المغول عدّوا شيرامون حدثاً صغير السن ولذا فقد اختير كويوك Güyük قاآناً، بعد فترة من خلو العرش. والحوليّات المغولية التي جرى تدوينها في ذلك الوقت تشير في وضوح إلى وجود حزب قوي بين الارستقراطية المغولية كان يعترض على تولي كويوك العرش بل وعلى جميع سلالة اوكداي. وكان رأي الحزب أن يؤول العرش إلى تولوي بطل آل چنكيز وإلى أولاده من بعده (وكان أكبرهم مونكو Möngke يصغر كويوك بعامين فقط)

554

---

(٩٠) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣: خاتون دوم توراكنه ازقوم اوهات مركيت... وآن خاتون زياده جمالى نداشته اما در طبيعت او تسلطى تام بوده.

(٩١) جويني، الجزء الأول، ص ١٩٧، رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٢٣٤. نفس هذا التشبيه يكاد يرد حرفياً في القصص المغولية (التاريخ السري، ترجمة **كفاروف**، ص ٤٣؛ (طبعة كوزين، ص ٩٣) إذ يستعملها الأخوان اللذان لاذ بهما تيموجين: «عندما يلوذ طائر صغير يطارده طائر من الجوارح بالأغصان والأعشاب فإن هذه تنقذ حياته، فإذا كان هذا شأن الأغصان والأعشاب فإننا سنكون أحط منها إذا لم ننقذ حياة رجل لاذ بنا»

(٩٢) جويني، الجزء الأول، ص ٢٠٦

وكيفما كان الحال فإن المسألة قد حلت في هذه المرة من غير التجاء إلى إراقة الدماء؛ وقد حضر القوريلتاي جميع أبناء تولوي ومعهم والدتهم كما حضره أيضاً كل آل چغتاي، أما باتو فلم يحضر بنفسه ولكنه أرسل خمسة من اخوته. ولقد أحيط هذا القوريلتاي (الذي عقد في عام ١٢٤٦) باحتفالات مهيبة بأكثر مما كان عليه الحال مع قوريلتاي اوكداي، وأُنزل الضيوف في ألفي خيمة بيضاء. ولم يحدث أن شوهد مثل هذا الجمع الحافل من قبل[٩٣].

ولم يتصف كويوك بتلك الأخلاق السمحة التي تميّز بها أبوه. وقد شابه أباه فقط في ولعه الشديد بالخمر والنساء، ولئن كان اوكداي على غرار سردَنپال Sardanapalus بطل بيرون Byron يجهد في أن يتمتع بحياته ويترك للآخرين أن يتمتعوا بحياتهم، فإن كويوك قد أحاله التهالك على الملاذ إلى كائن عبوس كئيب، سقيم النفس والجسد. ويقول عنه پلانو كارپيني إنه لم يتبسم قط[٩٤]. ويقول رشيد الدين[٩٥] إن خواصه والمقربين إليه كانوا لا يجرؤن على الحركة أمامه، كما أن أحداً لم يكن ليجرؤ على مفاتحته في موضوع ما إذا لم يبدأ هو بالحديث.

غير أن القاآن الجديد استهل حكمه على أية حال بروح المسالمة. وقد أثبت جميع القوانين التي صدرت في عهد چنكيز خان واوكداي، كما أن جميع الأوامر التي حملت ختم اوكداي جرى تنفيذها بلا حاجة للرجوع إلى القاآن الجديد. وكان القاآن يثني أمام الجميع على سور ققتنى بيكى وأولادها لأنهم من بين سائر امراء البيت المالك قد استمسكوا بالياسا وامتنعوا عن كل تصرف طائش خلال فترة خلو العرش، وقد أوكل إلى سور ققتنى بيكى مهمة توزيع الهدايا باسم القاآن، كما أن ابنها الأكبر مونكو ومعه اوردا الابن الأكبر لجوچي قد تم تعيينهما للحكم في قضية أخى چنكيز خان المدعو اوچكين Otchigin الذي قام بمحاولة للاستيلاء على العرش في فترة خلوة. وقد انتهى الأمر باعدام بعض النبلاء[٩٦]، وبهذه الطريقة نفسها أيضاً تم الخلاص من فاطمة وعبد

---

(٩٣) شرحه؛ رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٢٥٣

(٩٤) (الترجمة الروسية بقلم مالين، ص ٥٩)

(٩٥) طبعة بلوشيه، ص ٢٥٣؛ Teksty, str. 125; D'Ohsson, Histoire des Mongols, t. II, PP. 196-197

(٩٦) جويني، الجزء الأول، ص ٢١٠؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II. PP. 201- 204

الرحمن. وفاطمة هذه التي اتهمت بأنها قد قضت على صحة كوتان (الذي مات في عهد توراكينه) عن طريق السحر، جرت محاكمتها على يد/أحد السادة العلويين من أهل 555 سمرقند ويدعى شيره[٩٧]. أما يلواج ومسعود وارغون (وهو من قبيلة الاويرات، وكان قد علا شأنه عقب سقوط كوركوز الذي كان له فيه نصيب)فقد تم تثبيتهم ولاة على الصين وآسيا الوسطى وآسيا الغربية. وقد تسلم كل منهم يارليغ وپايزه برأس نمر، وفي طريقه إلى ولايته وزّع أرغون الهبات على سكان تركستان وما وراء النهر وغمرهم باحسانه. ولما وصل إلى خراسان نزل بقرية غزقاباد (أو رزق)[٩٨] التي كان ينزل بها من قبل وزراء السلاجقة، وأقام أرغون مأدبة كبرى بقصر السلاطين وابتنى لنفسه قصراً وبستاناً هناك فحذا الآخرون حذوه[٩٩].وكان قد تقرر إرسال جيش إلى الغرب على أن يسهم فيه كل واحد من أمراء البيت المالك بخُمس قواته العسكرية وجعلت قيادة الجيش لرجل من قبيلة جلاير يدعى ايلچيداي (وهو الأخ الأصغر لمؤدب اوكداي المدعو ايلوكه Ilüge[١٠٠]). وكان الهدف من وراء ذلك الجيش هو القضاء على سلطان ملاحدة الإسماعيلية وعلى الخلافة العباسية ببغداد[١٠١].

هذا وقد عزل كويوك رأس ألوس چغتاي[١٠٢] وهو قراهولاكو، وذلك وفقاً لرأيه أنه لا يجدر بالحفيد أن يرث العرش في الوقت الذي ما يزال فيه أحد أبناء الخان الراحل على قيد الحياة. وأُجلس على العرش مكانه صديق شخصي لكويوك هو ييسو مونكو (مونككا) Yesü Möngke أكبر من بقي على قيد الحياة من أولاد چغتاي. وكان ييسو

---

(٩٧) جويني، الجزء الأول، ص ٢٠٠ - ٢٠٣؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, PP.232-233. كان شيره يقدم النبيذ لقداق، أي كان نديماً له.

(٩٨) راجع Jukovski, razvaliny starogo merva, str. 344. (يرد في النسخة المطبوعة لتاريخ جويني، الجزء الثاني، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ بدلاً من رز قاباد: ارزنقاباد؛ وقد ورد ذكرها لدى ياقوت على أنها من قرى مرو الشاهجان (معجم البلدان، الجزء الأول ص ٢٠٥) - الناشرون)

(٩٩) جويني، الجزء الثاني، ص ٢٤٦ - ٢٤٧، Teksty, str. 117

(١٠٠) راجع عنه رشيد الدين، طبعة برزين، القسم السابع، المتن ص ٤٩؛ القسم الخامس، الترجمة ص ٣٨. (في المتن يرد فقط أن اوكداي خان اتخذ ايلچيداي (هكذا لدى برزين = ايلچيغداي - راجع ما يلي من الكتاب ص ٦٩٤) ملازماً له (ملازم كردانيد) - الناشرون)

(١٠١) جويني، الجزء الأول، ص ٢١٢، (ولكن لا يرد هنا ذكر للخليفة - الناشرون)

(١٠٢) يتهم جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٥٧ (طبعة نساو - ليس، ص ٢٤٠١) كويوك بقتل ولدي عمه چغتاي، ولكن هذه التهمة لا تجد تأييداً في المصادر الأخرى.

مونكو على حد قول رشيد الدين لا يفيق من السكر حتى أن زوجه توقاشي Toqashi هي التي كانت تدبر شؤون المملكة بما في ذلك تنظيم الصيد بالبزاة(١٠٣). وكان وزيره هو الإمام بهاء الدين مرغيناني الذي كان أبوه شيخاً للإسلام بفرغانه، وكانت أسرته تتوارث هذا المنصب أباً عن جد. وأمّا من جهة/أمه فهو ينتسب إلى القراخانيين وينحدر من صلب تغان. ويبدو أن بهاء الدين قد فقد والده وهو في سن مبكرة فتبناه حبش عميد، الذي وقع اختياره على بهاء الدين لملازمة ييسومونكو لمّا وضع أولاده في خدمة أبناء جغتاي. وكان ييسومونكو يبغض حبش عميد لانحيازه لقراهولاكو، فعمل بهاء الدين على تخفيف حدة هذه الكراهية وأنقذ حياة وليّ نعمته، غير أن حبش عميد لم يكن ليغفر لربيبه أن أصبح وزيراً مكانه. فبعد انقلاب عام ١٢٥١ ثأر منه بطريقة وحشية. ويقول جويني عن بهاء الدين، الذي التقى شخصياً به وبرفاقه، إنه جمع في نفسه علوم الدين والدنيا وأن منزله كان مجمع من تبقي من فضلاء العالم وأن العلم استعاد مجده السابق على أيامه(١٠٤).

556

وعلى وجه العموم، فإن حكم كويوك القصير الأمد لم يكن خيراً للاسلام أو للعلوم الاسلامية. وكويوك الذي تولى تربيته مسيحي هو قداق Qadaq، ثم وجد نفسه فيما بعد تحت تأثير وزير مسيحي هوچينغاي كان طبيعياً أن يحسن إلى المسيحيين دون سواهم من أتباع الديانات الأخرى. وقد هرع النصارى إلى بلاطه من جميع الأنحاء، من بلاد الشام والروم وبغداد وروسيا؛ وكان بينهم ممثلو جميع الطبقات، من رجال الدين ومن الأطباء الذين فاق عددهم ببلاطه عدد رجال الدين. ولقد ترك كويوك أمر الحل والعقد في الدولة في يدي قداق وچينغاي، واستغل المسيحيون هذا الوضع في مهاجمة الاسلام مهاجمة عنيفة من غير أن يجرؤ المسلمون على معاملتهم بالمثل(١٠٥)

---

(١٠٣) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ١٧٥؛ Teksty, str. 123 : ويرد اسم زوجة ييسو مونكو في المتن بالصور الآتية: مخطوطة مكتبة لنيغراد، الورقة ٢٠٧: تايشي أو نايشي؛ مخطوطة دورن، الورقة ٢٠٣: ملوقاشي، مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٢١١: طغاشي، طبعة بلوشيه، ص ١٧٥: نايشي، شرحه، ص ٢٩٧ - ٢٩٨: طوقاشي. عن افراط يسو مونكه في احتساء الخمر راجع أيضاً جويني الجزء الأول، ص ٢٢٩.

(١٠٤) جويني، الجزء الأول، ص ٢٢٩ - ٢٣٢

(١٠٥) شرحه، الجزء الأول، ص ٢١٤

هذا ما قاله جويني. أما جوزجاني(١٠٦) فقد حوى مصنفه نقداً عنيفاً لكويوك على مناصبته الإسلام العداء. فيقال إنه عملاً بنصيحة راهب بوذي (توين Toyin) كان قد اكتسب الشهرة ببلاد الصين وتركستان فإن كويوك أصدر قراراً بخصى جميع المسلمين وجبّهم، وقد حدث عندما كان التوين يحمل نص ذلك القرار أن هاجمه كلب شرس فمزقه شرممزق. وفعل هذا الجزاء العادل من الله فعله في نفس كويوك، مما جعله يعدل عن قراره. هذا وقد أغرى النصارى(١٠٧) كويوك بأن يدعو إماماً معروفاً من أئمة المسلمين إسمه نور الدين خوارزمي ليناظرهم في الدين. وجرت المناظرة في حضرة كويوك على النحو التالي:

557

النصارى: بيّن لنا أي ضرب من الناس كان محمد.

الإمام: محمد هو خاتم النبيين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين..... [قال عنه] موسى الذي أعجب بمناقبه: «اللهم اجعلني من أمة محمد»..... وبشّر عيسى «برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد».

النصارى: إن النبي هو من يعيش عيشة روحانية خالصة، وليس له تعلق بشهوة النساء أو اهتمام بهن، كما كان عيسى مثلاً. هذا بينما كان لمحمد تسع من النساء وعدد من الأولاد. فكيف تفسرون هذا؟

الإمام: لقد كان للنبي داود عليه السلام تسع وتسعون من الزوجات، وكان لسليمان ثلاثمائة وستون حليلة وألف سرية.

النصارى: هذان لم يكونا من الأنبياء بل من الملوك(١٠٨).

وفي آخر الأمر أوقف النصارى المناظرة والتمسوا من كويوك أن يأمر الإمام باقامة شعائر الصلاة جماعة. فدعا الامام أحد المسلمين وشرعا في الصلاة، وجهد النصارى بكافة

---

(١٠٦) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٤٨ - ١١٦٤؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٣٩٩ - ٤٠٦. (عندما يتحدث جوزجاني عن كويوك يضيف دائماً: «ملعون» أو «لعنه الله» - الناشرون)

(١٠٧) (يضيف جوزجاني إليهم البوذيين؛ راجع ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٦٠؛ طبعة نساو - ليس، ص ٤٠٤: جماعت ترسايان وقسيسان وطايفۀ توينان بت پرست ازكيك التماس نمودند كه آن امام مسلمانان را حاضر كند تابا أو مناظره كنند - الناشرون)

(١٠٨) (جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٦٠ - ١١٦٢، طبعة نساو - ليس، ص ٤٠٤ - ٤٠٥)

الوسائل في إعاقة صلاتها فانهالوا عليها ضرباً عند السجود ودقّوا رأسيها بالأرض ولكنهما لم يقطعا صلاتهما وبعد أن سلّما انصرفا بهدوء. وفي نفس تلك الليلة هلك كويوك جزاء ما جنت يداه في حق الإمام. وفي اليوم التالي اعتذر أولاده للأمام وجهدوا في ترضيته[١٠٩].

وقد حاول كويوك أن يتشبه بأبيه في الجود، فوزع على الشعب بمنغوليا وحدها سبعة آلاف بالش[١١٠] عقب اعتلائه العرش، وفي ربيع عام ١٢٤٨ تحرك بجيش كبير صوب الغرب متوجهاً إلى الاوردو الخاص بأسرته، وفي طريقه كان يوزع الأموال والملابس على الفقراء في كل مكان. وقد زعم كويوك أن الغرض من تحركه هو أن الطقس على ضفاف ايميل سيعود بالفائدة على صحته المتدهورة، غير أن سور ققتني بيكي ساورها الشك في أنه يضمر نوايا عدوانية ضد باتو الذي كان قد تشاجر معه من قبل في حياة أبيه[١١١] والذي تحاشى حتى تلك اللحظة أن يقسم له يمين الطاعة. وقد تحرك باتو بجيشه كذلك لمقابلته، ولكن الأمر لم يصل إلى حد الصدام لأن كويوك مات في الطريق إلى ايميل عند موضع يعرف بسمرقند على سبع مراحل من بيشباليق[١١٢] ومن الجلي أنها ليست بسمرقند الصغد، 558 وما/لم يكن هذا تحريفاً من النساخ الفرس[١١٣] فيجب عند هذا أن نفترض وجود مستعمرة صغدية بمنغوليا، وهو افتراض جائز كما أشرنا فيما سبق من هذا الكتاب.

وكان النزاع على العرش الذي أعقب موت كويوك أكثر حدة ولكنه كان أقصر أمداً

---

(١٠٩) شرحه، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٦٢ - ١١٦٤؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٤٠٥ - ٤٠٦)

(١١٠) جويني، الجزء الأول، ص ٢١٤؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II. P. 202؛ وصاف، طبعة بمباي، ص ٥٧٦)

(١١١) يتحدث تاريخ المغول السري أيضاً عن هذه المشاجرة (التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٥٧؛ (طبعة كوزين، ص ١٩٤)

(١١٢) جويني، الجزء الأول، ص ٢١٥: چون بحدّ سمرقند رسيد كه از آنجا تا بيش بالغ يك هفته راه باشد؛ (راجع أيضاً وصاف، طبعة بمباي، ص ٥٧٦. ولا يورد دوسون اسم الناحية - الناشرون)

(١١٣) في جميع مخطوطات جويني ورشيد الدين ووصاف المعروفة لي يظهر واضحاً اسم سمرقند. ووفقاً لتاريخ اليوان - شي (ترجمة بتشورين، ص ٣٠١ و٣٨١) فإن كويوك مات بناحية هنسيار heng-seng-yi-erh. (صحح پليو Pelliot الاسم اعتماداً على احدى مخطوطات مصنف جويني التي استعملها محمد عبد الوهاب قزويني في اعداد طبعته، وأيضاً اعتماداً على فقرة من تاريخ ابن العبري السرياني لتُقرأ: قمسكر «أي رأس الرمال»، وهي قمشكر الواردة في التاريخ السري. راجع مناقشة بويل Boyle للمسألة في ترجمته الانجليزية لمصنف جويني، الجزء الأول، ص ٢٦١، الحاشية ٤٢ - بوزورث Bosworth)

من ذلك الذي أعقب موت اوكداي[١١٤]. وقد بلغ نعي كويوك إلى باتو وهو بموضع آلا قماق[١١٥] Ala – Qamaq على سبع مراحل من قياليق Qayaliq، أي بنواحي جبال آلا طاو Ala-Tau، فبعث هو وسور ققتني بيكي بما هو لازم لجنازة[١١٦] القاآن الذي دفن بايميل. وأرسل باتو إلى أمراء البيت المالك يدعوهم إلى الاجتماع في آلا قماق للتشاور حول وراثة العرش. وخلال فترة خلو العرش فُوّض أمر التصرف في شؤون الدولة إلى اوغل غاييش Oghul–Gaimish أرملة كويوك، يعاونها في ذلك چينغاي. وكانت طائفة تزعم أن المغول كانوا قد التزموا منذ عهد چنكيز خان، بل وحتى عهد اوكداي وكويوك فيما بعد، بألاّ يُجلسوا أحداً من الأمراء على العرش «ما بقيت قطعة من لحم اوكداي قاآن»[١١٧]. غير أن هذا الرأي لم يحز القبول من الجميع، ووفقاً للحوليات المغولية الصينية[١١٨] (ومن الجلي أن تدوينها تم على يد أنصار أولاد تولوي) فإن اوكداي نفسه عندما عيّنه أبوه خلفاً له، أعرب عن مخاوفه من أن «يكشف الزمان أن أولاده وأحفاده غير جديرين بوراثة العرش». ويُنسب إلى چنكيز خان قول مؤداه: «إذا كشف جميع أولاد اوكداي وأحفاده عن فقر في صفات القيادة فهل يعني ذلك أنه لن يوجد من خلفي من يصلح لها؟».

559 وكيفما كان الحال فإن أمراء البيت المالك قد اعترفوا بأهمية رأي/باتو في انتخاب القاآن الجديد بوصفه أكبر أفراد آل چنكيز سناً. ولم يبق ولدا كويوك وهما قوچه Qocha

---

(١١٤) عن الظروف التي أحاطت باعتلاء مونكو العرش، أنظر جويني، الجزء الأول، ص ٢١٦ – ٢٢١؛ ورشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٢٧٢ وما يليها؛ و D'Ohsson, Histoire des Mongols, t.II, PP. 254– 259؛ (ووصاف، طبعة بمباي، ص ٥٧٦ – ٥٧٨)

(١١٥) يأتي اسم هذا المكان في مواضع مختلفة لدى جويني. ففي مخطوطة مكتبة لنينجراد يرد في صورة الماليغ، الاقماق، الاقماق، الاماق؛ وفي مخطوطة خانيكوف: الاقماق، الاماق؛ وفي طبعة جويني الجزء الأول، ص ٢١٧، ٢١٩؛ الجزء الثالث، ص ١٥: الاقماق؛ ولدى دوسون Histoire des Mongols. monts Alactac: t.II, P. 246

(١١٦) جويني، الجزء الأول، ص ٢١٧: جامه وبغلتاق؛ مخطوطة خانيكوف: بعاتاق؛ رشيد الدين، مخطوطة لنينجراد، الورقة ٣٠٢: برعتاق؛ طبعة بلوشيه، ص ٢٥١: جامه وبوقتاق

(١١٧) رشيد الدين، طبعة برزين، المتن القسم الرابع، ص ٤٩؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ٣٩؛ عن كويوك راجع شرحه، طبعة بلوشيه. ص ٢٤٤؛ و D'Ohsson, Histoire des Mongols, t. II, P.199. عن مطامع قايدو راجع وصّاف، طبعة هامر، المتن ص ١٣٢، الترجمة ص ١٢٧؛ (طبعة بمباي، ص ٦٧ (الاشارة الى «ياسانامۀ بزرك»، أي كتاب الياسا الكبير)

(١١٨) التاريخ السري، ترجمة كفاروف، ص ١٤٥: (طبعة كوزين، ص ١٨٦)

وناقو Naqu بآلاقماق[١١٩] لأكثر من يومين واستنابوا أحد النبلاء وهو تيمور قداق Temür Qadaq وفوّضوا إليه الحق في تمثيلها والموافقة باسمها على كل قرار يُجمع عليه أمراء البيت المالك.

هذا وقد وقع اختيار باتو على مونكو، الذي عمل بوصية أمه من قبل فأظهر نحو باتو احتراماً أكثر مما فعل بقية الأمراء، ذلك أن مونكو «قد أبصر بعيني رأسه وسمع بأذنيه ياسا ويارليغ چنكيز خان»، زد على هذا أنه ابن تولوي وارث يورت چنكيز خان وأقرب أولاده إليه في حياته. ومن المستبعد أن يكون باتو قد استند في اختياره لمونكو كما يقول جويني ورشيد الدين على العرف المغولي القاضي بأن يرث أصغر الأولاد مقر الأب، ذلك أن هذه القاعدة كانت تختص بالميراث، أي ما يخلفه الميت من متاع وممتلكات شخصية ولم يكن المراد بها إرث الوضع السياسي. وحتى إذا كان المراد بذلك هو إرث الوضع السياسي فإن الحق في وراثة العرش لم يكن ليؤول إلى مونكو بل إلى أخيه الأصغر أريغ بوكا.

ومما أُخذ أيضاً على أولاد اوكداي أنهم خرجوا على قاعدة في ياسا چنكيز خان تنص على تحريم إعدام أحد من أفراد البيت المالك إلّا بقرار إجماعي، وذلك بأن أعدموا ابنة چنكيز خان المسماة آلتالون Altalun بلا محاكمة أو تحقيق. ثم إنهم أجلسوا كويوك على العرش بعد موت اوكداي، ولم يجلسوا شيرامون[١٢٠]، مخالفين بذلك قرار اوكداي. وقد تقرر عقد قوريلتاي في العام التالي ينادي فيه بمونكو قاآناً بصورة رسمية.

ولقد أثار قرار باتو بانتخاب مونكو قاآناً سخطاً شديداً بين آل اوكداي، وانضم إليهم في هذا رأس ألوس چغتاي وهو ييسو مونكو وأكثرية الأمراء من بيت چغتاي فيما عدا قراهولاكو لما لحق به من أذى على يد كويوك. وقد إنضم إليه في هذا بعض من سلالة اوكداي، كابن اوكداي المدعو قداق اوغل[١٢١] Qadaq-Oghul وأولاد كوتان.

هذا وقد انعقد القوريلتاي بقراقورم في عام ١٢٥١، وبعد أن أُعلن رسمياً اعتلاء

---

(١١٩) هكذا وفقاً لجويني، الجزء الأول، ص ٢١٨: خواجه وناغو بعد ما كه آنجا رسيدند زياده ازيك دو روز مقام نساختند (في مخطوطة لينجراد: ماغو، ياغو). أما رشيد الدين فينفي وصولها على الاطلاق ويقول انهم ارسلوا بدلاً منهم تيمور قداق (طبعة بلوشيه، ص ٢٧٤ - ٢٧٥؛ Teksty, str. 125 (واما دوسون فلا يذكر شيئاً عن هذا - الناشرون)

(١٢٠) رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ٤٩ - ٥٠؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ٣٩.

(١٢١) (هكذا في مخطوطة بارتولد؛ ولعله يجب قراءتها قدان اوغل؟ - الناشرون). (قراءة بارتولد صحيحة - بوزورث Bosworth)

مونكو عرش القاآنية أعقبه عقد محكمة كبرى لمحاكمة الأمراء المتهمين بالتآمر على حياة مونكو. وقد حاكم القاآن بنفسه أمراء البيت وترك محاكمة الأمراء والنبلاء إلى القاضي الأكبر أو اليرغوجي منگاسر نوين Mengeser Noyan وانتهت المحاكمة بانتحار مربي شيرامون (أو اتابيكه) وباعدام سبعة وسبعين أميراً(١٢٢). وتم العفو عن شيرامون وبقية أمراء البيت المالك، غير أن/هذا لم يمنع مونكو بعد عدة أعوام من ذلك أن يأمر بقذف شيرامون في الماء. وتمت محاكمة الملكة اوغل غايميش وقداقاچ خاتون Qadaqach Khatun أم شيرامون في اوردو سورققتني بيكي وأُعدمتا، كما أُعدم أيضاً كل من قداق وچينغاي الذي تم تسليمه إلى عدوه القديم دانشمند(١٢٣). أمّا في ألوس چغتاي فقد أعيدت مقاليد الأمور إلى يد قراهولاكو، وترك له أمر محاكمة توقاشي خاتون فأمر بأن ترمى تحت سنابك الخيل(١٢٤). 560

وقد أرسل مونكو بجيشين إلى الغرب بهدف القضاء قضاء تاماً على أعدائه، أحدهما مؤلف من عشر تومنات أنيط به أمر احتلال المناطق الواقعة بين قراقورم وبيشباليق وأن يبعث بوحدات متفرقة منه لتتصل بجيش قونغران اوغل Qongqiran Oghul الذي كان معسكراً بحدود قياليق، أما الجيش الثاني الذي كان يتألف من تومانين فقد أُرسل إلى بلاد القرغيز وكم كمجيوت(١٢٥). وكان هدف هذه الحملات واضحا، فقد أراد بها مونكو أن يقضي قضاء تاماً على ألوسي چغتاي واوكداي اللذين يعاديانه وأن يمد أملاكه حتى تجاور أملاك آل جوچي؛ وكان ييسومونكو لا يزال على رأس ألوس چغتاي، فصدرت الأوامر الى قراهولاكو بالزحف عليه ولكنه مات في الطريق قرب جبال آلتاي(١٢٦)، غير أن الجيش نفذ خطته ووقع ييسومونكو في الأسر فأُرسل إلى باتو حيث قتل(١٢٧).

---

(١٢٢) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٢٩٣ - ٢٩٧؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, P. 269

(١٢٣) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣٠٣ - ٣٠٤؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, PP. 268-269

(١٢٤) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(١٢٥) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٢٩٨ وما يليها؛ Teksty, str. 125

(١٢٦) D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, P. 271؛ رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣٠٨: بموضع التاي رسيد بمطلوب نار سيده وفات يافت. ينسب رشيد الدين مقتل ييسو مونكو الى اورقنه (طبعة بلوشيه، ص ١٨٥). اما جويني (الجزء الأول، ص ٢٣٠) فيذكر فقط أن ييسو مونكو مات بعد قليل من عودة اورقنه الى الاوردو: چون باردوي خويش رسيد يسورا نيز در آن نزديكي تير اجل آمان نداد.

(١٢٧) وصاف، طبعة هامر، المتن ص ١٦٣، الترجمة ص ١٥٣ - ١٥٤؛ (طبعة بمباي، ص ٧٠ - ٧١). =

وقد تم تعيين اورقنه خاتون Orghana حاكمة على ألوس چغتاي باسم ابنها مباركشاه وهو لّما يزل طفلاً في المهد. وكان من جراء تعيينها أن عادت مقاليد السلطة إلى حبش عميد وابنه نصير الدين، وتم تسليم بهاء الدين مرغيناني وفقاً لتقاليد المغول إلى خصومه فقتلوه قتلة لا/تقل في بشاعتها عن أسلوب المغول في مثل هذه الأحوال، فقد خاطوا حول جسمه اللباد ثم انهالوا عليه بالضرب كما يفعل باللباد حتى تحطمت جميع عظامه (في عام ٦٤٩ هـ = بين ٢٦ مارس ١٢٥١ و١٣ مارس ١٢٥٢)[١٢٨]. وهكذا حل محل السلطة الاتوقراطية التي انفرد بها چنكيز خان، ثم السيادة الجماعية لأفراد البيت المالك التي أعقبت موته، ضرب من السلطة المزدوجة في امبراطورية المغول تحت حكم مونكو. وقد قال مونكو نفسه لروبروك: «كما أن الشمس تنشر شعاعها على كل مكان كذلك يمتد سلطاني وسلطان باتو على جميع الأطراف»[١٢٩]. وقد شغل باتو مركزاً غير عادي داخل امبراطورية آل چنكيز بوصفه أكبر آل چنكيز سناً، وصاحب أوسع أقطار الأمبراطورية وأكثرها بعداً عن المركز، وبوصفه أخيراً المسؤول الأول عن تمكين مونكو من العرش. بل إن روبروك[١٣٠] يؤكد أن نواب القاآن لم يكونوا يتمتعون في أملاك باتو بدرجة النفوذ والاحترام التي كان يتمتع بها نواب باتو في أراضي القاآن. وفي الفقرة نفسها من مصنفه يصف لنا روبروك الحدود الفاصلة بين أملاك القاآن وأملاك باتو فيقول إنها كانت تجتاز المفازة الواقعة بين نهري تلاس وچو إلى الشرق من جبال الاسكندر، أي أن الأراضي التي كانت تدخل فيما مضى في الوس جوچي لم تعد الآن كلها تحت حكم باتو.

= (أجرى بارتولد مقارنة بين روايات رشيد الدين (راجع الحاشية السابقة) وجويني (الجزء الأول، ص ٢٣٠؛ الجزء الثالث، ص ٥٦ - ٥٩) وجمال قرشي (Teksty, str. 137–138) وقدم لنا عرضاً أكثر تفصيلا لأحداث الوس چغتاي المتعلقة بموت ييسو مونكو، وذلك في بحثه «تاريخ يدى صو» Ocherk istorii Semirechia (str. 49–50) - الناشرون).

(١٢٨) جويني، الجزء الأول، ص ٢٣١.

(١٢٩) روبروك، طبعة ميشيل - رايت، ص ٣٠٧؛ (ترجمة مالبين، ص ١٢١)؛ (الترجمة الانجليزية بقلم روكهل، ص ١٧٤: W.W. Rockhill, The Journey of William of Rubruck to the eastern parts of the world, 1253 – 1255, Hakluyt Society, ser. 2, No IV, London, 1900 بوزورث). وفي موضع آخر يقول روبروك (الترجمة الانجليزية ص ٢٣٧ - ٢٣٨) إن مونكو وصف الوفاق التام بينه وبين باتو بقوله «إن في الرأس عينين، ورغما من ذلك فان نظرها واحد، وأينما توجه باحداها النظر تتبعها الأخرى».

(١٣٠) طبعة ميشيل - رايت، ص ٢٨٠؛ (ترجمة مالبين، ص ١٠٤ - ١٠٥)؛ (ترجمة روكهل، ص ١٣٨)

من هذا نرى أن تركستان الشرقية ومنطقة قولجه ومنطقة يدي صو كانت خاضعة لسلطان القاآن. أمّا المسلمون الذين كانوا يمثلون غالبية سكان هاته الأنحاء فقد بدأت الآن لصالحهم أزمنة أفضل من تلك التي عاشوها تحت حكم چغتاي وكويوك. ولمّا كان مونكو ابناً لامرأة مسيحية فقد عامل النصارى معاملة خاصة لم يظفر بمثلها غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، وأسند تعليم ولده الأكبر بلتو إلى رجل نصراني. وكان كبير وزرائه بلغاي[١٣١] Bulghay نصرانياً أيضاً. غير أنه فيما يتصل بمعتقدات مونكو الدينية فإنه ظل شامانياً[١٣٢]، يرى أن جميع الأديان جديرة بالاحترام والتقدير فلم يسمح البتة باضطهاد أحد من الناس بسبب العقيدة كذلك لم يحس من نفسه أي دافع لقسر أتباع الديانات الأخرى على الإلتزام بقواعد الياسا. وإذا ما أخذنا بقول ميرخواند[١٣٣] فإنه في المأدبة التي أقيمت بمناسبة اعتلاء مونكو العرش ذبحت الماشية وفقاً لقواعد الشريعة الاسلامية من أجل ضيوفه من المسلمين[١٣٤] /ويسترعى النظر بصورة خاصة أيضاً محاكمة ايديقوت 562 الأويغور واعدامه بتهمة تدبير مؤامرة تهدف إلى قتل جميع المسلمين ببلاده أثناء صلاة الجمعة[١٣٥]. وقيل إن الملكة الوصيّة اوغل غايميش هي التي أمرته بذلك، وأن الأوامر حملها اليه بالابتيكچي Bala Bitikchi. وكان في نية الايديقوت السفر إلى الأُردو لمقابلة أوغل غايميش وأولاد كويوك، ولكن الخبر وصل خلال ذلك باعتلاء مونكو العرش فتوجه الايديقوت إليه. وقد وصل خبر المؤامرة الى أحد كبار المسلمين ببيشباليق وهو سيف الدين (ويغلب على الظن أنه كان يقيم هناك بوصفه نائباً لمسعود بيك) عن طريق رجل أويغوري اسمه تكميش Tegmish فأمر الايديقوت بالعودة وألقي القبض عليه. وقد قام

---

(١٣١) شرحه، ص ٣٢٠؛ (ترجمة ماليين، ص ١٢٩)؛ (ترجمة روكهل، ص ١٨٩). يقول روبروك عن بلغاي: «est major curiae et judicat reos morte». ووفقاً لرشيد الدين (بلوشيه، ص ٣١٦) فقد كان بلغاي على رأس ديوان الانشاء (بتيكچي)؛ راجع D'Ohsson, Hsitiore des Mongols,T.II,P.260

(١٣٢) راجع شهادة العقيدة (Credo) المشهورة لمونكو لدى روبروك، طبعة ميشيل - رايت، ص ٣٥٩ - ٣٦٠؛ (ترجمة ماليين، ص ١٥٥ - ١٥٦)؛ (ترجمة روكهل، ٢٣٥ - ٢٣٦).

(١٣٣) (طبعة لكهنو، الجزء الخامس، ص ٥٨).

(١٣٤) في الاحتفال بانعيد في آخر عام ١٢٥٢ قرأ القاضي جمال الدين خجندي الخطبة في بلاط الخان باسم الخليفة أولا، وفقط بعد هذا دعا للخان مونكو. (راجع جويني، الجزء الثالث، ص ٧٩ - ٨٠، قارن D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, P. 300 حيث لا يرد ذكر للخطبة باسم الخليفة - الناشرون).

(١٣٥) (رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣٠٤ - ٣٠٥؛ حيث يدعو اليبدي قوت رأس عبدة الأصنام أو البوذيين: بيدي قوت كه سرور بت پرستان بود - الناشرون).

مونكو نفسه بمحاكمته في اردو القاآن، وعلى الرغم مما تعرض له الايديقوت من تعذيب فقد أصر على براءته، ولكنه اضطر أخيراً إلى الاعتراف عند مواجهته ببالا الذي كشف جميع تفاصيل المؤامرة. فحكم عليه بالاعدام، وتم تنفيذه على يد أخيه اوگنچ Oginch. وأعدم معه اثنان من الكبار، وتم العفو عن ثالث استرحمت فيه سور ققتني بيكي وعن رابع توسط له باتو. ولم تجر أية تحقيقات للكشف عن بقية المتآمرين، فقد سبق الأويغور بأن رشوا المخبر تكمش حتى لا يقحم من الناس أكثر مما فعل. وبعد المحاكمة (٦٥٠ هـ = من ١٤ مارس ١٢٥٢ الى أول ابريل ١٢٥٣) تسلم المخبر مكافأة كبرى لما قام به، ثم اعتنق الإسلام. كذلك أصبح اوگنچ رئيساً للأويغور واتخذ لقب ايديقوت[١٣٦].

والجدير بالملاحظة أن كلاً من أتباع الديانات المختلفة كان يعد القاآن من ملته، فهيتون Haytun مثلا يزعم أنه قد عُمِّد ويصر على قوله إنه قد حضر بنفسه طقوس تعميده[١٣٧]. ويروي جوزجاني[١٣٨] أن مونكو عند اعتلائه العرش نطق بالشهادتين تحت إلحاح من بركه. وثمة مصنف بوذى يزعم بأنه قد اعترف بتفوق البوذية على كافة الأديان «لأنه كما تخرج الأصابع الخمسة من الكف فكذلك البوذية هي الكف وجميع العقائد الأخرى بمثابة الأصابع»[١٣٩]. هذه الروايات الثلاث تؤكد بما لا يحتاج إلى المزيد/ألفاظ 563 روبروك عن مونكو وممثلي الديانات المختلفة، وهي: «كانوا كلهم يتبعون بلاطه كما يتبع الذباب العسل؛ وهو يمنحهم جميعاً، وجميعهم يعده من ملته ويدعو له بالخير والبركة»[١٤٠]. غير أن المؤرخ جويني يعترف بأن المغول في عهده كانوا، خلافاً لما كان عليه الحال في الماضي، ينظرون إلى المسلمين بعين الإزدراء، وهو يُرجع السبب في ذلك إلى المسلمين أنفسهم لأنهم كانوا يدسّون بعضهم للبعض[١٤١]. وقد أعفى رجال الدين من مختلف الأديان من كل الضرائب أسوة بما كان عليه الحال من قبل، إلاّ أن الاستثناء الوحيد على حد

---

(١٣٦) جويني، الجزء الأول، ص ٣٤ - ٣٩؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, PP. 271–274 (وفقا لرشيد الدين، طبعة بلوشيه ٣٠٤ - ٣٠٥ فإن الواشي كان أحد الغلمان «غلامي». ويكرر هذا أيضا ميرخواند (طبعة لكهنو، الجزء الخامس، ص ٥٩) - الناشرون).

(١٣٧) (راجع هتوم، الترجمة الفرنسية، ص ٣٩).

(١٣٨) ترجمة راقرتي، الجزء الثاني، ص ١١٨١؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٤١٠ - ٤١١).

(١٣٩) Palladius, Starinnye sledy khristianstva, str. 23–24

(١٤٠) روبروك، طبعة ميشيل - رايت، ص ٣١٤؛ (ترجمة ماليين، ص ١٢٥)؛ (ترجمة روكهل، ص ١٨٢).

(١٤١) Schefer, Chrestomathie persane, T. II, PP. I–V (طبعة قزويني، الجزء الأول، ص ٦٠؛ ترجمة بويل الانجليزية، الجزء الأول، ص ٧٨).

قول ميرخواند هو الذي حدث لحاخامات اليهود[١٤٢]، الأمر الذي أثار السخط الشديد بين أفراد هذه الطائفة.

والتسامح الديني الذي سار عليه مونكو لم يكن يعدله سوى رغبته الشديدة في أن يسير الحكم في كل منطقة من مناطق الامبراطورية وفقاً لأخلاق أهلها وعاداتهم. ولتحقيق هذا فقد استجلب الديوان الملحق ببلاط الخان كَتَبَة من مختلف الأديان والشعوب، فكان يُرى من بينهم الفرس والأيغور وأهل الصين والتبت والتنكوت. وكانت القرارات والأوامر التي توجه لأهل قطر ما يتم تحريرها باللغات المحلية وبالكتابة المستعملة لديهم. وفقاً للنماذج التي كانت تصدر في عهود ملوكهم الأولين «حتى أنهم لو كانوا على قيد الحياة لجاءت بذات الأسلوب»[١٤٣].

وقد أحيا مونكو الإهتمام بخطة اوكداي التي كانت ترمي إلى وضع نظام منسّق لجميع الضرائب ووضع حد للتعسف والابتزاز. وقد أعلن الخاقان جهرة أن اهتمامه موجه إلى تحسين أحوال الرعية لا إلى توفير الأموال لخزائن الدولة[١٤٤]. وحين وصول أرغون وغيره من حكام الولايات الغربية للمشاركة في قوريلتاي عام ١٢٥١ ألقي فيهم مونكو خطبة جاء فيها: «مما لا شك فيه أن كلاً منكم أدرى باحتياجات إقليمه ورعاياه، وأدرى بالطريقة التي يمكن بها تدارك الخلل»./ولذا فقد طلب من كل منهم أن يعرض عليه 564 كتابة ظروف الأحوال في إقليمه وما يقترحه من خطوات للإصلاح وتعمير البلاد. وقد اتفقت كلمتهم جميعا على وجه التقريب على أن المصيبة الكبرى تكمن في الضرائب الباهظة وفي التكاليف الكثيرة التي يرزح تحت وطأتها الأهالي،وأكدوا ضرورة تحديدها بشكل مقبول. وكان أكثر من عانى الأعباء والتكاليف على رأي رشيد الدين هم طبقة الزراع، فقد بلغ بهم الأمر حداً جعل كل محصولهم لا يكفي لغطاء نصف التزامهم من

---

(١٤٢) (ميرخواند، طبعة لكهنو، الجزء الخامس، ص ٥٩؛ في هذا الموضع يتحدث ميرخواند عن اعفاء رجال الدين المسلمين والمسيحيين (نصارى) من الضرائب، ويضيف: ويهودرا از سيورغال وانعام خويش مايوس ساخت. فاذا كان هذا صحيحا، أي ان اليهود حرموا من ذلك العطف، فانه يمكن تفسيره بعدم وجود من يشفع لهم ببلاط الخان بينما وجد للمسلمين والمسيحيين والبوذيين ممثلون هنالك - الناشرون).

(١٤٣) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣١٧: اكر زنده بودندي برين طريقه اقتدا نمودندي.

(١٤٤) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣١٠: مارا نظر بر ترفيه أحوال رعايا ست نه بر توفير اموال خزاين. ويضيف رشيد الدين (في نفس الموضع): ودر باب تخفيف رعايا يرليغ فرمود (أي واصدر فرمانا لتخفيف الأعباء على الرعية)؛ قارن D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, P. 265

الضرائب(١٤٥). وقد تم تحديد الضرائب هذه المرة نقداً، على عكس ما جاء في قرارات اوكداي، غير أن ما وصلنا من تفاصيل عن قيمة الضرائب يتناقض بعضه مع البعض(١٤٦). وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن قرارات مونكو شأنها في هذا شأن قرارات اوكداي بقيت حبراً على ورق. ويقول رشيد الدين إن الحد الأعلى لضريبة الرأس بالصين وما وراء النهر بلغ خمسة عشر دينارا (وفي نسخة أخرى احد عشر) وبخراسان وايران بلغ سبعة دنانير، أما الحد الأدنى لها في كل مكان فقد بلغ ديناراً واحداً. ويقول جويني إن مونكو حدد لخراسان حداً أعلى مقداره عشرة دنانير وحداً ادنى مقداره دينار واحد. وكان لزاما أن تغطي جميع مصاريف الدولة من هذه الضريبة. وعند رجوع أرغون إلى خراسان في عام ١٢٥٣ شرع في جباية الضرائب بواقع سبعين ديناراً من كل عشرة أشخاص، أي أنه جعل الحد الأعلى الذي قرره مونكو حداً أوسط. وإذا كان لأحد الاشخاص أملاك في مواضع متعددة فقد كان عليه أن يدفع عن كل ملك على انفراد حتى بلغ ما كان يجبي من شخص واحد أحياناً ما يقرب من خمسمائة دينار بل ومن ألف. أما الصورة التي كان يتم عليها جمع الضرائب في حكومة أرغون فيحدثنا عنها كيراكوس(١٤٧) Kirakos على النحو التالي: «وبمطالبتهم الأهالي بضرائب فوق طاقتهم أوقعوا الأهالي في أسر العوز والسؤال، ثم أخذوا يعذبونهم وجعلوا حياتهم لا تطاق، ومن حاول منهم الهرب والاختفاء قبضوا عليه وقتلوه. أمّا من عجزوا منهم عن الدفع فقد كانوا ينتزعون منهم أطفالهم، لأنه كان يصحبهم مسلمون من الفرس. غير ان الأمراء وحكام المقاطعات لم يتوانوا في معاونتهم في ابتزازهم وقسوتهم، من غير أن ينسوا في ذات الوقت أن يجعلوا لأنفسهم ثروات طائلة».

وقد أدرك مونكو عدم جدوى جميع اليارليغات والپايزات التي صدرت بعد وفاة جنكير خان فألغاها جميعها، وكأنه بهذا نقض شرعية كل شيء بما في ذلك انتخاب اوكداي. وقضى بأن يتشاور أمراء البيت المالك ابتداء من تلك اللحظة/مع نواب

---

(١٤٥) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣١٢: وچون كار ظلم وتعدّى بالا كرفته بود دهاقين ازكثرت زحمات ومطالبات وتكليف عوارض بجان رسيده بودند تا بحدّى كه محصول ارتفاعات بنصف مطالبات وفا نمى كرد.

(١٤٦) جويني، الجزء الثاني، ص ٢٥٤ - ٢٦١؛ Teksty str. 118؛رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣١٣ - ٣١٤؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, PP. 263–264

(١٤٧) Istoria mongolov po armianskim istochnikam, II, 78–79 (كيراكوس الكنجكي).

القاآن[١٤٨] في كل الأمور. ولم يعد تنفيذ أوامر القاآن يجد أدنى صعوبة في عهد مونكو، ذلك أن جميع رجال بيتي اوكداي وچغتاي قد قضى عليهم بالتقريب. وكانت اقطاعات أولئك المنحدرين من صلب اوكداي ممن انضموا إلى جانب مونكو (قدان وملك واولاد كوتان) موجودة ببلاد التنكوت والصين. أما عن أملاك اوكداي الشخصية فإن يورت كويوك الذي كان موجودا بايميل قد سُلّم وفقاً لقول روبروك[١٤٩] «بجميع ما يتبعه من أناس وحيوان» إلى ابن كويوك الطفل، والغالب أنه حفيده. ولعل المقصود بذلك قنات Qanat ابن ناقو الذي التحق فيما بعد بخدمة قايدو. أمّا عن نسل چغتاي فلا علم لنا أن أحداً من شبابهم قد احتفظ بمركزه في عهد مونكو، فقد كان نصيبهم جميعاً إمّا القتل أو النفي (فيما عدا قراهولاكو الذي مات ميتة طبيعية). أمّا أطفالهم فقد نشأوا في أُردو القاآن، وقد حدث فيما بعد على عهد **قوبيلاي** فقط أن أعيدت للبعض منهم أجزاء من أملاك ذلك البيت. من هذا يتبين أن القضاء على بيت چغتاي قد حدث فعلاً، وبالصورة التي يحدثنا عنها جوزجاني[١٥٠] والمؤرخون الأرمن[١٥١]. ويحكي **مؤلف**« معز الانساب» في شجرة أنساب المغول قصة غريبة تتصل بأحد أمراء البيت المالك واسمه قداقي، كان مونكو قد اعطاه اسم سچن Sechen وحلق شعره على هيئة الرهبان البوذيين (بخشي) واصطحبه معه إلى الصين، ولكنه مات بالطريق[١٥٢].

---

(١٤٨) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٣١٠ - ٣١١؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, P. 265

(١٤٩) روبروك، طبعة ميشيل - رايت، ص ٢٩٧ - ٢٩٨؛ (ترجمة مالبين، ص ١١٤)؛(ترجمة روكهل، ص ١٦٤).

(١٥٠) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٨٦؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٤١٢: وچنان كرد كه از جيل چغتاي برروى زمين آثار نماند مگريك دو پسر چغتاي كه بطرف چين بنزديك التون خان طمغاج رفتند (أي التجأوا بدولة السنغ في جنوب الصين) - الناشرون).

(١٥١) Istoria mongolov po armianskim istochnikam, II, 105 (كيراكوس الكنجكي).

(١٥٢) معز الأنساب، الورقة ٢٩؛ (Teksty, str. 159):اورا (قداقي) منكو قاآن سچن نام نهاد وبر رسم بخشيان موى تراشيده مى كشت وبا منكو قاآن بهم بولايت ختاى بچريك رفت ودر راه نماند. وهنا، كما هو الحال أيضا مع بعض مخطوطات رشيد الدين (مخطوطة المتحف الآسيوي، الورقة ٢١٠؛ ومخطوطة دورن، الورقة ١٨٦؛ (وأيضا طبعة علي زاده، المتن ص ١٣١؛ وترجمة ارندس ص ٨٣)) يذكر قداقي على أنه ابن بوري. وفي هذه المخطوطات يرد ذكر قداقي مرتين، مرة بوصفه ابناً لبوري ومرة بوصفه الابن السابع لچغتاي؛ (في طبعة بلوشيه يذكر قداقي ثلاث مرات على أنه الابن السابع لچغتاي (ص ١٥٧: قادقي؛ وص ١٧٧ و١٩٣: قداتى - الناشرون).
أما في معز الأنساب فإن الابن السابع لچغتاي يدعى قرا ايلكو؛ كذلك يدعو وصاف قداقي ابناً لبوري (مخطوطة لنينجراد، الورقة ٣٥١ ب).

وقد ظلت اورقنه خاتون تحكم بالماليق، وهناك في عام ١٢٥٤ استصافت هولاكو الذي كان في طريقه إلى الغرب تنفيذاً لأوامر القاآن[١٥٣]. وبالرغم من أن هذه الملكة 566 كانت/زوج ولد چغتاي[١٥٤] الاثيرة لديه، وأنها هي نفسها كانت من أتباع البوذية[١٥٥]، إلا أنها بسطت حمايتها على المسلمين في غيرة شديدة. وكان ابنها مباركشاه أول من دخل الاسلام من آل چنكيز[١٥٦]. وظل مسعود بيك حاكماً للمنطقة باسم مونكو وباتو، وقد رأينا كيف أنه لم تكن تحت حكمه الولايات الاسلامية فحسب بل وبلاد الأويغور أيضاً. وفي عام ١٢٥١ التقى بأرغون في بيشباليق، ولكنه في عام ١٢٥٥[١٥٧] استضاف هولاكو مدة أربعين يوماً بسهل «كان كل» بنواحي سمرقند[١٥٨]، ومدى علمنا أن هذه هي المرة الأولى التي نلتقي فيها باسم هذا السهل الذي ذاع صيته على عهد التيموريين. ومن سمرقند اتجه هولاكو إلى كش حيث استقبله أرغون وبعض من أمراء ايران المحليين (وكان شمس الدين حاكم هرات قد زار هولاكو وهو لمّا يزل بسمرقند)، وفي يناير من عام ١٢٥٦ عبر هولاكو بجيشه نهر امودريا ثم قام بتنظيم رحلة لصيد الأسود على الضفة اليسرى للنهر[١٥٩].

وممّا مرّ بنا من ألفاظ روبروك منذ قليل بشأن الحدود بين أملاك باتو ومونكو يتبين لنا أن ما وراء النهر قد دخلت في دائرة نفوذ باتو، وبين أيدينا من الدلائل ما يؤكد

---

(١٥٣) رشيد الدين، طبعة كاترمير، ص ١٤٧ – ١٤٩؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. III, P. 138

(١٥٤) (رشيد الدين، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ١٠٢ (اورقنه خاتون)؛ الترجمة، القسم الخامس،ص ٨٠).

(١٥٥) وصاف، طبعة هامر، ص ٣٠؛ (طبعة بمباي، ص ١٤ – ١٥)؛ ويقول عنها جمال قرشي إنها كانت مسلمة (Teksty, str. 138)

(١٥٦) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ١٨٨.

(١٥٧) جويني، الجزء الثالث، ص ٩٨.

(١٥٨) رشيد الدين، طبعة كاترمير، ص ١٤٩.

(١٥٩) شرحه، ص ١٤٩ – ١٥٣. (كثيرا ما يستعمل المؤلفون الفرس لفظ «شيران»، أي الأسود، ليقصدوا بها النمور – الناشرون). ووفقاً للرواية الصينية (اليوان – شي، ترجمة بتشورين، ص ٣٢٩) فإن مونكو في شتاء عام ١٢٥٦ – ١٢٥٧ وزع على الأمراء والنبلاء سبي أهل بخارا (خوي – خوي) القاطنين ضفاف امودريا. غير أنه لا علم لنا بوجود تحصينات على نهر امودريا في وقت حملة هولاكو على الغرب.

وجود هذا النفوذ. فمثلا نرى أحد أولاد تيمور ملك الذي اشتهر بدفاعه عن خجند ضد المغول يسترد أملاك والده وأراضيه بأمر من باتو[١٦٠].

567 وفي عام ١٢٥٥[١٦١] مات باتو، وكان قد أرسل قبيل وفاته ولده سرتاق لحضور/ القوريلتاي الذي دعى إليه مونكو. وكان سرتاق يتمتع بنفوذ كبير حتى في حياة أبيه، وقد قام الأمراء الروس بزيارته في عام ١٢٤٩[١٦٢] وقدموا له فروض الطاعة. وزار روبروك معسكر سرتاق بين الدون والفولجا، على مسيرة ثلاثة أيام بعد عبوره نهر الفولجا (ويقع موضع العبور وفقاً لقول شمدت[١٦٣] Schmidt عند درجة عرض ٥٠ شمالا). ولمّا علم سرتاق بموت أبيه لم يقطع رحلته بل واصل سيره إلى مونكو. وقد كان هذا مبعث رضي شديد للقاآن حتى أنه وفقاً لعبارة كيراكوس[١٦٤] «ثبّته في سلطان أبيه على الجيوش وعلى جميع البلاد الخاضعة له كذلك، وبعد أن منحه الحق في أن يدعو نفسه بالرجل الثاني في الدولة وفي أن يصدر القرارات الملكية أذن له بالإنصراف إلى بلاده». ووفقاً لألفاظ ورتان Vartan فإن سرتاق تسلم أملاك أبيه «مضافاً إليها أراض أخرى»[١٦٥].

ووفقاً لأقوال المؤلفين النصارى والمسلمين[١٦٦] على السواء فإن سرتاق كان مسيحياً،

---

(١٦٠) جويني، الجزء الأول، ص ٧٣؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. III, PP. 139–140. ويثني جوزجاني (ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٧٢؛ (طبعة نساو-ليس، ص ٤٠٦) على روح التسامح الديني لدى باتو وحمايته للمسلمين؛ وكان في اردوه مساجد وأئمة ومؤذنون؛ بل ان البعض يظن انه اعتنق الاسلام. ووفقاً لجويني (الجزء الاول، ص ٢٢٢) فإن باتو ظل باقياً على عقيدته المغولية في وحدانية الله ولم يفضل دينا على آخر. (راجع مقال بارتولد المفصل في دائرة المعارف الاسلامية عن «باتوخان» – الناشرون).

(١٦١) لدى جويني عام ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م)؛ ولدى رشيد الدين (طبعة بلوشيه، ص ١٣٧) عام ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ – ١٢٥٣ م) الأمر الذي يتناقض مع أقوال روبروك ومع أقوال رشيد الدين نفسه بصدد اعتلاء مونكو العرش؛ غير أن راڤرتي (ترجمة جوزجاني، الجزء الثاني، ص ١١٧٢ – ١١٧٣، الحاشية ٩) يقول: «There is no doubt that 650 H. is the correct year of his death» (أي أنه لا يوجد ثمة شك في أن عام ٦٥٠ هـ هو عام موته).

(١٦٢) Karamzin, Istoria gosudarstva Rossiiskogo, T. IV, prim. 84, str. 20–21

(١٦٣) Schmidt, Uber Rubruk's Reise, S. 19

(١٦٤) Istoria mongolov po armianskim istochnikam, II, 87 (كيراكوس الكنجكي).

(١٦٥) (شرحه، الجزء الأول، ص ١١ (ورتان الكبير))

(١٦٦) الى جانب جوزجاني، انظر أيضا رواية جويني، الجزء الأول. ص ٢٢٣: سرتاق متقلّد ملّت نصارى بود.

بل إن أبا الفرج(١٦٧) يجعل منه شمّاساً(١٦٨)، ويورد عنه ورتان(١٦٩) أنه « أدخل في العقيدة المسيحية جماعات من شعبه ومن الأجانب أيضاً ». ويقول روبروك(١٧٠) الذي زار أُردو سرتاق عام ١٢٥٣ إن سرتاق لم يكن في واقع الأمر مسيحياً ولكنه كان يعطف على النصارى، بل إنه كاتبه النسطوري قوياق Qoyaq حذّر الرهبان الفرنسيسكان من القول بأنه مسيحي: « فهو مغولي وليس بنصراني ».(١٧١) وهذه الألفاظ تدل دلالة واضحة على أن لفظ « نصراني » كان يحمل عند المغول مغزى قومياً. وروبروك(١٧٢) نفسه يؤكد أن الألماني غوسيت Gosset قد ابتنى تنفيذاً لأوامر سرتاق بيعة بمنطقة الفولجا الأدنى، وذلك على الضفة الشرقية بازاء مدينة سمركنت(١٧٣) Sumerkent التي كانت تقوم على جزيرة. وهو يقول أيضاً(١٧٤) إنه كانت لسرتاق ست زوجات، مما يدل على أنه حتى وإن 568 كان من أتباع الكنيسة المسيحية فإن ذلك في نظره لم يَعْدُ أن يكون أمراً / شكلياً. ويؤكد جوز جاني(١٧٥) أن سرتاق وجه الى عمه بركه حديثاً عبّر فيه عن عداء شديد للإسلام، فقد قال له: « أنت مسلم وأنا نصراني، وانّي لأطّيّر برؤية وجه المسلم ». غير أننا نعلم من المصادر المسيحية أن رجال الدين المسلمين ظلوا معفين من الضرائب حتى على عهد سرتاق(١٧٦).

---

(١٦٧) ابن العبري، التاريخ السرياني، طبعة برونس وكرش .(Barhebraeus, Chronicon Syriacum, ed. Bruns-Kurch) ص ٤٩٣. راجع Istoria mongolov po armianskim istochnikam, II, 134 (كيراكوس الكنجكي).

(١٦٨) (لعله يجب ربط هذه الرواية برواية روبروك التي يقول فيها إن جميع النساطرة من المغول كان إذا ما زارهم في النادر القليل أحد الأساقفة جعلوه ينصبهم قساوسة بما في ذلك الأطفال: « لهذا فان جميع ذكورهم قساوسة » (ترجمة ماليين، ص ١١٢) - الناشرون).

(١٦٩) Istoria mongolov po armianskim istochnikam, I, 11 (ورتان الكبير).

(١٧٠) روبروك، طبعة ميشيل - رايت، ص ٢٦٣؛ (ترجمة ماليين، ص ٩٤)؛ (ترجمة روكهل، ص ١١٦).

(١٧١) شرحه، ص ٢٥٩؛ (ترجمة ماليين، ص ٩٢)؛ (ترجمة روكهل، ص ١٠٧).

(١٧٢) شرحه، ص ٣٧٩؛ (ترجمة ماليين، ص ١٦٨)؛ (ترجمة روكهل، ص ٢٦٠).

(١٧٣) Schmidt, Uber Rubruck's Reise, S. 75 (عن اسم سمركنت راجع كتاب پليو Pelliot, «Notes sur l'histoire de la Horde d'Or», PP. 162-165)

(١٧٤) روبروك، طبعة ميشيل - رايت، ص ٢٥٣؛ (ترجمة ماليين، ص ٨٩)؛ (ترجمة روكهل ١٠١).

(١٧٥) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٢٩١؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٤٥٠).

(١٧٦) Istoria Mongolov, po armianskim istochnikam, II, 75 (كيراكوس الكنجكي). ويرد في نفس الفقرة أن سرتاق « عاش عيشة من يخشى الله وعيشة التقوى، وكان له كنيسة صغيرة متحركة في إحدى الخيام تعقد بها الطقوس الدينية على الدوام ».

ومات سرتاق قبيل رجوعه من أُردو مونكو إلى نهر القولجا، واستناداً على روايات أخرى[١٧٧] فإن ذلك حدث بعيد رجوعه. ويعتقد جوزجاني[١٧٨] أن موته كان جزاء وفاقاً من الله على إساءته لبركه، واستجابة لدعاء هذا الأخير؛ ويرى كيراكوس[١٧٩] أن سرتاق قد سمّه أقاربه المسلمون، باراكاو وباراكاجي، أي عمّاه بركه وبركه چر Berkecher. وبعد موت سرتاق أرسل مونكو إلى بلاد الأُوردوالذهبي أمراءه الذين جعلوا أرملة باتو المدعوة براقچين خاتون Boraqchin حاكمة على البلاد، وأجلسوا على العرش اولاغچي Ulaghchi الحَدَث الذي يرى فيه جويني ابناً لسرتاق[١٨٠] بينما يجعله رشيد الدين ابناً لباتو[١٨١]. ووفقاً لرأي جويني فإن اولاغچي مات في العام نفسه، غير أن الامراء الروس ظلوا يتوافدون حتى عام ١٢٥٧ لتقديم فروض الطاعة إلى اولاڤچي Ulavchy (الذي يعده كرامزين[١٨٢] Karamzin خطأ نائباً لبركه). وبعد موت اولاغچي أصبحت رئاسة الوس جوچي في يد بركه.

وليست بين أيدينا معلومات دقيقة أو يمكن الاطمئنان إليها عن الوقت والظروف التي اعتنق فيها بركه الاسلام، وأقربها إلى الصحة هو ما أورده جوزجاني من أن ذلك تم على يد معلمه المسلم (وعلى حد قول جوزجاني فإن بركه تعلم القرآن بخجند على يد أحد علمائها[١٨٣]). ومما لا شك فيه أنه كان في حياة باتو مسلماً وأن تعاليم الاسلام كانت مطبّقة بمعسكره. ويؤكد روبروك[١٨٤] أن بركه أصبح مسلماً ولم يسمح بأكل لحم الخنزير بمعسكره. وبعد اعتلائه العرش زار بخارا/وأظهر كل إجلال لعلماء تلك المدينة[١٨٥]. وهذه الواقعة 569 تكفي للتدليل على أن سلطان بركه قد امتد كما امتد سلطان باتو من قبل على ما وراء

---

(١٧٧) شرحه، ص ٨٧ (كيراكوس الكنجكي).

(١٧٨) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٢٩١؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٤٥٠ - ٤٥١).

(١٧٩) Istoria mongolov po armianskim istochnikam, II, 87 (كيراكوس الكنجكي).

(١٨٠) جويني، الجزء الأول، ص ٢٢٣.

(١٨١) (رشيد الدين ،طبعة بلوشيه؛ حيث يرد مرتين ص ١٠٩ وص ١١٣ أن اولاقچي هو الابن الخامس لتوقوقان ابن باتو؛ كما يرد في ص ١٠٨ أن سرتاق لم يكن له أولاد على الاطلاق: واورا هيچ پسر نبوده است. وفي معز الأنساب يرد أن اولايچي كان الابن الرابع لباتو؛ راجع تعليقات بلوشيه على طبعته لرشيد الدين ص ١٠٨، الحاشية (حيث يورد النقل) - الناشرون).

(١٨٢) Istoria gosudarstva Rossiiskogo, T. IV, str. 47

(١٨٣) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١١٨٤؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٤٤٦).

(١٨٤) روبروك، طبعة ميشيل - رايت، ص ٢٦٣؛ (ترجمة ماليين، ص ٩٤)؛ (ترجمة روكهل، ص ١١٧).

(١٨٥) جوزجاني، ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٢٨٥؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٤٤٧).

النهر أيضاً، ويؤكد هذا ألفاظ رشيد الدين الذي يقول إن أمراء الغو **Alghu** قد طردوا فيما بعد خدم (نوكر) بركه وأتباعه من أراضي ما وراء النهر(١٨٦). ولذا فليس هناك أساس للتشكك في صدق رواية جوزجاني التي تنص على أن تدخل بركه هو الذي حقق لمسلمي سمرقند النصر في جهادهم ضد أهل بلدهم من النصارى.

ومعلوم أن النصرانية نفذت إلى سمرقند في العهد السابق للإسلام، وظلت قائمة على عهد السامانيين والقراخانيين رغماً من أنه ليس بين أيدينا ما يفيد بمشاركة النصارى آنذاك في الحياة السياسية للبلاد. وليس من شك في أن تدهور الاسلام وسقوط الدول الإسلامية كان من شأنها أن يثيرا لدى النصارى الرغبة في الثأر من أعدائهم في الدين. وكانت الظروف مواتية لهم، وقد رأينا كيف أن عددا من آل چنكيز - ليسوا بالضرورة أولئك الذين نشأوا نشأة مسيحية فحسب(١٨٧) بل حتى أتباع الياسا أيضاً - كانوا معادين للإسلام. كذلك وُجد من بين حكام ما وراء النهر مغول وصينيون. زد على هذا أن المسلمين في ذلك العصر كانوا يمثلون الأعداء الخارجيين الأُوَل لامبراطورية المغول، بل انه انبعث على عهد كويوك فكرة قيام حلف بين المغول والعالم المسيحي ضد المسلمين. وهي فكرة تردد صداها فيما بعد في عهد ايلخانات ايران.

وفي أواخر عام ١٢٤٨ قدم إلى القديس لويس (التاسع)(١٨٨) بجزيرة قبرص مبعوثون من ايلچيغداي (ايلچيداي) الذي كان قد أرسله كويوك ضد الاسماعيلية وضد الخلافة العباسية ببغداد. وقد أنبأ المبعوثون لويس بأن والدة كويوك نصرانية وأن كويوك نفسه قد اعتنق المسيحية ومعه ثمانية عشر من أمراء البيت المالك وعدد كبير من النبلاء المغول، وأن ايلچيغداي جرى تعميده منذ أعوام طويلة وأنه الآن في طريقه إلى

---

(١٨٦) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٤٠٤.

(١٨٧) (راجع عن هذا مقال بارتولد .Bartold, K voprosu o Chingizidakh- khristianakh, str (171-172.

(١٨٨) عن علاقات المغول مع لويس التاسع ملك فرنسا في عهد الخان كويوك انظر Mosheim, add. XII (كان سفيرا ايلچيغداي هما Sabeldin (سعد الدين أو سيف الدين؟) داود، وهو مسيحي نسطوري من أهل الموصل يتحدث العربية (راجع عنه ما يلي)؛ والآخر يدعى مرقص Marc وهو في أغلب الظن نسطوري أيضاً. وقد عالج تاريخ السفارة بالتفصيل پليو وذلك في مقاله Les Mongols et la Papauté, II,P.151 sq. - الناشرون).

بغداد « ليثأر من الاساءة التي وجهها الخوار زميون في حق سيدنا يسوع المسيح »[١٨٩].
وفي رسالته إلى لويس/رجا ايلچيغداي الملك ألاّ يميز بين النصارى من مختلف المذاهب - 570
أي بين الكاثوليك والروم والأرمن والنساطرة واليعاقبة وجميع من يجلّون الصليب « لأنهم يتمتعون بالمساواة لدينا »[١٩٠]. ومن قبل هذا وعند وصول لويس إلى قبرص أراه ملك هذه الجزيرة رسالة من قونسطابل الأرمن[١٩١] حررت بسمرقند في السابع من فبراير عام ١٢٤٨. هذه الرسالة كانت تشير إلى ما أحرزته النصرانية من نجاح كبير بين المغول، وإلى أن الخان نفسه كان قد اعتنقها قبل قليل من هذا. وقد زار كاتب الرسالة بنفسه بيعة للنصارى بسمرقند ورأى بها صورة المسيح والمجوس الثلاثة. وقد نسب كل ما حققته النصرانية من نجاح إلى بركة السيد المسيح نفسه، لأن دعاة دينه لم يكونوا جديرين بالمهمة التي اضطلعوا بها: « اعلم أن هؤلاء النفر المعتبرين دعاة (هنا) ليسوا أهلاً في رأيي لغير العقاب الصارم ». أما المسلمون، وفقاً لألفاظ محرر الرسالة، فإنهم ينالون الآن جزاء ما اقترفت أيديهم في حق النصارى « فالسراكيون Saracens [اي المسلمون] الذي ما فتئوا يبثون الرعب في نفوسهم (أي نفوس النصارى) ينالون الآن ضعف ما جنت أيديهم ».

ولقد نالت فكرة التحالف مع المغول الذين اعتنقوا المسيحية ضد السراكيين القبول والاستحسان لدى لويس فأرسل بمبعوثيه إلى منغوليا، غير أن رجاء المغول في أن يشمل مبدأ التسامح المذاهب المسيحية الأخرى قوبل بالرفض القاطع. وقد سلّم أسقف توسكولوم Tusculum المدعو اودون Odon (وكان ممثلاً للبابا بمعسكر لويس)، سلم مبعوثي المغول رسائل إلى كل من القاآن وأمه وايلچيغداي وكبار رجال الكنائس الشرقية. وقد ورد في هذه الرسائل أن كنيسة رومه سترحب بهم كأبناء بررة، على شريطة أن يتبعوا مبادىء الكاثوليكية ويعترفوا بكنيسة رومه أُمّاً لجميع الكنائس

(١٨٩) (الأتراك الخوارزميون الذين غادروا بلادهم مع جلال الدين منكبرتي انخرطوا بعد موته في خدمة الملك الصالح الأيوبي سلطان مصر، وفي عام ١٢٢٢ طردوا الصليبين للمرة الثانية من بيت المقدس وانتهبوا المدينة والمواضع المقدسة للمسيحيين بها - الناشرون).

(١٩٠) (يرجع تاريخ تدوين المكتوب الى المحرم عام ٦٤٦ هـ ، أي ربيع عام ١٢٤٨؛ ووفقا لأبحاث پليو فإنه من الممكن تحديد تاريخ تدوينه بين ١٥ و٢٤ مايو ١٩٤٨؛ راجع مقال پليو Pelliot, Les Mongols et la Papauté, II, P. 204 - الناشرون).

(١٩١) (المقصود بذلك سمبات Smbat اخو هيتوم (هيتون) ملك ارمينيا. عن رحلته الى بلاط كويوك راجع مغاكيا (غريغور الاكنري)، ترجمة پتكانوف، ص ١٨، الحاشية ٣٤؛ طبعة بليك وفراي، المتن ٣١٢ و٣١٤، الترجمة ٣١٣ و٣١٥؛ انظر أيضا Istoria mongolov po armianskim istochnikam, II, str. 69-70, (كيراكوس الكنجكي) - الناشرون).

وبرأسها مفوضاً من يسوع المسيح تلزم له الطاعة ممن يعتبرون أنفسهم نصارى. غير أن المشروع لم يكتب له التوفيق بسبب موت كويوك، وقد سلّم مونكو إلى روبروك رسالة شديدة اللهجة إلى ملك فرنسا، وصف فيها داود[١٩٢] بالكذب والخداع، ووصف الملكة اوغل غايميش[١٩٣] (التي استقبلت سفارة لويس بالعطف) بأنها «امرأة شريرة» أسوأ من
571 كلبة، وأنّي/لها أن تعرف شيئاً في شؤون الحرب والسلم أو مصالح الدولة[١٩٤].

والانطباعات التي كونها سمبات Smbat من زيارته لسمرقند تقف دليلاً على اشتداد الخصومة بين النصارى والمسلمين بتلك المدينة. وثمة دليل آخر على وجود هذه العداوة هو تلك القصة الممعنة في الخيال المتعلقة ببيعة يوحنا المعمدان التي يقصها ماركوبولو[١٩٥] وتزعم القصة أن هذه البيعة شيدت على عهد چغتاي الذي كان قد اعتنق المسيحية، وأنه من أجل بنائها أحتيج إلى حجر من أساس بعض المساجد، فأجاز الخان ذلك. وقد وضع هذا الحجر تحت عمود يقف وسط الكنيسة ويحمل البناية أجمع بسقفها. فلما خلف چغتاي ابنه (حفيده) الذي لم يعتنق النصرانية اضطر النصارى بسبب دسائس المسلمين إلى إرجاع الحجر، فعند انتزاع الحجر لم ينهار البناء على غير ما كان متوقعاً «إذ أن العمود نفسه ارتفع ثلاثة أشبار عن الأساس، ومنذ تلك اللحظة لم يعد العمود هو الذي يحمل السقف بل السقف هو الذي يحمل العمود».

وأجدر من ذلك بالثقة قصة سمعها جوزجاني[١٩٦] من أحد كبار السادة من أهل سمرقند هو أشرف الدين رأس خانقاه (زاوية) نور الدين أعمى بسمرقند، الذي زار دلهي في عام ٦٥٧ هـ = ١٢٥٩ بتجارة له. (ووفقاً لألفاظه) فإن مسلمي سمرقند قد هدموا تلك البيعة. وبعد هذا التاريخ فإنه ليس بأيدينا وقائع عن حال النصارى بسمرقند، رغماً من أن المسيحية فيما يبدو لم يكن قد قُضي عليها قضاء تاماً. وفي أثر صيني يرجع إلى أواخر

---

(١٩٢) (عن داود هذا راجع ما مر من الكتاب، ص ٦٩٤، الحاشية ١٨٨ - الناشرون).

(١٩٣) (ارمل الخان كويوك وهي من قبيلة المركيت، ويجب عدم الخلط بينها وبين إحدى زوجات القاآن منكو التي كانت تحمل نفس الاسم ولكنها من قبيلة الاويرات. راجع التفاصيل لدى پليو Pelliot, Les Mongols et la Papauté, II, P. 198, n. 2 - الناشرون).

(١٩٤) مكتوب مونكو الى لويس التاسع يورده روبروك (طبعة ميشيل - رايت، ص ٣٦٩ - ٣٧١؛ (ترجمة مالبين ص ١٦٢ - ١٦٣)؛ ترجمة روكهل؛ ص ٢٤٨ - ٢٥١)؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, I, 306-309

(١٩٥) ماركو پولو، طبعة يول، الجزء الأول، ص ١٨٣ - ١٨٦؛ (ترجمة ميناييف الى الروسية، ص ٦٩).

(١٩٦) ترجمة راڤرتي، الجزء الثاني، ص ١٢٨٨ - ١٢٩٠؛ (طبعة نساو - ليس، ص ٤٤٨ - ٤٥٠).

القرن الثالث عشر تدعى سمرقند « بلاد تسود بها عقيدة اي - لي - كو - أون[197] e-li-ku-un » (عن المغولية اركـه أون erke'ün ، أي « نصراني »)؛ وفي القرن الرابع عشر، وذلك في عام ١٣٢٩ ، بعث البابا يوحنا الثاني عشر بأسقف كاثوليكي إلى سمرقند[198]. كما أن المسيحية كانت لا تزال قائمة في ذلك العهد بمنطقة يديصو/، في 572 الجزء الجنوبي منها على ضفاف نهر چو Chu حيث تم الكشف في عام ١٨٨٦ عن المقابر النسطورية المشهورة، وكذلك في الأجزاء الشمالية منها[199]........ ولعله لن يخلو من الفائدة أن نعرض بصورة موجزة الدور الذي قام به النساطرة في امبراطورية المغول كما ينعكس من روايات المعاصرين، وبخاصة روبروك.

واعتماداً على نقوش يدي صو[200]......

---

(١٩٧) Palladii, Starinnye sledy khristianstva, str. 38 (راجع عن أصل لفظ اركه أون مقال Minorsky and Minovi, «Nasir al-Din Tusi on finance», BSOS, X, 1940, 785= Iranica, 81-82; Doerfer, Mongolische Elemente im Neupersischen, 123-125, No 15. أما الزعم بأنها عن اليونانية arkhon فلم يعد مقبولا - بوزورث).

(١٩٨) Mosheim, 110-111, add. LXIII, LXV. [أخبار المسيحيين بسمرقند ظلت تتردد حتى زمان الوغ بيك (١٤٠٩ - ١٤٤٩). وفي عام ١٤٠٤ يذكر كلاڤيخو (طبعة سرزنيفسكي، ص ٣٢٨ ,[Clavijo Embassy to Tamerlane 1403-1406, tr. G. Le Strange, London 1928, P. 288] أنه كان بسمرقند عدد كبير من النصارى، من ارمن وروم ونساطرة ويعاقبة نقلوا اليها في أغلب الأحيان من أقطار أخرى على يد تيمور. ومن الروايات الطريفة رواية المؤرخ الأرمني للقرن الرابع عشر توما المتسوبي (Tovma Metsoptsi, ed. Shahnazarian, 28-29) الذي يقول انه في عهد الوغ بيك « انتهى أمر المسيحيين هناك (أي بسمرقند) ». فقد أغوى أحد النساطرة زوجة لمسلم وأخذ يتفاخر بذلك، الأمر الذي ساق الى اضطهاد النصارى بسمرقند، وخيّروا بين الدخول في الاسلام أو الموت. « فاختار قليل منهم الموت، أما الباقون فتخلوا عن عقيدتهم ». هذه الرواية تستند على مكتوب لشخص شهد الحادث وهو الأُسقف الأرمني هفهانيس (يوحنا) الملقب شاتكي، والذي سافر الى الأقطار الشرقية ليفتدي الأسرى. وغير معلوم تاريخ هذه الرواية. على أية حال فإنه ابتداء من النصف الثاني للقرن الخامس عشر لا يقابلنا ذكر للمسيحيين ببلاد ما وراء النهر - الناشرون).

(١٩٩) (هنا في مخطوطة بارتولد ترد نقاط متتالية. أي خرم.وترد الإشارة الى روبروك، ص ٢٩٣ (أي طبعة ميشيل - رايت؛ (مالبين، ص ١١١ - ١١٢)؛ (روكهل، ص ١٥٧ - ١٥٩). غير أنه في هذا القسم من كتاب روبروك يرد الحديث عن المسيحيين النساطرة بمنغوليا وليس بسمى رتشيه (يدى صو)- الناشرون).

(٢٠٠) (هنا أيضا ترد نقاط متتالية وخرم في مخطوطة بارتولد ويبدو ان بارتولد كان يريد ان يعالج ها هنا الكلام على وضع المسيحية في ما وراء النهر وسمى رتشيه (يدى صو)في القرن الثالث عشر. وقد عالج هذا الموضوع بالتفصيل في مقاله Bartold, O khristianstve v Turkestane v domongolskii =

وفيما عدا النساطرة فإنه لا يسترعي الإنتباه من بين طوائف النصرانية سوى اليعاقبة بسمرقند وياركند، والأرمن في يدي صو؛ وكما لاحظ ن. ي. مار(٢٠١) N.Y. Marr بحق فإنه منذ لحظة اكتشاف شواهد للقبور بمنطقة يدي صو تحمل كتابة أرمنية لم يعد ثمة أساس للشك في أن الدير الذي كان يقوم بمدينة ايسيق كول على الشاطيء الشمالي للبحيرة التي تحمل ذات الإسم انما هو في الحقيقة دير للأرمن كما حددت ذلك الخارطة القطلونية، وليس ديراً للنساطرة. هذا فوق أن روبروك كان قد التقى في بلاط مونكو بأرمني يدعى سرجيوس Sergius كان يعمل ببلاده نساجاً(٢٠٢) ولكنه قدم إلى المغول في مسوح راهب واستطاع أن ينال بينهم مركزاً ممتازاً. ورواية روبروك عن هذا الرجل تمكّننا من تكوين فكرة متكاملة لشخصه؛ وتكشف القصة الطريفة التي قلّما يشير إليها المؤرخون والتي تتصل بموقف سرجيوس هذا من راهب يدعى يونس، تكشف عن الأساليب الغريبة التي انتهجتها الدعوة المسيحية بمنغوليا كما تكشف عن الوسائل التي لجأ إليها دعاتها للتخلص من منافسين يبزونهم طُهْراً ومعرفة....(٢٠٣).

573 مات مونكو ابّان الحرب مع الصين، وذلك في عام ١٢٥٧ (عام الحية) وفقاً لرواية رشيد الدين(٢٠٤)، أما الروايات الصينية فتجعل موته في عام ١٢٥٩(٢٠٥). ويبدو أن التاريخ الأخير هو الأرجح. ويقول رشيد الدين نفسه إن مونكو مات في العام الثامن لحكمه. وقد وصل خبر موته إلى الهند في عام ١٢٦٠، وهو لحظة تدوين «طبقات

---

period; وأيضا في ترجمته الألمانية الموسّعة: Zur Geschichte des Christentums in Mittelasien bis zur mongolischen Eroberung, Tübingen- Leipzig, 1901 - الناشرون).

(٢٠١) Marr, Nadgrobny kamen iz Semirechia, str. 348

(٢٠٢) روبروك، طبعة ميشيل - رايت، ص ٣٢٤؛ (ترجمة مالبين، ص ١٣٢)؛ (ترجمة روكهل، ص ١٩٣).

(٢٠٣) (الإشارة هنا الى قصة روبروك عن الخصومة بين قس نسطوري متعلم يدعى يونس بمدينة قراقورم والراهب المغامر الجاهل سرجيوس. وتسمم الأخير له (روبروك، طبعة ميشيل - رايت، ص ٣٤٢ - ٣٤٥؛ ترجمة مالبين، ص ١٤٤ - ١٤٥؛ ترجمة روكهل، ص ٢١٦ - ٢١٩). والنقاط المتتابعة في مخطوطة بارتولد تشير الى سقط على ما يبدو - الناشرون).

(٢٠٤) (طبعة بلوشيه، ص ٣٣٥ حيث يرد أن تاريخ موت القاآن مونكو كان في محرم عام ٦٥٥ هـ (أي بين ١٩ يناير و١٧ فبراير ١٢٥٧). غير أنه يرد في مخطوطات رشيد الدين أن وباء الكوليرا الذي مات منه القاآن قد انتشر بين جند المغول في الصيف عندما اشتد الحر (تابستان در آمد وكرما قوت كرفت)؛ لذا فان التاريخ المذكور يدعو الى الشك - الناشرون).

(٢٠٥) اليوان - شي، ترجمة بتشورين، ص ٣٤٩، ٣٥٣؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. II, P. 332

ناصري » ، ولكنه وصل في صورة شائعات غامضة[٢٠٦]. وقد نقل جثمان مونكو إلى منغوليا ابنه اسوتاي Asutay ، وعقد الحداد عليه في كل منزل (معسكر) من منازله الأربعة ، ثم دفن في برخان قالدون Burqan-Qaldun في « القوروق الأكبر » (ايكه قوروق) إلى جانب قبري چنكيز خان وتولوي[٢٠٧].

أما النزاع في هذه المرة فقد جرى بين أبناء تولوي ، وبالذات بين الابن الأكبر قوبيلاي الذي كان على رأس الجيش في الصين والابن الأصغر اريغ بوكا وارث يورت أبيه (والذي كانت تعيش فيأردوه أمه سور ققتني بيكي). ولأول مرة يتم في عام ١٢٦٠ اختيار قاآنين في وقت واحد ، هما قوبيلاي بالصين واريغ بوكا بمنغوليا. ولم يشترك هولاكو وبركه ، أقوى شخصين في بيت چنكيز خان ، في هذا النزاع وإن كان اريغ بوكا قد أشاع بأنهما يؤيدانه. واذا جاز لنا أن نأخذ بما أورده جوزجاني[٢٠٨] فإن الخطبة بعد موت مونكو قرئت ردحاً من الزمن باسم بركه في كل من ايران وخراسان وما وراء النهر. وكانت تقف الى جانب كل من المطالبين بالعرش مجموعة من آل چنكيز ، فحاكمة ألوس چغتاي الملكة اورقنه خاتون كانت تقف إلى جانب اريغ بوكا. وقد قام قوبيلاي بمحاولة للاستيلاء على الوس چغتاي فأرسل لهذا الغرض أميراً من أمراء البيت المالك هو أبيشقه Abishka بن بوري Büri ، ولكن أنصار أريغ بوكا قطعوا عليه الطريق ببلاد التنكوت ثم لم يلبث أن قتل بأمر أريغ بوكا. وعلى غرار أخيه فإن اريغ بوكا بدوره لم يعتمد على اورقنه ، فقرر أن يرسل باسمه إلى تركستان أميراً من نسل چغتاي ليضمن لنفسه بهذا احتلال تلك الأنحاء وليقفل الطريق على هولاكو وبركه إذا ما فكرا في تأييد المطالب الأكبر بالعرش. هذا فوق أن قوبيلاي منع وصول/الميرة من الصين إلى منغوليا فحدثت من جراء ذلك مجاعة بتلك البلاد ، لهذا كان ضروريا أن ينظّم نقل الغلة من تركستان إلى منغوليا.

574

وقد ألقيت هذه المسؤوليات بأجمعها على عاتق الغو Alghu حفيد چغتاي وابن ابنه

---

(٢٠٦) جوزجاني ، ترجمة راڤرتي ، الجزء الثاني ، ص ١٢٩٢ ؛ (طبعة نساو - ليس ، ص ٤٥١ : جماعت آيندكان از بلاد خراسان نقل كردند كه منكو بدوزخ رفت (أي قال بعض من جاء من بلاد خراسان ان مونكه قد انتقل الى جهنم) - الناشرون).

(٢٠٧) رشيد الدين ، طبعة بلوشيه ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ؛ (يقول جمال قرشي إن مونكو قاآن مات في بداية عام ٦٥٨ هـ ، أي بعد قليل من ١٨ ديسمبر ١٢٥٩).

(٢٠٨) ترجمة راڤرتي ، الجزء الثاني ، ص ١٢٩٢ ؛ (طبعة نساو - ليس ، ص ٤٥١).

بايدر Baydar . وقد نال بايدر الشهرة بمهارته في الرماية وشارك مشاركة فعّالة في حملات التتار على أوروبا ، خاصة في تخريبهم لبولنده وسيليزيا عام ١٢٤١[٢٠٩]. ولقد أثبت الابن أنه جدير بأبيه ، فعند وصوله إلى كاشغر استطاع أن يجمع حوله أفراد أسرة **چغتاي** وأنصارهم ، واضطرت اورقنه لأن تذهب الى أريغ بوكا يصحبها مسعود بيك . وأرسل الغو بابن عمه نيكبي اوغل Nekübey-Oghul في خمسة آلاف جندي لاحتلال ما وراء النهر ولطرد عمال بركه منها . وصحب نيكبي من الأمراء اوچچر Uchachar ومن رجال الإنشاء سليمان بن حبش عميد ، مما يشير إلى أن بعض كبار المسلمين قد وقفوا بجانب الغو . أما المسلمون المخلصون لدين الاسلام فقد أحسّوا بأن من واجبهم بطبيعة الحال مساندة حقوق بركه المسلم ، وعند احتلال بخارا قتل الشيخ جلال الدين باخرزي ابن الرجل النابه سيف الدين باخرزي . أمّا قائدا القوات المغولية بما وراء النهر وهما بوقا نوشا **وچنكسانك** طايفو فقد انحازا إلى الغو وبقيا في مركز يهما . [وقد انتهى الأمر بقتل أنصار بركه وعماله واستصفاء أموالهم] .

ولم يقف الغو عند هذا الحد ، بل قرر أن يمد سلطانه كذلك على مناطق لم يحدث البتة أن كانت جزءاً من الأملاك الجغتائية مثل خوارزم وافغانستان فأرسل اوچچر إلى خوارزم وسداي ايلچي Saday Ilchi إلى أفغانستان . وكانت القوة المغولية التي أرسلت للعمل بالهند في عهد مونكو تحت قيادة سالي بهادور Sali Bahadur ، فأفلح سداي ايلچي في استمالة كبار عسكره حتى سلموه قائدهم ، وبهذا تأكد سلطان الغو على تلك الأنحاء[٢١٠]. غير أن الغو كان يعمل بكل طاقته من أجل مصلحته الشخصية ولم يكن في نيته البتة تنفيذ رغبات أريغ بوكا[٢١١]. ولمّا جمع مبعوثو اريغ بوكا ما يحتاجون اليه من الأموال والخيل والأسلحة منعهم الغو من الرحيل[٢١٢]؛ وفي نهاية الأمر أعلن الحرب جهرة على اريغ بوكا وقتل مبعوثيه ووضع يده على الأموال التي جمعوها ووزعها على جنده (عام ١٢٦٢) . وفي تلك الأثناء ، كان اريغ بوكا ملتحماً في القتال مع قوبيلاي ولكن

---

(٢٠٩) Wolff, Geschichte der Mongolen, S. 159

(٢١٠) (راجع عن هذا وصاف ، طبعة هامر ، المتن ص ٢٣ - ٢٤ ، الترجمة ص ٢٥ ؛ طبعة بمباي ، ص ١٢ - الناشرون) .

(٢١١) (ورد في مخطوطة بارتولد «رغباته» . ومن الجلي أن المقصود هنا اريغ بوكا - الناشرون) .

(٢١٢) ان توقيت رشيد الدين لتواريخ هذه الأحداث مختلط للغاية؛ ونحن نتبع ها هنا معطيات الرحالة الصيني يه - لو هسي - ليانغ Yeh-lü Hsi-liang الذي كان معاصراً لتلك الأحداث، راجع Bretschneider, Researches, vol. I, PP. 157-167

النصر لم يكن حليفه فاضطر/ إلى أن يتخلى عن منغوليا لغريمه وأن ينسحب الى بلاد 575
القرغيز في أعالي الينسى Yenisei . غير أن قوبيلاي لم يستطع مواصلة العمليات
العسكرية بسبب اندلاع الاضطرابات بالصين، فاغتنم اريغ بوكا الفرصة ليلتفت إلى
عدوه الغربي. ويبدو أن الغو كان قد تحرك هو أيضاً ضد عدوه قبيل ذلك لأنه اضطر
بغتة للانسحاب إلى مسافة ١٥٠٠ لى (حوالي الخمسمائة ميل)، غير أن مقدمة جيش
عدوه لحقت به تحت قيادة قرابوقا Qara Buqa فاقتتل الطرفان عند بحيرة سوم كول
Sum Köl (سيرام Sayram) غير بعيد من مدينة يليكيين (Ye-li-K'ien) فهزم
قرابوقا وسقط في المعركة وأُرسل رأسه إلى قوبيلاي. ولكن سرعان ما انقضت على الغو
كتيبة أخرى من جيش اريغ بوكا تحت قيادة اسوتاي بن مونكو، فقد نفذ اسوتاي في
سرعة فائقة عن طريق ممر تلكي Talki (الذي يعرفه المغول باسم تيمور قهلقه: أي « باب
الحديد ») إلى وادي ايلي الذي كان الغو قد رجع إليه من قبل، وهزمه هزيمة نكراء،
ذلك أن الغو في غمرة انتصاره لم يكن يتوقع وصول عدوه بمثل تلك السرعة. وقد احتل
اسوتاي المالِيق واضطر الغو إلى الهرب إلى تركستان الشرقية، ونصب اريغ بوكا معسكره
الشتوي بوادي ايلي.

ولم يكن الأمراء المغول راضين عن اريغ بوكا الذي كشف عن طيش شديد ببطشه
بقادة جيشه، فتخلى معظمهم عنه في ذلك الشتاء. وقد ضيّق الجند على الأهالي أرزاقهم،
فتعرض وادي ايلي للمجاعة وهلك عدد كبير من الناس ووضع الجيش يده على كمية
ضخمة من الغلال حتى أن الخيل أُطعمت الحنطة بدلاً من الشعير، غير أن هذا عاد
بالوبال على أريغ بوكا إذ أن خيله التي تعودت على الحنطة مرضت في الربيع عندما
أُخذت إلى المراعي ونفقت في أعداد كبيرة. وكان اورونكتاش[٢١٣] Ürüngtash بن
مونكو معسكراً بجيش آريغ بوكا في منطقة آلتاي على نهر جيقان مورين
Jayqan Müren فانحاز إلى جانب قوبيلاي، واضطر ابن اريغ بوكا إلى أن يستجيب
لطلب قوبيلاي فأرسل إليه « التمغا الكبير » (أي الختم الكبير) الذي يخص والده. وقد
أراد الغو أن يفيد من ضعف اريغ بوكا لينقض عليه، غير أن اريغ بوكا وجّه إليه باورقنه

---

(٢١٣) يرد لدى دوسون (Histoire des Mongols, T. II, P. 364) في صورة: Yoroung-tasch؛ ولدى رشيد الدين في صورة: اورونكتاش (طبعة بلوشيه ص ٤١٤ ومخطوطة لينجراد الورقة ٢١٩) واركناس (مخطوطة دورن الورقة ٢١٦).

ومسعود بيك ، أما هو نفسه فتوجه في عام ١٢٦٤ (٢١٤) يصحبه اسوتاي إلى قوبيلاي حيث أعلنا خضوعها . وكما هو الشأن دائماً بعد نهاية الحرب الأهلية فقد جرت محاكمة العصاة وأعدم كبار الأمراء (ومن بينهم صاحب الديوان الأكبر بلغـاي ، الذي أراد قوبيلاي أن يعفو عنه في البداية لأنه « سمع ألفاظ اوكداي قاآن ومونكو قاآن ») (٢١٥) . أمّا عن اريغ بوكا واسوتاي فإن قوبيلاي تشاور بشأنها مع هولاكو وبركه والغو فكانت ردود ثلاثتهم 576 غير صريحة فعفي/قوبيلاي عنهما . وقد أراد بركه وهولاكو أن يحضرا قوريلتاي عام١٢٦٦ أو ١٢٦٧ ولكن الفكرة لم تتحقق .

وفي هذا الموضع يقول رشيد الدين (٢١٦) إن الحرب بين هولاكو وبركه اندلعت عام ١٢٦٦ ، وهو عام موت اريغ بوكا . غير أننا نعلم من مواضع أخرى من مصنفه ، ومن مؤلفات مصنفين آخرين أن العمليات العسكرية بين هذين الخانين قد بدأت منذ عام ١٢٦٢ ؛ وإلى هذا العام نفسه ترجع أولى سفارات بركه إلى مماليك مصر (٢١٧) ، أمّا في عام ١٢٦٦ فإن هولاكو لم يكن في عداد الأحياء . وقد كان سبب هذه الحرب هو مطالبة آل جوچي بمقاطعتي ارّان وآذربيجان ، بجانب أسلوب الصلف الذي لجأ إليه بركه أكبر أفراد الأسرة في مخاطبته لهولاكو ، وأخيراً موت بعض افراد من بيت جوچي بايران في ظروف أثارت الشبهة بأنهم قد سُمموا (٢١٨) . هذا فوق أن بركه بوصفه مسلماً قد أعلن نفسه حامياً للمسلمين من اضطهاد هولاكو . ووفقاً لرأي كيراكوس فإن ألغو أيضاً قد عمل من جانبه على إثارة هولاكو ضد بركه ، وكان سبب كراهية الغو لبركه هو أن « دسائسه هي التي دفعت مونكو قاآن إلى اجتثاث آل بيته » (٢١٩) ، أي أن بركه مسؤول عن أحداث عام ١٢٥١ التي هلك فيها معظم بيت چغتاي .

وكانت رحى الحرب في واقع الأمر دائرة بين الغو وبركه . وعقب تقهقر أريغ بوكا تزوج الغو من اورقنه وفوّض إلى مسعود حكومة سمرقند وبخارا . ويقول جويني (٢٢٠) إنه

---

(٢١٤) هكذا لدى رشيد الدين (بلوشيه ، ص ٤٢٠) والروايات الصينية (Tun-tsian-han- mu, IX, 302)

(٢١٥) (رشيد الدين ، طبعة بلوشيه ص ٤٢٨؛ Teksty, str. 126 – الناشرون) .

(٢١٦) طبعة بلوشيه ، ص ٤٣٢ – ٤٣٣ .

(٢١٧) راجع عنها D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. III, P. 386 sq.

(٢١٨) شرحه ، ص ٣٧٧ – ٣٧٩ .

(٢١٩) Istoria mongolov po armianskim istochnikam, II, 105 (كيراكوس الكنجكي) .

(٢٢٠) الجزء الأول ، ص ٧٥ .

في حوالي عام ٦٥٨ هـ (١٢٦٠) كانت بعض المواضع قد استعادت رخاءها السابق والبعض الآخر أشرف على ذلك، هذا خلافاً لما كانت عليه خراسان وايران حيث لم يقف الأمر عند غزوة واحدة بل تعدّاها إلى أن كل مدينة وقرية تعرضت مراراً للنهب. وقد حلّت بالبلاد على يد الغو كوارث جديدة(٢٢١). فقد وضع مسعود بيك تنفيذاً لأمر الغو ضرائب فادحة على كاهل السكان، وبهذا حصل الغو على الأموال الضرورية لمواصلة حربه مع بركه....(٢٢٢)؛ وقد هزم عسكر بركه، وأعقب هذه الهزيمة استيلاء الغو على أترار ونهبه إياها(٢٢٣).

وإلى هذه الفترة يرجع حادث سجله وصّاف(٢٢٤)، ويغلب على الظن أنه قد أخذ طرفاً/فيه الغو. ففي أثناء الحرب بين هولاكو وبركه أرسل قوبيلاي مبعوثاً له ليقوم 577 باحصاء جديد لبخارا، وكان بالمدينة ستةعشر ألفاً من العساكر المغول من بينهم خمسة آلاف لباتو (أي الوس جوچي) وثلاثة آلاف لسور ققتني أم هولاكو أمّا الباقون وعددهم ثمانية آلاف فقد كانوا ينتمون إلى «الجيش الكبير» (أُلوغ قول) أي أنهم كانوا يخصون أي فرد يعتلي عرش القاآنية من آل چنكيز. وبأمر من قوبيلاي سيق الخمسة آلاف من عسكر ألوس جوچي خارج المدينة إلى المفازة حيث قتلوا عن آخرهم، ولقي ذات المصير

---

(٢٢١) (رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٥٣٨: مشهور چنان است كه ممالك تركستان بيشتر الغو خراب كرد؛ لفظ «بيشتر» لا توجد في بعض المخطوطات - الناشرون).

(٢٢٢) (توجد كلمة ها هنا في مخطوطة بارتولد تعسرت قراءتها - الناشرون).

(٢٢٣) رشيد الدين، بلوشيه، ص ٤٢٠.

(٢٢٤) (وصّاف، طبعة هامر، المتن ٩٨، الترجمة ٩٤؛ طبعة بمباي ص ٥١: ودرين نزديكي قا آن ايلجى را فرستاد وشمارهٔ بخارا تازه كردانيد از جمله شانزده هزار كه در نفس بخارا معدود بودند پنج هزار بباتو تعلّق داشت وسه هزار بقوتى بيكى مادر هلاكو خان وباقي بالغ قول يعنى دلاى بزرك موسوم بود تاهر كس از اولاد چنكيز خان كه بر سرير خانيت استقرار يابد آنرا بخاصه حاكم كند اين پنج هزارهٔ باتورا تمامت بصحرا راندند وبزبان صفائح بيض كه بريد منايا حمراست پيغام آجال برايشان خواندند وبرمال وزن وفرزند ايشان هيچ ابقا نرفت - الناشرون).

(وقريباً من ذلك الوقت ارسل القا آن مبعوثا ليجري تعداداً جديدا ببخارا. ومن بين الستة عشر الف الذين تم احصاؤهم ببخارا نفسها، كان خمسة آلاف من التابعين لباتو [أي لأهل بيته]، وثلاثة آلاف لقوتى بيكى [يقصد سرقوقتنى بيكي] أم هولاكو، أما الباقون فقد أطلق عليهم اسم الغ قول، يعني دلاي الأكبر وذلك ليجعلهم كل من اعتلى عرش الخانية من سلالة چنكيز خان التابعين الخاصين له. ثم تم اخراج الخمسة آلاف التابعين لباتو الى الصحراء وأبيدوا عن آخرهم حتى لم يبق من نسائهم وأطفالهم وأموالهم أثر -.٠المترجم).

أما عن المصطلحين «الغ قول» و«دلاي بزرك» فراجع الحاشية التالية لهذه.

نساؤهم وأطفالهم، كما صودرت ممتلكاتهم[٢٢٥].

578 وفي تلك الأثناء ارتفع شأن حفيد لاوكداي هو قايدو، الذي أسس دولة مغولية

---

(٢٢٥) يقول دوسون Histoire des Mongols, t. III, PP. 381-382 إن مذبحة بخارا هذه قد تمت وفقاً لأوامر هولاكو، وهذا يتناقض مع متن وصّاف الذي نشره هامر وأيضاً مع مخطوطة مصنفه بالمتحف الآسيوي، الورقة ٣١؛ أضف الى هذا انه لا يوجد ما يثبت أن سلطة هولاكو قد امتدت على بخارا على الاطلاق. واللفظان « هزاره » (الألف) و« الغ قول » يشيران الى أن المقصود هم جند المغول وليس سكان بخارا كما ظن دوسون. (من الواضح أن دوسون (وأيضاً ڤامبيري Vambery, History of Bukhara, P. 167) هو المحق في فهمه لألفاظ وصاف التي مرت قبل قليل لأن وصاف انما يتحدث عن احصاء سكان بخارا وليس عن الحامية المغولية الموجودة بها. ولفظ « هزاره » يقابلنا مرة واحدة فقط، بينما في جميع الحالات الأخرى يرد لفظ « هزار » (ألف)، أي كاسم عدد ليس إلاّ. أما المصطلحان « الغ قول » (ويعني بالتركية قلب الجيش الكبير) و« دلاى بزرك » (مغولية - فارسية) فإنها قد لا تعني جيش القا آن الخاص فحسب بل قد يراد بها أيضاً جميع الوسه واملاكه. وكما هو معروف فإن دلاي خان (وتعني بالمغولية « الخان الاوقيانوس ») كانت من ألقاب الخان الأكبر. غير أنه لدى كل من رشيد الدين (طبعة علي زاده، المتن ٥١٣: زمين مواضع..... از اينجو ودلاي ومزارع آبادان وخراب (أي الأراضي في جميع النواحي.... من اينجو ودلاي ومزارع عامرة وخراب) ووصاف (طبعة بمباي، ص ٢٦٨، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٦٣، ٤٠٤، ٤٤٥) فإن لفظ دلاي يقصد به أيضاً أملاك الخان (وكذلك أملاك غازان خان) وهي الأراضي بفلاحيها، هذا الى جانب لفظ « اينجو » الذي يعني نفس الشيء (فيما يتعلق بأن لفظ اينجو يقصد به أيضاً الجيش والأراضي بمن عليها راجع رشيد الدين (طبعة كاترمير، ص ١٣٠ - ١٣٢، الحاشية ٢؛ حيث ترد النقول من مختلف المصادر). ويمكن القول بأن « اينجو » (مغولية) و« خاصه » (عربية - فارسية) و« دلاي » (مغولية) هي مترادفات. وفي المتن المنقول عن وصاف فإن الإشارة إنما الى سكان بخارا، وبصورة خاصة الى أهل الحرف منهم الذين سباهم المغول (أو ألحقوهم بخدمتهم من قبيل التبعية) وتم توزيعهم على ثلاثة ملاّك هم باتو وتولوي (الذي ورثته أرملته سورققتني بيكي) والوس الخان الأكبر. وقد ظل اهل الحرف هؤلاء ببخارا يعملون (كما يبدو من مواضع أخرى من مصنف وصّاف، طبعة بمباي، ص ٦٨، ٦٩) بمصانع (كارخانه) يمتلكها أفراد من بيت چنكيز خان وكانت تدر على هؤلاء الأخيرين بعض الدخل. وامثال هؤلاء الرقيق من أهل الحرف (اسيران) أو من يدينون بالتبعية ويعملون بمصانع تمتلكها الخزانة السلطانية أو أفراد من بيت الخان ترد الإشارة اليهم غير مرة لدى رشيد الدين (طبعة علي زاده، المتن ص ٣٠، ١٧٩، ٣٩٢ وبصورة خاصة ٥٤٢ - ٥٤٥؛ وايضا ترجمة ارندس، ص ٢٦، ١٠٦، ٢٢١، وبصورة خاصة ٣١١ - ٣١٣). ويبدو ان ابادة عمّال باتو قد تمت بأوامر صادرة من الغو وهولاكو اللذين كانا يريدان توجيه ضربة الى الوس بركه وبيت باتو بسبب العداء الناشب بينهم. وبخلاف هذا فإن الفاظ وصّاف لا تسمح لنا بقبول تفسير بارتولد لها، ذلك أنه من العسير قبول القول بأن ستة عشر الف (الذين قد يرتفع عددهم الى عشرات الألوف اذا ما ضم اليهم أفراد أسرهم) من مقاتلي المغول، أي من الرحّل الذين لم يتعودوا آنذاك سكنى المدن كما وضّح بارتولد نفسه فيما مر من الكتاب، كانوا يقيمون ببخارا نفسها (در نفس بخارا). أخيرا فإنه من غير المعقول ان خمسة آلاف من مقاتلي المغول المسلحين سيقبلون أن يساقوا الى الصحراء ويذبحوا ذبح الأغنام دون مقاومة ما. من الصحيح أن مثل هذه المذابح حدث على أيدي =

مستقلة بآسيا الوسطى. وقايدو هذا ابن قاشين Qashin خامس أولاد اوكداي، وكان أبوه قد أسلم نفسه للخمر فمات في سن مبّكرة. وقد نشأ قايدو باوردو چنكيز خان، وبعد موت اوكداي (ولعل هذا حدث بعد انقلاب عام ١٢٥١) التحق قايدو ببلاط مونكو، ونراه فيما بعد مع اريغ بوكا وقد انحاز إليه خلال النزاع من أجل وراثة العرش(٢٢٦). ولمّا خضع اريغ بوكا لقوبيلاي لم يحذ قايدو حذوه بل عزم على أن يبذل جهده الشخصي للدفاع عن حقوقه كوريث لاوكداي. وكانت قرائن الأحوال تشير إلى أن أية محاولة كهذه لن يكتب لها النجاح، إذ لم يكن لديه جندي واحد من جيش اوكداي القديم(٢٢٧)، فكان عليه أن يخلق لنفسه جيشاً من العدم، هذا بينما كان غرماؤه يسيطرون على أملاك شاسعة. وعلى الرغم من كل ذلك فإن حفيد اوكداي هذا لم يخلق لنفسه جيشاً فحسب، بل إن شجاعته وميزاته العسكرية ذهبت مثلاً بين المغول حتى أنه استطاع أن يؤسس لنفسه امبراطورية انتظمت آسيا الوسطى بأجمعها. ذلك أن قايدو جمع إلى موهبة القيادة العسكرية دهاء وتخطيط رجل السياسة البارع/. وإن مما يلفت النظر حقاً أن هذا الرجل 579 الذي كان ابناً وحفيداً لرجلين أفنيا حياتهما في معاقرة الخمر، كان هو الوحيد من بين كل آل چنكيز الذي لم يمس خمراً ولا قوميس أبداً(٢٢٨).

وينحدر قايدو من جهة أمه من قبيلة بكرين Bekrin أو مكرين Mekrin التي كانت تقطن منطقة جبلية تتاخم بلاد الأويغور. ووفقاً لألفاظ رشيد الدين فإن بكرين «لم يكونوا مغولاً ولا أويغوراً»(٢٢٩). وعلى أية حال فإن قايدو في صورته كان مغولياً خالصاً، ويصفه رشيد(٢٣٠) الدين بأنه كان متوسط القامة لا لحية له على الإطلاق فيما عدا شعيرات

= المغول أكثر من مرة ولكن كان ضحيتها الأهالي المسالمين الذين ألقوا بسلاحهم. راجع مقال پتروشيفسكي المفصّل: Petrushevski, Iz istorii Bukhary, 103-118؛ كذلك يرى علي زاده ان رواية وصّاف المشار إليها انما يقصد بها سكان بخارا A.A. Ali-zade, Sotsialno- ekonomicheskia i politicheskia istoria Azerbaidjana, str. 312) – الناشرون). (عن لفظ «دلاي» راجع Doerfer, Mongolosche Elemente im Neupersischen, 324-326, No 196)

(٢٢٦) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ٧ – ٨.

(٢٢٧) رشيد الدين، طبعة برزين، القسم الخامس عشر، المتن ٢١٩ – ٢٢٠؛ الترجمة ١٤٦.

(٢٢٨) رشيد الدين: وشراب وقميز ونمك نخورد (Teksty, str. 121)؛ وفي نفس الموضع يرد وصف رشيد الدين لمظهر قايدو. هذه الرواية لا وجود لها في طبعة بلوشيه أو مخطوطات مصنف رشيد الدين الأخرى – الناشرون).

(٢٢٩) شرحه، طبعة برزين، المتن، القسم السابع، ص ١٦٦ (بكرين.... نه مغول اند ونه اويغور)؛ الترجمة، القسم الخامس، ص ١٢٩.

(٢٣٠) Teksty, str. 121

تسع انتثرن مكانها. وقد تميزت قبيلة بكرين بمقدرتها على تسلق الجبال ولهذا كانوا ذوي بأس في الحرب. وقد ضمهم قايدو إلى جانبه. وفي الوقت ذاته استغل الحرب الدائرة بين الغو وبركه ليعرض خدماته على بركه؛ واقتطع لنفسه إمارة ما بمعاونة آل جوجي[٢٣١]. ويروي ميرخواند[٢٣٢] أن بركه أمر منجميه باستقراء طالع قايدو حينما سأله العون، ولّما أن جاء ردهم مطمئناً قَبل أن يعاونه بالأموال والعسكر وأن يعترف به حاكماً على ألوس چغتاي في حال انتصاره على الغو. وقد أرسل الغو أحد أمرائه ضد قايدو فهُزم وقُتل، ثم بعث عليه الغو أحد أمراء البيت في جيش كبير استطاع أن يهزم به قايدو.

ومات الغو في عام ١٢٦٤. ويقول رشيد الدين إنه بعد وفاته أجلست اورقنه خاتون ابنها مباركشاه على العرش بموافقة الأمراء والوزراء[٢٣٣]. ووفقاً لرواية وصّاف فإن الأمر كان على النقيض من ذلك، فقد عاش الغو إلى ما بعد موت اورقنه[٢٣٤] الذي حدث وهي في النفاس، وعند ذلك عزم الغو على قتل كافة المسلمين بسمرقند وبخارا الذين كانت الملكة قد بسطت حمايتها عليهم والذين جلبوا عليها النحس وفقاً لرأيه، ولقد عانى مسعود بيك الأمرين ليثنيه عن عزمه ذاك[٢٣٥].

580 وسواء كانت اورقنه (التي أخذت في عهدها جانب اريغ بوكا) على قيد الحياة أم في عداد الأموات وقتذاك، فإن قوبيلاي على أية حال لم يكن راضياً[٢٣٦] عن اعتلاء مباركشاه العرش ونصب له غريماً في شخص ابن عمه براق[٢٣٧] Boraq. ووفقاً للقرار (يارليغ)

---

(٢٣١) شرحه، طبعة بلوشيه: [قايدو] با اوروق چوچى آغاز دوستى نهاد وبمعاونت ايشان بعضى ولايت بدست فرو كرفت.

(٢٣٢) (طبعة لكهنو، الجزء الخامس، ص ٦٥).

(٢٣٣) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٤٢٠.

(٢٣٤) وصّاف، طبعة هامر، المتن ٢٩ - ٣٠، الترجمة ٣٠ - ٣١؛ (طبعة بمباي، ص ١٥).

(٢٣٥) (شرحه. ويقول رشيد الدين (طبعة بلوشيه، ١٨٨) إن الغو مات عام ٦٦٨ هـ (بين ٣١ آغسطس ١٢٦٩ و١٩ آغسطس ١٢٧٠) قبل اورقنه خاتون، ولكنه قبل عام من موته هزم على يد جيش اريغ بوكا وهرب. فلما وصل الى بخارا وسمرقند انتزع من أغنيائها المال والسلاح والماشية ووزعها على جيشه (ببخارا وسمرقند آمد واز توانكران مال وسلاح وچهارپا بان بستد وبلشكر خود داد). ولا يذكر رشيد الدين شيئاً عن عزمه على إبادة المسلمين - الناشرون).

(٢٣٦) (ورد سهواً في مخطوطة بارتولد «لم يكن غير راض» - الناشرون).

(٢٣٧) (يفضل علماء التركيات اليوم قراءة الاسم بفتح الباء وليس ضمها. راجع Radlov, Opyt slovaria Tiurkskikh narechii, IV, 1904: Brak براق = الكلب الوحشي، الكلب. [وفي محمود الكاشغري، ديوان لغات الترك، الجزء الأول، ص ٣١٥: «بَرَقْ - كلب اهلب. والترك تزعم أن النسر إذا تقشعم واسنّ يبيض بيضتين فيخرج من احديها هذا الكلب الذي يسمى بَرَق وهو أسرع الكلاب عدواً =

الـذي أصدره قوبيلاي فقد كان على براق ومباركشاه أن يشتركا معاً في حكم الوس چغتاي[٢٣٨]. غير أن براق حين وصل إلى بلاد آل چغتاي استيقن من أن مركز مباركشاه قد بلغ حد الثبات[٢٣٩]، لذا فلم ير من الحكمة أن يُبرز قرار القآن بل ظهر أمام مباركشاه وكأنه لاجيء، ورجاه بأن يسمح له بلم شعث أتباعه. وكان يورت أولاد ييسون توقا[٢٤٠] Yesün Toqa بنواحي چغانيان[٢٤١]، حيث ارتحل إليها براق يصحبه أخواه مؤمن Mu'min وبسر Basar. وكان مؤمن أكبر إخوته إلاّ أنه كان يدوام معاقرة الخمر ولذا فلم يكن بوسعه أن يقوم بدور بارز[٢٤٢]. ومن مركزه **بچغانيان** استطاع براق أن يجتذب إليه شيئاً فشيئاً معظم أمراء مباركشاه حتى وضع يده على ما وراء النهر. وقد اضطر مباركشاه نفسه إلى الاستسلام لبراق الذي جعله مقدماً لبارسچيته[٢٤٣]. وفي بداية عام ٦٦٣ هـ (ابتداء من اكتوبر عام ١٢٦٤) اعتلى براق العرش بمدينة اوزكند ووضع يده على جميع خزائن الغو واورقنه.

581 ولم يفت على قوبيلاي أن براق لن يكون أداة طيّعة/في يده وأنه أصبح لزاماً عليه أن يتخذ من الخطوات الحاسمة ما يحفظ له سيادته على تركستان. لذا فإن القآن قرر

وأحفظها للصيد. ويُخرج من الأخرى فرخاً وذلك آخر فراخه» (طبعة كليسلي رفعت)- المترجم]. راجع أيضاً معجم بود اغوف، الجزء الأول، ص ٢٢١ تحت لفظ باراق. ومن بين العلماء السوڤيت يقرأها بفتح الباء كل من كونونوف وتلستوف وغيرهما-الناشرون). [مما لا شك فيه أن القراءة بفتح الباء هي الصحيحة؛ راجع؛ Doerfer, Türkische Elemente im Neupersischen, 280–281, No 728 وأيضاً القراءة Barac لدى ماركو پولو - بوزورث].

(٢٣٨) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ١٦٩.

(٢٣٩) (وفقاً لرشيد الدين (بلوشيه، ص ١٨٨) فإن مباركشاه ابن قرا هولاكو واورقنه خاتون بسط حمايته على الرعية من ظلم العسكر المغول في تلك الأزمنة المضطربة: لشكر بر عادت كذشته تاراج وبى راهي مى كردند ومباركشاه چون مسلمان بود نكذاشت كه رعايارا زور رسد - الناشرون).

(٢٤٠) (أو: يسيو توا، وهو الابن الثالث لموتكن ابن چغتاي (رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ١٦٩) - الناشرون).

(٢٤١) وصّاف، طبعة هامر، المتن ١٣٤، الترجمة ١٢٨؛ (قراءة هامر (در حدود چغاتانيان) وترجمته an der tchagataischen Grenze) خاطئة؛ طبعة بمباي، ص ٦٧: در حدود چغانيان يورت معيّن شد - الناشرون).

(٢٤٢) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ١٦٩.

(٢٤٣) (شرحه، طبعة بلوشيه ص ١٨٩؛ ووفقاً لرشيد الدين فإن براق قد عين مباركشاه المنهزم رئيساً لصياديه (مقدم بارسچيان) - الناشرون (بارس هو الفهد أو شيتا، ويستعمل في الصيد؛ والبارسچي هو الشخص المعيّن للاهتمام به والصيد بواسطته - المترجم).

بالفعل أن يجدد خطة مونكو بإرسال جيش يتقدم صوب أمودريا ويقضي على كل أمراء آل جغتاي العصاة ويؤمّن الاتصال الدائم بين قوبيلاي وهولاكو[٢٤٤].

غير أن هذه الخطة لم يكتب لها النجاح، ولعل السبب في هذا يرجع إلى أن قوبيلاي الذي كان منشغلاً بالحرب مع الصينيين لم يكن بوسعه إرسال قوات كبيرة إلى تركستان. وقد اضطر الأمير مغلطاي **Moghultay**، الذي عينه قوبيلاي حاكماً على تركستان، إلى العودة الى الصين، وعيّن براق مكانه أحد أمرائه وهو بكمش **Bekmish**. وبعث القاآن من جانبه بالأمير قويونچي **Qoyunchi** في ستة آلاف فارس ولكنه ووُجه بجيش براق المؤلف من ثلاثين ألفاً مما اضطره إلى التقهقر[٢٤٥]، وعقب ذلك انتهب براق مدينة ختن[٢٤٦]. وقد قضت هذه الأحداث تماماً على آخر أثر لسلطان القاآن بتركستان. أما المركز الآخر لسلطان المغول وهو دولة الاوردو الذهبي فقد كانت نائية بالدرجة التي لا تسمح له ببسط نفوذه عليها لأمد طويل. ولذا فقد اعتمد مستقبل السيادة المغولية بتركستان على مقدرة المضطلعين بالسلطة هناك على جمع الكلمة وتوحيد الصف، وقد حل هذه المعضلة قايدو.

استغل قايدو الأحداث التي فصّلناها ليضع يده على جميع الأنحاء إلى تلاس. ولمّا كان براق يخشى مهاجمته لما وراء النهر فقد زحف لقتاله. ووفقا لرواية رشيد الدين فإن النصر كان حليف براق في أول معركة بينهما على ضفاف سيردريا، ولم ترجح كفة قايدو إلاّ فيما بعد حينما أمده مونكو تيمور **Möngke Temür** (رأس ألوس جوچي) بخمسين ألف مقاتل؛ ويحدثنا وصاف أيضاً عن حملة قايدو ولكن من غير أن يذكر منكو تيمور البتة. ومهما يكن من شيء فإن هزيمة براق كانت ساحقة بالدرجة التي اضطر معها إلى اتخاذ اجراءات يائسة ليتمكن بها من مواصلة الحرب. فقد فكر في قسر سكان بخارا وسمرقند

---

(٢٤٤) وصاف، طبعة هامر، المتن ١٣٢، الترجمة ١٢٦؛ (طبعة بباي، ص ٦٦).

(٢٤٥) رشيد الدين، مخطوطة مكتبة لينجراد، الورقة ٢١٩، وترد فيها هذه الأسماء في الصور الآتية: قوينجي، مكميش، تكميش؛ أما في مخطوطة دورن، الورقة ٢٦٢ فترد في الصور: قوسنجي، قوينجي، بكمشي؛ (طبعة علي زاده، المتن ١٠٧ - ١٠٨؛ قوينجى، بكميش؛ راجع أيضاً ترجمة ارندس، ٧٠).

(٢٤٦) شرحه. (يقول المؤلف السرياني لسيرة حياة البطريرك النسطوري مار يابللاها الثالث (١٢٨١ - ١٣١٦) وهو أويغوري من الصين، إن البطريرك خلال رحلته من الصين الى ايران (في السبعينات من القرن الثالث عشر) مر في طريقه على ختن وكاشغر فوجدها أطلالا مهجورة؛ عن مار يابللاها راجع ترجمة شابو ٢٢ - ٢٥، وترجمة بيغوليفسكيا ٦٧ - الناشرون).

على الخروج من مدينتهم وترك أملاكهم كلها لينهبها جيشه. وقد وجّه هذا الطلب/ إلى 82ق تايغو Taighu ونوشي Nushi اللذين كانا لا يزالان حاكمين على المدينتين. واستشفع الأهالي برجال الدين فأقلع براق عن فكرته ولكنه فرض أتاوة ثقيلة على أهل الحرف وعلى « الألوف » المغولية(٢٤٧)، فاشتغل الصنّاع ليل نهار ليمدوه بالأسلحة(٢٤٨).

وبينا هذه الاستعدادات قائمة وصلت إلى براق أخبار لم يكن يتوقعها وهي أن المنتصر يعرض عليه شروطاً معتدلة. وذلك أن قايدو أراد تهدئة خاطر براق فأرسل إليه ابن عمه قيچاق(٢٤٩) Qïpchaq بن قدان Qadan يعرض عليه الصلح والتحالف. وقد استقبل براق قيچاق باحتفال مهيب بسمرقند وهو محاط بحرسه، وكبرهان على ترحيب بعضهما بالبعض فقد تبادلا كأسيهما وفقاً لتقاليد المغول. وتم الاتفاق على عقد قوريلتاي في العام التالي.

وقد تم عقد هذا القوريلتاي في ربيع عام ٦٦٧ هـ = ١٢٦٩، ويحدّد وصّاف موضع انعقاده بمفازة قطوان(٢٥٠)، بينما يجعله رشيد الدين مرج تلاس(٢٥١)؛ والموضع الأخير أكثر احتمالا. ذلك أن قايدو بوصفه المنتصر كان يفترض فيه أن يكون الداعي إلى عقد القوريلتاي بأراضيه. أمّا مفازة قطوان فيبدو أنها كانت موضع المأدبة التي أقامها براق تكريماً لقيچاق. ومن ناحية أخرى فإن من غير المحتمل أن يكون مونكو تيمور قد أخذ طرفاً في هذا القوريلتاي على الرغم من توكيد رشيد الدين لحضوره. ذلك أن من العسير التصديق بأن رأس ألوس جوچي قد وافق على أن يجشم نفسه عناء رحلة كهذه، وإن كان هذا لن يحول بالطبع دون اشتراك بعض أفراد بيت جوچي فيه بغرض الدفاع عن

(٢٤٧) وصاف، طبعة هامر، المتن ١٣٥، الترجمة ١٢٩؛ (طبعة بمباي ٦٨. ويرد لدى وصاف الألفاظ الآتية فقط: مقرّر كرد كه بر هر هزاره وكارخانه تفصيل مسمّى كنند (وأمر (أي براق) بعمل سجل لكل ألف (من الناس) ولكل مصنع). ووضع وصاف لفظ « هزاره » (الألف) الى جانب « كارخانه » (المصنع) يسوق الى الافتراض بأن الألوف انما يقصد بها العمال المرتبطين بهذه المصانع لا ألوف المغول كما ظن بارتولد، انظر ما مر من الكتاب، ص ٧٠٤، الحاشية ٢٢٥ - الناشرون).

(٢٤٨) شرحه.

(٢٤٩) (رشيد الدين، طبعة علي زاده. المتن ١٠٨؛ ترجمة ارندس ٧١؛ وصّاف، شرحه - الناشرون).

(٢٥٠) (وصّاف، طبعة هامر، المتن ١٣٧، الترجمة ١٣٠؛ طبعة بمباي ٦٩. ووفقاً لوصّاف فإن القوريلتاي انعقد بسهوب قطوان قريبا من رباط بو محمد (در دشت قتوان حوالي رباط بو محمد) - الناشرون).

(٢٥١) (رشيد الدين، طبعة علي زاده، المتن ١٠٩ - ١١٠؛ ترجمة ارندس ٧١ - ٧٢. ووفقاً لرشيد الدين فإن امراء البيت المالك اجتمعوا بمرج تلاس وكنجك (شهزادكان بمرغزار تلاس وكنجك جمع شدند) - الناشرون).

مصالح ألوسهم. وقد أولم الأمراء مدة سبعة أيام، وفي اليوم الثامن بدأت المحادثات تحت رئاسة قايدو الذي ألقى على الأمراء خطبة تتصل بالسلام. وقد طالب براق بوصفه الوريث الشرعي لجغتاي أن يُقطع له يورت يستطيع منه أن يغذي جنده، فأُقطع له ثلثا
583 ما وراء النهر وتُرك الباقي/ مناصفة بين قايدو ومونكو تيمور(٢٥٢). وإن ما اتخذ في هذا القوريلتاي من قرارات، بل وما اتسم به من طابع المحادثات نفسها ليقف دليلاً على أن جميع المشتركين فيه كانت تهيمن عليهم روح الياسا وتقاليد الرحّل.

وقد قرر امراء البيت المالك أن يعيشوا في الجبال والسهوب وألاّ يقربوا المدن أو يطلقوا قطعانهم في الحقول، وألاّ يأخذوا شيئاً من السكان بخلاف الضرائب المقرّرة. وقد تركت إدارة السكان الحضر في يد مسعود بيك(٢٥٣) على ما كانت عليه، واتُفق على أن يكتفي كل أمير من أمراء البيت المالك بما أُقطع له من «الصنّاع» و«الألوف» من بخارا وسمرقند(٢٥٤). كذلك جرى بالطريقة نفسها تحديد ييلاق (مصيف) وقيشلاق (مشتى) براق(٢٥٥). ودعا أمراء البيت بعضهم البعض «اندا»(٢٥٦) وتبادلوا الخلع و«شربوا الأنخاب»، أي تبادلوا الكؤوس على عادة الترك والمغول وبهذا أقسموا يمين الإخلاص المؤكدة لبعضهم البعض. ولا تذكر مصادرنا شيئاً عن تنصيب قايدو رأساً للأسرة أو عن إتمام مراسيم رفعه على الوبر الأبيض، أي إعلانه قاآناً. وعلى الرغم من ذلك فإنه يبدو واضحاً من روايات المؤرخين أن مركز الرئاسة في التنظيم السياسي الذي تم الاتفاق عليه في قوريلتاي عام ١٢٦٩ إنما كان لقايدو. ولكي يحال بين براق وبين دخول بخارا فقد وضع قايدو كتيبة من الجند بين المدينة ومعسكر الأمير الجغتائي. وقد اتهم قايدو فيما بعد براق بأنه لم يدفع الجزية المتفق عليها بل إنه قتل جباة ضرائبه(٢٥٧). ومن هذا يستبين

(٢٥٢) (رشيد الدين، طبعة علي زاده، المتن ١١١: دوثلث از ما وراء النهر براق را باشد وثلثى قايدو ومنككو تيمور بدانند؛ ترجمة ارندس، ص ٧٢ - الناشرون).

(٢٥٣) (شرحه، طبعة علي زاده، المتن ١١٠ - ١١١؛ ترجمة ارندس، ص ٧٢).

(٢٥٤) (وصاف، طبعة هامر، المتن ٣٨، الترجمة ٣١؛ طبعة بمباي، ص ٦٩: مقرّر شد كه هر يك از شاهزادكان بهزار هاء وكار خانهاء خاص كه در بخارا وسمرقند معهود دا شتند قناعت كند (وتقرر أن يكتفي كل أمير من أمراء البيت المالك بما يملك من الألوف والمصانع الخاصة الموجودة ببخارا وسمرقند) - الناشرون).

(٢٥٥) شرحه.

(٢٥٦) («اندا» يعني الشخص المرتبط بشخص آخر بقسم، أي الأخ في الدم»؛ راجع Doerfer, Mongolische Elemente im Neupersischen, 149-152 No 33)

(٢٥٧) رشيد الدين، طبعة علي زاده، المتن ١٣٤ - ١٣٥؛ ترجمة ارندس، ٨٥ - ٨٦.

أن قايدو جعل من حقه جباية الضرائب في أملاك جميع من اشتركوا في القوريلتاي. وقد توطد سلطان سيد آسيا الوسطى الجديد أكثر من ذلك بعد موت براق عندما أقسم له جيش براق يمين الطاعة مباشرة(٢٥٨)، وكذلك عندما عيّن أولاده ولاة في المناطق المتاخمة لأملاك الأسر المالكة الثلاث التي ناصبته العداء(٢٥٩) (آل جوچي وآل هولاكو وأباطرة الصين)(٢٦٠)./.غير أن هذه الأحداث ترتبط بفترة تالية من تاريخ هذه الدولة المغولية التي 584 غلبت على آسيا الوسطى والتي حاولنا أن نتتبع الخطوات الأولى في تاريخ نشأتها. وخلافاً لما كانت عليه دولتا المغول في كل من الصين وايران، فإن الدولة الچغتائية لم تستند على حضارة شعب عريق متجانس، كما وأنها قد مزقتها الحروب الداخلية؛ ورغماً من ذلك فإنها لم تحتفظ بمكانتها بين الدول الچنكيزية الأخرى فحسب بل وأخرجت فيما بعد شخصاً أخضع لسلطانه أملاك آل جوچي وآل هولاكو على السواء وأقام آخر مملكة قوية في آسيا الوسطى (٢٦١).

ويحدونا الأمل في أن ما عرضناه من تفاصيل سيمكن القارىء من تكوين فكرة تامة الوضوح عن العناصر الحضارية، ايرانية إسلامية كانت أم صينية أويغورية، التي ساهمت في تكوين دولة الچغتائيين، وكذلك عن أخلاق المغول أنفسهم وتقاليدهم الرعوية. أما تتبع تاريخ مملكة الچغتائيين وقيام امبراطورية تيمور والتيموريين، الذين بلغت على عهدهم آسيا الوسطى قمة تطورها الحضاري - أقول إن هذه مهمة تتطلب مصنفاً مستقلاً يتمم مصنفنا هذا. **ولن نخفي على أنفسنا ما يحيط بعمل كهذا من صعوبات كبرى سببها هو** افتقادنا التام لروايات المعاصرين، وأولئك، الذين عاشوا أحداث آسيا الوسطى مدى الفترة المتدة ما بين وفاة جويني وشاهرخ. على أن الأمل معقود في أن تظهر بمرور الزمان إلى حيز الوجود بقايا من مصنفات كانت موجودة بالفعل في أدب ذلك العصر، يكون من شأنها أن تعين على فهم فترة من أحلك ما عرفه تاريخ آسيا الوسطى، ولكنها لربما كانت في ذات الوقت أشد إمتاعاً وأكثر أهمية من غيرها من الفترات.

★ ★ ★ ★

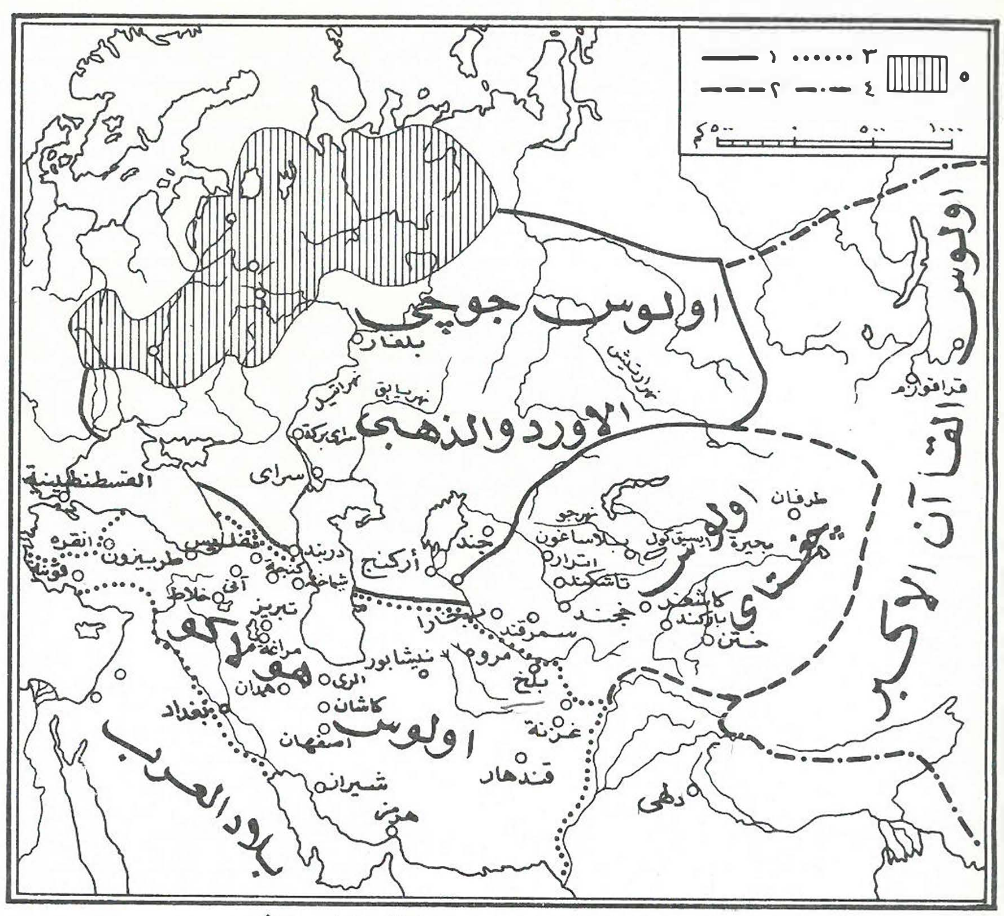
---

(٢٥٨) شرحه، المتن ١٣٧ - ١٣٨؛ ترجمة ارندس، ٨٧؛ D'Ohsson, Histoire des Mongols, T. III, P. 452

(٢٥٩) رشيد الدين، طبعة بلوشيه، ص ٩ - ١٣.

(٢٦٠) (أي قا آنات المغول الكبار الذين شغلوا عرش اباطرة الصين الى عام ١٣٦٨ (أي سلالة قوبيلاي خان الذين عرفوا في الصين باسم اسرة اليوان) - الناشرون).

(٢٦١) (من الجلي أن المستشرق الكبير إنما يعني بهذه الألفاظ تيمورلنك - المترجم).



امبراطورية المغول في القرن الثالث عشر

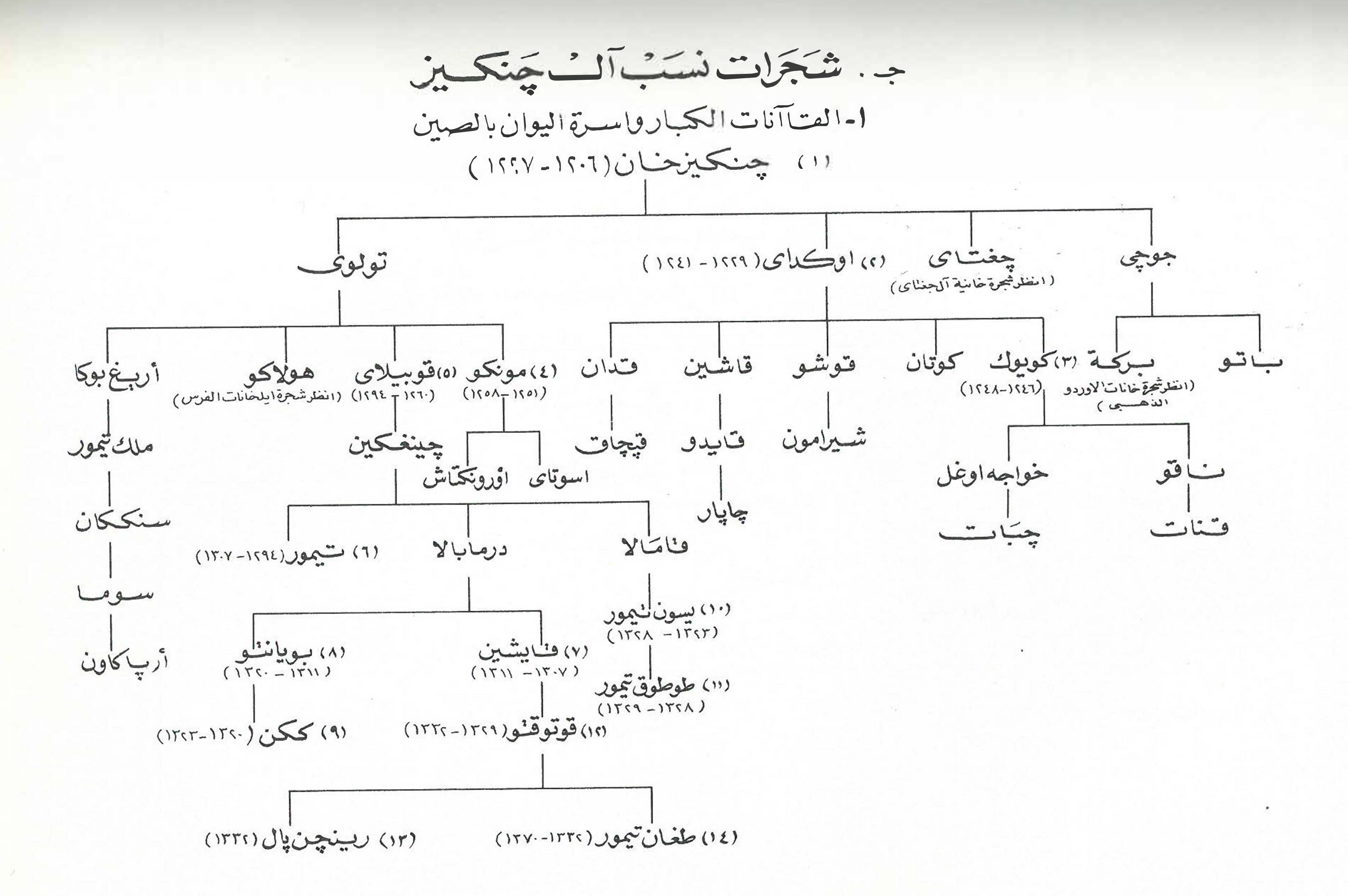
١ - أولوس جوچي الاورد والذهبي
٣ - أولوس هولاكو (ايلخانات الفرس)

٢ - أولوس جغتاي.
٤ - أولوس القاآن الأكبر

٥ - الإمارات الروسية الخاضعة للأورد والذهبي

ج. شجرات نسب آل چنكيز

١- القاآنات الكبار واسرة اليوان بالصين



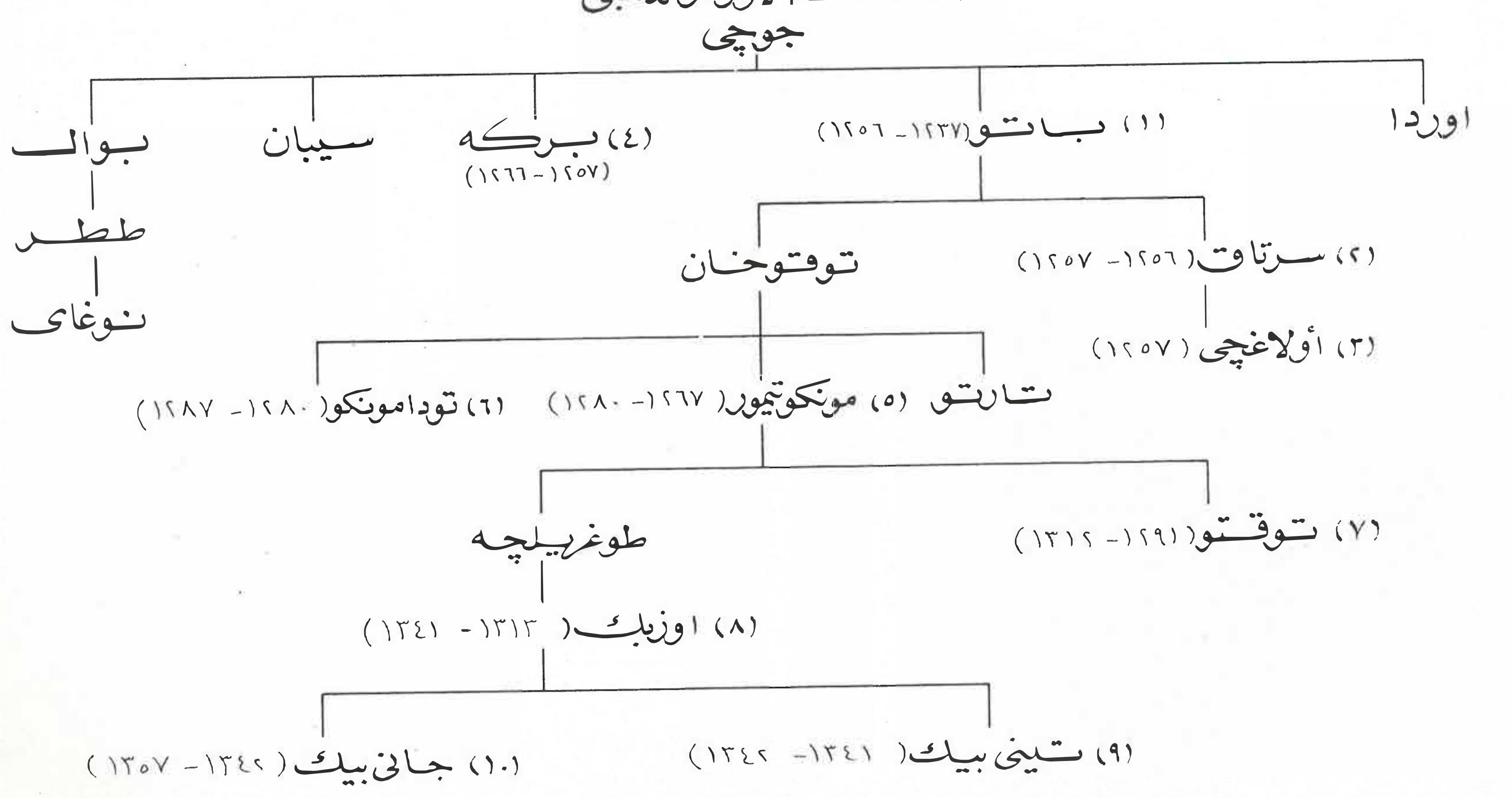
ج . شجرات نسب آل چنكيز

٢ - ايلخانات الفرس

- (١) هولاكو (١٢٥٦ - ١٢٥٦)
  - (٢) آباقا (١٢٥٦ - ١٢٨١)
    - (٤) أرغون (١٢٨٤ - ١٢٩١)
      - (٧) غازان (١٢٩٥ - ١٣٠٤)
      - (٨) اولجايتو (١٣٠٤ - ١٣١٦)
        - (٩) ابو سعيد (١٣١٦ - ١٣٣٥)
        - ساتى بيك
    - (٥) كيخاتو (١٢٩١ - ١٢٩٥)
      - آلافرنغ
        - جهان تيمور
  - يشموت
    - سوكه
      - يوسف شاه
        - سليمان
  - ترغاى
    - (٦) بايدو (١٢٩٥)
  - (٣) تكودار (١٢٨١ - ١٢٨٤)

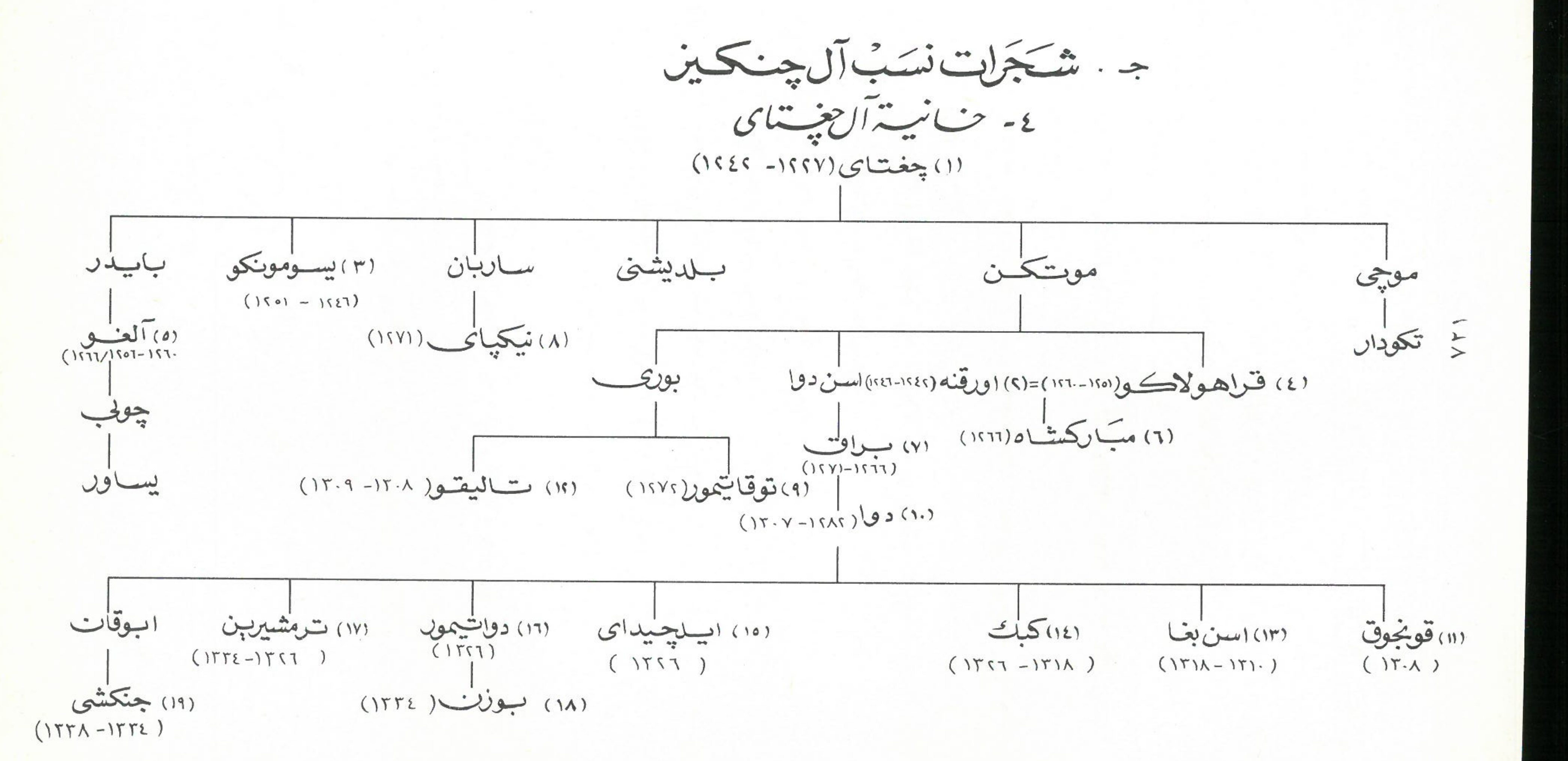
ج. شجرات نسب آل چنكيز

٣ - خانات الاوردو الذهبى



ج. شجرات نسب آل چنگیز

٤- خانیهٔ آل جغتای



موجز لأحداث تاريخ تركستان مرتبة على السنين

٦٨١-٦٨٣ : ولاية سلم بن زياد علي خراسان؛ العرب يمضون الشتاء لأول مرة بما وراء النهر.

٦٨٣ : الحرب الأهلية بين العرب بخراسان؛ سيطرة عبد الله بن خازم زعيم القيسيين.

٦٨٩ : أول غارة للترك الشرقيين على ما وراء النهر.

٦٨٩-٧٠٤ : استيلاء موسى بن عبد الله بن خازم على ترمذ.

٦٩١-٦٩٢ : استعادة الأمويين سيادتهم على خراسان.

٧٠١ : ثاني غارة للترك الشرقيين.

٧٠٥(٧٠٤)-٧١٥ : قتيبة بن مسلم والياً على خراسان.

٧٠٥ : فتح العرب لوادي سرخان.

٧١١ : محمد بن القاسم يغزو الهند؛ غزو الترك الشرقيين للقسم الغربي من آسيا الوسطى.

٧١٢ : فتح العرب لخوارزم والصغانيان، احتلال الترك الشرقيين لسمرقند.

٧١٣ : انسحاب الترك الشرقيين من بلاد الصغد؛ حملة قتيبة على الشاش وفرغانة؛ بناء أول مسجد ببخارا.

٧١٦-٧٣٧(٧٣٨) : صولو خاناً للترك الغربيين («ابو مزاحم»).

٧١٧-٧٢٠ : خلافة عمر بن عبد العزيز؛ الاهتمام بأعمال الورع والتقوى؛ بداية الحركة الشيعية بخراسان.

٧٢٠-٧٢١/٧٢٢ : ولاية سعيد بن عبد العزير على خراسان؛ استعماله اللين في حكمه؛

ارتفاع شأن الدهاقنة.

٧٢٢/٧٢١	: ولاية سعيد بن **عمرو** الحرشي على خراسان؛ هجرة اهل الصغد إلى فرغانة.
٧٢٤	: معركة البروقان بين القبائل العربية الشمالية والقبائل العربية الجنوبية.
٧٢٥	: إعادة بناء مدينة بلخ.
٧٢٩-٧٢٧	: ولاية أشرس ين عبد الله السلمي على خراسان؛ تشييد الرباطات.
٧٢٨	: انتشار الدعوة الإسلامية ببلاد الصغد؛ غدر الوالي وانتفاض الأهالي عليه.
586 ٧٢٩	: إستعادة العرب لبخارا.
٧٣٠(٧٣١)	: صراع الوالي الجنيد بن عبد الرحمن مع الترك وأهل الصغد.
٧٣٣	: إندلاع المجاعة بخراسان
٧٣٤	: ثورة الحارث بن سريج.
٧٣٨-٧٣٥	: ولاية أسد بن عبد الله على خراسان.
٧٣٥(٧٣٦)	: زحف أسد على ورغسر.
٧٣٦	: نقله العاصمة لوقت ما إلى بلخ.
٧٣٧	: الصراع مع الترك بطخارستان؛ مقتل خاقان الترك.
٧٤٨-٧٣٨	: نصر بن سيار والياً على خراسان.
٧٣٩	: معاهدات نصر مع امراء اسروشنه والشاش وفرغانه.
٧٣٩(٧٤٠)	: مقتل كورصول؛ سقوط دولة الترك الغربيين نهائياً.
٧٤١	: عودة المهاجرين الصغد إلى وطنهم.
٧٤٢	: بناء المسجد الجامع ببلخ.
٧٤٣	: ثورة العلويين بخراسان؛ مقتل يحي بن زيد.
٧٤٤	: ثورة اليمنية بخراسان.
٧٤٥	: الحارث بن سريج يعود إلى مرو ويرفع راية الثورة من جديد.

٧٤٦ : مصرع الحارث.

٧٤٧ : وصول أبي مسلم إلى خراسان.

٧٤٨-٧٥٥ : سيادة أبي مسلم على خراسان.

٧٤٨ : تخريب الصينيين لسوياب.

٧٥٠/٧٥١ : ثورة أهالي بخارا.

٧٥١ : انتصار العرب على الصينيين عند طراز.

٧٥٢ : سفارة أمير اسروشنه الى الصين.

٧٥٢/٧٥٣ : ثورة الواليين سباع بن النعمان وزياد بن صالح بما وراء النهر. بناء أبواب سمرقند وأبراجها.

٧٥٥ - ٧٥٧ : أبو داود خالد بن ابراهيم والياً على خراسان.

٧٥٧ - ٧٥٩ : ولاية عبد الجبار بن عبد الرحمن على خراسان.

٧٥٧ - ٧٥٨ : إعدام والي بخارا مجاشع بن حريث الأنصاري.

٧٥٩ : ثورة عبد الجبار وبراز.

٧٦٦ : احتلال القارلوق لسوياب.

٧٦٧ : ثورة أشناس ببادغيس.

٧٧٦ (؟) : بناء الأسوار إلى الشمال من نهر چيرچيق.

٧٧٧ (؟) : ثورة يوسف البرم ببخارا.

٧٨٠ - ٧٨٣ (٧٨٢) : ولاية المسيب بن زهير على خراسان؛ إخماد ثورة المقنع؛ ضرب الدراهم المسيبية.

٧٨٣ (٧٨٢) - ٧٨٧ : ولاية ابي العباس الفضل بن سليمان الطوسي على خراسان؛ بناء السور الطويل حول بخارا ونواحيها.

٧٩٢ - ٧٩٣ : ولاية غطريف بن عطا الكندي على خراسان؛ طرد القارلوق من فرغانه؛ ضرب الدراهم الغطريفية.

٧٩٤ - ٧٩٥ : الفضل بن يحي البرمكي والياً على خراسان؛ إخضاع اسروشنه؛/بناء مسجد جامع جديد ببخارا. اتخاذ الفضل جيشاً غفيراً من العجم اطلق عليهم اسم «العباسية». 587

٧٩٦-٨٠٦/٨٠٧(٨٠٨) : علي بن عيسى بن ماهان والياً على خراسان.

٨٠٦ - ٨١٠	: ثورة رافع بن الليث بسمرقند .
٨٠٩	: انصراف الترك عن رافع .
٨٠٩ - ٨١٨	: المأمون بخراسان .
٨١١	: الحرب بين المأمون والأمين ؛ حملة طاهر بن الحسين .
٨١٦/٨١٧	: المجاعة بخراسان .
٨١٩ - ٨٢١	: ولاية غسان بن عباد على خراسان ؛ تعيين نوح بن اسد الساماني حاكماً لسمرقند .
٨٢٠/٨٢١	: دخول الطغزغز أسروشنه .
٨٢١	: ثورة « المطّوعة » بخراسان .
٨٢١ - ٨٢٢	: ولاية طاهر بن الحسين .
٨٢٢ - ٨٢٨	: ولاية طلحة بن طاهر .
٨٢٢	: حملة أحمد بن أبي خالد على اسروشنه .
٨٢٨ - ٨٣٠	: ولاية علي بن طاهر .
٨٣٠ - ٨٤٤	: ولاية عبد الله بن طاهر .
٨٣٠	: إتمام بناء السور الطويل حول بخارا .
٨٣٢	: وفاة الإمام أبي حفص البخاري .
٨٣٩	: وقوع الزلزال بفرغانه .
٨٤٠	: فتح السامانيين لاسفيجاب .
٨٤١	: إعدام الأفشين .
٨٤٢ - ٨٦٤	: أحمد بن أسد بما وراء النهر .
٨٤٤ - ٨٦٢	: ولاية طاهر بن عبد الله .
٨٤٨ - ٨٧٠	: داود بن عباس ببلخ .
٨٤٩/٨٥٠	: بناء أسوار مدينة بخارا .
٨٥١ - ٨٦٧	: محمد بن عبد الله بن طاهر حاكماً لبغداد .
٨٥٥	: وفاة يحي بن أسد .
٨٥٦/٨٥٧	: وفاة الياس بن أسد بهرات .
٨٥٩	: مصرع آلاف من الاهالي برستاق الشاوذار .
٨٦١ - ٨٧٩	: سيطرة يعقوب بن الليث الصفّار على سجستان .

٨٦٢ - ٨٧٣	: ولاية محمد بن طاهر .
٨٦٤ - ٨٩٢	: نصر بن أحمد بن أسد بما وراء النهر .
٨٦٤ - ٨٨٤	: سيادة الحسن بن زيد بطبرستان (على فترات متقطعة)
٨٦٧ - (٨٧١)	: استيلاء يعقوب على هرات وبوشنج .
٨٦٩	: فتح يعقوب لكرمان وفارس . وفاة محمد بن علي الترمذي .
٨٧٠	: فتح يعقوب لبلخ وكابل وغزنة .
٨٧١	: تثبيت يعقوب والياً على بلخ وطخارستان .
٨٧٣	: إخضاع يعقوب لخراسان .
٨٧٤	: اسماعيل بن أحمد ببخارا . الحسين بن طاهر الطائي بمروالروذ 588 عهد الخليفة ضد يعقوب .
٨٧٦	: هزيمة يعقوب عند دير العاقول .
٨٧٧	: الحسين بن طاهر يستولي على مرو .
٨٧٩ - ٩٠٠	: عمرو بن الليث الصفّار .
٨٨٢	: استيلاء رافع بن هرثمة على نيشابور .
٨٨٥	: لعن الخليفة لعمرو بن الليث .
٨٨٨	: المعركة بين نصر وأخيه اسماعيل .
٨٨٩	: عهد الخليفة لعمرو بن الليث .
٨٩٠	: عزل الخليفة لعمرو بن الليث .
٨٩٢	: تثبيت عمرو بن الليث والياً على خراسان .
٨٩٢ - ٩٠٧	: سيادة اسماعيل بن أحمد على بلاد ما وراء النهر .
٨٩٣	: عهد الخليفة لاسماعيل . فتح اسماعيل لاسروشنه وطراز .
٨٩٨	: تولية عمرو بن الليث على بلاد ما وراء النهر وعزل اسماعيل .
٨٩٩ - ٩٠٠	: الحرب بين عمرو بن الليث واسماعيل .
٩٠١	: تثبيت اسماعيل والياً على خراسان .
٩٠٢	: توسيع مسجد بخارا الجامع .
٩٠٤	: غارة الترك على ما وراء النهر .
٩٠٧ - ٩١٤	: أحمد بن اسماعيل .
٩١٣/٩١٤	: غلبة الحسن بن على الأطروش على طبرستان .

٩١٤ - ٩٤٣	: نصر بن أحمد بن اسماعيل.
٩١٤	: إخماد ثورة اسحق بن أحمد.
٩١٨	: إخماد ثورة الحسين بن على المروزي
٩١٨/٩١٩	: بناء منارة جديدة بمسجد بخارا.
٩١٨/٩١٩-٩٢٠/٩٢١	: ميكائيل بن جعفر بسمرقند.
٩١٩	: إخماد ثورة احمد بن سهل.
٩٢٢	: إخماد ثورة الياس بن اسحق بفرغانه.
٩٢٩	: حريق ببخارا.
٩٣٠ (؟)	: ثورة إخوة نصر.
٩٣٧	: الحريق الكبير ببخارا.
٩٣٨	: وزارة أبي على الجيهاني.
٩٤٠	: وفاة الوزير السابق أبي الفضل البلعمي.
٩٤١/٩٤٢	: وفاة الوزير أبي على الجيهاني.
٩٤٢	: استيلاء الترك الوثنيين على بلاساغون. حركة الشيعة بما وراء النهر. اعتزال نصر الحكم.
٩٤٣ - ٩٥٤	: نوح بن نصر.
٩٤٤	: ثورة بخوارزم.
٩٤٥	: ثورة أبي على چغاني.
٩٤٦	: مصرع أحمد بن حمويه والوزير السلمي («الحاكم الشهيد»)
589 ٩٤٧	: دخول ابراهيم بن أحمد وأبي على چغاني بخارا. رجوع نصر؛ سمل اعين الأمراء الثائرين؛ هزيمة أبي علي.
٩٤٨	: وفاة ابراهيم بن سيمجور؛ تعيين منصور بن قراتكين والياً على خراسان. مصالحة الحكومة مع أبي على وحلفائه.
٩٥١	: وفاة منصور بن قراتكين.
٩٥١ / ٩٥٢	: تشييد بناء جديد لمسجد بخارا.
٩٥٢	: تعيين أبي على چغاني والياً على خراسان.
٩٥٤ - ٩٦١	: عبد الملك بن نوح.
٩٥٤	: ولاية بكر بن ملك الفرغاني على خراسان. وزارة أبي منصور محمد بن عزير.

٩٥٥	: وفاة أبي على چغاني . وفاة ستوق بغراخان (؟).
٩٥٦	: مصرع بكر بن ملك .
٩٥٧	: ولاية أبي الحسن سيمجوري على خراسان .
٩٥٩	: وزارة أبي منصور يوسف بن اسحق .
٩٦٠	: ولاية أبي منصور محمد بن عبد الرزّاق على خراسان . اعتناق ترك يدي صو الإسلام .
٩٦١	: وزارة أبي على البلعمي . ولاية البتكين على خراسان .
٩٦١ - ٩٧٦	: منصور بن نوح بن نصر .
٩٦١	: نهب دار الإمارة ببخارا وإحراقها .
٩٦٢	: حريق جديد بالقصر . البتكين بغزنة . ثورة ابي منصور محمد ابن عبد الرزاق بخراسان . تعيين أبي الحسن سيمجوري والياً على خراسان .
٩٦٣	: وفاة البتكين ؛ اسحق بن البتكين بغزنة .
٩٦٤	: هرب اسحق بن البتكين إلى بخارا .
٩٦٥	: عودة اسحق بن البتكين إلى غزنة .
٩٧١	: تخصيص موضع جديد لصلاة العيد ببخارا .
٩٧٤	: وفاة الوزير أبي على البلعمي والوزير يوسف بن اسحق .
٩٧٥/٩٧٦	: وزارة أبي عبد الله أحمد الجيهاني .
٩٧٦ - ٩٩٧	: نوح بن منصور .
٩٧٧ - ٩٩٧	: سبككين بغزنة .
٩٧٧	: وزارة أبي الحسين العتبي .
٩٨٢	: عزل أبي الحسن سيمجوري ؛ ولاية تاش على خراسان . انتصار البويهيين على جيوش السامانيين بجرجان . اغتيال الوزير العتبي .
٩٨٥	: السلاجقة بنواحي بخارا .
٩٨٦	: وزارة عبد الله بن محمد بن عزير
٩٨٧	: انتصار أبي الحسن وفايق على تاش .
٩٨٩	: وفاة أبي الحسن سيمجوري .

٩٩٠	: تثبيت أبي على سيمجوري والياً على خراسان .
٩٩٢	: احتلال بغراخان لبخارا ؛ إنسحابه منها ورجوع نوح إليها . وفاة بغراخان . وزارة عبد الله بن عزير .
590 ٩٩٤	: انتصار نوح وسبكتكين على أبي على وفايق .
٩٩٥	: انتصار أبي على وفايق على محمود . هزيمتها قرب طوس . ذهاب فايق إلى تركستان وأبي على إلى خوارزم وبخارا . سقوط دولة شاهات خوارزم الأولى .
٩٩٦	:القراخانيون وسبكتكين بما وراء النهر ؛الإتفاق بين الطرفين . خلع الوزير عبد الله بن عزير وتعيين أبي نصر أحمد بن محمد في منصب الوزارة . وفاة أبي على .
٩٩٧	: وفاة الوزير أبي نصر ؛ تعيين أبي المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي في منصب الوزارة . وفاة خوارزمشاه المأمون بن محمد ؛ اعتلاء ابنه على بن المأمون العرش .
٩٩٧ - ٩٩٩	: منصور بن نوح بن منصور .
٩٩٧ - ٩٩٨	: اسماعيل بن سبكتكين بغزنة .
٩٩٨ - ١٠٣٠	: محمود بن سبكتكين بغزنة .
٩٩٨	: انتصار بكتوزون على أبي القاسم سيمجوري . هرب الوزير البرغشي . وفاة ارسلان خان علي .
٩٩٩	:عبد الملك بن نوح بن منصور . انتصار محمود واعتلاؤه العرش . وفاة فايق . احتلال القراخانيين لبخارا .
١٠٠٠	: رجوع اسماعيل المنتصر إلى بخارا .
١٠٠١	: ارسال **محمود** بسفارة الى الايلك نصر بأوزكند .
١٠٠٣	: عودة المنتصر للمرة الثانية إلى ما وراء النهر ؛ انتصاره عند سمرقند ، انسحابه .
١٠٠٤	: فشل المنتصر في محاولته على نسا وابيورد ؛ انتصاراته عند دبوسيه وبورنمذ ، انهزامه في مفازة الجوع . محاولات له أخرى فاشلة بمنطقة بخارا .
١٠٠٥	: مصرع المنتصر .

١٠٠٦	: غارة القراخانيين على خراسان .
١٠٠٨/١٠٠٧	: غارة جديدة للقراخانيين على خراسان .
١٠٠٨	: هزيمة القراخانيين عند قنطرة شرخيان .
١٠١١/١٠١٠	: القحط بخراسان .
١٠١٢/١٠١١	: مصالحة الايلك نصر مع طغان خان حاكم كاشغر ؛ سفارتهما إلى محمود .
١٠١٣/١٠١٢ (؟)	: وفاة الايلك نصر ؛ الايلك احمد بن علي ؛ محمد بن علي (ارسلان خان) ببخارا .
١٠١٤/١٠١٣	: وفاة الوزير ابي العباس الفضل بن احمد الاسفرايني ؛ قدر خان يوسف بياركند .
١٠١٤	: اقتراح الوزير الميمندي على خوارزمشاه المامون بن المامون أن يدخل اسم السلطان في الخطبة .
١٠١٥/١٠١٤	: قدر خان يوسف بكاشغر .
١٠١٦/١٠١٥	: زواج خورازمشاه المامون من أخت محمود .
١٠١٦	: الخصومات الداخلية بين القراخانيين ؛ وساطة خوارزمشاه لمصالحتهم .
١٠١٧/١٠١٦ (؟)	: وفاة الايلك احمد بن علي .
١٠١٧	: مقتل خوارزمشاه المامون ؛ اخضاع محمود لخوارزم ؛ تعيين التونتاش شاهاً لخوارزم .
١٠١٨/١٠١٧ (١٠١٣/١٠١٢)	: هزيمة الترك الوثنيين في يدي صو . وفاة طغان خان .
١٠٢٥/١٠٢٤	: وفاة ارسلان خان محمد بن علي .
١٠٢٥	: غزو محمود لما وراء النهر ؛ لقاء محمود مع قدر خان .
١٠٢٦	: فتح بلا ساغون على يد قدرخان ؛ طغان خان باخيكث . سفارة قياخان وبغراخان الى محمود . سفراء الخليفة القادر إلى محمود .
١٠٣٠	: اعتلاء محمد بن محمود العرش بغزنة .
١٠٤١-١٠٣٠	: سلطنة مسعود بن محمود .
١٠٣١	: سفارة مسعود إلى كاشغر ؛ سفارة الخليفة الى مسعود .
١٠٣٢	: وفاة قدرخان واعتلاء ارسلان خان سليمان العرش .

591

حملة التونتاش على بخارا ووفاته.

١٠٣٥-١٠٣٢ : حكم هارون بن التونتاش على خوارزم.

١٠٣٤ : وفاة على تكين. غارات الكميجي على الختّل والتركمان على قواذيان. ثورة هارون السلاجقة بخوارزم. عودة سفير مسعود من كاشغر؛ وصول سفراء بغراخان.

١٠٤١-١٠٣٥ : حكم اسماعيل خندان بن التونتاش بخوارزم.

السلاجقة بخراسان. غارة ابني علي تكين على الصغانيان وترمذ؛ سفارتها الى مسعود.

١٠٣٦ : سفارة جديدة من ابني علي تكين الى مسعود؛ سفارة مسعود الى ما وراء النهر.

١٠٣٧ : سفارة مسعود إلى تركستان؛ السفراء التركستانيون ببلاط مسعود.

١٠٣٨ : ثورة بوري تكين ابراهيم بن نصر بما وراء النهر. مسعود يرسل عهده بولاية خوارزم إلى شاه ملك صاحب جند.

١٠٣٩-١٠٣٨ : حملة مسعود الشتوية على الصغانيان.

١٠٣٩ : نجاح بوري تكين بما وراء النهر.

١٠٤٠ : معركة دندانقان؛ سقوط خراسان في يد السلاجقة.

١٠٤١ : اعتلاء محمد بن محمود العرش بغزنة (للمرة الثانية). فتح خوارزم على يد شاه ملك.

١٠٤٨-١٠٤١ : سلطنة مودود بن مسعود بغزنة.

١٠٤٢/١٠٤١ (؟) : ابراهيم بن نصر ببخارا.

١٠٤٣ : فتح خوارزم على يد السلاجقة.

١٠٤٥/١٠٤٤ : حركة الشيعة بما وراء النهر.

١٠٦٨-١٠٤٧/١٠٤٦ : طمغاج خان ابراهيم بن نصر بسمرقند.

١٠٥٩ : معاهدة صلح بين الغزنويين والسلاجقة.

١٠٦١ : سفارة طمغاج خان إلى بغداد.

١٠٦٤ : حملة الب ارسلان على الختل.

592 ١٠٦٥ : حملة الب ارسلان على جند وسوران.

١٠٨٠-١٠٦٨ : شمس الملك نصر بن ابراهيم بسمرقند.

١٠٦٨	: إحتراق المسجد الجامع ببخارا .
١٠٦٩	: إعادة بناء مسجد بخارا . إعدام الإمام الصفّار .
١٠٧٢	: حملة الب ارسلان على ما وراء النهر ؛ موته . شمس الملك بترمذ وبلخ .
١٠٧٣	: فشل اياز في هجومه على ترمذ .
١٠٧٤ (١٠٧٣)	: استيلاء ملكشاه على ترمذ ؛ صلحه مع شمس الملك .
١٠٧٨/١٠٧٩	: تشييد رباط ملك .
١٠٨٠-؟	: الخضر بن ابراهيم بسمرقند .
؟-١٠٩٥	: احمد بن خضر بسمرقند (على فترات متقطعة) .
١٠٨٩	: فتح ملكشاه لما وراء النهر .
١٠٩٠	: ثورة بما وراء النهر وحملة جديدة لملكشاه عليها .
١٠٩٥	: إعدام أحمد خان .
١٠٩٧	: خضوع ما وراء النهر للسلطان برقياروق . إغتيال خوارزمشاه اكنجي بن قچقار .
١٠٩٧-١١٢٧ (١١٢٨)	: خوارزمشاه قطب الدين محمد .
١٠٩٩ (؟)-١١٠٢	: قدر خان جبرئيل بما وراء النهر .
١١٠٢	: هزيمة قدرخان جبرئيل عند ترمذ .
١١٠٢-١١٣٠	: ارسلان خان محمد بن سليمان .
١١٠٣	: ثورة ساغر بك بما وراء النهر .
١١٠٩	: ثورة أخرى لساغر بك .
١١١٥/١١١٦	: وفاة الزاهد نمد پوش .
١١١٩	: بناء موضع لصلاة العيد ببخارا .
١١٢١	: بناء مسجد جامع جديد ببخارا .
١١٢٧	: اعادة بناء منارة المسجد الجامع ببخارا .
١١٢٧ (١١٢٨) -١١٥٦	: خوارزمشاه اتسز بن محمد .
١١٣٠	: فتح سمرقند على يد سنجر .
١١٣٢	: ثورة قدرخان أحمد بما وراء النهر .
١١٣٢ (؟)-١١٤١	: ركن الدين محمود بن محمد بسمرقند .

١١٣٧ : انتصار القراخطاي على محمود خان .

١١٣٨ : ثورة اتسز ؛ حملة سنجر على خوارزم . هزيمة اتسز ؛
تعيين سليمان بن محمد حاكماً على خوارزم .

١١٣٩ : رجوع اتسز الى خوارزم ؛ هرب سليمان .

١١٣٩/١١٤٠ : حملة اتسز على بخارا .

١١٤١ : خضوع اتسز لسنجر . هزيمة سنجر عند قطوان ؛
فتح ما وراء النهر على يد القراخطاي . حملة اتسز على خراسان .
غزو القراخطاي لخوارزم .

١١٤٢ : فتح اتسز لنيشابور . إستعادة سنجر لسلطانه على خوارزم .

١١٤٤ : حملة سنجر على خوارزم ؛ غارة الغز على بخارا .

593 ١١٤٧-١١٤٨ : حملة سنجر الثالثة على خوارزم .

١١٥٢ : فتح جند على يد اتسز . وفاة السلطان مسعود .

١١٥٣ : أسر الغز لسنجر .

١١٥٣-١١٥٤ : تخريب الخوارزميين لنواحي بيهق .

١١٥٦ : مقتل طمغاچ خان ابراهيم بن سليمان . حملة اتسز على خراسان .
افلات سنجر من أسر الغز .

١١٥٦-١١٦٣ : چغري خان جلال الدين علي بن حسن بسمرقند .

١١٥٦-١١٧٢ : خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز .

١١٥٧ : وفاة السلطان سنجر .

١١٥٧-١١٦٢ : ركن الدين محمود بخراسان .

١١٥٨ : حملة ايل ارسلان على ما وراء النهر .

١١٦١ : انتهاب الغز لدهستان وجرجان .

١١٦٢-١١٧٤ : مؤيد الدولة آي آبه بخراسان .

١١٦٣ : عهد السلطان السلجوقي ارسلان لمؤيد الدولة .

١١٦٣-١١٧٨/١١٧٩ : قليچ طمغاچ خان مسعود بن علي بسمرقند .

١١٦٥ : الحرب بين مؤيد الدولة وايل ارسلان .
نهب القراخطاي لبلخ واندخود . ابراهيم بن الحسين باوزكند .
إعادة بناء سور بخارا .

١١٧٢-١١٧١ (١١٧٠-١١٦٩)	: حملة القراخطاي على خوارزم.
١١٧٢	: خوارزمشاه تكش بن ايل ارسلان.
١١٧٤/١١٧٣	: استيلاء الغور على غزنة.
١١٧٤	: هزيمة مؤيد الدولة عند سبارلي.
١١٨٥-١١٧٤	: طغانشاه بنيشابور.
١١٧٦/١١٧٥	: استيلاء الغور على هرات.
١٢٠١-١١٧٩/١١٧٨	: الوغ سلطان ابراهيم بن الحسين بسمرقند.
١١٩٣-١١٨١	: سلطا نشاه بمرو وسرخس وطوس.
١١٨١	: سفارة سلطان الغور إلى خوارزم. قدوم الب قرااوران بالقپچاق إلى خوارزم.
١١٨٢	: تكش بخراسان، حصار سرخس؛ حملته على بخارا. ظفر الب قرا اوران.
١١٨٣	: انتصار سلطا نشاه على غياث الدين الغوري.
١١٨٧-١١٨٥	: سنجر شاه بنيشابور.
١١٨٧	: استيلاء تكش على نيشابور؛ ملكشاه ابن تكش والياً على نيشابور.
١١٩٢	: أول حملة لتكش على العراق.
١١٩٣	: وفاة سلطانشاه؛ ملكشاه والياً على مرو وقطب الدين محمد والياً على نيشابور.
١١٩٤	: حملة تكش على العراق؛ سقوط السلطان السلجوقي طغرل في المعركة.
١١٩٥	: حملة تكش على سغناق.
١١٩٦	: انتصار الخوارزميين على جيش الخليفة العباسي.
١١٩٧	: وفاة ملكشاه بن تكش.
١١٩٨	: حملة قطب الدين محمد والب درك في السهوب.
١١٩٩	: حملة قاير توقوخان ضد الب درك.
١٢٢٠-١٢٠٠	: خوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش.

594

١٢٠١/١٢٠٠ - (؟)١٢١٢	: « سلطان السلاطين » عثمان بن ابراهيم بسمرقند .
١٢٠٣	: استعادة الخوارزميين السيطرة على خراسان . انتصار چنكيز خان على الكرايت .
١٢٠٤	: غزو الغور لخوارزم . هزيمة شهاب الدين الغوري عند اندخود .
١٢٠٥	: غارة تاج الدين زنكي على مرو الروذ ؛ هزيمته واعدامه . استيلاء الغور على ترمذ .
١٢٠٦	: مصرع شهاب الدين الغوري . اخضاع بلخ وهرات والغور لسلطان خوارزمشاه . توحيد منغوليا على يد چنكيز خان .
١٢٠٧	: عودة خوارزمشاه إلى خوارزم . استيلاؤه على بخارا . هزيمته في معركة ضد القراخطاي . اندلاع ثورة بنيشابور وهرات .
١٢٠٨	: استعادة الخوارزميين سيطرتهم على خراسان . هرب كوچلك والنايمان إلى أراضي القراخطاي .
١٢٠٩	: سفارة من القراخطاي إلى خوارزم . حملة خوارزمشاه على القپچاق . ثورة ايدي قوت الأويغور على القراخطاي وعقده حلفاً مع المغول . ثورة كوچلك .
١٢١٠	: احتلال القراخطاي لسمرقند . فوز كوچلك ؛ إخلاء القراخطاي لسمرقند ؛ انتصار خوارزمشاه بسهل إلامش .
١٢١١	: عزل الكورخان ، انتقال السلطة إلى كوچلك . خضوع الأجزاء الشمالية من يدي صو للمغول .
١٢١٢	: ثورة سمرقند على خوارزمشاه ؛ القضاء على أسرة القراخانيين .
١٢١٣ (١٢١٤)	: خضوع تركستان الشرقية لكوچلك .
١٢١٥	: استيلاء خوارزمشاه على غزنة .
١٢١٦-١٢١٥	: حملة خوارزمشاه على القپچاق ؛ اشتباكه بالقوات المغولية . سفارة خوارزمشاه الى چنكيز خان .
١٢١٦	: مقتل الشيخ مجد الدين بغدادي .
١٢١٧	: عزل السلطان للخليفة الناصر وحذفه اسمه من خطبة الجمعة . حملة خوارزمشاه الفاشلة على بغداد .

١٢١٨ : سفارة چنكيز خان إلى خوارزمشاه . مذبحة التجار بمدينة أترار .
فتح تركستان الشرقية على يد المغول .

١٢١٩ : چنكيز خان على ضفاف ارتيش . مشروع بناء سور طويل حول مقاطعة سمرقند .

١٢٢٠ : احتلال المغول لما وراء النهر . اقتحام الوحدات العسكرية المغولية لايران . 595

١٢٢٠-١٢٣١ : خوارزمشاه جلال الدين بن محمد (على فترات) .

١٢٢١ : احتلال المغول لخوارزم وخراسان وافغانستان .
انتصار جلال الدين عند پروان وهزيمته على ضفاف السند وهربه الى الهند . تخريب المغول لغزنة .

١٢٢٢ : احتلال كشتكين لمرو ؛ غارته على بخارا . إخماد الثورة بمرو وهرات .
عودة چنكيز خان إلى سمرقند .

١٢٢٢-١٢٢٣ : تاج الدين عمر بن مسعود بمرو وابيورد وخرقان .

١٢٢٣ : تخريب المغول لمرو نهائيا . چنكيز خان بوادي چيرچيق وسهل قلان باشي ، مقابلته مع أبنائه .

١٢٢٤ : چنكيز خان على ضفاف ارتيش .

١٢٢٦ : عودة چنكيز خان إلى منغوليا .

١٢٢٧ : موت جوچي . موت چنكيز خان .

١٢٢٧-١٢٤٢ : حكم چغتاي خان على الألوس الذي يشمل ما وراء النهر ويدي صوو تركستان الشرقية .

١٢٢٩ : عقد القوريلتاي الكبير بمنغوليا واعلان اوكداي قاآناً .

١٢٢٩-١٢٤١ : اوكداي قاآن .

١٢٣٥ : عقد قوريلتاي بموضع طالان دبه . تحديد فئات الضرائب وتنظيم البريد الحكومي .

١٢٣٨ : ثورة الفلاحين وأهل الحرف تحت زعامة محمود تارابي بمنطقة بخارا .

١٢٣٩/١٢٤٠ : صفح اوكداي قاآن عن أهل بخارا الذين شاركوا في الثورة .
مغادرة محمود يلواج لما وراء النهر .

١٢٤١ (؟)-١٢٨٩ (؟) : ولاية مسعود بيك بن محمود يلواج بما وراء النهر نيابة عن القاآن .

١٢٤١-١٢٤٦ : حكم توراكينه خاتون أرملة اوكداي نيابة عن ولدها كويوك في الوس القاآن.

١٢٤٢-١٢٤٧ : حكم قرا هولاكو بن موتكن بن چغتاي بالوس چغتاي.

١٢٤٦ (اكتوبر ١٢٤٥ ؟) : انعقاد القوريلتاي الكبير بمنغوليا واعلان كويوك قاآناً.

١٢٤٦-١٢٤٨ : القاآن كويوك.

١٢٤٧-١٢٥٢ : ييسو مونكو أكبر ابناء چغتاي الموجودين على قيد الحياة يرتقي عرش الوس چغتاي.

596 ١٢٤٨ (الربيع) : موت كويوك بمنطقة بيشباليق.

١٢٤٨ (نهايتها) : سفراء ايلچيغداي إلى لويس التاسع ملك فرنسا اثناء وجوده بجزيرة قبرص.

١٢٤٨-١٢٥١ : خلو عرش القاآنية؛ وصاية أرملة كويوك قاآن المدعوة اوغل غايميش خاتون.

١٢٥٠ :عقد قوريلتاي بآلاقماق بدشت قپچاق تحت زعامة باتو (التشاور حول وراثة العرش).

١٢٥١ :عقد القوريلتاي الأكبر بقراقورم واعلان مونكو بن تولوي خان قاآناً.

١٢٥١-١٢٥٢ : القاآن مونكو.

١٢٥١-١٢٥٢ : محاكمة أمراء البيت المالك والقواد المعادين لمونكو قاآن واعدامهم. اعدام توقاشي خاتون وقد اغاچ خاتون واوغل غايميش خاتون. اعدام قداق وچينغاي.

١٢٥١-١٢٥٢ :اعادة قرا هولاكو رسمياً على عرش الوس چغتاي بأمر مونكو قاآن.

١٢٥٢ : حملة جيش القاآن على ما وراء النهر. موت قرا هولاكو. مقتل ييسو مونكو. تعيين اورقنه خاتون ارملة قرا هولاكو حاكمة على الوس چغتاي بأمر مونكو قاآن.

١٢٥٢ (ديسمبر) : محاكمة ايدي قوت الاويغور واعدامه بأُردو القاآن.

١٢٥٢ (؟) : وضع فئات جديدة للضرائب. نسخ جميع اليارليغات والپايزات التي صدرت منذ موت چنكيز خان.

١٢٥٣ (صيفا) : زيارة روبروك لاوردو سرتاق.

١٢٥٣ (نهاية ديسمبر) : وصول روبروك إلى اردو القاآن.

١٢٥٤ : استضافة اورقنه خاتون بالماليق لهولاكو خان الذي كان في طريقه إلى الغرب بالقوات المغولية تنفيذاً لأوامر مونكو قاآن.

١٢٥٥ (الخريف) : استضافة والى ما وراء النهر مسعود بيك لهولاكو خان بسهل كان كل قرب سمرقند.

١٢٥٥ : موت الخان باتو. سرتاق يصبح خاناً لألوس جوچي.

١٢٥٦ (يناير) : عبور هولاكو خان بقواته لنهر امودريا.

١٢٥٦-١٢٦٦ : بركه خاناً لألوس جوچي.

١٢٥٩ : موت مونكو قاآن.

١٢٦٠ : انتخاب قاآنيين في وقت واحد، قوبيلاي بالصين واريغ بوكا بمنغوليا. ابتداء الحرب الأهلية من أجل العرش.

١٢٦١ : انتزاع ماوراء النهر (باسم اريغ بوكا) على يد الغو بن بايدر بن چغتاي.

١٢٦٢ : اشتعال الحرب بين هولاكو خان وبركه خان. أول سفارة لسلطان مصر إلى بركه خان.

١٢٦٣ (؟) : مذبحة «الألوف» المغولية التابعة لألوس جوچي ببخارا.

597

١٢٦٢-١٢٦٤ : حرب الغو مع اريغ بوكا.

١٢٦٤ : نهاية الحرب الأهلية. خضوع اريغ بوكا لقوبيلاي قاآن. موت اورقنه خاتون.

١٢٦٤ (اكتوبر) : اعلان براق بن بيسون توقا بن موتكن بن چغتاي خاناً لألوس چغتاي بمدينة اوزكند.

١٢٦٥-١٢٦٦ : حرب قوبيلاي قاآن مع براق. انتهاب براق لمدينة ختن. قايدو حفيد اوكداي يضع يده على منطقة يدي صو.

١٢٦٧-١٢٦٨ : الحرب بين براق وقايدو.

١٢٦٨ : صلح قايدو مع براق.

١٢٦٩ : عقد قوريلتاي بوادي تلاس. اقتسام اولوس چغتاي بين براق وقايدو ومونكو تيمور (خان الوس جوچي)

الملحقات

الملحق الأول

النقاط الرئيسية لرسالة «تركستان في فترة الغزو المغولي»

١ -في الفترة التي سبقت الفتح العربي مباشرة كانت مقاليد الأمور ببلاد ما وراء النهر في يد طبقة ملاّك الأراضي «الدهاقنة» الذين كانوا يعيشون في قصور منيعة، وكانت تتألف منهم في وقت الحرب جماعة الفرسان. وإلى جانب ارستقراطية أهل البيوتات وجدت أيضاً ارستقراطية المال التي لم يكن ممثلوها يختلفون كثيراً في أسلوب حياتهم عن الدهاقنة. وكان لفظ دهاقنة يطلق أيضاً على الحكام المحليين الذين كانوا في مقدمة النبلاء.

٢ -ولم يُوْل الأمويون (٦٦١-٧٥٠) وولاتهم كبير اهتمام لأهداف حكومية بعيدة المدى، بل شغلوا أنفسهم بالمحافظة على سلطانهم بين العرب، وبجباية الخراج من السكان المحليين، والجزية من الحكام الذين يدينون لهم بالطاعة. وكان الولاة معرّضين للتغيير من وقت لآخر، لذا فقد استغلوا مدة حكمهم القصيرة فامتلكوا الاراضي الشاسعة التي توارثتها سلالاتهم.

٣ -وعلى غير ما سار عليه الأمويون، فإن العباسيين (الذين تولوا السلطة بعد عام ٧٥٠) أرادوا أن يقيموا دولة يستطيع فيها الشعب الايراني أن يعيش على قدم المساواة مع الشعب العربي. وكان مثلهم الأعلى في هذا هو نظام دولة الساسانيين. وشيئاً فشيئاً أخذ الخلفاء يسندون إدارة الولايات الشرقية لممثلي الارستقراطية المحلية الذين ظهرت من بينهم دولتا الطاهريين والسامانيين.

٤ -ويمكن ان يطلق على عهد الطاهريين (٨٢١-٨٧٣) والسامانيين (٨٧٤-٩٩٩) عهد «الاستبداد المستنير». ولم يقم أمراء هذين البيتين بأية إصلاحات إجتماعية عميقة الجذور، ولكنهم جهدوا في إقامة سلطة متينة البنيان، وفي نشر السلام في ربوع أراضيهم وحماية الطبقات الدنيا من الظلم والاضطهاد، وتشجيع الصناعة والتجارة والثقافة.

602

٥ -أما الأفكار الديمقراطية المتطرفة والمعادية للنظام القائم فقد كانت تتمثل في فرقتي الشيعة والخوارج، /وكذلك في طائفة أهل الجهاد المعروفين باسم «المطوّعة». وبتوحيد هذه العناصر الديمقراطية المتفرقة ظهرت إلى حيّز الوجود دولة الصفاريين (٨٦٧-٩٠٣).

٦ -وقد اصطدمت أهداف السامانيين السياسية بمقاومة الدهاقنة والحرس التركي. وفي النزاع بين الارستقراطية العسكرية والعرش انحازت طبقة رجال الدين إلى جانب العسكريين. وكان مما سهّل على الأتراك غزو بلاد ما وراء النهر هو عداء هاتين الطبقتين للعرش.

٧ -هذا، وكان السلطان المطلق متمثلاً في سيادة الغزنويين، خاصة على عهد السلطان محمود (٩٩٨-١٠٣٠). وقد تم تقسيم السكان إلى جيش يعتمد في أغلبيته على قوميات مختلفة ويتسلم راتبه من الملك الذي كان يطالب لقاء ذلك بالولاء التام، ثم الى رعية كان الملك يحميها من العدو الخارجي لقاء دفع الضرائب دون تذمر أو اعتراض. وقد كان الشعب محروماً من كل حق في التمتع بأهداف قومية أو وطنية، بل وحتى في المشاركة في مقاومة الغزو الأجنبي.

٨ -وتحت حكم السلاجقة (١٠٣٨-١١٥٧) والقراخانيين (٩٣٢-١١٦٥) وجد الضعف طريقه إلى مبدأ وحدة السلطة، وذلك تحت تأثير مبدأ الملكية الجماعية لأفراد الأسرة السائد بين الرحّل. وكان الخانات الترك الأوائل يختلفون اختلافاً جوهرياً عن الحكام الايرانيين المطلقين (الطغاة)، وقد تركز جوهر الاختلاف بين النظامين في إلغاء المراقبة على حكام الولايات وتدهور وظيفة سيّاف البلاط. ورغماً من النوايا الطيبة لبعض الملوك فإن سيادة الرحّل كانت كارثة على الأقطار التي خضعت لهم، وذلك بسبب نظام الاقطاع الذي جلبوه معهم، وأيضاً بسبب الاقطاع العسكرية التي انتشرت بدرجة مريعة. وقد أدى هبوط قيمة الأراضي المِلْك إلى إفلاس ملاّك الأراضي افلاساً تاماً حتى لم يعد الدهاقنة يعدون كطبقة قائمة بذاتها في فترة الغزو المغولي.

٩ -وكان تحول الخانات الترك شيئاً فشيئاً إلى أمراء ايرانيين ذوي سلطة مطلقة هو السبب في خروج قبائلهم عليهم، وأدّى هذا بدوره إلى ازدياد حدة الخصومة بين العرش والطبقة العسكرية، كذلك أخذ رجال الدين على الدوام جانب الطبقة العسكرية كما كان عليه الحال من قبل. وعلى عهد القراخانيين جرّ العداء بين

السلطة الزمنية ورجال الدين إلى إعدام عدد من المشايخ أصحاب النفوذ، كما جر من ناحية أخرى إلى إعدام أحد الخانات إستناداً على حكم أصدره ضده رجال الدين.

١٠ -وكان مما أعان على ارتفاع نجم الغور (١١٤٨-١٢١٥) وشاهات خوارزم (١٠٧٧-١٢٣١) هي الظروف الطبيعية للأقطار التي ظهر سلطانهم فيها، إذ أنها تكوّن من وجهة النظر الجغرافية والقومية وحدات قائمة بذاتها. وقد فاق شاهات خوارزم منافسيهم في تمسكهم الدائب بأهدافهم، وفي مهارتهم السياسية حتى بلغوا بالتدرج مركز الصدارة في القسم الشرقي من العالم الإسلامي.

١١ -وقد جلب خوارزمشاه محمد (١٢٠٠-١٢٢٠) على نفسه عداء الطبقة العسكرية ورجال الدين من جهة، والكتل الشعبية من جهة أخرى وذلك بسبب ما اتسم به أسلوب حكمه من سوء. كذلك عمل على إضعاف مركز البيروقراطية، أي رجال الديوان، بإلغائه منصب الوزير الكبير. وبذا لم يستطع في نضاله مع اعدائه الخارجيين الاعتماد على / أي عنصر من عناصر حكومته، أو على أية طبقة من 603 طبقات الشعب.

١٢ -وكانت نواة جيش جنكيز خان تتمثل في حرسه الذي جمعه من ارستقراطية السهوب وأقام نظامه على أساس متين. ويرجع الفضل إلى جنكيز خان نفسه في تنظيمه لقواته العسكرية من ناحية، والإدارة المدنية لامبراطوريته من ناحية أخرى. أمّا مستشاروه المتمدينون، خاصة من الأويغور فإنهم لم يكونوا سوى أدوات طيّعة في يده.

١٣ -وليس هناك أساس للتشكك في صدق نوايا جنكيز خان حينما رغب في الدخول في علاقات تجارية مع دولة خوارزمشاه. ذلك أن مثل هذه الرغبة تتفق اتفاقاً تاماً مع مصالح كل من الرحّل والتجار المسلمين المقيمين ببلاط المغول. ومثل هذا التوافق في المصلحة قد انعدم تماماً بين مطامع خوارزمشاه الذي كان يحلم بفتح آسيا الشرقية والمصالح التجارية لرعاياه.

١٤ -والرواية التي تزعم بأن الخليفة العباسي الناصر كان قد بعث بسفارة إلى بلاد المغول ليست جديرة بالثقة، وبصفة عامة فإنه ليس ثمة ما يدعو إلى الافتراض بأن الصدام بين المغول والمسلمين قد أسرعت به أية مؤثرات خارجية.

١٥ - والسهولة التي استطاع بها المغول أن يضعوا يدهم على مملكة شاهات خوارزم (١٢٢١) يمكن إرجاعها إلى تدهور الأحوال الداخلية في تلك الدولة من جهة، وإلى تفوق النظام العسكري للقوات المغولية من جهة أخرى. والمقاتلون المغول الذين تم تدريبهم تدريباً صارماً لم يكونوا ليبحثوا عن فرصة التفوق الشخصي على الاقران في ساحة القتال، إنما كانوا ينفذون في دقة إرادة مليكهم أو القادة الذين عينهم. ولم يكن القادة أنفسهم سوى منفذين طائعين وقديرين لإرادة جنكيز خان الذي كان يفرد وحدات من جيشه أو يجمعها من جديد حسبما تقضي به الحاجة، والذي كان يتخذ القرارات الحاسمة لتدارك نتائج أي فشل قد يعرض لجيشه. وعلى النقيض من هذا كان قادة المسلمين، خاصة جلال الدين خوارزمشاه. فبالرغم من أنهم أتوا بالخوارق من ضروب الشجاعة في قلة من الرجال إلاّ أنهم قد عجزوا تماماً عن أن ينظموا الجيوش الكبيرة أو أن يكبحوا جماح العصبية بين أفراد جيشهم الذي كان يتألف من أمشاج من قوميات شتى.

الملحق الثاني

كلمة المؤلف أمام اللجنة قبل مناقشة الرسالة

سيداتي وسادتي!

عندما ظهر في منتصف القرن الماضي أول مصنف يعالج بالتفصيل الكلام في تاريخ آسيا الوسطى اضطر مؤلفه وهو ديغين J. Deguigne إلى أن يقف موقف الدفاع من تهمة مؤداها أنه انتقى موضوعاً لبحثه تاريخ شعوب لا تاريخ لها، وأن تاريخ الترك لا يستحق الدراسة وذلك بنفس القدر الذي لا يستحقه تاريخ النمور الضارية التي تجوب تلك البلاد. ولم يخرج رد ديغين على معارضيه عن أن البشر هم البشر في كل مكان، وان غلظة الطباع والعادات التي نشجبها بمثل هذا التحامل الشديد إنما يرتبط بها عادة أقل عدد من الرذائل وأكثر عدد من الفضائل، مثل الإخلاص والإستقامة والوفاء بالعهد، بل ولعله بوجه عام يرتبط بها عدد من الفضائل الأخرى تفوق ما عليه الحال مع حياة الرجل المتمدن. أما عن مصادر عهد ديغين فإن شروط البحث العلمي لم تكن بالدرجة من الصرامة السائدة اليوم، الأمر الذي مكّن ديغين من أن يحصر نفسه في إطار هذه الاعتبارات العامة ذات الطابع الأخلاقي من غير أن يحاول عن طريق الحجج العلمية تحديد مكانة شعوب آسيا الوسطى في تاريخ البشرية وحقها في أن تنال اهتمام ممثلي علم التاريخ. ووجهة النظر الغالبة في ذلك العهد، حين كان المؤرخ أديباً أكثر منه عالماً، هي التي تفسر موقف ديغين من مصادره. ولقد درس ديغين المصادر الشرقية دراسة عميقة في أصولها وقدم لنا تحليلاً مقارناً للمصادر الصينية والإسلامية يعد أمراً مشرفاً بالنسبة لعصره. ومن غير أن يجني هامته لهذه المجموعة أو تلك نجده يطبق على جميع مصادره مناهج العلماء الأوروبيين من أهل عصره بالطبع. وهو عند نقله لألفاظ الشخصيات التاريخية كان يرى من حقه أن يغير في أسلوب مصادره لتتفق مع مطالب الذوق الأوروبي، ولم يكن من النادر أن يدور الحديث في مصنفه على لسان المسؤولين الصينيين بل وحتى الترك بأسلوب رجال البلاط الفرنسيين من أهل القرن الماضي.

وعلى طول الفترة بين ديغين وبين مصنف المرحوم كاآن Cahun الذي ظهر منذ
605 وقت غير بعيد، لم يأخذ أحد على عاتقه أن يعرض تاريخ شعوب آسياالوسطى/ بصورة
شاملة. وقد كان اهتمام البحاثة موجهاً منذ البداية إلى تاريخ أكبر امبراطورية أقامها
الرحّل وتركت أكبر الأثر في التاريخ الأوروبي، تلك هي أمبراطورية المغول التي أسسها
جنكيز خان. ولقد بدأت دراسة تاريخ المغول من قبل ديغين. فمنذ نهاية القرن السابع
عشر كلّف الوزير الفرنسي كولبير Colbert المستشرق الفرنسي پتي دي لا كروا Pétis de
la Croix الذي كان يشغل وظيفة المترجم للغتين التركية والعربية ببلاط ملك فرنسا،
كلفه بوضع مصنف في «تاريخ جنكيز خان» يعتمد على المصادر الاسلامية، وقد نشر
هذا المصنف في عام ١٧١٠ ابن المستشرق الذي نال الشهرة بترجمته لتاريخ تيمور. وبعد
هذا بقليل، وذلك في عام ١٧٣٩، نشر الأب الجزويتي غوبيل Gaubil تحت عنوان
«تاريخ جنكيز خان» ترجمة مختصرة للتاريخ الصيني الرسمي للمغول مع تعليقات بقلم
المترجم.

ويختلف مصنفا بتي دي لا كروا وغوبيل اختلافاً جوهرياً عن مصنف ديغين. واذا ما
أمكن أن توجه إلى ديغين تهمة مؤداها أنه تحت قلمه يفقد الاسيويون سماتهم المميزة
ليصبحوا أوروبيين، فإنه ليس بمقدورنا أن نكشف إطلاقاً في آراء پتي دي لا كروا
وغوبيل أو في طريقة عرضها ما يوحي بأنها كانا على معرفة بالعلم الأوروبي لعصرهما، أو
أنهما يختلفان عن المؤرخين الشرقيين في شيء. ويصدق هذا بصورة خاصة على غوبيل
الذي حاول أن يدلل في كثير من الجدية في مقدمة كتابه على أن المنهج الصيني في تدوين
التواريخ الرسمية هو أفضل المناهج أجمع، وأنه للتأكد من صحة الوقائع فإن رأى لجنة
بحالها يعدل بل ويفوق آراء المؤرخين كأفراد، حتى وإن اتفقت آراؤهم بعضها مع البعض
في الحكم على مسألة تاريخية معينة. وينتمي غوبيل إلى تلك الفئة من المبشرين الجزويت
الذين استقروا بالصين وقطعوا كل ما يصلهم بالحضارة الأوروبية، وهو يعترف بألفاظه أنه
في خلال الأعوام الطويلة التي قضاها بالصين لم يحدث له أن قرأ كتاباً ما سوى الكتب
المدونة باللغتين الصينية والمنشورية. وكما هو معلوم فقد وُجد نفر من هذا القبيل بين
علماء الصينيات (sinologists) الروس، وأحد هؤلاء وهو الأب ياكنف بتشورين Iakinf
Bitchurin قد وضع عدداً من المؤلفات في تاريخ آسيا الوسطى ظهر أكبرها جميعاً في عام
١٨٥١ تحت عنوان «أخبار مجموعة في تاريخ الأمم التي عمرت آسيا الوسطى في غابر
الزمان «Sobranie svedenii o narodakh, obitavshikh v Srednei Azii v

«drevnie vremena». ومصنفات هؤلاء العلماء ومن سار على نهجهم تعد ذات قيمة كبرى لما حوته من مادة بكر، إلا أنها لم تأخذ على عاتقها مسؤولية تفسير تاريخ هذه الشعوب. ويجب الاعتراف بأن ما قام به علماء الصينيات في مجال تخصصهم حتى هذه اللحظة، ليقل بكثير عمّا قام به المستعربون في إيضاح تاريخ القسم الغربي من آسيا الوسطى.

ومن بين هذه الأعمال التي قام بها المستعربون يعد تاريخ المغول لدوسون C.D'Ohsson, Histoire des Mongols الذي ظهرت طبعته الأولى في عام ١٨٢٤، خطوة كبرى إلى الأمام في هذا الميدان. وقد دوّن المؤلف مصنفه معتمداً أساسا على المصادر الإسلامية / التي درسها في أصولها، وهو في هذا يختلف عن پتي دي لا كروا في أنه يفرّق 606 بين المصادر الأولى والمصنفات النقلية المتأخرة وأنه يطبق في عرضه بصفة عامة منهج النقد التاريخي. واذا ما حدث أن أصبح هذا المصنف الضخم قاصراً عن أن يرضي مطالب البحث العلمي المعاصر فإن مرد ذلك إلى أمرين، أحدهما أنه قد تم الكشف عن مصادر جديدة لم تكن معروفة لدوسون والآخر هو موقف التحامل الواضح الذي وقفه المؤلف من المغول. فعلى النقيض من الموقف الإنساني، وإن كان غير متجرد من العاطفة، الذي وقفه ديغين من فضائل الشعوب البدائية، فإن دوسون لا يرى في تاريخ المغول سوى «لوحة من الوحشية» ويعتقد أنه لا يستحق الاهتمام إلاّ بسبب ارتباطه الوثيق بتاريخ بعض الامبراطوريات، ولأن العلم به لازم لفهم الأحداث الرئيسية للقرنين الثالث عشر والرابع عشر. ومن ثم فقد حصر دوسون حديثه في الدول التي أقامها المغول بايران والصين، ولم يمس تاريخ الدول التي أقامها المغول بآسيا الوسطى وأوروبا الشرقية إلاّ بألفاظ معدودات. هذا الحصر لإطار مصنفه، إلى جانب فقدانه التعاطف مع موضوع بحثه، ذلك التعاطف الذي يستحيل بغيره فهم تاريخ شعب ما فهماً صحيحاً، قد أعجزه عن أن يقدم تحليلاً متكامل الجوانب للدور الهام الذي قام به المغول على مسرح التاريخ. وهو قد فشل أيضاً في تبيان ما أحدثه المغول من تغيير في حياة الشعبين الإيراني والصيني، لأن هذا كان يتطلب منه معالجة ظروف الحياة الاجتماعية والمعيشية لتلك الأقطار في الفترة السابقة للعصر المغولي وهو أمر لم يكن ميسوراً في زمنه.

ورغم كل العيوب التي لحقت بمصنف دوسون إلاّ أنه قد فاق بلا أدنى ريب كل ما دُوّن في تاريخ المغول من بعده. وكان من عالج الكتابة في تاريخ المغول بعد دوسون إما مستشرقون لا يتمتعون بموهبة في كتابة التاريخ مثل هامر پورغشتال J. Hammer-Purgstall واردمان Erdmann، أو مؤرخون لا علم لهم بلغات الشعوب

الشرقية وبأسلوب حياتها فأقحموا بصورة تحكمية على تاريخ الشرق مفاهيم منتزعة من دراستهم لتاريخ أوروبا. ومثال هذا «تاريخ المغول History of the Mongols» لهوورث H. Howorth الذي ظهر في عدة أجزاء، كما أنه يمكن أن نضم إلى هذا النوع من المصنفات أيضاً، ومع مزيد الأسف، مصنف كاآن Cahun الذي مات منذ عهد غير بعيد، وقد ظهر كتابه في عام ١٨٩٦ بعنوان «مدخل في تاريخ آسيا. الترك والمغول من بداية أمرهم الى عام ١٤٠٥ » Introduction à l'histoire de l'Asie. Turcs et Mongols des origines à 1405. ولمّا كان المرحوم كاآن يتمتع بموهبة أدبية فائقة فقد صنف كتاباً ممتعاً، يُقرأ وكأنه قصة. ففي مقدمته نجد تحليلاً رائعا لدور الترك والمغول، الذين فعلوا على حد لفظه كل ما يمكن أن يُفعل بحد السيف، وتشربت أنفسهم الروح العسكرية في أعلى درجاتها. أمّا فضائلهم فهي فضائل المقاتلين الحقّة: كالرجولة والطاعة والإخلاص والفطرة السليمة، وهم لم يزدروا الفنون والعلوم بل على العكس من ذلك جهدوا في استيعابها وتشربها ولكنهم لم يستطيعوا تطوير عناصر الحضارتين الايرانية والصينية ليقيموا على أساسها حضارة خاصة بهم. والمؤلف لا ينسب عجزهم هذا إلى السمات العنصرية التي تميز بها الترك، بل إلى عاداتهم التي درجوا عليها في عيشتهم لعهود طويلة في السهوب والبراري وكذلك إلى تاريخهم التالي/لذلك حين اضطروا الى صرف 607 طاقتهم في أهدافهم العسكرية حتى لم يترك لهم هذا فراغاً كافياً للاشتغال بالأعمال الحضارية السلمية. وكل هذه الاستقراءات ذات الطابع العام للمؤلف، وان امتازت بالروعة والعرض الجذاب، إلاّ أنها لا تكفّر عن العيوب الخطيرة للكتاب. فمعرفة المؤلف السطحية على ما يبدو باللغات الشرقية دفعته الى اقحام نفسه في تفسيرات وهمية وغير مقبولة للأسماء الجغرافية والقبلية وإلى ان يبني نظرياته التاريخية على أساس هذه التفسيرات الواهية. والمؤلف لا يميز البتة في عرضه بين ما يرد ذكره فعلاً في مصادره وما زاد هو شخصياً من بنات أفكاره ليكمل الرواية ويوضحها. وتشير شواهده إلى أنه أكثر معرفة بالمراجع الأوروبية الوسيطة منه بالمراجع الشرقية، زد على هذا أنه لا يبدي من الحذر ما يمنعه من إدخال المصطلحات والمفاهيم الأوروبية في عرضه للتاريخ الشرقي. أما عدد الهنات التي مردها إلى نقصان معرفته بالمصادر من جهة وإلى تعسفه في تفسيرها من جهة أخرى فهو أكبر من ذلك بكثير.

وهكذا فإنه في دراسة تاريخ آسيا الوسطى بين الدوائر العلمية الأوروبية، لا يكاد يحس البتة إلى هذه اللحظة أدنى أثر للمدرسة الجديدة للمستشرقين المؤرخين، وهي

المدرسة التي نشأت في الأربعينات من هذا القرن تحت تأثير التطور الهائل لعلم التاريخ في أوروبا. وواحد من خيرة ممثلي هذه المدرسة وهو كريمر A. von Kremer ينسب نشأة هذه المدرسة إلى ڤيل G. Weil مؤلف «تاريخ الخلفاء» Geschichte der Chalifen واشبرنجر A. Sprenger مؤلف حياة محمد ودوزي R. Dozy صاحب «عرض عام لتاريخ الاسلام Essai sur l'histoire de l'Islamisme و«تاريخ مسلمي أسبانيا». ويرى كريمر خصائص علماء المدرسة الجديدة متمثلة في محاولتهم توضيح الكيفية التي تكوّن بها شيئاً فشيئاً تاريخ الشعوب الشرقية، فلديهم نرى الشعوب الشرقية تعيش حياتها الخاصة بها من غير حاجة إلى ذلك الزي المسرحي الذي أُلبسته من قبل. وبهذا فقد تاريخ الشرق تلك الهالة المفتعلة وأخذ بدلاً من ذلك طابع الحياة الواقعية التي يعيشها غيرهم من البشر، فنجد أن الناس هم الناس في كل مكان ليس بينهم فارق وأن التباين بين حضارتي الشرق والغرب يمكن رده برمته إلى الظروف التي وجهت النشاط الذهني لشعوب الشرق إلى وجهات مغايرة. أما اللجوء الى افتراضات مسبّقة (a priori) عن فروق جوهرية بين طبيعة كل من الإنسان الشرقي والإنسان الغربي، والزعم بوجود خصائص عنصرية لا سبيل إلى ازالتها فأمر لم تعد إليه حاجة البتة. وتفسير تاريخ الشرق تفسيراً علمياً أمر لازم، وبغير ذلك فإن القوانين التي تم التوصل إليها من خلال استقراء تاريخ أوروبا وحدها تصبح لا مفر من النظر إليها كقوانين من جانب واحد لن يقدّر لها أن تبلغ الهدف النهائي لعلم التاريخ الذي يرمي إلى وضع قوانين عام تخضع لها حياة البشرية.

ويقف كل هذا دليلاً على الفارق بين المستشرقين المؤرخين للمدرسة الجديدة والسابقين عليهم في هذا الميدان. فالعالم من هذه المدرسة/وإن أفاد في عرضه لتاريخ 608 الشرق من منهج العلم الأوروبي إلاّ أنه لا يحوّل الاسيويين الى أوروبيين، كما أنه جهد في التقيد في استقراءاته بلغة المصادر الرئيسية. وهو عند توضيحه للتركيب السياسي وللظروف الاجتماعية والمعيشية يتمسك بالمصطلحات الشرقية، فلا يبلغ به التعسف حد استبدالها بمصطلحات أوروبية. ولم تعد دراسة المؤرخين الشرقيين وسيلة فقط للحصول على معلومات إضافية لأجل التاريخ الأوروبي، بل إن تاريخ الشرق أصبح فرعاً مستقلاً من فروع علم التاريخ يُستفاد من قوانينه في فهم سير تاريخ البشرية بأجمعها. واعتناق الفكرة القائلة بأن الانسان بطبيعته شبيه بأخيه الانسان في كل مكان، وبأن ظروف حياته التاريخية هي المسؤولة وحدها، بما تكوّنه من عامل الوراثة، عن أنها جعلت منه هذا الشخص أو ذاك كل هذا من شأنه أن يزيل الشعور بالازدراء والتعالي بازاء هذه

الشعوب ذات الحضارات المتواضعة. واذا ما اعتنق المؤرخ هذه الفكرة فإنها ستدفع به إلى أن يعكس في دراسته شعور العطف نحو الناس، وهو شعور لن يمنعه البتة من إلقاء الضوء على الجوانب القائمة في حياة شعب ما ولكنه من ناحية أخرى أمر لازم في كل عمل علمي مثمر.

وبفضل أمثال هذه المصنفات فقد تمّ إلقاء ضوء علمي على تاريخ القسم الغربي من العالم الاسلامي، والأقطار العربية بوجه خاص. كما أن نتائج استقراءات هؤلاء المستشرقين المؤرخين قد أُخذت بعين الاعتبار في المصنفات القريبة العهد التي تتناول تاريخ البشرية العام. أما عن تاريخ آسيا الوسطى فانه لم يتم شيء مماثل حتى هذه اللحظة. ويجب ألاّ يغيب عن البال أن تاريخ تلك الأقطار التي حدث للإسلام أن دخل فيها مع العناصر الحضارية الأخرى في صراع أشد ضراوة لا يمثل بأية حال أهمية أقل من تاريخ غيرها. وكذلك تظفر بهذه الأهمية نفسها، وذلك في سبيل توضيح سير تاريخ البشرية العام، مهمة توضيح تاريخ تلك الشعوب التي نشأت بينها تنظيمات عسكرية صارت فيما بعد أنموذجا للأقطار المتحضرة. والدوائر العلمية في العالم ترى أن المستشرقين الروس في وضع أفضل من غيرهم لسد هذا الفراغ في البحث التاريخي العام، على الأقل فيما يتصل بتاريخ تلك الاقطار التي دخلت في نطاق الامبراطورية الروسية.

والبحث التاريخي ليس بغريب على المستشرقين الروس، ولكنه كان موجهاً في المكانة الأولى إلى دراسة المصادر الشرقية المتصلة اتصالاً مباشراً بتاريخ روسيا نفسها. ولا حاجة بنا إلى أن نعدّد الدراسات المعروفة للجميع والتي خُصصت للروايات العربية عن الصقالبة والروس وتاريخ الاوردو الذهبي، على الرغم من أنه لم يُنجز في هذا المجال الأخير حتى هذه اللحظة إلاّ جزء يسير مما يجب أن يتم بالفعل. وحتى الآن أيضاً فإن ما أُنجز في مجال تاريخ الشرق لا يرقي إلى مستوى ما أنجزه الاستشراق الروسي في الأعوام الأخيرة وهو ذلك النشاط الدي يرتبط ارتباطاً لا ينفصم باسم البارون ڤكتور رومانوڤتش روزن الذي أنشأ مجلة المستشرقين الروس ZVORAO / وأسهم على صفحاتها بحماس بالغ في سبيل نشر أفكار المدرسة الجديدة للمستشرقين المؤرخين، وأقام مدرسة بحالها من البحاثة الشبان يعملون في مختلف فروع الاستشراق. ومن بين ثمار نشاط البارون روزن في مجالي التعليم والنشر هذا الكتاب المبسوط بين أيديكم الآن والذي يمثل محاولة متواضعة لتطبيق عريض لمناهج علم التاريخ الأوروبي على تاريخ آسيا الوسطى، تلك المناهج التي سبق أن طبقت من قبل على تاريخ آسيا الغربية في مؤلفات دوزي وكريمر وغيرهما. أما عن نشأة

609

فكرة هذا الكتاب وعن استوائه على قدميه فقد عرضت لذلك في المقدمة. وبلا حاجة إلى تكرار ما ورد هنالك فإنني أنتهز هذه الفرصة لأعرب مرة أخرى عن تقديري البالغ للبارون روزن الذي أدين له قبل غيره بتوجيه عملي هذا. وكذلك لغيره من أساتذتي الذين يوجد من بينهم من يناقش هذه الرسالة الآن. وأعني بشكل خاص أستاذ تاريخ الشرق الذي ترك لي المجال مفتوحاً لمباشرة نشاطي منذ الأعوام الأولى لدخولي حلبة البحث العلمي ووقف موقفاً من العطف والخير لم يحد عنه. ولعل قاريء هذا الكتاب يتفق على أنني قد أفدت فائدة كبرى من هذه الظروف المواتية لأفعل كل ما باستطاعتي فعله. ومن الجلي أن الصعوبات التي تواجه كل من يقتحم ميداناً جديداً من شأنها أن تنعكس في صفحات كتابي هذا. وقد حدثت بعض الأخطاء. إلاّ أنني فطنت إليها بنفسي وأشرت اليها في التصويبات. كما ان البروفسور نولدكه Nöldeke قد لفت نظري الى مصنف نشره فان فلوتن Van Vloten هو «مفاتيح العلوم» الذي يحوي تفاصيل قيمة عن نظام الإدارة الحكومية لدى السامانيين. والغالب على الظن أن كلمتي المناقشين الكريمين لن تخلوا من إشارات إلى أوهام أخرى، كما لن تخلو منها الطباعة. ورغماً من ذلك فإنني أسمح لنفسي أن أعرب عن اعتقادي الجازم بأنه مهما كانت عيوب عملي هذا فإن من المستطاع ردها جميعاً إمّا الى جدة الموضوع أو لزلاتي الشخصية. وليس بمجال الى خطل أو سوء توفيق في اختيار الطريق الذي ارتضيته لنفسي والذي سيؤدي بلا شك في تطوره العلمي القادم إلى نتائج لن تنحصر أهميتها في الجانب العلمي / والأكاديمي وحده 610 بل سيكون لها أثر اجتماعي كبير. ولا أعني بذلك الفائدة العملية المباشرة التي يمكن أن يجنيها الإداريون والدبلوماسيون من معرفتهم بماضي البلاد، بل أعني الأثر الاجتماعي في أهم معانيه. وكما حدث أن بيّن منذ وقت غير بعيد أحد ممثلي علمنا هذا، وذلك أيضا في كلمته التي ألقاها قبل مناقشة رسالته، فإن الشعوب الشرقية لن تعتقد في تفوقنا الحضاري ما لم تقتنع أولاً بأننا نعرفها خيراً مما تعرف هي نفسها. بل إني لأذهب أبعد من ذلك فأزيد بأنها ما لم تبصر في آثار علمائنا موقفا علمياً مخلصاً، او (الأمر الذي يستوي لدى المؤرخ) انسانياً حقاً، من ماضيها، موقفاً غريباً على الافتتان العاطفي وغريباً كذلك وبنفس القدر على جميع ألوان التحامل الباطل شعوبية كانت أم دينية أم سياسية، حتى يحكم المؤرخ على كل الظواهر من وجهة نظر حق الإنسان كإنسان لا غير. ولعل الأعمال المتواضعة للمستشرقين الروس قد تعين أكثر من غيرها من منجزات الحضارة الروسية على التقريب بطريقة سلمية بين شعوب الشرق وروسيا وعلى انبلاج فجر يوم جديد لمّا

يزل في ضمير الغيب ، يوم طاف بحلم شاعرنا الأكبر حينما تخيّل جميع شعوب روسيا مجتمعة في صعيد واحد ، بما فيهم « التنغوس الذين ما زالوا في حالة من التخلف ، وأصدقاء السهوب من القالموق »، للاحتفاء بممثل الثقافة الروسية الأول لقوله: « لأنني تغنيت بالحرية في عصري الغاشم ، واستمطرت سحائب الرحمة من أجل الضعفاء »[★]، أي من أجل خدمة المبادىء البشرية العامة.

(★) يشير الى قصيدة مشهورة لشاعر روسيا الأكبر الكسندر پوشكين. - المترجم.

الملحق الثالث

«الألقاب الصحيحة لأحد خانات بلاد ما وراء النهر»

بقلم صلاح الدين عثمان هاشم

S.O. Hashim
Les Titres Exacts d'un Khan de la Transoxiane

(وهو بحث ألقاه المترجم باللغة الفرنسية بالجمعية الآسيوية بباريس في ١٤ ديسمبر ١٩٧٣ ، ثم نشر بالتالي في مجلة الدراسات التركية Turcica، المجلد الثاني ، القسم الثاني ، ١٩٧٦ ، ص ٩ - ١٥).

TURCICA

REVUE D'ÉTUDES TURQUES

TOME VIII/2

1976

Publiée avec le concours
du Centre national de la Recherche scientifique
et de l'Université de Strasbourg

ASSOCIATION POUR LE DÉVELOPPEMENT
DES ÉTUDES TURQUES

PARIS - STRASBOURG

Son Excellence S. O. HASHIM
Ambassadeur du Soudan à Téhéran

LES TITRES EXACTS D'UN KHAN DE LA TRANSOXIANE *

Dans son opus magnum *Turkestan v epokhu mongolskogo nachestvia* (Le Turkestan à l'époque de l'invasion mongole), l'éminent orientaliste et historien russe Vassili Vladimirovich Bartold, † 1930, attire l'attention sur la pénurie de matériaux historiques qui nous sont parvenus en ce qui concerne l'époque où la Transoxiane était sous la domination des Khans turcs qui ont mis fin à la dynastie samanide. Il est vrai que cette époque fut l'une des plus obscures dans l'histoire du Turkestan.

Alors que je travaillais à une traduction arabe de l'ouvrage de Bartold, mon attention fut retenue par les titres (*alqāb*) que portait l'un de ces Khans ou Ileks. Il s'agit de Ṭamġāč Ḫan Ibrāhīm b. Naṣr (*ca.* 444-460/1052/3 - 1068). Ce Khan était connu pour sa piété et son orthodoxie. Selon Bartold il portait les titres suivants : *'Imād ad-Dawla wa Tāj al-Milla Sayf Khalifat Allah*, c.à.d. « Pilier de l'Etat et Couronne de la Communauté, Glaive du Calife d'Allah » [1]. Plus loin [2], Bartold raconte que ce Khan envoya une ambassade en 1061 à Bagdad pour se plaindre au Calife du Sultan Selǧūqīde Alp-Arslān. Le Calife ne put qu'offrir au Khan des robes d'honneur et des titres. Bartold a puisé cette histoire chez Ibn al-Athīr (mort en 630/1233) [3], où on peut trouver sur ce Khan les précisions suivantes :

* Cette étude a fait l'objet d'une communication présentée par l'auteur à la Société Asiatique de Paris le 14 décembre 1973.

[1] V. V. Bartold, *op. cit.*, tome I de ses œuvres complètes, Académie des Sciences, Moscou 1963, p. 367 = p. 304 de la traduction anglaise.

[2] *Ibid.*, p. 377 = trad. angl. p. 314.

[3] Edition Tornberg, IX, p. 212.

وكان طفغاج خان أبو المظفر ابراهيم بن نصر ايلك يلقب عماد الدولة، وكان بيده سمر قند وفرغانه، وكان أبوه زاهدا متعبدا، وهو الذى ملك سمر قند، فلماما ت ورثه ابنه طفغاج، وملك بعده، وكان طفغاج متدينا لا يأخذ مالا حتى يستفتى الفقهاء، فورد عليه أبو شجاع العلوى الواعظ، وكان زاهدا، فوعظه وقال له : انك لا تصلح للملك. فأغلق طفغاج بابه وعزم على ترك الملك، فاجتمع عليه أهل البلد، وقالوا قد أخطأ هذا، والقيام بأمورنا متعين عليه (عليك ؟). فعند ذلك فتح بابه، ومات سنة ستين وأربعمائة.

وكان السلطان ألب أرسلان قد قصد بلاده ونهبها أيام عمه طغر لبك، فلم يقابل الشر بمثله، وأرسل رسولا الى القائم بأمر الله سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة يهنئه بعوده الى مستقره، ويسأل التقدم الى ألب أرسلان بالكف عن بلاده، فأجيب الى ذلك وأرسل اليه الخلع والالقاب، ثم فلج سنة ستين.

Traduction :

Ṭafġāč Ḫan Abūl-Mużaffar Ibrāhīm ibn Naṣr Ilek portait le titre de 'Imād ad-Dawla et tenait entre ses mains Samarqand et le Ferġāna. Son Père avait été un ascète et avait consacré sa vie au culte divin; ce fut lui qui conquit Samarqand, et à sa mort son fils Ṭafġāč en hérita et règna après lui. Ṭafġāč fut un homme pieux et ne prit jamais aucun bien sans consulter au préalable les juristes. Un alide nommé Abū-Šujā', prédicateur célèbre par son ascétisme vint le trouver et le sermonna en disant: vous n'êtes guère apte à gouverner. Alors Ṭafġāč s'enferma chez lui et décida d'abandonner le pouvoir; mais les habitants de la ville vinrent à lui tous ensemble et dirent: celui-là se trompe, et gérer nos affaires est votre devoir. Alors il rouvrit sa porte. Il mourut en l'an 460.

Il arriva que le Sultan Alp-Arslān pénétra dans le royaume de Ṭafġāč et le mit au pillage, du temps de son oncle Ṭuġril Beg. Ṭafġāč ne répondit pas au mal par le mal mais envoya un messager au Calife Al-Qā'im bi-'Amr Allah, en l'an 453, le félicitant de son retour à sa résidence et le priant de demander à Alp-Arslān de cesser ses agressions contre son pays; il reçut une réponse favorable, ainsi que les robes et les titres. Quelque temps après, il fut atteint de paralysie, en l'an soixante.

Comme on vient de le voir, Ibn al-Athīr ne s'est pas donné la peine de préciser de quels titres il s'agissait. Bartold semble avoir trouvé ces derniers dans un ouvrage sur la numismatique orientale, en l'occurence le célèbre inventaire des monnaies de l'Ermitage à Leningrad par A. Markov. Ce sont les suivants : 'Izz al-'Ummah, Ka'b al-Muslimīn, Mu'ayyid al-'Adl, que Bartold traduit par : Gloire de la Communauté, Orgueil des Musulmans, Appui de la Justice.

Dans sa monographie admirable sur les Qarahanides où il s'est efforcé d'apporter de l'ordre dans l'histoire de cette dynastie, Omelian Pritsak donne presque les mêmes titres .

Il y a de bonnes raisons pour douter de l'exactitude de l'un de ces titres, à savoir : Ka'b al-Muslimīn, que Bartold traduit par « Orgueil des Musulmans » (*Gordost Musulman = Pride of the Muslims*). Or cette lecture ne me paraît pas acceptable, car le mot Ka'b كعب en arabe n'a rien à voir avec l'idée d'orgueil. Il faut donc chercher un autre mot. En me référant à l'ouvrage de grand format de Markov, je m'aperçus que le numismate russe avait noté à deux reprises كعب المسلمين [5]. J'en restai là, mais mes doutes persistaient.

C'est alors que je travaillais à réunir des extraits de textes d'historiens musulmans, et particulièrement de l'époque mongole, que je trouvai le titre exact de Tamǧāč Ḫan Ibrāhīm. Ce fut dans le dictionnaire biographique, ordonné selon les surnoms et les titres honorifiques et intitulé : (تلخيص) مجمع الآداب فى معجم الالقاب « (Talḫīs) Majma' al-ādāb fī Mu'jam al-alqāb ». Il en subsiste seulement les quatrième et cinquième volumes. L'auteur est l'historien irakien Ibn al-Fuwatī (mort en 723/1323) [6]. Le tome quatre a été publié par le savant irakien feu Muṣṭafa Jawād (Damas, 1963). A la page 650 on trouve ce passage :

عماد الدونة أبو المظفر ابراهيم بن ايلك نصر المعروف بطفغاج التركستانى.
ذكره أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن الهمذانى فى تاريخه [قال] :
حدثنى محمد بن عبد الجيل (الجليل ؟) الكاشغرى [قال] : كان أبوه

[4] Omelian Pritsak, « Die Karachaniden », *Der Islam*, XXXI/1, p. 46.

[5] A. Markov, *Inventarny Katalog Musulmanskikh Monet Imperatorskogo Ermitaga*, Saint-Pétersbourg 1896, p. 266.

[6] Cf. F. Rosenthal, article « 'Ibn al-Fuwati », *EI*[2].

يعرف بايل بك (ايليك ؟) وكان زاهدا، وكان بيده فرغانه وسمر قند، ولما مات قام مقامه ولده طفغاج. وكان متدينا لا يقتل أحدا ولا يأخذ مالا حتى يستفتى الفقهاء، وكان يرسل فى كل سنة رسولا الى القائم بأمر الله ولقب من دار الخلافة بعماد الدولة وتاج الملة، عز الامة، كهف السلمين ملك الشرق والصين طفغاج بن بغراخان سيف أمير المؤمنين. وفلج سنة ستين وأربعمائة، فجمل العمد أبو بكر شمس الملك، وكانت وفاة عماد الدولة فى شهر رمضان سنة سبعين وأربعمائة.

Traduction :

« 'Imād al-Dawla Abū al-Mużaffar Ibrāhīm ibn Ilek Nasr, connu sous le nom de Ṭafġāč le Turkestanais ».

Il est mentionné par Abū al-Hassan Moḥammad ibn Abd al-Malik ibn (sic) *al-Hamaḏānī dans ses annales, (où celui-ci dit): il m'a été raconté par Abū al-Majd Mohammad ibn 'Abd al-Jil (Jalīl ?) al-Kāšġarī (ce qui suit): Son père était connu sous le nom d'Il Bek* (à lire, peut-être, Ilek); *c'était un ascète, et il tenait entre ses mains le Ferġāna et Samarqand; à sa mort son fils Ṭafġāč lui succéda. Ṭafġāč était un homme pieux, il ne tuait personne et ne prenait aucun bien sans avoir consulté auparavant les juristes. Chaque année il envoyait un messager au Calife al-Qā'im bi-'amr Allah, et il reçut de la capitale du Califat les titres suivants: 'Imād al-Dawla wa Tāj al-Milla, 'Izz al-Umma, Kahf al-Muslimīn, Malik al-Šarq wa al-Ṣīn Ṭafġāč ibn Buġrā Ḫan Sayf Amīr al-Mu'minīn* (c.à.d. Pilier de l'Etat et Couronne de la Communauté Religieuse, Gloire de la Communauté Nationale, Asile des Musulmans, Roi de l'Est et de la Chine Ṭafġāč fils de Buġrā Ḫan, Glaive du Prince des Croyants). *Il fut atteint de paralysie en l'an 460,* فجمل العمد *Abū Bakr Šams al-Mulk; 'Imad al-Dawla décéda pendant le mois de Ramadan en l'an 470'* [7].

[7] Cet extrait de l'ouvrage d'Ibn al-Fuwatī appelle quelques remarques. Ainsi le mot ابن n'est pas nécessaire devant al-Hamaḏānī. De même عبد الجيل doit être lu à mon avis عبد الجليل. Quant à ايل بك je préfère le lire ايليك. La phrase فجمل العمد ابوبكر شمس الملك n'a pas de sens. On sait bien qu'à Ṭamġāč Ḫan succéda son fils Šams al-Mulk, qui peut bien porter la *kunya* أبوبكر. Mais on sait d'après Jamāl Qarši que sa *kunya* était أبو الحسن (cf. Bartold, *Teksty*, p. 132). Les deux mots جمل العمد demandent à être éclaircis par l'apport d'autres textes.

On peut voir ainsi que le mot exact est كهف (Kahf), ce qui veut dire : caverne, grotte, asile, et non pas كعب (Ka'b). Le titre est donc : كهف المسلمين (Kahf al-Muslimīn), qu'on peut rendre par Asile des Musulmans.

Ibn al-Fuwatī cite ceci d'après Abu-al-Hassan Mohammad ibn 'Abd al-Malik al-Hamaḏānī (mort en 521/1170), historien savant et prolifique, auteur de plusieurs ouvrages excellents, dont :

1. Al-Ḏayl 'ala Ta'rīḫ al-Ṭabarī — الذيل على تاريخ الطبرى
2. Al-Ḏayl 'ala Ta'rīḫ Abū-Šujā' — الذيل على تاريخ أبى شجاع
3. 'Unwan al-Siyar — عنوان السير
4. Ṭabaqāt al-Fuqahā' — طبقات الفقهاء

Lorsque Ibn al-Fuwatī et d'autres historiens musulmans se réfèrent aux « Annales » d'al-Hamaḏānī (تاريخه), il s'agit en général de son « Supplément aux Annales de al-Tabari ». Le premier tome de ce « Supplément » se trouve à la Bibliothèque Nationale et le manuscrit (Arabe 1469) a été publié par Albert Youssef Kan'an dans le journal المشرق *Al Machriq*, dans les années 1955 à 1958 (il fut publié ensuite en un volume, Beyrouth, 1961). Mais ce premier tome s'arrête à l'an 367 H., de sorte que la citation faite par Ibn al-Fuwatī (si elle provient effectivement du « Supplément » et non de quelque autre ouvrage de al-Hamaḏānī) a été puisée dans l'un des tomes suivants, qui sont malheureusement perdus pour nous [8].

J'ai longuement cité Ibn al-Athīr dans le dessein de montrer la similitude de son texte avec celui d'al-Hamaḏānī, ce qui peut laisser supposer que le grand compilateur musulman a eu recours dans ce cas précis à al-Hamaḏānī, entre autres, ou bien qu'ils firent tous deux usage de la même source. J'aurais aimé pouvoir me persuader que Ṭamġāč Ḫan n'était pas mort l'année même où il fut atteint de paralysie, ainsi que l'affirme Ibn al-Athīr, mais dix ans plus tard comme le montre al-Hamaḏānī. Malheureusement, la plupart des historiens s'accordent avec Ibn al-Athīr pour donner l'an 460 comme date de sa mort, ce qui nous oblige à considérer la date 470 comme une erreur du scribe.

[8] Pour al-Hamaḏānī, cf. F. Rosenthal, *History of Moslem Historiography*, 2nd revised edition, Leyde 1968, et les renvois détaillés de Muṣṭafa Jawād à la page 29 de son édition d'Ibn al-Fuwatī, où il indique les sources musulmanes pouvant fournir du matériel biographique sur al-Hamaḏānī.

Au tout dernier moment mon attention fut attirée par le titre d'un article, paru il y a quelques années dans le *Journal Asiatique* (t. CCLV, 1967) : « Deux Actes de Waqf d'un Qarahanide d'Asie Centrale », par Mohammad Khadr avec une courte introduction par Claude Cahen. Ṭamġāč Ḫan était renommé pour ses œuvres pies. Serait-il possible que les textes de ces deux documents datent de son règne même et puissent ainsi apporter quelque lumière quant à ses titres exacts ?

Dans son introduction Claude Cahen remarque : « L'histoire de l'Asie Centrale musulmane, sans être impossible à reconstituer assez largement, présente en effet cette difficulté que les sources proprement historiographiques conservées sont, par rapport à celles d'autres régions, et par rapport aux autres catégories de sources, très déficientes. Cela est tout particulièrement vrai pour la période des Qarahanides » [9]. Plus loin, Claude Cahen exprime ses regrets de ce que les savants « paraissent cependant être en général restés inconscients de tout ce que pourrait apporter à leurs recherches la littérature juridique hanéfite d'Asie Centrale, l'une des plus riches qui soit ».

Mes espoirs se réalisèrent, car les deux documents ont effectivement trait à Ṭamġāč Ḫan, et donnent même ses titres de façon plus précise. Le premier, qui est l'acte de fondation d'un hôpital, commence comme suit (p. 314) :

هذا كتاب كتب بأمر الخاقان الاجل السيد الملك المظفر المؤيد العدل عماد الدين والدولة تاج الملة عز الامة كهف المسلمين ملك الشرق والغرب طمغاج بغرا قراخان أبى اسحاق ابراهيم بن نصر سيف خليفة الله أمير المؤمنين .

et se termine de la façon suivante (p. 320) :

الخاقان الاجل السيد الملك المؤيد العدل عماد الدولة وتاج الملة عز الامة كهف المسلمين ملك الشرق والصين طمغاج بغرا قراخان ابى اسحق ابراهيم بن يوسف نصر سيف خليفة الله أمير المؤمنين .

[9] Cf. aussi O. Pritsak, Karachaniden Streitfragen 1-4 », *Oriens*, 3, 1950, p. 209 : « Unter allen türkischen islamischen Dynastien ist die der Karachaniden (anders : Ilek-Xane, bzw. Al Afrasijab) diejenige, deren Geschichte als am meisten lückenhaft, unklar und unverständlich erscheint ».

Ce document est daté du mois de *Rajab* 458, c.à.d. deux ans avant la fin de son règne.

Le deuxième document est l'acte de fondation d'une *medrasa*, et reproduit les titres du Khan de la sorte (p. 324) :

الخاقان الاجل السيد الملك المظفر المؤيد العدل عماد الدولة وتاج الملة طمغاج بغرا قراخان ابو اسحق ابراهيم بن نصر سيف خليفة الله تعالى اميرا لمؤمنين .

Ce deuxième document n'est pas daté, mais comme il ne fait pas mention du titre كهف المسلمين, force nous est de le considérer comme antérieur à l'année 1061.

Ces deux actes présentent l'intérêt supplémentaire de corriger un autre lapsus de Bartold, que Pritsak, lui, n'a pas commis. Ils confirment la lecture المؤيد العدل (si besoin est). Dans sa monographie Pritsak précise que le titre al-Mu'ayyad al-'Adl (Le Soutenu, Le Juste) était le *Haupt-Laqab der Familie* porté par de nombreux Ileks et gravé sur leurs dirhams. Le deuxième document montre que ces dirhams furent appelés par la suite mu'ayyadiyya 'adliyya (مؤيدية عدلية).

Un dernier point reste à noter. Le texte d'Ibn al-Fuwaṭī confirme la lecture « roi de l'Est et de la Chine » (ملك الشرق والصين) et infirme la lecture « roi de l'Est et de l'Ouest » (ملك الشرق والغرب) qui doit être un *lapsus calami* du scribe. Autre chose appelle un commentaire. Les deux documents donnent comme *kunya* de Ṭamġāč Ḫan ابو اسحاق, ce qui convient parfaitement avec Ibrāhīm, de même que l'on appelle Dawud ابو سليمان et Yaqub ابو يوسف. Mais les deux textes historiques donnent comme *kunya* de Ṭamġāč Ḫan ابو المظفر. Cette *kunya* était très répandue parmi les Ileks de la Transoxiane; en sorte que, lorsque Ṭamġāč Ḫan préfère être appelé ابو اسحق il ne voulut pas renoncer à ابو المظفر. Mais on ne peut porter deux *kunya* à la fois, et c'est pourquoi la particule ابو dut tomber devant al-Muẓaffar, qui signifie « le Triomphant », titre que tout prince souhaiterait porter.

Il ressort de tout cela que Ṭamġāč Ḫan Ibrāhīm b. Nasr portait à la fin de son règne les noms et titres suivants (dans l'ordre) :

الخاقان الأجل السيد الملك المظفر المؤيد العدل عماد الدين والدولة تاج الملة عز الامة كهف المسلمين ملك الشرق والصين طمغاج بغرا قراخان أبو اسحاق ابراهيم بن نصر سيف خليفة الله أمير المؤمنين .

S.O.H.

الملحق الرابع

مقال المستشرق الفرنسي پول پليو **Paul Pelliot**

بعنوان **Notes sur le «Turkestan» de M.W. Barthold**

١٩٣٠

T'OUNG PAO

通報

OU

ARCHIVES

CONCERNANT L'HISTOIRE, LES LANGUES,
LA GÉOGRAPHIE, L'ETHNOGRAPHIE ET LES ARTS
DE
L'ASIE ORIENTALE

Revue dirigée par

Paul PELLIOT
Membre de l'Institut
Professeur au Collège de France.

VOL. XXVII.

LIBRAIRIE ET IMPRIMERIE
CI-DEVANT
E. J. BRILL S. A.
LEIDE — 1930.

NOTES SUR LE "TURKESTAN" DE M. W. BARTHOLD

PAR

PAUL PELLIOT.

[W. Barthold, *Turkestan down to the Mongol invasion*, seconde édition traduite de l'original russe et révisée par l'auteur avec l'assistance de H. A. R. Gibb, édition du "E. J. W. Gibb Memorial", publiée par Luzac and Co., Londres, 1928, in-8, xx + 514 pages, avec 1 carte.]

Le bel ouvrage de M. W. Barthold (V. Bartol'd), *Turkestan v ěpokhu Mongol'skago našestva*, paru à Saint-Pétersbourg en 1900, était depuis longtemps introuvable; en outre, écrit en russe, il restait fermé à beaucoup de savants occidentaux. On doit féliciter Sir E. Denison Ross et les *trustees* du Gibb Memorial à qui nous devons une traduction anglaise complètement mise à jour par l'auteur; seules, les 200 pages de textes orientaux qui faisaient le premier volume de l'édition russe de 1900 ont été laissées de côté cette fois.

J'ai relu avec un vif plaisir ce livre d'information si riche; il tient beaucoup plus que ce qu'annonce le titre, d'abord à raison de la bibliographie critique des sources qui occupe les pp. 1—63, et aussi parce que, à propos du Turkestan, M. B. a été amené à esquisser un tableau général de l'empire mongol tel qu'il fut organisé par Gengis-khan.

La mise en œuvre des sources musulmanes témoigne d'une information prodigieusement étendue; M. B. a dû naturellement utiliser en outre les sources mongoles, jusqu'ici assez médiocres, et aussi les sources chinoises, bien supérieures, mais qui ne sont accessibles aux non-sinologues que par fragments; encore ces fragments figurent-ils dans des traductions ou des adaptations très défectueuses, à l'exception de ce qui est dû à l'archimandrite Palladius.

Les noms orientaux sont reproduits par M. B. avec une grande fidélité. Il en est cependant quelques-uns pour lesquels je préférerais une autre orthographe. Tel "Hiuen-Tsiang" (pp. 2, 70, etc.) où l'*i* de "Tsiang" est inadmissible quel que soit le système de transcription adopté (les Anglais écrivent plutôt "Hsüan-tsang", les Français "Hiuan-tsang"; "tsang" n'est pas palatalisé). "Tamuchin" ne me paraît non plus très heureux pour le nom personnel de Gengis-khan; que la voyelle primitive de la syllabe initiale ait été *ä* ou *e*, "Temuchin" serait en transcription anglaise plus voisin de Tämüǰin (ou Temüǰin) que "Tamuchin". De même la forme *noyan*, qui est celle des textes persans et chinois, vaut mieux que *noyon* pour l'époque mongole. Et pourquoi garder encore "*Qudatku Bilik*"?

Je n'ai, comme de juste, presque aucune remarque à formuler sur la partie purement "musulmane" de l'ouvrage de M. B.; mais du point de vue mongol et chinois, et tant pour les faits que pour les noms, je voudrais soumettre à son appréciation quelques indications ou réflexions.

Pp. 37 et *passim*. — Comme M. B. et comme tout le monde, j'ai parlé autre fois du *Mong-ta pei-lou* comme d'une œuvre de Mong Hong; mais Wang Kouo-wei a montré que cette attribution était erronée, et que l'auteur probable était un certain 趙珙 Tchao Hong; cf. *T'oung Pao*, 1928/29, pp. 165—166. En outre, les détails que M. B. emprunte à "Mong Hong" (p. 460) sur le train de

Gengis-khan ne concernent pas celui-ci, qui en 1221 se trouvait dans les pays musulmans et que l'envoyé des Song à Pékin ne vit jamais; dans le texte original, ces informations portent sur Muqalī, le lieutenant-général laissé à Pékin par Gengis-khan. M. B., comme aussi M. Vladimircov dans son *Čingis-khan*, a été trompé par la traduction de Vasil'ev qui a rendu par "*tsar*" le titre de 國王 *kouo-wang*, "prince", bien connu comme titre de Muqalī.

P. 38, n. 2. — Lire "*Hei ta che lio*" et "*Houang yuan cheng wou ts'in tcheng lou*"; il est en outre prouvé aujourd'hui que "houang-Yuan" ne fait pas partie du titre, lequel est seulement *Cheng-wou ts'in-tcheng lou*; cf. *T'oung Pao*, 1928/29, p. 169, n. 1.

P. 43. — "The Emperor Kai-san (1308—1311)". Ou bien il faut lire ce nom, selon la transcription chinoise (海山), "Hai-shan" en anglais, "Hai-chan" en français, ou en restituer l'original non-chinois sous la forme *Qaïšan. On a bien en tibétain une leçon tardive Haisaṅ (Ha'i'saṅ; cf. Huth, *Gesch. des Buddhismus in der Mongolei*, II, 35), mais elle est sans autorité.

P. 44. — Ce n'est pas "an abridged edition" de l'*Histoire des Yuan* qui a été traduite par Hyacinthe Bičurin, mais la section *pen-ki* ("annales principales") des quatre premiers qaghan. Il faut ajouter que le P. Hyacinthe a eu la malencontreuse idée de suivre pour les noms propres l'orthographe "réformée" des commissaires de K'ien-long, ce qui rend son travail à peu près inutilisable et a souvent induit en erreur d'Ohsson et Berezin.

P. 45. — Plus encore qu'avec le *Yuan che*, compilation de 1369, Rašīdu-'d-Dīn est en accord étroit avec le *Cheng-wou ts'in-tcheng lou*; c'est vraiment ce dernier ouvrage qui représente la version chinoise de la chronique mongole où Rašīdu-'d-Dīn ou ses informateurs ont puisé. L'*Histoire secrète des Mongols* représente une autre tradition, assez divergente.

P. 51 et p. 388. — L'étymologie de "bakhshī" par le sanscrit

bhikṣu n'est rien moins que sûre; nous avons plutôt tendance aujourd'hui à y retrouver le chinois 博士 *po-che* (**pâk-ḍẓ'i*); cf. Laufer, dans *T'oung Pao*, 1916, 485—487 (la note de la p. 557 est très erronée); mes remarques de *JA*, 1925, I, 254; pour la popularité du terme chinois, noter qu'en japonais *po-che* est représenté non seulement par le sino-japonais *hakushi*, mais par la forme entièrement japonisée *hakase*.

P. 82. — Le chinois 那密 Na-mi (*Nâ-miẹ̆t) ne peut ramener normalement à "Ńamik"; la véritable lecture de la forme arabe ne serait-elle pas نامذ *Nāmiδ?

P. 134, note 4. — Au lieu de "Ta-mo", lire „Tu-mo". Le chinois 獨莫 Tou-mo (*D'uk-mâ̆), avec le *d-* initial que les Chinois ont souvent entendu au lieu de *t-* au début des mots turcs, suppose un original *Tuγmaq ou *Tuγmaγ, dont la forme tardive توم Tūm ne peut être sortie que par réduction de la gutturale médiane (cf. sous les T'ang également, 獨樂 Tou-lo, *D'uk-lak, etc., pour le nom de la rivière Tuγla, aujourd'hui Tula, en Mongolie; voir à ce sujet *T'oung Pao*, *supra*, p. 211); quant à l'amuissement apparent de la gutturale finale de *Tuγmaγ dans Tūm, il peut en réalité remonter à une forme dialectale sans *-γ* (ou *-g*) du moyen-iranien.

P. 163, note 1. — L'équivalence phonétique de "Kāsān" avec le chinois 渴塞 K'o-sai (*K'ât-sək), qui supposerait *Karsak, à la rigueur *Kassak, est difficile à admettre; peut-être y a-t-il en chinois une faute de texte; je ne trouve pas actuellement de solution satisfaisante.

P. 170. — "Činānčkath" n'est-il pas aussi vraisemblable que "J̌ināṅjkath"?

P. 197. — Pour les qualités distinctives de chacun des quatre grands empires, cf. mon article *La théorie des quatre Fils du Ciel*, dans *T'oung Pao*, 1923, 97—125.

P. 232, note 2. — Le chinois 摸胡壇 *mo-hou-t'an* (**mâk-γuo-d'ân*) est moins clair que M. Laufer ne l'a admis dans *Sino-Iranica*, 531. L'original est vraisemblablement **māγudān* ou **māγodān*, mais il est difficile d'y retrouver avec M. Laufer une formation analogue à "*mobeδān mobeδ*"; dans ce dernier terme en effet, *mobeδān* est *mobeδ* + marque de pluriel *ān*, au lieu que **māγudān* semble être **māγu* + *dān*.

P. 232, note 12. — Les transcriptions chinoises de *danišmand* sont confirmées par la forme mongole *dašman*, attestée épigraphiquement à l'époque mongole.

P. 257, note 5, et *passim*. — Au lieu de "Īlak", ne vaudrait-il pas mieux transcrire "Īlig"? Le mot *ilig*, "roi", est aujourd'hui bien attesté en ouigour (cf. par exemple l'index de F. W. K. Müller, *Uigurica II*).

P. 261, note 1. — Je suis personnellement en faveur de Säbäk-tegin ou Säbük-tegin plutôt que de Sabuk-tegin ou de *Sü-beg-tegin; sur *säbäk* (identique au *sebik* et *sewik* de M. B.) dans l'onomastique turque ancienne, cf. *T'oung Pao*, 1928/29, p. 243; le nom a été porté aussi bien par des hommes que par des femmes; quant à *säbük*, identique à *säbäk*, on a déjà *säbük* et *sävük* dans le *Qutaδγa bilig* (cf. Radlov, IV, 502, 506). M. von Le Coq s'est également prononcé pour Sävük-tegin (*Turk. Namen und Titel in Indien*, p. 1).

P. 269. — Ici et pp. 308, 333, M. B. dit que "Paighū" est probablement à corriger en Yabγū; c'est possible, mais il ne faut pas oublier qu'on rencontre dans l'onomastique mongole un nom 伯忽 Po-hou (sous les Mongols Pai-hou) qui ramène normalement à *Baïqu ou *Baïγu; par ailleurs بيغو, lu *biγu*, est en turc le nom d'un oiseau de proie assez analogue au faucon, et on sait combien les noms d'oiseaux de fauconnerie sont employés dans l'onomastique turque et même mongole.

P. 284, note 7. — La forme يغا *yaγa* des monnaies peut-être,

comme M. B. le suppose, une graphie incomplète de يغان *yaγan*, "éléphant"; (cf. Toγa pour Toγan de Tämür-toγan). Mais peut-être aussi est-elle la forme ancienne. Nous connaissons en effet aujourd'hui un ouigour ancien *yanga*, "éléphant", dont *yaγa* serait normalement une forme dénasalisée (cf. *JA*, 1913, I, 455—459). Pour des formes à nasale et sans nasale, cf. le chinois Yang-mo qui suppose *Yangma pour le nom de la tribu des Yaγma (*JA*, 1920, I, 135), ou encore mon hypothèse qui tire mandchou *nikan*, pl. *nikasa*, "Chinois", du Nankīyas, Nangkiyas, connu en mongol dans le même sens à l'époque mongole (*JA*, 1913, I, 465—466).

P. 286, note 2. — Je ne sais pourquoi M. B. qualifie encore d'anonyme le vocabulaire arabo-turc étudié par Melioranskiï, qu'on sait aujourd'hui être l'œuvre d'Ibn-Muhannā. L'explication que صلان serait pour ارصلان *arslān* est déjà dans Melioranskiï, p. 057; mais peut-être M. B., qui la croit nouvelle, va-t-il trop loin en la donnant comme sûre, car *arslan* apparaît deux fois dans Ibn-Muhannā, mais écrit ارسلان *arslan* (p. 067), et à la rigueur صلان pourrait être une mauvaise répétition de قبلان *qablan* (*qaplan*) qui précède; nous ne devons donc pas nous trop presser de prêter à certains Turcs une "année du lion" dans le cycle des douze animaux (malgré l'année du "lion" de Marco Polo; on sait que Marco Polo emploie toujours "lion" pour "tigre", par exemple à propos des *hou-fou* ou "tablettes au tigre", vraisemblablement sous l'influence du persan *šēr*, *šīr*). Les mots *qaplan* et *arslan* (?) manquent comme synonymes de *bars* pour l'"année du tigre" dans l'édition d'Ibn-Muhannā publiée à Constantinople en 1921, et par suite ne sont pas discutés par S. E. Malov dans le t. III des *Zapiski Kollegii Vostokovedov* [1]); je n'ai pas actuellement à ma disposition les infor-

1) M. Malov ne reprend en outre dans son vocabulaire que les mots de l'édition de Constantinople qui manquaient aux mss. utilisés par Melioranskiï ou ceux qui y étaient douteux. Mais il y a des cas où des variantes orthographiques auraient mérité

mations de Kašγarī sur le cycle des douze animaux. La liste d'Ibn-Muhannā, qui remonterait à des documents de 1027, substitue au nom du "dragon" celui du "poisson", *balïγ*; il y a peut-être là un léger argument en faveur de l'explication très hypothétique proposée par M. Poppe pour le nom mystérieux de *bslqun* que Qazwīnī donne comme le nom mongol du crocodile (cf. *JA*, 1927, I, 289). Si, comme le suppose M. Poppe, *bslqun* (= **basalqun*) était une forme métathétique d'un mongol **balqasun*, "poisson", correspondant au turc *balïq*, "poisson", peut-être pourrait-on en outre revenir à une explication du nom obscur de Balāsāγūn qui a déjà été proposée (par exemple dans Bretschneider, *Med. Res.*, I, 18), à savoir celle d'une métathèse pour *balaγasun* (attesté sous cette forme à l'époque mongole; mongol classique *balγasun*, "enceinte", "ville"), qui est le correspondant mongol du turc *balïγ*, "ville"; mais tout cela est très aléatoire. Wang Kouo-wei (*Kouan-t'ang tsi-lin*, 14, 3—5) a essayé de son côté d'expliquer Balāsāγūn par la "ville du *tsiang-kiun* P'ei-lo" des T'ang (cf. Chavannes, *Doc. sur les Tou-kiue*, 10); mais on attendrait alors *Boïlasängün ou *Buïlasängün.

P. 317, note 2. — M. B. dit que جلكه "province", "n'est pas turc, mais persan". Il y a pas mal de mots dont on hésite à dire s'ils sont primitivement altaïques ou iraniens, mais ici, et jusqu'à preuve contraire, j'incline à admettre une origine altaïque du mot. On a, en turc jaghatai, un mot جولكه, que Radlov (III, 2044) transcrit *čölgä*; il le rend par "vallée ou plaine arrosée et herbeuse au pied d'une montagne" et le décompose en *čöl* + *ga*, *čöl* étant le mot turc signifiant "désert", déjà attesté dans les inscriptions

---

d'être relevées; c'est ainsi que, pour l'année du "lièvre", Melioranskiï (pp. 041, 0101, 80) écrit طوشغان *tawïšγan*, sans indiquer de variante; mais l'édition de Constantinople (p. 186) a طفشغان, soit *tafïšγan* en fonction de *taβïšγan*; il valait de signaler cette orthographe archaïsante qui est aussi, je crois, celle d'Al-Bīrūnī, d'apres le tableau de Chavannes, dans *T'oung Pao*, 1906 52. Le tableau de Chavannes a d'ailleurs besoin d'être repris, corrigé et complété.

de l'Orkhon et qui se retrouve aussi sous la même forme et dans le même sens en mongol [1]). Vullers (I, 602) a enregistré چولگاه ou چولگه *čölgä* (ou *čülgä*), pour lequel il donne la même définition que Radlov et que, comme Radlov, il tire de *čöl*. La définition, chez les deux lexicographes, est empruntée à l'*Abušqa*, ce qui déjà implique que Vullers ne connaisse le mot que par un lexique de mots turcs et non persans [2]); mais l'*Abušqa*, qui écrit چول *čöl* pour "désert", orthographie جولكه *jölgä* (ou *jülgä*), et non *čölgä*, et n'établit aucun rapport entre les deux mots [3]). En réalité, je crois

1) Pour *čöl* en turc, cf. Radlov, III, 2043. Pour le *čöl* mongol, Kovalevskiĭ et Golstunskiĭ indiquent tous deux le sens de "limon", "boue", au fig. "souillure", mais, dans leurs exemples, rendent plusieurs fois le mot par "désert"; il y a une sorte de contradiction entre leurs traductions de *čöl oro-*, "entrer dans le *čöl*", par "entrer dans un bas-fond couvert d'eau", et de *čöl γajar*, "terre de *čöl*", par "lieu sans eau"; peut-être deux mots se sont-ils confondus ici (ce sera sûrement le cas si la vocalisation *čül*, indiquée par Kovalevskiĭ pour le mot signifiant "limon", est correcte). En tout cas, c'est au sens de "désert" que *čöl* est le plus anciennement attesté en mongol, dans l'*Histoire secrète des Mongols*, § 188, et on retrouve ce *čöl* conservé en persan dans le passage correspondant de Rašīdu-'d-Dīn (cf. *J. A.*, 1920, I, 176, 178—179, mais en corrigeant au début de la n. 2 de la p. 178 le renvoi aux *Trudy*, qui se rapporte au t. XIII et non au t. XV). Le lexique d'Ibn-Muhannā, qui ne donne pas *čöl* dans la partie turque, a جُل *čöl* dans la partie mongole, au sens de "désert" (*barr*); cf. Melioranskiĭ dans *ZVOIRAO*, XV, 132 (la vocalisation *čül* de Melioranskiĭ est mauvaise). Dans le *Daśabhūmikasūtra* mongol, *čöl* répond au chinois 曠野 *k'ouang-ye*, sanskrit *aṭavī*, "désert"; cf. J. Rahder, *Glossary of the .... Daśabhūmika-sūtra*, Paris, 1928, in-8, p. 1 (M. Rahder indique en outre comme équivalence tibétaine *mya-ṅan*, "affliction", "misère"; comme le texte mongol est presque sûrement traduit du tibétain, il semble qu'une confusion se soit produite dans le texte tibétain actuel entre *mya-ṅan*, "affliction", et *mya-ṅam*, "désert de sable"). D'ailleurs, Kovalevskiĭ a recueilli seulement dans les lexiques deux équivalents tibétains de *čöl*; l'un, *'phyan*, n'est pas attesté comme substantif, mais, comme verbe, paraît signifier "errer"; quant à l'autre, *gdon-dan*, c'est le mot tibétain normal pour "désert". A raison de passages comme celui de Rašīdu-'d-Dīn, le mot چول *čöl*, au sens de "désert", a été recueilli dans les lexiques persans (cf. Vullers, 602); mais Vullers ne dit pas qu'il considère *čöl* comme vraiment persan.

2) Cf. l'édition de l'*Abušqa* donnée par Véliaminof-Zernof, *Dictionnaire djaghataï-turc*, p. 252, *s.v.* جولكه Le mot paraît cependant s'être acclimaté dans l'onomastique persane; cf. par exemple le "Ser-i-julge" cité dans Yule et Cordier, *Marco Polo*[3], t. III (Notes and Addenda), p. 28.

3) Il est possible que Vullers ait songé pour "*čölgä*" à un composé fait du turc

qu'il faut séparer *čöl* de *ǰölgä* et que, si aucun d'eux n'est persan, le premier seul est peut-être vraiment turc, au lieu que le second serait originairement plutôt un mot mongol. Le mongol, qui écrit *čöl* pour "désert", a en effet un mot *ǰülgä* (ainsi vocalisé par Kovalevskiĭ), qui signifie "prairie", et est évidemment identique au prétendu *čölgä* de Radlov. L'initiale *ǰ-* et non *č-* est d'ailleurs confirmée par turc küär. *yölgö*, "monticules d'herbe dans un marais" (Radlov, III, 451), et par kirghiz *ǰülgö*, "petite vallée" (Radlov, IV, 186); le jaghataï *čölgä* de Vullers et Radlov semble donc décidément à corriger en *ǰölgä* ou *ǰülgä*, lequel est ancien en mongol, car il se trouve, transcrit *ǰölkä* et traduit par 川 *tch'ouan*, "vallée arrosée", dans le § 247 de l'*Histoire secrète des Mongols* [1]). Pavet de Courteille (p. 298) indique sous *čölgä*, à côté du sens de "plaine arrosée", celui de "district d'une ville", et Vámbéry fait de même sous *ǰölgä*; ils ne voient donc qu'un mot là où Vullers croyait en reconnaître deux quand il laissait son "*čölgä*" (lire *ǰölgä*), "plaine arrosée", à part de جُلگاه, جُلگه ou جُلگا *ǰölgä*, "territoire" (I, 525). Vullers tirait ses informations sur ce second mot d'une note étendue de Quatremère, dans *Notices et Extraits*, XIV, I, 59 (Quatremère lit *ǰülkä*); le mot se rencontre en effet assez souvent dans les textes persans à partir de l'époque mongole, et même dans la version persane des *Mémoires* de Bābur (je ne le retrouve pas actuellement

čöl, "désert", + persan گاه ou گه *ga*, "lieu", et que Radlov l'ait simplement copié; mais une telle hypothèse de Vullers serait gratuite. La différence d'initiale entre *čöl* et *ǰölgä* est bien observée dans Vámbéry, *Čagataische Sprachstudien*, p. 281, mais non dans Pavet de Courteille, *Dictionnaire turc-oriental*, p. 298.

1) Si la transcription indiquée dans l'*Histoire secrète des Mongols* est correcte, il faudra vocaliser *ǰölgä* et non *ǰülgä* comme le fait Kovalevskiĭ; Rudnev, *Materialy po govoram Vostočnoĭ Mongolii*, p. 90, garde la transcription *ǰülgä* pour le mongol écrit et indique *ǰölγe* pour le dialecte des Ordos, ce qui semblerait, dans ce dialecte, être en faveur d'une forme ancienne *ǰülgä*. Il y a en outre un mot turc signifiant "vallée arrosée", et qui est جلغه *ǰülγe* (Radlov, IV, 128), souvent employé dans la partie Sud-Ouest du Turkestan chinois et dans la région de Tourfan; mais peut-être n'a-t-il rien à voir avec *ǰülgä*.

dans l'original turc, et peut-être n'y est-il pas employé) [1]. Mais, une fois de plus, c'est là un mot bien attesté en mongol ancien. L'édit dit de la veuve de Darmabala (Dharmapāla), écrit en caractères 'phags-pa et qu'on a daté successivement de 1309 et de 1321, mais qui pourrait bien être de 1333, parle du *čhọlgä* de 保定 Pao-ting, et Pozdnéev a déjà bien vu que *čhọlgä* devait être, dans le vocabulaire administratif mongol, l'équivalent du chinois 路 *lou*, "district" [2]. La même orthographe 'phags-pa *čhọlgä* et la même équivalence au chinois *lou* se retrouvent dans une inscription bilingue de 1314 [3]. Enfin la grande inscription sino-mongole inédite de 1362, en écriture ouigoure, parle du "*čölgä* de Isina", c'est-à-dire du *lou* de 亦集乃 Yi-tsi-nai, l'Eçin de Marco Polo, aujourd'hui la région de l'Etsin-γol. Avec cette même valeur de *lou*, "district", le mot a enfin passé en tibétain sous la forme *čhol-kha* [4]. Les transcriptions 'phags-pa et l'emprunt tibétain font supposer un original mongol, aujourd'hui inconnu, **čölgä*, "district". Nous avons donc bien, je crois, deux mots différents comme l'a admis implicitement Vullers, mais son *ǰölgä* est vraisemblablement à lire *čölgä*, et c'est son *čölgä* qui doit être *ǰölgä* ou *ǰülgä*. Je ne vois pas de raison pour chercher à l'un ou à l'autre mot une origine persane [5].

---

1) Quatremère a cité quelques exemples, mais il y en a bien d'autres, par exemple à la p. 97 de son ouvrage; c'est aussi le même mot qu'il faut lire au livre de "jalgáh" dans Yule-Cordier, *Cathay²*, I, 272.

2) *Lekcii po istorii Mongol'skoĭ literatury*, II, 123.

3) Cf. Chavannes, dans *T'oung Pao*, 1908, inscr. n° 54 (pl. 24), ligne 17.

4) Cf. le dictionnaire de Sarat Chandra Das, p. 428; la valeur exacte du terme en tibétain apparaît clairement dans Huth, *Geschichte des Buddhismus in der Mongolei*, II, 147, où les trois *čhol-kha* (ou trois *lou*) du Tibet s'opposent aux treize "provinces" (*khri-skor*; aussi II, 22, *mu-či*, du mongol *mojǐ*; en chinois, *cheng*) de la Chine proprement dite. L'emprunt *čhol-kha* n'est pas relevé dans les *Loan-words in Tibetan* de M. Laufer (*T'oung Pao*, 1916, 403—552), ni dans ses notes additionnelles de *Sino-Iranica*, 591—597).

5) Il y a en turc un autre mot de même apparence que *čölgä* et signifiant aussi "territoire" et "province", c'est le *ölkä* (*ölgä*?) du ǰaghatai et de l'osmanli (Radlov, I, 1253); son histoire m'est inconnue en dehors de l'*Abušqa*, 113—114.

P. 343, n. 1. — J'incline à penser que la forme correcte est Qatïr-Buqu-khan. J̌uwainī orthographie بوقو Buqu le nom du premier souverain plus ou moins légendaire des Ouigours, au lieu que Rašīdu-'d-Dīn l'appelle بوكو Bügü [1]), et, au moins par l'explication de leur propre nom au sens de "tronc d'arbre creux", les Qïpčaq semblent avoir eu certains éléments légendaires assez voisins de la légende ouigoure de Buqu ou Bügü.

P. 362, n. 2. — Les dates et les lieux de ces luttes contre les Märkit me paraissent encore douteux; j'en ai dit un mot dans *JA*, 1920, I, 163—164, mais ni M. B. dans son livre, ni moi-même dans le présent compte-rendu ne pouvons discuter en détail cette question qui demandera un article spécial. J'ai réuni pas mal de textes chinois sur *Čang-balïɣ ou *Čam-balïɣ; il y faut joindre *Tarīkh-i Rashīdī*, p. 291. En outre, on paraît bien avoir Čam-balïɣ, encore qu'on ne l'ait pas reconnu, dans une inscription nestorienne du Semiréč'e (cf. Chwolson, *Syrisch-nestorian. Grabinschriften*, Neue Folge, 1897, p. 28; pour la construction qui a arrêté Chwolson, cf. son n⁰ 97. à la p. 25).

P. 362, note 4. — Le nom personnel de "Sängün" (dans l'*Histoire secrète des Mongols*, il faut en réalité partir de Säŋggüm; je le montrerai dans les notes de mon édition) est écrit 亦剌哈 Yi-la-ha dans le *Yuan che* et le *Cheng-wou ts'in-tcheng lou*, et de même Ïlqa (= Ilaqa?) dans Rašīdu-'d-Dīn qui dépend de la même source que ces deux ouvrages chinois [2]), mais toujours Nïlqa dans l'*Histoire secrète des Mongols* (§ 165, 166, 167); l'une des formes

---

1) Bügü est la forme des textes chinois de l'époque mongole (cf. *JA*, 1920, I, 158; *T'oung Pao*, 1928/29, p. 134). C'est Bügü qu'il faut rétablir au lieu de توكو Tügü dans Berezin, *Trudy*, V, 111—112, et VIII, 112. Les textes de Rašīdu-'d-Dīn que traduit Berezin portent sur les Naïman; ils montrent ainsi la popularité de la légende de Bügü-khan dans tout le monde turc et peut-être même turco-mongol.

2) Certaines variantes des mss. de Rašīdu-'d-Dīn peuvent d'ailleurs se lire également Nïlqa, mais je crois que Ïlqa est la bonne leçon.

semble être issue de l'autre, et j'ai supposé en 1920 (*JA*, I 176) que Yi-la-qa pouvait être sorti de Nïlqa "soit par dénasalisation dialectale de l'initiale, soit par erreur de lecture d'un texte mongol original où, comme il est usuel à l'époque ancienne, le point de l'*n* initial n'était pas marqué". Je partais de l'idée que Sünggüm était le plus jeune fils d'Ong-khan, et que *nīlqa* (aujourd'hui *nilγa*, "petit garçon") s'est employé parfois au sens de "le plus jeune" [1]). M. B. invoque aujourd'hui que Naṣīru-'d-Dīn Ṭūsī donne, pour le nom de Sünggüm, la forme ئلقا Ïlaqa, qui peut remonter à une source analogue à celle de Rašīdu-'d-Dīn, du *Cheng-wou ts'in-tcheng lou* et du *Yuan che*, mais montre du moins que la leçon Ïlqa ou Ïlaqa était bien donnée de bonne heure dans cette source; en outre, le nom de Ïlqa a été porté par un chef mongol en Perse lors de la prise de Bagdad (cf. sur lui Bretschneider, *Med. Researches*, I, 111, qui, à la suite de Pauthier, suppose que Kuka Ïlqa recouvre, dans Kuka, le nom du Chinois Kouo K'an). La double hypothèse que j'ai formulée n'en subsiste pas moins, mais en la présentant un peu différemment. Il y a dans l'*Histoire secrète des Mongols* des cas pratiquement certains de méprises entre *alif* initial et *n* initial (à raison du manque d'un point sous l'*n* initial); "Isäbur" pour Nišapur dans le § 259 de l'*Histoire secrète des Mongols* doit bien être une mauvaise lecture de ce genre; on peut donc supposer que le Nïlqa de l'*Histoire secrète des Mongols* est une mauvaise lecture des transcripteurs du XIVe siècle aidée par l'attraction du mot mongol *nïlqa*, mais la bonne forme serait Ïlqa ou Ïlaqa [2]). Toutefois des doublets avec et sans *n*- initial se

1) Cf. cette parole de Gengis-khan dans *Histoire secrète des Mongols*, § 242: *Dā'ünär-ün minu nīlqa Otčigin büi-jä*, "De mes frères cadets le plus jeune est [Tämügä-] otčigin". Kovalevskiĭ, qui a bien *nīlqa* seul p. 660, paraît à la p. 646 y voir un doublet de *niγun*; mais *niγun* doit être une variante médiocre de *nuγun*, *nu'un*, et n'a rien à voir avec *nïlqa*.

2) En faveur d'une faute des transcripteurs, on peut invoquer que le ms. mongol

rencontrent également; l'*Histoire secrète des Mongols* connaît *nongqasun* (§ 85) et *ongqasun* (§ 101) pour "laine", et Kovalevskiĭ a enregistré pour ce mot des orthographes *noosu* et *noγosun* (= *no'osun*) à côté de *ongγasun* et de *ongγosun*; de même l'*Histoire secrète* écrit toujours *ïču-* pour le verbe signifiant "reculer", "s'en retourner", alors que le mongol classique ne connaît que *niču-*. On peut donc se demander si Ïlqa et Nīlqa ne sont pas tous deux corrects et ne représentent pas vraiment deux formes dialectes différentes, Ïlqa étant par exemple la forme spécifiquement kéraït et Nīlqa la forme du mongol proprement dit.

P. 370, note 4. — Le chinois Ho-tou répond au Qodu de l'*Histoire secrète des Mongols* et ne peut-être "Qūl-tughān". Les noms de Toqto'a-bāki, de ses frères et de ses fils seront à étudier dans un article spécial; Berezin a souvent corrigé pour eux les leçons de ses mss. d'une manière aussi arbitraire que malheureuse. Je ne crois pas que le nom de "Qūltughān-Markān" (p. 371) se retrouve tel quel dans les sources chinoises [1]). Sur le nom de Toqto'a-bāki, cf. *JA*, 1920, I, 164. Toqto'a est le plus souvent rendu par 脫脫 T'o-t'o (= Toqtō) sous les Mongols; mais il y a aussi un nom 土土哈 T'ou-t'ou-ha (*Yuan che*, 128), bien probablement identique au nom 脫禿哈 T'o-t'ou-ha du 憲臺通紀 *Hien-t'ai t'ong-ki* (éd. du *Tchong-kouo hio-pao* de 1916, 8 *a*); ces formes ramènent peut-être à une prononciation *Toqtuγa de Toqto'a, qui justifierait Tuqtuγan ou Toqtuγan.

P. 381. — M. B. se défie à bon droit du *uluγ-wazīr*, "grand vizir", que Vasilev et Berezin ont voulu retrouver sous "Aolo-botzile"; "*botzile*" est en réalité une transcription russe basée sur la pronon-

---

récemment découvert en Mongolie et qui contient, avec des fautes innombrables, environ la moitié du texte original de l'*Histoire secrète des Mongols*, écrit Ilqa Sänggüm et non Nilqa Sänggüm; mais par ailleurs les confusions d'*alif* et de *n* initiaux abondent dans ce mss.

1) Le nom d'année du "bull" est une inadvertance de traduction résultant de l'emploi assez lâche du mot *byk* en russe; il faut ici "bœuf" et non "taureau".

ciation pékinoise moderne; on doit transcrire 孛極烈 *po-ki-lie* (**bögilä*), et nous avons là, selon toute vraisemblance, le titre qui a pris finalement en mandchou la forme de *beile*. Il ne me paraît guère possible de retrouver dans 敖羅 Ngao-lo (= *Aulo, *Auro, *Ōlo, *Ōro?) "une mutilation chinoise du nom de Qutula-qaghan". Les textes relatifs à ce royaume mongol du milieu du XII^e^ siècle ont été jusqu'ici fort mal étudiés par les sinologues européens; pour l'ensemble des sources chinoises, voir le travail de Wang Kouo-wei signalé dans *T'oung Pao*, 1928/29, 126—128.

P. 382. — Je doute que Gengis-khan ait jamais porté le titre de *qaγan* et m'en expliquerai à propos de l'*Histoire secrète des Mongols*; son véritable titre me paraît avoir été Činggis-χan ou Činggiz-χan.

P. 382. — M. B. doit trouver tout le premier assez peu satisfaisants le genre de distinction que fait Palladius entre Mong-kou et Ta-ta et l'explication que Palladius en propose.

P. 382, note 4. — M. B. a emprunté à Berezin l'information que, au lieu de *bögäül*, ou *bäkäül*, "officier de bouche", les Naiman et quelques autres tribus employaient "*qunsat*", prononcé "*qunǰat*" dans la Mongolie orientale; mais les mss. mêmes de Berezin supposent respectivement *qïsat* et *qïčat* (aux passages signalés par M. B. il faut ajouter *Trudy*, XV, 140; texte persan, 210), et cette forme est confirmée par l'étymologie *qïsmïšï*, "écrasement", qu'indique Rašīdu-'d-Dīn (Berezin, *Trudy*, V, 176); *qïsmïšï* est naturellement une forme persane substantive en *-ī* du participe turc *qïsmïš*, tiré lui-même de *qïs-* qui signifie "écraser" dans tous les dialectes turcs. Dans *Trudy*, XIII, 130, "Uqdaï-Qunǰat" est, d'accord d'ailleurs avec les meilleurs mss., à lire بوقداى قيچات Buqadai-Qïčat, et cette forme est confirmée par le texte parallèle du *Cheng-wou ts'in-tcheng lou* (éd. de Wang Kouo-wei, 28 *b*) qui écrit 不花台乞察

Pou-houa-t'ai-k'i-tch'a, c'est-à-dire Buqataï-qīča[t] [1]). Il serait particulièrement intéressant que le mot naiman pour "officier de bouche" fût tiré directement d'une racine turque; mais on sait que les étymologies turques de Rašīdu-'d-Dīn sont souvent sujettes à caution, et en turc une forme *qïsat* ne dérive pas facilement de la racine verbale *qïs-*; nous devons donc attendre d'autres informations avant de nous prononcer [2]). Quant à l'alternance de *-s-* et de *-č-*, elle est

---

1) L'*Histoire secrète des Mongols* (§ 168) voit ici deux hommes qu'elle appelle Buqataï et Qïrataï; mais si le dédoublement devait bien être dans le texte original, "Qïrataï" peut résulter d'une altération soit dans le mss. dont se sont servi les transcripteurs, soit dans la tradition de cette transcription; en effet le mss. mongol récemment découvert écrit "Buqataï Kičiγutai", évidemment altéré lui aussi, mais où le *č* de *qïčat* s'est néanmoins maintenu. Je profite de l'occasion pour signaler que, dans les textes relatifs à Buqataï-qïčat, il s'agit de manger non pas des "chevaux" (comme l'a cru évtdent Berezin, *Trudy*, XIII, 130, 296, en lisant un soi-disant turc يولقى *yulqï* qu'il identifiait au mot urc connu يلقى *yïlqï*, "troupeau de chevaux"), mais bien le "festin de fiançailles", en mongol *bu'uljar*; et les meilleurs manuscrits de Rašīdu-'d-Dīn ramènent en effet à بوجر *būljar*.

2) C'est la forme en *-at* qui me fait hésiter à admettre une dérivation du turc, car autrement des titres mongols de fonctions ont pu être empruntés de dialectes turcs. Beaucoup n'en restent pas moins d'origine encore douteuse; tel est le cas pour le *bögäül* dont *qïsat* ou *qïčat* serait un équivalent et pour son quasi-synonyme *baurčï*. Au temps de Bābur, le *bögäül* était au-dessus du *baurčï*; on traduit souvent, sans grande conviction, *bögäül* par "échanson" et *baurčï* par "cuisinier". Mais, pour *bögäül* ou *bäkäül* (*bägäül*?), dont la forme n'est d'ailleurs pas claire encore que la suffixation finale *-ul* (<-*'ul* <-**γul* ou -**βul*) se trouve dans nombre de titres turco-mongols, je n'ai pas relevé jusqu'ici le mot dans un texte en langue mongole (cf. sur lui Radlov, dans *ZVOIRAO*, III, 24; W. Bang, *Vom köktürk. zum osmanischen*, 2—3, pp. 61—62; Gombocz, dans *Mém. Soc. fin. ougr.*, XXX, 40; Samoïlovič, dans *Izv. R. Ak. Nauk*, 1919, 1115—1116; et mes remarques de *T'oung Pao*, 1925/26, 64; y joindre encore les indications de Vullers, I, 253). Quant à *baurčï*, on le rencontre, sous la transcription *bawurčï*, et dès les premières nominations de fonctionnaires par Gengis-khan, dans l'*Histoire secrète des Mongols* (par exemple § 124, 208, 229; mais il ne paraît guère avoir survécu en mongol classique, car, à en croire les sources de Kovalevskiï et de Golstunskiï, *ba'určin gär* ou *ba'urči gär* signifierait une "auberge", et Golstunskiï va jusqu'à donner expressément, comme synonyme, *ba'uri gär*, où *ba'uri* est un "lieu où on descend", de *ba'u-*, "descendre de cheval"; mais il doit y avoir eu là une contamination, et *ba'určï* ne peut évidemment se tirer de *ba'u-*. M. Vladimirkov a retrouvé *ba'urči*, au sens de "cuisinier", dans la traduction mongole du dictionnaire tibétain *Li-ši'i gur-khaṅ* et en a déduit que le mongol avait connu un mot *bayur* ou *ba'ur*, "foie", correspondant au turc *bayïr*, "foie"; *ba'určï* ou

connue en mongol, mais surtout à l'initiale; dans le cas présent, il peut s'agir seulement de deux formes dialectales mongoles, dont celle en *-s-* serait naiman (donc occidentale) comme le veut Rašīdu-'d-Dīn; je ne crois pas qu'aucune de ces deux formes se soit retrouvée ailleurs jusqu'ici.

P. 383. — Les hommes dont il est question sous le nº 6 ne sont pas chargés "to carry the swords in one place", mais ce sont des porteurs de sabre (comme les *qorčï* sont porteurs de carquois); il s'agit de ceux que les textes appellent plus tard des *üldüči*, en mongol classique des *ildüči*, de *üldü* (*ildü*), "épée".

P. 383. — Pour le nº 7, le terme d'*aqtači* est employé dès cette occasion dans le texte mongol (§ 124).

P. 383. — La coutume d'envoyer des messagers porteurs de flèches est attestée déjà pour les Tibétains sous les T'ang. M. B. a peut-être raison dans son hypothèse très ingénieuse sur les quatre personnages qui doivent être des "flèches qui vont loin" et des "flèches qui vont près", mais il ne faut pas oublier que, dans l'original mongol, *qola-yïn qo'očaq oyïra-yïn odola, qo'očaq* et *odola* sont des noms de flèches inconnus par ailleurs et que *qola*, "loin", et *oyïra*, "près", sont 'amenés par l'allitération'.

P. 383. — La description de la "garde" de Gengis-khan et de ses successeurs méritera un travail spécial; en attendant, on peut

---

ba'určïn serait primitivement mongol, et c'est du mongol que le mot aurait passé en turc où il a fait une assez grande fortune depuis l'époque mongole (*Doklady Ak. nauk, B*, 1926, 28); M. Poppe (*Zap. Koll. Vostokovedov*, III, 574) a suivi M. Vladimircov. Le raisonnement me paraît assez fragile. La traduction mongole du *Li-ši'i gur-khan* est du XVIII[e] siècle, et n'ajoute naturellement rien en elle-même aux mentions qu'on trouve par exemple dans l'*Histoire secrète des Mongols*. Mais *l'Histoire secrète* elle-même contient de nombreux mots purement turcs que les Mongols ont empruntés. Ce qu'il faudrait nous montrer en mongol, c'est le mot *ba'ur* lui-même; il ne s'y est jamais rencontré. Jusqu'à nouvel ordre, nous devrons bien tirer *ba'určï* de *ba'ur*, "foie", comme le faisait déjà Radlov (IV, 1433), mais ce sera en tant que les Mongols ont emprunté le terme tout fait à un dialecte turc où "foie" se disait peut-être *ba'ur* ou *baur* plutôt que *bayïr*; tel est le cas aujourd'hui par exemple en kirghiz et en turc de Kazan.

joindre aux informations de M. B. la longue note de Chavannes dans *T'oung Pao*, 1904, 429—432, et aussi Yule-Cordier, *Marco Polo*[3], I, 379—381, *Notes and Addenda*, 69. Il est certain qu'au moins à partir du début du XIV[e] siècle, la garde était le *käšik*, et les soldats de la garde étaient les *käšiktän*, au singulier *käšiktü* (et *käšiktäi*). Malgré Yule et Cordier, il faut garder le "Quesitan" (= "Quesictan"?) des mss. de Marco Polo et ne pas corriger en "Quesican"; M. Benedetto a malheureusement encore suivi Yule. De même le كزيكبانان *käzikbānān* que M. Blochet a toujours adopté dans son édition de Rašīdu-'d-Dīn paraît à lire كزيكتانان *käziktänān*, pluriel persan de *käziktän*. Bien qu'au XVIII[e] siècle les commissaires de K'ien-long n'aient plus su que faire des transcriptions chinoises de *käšiktän*, *käšiktü*, *käšiktäi*, et les aient altérées pour les amener à *jisäyitäi*, le vieux mot subsiste dans le nom de la tribu mongole des Kešikten, qui ne sont pas du tout des "heureux", mais qui, comme tant de tribus mongoles actuelles, tirent leur nom de charges de cour de l'époque mongole. Mais si la forme *käšik* et ses dérivés sont bien assurés pour la fin de la dynastie mongole, il n'est pas sûr que cette forme soit primitive. On a vu que Rašīdu-'d-Dīn écrit *käziktänān*, pluriel persan de *käziktän*, et il parle ailleurs des "quatre *käzik*" (éd. Blochet, II, 532), qui sont les quatre sections de la garde se relayant tous les trois jours; mais ailleurs il orthographie كشيك *käšik* (cf. Quatremère, *Hist. des Mongols*, 309—311). D'autre part, les transcriptions chinoises du *Yuan che* et aussi d'autres textes écrits sous les Mongols sont avec 薛 *sie* en second élément, ce qui paraît supposer **käsäk*, **käsäktän*, ou **käzäk*, **käzäktän*, mais non *käšik*, *käšiktän*. En outre, on doit se rappeler que le *Yuan che* par exemple suit des sources où *s*- devant *i* restait encore *s*-, au lieu que ce *s*- est toujours passé à *š*- pour les transcriptions de l'*Histoire secrète des Mongols*; ce passage de *s*- à *š*- devant *i* doit donc se placer vraisemblablement vers la fin du

XIII^e siècle, et peut-être d'abord dans certains dialectes seulement. Le mongol classique ne connaît plus qu'un mot *käšik* (*kešik*), au sens de "faveur", "bonté"; en réalité c'est à mon avis le même mot que l'ancien *käšik*, "garde", mais, dans les deux sens, les Mongols ont emprunté le mot au turc *käzig* ou *käzik*, bien attesté en ouigour, et dont le vrai sens est "tour" (on prend son "tour" de garde) et par suite "sort", "destinée" (cf. par exemple Radlov, II, 1172—1176, et F. W. K. Müller, *Uigurica*, II, 22, 68); on trouve aussi dialectalement, en kirghiz par exemple, la forme *käzäk* (qu'il ne faut pas confondre avec *käsäk*, "morceau", "branche", à laquelle répond le mongol [emprunté?] *käsi'ün*). Il me semble que, lorsque les Mongols ont emprunté le mot, la langue a hésité quelque temps entre les deux formes *käzik* ou *käzäk*; mais le mongol n'avait pas de *z* et le rendait soit par *ǰ*, soit par *s*; la forme *käzäk* a donné **käsäk*, qui est représenté par les transcriptions chinoises faites sous la dynastie mongole; la forme *käzik* s'est naturellement maintenue telle quelle en jaghataï et chez certains auteurs persans, mais en mongol elle a commencé par donner *käsik*, qui a abouti au *käšik* actuel dans le courant du XIV^e siècle; le mandchou a emprunté le mot sous la forme *kesi*, au sens de "bonheur", "bénédiction"[1]).

Pour ce qui est des deux grandes catégories des personnes composant la garde, M. B. les appelle "*turgewut*" et "*kebtewut* (singulier *kebtewur*)". Pour le premier terme, il faut lire *turqa'ut* (= *turγa'ut*), pluriel de *turqaq* (= *turγaq*); le mot, emprunté au turc, se trouve déjà au sens de "garde" dans le *Qutadγu bilig* (cf. Radlov, III, 1457)[2]); les 70 *turqa'ut* (*dalan turqa'ut*) ou "70 gardes

---

1) La note 7 de la p. 383 de M. B. est donc à modifier ainsi que le passage sur lequel elle porte: *käšik* n'est pas à interpréter là par "heureux", et *käšiktän* n'est en tout cas pas le pluriel de *käšik*.

2) *Turqaq* (= *turγaq*) ou *turγaq* se rencontre assez souvent non seulement dans l'*Histoire secrète des Mongols*, mais aussi dans Rašîdu-'d-Dîn, où Berezin (V, 200 et XV, 128) l'a mal interprété tantôt par "retenir", tantôt par "guerrier". M. Blochet (II, 27, 77;

de jour" dont parle M. B. d'après l'*Histoire secrète des Mongols* (par exemple § 192) se retrouvent dans Rašidu-'d-Dīn où il est question de Toqučar qui était connu sous le surnom de Dalanturqaqtu Toqučar (Berezin, dans *Trudy*, V, 151; XV, 14), c'est-à-dire de "Toqučar qui a les 70 *turqaq*"; le suffixe *-tu* est régulièrement le suffixe mongol de possession [1]). Si le mot *turqaq* (*turγaq*), pluriel *turqa'ut* (*turγa'ut*), n'a pas subsisté directement en mongol classique, je ne doute pas que nous devions le retrouver dans le nom des "Torγōt" (écrit aujourd'hui Torγoot) ou "Torγūt", mais dont la forme ancienne, encore adoptée par Sanang-Secen, est Torγa'ut (Turγa'ut); les explications données pour ce nom par Howorth (I, 558) et par Aristov (*Zamétki o korennom sostavé*, 308) sont fantaisistes. Les Torγōt doivent ce nom soit au souvenir de la garde de Gengis-khan, soit, en tant que descendants des Kéraït, à l'ancienne organisation de *turγaq* que nous savons par l'*Histoire secrète des Mongols* avoir existé chez les Kéraït avant d'être adoptée par Gengis-khan [2]).

Quant aux "*kebtewut*" ou *kābtā'ūt* de l'*Histoire secrète des Mongols*,

---

App., p. 29) a donné l'explication correcte par "garde, sentinelle", mais en ajoutant le mot en écriture mongole comme s'il l'avait rencontré dans un texte vraiment mongol; nos dictionnaires mongols ignorent en réalité *turγaq* et je suppose que M. Blochet l'a tacitement remis en écriture mongole en partant de la forme turque. Pour l'emprunt du mot en persan, cf. encore Vullers, I, 435.

1) Berezin, V, 280, s'est absolument mépris sur ce terme mongol et sur sa glose explicative en persan. En comparant la lecture ancienne d'Erdmann, et celles de Berezin dans V, 280, et VII, 201, il paraît bien qu'il était dit en persan de quelque manière que Toqučar était à la tête de tout ou partie des *turqaq* et des *käšiktü*; quant au terme mongol, les manuscrits utilisés par Berezin le donnent correctement.

2) J'ai rédigé depuis longtemps un travail sur l'histoire ancienne des Kalmouks, que je n'ai pas fait encore paraître parce que je n'avais pas la solution de certaines difficultés; c'est dans ce travail que je reviens sur l'histoire des Torγōt. Je dois dès à présent toutefois prévenir une objection: Berezin, non sans hésitation d'ailleurs, a supposé le nom des Torγōt ancien et a cru qu'il existait au temps même de Gengis-khan. Mais c'est là une erreur; ce qu'il a lu ترعوت Torγut (V, 78) est à transcrire Tarγut, et nous avons là la tribu des Tarγut dont le nom se trouve dans l'*Histoire secrète des Mongols* (§ 120).

le singulier n'en est pas "*kebteuur*" (qui ne s'est jamais rencontré), mais *käbtä'ül*, donné lui aussi à maintes reprises dans l'*Histoire secrète des Mongols* et qui est identique au كبتاول *käbtäül* que M. B. lui-même a bien retrouvé sous les leçons fautives de Berezin [1]. Le mot n'a pas survécu en mongol littéraire et semble être une formation mongole tirée de *käbtä-*, "être couché"; il serait alors analogue aux mots jaghataï *yatïš* et *yataγ*, "garde de nuit", tirés de *yat-*, "être couché". Mais l'origine des dérivations turques et mongoles en *-'ul* (<-*γul*) ou *-'ül* (<-*gül*) pour des noms de fonctions n'est pas encore claire [2].

---

1) *Käbtäül* était déjà donné correctement, quoiqu'avec un point d'interrogation, dans Hammer, *Ilkhane*, I, 39. Aux passages de Berezin déjà relevés par M. B., il faut joindre V, 84.

2) M. W. Bang a groupé un certain nombre de ces mots en *-'ul*, *-'ül* dans *Vom Köktürkischen zum Osmanischen II—III*, 56—66, et propose d'y voir primitivement des abstraits, ce qui ne me paraît pas établi. L'étude serait à reprendre en recherchant si cette suffixation est primitive en mongol comme en turc ou si les formations vraiment mongoles de ce type (telle que *käbtä'ül*, *käbtäül*) sont analogiques des formations turques à même suffixe. Beaucoup de ces mots sont encore obscurs; on a déjà vu plus haut que tel était le cas pour *bögäül* ou *bäkäül* (*bägäül*?). Non moins obscur est كوتاول *kütäül* que M. Bang (p. 60) n'indique que sous cette forme, mais auquel il faut joindre كاتاول et كتاول *kätäül* (Radlov, II, 1053 et 1127); M. Bang en rapproche l'afghan *koṭṭwāl*, ce qui ajoute encore aux complications, car ce dernier mot, qui n'est pas afghan d'origine, est assez ancien et a eu une grande fortune; on le rencontre au moins dès Rašīdu-'d-Dīn (كوتوال dans Blochet, II, 33), et on trouvera d'autres renseignements sur lui dans Vullers, II, 907, et dans Yule, *Hobson-Jobson*², 265. Si la forme primitive est *kütäül*, et non *kätäül*, on songe naturellement à un dérivé de turc *küt-*, "garder"; mais on est presque tenté de lire *kötäül* et de voir là une prononciation jaghatai en *ö* d'un mot primitivement à voyelle *ä*; une contamination entre *kütäül* et *käbtä'ül*, sans être impossible, ne paraît pas vraisemblable. Parmi les beaux mots de ce type non relevés par M. Bang, il faut inclure encore Sartaγul = Sarta'ul, nom mongol des Musulmans (surtout de ceux du Turkestan russe) au Moyen Age, pour lequel on a aussi alors les formes Sartaqtaï et Sartaqčïn; ce sont autant de dérivés de Sartaq (bien connu comme nom propre de personne sous les Mongols) qui n'est lui-même originairement que le nom même des "Sart" (déjà employé sous cette dernière forme dans le *Qutadγu bilig*). De même encore les قوشاول *qošaul*, قوشيقول *qošïqul* ou قوشاقول *qošaqul* de Rašīdu-'d-Dīn (Berezin, *Trudy*, V, 205; XV, 33, 142, 170, 178), que Rašīdu-'d-Dīn explique en disant qu'ils sont ainsi nommés parce qu'on les a constitués en prélevant deux hommes sur dix dans d'autres formations militaires; le mot semble donc se rattacher à une formation dérivée du turc

P. 383. — Les gardiens des portes sont bien des *ä'üdänči* comme M. B. l'a supposé.

P. 384. — L'étendard de Gengis-khan n'était pas "a standard with nine white tails", mais "a white standard with nine tails" (*yäsün költü čaqa'an tuq*, dans *Hist. secrète*, § 202); par *köl*, mot-à-mot "pied", auquel le chinois répond par 尾 *wei*, "queue", j'entends neuf "flammes" disposées l'une au-dessous de l'autre sur le côté flottant de l'étendard (celui opposé à la hampe); cette interprétation résulte pour moi des miniatures persanes où on voit des drapeaux mongols et des tableaux chinois où figurent des drapeaux des nomades même un peu avant les Mongols. Quant au drapeau décrit par "Mong Hong" (lire vraisemblablement Tchao Hong), ce n'est pas celui de Gengis-khan, mais celui de Muqalï, également à neuf "queues", et nous ne pouvons dire si la "lune noire" se trouvait aussi sur l'étendard de Gengis-khan ou si elle était une marque distinctive de celui de Muqalï; j'inclinerais plutôt à cette seconde solution.

P. 385. — "The military aristocracy, as among the Turks, bore the title of tarkhans"; les textes dont je dispose ne me paraissent pas justifier une affirmation aussi générale; de même ce qui est dit en général des honneurs témoignés aux *tarkhan* (en mongol *darqan*) lors des banquets concerne nommément les deux gardiens de troupeaux Badaï et Qïšlïq (Qïšïliq dans l'*Histoire secrète*) que Gengis-khan nomma *darqan* et à qui en outre il conféra le privilège exceptionnel d'avoir des gardes du corps porteurs de carquois (*qorčïn*) et des assistants qui, lors des banquets, accom-

---

qoš (emprunté dans mo. *qos*), "paire"; dans un passage parallèle à Berezin, *Trudy*, XV, 33, le *Cheng-wou ts'in-tcheng-lou* (59 *b*) écrit 火朱勒 *houo-tchou-lo*, ce qui semblerait ramener à **qoǰul*, mais peut-être le second caractère est-il fautif (par exemple pour 珠 *chou*). Sur les formes en *-aul*, cf. aussi von Le Coq, *Türk. Namen und Titel in Indien*, 5—6.

pliesaient pour eux un rite d'invitation (*ötök*) analogue à celui observé pour le souverain lui-même [1]).

P. 386. — Si "gauche" signifie "Est", ce n'est pas précisément parce que les Mongols regardaient le Sud comme "le côté le plus honorable", mais en tant qu'ils s'orientaient face au Sud, à la chinoise.

P. 387. — "Tashaɣun" se trouvait bien déjà dans l'édition russe, mais c'est une forme fausse; le seul document qui nous parle de ce personnage ouigour, et qui est sa biographie au ch. 124 du *Yuan che*, écrit 塔塔統阿 T'a-t'a-t'ong-a; le nom ne se laisse pas encore restituer complètement, mais la seconde partie ne peut être que le turc *tonga*, "héros" (cf. *JA*, 1913, I, 457). Il est assez

---

1) Tel me paraît bien être le sens du § 187 de l'*Histoire secrète des Mongols*, mal compris par Palladius. Le mot *ötök* ou le verbe *ötöklä'ül-* apparaissent à plusieurs reprises dans l'*Histoire secrète* (§ 154, 189, etc.); l'*ötök* était l'"invitation à boire"; *ötöklä'ül* est le causatif du verbe dénominatif issu de *ötök*. Le *Tcho-keng lou* de 1366 (21, 19—20) décrit le rite observé pour boire dans les banquets impériaux. Un homme tenant une tablette de bois était debout à gauche du souverain; un autre tenant une coupe se tenait debout à sa droite; celui qui tenait la tablette disait 斡脫 *wo-t'o*; celui qui tenait la coupe répondait 打弼 *ta-pi*, la musique jouait, puis on présentait le vin à l'empereur qui buvait; quand il avait fini, la musique reprenait un autre air et on offrait à boire aux hauts dignitaires. T'ao Tsong-yi, l'auteur du *Tcho-keng lou*, voit là un rite que les Mongols auraient hérité des Kin, mais je crois plus vraisemblable, dans le cas présent, qu'il s'agisse d'un usage turc. En effet *wo-t'o* est naturellement l'*ötök* de l'*Histoire secrète des Mongols*. Le mot n'a pas survécu en mongol, mais en fait je ne le crois pas mongol d'origine; c'est simplement, à mon avis, le mot turc *ötüg*, "prière", et il ne peut être qu'emprunté (et assez tardivement) en mongol, car la correspondance normale de *ötü-* en mongol est *öči-*, parfaitement attesté; en somme, la formule d'invitation serait la même que celle usuelle en chinois dans le même cas, 請請 *ts'ing-ts'ing*, "je [vous] prie, je [vous] prie". Et quant à *ta-pi*, en valeur de transcription sous les Mongols **dabi* (aves les incertitudes de notation entre *t-* et *d-* initiaux dans les transcriptions chinoises de mots altaïques), j'y vois le turc *tabïq* ou *tabuq*, "hommage", "respect", qui existe en mongol, mais emprunté au turc (cf. Vladimircov, dans *ZVOIRAO*, XX, 170). En somme, le premier hérant dirait, "je vous prie", et le second ajouterait "en hommage". Dans les textes chinois de l'époque mongole, on trouve souvent la mention d'une catégorie de gens appelés 斡脫 *wo-t'o* (altéré dans bien des cas en 幹脫 *kan-t'o*); malgré l'identité de la transcription, il s'agit d'un tout autre original; ce second *wo-t'o* représente une prononciation *ortoq* de *ortaq*, nom connu des associations commerciales qui étaient organisées surtout par les Musulmans.

singulier qu'aucun texte du XIII^e siècle n'ait livré jusqu'ici le nom de ce personnage, ni ne fasse allusion à son histoire; sa popularité paraît commencer lorsqu'il reçut un titre posthume en 1308, et il se peut que son rôle ait été grandi après coup [1]).

1) T'a-t'a-t'ong-a est bien connu en Europe depuis l'article qu'Abel Rémusat lui a consacré (*Nouv. mél. asiat.*, II, 61—63); celui-ci l'a tiré du *Yuan che lei-pien* (28, 2) qui reproduit en réalité le *Yuan che* avec quelques coupures; je ne sais à quoi Rémusat fait allusion en disant que la conversation de Gengis-khan et de T'a-t'a-t'ong-a "est racontée avec quelques détails de plus dans divers ouvrages mandchous et chinois"; s'il s'agit du *Yuan che* et qu'il y ait eu accès, on ne voit pas pourquoi il ne l'a pas utilisé directement (le *Mong-wou-eul che-ki* ne connaît pas d'autre source que le *Yuan che* pour T'a-t'a-t'ong-a; cf. aussi *Asia Major*, II, 287). En tout cas, et à part une suite de contresens de Rémusat à la p. 62 sur les paroles que, selon Rémusat, T'a-t'a-t'ong-a adresse aux "autres princes" alorsque, dans le texte, le Ouigour parle à ses propres fils, il y a une différence importante entre le *Yuan che* et le *Yuan che lei-pien*. Celui-ci dit que Gengis ordonna à T'a-t'a-t'ong-a d'"enseigner les princes ses fils au moyen des lettres ouigoures" (太子諸王 *t'ai-tseu tchou-wang* ne signifie pas "le fils aîné de Tchingkis et les autres princes mongols" comme l'a cru Rémusat; il n'y avait pas à proprement parler de *t'ai-tseu* ou "prince héritier" en 1206; le *Mong-Ta pei-lou* a une rubrique *t'ai-tseu tchou-wang*, et tous les fils de Gengis y sont appelés *t'ai-tseu*; *t'ai-tseu* a eu d'ailleurs, parmi les Kin et ensuite parmi les Mongols, des emplois encore plus lâches). Mais le texte complet du *Yuan che* est que Gengis-khan ordonna à T'a-t'a-t'ong-a "d'enseigner aux princes ses fils à écrire la langue nationale (c'est-à-dire le mongol) au moyen des lettres ouigoures" (命教太子諸王以畏兀字書國言). Si Rémusat a connu le texte véritable du *Yuan che*, on comprend d'autant moins qu'il l'ait négligé que cela lui aurait permis de corriger l'opinion de Klaproth, reproduite et approuvée par lui en 1820 dans les *Recherches sur les langues tartares* (p. 31), et selon laquelle "sous le règne de Tchinggis-khan et des trois premiers de ses successeurs, Ogode-khan, Goutyou-khan et Monggou-khan, on n'écrivoit pas en langue Mongole, mais en ouigour". Le rôle prêté à T'a-t'a-t'ong-a par sa biographie peut avoir été grandi indûment, mais il n'y a guère à douter qu'on ait écrit la langue mongole, avec des caractères ouigours, dès le début du XIII^e siècle. Nous ignorons en quelle langue Gengis-khan aurait ordonné en 1206 à Šigi-qutuqu d'inscrire les sentences judiciaires sur les "cahiers bleus" dont il sera question bientôt; *a priori* on doit penser que c'était vraisemblablement en mongol; mais il y a peut-être quelques réserves à faire sur la date. Plus tard, lorsque Gengis-khan eut au Turkestan chinois des conversations avec le taoïste K'ieou Tch'ou-ki, il ordonna de noter en traduction chinoise celle du 29 octobre 1222 (cf. Palladius dans les *Trudy* de la mission russe de Pékin, IV, 331; Bretschneider, *Med. Res.*, I, 95, a confondu cette conversation avec celle dont il va être question ensuite, et ses conversations en dates européennes sont dans cette partie trop hautes d'un jour; c'est cette conversation du 29 octobre 1222 qui doit constituer l'ouvrage encore existant et que j'ai signalé dans *T'oung Pao*, 1928/29, 174—175). Mais, par la suite,

Même à prendre l'histoire au pied de la lettre, le *Yuan che* nous dit seulement que Gengis-khan, ayant appris par T'a-t'a-t'ong-a l'usage du "sceau en or" (金章 *kin-tchang*) du souverain des Naïman, fit dès lors apposer des sceaux sur ses propres édits; mais ni la biographie de T'a-t'a-t'ong-a, ni aucun texte contemporain de Gengis-khan ne donne, pour autant que je me rappelle, des renseignements sur le ou les sceaux que Gengis-khan employa. Le "sceau en or" du souverain Naïman n'avait naturellement pas été le premier du genre en Asie Centrale, et il ne fut pas le dernier; mais aucun terme mongol correspondant n'a encore été signalé, et le turc *altun tamγa*, qui pourrait signifier "sceau d'or", s'est appliqué en fait non pas à un sceau en or, mais à un sceau apposé avec de l'encore d'or (cf. Pavet de Courteille, *Dictionnaire turc-oriental*, 31) [1]). M. B. parle de deux sceaux des souverains mongols, le *al-tamγa* ou "sceau vermeil" et le *kök-tamγa* ou "sceau bleu", mais ce sont là en réalité des termes turcs, et les formes correspondantes mongoles **al-tamaγa* et **kökö-tamaγa* n'ont pas encore été relevées [2]).

---

le 31 janvier 1223, Gengis-khan eut avec le maître taoïste une autre conversation qu'"il ordouna à ses assistants de noter au moyen de lettres *houei-ho*" (敕左右記以回紇字; cf. Palladius, *ibid.*, 333, 419); bien que, chez K'ieou Tch'ou-ki, *houei-ho* désigne tantôt les Musulmans et tantôt les Ouigours, il est bien vraisemblable qu'il s'agit ici d'un texte écrit en langue mongole au moyen de l'alphabet ouigour. Tel est le cas, de toute manière, pour la pierre dite de Gengis-khan qui doit être de 1225. Et on sait que le cachet de Güyük en 1246 est aussi en écriture ouigoure, mais en langue mongole.

1) Cf. l'expression en apparence synonyme *altun nïšanlïq yarlïq*, "édit au cachet d'or", dans le *yarlïq* de Toqtamïš (*ZVOIRAO*, III, 16); mais le *yarlïq* de Tämir-qutluq, a (*ibid.*, 38) *altun nïšanlïq al tamγalïq yarlïq*, ce qui montre que *nïšan* et *tamγa* ne se confondent pas.

2) Le mongol *tamaγa* est très vraisemblablement emprunté, et semble sorti du turc *tamγa*; M. Bang, *Manich. Laien-Beichtspiegel* (*Muséon*, XXXVI, 210), le tient toutefois pour un reste d'une civilisation préturque. Le mot apparaît déjà dans les inscriptions de l'Orkhon sous la forme *tamqa*; l'explication de Radlov sur *tamγa* = **tayma* (*ZVOIRAO*, III, 23) ne semble pas à retenir.

Le seul type de sceau des souverains mongols qui nous soit connu directement est le "sceau vermeil", apposé en vermillon sur du papier blanc; tel est le cas pour le sceau de Güyük et pour ceux des ilkhan de Perse; et le nom d'*al-tamγa* se rencontre assez fréquemment à partir du milieu du XIII^e^ siècle [1]). Quant au *kök-tamγa*, Hammer (*Goldene Horde*, 219) l'avait déjà signalé. M. B. dit que "le sceau bleu ne s'est employé apparemment que dans les occasions les plus solennelles, principalement sur des documents adressés à des membres de la famille du khan"; et en note, il renvoie, pour un exemple d'"emploi du cachet bleu", à Rašīdu-'d-Dīn (Berezin, *Trudy*, V, 40; texte persan, VII, 51). Mais cet exemple est celui-là même auquel Hammer avait déjà fait allusion, et on ne nous dit pas que le terme ou la chose soient mentionnés ailleurs. Dans ce passage de Rašīdu-'d-Dīn, il est question des fils d'un compagnon de Hulaqu, lesquels fils étaient au service d'Abaγa, et il est dit que l'un d'eux, آروق Aruq, "se rendit une fois en ambassade auprès du *qa'an* (= Khubilaï) et en apporta un *kök-tamγa*; et ici (= *en Perse*) toute la direction [2]) des *šüsünči* (?) [3]) lui fut

1) M. B. le signale dans le *Ṭabaḳāt-i Nāṣirī*, p. 1158 (où la note de Raverty est indéfendable); cf. aussi Vullers, I, 48; F. Babinger, dans *Jahrbuch der asiat. Kunst*, II, 190; aux exemples déjà relevés, ajouter par exemple Juwainī, II, 223, copié ensuite dans Rašīdu-'d-Dīn (éd. Blochet, II, 39); ce sont là naturellement les *bullae rubeae* ou *bolle rosse* des textes relatifs aux khans du Qïpčaq (cf. Yule-Cordier, *Marco Polo*³, I, 352). Hammer qui, dans sa *Geschichte der goldenen Horde*, imprimée en 1840 (p. 218), avait distingué le *al-tamγa* apposé en rouge de l'*altun-tamγa* apposé à l'encre d'or, a prétendu en 1843 dans sa *Geschichte der Ilkhanen* (II, 242) qu'*al-tamγa* est simplement "abrégé" (*abgekürtzt*) d'*altun-tamγa*, "weil roth für die Farbe des Goldes gilt", et cette prétendue identité foncière des deux termes a passé dans Pavet de Courteille, *Dict. turk-oriental*, 31 (encore qu'à la p. 29 *al* seul soit rendu entre autres par "sceau... marqué en rouge..."); il n'y a, à mon avis, rien à retenir de cette théorie bizarre. Cf. aussi Samoïlovič dans *Izv. R. Ak. Nauk*, 1918, 1110; 1926, 1115.

2) Je traduis par "direction" le mot que Berezin écrit toujours توساميشى et lit *tüsämiši* (cf. *Trudy*, V, 40 [2 fois], 77, 106 et la note p. 230) en le rattachant à *tüz-*, "préparer"; il le traduit tantôt par "organisation", tantôt par "institution", tantôt par "direction"; les deux premières fois, Berezin a indiqué des variantes de ses mss.; il n'en signale plus par la suite. M. Blochet (II, 85, 131, 133) donne la même forme que Berezin,

passée; et par la suite, par création d'Abaγa-khan, il fut émir". Comme on le voit, rien dans le texte n'indique la nature et la

---

sans aucune indication de variantes, et je ne vois pas qu'il ait de note explicative sur ce mot, ni dans le corps du volume, ni dans l'Appendice. Il s'en faut cependant que la forme et l'origine du mot soient assurées. Tous les passages montrent qu'il signifie la "direction" d'un groupe d'individus, le fait de les avoir sous ses ordres. Mais le glossaire de l'édition de Bombay de Wassāf écrit یوسامیشی *yosamiši* (cf. Vullers, II, 1531) et y voit un doublet de *yasamiši*; bien que Quatremère n'ait rien dit de ce doublet dans sa note sur *yasamiši* (*Hist. des Mongols*, CLXII), cette solution ne serait pas impossible en soi, puisque nous avons vu les doubles formes *bögäül* et *bükäül* (*bägäül*?), *kötäül* et *kütäül* et qu'on connaît de bonne heure un doublet *yolanči* de *yalavač* (cf. *ZVOIRAO*, III, 23—24); mais il serait assez surprenant que Rašīdu-'d-Dīn employât concurremment les deux formes, et d'ailleurs *yasamiši*, bien que signifiant l'action de régler, de mettre en ordre, paraît se distinguer par une nuance sémantique du mot qui nous occupe ici et qui signifie le fait d'avoir tels ou tels groupes sous ses ordres. Si les mss. de Rašīdu-'d-Dīn ont bien dans la plupart des cas توسامیشی sans variante, comme les éditions de Berezin et de M. Blochet donnent lieu de le supposer, c'est à cette forme qu'il faudra se tenir. Mais les formes turques connues ne donnent pas directement d'explication satisfaisante (Radlov n'a pas de verbe توسامق; Pavet de Courteille, 234, a seulement un mot توشامیشی qu'il interprète par "rébellion", "action de s'élancer", mais pour lequel je ne trouve pas de correspondant dans Radlov, et qui d'ailleurs n'irait pas ici; à l'index de son t. 3, p. 18, *s.v.* توشامق, Radlov renvoie à un [3]*tüšä-*, 1588, qui ne se trouve pas dans le corps même du dictionnaire, et d'ailleurs signifie vraisemblablement "étaler"); je me demande si, dans *tüsämiši*, nous n'avons pas affaire à une forme verbale apparentée au mot mongol usuel pour désigner les "fonctionnaires", *tüšimäl* (< **tüsimäl*; emprunté en ouigour tardif sous la forme *tüšümäl*; cf. Radlov, III, 1591, confirmé par *ZVOIRAO*, XVI, 03).

3) Les mss. de Berezin ont سوسناجی, سونجی, سونکی, et c'est سوناجی que Berezin a adopté dans son texte, mais à la p. 232, n. 48, il a écrit sans mot dire سوینجی en disant que c'était là "naturellement" un mot apparenté à *sävinč*, "joie", et *sävinči*, "message agréable" (cf. Radlov, IV, 505—506), et il y retrouve même, empruntée selon lui au turc, l'expression chinoise 宣差 *siuan-tch'ai* qui est sûrement hors de question (dans les *Trudy* de Pékin, IV, 420, Palladius a dit au contraire que le terme "mongol" *siunči* [= *sävinči*; lire "turc" au lieu de "mongol"] était refait sur le chinois *siuan-tch'ai*; cette opinion ne me paraît pas plus plausible, et l'idée en est peut-être venue à Palladius en lisant la note de Berezin); dans XIII, 257, il a adopté سیونجی. Mais il me paraît bien probable qu'il faille préférer سوسناجی et reconnaître là les سوسونجی *susunči* qui apparaissent à deux reprises dans le *yarlïq* de Tämir-qutluq, à côté des *yamči*, c'est-à-dire des gens en charge des stations postales (*ZVOIRAO*, III, 24—25, 37; aussi Samoïlovič dans *Izv. R. Ak. Nauk*, 1918, 1123, et *Neskol'ko popravok*, tir. à part des *Izv. Tavrič. Obšč. Istorii*, I [1927], 2); et il en est de même pour les deux prétendus سوینکی de Berezin, *Trudy*, V, 181 (les mss. C et D, VII, 241, ont

valeur du *kök-tamγa* ni n'établit même qu'il fût adressé à Abaqa et ne fût pas un diplôme remis à Aruq pour son usage personnel. Je crois donc que les conclusions de M. B. sont ici au moins prématurées, et peut-être même peut-on entrevoir une explication assez différente que je ne proposerai d'ailleurs qu'à titre très hypothétique.

Dans la traduction chinoise abrégée de l'*Histoire secrète des Mongols*, que Palladius avait alors seule à sa disposition, il est raconté (§ 203) comment Gengis-khan confia les fonctions de grand juge à Šigi-qutuqu (en 1206) et lui prescrivit d'inscrire les décisions sur des 青冊 *ts'ing-ts'ö* [1]). Palladius (*Trudy* de Pékin, IV, 115) a traduit ce terme par "tablettes noires" (*čërnyya dščicy*), en quoi

(سوسوکحی). Radlov veut expliquer ce mot par *susun*, qui signifie en ǰaghataï "petit lait" et en kirghiz s'emploie au sens de "boisson" en général; d'après Radlov, il s'agirait d'un employé des stations de poste chargé de faire boire (et manger, ajoute Radlov) les fonctionnaires de passage. Malgré la transcription arabe et l'original ouigour qui écrit le mot avec *u* et non *ü* dans la première syllabe, j'incline à revenir pour le *yarlïq* à une étymologie que Berezin avait proposée (*Khanskie yarlïki*, II, 31) et que Radlov a écartée, à savoir le mongol *ši'üsün*, qui se contracte en *šüsün*, *šüsü*, et a été emprunté en mandchou sous la forme *šusu*; c'était le mot administratif sous les Mongols pour désigner les "rations" de vivres (on a sous les Mongols une transcription 首思 *cheou-sseu*, = **šiüs*, dans le *Yuan tien tchang*, 36, 2 v⁰; Kovalevskiĭ, 1431, enregistre un mot *sümüsün* ou *sümüsü* qui n'est peut-être qu'un doublet de *ši'üsün*). Les *šüsünči* seraient les fonctionnaires en charge des rations, mais peut-être une contamination se produisit-elle de bonne heure en pays turc entre le mongol *šüsün*, peu connu, et le turc *susun*, et ceci expliquerait le *susunči* du *yarlïq*, sinon même l'apparente forme à *s-* au lieu de *š-* des mss. de Rašīdu-'d-Dīn utilisés par Berezin. Le titre de *ši'üsünčin* me paraît à retrouver encore vraisemblablement dans le "*šügüsüjin*" de Ramstedt, *Mongol. Briefe aus Idiqut-Schähri* (*Sitzungsber. d. k. preuss. Ak. d. Wiss.*, Phil.-hist. Kl., 1909, 841). Tout comme les "*susunči*" suivent les *yamči* dans le *yarlïq* de Tämir-qutluq, les *ši'üsü* ou "rations" sont nommées juste après les *ula'a* ou "chevaux de poste" à la l. 12 de l'édit dit de la veuve de Darmabala, et de même à la l. 25 d'une inscription *'phagspa* inédite du Tch'ong-yang-kong datée de 1351; la combinaison *ula'a ši'üsün* a d'ailleurs survécu en mongol (cf. Kovalevskiĭ, 394), et a passé en mandchou sous la forme *ula šusu* (cf. le dictionnaire de Zakharov, p. 156).

1) L'édition de Yuan Tch'ang et celles qui la reproduisent ont ici 清冊 *ts'ing-ts'eu*, qui est certainement fautif; Palladius a encore connu la leçon correcte, qui est confirmée par le texte complet à traduction interlinéaire.

il a été suivi par M. Vladimircov (*Čingis-khan*, p. 80) et ici même (p. 391) par M. Barthold. Dans une longue note (pp. 223—224), Palladius essayait de justifier sa traduction en disant que *ts'ing-ts'ö* signifie mot-à-mot "tablettes sombres", et de façon plus générale "notes", comme par exemple dans 戶口青冊 *hou-k'eou ts'ing-ts'ö*, "notes sur la population"; *ts'ing-ts'ö* désignerait aussi parfois des "diplômes accordés par le souverain"; enfin Palladius ajoutait que les Mongols se servent encore, pour prendre des notes, de tablettes de bois appelées *sambar*; elles sont graissées avec du beurre et frottées de cendre d'*arγal*; on écrit sur elle avec un roseau par exemple; les caractères ressortent en noir et se conservent longtemps. Palladius, à qui nous devons par ailleurs tant de renseignements excellents, me paraît avoir fait ici fausse route. Les *sambar* (ou plutôt, en mongol écrit, *sambara*) tiennent lieu d'ardoise ou de tableau noir, mais ils n'ont pas pour but de garder longtemps ce qu'on leur confie et qui dure naturellement bien plus longtemps sur du papier; or on verra, ainsi qu'on pouvait s'y attendre, qu'il s'agit dans le texte d'assurer la conservation fidèle et immuable des décisions judiciaires. Par ailleurs, *ts'ing-ts'ö* signifie normalement "cahier bleu", et je ne sache pas qu'il s'attache à ce terme des sens aussi précis que le dit Palladius; peut-être à Pékin l'a-t-on employé populairement de nos jours pour des diplômes impériaux mandchous sur fond sombre, mais les dictionnaires ne l'ont pas enregistré jusqu'ici; quant à *hou-k'eou ts'ing-ts'ŏ*, je ne l'ai jamais lu ni entendu tel quel; l'expression courante est 戶口冊 *hou-k'eou ts'ŏ* ou 戶口冊子 *hou-k'eou ts'ŏ-tseu*, qui désigne les liasses de recensement. Si nous nous reportons au texte mongol de ce § 203, nous voyons que *ts'ing-ts'ŏ* est simplement la traduction littérale du *kökö däbtär* ou "cahier bleu" sur lequel devront être écrites les répartitions de population entre les nobles mongols et les décisions judiciaires et qui sera broché en cahier (*basa gür irgän-ü qubï*

qubīlaqsan-ī ǰarqu ǰarqulaqsan-ī kökö däbtär bičik bičiǰü̯ däbtärläǰü̯), et le texte de l'ordre de Gengis-khan continue en disant: "Qu'on ne change [rien] à l'écrit bleu qui aura été broché avec du papier blanc; que ceux qui y changeraient soient [traités en] coupables!" (*kökö bičik čaqa'an ča'alsun-tur däbtärläksän-i bu yä'ütkätügäi; yä'ütkäkün haran aldaltan boltuqaï*).

Comment faut-il entendre ce texte quant à l'exécution matérielle du *kökö-däbtär* ou "cahier bleu"? Le premier point important à noter est que nous sommes en principe en 1206, à un moment où il serait surprenant, mais non impossible, que Šigi-qutuqu eût su lire et écrire; mais il pouvait à la rigueur se servir de secrétaires sans savoir lire lui-même; on ne peut toutefois écarter absolument l'idée que, lors de la compilation de l'*Histoire secrète des Mongols* en 1240, la tradition orale ait rapporté à 1206 des faits qui étaient assez sensiblement postérieurs. Quoi qu'il en soit, le *kökö-däbtär*, qu'il ait été rédigé en 1206 ou quelques années plus tard, devait être en écriture ouigoure et en langue mongole. Il était broché en papier blanc, mais le texte lui-même était un *kökö bičik*, une "écriture bleue", un "texte bleu". Ceci peut s'entendre de deux façons; ou bien le texte était écrit à l'encre bleue sur papier blanc, ou bien il était écrit sur papier bleu avec une encre d'une autre couleur [1]). Nous

1) Je ne fais intervenir ici que le papier, mais il pourrait à la rigueur s'agir de peaux j'avais réuni plusieurs textes relatifs à d'anciens manuscrits mongols sur peau de mouton, mais ne retrouve actuellement que les références au commentaire du ch. 7 du 淵穎集 *Yuan-ying tsi*, f⁰ 13 v⁰, et au 升菴合集 *Cheng-ngan ho tsi*, 169, 19 r⁰. La question sera à reprendre dans une étude sur la diffusion du mot διφθέρα (ou de son prototype oriental), lequel est à la base de persan *däftär*, mongol *däbtär*, etc., et désignait primitivement un manuscrit sur peau; de même le sanscrit *pustaka*, hindustani *pothī*, nom usuel des manuscrits hindous, est emprunté à un dérivé iranien de *pōst*, "peau". Cf. aussi *Hôbôgirin*, 47*b* (s.v. *baita*). Ces manuscrits mongols sur peau devaient être de même nature que ceux que les Juifs de Chine ont continué d'employer pour leurs *Pentateuques*; il y a eu aussi des manuscrits manichéens sur peau (cf. A. Stein, *Innermost Asia*, 594). Mais la matière même du *däftär* est sans grande importance ici, où il s'agit surtout du sens à donner à la mention de la couleur "bleue".

connaissons des textes mongols écrits en bleu: tel est le cas par exemple pour le *Kanjur* mongol imprimé à Pékin que j'ai rapporté et qui est aujourd'hui à la Bibliothèque Nationale. Mais en outre on a écrit souvent en Extrême Orient des textes, surtout religieux, sur papier bleu foncé et presque noir; cet usage, attesté aujourd'hui pour des manuscrits bouddhiques des T'ang écrits à l'encre d'or, a été très répandu au Moyen Age chez les Mongols, les Tibétains, les Si-hia. Sous les Ming, les taoïstes offraient des suppliques aux dieux qu'on appelait des 青 詞 *ts'ing-ts'eu* ou "écrits bleus"; ils étaient écrits à l'encre rouge sur papier bleu foncé [1]). Ici, le fait qu'on mentionne que le *kökö-däbtär* sera broché en papier blanc [2]) donnerait presque à supposer que les feuillets eux-mêmes étaient d'une autre couleur, et je supposerais volontiers qu'il était en papier bleu-foncé et écrit à l'encre rouge ou même à l'encre d'or [3]) si nous avions connaissance de textes d'usage laïc ainsi écrits. Faute d'indice de ce genre, j'admets provisoirement qu'il s'agit d'un texte écrit à l'encre bleue sur papier blanc. Mais, dans l'un comme dans l'autre cas, ce "*Cahier bleu*", qui consacrait les fiefs et les privilèges des nobles, était un ouvrage dont ils devaient se réclamer à l'occasion, et c'est par là que je reviens à Aruq et à son *kök-tamγa*. Ce qu'il

---

1) Cf. *JA*, 1913, I, 365—366; y joindre Palladius, *Russko-kitaïskiï slovar'*, II, 344, qui donne des renseignements analogues mais en traduisant à nouveau *ts'ing* par "noir"; aussi Chavannes, *Le jet des dragons*, p. 114.

2) Ceci du moins paraît bien garantir que le nom de *kökö-däbtär* n'est pas dû à la couleur de la couverture comme c'est le cas pour les "livres jaunes, livres bleus", "livres rouges" de la diplomatie occidentale moderne.

3) Rašīdu-'d-Dīn parle parfois d'un ouvrage mongol *Altan däbtär* ou "*Cahier d'or*", gardé sévèrement, et qui semble avoir contenu, entre autres, des données généalogiques sur les grandes tribus mongoles; cf. à son sujet, Quatremère, *Hist. des Mongols*, 74; Berezin, *Trudy*, V, 183; Blochet, *Introd. à l'Histoire des Mongols*, p. 309 (à la p. 97, M. Blochet dit que Rašīdu-'d-Dīn renvoie "souvent" à l'*Altan däbtär* dans ses notices des tribus; c'est très exagéré); Barthold, *Turkestan*², 44—45. Evidemment ce livre pouvait être écrit à l'encre d'or, mais d'autres titres de chroniques, comme celui des *Altan tobči*, n'ont sûrement pas cette signification, et le mot "or" peut simplement avoir été adopté dans le titre avec la valeur de "précieux".

rapporta de la cour de Khubilaï à la cour de Perse, n'était-ce pas un extrait de cette sorte de d'Hozier mongol, et naturellement muni d'un sceau pour en garantir l'authenticité? [1]) Comme c'était alors un extrait du "*Cahier bleu*", l'habitude avait pu se prendre d'apposer en pareil cas un cachet bleu. Ou encore, à la rigueur, le nom de *kök-tamγa* pouvait désigner par extension un extrait du "*Cahier bleu*", copié à l'encre bleue comme l'original, d'où *kök*, et muni d'un sceau, d'où *tamγa*. Une dernière hypothèse enfin serait qu'à raison du *kökö-däbtär*, le nom de *kök-tamγa* se fût par la suite appliqué à touts les jugements délivrés par le tribunal suprême de l'empire mongol, même s'ils n'avaient rien à voir avec le contenu même du *kökö-däbtär* primitif. Il se peut enfin que la notion même du *kökö-däbtär* soit à rapprocher de ces chroniques *nīlapiṭa* que Hiuan-tsang (trad. Julien, *Mém.*, I, 72) signalait dans l'Inde.

P. 391. — "The office of "Great Bakhshi", *i. e.* head of the civil administration in any particular district, was designated by the Chinese term taishi. In the lifetime of Chingis-Khān the title of taishi was borne by the head of the Mongol civil authority in China, a Jurchit by birth. The commanders of the Qarā-Khiṭāy and Jurchit auxiliaries bore the title of daishi, with, according to Rashīd ad-Dīn, meant "Commander ot a tümen" (division of 10000 men), but there is no doubt that in this case we have the same word taishi." Il y a dans ce paragraphe certaines inexactitudes dues aux sources dont M. B. a disposé, et aussi quelques autres points qu'il vaut de préciser.

En premier lieu, le "*daishi*" (*daišī*) de la seconde phrase, qui

1) Ceci ne veut naturellement pas dire que Šigi-qutuqu n'ait pas jugé de procès d'autres sortes, ni même que ces autres causes n'aient pas figuré dans le (ou les) *kökö-däbtär*. Sur le rôle de juge de Šigi-qutuqu, M. B. fait aussi état d'un paragraphe de Rašīdu-'d-Dīn (Berezin, *Trudy*, V, 59) et je crois qu'il a raison, bien que Berezin (*ibid.*, VII, p. xi) estime ce passage interpolé.

signifierait commandant de *tümän* et serait identique à *taiši*, résulte de mauvaises lectures de Berezin. Dans le passage auquel M. B. renvoie, Berezin (*Trudy*, XV, 143) a parlé d'un "Uyaru-daiši", et c'est à propos de ce personnage que se trouve, pour "*daiši*", la glose sur le sens de commandant de 10000 hommes invoquée par M. B.; mais les mss. mêmes de Berezin (*Trudy*, XV, texte persan, p. 214) montrent qu'il faut lire اويار ونشى Uyar-vanšai (ou Üyär-vanšai), et c'est là le même personnage que Berezin a correctement appelé Üyär-vanšai dans *Trudy*, XV, 33; la glose sur *vanšai* au sens de chef de 10 000 hommes se trouve déjà dans ce premier passage, et l'équivalence n'en est pas douteuse: c'est le chinois 元帥 *yuan-chouai*, "généralissime" [1]); le passage parallèle du *Cheng-wou ts'in-tcheng lou* (éd. de Wang Kouo-wei, 59*b*) a d'ailleurs 烏葉兒元帥 Wou-ye-eul *yuan-chouai*, et il s'agit de 吾也而 Wou-ye-eul, Üyär, qui a une biographie dans le ch. 120 du *Yuan che* [2]).

---

1) Rašīd emploie aussi وانكشاى *vangšai* et وانشى *vanšai* (*Trudy*, XV, texte persan, 53, 214). Il faut lire de même يونكشى *yungšai* ou جونكشى *ǰungšai* = *yuan-chouai* dans Berezin, XV, 20, 22, 25, 26. Ces dernières orthographes semblent suggérer une prononciation mongole populaire du titre chinois de *yuan-chouai* où le *y-* était passé à *ǰ-* et ou l'*n* s'était gutturalisé. Je soupçonne que c'est ce titre qui est employé comme nom propre pour le compagnon de Gengis-khan dont l'*Histoire secrète des Mongols* écrit successivement le nom J̌ungso (ou J̌ungsu?), J̌ungsai, J̌ungšai et J̌ungšwai.

2) L'identité des personnages ne peut faire doute, mais Rašīdu-'d-Dīn fait de Üyär un "Qarakhītaï", c'est-à-dire un K'i-tan (chez Rašīd, Qarakhītaï désigne aussi bien les K'i-tan restés dans la Chine du Nord que les "Qarakhitai de Balasaqun), au lieu que le *Yuan che* dit que c'est un 珊竹 Chan-tchou (lu San-tchou à l'époque mongole), c'est-à-dire un Salǰi'ut, donc un Mongol, et connaît son père 圖魯華察 T'ou-lou-houa-tch'a (*Turγačaq?, *Turγaqča?); les tableaux généalogiques de Ts'ien Ta-hin ont pour les membres de cette famille des variantes de noms et une suite de descendants que le *Yuan che* ne donne pas et qui proviennent vraisemblablement de quelque inscription funéraire que je n'ai pas retrouvée. Il est possible que Rašīdu-'d-Dīn ait fait une confusion entre les Chinois du Nord (漢人 Han-jen) que conduisait Üyär, c'est-à-dire pour lui des gens du Khitaï, et les Qarakhitaï, c'est-à-dire les K'i-tan. Üyär, d'après le *Yuan che*, aurait vécu 95 ans, de 1162 à 1257. J'ai rétabli Chan-tchou (San-tchou) en Salǰi'ut,

Je ne sais où M. B. a pris que le titre de *taïšï* correspondait à l'"office" de "grand *baχši*", "chef de l'administration civile dans un district quelconque"; Rašīd glose *taïšī* par *baχsi-i buzurg* et par *baχši u ustād-i buzurg*, mais il n'est pas à ma connaissance qu'un terme administratif turc d'*uluγ baχšï* ou mongol de *yäkä baqšï* ait jamais été rencontré avec l'indication d'une telle équivalence. Quant à l'original du titre de *taïšï* des textes mongols, tantôt c'est 太子 *t'ai-tseu*, mot-à-mot "prince héritier", mais dont le sens s'est affaibli dès l'époque mongole au sens de "prince du sang", puis qui a fini par devenir le simple équivalent de "noble apanagé" pour les *taiǰi* (= *t'ai-tseu*) ou *hong-taiǰi* (= 皇太子 *houang t'ai-tseu*, mot-à-mot "prince impérial") de l'époque moderne; et tantôt c'est le chinois 太師 *t'ai-che* [1]). Dans la vraie Chine du Moyen Age, le titre de *t'ai-che*, mot-à-mot "grand instructeur", était encore très élevé, bien que ne répondant plus à aucune fonction réelle; l'explication de Rašīd n'est donc pas inexacte; mais sous les Leao, le titre de 太師 *t'ai-che* a été adopté comme nom de fonction dans toutes sortes d'administrations civiles et militaires, métropolitaines et provinciales, sans que ces fonctions aient rien à voir avec les *t'ai-che* de la hiérarchie purement chinoise; en particulier, il y avait un *t'ai-che* dans chaque "grande tribu"; il prenait rang après le 夷離堇 *yi-li-kin* (probablement le *irkin* ou *erkin* des vieilles

comme l'avait fait d'ailleurs déjà Ts'ien Ta-hin; à s'en tenir au texte de Berezin sur les tribus mongoles, on pourrait hésiter entre les سالجيوت Salǰiut, qui sont les Salǰï'ut (*Trudy*, V, 180) et le nom de tribu qu'il lit سنجيوت Sanǰiut (*Trudy*, V, 187), mais deux de ses manuscrits (les meilleurs) ont سجيوت Sïǰiut, et je ne doute guère que ce soient là les Šïǰu'udaï (< Sïǰu'udaï) du § 49 de l'*Histoire secrète*. Pour le nom des Salǰï'ut, on serait a priori tenté, malgré les légendes généalogiques mongoles, d'y retrouver le même nom qui est représenté par celui des Salǰuq, les Seldjoucides; mais M. B. (p. 257) fait remarquer que la véritable forme de ce dernier nom est Sälǰük, ce qui rend l'identification plus difficile.

1) M. Vladimircov (*Čingis-khan*, 14) n'a envisagé que l'équivalence *t'ai-tseu*; il faut lui ajouter celle de *t'ai-che*.

titulatures turco-mongoles) et les deux ministres (*tsai-siang*) de droite et de gauche de cette tribu (*Leao che*, 46, 1*a*). Mais la valeur du titre avait tellement changé que les Chinois à leur tour ne l'ont pas reconnu, et le Näkün-taïšï [1]) du § 50 de l'*Histoire secrète des Mongols* est appelé un 太子 *t'ai-tseu* dans la traduction chinoise de ce texte, un 大石 *ta-che* (lire 太石 *t'ai-che*) dans le *Cheng-wou ts'in-tcheng lou* (35 *b*) [2]), un 太司 *t'ai-sseu* dans le tableau généalogique du début du *Tcho-keng lou* de 1366 et dans le tableau correspondant du ch. 107 du *Yuan che*, et les traducteurs chinois de Sanang Secen ont à leur tour rendu son titre phonétiquement par 泰實 *t'ai-che*. Nombre des *taïšï* dont il est question dans les textes relatifs aux origines de l'empire mongol peuvent ainsi suivre la tradition des Leao, et leur valeur n'est pas encore nécessairement celle des véritables *t'ai-che* chinois, pas plus qu'ils ne sont nécessairement administrateurs d'un territoire civil; c'est en outre là une fonction que les véritables *t'ai-che*, quand l'empire mongol aura vraiment pris par la suite une allure chinoise, n'exerceront jamais; les *t'ai-che* du temps de Rašīdu-'d-Dīn étaient en principe de hauts dignitaires métropolitains [3]).

---

1) Pour ce nom l'explication hypothétique de *näkün* par *nikän*, "un", mise en avant par Berezin (*Trudy*, XIII, 192), est naturellement à rejeter. Le mot n'a pas survécu en mongol, mais se retrouve dans le § 200 de l'*Histoire secrète des Mongols*, où il est traduit par 家人 *kia-jen*, "serviteur"; en outre, le vocabulaire arabo-mongol de Leyde récemment et brillamment étudié par M. Poppe contient (*Izv. Ak. Nauk*, 1928, 72) un terme نكون بول *nikün bōl* (à lire vraisemblablement *nekün bōl* = *näkün bōl*) qui est traduit en arabe par "femme esclave" (*bōl*, mo. écrit *bo'ol*, signifie "esclave" en général; j'ignore quel est le terme arabe en question, car M. Poppe n'a donné que la traduction des mots arabes); M. Poppe, qui ne connaissait pas le § 200 de l'*Histoire secrète*, a justement rapproché du mot de son vocabulaire le nom de Näkün-taïšï et le mandchou *nehu*, "femme esclave".

2) Cette transcription permet de se demander si le fameux 耶律大石 Ye-liu Ta-che, le fondateur des Leao occidentaux ou Qarakhitaï, n'est pas simplement à l'origine un Ye-liu *taïšï*.

3) Ces titres chinois passés chez les peuples non chinois du Nord demanderont une étude spéciale. C'est ainsi que, au début de l'époque mongole les [illegible] ou [illegible]

Pour dire que, sous Gengis-khan, le chef de l'autorité civile mongole en Chine, un Jučen, portait le titre de *taïšï*, M. B. renvoie au *Mong-Ta pei-lou* dans la traduction de Vasil'ev (*Trudy*, IV, 223); mais deux pages plus haut (p. 221), il aurait pu voir que ce même titre de *taïšï* est donné dans le même texte au lieutenant-général commandant les forces militaires, le *kouo-wang* Muqalï [1]). Quant au taïšï même que M. B. a en vue, le texte qui le concerne dans le *Mong-Ta pei-lou* soulève d'assez sérieuses difficultés. Ce texte est ainsi conçu: "Le principal ministre, le *t'ai-che* 脫合 T'o-ho, est le frère aîné du 太傅 *t'ai-fou* 兎花 T'ou-houa; il est originairement un Jučen; c'est un homme très rusé; les [deux] frères, l'aîné et le cadet, se soumirent au souverain mongol (= Gengis-khan) qui a fait d'eux des généraux et ministres". Sur le *t'ai-fou* T'ou-houa, aucun doute n'est possible; c'est là le *yuan-chouai* Tuqa nommé à côté du *yuan-chouai* Uyar aussi bien dans Rašīdu-'d-Dīn (dans *Trudy*, XV, 33 et 143) que dans le passage parallèle du *Cheng-wou*

---

ne semblent pas être, comme on s'y attend au premier abord, de ces *sängün* dont le nom, tiré du chinois 將軍 *tsiang-kiun*, "généralissime" (ou parfois simplement "général"), apparaît déjà dans les inscriptions de l'Orkhon, mais bien des 相公 *siang-kong*, des "gens de bonne souche", des "fils de famille", comme le veut d'ailleurs Rašīdu-'d-Dīn (par exemple dans Berezin, *Trudy*, V, 98, = *χudāvand zādah*); et c'est assez vraisemblablement *siang-kong*, plutôt que *tsiang-kiun*, qui, passé en langue *k'i-tan*, est revenu en chinois des Leao sous les formes 詳穩 *siang-wen*, 常袞 *tch'ang-kouen*, 敞穩 *tch'ang-wen*, etc. Les *lingqum* mongols semblent être les 令穩 *ling-wen* des Leao (*Leao che*, 46, 2 *a*), sans que l'original chinois de ce dernier titre apparaise clairement; on songe à 郎君 *lang-kiun*, mais le titre de *lang-kiun* s'était aussi maintenu tel quel chez les Leao (en tout cas, il ne doit pas s'agir du 靈官 *ling-kouan* indiqué aussi gratuitement que formellement dans Blochet, *Introd. à l'Histoire des Mongols*, 183, 289).

1) C'est naturellement ce titre de 國王 *kouo-wang*, mot-à-mot "roi", spécialement donné à Muqalī, qui a été adopté pour lui dans les historiens musulmans sous la forme كويانك *guyang* (*kouo*, "royaume", est transcrit avec finale [illegible] en écriture 'phags-pa, d'où le *y* de la transcription musulmane); le 高王 *kao-wang* de M. Blochet (*Introd.*, 183) n'existe pas.

ts'in-tcheng lou (59 v⁰) [1]); il a une biographie au ch. 149 du *Yuan che*; son nom complet était 耶律秃花 Ye-liu T'ou-houa, et il est exact qu'il fut nommé *t'ai-fou*, mot-à-mot "grand précepteur", à la suite de ses services militaires sous les ordres de Muqali dans la Chine du Nord; il mourut en commandant en chef contre les Kin; on voit que lui du moins, et malgré son titre de *t'ai-fou*, n'avait rien d'un fonctionnaire civil."

Mais il en est de même pour son frère aîné, le *t'ai-che* "T'o-ho". Selon toute vraisemblance, 合 *ho*, comme dans la plupart des transcriptions de l'époque mongole, est ici en valeur de 哈 *ha* et il faut lire T'o-ha; nous avons ici par suite un simple doublet du nom précédent, et nous sommes amenés à supposer, comme l'a fait Wang Kouo-wei, que l'auteur du *Mong-Ta pei-lou* ne distinguait les deux frères que par leur titre, l'un étant pour lui le *t'ai-che* T'o-ha (= Toqa, pour Tuqa), l'autre étant le *t'ai-fou* T'ou-houa (= Tuqa). Mais nous connaissons le nom véritable du frère aîné de Ye-liu T'ou-houa, qui est tout autre; ce frère aîné s'appelait en effet 耶律阿海 Ye-liu A-hai, et il a une biographie dans le ch. 150 du *Yuan che*; on y voit que Gengis-khan l'avait en effet nommé *t'ai-che* en 1214 et mis à la tête du Grand Secrétariat, en même temps qu'il nommait *t'ai-fou* son frère cadet Ye-liu T'ou-houa. Ye-liu A-hai n'en était pas moins, tout comme son frère, un commandant militaire beaucoup plus qu'un gouverneur civil.

L'indication du *Mong-Ta pei-lou* que les deux frères étaient des

---

1) Berezin a adopté توغاى Tuγai dans le premier passage, توغان Tuγan dans le second; les mss. hésitent entre les deux lectures dans le premier passage, mais supposent tous Tuγan dans le second; ce doit être là la forme originale de Rašīd, avec l'-*n* final quiescent qui se rencontre si souvent dans l'onomastique et le vocabulaire mongols. Le nom aura subi populairement chez les Mongols l'attraction du mongol *taγan*, mais il n'est pas primitivement mongol, et nous devons garder pour lui la forme Tuqa des sources chinoises. Pour ce personnage comme pour Ūyār, Berezin a bien lu son titre sous la forme *[illegible]* dans le premier passage, mais a substitué *daiši* dans le second, contre le texte de tous ses manuscrits.

Jučen ne doit être accueillie qu'avec certaines réserves. Il est exact que tous deux étaient dans le territoire et au service des Kin avant de passer, de bonne heure d'ailleurs, au service de Gengis-khan; mais par leur origine, et comme leur nom de famille même l'indique, c'étaient des K'i-tan, agnats de la famille royale des Leao. Et ceci explique un passage du voyage de K'ieou Tch'ou-ki à propos duquel une confusion semble avoir été commise par M. B. M. B. parle (p. 451) des Qara-khitai qui, après la prise de Samarkand par les Mongols, s'y établirent avec des Chinois au milieu de la population musulmane, et il ajoute: "Ahai, le gouverneur de la ville, appartenait aux Qara-khitai, et portait le titre de *taiši*; il était au courant de la civilisation chinoise, puisqu'il servit comme interprète dans la conversation entre Ch'ang-tch'ouen (= K'ieou Tch'ou-ki) et Gengis-khan." Strictement parlant, Qara-khitai désigne pour nous les K'i-tan qui avaient émigré du Nord de la Chine un siècle avant les campagnes de Gengis-khan dans l'Ouest, ceux qu'on appelle en chinois les "Leao occidentaux", et c'est bien le sens que M. B. semble bien donner à ce terme dans tout son livre (cf. à l'index, p. 498: "Liao (Western) *see* Qarā-Khiṭāys"); ceci étant, il y a dans le cas présent une erreur manifeste. Si "Ahai" est au courant de la civilisation chinoise, c'est qu'il s'agit de Ye-liu A-hai, d'origine K'i-tan, mais fonctionnaire des Kin avant de devenir général de Gengis-khan. K'ieou Tch'ou-ki lui donne le nom de famille de 移剌 Yi-la, doublet bien connu de Ye-liu (Ye-liu Tch'ou-ts'ai écrivait lui-même son nom Yi-la Tch'ou-ts'ai). La biographie de Ye-liu A-hai nous apprend d'ailleurs que lorsque Gengis-khan partit pour les pays musulmans, Ye-liu T'ou-houa resta avec Muqalī, mais Ye-liu A-hai accompagna Gengis et, après la conquête de Buqara et de Samarkand, "fut laissé comme gouverneur de Samarkand avec la responsabilité entière d'y assurer la bonne

entente" (留監尋斯干專任撫綏之責). Il ne s'agit pas d'un "Qara-khitaï" [1]).

Pp. 391 et 392, n. 3. — La question du titre de "*biki*" est assez obscure et complexe, mais les transcriptions chinoises ne pa-

---

1) Les biographies des deux frères sont reproduites, avec des notes parfois intéressantes, dans un ch. non numéroté du *Mong-wou-eul che-ki* de T'ou King. Le nom personnel de A-hai (= *Aqaï ou *Aγaï) peut peut-être s'expliquer, malgré notre ignorance presque entière de la langue k'i-tan. En jučen tardif, il y a un mot *a-ha-ngai* (= **aqa'aï*), "esclave", auquel le mandchou répond par *aha* (cf. Grube, *Die Sprache und Schrift der Jučen*, p. 89); mais la forme du jučen ancien est donnée sous la transcription 阿合 *a-ho* (lire 阿哈 *a-ha*) dans le vocabulaire final du *Kin che* (4 *a*), et le 松漠紀聞 *Song-mo ki-wen*, qui doit être de 1143, dit qu'en jučen un esclave se dit 亞海 *ya-hai* et une esclave 亞海軫 *ya-hai-tchen*. Tout ceci nous amène à admettre en jučen ancien un mot *aqaï* ou *aχaï*, "esclave", qui serait exactement représenté par le *a-hai* de Ye-liu A-hai. Or, un grand nombre de personnages des tribus nomades de la Chine ont porté ce nom-là; on a déjà vu que dans Näkün-taïšï, *näkün* signifie "une esclave"; le fils et successeur de Muqali s'est appelé Bo'ol, mot-à-mot "esclave", et il y a vers l'époque mongole de nombreux personnages qui ont reçu en chinois le nom personnel de 家奴 Kia-nou, "esclave", de 小斯 Siao-sseu, "petit serviteur", de 黑斯 Hei-sseu, "serviteur noir"; il semble qu'il faille rattacher ces noms à l'habitude qu'on avait de nommer le nouveau-né d'après le premier objet ou le premier être qui frappait les yeux de la mère dès la fin de l'accouchement. Bien que les K'i-tan aient parlé, à mon avis, une langue mongole d'ailleurs très palatalisée par le voisinage des tribus tongous, il n'est pas impossible que le mot jučen pour "esclave", et précisément à raison de ce voisinage, ait également existé chez eux, ou encore que Ye-liu A-hai, dont la famille, bien que d'origine k'i-tan, vivait sur le territoire et au service des Kin, ait reçu un nom jučen. Même chez les anciens K'i-tan, la langue k'i-tan semble avoir perdu beaucoup de terrain vers la fin des Kin, et le K'i-tan Ye-liu Tch'ou-ts'ai, celui qui fut ministre de Gengis-khan et d'Ögödäi, passait, à tort ou à raison, pour être le dernier qui connût l'écriture k'i-tan de ses ancêtres. Pour le nom de l'esclave femme, la forme du *Song-mo ki-wen* suggère un original **aqaïǰïn* ou *aχaïǰïn*, dont le correspondant ne semble pas avoir existé ou survécu en mandchou; cette finale en *-ǰïn* ne devra pas être négligée quand on étudiera les féminins mongols en *-čïn* et *-qčïn*; cf. par exemple ce que Rašidu-'d-Dīn dit des tribus tartares chez qui le nom tribal deviendrait un nom personnel en ajoutant *-taï* s'il s'agit d'un homme, et *-čïn* (ou *-ǰïn*?) s'il s'agit d'une femme (*Trudy*, V, 51—52); dans le mongol du l'*Histoire secrète des Mongols*, les noms de personnes au féminin sont parfois en *-qčïn* (comme aujourd'hui pour les noms des couleurs des femelles chez les animaux), mais la distinction de genre des adjectifs, aujourd'hui inconnue, semble s'être marquée par le suffixe *-tu* (*-tü*) pour les hommes et *-taï* (*-täi*) pour les femmes.

raissent pas laisser de doute qu'il faille lire بيكى *beki* (*bäki* dans l'*Histoire secrète des Mongols*), peut-être pour **bgi*, **bägi*. Il n'est pas exclu, comme on l'a, je crois, proposé, que ce soit là originairement, et de même lorsque ce "titre" termine des noms de princesse, le turc *bägi*, c'est-à-dire *bäg* avec le suffixe possessif *-i* de la 3ᵉ personne, emprunté sous forme fixe en mongol, tout comme on disait en turc *tängrim* (dialectalement même *tärim* dans les inscriptions du Semiréč'e), *khanïm* (et *khanum*), *bägim* ("*begum*" de l'Inde), avec le suffixe possessif *-ïm* de la première personne. Toutefois tout cela est fort douteux, et M. B. peut avoir raison quand il incline à séparer le titre de *bäki* des hommes de celui de *bäki* ou *bägi* des femmes. M. Vladimircov (*Čingis-khan*, 14 et 84) ne dit rien non plus des titres de princesses à propos de *bäki* et considère que ce dernier titre a été porté originairement par des chefs qui étaient en même temps des sorciers; c'est possible, mais il n'y a là qu'une inférence basée sur le passage même de l'*Histoire secrète* que M. B. a cité. Sans en vouloir tirer actuellement aucune conclusion, je voudrais faire intervenir un renseignement nouveau. Le *Yuan che* (122, 5—6) contient la biographie d'un homme du Si-hia ou Tangut, 昔里鈐部 Si-li K'ien-pou [1]), qui a dû vivre de 1191 à 1259;

1) Si-li est le nom de clan ou de famille; quant à K'ien-pou, la biographie avertit que c'est la même chose que 甘卜 *kan-pou* et que les deux formes s'emploient indifféremment; nous n'avons donc là qu'une variante du "nom" ou plutôt de l'épithète ou titre que l'*Histoire secrète* transcrit toujours *gambu* (ou *gämbü*?) et qui entre à l'époque mongole dans le nom d'un assez grand nombre de gens, J̌a'a-gambu (ou J̌aqa-gambu), Aša-gambu, etc.; le troisième fils de notre Si-li K'ien-pou s'est appelé 小鈐部 Siao K'ien-pou, c'est-à-dire le "petit *gambu*". Nous avons l'habitude de transcrire *gambo*, et de lire J̌agambo le nom du frère de Ong-khan des Keräit, mais c'est pure convention basée sur une étymologie du nom qui est encore hypothétique. Rašīdu-'d-Dīn interprète جاكمبو J̌a-gambu par "chef du pays et chef honoré (امير ولايت و امير معظم *amīr-i vilāyat u amīr-i mu'aẓẓam*), ajoutant que *ǰā* signifie "pays" (*vilāyat*) et que *gambu* signifie "honoré" (*mu'aẓẓam*) (Berezin, dans *Trudy*, V, 98; VII, 125). M. Vladimircov (*Čingis-khan*, 14) a dit que le titre de "*gam-bo*" ou "*ǰa-gam-bo*" était "tangouto-tibétain", ce qui est sûrement exact sous cette réserve que "*gam-bo*" (*gambu*)

il servit Gengis-khan, puis participa au siège de Riazan en Russie en 1237 et à celui de *Mäkäs au Caucase en 1239—1240 [1]); dans ses tableaux généalogiques des Yuan, Ts'ien Ta-hin a, sur la famille de Si-li K'ien-pou, des indications beaucoup plus complétes que celles du *Yuan che* et qu'il emprunte sans doute à une inscription funéraire que je ne retrouve pas actuellement [2]); or on lit entre autres chez Ts'ien Ta-hin que le père de Si-li K'ien-pou, 荅加沙 Ta-kia-cha, "servit ce royaume [de Si-hia] en qualité de 必吉 *pi-ki* (**bigi*), ce qui a le même sens qu'en chinois "ministre" (宰相 *tsai-siang*)".

P. 392. — Le nom de la Sibérie apparaît en outre, sous la

---

seul paraît être vraiment un titre, et que J̌a-gambu est en fait un nom d'homme, mais la connaissance encore très superficielle de la langue *si-hia*, qui a servi ici d'intermédiaire, rend plus difficile la restitution de la forme véritable, même si à l'origine celle-ci est purement tibétaine. Dans sa courte notice sur J̌a'a-gambu (à la fin de la biographie de Ong-khan; Ie ch. n'a pas de n⁰), le *Mong-wou-eul che-ki* explique le nom par le vieux titre tibétain de *bcan-p'o*, ce qui est naturellement hors de question. En écriture ouigoure du mongol, *ǰa'a* et *ǰaqa* s'écrivent de même; la leçon de Rašīdu-'d-Dīn doit donc nous faire préférer la lecture *ǰa'a* = *ǰā*. Berezin n'a su que faire de ce mot, mais il me paraît assez vraisemblable que ce soit là le tibétain *rgya*, "vaste", qui a pris en fait la valeur de noms de pays dans rGya-nag ("Vaste noir") ou simplement rGya, "la Chine", et dans rGya-gar ("Vaste blanc"), "l'Inde"; les Si-hia semblent avoir connu les Chinois sous le nom de Ja (*j* = *dz*), qui serait aussi identique au tibétain rGya (cf. *T'oung Pao*, 1916, 65, où je ne suis pas d'accord avec l'opinion exprimée par M. Laufer; je reconnais toutefois que, si une prononciation *ǰa* de l'élément tibétain *gya* est conforme à certaines prononciations dialectales tibétaines et à la prononciation mongole moderne du tibétain, les transcriptions chinoises de l'époque mongole faites directement sur le tibétain transcrivent encore avec *gya* et non *ǰa*; mais nous devons tenir compte ici de l'intermédiaire *si-hia*). Quant à *gambu*, Berezin (*Trudy*, V, 261) y a vu le tibétain *mkhan-po*, prononcé pratiquement *khambo*, et qui signifie "maître", "professeur", *upadhyaya*; mais ce titre religieux ne va pas très bien ici, et on peut aussi songer à *sgam-po*, "accompli", "parfait"; et enfin, ici encore, nous ne devons pas oublier que le titre arrive par le *si-hia* et peut recouvrir tout autre chose.

1) Sur le siège de ces villes, cf. *JA*, 1920, I, 166, 168—169.

2) Ts'ien Ta-hin emprunte évidemment à cette source inconnue un autre nom de Si-li K'ien-pou, 益立山 Yi-li-chan, (ou 蓋立山 Kai-li-chan?); comme Si-li est le nom de clan et que *k'ien-pou* est un titre, il est vraisemblable que ce soit là le vrai nom du personnage.

forme "Sibur", dans une lettre franciscaine de 1320, très instructive par les renseignements qu'elle donne sur des tentatives d'apostolat qu'on ne savait pas avoir été dirigées jusque-là; cf. M. Bihl et A. C. Moule, *Tria nova documenta de Missionibus Fr. Min. Tartariae Aquilonaris annorum 1314—1322*, dans *Arch. Francisc. historicum*, 1924, 60—62 et 68. Par ailleurs le "Albizibi" du *Libro del conosçimiento* (cf. A. Van Den Wyngaert, *Sinica Franciscana*, I [1929], 572) ne peut guère être aussi qu'Ibir-Sibir.

P. 393. — M. B., comme M. Vladimircov et la plupart des auteurs, écrit toujours *qurultay* (*qurultaï*) pour le nom des grandes assemblées des Mongols, et telle est en effet la forme adoptée par les historiens musulmans; mais la vraie forme mongole est *qurïltaï* (*qurïlta* dans le dernier paragraphe de l'*Histoire secrète*).

P. 393, n. 4. — La forme "Hobogo" du P. Hyacinthe est à supprimer; elle provient des orthographes "réformées" de K'ien-long.

P. 396, n. 5. — Je ne crois pas à l'existence d'un mot *taryū* et je considère que la vraie lecture de ترغو ou ترقو est toujours *toryu*, aujourd'hui *toryo*; c'est là une autre forme de *torqan* (= *toryan*) qu'on lit dans le § 135 de l'*Histoire secrète*, et le dictionnaire de Kovalevskiĭ (p. 1891) a recueilli en mongol les formes *toryan*, *toryon*, *torya*, *toryo*. Dans tous les textes que je connais, *toryan* ne désigne pas une "pièce d'étoffe en général", mais un tissu de soie léger; c'est d'ailleurs avec le même sens que *toryu* existait en ouigour ancien, et on le rencontre déjà dans le *Qutadyu-bilig* (cf. Radlov, III, 1185; la prononciation *turyu* de III, 1457, est très douteuse).

P. 398. — Les sources musulmanes amènent M. B. à dire que le gouverneur d'Otrar qui fit assassiner les "envoyés" de Gengis-khan (telle est la version du *Yuan che*, avec 使者 *che-tchō*, "envoyé", et il est aussi question d'"envoyés" dans l'*Histoire secrète*), s'appelait Īnalčïq (Īnalčuq chez Rašīd) et portait le titre de Qāyïr-khan (γayïr-khan chez Rašīd, = Qayïr) ou de Qādïr-khan. On remarquera

que *inalčïq* signifie "prince" en ǰaghataï (à peu près comme *ïnal*) et pourrait donc être en soi un titre aussi bien qu'un nom; on connaît par ailleurs, chez les anciens Oïrat, un personnage qui a porté le nom, apparenté à *ïnal* et *ïnalčïq*, de Ïnalčï (cf. Berezin, dans *Trudy*, V, 79; XIII, 222; les sources chinoises connaissent également cet Ïnalčï). D'autre part, Rašīdu-'d-Dīn (Berezin, V, 113—114; VII, 144) parle d'une tribu apparentée aux Naïman et dont le chef portait le "nom" de Qadïr-buïruq-khan, قادر *qādïr* signifiant "fort et tout-puissant" (عظيم و قهار *ʿaẓīm u qahhār*); mais, ajoute Rašīd, les Mongols, ne connaissant pas ce nom, le prononcent قاجر *qaǰïr*, de même qu'il y a des médicaments mongols qu'on appelle *qaǰïr*, alors que leur nom ancien était *qadïr*. Il est évident, de par le texte même, que nous n'avons pas affaire ici, pas plus que dans le nom du gouverneur d'Otrar, à une forme arabe قدر Qadr comme l'avait cru Raverty, mais à un mot altaïque, en fait au turc *qadïr*, "puissant", "terrible", qui se rencontre déjà dans l'épigraphie de l'Orkhon (Radlov, II, 326, et ajouter F. W. K. Müller, *Uigurica II*, 58 et 59), et qui, dialectement, a passé en turc à *qazïr* (Radlov, II, 379); le changement est du même ordre que celui qui oppose au turc *qatïr*, "mule", une forme dialectale turque *qačïr* également passée dans le mongol du XIII^e siècle (cf. *JA*, 1927, II, 271)[1]. Devant ces flottements, il n'est pas sans intérêt de noter que le nom du gouverneur d'Otrar apparaît dans le ch. 1 du *Yuan che* (*s.a.* 1219) sous la forme 哈只兒只蘭禿 Ha-tche-eul Tche-lan-t'ou.

1) Le mongol classique ne connaît plus ni *qačir*, "mule", ni *qaǰir* au sens de "terrible", "puissant", même comme épithète de médicaments. Le seul *qaǰïr* enregistré dans les dictionnaires mongols désigne un oiseau plus ou moins fabuleux, identifié au *gṛdhra* ou "vautour" du bouddhisme et où Kovalevskiï semble avoir vu une transcription de *gṛdhra*. Mais l'équivalence phonétique des deux mots ne va pas de soi, et il est très possible que *qaǰïr šïba'un* ait seulement signifié à l'origine l'"oiseau terrible"; c'est aussi là l'oiseau *qačïr* (lire *qaǰïr*) dont le nom s'est rencontré dans un texte ǰaghataï et dont Radlov (II, 340) ne savait trop que faire. Sur *qadïr* et *qaǰïr*, cf. aussi Vladimirov dans *Doklady Ak. Nauk*, 1929, 135 et 136.

Ha-tche-eul ramène régulièrement à Qajïr et représente exactement le stade "mongol" que Rašīdu-'d-Dīn signale pour Qadïr; j'estime donc que Qadïr-khan est plus correct que Qayïr-khan. Quant à Tche-lan-t'ou, il suggère normalement un original *J̌ïlaltuq; il semblerait que ce fût une mongolisation de Ïnalčïq (*Yïnalčuq?), avec équivalence mongole fréquente de *ǰ-* mongol à *y-* turc, assimilation de *n* à l'*l* qui suit et suffixe mongol *-tuq* (cf. par exemple le nom du Tayïčï'ut Qïrïltuq) à la place du suffixe turc *-čïq* ou *-čuq*; cette série de changements n'en reste par moins surprenante [1]).

P. 399, n. 2. — Le nom de l'envoyé mongol dans l'*Histoire secrète* (§ 254) n'est pas "Uqun", mais Uquna (= *uquna*, "bouc domestique"); M. B. a été trompé par la déclinaison russe du nom.

P. 402. — "Ko-san and Ba-sze-ha (Kāsān and Akhsīkath?)". La biographie de Ho-sseu-mai-li (*Yuan che*, 120, 7*a*), à laquelle ces noms sont empruntés, dit: "Ho-sseu-mai-li [2]) était un homme de Kou-tsö-wo-eul-to (Ghuzz-ordo?) des pays d'Occident. Au début, il fut au service personnel du *k'ouo-eul-han* (*körqan = *qür-khan*); ensuite il fut gouverneur (長官 *tchang-kouan*) 八思哈 *pa-sseu-ha* de 可散 K'o-san qui dépend de Kou-tsö-wo-eul-to. Quand T'ai-tsou (= Gengis-khan) fit campagne dans l'Ouest, Ho-sseu-mai-li vint audevant de lui faire sa soumission en amenant les chefs (酋長 *tsieou-tchang*) de K'o-san et autres villes." La difficulté porte sur *pa-sseu-ha*, où M. B., sur la foi de Bretschneider (*Med. Res.*, I, 233) a vu un nom de ville, qui ne se retrouve jusqu'ici nulle part ailleurs; en soi, ce n'est pas impossible. Mais s'il s'agissait d'une ville de

1) Elle est d'autant plus surprenante que, dans cette série, l'initiale turque *ï-* se retrouve en mongol, aussi bien dans l'adjectif *inaltu* que dans *inaq* et ses dérivés. On ne peut songer à une faute de texte dans le chinois, car le nom du gouverneur d'Otrar apparaît encore sous la même forme Tche-lan-t'ou (cette fois sans Ha-tche-eul) dans la biographie de Ye-liu A-hai (*Yuan che*, 150, 4*b*).

2) On rétablit souvent ce nom en ʿIsmaïl, ce qui est tentant, mais en assez sérieux désaccord avec les autres transcriptions chinoises de ce nom; il n'est pas sûr qu'il s'agisse d'un nom musulman.

Kasan et d'une ville de Pa-sseu-ha, on attendrait en chinois, après les deux noms, une formule 等城 *teng-tch'eng* que le texte ne donne pas; j'incline plutôt à croire qu'il n'y a qu'un nom de ville et que *pa-sseu-ha* ou bien porte sur K'o-san ou est dans la dépendance de *tchang-kouan*. On ne voit pas quelle pourrait être la valeur d'un mot *pa-sseu-ha* qui porterait sur K'o-san. Comme qualificatif de *tchang-kouan*, une solution s'offre à l'esprit; *pa-sseu-ha* transcrit régulièrement *basqaq*, le terme turc qui désigne les mêmes fonctionnaires que le terme mongol de *daruγači*; la seule difficulté réelle, et que je ne suis pas à même de résoudre, est d'établir qu'il y avait des *basqaq* en pays qarakhïtai avant la conquête mongole.

P. 403 et n. 1. — "Sārikūl". Si M. B. donne cette forme comme la forme moderne, je n'ai rien à dire. Mais Rašīdu-'d-Dīn (*Trudy*, XV, 40, et texte persan, 63) écrit ساريق قول qu'il faut certainement lire Sarïq-qol, "Rivière jaune" (et non Sarïq-qul comme l'a fait Berezin). C'est également à Sarïq-qol que ramène la forme du *Cheng-wou ts'in-cheng lou*. Quant à l'*Histoire secrète* (§ 237) elle a non pas "Salikhun", mais Sarïq-qun, "Falaise jaune"; seulement le manuscrit mongol retrouvé récemment prouve que les transcripteurs du XIVe siècle ont eu ici une mauvaise leçon et que le texte original de l'*Histoire secrète* avait également Sarïq-qol.

P. 403. — "Bāwurchiq"; M. B. renvoie pour cette forme à J̌uwainī, I, 63, où elle ne se trouve pas, et en tout cas on a بارجوق Barčuq dans I, 32. Je ne vois pas pourquoi M. B. n'a pas gardé cette forme, généralement adoptée avant lui et que les transcriptions chinoises garantissent. D'ailleurs l'inscription sino-mongole (inédite) de 1362 vient encore confirmer la lecture; le nom du souverain ouigour y est donné, en écriture ouigoure, sous sa forme complète de Barčuq-art-tägin. Le nom turc de Barčuq, interprété traditionnellement par *bars* + *čuq*, l'"endroit des tigres", se retrouve dans la nomenclature géographique comme nom ancien de

Maralbaši ou d'un emplacement qui en était tout proche (cf. *JA*, 1916, I, 113, et von Le Coq dans *Aufsätze... Ernst Kuhn*, 1916, p. 155). Kowalewski a un mot *barčuq*, "petite panthère".

P. 409. — Vaut-il mieux lire Suyunč ou Sävinč?

P. 411 (et 413, 414, 416). — "Tughāy-khan". Dans tous les cas où nous pouvons assurer la lecture, les Tuγāi de Berezin sont en réalité des Taγāi; n'en serait-il pas de même ici?

P. 416. — La lecture "Tāynāl" est garantie par l'*Histoire secrète*.

P. 436, n. 1. — Sur une de ces colonies musulmanes transplantées dans l'Est, cf. aujourd'hui *JA*, 1927, II, 261—279.

P. 451. — Les dates ont été souvent mal converties par Bretschneider; au lieu du 26 avril 1222, il faut lire le 28, et au lieu du 29 novembre, le 30.

Si j'ai cru bon de formuler toutes ces remarques, si même j'ai pu les faire, c'est à raison de la masse d'informations précises que nous devons au très beau travail de M. B. et qui facilitent des rapprochements nouveaux. Me permettra-t-il de souhaiter en terminant qu'il trouve le temps, malgré des occupations nombreuses et variées, d'éditer enfin ce "manuscrit Tumanskiĭ" qui a déjà tant fourni et paraît promettre encore plus? [1])

---

1) Je suis surpris qu'à la p. 13 M. B. ne dise rien sur le sort du manuscrit lui-même et ne parle que de la copie qui en avait été faite par le baron Rosen. Si je ne me trompe, le manuscrit original, après des pérégrinations qui l'avaient amené jusqu'à Paris, est entré depuis plusieurs années dans les collections de l'Académie des Sciences de Russie.

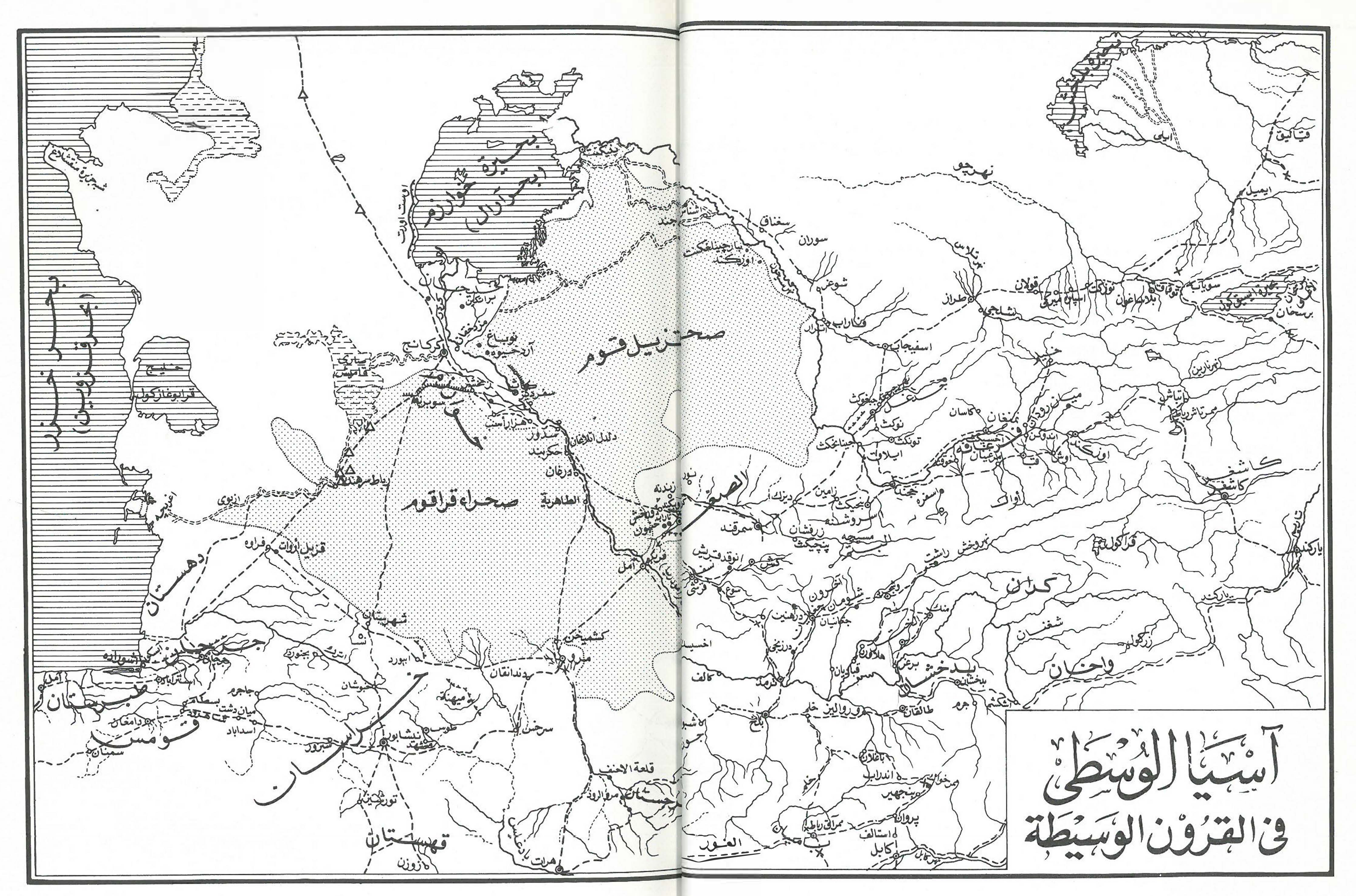
الملحق الخامس

تصحيح السقطات التي وجدت طريقها إلى الترجمة الانجليزية للكتاب*

الصفحة	الخطأ	الصواب
P. 34, Footnote 3	Ferraud	Ferrand
P. 98, Footnote 5	الطراويسي	الطواويسي
P. 135, Line 32	Arsud	Asrud
P. 221, Footnote 2	Bāshār	Bishr
P. 225, Line 7	Bashar	Bishr
P. 274, Line 12	493	403
P. 474, Line 13 (from below)	Muslim	Mongol
P. 474, Line 10 (from below)	denom –	(delete)
P. 485, Line 10 (from below)	doubting that	doubting the trustwor-thiness of Jūzjāni's account that...
P. 487, Line 19 (from below)	Each	He
P. 491, Line 4 (from below	Mubarak Shah's son	Mubārak Shāh himself
P. 491, Line 3 (from below)	October–November 1264	Biginning with October 1264
P. 492, Line 15 (from below)	located	looted
P. 494, Line 3	who spread	who later spread
P. 495, Footnote 4	169	159
P. 496, Footnote 10	Kafarov, 157 (ed.Kozin, 197)	Bichurin, 260

(*) هنات طفيفة، وإن كان يجب أن تخلو منها تلك الترجمة الجيدة (طبعة ١٩٦٨) - المترجم.

P. 505, Line 2	noted	notes
P. 508, Footnote 117		(reference to یاسنامهٔ بزرك «The Great Book of the Yasa»)
P. 511, Footnote 159	Batu distributed	Mongke distributed
P. 514, Footnote 200	Christianity in Semirechiye	Christianity in Transoxania and Semirechiye
P. 516, Footnote 225	Wassaf speaks of a census of the inhabitants of Bukhara and of its Mongol Garrison	... and not of its Mongol Garrison
P. 517, Line 3	In any case, the whole content...	furthermore, the whole content...


آسيا الوسطى
في القرون الوسيطة
صحراء قراقوم
صحراء قزيل قوم
بحيرة خوارزم (بحر آرال)
دهستان
خراسان
قهستان
قومس
طبرستان
فرغانة
الصغد
كاشغر
واخان
شغنان
سمرقند
نيسابور
سرخس
مرو
بلخ
ترمذ
هراة
كابل
سمنان
اسفيجاب
الطاهرية
قلعة الاحنف
أخسيكث

كشاف المراجع

ثبت المختصرات

(الدوريات والسلسلات والمجموعات والمؤسسات)

Az. muz.	المتحف الاسيوي
Az FAN	فرع اكاديمية العلوم السوفيتية بآذربيجان
«V. V. Bartoldy»	« عقد الجمان: مجموعة بحوث مقدمة الى ف.ف. بارتولد. من أصدقائه وتلامذته وقرّائه بتركستان » (تاشكند ١٩٢٧)
Brit. Mus.	المتحف البريطاني (لندن)
VV	« الدورية البيزنطية » (لنينجراد، موسكو)
VDI	« مجلة التاريخ القديم » (موسكو)
VI	« مسائل التاريخ » (موسكو)
VLU	« مجلة جامعة لنينجراد »
GAIMK	الأكاديمية الحكومية لتاريخ الحضارة المادية
GIM	المتحف الحكومي للتاريخ (موسكو)
GPB	المكتبة الحكومية العامة باسم سالطيكوف - تشدرين (لنينجراد)
DAN	« تقارير أكاديمية العلوم »
DAN-V	« تقارير أكاديمية العلوم السوفيتية »، السلسلة ف
JMNP	« صحيفة وزارة التعليم القومي » (سان بطرسبرغ)
ZVORAO	« مدونات القسم الشرقي الامبراطوري للجمعية الآثارية الروسية » (سان بطرسبرغ، بطروغراد)
ZIAN	« مدونات أكاديمية العلوم الامبراطورية » (سان بطرسبرغ)
ZIVAN	« مدونات معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم للسوفيتية » (لنينجراد)
ZIRGO	« مدونات الجمعية الجغرافية الامبراطورية الروسية » (سان بطرسبرغ)
ZKV	« مدونات كلية اللغات الشرقية التابعة للمتحف الآسيوي التابع لاكاديمية

العلوم السوفيتية » (لنينجراد)

« مدونات أكاديمية العلوم الروسية » (سان بطرسبرغ)	ZRAN
« وقائع أكاديمية العلوم الامبراطورية » (سان بطرسبرغ)	IAN
« وقائع أكاديمية العلوم لجمهورية آذربيجان السوفيتية » (باكو)	IAN-AzSSR
« وقائع أكاديمية العلوم السوفيتية » (موسكو - لنينجراد)	IAN-SSSR
« وقائع أكاديمية العلوم لجمهورية تاجيكستان السوفيتية »	IAN-Tadj SSR
« وقائع أكاديمية العلوم لجمهورية اوزبكستان السوفيتية » (تاشكند)	IAN-Uz SSR
معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية	IVAN
« وقائع الجمعية الجغرافية للاتحاد السوفيتي » (لنينجراد)	IVGO
« وقائع الأكاديمية الحكومية لتاريخ الحضارة المادية » (موسكو - لنينجراد)	IGAIMK
« وقائع الجمعية الجغرافية الحكومية » (لنينجراد)	IGGO
« المجلة التاريخية » (موسكو)	IJ
« المدونات التاريخية » (موسكو)	IZ
« وقائع الجمعية الجغرافية للامبراطورية الروسية » (سان بطرسبرغ)	IIRGO
معهد شعوب آسيا التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية	INA
« وقائع جمعية الآثار والتاريخ والاثنوغرافيا بجامعة قازان »	IOAIEK
« وقائع الأكاديمية الروسية لتاريخ الحضارة المادية » (سان بطرسبرغ، بطروغراد، لنينجراد)	IRAIMK
« وقائع أكاديمية العلوم الروسية » (بطروغراد)	IRAN
« وقائع الجمعية الآثارية للامبراطورية الروسية »	IRAO
« وقائع اللجنة الروسية لدراسة آسيا الوسطى والشرقية في المجالات التاريخية والآثارية واللغوية والاثنوغرافية » (سان بطرسبرغ)	IRKSA
« الاسكندرية. مجموعة اصدرها المعهد الشرقي لتركستان تكريما للبروفسور A. E. Shmidt. شمت ١٠١ بمناسبة مرور خمس وعشرين عاما على أول محاضرة له بتاريخ ١٥/٢٨ يناير ١٨٩٨ » (تاشكند ١٩٢٣)	«Al-Iskenderia»
« وقائع القسم التركستاني للجمعية الجغرافية الامبراطورية الروسية » (تاشكند)	ITORGO

IIALI معهد اللغة والأدب والتاريخ

KSIV « تقارير موجزة لنشاط معهد الدراسات الشرقية لأكاديمية العلوم السوفيتية » (موسكو – لنينجراد ، موسكو)

KSIIMK « تقارير موجزة للتقارير والبحوث الميدانية لمعهد تاريخ الحضارة المادية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية (موسكو-لنينجراد ، موسكو)

KSINA « تقارير موجزة لمعهد شعوب آسيا التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية » (موسكو)

KSIE « تقارير موجزة لمعهد الاثنوغرافيا التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية » (موسكو-لنينجراد ، موسكو)

IGU جامعة لنينجراد الحكومية

MAR مواد في آثار روسيا

MGU جامعة موسكو الحكومية

MIA مواد وبحوث في آثار روسيا

MIIKK مواد وبحوث في تاريخ القرغيز وقرغيزستان

MITT (أنظر ما يلي ، القسم الأول أ)

MIUTT (أنظر ما يلي ، القسم الأول أ)

MONS « مواد الاجتماع العلمي الموحد المكرس لتاريخ آسيا الوسطى وقزاخستان قبل الثورة البولشفية » (تاكشند ١٩٥٥)

MPVNKV « مواد المؤتمر العلمي الاتحادي الاول للمستشرقين السوفيت المنعقد بتاشكند ٤-١١ يونيو ١٩٥٧ » (تاشكند ١٩٥٨)

MST « مواد احصائية عن منطقة تركستان ». نشر ن.ا. مايف N.A. Maev ، الملزمات ١-٤ (سان بطرسبرغ ١٩٧٢-١٨٧٩)

«Al-Muzaffaria» « المظفرية. مجموعة مقالات تلامذة البارون فكتور روما نوفتش روزن تكريماً له بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على أول محاضرة ألقاها بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٨٧٢ ». (سان بطرسبرغ ١٨٩٧)

OIF قسم التاريخ والفلسفة

OON قسم العلوم الاجتماعية

ORIAS قسم اللغة والأدب الروسي لأكاديمية العلوم للامبراطورية الروسية

PV « مسائل الاستشراق » (موسكو)

PDTS	(انظر ما يلي ، القسم الاول)
PZKLA	« مضابط الاجتماعات وتقارير موجزة لاعضاء لجنة ما وراء بحر قزوين لهواة الآثار والتاريخ الشرقي » (عشقاباد)
PI	« مسائل المصادر التاريخية » (موسكو - لنينجراد)
PKSOSK	« الكتاب التذكاري للجنة الاحصائية لمنطقة سمى رتشيه » (فيرني)
PLNV	الآثار الأدبية لشعوب الشرق
PS	« المجموعة الفلسطينية » (موسكو - لنينجراد)
PTKLA	« مضابط الاجتماعات وتقارير موجزة لأعضاء اللجنة التركستانية لهواة الآثار » (تاشكند)
RAO (Imp.)	الجمعية الآثارية الروسية
SA	« الآثار السوفيتية » (موسكو)
SAGU	جامعة آسيا الوسطى الحكومية بتاشكند
SV	« المشرقيات السوفيتية » (موسكو - لنينجراد) الأجزاء ١ - ٦ ١٩٤٠-١٩٤٩ ؛ موسكو ١٩٥٦-١٩٥٩
SGE	« تقارير موجزة لمتحف الارميتاج القومي » (لنينجراد)
SIF	سلسلة التاريخ والفلسفة
SKSO	« مرشد منطقة سمرقند »
SMA	« مجموعة المواد الجغرافية والطبوغرافية والاحصائية عن آسيا » ، نشر اللجنة العسكرية العلمية للاركان حرب العام (سان بطرسبرغ)
SMIZAO	(أنظر ما يلي ، القسم الاول أ)
Sogd. sb.	« المجموعة الصغدية . مجموعة مقالات في آثار اللغة والحضارة الصغدية ، التي كشف عنها بجبل موغ بجمهورية تاجيكستان السوفيتية » (لنينجراد ١٩٣٤)
SON	سلسلة العلوم الاجتماعية
Sredazkomstaric	لجنة آسيا الوسطى لشؤون المتاحف وحفظ الآثار القديمة والفنون والطبيعة
SSIA	« مجموعة مقالات في تاريخ آذربيجان » ، الملزمة الأولى (باكو ١٩٤٩)
STAE	الحملة الآثارية بالصغد وتاجيكستان
SE	« الاثنوغرافيا السوفيتية » (موسكو - لنينجراد ، موسكو)
TAE	الحملة الآثارية بتاجيكستان

TV « الوقائع التركستانية » (تاشكند)
TVLIVIA دراسات في الاستشراق، يقوم بنشرها معهد لازاريف للغات الشرقية
TVORAO دراسات القسم الشرقي للجمعية الآثارية للامبراطورية الروسية (سان بطرسبرغ)
TIVAN دراسات معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية
TOVE « دراسات قسم تاريخ حضارة وفنون الشرق بمتحف الارميتاج الحكومي » (لنينجراد)
TCHRDM « دراسات اعضاء البعثة الدينية الروسية ببكين » (سان بطرسبرغ)
UZIVAN « المدونات العلمية لمعهد الدراسات الشرقية التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية » (موسكو - لنينجراد، لنينجراد)
Uzkomstaric اللجنة الاوزبكية لحفظ آثار الحضارة المادية
FAN فرع اكاديمية العلوم السوفيتية
EV « النقوش الشرقية » (موسكو - لنينجراد)
IOTAKE الحملة الجماعية لدراسة آثار تركمانستان الجنوبية

Al–«Ars Islamica».

«'Ajab–nama» – « عجب نامه . A volume of Oriental studies presented to Edward G. Browne on his 60th birthday (7 February 1922)», ed. by T. W. Arnold and R. A. Nicholson, Cambridge, 1922.

AJSL – «American journal of Semitic languages (and literature)». Chicago.

AKGWG – «Abhandlungen der königl. Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen».

AM – «Asia Major», Leipzig.

AO – «Acta orientalia». Ediderunt societates orientales Batava, Danica, Norvegica, (Svecica), Leiden.

AO Bud. – «Acta orientalia Academiae scientiarum hungaricae», Budapest.

AOr – «Archiv Orientalni», Praha.

ASAW – «Abhandlungen der philologisch – historischen Klasse der (königl.) Sächsischen Akademie der Wissenschaften». Leipzig.

ASGW – «Abhandlungen der philologisch-historischen, Classe der königl. Sächsischen Gesellschaft der Wissenschaften». Leipzig.

BGA – Bibliotheca geographorum arabicorum. Edidit M. J. Goeje, pars I–VIII, Lugduni Batavorum.

BGA[2] – Bibliotheca geographorum arabicorum .Primum edidit M.J. de Goeje, nunc continuata consultantibus R. Blachère, H. A. R. Gibb, P. Kahle, J. H. Kramers, H. von Mzik, C. A. Nallino ,A. Wensinck, Lugduni Batavorum–Lipsiae.

BI – Bibliotheca Indica: a collection of oriental works, published by the Asiatic Society of Bengal.

BIBL. Nat. – Bibliothèque Nationale, Paris.

BRIT .Mus. – British Museum. London.

BSO(A)S – «Bulletin of the School of Oriental (and African) Studies. London Institution (University of London)».

«Centenaire» – «Centenaire de L'École des langues orientales vivantes. 1795–1895. Recueil de mémoires publié par les professeurs de l'Ecole». Paris. 1895.

«Charisteria orientalia» – «Charisteria orientalia, praecipue ad Persiam pertinentia», ediderunt F. Tauer, V. Kubickova. J. Hrbek, Praha, 1956.

Coll. orient. – Collection orientale. Manuscrits inédits de la Bibliothèque royale (impériale, nationale), traduits et publiés...

Collections scientifiques. – Collections scientifiques de l'Institut des langues orientales du Ministère des affairs étrangères, t. I–VIII. St. Pbg., 1877–1897.

CRAIBL – «Académie des inscriptions et belles-lettres. Comptes rendus des séances», Paris.

DI – «Der Islam», Strassburg – Berlin.

Eclipse. – The Eclipse of the Abbasid Caliphate. Original Chronicles of the Fourth Islamic Century. Edited, Translated, and Elucidated by

H.F. Ameαroz, and D. S. Margoliouth, vol. I–VII, Oxford, 1920–1921.

El – «Enzyklopaedie des Islam. Geographisches, ethnographisches und biographisches Wörterbuch der muhammedanischen Völker», Bd I–IV, Leiden–Leipzig (1908), 1913–1934.

صدرت أيضاً باللغتين الفرنسية والانجليزية ولكن الاشارة داءًا الى الطبعة الالمانية.

El, EB – «Enzyklopaedie des Islam», Ergänzungsband. Lief. 1–5, Leiden –Leipzip, 1934–1938.

EL[2] – «The Encyclopaediaof Islam». New ed, vol, I–..., Leiden–London, 1960–...

«Festschrift Nöldeke» – « Orientalische Studien Theodor Nöldeke zum siebzigsten Geburtstag (2. März 1906) gewidmet von Freunden und Schülern und in ihren Auftrag hrsg. von C. Bezold», Bd I–II, Giessen, 1906.

GGA – «Göttingische gelehrte Anzeigen».

GIPh – «Grundriss der iranischen Philologie». Hrsg. von W. Geiger und E. Kuhn, Strassburg, Bd I.1. Abt., 1895–1901;2. Abt., 1898–1901; Bd II,1898–1904.

GMS – «E. J. W. Gibb Memorial» Series.

GMS NS – «E. J. W. Gibb Memorial» Series. New Series.

HHM – Harvard historical monographs.

HJAS – «Harvard journal of Asiatic studies». Cambridge, Mass.

HOr – «Handbuch der Orientalistik», hrsg. von Bertold Spuler, Leiden.

HS – Works issued by the Hakluyt Society.

JA – «Journal asiatique», Paris.

JAOS – «Journal of the American Oriental Society», New Haven.

JCAS – «The journal of the Royal Central Asian Society»; London.

JRAS – «Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland». London.

JSFOu – «Journal de la Société finno-ougrienne», Helsinki.

MAOr – Monografie Archivu Orientalniho.

Mél. As. – «Mélanges Asiatiques, tirés du Bulletin historico –

philologique de l'Académie Impériale des sciences de St – Pétersbourg».

MIFAO – Mémoires publiés par les membres de l'Institut français d'archéologie orientale au Caire.

MSOS – «Mitteilungen des Seminars für orientalische Sprachen an der (Königlichen) Friedrich-Wilhelms Universität zu Berlin».

Notices et extraits – Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliothèque du roi (impériale, nationale) et autres bibliothèques, Paris.

«Nouveaux mélanges orientaux» – «Nouveaux mélanges orientaux. Mémoires, textes et traductions publiés par les professeurs de l'Ecole spéciale des langues orientales vivantes à l'occasion du Septième Congrès International des orientalistes réunis à Vienne (septembre 1886)». Paris, 1886.

OTF – Oriental translation fund.

PELOV – Publications de l'Ecole des langues orientales vivantes.

Pet. Mitt – «Petermanns geographische Mitteilungen», Gotha.

PHT – Persian historical texts.

RAS – Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland.

REI – «Revue des études islamiques», Paris.

RHR – «Revue de l'histoire des religions», Paris.

RO – «Rocznik Orientalistyczny». Lwów (Kraków).

ROC – «Revue d'Orient chrétien».

RTHS – Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seljoucides, par M. Th. Houtsma, vol.I-IV, Lugduni Batavorum (Leide), 1886-1902.

SBAW Berl. – «Sitzungsberichte der Deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin. Klasse für Sprachen, Literatur und Kunst».

SBAW Wien – «Sitzungsberichte der philosophisch-historischen Classe der Kais. Akademie der Wissenschaften», Wien.

TM – «Türkiyat mecmuasi», Istanbul.

WI – «Die Welt des Islams», Berlin.

WZKM – «Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes».

ZA – «Zeitschrift für Assyriologie und verwandte Gebiete».

ZDMG – «Zeitschrift der Deutschen morgenländischen Gesellschaft», Leipzig.

١ • المصادر*

أ - المجموعات والمنتخبات

Bichurin, Sobranie svedenii o narodakh, obitavshikh v Srednei Azii v drevnie vremena, Sochinenie monakha Iakinfa, ch. I–III. SPb., 1851.

Bichurin, I. Ia. (Iakinf, Sabranie svedenii o narodakh, obitavskhikh v Srednei Azii v drevnie vremena, Redaktsia teksta, vstupit. Stati, kommentarii A.N. Bernshtama, N.V. Kionera, t. I–III, M.–L., 1950–1953.

Galstian, Armianskie istochniki o mongolakh. Izvlechenia iz rukopisei XIII–XII VV. Perevod s drevnearmianskogo, predislovie i primechania A.G. Galstiana, M.,1962.

Istoria mongolov po armianskim istochnikam. Vyp. I, zakliochaioshchii v sebe izvlechenia iz trudov Vardana, Stefana Orbeliana i Konetablia Sembata. Perevod i obiasnenia K.P. Patkanova, SPb., 1873; vyp. 2, zakliochaioshchii v sebe izvlechenia iz istorii Kirakosa Gandzaketsi. Perevod i obiasnenia K.P. Patkanova, SPb., 1874.

Malov, S.E., Drevnetiorkskia pismennost Mongolii i Kirgizii, M.–L., 1959.

Malov, S.E., Yeniseiskia pismennost Tiorkov. Teksty i perevody, M.–L., 1952.

Malov, S.E., Paniatniki drevnetiorkskoi pismennost tiorkov. Tesksty i issledovania, M.–L., 1951.

MITT, I–D–«Materialy po istorii turkmen i Turkmenii», t. I, VII–XV vv. Arabskie i persidskie istochniki. Pod red. S.L. Volina, A.A. Romaskevicha i A. Iu. Yakobovskogo, M.–L., 1939; T. II, XVI–XIX vv. Iranskie, bukharskie i khivinskie istochniki. Pod red. V.V. Struve, A.K. Borovkova, A.A. Romaskevicha i P.P. Ivanova, M.– L., 1938.

(*) وضعت نجمة (*) أمام المؤلفات التي طبعت بعد بارتولد أو التي لم يشر إليها.

* MIUTT –«Materialy po istorii Uzbekskoi, Tadjikskoi i Turkmenskoi S S R», ch. I. Torgovlia s Moskovskim gosudarstvom i mejdunarodnoe polojenie Srednei Azii v XVI–XII vv., L., 1932.

PDTS, I–III – «Pamiatniki diplomaticheskikh i torgovykh snoshenii Moskovskoi Rusi s Persiei». Izdany pod red. N.I. Veselovskogo, t. I. Tsarstvovanie Fedora Ioannovicha, SPb., 1890; t. II, Tsarstvovanie Borisa Godunova, Vasilia Shuiskogo i nachalo tsarstvovania Mikhaila Fedorovicha, SPB., 1892; T. III, Tsarstvovanie Mikhaila Fedorovicha (prodoljenie), SPB., 1898 (T V O R A O, t. XX–XXII).

SMIZO, I. V. Tizengauzen, Sbornik materialov, otnosiashchikhsa k istorii Zolotoi Ordy, t. I. izvlechenia iz sochinenii arabskikh, SPB., 1884.

*SMIZO, II. – Sbornik materialov, otnosiashchikhsia k istorii Zolotoi Ordy, t. II. Izvlechenia iz persidskikh sochinenii, sobrannye V.G. Tizengauzenom i obrabotannye A.A. Romaskevichem i S.L. Volinym, M.–L., 1941.

Teksty. – V.V. Bartold, Turkestan v epokhu mongolskogo nashestvia, ch. I. Teksty, SPb., 1898.

Bretschneider, Researches. – E. Bretschneider, Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources. Fragments towards the knowledge of the geography and history of Central and Western Asia from the 13th to the 17th century, vol. I–II, London, 1888; 2d ed: 1910.

Chavannes, Documents. – Documents sur les Tou–Kiue (Turcs) occidentaux. Recueillis et commentés par Ed. Chavannes. St–Pbg, 1903 (Sb. Trudov Orkhonskoi ekspeditsii. VI)

Elliot, the History of India – أنظر ما يلي ، القسم الثاني

Ferrand, Relations. – Relations de voyages et textes géographiques arabes, persans et turks relatifs à l'Extrême–Orient du VIIIe au XVIIIe siècle, traduits, revus et annotés par G. Ferrand. t. I–II,

Paris, 1913–1914.

Fragmenta, I–II. – Fragmenta historicorum. T.I. continens partem tertiam operis Kitabo'l–Oyun wa'l–hadäik fi akhbari'lhakäik, quem ediderunt M.J. de Goeje et P. de Jong. Lugduni Batavorum, 1869 ; t. II, continens partem sextam operis Tadjáribo'l–Omami, auctore Ibn Maskowaih, cum indicibus et glossario, quem edidit M.J. de Goeje, Lugduni Batavorum, 1871.

Purchas. Xl. – Hakluytus, Posthumus or Purchas His Pilgrimes. Containing a History of the World in Sea Voyages and Lande Travells by Englishmen and others. By S. Purchas, new ed., vol XI, Glasgow, 1906 (HS, extra series).

Reinaud, Fragments. – Fragments arabes et persans inédits relatifs à l'Inde, anterieurement au XIe siècle de l'ère Chrétienne, recueillis par M. Reinaud. Paris, 1845 (Extrait du JA, sér. 4, t. IV, 1844, pp, 114–209, 221–300, t. V ,1845, pp. 121–192).

de Sacy, Chrestomathie arabe. – S. de Sacy, Chrestomathie arabe, ou extraits de divers écrivains arabes, tant en prose qu'en vers, avec une traduction française et des notes, 2e éd., t. I–III, [Paris], 1825–1827.

Schefer, Chrestomathie persane. – Chrestomathie persane à l'usage des élèves de l'Ecole speciale des langues orientales vivantes, publiée par Ch. Schefer. t. I–II, Paris, 1883–1885 (PELOV, IIe sér., vol VI–VII).

Yule, Cathay – (أنظر ما يلي ، القسم الثاني)

ب – المخطوطات والمصادر المطبوعة

(عبد الكريم بخاري) Abd al–Kerim Bukhari Histoire de l'Asie Centrale (Afghanistan, Boukhara, Khiva, Khogand). Depuis les dernière années du régne de Nadir Châh (1153), jusqu'en 1233 de l'Hegire (1740 – 1818), par Mir Abdoul Kerim Boukhary.

Publiée, traduite et annotée par Ch. Schefer, t. I. Texte persan, t. II. Traduction مطبعة بولاق ١٢٩٠ هـ (Boulaq, 1290/1873-74) française, Paris, 1876 (Pelov, vol. I.).

Abd ar-Razzak مطلع السعدين ومجمع البحرين تأليف مولانا كمال الدين عبد الرزاق سمرقندي... بتصحيح محمد شفيع، مجلد ١-٢، لاهور، ١٣٦٠-١٣٦٨/١٩٤١-١٩٤٩ (هناك طبعة طهرانية جيدة بدأت في الظهور في الآونة الأخيرة، وخرج منها حتى هذه اللحظة مجلد واحد - المترجم)

Abd ar Razzak–Notice de l'ouvrage persan qui a pour titre Matlaassadein ou–madjma–albahrein مطلع السعدين و مجمع البحرين et qui contient l'histoire des deux sultants Schah–Rokh et Abou–Said, par M. Quatremère–Notice et extraits, t. XIV, partie I, Paris, 1843.

* Abu Dulef –Vtoraia zapiska Abu Dulafa. Izdanie (ابو دلف مسعر بن مهلهل) perevod, vvedenie i kommentarii P. G. Bulgakova i A. B. teksta, Khalidova, M., 1960 (PLNV, Teksty, Malaia séria, V).

* Abu Dulef–Abu Dulaf Mic'ar Ibn Muhalhil's Travels in Iran (circa A.D. 950). Arabic text with English translation and commentary by V. Minorsky, Cairo, 1955.

* Abu Dulef–A. Rohr–Sauer, Des Abu Dulaf Bericht uber seine Reise nach Turkestan, China und Indien, neu übersetzt und untersucht, Stuttgart, 1939 (Bonner Orientalische Studien, H. 26).

Abu–L–Ma'ali, Baian al–adian (ابو المعالي، بيان الاديان) في مقتطفات Schefer, Chrestomathie persane, t. I., pp. 131–171 (texte), 132–189 (notes).

Abu–L–Ma'ali, Baian al–adian, Abûl–Maâli, ترجمة كريستنسن – Fremstilling af Religionerne, oversat af A. Christensen, Kobenhavn, 1915 (Studier fra Sprog–og Oldtidsforskning udgivns af Det philologisk–historiske Samfund, No 101).

* Abu–L–Ma'ali, Baian al–adian, – H. Massé, L'exposé des ترجمة ماسيه religions par Aboul'l Maâli, – RHR, T. XCIV, 1926, 4–6 pp. 17–75.

Abul-L-Ma'ali, Baian al-adian, Muhammed Abu-L-Ma'ali, مخطوطة - Baian al-adian, man. Bibl. Nat., Suppl. pers. 1356, No 7.

Abu Takhir-Khodja-Smaria. Sochinenie Abu-Takhir-Khodji. Tadjikskii tekst, prigotovlenny k pechati N. I. Veselovskim. S predisloviem i prilojeniem risunkov, SPb., 1904.

* Abu Takhir-Khodja سمرية تاليف ابو طاهر ولد قاضي ابو سعيد سمرقندي بادو مقدمة ازسعيد نفيسي - ايرج افشار، تهران، ١٢٣١ (= ١٩٥٢).

Abu Takhir-Khodja, Abu Takhir Khodja, «Samaria», opisanie ترجمة - drevnostei i musulmanskikh sviatyn Samarkanda, per. V. L. Viatkina,- SKSO, vyp. VI, 1899, str. 153-259

Abu-L-Faradj Barhebraei, Chronicon Syriacum. أنظر أبو الفرج

Abu-L-Faradj, Historia compendiosa dynastiarum, - تاريخ مختصر الدول authore Gregoria Abul-Pharajio, Malatiensi Medico... Arabice edita & Latine versa, ab E. Pocockio, Oxoniae 1663; Suppl., 1672.

* Abul-L-Faradj - تاريخ مختصر الدول للعلامة غريغوريوس ابي الفرج ابن اهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري، وقف على طبعه الأب انطون صالحاني اليسوعي، بيروت، ١٨٩٠.

Abulfedae, Annales moslemiei arabice et latine. التاريخ - Abu-L-Fida, Opera et studiis J.J. Reiskii..., ed. J. G. Chr. Adler, t. I-V, Hafniae, 1789-1794 (1-1789, II-1790, III-1791, IV-1792, V-1794). (هناك الطبعة القاهرية المعروفة، وهي المتداولة في أيدي الدوائر العلمية - المترجم).

Abu Iosuf Iakub كتاب الخراج للامام صاحب أبي حنيفة القاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم، بولاق، ١٣٠٢ هجرية (= ١٨٨٤-١٨٨٥).

Abu Iosuf Iakub - Abou Yousof Yakoub, le livre de L'impôt foncier (Kitâb el-Kharâdj), traduit et annoté par E. Fagnan, Paris, 1921.

A.N. Kononov, Rodoslovnaia turkmen. نسب التراكمة - Abulgazi, Sochinenie Abu-L-Gazi Khana Khivinskogo, M. - L., 1958.

Histoire des Mogols et des Tatares نسـب الـترك - par Aboul-Ghâzi Bèhâdour Khan, publiée, traduite et annotée par le Baron Desmaisons, t. I. Texte, St.-Pbg, 1871; t. II. Traduction, St.-Pbg., 1874.

Anis at-talibin - LGU 386 (انيس الطالبين) مخطوطة

* Arabskii anonim XI veka. Izdanie teksta, perevod, vvedenie v izuchenie pamiatnika i Kommentarii P. A. Griaznevicha, M., 1960 (PLNV, Teksty, Bolshaia seria, VI).

* Asadi's neupersisches Wörterbuch Lughat-i Furs, اسدي، لغت فرس nach der einzigen vaticanischen Handschrift hrsg. von P. Horn, Berlin, 1897 (AKGWG, N. F., Bd 1, No 8).

The Tadhkiratu'l-Awilya («Memoirs of the Saints») تذكرة الأولياء - Attar, of Muhammad ibn Ibrahim Fariduddin Attar, ed. in the original Persian, with preface, indices and variants, by R. A. Nicholson, with a critical introduction by Mirza Muhammed b. Abdul-Wahhab-i Qazwini, pt. I-II, London-Leiden, 1905-1907 (PHT, vol. III, V).

Mukhammed Aufi, جوامع الحكايات ولوامع الروايات - Aufi, Djavami مخطوطة GPB IV, 2,33; مخطوطة al-Khikaiat va lavmi ar-rivaiat, (Teksty, str. 83-101.) انظر ايضا .Brit. muz. Or. 4392؛**GPB V, 4, 31** (بدأت تطهر الآن بطهران طبعة علمية محققة لهذا المصنف الكبير - المترجم).

Lubabu'l-Albab of Muhammad Aufi, لباب الألباب -Aufi, ed. in the original Persian. Pt I, with indices, Persian and English prefaces, and notes, critical and historical, in Persian, by E.G. Browne and Mirza Muhammed ibn Abdul'l-Wahhabi Qazwini, London-Leide, 1906 (PHT, vol. IV; pt. II, with preface, indices and variants, by E.G. Browne, London-Leide, 1903 (PHT, vol. II).

V. Viatkin، قطعة عن سمرقند ونواحيها مترجمة على يد ڤياتكين -Babur-name, Samarkand i ego okrestnosti v proshlom, po opisaniio Sultana Babura Mirzy. (Perevod iz knigi Babur-namy), - SKSO, vyp. IV

1896, str. 30–37.

N.N. Pantusov,قطعة عن فرغانة مترجمة على يد پنتوسوف –Babur–name, Fergana, po «Zapiskam» sultana Babura, SPb., 1884 (otd.ott.iz ZIRGO po otd. etnogr. t.VI).

Babur–name – the Babar–nama, being the autobiography of the Emperor Babar, the founder of the Moghul dynasty in India, written in Chaghatay Turkish; now reproduced in facsimile from a manuscript belonging to the late Sir Salar Jang of Haydarabad, and ed. with a preface and indices by A. S. Beveridge, Leyden London, 1905 (GMS, I)

Baber–name ili Zapiski Sultana Babera,(نشر الينكي) – Babur–name, Izdany v podlinnom tekste N. I (Iminskim), Kazan, 1857.

Babur–name – The Babur–nama in English (Memoirs of Babur). Transl. from the original Turki Text of Zahiruddin Muhammad Babur Padshah Ghazi by A. S. Beveridge, vol. I–II, London, 1922.

Babur – name – Memoirs of Zehir – eddin Mugammed Baber Emperor of Hindustan, written by himself, in the Jaghatai Turki and transl. partly by the late J. Leyden, partly by W. Erskine, London 1826.

* Babur – name. Zapiski Babura, (الترجمة الروسية) Babur – name (per. M. Salie), Tashkent, 1958.

* التوسّل إلى الترسل، انشاء وتأليف بهاء الدين محمد بن مؤيد بغدادي، مقابلة وتصحيح احمد بهمنيار، تهران، ١٣١٥ (٠ = ١٩٣٦) Bagdadi–Kitab at–tavassul

* Leiden 285; Leiden 586 مخطوطة(Bagdadi–Kitab at–tavassul, انظر ايضا.) Teksty,73–80

Liber expurgnationis regionum, auctore Ahmed ibn (البلاذري) – Imamo Jahja ibn Djabir al-Beladsori, quem e codice Leidensi et codice Musei Britannici ed. M.J. de Goeje, Lugduni Batavorum, 1866.
1866

* Balazuri - The Origins of the Islamic state being a translation from

the Arabic accompanied with annotations, geographic and historic notes of the Kitab Futuhal-Buldan of al-Imam abu-L Abbas Ahmad ibn Jabir al-Baladhuri, vol. I, by Ph. Kh. Hitti, New York, 1916; PT. (sic) II, by F.C. Murgotten, New York, 1924 (Studies in history, economics and public law edited by the Faculty of Political Science of Columbia University, vol. LXVIII, No 163, 163 A).

* Bal'ami - Chronique de Abou-Djafar Mohammed ben Djarir ben Jezid Tabari, traduite sur la version persane d'Abou Mohammed Bel'ami, d'après les manuscrits de Paris, de Gotha, de Londres et de Canterbury par H. Zotenberg, T. I-IV, Paris 1867-1874 (I-1867, II-1869, III-1871, IV-1874).

Barhebrai-Grigorii Barhebraei Chronicon Syriacum e codd. MSS punctis vocalibus adnotationibusque locupletatum Bedjan, Parisis, 1890.

Barhebraei-Chronicon Syriacum. E. Codicibus Bodleianis, descriptum conjunctim ediderunt P. J. Bruns et G. G. Kirsch, Lipsiae, 1789 (= Gregorii Abulpharagii sive Bar Hebraei Chronicon المتن السرياني t.I,); Syriacum. E Codicibus Bodelianis descripsit maximam partem vertit notasque illustravit P. J. Bruns, edidit ex parte vertit notasque adjecit G.G. Kirsch, Lipsiae, 1789 (الترجمة اللاتينية =t. II),.

Bahr al-assrar fi manakib al-akhiar بحر الأسرار في مناقب الاخيار India Office Library مخطوطة No 1496 (وفقاً للفهرس الجديد No 575)

| Tarikh-i Baihak. أنظر Baihaki, Abul-Hasan

* Baihaki - تاريخ بيهقي تصنيف خواجه ابو الفضل محمد بن حسن بيهقي دبير باهتمام دكتر غني ودكتر فياض (متن مصحح وكامل با حواشي وتعليقات وفهرستها)، تهران، ١٣٢٤ (= ١٩٤٥). (وقد ظهرت الآن طبعة جديدة بمدينة مشهد من عمل فياض وحده - المترجم).

Baihaki-The Tarikh-i Baihaki containing the life of Masud, son of Sultan Mahmud of Ghaznin. Being the 7th, 8th, 9th, and part of the 6th

and 10th vols. of the Tarikh-i Ali Saboktakeen. By Abul Fazı Al-Baihaqi. Ed. by the late W. H. Morley, and printed under the supervision of W. Nassau Lees, Calcutta, 1862 (BI, vol. 32).

* Baihaki – تاريخ مسعودي معروف به تاريخ بيهقي از ابو الفضل محمد بن حسين كاتب بيهقي با مقابله وتصحيح وحواشي وتعليقات سعيد نفيسي، تهران، مجلد ١، ١٣١٩ (= ١٩٤٠)، مجلد ٢، ١٣٢٦ (= ١٩٤٧) مجلد ٣، ١٣٣٢ (= ١٩٥٣)

Baihaki – تاريخ بيهقي، طهران، ١٣٠٧ (= ١٨٩٠)، طبعة حجرية

Abul-Fazl Beihaki, Istoria Masuda.(الترجمة الروسية)Baihaki – 1030-1041. Vstupitelnaia statia, perevod i primechania A. K. Arendsa, Tashkent, 1962.

* Bekran-Mohammad Ibn Nadjib Bakran, Djahanname Izdanie teksta, vvedenie i ukazateli Iu.E. Borshchevskogo, M., 1960 (PLNV, Teksty, Bolshaia seria seria-X). (محمد بن نجيب بكران، جهان نامه)

Bekran –مخطوطة المكتبة الأهلية Ancien fonds persan 384 (جهان نامه) بباريس (INA C 612 (605 a).

Benaketi – (بناكتي، روضة اولى الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب. مخطوطة L G U 285

* Biruni – Chronologie orientalischer Völker von Alberuni. Hrsg. von Dr. C.E. Sachau, Leipzig, 1878. (البيروني، الآثار الباقية)

Biruni – The Chronology of ancient nations, An English version of the Arabic text of the Athar-ul-bakiya of Albiruni, or «Vestıges of the past», collected and reduced to writing by the author in A.H.390-I, A.D.1000. Transl. and ed., with notes and index, by Dr. C.E. Sachau, London, 1879.

*Biruni – Salie, Abureihan Biruni (973-1048). Izbrannye(الترجمة الروسية) proizvedenia. I (Pamiatniki minuvshikh pokolenii. Perevod i primechania M.A. Salie), Tashkent, 1957.

*Biruni – Alberuni's India. An account of the religion,(البيروني، الهند)

philosophy, literature, chronology, astronomy, customs, laws and astrology of India about A.D. 1030. An English Edition, with Notes and Indices by E.C. Sachau, vol. I–II, London, 1888 (Trübner's Oriental Series).
(new ed.: London, 1910).(توجد أيضاً طبعة حيدر آبادية - المترجم).

* Bindari – Histoire des Seljoucides de l'Iraq(النبداري، تاريخ سلاجقة العراق) par al–Bondari d'après Imad ad–din al–Katib al–Isfahani. Texte arabe publié d'après les Mss. d'Oxford et de Paris par M. Th. Houstma, Leide, 1889 (RTHS, vol. II).

INA V مخطوطة Bukhari – Abd al-Kerim Bukhari. Vakf – name – أنظر 670 (e 574 ag).

Vassaf – كتاب مستطاب وصاف الحضرة، بمبىء ١٢٤٩ (= ١٨٥٢-١٨٥٣) (طبعة جديدة بالاوفست، تهران، ١٣٣٨ (= ١٩٥٩).

Vassaf – Geschichte Wassaf's Persisch hrsg. und Deutsch übers. von Hammer–Purgstall, Bd I, Wien, 1856.

Vassaf – GMB PNS 69 (V, 3, 24). مخطوطة INA S 387 (567 bis); مخطوطة

*Gardizi- (تاريخ زين الأخبار تأليف أبو سعيد عبد الحي بن ضحاك بن محمود كرديزي تأليف در حدود سال ٤٤٠ هجري) با مقدمة حضرت استاذ معظم آقاميرزا محمد خان قزويني، طهران، ١٣١٥ (ش) (= ١٩٣٧).

*Gardizi – (شامل زين الاخبار ازابو سعيد عبد الحي بن ضحاك بن محمود كرديزي تاريخ ساسانيان وسيرت رسول اكرم وخلفا واخبار امراي خراسان تابايان دورة صفارى)، با تصحيح ومقدمة وفهرست وحواشي سعيد نفيسي، طهران، شهر يورماه ١٣٣٣ (ش) (= ١٩٥٤).

Gardizi – مخطوطة كمبردج (King's College Library, 213); مخطوطة اوكسفورد (Cod. Boldeian, Ouseley, 240).

Garnati–Abu Hamid el Granadino y su relacion de viaje por tierras Eurasiaticas. Texto arabe, tradiccion e interpretacion por Cesar E. Dubler, Madrid, 1953.

Garnati - Le Tuhfat al-albab de Abu Hamid al-Andalusi(الغرناطي) al-Garnati edité d'après les Mss. 2167, 2168, 2170 de la Bibliothèque Nationale et le Ms d'Alger, par G. Ferrand, Paris, 1925 (Extrait du JA, t. CCVII, 1925, pp. 1-148, 193-304).

(مخطوطة) Brit. Mus. Or. 1528 تحفة الألباب ونخبة الاعجاب Garnati,

(Teksty, 21-22 .انظر ايضاً)

Giias ad-din Ali- Dnevnik pokhada v Indiio Giias (غياث الدين علي) ad-dina Ali.S prilojeniem sootvetstvuioshchikh otryvkov iz «Zafer-name» Nizam-ad-dina Shami. izd. L.A. Zimina pod red. V.V. Bartolda, Pr., 1915 (Teksty po istorii Srednei Azii. Vyp. I).

Giiac ad-din Ali - * Dnevnik pokhoda Timura v Indiio,(الترجمة الروسية) per. s persidskogo, predislovie i primechania A.A. Semenova, M. 1958.

Grigor Aknertsi - انظر : Magakia.

Daulatshah - The Tadhkiratu'sh-Shu'ara («Memoirs of the Poets») of Dawlatshah bin Ala u d-Dawla Bakhtishah al-Ghazi of Samarquand.
Ed. in the original Persian with prefaces and indices by E. G. Browne, London-Leide, 1901 (PHT, vol. I).

*Daulatshah- تذكرة الشعراء دولتشاه سمرقندي ازروي جاب براون با مقابلة نسخ معتبر خطي قديمي وتصحيح محمد عباسي، تهران، ١٣٣٧ خورشيدي (= ١٩٥٨).

Dede Korkud- أنظر Kitabi Dede Korkut.

*Djami - نفحات الأنس من حضرات القدس تأليف مولانا عبد الرحمن بن احمد جامي بتصحيح ومقدمة وبيوست مهدي توحيدي پور، (تهران)، اسفندماه ١٣٣٦ ش (= ١٩٥٨).

Djami - Mawlana Noor al-Din Abd al-Rahman Jami, The Nafahatalons min Hadharat al-Qods, or the Lives of the Soofis. Ed. by Mawlawis Gholam Jisa, Abd al Hamid and Kabir al-Din Ahmad,

with a biographical Sketch of the Author by W. Nassau Lees, Calcutta, 1859 (Lees' Persian Series).

Djakhiz– Manakib al–'atrak–Tria opuscula auctore الجاحظ ، مناقب الأتراك Abu Othman Amr ibn Bahr al–Dhahiz Basrensi quae editit G. van Vloten (opus posthumum). Lugduni Batavorum, 1903.

Djakhiz, Manakib al–atrak – C.T.H. Walker, Jahiz of Basra to alfath ibn khagan on the «Exploits of the Turks and the army of the Khalifate in general», JRAS, 1915, pp. 631–697.

Djemal Karshi – Mulhakat assurah, INA B 514) (جمال قرشي ، ملحقات الصراح) مخطوطة (430a) (أنظر أيضاً . ص (Teksty,128–152

Djennabi– INA c353 (528). مخطوطة) تاريخ جنّابي

Djuveini – مقتطفات منه في : Histoire des Khans Mongols du Turkistan et de la Transoxiane, extraite du Habib esseiier de Khondémir, trad. du persan et accompagné de notes, par M.C. Defrémery, JA, sér. 4, t. XX, 1852–pp. 370–406 (ملحقة بمقتطفات من خواندمير =) .

Djuveini–the Tarikh–i Jahan–gusha of Alau d–Din Ata Malik–i Juwayni (composed in A.H. 658 = A.D. 1260). Ed. with an introduction notes and indices from several old MSS. by Mirza Mukammad ibn Abdul–Wahhab–i Qazwini–pt. I, containing the history of Chingiz Khan and his successors, Leyden–London, 1912; pt II, the history of the Khwarazmshah dynasty, 1916: pt III, containing the history of Mangu Q'aan, Hulagu and the Ismailis. Leyden–London, 1937 (GMS, XVI, 1–3). (كتاب تاريخ

جهانكشاي تأليف علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد الجويني در سنة ٦٥٨ هجري ، بسعي واهتمام وتصحيح أقل العباد محمد بن عبد الوهاب قزويني بانضمام حواشي وفهارس در مطبعه در ليدن ازبلاد هلاند بطبع رسيد . جلد أول در تاريخ چنكيز خان وأعقاب اوتاكيوك خان (سنة ١٣٢٩ هجري مطابق سنة ١٩١١ مسيحي) ، جلد ثاني در تاريخ خوارزمشاهيان (سنة ١٣٣٤ هجري مطابق سنة ١٩١٦ مسيحي) ، جلد سوم در تاريخ منكوقاآن وهولاكو واسماعيلية (سنة ١٣٥٥ هجري مطابق ١٩٣٧ مسيحي)) .

* Djuveini–The History of the World–Conqueror by Ala–ad–Kin Ata Malik Juvaini. Transl. from the text of Mirza Muhammad Qazvini by J.A. Boyle, vol. I–II, Manchester, 1958 (UNESCO collection of representative works, Persian series).

Djuveini– GPB مخطوطة GPB PNS 233 (IV, 2, 34) (تاريخ جهانكشاي) (Teksty 103–119: أنظر ص) مخطوطة LGU 172 ؛ مخطوطة Khanikov 71

Djuzdjani–The Tabakat–i Nasiri of Aboo Omar (جوزجاني ، طبقات ناصري) Minhaj al–din Othman, ibn Siraj, al–din al–Jawzjani. Ed. by W. Nassau Lees and Mawla wis Khadim Hussain and Abd al–Hai, (هناك طبعة جيدة ظهرت بكابل في مجلدين باشراف عبد الحي حبيبي – المترجم). Calcutta, 1864.

Djuzdjani–Tabakat–i Nasiri: A General History of the Muhammadan Dynasties of Asia, including Hindustan, from A.H. 194 (810 A.D.), to A.H. 658 (1260 A.D.), and the Irruption of the Infidel Mughals into Islam. By the Maulana Minhajud–Din Abu–Umar–i–Usman. Transl. from Original Persian Manuscripts. By H.G. Raverty, vol. I–II, London, 1881; Index, Calcutta, 1897 (B I,NS, vol. 272–273).

Dinaveri– Abu Hanifa (أبو حنيفة الدينوري ، كتاب الأخبار الطوال) al–Dinaweri, Kitab–al–ahbar at–tiwal. Publié par V. Guirgass, (ظهرت مؤخراً طبعة بالقاهرة لا بأس بها–المترجم)Leide, 1888.

Evtikhii– Contextio Gemmarum, sive, Eutychii Patriarchae (نظم الجوهر) Alexandrini Annales. Interprete E. Pocockio, f. I–II Oxoniae, 1658.

Zakaria Kazvini– (زكريا القزويني) Zakaria Ben Muhammed Ben Mahmud Die كتاب عجايب المخلوقات el–Cazwini's Kosmographie. I. T. Wunder der Shôpfung. Aus den Handschriften der Bibliotheken zu Berlin, Gotta, Dresden und Hamburg hrsg. von F. Wüstenfeld Die Denkmäler der Länder. كتاب آثار البلاد Göttingen, 1849; II.T. Aus den Handschriften des Hn. Dr. Lee und der Biobliotheken zu

Berlin, Gotha und Leyden hrsg. von F. Wüstenfeld, Göttingen, 1848.

Ibn Abi Uceibi'a- (ابن أبي أصيبعة) Hrsg. von A. Müller, Königsberg i. Pr., 1884.

Ibn Arabshah- كتاب عجايب المقدور في أخبار تيمور للفاضل الاديب الكامل الأريب وحيد عصره وفريد دهره أقضى القضاة شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الانصاري المعروف بابن عرب شاه (القاهرة ١٣٠٥) (=١٨٨٧-١٨٨٨).

* Ibn Arabshah-Tamerlane or Timur the Great Amir. From the Arabic life by Ahmed ibn Arabshah, transl. by J.H. Sanders, London, 1936.

Ibn Arabshah- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء Liber arabicus seu Fructus imeratorum et iocatio ingeniosorum auctore Ahmede filio Mohammedis cognominato Ebn-Arabschah quem primum e codicibus ed. et adnotationibus criticis instruxit G.G. Freitag, pars I-II, Bonnae, 1832-1852.

* Ibn al-Asir- الكامل في التاريخ للامام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين المتوفي سنة ٦٣٠ هـ . صحح أصوله وكساه ملاحظات مفيدة المؤرخ الكبير فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار (القاهرة). الجزء ١-٩ . ١٣٤٨-١٣٥٩ (= ١٩٢٩/١٩٣٠-١٩٤٠).

Ibn al-Asir-Ibn-el-Athiri Chronicon quod perfectissimum inscribitur, ed. C.J. Tornberg, vol. I-XIV, Upsaliae et Lugduni Batavorum, 1851-1876.

Ibn al-Asir- تاريخ الكامل للعلامة ابن الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين، الجزء ١-١٢ (القاهرة)، ١٣٠١ هجرية (= ١٨٨٣-١٨٨٤).

Ibn Battuta - (ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)

Voyages d'Ibn Batoutah, texte arabe, accompagné d'une traduction par C. Defrémery et B.R. Sanguinetti, t. I–IV, Paris, 1853–1858.

* Ibn Battuta – The Travels of Ibn Battuta A.D. 1325–1354. Transl. with revisions and notes from the Arabic text, ed. by C. Defrémery and B.R. Sanguinetti by H.A.R. Gibb, vol. I,II,... Cambridge, 1958, 1961,... (HS, 2nd series. CX). (لا يزال معاونو جب يوالون إصدار الأجزاء بعد وفاته – المترجم).

Ibn Bibi – (سلجوق نامه لابن بيبي) Ch. Schefer, Quelques chapitres de l'abrégé du Seldjouq Nameh composé par l'Emir Nassir Eddin Yahia «Recueil des textes et de traductions publié par les professeurs de l'Ecole des langues orientales vivantes à l'occasion du VIII Congrès Internationales des orientalistes tenu à Stockholm en 1889», t. I., Paris, 1889 (PELOV, IIIe sér., vol. v), pp. 3–107. – (ظهر المتن الكامل لمصنف ابن بيبي في طبعة مصورة بتركيا – المترجم).

* Ibn Bibi – (الترجمة الالمانية) H.W. Duda, Die Seltschukengeschichte des Ibn Bibi, Kopenhagen, 1959.

Ibn Bibi – Histoire des Seldjoucides d'Asie Mineure d'après l'abrégé du Seldjouknameh d'Ibn Bibi. Texte persan publié d'après le Ms. de Paris par M. Th. Houtsma, Leide, 1902 (RTHS, vol. IV).

Ibn al–Djauzi – مخطوطة القاهرة ٣٠٦ (كتاب المنتظم لابن الجوزي).

* Ibn al–Djauzi – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم تأليف الشيخ الامام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي المتوفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة، الجزء ١–١٠، حيدر آباد، ١٣٥٧–١٣٥٩ ه (= ١٩٤٠–١٩٤٢).

* Ibn Isfendiyar – تاريخ طبرستان تأليف بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار كاتب كه در ٦١٣ هجري تأليف شده است، بتصحيح عباس اقبال، قسم ١–٢، (تهران ١٣٢٠ ش) (= ١٤٩١).

Ibn Isfendiyar – An abridged translation of the History of Tabaristan compiled about A.H. 613 (A.D. 1216) by Muhammad b. al–Hasan b. Isfandiyar, based on the India Office Ms. compared with two

Mss in the British Museum, by E.G. Browne, Leyden–London 1905 (GMS, 11).

Ibn al–Kalansi – (ابن القلانسي ، تاريخ دمشق) History of Damascus 363–555 a.h. by Ibn al–Qalanisi from the Bodleian Ms. Hunt. 125 being a continuation of the history of Hilal al–Sabi. Ed. with Extracts from other histories and Summary of Contents by H.F. Amedroz, Leyden, 1908.

Ibn al–Kifti – (تاريخ الحكماء لابن القفطي) Tarih al–Hukama'. Auf. Grund der Vorarbeiten Aug. Müller's hrsg. von J. Lippert, Leipzig, 1903.

Ibn Kuteiba – (كتاب المعارف لابن قتيبة) Ibn Coteiba's Handbuch der Geschichte... hrsg. von F. Wüstenfeld, Göttingen, 1850.
(ظهرت طبعة قاهرية جيدة في الأعوام الاخيرة – المترجم).

Ibn Kuteiba – Ibn Qutaiba's Ujun al ahbar. Nach den Handschriften zu Constantinopel und St. Petersburg hrsg. von C. Brockelmann, I.I. Berlin, 1900 (ZA, 18. Ergänzungshft. Semitische Studien 18); T. II., Strassburg, 1903 (ZA, Beiheft zum XVII. Bd); T. III, Strassburg, 1906 (ZA, Beihft zum XIX. Bd); T. IV, Strassburg, 1908 (ZA, Beiheft zum XXI. Bd).

* Ibn Kuteiba – كتاب عيون الاخبار تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفي سنة ٢٧٦ هـ ، المجلد ١–٤ ، القاهرة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) – ١٣٤٩/١٩٣٠.

Ibn Miskaveih – (ابن مسكويه ، تجارب الأمم) The concluding portion of the Experiences of the Nations by Miskawaihi, Office–holder at the Courts of the Buwaihid Sultans, Muizz al–daulah, Rukn al–daulah and Adud al–daulah. Arabic text, ed. by H.F. Amedroz, vol. I. Reigns of Muktadir, Qahir and Radi, Oxford, 1920 (Eclipse. vol. I); vol. II. Reigns of Muttaqi, Mustakfi, Muti' and Ta'i, Oxford, 1921 (Eclipse, vol. II). Translation from the Arabic by D.S. Margoliouth, vol. I. Reigns of Muqtadir, Qahir and Razi, Oxford, 1921 (Eclipse, vol. IV); vol II. Reigns of Muttagi, Mustakfi, Muti' and Ta'i, Oxford, 1921 (Eclipse, vol. V).

Ibn Miskaveih – The Tajarib al–Umam or History of Ibn Miskawayh (Abu Ali Ahmed b. Muhammad) ob. A.H. 421. Reproduced in facsimile from the Ms. at Constantinople in the Aya Sufiyya Library. With a preface and summary by L. Caetani Principe di Teano, vol. I., to A.H. 37, Leyden–London 1909; vol. V, A.H. 284 to 326, Leyden–London, 1913; vol. VI, A.H. 326–369, Leyden–London, 1917 (GM,VII, 1,5,6).

Ibn Mu‘in – (فردوس التواريخ لابن معين) Ibn Mu‘in (Khusrau ibn Abarkuhi), مخطوطة Firdaus at–tavarikh, GPB Dorn 267

Ibn al–Munavvar – V.A. Jukovskii, Tainy edinenia s bogom v podvigakh startsa Abu Saida. Tolkovanie na chetverostishie (sic) Abu Saida. Persidskie Teksty, SPb., 1899.

* Ibn AL–Munavvar – أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد تأليف محمد بن منور بن أبي سعد بن أبي طاهر بن أبي سعيد ميهني با مقابله نسخ استانبول ولنين كراد وكپنهاك باهتمام دكتر ذبيح الله صفا، تهران ١٣٣٢ ش (= ١٩٥٣).

Ibn an–Nadim – أنظر الفهرست

Ibn Ruste – (كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته) Kitab al–a‘lak an–nafisa VII auctore Abu Ali Ahmed ibn Omar ibn Rosteh et Kitab al–boldan auctore Ahmed ibn Wadih al–Katib al–Jakubi (ed. M.J. de Goeje), (ابن رسته – الصفحات edit. 2, Lugduni Batavorum, 1892 (BGA, VII) ١–٢٢٩).

Ibn Ruste – Izvestia o Khozarkh, Burtasakh, Bolgarakh, Madiarakh, Slaviakh i Russakh Abu–Ali Ahmed ben Omar Ibn–Dasta, neizvestnogo dosele arabskogo pisatelia nachala X veka, po rukopisi Britanskogo Muzeia v pervy raz izdal, perevel i obiasnil D.A. Khvolson, Spb., 1869.

Ibn Sa‘d – (طبقات ابن سعد) Ibn Saad, Biographien Muhammads, seiner Gefährten und der späteren Träger des Islams bis zum Jahre 230 der Flucht. Bd III, T.I Biographien der mekkanischen Kämpfer Muhammeds in der Schlacht bei Bedr, hrsg. von E. Sachau, Leiden, 1904.

Ibn Teifur – (كتاب بغداد لابن طيفور) Sechster Band des Kitab Bagdad von Ahmad ibn‚abi Tahir Taifur. Hrsg.und übers. von H. Keller, T.I: Arabischer Text; T.II: Deutsche Ubersetzung, Leipzig, 1908.

Ibn at-Tiktaka – أنظر: الفخري

*Ibn Fadlan (١٩٣٩)-(رحلة ابن فضلان إلى منطقة الفولجا) Puteshestvie Ibn Fadlana na Volgu. Perevod i Kommentarii (A.P. Kovalevskogo) pod red. I. Iu. Krachkovskogo, M.–L., 1939.

*Ibn Fadlan(1956) – A.P. Kovalevski, Kniga Akhmeda Ibn-Fadlana o ego puteshestvii na Volgu v 921–922 gg. Stati, perevody i Kommentarii, Kharkov, 1956.

Ibn al-Fakih – (كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني) Compendium libri Kitab al-Boldan auctore Ibn al-Fakih al-Hamadhani quod edidit, indicibus et glossario instruxit M.J. de Goeje, Lugduni Batavorum, 1885 (BGA, V).

Ibn Hazm – كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام أبي محمد علي بن حزم وبهامشه كتاب الملل والنحل للشهرستاني، الجزء ١-٥، مصر، ١٣١٧-١٣٦١.

*Ibn Hazm – الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ هجرية وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني المتوفي سنة ٥٤٨ هجرية، صححه وذيله بهوامش مفيدة عبد الرحمن خليفة، الجزء ١-٤ (القاهرة)، ١٣٤٧ هـ .

Ibn Khaldun – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهو تاريخ وحيد عصره العلاّمة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، الجزء ١-٧، بولاق حجرية، ١٢٨٤ (= ١٨٦٧-١٨٦٨).

Ibn Khaldun – (المقدمة) Prolègomènes d'Ebn-Khaldun. Texte arabe, publié d'après les manuscrits de la Bibliothèque Impériale, par E. Quatremère, –Notices et extraits,t. XVI, partie I ; t. XVII, partie 1; t. XVIII partie 1, Paris 1858.

*Ibn Khaldun – (الترجمة الانجليزية) The Muqaddimah. An Introduction to

History. Transl. from the Arabic by F. Rosenthal, vol. 1–3, New York, 1958 (Bollingen Series, XIIII).,

Ibn Khaldun – (الترجمة الفرنسية) Prolégomènes historiques d'Ibn Khaldun. (Trad. M.G. de Slane),–Notices et extraits, t. XIX–XXI, Paris, 1862–1868.

Ibn Khallikan – كتاب وفيات الأعيان الاعيان وأنباء أبناء الزمان تأليف القاضي احمد الشهير بابن خلكان، الجزء ١ – ٢، بولاق، طبعة حجرية، ١٢٧٥ (=١٨٥٨).

Ibn Khallikan – Ibn Challikani Vitae illustrium virorum. E pluribus codicibus manuscriptis inter se collatis nunc primum arabice edidit, variis lectionibusque, indicibusque locupletissimis instruxit F. Wüstenfeld, fasc. I–XIII, Gottingae, 1835–1837.

Ibn Khallikan – Kitab wafayat al–aiyan. Vie des hommes illustres de l'Islamisme en arabe, par Ibn Khallikan, Publiées d'après les manuscrits, par le Baron Mac Guckin de Slane, t. I, Paris, 1842.

* Ibn Khallikan – وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لأبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان المولود في سنة ٦٠٨ والمتوفي في سنة ٦٨١ من الهجرة، حققه وعلق حواشيه وصنع فهارسه محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٨.

Ibn Khallikan – Ibn Khallikan's Biographical Dictionary, transl. from the Arabic by Bn Mac Guckin de Slane, vol. I–IV, Paris, 1842–1871.

Ibn Haukal – (ابن حوقل) Viae et regna. Descriptio ditionis moslemicae auctore Abul –Kasim Ibn Haukal. Ed. M.J. de Goeje, lugduni Batavorum, 1873 (BGA, II).

* Ibn Haukal – (كتاب صورة الارض) Opus geographicum auctore Ibn Haukal (Abul–Kasim Ibn Haukal al–Nasibi). Secundum textum et imagines codicis constantinopolitani conservati in Bibliotheca Antiqui Palatii No 3346 cui titulus est «Liber imaginis terrae»

edidit collatio textu primae editionis aliisque fontibus adhibitis J.H. Kramers, fasc. 1–2, Lugduni Batavorum–Lipsiae, 1938 (BGA2, I–II).

Ibn Khordadbeh – (كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه) Kitab al–Masalik wal–Mamalik (Liber viarum et regnorum) auctore Abul –Kasim Obaidallah Ibn Abdallah Ibn Khordadhbeh et Excerpta e Kitab al Kharadj auctore Kodama ibn Dja'far quae cum (قدامة بن جعفر) versione gallica edidit indicibus et glossario instruxit M.J. de Goeje, (متن ابن خرداذبه الصفحات Lugduni Batavorum, 1889 (BGA, VI) ٢-١٨٣ ، الترجمة الصفحات ١-١٤٤).

Ibn Iunus–Kitab al–zidj–al–Kabir al–hakimi (ابن يونس، كتاب الزيج الكبير الحاكمي . مخطوطة ليدن 143).

Idrisi – (الادريسي) Géographie d'Edrisi traduite de l'arabe en français d'après deux manuscrits de la Bibliothèque du Roi et accompagné de notes, par A. Jaubert, t. I-II, Paris, 1936-1840. (بدأت تظهر الآن بايطاليا الطبعة المحققة لمتن الادريسي - المترجم).

Imad ad–din al–Isfahani–Nusrat al–fatra wa 'usrat al–fitra (عماد الدين الاصفهاني، نصرة الفترة وعصرة الفطرة) مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس Suppl. arabe, 772

Imad ad–din al–Isfahani–Kharidat al–Kasr wa djaridat al–a'sr (عماد الدين الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر) مقتطفات منه اختارها شيفير وأضافها إلى طبعته لكتاب سياست نامه لنظام الملك 122–115 .p

Isma'il ibn al–Asir–Kitab ibrat ulu–L–absar (اسماعيل بن الاثير، كتاب عبرة أولى الابصار، مخطوطة المتحف البريطاني 7914 .Or).

Istakhri – Viae regnorum. Descrptio ditionis moslemicae auctorre Abu Ishak al–Farisi al–Istakhri. Ed. M.J. de Goeje, Lugduni Batavorum, 1870 (BGA,I). (الاصطخري، كتاب المسالك والممالك).

Isfizari – Extraits de la Chronique persane d'Herat, traduits et annotés

par Barbier de Meynard, JA, sér. 5, t. XVI, 1860, pp. 461–520; t. XVII, 1861, pp. 438–457, 473–522; t. XX, 1862, pp. 268–318.

Isfizari–Mu'in ad–din Isfizari, Kitab rauzat al–djannat fi ausaf madinat Harat, مخطوطة INA C 472 (574 agh) ومخطوطة LGU 588
(أنظر ايضا ص Teksty, 165)

* Isfizari – روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات تأليف معين الدين محمد زمچي اسفزاري ٨٩٧–٨٩٩ هـ ، با تصحيح وحواشي وتعليقات سيد محمد كاظم امام، بخش يكم، تهران، ١٣٣٨ (= ١٩٥٩)، بخش دوم، تهران ١٣٣٩ (= ١٩٦٠ (انتشارات دانشگاه تهران، ٥٣٥ ، ٥٧٤).

Iezdi – أنظر Gias ad–din Ali.

Iezdi – أنظر Sheref ad–din Iezdi.

Kazvini – أنظر Zakaria Kazvini.

Kazvini – أنظر Hamdallah Kazvini.

Kandia – أنظر Nesefi.

Karpini – أنظر Plano Carpini.

Karshi – أنظر Djemal Karshi.

Katib as–Samrkandi – أنظر Muhammed Samarkandi.

Kashani – Abdallah ibn Ali Kashani, Zubdat at–tawarkh, Pertsch 368 مخطوطة مكتبة برلين (عبد الله بن علي كاشاني، زبدة التواريخ).

Kerminegi – أنظر Muhammed–Vefa Kerminegi.

Kindi – The Governors and Judges of Egypt or Kitab el Umara (el Wulah) wa kitab el Qudah of El Kindi (الكندي، ولاة مصر وقضاتها) Together with an Appendix derived mostly from Raf' al–Isr by Ibn Hajar (رفـــع الاصر لابن حجر) Ed. by Rhuven Guest, Leyden–London, 1912 (GMS, XIX).

* Kirakos – Deux historiens Arméniens: Kiracos de Gontzac, XIIIe S., Histoire de l'Arménie; Oukhtanès d'Ourha, Xe S., Histoire en trois parties; traduits par M. Brosset, livr. 1, St. Pbg., 1870, PP. 1–205

Kirakos – انظر (الترجمة الروسيـــة بقـــلم بتكانوف) Istoria Mongolov po

armianskim istochnikam, vyp. 2.

Kitab-i Dede Korkut – نشره V. Bartold, kitabi-korkud. I,- ZVORAO, t. ص -ZVORAO, T. XI, 1899, و 203-218, II ص VIII, 1894, 037-059; ص 175-193; III, -ZVORAO, t. XII, 1900, 1-38. ص IV-ZVORAO, t. XV, 1904,

*Kitab-i Dede Korkut- (الطبعة الثانية) Kniga moego deda Korkuta. Oguzskii geroicheskii epos. Perevod akad. V.V. Bartolda. Izdanie podgotovili V.M. Jirmunskii, A.N. Kononov,-M.L., 1962 (Literaturnye pamiatniki).

* Kitabi Dede Korkut – O.S. Gökyay, DedeKorkut, Istanbul, 1938.

* Kitab-i Dede korkut – «Kitab-i Dede Qorqut»; racconti epicocavalereschi dei Turchi Ogus, tradotti e annotati con «facsimile» del ms. Vat. Turco 102, Città del Vaticano, Biblioteca apostolica Vaticana, 1992. (I.Rossi).

*Kitab-i Dede Korkut – M. Ergin, Dede Korkut Kitabi, C.I. Giris Metin-Faksmile, Ankara, 1958.

Kitab-i Mulla – zade أنظر -Mu'in al-fukara

Kitab at-tawassul – أنظر Bagdadi.

Kifti – أنظر Ibn al-Kifti.

Klavikho – Riui Gonzales de Klavikho, Dnevnik puteshestvia ko dvoru Timura v Samarkand v 1403-1406 gg. Podlinny tekst s perevodom i primechaniami, sostavlenny pod red. I.1. Sreznevskogo, SPb., 1881 (Sb. ORIAS, t. XXVIII, No 1.) (رحلة الفارس الاسباني غونزاليس دي كلافيخو إلى بلاط تيمورلنك).

Kudama – Kitab al-Masalik wa'l-Mamalik (Liber viarum et regnorum) auctore Abul-l-Kasim Obaidallah ibn Abdallah Ibn Khordadhbeh et Excerpta e Kitab al-Kharadj auctore Kodama ibn Dja'far quae cum versione gallica edidit., indicibus et glossario instruxit M.J. de (مقتطفات من كتاب Goeje, Lugduni Batavorum, 1889 (BGA, VI) الخراج لقدامة بن جعفر الصفحات ١٨٤ - ٢٦٦ ، الترجمة الفرنسية الصفحات ١٨٤ - ٢٦٦.

*Kutadgu Bilik-R.R.Arat, Kutadgu bilig. I. Metin, Istanbul, 1947;

II. Tercüme, Ankara, 1959.

Kutadgu Bilik – Das Kudatku Bilik des Jusuf Chass–Hadschib aus Bälasagun, hrsg. von W. Radloff, Th. I. Der Text und Ubersetzung nach den Handschriften von Wien und Kairo, St. pbg., 1900–1910.

* Kutadgu Bilik – Kutadgu Biliĝ. Tipkibasim. I. Viyana nüshasi, Istanbul, 1942; II Fergana nüshasi, Istanbul, 1942; III, Misr nüshasi, Istanbul, 1943. (قوتاد غو بيليك تأليف يوسف خاص حاجب البلاساغوني).

Lubab al–albab – أنظر Aufi.

Magakia – History of the Nation of Archers (The Mongols) by Grigor of Akan‘ hitherto ascribed to Magak‘ia The Monk. The Armenian text edited with an English translation and notes by R.P. Blake and R.H. Frye, Cambridge, Mass. 1954 (repr. from HJAS, vol. 12 (Dec. 1949), No 3 and 4, PP. 269–399).

Makdisi – Descriptio imperii moslemici auctore Schamsod–din Abu Abdollah Mohammed ibn Ahmed ibn abi Bakr el–Banna al–Basschari al–Mokaddasi. Ed. M.J. de Goeje, Lugduni Batavorum, 1877; ed. 2 1906 (BGA, III)
(المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم).

* Al–Makin – La «Chronique des Ayyoubides» d‘al–Makin b. al–‘Amid, editée par Cl. Cahen,–«Bull. d‘études orientales de l‘Inst. français de Damas», t. XV, 1955, PP. 109–184.

Al–Makin تاريخ المسلمين... تأليف الشيخ المكين جرجس بن العميد ابو الياسر بن أبي المكارم بن أبي الطيب.
id est, Historia Saracenica, qua Res Gestae Muslimorum... Arabice olim exarata à Georgio Elmacino fil. Abul-jaseri Elamidi f. Abulmacaremi f. Abultibi. El Latine reddita operâ ac studio Th. Erpenii, Lugduni Batavorum, 1625.

Makirizi – Taqi el–Din Ahmad ibn Ali Abd–el–Qadir ibn Muhammad el–Magrizi, El–Mawa‘iz wal–‘Itibar fi dhikr el–Khitat wal–Athar. Edité par G. Wiet, t. I–V, Le Caire, 1911–1927 (MIFAO, XXX,

XXXIII, XLVI, XLIX, LIII). (المقريزي، الخطط)

*Mar Yabalaha – Istoria mar Iabalahi III i rabban Saumy. Issledovanie, per. s siriiskogo i primechania N.V. Pigulevskoi, M., 1958.

*Mar Yabalaha – Histoire de Mar Jabalaha III, Patriarche des Nestoriens (1281–1317) et du moine Rabban Cauma Ambassadeur du roi Argoun en Occident (1287), traduite du syriaque et annotée par J.–B. Chabot, Paris, 1895.

*Marko Polo – Marco Polo, the Description of the World, (ed. by) A. C. Moule and P. Pelliot, vol I-II, London, 1938. (ظهر الجزء الثالث–المترجم)

Marko Polo – The Book of Ser Marco Polo, the Venetian, concerning the Kingdoms and marvels of the East. Newly transl. and ed., with notes, maps and other illustrations, by H. Yule, 2d ed., revised, vol. I–II, London, 1875.

Marko Polo – I.P. Minaev, Puteshestvie Marko Polo. Perevod starofrantsuzkogo teksta. Izd. IRGO pod red. deistvit. chlena V.V. Bartolda, SPb., 1902 (ZIRGO po otd. etnogr., t. XXVI).

Mas‘udi – Maçoudi, Les Prairies d‘or. Texte et traduction par C. Barbier de Meynard et Pavet de Courteille, t. I–IX, Paris, 1861–1877. (توجد الآن طبعة جيدة ومحققة اعتمادا على هذا المتن اضطلع بها المستعرب بيلا Pellat – المترجم). (المسعودي، مروج الذهب).

Mas‘udi – Maçoudi, Le livre de l‘Avertissement et de la revision. Traduction par B. Carra de Vaux, Paris, 1896. (توجد طبعة لمتن كتاب المسعودي «التنبيه والاشراف» ظهرت بليدن – المترجم).

Mahdi Khan – تاريخ نادري تأليف محمد مهدي خان بن محمد نصير استرابادي، صورت اختام پذيرفت سنة ١٢٦٢ (حجرية).

Mahmud Kashgari – كتاب ديوان لغات الترك مؤلفي محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري، تاريخ تأليف ٤٦٦ سنة هجرية، (مصحح كليسلي معلم رفعت)، جلد ١ – ٣، استانبول، ١٣٣٣ – ١٣٣٥ (= ١٩١٥ – ١٩١٧).

*Mahmud Kashgari – Divanü Lugat–it–Türk tercümesi. Ceviren B. Atạly, c. I–III, Ankara, 1940.

Menuchehri – Menoutchehri. Poète persan du 11ème siècle de notre ère (du 5ième de l‘hégire). Texte, traduction, note et Introduction

historique par A. de Biberstein Kazimirski, Paris, 1886
(ديوان منوچهري)

* Mervezi – Sharaf al–Zaman Tahir Marvazi on China, the Turks and India. Arabic text (circa A.D. 1120) with an English Translation and commentary by V. Minorsky, London, 1942 (James G. Forlong Fund, vol. XXII).

Mervrrudi – Tarikh Fakhrud–din Mubarakshah being The historical introduction to the Book of Genealogies of Fakhrud–din Mubarakshah Marvar–rudi completed in A.D. 1206. Ed. from a unique Manscript by E.D. Ross, London, 1927 (James G. Forlong Fund, vol. IV).

Mir Abd al–Kerim Bukhari – أنظر Abd al–Kerim.

Mirkhond – كتاب روضة الصفا تأليف محمد خاوند شاه مشتمل برهفت جلد وتامی در یکجلد ومجلد منتظم کرد یده، بمبیء، ١٢٢٦ (=١٨٤٩).

Mirkhond – F. Wilken, Geschichte der Sultane aus dem Gechlechte Bujeh (تاريخ آل بويه) nach Mirchond, Berlin 1835.

Mirkhond – Mohammedi filii Chondschahi vulgo Mirchondi «Historia Gasnevidarum persice. Ex codicibus Berolinensibus diisque nunc primum edidit lectionis varietate instruxit latine vertit annotationibusque historicis illustravit F. Wilken, Berolini, 1832. (تاريخ الغزنويين).

Mirkhond – Histoire des Samanides par Mirkhond. Texte persan, traduit et accompagné de notes critiques, historiques et géographiques par M. Defrémery, Paris, 1845. (تاريخ السامانيين).

* Mirkhond – Mirchondi «Historia Seldschukidarum» persice. E. codicibus manuscriptis Parisino et Berolinensi nunc primum edidit, lectionis varietate instruxit, annotationibus criticis et philologicis illustravit J.A. Vullers, Gissae, 1837. (تاريخ السلاجقة).

Mirkhond – Histoire des sultans du Kharezm, par Mirkhond, texte persan, accompagné de notes historiques, géographiques et philologiques (par Defrémery), à l'usage des élèves de l'Ecole

royale et spéciale des langues orientales vivantes, Paris, 1842 (Chrestomathies orientales, (II). (تاريخ شاهات خوارزم).

Mirkhond – Vie de Djenghiz–Khan, par Mirkhond; (Texte persan (publ. par A. Jaubert). A l'usage des élèves de l'Ecole royale et spéciales des langues orientales vivantes, Paris, 1841 (Chrestomathies orientales, (I). (تاريخ چنكيز خان).

Mirkhond– تاريخ روضة الصفا كه مشتمل است بربدائع أخبار وغرائب آثار تأليف مولانا خاوند شاه هروى...، جلد ١ – ٧ وخاتمة، لكهنو، ١٨٩١ م/١٣٠٨ ﻫ .

* Mirkhond – تاريخ روضة الصفا تصنيف مير محمد بن سيد برهان الدين خاوند شاه الشهير بمير خواند شيوهٔ نثر ونكارش كم نظير در ادبيات فارسى درسدهٔ نهم هجري ازروى نسخ متعددة مقابله كر ديده وفهرست اسامى واعلام وقبايل وكتب باچاپهاى ديكر متمايز ميباشد، جلد ١ – ٧، تهران، اسفندماه ١٣٣٨ – مرداد ماه ١٣٣٩ ش، جلد ٨ – ٩، ملحقات. تاريخ روضة الصفائي ناصري تصنيف مرحوم رضا قليخان متخلص بهدايت...، تهران، تيرماه ١٣٣٩ – آذر١٣٣٩ ش (=١٩٦٠).

Mirkhond – – روضة الصفائي ميرخواند... جلد ١ – ١٠، (طهران)، ١٢٧٠ – ١٢٧٤ (=١٨٥٣ – ١٨٥٧).

Mosheim – Lavrentii Moshemii Historia Tartarum ecclesiastica. Adjecta est Tartariae Asiaticae secundum recentiores geographos in mappa delineatio, Helmstadt, 1741.

Mubarekshah, fakhr ad–din أنظر Merverrudi.

Mudjmal at–tavarikh – Extraits du Modjamel al–Tewarikh relatifs à l'histoire de la Perse, traduits par J. Mohl,– JA, sér. 3, t. XI, 1841, PP. 136–178, 258–301, 320–361; t. XII, 1841, PP. 497–536; t. XIV, 1842, PP. 113–152; sér. 4, t. I, 1843, PP. 385–432.

Mudjmal at–tavarikh – Reinaud, Fragments, PP. 1–54.

* Mudjmal at–tavarikh – مجمل التواريخ والقصص تأليف سال ٥٢٠ هجري بتصحيح ملك الشعراء بهار، طهران، ١٣١٨ ش (=١٩٣٩).

Mudjmal at–tavarikh – مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس Ancien fonds persan 62 (Teksty, ص 19–20 :أنظر أيضاً)

Mudjmal-i Fasihi – أنظر Fasih

Mu'izz al-ansab – معز الأنساب في شجرة سلاطين مغل، مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس. Ancien fonds persan 67 (أنظر أيضا: Teksty, str. 159)

* Mu'in ad-din Natanzi منتخب التواريخ معيني (تأليف ٨١٦ و٨١٧ هجري قمري) منسوب به معين الدين نطنزي ومعروف به «آنونيم اسكندر» بتصحيح زان اوبن، تهران دي ماه ١٣٣٦ خورشيدي (=١٩٥٧).

Mu'ind ad-din Natanzi – مخطوطات منتخب التواريخ معينى: INA C 381 (مخطوطة (566 bc) ومخطوطة المتحف البريطاني Or. 1566

*Mu'in al-fukara – تاريخ ملاّ زاده در ذكر مزارات بخارا تأليف أحمد بن محمود المدعو بمعين الفقراء در نيمهٔ أول قرن نهم، با مقدمه وتصحيح وتحشية وتراجم اعلام باهتام احمد كلجين معاني، تهران، ١٣٣٩ (=١٩٦٠).

Mu'in al-fukara – Kitab-i Mulla-zade مخطوطة LGU 593 c; LGU 947 b أنظر أيضاً (Teksty, str. 166–172)

Mukatabat-i Rashidi – أنظر Rashid ad-din, Mukatabat.

Muntadjab ad-din – كتاب عتبة الكتبة مجموعة مراسلات ديوان سلطان سنجر بقلم مؤيد الدولة منتجب الدين بديع اتابك جويني، با تصحيح واهتام محمد قزويني وعباس اقبال، (تهران)، ١٣٢٩ ش (=١٩٥٠).

Musevi – Tarikh-i Khairat تاريخ خيرات لموسوي

Rieu, Suppl. Pers., 423. مخطوطة المتحف البريطاني

Muhammed – Vefa Kerminegi-Tuhfat al-khani مخطوطة INA C 523 (c 581 b)

Muhammed ibn Kais ar-Razi – أنظر Razi.

Muhammed – Kazim (Tarikh-i) 'alamaraii Nadiri مخطوطة INA D 430

*Muhammed-Kazim – محمد كاظم، نامهٔ عالم ارائى نادري Tom. I Izdanie teksta i predislovie N.D. Miklukho- Maklaia. Ukazateli G.V. Shitova, M., 1960 (PLNV, Teksty, Bolshaia seria, XIII). (ظهر الآن الجزآن الثاني والثالث وبذلك تم الكتاب – المترجم).

Muhammed-Mahdi khan – أنظر Mahdi-Khan.

Muhammed Nershakhi – أنظر Nershakhi.

Muhammed Katib as–Samarkandi – A'rad as–siyasa fi agrad ar–riiasa مخطوطة ليدن (محمد الكاتب السمرقندي ، أعراض السياسة في أغراض الرياسة) (Teksty, str. 71–72 أنظر أيضا)

Muhammed Haider – The Tarikhi Rashidi of Mirza Muhammad Haider Dughlat. A History of the Mughuls of Central Asia. An English version ed., with commentary, notes, and maps by N. Elias. The translation by E. Denison Ross, London, 1895. (تاريخ رشيدي لمحمد حيدر دغلات).

Muhammed Huseini – Das Geschenk aus der Saldschuken–geschichte von dem Wesir Muhammed b. Muhammad b. Muhammad b. 'Abdallah b. al–Nit'am al–Husaini al–Yazdi. Zum ersten Male hrsg. und mit Anmerkungen, zwei Einleitumgen und einem Anhang versehen von K. Süssheim, Leiden, 1909. (العراضة في الحكايات السلجوقية)

Men–da bei–lu أنظر آسفله القسم الثاني ، البحوث :Vasiliev, Istoria i drevnosti.

Nasir ad–din Tusi – Zidj–i il Khani Or. 7464 مخطوطة المتحف البريطاني

(نصير الدين طوسي ، زيج ايلخاني).

* Nasir ad–din Tusi – M. Minovy and V. Minorsky, Nasir al–Din Tusi on Finance, BSOAS, VOL. X, 1940, PT 3, PP. 755–789.

Nasir-i Khusrau-Sefer Nameh. Relation du voyage de Nassiri Khosrau en Syrie, en Palestine, en Egypte, en Arabie, et en Perse, pendant les années de l'Hégire 437-444 (1035-1042). Publié, traduit et annoté par Ch. Schefer, Paris, 1881. (هناك ترجمة جيدة لسفرنامه بالعربية ، من عمل الدكتور يحيى الخشاب – المترجم).

Nershakhi – (بخارا ، ١٣٢٢) – تاريخ نرشخي (Novaia Bukhara, 1904)

Nershakhi – Description topographique et historique de Boukhara par Mohammed Nerchkhy, suivie de textes relatifs à la Transoxiane. Texte persan publié par Ch. Schefer, Paris, 1892 (PELOV), IIe sér., vol. XIII).

* Nerśhakhi – Muhammad Narshakhi, Istoria Bukhary. Perevol s Persidskogo N. Lykoshin pod red. V.V. Bartolda, Tashkent, 1897.

* Nershakhi – The History of Bukhara. Transl. from a Persian abridgement of the Arabic original by Narshakhi R.N. Frye, Cambridge, Mass., 1954.

* Nesevi – كتاب نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور تأليف خواجه نور الدين محمد زيدري خراساني منشي سلطان جلال الدين خوارزمشاهي سال ٦٢٢ هجري در انقراض دولت خوارزمشاهي وفتنهٔ مغول، با مقدمه مرحوم رضا قلي خان هدايت طبري لله باشي، (طهران)، ١٣٠٧ ش

Nesevi – Histoire du sultan Djelal el – Din Mankobirti, prince du Kharezm par Mohammed en – Nesawi. Texte arabe **publié** d'après le manuscrit de la Bibliothèque Nationale par O. Houdas, Paris, 1891, traduit de L'arabe par O. Houdas, Paris, 1895 (PELOV, IIIe sér., vol. IX–X).

(توجد الآن طبعة قاهرية لكتاب نسوي في حياة جلال الدين منكبرتي لم تأت بجديد وتنحصر قيمتها في أن المتن القديم ليس في الإمكان الحصول عليه الآن – المترجم).

Nesefi – Kandia Malaia, (per. V. Viatkina)– **SKSO,** vyp. VIII, 1906, ص 235–290

Nesefi – Kandia عمر بن محمد النسفي السمرقندي، كتاب القند في تاريخ سمرقند مخطوطة INA B 677 (aa 574 ag) ؛**ومخطوطة** LGU 859 (أنظر أيضاً (Teksty, str. 48–51

* Nizam ad–din Shami – Histoire des conquêtes de Tamelan intitulée Zafarnama par Nizamuddin Shami avec des additions empruntées au Zubdatu–t–tawarikh–i Baysunguri de Hafiz–i Abru. Edition critique par F. Tauer, t. I.: Texte persan du Zafarnama, Praha, 1937; t. II: Introduction, commentaire, index, Praha, 1956 (MAOr., vol. V).

(ظفرنامه لنظام الدين شامي).

* Nizam al–mulk – سياست نامه اثر ابو علي حسن بن علي خواجه نظام الملك كه بسال ٤٨٥ هجري تأليف شده از روي نسخه شفر چاب باريس ١٨٩١ ميلادي

باحواشي وياد دا شتها واشارات وتصحيح علاّمه فقيد محمد قزويني با تصحيح مجدّد وتعليقات ومقدمه بكوشش مرتضى مدرسي چهار دهى، تهران، ١٣٣٤ ﻫ .ش. (=١٩٥٦) (زبان وفر هنك ايران، ١٤٠).

*Nizam al-mulk- سياست نامه يا سير الملوك تأليف أبو علي حسن بن علي نظام الملك مقتول بسال ٤٨٥ هجري قمري باهتمام اين بنده سيد عبد الرحيم خلخالي، طهران، ١٣١٠ ش (=١٩٣١).

Nizam al-mulk-Siasset Naméh. Traité de Gouvernement. Composé pour le sultan Melik-Chah par le vizir Nisam oul-Moulk. Texte persan édité par Ch. Schefer, Paris, 1891 (PELOV, IIIe sér., vol. VII, 1e partie); Supplement, Paris, 1897 (PELOV, IIIe sér., vol VII, 2e partie); Traduit par Ch. Shefer, Paris, 1893 (Pelov, IIIe sér., vol VIII).

*Nizam al-mulk-The Book of Government or Rules for Kings. The Siyasat-nama or Siyar al-Muluk of Nizam al-Mulk. Transl. from The Persian by H. Darke, London, 1960 (UNESCO collection of representative works. Persian series).

(هذا وقد توّج هيوبرت دارك دراساته في مصنف نظام الملك بأن أخرج لنا طبعة علمية جيدة لسياست نامه ظهرت بين نشريات جامعة طهران - المترجم).

*Nizam al-mulk-Siaset-name.Kniga o pravlenii vazira XI stoletia Nizam al-mulka. Perevod, vvedenie v izuchenie pamiatnika i Primechania B.N. Zakhodera, M.-L., 1949 (Literaturnye pamiatniki).

*Nizami Aruzi – Chahar Maqala («The Four Discourses») of Ahmad ibn Umar ibn ‘Ali an-Nizami al-‘Arudi as-Samarqandi, ed., with introduction, notes and indices, by Mirza Muhammad ibn ‘Abdu-l-Wahhab of Qazwin, Leyden-London, 1910 (GMS, XI, 1).

*Nizami Aruzi- چهار مقاله تأليف احمد بن عمر بن علي نظامي عروضي سمرقندي در حدود سال ٥٥٠ هجري قمري طبق نسخه اى كه بسعى واهتمام وتصحيح

مرحوم محمد قزويني بسال ١٣٢٧ هجري قمري در قاهرة جاب شده با تصحيح مجدد وشرح لغات وعبارات وتوضيح نكات أدبى بضميمهٔ تعليقات چهار مقاله بقلم علامه قزويني وكروهي از فاضلان بنام بكشش دكتر محمد معين، (تهران)، ١٣٣١ - ١٣٣٣ (= ١٩٥٥ - ١٩٥٧).

Nizami Aruzi–Revised translation of the Chahar Magala («Four Discourses») of Nizami 'Arudi of Samaqand, followed by an abridged translation of Mirza Muhammad's notes to the Persian text by E. G. Browne, London, 1921 (GMS, XI, 2).

(هناك ترجمة عربية جيدة من عمل الدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور يحيى الخشاب، ظهرت بالقاهرة - المترجم).

Sadr ad–din Nizami. انظر Nizami, Sadr ad–din–

Omari-Quatremère, Notice de l'ouvrage qui a pour titre: Mesalek alabsar fi mamalek alamsar (Manuscrit arabe de la Bibliothèque du Roi, No 583), Notices et extraits, t. XIII, partie **1, pp. 151-384**
(ابن فضل الله العمري) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.

Plano Karpini–Relation des Mongols ou Tartares par le frère Jean du Plan de Carpin de l'ordre des Frères–Mineurs... Première édition complète publiée d'après les manuscrits de Leyde, de Paris, et de Londres, et précédée d'une notice sur les anciens voyages de Tartaries en général, et sur celui de Jean du Plan de Carpin en particulier, par M. D'Avezac,– «Recueil de voyages et de mémoires, publié par la Société de géographie», t. IV, Paris, 1839, PP. 397–779.

Plano Karpini–The textes and versions of John de Plano Carpini and William de Rubruquis as printed for the first time by Hakluyt in **1598 together with some shorter pieces. Ed. by C.R. Beazley, London, 1903 (HS, extra series. 1) (Plano Carpini, pp. 43-144).**

Plano Karpini– Sobranie puteshestvii k tataram i drugim vosto –

chnym (sic) narodam, v XIII, XIV, XV stoletiiakh. I, Plano Karpini. II. Astslin, SPb, 1825. Yazykov نشر المتن وترجمة

Plano Karpini–Ioann de Plano Karpini, Istoria Mongolov. Vilgelm de Rubruk, puteshstvie v vostochnye strany. Vvedenie. perevod i primechania A.I. Maleina, SPb., 1911. (ص ١ - ٦٢)

Plano Karpini–The journey of William of Rubruck to the eastern parts of the world, 1253–1255, as narrated by himself, with two accounts of the earlier journey of John de Plan de Carpine. Transl. from the Latin, and ed. with an Introductory Notice, by W.W. Rokhill, London, 1900 (HS, 2d series, IV), pp. 1–39

Polo–Marko Polo. أنظر

Ravendi–Tableau de règne de Moizz eddin Aboul Harith, Sultan Sindjar, par Mohammed ibn Aly Ravendy. Texte persan publié pour la première fois avec la traduction française, par Ch. Schefer,– «Nouveaux mélanges orientaux», pp. 1–47.

Ravendi–The Rahat-us-Sudur wa Ayat-us-Surur, being a history of the Saljuqs by Muhammad ibn Ali ibn Sulayman ar-Rawandi. Ed. with notes, glossary and indices by Muhammad Iqbal, Leyden–London, 1921 (GMS NS, II).

(هناك ترجمة عربية جيدة بقلم المرحوم ابراهيم أمين الشواربي- المترجم)

Ravendi–Tavarikh-i Al-i Seldjuk, INA D 166 (590 ba) مخطوطة

Razi–Al-Mu'jam fi Ma'ayiri Ash'ari l-'Ajam, a treatise on the prosody and poetic art of the Persians by Shamsu-d-Din Muhammad ibn Qays ar-Razi, ed., with introduction and indices, by Mirza Muhammad ibn 'Abdul-l-Wahhab of Qazwin (and E.G. Browne), Leyden–London, 1909 (GMS, X).

* Razi– كتاب المعجم في معايير أشعار العجم تأليف شمس الدين محمد بن قيس الرازي در اوائل قرن هفتم هجري بتصحيح آقاي محمد بن عبد الوهاب قزويني با مقابله بانپنج نسخه خطى قديمي وتصحيح ثانوى مدرّس رضوى، (تهران)، ١٣١٤ ش (=١٩٣٥).

Rashhat- .رشحات (عين الحيات)، تاشكند، ١٣٢٩ (طبعة حجرية)

*Rashid ad-din-Djamiat-tavarikh (جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله) (Sbornik letopisei), t. III Sostavitel nauchno- Kricticheskogo teksta na persidskogom iazyke A.A. Ali-zade. Perevod s persidskogo iazyka A.K. Arendsa, Baku, 1957.

Rashid ad-din-Sbornik letopisei. Istoria mongolov, sochienenie Rashid-eddina. Vvedenie: O turetskikh i monolskikh plemenakh. Perevod s persiskskogu, s vedeniem; Primechaniami I.N. Berezina, SPb., (نفس الكتاب)1858 (TVORAO, ch V); Persidskii tekst, s predsloviem i primechaniami, I.N. Berezina, Spb., 1861 (TVORAO, ch VII); Istoria Chingiz-khana do vosshistvia ego na prestol. Perdidskii tekst, s predisloviem I.N. Berezina, SPb., 1868 (TVORAO, ch. XIII); Istoria Chingiz-khana ot vosshestvia ego na prestol do konchiny. Persidskii tekst v izdanii I.N. Berezina; russkii perevod s primchaniami I.N. Berezina SPb., 1888 (TVORAO, CH. XV).

Rashid ad-din-Djami el-tevarikh. Histoire générale du monde par FADL Allah Rashid ed-Din. Tarikh-i moubarek-i Ghazani. Histoire des Mongols éditée par E. Blochet. T. 11. Contenant l'histoire des empreurs mongols successeurs de Tchinkkiz khaghan, Leyden-London, 1911 (GMS, XVIII, 2).

Rashid ad-din-Histoire des Mongols de la Perse écrite en persan par Rashid-eldin. Pupliée, traduite en franççais, accompagnée de notes et d'um mémoire sur la vie et les ouvrages de l'auteur par M. Quatremère, t. I., Paris, 1836 (Coll. orient.).

*Rashid ad-din-Tarin-i-Mubarak -i -Gazani des Rashid al-Din Fadl Allah Abi-l-Hair-Geschichte der Ilhane Abaga bis Gaihatu (1265-1295). Kritische Ausgabe mit Einleitung, Inhaltsangabe und Indices von K. Jahn, Prag, 1941 (Abhandlungen der Deutschen Gesellschaft der Wissenschafter und Künste in Prag. Philos-hist. Abt., H.I.).

*Rashid ad-din-Geschichte Gazan-Han's aus dem Tarih-i-Mubarak-i-Gazani des Rashid al-Din Fadlallah b. Imad al-Daula Abul-Hair, hrsg. nach den Handschriftern von Stambul,

London, Paris und Wien mit einer Einleitung, Kritischen Apparat und Indices von K. Jahn, London, 1940 (GMS NS, XIV).
*Rashid ad-din-Sbornik letopisei, t. I., Kn. 1, perevod s persidskogo L.A. Khetagurova, redaktsia i primechania A.A. Semenova, M.-L., 1952; t.I., Kn. 2, perevod s persidskogo O.I. Smirnovoi, premechnia B.I. Pankratova i O.I. Smirnovoi, redaktsia A.A. Semenova, M.-L., 1952; t. II., perevod s persidskogo Iu. P. Verkhovskogo, primechania Iu. p. Verkhoskogo i B.I. Pankratova, redaktsia I.P. Petrushevskogo, M.-L., 1960; t. III, perevod s Persidslogo | A.K. Arendsa, pod red. A.A. Romaskevicha, E.E. Bertelsa i A. Iu. Iakobovskogo, M.-L., 1946.
Rashid ad-din-INA D 66 (a 566); GPB Dorn 289; مخطوطات جامع التواريخ Add. المتحف البريطاني GPB PNS 46 (V, 3, 1); GPB PNS 47 (V, 3, 2); Elliot 377 المكتبة البودلية Add. 16 688; المتحف البريطاني 7629; (Teksty, str. 120-127 أنظر أيضا)
*Rashid ad-din- كتاب مكاتبات رشيدي يعني رسائلي كه وزير دانشمند خواجه رشيد الدين فضل الله طبيب بپرسان وعمال ودوستان وديكران سواى ايشان نوشته ومولانا محمد ابر قوهى آنهارا جمع نموده، بسعى واهتمام وتصحيح أقل العباد محمد شفيع باضافة حواشي وفهارس، لاهور، ١٣٦٤ ه‍ /١٩٤٥ م.
Rashid ad-din-INA B 938 (734) منشآت رشيدي، مخطوطة
Rubruk-The texts and versions of John de Plano Carpini and William of Rubruquis as printed for the first time by Hakluyt in 1598 together with some shorter pieces. Ed. by C.R. Beazley, London 1903 (HS, extra series, I
(روبروك، ص ١٤٤ - ٢٣٤)
Rubruk-Itinerarium Willhelmi de Rubruk,- «Recueil de voyages et de mémoires, publié par la Société de géographie», t. IV, Paris, 1839, PP. 213-396.
Rubruk-Ioann de Plano Karpini, Istoria Mongolov. Vilgelm de Rubruk, Puteshstvie v vostochnye strany. Vvdenie, perevod i primechania A.I. Maleina, SPb., 1911 (روبروك، ص ٦٥ - ٢٠١).

Rubruk–The journey of William of Rubruck to the eastern parts of the world, 1253–1255, as narrated by hir elf, with two accounts of the earlier journey of John of Plan arpine. Transl. from the Latin ed., with an Introductiory Notice. by W.W. Rockhill, London, 1900 (HS, 2d series, IV, PP. 40–

Sa'alibi–Abou Mansour 'Abd al–Malik ibnMu ıammad ibn Ismail al–Tha'alibi Histoire des Rois des Perses. غرر أخبار الفرس وسيرهم Texte arabe publié et traduit par H. Zotenberg, Paris, 1900.للثعالبي

Sa'alibi– يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر تأليف من حلت فضائله عن التعداد والحصر أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي ، الجزء ١ - ٤ (بيروت (؟)، ١٨٨٣ (؟)..

Sa'alibi–C. Barbier de Meynard, Tableau littéraire du (مقتطفات اليتيمة) Khorassan de de la Transoxiane au IVe siècle de l'hégire,– JA, sér. 5 t. I., PP. 169–239; t. III, PP. 291–361.

*Sa'alibi– يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمد اسماعيل الثعالبي النيسابوري بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء ١ - ٤ ، القاهرة، ١٩٤٧ م/١٣٦٦ ه

Sa'alibi–Specimen e litteris orientalibus, exhibens (مقتطفات من اليتيمة) Taalibii Syntagma dictorum brevium et auctorum, quod... ex codice Ms. Bibliothecae Leidensis arabice ed., latine reddidit, et annotatione illustravit J.J. Ph. Valeton, Lugduni Batavorum, 1844.

*Sa'di Gulistan, Kriticheskii tekst, perevod, predislovie · primechania R.M. Alieva, M. 1959 (PLNV, Teksty, Bolshaia seria, III).

Sa'di–Le Parterre de Fleurs du Cheikh Moslih–eddin Sadi de Chiraz. Edition autographique publiée par N. Semelet, Paris, 1828.

*Sa'di– شيخ مصلح الدين سعدى شيرازى، كلستان. ازورى نسخة تصحيح شده مرحوم محمد على فروغى (طهران، ١٣٢٩) (=١٩٥٠).

Sa'di– Gulistan...S persidskogo podlinnika perevel I.Khdmogorov, M.,1882.

Sadr ad-din Nizami- LGU 578. مخطوطة Tadj al-ma'asir ،(تاج المآثر)

*Sadr ad–din Huseini – Sadr addin Abul Hassan Alı ibn

Nasir ibn Ali al -Hussaini, Akhbar ud-dawlat as-saljuqiyya, ed. by Muhammad Iqbal, Lahore, 1933.

Sadr ad-din Huseini-Zubdat at-tavarikh. Stowe, Orient 7k
مخطوطة المتحف البريطاني (زبدة التواريخ).

Sam'ani-Speciment el-Lobabi sive Genealogiarum Arabum, quas conscriptas ab Abu Sa'd Sam'anense abbreviavit et emendavit Ibn el-Athir. E codice Ms. Bibl. Duc. Gothan. nunc primum arabice ed. et praefatus est F. Wüstenfeld, Gottingae, 1835.

Sam'ani-The Kitab al-Ansab of Abd al-Karim ibn Muhammad al-Sam'ani reproduced in facsmile from the manuscript in the British Museum Add. 23,355 with an introduction by D.S. Margoliouth, Leyden-London, 1912 (GMS, XX). (لا تزال دائرة المعارف العثانية بحيدر آباد توالي نشر طبعتها المحققة لمصنف السمعاني - المترجم).

Sam'ani--INA (361 (543 a) مخطوطة « كتاب الانساب »
(Teksty, str. 52-69) أنظر ايضاً.

Samaria - أنظر Abu Tahir-Khodja.

Safi ad-din- Schefer, Chrestomathie persane, مقتطفات نشرها (فضائل بلخ) t. I. pp. 65-103 (texte), 56-94 (notes).

Safi ad-din-Abdallah ibn Omar Safi ad-din, Faza'il-i Balkh. Ancien fonds persan 115 - مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس

Svedenia O chernykh tatarakh-«Kratkie svedenia o chernykh tatarakh» Pen Da-ia i Siui Tina. (Publikatsia Lin Kiun-i i N Ts. Munkuieva), - PV, 1960, No 5, 133-158.

* Seifi al-Herevi-The Tarikh Nama-i Harat (The History of Harat) of Sayf ibn Muhammad ibn Yaqub al-Harawi. Ed. with introduction by Mohammad Zubayr as-Siddiqi, Calcutta, 1944.

* Sokrovennoe Skazanie طبعة Kozin, Sokrovennoe (تاريخ المغول السري) skazanie. Mongolskaia khronika 1240 g. pod nazvaniem Mong ol-un ni g uca tobciyan Iuan Chao bi shi. Mongolskii obydennyi

izbornik. T.I. Vvedenie v izuchenie pamiatnika, perevod, teksty, glossarii, M.–L., 1941.

*Sokrovennoe skazanie–Histoire secrète des Mongols. Restitution texte mongol et traduction française des chapitres I à VI (pa Pelliot), Paris, 1949 (Oeuvres posthumes de Paul Pelliot. I).

*Sokrovennoe skazanie– Monhgol un Niuca Tabca'an (Yüan–Ch'ao pi–shi). Die Geheime Geschichte der Mongolen. Aus der chinesischen Transkription (Ausgabe Ye Têh–hui) im mongolischen Wortlaut wiederhergestellt von E. Haenisch, T.I: Text, Leipzig, 1937; T. II: Wörterbuch, Leipzig, 1939; T.III: Übersetzung, Leipzig, 1941 (2. verbess. Aufl , Leipzig, 1948).

Sokrovennoe skazanie– Starinnoe mongolskoe skazanie o Chingiskhane. (Perevel s Kitaiskogo, s primechaniami, arkhmandrit Palladii), – TCHRDM, T. IV, CPb. 1866, 3-258.

*Stefan Orbelian– Histoire de la Siounie par Stéphanos Orbelian, traduite de l'Arménien par M. Brosset, St.–pbg., 1866.

Siuan Tsan–Si–Yu–Ki.Buddhist records of the Western World. Transl. from the Chinese of Hiuen Tsiang (A.D. 629) by S. Beal, vol. I–II, London, 1906, (Trübner's Oriental Series).

Siuan Tsan–Mémoires sur les contrées occidentales, traduits du sanscrit en chinois, en L'an 648, par Hiouen–thsang, et du chinois en français, par S. Julien, t. I–II, Paris, 1857–1858.

Tabakat–i Nasiri – Djuzdjani أنظر

Tabari–Annales quos scripsit Abu Djafar Mohammed ibn (تاريخ الطبري) Djarir at–Tabari cum aliis ed. M.J. de Goeje, Lugduni Batavorum, series I, t. I–VI, 1879–1890; series II, t. I–III, 1881–1889; series III, t. I–IV, 1879–1890; Introductio, glossarium, addenda et emendanda, 1901; Indices, 1901.

*Tabari–Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden. Aus der arabischen Chronik des Tabari übersetzt und mit ausführlichen Erläuterungen und Ergänzungen versehn von Th. Nöldeke,

Leyden, 1879.

Tadj al-arus- شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس للامام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، جلد ١-١٠ (القاهرة)، ١٣٠٦-١٣٠٧.

Tarikh-i arba ulus - أنظر Shadjarat al-atrak.

Tarikh-i Beihak- تاريخ بيهق تأليف ابو الحسن علي بن زيد بيهقي معروف بابن فندق با تصيح وتعليقات احمد بهمنيار، (تهران)، ١٣١٧ خورشيدي (= ١٩٣٨).

Tarikh-i- Beihak- (لابن فندق)؛ مخطوطة المتحف البريطاني Or. 3587 (ومخطوطة معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم بجمهورية اوزبكستان السوفيتية، 1524).

Tarikh-i Djurdjan-Hamza b. Yusuf b. Ibrahim al-Sahmi (died 427/1036), Tarikh-i Jurjan, or Kitab-i Ma'rifat-i Ulama-i Ahl-i Jurjan. Based on the unique Arabic MS (Lane No 276) in the Bodleian Library, Oxford, ed. and published by the Da'iratul Ma'arif-il-Osmania, (by Nizam al-din), Hyderabad, 1950.

Tarikh-i Rashidi- Muhammed Haider. أنظر

Tarikh-i Khairat- Musevi. أنظر

*Tovma Metsopetsi- Istoria Lank T'amura i ego preemnikov, sochinenia vardapetom T'ovmoi Mets'opetsi. Izdal s primechaniami vardapet K. Shakhnazarian, Paris, 1860 (باللغة الأرمنية)

*Tovma Metsopetsi-Foma Metsopskii, Istoria Timur-lanka i ego preemnikov. (perevod s armianskogo na russkii T.I. Tergrigoriana. Perevod s russkogo na azerbaidjanskii U. Bakikhanova), Baku, 1957.

Tun-tsian gan-mu-Histoire gènèrale de la Chine, ou Annales de cet empire; traduites du Tong-Kien-Kang-mou, par le feu Père

J.-A.-M. de Mailla... Publiée par M. le Roux des Hautesrayes, t. IX-XI, Paris, 1779 -1780.

Utbi-Al-Kitab al-Yemini,ed. Mawlawi Mamluk and A. Sprenger, (حجرية). Delhi, 1847

*Utbi - ترجمة تاريخ يميني (510) INA c 342 مخطوطة تاريخ اليميني لأبي نصر العتبي تصنيف ابو الشرف ناصح بن ظفر بن سعيد المنشي الجرفاد قاني، طهران، ١٢٧٢ (حجرية، = ١٨٥٥-١٨٥٦).

*Utbi - تاريخ يميني تأليف ابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي در شرح مواقف ومقامات ومغازي ناصر الدين ابو منصور سبكتكين وسلطان يمين الدولة ابو القاسم محمود غزنوي وبرخي ازاخبار آل سامان وآل زيار وآل بويه وملوك وامراء اطراف، ترجمة ابو الشرف ناصح بن ظفر بن سعد جرفاد قاني بتصحيح وتحشية على قويم، تهران، ١١٣٤ ش (= ١٩٥٥)

Utbi-The Kitabi-Yamini, Historical Memoirs of the Amir Sabaktagin and the sultan Mahmud of Ghazna, Early Conquerors of Hindustan, and Founders of the Ghaznavide dynasty. Transl. from the Persian version of the contemporary Arabic Chronicle of al Utbi by J. Reynolds, London, 1858 (OTF).

Utbi- شرح اليميني المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي للشيخ المنيني، (القاهرة، ١٢٦٨ هـ) (= ١٨٦٩).

Fasih-Mudjmal-i Fasihi, INA B 709 (581 a) مخطوطة
(Teksty, ص 160-161: أنظر ايضا)

Fasih- مجمل فصيحي مؤلف فصيح احمد بن جلال الدين محمد خوافي بتصحيح وتحشيه محمود فرخ، مشهد، (١٩٦١).

Farid ad-din Mubarekshah- Mervrudi. أنظر

Al-Fakhri-Elfachri. Geschichte der islamischen (الفخري لابن الطقطقي) Reiche vom Anfang bis zum Ende des Chalifates von Ibn etthiqthaga. Arabisch. Hrsg. nach der Pariser Handschrift von W. Ahlwardt, Gotha, 1860.

* Al-Fakhri-al-Fakhri. Histoire du Khalifat et du vizirat depuis leurs origines jusqu'à la chute du Khalifat 'abbaside de Baghdadh (11-656 de l'hégire = 632-1258 de notre ère)... par Ibn at-Taktaka. Nouvelle édition du texte arabe par H. Derenbourg-Paris, 1895.

Fihrist-Kitab al-Fihrist. Mit Anmerkungen (الفهرست لابن النديم) hrsg. von G. Flügel, nach dessen Tode besorgt von I. Roediger und A. Müller, Bd I: den Text enthaltend, von J. Roediger, Leipzig, 1871; Bd II: die Anmerkungen und Indices enthaltend, von A. Müller, Leipzig, 1872. (هناك طبعة شخصية ظهرت قبل قليل بطهران تعتبر خير متن للفهرست ظهر حتى الآن - المترجم).

Foma Metsopskii- Tovma Metsoptsi. أنظر

Hadji Kalifa-Lexicon (حاجي خليفة) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون bibliographicum et encyclopaedicum a Mustafa Ben Abdallah Katib Jelebi dicto et nomine Haji Khalfa celebrato compositum. Ad codicum Vindabonensium, Parisiensium et Berolinensis fidem primum edidit, Latine vertit et commentario indicibusque instruxit G. Flügel, t. I, Leipzig, 1835; t. II, Leipzig, 1837; t. III, London, 1842, t. IV, London, 1845; t. V, London, 1850; t. VI, London, 1852; t. VII (Indices), London, 1858.

(توجد أيضا طبعة استنبولية جديدة - المترجم)

Haider Razi- Tarikh-i Haidari (Madjma' at-tawarikh). مخطوطة مكتبة برلين 418؛ ومخطوطة المتحف البريطاني Or. 4508

Hamadani- Ibn al-Fakih. أنظر

*Hamadallah Kazvini- بخش نخست ازمقاله سوم نزهت القلوب تأليف حمد الله بن ابي بكر بن محمد بن نصر مستوفي قزويني (٧٤٠ هجري قمري) با مقابلة وحواشي وتعاليقات وفهارس بكوشش محمد دبير سياقي، تهران، اسفندماه ١٣٣٦ خورشيدي (= ١٩٥٨) (زبان وفرهنك ايران، ٢١). (نزهت القلوب).

Hamdallah Kazvini- The Geographical part of the Nuzhat-al-Qulub composed by Hamd-Allah Mustawfi of Qazwin in 740 (1340), Ed.

by G. Le Strange, Leyden–London, 1915; Transl. by G. le Strange, Leyden–London, 1919 (GMS, XXIII, 1–2).

Hamdallah Kazvini–. Tarikh–i Guzide (مقتطف منه) Histoire des Seldjoukides et des Ismaéliens ou Assasins de l'Iran. Extraite du Tarikhi Guzideh ou Histoire Choisie d'Hamd–Allah Mustaufi. Traduite du persan et accompagnée de notes historiques et géographiques par M. Defrémery, Paris, 1849 (Extrait du JA, sér. 4, t. XI, 1848 pp. 417–462; t. XII, 1848, pp. 259–279, 334–370: t. XIII, 1849, pp. 15–55). (تاریخ گزیده)

Hamdallah Kazvini– The Tarikh–i Guzida or «Select History» of Hamdullah Mustawfi–i–Qazwini compiled in A.H. 730 (A.D. 1330), and now reproduced in facsimile from a manuscript dated A.H. 857 (A.D. 1453) with an introduction by E.G. Browne. Vol. I, containing the text, Leyden–London, 1910 (GMS, XIV, I).

* Hamdallah Kazvini– تاريخ كزيده تاليف حمد الله بن ابي بكر بن احمد بن نصر مستوفي قزويني در سنهٔ ٧٣٠ هجري، با مقابله باچندين نسخة بضميمه فهارس وحواشي باهتمام... عبد الحسين نوائي، (تهران)، آذرماه ١٣٣٩ ش (= ١٩٦٠).

Hamdalla Kazvini– The Tarikh–i Guzida or «Select History» of Hamdallah Mustawfi–i Qazwini compiled in A.H. 730 (A.D. 1330) and now abridged in English from a manuscript dated A.H. 857 (A.D. 1453) by E.G. Browne, with indices of the facsimile text by R.A. Nicholson. Part (Sic) II, containing the abridged translation and indices, Leyden–London, 1913 (GMS, XIV,2).

Hamdallah Kazvini–Tarikh–i Guzide
مخطوطة LGU 153، ومخطوطة (578 b) INA)503 (انظر ايضا: Tesksty. (str. 153.

Hamza Isfahani–Hamsae Ispahanensis Annalium libri X Ed. J.M. E. Gottwaldt, t. I. Textus arabicus, Petropoli, 1844; t. II. Translatio latino, lipsiae, 1848 (تاريخ حمزة الاصفهاني) (أعيد طبعه ببرلين، كاوياني، ١٣٤٠/١٩٢١–١٩٢٢ t. I).

* Hafiz-i Abru- ذيـل جامع التواريخ رشيدي تأليف شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي المدعو بحافظ ابرو بمؤلف زبدة التواريخ، بخش نخستين با مقدمة وحواشي وتعليقات... خانبابا بياني، تهران، ١٣١٧ ش (= ١٩٣٨).

* Hafiz-i Abru-Chronique des Rois Mongols en Iran. Texte persan édité et traduit par K. Bayani. II. Traduction et Notes, Paris, 1936.

* Hafiz-i Abru- ذيـل كتاب ظفر نامه نظام الدين شامي تأليف عبد الله بن لطف الله عبد الرشيد المدعو بحافظ ابرو ازروي نسخه عكس برداري شده استانبول با مقدمه وتصحيح دكتر (بهمن) كريمي، تهران، (تيرما ١٣٢٨ ش = ١٩٤٩) (تكرار لنسخة Tauer).

* Hafiz-i Abru-Continuation du Zafarnama de Nizamuddin Shami par Hafiz-i Abru. Editée d'après les manuscrits de Stamboul par F. Tauer, - AOr, vol. VI, 1934, No 3, pp. 429-465.

* Hafiz-i Abru- Cinq opuscules de Hafiz-i Abru concernant l'Histoire de L'Iran au temps de Tamerlan. Edition critique par F. Tauer, Prague, 1959 (AOr, Supplementa, v (1959).

Hafiz-i Abru - (مصنفه الجغرافي)
مخطوطة GPB Dorn 290 (أنظر ايضا: Teksty, str. 157-158).

Hafiz-i Tanysh-Abdalla-Name.. INA D 88 (574 age) مخطوطة

Hetum-Haithoni Armeni Historia Orientalis. Quae eadem & de (المتن) Tartaris inscribitur, (ed. A. Mülleri Greiffenhagii), Coloniae Brandenburgicae, 1671 (في مجلد واحد مع Marci Pauli Veneti, Historici fidelissimi juxta ac praestantissimi, de Regionibus Orientalibus Libri III..., Coloniae Brandenburgicae, 1671).

Hetum -Histoire Orientale ou des Tartares, de Haiton, (الترجمة الفرنسية) Parent du Roi d'Armenie...décrit par la main de Nicolas Salon, & traduit suivant l'Edition Latine de A. Müller Greiffenhag,- (وذلك ضمن كتاب Voyages faits principalement en Asie dans les XII, XIII, XIV et XV siècle, par Benjamin de Tudele, Jean du Plan-Carpin, N. Ascelin, Guillaume de Rubruquis, Marc Paul Venitien, Haiton,

Jean de Mandeville, et Ambrose Contarini. Accompagnes de l'Histoire des Sarasins et des Tartares, et précédez (Sic) d'une Introduction... par P. Bergeron, la Haye, 1735).

Hilal as-Sabi- The historical remains (كتاب الوزراء لهلال ابن المحسن الصابي) of Hilal al-Sabi. First part of his Kitab al-Wuzara (Gotha Ms. 1756) and fragment of his History 389-393 A.H. (B.M.Ms, add. 19360). Ed. with notes and glossary by H.F. Amedroz, Leyden, 1904.

Hilal as-Sabi-Continuation of the Experiences of the Nations by Abu Shuja' Rudhrawari Vizier of Muqtadi, and Hilal b. Muhassin Vizier's Secretary in Baghdad. Arabic Text ed. by H.F. Amedroz and D.S. Margoliouth. Reigns of Ta'i and Qadir, Oxford, 1921 (Eclipse, vol. III); Translation from the Original Arabic by D.S. Margoliouth. Reigns of Ta'i and Qadir, Oxford, 1921 (Eclipse, vol. VI).

Khondemir-Histoire des Khans Mongols du Turkistan et de la Transoxiane, extraite du Habib essiier de Khondémir, traduite du persan et accompagnée de notes par M.C. Defrémery, - JA, sér, 4, t. XIX, 1852, pp. 58-94, 216-288. (مقتطف من حبيب السير)

Khondemir كتاب مستطاب حبيب السيّر مرقوم رقم ... غياث الدين بن همام الدين الشهير بخواندامير...، جلد ١-٣، طهران، ١٢٧٠-٢٧١. (حجرية).

*Khondemir- تاريخ حبيب السير في أخبار افراد بشر تأليف غياث الدين بن همام الدين الحسيني المدعو به خواندامير، با مقدمه بقلم اقاي جلال الدين همائي، جلد ١-٤، (تهران)، ١٣٣٣ ش (= ١٩٥٤).

Khorezmi-Liber Mafatih al-olum explicans (مفاتيح العلوم للخوارزمي) vocabula technica scientiarum tam arabum tam peregrinorum auctore Aby Abdallah Mohammed ibn Ahmed ibn Jusof al-Katib al-Khowarezmi. Ed., indices adjecit G. van Vloten, Lugduni-Batavorum, 1895.

*Hudud al-'alam-Hudud al-'alam. «The Regions of the (حدود العالم)

World». A Persian Geography 372 A.H. - 982 A.D. Transl. and explained by V. Minorsky. With the preface by V.V. Barthold (توفي1930) transl. from the Russian, London, 1937 (GMS NS, XI).

Hudud al'alam-Rukopis Tumanskogo. S vvdeniem i ukazatelem V. Bartold, . 1930.(طبعة مصورة لمخطوطة حدود العالم « التي عرفت من قبل باسم مخطوطة تومانسكي المجهولة المؤلف ». توفر على نشرها وزودها بفهرس ف.ث. بارتولد).

Huseini, Muhammed- Muhammed Huseini. أنظر

Huseini, Sadr ad-din - Sadr ad-din Huseini. أنظر

* Chan-Chun-Si iu tsi, ili opisanie puteshestvia na Zapad. (Pervel s Kitaiskogo, s primechaniami, arkhmandrit Palladii), - TCHRDM, T. IV,SPb., 1866, str. 259-436.

* Chan-Chun-The Travels of an Alchemist. The Journey of the Taoist Ch'ang-Ch'un from China to the Hindukush at the summons of Chingiz Khan. Recorded by His Disciple Li Chin-ch'ang.Transl. with an Introduction by A. Waley, London, 1931 (The Broadway Travellers).

Shadjarat al-atrak-The Shajrat ul-Atrak, or genealogical tree of the Turks and Tatars; transl. and abridged by Col. Miles. London, 1838.

Shadjarat al-atrak-; Or. 8106 مخطوطة المتحف البريطاني
ومخطوطة المتحف البريطاني Add. 26190 (انظر ايضا Teksty, str. 162-164).

Shami-Nizam ad-din Shami. أنظر

Shahristani-Book of Religions and Philosophical Sects, كتاب الملل والنحل by Muhammad al-Shahrastani. Now first ed. from the collation of several MSS by... W. Cureton London, 1842-1846.

Shahristani-Abul-Fath Muhammad asch-Schahreastani's. Religions-parthein und philosophen-Schulen. Zum ersten Male vullständig aus dem Arabischen übersetzt und mit erklärenden Anmerkungen versehen von. T. Haarbrücker, T. I-II, Halle, 1850-1851.

Shabangarai- (محمد الشبا نكارة . مجمع الانساب) مخطوطة INA 372 (d 566).

* Sheref ad-din Iezdi ظفرنامه، تاريخ عمومی مفصّل ايران دردورۀ تيموريان لمولانا شرف الدين على يزدي از روى نسخى كه در عصر مصنف نوشته شده بتصحيح واهتمام محمد عباسي، جلد ۱ - ۲، تهران، ۱۳۳٦ ش [= ۱۹٥۷].

Sheref ad-din Iezdi-The Zafarnamah by (شرف الدين يزدي، ظفرنامه) Maulana Sharfuddin (sic) Ali of Yazd. Ed. by Maulawi Muhammad Ilahdad, vol. I-II, Calcutta, 1887-1888.

Sheref ad-din Iezdi-Histoire de Timur-Bec, connu sous le nom du Grand Tamerlan, Empereur des Mongols et Tartares. Ecrite en Persan par Cherefeddin Ali, natif d'Yezd, Auteur contemporain. Traduite en Français par le feu M. Petits de la Croix... Avec des Notes Historiques & des Cartes Géographiques, t. I-IV, DELF, 1723.

Shen-u tsin-chjen lu-Starinnoe kitaiskoe skazanie o chingiskhane. Perevod s kitaiskogo arkhimandrita Palladia, - «Vostochnii sbornik», SPb., 1877, t. I, str. 149-202.

* Shen-u tsin-shjen lu- Histoire des campagnes de Gengis Khan. Cheng-wou tsin-tcheng Pou. Traduit et annoté par P. Pelliot et L. Hambis, t. I, Leiden, 1951.

Iuan-shi-Istoria pervykh chetyrekh khanov iz doma Chingisova, perevedeno s kitaiskogo monakhom Iakinfom, SPb., 1829.

Iusuf Balasaguni Kutadgu bilik. أنظر

Iakubi-Kitab al-alak an-nafisa VII auctore Abu (كتاب البلدان لليعقوبي) Ali Ahmed ibn Omar ibn Rosteh et Kitab al-boldan auctore Ahmed ibn abi Jakub ibn Wadih al-Katib al-Jakubi)ed. M.J. de (اليعقوبي)Goeje), edit. 2, Lugduni Batavorum, 1892 (BGA, VII) ، (اليعقوبي ، في الصفحات ۲۳۱-۳۷۳)

Iakubi-Les pays. Traduit par G. Wiet, le Caire, 1937 (Publications de l'Institut français d'archéologie orientale. Texte et traductions d'auteurs orientaux. T.I).

Iakubi–Ibn Wadih qui dicitur al–Jacqubi, Historiae. Ed. (تاريخ اليعقوبي) M. Th. Houtsma, pars I, historiam ante–islamicam continens; pars 2, historiam islamicam continens, Lugduni Batavorum, 1883.

Iakut-The Irshad al-arib ila ma'rifat al-adib or Dictionary (ياقوت ، الارشاد) of learned men of Yaqut. Ed. by D.S. Margoliouth, vol. I–IV, Leyden–London, 1907–1927 (GMS, VI, 1–7).

Iakut–Yacut's geographisches Wörterbuch aus den (ياقوت ، معجم البلدان) Handschriften zu Berlin, St. Petersburg, Paris, London und Oxford... hrsg. von F. Wüstenfeld, Bd I–VI, Leipzig, 1866–1873.

Iafi'i–Abdallah ibn Ali Iafi'i, Mira'at al–djannan fi (اليافعي ، مرآت الجنان) ma'rifat hawadis al–insan مخطوطة LGU 302 أنظر أيضاً: Teksty, str. 154–155 (راجع الآن: « مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان للشيخ الامام أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين اليافعي اليمني المكي المتوفي سنة ثمان وستين وسبع مائة رحمة الله عليه آمين ». – ، بمطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدر آباد الدكن عمرها الله الى أقصى الزمان، الأجزاء ١ – ٤ ، ١٣٣٧ هـ – ١٣٣٩ هـ – المترجم).

٢ • البحوث والدراسات

* Adykov, K.A.–Glavnye stantsii na srednvekovom torgovom puti iz Serakhsa v Merv (po arkheologicheskim dannym); SA, 1959,No 4, (مراحل الطريق بين سرخس ومرو)str.212–227.

* Adykov, K.A.–Koine Sérakhs (Kratkii putevoditel), Ashkabad, 1960.

* Aini, S.–Isiani Mukanna. Ocherki tarikhitdjiki, (صدر الدين عيني) (ثورة المقنع)Stalinabad, 1944.

* Aini,S.–Kahramani Khalki tochik Temurmalik. Ocherki adabitarikhi, Stalinabad, 1944.

* Aini, S.–Shaikhurraic Abuali Sina (الشيخ الرئيس ابو علي سينا),Stalinabad, 1941.

* Ali–Zade,A.–Iz istorii feodalnykh otnoshenii v Azerbaidjane v XIII--XIV vv. Termin «Kharadj», – IAN AzSSr, 1953, No 3, str. 107–116.

* Ali–Zade, A.–K voprosu ob institute «ikta» v Azerbaidjane pri ilkhanakh (XIII–XIV vv.),– «Izv. AzFAN», 1942, No 5, str. 19–28; أيضاً SSIA, str. 127–135.

* Ali–Zade,A.–K voprosu ob institute indju v Azerbaidjane v XIII–XIV vv.,– «Izv AzFAN», 1943, No 8, str 62–76; SSIA, str. 95–108. أيضاً

* Ali–Zade,A.– Sotsialno – ekonomicheskaia i politicheskaia istoria Azerbaidjana XIII–XIV vv., Baku, 1956.

* Alkhamova,Z.A.– Klad mednykh poserebrennykh Samarkandskikh Dirkhemov 663 g. Kh., «Trudy SAGU», Vyp. XI, 1950, str. 69–74.

Andreev,A.– Mestnosti Turkestana, interesnye v arkheologicheskom otnoshenii, – «Sredne–Aziatskii vestnik», Tashkent, 1896, Mai,

str. 16–28.

*Andrianov, B.V.–k voprosu o prichinakh zapustenia zemel drevnego oroshenia na Kunia–dare i Jany–dare, – IVGO, t. 86, vyp. 5, 1954, str. 442–447.

Arandarenko,G.A.–Dosugi v Turkestane, 1874–1889, SPb., 1889.

Aristov,N.A.–Zametki ob etnicheskom sostave tiurkskikh plemen i narodnostei i svedenia ob ikh chislennosti, – «Jivaia Starina», god VI, SPb., 1896, vyp. III–IV, str. 277–456. (ملاحظات عن القبائل والقوميات التركية واعدادها).

Bartold.,V.V.– Abu Mikhnaf,–ZVORAO,t.XVII,1906,str. 0147–0149. (أبو مخنف)

*Bartold, V.V. –Arkheologicheskie raboty v Samarkande letom 1924 g.,– (اعمال التنقيب عن آثار سمرقند في صيف عام ١٩٢٤). IRAIMK. t.IV,1925,str.119–132.

*Bartold,V.V.–(نقد وتقريظ) B.I. Vladimirtsov, Chingis–khan, Berlin – St. Peterburg–Moskva.1922,–Jurn. «Vostok», kn.5,1925, 251–156. (تقريظ ونقد لكتاب فلاديمير تسوف عن چنكيز خان)

*Bartold,V.V. – Vostochno–Iranskii vopros, – IRAIMK, t. II, 1922, str. 361–384.

Bartold,V.V.,–Greko–baktriiskogo gosudarstvo i ego rasprostranenie na Severo–Vostok, – IAN, ser. VI, t. X, 1916, str. 823–828.

(دولة بكتريا اليونانية وامتدادها صوب الشمال الشرقي)

*Bartold,V.V.–Yeshche ob «anonyme» Iskendera, – INA SSSR, Otd. Gumanitarnykh Nauk, 1929,str.165–180.

(مرة أخرى بصدد انونيم اسكندري)

Bartold, V.V.–(نقد وتقريظ) L. Cahun, Introduction à l'histoire de l'Asie. Turcs et Mongols des origines à 1405. Paris, 1896,– JMNP, ch. cccv, 1896, iun, otd. II, str. 366–384.

Bartold, V.V.– (نقد وتقريظ) Mirza Muhammad Haidar Dughlat. The Tarikh–i Rashidi... An English version... by N Elias. The Translation by E. Denison Ross. London. 1895 – ZVORAO, t X.

1897, str. 215-226. (تقريظ ونقد للترجمة الانجليزية لتاريخ رشيدي لمحمد حيدر دغلات).

Bartold, V.V. (نقد وتقريظ) N.A. Aristov, Zametki ob etnicheskom sostave tiurkskikh plemen i narodnostei i svedenia ob ikh chislennosti SPb. 1897,- ZVORAO, t. XI, 1899, str. 341-356. (تقريظ ونقد لبحث اريستوف عن القبائل التركية، انظر اعلاه).

Bartold, V.V.-(نقد وتقريظ) Spravochnaia Knijka Samarkandskoi oblasti 1898... Vyp. VI. Samarkand 1899, - ZVORAO, t. XII, 1900, str. 0122-0125. (تقريظ ونقد لدليل منطقة سمرقند ١٨٩٨).

Bartold, V.V. (نقد وتقريظ) F.H. Skrine and E.D. Ross. The Heart of Asia... London 1899, - ZVORAO, t. XII, 1900, str. 0130-0138.

Bartold, V.V.-(نقد وتقريظ) Izvestia, Turkestanskogo otdela Imperatorkogo Russkogo Geographicheskogo obshchestva, t. I, 1899, vyp. II. Tashkent, 1900, - ZVORAO, t. XIII, 1901, str. 0115-0117.

Bartold, V.V.-(نقد وتقريظ) Spravochnaia Knijka Samarkandskoi oblasti 1902... Vyp. VII, - ZVORAO, t. XV, 1903, str. 050-056.

Bartold, V.V.-(نقد وتقريظ) G. Le Strange, the lands of the Eastern Caliphate... Cambridge 1905, - ZVORAO, t. XVII, 1906, str.0102-0107.

Bartold, V.V.-(نقد وتقريظ) Spavochnaia Knijka Samarkandskoi oblasti, 1906... Vyp. VIII-IX. Samarkand 1906-1907, - ZVORAO, t. XVIII, 1908, str. 0181-0191.

Bartold, V.V.-(نقد وتقريظ) L.S. Bagrov, Materialy k istoricheskomu obzoru k art Kaspiiskogo moria. SPb. 1912,-ZVORAO, t. XXI, 1913, str. 0145-0150.
(نقد وتقريظ لبحث باغروف عن خارطة بحر قزوين على مر العصور التاريخية).

Bartold, V.V.-(نقد وتقريظ) Albert Herrmann, Alte Geographie des unteren Oxusgebiets. Berlin, 1914,-ZVORAO, t. XXIII, 1916, str. 357-361.

Bartold- (نقد وتقريظ) V.F. Karavaev, Golodnaia step v ego proshlom i nastoiashchem... Pr., 1914,-ZVORAO, t. XXIII, 1916, str. 413-419.

(نقد وتقريظ لبحث كاراقيف عن مفازة الجوع في ماضيها وحاضرها).
Bartold, V.V.-Iz mints-kabineta pri S.-Peterburgskom Universitete. II. Neizdannyi samanidskii fels. III. Fels Ismaila b. Akhmeda,-ZVORAO, t. XII, 1900, str. 059-060.
(من غرفة المسكوكات بجامعة سان بطرسبرغ. ٢ - فلس ساماني غير معروف. ٣ - فلس لإسماعيل بن أحمد).
*Bartold, V.V. - **Iran**. Istorichskii obzor, Tashkent, 1926.
(ايران. عرض تاريخي).
Bartold, V.V.- (نقد وتقريظ) V.L. Viatkin, Gorodishche Afrasiab, Samarkand, 1928, -«Iran», t. II, 1928, str. 181, 185.
(نقد وتقريظ لبحث ڤياتكين عن أطلال افراسياب).
Bartold, V.V.- Islam, Pr., 1918. (الاسلام)
Bartold, V.V. -Istorik Musevi, Kak avtor تاريخ خيرات IAN, ser. VI, t. IX, 1915, str. 1365-1370
(المؤرخ موسوي صاحب « تاريخ خيرات »).
Bartold, V.V.- Istoriko-geograficheskii obzor Irana, SPb., 1903.
(عرض للجغرافيا التاريخية لايران).
*Bartold, V.V.- Istoria izuchenia Vostoka v Evrope i v Rossii, SPb., 1911; Izd. 2e L., 1925.
(تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا).
*Bartold, V.V.-Istoria kulturnoi jizni Turkestana, L., 1927.
(تاريخ الحياة الثقافية بتركستان).
*Bartold, V.V.-Istoria turetsko-mongolskikh narodov. Konspekt lektsii, chitannykh studentam Kazakskogo vyshego pedagogicheskogo Instituta v 1926/1927 uchebnom godu, Tashkent, 1928.
(تاريخ الشعوب التركية والمغولية.)
*Bartold, V.V.-Istoria Turkestana, Tashkent, 1922.
(تاريخ تركستان).
*Bartold, V.V.-K.voprosu o pogrebalnykh obriadakh turkov i mongolov, -ZVORAO, t. XXV, 1921, str. 55-76.
(حول طقوس الدفن عند الترك والمغول).

*Bartold, V.V.–K voprosu o feodalizme v Irane, –«Novy Vostok», No 28, 1930, str. 108–116. (الاقطاع في ايران).

*Bartold, V.V.–K voprosu o Chingizidakh–Christianakh,– ZVORAO, t. XXII, 1914, str. 171–172. (حول الجنكيزخانيين النصارى).

*Bartold, V.V.–K voprosu ob arkheologicheskikh issledovoniakh v Tuekestane, –TV, 1894, No 5–7.

*Bartold, V.V.–K voprosu ob uigurskoi literature i ee vliianii na mongolov, «Jivaia Starina» god XVIII, 1909, vyp. II–III, str. 42–46 (أدب الأويغور وأثره على المغول).

Bartold, V.V.-K istorii arabskikh zavoevanii v Srednei Azii, -ZVORAO, t. XVII, 1906, str. 0140–0147. (حول تاريخ الفتوحات العربية بآسيا الوسطى).

*Bartold, V.V.–K istorii Krestianskikh dvijenii v Persii,– «Iz dalekogoi blizkogo proshlogo. Sbornik etiudov iz vseobshchei istorii v chest 50–letia nauchnoi jizni N.I. Kareeva», Pr.–M., 1923, str. 54–62. (من تاريخ ثورات الفلاحين بايران).

Bartold, V.V.–K istorii Merva, –ZVORAO, t. XIX, 1910, str. 115–138. (من تاريخ مرو).

*Bartold, V.V.– Kirgizy. (Istoricheski ocherk), Frunze, 1927; izd. 2e, Frunze, 1943. (القرغيز. عرض تاريخي).

Bartold, V.V.-Kultura musulmanstva. Pr., 1918 (الحضارة الاسلامية).

Bartold, V.V.–Merverrud,–ZVORAO, t. XIV, SPb., 1902, str. 028–032.

Bartold, V.V.– Mesto prikaspiiskikh oblastei v. istorii musulmanskogo mira, Baku, 1925. (مكانة مناطق بحر قزوين في تاريخ الحضارة الاسلامية)

Bartold, V.V.–(نقد وتقريظ) E. Blochet, Introduction à l'histoire des Mongols de Fadl Allah Rashid ed–Din. Leyden–London, 1910, –«Mir islama», T.I, 1912, str. 56–107.

Bartold, V.V.–Mir–Ali–Shir i politicheskaia jizn,– «Mir–Ali–Shir. Sbornik K piatisotletiio so dnia rojdenia», L. 1928, str. 100–164,

(مير علي شير نوائى والحياة السياسية).
Bartold, V.V.-Mulhakat-as-Surah, -ZVORAO, t. XI, 1899, str., 1899, str. 283-287.
(ملحقات الصراح لجمال قرشي).
Bartold, V.V.-Musulmanskii mir, Pg. 1922 (Vvdenie v nauku. Istoria).
(العالم الاسلامي).
Bartold, V.V.-Narodnoe dvijenie v Samarkande v 1365 g.,-ZVORAO, t. XVII, 1906, str. 01-019.
(حركة شعبية بسمرقند في عام ١٣٦٥).
Bartold,V.V.-Neskolko slov ob ariiskoi Kulture v Srednei Azii,- «Sredne-Aziatskii vestnik», 1896, iun, str.20-33.
(بعض ملاحظات عن الحضارة الآرية بآسيا الوسطى).
Bartold, V.V.- Novoe musulmanskoe izvestie o Russkikh- ZVORAO, t.IX, 1896, str.262-267.
(معلومات اسلامية جديدة عن الروس).
* Bartold, V.V.- Novy istochnik po istorii Timuridov,-ZIVAN, t.V, L., 1935, str.5-42.
(مصدر جديد في تاريخ التيموريين).
Bartold, V.V. -Novy trud o polovtsakh: W.Bang und J.Marquart Osttürkische Dialekstudien. Berlin, 1914,-«Russkii istoricheskii jurnal», izd. Rossiiskoi Akad. nauk, Kn.7, 1921, str.138-156.
Bartold, V.V.- O Kolesnom i verkhovom dvijenii v Srednei Azii,- ZIVAN, t.VI, 1936, str.5-7. (العجلة والحصان في آسيا الوسطى).
Bartold, V.V -O nekotorykh vostochnykh rukopisiakh v bibliotekakh Konstantinoplia i Kaira (Ochet o komandirovke),-ZVORAO, t.XVIII, 1908 str.0115-0154. (فحص لمخطوطات مكتبات استنبول والقاهرة - تقرير عن مامورية في تلك البلاد).
Bartold, V.V.-O pogrebenii Timura,-ZVORAO, t.XXIII, 1916, str.1-32.
(دفن تيمور).
Bartold, V.V.-O khristianstve v Turkestane v do-mongolskii neriod. (Po povodu semirecheskikh nadpisei),-ZVORAO, t.VIII, 1894, str.1-32.
الترجمة الألمانية. انظر (Barthold, W Zur Geschichte)

(المسيحية بتركستان في الفترة السابقة للغزو المغولي - بصدد نقوش يدي صو).

* Bartold, V.V. – Ob odnom uigurskom dokumente,–PTKLA, god VII, 1902, str.34–36.
(بصدد وثيقة باللغة الاويغورية).

Bartold, V.V.–Obrazovanie imperii Chingiz–Khana,–ZVORAO, t.X., 1897, str.105–119. (قيام امبراطورية چنكيز خان).

* Bartold, V.V. –Opredelenie «anonima Iskendera», DAN–B, 1927, str.115–116.

Bartold, V.V.–K istorii oroshenia Turkestana, SPb., 1914.
(من تاريخ الري بتركستان).

Bartold, V.V. –Otvet G.E. Grumu– Grjimailo, –IIRGO, t.XXXV, 1899, str.694–710.

Bartold,V.V.–Otchet o Komandirovke v Turkestan. (Leto 1902 g.),–ZVORAO, t.XV, 1904, str.173–280. (تقرير عن مامورية بتركستان، صيف عام ١٩٠٢).

Bartold,V.V. –Otchet o komandirovke v London,–IAN, ser.VI, t.VIII, 1914, str.879–882.

Bartold, V.V. – Otchet o Komandirovke v Turkestan. Avgust–dekabr 1920 g.,–IAN, ser.VI, t.XV, 1921, str.188–219.

Bartold,V.V.–Otchet o Komandirovke v Turkestanskii Krai letom 1916 goda,–IAN, ser.VI t.X, 1916, str.1239–1242.

Bartold, V.V. – Otchet o poezdke v Samarkand letom 1904 g.,– IRKSA, No 4 SPb., 1904 str.21–24.
(تقرير عن رحلة الى سمرقند صيف عام ١٩٠٤).

Bartold, V.V. –Otchet o poezdke v Sredniu Aziu s nauchnoi tseliu.1893–1894 gg., SPb., 1897 (ZIAN, OIF,ser.VIII, t.I, No4).
(تقرير عن رحلة الى آسيا الوسطى بهدف علمي، ١٨٩٣–١٨٩٤).

Bartold,V.V. –Ocherk istorii Semirechia,–PKSOSK na 1898 g.t.II, stra.74–175. (موجز تاريخ يدي صو « سمى رتشيه »).

* Bartold,V.V.–Ocherk istorii turkmenskogo naroda,–sb. «Turkmenia», I–1.1929, str.1–69. (موجز تاريخ شعب التركمان)

Bartold, V.V. - Persidskia nadpis na stenne aniiskoi mechti Manuche, SPb., 1911 (Aniiskaia seria, No 5).
(نقش فارسي على جدار مسجد منوچه بآني).

* Bartold, V.V. - Persidskoe ark «Krepost, tsitadel»,-IRAIMK, t.I, No 5, Pg. (ارك ، أي « القلعة » بالفارسية).

* Bartold, V.V. - Po povodu stati «Dogadka o proshlom Otrara»,- T V, 1900, no 3.

Bartold, V.V. -Poezdka v Samarkand s arkheologicheskiu tseliu-ZVORAO, t.XVI, 1906, str.XXXIV-XXXV.

Bartold, V.V. -Svedenia ob Aralskom more i nizoviakh Amu-Dari s drevneishikh vremen do XVII veka, Tashkent, 1902 (ITORGO, t.IV. Nauchnye rezultaty Aralskoi ekspeditsii, vyp.II).

انظر الترجمة الالمانية (Barthold, Nachrichten) (معلوماتنا عن بحر آرال والمجرى الأدنى لنهر جيحون منذ اقدم العصور التاريخية الى القرن السابع عشر).

* Bartold, V.V. -Sviaz obshchestvennogo byta s khoziaiastvennom ukladom u turok i mongolov,-IOAIEK, t.XXXXIV, 1929, vyp.3-4, str.1-4. (الحياة الاجتماعية للترك والمغول وعلاقتها باوضاعهم الاقتصادية).

Bartold, V.V. -Sultan Sinjar i guzy (Po povodu stati K.A. Inostrantseva),-ZVORAO, t.XX, 1912, str.046-049.

* Bartold, V.V. -Tadjiki. Istoricheskii Ocherk,-«Takjikistan. Sbornik statei», pod red.N.L. Korjenevskogo, Tashkent, 1925, str.93-111. (التاجيك. عرض تاريخي).

* Bartold, V.V. -Tekst pervoi nadpisi v Barukhskom ushchele,-PTKLA, god IX, 1904, str.46-47.

Bartold, V.V. -Turkestan v epodhu mongolskogo nashestvia, ch.I, Teksty, SPb., 1898; ch.II, Issledovanie, SPb., 1900.
انظر الترجمة الانجليزية (Barthold. Turkestan)

Bartold, V.V. -Ulugbek i ego vremia, Pg., 1918 (ZRAN po istoriko-filolog.otd., t.XIII, No 5). (اولوغ بيك وعصره).

* Bartold, V.V. -Khalif i sultan,-«Mir Islama», t.I, SPb., 1912, No 2, str.203-226; No 5, str.345-400. (الخليفة والسلطان).

Bartold, V.V. -Hafizi-Abru i ego sochinenia,-«Al-Muzaffaria»,

(حافظ آبرو ومصنفاته)str.1-28.

*Bartold,V.V.-Khlopkovodstvo v Srednei Azii s istoricheskikh vremen do prikhoda russkikh,-«Khlopkovoe delo», 1924, No 11-12, (زراعة القطن بآسيا الوسطى منذ اقدم العصور الى وصول الروس)str.3-13.

*Belenitskii,A.M.-Iz arkheologicheskikh rabot v Piandjikente 1951 (أعمال التنقيب في بنجكنت عام ١٩٥١)g.,-SA, XVIII, 1953, str.326-341.

*Belenitskii,A.M.-Istoriko-geograficheskii ocherk Khuttalia s Drevneishikh vremen do X v.n.e.,-«Trudy Stae», t.I, 1946-1947 (موجز تاريخي جغرافي لبلاد الختل من أقدم العصور الى القرن العاشر)(MIA, No 15), 1950, str.109-127.

*Belenitskii,A.M.-K voprosu o sotsialnykh otnosheniakh v Irane v hulaguidskouiu epokhu,-SV, t.v, 1948, str.111-128.

*Belenitskii, A.M.-K istorii feodalnogo zemlevladenia v Srednei Azii i Irane v Timurdskiu epokhu XIV-XV vv. (Obrazovanie instituta (من تاريخ اقطاع الأراضي في آسيا الوسطى وايران على عهد التيموريين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر - نشوء نظام الـ « سيورغال »)«cuiurgal»),-«Istorik-markist», 1941, No str.43-58.

*Belenitskii,A.M.-O domusulmanskikh kultakh Srednei Azii,- KSIIMK, (بصدد العبادات في آسيا الوسطى قبل الفتح الاسلامي)vyp.XXVIII, 1949, str.83-85.

*Belenitskii,A.M.-O piandjikentskikh khramakh, -KSIIMK, vyp.XIV, (معابد بنجكنت)1952, str.119-126.

*BeliaevV.- Anonimnaia istoricheskia rukopis Kollektsii V.A.Ivanova v Aziatskom musee, -ZKV, t.v, 1930, str.15-37.

*Beliaev,V.I.-Arabskie istochniki po istorii turkmen i Turkmenii IX-XIII vv., -MITT, I, str.12-40.
(المصادر العربية عن تاريخ التركمان وبلاد التركمان من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر).

*Beliaev,V.I.-Arabskie rukopisi Bukharskoi Kollektsii Aziatskogo museia

Instituta vostokovedenia Akademii Nauk SSSR, L., 1932 (TIVAN, t.II).

(المخطوطات العربية من بخارا الموجودة بالمتحف الاسيوي بمعهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية).

*Beliaev,V.I.-Arabskie rukopisi v sobranii Instituta vostokovedenia Akademie Nauk SSSR, -UZIVAN, t.VI, 1953, str.54-103.

Berezin,I.-Ocherk vnutrennego ustroistva Ulusa Djuchieva,- ГVORAO, ch.VIII, 1864, str.387-494.(موجز للنظام الداخلي لألوس جوچي).

Berje,A.-Kratkii katalog Tiflisskoi Publichnoi Biblioteki.(1846-1861), Tiflis, 1861.

*Bernshtam,A.N.-Arkheologicheskii ocherk Severnoi Kirgizii, Frunze, 1941, (MIIKK; vyp.IV).(موجز أثري لبلاد القرغيز الشمالية).

*Bernshtam,A.N.-Drevnetiurkskii dokument iz Sogda.(Predvaritelnoe Soobshchenie), -EV, v, 1951, str.65-75.

*Bernshtam,A.N.-Drevenia Fergana (Nauchno-populiarnii ocherk), Tashkent, 1951(فرغانة القديمة).

*Bernshtam,A.N.- Istoricheskoe proshloe Kirgizkogo naroda, Frunze, 1942.(ماضي الشعب القرغيزي).

*Bernshtam, A.N.-Pamiatniki stariny Talasskoi doliny, Istoriko - arkheologicheskii ocherk. Alma-Ata, 1941.(الآثار القديمة لوادي تلاس).

*Bernshtam,A.N.- Sovetskaia arkheologia Srednei Azii,-KSIIMK, vyp. XXVIII, 1949, str.5-17.

*Bernshtam,A.N.-Sotsialno-ekonomicheskii stroi orkhono-eniseiskikh tiurok VI-VIII vekov, M.-L., 1946.

(التركيب الاجتماعي والاقتصادي لأتراك الاورخون واليني من القرن السادس الى القرن الثامن).

*Bernshtam,A.N.-Sredneaziatskia drevnost i ee izuchenie za 30 let,- VDI, 1947, No 3 str.83-94.(آسيا الوسطى في العصور القديمة وتاريخ

دراستها في الثلاثين عاما الأخيرة).

*Bernshtam,A.N.-Tiurgeshskie monety, -TOVE, t.II, L., 1940, str. 105-111.(نقود التركش).

*Bernshtam,A.N.-Uigurskaia epigraphika Semirechai. I, -EV, I, 1947, str. 33-37; II, -EV, II, 1948, str. 102-106.

*Bernshtam, A.N.-uigurskie iuridicheskie dokumenty, -PI, III, 1940, str. 61-84.

*Bertels, E.E.-Nasir-i Khosrov i ismailizm, M., 1959.
(ناصري خسرو والاسماعيلية).

*Bertels, E.E.-Avitsenna, -«Nauka i jizn», 1952, No 5, str. 44-45.
(ابن سينا).

*Bertels, E.E.-Istoria persidsko-tadjiksoi literatury, M., 1960 (Izbrannye trudy, (t. II).
(تاريخ الأدب الفارسي والتاجيكي).

*Bertels, E.E. -Ocherk istorii persidskoi literatury, L., 1928.
(موجز تاريخ الأدب الفارسي).

*Bertels, E.E. -Persidskaia poezia v Bukhare. X vek, M.-L., 1935.
(الشعر الفارسي ببخارا في القرن العاشر).

*Bertels, E.E. - Persidskii-dari-tadjikskii, -SE, 1950, No 4, str. 55-66.
(فارسي - داري - تاجيك).

*Bolshakov, O.G.-Zametki po istoricheskoi topografii doliny Zeravshana V IX-X vv.,-KSIIMK, vyp. 61, 1956, str. 17-23.
(ملاحظات عن الطوبوغرافيا التاريخية لوادي زرفشان في القرنين التاسع والعاشر).

*Braginskii,I.S.-Iz istorii tadjikskoi narodnoi poezii. Elementy narodno-poeticheskago tvorchestva v pamiatnikakh drevnei i srednevekovoi pismennosti, M., 1956.

Brianov, A.-O sledakh drevnego goroda Kasan v ferganskoi oblasti,-PTKLA, god IV, 1899, str. 142-148.
(أطلال مدينة كاسان القديمة بمنطقة فرغانه).

Budagov,L.-Sravnitelny slovar turkeko-tatarskikh narechii, t. I-II, SPb., 1869-1871.

(المعجم المقارن للهجات التركية التترية).
*Bukinich, D.D.- Kratkie predvaritelnye soobrajenia o vodosnabjenii i irrigastsii starogo Termeza i ego raiona, -«Trudy UzFAN», ser.I, vyp 2, 1940, str. 154-158.
(شرب وری ترمذ القديمة ونواحيها).
*Bulgakov, P.G.-Svedenia arabskikh geografov IX-nachala X vekov o marshrutakh i gorodakh Srednei Azii, L., 1954 (Kandidatskia dissertatsia, rukopis-b-ka im. A.M. Gorkogo, LGU).
(مادة الجغرافيين العرب عن طرق آسيا الوسطى ومدنها في القرن التاسع وبداية القرن العاشر - مخطوطة رسالة للماجستير موجودة بمكتبة جامعة لنينجراد).
Validov, A.Z.-Meshhedskia rukopis Ibnu-l-fakiha, -IRAN, ser.VI, t. XVIII, 1924, str. 237-251.
(مخطوطة مشهد لكتاب ابن الفقيه في الجغرافيا).
*Valitova, A.A.-K voprosu o klassovoi prirode Karakhanidskogo gosudarstva, -«Trudy KirFAN», t. I, vyp. I, 1943, str. 127-136.
(الطابع الطبقي لدولة القراخانيين).
*Valitova, A.A.-Iusuf Balasagunskii i ego «Kutadgu Bilig»,- K S I V, vyp. IV, 1952, str. 56-63.
(يوسف خاص حاجب البلاساغوني وكتابه « قوتادغو بيليك »).
Vamberi, A.-Istoria Bokhary ili Transoksanii s drevneishikh vremen do nastoiashchego, t. I-II SPb., 1873.
Vamberi, A.-Puteshestvie po Srednei Azii v 1863 godu, SPb., 1865.
Vasiliev, V.-Voprosy i somnenia, -ZVORAO, t. IV, 1889, str. 379-381.
Vasiliev, V.P.-Istoria i drevnosti vostochnoi chasti Srednei Azii ot X do XIII veka, s prilojeniem perevoda Kitaiskikh izvestii o Kidanakh, Djurdjitakh i Mongolo-Tatarakh, -TVORAO, ch. IV, 1859, str. 1-235.
(تاريخ وماضي القسم الشرقي لآسيا الوسطى من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر ، مضافا اليه ترجمة المعلومات الصينية عن الكيتان والجورچه والمغول التتار).
Veliaminov-Zernov, V.V.- Issledovanie o Kasimovskikh tsariakh i tsarevichakh, ch. 1-3, 1863-1866 (T V O R A O, ch. IX.XI).

(بحث عن الأسرة المالكة من أمراء قاسموف).
* Vernadski,G.V.–O sostave velikoi Iasy Chingis Khana. S prilojeniem glavy Iase iz istorii Djuveini v perevode V.F. Minorskogo, Briussel, 1939 (G. Vernadskii, Issledovania i materialy po istorii Rossi Vostoka, vyp. I).
(محتويات الياسا الكبرى لجنكز خان).
Veselovski,N.–(نقد وتقريظ)Muhammad Narshakhi, Istoria Bukhary. Perevel s persidskogo N. Lykoshin pod redaktstiei V.V. Bartolda, –JMNP, ch. CCCXIV, 1897, Dekabr, str. 466–468.
Veselovski,N–Zametka o kurganakh Turkestanskogo Kraia, –ZVORAO, t. II, 1888, str. 221–226
(ملاحظة عن قرغانات بلاد التركستان).
Veselovski,N.–(نقدوتقريظ)P. Shubinskii, Ocherki Bukhary, SPb., 1892, –ZVORAO, t. VIII, 1894, str. 159–165.
Veselevoski, N. – Ocherk istoriko– geograficheskikh svedenii o Khivinskom khanstve ot drevneishikh vremen do nastoiashchego, SPb., 1877.
(المعلومات التاريخية والجغرافية عن خانية خيوه من أقدم العصور الى الوقت الحاضر).
*Vladimirtsov,B.I.– Obshchestvenny stroi mongolov. Mongolskii kochevoi feodalizm, L. 1934.
(المجتمع المغولي والاقطاع الرعوي لدى المغول).
* Vladimirtsov,B.I. –Chingis Khan, Berlin–Peterburg–Moskva, 1922.
* Volin,S.–K istorii drevnego Khorezma, –VDI, 1941, No 1, str. 192–196.
(من تاريخ خوارزم القديمة).
*Volin,S.L.–K istorii sredneaziatskikh arabov, –«Trudy vtoroi sessii assotsiatsii arabistov 19–23 oktiabria 1937 g.» (TIVAN, vyp.XXXVI), 1941, str.111–126. (من تاريخ عرب آسيا الوسطى)
* Volin, S.L.–Novy istochnik dlia izuchenia khorezmiskogo iazyka,–ZIVAN, T. VII, 1939, str. 79–91
(مصدر جديد لدراسة اللغة الخوارزمية).

Viatkin, V.– Afrasiab – gorodishche bylogo Samarkanda. Arkheologicheskii ocherk, Tashkent, (1927).

(أطلال افرا سياب – موضع سمرقند القديمة).

Viatkin, V. –gde iskat Bizd? –TV, 1900, No 36.

(أين كانت تقع ويزد؟)

Viatkin,V.–K istoricheskoi geografii Tashkentskogo raiona, TV, 1900, No 101; قارن PTKLA, god V, 1900, str.156–159.

(الجغرافيا التاريخية لمركز تاشكند).

Viatkin,V.–Materialy k istoricheskoi geografii Samarkandskogo vilaeta, –SKSO, vyp.VII 1902, str.1–83.

* Viatkin,V.–Otchet o raskopkakh v mestnosti Namasgoh, bliz g. Samarkanda, IRKSA, No 7, 1907, str.12–20.

(تقرير عن حفريات بمحلة نمازكاه قرب سمرقند).

Viatkin,V.–Otchet o raskopkakh na Afrasiabe, v 1905 godu,– IRKSA, No 8, 1908, str.22–36.

(تقرير عن حفريات بموضع افراسياب في عام ١٩٠٥).

* Viatkin,V.–Pamiatniki drevnestei Samarkand, Samarkand, 1927; izd.3e 1933.

(آثار سمرقند القديمة).

Viatkin,V.L.–Samarkndskie legendy (Evreiskii Mudrets–Chupan–ata –Darkhan– Sheikh Motyrid– Shahi Zinda), – SKSO, vyp.V, 1897, str. 224–240.

Galkin,– (الكولونيل) Marshrutnoe opisanie dorog, prolegaiushchikh po doline pravogo berega r.Surkhana, SMA, vyp.LVII, 1894, str.385–393.

(وصف الطرق التي تمر بالضفة اليمنى لنهر سرخان).

Galkin,M.N.–Etnograficheskie i istoricheskie materialy po Srednei Azii i Orenburgskomy Kraiu, SPb., 1869.

Galsan–Gomboev, O drevnikh mongolokikh obychaiakh i sueveriiakh, opisannykh u Plano–Kaprini, –TVORAO, ch.IV, 1859, str.236–256

(عن العادات والمعتقدات الشعبية لدى المغول الأقدمين كما وصفها پلانو كارپيني).

* Gafurov,B.G.-Istoria tadjikskogo naroda v kratkom izlojenii, izd.3e, Ispravl. i Dopoln., t. I, s drevneishikh vremen do Velikoi Oktiabrskoi sotsialisticheskoi revoliutsii 1917 g., M., 1955.
(عرض موجز لتاريخ شعب التاجيك).

* Gafurova,R.L.-«Kitab-i Mulla zade» kak istoricheskii istochnik (avtoref .Kand. diss.), izd.LGU, 1961
(«كتاب ملا زاده» كمصدر تاريخي. رسالة للحصول على الماجستير من جامعة لنينجراد).

* Gibb,H.A.R.- Arabskia literatura. Klassicheskii period, M., 1960
(الترجمة الروسية عن الانجليزية لكتاب جيب، تاريخ الأدب العربي)

*Grekov,B.D.-Iakubovski, A.Iu.--Zolotaia Orda i ee padenie, M.-L., 1950.
(دولة الاوردو الذهبي وسقوطها).

Grigoriev,V.V.-Karakhanidy v Maverannahre, po tarikhi Munddjim-bashi, v osmanskom tekste, s perevodom; primechaniami V.V.Grigorieva, -TVORAO, ch.XVII, 1874, str.189-258.
(القراخانيون بما وراء النهر وفقا لتاريخ منجم باشى).

* Grigoeiev,V.V.-Ob arabskom puteshestvennike X go veka Abu Dolefe i stranstvovanii ego po Srednei Azii, -JMNP, ch.CLXIII, 1872, sentiabr, otd.II, str.1-45.
(الرحالة العربي للقرن العاشر ابو دلف وتجواله بآسيا الوسطى).

Grum-Grjimailo,G.E.-Istoricheskoe proshloe Bei-shania v sviazi s istoriei Srednei Azii, SPb., 1898.

* Guliamov,Ia.-Biruni ob istoricheskoi gidrographii nizoviev Amu-Dari, -Sb.«Biruni-Velikii yzbekskii ucheny srednevekóvia», Tashkent, 1950, str.85-92.

* Guliamov,Ia.-Istoria oroshenia Khorezma s drevneishikh vremen do nashikh dnei, Tashkent, 1957.
(تاريخ الري في خوارزم من أقدم العصور الى الوقت الحاضر).

* Guliamov,Ia.–Pamiatniki goroda khivy, –«Trudy IIALI UzFAN», ser. 1, vyp.3, Tashkent, 1941.

(آثار مدينة خيوه).

* Davidovich,E.A.–Vladeteli Nasrabada (po numizmaticheskim dannym), –KSIIMK, vyp.61, 1960, str.107–113.

* Davidovich,E.A.–Iz oblasti denejnogo obrashchenia na territorii Fergany, – «Trudy Muzeia istorii UzSSR», vyp. II, 1954, str. 39–52.

* Davidovich, E.A.–Klad mednykh djagataidskikh monet XIIIv.,– DAN UzSSR, 1949, No 6, str. 35–38.

* Davidovich,E.A.–Numiamaticheskie materialy dlia istorii razvitia feodlnykh otnoshenii v Srednei Azii pri Samanidakh, –«Trudy In–ta istorii, arkheogogii i etnografii AN Tadji SSR», t.XXVII, Stalinabad, 1954, str.69–117.

* Davidovich,E.A.–Ob otnoshenii zolota i serebra v Bukhare v XII veke, –PV, 1959, No 4, 82–85.

* Davidovich,E.A.–Termezskii klad medniykh poserebrennykh dirkhemov 617/1220 g., –EV, VIII, 1953, str.43–55.

* Denike, B.P.–Iskusstvo Srednei Azii, M.1927.

(فنون آسيا الوسطى).

Dombrovski,K–N–Drevnia bashnia (minaret) v selenii Uzgente Andijanskogo yezda, –PTKLA, god II, 1897, priloj. K protok. Zasedania 16 Oktiabria 1897 g., str. 1–2.

* Diakonov,M.M,–Keramika Paikanda, –KSIIMK, vyp. XXVIII, 1949, str. 89–93.

* Diakonov,M.M.–Raboty Kafirniganskogo otriada– «Trudy STAE»,t.I, 1946–1947 (MIA, No 15), 1950, str. 147–186.

* Diakonov,M.M.–Rospisi Piandjikenta i jivopis Srednei Azii, –v kn.: «Jivopis drevnego Piandjikenta», M., 1954, str. 83–158.

* Jirmunski,V.M.–«Kitabi Korkut» i oguzskia epicheskia traditsia, –SV, 1958, No 4, str. 90–101.

* Jirmunski,V.M.–Oguzskii geroicheskii epos i «Kniga Korkuta»,–v kn.

str. (أنظر أعلاه: القسم أ، ب) : Kitab-i Dede: Karkut, per. Bartolda 131-258.

*Jirmunski,V.M.i Kh T. Zarifov-Uzbekskii narodnyi geroicheskii epos, M., 1947.

(الملحمة البطولية الشعبية الأوزبكية).

Jukovski,V.-K istorii persidskoi literatury pri Samanidakh,- ZVORAO, t. XII, 1900, str. 04-07.

Jukovski,V.-Omar Khaiam i «Stranstvuiuschie» chetverostishia, -«Al-Muzaffaria», str. 325-363.

Jukovski,V.A.-Drevnosti Zakaspiiskogo Kraia. Razvaliny Starogo Merva, SPb., 1894 (MAP, vyp. 16). (أطلال مرو القديمة)

Zaleman,K.G.-Legenda pro Khakim-Ata,-IAN, ser.V,t.IX,1898, str.241-262.

Zaleman,K.-Spisok persidskim, turetsko-tatarskim i arabskim rukopisiam Biblioteki I. SPb. Universiteta, (Ch. I, persidskie sochinenia), ZVORAO, t. II, 1888, str. 241-262.

*Zasypkin,B.N.-Arkhitektura Srednei Azii,M.,1948.

(معمار آسيا الوسطى).

*Zasypkin,B.N.-Pamiatniki arkhitetury Termezskogo raiona, -«Kultura Vostoka. Sbornik Muzeia vostochnykh kultur», II, M. 1928, str. 17-40.

*Zakhoder,B.-Dendanekan, -IJ, 1943, kn. 3-4, str. 74-77.

(واقعة دندانقان).

*Zakhoder,B.N.-Mukhammed Nakhshabi. K istorii Karmatskogo dvijenia V Srednei Azii v X veke, -«Uch. zap. MGU», VYP. 41, 1940, str. 96-112.

(محمد النخشبي - من تاريخ حركة القرامطة بآسيا الوسطى في القرن العاشر).

*Zakhoder,B.N.-Khorasan i obrazovanie gosudarstva seldjukov, -VI, 1945, No 5-6, str. 119-142

(خراسان وقيام دولة السلاجقة).

Zimin,L.-Kala-i-Dabus, -PTKLA, god XXI, 1917, str. 43-64.

Zimin,L.–Kratia istoricheskia spravka o drevnem Sokhe,–PTKLA, god XIX, (vyp. 1), 1914, str. 21–23.
Zimin,L.–Kratkii otchet o poezdke po Bukhare v 1916 g., PTKLA, god XVIII, (Vyp 1), 1913, str. 3–16.
Zimin,L.–Otchet o vesennikh raskopkakh v razvalinakh starogo Peikenda, –PTKLA, god XIX, vyp. 2, 1915, str. 63–88.
Zimin,L.–Ochet o dvykh poezdkakh po Bukhare s arkheologicheskoi tseliu, –PTKLA. god XX, vyp. 2, 1916, str. 119–156.
Zimin,L.–Ochet o letnikh raskopkakh v razvalinakh starogo Peikenda, –PTKLA, god XIX, vyp,2, 1919, str. 89–131.
Zimin,L.–Razvaliny starogo Peikenda, –PTKLA, god XVIII, vyp 2, 1913, STR. 59–89.
(أطلال بيكند القديمة).
Zimin,L.–Staryi Farab(Razvaliny u Amu–Dari), –PZKLA, vyp. 3, 1917, str. 1–8.
(أطلال فاراب القديمة عند امودريا).
Ivanin,M.I.–O voennom iskusstve v zavoevaniakh mongolo–tatar i Sredne–aziatskikh narodov pri Chingiz–Khane i Tamerlane, SPb., 1875.
(فن الحرب في غزوات الشعوب المغولية التترية وشعوب آسيا الوسطى على عهد چنكيز خان وتيمورلنك).
*Ivanov,P.P.–K voprosu o drevnostiakh v verkhoviakh Talasa, –sb. «Sergeiu Fedorovichu Oldenburgu k piatdesiatiletiiu nauchno–obshchestvennoi deiatelnosti 1882–1932», L. 1934, str. 241–251.
(بصدد الآثار الموجودة بأعالي نهر تلاس).
Ivanov,P.P.–K voprusu ob istoricheskoi topografii Starogo Sairama, –«V.V. Bartoldu», str. 151–164.
(خطط سيرام القديمة).
*Ivanov,P.P.–K istorii razvitia gornogo promysla v Srednei Azii. Kratkii istoricheskii ocherk, L.–M., 1932.

*Ivanov,P.P.–Ocherk istorii Karakalpakov, –«Materialy po istorii Karkalpakov» (TIVAN, t. VIII, str. 9–89.

(موجز تاريخ القرا قلباق).

Ivanov,P.P.–Sairam. Istoriko–arkheologicheskii Ocherk, –«Al–Iskenderia», str. 46–56.

(سيرام، موجز تاريخي – أثري).

Inostrantsev, K.–Korkud v istorii i legende, –IZVORAO, t.XX, 1911, str.040–046.

*Istoria MNR,–Istoria Mongolskoi Narodnoi Respubliki, M. 1954.

*Istoria Narodov Uzbekistana, T.I, S drevneishikh vremen do nachala XV veka, Tashkent, 1950.

(تاريخ شعوب اوزبكستان من أقدم العصور حتى بداية القرن الخامس عشر).

*IstoriaTurkmenskoi S S R,T.I,Kn 1.S drevneishikh vremen do kontsa XVIII veka, Ashkhabad, 1957.

(تاريخ جمهورية تركمانستان السوفيتية من أقدم العصور حتى نهاية القرن الثامن عشر).

*Istoria Uzbekskoi S S R, T. I, Kn. 1, Tashkent, 1955.

(تاريخ اوزبكستان)

K biografii Abu–Abdully Mukhammada,syna Ali–Khakimova, Termezskogo, iz Knigi خزينت الاصفيا –PTKLA, god II, 1897, proloj. k protok. Zasedania 29 avgusta 1897 g., str. 18–20.

*Kadyrova,T.–Vosstanie krestian vo glave s Khamzoi al–kharidji na grani XIII–IX vv., –IAN UzSSR, 1953, No 6, str. 91–101.

Kallaur,V.–Drevnie goroda, kreposti i kurgany po reke Syr–Dare, v vostochnoi chasti Perovskogo Uezda, –PTKLA, god VI, 1901, str. 69–78.

Kallaur,V.–Drevnie goroda Saganak, Ashnas ili Eshnas (Asanas) i drugie v Pervoskom uezde, razrushennye Chingis–Khanom v 1219 godu, –PTKLA, god V, 1900, str. 6–16.

Kallaur,V.–O sledakh drevnego goroda «Djend» v nizoviakh r. Syr–Dari, –PTKLA, god V, 1900, str. 78–89.

Kalmykov,A.–Khiva,–PTKLA, god XII, 1908, str. 49–71.

Kal,E.-Persidskie, arabskie i tiurkiskie rukopisi Turkestanskoi Publichnoi Biblioteki, Tashkent, 1889.

Karavaev,V.F.-Golodnia step v ee proshlom i nastoiashchem. Statistiko-ekonomicheski ocherk (po issledovaniu 1914 g.), Pg., 1914.

(مفازة الجوع ، في ماضيها وحاضرها . دراسة احصائية اقتصادية).

Karamzin,M.N.-Istoria gosudarstva Rossiiskogo. Petchatano pod nabl. prof. P. N. Polevogo, izd. E. Evdokimova, T. I-XII, SPb., 1892.

(تاريخ دولة الروس).

Karaulshchikov,-Marshrut ot g. Denau do Patta-Gissara, -SMA, vyp. LVII, 1894, str. 394-398.

* Kastalski,B.N.-Istoriko-geograficheski obzor Surkhanskoi i Shirabadskoi dolin, -«Vestnık irrigatsii», Tashkent, 1930, No 2, str. 64-88; No 3 str. 3-19, No 4, str. 3-21.

Kastane,I.-Arkheologicheskie razvedki v Bukharskikh vladeniakh, -PTKLA, go XXI, 1917, str. 26-42.

Kastane,I.-Drevnosti Ura-Tiube i Shakhristana, -PTKLA, god XX, (Vyp. 1), 1915, str. 32-52.

Kastane,I.-Otchet o poezdke v Shakhrokhiu i mestnost «Kanka», -PTKLA, god XVIII, vyp. 2, 1913, str. 112-123.

Katanov,N.-Gadania u jitelei Vostochnogo Turkestana, govoriashchikh na tatarskom iazyke-ZVORAO, T. VIII, 1894, str. 105-112.

Katanov,N.-Tatarskie skazania o semi spiashchikh otrokakh, -ZVORAO, T. VIII, 1894, str. 223-245.

Katanov,N.-Khorezmiiskia svintsovia plita, naidennaia v razvalinakh Kunia Urgencha, -ZVORAO, t. XIV, 1902, str. 015-017.

Kafarov- أنظر Palladi.

* Kesati,R.-Raskopki na Paikende v 1940 godu,-SGE,IV,1947, str.26-29.

* Kiselev,S.V.-Drevnia istoria Iujnoi Sibiri, (izd. 2-e), M. 1951.

(تاريخ سيبريا الجنوبية القديم).

* Kisliakov,N.A.-Ocherki po istorii karategina. K istorii Tadjikistana, Stalinabd, 1941.

(من تاريخ قراتكين).

Klare,A.-Drevnii Otrar i raskopki, proizedennye v razvalinakh ego 1904 godu, -PTKLA god IX, 1904, str. 13-36.

(اترار القديمة).

* Kliashtorny,S.G.-Iz istorii borby narodov Srednei Azii protiv arabov (po runicheskim tekstam), -EV, IX, 1954, str. 55-64.

(من تاريخ كفاح شعوب آسيا الوسطى ضد العرب).

* Kliashtorny,S.G.-Istoriko-Kulturnoe znachenie Sujinskoi nadpisi, -PB, 1959, No 5, str. 162-169.

* Kliashtorny,S.G.-Iaksart-Syr-Daria, -SE, 1953, No 3, str. 189-190.

* Kononov,A.N.-Vostochny fakultet Leningradskogo universiteta, -«Uch. zap. LGU», No 296, Seria vostokovedcheskikh nauk, vyp. 13, Vostokovedenie v Leningradskom universitete, L. 1960, str. 3-31.

* Kononov,A.N.-O semantike slov kara i ak v tiurkskoi geograficheskoi terminologii. - IAN Taj SSR, OON, vyp. 5, 1954, str. 83-85.

(عن مغزى لفظي «قرا» و«آق» في المصطلح الجغرافي التركي).

* Kononov,A.N.-Tiurkologia v Leningrade (1917-1957),UZIVAN, t.XXV, 1960, str. 278-290.

Kostenko,L.F.-Turkestanskii krai. Opyt voenno-statisticheskogo obozrenia Turkestanskogo voennogo okruga, t. I-III, SPb. 1880 (Materialy dlia geografii i statistiki Rossii).

* Krachkovskia,V.A.-V.V. Bartold-numizmat i epigrafist,-EV, VIII, 1953, str. 10-23.

* Krachkovskia,V.a.-O srednevekovykh tekstalnykh izdeliakh v Srednei Asii (mervskie tkani IX-X vv.), -MPVNKV, str. 615-620.

* Krachkovskia,V.A.-Pamiatniki arabskogo pisma v Srednei Azii i Zakavkaze do ix v. -EV, VI, 1952, str. 46-100.

* Krachkovskia,V.A. i Krachkovski, I. Iu., Drevneishii arabskii

dokument iz Srednei Azii, –Sogd. sb., stı. 52–90,

(هذا المقال موجود أيضاً في الجزء الأول من آثار كراتشكوفسكي المختارة)

(I.Iu. Krachkovski, Izbrannye sochinenia, t. I, M.–L. 1955, str. 182–212.)

* Krachkovski,I.Iu.–Abu–khanifa ad–Dinaveri,–ZVORAO, T.XXI,1913, str.XXXIX–XLI.

* Krachkovski, I.Iu.–Arabskia geograficheskia Literatura, M.– L, 1957 (izbrannye sochinenia, T.IV). (تاريخ الأدب الجغرافي العربي)
(توجد له ترجمة بقلم ناقل هذا الكتاب، طبعت بالقاهرة ١٩٦٣–١٩٦٥).

* Krachkovski, I.Iu.–Arabskie geografy i putshestvenniki, –IGGO, t.lxix, 1937, vyp.5, str.738–765.

* Krachkovski,|I.–Biruni i ego rol v istorii vostochnoi geografii– «Biruni Sb. statei pod red.S.P. Tolostova,» M.–L., 1950, stri 55–73.

* Krachkovski,I.Iu–V.V. Bartold v istorii Islamovedenia, IAN SSR, ser VII, oon, 1934, str 5–18; (أنظر أيضاً I.Iu. Krachkovski, Izbrannye sochinenia, T.V., M.–L., 1958, str.348–360.)
(بارتولد في تاريخ الدراسات الاسلامية).

* Krachkovski, I.Iu.–Vtoraia zapiska Abu Dulafa v geograficheskom slovare Iakuta. (Azerbaidjan, Armenia, Iran) – IAN AzSSR, 1949, No 8, str.65–77; (أنظر أيضاً I.Iu. Krachkovski, Izbr.Soch., T.I., M.–L., 1955, str.280–292.)
(الرسالة الثانية لأبي دلف من المعجم الجغرافي لياقوت).

Krachkovski, I.Iu.–K opisaniu rukopisei Ibn Taifura i as–Suli, –ZVORAO, t.XXI,1912,str.195–215; (أنظر أيضاً I.Iu. Krachkovski, Izbr. Soch., T.VI M.–L., 1960, str.333–354.)

* Krachkovski,I.Iu.–K pereizdaniu trudov V.V. Bartolda,–IJ, 1944, No 1 (125), str.95–98; (أنظر أيضاً I.Iu. Krachkovski, Izbr. Soch., T.V.M.–L., 1958, str.428–434.)
(اعادة طبع آثار بارتولد).

* Krachkovski,I.Iu.–Novia rukopis Piatogo toma istorii Ibn Miskaveiha, –IAN, ser.VI T.X, 1916, str.539–546; (أنظر أيضاً Izbr. Soch., T.V.,

M.-L., 1958, str.373-382.)

*Krachkovski, I.Iu.-Ocherki po istorii russkoi arabistiki, M.-L., 1950; I.Iu. Krachkovski, Izbr. Soch., T.V., M.-L., 1958,:أنظر أيضاً) str.7-192.)

(من تاريخ الاستعراب الروسي).

*Krachkovski,I.Iu.-Pamiati V.V. Bartolda, -«Krasnia gazeta» (vecherny vypusk), L., 1930, No 192 (2555), 21 Avgusta.

Krachkovski,I.Iu.-Poeticheskoe tvorchestvo Abul-l-'Atakhii (ok.750-825 g.) -ZVORAO, T.XVIII, 1908, str.73-112; I.Iu. Krachkovski, Izbr. Soch., T. II, M.-L. 1956 str. 15-51 :أنظر أيضاً)

(شاعرية أبي العتاهية).

Krymski,A.-Istoria Persii, ee literatury i dervisheskoi teosofii, T.I-III, M., 1914-1917 (TVLIVIA, vyp.XVI).

Kun, A.-Kultura oazisa nizovev Amu-Dari, -MST, vyp.IV, 1876, str.223-259.

Kun, A.L. -Ot Khivy do Kungrada,-MST, vyp.IV, 1876, str.203-222.

*Kun, V.N.-Cherty voennoi organizatsii srednevokovykh kochevykh narodov Srednei Azii, -«Uch. zap. Tashkentskogo gos. pedagogich. i uchitelskogo in-ta im.Nizami», SON, vyp.I, 1947, str.15-31.

(التنظيم العسكري لشعوب آسيا الوسطى الرعوية في العصور الوسيطة).

Kushakevich,A.A.-Svedenia o Khodjentskom uezde,-ZIRGO po obshch. geografii (otd. geogr. matem. i fiz.), T.IV, 1971, str.173-265.

Lapin, S.A.-Shakhi-zinda,ego namogilny pamiatnik, -SKSO, vyp. IV, 1896, otdel IV, str.39-45.

Lerkh,P.-Arkheologicheskia poezdka v Turkestanski krai v 1867 godu, SPb, 1870.

Lerkh, P.I.- Maverannagr, ili Zareche, -Russki entsiklopedicheski slovar, izdavaemy I.N. Berezinym, otdel III, T.II (X), SPb., 1875, str.577-583.

Lerkh, P.I.-Monety bukhar-khudatov, -TVORAO, ch.XVIII, SPb., 1875-1909, str.1-161. (سكة بخار خدات)

*Livshits, V.A.–Sogdiiskii brachny kontrakt nachala VIII v.n.e., –SE, 1960, No 5, str.76–91.

*Livshits, V.A.–Dva sogdiiskikh dokumenta s gory Mug, VDI, 1960, No 2, str.76–86.

*Livshits, V.A.–Sogdiiskie pisma s gory Mug, M., 1960 (XXV Mejdunarodny kongress vostokovedov. Doklady delegatsi SSR).

*Livshits, V.A.–Sogdiiski posol v Chache, –SE, 1960, No 2, str.92–109.

*Livshits V.A.–Tri pisma s gory Mug,–PV, 1960, No 6, str.116–132.

*Litvinski,B.A.–Arkheologicheskoe izuchenie Tadjikistana sovetskoi naukoi (Kratki ocherk), Stalinabad, 1954 (Trudy In–ta istorii, arkheol.i etnogr. AN TadjSSR, t.XXVI).

*Litvinski,B.A.–O nekotorykh momentakh razvitia srednevekovogo goroda Srednei Azii, –IAN TadjSSR, OON, vyp.IV, 1953, str.55–67.

Logofet,D.N.–V gorakh i na ravninakh Bukhary (Ocherki Srednei Azii) SPb., 1913.

Logofet, D.N.–Na granitsakh Srednei Azii, kn. I–III, SPb., 1909.

*Lunin,B.– Iz istorii russkogo vostokovedenia; arkheologii v Turkestane. Turkestanki krujok liubitelei arkheologii (1895–1917 gg.) Tashkent, 1958.

*Lunin, B. –K istorii goroda Termeza, –IJ,1944, kn. 4, str. 100–103.
(من تاريخ مدينة ترمذ).

*Lunin,B.V.–Bibliograficheski, imennoi i geograficheski ukazateli k Protokolam i soobshcheniam Turkestankogo Krujka Liubitelei arkheologii (1895–1917 gg.), – sb. «Istoria materialnoi kultury Uzbekistana», Vyp. I, Tashkent, 1959 str. 231–255.

Lykoshin,N.–Ocherk arkheologicheskikh izyskanii v Turkestanskom krae, do uchrejdenia Turkestanskogo Krujka liubitelei arkheologii,– «Sredne–Aziatski vestnik», Tashkent, 1896, iul, str. 1–33; sentiabr, str. 1–26; ايضا: PTKLA, god I, 1896

(priloj. k protok. zasedania 28 Oktiabria 1896 g., str. 1-51).
Len-Pul,S.-Musulmanskie dinastii. Khronologicheskie i genealogicheskie tablitsy s istoricheskimi vvdeniami. Perevol s angliiskogo s Primechaniami i dopolneniami V. Bartold, Spb., 1899.
(ترجمة بارتولد عن الانجليزية لكتاب لين پول « الأسر الحاكمة في الإسلام »)
*Madji,A.E.-K istorii feodalnogo Khodjenta, -«Materialy po istorii Tadjikov i Tadjikistana. Sbornik 1», Stalinabad, 1945, str. 114-145.
*Maiski,I.M.-Chingis-khan, -VI, 1962, No 5, str. 74-83.
Mallitski,N.-Neskolko slov o drevnostiakh Uzgenta. (Istoriko arkheologicheskia spravka), -PTKLA, god II, 1897, Priloj. . K protok. zasedania 16 Oktiabria 1897 g., str. 8-12.
*Malov,S.E.-Talasskie epigraficheskie pamiatniki, -«Materialy Uzkomstarisa», vyp. 67, M.-L., 1936, str. 17-38.
(نقوش تلاس).
Malov- راجع القسم الأول أ (المصادر ، المجموعات والمنتخبات).
*Mandelshtam,A.M.-Materialy k istoriko-geograficheskomy obzoru Pamira i pripamirskikh oblastei s drevsneishikh vremen do XV n.e., Stalinabad, 1957 (Trudy In-ta istorii, arkhelogii i etnografii AN TadjSSR, T. LIII).
(مواد في الجغرافيا التاريخية لهضبة البامير).
*Margulan,A.Kh.-Iz istorii gorodov i stroitelnogo iskusstva drevnego Kazakhstana, Alma-Ata, 1950.
Markov,A.-Inventarny katalog musulmanskikh monet Imperatorskogo Ermitaga, CPb., 1896.
(النقود الاسلامية المحفوظة بمتحف الارميتاج الامبراطوري).
*Marr,N.Ia.-Vasili Vladimirovich Bartold (Vstupitelnoe slovo k zasedaniu Akademii Nank SSSR 13 dekabria 1930, posvoshchennomy pamiati V. V. Bartolda), -«Soobshchenia GAIMK», 1931, No I, str. 8-12.
Marr,N.-Nadgrobny kamen iz Semirechia s armiansko-siriiskoi

nadpisiu 1923 g., -ZVORAO, T. VIII, 1894. str. 344--349.
(شاهد قبري من يدي صو عليه نقش أرمني - سرياني).

*Masalski,V.I.- Turkestanki krai, Spb., 1913 (Rossia, Polnoe geograficheskoe opisanie nashego otechestva, pod red P Semenova-Tian- Shanskogo, T. XIX).

(تركستان. دراسة جغرافية).

* Masson,M.E.-Arkheologicheskie issledovania v Uzbekistane, sb. «Nauka v Uzbekistane **za** 15 Let (1924-1939)», Tashkent, 1939, str. 110-120.

* Masson,M.E.-Gorodishcha Starogo Termeza i ikh izuchenie, «Termezkia arkhelogicheskia Kompleksnia ekspeditsia 1936 g.» Tashkent, 1940 («Trudy UzFAN», ser. I, vyp. 2), str. 5-122.

(دراسة أطلال ترمذ القديمة).

* Masson, M.E.-Akhangren. Arkheologo-Topograficheski Ocherk, Tashkent, 1953.

* Masson, M.E.-Gorodishcha Nisy v selenii Bagir i ikh izuchenie, -«Trudy IuTAKE», T.I, Ashkhabad, 1949, str. 16-105.

* Masson, M.E.-K Voprosu o vzaimootnosheniakh Vizantii i Srednei Azii po dannym numizmatiki, -«Trudy SAGU», novia seria, vyp. XXIII, gumanitarnye nauki, kn. 4 (istoria), Tashkent, 1951, str. 91-104.
(العلاقات بين بيزنطة وآسيا الوسطى من معطيات السكّة).

* Masson,M.E.- K voprosu o «Chernykh dirkhemakh» museiabi, «Trudy In-ta istorii i arkheologii AN UzSSR», vyp. 7, Tashkent, 1955, str. 179-196.

* Masson, M.E.- K izucheniu arkheologicheskikh pamiatnikov **pravoberejnogo** Tokharistana, -«Sotsialisticheskia nauka i tekhnika», 1937, No 1, str. 99-105.

* Masson,M.E.-K istorii gornogo dele na teritorii Uzbekistana, Tashkent,1953.

*Masson,M.E.-K istorii dobychi medi v Srednei Azii v sviazi s proshlym Almalyka, -«Trudy Tadjikske-Pamirskoi ekspeditsii, 1934», vyp. XXXVII, M.-L., 1936.

*Masson,M.E.-K istorii chernoi metallurgii Uzbekistana, Tashkent, 1947.

*Masson,M.E.-K lokalizatsii Sogda, -«trudy SAGU», Novia seria, VYP. XI, Tashkent, 1950, str. 171-179.
(تحديد موقع الصغد).

* Masson, M.E. - K periodizatsii drevnei istorii Samarkanda, BDI, 1950, No 4, str. 155 - 166.

*Masson,M.E.-Monetny klad XIV veka iz Termeza, -«Biull. SAGU», vyp. 18, No 7, 1929, str. 53-68.

* Masson,M.E.-Novye dannye po drevnei istorii Merva (Iz rabot IuTAKE), - VDI, 1951, No 4, str.89-101.

* Masson,M.E.-Proshloe Tashkenta (arkheologo-topograficheskoi i istorikoarkhitekturny ocherk), - IAN UzSSR, 1954, No 2, str. 105-132.(ماضي تاشكند)

*Masson,M.E.-Raboty Termezeskoi arkheologicheskoi kompleksnoi ekspeditsii (TAKE) 1937, i 1938 gg. «Trudy AN UzSSR», ser.I, Istoria, arkheologia.Termezskia arkheologicheskia ekspeditsia, T.II, Tashkent, 1945, str.3-9.

*Masson,M.E.-Samarkandskii Registan,- «Trudy SAGU», **novaia** seria, vyp. XI, gumanitarnye nauki, kn.31, Arkheologia Srednei Azii, Tashkent, 1950, str.75-90.

* Masson,M.E.- Stary Sairam, - «Izv.Sredazkomstarisa», vyp.III, Tashkent, 1950, str.23-42. (سيرام القديمة)

*Masson,M.E.- Termezskia arkheologicheskia kompleksnia ekspeditsia (TAKE), - KSIIMK, vyp.VIII, 1940, str.113-116.

*Masson,M.E.- Fragment iz istorii rasprostranenia v drevnosti

chelkopriada Bombukh mori, – «Belek S.E. Malovu. Sbornik statei», Frunze, 1946, str.47–51.

* Masson,M.E.–Iujno–Turkmenistanskia arkheologicheskia kompleksnia ekspeditsia (IuTAKE) 1947 g.– «Trudy IuTAKE, T.II, Ashkhabad, 1951, str.7–72.

Melioranski, P.M.– Arab filolog o turetskom iazyke, SPb., 1900.

Meliroansky,P.M.–Pamiatnik v chest Kiul–Tegina, – ZVORAO T.XII, 1900, str.1–144.

* Miklukho–Maklai,N.D.– Geograficheskoe sochinenie XIII v. na persidskom iazyke (Novy istochnik po istoricheskoi geografii Azerbaidjana i Armenii), – UZIVAN, T.IX, 1954, str.175–219.

* Miklukho–Maklai,N.D.–Nekotorye persidskie i tadjikskie istoricheskie i geograficheskie rukopisei Instituta vostokovedenia Akademii nauk SSSR, – UZIVAN, T.XVI, 1958, str.235–279.

* Miklukho–Maklai,N.D.–Opisanie tadjikskikh i persidskikh rukopisei Instituta vostokovedenia, (vyp.1, Geograficheskie i kosmograficheskie sochinenia), M.–L., 1955; vyp.2, Biograficheskie sochinenia, M., 1961.

Minaev,I.–Svedeniai o stranakh po verkhoviam Amu–Dari, SPb., 1879(معرفتنا بالمناطق الواقعة في أعالي نهر جيحون)

*M.R.Kh.–Svedenia, soobshchenye razvedchikom M.R.Kh.o gorodakh Afganistana, – SMA, vyp.XLVII, 1891, str.103–130.

* Muginov,A.M.–Istrochjeski trud Mukhammeda Shebangara'i, – UZIVAN, t.IX, 1954, str.220–240.

* Muginov,A.M.–Persidskia unikalnia rukopis Rashid ad–dina, – UZIVAN, t.XVI, 1958, str.352–375, (مخطوطة فارسية فريدة لصنف رشيد الدين).

* Munkuev,N.Ts.–O «Men–da bei–lu» i «Khei–da shi–liue» – zapiskakh kitaiskikh puteshestvennikov XIII v.o drevnikh mongolakh, – sb.«Kitai–Iaponia. Istoria i filologia.K semidesiatiletiiu akademika

Nikolaia Iosifovicha Konrad», M., 1961, str.80–92.

Mukhamedov,K.H.–Uzbekstonning kadimi mudofaa inshootlari tarikhidan (Eramizdan oldingi III arsdan boshlab eramizning X asrigacha), Toshkent, 1961.

Mushketov,I.V.–Turkestan. Geologicheskoe i orograficheskoe opisanie po dannym, sobrannym vo vremia puteshestvia s 1874 po 1880 g., T. I–II, SPb., 1886–1906; izd.2–e: Pg.1915.

Miuller,A.–Istoria islama s osnovania do noveishikh vremen, t.I–IV, per.s nem., pod.red.N.A.Mednikova, SPb., 1895–1896.

Nadpisi na drevnikh mogilnykh kamniakh v selenii Uzgente Andijanskogo uezda.– PTKLA, god II, 1897, priloj.k protok. zassedania 16 oktiabria 1897 g., str.5–7.

Nadpis na pamiatnike v Termeze, – PTKLA, god II, 1897, priloj.k protok. zasedania 29 avgusta 1897 g.str.17.

*Nasonov,A.N.–Mongoly i Rus (istoria tatarskoi politiki na Rusi), M.–L., (المغول والروس)1940.

* Negmatov,N.–Istoriko–geograficheski ocherk Usrushany s drevneishikh vremen po x v.n.e., – «Trudy TAE», t.II, (بحث تاريخي جغرافي)1948–1950 (MIA, No 37), 1953, str.231–252. عن اسروشنه منذ أقدم العصور إلى القرن العاشر الميلادي).

* Negmatov,N.–Usrushana v drevnosti i rannem srednevekove, Stalinabad 1957 (Trudy In–ta istorii, arkheologii i etnografii AN (اسروشنه في العصور القديمة وبداية الوسيطة).TadjSSR, t.LV.).

* O Patriarkhalno–feodalnykh otnosheniakh v kochevykh narodov (k itogam obsujdenia), – VI, 1956, No 1, str.75–80.

Oldenburg,S.– O persidskoi prozaicheskoi versii «kniga Sindbada»– «Al–Muzzaffariia», str.252–278.

*Oshanin,L.V.–Antropologicheski sostav naselenia Srednei Azii i etnogenez ee narodov, ch.I–III, Erevan, 1957–1959 (Trudy SAGU, novia seria, vyp.XCVI–XCVIII, istoricheskie nauki,

kn. 16-18).(التركيب الانثروبولوجي لسكان آسيا الوسطى والاصول العرقية لشعوبها).

Palladi,arkhmandrit – Starinnye sledy khristianstva v Kitae, po kitaiskim istochnikam, – «Vostochny sbornik», (izd. Min-va inostr.del), t.I, SPb., 1877, str.1-64.(آثار المسيحية القديمة في الصين وفقاً للمصادر الصينية).

Petrov,A.-Razvaliny Mug-tepe okolo selenia Sary-Kurgan, – PTKLA, god XIX, (vyp.1), 1915, str.24-25.

Petrovski,N.-Bashnia «Burana» bliz Tokmaka, – ZVORAO, t.VIII, 1894, str.351-354.

Petrovski,N.- Eshche zametka k state V.Bartolda «O khristianstve v Turkestane v do-mongolski period», – ZVORAO, t.VIII, 1894, str. 354-358.

Petrovski,N.-Zametka po gidrografii Turkestanskogo kraia, – IIRGO, t. XXXIV vyp.IV, 1898, str.490-494.

* Petrushevski, I.P.-Derevnia i krestiane srednevekovogo Blijnego Vostoka v trudakh leningradskikh vostokovedov,- UZIVAN. t. XXV. 1960, str. 204-217

* Petrushevski,I.P.-Zemledelie i agrarnye otnoshenia v Irane XIII-XIV vekov, M.-L., 1960(الزراعة والفلاحون في ايران في القرنين الثالث والرابع عشر).

* Petrushevski,I.P.-Iz istorii Bukhary vVIIIv.,-«Uch. zap. LGU», No 98, seria vostokovedcheskikh nauk, vyp.1, L., 1949, str.103-118.

* Petrushevski,I.P.-K voprosu o podlinnosti perepiski Rashid-ad-dina (po povodu stati R.Levi «The letters of Rashid-ad-din Fad-Allah», Journal of the Royal Asiatic Society 1946, ch.1-2, str.74-78), -VLU, 1948, No str.124-130

* Petrushevski,I.P.-Novy persidski istochnik po istorii mongolskogo naschestvia, -VI, 1946, No 11-12, str.121-126.

* Petrushevski,I.P.-Rashid-ad-din i ego istoricheski trud, -v kn.: Rashid-ad-din, Sbornik letopisei, t.I Kn.1, M.-L., 1952, str.7-37.(راجع أعلاه، القسم الأول ب (المصادر) - رشيد الدين، الترجمة الروسية نشرها IVAN).

*Petrushevski,I.P.–Trud Seifi, kak istochnik po istorii Vostochnogo Khorasana, –Trudy IUTAKE», t.V, Ashkhabad, 1955, str.130–162.

*Pigulevskia,N.V.– Vizantiiskia diplomatia i torgovlia shelkom v V–VII vv., –VV, t.I (XXVI), M.1947, str.184–214.

*Pigulevskia,N.– Goroda Irana v rannem srednevekove,M.–L.,1956 (مدن ايران في العصور الوسيطة المبكرة).

*Pigulevskia,N.– Zarojdenie feodalnykh otnoshenii na Blijnem vostoke, –UZIVAN, t.XVI, 1958, str.5–30.

*Pigulevskia,N.P.– Ideia ravenstva v uchenii mazdakitov,–sb.«Iz istorii sotsialno–politicheskikh idei.K semidesiatipiatiletiu akademika Viacheslava Petrovicha Volgina», M., 1955, str.97–101.

*Pigulevskia,N.V.–Istoria mar Iabalakhi i Saumy, –PS, vyp.2 (64–65), 1956. (تاريخ مار ياباللاها وصوما).

*Pigulevskia,N.V.–K voprosu o feodalnoi sobstvennosti na zemliu v Irane, –VIU, 1956, No 8, str.79–84.

*Pigulevskia,N.–Siriiskie istochniki po istorii narodov SSSR, M.–L., 1941. (المصادر السريانية لتاريخ شعوب الاتحاد السوفيتي).

*Pigulevskia,N.V.–Uchenie o dokapitalisticheskikh formatsiakh na Blijnem i Srednem Vostoke v Trudakh leningradskikh vostokovedov, –UZIVAN, t.XXV, 1960, str.192–203.

*Pisarchik,A.K.– Pamiatniki Kermine, –«Soobshchenia In–ta istorii i teorii arkhitektury», M.1944, vyp.4, str.22–35.

*Podzneev,A.M.– O drevnem kitaisko–mongolskom istoricheskom pamiatnike Iuan–chao–mi–shi, –IRAO, t.X, vyp.3–6, 1884, str.245–259; otdel. ott., str.1–22.

*Polupanov,S.N. –Arkhitekturnye pamiatniki Samarkanda, M., 1948.

*Poliakov,A.S.–Kitaiskie rukopisi, naidennye v 1933 g.v Tadjkistane, –Sog.sb., str.91–117.

*Poslavski (podpolk)–Bukhara. Opisanie goroda i khanstva, SMA

vyp.XLVII, 1891, str.1–102.

Polavski,I.- O razvalinakh Termeza.(Putevoi ocherk), –«Sredne–Aziatski vestnik», 1896, dekabr, str.84–100.

Pospelov,F.– Materialy k istorii Samarkandskoi oblasti. (Istoricheski ocherk goroda Katta–Kurgana–Pamiatnik na Zerabulakskikh vysotakh.–Osvobojdenie rabov v Katta–Kurganskom otdele.–Otmena telesnykh nakazanii v Katta–Kurganskom otdele. Seid–khan Karimkhanov),–SKSO,vyp.X, 1912, str.108–131.
(مواد في تاريخ منطقة سمرقند).

* Potapov,L.P.–O suschnosti patriarkhalno–feodalnykh otnoshenii u kochevykh narodov Srednei Azii i Kazakhstana, –VI, 1954, No 6, str.73–89.

P.T.,–Termezski aryk, –TV, 1905, No 115.

* Pugachenkova,G.A.– Arkhitekrurnye pamiatniki Dakhistana, Abiverda, Serakhsa, –«Trudy IuTAKE», t.II, Ashkhabad, 1951, str.192–252.

* Pugachenkova,G.A.– Arkhitekrurnye pamiatniki Nisy, –«Trudy IuTAKE», t.I, Ashkhabad, 1949, str.201–259.

* Pugachenkova,G.A.– Nisa (Kratki putovoditel), Ashkabad, 1958
(مدينة نسا. مرشد موجز)

* Pugachenkova,G.A.–Khanaka v Mekhne, –«Trudy IuTAKE», t.V, Ashkhabad, 1955, str.163–170.

* Pugachenkova,G.A. i Rempel,L.- **Vydaiushchiesa** pamiatniki arkhitektura Uzbekistana, Tashkent, 1958.
(أهم الآثار المعارية باوزبكستان).

* Pugachenkova, G.A. i Rempel, L.–Bukhara (Uzbekistan), M., 1949.

* Puchkovski,L.S.–Mongolskia feodalnia istoriografia XIII–XVII vv., –UZIVAN, t.VI, 1953, str.131–166.
(فن التوريخ عند المغول الإقطاعيين من القرن الثالث عشر إلى القرن السابع عشر).

Radlov,V.V.,–K voprosu ob uigurakh (iz predislovia k izdaniu Kudatku–Bilika), SPb., 1893.

Radlov,V.V.–Opyt slovaria tiurkskikh narechii, t.I–IV, SPb., 1893–1911. (معجم اللهجات التركية).

Rojevits,R.Iu.–Poezdka v Iujnuiu i Sredniu Bukharu v 1906 g.,–IIRGO, t.XLIV, 1909, str.593–652.

Rozen,V.–Arabskie skazania o porajenii Romana Diogena Alp–Arslanom ZVORAO, t.I, str.19–22 (ابن الاثير) (صدر الدين الحسيني) str.243–252; (عماد الدين الاصفهاني) str.189–207; (الروايات العربية عن هزيمة رومان ديوجين على يد ألب ارسلان).

Rozen, V.- (نقد وتقريظ) Alberuni's India... edited in Arabic original by: Dr.E.Sachau, London, 1887,–ZVORAO, t.III, 1888, str.146–162.

Rozen, V.- (نقد وتقريظ) A. von Kremer, Uber die philosophischen: Gedichte des Abul 'Ala Ma'arry, Wien, 1888,–ZVORAO t.IV, 1890, str.129–150.

Rozen, V.- (نقد وتقريظ) Histoire du Sultan Djelel el-Din Mankobirti, prince du Kharezm. Par Mohammed en–Nesawi. Texte arabe publié par O.Houdas, –ZVORAO, t.VI, 1892, str.383–388.

Rozen, V.- نقد وتقريظ) Ign-z Goldziher, Muhammedanische Studien, –ZVORAO, t.VIII, 1894, str.170–194.

Rozen,V.–Rasskaz Khilala as–Sabi o vziatii Bukhara Bogra–Khanom, (رواية هلال الصابي عن احتلال بغراخان لبخارا)–ZVORAO, t.II, 1888, str.272–275.

Rozen,V.–Spisok persidskim, turtsko–tatarskim i arabskim rukopisiam Biblioteki I.SPb. Universiteta, (ch.II, arabskie sochinenia), ZVORAO, t.III str.197–220.

Rozenberg, F.–O sogdiitsakh, –ZKV, t.I, 1925, str.81–90. (عن أهل الصغد)

* Romaskevich,A.A.–Persidskie istochniki po istorii turkmen i Turkmenii (المصادر الفارسية في تاريخ التركمان، وبلادهم من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر)X–XV vv.,–MITT, I, str.40–61.

* Romodin,V.A.–Vklad Leningradskikh vostokovedov v izuchenie istorii Srednei Azii, –UZIVAN, t.XXV, 1960, str.30–41.

Rudanovski,K.A.–Soobshchenie v zasedanii TKLA 11 dekabria 1898 g., –PTKLA, god III, 1897–1898, str.233–234.

Rudnev,N.–Zabroshenny ugolok, –TV, 1900, No 15–17; وأيضاً Sledy drevnikh gorodov po Syr–Dare, –PTKLA, god v, 1900, str,57–62.

Rudo,K.Gr.–K voprosu o voorujenii Sogda VII–VIII v., –«Soobschenia Respublikanskogo Istoriko–kraevedcheskogo muzeia TadjSSR», vyp.I, Arkheologia, Stalinabad, 1952, str.59–72.

* Riazanovski,V.A.–Velikaia Iasa Chingiz–khana, –«Izv. Kharbinskogo iuridicheskogo fak–ta», t.X, Kharbin, 1933. (الياسا الكبرى لجنكيز خان).

Savelev,P.–Dopolnenia k opisaniu samanidskikh monet, –TVORAO, ch.1, 1855, str.238–253.

* Savelev,P.–Monety Djuchidov, Djagataidov, Djelairidov, i drugie, obrashchavshiesa v Zolotoi Orde v epokhu Tokhtamysha, vyp. 1–2, SPb. 1858.

* Sale,M.A.–Veliki khorezmiiski ucheny Abu–r–Reikhan al–Biruni (973–1048), –«Zvezda Vostoka», Tashkent, 1950, No 6, str.65–74.

* Sale,M.–Khorazmlik, ulug Olim Abu Raikhan Mulchammed ibn Akhmed al Beruni, Tashkent, 1960.

Samoilovich,A.N –Tiish (tish) i drugie terminy krymsko–tatarskikh iarlykov, –IRAN, ser, VI, t.XI, 1917, str.1277–1282.

* Semenov,A.A.–Al–Biruni–velichaishi ucheny **srednevekogo** Vostoka i Zapada, –«Literatura; iskusstvo Uzbekistana», kn.1, Tashkent, 1938, str.106–116.

* Semenov,A.A.–K voprosu o datirovke Rabat–i Malika v Bukhare, –«Trudy SAGU», novaia seria, vyp.XXIII, gumanitarnye nauku, kn.4 (istoria), Tashkent, 1951, str.21–27.

* Semenov,A.A.–K voprosu o proiskhojdenii Samanidov,–«Trudy In–ta istorii, arkheologii i etnografii AN TadjSSR», t.XXVII Stalinabad, 1954, str.3–11.

*Semenov, A.A.–K voprosu ob etnicheskom i klassovom sostave severnykh gorodov imperii khorezm – shakhov v XII v.n.e. (Po aktam togo vremeni), –IAN TadjSSR, OON, 1952, No 2, str.17–26.

*Semenov,A.A.–K istorii goroda Nisy v XII v.(Po aktam togo vremeni) –«Trudy IuTAKE», t.V, Ashkhabad, 1955, str.108–129.

*Semenov,A.A.–Proiskhojdenie Termezskikh seiidov i ikh drevnia usypalnitsa «Sultan–Sadat», –PTKLA, god XIX (vyp.1), 1915, str.3–20.

Sitniakovski,N.F.–Zametki o Bukharskoi chasti doliny Zavershana –ITORGO, t.I, vyp, II, 1900, str.121–314 (str.179–314: Spisok arykov; naselennykh punktov).

Sitniakovski,N.F.–(Soobshchenie o zasedanii TKLA 21 aprelia 1898 g.), PTKLA, god III, 1898, str.89–94.

Sitniakovski,N.F.–(Soobshchenie o zasedanii TKLA 11 dekabria 1896 g.), –PTKLA, god II, 1897, str.20.

Skvarski,P.S.– Neskolko slov o drevnostiakh Shakhristana, –«Sredne–Aziatski vestnik»,1896, oktiabr, str.47–51; PTKLA, god I, 1896, (priloj.k protok.ot 26 avgusta 1896 g.), str.41–45.

Smirnov,E.T.–Dervishizm v Turkestane, Tashkent, 1898 (otd. ott.iz TV); أنظر أيضا: «Sbornik materialov po musulmanstvu», pod red.V.I.Iarovogo–Ravskogo, SPb.,1899, str.49–71. (الطرق الصوفية بتركستان)

Smirnov,E.T.–Drevnosti v okrestnostiakh g.Tashkenta, –PTKLA god I, 1896 (priloj.k protok.ot 22 ianvaria 1896 g.); أنظر أيضاً : «Srednia Azia. Nauchno–literaturny sbornik statei po Srednei Azii», pod red. E.T. Smirnova, Tashkent, 1896, str.111–136.

* Smirnov,E.-Drevnosti na srednem i nijnem techenii r. Syr-Dari, -PTKLA, god II, 1897, priloj k protok.ot 17 ferralia 1897 g., str.1-14.

* Smirnova,O.I.-Arkheologicheskie razvedki v basseine Zaravshana v 1947 g., -«Trudy STAE», t.I, 1946-1947 (MIA, No 15), 1950, str.67-80.

* Smirnova,O.I.-Arkheologicheskie razvedki v Usrushne v 1950 g., -«Trudy TAE», t.II, 1948-1950 (MIA; No37), 1953, str.189-230.

* Smirnova,O.I.-Voprosy istoricheskoi topografii i toponimiki verkhnego Zarevshana, -«Trudy STAE», t.I, 1946-1947, (MIA No 15), 1950, str.56-66.

* Smirnova,O.I.-Iz istorii arabskikh zavoevanii v Srednei Azii. Dogovor arabskogo polkovodsta Kuteiby s tsarem Sogda Gurekom, zakliuchenny v 712 g., -SV, 1957, No 2, str.119-134.
(من تاريخ الفتوح العربية بآسيا الوسطى. معاهدة القائد العربي قتيبة مع غورك ملك الصغد).

* Smirnova,O.I.- K istorii samarkandskogo dogovora 712 g., -KSIV, vyp.XXXVIII, 1960, str.69-79.

* Smirnova,O.I.- Materialy k svodnomy katalogu sogdiiskikh monet,- EV,VI, 1992, str.3-45.

* Smirnova,O.I.- Monety drevnego Piandjikenta,- «Trudy TAE», t.III, 1951-1953 gg.(MIA, No 66), 1958, str.216-280.

* Smirnova,O.I.-Neizdanny fels iz raskopok na gorodishche drevnego Piandjikenta,- KSIIMK, vyp.61, 1956, str.103-106.

* Smirnova,O.I.-Novye dannye po istorii Sogda VIII, v.,- DI, 1939, No 4, str. 97-102.

* Smirnova,O.I.-O dvykh gruppakh monet vladetelei Sogda VII-VIII vv.,- IAN TadjSSR, OON, vyp.14, 1957, str.115-135.

* Smirnova,O.I.-Sogdiiskie monety kak novy istochnik dlia istorii Srednei

Azii,- SV*, t.VI, 1949, str.356-367.

* Smirnova,O.I.-Trud Tabari- Bel'ami kak istochnik dlia izuchenia ekonomicheskikh rusursov Sogda,- MPVNKV, str.947-952.

* Sobranie vostochnykh rukopisei AN UzSSR (katalog). Pod red. i pri uchastii A.A.Semenova, T.I-V, Tashkent, 1952-1960.

* Staviski,B.Ia. -Arkheologicheskoe issledovanie Tadjikistana (Bibliograficheski obzor),- VDI, 1952, No 1, str.162-168.

* Staviski,B.Ia.-Nekotorye voprosy istorii i topografii Drevnego Sogda,- VLU 1948, No 3, str.118-126.

* Staviski,B.Ia.-Bolshakov, O.G.i Monchadskia, E.A.- Piandjikentski nekropol,- «Trudy TAE», t.II, 1948-1950, (MIA, No 37), 1953, str.64-98.

* Struve,V.V.-Sovetskoe vostokovedenie za sorok let,- UZIVAN, t.XXV, 1960, str.3-29.

* Sukhareva,O.A.- K voprosu ob istoricheskoi topografii Bukhary X-XII vv. (Gorodskie steny i vorota),- «Trudy In-ta arkheologii i etnografii AN TadjSSR», t.XXVII, Stalinabad, 1954, str.25-40.

* Sukhereva,O.A.- K istorii gorodov Bukharskogo khanstva (Istoriko-Etnograficheskie ocherki), Tashkent, 1958.

* Terenojkin,A.I.-Arkheologicheskia razvedka na gorodische Afrasiab v 1945 g.,-KSMIIMK, vyp.VXII, 1947, str.116-121.

* Terenojkin,A.-Arkheologicheskia razvedka v Khorezme,-SA, 1940, No 6, STR.168-189.

* Terenojkin,A.-Voprosu istoriko- arkheologicheskoi periodisatsii drevnego Samarkanda,-VDI, 1947, No 4, str.127-135.

* Terenojkin,A.- Literatura po arkheologii v Uzbekistane, CDI, 1939, No1, str.186-191.

* Terenojkin,A.I.- Raskopki v Kukhendize Piandjikenta,-«Trudy STAE» (MIA, No 15 à, 1950, str.81-93.

// qoش un Vtar-gan // türk).-VDI,. 1938, No 1, str. 72-81.

*Tolstov,S.P.-Monety shakhov drevnego khorezma i drevne khorezmski Alfavit, VDI, 1938, No 4, str.120-145.

*Tolstov,S.P.-Novogodny prazdnik «kalandas» u khorezmiisko - Khazarskikh otnoshenii),-SE, 1946, No2, str.87-108.

*Tolstov,S.P.-Oguzy, pechehegi, more Daukara (Zametki po istoriches-skoi etnonimike vostochnogo Priaralia), SE, 1950, No 4, str.49-54.

*Tolstov,S.P.-Osnovnye voprosy drevnei istorii Srednei Azii,-VDI, 1938, Nol, str.176-203..(النقاط الأساسية لتاريخ آسيا الوسطى القديم)

*Tolstov,S.P.-Osnovnye problemy etnogeneza narodov Srednei Azii,-SE, 1947, VI-VII, str.303-305.(النقاط الأساسية للأصول العرقية لسكان آسيا الوسطى).

*Tolstov,S.P.-Periodizatsia drevnei istorii Srednei Azii,-KSIIMK, vyp.XXVIII, 1949, str.18-29.(ادوار تاريخ آسيا الوسطى القديم)

*Tolstov,S.P.-Po sledam drevne-khorezmiiskoi tsivilizatsii, M.-L., 1948(الكشف عن حضارة خوارزم القديمة)

*Tolstov, S.P. - Khorezmiiskia genealogia Szmuila Aby (Eshche raz k voprosu o kovarakh khorezmiitsakh), SE, 1947, No 1, str. 104-107.

*Tolstov, S.P. - Khorezmskia arkheologo-etnograficheskia ekspeditsia Akademii Nauk SSSR 1947 goda (Predvaritelnoe soobschenie), -IAN SSSR, SIF, t. 5, No 2, 1948, str. 192-192.

*Tolstov, S.P. -Khorezmskia arkheologo-etnograficheskia ekspeditsia Akademii Nauk SSSR 1949 g., -IAN SSSR, SIF, t. 7, No 6, 1950, str. 514-529.

*Tolstov,S.P.-Khorezmskia arkheologo-etnograficheskia ekspeditsia Akademii Nauk SSSR, 1950 g.,-SA., t.XVIII, 1953, str.301-325.

*Tolybekov,SE.-O patriarkhalno-feodalnykh otnosheniakh u kochevykh narodov, -VI, 1955, No1, str.75-83.

Tumanski,A.-: (نقد وتقريظ) Drevnosti Zakaspiiskogo kraia. Razvaliny Starogo Merva. V.A. Jukovskogo, SPb., 1894 (MAR, vyp.16),-ZVORAO, t.IX, 1896, str. 300 -303.

Tumanski,A.G.-Novootkryty persidski geograf X stoletia i izvestia ego o slavianakh i russakh,-ZVORAO, t.X, 1897, str.121-137.

Tumanski,A.-Po povodu «Kitabi Korkud»,-ZVORAO, t.IX, 1896, str.269-272.

*Umniakov,I.-Abdulla-name khafizi-tanysha i ego issledovateli, -ZKV, t.V, 1930, str.307-328.

*Umniakov,I.I.-Arkhitekturnye pamiatniki Srednei Azii. Issledovanie. Remont. Restavratsia. 1920-1928 gg., Tashkent, 1929. (الآثار المعارية بآسيا الوسطى).

*Umniakov,I.I.-V.V. Bartold (Po povodu 30-letia professorskoi deiatelnosti),-«Biull. SAGU», vyp.14, Tashkent, 1926, str.175-202.

*Umniakov,I.I.-Znachenie trudov akad.V.V.Bartolda po istorii Srednei Azii,-MPVNKV, str.675-682. (1958)

*Umniakov,I.I.-«Istoria» Fakhreddina Mubarakshakha,- VDI 1938 no 1, str. 108-115.

*Umniakov,I.-K voprosu ob istoricheskoi topografii srednevekovoi Bukhary, -«Al-Iskenderia», str.148-157.

* Umniakov,I.I.-Rabat-i Malik,-«V.V. Bartoldu», str.179-192.

* Fedchenko, A.P. - Topograficheski ocherk Zerafshanskoi doliny i zametki o sosednikh bekstvakh i pamiatnikakh Samarkanda, M., 1870.

Freiman,A.A.-Datirovannye sogdiiskie dokumenty s gory Mug v

Tadjikistane,–«Doklady gruppy vostokovedov na sessii Akademii Nauk SSSR zo marta 1935 g.», M.–L., 1939 (TIVAN, t.XVII), str.137–165.

* Freiman,A.A.– Kimeni sogdiiskogo ikhshida Gureka,–CDI, 1938, No3, str. 147–148.

* Khalidov,A.B.–Dopolnenia k tekstu «Khronologii» al–Biruni po leningradskoi i stambulskoi rukopisiam, –PS, vyp.4 (67) 1959, str.147–171.

Khanykov,N.–Opisanie Bukharskogo khanstva, SPb., 1843.
(وصف إمارة بخارا).

* Chepelev,V.N.–Ocherk arkhitektury Srednei Azii do kharakhanidov, –SB. «Iskusstvo Srednei Azii», M;, 1930, str.86–105.

* Chekhovich, O.D.–Iz dokumenta XIV veka ob okrestnostiakh Samarkanda i ikh oroshenii,–DAN UzSSR,1948, No 6, str.38–42

* Chekhovich,O.D.– K istorii krestian Bukhary XIV ,–IAN UzSSR, SON, 1959, No 1, str.71–76.

* Chekhovich,O.D.– Novy istochnik po istorii Bukhary nachala XIV veka,–PV, 1959, No 5, str.148–161.

* Shishkin,V.A.– Arkheologicheskie raboty 1937 g.v zapadnoi chasti Bukharskogo oazisa, Tashkent, 1940.

* Shishkin, V.A.–Arkheologicheskoe raboty 1947 goda na gorodishche Varakhsha,–IAN UzSSR, 1948, No 5, str.62–70.

* Shishkin,V.A.–arkheologicheskoe izuchenie Bukharskogo oazisa,–sb; «Nauchnia sessia Akademii Nauk UzSSR 9–14 IUNIA 1947 g.», Tashkent, 1947, str.387–413.

* Shishkin,V.A.– Arkhitekturnye pamiatniki Bukhary, Tashkent, (الآثار المعارية ببخارا)1936.

* Shishkin,V.A.–Goroda Uzbekistana (Samarkand, Bukhara, Tashkent), (مدن اوزبكستان: سمرقند وبخارا وتاشكند) Tashkent, 1943.

*Shishkin, V.A.–Iz arkheologicheskikh rabot na Afrosiabe.

(Raskopki V.L. Viatkina v mae–iule 1925 g.),–«Izv. UzFAN», 1940, No 12, str. 63–70.

*Shashkin, V.A.–Issledovanie gorodishcha Varakhsha i ego okrestnostoi, –KSIIMK, vyp. X, 1941, str. 3–15.

*Shashkin, V.A. –K istoricheskoi topografii Starogo Termeza, –«Trudy UzFAN», ser. I, vyp. 2, 1940 (Termezskia arkheologicheskia kompleksnia ekspeditsia 1936 g.), str. 123–153.

*Shcherbina–Karamarenko, N. –V razvalinakh Srednei Azii, 1896.

(دون ذكر لموضع الطبع).

Shcherbina–Karamarenko, N.–Po musulmanskim sviatyniam Srednei Azii. (Putevye zametki i vpechatlenia), –SKSO, vyp. IV, 1896, otd, IV, str. 45–61.

Evarnitski, D.I. –Putovoditel po Srednei Azii ot Baku do Tashkenta v arkheologicheskom i istoricheskom otnosheniakh, Tashkent, 1893.

*Iakubovski, A.Iu. –Arkheologichia ekspeditsia v Zaravshanskuiu dolinu 1934 g. (Iz dnevnika nachalnika ekspeditsii), –TOVE, t. II, 1940, str. 113–164.

*Iakubovski, A.Iu. –Voprosy periodizatsii istorii Srednei Azii v srednie veka (VI–XV vv), –KSIIMK, vyp. XXVIII, 1949, str. 30–43.

(تقسيم أدوار تاريخ آسيا الوسطى في العصور الوسيطة).

*Iakubovski,A.Iu. – Vosstanie Mukanny–dvijenie liudei v «belykh odejdakh»,–SV, t.V, 1948, str.35–54. (ثورة المقنّع وحركة المبيّضة).

*Iakubovski,A.Iu–Vosstanie Tarabi v 1238 g. (k istorii krestianskikh i remeslennykh dvijenii v Srednei Azii)–«Doklady gruppy vostokovedov na sessii Akademii Nauk SSSR 20 marta 1935 g.», M.–L., 1936 (TIVAN, t.XVII), str.101–135. (ثورة تارابي).

* Iakubovski,A.Iu.–Vremia Avitsenny,–SSSR, OON, 1938, No3, str.93–108.
* Iakubovski,A.Iu.–GAIMK–IIMK i arkheologicheskoe izuchenie Srednei Azii za 20 let,–KSIIMK, vyp.VI, 1940, Str.14–23.

* Iakubovski,A.Iu.–Glavnye voprosy izuchenia istorii razvitia gorodov Srednei Azii,–«Trudy Tadj FAN», t.XXIX, 1951, Str.3–17.

* Iakubovski,A.Iu.–Gorodishche Mizdakhkan,–ZKV, t.V, 1930, str.551–581.

* Iakubovski,A.Iu.–Ibn–Miskaveikh o pokhode Rusov v Berdaa v 332 g.= 942/43 g.–VV, t.XXIV, 1926, Str.63–92.

* Iakubovski,A.Iu.–Iz istorii archeologicheskoe izuchenia Samarkanda,–TOVE, t.II, 1940, Str.284–337.

* Iakubovski,A.Iu.–Irak na grani VIII–IX vv.(Cherty Sotsialnogo stroia khalifata pri abbasidakh), «Trudy pervoi Sessii arabistov, 14–17 iunia 1935 g.»(TIVAN, vyp.XXIV),1937,Str.–25–49). (العراق على حدود القرنين الثامن والتاسع).

* Iakubovski,A.Iu.–Itogi rabot Sogdiisko–Tadjikskoi arkheologicheskoi ekspeditsii v 1946–1947 gg.,–«Trudy STAE», t.I, 1946–1947 (MIA, No 15) 1950, Str.13–55.

* Iakubovski,A.Iu–Itogi rabot Tadjikskoi arkheologicheskoi ekspeditsii za 1948–1950 gg.–«Trudy TAE», t.II, 1948–1950 (MIA, No 37), 1953, Str.9–20.

* Iakubovski,A.Iu.–K voprosu ob etnogeneze uzbekskogo naroda, Tashkent, 1941. (مسألة الأصل العرقي للشعب الاوزبكي).

* Iakubovski, A.Iu.–Kniga B.Ia. Vladimirtsova «Obshchestvenny stroi mongolov» i perspektivy dalneishego izuchenia Zolotoi Ordy,– «Istoricheskii sbornik», In–ta istorii AN SSSR, t. V M.–L, 1936, Str. 293–313.

* Iakubovski, A.Iu.–Makhmud Gaznevi. K voprosu o proiskojdenii i kharaktere Gaznevidskogo gosudarstva,– sb. «Ferdovsi.

934-1934», L. 1934, str. 51
(محمود الغزنوي ومسألة قيام الدولة الغزنوية).

*Iakubovski, A.Iu.-Ob ispolnych arendakh v Irake v VIII v.,-SV, t. 1947, str. 171-184.

*Iakubovski, A. Iu. -Ob odnom rannesamanadskom felse (Iz rannei istorii Samanidskogo doma), KSIIMK, vyp. XII, 1946, str. 103-112.

*Iakubovski, A.Iu. -Problema sotsialnoi istorii narodov Vostoka v trudakh akademika V.V. Bartolda, VLU, 1947, No 12, str 62-79. (مسألة التاريخ الاجتماعي لشعوب الشرق في آثار الأكاديمي بارتولد).

*Iakubovski, A. Iu. -Razvaliny Sygnaka (Sugnaka), -«Soobshchenii GAIMK», t It, 1929, str. 123-155, (أطلال سغناق)

*Iakubovski, A. Iu. -Razvaliny Urgencha, IGAIMK, t. VI, vyp. 2, L. 1930. (أطلال اركنج).

*Iakubovski,A.Iu.-Seldjukskoe dvijenie i turkmeny v XI veke,-IAN, SSSR,OON,1937, no 4, str. 912-946. (حركة السلاجقة والتركمان في القرن الحادي عشر).

*Iakubovski,A.Iu.-Feodalnoe obshchestvo Srednei Azii i ego torgovlia s Vostochnoi Evropoi v X-XV vv.,-MIUTT,Str.1-60.
(المجتمع الاقطاعي بآسيا الوسطى وتجارته مع اوروبا من القرن العاشر الى القرن الخامس عشر). (1932)

Abel-Rémusat, Khaïsang.-Rémusat, Khaïsang, empereur de la Chine, de la dynastie des Mongols, في Abel-Rémusat, Nouveaux mélanges asiatiques, t. II, Paris, 1829, pp. 1-3.

Abel-Rémusat, Recherchs.-Abel-Rémusat, Recherches sur les langues tartares ou mémoires sur différents points de la grammaire et de la littérature des Mandchous, des Mongols, des Ouigours et des

Tibetains, t. I, Paris, 1820.

Abel-Rémusat, Sur l'histoire des Mongols.-Abel-Rémusat, Sur l'histoire des Mongols, d'après les auteurs musulmans, في Abel-Rémusat, Nouveaux mélanges asiatiques, t. I, Paris, 1829, PP. 427-442.

Abel-Rémusat, Tha-tha-toung-'o.-Abel-Rémusat, Tha-that-toung'o, ministre oigour, في : Abel-Rémusat, Nouveau mélanges asiatiques, t. II, Paris, 1829, PP. 61-63.

Abel-Rémusat, Yeliu-thsou-thsai.-Abel-Rémusat, Yeliu-thsou-thsai, ministre tartare, في : Abel-Rémusat, Nouveaux mélanges asiatiques. t. II, Paris, 1829, PP. 64-88.

Barbier de Meynard, Tableau litteraire -

أنظر الثعالبي يتيمة الدهر

Barthold, Abu Muslim.-W. Barthold, Abu Muslim, -EL, I, S. 107-108[1].

Barthold, Akhsikath-W. Barthold, Akhsikath, -EI, I, S. 247.

Barthold, Die alttürkischen Inschriften.-W. Barthold, Die alttürkischen Inschriften und die arabischen Quellen, في : W. Radloff, Die alttürkischen Inschriften der Mongolei, Zweite Folge, St.-Pbg., 1899.

Barthold, Amu-Darya.-W. Barthold, Amu-Darya, -EI, I, S. 356-359.

Barthold, Badakhshan. -W. Barthold, Badakhshan, -EI, I, S. 574-576.

Barthold, Baihaki, Abu 'l-Fadl.-W. Barthold, Baihaki, Abu'l-Fadl, -EI, I, S. 616-617.

Barthold, Baihaki, Abu 'l-Hasan.-W. Barthold, Baihaki, Abu'l-Hasan, -EI, I, S. 615-616.

Barthold, Bal'ami.-W. Barthold, Bal'ami,-EI, I, S. 638-639.

Barthold, Bardha'a.-W. Barthold, Bardha'a, -EI, I, S. 683.

Barthold, Barmakiden.-W. Barthold, Barmakiden, -EI, I, S. 691-693.

Barthold, Batu-Khan.-W. Barthold, Batu-Khan, -EI, I, S. 709-712.

Barthold, The Bughra Khan. -W. Barthold, The Bughra Khan mentioned in the Qudatqu Bilik, -BSOS, vol. III, pt 1, 1923, PP. 151-158.

Barthold, Bukhara. – Barthold, Bukhara, – EL, I, S. 809–816.

Barthold, Burhan. – W. Barthold, Burhan, – EL, I, S. 816–817.

Barthold, Caghaniyan. – W. Barthold, Caghaniyan, EI, I, S. 854–846.

Barthold, Caghatai – Khan. W. Barthold, Caghatai – Khan, – EL, I, S. 846–849.

Barthold, Cingiz – Khan.–W. Barthold, Cingiz – Khan, – EI, I, S. 892–898.

Barthold, Djuwaini. – W. Barthold, Djuwaini, 'Ala al – Din 'Ata Malik, EL, I, S. 1145–1117.

Barthold, Farghana. – W. Barthold, Farghana, – EI, II, S. 64–69.

Barthold, Ghuzz. – W. Barthold, Ghuzz, – EI, II, 178–179.

Barthold, Hafiz – i Abru. – W. Barthold, Hafiz – i Abru – EI, II, S. 225–226.

Barthold, Haidar b. 'Ali. – W. Barthold, Haidar b. 'Ali, – EI, II, S. 231.

Barthold, Hakim Ata. – W. Barthold, Hakim Ata, – EI, II, S. 239.

Barthold, Isma'il b. Ahmed – W. Barthold, Isma'il b. Ahmed, – EL, II, s. 583.

Barthold, Karategin. – W. Barthold, Karategin, – EI, II, S. 813–815.

Barthold, Nachrichten. – W. Barthold, Nachrichten über den Aral – See und den unteren Lauf des Amu – Darja von den ältesten Zeiten bis zum 17. Jahrhundert. Deutsche Ausgabe mit Berichtigungen und Ergänzungen vom Verfasser. Ubers. von. H. V. Foth, Leipzig, 1910.

Barthold, Stand und Aufgaben. – W. Barthold, Stand und Aufgaben der Geschichtsforschung in Turkestan, – «Die Geisteswissenschften», I. Jg., Leipzig, 1913/1914, H. 39, S. 1075–1080.

Barthold, Su'ubija.- W. Barthold, Die persische Su'ubja und die moderne

Wissenschft, – ZA, Bd XXVI (Festschrift für Ignaz Goldziher),

1912, S. 249–266.

Barthold, Türken. – W. Barthold, Türken, – EI, IV, S. 969–078 (historisch – ethnographische Ubersicht); S. 986–988 (**Caghataische** Litteratur).

Barthold, Turkestan. – W. Barthold, Turkestan down to the Mongol invasion, 2d ed., transl. from the original Russian and revised by the author with the assistance of H.A.R. Gibb, London, 1928 (GMS NS, V); 2d ed, London, 1958.

Barthold, Zur Geschichte der Saffariden. – W. Barthold, Zur Geschichte des Saffariden, – «Festschrift Nöldeke», **Bd I,S.** 171–191.

Barthold, Zur Geschichte des Christentums. – W. Barthold, Zur Geschichte des Christentums in Mittel – Asien bis zur mongolischen Eroberung. Berichtigte und vermehrte deutsche Bearbeitung von R. Stübe, Tübingen, 1901.

Barthold, 12 Vorlesungen. – Barthold, 12 Vorlesungen über die Geschichte der Türken Mittelasiens. Deutsche Bearbeitung von Th. Menzel, Berlin, 1935 (Beiband zu WI, Bd 14–17, 1932–1935).

Beale, An oriental biographical dictionary. – [W. Beale], An oriental biographical dictionary founded on materials collected by late Th. W., Beale. A new edition revised and enlarged by H.G. Keene, London, 1894.

Becker, Dabik. – C.H. Becker, Dabik, – EI, I, S. 922.

Becker, **DI,** Bd IV [S. 199]. – C.H. Becker, [نقد وتقريظ] Herzfeld, E., Erster vorläufiger Bericht über die Ausgrabungen von Samarra, mit einem Vorwort von Friedrich Sarre.. Berlin, 1912, – DI, Bd IV, 1913, S. 199.

Becker, Dibadji. – C.H. Becker, Dibadj, – EI, I, S. 1008.

Becker, Djizya. – C.H. Becker, Djizya, – EI, I, S. 1097–1098.

Becker, Egypten. – C.H. Becker, Egypten, – EI, II, S. 4–24.

Becker, Islamstudien. – C.H. Becker, Islamstudien. Vom Werden und Wesen der islamischen Welt, Bd I – II, Leipzig, 1924–1932.

Becker, Steuerpacht. – C.H. Becker, Steuerpacht und Lehnswesen. Eine historische Studie über die Enststehung des islamischen Lehnswesens, – DI. BD V, 1914, S. 81–92.

*Beeston, Catalogue.–A.F.L. Beeston, Catalogue of the Persian, Turkish, Hindustani and Pushtu manuscripts in the Bodleian Library, pt III. Additional Persian manuscripts, Oxford, 1954.

Van Berchem, La propriété –M. Van Berchem, la Propriété territoriale et l'impot foncier sous les premiers califes. Etude sur l'impot de Kharâge, Genève, 1886.

Biberstein–Kasimirski, Menoutchehri– (أنظر منوچهري، القسم الأول، ب - المصادر)

Blochet, Catalogue BN.–E. Blochet, Catalogue des manuscrits persans de la Bibliothèque Nationale, t.I–IV, Paris, 1905–1934 (I–1905, II–1912, III–1928, IV–1934).

Blochet, Catalogue de la collection Schefer.–.Blochet, Catalogue de la collection de manuscrits orientaux arabes, persans et turcs formée par Ch.Schefer... Publié par E.Blochet, Paris, 1900.

Blochet, Les inscriptions.–E.Blochet, Les inscriptions de Samarkand. I.Le Goûr–i–Mir, گورمير , ou tombeau de Tamerlan, –«Revue archéologique», sér.3, t.XXX, Paris, 1897, pp.67–77, 202–231; (ظهرت أيضاً على حدة)

Blochet, Introduction.–E.Blochet, Introduction à l'histoire des Mongols de Fadl Allah Rashid ed–Din, Leyden–London, 1910 (GMS, XII).

Blochet, Liste.–E.Blochet, Liste géographique des villes de l'Iran, Paris, 1895 (Extrait du «Recueil de Travaux relatifs à la Philologie et à l'Archéologie égyptiennes et assyriennes», année XVII, PP.165–176).

Bouvat, L'empire Mongol.–L.Bouvat, L'empire Mongol (2ème phase), Paris, 1927 (Histoire du Monde publiée sous la direction de

M.E.Cavaignac, t.VIII3).

Bretschneider, Researches- (راجع أعلاه، القسم الأول - أ)

Brockelmann, GAL.-C.Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur, Bd I-II, Weimar-Berlin, 1898-1902; Supplementbände I-III, Leiden, 1937-1942; Zweite, den Supplementbänden angepasste Aufl., Bd I-II, Leiden, 1943-1949.

Brockelmann, Ibn Kutaiba.-C.Brockelmann, Ibn Kutaiba,- EI, II, S.424.

*Brockelmann, Mitteltürkischer Wortschatz.-C.Brockelmann, Mitteltürkischer Wortschtz nach Mahmud al-Kasغaris Divan luغat al-Turk, Budapest-Leipzig, 1928 (Bibliotheca Orientalis Hungarica.I).

Brockelmann, Das Verhältnis. -C.Brockelmann, Das Verhältnis von Ibn-el-Atīrs Kâmil fit-ta'rih zu Tabaris Ahbâr errusul wal mulûk, Strassburg, 1890.

Browne, A Literary History.-E.G.Browne, A Literary History of Persia, vol.I. From the Earliest Times until Fidawsi, Cambridge, 1902 [repr.1908, 1909, 1919, 1925, re-issue 1928, repr.1929, 1951]; v. II. From Firdawsi to Sa'di, Cambridge, 1906 [rep. 1915, 1920; re-issue 1928, repr. 1951, 1956]; A History of Persian Literature, vol. III. 1265-1502, Cambridge, 1920 [re-issue: A Literary History of Persia, vol. III. the Tartar Dominion (1265-1502), 1928, repr. 1951, 1956], vol. IV. 1500-1924, Cambridge, 1924 [re-issue: A Literary History of Persia, vol. IV. Modern Times (1500-1924), repr. 1930, 1953].

Browne, The Mujmal.-E.G.Browne, The Mujmal or «Compendium» of history and biography of Fasihi of Khwaf (مجمل فصيحي خوافي), -«Le Muséon», sér.3, t.I, 1915, No 1, PP.48-78.

Browne, The Sources.-E.G.Browne, The Sources of Dawlatshah with some Remarks on the Materials available for a Literary History of Persia, and an Excursus on Barbad and Rudagi, -JRAS, 1899, PP.37-69.

*L.Browne, The eclipse.–L.E.Browne, The eclipse of Christianity in Asia. From the time of Muhammad till the Fourteenih century, Cambridge, 1933.

Burnes, Travels.–A.Burnes, Travels into Bokhara; containing the narrative of a voyage on the Indus from the sea to Lahore, with presents from the King of Great Britain; and an account of a journey from India to Cabool, Tartary, and Persia. New ed., vol.I–III, London, 1839.

*Caetani, Annali.–L.Caetani, Annali dell'Islam. vol.I–VI, Milano, 1905–1913.

*Caferoglü, Istilahlari.–A.Caferoglü, Uygurlarda hukuk ve maliye istilahlari,– TM, C.IV, Istanbul, 1934, ss.1–43.

*Cahen, L'évolution.–C.Cahen, L'évolution de l'iqta' du IXe au XIIIe siècle. Contribution à une histoire comparée des sociétés médiévales,– «Annales. Economies, Sociétes, Civilisation», t.8, No 1, Paris, 1953, pp. 25-52

Cahun, Introduction.–L.Cahun, Introduction a l'histoire de l'Asie. Turcs et Mongols des origines à 1405, Paris, 1896.

Carra de Vaux, Les penseurs.– Carra de Vaux, Les penseurs de l'Islam, t.I. Les souverains, l'histoire et la philosophie politique, Paris, 1921; t.II. Les géographes, les sciences mathématiques et naturelles, Paris, 1921; t.III. L'exgése, la tradition et la jurisprudence, Paris, 1923; t.IV. La scolastique, la théologie et la mystique, la musique, Paris, 1923; t.V, Les sectes, le libéralisme moderne, Paris, 1926.

Catalogus LB.–Catalogus codicum orientalium Bibliothecae Academiae Lugduno Batavae, vol.I–II, auctore R.P.A.Dozy, Lugduni Batavorum, 1851; vol.III, auctoribus P.de Jong et M.J.de Goeje, Lugduni Batavorum, 1865; vol.IV, auctoribus P.de Jong et M.J.de Goeje, Lugduni Batavorum 1866; vol.V, auctore M.J.de Goeje, Lugduni Batavorum, 1873; vol.VI, auctore M.Th.Houtsma, Lugduni Batavorum, 1877.

Chavannes–Pelliot, Un traité.– [E.Chavannes et P.Pelliot], Un traité

Manichéen rétrouvé en Chine, traduit et annoté par Ed.Chavannes et P.Pelliot,–JA, sér.10, t.XVIII, 1911, PP.499–617; sér.II, t.I, 1913, PP.99–199, 261–394; ظهرت على حدة., partie I–II, Paris, 1911–1913 [I–PP.1–121, II–PP.123–360].

Chwolsohn, DieSsabier.–D.Chwolsohn, Die Ssabier und der Ssbismus, Bd I: Die Entwicklung der Bergriffe Ssabier und Ssabismus und die Geschichte der harrânischen Ssabier oder syrohellenistischen Heiden im nördlichen Mesopotamien und in Bagdâd zur Zeit des Chalifats; Bd II: Orientalische Quellen zur Geschichte der Ssabier und des Ssabismus, St.–Pbg., 1856.

Deguignes, Histoire générale des Huns.–J.Deguignes, Histoire générale des Huns, des Turcs, des Mongols, et des autres Tartares occidentaux, t.I–IV, Paris, 1756–1758.

*Dennett, Conversion.–D.C.Dennett, Conversion and Poll Tax in Early Islam, Cambridge, Mass., 1950 (HHM, XXII).

Dieterici, Mutanabbi.–F.Dieterici, Mutanabbi und Seifuddaula; aus der Edelperle des Tsaâlibi, Leipzig, 1847.

Diez, Churasanische Baudenkmäler.–.E.Diez. Churasanische Baudenkmäler, Berlin, 1918 [Arbeiten des Kunsthistorischen Instituts der K.–K.Universität Wien (Lehrakanzlei Strzygowski), Bd 7].

Donner, Sur l'origine.–O.Donner, Sur l'origine de l'alphabet turc de Nord de l'Asie,– JSFOu, XIV, 1896, 1, PP.1–71.

Dorn, Catalogue.– [B.Dorn], Catalogue des manuscrits et xylographes orientaux de la Bibliothèque Impériale Publique de St.Pétersbourg, St.–Pbg., 1852.

Dorn, Catalogue des ouvrages arabes, persans et turcs.–B.Dorn, Catalogue des ouvrages arabes, persans et turcs, publiés à Constantinople, en Egypte et en Perse, qui se trouvent en Musée asiatique de l'Academie,– Mél.As., t.V, 1864, PP.465–528.

Dorn, Nachträge. – B. Dorn, Nachträge zu der Abhandlung über die Münzen der Ileke oder der ehemaligen Chane von Turkistan, –

Mél. As., t. IX, 1888, P.P. 55–73.

*Dorn, Die Sammlung Chanykov. – B. Dorn, Die Sammlung von morgenländischen Handschriften, welche die kaiserliche Offentliche Bibliotek zu St. Petersburg im Jahre 1864 von Hm v. Chanykov erworben hat, St. – Pbg., 1865.

Dorn, Ueber Mudschmel Faszihy. – B. Dorn, Ueber die Mudschmel Faszihy (مجمل فصيحي) betitelte chronologische Ubersicht der Geschichte von Faszih, – «Bull. de la classe hist. philol. de l'Acad Imp. des Sciences de St. Pétersbourg», t. II, 1845, col.1–41.

Dorn, Uber die Münzen. – B. Dorn, Uber die Münzen der Ileke oder ehemaligen Chane von Turkistan, – Mél. As., t. VIII, 1881, PP. 703–744.

Douglas, The Life. – [R.K. Douglas], The Life of Jenghiz. Transl. from the Chinese. With an introduction. By R.K. Douglas, London, 1877.

Dozy, Essai. – R. Dozy, Essai sur l'histoire de l'islamisme, trad. du hollandais par V. Chauvin, Leyde – Paris, 1879.

Dulaurier, Les Mongols. – Ed. Dulaurier, Les Mongols d'après les historiens arméniens, – JA. sér. 5. t. XI, 1858, PP. 192–255.

Dvorak, Abû Firâs. – R. Dvorák, Abû Firâs, ein arabischer Dichter und Held. Mit Taâlibi's Auswahl aus seiner Poësie (Jetimet – ud – dahr Cap. III), Leiden, 1895.

Edwards, Catalogue. – E. Edwards, A Catalogue of the Persian printed books in the British Museum, London, 1922.

Elliot, The History of India. – H.M. Elliot, The History of India, as told by its own historians. The Muhammadan period, vol. I – VIII, London, 1867–1877.

Erdmann, Temudschin. – F. Erdmann, Temudschin der Unerschütterliche, Leipzig, 1862.

Ethé, Catalogue Ind. Off. – Ethé, Catalogue of Persian Manuscripts in the Library of the India Office, vol. 1, Oxford, 1903; vol. II,

containing additional descriptions and indices (revised and completed by E. Edwards), Oxford, 1937.

Ethé, Catalogue of.. the Bodleian Library – أنظر Sachau – Ethé

Ethé, Neupersische Litteratur. – H. Ethé, Neupersische Litteratur, – GIPh, Bd II, S. 212–370.

Ferrand, Relations – (أنظر القسم الأول – أ)

*Field – Prostov, Archaeological investigations. – H. Field and E. Prostov, Archaeological investigations in Central Asia, 1917–37, – AI, vol. V, pt II, 1938, PP. 233–271.

Fischer, Battuta. – A Fischer, Battuta, nicht Batuta, – ZDMG, Bd LXXII, 1918, s. 289.

Fischer, Al – Maqdisi. – A. Fischer, Al – Maqdisi und al – Muqaddasi, – ZDMG, Bd LX, 1906, S. 404–410.

Fleischer, Catalogus. – H.O. Fleischer, Catalogus codicum manuscriptorum orientalium Bibliothecae Regiae Dresdensis, Lipsiae, 1831.

Flügel, Handschriften. – G. Flügel, Die arabischen, persischen und türkischen Handschriften der kaiserlich – königlichen Hofbibliothek zu Wien, Bd I – III, Wien, 1865–1867.

*Franke, Geld und Wirtschaft.–H. Franke, Geld und Wirtschft in China unter der Mongolen – Herrschaft. Beitrage zur Wirtschaftsgeschichte der Yüan – Zeit, Leipzig, 1949 (Das Mongolische Weltreich. Quellen und Forschungen).

*Gabain, Das uigurische konigreich. – A.V. Gabain, Das uigurische königreich von Chotscho 850–1250, Berlin, 1961 (SBA W Berl., Jg. 1961, Nr. 7).

*Gardet, La cité. – L. Gardet, La cité musulmane. Vie sociale et politique, Paris, 1954 (Etudes musulmanes. I).

Geiger, Ostiranische Kultur.– W.Geiger, Ostiranische Kultur im Altertum, Erlangen, 1882.

Geiger, Die Pamir-Gebiete. -W. Geiger, Die Pamir-Gebiete. Eine geographische Monographie. Wien. 1887 (Geographische Abhandlungen hrsg. von A. Penck. Bd II.H.1).

Gibb, the Arab Conquests.-H.A.R.Gibb, the Arab Conquests in Central Asia, London, 1923 (James G.Forlong fund, vol.II).

Gibb, the Arab Invasion of Kashgar.-H.A.R.Gibb, the Arab Invasion of Kashgar in A.D.715, - BSOS, vol.II, pt 3, 1922, pp.467-474.

de Goeje, Das alte Bett des Oxus.- M.J.de Goeje, Das alte Bett des Oxus Amû-Darja, Leyden, 1875.

de Goeje, Die Istakhri-Balkhi Frage.-M.J.de Goeje, Die Istakhri-Balkhi Frage, ZDMG, Bd XXV, 1871, S.42-58.

de Goeje, JA, sér, 9,t.XIV (pp.364-367).-M.J.de Goeje, [تقريظ ونقد] Abhandlungen zur arabischen Philologie, von Ignaz Goldziher, 2.Teil,- Darmstadt, 1842-1843. JA, sér.9, t.XIV, 1899, pp.364-367.

Goldziher, Aus der Theologie.- I.Goldziber, Aus der Theologie des Fachr al-din al-Razi, - DI,Bd III, 1912, S.213-247.

Goldziher, Dhu'l-Kifl.-1.Goldziher, Dhu'l-Kifl, -El,1,S.1003-1004.

Goldziher,Muhammedanische Studien.-I.Goldziher, Muhammedanische, Studien, T.I-II, Halle, 1888-1890.

Goldziher, Vorlesungen.-I.Goldziher, Vorlesungen über den Islam, 2.umgearb. Aufl., Heidelberg, 1925.

Grenard, La légende.-F.Grenard, La légende de Satok Boghra Khân et l'histoire, - JA, sér.9, t.XV, 1900, pp.5-79.

Gronbech, Chinggis Khans erobring.- K.Gronbech, Chinggis Khans erobring af Persien. Efter de Mongolske kilder, - «Ost og Vest. Afhandlinger tilegnede Prof. Dr.phil.Arthur Christensen paa Halvfjerdsaarsdagen d.9.Januar 1945 af nordiske Orientalister og Folkemindeforskere», Kobenhavn, 1945, ss.94-104.

* Grousset, le Conqurant.-R.Grousset,Le Conquérant du Monde (Vie de Gengis-khan). Paris, 1944.

* Grousset, L'empire Mongol. - R.Grousset, L'empire Mongol (1re

phase), Paris, 1941 (Histoire du Monde publiée sous la direction de M.E.Cavaignac, t.VIII[3]).

Guest, Relations.– R.Guest, Relations between Persia & Egypt under Islam up to the Fatimid period, – «'Ajab–nama», pp.163–174.

* Hamdani, Some Rare Manuscripts.–V.A.Hamdani, Some Rare Manuscripts in Istanbul,–JRAS, 1938, pp.561–564.

* Hamilton, Les Ouïghours.– J.R.Hamilton, les Ouïghours à l'époque des Cinq dynasties d'après les documents chinois, Paris, 1955 (Bibliothèque de L'Institut des hautes études chinoises.Vol.X).

Hammer– Purgstall– Geschichte der Goldenen Horde.– J.Hammer–Purgstall, Geschichte der Goldenen Horde in Kiptschak, das ist: der Mongolen in Russland, Pesth, 1840

Hammer–Purgstall, Geschichte der Ilchane.– J.Hammer–Purgstall. Geschichte der Ilchane, das ist der Mongolen in Persien, Bd I–II, Darmstadt, 1842–1843

* Haenisch, Die Mongolei, – E.Haenisch, Die Mongolei–Bilder aus alter und neue; Zeit,– في «Der Orient in deutscher Forschung; Vorträge der Berliner Orientalistentagung, Herbst 1942. Hrsg. von H.H. Schaeder», Leipzig, 1944, S. 126-136.

* Haenisch, Untersuchungen.– E.Haenisch, Untersuchungen über das Yüan–ch'ao pi–shi, die Geheime Geschichte der Mongolen, Leipzig, 1931 (ASAW, Bd XLI, No IV).

R.Hartmann, Balkh.–R.Hartmann, Balkh,–El, I, S.647–648.

R.Hartmann, Barid.– R.Hartmann, Barid, – El, I, S.685–686.

M.Hartmann, Der islamische Orient.– M.Hartmann, Der islamische Orient, Berichte und Forschungen, Bd I–III, Berlin–Leipzig, 1905–1910.

Hermann, Alte Geographie.– A.Hermann, Alte Geographie des unteren Oxusgebiets, Berlin, 1914 (AKGWG, N.F., Bd XV XV, No 4).

* Hermann, Seidenstrassen.– A.Hermann, Die alten Seidenstrassen zwischen China und Syrien. Beiträge zur alten Geographie Asiens. I.Abt.Berlin, 1910 (Quellen und Forschungen zur alten Geschichte und Geographie. Hrsg.von W.Sieglin. H.21).

* Herzfeld, Iran.– E.Herzled, Iran in the Ancient East. Archaeologicat studies presented in the Lowell lectures at Boston. London–New York, 1941.

* Hinz, Geheimkanzlei. –W.Hinz, Die persische Geheimkanzlei im Mittelalter,– «Westöstliche Abhandlungen R.Tschudi zum siebzigsten Geburtstag überreicht von Freunden und Schülern».Hrsg. von F.Meier, Wiesbaden, 1954, S.342–355.

* Hinz, Masse und Gewichte.– W.Hinz, Islamische Masse und Gewichte umgerechnet ins metrische System, Leiden, 1955 (HOr, Ergän – zungsband 1, H.1)

*Hirth, Nachworte. – F. Hirth, Nachworte zur Inschrift des Tonjukuk Beiträge zur Geschichte der Ost –Türken im 7. und. 8. Jahrhundert nach chinesischqn Quellen – من كتاب W. Radloff, Die alttürkischen. Inschriften der Mongolei, Zweite Folge, St. – Pbg., 1899, S. I – 140

* Hitty, History of the Arabs.– Ph. K.Hitty, History of the Arabs, 3d ed., revised, London, 1943 (repr. 1946).

Horn, Asadi's Wörterbuch– (أنظر: أسدى، لغات فرس؛ القسم الأول، المصادر، أ).

* Houtsma, Bih'afrid.– M.Th.Houtsma, Bih'afrid, – WZKM, Bd III, 1889.S.30–37.

Houtsma, GGA, 1896, No 9.– M.th.Houtsma, (نقد وتقريظ) Cahun L., Introduction à l'Histoire de L'Asie.Turcs et Mongols des origines à 1405. Paris 1896,–GGA, 1896, No 9, S.710–718.

Houtsma,GGA,1899, No 5.–M.Th.Houtsma. (نقد وتقريظ) Marquart J., Die Chronologie der alttükischen Inschriften...Leipzig 1898, – GGA, 1899 No 5, S.384–390.

* Houtsma, Die Ghuzenstämme.– M.Th.Houtsma, Die Ghuzenstämme, WZKM, Bd II, 1888, S.219–233.

Howorth, History of the Mongols.– H.H.Howorth, History of the Mongols from the 9th to the 19th century, pt I.The Mongols proper and the Kalmuks, London,1876; pt II.the so–called Tartars of Russia and Central Asia. Division I–II, London, 1880 ; pt III.The Mongols of Persia. London 1888;pt IV. Supplement,

London, 1927.
Howorth, the Northern Frontagers.- H.H.Howorth, the Northern Frontagers of China, Pt.I.The Origins of the Mongols, - JRAS, 1875, pp.221-242; pt II.The Origins of the Manchus,-JRAS, 1877, pp.235-242; pt III.The Kara Khital,-JRAS, 1876, pp.262-290; pt IV.The Kin or Golden Tatars,-JRAS, 1877, pp.243-290; pt V.The Khitai or Khitans,-JRAS, 1881, pp.121-182; pt VI.Hia or Tangut,-JRAS, 1883, pp.438-482; pt VII. The Shato Turks,- JRAS, 1885, pp.293-338; pt VIII. The Kirais and Prester John,- JRAS, 1889, pp.361-432; pt IX. The Muhammedan Turks of Turkestan from the Tenth to the Thirteenth Century, - JRAS, 1898, pp.467-502.

Huart, Djaríb.-[Cl. Huart], Djarib,-El,I,S, 1062.

Jacob, Handelsartikel.- G.Jacob,Welche Handelsartikel bezogen die Araber des Mittelalters aus den nordisch-baltischen Ländern, 2.Aufl., Berlin, 1891.

*Jacob, Die Waaren.-G.Jacob, Die Waaren beim arabisch-nordischen Verkehr im Mittelalter. Supplementheft zur zweiten Auflage von «Welche Handelsartikel bezogen die Araber des Mittelalters aus den nordisch-baltischen Ländern?», Berlin, 1891.

Jacob-Wiedemann, Zu'Omer-i-Chajjâm.-B.Jacob und E.Wiedemann, Zu'Omer-i Chajjâm,-DI, Bd III, 1912, S.42-62.

Justi, Geschichte.-F.Justi, Geschichte der orientalischen Völker im Altertum, Berlin, 1884 (Allgemeine Weltgeschichte, Bd I.Das Altertum. I.Teil).

Justi, Iranisches Namenbuch.-F.Justi, Iranisches Namenbuch, Marburg, 1895.

*Kafesoglu, Harezmsahlar.-I.Kafesoglu, Harezmsahlar devleti tarihi (485-617/1092-1229), Ankara, 1956.

*Kafesoglu, Meliksah.-I.Kafesoğlu, Sultan Meliksah devrinde büyük selçuklu imparatorlugu, Istanbul, 1953.

*Kafesoglu, Türk tarihinde Mogollar.-I.Kafesoglu, Türk tarihinde Mogollar ve Cengiz meselesi,- «Tarih Dergisi», V/8, 1953.

Karabacek, Das arabische Papier,-J.Karabacek, Das arabische Papier. (Eine historischantiquarische Untersuchung), Wien, 1887 (Sonderabdr. Aus «Mitteilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer», Bd II/III, S.87-178).

*Köprülü, Les institutions.-M.F.Köprülü, Les institutions juridiques Turques au Moyen-Age. Y a-t-il un droit public Turc distinct du droit public musulman?, Istabul, 1937.

*Kotwicz,Les Mongols.- W.Kotwiez,Les Mongols, promoteurs de l'idée de paix universelle au début du XIIIe siècle,-RO,XVI, 1950, pp.428-434.

*Kotwicz, Quelques données.-W.Kotwiez, Quelques données nouvelles sur Les relations entre les Mongols et les Ouigours,-RO, II, 1919-1924, pp.240-247.

*Kotwicz,Les termes.- W.Kotwiez,Les termes concernant le service des relais postaux,- من كتاب W.Kotwiez, Contributions aux études altaïques.A-B, Wilno, 1932, pp.1-37 (= A).

Kratchkowsky, Préface etc. à Abu Hanifa.-[I.Kratchkovsky], Aby Hanifa ad-Dinaweri, Kitab al-ahbar at-tiwal. Préface, variantes et index publiés par I.Kratchkovsky, Leide, 1912.

Krause, Cingiz Han.- F.E.A.Krause, Cingiz Han. Die Geschichte seines Lebens nach den chinesischen Reichsannalen, Heidelberg, 1922.

Krause, Die Epoche der Mongolen.- F.E.A.Krause Die Epoche der Mongolen. Ein Kapitel aus der Geschichte und Kultur Asiens,- MSOS, JG. XXVI-XXVII, 1924, Abt.1,S,1-60.

Kremer, Culturgeschichte.- A.von Kremer, Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen, Bd I-II, Wien, 1875-1877.

Krener, Cultugeschichtiche Streifzüge.-A.von Kremer,Culturgeschichtliche Streifzüge auf dem Gebiete des Islams,Leipzig, 1873.

Kremer, Einnahmebudget.-A.von Kremer, Über das Einnahmebudget des Abbasiden-Reiches vom Jahre 306 H.(918-919), - «Denkschriften der Kais. Akademie der Wissenschaften», Philosophish-historische Classe, Bd 36, 1.Abt, Wien, 1888, S.283-362, Taf.I-III.

Kremer, Ideen.– A.von Kremer, Geschichte der herrschenden Ideen des Islams, Leipzig, 1868.

*Kurat, Al–Kufi'nin Kitab al–futuh'u.–A.N.Kurat, Abu Muhammad Ahmad bin A'sam al–Kufi'nin Kitab al–futuh'u,–«Ankara Universitesi Dil ve Tarih–Cografya Fakültesi Dergisi», C.VII, 1949, No 2, ss.255–282.

*Kurat, Kuteybe.– A.N.Kurat, Kuteybe bin Müslim'in Hvarizm ve Semerkand'i Zabti,– «Ankara Universitesi Dil ve Tarih–Cografya Facultesi Dergisi», c.VI, 1948, No 4, ss.387–430.

*Lambton, The administration.–A.K.S.Lambton, the administration of Sanjar's Empire as illustrated in The'Atabat al–kataba,– BSOAS, vol.XX, 1957, pp.367–388.

*Lambton, Landlord and peasant.–A.K.S.Lambtom, Landlord and peasant in Persia. A study of land tenure and land revenue administration, Oxford.1953.

Lane–Poole, the Mohammadan Dynasties.–S.Lane–Poole. The Mohammadan Dynasties. Chronological and genealogical tables with historical introductions, London, 1894.

Lane Poole. Oriental coins, vol.I–III.–S. Lane Poole, Catalogue of oriental coins in the British Museum, vol.I. The coins of the Eastern Khaleefehs, London, 1875: vol.II. The coins of the Mohammadan dynasties. Classes III–X, London, 1876: vol.III. The coins of the Turkustan houses of Seljook, Urtuk, Zengee, etc. Classes X–XIV, London, 1877.

Langlès, Notice.–[L.] Langlès, Notice des livres Tatars–Mantchoux de la Bibliothèque nationale. Première partie. Dictionarium Latino–Sinico–Mantchou [Dictionnaire Latin, Chinois et Mantchou]: 3 vol. in–fol.(Tatar, No1),–Notices et extraits, t.V. An VII [1798/99], pp.581–606.

Lansdell, Russian Central Asia.–H.Lansdell, Russian Central Asia including Kuldja, Bokhara, Khiva and Merv, vol.I–II, London, 1885.

Laufer, Arabic and Chinese Trade–B.Laufer, Arabic and Chinese Trade

in Walrus and Narwhal ivory, – «T'oung Pao», vol.XIV, 1913, pp.315–364.

Laufer, Sino–Iranica.– B.Laufer, Sino–Iranica. Chinese contributions to the history of civilization in ancient Iran. With special reference to the history of cultivated plants and products, Chicago, 1919 (Field Museum of Natural History, Publication 201. Anthropological Series. Vol.XV No3).

Lerch, Ein Blick.– P.Lerch,Ein Blick auf die Resultate der Hissar'schen Expedition,–«Russische Revue», IV.Jg., Bd VII, 1875, S.178–188.

Lerch, Khiva oder Kharezm.–P.Lerch, Khiva oder Kharezm. Seine historischen und geographischen Verhaltnisse, St.Pbg., 1873.

Lerch, Sur les monnaies.–P.Lerch, Sur les monnaies des Boukhar–Khoudahs ou princes de Boukhara avant la conquéte du Maverannahr par les arabes, – «Travaux de la troisième session du Congrés international des orientalistes. St.Pétersbourg.1876», t.II. St.Pbg.–Leyde, 1879, pp.419–429.

Lerch, Zur Bevölkerungs–Statistik.– P.Lerch. Zur Bevölkerungs- Statistik des Russischen Zerafschân –Districtes,– «Russische Revue», II.Jg., Bd II, 1873, S.77–78.

Le Strange, Baghad.–G. Le Strange, Baghbad during the Abbasid Caliphate, from contemporary Arabic and Persian sources, 2d ed., London, 1924.

Le Strange, The Lands.– G.Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate. Mesopotamia, Persia, and Central Asia from the Moslem conquest to the time of Timur, Cambridge, 1905 (Cambridge Geographical Series).

*Levy, the Letters.–R.Levy, the Letters of Rashid al–din Fadl–Allah,– JRAS, 1946, pt 1–2, pp.74–78.

*Lokkegaard, Islamic taxation.–Fr.Lokkegaard, Islamic taxation in the Classic period, with special reference to circumstances in Iraq, Copenhagen, 1950.

*Macdonald, Development.–D.B.Macdonald, Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory. London,

1903; 2d ed; New York, 1926.

Margoliouth, the Russian Seizure of Bardha‘ah.–D.S Margoliouth, the Russian Seizure of Bardha‘ah in 943 A.D.,– BSOS, vol. I,pt2, 1918, pp.82–95.

Margoliouth, Undiscovered volume.– D.S.Marglolіouth, A hitherto undiscovered volume of Yaqut‘s Dictionary of Learned Men.– «Islamica», ed.A.Fischer, vol.I, Lipsiae 1925,pp.100–106.

Marquart, Beitrage.–J.Marquart, Beiträge zur Geschichte und Sage von Eran,–ZDMG, Bd XLIX, 1895, S.628–672.

Marquart, Die Chronologie.– J.Marquart, Die Chronologie der alttürkischen Inschriften, Leipzig, 1898.

Marquart, Eransahr.– J.Marquart, Eransahr nach der Geographie des Ps.Moses Xorenaci, Berlin, 1901 (AKGWG, N.F.Berlin, No2).

Marquart, Historische Glossen.– J.Marquart,Historische Glossen zu den allttürkischen Inschriften, – WZKM, Bd XII, 1898, S.157–200.

Marquart, Komanen.– J.Marquart, Uber das Volkstum der Komanen,– في كتاب W.Bang und J.Marquart, Osttürkische Dialektstudien, Berlin, 1914 (AKGWG, N.F.Bd XIII, No1), S.25–238.

Marquart, Streifzüge.– J.Marquart, Osteuropaische und ostasiatische streifzüge. Ethnologische und historisch–topographische Studien zur Geschichte des 9.und 10.Jahrhunderts (ca.840–940); Leipzig, 1903.

Marquart, Untersuchungen.– J.Marquart, Untersuchungen zur Geschichte von Eran, Göttingen–Leipzig, 1869–1905 (Sonderabdr . aus dem «Philologus», Bd 54, S.489–527; Bd 55, S.212–240; Supplementband X,H.1).

* Martin, The rise.–H.D.Martin,The rise of Chingis khan and his conquest of North China, Baltimore, 1950.

Melioranskij, Ahmed Yesewi–P.Melioranskij, Ahmed Yesewi,–EI,I,S,217.

*Mez, Die Renaissance.– A.Mez, Die Renaissance des Islâms, Heidelberg, 1922. (توجد له ترجمة عربية جيدة – المترجم).

* Minorsky. Addenda.– V.Minorsky, Addenda to the Hudud al–Alam,– BSOAS, vol.XVII, pt 2, 1955, pp.250–270.

* Minorsky, The Alan Capital.– V.Minorsky, The Alan Capital * Magas and the Mongol Campaigns (Caucasica III).– BSOAS, vol.XIV, pt 2, 1952, pp.221–238.

*Minorsky, Caucasica IV.– V.Minorsky, Caucasica IV, – BSOAS, vol. XV, pt 3, 1952., pp.504–529.

* Minorsky, Les Etudes.– V.Minorsky, Les Etudes historiques et géografiques sur la Perse, – AO, vol.X, 1932, pp.278–293; vol.XVI, 1938, pp.49–58; vol.XXI, 1951, pp.108–123; vol, XXII; 1957, pp. 105–117.

* Minorsky, A Mongol Decree.– V.Minorsky, A Mongol Decree of 720/1320 to the Family of Shaykh Zahid, – BSOAS, vol.XVI, pt 3, 1954, pp.515–527.

*Minorsky, La Perse au Moyen Age.– V.Minorsky, La Perse au Moyen Age, – «XII convegnio Volta». Promosso dalla classe di scienze morali, storiche e filologiche. Oriente e occidente nel medioeve», Accademia nazionale dei Lincei, Fondazione «Alessandro Volta», Roma, 1957, pp. 411–427.

*Minorsky, Pur–i Baha and his poems,–V. Minorsky, Pur–i Baha and his poems (Mongolica, 3),– «Charisteria orientalia», pp. 186–201.

*Minorsky, Pur–i Baha's Mongol Ode.–V. Minorsky, Pur–i Baha's Mongol Ode (Mongolica, 2),–BSOAS, vol. XVIII, pt 2, 1956, pp. 261–278.

*Minorsky, Tamim ibn Bahr's Jouney.–V. Minorsky, Tamim ibn Bahr's Journey to the Uyghurs,–BSOAS, vol. XII, pt 2, 1948, 275–305.

* Minorsky. Une nouvelle source.– V.Minorsky, Une nouvelle source musulmane sur l'Asie Centrale au XI siècle,– CRAIBL, 1937, pp. 317–324.

Morley, A descriptive catalogue.– W.H. Morley, A descriptive catalogue of the historical manuscripts in the Arabic and Persian Languages, preserved in the library of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, London, 1854.

* Mostaert, A propos des quelques portraits.– A.Mostaert, A propos des quelques portraits d'empereurs mongols, – AM, vol.IV, 1927, pp. 147–156.

*Mostaert, Sur quelques passages.– A.Mostaert, Sur quelques passages de l'Histoire secrète des Mongols, – HJAS, vol.13, 1950, pp.285–361; vol.14, 1951, pp.329–403; vol.15, 1952, pp.285–407.

Müller, Der Islam. – A.Müller, Der Islam im Morgen–und Abendland, Bd I–II, Berlin, 1885–1887.

Nachrichten.– Nachrichten über die von der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften zu St.Petersburg im Jahre 1898 ausgerüstete Expedition nach Turfan, H.I. st.Pbg., 1899.

* Nazim, Sultan Mahmud.– M.Nazim, the Life and Times of Sultan Mahmud of Ghazna with a Foreword by...Th.Arnold, Cambridge, 1931.

*Nicholson, A Literary History.– R.A.Nicholson, A Literary History of the Arabs, Cambridge, 1930.

* Nizamu'd–Din, Introduction, – Muhammad Nizamu'd–Din, Introduction to the Jawami'u'l–Hikayât wa Lawami'u'r–Riwayat of Sadidu'd–Din Muhammad al–'Awfi, London,1929 (GMS NS, VIII).

Nöldeke, Das iranische Nationalepos, – Th. Nöldeke, Das iranische Nationalepos, – GIPh, Bd II, S.130–211.

Nöldeke, Orientalische Skizzen.– Th.Nöldeke, Orientalische Skizzen, Berlin, 1892.

Nöldeke, Bemerkungen.– Th. Nöldeke, Bemerkungen zu Geiger's Übersetzung des Pehlewi–Buches Jatkari Zareran,– ZDMG, Bd, XLVI, 1892, S. 136–145.

Nöldeke, ZDMG, Bd XLVI [S.761–768].–Th.Nöldeke.(نقد وتقريظ) Siasset Nameh... Texte persan édité par Charles Schefer. Paris, 1891, –ZDMG, Bd XLVI, 1892, S. 761–768.

Nöldeke, ZDMG,Bd LVI [S.427–436].–Th.Nöldeke. (نقد وتقريظ)Eransahr

nach der Geographie des Ps.Moses Xorenac'i von Dr.J. Marquart, Berlin, 1901,- ZDMG, Bd LVI, 1902, S.427-436.

* Nowell, The historical Prester John.- Ch.E.Nowell, The historical Prester John, - «Speculum», vol.28, 1953, pp.435-445.

d'Ohsson, Histoire des Mongols.- C.d'Ohsson, Histoire des Mongols, depuis tchinguizkhan jusqu'à Timour bey ou Tamerlan, T.I-IV, éd, 2, la Haye et Amsterdam, 1834-1835; ed 3: Amsterdam, 1892 (repr.: Tientsin, 1940).

Oppert, Presbyter Johannes.- G.Oppert, Der Presbyter Johannes in Sage und Geschichte. Ein Beitrag zur Völker-und Kirchenhistorie und zur Heldendichtung des Mittelalters, Berlin, 1864; 2.Aufl: 1870.

Palmer, Catalogue.- E.H.Palmer, Catalogue of the Oriental Manuscripts in the Library of King's College, Cambridge, - JRAS, 1868, pp.105-131.

Pelliot, A propos des Comans.- P.Pelliot, A propos des Comans, - JA, ser.11, t.XV, 1920, pp.125-185.

Pelliot, Addenda.- P.Pelliot Addenda, - «T'oung Pao», vol. XIV, 1913, pp.365-370.

Pelliot, Chrétiens.- P.Pelliot, Chrétiens d'Asie Centrale et d'Extrême-Orient, - «T'oung Pao», vol.XV, 1914, pp.623-644.

* Pelliot, L'Edition collective.- P. Pelliot, l'édition collective des oeuvres de Wang Kouowei, - «T'oung Pao», vol.XXVI, 1928, pp.113-182.

Pelliot, Les Mongols et la Papauté.- P.Pelliot, Les Mongols et la Papauté. Documents nouveaux édités, traduits et commentés, - ROC, sér.3, t.III (XXIII), 1922-1923, No 1-2, pp.3-30; t.IV (XXIV), 1924, No 3-4, pp.225-335; t.VIII (XXVIII).1932, No 1-2, pp.3-84.

* Pelliot, Notes on Marco Polo, I.-P.Pelliot, Notes on Marco Polo, I.Paris, 1959 (Ouvrage posthume).

* Pelliot, Notes sur l'histoire de la Horde d'Or.-P.Pelliot, Notes sur l'Histoire de la Horde d'Or. Suivies de Quelques noms turcs d'hommes et de peuples finissant en «ar», Paris, 1949 (Oeuvres

posthumes de Paul Pelliot, II).
* Pelliot, Notes sur le «Turkestan».–P.Pelliot, Notes sur le «Turkestan» de M.W.Barthold.–«T'oung Pao», vol.XXVII, 1930, pp.12–56.
* Pelliot, Sur yam.–P.Pelliot, Sur yam ou jam, «relais postal», –«T'oung Pao» vol.XXVII, 1930, pp.192–295.
* Pelliot, Le titre mongol.–P.Pelliot, Le titre mongol du yuan tch'ao pi che,–«T'oung Pao», vol.XIV, 1913, pp.131–132.
* Pelliot, Un passage,–P.Pelliot, Un passage altéré dans le texte mongol ancien de L'Histoire secrète des Mongols,–«T'oung Pao», vol.XXVII, 1930, pp.199–202.
* Pelliot, Une ville musulmane.–P.Pelliot. Une ville musulmane dans la Chine du Nord sous les Mongols,–JA, t.CCXI, 1927, pp.261–279
Pertsch. Verzeichniss.–W.Pertsch, Verzeichniss der persischen Handschriften, Berlin. 1888 (Die Handschriften–Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin.Bd IV).
Place, Lettre.–[Place], Lettre de M.Place à M.Mohl, sur une expedition faite à Arbeles,–JA, sér, 4.t.XX, 1852, pp.441–470.
* Poliak, Classification.–A.N.Poliak,Classification of lands in the Islamic law and its technical terms.–AJSL., vol.LVII, 1940, pp.50–62.
* Poliak, La féodalité.–A.N.Poliak, La féodalité islamique,–REI, t.10, 1936, pp.247–265.
* Poliak, The influence.–A.N.Poliak, The influence of Chingiz–Khan's Yasa upon the general organization of the Mamlük state,–BSOAS, vol.X.pt.4, 1942, pp.862–876.
* Pritsak, Al–i–Burhan.–O.Pritsak, Al–i–Burhan,–DI, Bd XXX, 1952, S.81–96.
* Pritsak, Die Karachaniden.–O.Pritsak. Die Karachaniden,–DI, Bd XXI, 1953, S.17–68.
* Pritsak, Karachanidische Streitfragen.–O.Pritsak, Karachanidische Streitfragen–«Oriens», vol, 3, 1950, pp.209–228.
* Pritsak, Der Untergang.–O.Pritsak, Der Untergang des Reiches des oguzischen yabgu,– في «60.dogum yili munasebetiyle Fuad

Kôprülü armagani. Mélanges Fuad Köprülü», Istanbul, 1953, ss.397–410.

Pumpelly, Explorations. –[R.Pumpelly], Explorations in Turkestan, with an Account of the basin of Eastern Persia and Sistan. Expedition of 1903, under the Direction of R.Pumpelly, Washington, 1905.

Radloff, Die alttürkischen Inschriften der Mongolei.–W.Radloff, Die alttürkischen Inschriften der Mongolei, Lief.I–III, St.Pbg., 1894–1895; Neue Folge, St. Pbg., 1897; Zweite Folge, St.Pbg., 1899.

* Riasanovsky, Customary Law.–V.A.Riasanovsky, Customary law of the Mongol tribes (Mongols, Buriats, Kalmucks), pt.I–III, Harbin, 1929.

* Richard, le début.–J.Richard, le début des relations entre la papauté et les Mongols de Perse,–JA, t.CCXXXVII, 1949, pp.291–297.

Rickmers, the Duab.–W.R.Rickmers, the Duab of Turkestan, A Physiographic sketch and account of some travels. Cambridge.1913.

Rieu, Pers, MSS.–Ch.Rieu, Catalogue of the Persian manuscripts in the British Museum, vol.I–III, London, 1879–1883 [I–1879 (pp.1–432).II–1881 (pp.433–877).III–1883 (pp.881–1229)].

Rieu, Suppl.Arab.–Ch.Rieu, Supplement to the Catalogue of the Arabic manuscripts in the British Museum, London, 1894.

Rieu, Suppl.–Ch.Rieu, Supplement to the Catalogue of the Persian manuscripts in the British Museum, London, 1895.

Rosen, Les manuscrits persans.–[V. Rosen]. Les manuscrits persans de l'Institut des langues orientales décrit par V.Rosenl.St.Pbg., 1886 (Collections scientifiques, t. III).

Rosen, Notices sommaires.–V.Rosen, Notices sommaires des manuscrits arabes du Musée Asiatique, St. Pbg., 1881.

* Rosenthal, From Arabic books. –F.Rosenthal, From Arabic books and manuscripts III: The Author of the Gurar as–Siyar,–JAOS, vol.70, No3, 1950, pp.181–182.

* Rosenthal, Historiography.-F.Rosenthal, A history of Muslim historiography, Leiden, 1952.

Ross, The genealogies.-E.D.Ross , the genealogies of Fakhr-ud-Din, Mubarak Shah,-«'Ajab-nama», pp.392-413

Ross, Prester John.-E.D.Ross, Prester John and the Empire of Ethiopia,- في «Travel and Travellers of the Middle Ages.Ed.by A.P.Newton», London, 1926, pp.174-194.

Ross, A Qasida.-E.D.Ross, A Qasida by Rudaki,-JRAS, 1926, pp.213-237.

Ross-Gauthiot, L'Alphabet sogdien.-E.D.Ross et R.Gauthiot, L'Alphabet sogdien d'après un témoignage du XIIIe siècle,-JA, sér.11, t.I, 1913, pp.521-533.

Ruska, DI, Bd V [S.239]. -J.Ruska, نقد وتقريظ B Laufer,] «Arabic and Chinese Trade in Walrus and Narwhal Ivory» [«T'oung Pao», vol.XIV, p.315 sq],-DI, Bd V, 1914, S.239.

Ruska, Noch einmal al-Chutuww.-J. Ruska, Noch einmal al-Chutuww,- DI, Bd IV, 1913, S. 163-164.

* Rypka , Iranische Literatugeschichte.-J.Rypka u.a., Iranische Literaturgeschichte, [ergänzte und erweiterte deutsche Ausg.], Leipzig, 1959.

Sachau, Studien.-E.Sachau, Studien zur ältesten Geschichtsuberlieferung der Araber,-MSOS, Bd VII,2.Abt., 1904, S.154-196.

Sachau, Zur Geschichte.-E.Sachau, Zur Geschichte und Chronologie von Khwârizm, [Teil] I-II, Wien, 1873 (Sonderabdr. aus SBAW Wien, Bd LXXIII, S.471-506; Bd LXXIV, S.285-330).

Sachau-Ethé, Catalogue.-[E.Sachau and H.Ethé], Catalogue of the Persian, Turkish, Hindûstânî, and Pushtû manuscripts in the Boldeian Library, begun by Ed.Sachau, continued, completed and ed.by H.Ethé, pt.I.The Persian manuscripts, Oxford, 1889.

de Sacy, Histoire de Yémineddoula.-A.J.S.de Sacy, كتاب يميني Histoire de Yémineddoula Mahmoud, fils de Sebectéghin, Traduite de l'Arabe en Persan, par Abouschéref Nassih Monschi,

Djerbadécani,–Notices et extraits, t.IV.An 7 [1798/90], pp.325–411.

Salemmann, Zur handschriftenkunde.–C.Salemann, Zur handschriftenkunde I.Al–Birûni's al–Atâr al–baqiyah,–I AN, ser.VI, t.VI, 1912, ctp.861–870.

* Sauvaget, Introduction.–J.Sauvaget, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman. Elements de bibliographie, Paris, 1943; édition refondue et complétée par Cl.Cahen, Paris, 1961.

Schefer, Notice.–Ch.Schefer, Notice sur les relations des peuples musulmans avec les chinois, depuis l'extention de l'islamisme jusqu'à la fin du XV siècle,–«Centenaire», PP.1–43.

*Schiratori, Le rôle.–K.Schiratori, Le rôle des peuples de la Mongolie dans l'histoire du monde entier,– «Monggolik'a», I/III, Tokio, 1937–1938.

Schmidt, Uber Rubruk's Reise.–.F.M.Schmidt, Uber Rubruk's Reise von 1253–55, Berlin, 1885.

Schreiner, Beiträge.–M.Schreiner, Beiträge zur Geschichte der theologischen Bewegungen im Islâm,–ZDMG, Bd LII, 1898, S.463–510, 513–563.

Schwarz, Iran im Mittelater.–P.Schwarz, Iran im Mittelater nach den arabischen Geographen, Bd I–IX, Leipzig–Zwickau, Stuttgart, 1896–1936.

Seybold, ZDMG, Bd LXVII [S.538–543].–C.F.Seybold, نقد وتقريظ Abu Hanifa ad–Dinaweri, Kitab al–ahbar at–tiwal. Préface, Variantes et Index publiés par Ignace Kratchkovsky. Leide, 1912,–ZDMG, Bd LXVII, 1913, S.538–543.

Silvestre de Sacy– أنظر de Sacy.

Skrine and Ross, The Heart of Asia.–F.H.Skrine and E.D.Ross, The Heart of Asia. A History of Russian Turkestan and the Central Asian Khanates from the Earliest Times, London, 1899.

De Slane, Catalogue BN.– de Slane, le baron, Catalogue des manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale, Paris, 1883–1895.

Smirnow, Manuscrits turcs.– [W.D.Smirnow], Manuscrits turcs de

l'Institut des langues orientales décrits par W.D.Smirnow, St.-Pbg., 1897 (Collections scientifiques, t.VIII).
Sobernheim, Ikta'.- M.Sobernheim, Ikta',- EI, II, S.491-493.
Spiegel, Erânische Alterthumskunde.- F.Spiegel, Erânische Alterthumskunde, Bd, I-III, Leipzig, 1871-1878.
*Spuler, Die Chalifenzeit.-B.Spuler, Die Chalifenzeit. Entstehung und Zerfall des islamischen Weltreichs, Leiden, 1952 (HOr, Bd VI, Geschichte der islamischen Länder, I.Abschnitt).
*Spuler, Die Goldene Horde.-B. Spuler, die Goldene Horde. Die Mongolen in Russland, 1233-1502, Leipzig, 1943 (Das Mongolosche Weltreich. Quellen und Forschungen, II).
*Spuler, Iran in früh-islamischer Zeit.-B.Spuler, Iran in früh-islamischer Zeit. Politik, Kultur, Verwaltung und offentliches Leben zwischen der arabischen und der seldschukischen Eroberung. 633 bis 1055, Wiesbaden, 1952, (Akademie der Wissenschaften und der Literatur, Mainz. Veröffentlichungen der Orientalischen Komission, Bd II).
*Spuler, Die Mongolen in Iran.-B.Spuler, Die Mongolen in Iran. Politik, Verwaltung und Kultur der Ilchanzeit.2. erweit. Aufl., Berlin, 1955.
*Spuler, Die Mongolenzeit.-B.Spuler, Die Mongolenzeit, Leiden, 1953 (HOr, Bd VI.Geschichte der islamischen Länder, 2 Abschnitt).
*Spuler, Quellenkritik.-B.Spuler, Quellenkritik zur Mongolengeschichte Irans,-ZDMG, Bd 92 (17), 1938, S.219-243.
Stein, Serindia.-A.Stein, Serindia , Detailed report of Explorations in Central Asia and Westernmost China, vol.I-III, Text; vol.IV, Plates; vol.V, Maps, Oxford, 1921.
*Storey, Persian Literature.-C.A.Storey, Persian Literature. A bio-bibliographical survey.Vol.I.Qur'anic Literature; History and Biography.Pt I.Qur'anic Literature; History. Section 1.Qur'anic Literature, London, 1927 [PP.1-60]. Section II.[History]. Fasc.1.A.General History . B.The prophets and Early Islam,

London, 1935 [PP.61–236]; Fasc.2.C–L.Special histories of Persia, Central Asia and the remaining parts of the world except India, London, 1936 [PP.237–432]; fasc.3.M.History of India, London, 1939 [PP.433–780].Pt.2.Biography. Additions and Corrections. Indexes, London, 1953 [PP.781–1444].Vol.II, Pt 1.A.Mathematics.B.Weights and Measures.C.Astronomy and Astrology.D.Geography, London, 1958 [PP.1–192].

Streck, Amul.– [M.] Streck, Amul,– EI, I, S.359–360.

Stübe, Tschinghiz–Chan.–R.Stübe, Tschinghis–Chan, seine Staatsbildung und seine Persönlichkeit,– «Neue Jahrbücher für das klassische Altertum, Geschichte und deutsche Literatur», hrsg.von J.Ilberg, 11.Jg., Bd XXI, Leipzig, 1908, S.532–541.

Süssheim, Prolegomena.–K.Süssheim, Prolegomena zu einer Ausgabe der im British Museum zu London verwahrten Chronik des Seldschukischen Reiches, Leipzig, 1911.

*Tauer, Les manuscrits persans.–F.Tauer, Les manuscrits persans historiques des bibliothèques de Stamboul,– AOr, vol.III, 1931, PP.87–118, 303–326, 462–491.; vol.IV, 1932, PP.92–107, 193–207.

Thomas, Bilingual coins.–E.Thomas, Bilingual coins of Bukhara,– «The Numismatic Chronicle and Journal of Numismatic Society», 3 rd ser., vol.I, 1881, PP.116–128.

Thomsen, Inscriptions de l'Orkhon.– [V.Thomsen], Inscriptions de l'Orkhon déchiffrées par V.Thomsen, Helsingfors, 1896 (Mémoires de la Société finno–ougrienne.V).

Tiesenhausen, Notice.–W.Tiesenhausen, Notice sur une collection de monnaies orientales de M.le Comte S.Stroganoff, St.–Pbg., 1880.

Tischendorf, Das Lehnswesen.–P.A.von Tischendorf, Das Lehnswesen in den moslemischen Staaten, insbesondere im Osmanischen Reiche.Mit dem Gesetzbuche der Lehen unter Sultan Ahmed I, Leipzig, 1872.

Tomaschek, Sogdiana.–W.Tomaschek, Centralasiatische

Studien.I.Sogdiana,– SBAW Wien, Bd LXXXVII, 1877, S.67–184.

*Vernadsky, The Mongols.–G.Vernadsky, The Mongols and Russia, New Haven, 1953.

Vivien de St.–Martin, Les Huns Blacs.–Vivien de St.–Martin, Les Huns Blancs ou Ephtalites des historiens byzantins, Paris, 1849.

Van Vloten, Zur Abbasidengeschichte.–G.Van Vloten, Zur Abbasidengeschichte,– ZDMG, Bd LII, 1898, S.213–226.

*Voyevodsky, A summary report.–M.Voyevodsky, A summary report of a Khwarizm expedition,– «Bull.of the American Institute for Iranian Art and Archaeology», vol.V, No 3, 1938, pp.235–244.

Vullers, Lexicon.–J.A.Vullers, Lexicon Persico–Latinum etymologicum cum linguis maxime cognatis Sanscrita et Zendica et Pehlevica comparatum..., t.I–II, Bonnae, 1855–1864.

*Watters, On Yuan Chwang's travels.–Th.Watters, On Yuan Chwang's travels in India 629–645 A.D., vol I–II, London, 1904 (OTF, NS, vol.XIV).

Weil, Geschichte der Chalifen.– G.Weil, Geschichte der Chalifen. Nach hansdschriftlichen, grösstentheils noch unbenützten Quellen bearbeitet, Bd I–III, Mannheim, 1846–1851.

Wellhausen, Das Arabische Reich.– J.Wellhausen, Das Arabische Reich und sein Sturz, Berlin, 1902.

* Wellhausen, Oppositions – parteien.– J.Wellhausen, Die religiös–politischen Oppositions – parteien im alten Islam, Berlin, 1901 (AKGWF,N.F., Bd V, No2).

West, Pahlavi Literature.– E.W.West, Pahlavi Literature, – GIPH, Bd II, S.75–129.

J.Wolff, Narrative.– J.Wolff, Narrative of Mission to Bokhara, in the years 1943–1845,5th ed.Edinburg and London, 1948.

O.Wolff, Geschichte der Mongolen.– [O.Wolff], Geschichte der Mongolen oder Tataren, besonders ihres Vordringens nach Europa, so wie ihrer Eroberungen und Einfäle in diesem Weltheile, kritisch bearbeitet von O.Wolff, Breslau, 1872.

Wüstenfeld, Der Tod des Husein.– Der Tod des Husein ben Ali und die Rache.Ein historischer Roman aus dem Arabischen. Nach den Handschriften zu Gotha, Leiden, Berlin und St. Petersburg übersetzt von F.Wüstenfeld, Göttingen, 1883 (AKGWG, Bd XXX).

Wüstenfeld, Uber die quellen.– F.Wüstenfeld, Uber die Quellen des Werkes: Ibn Challikani vitae illustrium virorum. Ein Beitrag zur Geschichte der Arabischen Literatur, Göttingen, 1837.

Yate, Northern Afghanistan.– C.E.Yate, Northern Afghanistan or letters from the Afghan Boundary Commission, Edinburgh and London, 1888.

Yule, Cathay.– [H.Yule], Cathay and the way thither: being a collection of medieval notices of China, transl. and ed.by H.Yule. With a preliminary essay on the intercourse between China and the western nations previous to the discovery of the Cape route, vol.I–II, London, 1866 (HS, [No XXXVI–XXXVII]); 2ed.vol.I–IV, London, 1913–1916 (HS, 2d ser, No XXXIII, XXXVII, XXXVIII, XLI).

Zambaur, Dirhem.– E.v.Zambaur, Dirhem, – EI,I,S.1020.

* Zambaur, Manuel.– E Zambaur, Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'islam, Hanovre, 1927.

Zarnke, Der Priester Johannes.– F.Zarncke, Der Priester Johannes, Abh.1.(Cap.I–III), – ASGW, Bd VII,H 8, 1879, S.826–1028; Abh.2.(Cap.IV–VI).– ASGW, Bd VIII,H,1, 1883, S.1–184; طبعت أيضاً على حدة .I (S.1–202), II (S.1–184).

Zaydan, Umayyads and 'Abbasids.– [Jurji Zaydan], Umayyads and 'Abbasids being the fourth part of Jurji Zaydan's History of Islamic civilization, transl. by D.S.Margoliouth, Leyden–London 1907 (GMS.IV).

★ تاريخ التمدّن الاسلامي تأليف جرجي زيدان، الجزء ١-٥ ، [القاهرة]، ١٩٠٢ - ١٩٠٦.

★ تاريخ مفصّل ايران از استيلاي مغول تا اعلان مشروطيت، جلد ١ ،: از حمله چنكيز تا تشكيل دولت تيموري تأليف عبّاس اقبال، طهران، ١٣١٢ ش.

★ جغرافياي مفصل ايران تأليف مسعود كيهان، II ، سياسي، طهران، ١٣١٠ ش.

★ مقاله‌ای تاريخي وانتقادي از حضرت علامهٔ استاد اقای ميرزا محمد خان قزوينی در باب نسخهٔ نفثة المصدور تأليف نور الدين محمد منشی باهتمام عباس اقبال، طهران، ١٣٠٨ ش.

★ وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقی از تاريخ تشكيل اين سلسله تا مرگ سلطان سنجر (٤٣٢-٥٥٢)...، تأليف عبّاس اقبال، تهران، ١٣٣٨ ش (انتشارات دانشگاه تهران، ٥٢٠).

كشاف الفهارس

★ في جميع الفهارس وضعت نجمة (★) على أرقام الصفحات التي وردت بها الكلمة المعنية في الحواشي وليس في صلب المتن.

فهرست أسماء الأعلام

فهرست أسماء البلاد والأماكن

فهرست أسماء الشعوب والقبائل

فهرست المصطلحات

فهرست أسماء المصنفات

تمت طباعة هذا الكتاب في الثاني من شهر
يوليو ١٩٨١ م. الموافق غرة رمضان ١٤٠١ هـ.

تنفيذ
شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع
ص.ب ٢٤٢٦٧، ت ٥٥٣٤٨٩
الكويت